THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

893.78
H2733
1st page

١ — كتب الىّ صاحب الفضيلة أستاذى الاكبر شيخ الجامع الازهر الشيخ حسونه النواوى ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى علّم بالقلم ، علّم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على أفصح العرب ، وعلى آله وصحبهِ الذين انتهجوا منهج الأدب « أما بعد » فقد اطلعت على الكتاب المسمّى « بجواهر الأدب فى أدبيات وانشاء لغة العرب » لمؤلفهِ الألمعى ولدنا الأستاذ الفاضل السيد أحمد الهاشمى ، فألفيتهُ مشتملاً على فن الانشاء والامثال وافياً بالمقصود واسع المجال ، صحيح العبارة ، واضح الاشارة ، نافعاً فى بابه . مفيداً لمطالعيهِ وطلابه . نفع الله بهِ وبمؤلفهِ ومحبيه . بجاه نبيه وآله وصحبه وتابعيه ؟

كتبه حسونه النواوى

٢ — وكتب الىّ أستاذى الامام الحكيم فيلسوف الشرق المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبهِ ومن اتبعه فوالاه (و بعد) فقد اطّلعت على مجموع كتاب (جواهر الأدب) المنتخب من حدائق العرب ، فاذا هو مجموعة لا بأس بها ، وافياً بما تريده الطلبة من الكتابة ووسائلها

كما أزهرت روضات حسن وأثمرت فأضحت وعجم الطّير فيها تغرّد

فقد جمع لهم من عيون الكلام ورائع اللفظ ما يحتذون حذوه ، وينسجون على منواله ، حتى لا تستعصى عليهم الكتابة بل يسلس لهم قيادها . وبعيد أن يصل من يحاول (صناعة الانشاء) الى ما يرضى منه بدون أن يردد الطرف فى كثير من كلام الفصحاء ، ويرد من مناهله كل عذب صاف ، ويحيط بشىء عظيم من أساليب الكتاب حتى يتشبّع من كلامهم ، وتنطبع فيهِ صورة من مجموع صورهم ، ولم يكن فيما بين أيديهم من الكتب مايفى لهم بهذا الغرض ، حتى وفق حضرة ولدنا الاستاذ (الهاشمى)

لسدّ هذه الثّلمة بما كابده من التعيم زمناً كبيراً — ولا بدع فخير الأطباء من عرف حقيقة الدّاء فيصف له أنجع الدّواء . ولقد عرف هذا الأستاذ العصامى حاجة العصر وناشئته الى كتاب موضوع على أسلوب عصرى يلائم أذواق بنى العصر من معلّمين ومتعلّمين . فاذا حاول أهل العلم والتّعليم أن يشكروا له صنيعه فقد حاولوا عظيما وطلبوا خطيراً ، وحسب العامل أن يقوم بشكره عمله . فالعمل أعرف شىء بجميل عامله ، وفقنا الله وإيّاه ، لما يحبّهُ ويرضاه ، وأسأله أن ينفع بهِ الطّلاب ، ويجزل فيهِ الثّواب ؟ محمد عبده

٣ — وكتب شيخ الاسلام صاحب الفضيلة أستاذى الاكبر المرحوم الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الازهر ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنشأ العالم على أبدع مثال ، ونظم أحواله بمعارف أرباب العلوم حتى بلغ حدّ الكمال ، ونثر عجائب المعارف فى أرجائه ، وغرائب العوارف فى أنحائه والصلاة والسلام على ينبوع العلم و«جواهر الادب» سيدنا ونبينا محمد أشرف مخلوق فى العجم والعرب . وعلى آله وصحبه ذوى المناصب والرّتب «أمّا بعد» فقد تناولت كتاب «جواهر الادب فى بلاغة لغة العرب» كما يتناول الكتاب المرقوم ، وفضضتهُ كما يفض الرحيق المختوم ، واطّلعت عليهِ فوجدتهُ حوى من المبانى أدقها ، ومن المعانى أرقها ، ومن النثر أعلاه ، ومن النّظم أحلاه ، ارتحت لعيانه ، واهتززت لعنوانه ، اذ قد جمع فيهِ من الأجناس ومما لا يستحيل الانعكاس ما أدهش قاطبة الناس ، فلو شامهُ (البهائى) قبل تأليف (مخلاته وكشكوله ، الاعتراف لهذا المؤلف وارعوى من فضوله وهو حضرة العالم الهمّام ، اللوذعى الامام وولدنا السيد أحمد الهاشمى — أكثر الله من أمثاله بجاه النبى وآله ؟ كتبه سليم البشرى

وكتب إلىّ فضيلة أستاذى المرحوم الشيخ حمزه فتح الله المفتش الاول بوزارة المعارف العمومية ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم

تقدير وتقريظ العلماء والعظماء لكتاب جواهر الأدب «ج»

أى بنىّ الجهبذ النحرير والفذّ العبقرى (السيد أحمد الهاشمى) قد تصفّحت مجموعتك المختارة التى أسميتها (جواهر الأدب فى أدبيات وانشاء لغة العرب) فاذا هى دائرة معارف كبرى لا يستغنى عنها أديب ، كلها صحاح وعلم صراح

وما عسى أن يقال فى وصف صحاح الجوهرى

إى وربّى انه لكتاب صرح على المخض زبده وأسفر عن الادب ، فلم تتلفّع بفضل مئزرها دعد . وانفردت سطوره عن فضل اختيار تغرى ليل عن بياض نهار جلاه الفرناس ، على صفحات القرطاس

اختار فى كتابه هذا من منتخبات الكتاب والشعراء ما يشفى الغلة ، ويروى الصدى ولقد أتى فيما انتقاه لكتابه الثمين بيوت الكلام من أبوابها ، وميز أبكارها من أترابها وأهدى إلى هؤلاء الشادين كلاماً يلطف كالهواء رقة ويسيل كالماء عذوبة يمتزج بالنفوس لنفاسته ، ويشرب بالقلوب لسلامته

أحاديث لو صيغت لألهت بحسنها عن الوشى أو شمّت لأغنت عن المسك

(وبعد) فان سنن مؤلفك العظيم لقويم ، ما منى بشين ، فحشيت عليه العين وما أطيب الخزامى فى قول بعض القدامى

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العين

كيف لا وقد عرفنا هذا المؤلف النابغة كاتباً مجيداً يفلّ الحز ، ويطبق المفصل له حلى من البلاغة يتقلّدها . فيكاد السحر يحسدها . يدلّ عليه بيانه ، كما يدلّ على الجواد عنانه ، فمن عرفه فقد اكتفى — ومن قصر فلينشد

قد عرفناك باختيارك اذ كا ن دليلا على اللبيب اختياره

فما أجدر كتابه أن يختص بسرعة المجال فى المجالس ، وخفّة المدار فى المدارس بل إن (هذا الكتاب يهدى للتى هى أقوم) جزى الله مؤلفه خير الجزاء وأثابه أحسن

المثوبة ، وأكثر فى الامة من أمثاله ، لتبلغ من حسن القول والفعل غاية الكمال ؟
كتبه الفقير اليه جل شأنه فى ليلة ١٢ ربيـــع أول سنة ١٣١٨ هـ حمزة فتح الله

٥ وكتب إلىّ صديقى المرحوم حسن أفندى توفيق العدل المدرس بكلية (كمبردج)

عزيزى حضرة الاستاذ الفاضل السيد أحمد الهاشمى

تشرفت بكتابك المسمى (جواهر الادب فى أدبيات وانشاء لغة العرب) فوجدت بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبعك السليم واتصالاً قريباً كاتصال الصديق الحميم فما أنفس فرائده ، وأثمن فوائده ، وأفسح مقاله ، وأفسح مجاله. صدر هذا الكتاب عن علم سابق ، وفكر ثاقب ، وذهن رائق ، ونفس صادق ، وروّية ملأت تصانيفها المغارب والمشارق ، فأكرم بهِ من كتاب (جواهر) تكونت من ألفاظ عذاب ، ومواهب لا تدرك بيد اكتساب ، فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب ، إذا تدبّره الأديب أغنتهُ تلك الأفانين ؛ عن نغمات القوانين ، وإذا تأمله الأريب نزّه طرفهُ فى رياض البساتين ، قد سوّر على كلّ فنّ من البديع باب ، لا يدخله إلا من خصّ من البلاغة باللّباب ، والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب. حسن توفيق العدل

المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية بنظارة المعارف العمومية

﴿ وقال صاحب الدولة المرحوم سعد باشا زغلول « مخاطباً مؤلف هذا الكتاب » ﴾

كتابك هذا يا أستاذ « فضل ونعمة »

« ذلك فضل الله يؤتيهِ من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

وانهُ لدائرة معارف أدبية كبرى ، وأنفس كتاب أُلف فى اللغة العربية وتاريخ آدابها ، صدر عن تجربة وحكمة

« ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » ؟ كتبه سعد زغلول

صحيفة		صحيفة	
٢	فاتحة الكتاب	٣٦	تقسيم الانشاء الى فنى النظم والنثر
٣	اليكم معشر الكتاب	٣٧	كيفية عمل الشعر
٨	تمهيد فى مبادىء علم الادب	٣٩	فنون الانشاء سبعة
١٠	مقدمة فى علم الانشاء	٣٩	الفن الأول فى المكاتبات
١٠	الباب الاول فى أصول الانشاء	٤٠	أبواب الرسائل
١٠	مواد الانشاء	٤٠	الرسائل الاهلية
١٢	خواص الانشاء	٤١	الفصل الاول فى رسائل الشوق
١٤	عيوب الانشاء	٤١	رسائل أبى منصور الثعالبى
١٥	طبقات الانشاء	٤٣	رسالة البسطامى
١٦	محاسن الانشاء	٤٤	« عبد الرحمن محمد بن طاهر
١٦	كيفية الشروع فى عمل مواضيع الانشاء	٤٥	« ابو الفضل بن العميد
١٨	أركان الكتابة	٤٥	« بديع الزمان الهمذانى
١٩	كيفية نظم الكلام	٤٥	« ابو محمد عبد الله البطليوسى
٢١	الطريق الى تعلم الكتابة	٤٦	« الشيخ ابراهيم اليازجى
٢٢	كيفية تهذيب الكلام	٤٧	« أبو العباس الغسانى
٢٣	محاسن الانشاء ومعايبه	٤٨	« الصاحب اسماعيل بن عباد
٢٤	فصاحة الألفاظ ومطابقتها للمعانى	٤٨	« أبو بكر الخوارزمى
٢٥	حقيقة الفصاحة	٤٩	« المرحوم الشيخ حمزة فتح الله
٢٧	الانسجام	٥٠	« المرحوم محمد بك دياب
٢٨	حل الشعر	٥٠	« المرحوم وفا افندى محمد
٣٢	التخلص والاقتضاب	٥١	« مؤلف هذا الكتاب
٣٣	كيفية افتتاح مواضيع الانشاء	٥٣	الفصل الثانى فى التعارف قبل اللقاء
		٥٣	رسالة الثعالبى
		٥٣	« المرحوم الشيخ حمزه فتح الله

صحيفة		صحيفة	
٥٥	رسالة المرحوم حفنى بك ناصف	٧٦	رسالة الخوارزمى
٥٦	« المرحوم احمد افندى سمير	٧٦	« بعضهم الى رئيسه
٥٧	« المرحوم الشيخ احمد مفتاح	٧٧	« ابراهيم اليازجى
٥٨	« المرحوم الشيخ طه محمود	٧٩	« زبيده زوجة الرشيد
٦٠	« المرحوم محمود بك ابو النصر	٨٠	« المأمون
٦٠	« السيد محمد البيلاوى	٨٠	« بعضهم
٦١	« المرحوم عبد الكريم سلمان	٨٠	« الجاحظ
٦٢	« مؤلف هذا الكتاب	٨١	استعطاف ام جعفر بن يحيى الرشيد
٦٣	الفصل الثالث فى رسائل الهدايا	٨٤	« ابراهيم بن المهدى للمأمون
٦٣	رسالة سعيد بن حميد	٨٦	« اسحاق بن العباس للمأمون
٦٤	« حفنى بك ناصف	٨٧	« الفضل بن الربيع للمأمون
٦٦	« محمود بك ابو النصر	٨٧	« تميم بن جميل للمعتصم
٦٧	« عبد الله بك الانصاري	٨٩	« الجاحظ الى ابن الزيات
٦٧	« المرحوم الشيخ احمد مفتاح	٩٠	« رجل من اهل الشام للمنصور
٦٨	« مؤلف هذا الكتاب الى استاذه المرحوم الشيخ محمد عبده	٩٠	« روح بن زنباع لمعاوية
٧٠	« مؤلف هذا الكتاب الى المغفور له سعد باشا زغلول	٩١	« ابن الرومى للقاسم
٧٢	الفصل الرابع فى رسائل الاستعطاف	٩٢	« الخوارزمى
٧٢	رسالة الثعالبى	٩٣	اعتذار لسعيد بن حميد
٧٢	« عبد الله بن معاوية	٩٣	اعتذار لأبى على البصير
٧٣	« ابن حبيب الحلبى	٩٤	اعتذار للبديع
٧٥	« الجاحظ	٩٥	الفصل الثانى فى رسائل حسن التقاضى والطلب
٧٦	« ابن مكرم	٩٥	رسالة أبى العيناء
		٩٥	رسالة عبد الخالق ثروت باشا

صحيفة	
٩٦	رسالة المرحوم أحمد بك رأفت
٩٧	رسالة عبد العزيز محمد باشا
٩٨	رسالة حسن أفندى توفيق العدل
١٠٠	استمناح رجل لعبد الملك بن مروان
١٠١	استمناح العتابى لأحد أصدقائه
١٠٢	« أعرابية لابن أبى بكرة
١٠٢	« حكيم فارسى للمهلب
١٠٣	تلطف رجل فى استمناح للمنصور
١٠٤	استمناح ابن زرارة لمعاوية
١٠٥	« للمرحوم مصطفى لطفى المنفلوطي
١٠٦	« الصابئ لبعض الرؤساء
١٠٦	« ابن عباد الى جعفر وزير المعتز
١٠٧	الفصل الثالث فى رسائل الشكر
١٠٧	رسالة الثعالبى
٢٠٧	« الحسن بن وهب
١٠٨	« الامير ابو الفضل الميكالى
١٠٩	« الشيخ محمد عبده
١١٢	الفصل الرابع فى النصح والمشورة
١١٢	رسالة الهمذانى
١١٢	« الاسكندر المقدونى
١١٤	« ارسطو الى الاسكندر
١١٥	« الامام على
١١٥	« السيد عبد الله النديم

صحيفة	
١١٩	رسالة الشيخ محمد عبده
١٢١	الفصل الخامس فى رسائل العتاب
١٢١	كتاب الهمذانى
١٢٤	« الجاحظ
١٢٤	« الخوارزمى
١٢٥	« عبد الله بن معاوية
١٢٥	« الشيخ عبد العزيز جاويش
١٢٩	« معاوية الى ابنه يزيد
١٣٠	« اعرابى الى ابنه
١٣١	« حفنى بك ناصف
١٣٤	« القاضى الفاضل
١٣٥	الفصل الثالث فى الشكوى
١٣٥	كتاب الامير الميكالى
١٣٥	« عبد الحميد بن يحيى
١٣٦	« الشيخ محمد عبده
١٤٠	« حافظ بك ابراهيم
١٤٣	الفصل السابع فى رسائل العيادة
١٤٣	كتاب بن الرومى
١٤٣	« الخوارزمى
١٤٤	الفصل الثامن فى رسائل التهانى
١٤٤	كتاب الثعالبى
١٤٤	« بديع الزمان الهمذانى
١٤٥	« الثعالبى تهنئة بقدوم
١٤٥	« « « برمضان

صحيفة	
١٤٦	رسالة ابى الفرج الببغاء
١٤٦	كتاب المرحوم الشيخ حمزة
١٤٩	« المرحوم محمود بك ابو النصر
١٤٩	« المرحوم عبد الله باشا فكرى
١٥٠	الفصل التاسع فى التعازى والتأبين
١٥٠	كتاب الثعالبي
١٥٠	« الهمذانى
١٥١	« اليازجى
١٥٢	تأبين الاحنف بن قيس
١٥٣	تأبين الاسكندر
٢٥٤	الفصل العاشر فى رسائل الاجوبة
١٥٤	رسالة عبد الله باشا فكرى
١٥٦	« حفنى بك ناصف
١٥٨	« الشيخ على الليثى
١٥٩	الفصل الحادى عشر فى الوصايا
١٥٩	من كلامه عليه الصلاة والسلام لعمر
١٦٠	من وصاياه عليه الصلاة والسلام
١٦٤	عهد الامام على للاشتر النخعي
١٧٦	كتاب أبى بكر الصديق
١٧٧	« عمر بن الخطاب
١٧٨	وصية ابن سعيد المغربى
١٨٣	وصية هرون الرشيد
١٨٤	وصية بعض نساء العرب لابنها
١٨٤	نصيحة رجل لهشام

صحيفة	
١٨٥	نصيحة أعرابى لابن عبد الملك
١٨٦	نصيحة فتاة لأبيها
١٨٦	نصيحة الهمذانى لوارث مال
٢٨٧	وصية الرياحي لقومه
١٨٨	وصية ذى الاصبع لابنه
١٨٨	وصية ابن شداد لابنه
١٩٢	الفصل الثانى عشر فى التنصل
١٩٢	كتاب ابن الرومى
١٩٢	« ابن زيدون
٢١٠	مكاتبات متفرقة
٢١٠	كتاب الدولة العلية
٢١١	« ابن العميد
٢١٢	« السيد توفيق البكرى
٢١٥	« السيدة وردة اليازجية
٢١٥	« السيدة عائشة تيمور
٢١٧	« السيد عبد الله النديم
٢١٩	« ابراهيم المويلحى بك
٢٢٠	« ابن هارون
٢٢٥	الكلام على الرسالات العلمية
٢٢٦	الفن الثانى فى المناظرات
٢٢٦	مناظرة النعمان بن المنذر وكسرى
٢٣٢	« اكثم بن صيفى
٢٣٣	« حاجب بن زرارة
٢٣٣	« الحارث البكرى

صحيفة	
٢٣٤	مناظرة عمرو بن الشريد
٢٣٤	« علقمة بن علاثة
٢٣٥	« خالد بن جعفر الكلابي
٢٣٥	« قيس بن مسعود الشيباني
٢٣٦	« عامر بن الطفيل العامري
٢٣٧	« عمرو بن معدي كرب
٢٣٧	« الحارث بن ظالم المري
٢٣٨	« رواية الكلبي عن كسرى
٢٣٨	« حذيفة بن بدر
٢٣٩	« الاشعث بن قيس
٢٣٩	« بسطام بن قيس
٢٤٠	« حاجب بن زرارة
٢٤٠	« قيس بن عاصم
٢٤١	مناظرات ومشاورات المهدي عليه لاهل بيته في حرب خراسان
٢٤٢	مناظرة سلام وجواب المهدي عليه
٢٤٢	« الربيع
٢٤٣	« الفضل بن العباس
٢٤٥	« علي بن المهدي
٢٤٦	« موسى بن المهدي
٢٤٨	« العباس بن محمد
٢٤٩	« هارون للمهدي
٢٥١	« صالح للمهدي
٢٥١	« محمد بن الليث

صحيفة	
٢٥٣	مناظرة معاوية بن عبد الله
٢٥٩	وفود بكارة الهلالية على معاوية
٢٦٠	مناظرة السيف والقلم لابن الوردي
٢٦٤	« للآمدي صاحب أبي تمام
٢٦٤	وصاحب البحتري
٢٦٩	« الليل والنهار
٢٨١	« الارض والسماء
٢٨٨	« بين فصول العام
٢٨٨	« الربيع
٢٨٩	« الصيف
٢٩٠	« الخريف
٢٩١	« الشتاء
٢٩١	« البر والبحر
٢٩٣	« الهواء والماء
٢٩٥	« الجمل والحصان
٢٩٦	الفن الثالث في الامثال
٢٩٧	أمثال القرآن الظاهرة
٢٩٩	أمثال القرآن الكامنه
٣٠٠	في الصدق
٣٠٠	الصبر والثبات
٣٠٠	العلم والاسترشاد
٣٠٠	الاتحاد والوئام
٣٠٠	العفو
٣٠٠	الوفاء

صحيفة		صحيفة
٣٠٠	الاقتصاد	٣٠٦ الضالين والمضلين
٣٠١	الأمر بالمعروف	٣٠٧ قرناء السوء
٣٠١	بر الوالدين والأقارب	٣٠٧ المنافقون والمراؤون
٣٠١	النصيحة	٣٠٨ تمثيل أعمال المرائين والمنافقين
٣٠١	الشكر	٣٠٨ الانذار والوعيد
٣٠٢	الاغضاء والتغافل	٣١٠ الحياة الزوجية
٣٠٢	المدح	٣١٠ آداب النساء
٣٠٢	التبرئة والتنزيه	٣١٠ الصلح والسلم
٣٠٢	حسن الخلق	٣١٠ الناس بخير ما تباينوا
٣٠٣	الكذب والزور	٣١١ الحث على الصدقة
٣٠٣	الخيانة ونقض العهد	٣١١ التحية والاستئذان
٣٠٣	القتل والانتحار	٣١١ آداب المشى
٣٠٤	الزنا	٣١١ التلطف فى الدعوة
٣٠٤	الخمر والميسر	٣١٢ الشورى
٣٠٤	البخل وحب المال	٣١٢ الشفاعة
٣٠٤	الربا	٣١٢ الخطاء والاضرار
٣٠٤	العجب والكبرياء	٣١٢ المسئولية عن العمل
٣٠٥	الاستبداد والاثره	٣١٢ الجهاد
٣٠٥	التفرق والاختلاف	٣١٢ الايمان
٣٠٥	الجبن والفرار	٣١٢ الكلام والاستماع
٣٠٥	الأمر بما لا يفعل	٣١٣ الجدل والمناظرة
٣٠٥	الغفلة	٣١٣ وبضدها تتميز الاشياء
٣٠٥	انكار الجميل	٣١٣ الحث على العمل
٣٠٦	الذم والاهانة والتحقير	٣١٤ الجزاء عن العمل

صحيفة
٣١٤ الجزاء من جنس العمل
٣١٤ شبيه الشئ منجذب اليه
٣١٤ الافساد والبغى
٣١٥ المفسدين والمكابرين
٣١٥ غرور الظلمة
٣١٥ سوء عاقبة الظالمين
٣١٥ الاعراض عن الدعوى
٣١٦ التدخل فيما لا يعنى
٣١٦ الكرم والضيافة
٣١٦ التعزية وتهوين الخطب
٣١٦ الكيل والميزان
٣١٧ الرشوة
٣١٧ مال اليتيم ومتاعه
٣١٧ صك الدين وانذار المعسر
٣١٧ الاحكام والحكام
٣١٧ اتهام الابرياء
٣١٨ المكابرة فى الحق
٣١٨ فى الحق والباطل
٣١٨ أداء الشهادة
٣١٩ الخبر اليقين
٣١٩ الاستنكار والتعجب
٣١٩ المحاماة والدفاع
٣١٩ التحدى وعدم المبالاة
٣١٩ فى الظن والشك

صحيفة
٣١٩ فى النجوي والمؤامرة
٣٢٠ فى التبرء والتنصل
٣٢٠ موقف المجرمين أمام العدالة
٣٢٠ عند ظهور الحق
٣٢٠ فى الافحام والالزام
٣٢٠ اليأس والتيئيس
٣٢٠ امضاء الأمر
٣٢١ حال المجرمين
٣٢١ الشيب والكبر
٣٢١ صفات الانسان
٣٢٢ الخوف
٣٢٢ التضجر والتحسر
٣٢٢ النسيان
٣٢٢ النفس الأمارة بالسوء
٣٢٣ الرؤيا والاحلام
٣٢٣ زوال المكروه
٣٢٣ النعيم والسرور
٣٢٣ الجبال والبحار
٣٢٤ البساتين والرياحين
٣٢٤ التفكر والنظر
٣٢٥ العظة والعبرة
٣٢٥ نعم الله وفضله
٣٢٥ ما استؤثر بعلمه
٣٢٥ العمل لوجه الله

صحيفة		
٣٢٦	التحذير من النفس	
٣٢٦	الاعتماد على الله	
٣٢٧	الترغيب فى التقوى	
٣٢٦	التوبة	
٣٢٧	القرآن الكريم	
٣٢٧	الأنباء والاستنباء	
٣٢٧	الكتب والكتابة	
٣٢٨	الاقتراب	
٣٢٨	الضعف والعجز	
٣٢٨	البلاء وما يصاب الناس به	
٣٢٨	الاغترار بالظهور	
٣٢٩	البشرى والتهنئة	
٣٢٩	الامتنان	
٣٢٩	التحدث بالنعمة	
٣٢٩	التأمين والطمأنينة	
٣٣٠	أمثال العرب	
٣٣٨	الفن الرابع فى الاوصاف	
٣٣٨	وصف البلدان	
٣٣٩	« القلاع	
٣٣٩	« الدور	
٣٣٩	« الديار الخالية	
٣٤٠	« ايام الربيع	
٣٤٠	« الرياض	
٣٤١	« طول الليل والسهر	

صحيفة		
٣٤١	وصف انتصاف الليل وتناهيه	
٣٤٢	« طلوع الشمس وغروبها	
٣٤٣	« الرعد والبرق	
٣٤٣	« مقدمات المطر	
٣٤٣	« الثلج والبرد وأيام الشتاء	
٣٤٤	« المطر والماء والسحاب	
٣٤٤	« القيظ وشدة الحر	
٣٤٥	« الشيب	
٣٤٥	« آلات الكتابة	
٣٤٦	« الخطباء	
٣٤٧	« العلماء	
٣٤٧	« البلغاء	
٣٤٨	« الشعر والمنشئين	
٣٤٩	« الامراء والاشراف	
٣٥١	« القلم	
٣٥٢	« الخط	
٣٥٧	« الكتاب	
٣٥٨	« عاصفة	
٣٥٩	« العلم	
٣٦٠	« رجل لخصمه	
٣٦١	« أبى دلف	
٣٦١	« اعرابى لرجل	
٣٦٢	« الامام العادل	
٣٦٤	« عمرو بن العاص لمصر	

صحيفة	
٣٦٥	وصف المطر
٣٦٨	« حديقة
٣٦٩	« البيان
٣٦٩	« المكارم
٣٧٠	« القرآن الكريم
٣٧٠	« البلاغة
٣٧١	« عمر بن الخطاب
٣٧١	« على بن أبى طالب
٣٧٢	« كلام العرب
٣٧٢	« حرب
٣٧٢	« الكتاب
٣٧٤	« التاريخ
٣٧٤	« الرجل الكامل
٣٧٥	« قناة السويس
٣٨١	« فرس
٣٨١	« العصا
٣٨٢	« كرة القدم
٣٨٢	« جيوش
٣٨٣	« الحسد
٣٨٣	« افضل الكلام
٣٨٣	« الشعراء المحدثين
٣٨٤	« ابى تمام والبحترى والمتنبى

صحيفة	
٣٨٦	« بعض أحياء العرب
٣٨٨	« نهج البلاغة
٣٩٠	« حفلة ـ ومتحف
٣٩١	« الفونوغراف
٣٩١	« نظارة
٣٩٣	« سان استيفانو
٣٩٥	« الشمس
٣٩٩	« القمر
٤٠٣	الفن الخامس فى المقامات
٤٣٠	المقامة الاسكندرانية
٤١١	المقامة البشرية
٤١٥	الفن السادس فى الروايات
٤١٦	رواية ليلى الاخيلية
٤١٨	رواية بناة الشاعر المقتول
٤١٩	المتكلمة بالقرآن
٤٢١	مروان بن الحكم
٤٢٢	عبيد بن الابرص
٤٢٣	أبو تراب والشريف العباسى
٤٢٥	المأمون والمتظلمة
٤٢٦	عمر بن الخطاب والهرمزان
٤٢٦	ابراهيم بن المهدى
٤٢٧	الأحنف بن قيس

صحيفة		صحيفة	
٤٢٨	معن بن زائدة . وجاره	١٠	المقدمة السابعة فى أخلاقهم
٤٢٩	معن بن زائدة والأسود	١٢	« الثامنة فى دينهم
٤٣١	معاوية والاعرابية	١٣	« التاسعة فى ثقافتهم
٤٣١	الأحنف بين يدى معاوية	١٤	« العاشرة فى عصور اللغة
٤٣٢	الاحنف بين يدى عمر بن الخطاب	١٥	العصر الأول عصر الجاهلية
٤٣٢	أسيد بن عنقاء	١٥	حالة اللغة فى ذلك العصر
٤٣٣	الفضل وجعفر البرمكى	١٥	سوق عكاظ
٤٣٦	براعة الرشيد فى الأدب	١٦	كلام العرب
٤٣٦	الواثق وأبى دواد	١٧	أغراض اللغة في الجاهلية
٤٣٧	المنصور والربيع بن يونس	١٧	معانى اللغة « «
٤٣٧	الأعرابى السائل	١٧	عبارة اللغة « «
٤٣٨	معاوية والأحنف بن قيس	١٨	تقسيم كلام العرب الى نثر ونظم
٤٣٩	الحجاج ورسول المهلب	١٨	النثر والخطابة
٤٤٠	حديث معاوية وليلى الاخيلية	١٩	المحادثة
٤٤٥	سودة بنت عمارة ومعاوية	٢٠	خطباء العرب
٤٤٧	أم سنان بنت جشمة ومعاوية	٢١	قس بن ساعدة الايادى
٢	الفن السابع فى التاريخ	٢٢	اكثم بن صيفى
٢	تاريخ أدب اللغة العربية	٢٣	الكتابة
٢	المقدمة الأولى فى التاريخ	٢٤	علوم العرب وفنونها علم النجوم
٣	« الثانية فى توضيح الأولى	٢٥	الطب ـ والبيطرة
٤	« الثالثة فى جزيرة العرب	«	الأخبار ـ والقصص
٦	« الرابعة فى اللغة العربية	«	التاريخ ـ والجغرافيا
٧	« الخامسة فى تاريخ العربية	«	الفراسة ـ والقيافة
٨	« السادسة فى حياة العرب	٢٦	الكهانة والعرافة والزجر

صحيفة	
٢٦	النظم ـ أو الشعر والشعراء
٢٨	أغراضه وفنونه
٢٩	الفخر والمدح والهجاء
«	الرثاء ـ الاعتذار ـ الوصف
٣٠	الحكمة والمثل
«	معانيه وأخيلته
٣١	ألفاظه وأساليبه
«	أوزانه وقوافيه
«	الشعراء وطباقاتهم
«	الشعراء الجاهليون
٣٣	امرؤ القيس ومعلقته
٤٥	النابغة الذبيانى «
٥٣	زهير بن أبى سلمي «
٦٠	عنترة العبسى «
٦٩	عمرو بن كلثوم «
٧٨	طرفة بن العبد «
٨٩	اعشى قيس «
٩٤	الحارث بن حلزه «
٩٨	لبيد بن ربيعة ومعلقته
١٠٩	علقمة الفحل ومعلقته
١١٣	أمية بن أبى الصلت وقصيدته
١١٤	الرواية والرواة
١١٤	خلفاء بنى أمية
«	العصر الثانى عصر صدر الاسلام

صحيفة	
١١٤	حالة اللغة فى ذلك العصر
١١٦	القرآن الكريم
«	اعجاز القرآن الشريف
١١٧	جمع القرآن وكتابته
١١٨	صاحب الشريعة محمد صلى الله عليه
١٢١	الحديث النبوى
«	النثر لغة التخاطب الخطابة الكتابة
١٢٢	الخطابة فى هذا العصر والخطباء
«	النبى محمد ـ صلعم ـ وخطبه
١٢٦	أبو بكر الصديق وخطبه
١٢٩	عمر بن الخطاب وخطبه
١٣١	خطبته فى القضاء الى ابى موسى
١٣٢	عثمان بن عفان وخطبه
١٣٤	على بن أبى طالب وخطبه
١٣٦	سحبان وائل وخطبه
١٣٧	زياد بن أبيه وخطبه
١٣٩	الحجاج الثقفى وخطبه
١٤١	طارق بن زياد وخطبه
١٤٣	الكتابة الخطية
١٤٣	الكتابة الانشائية
١٤٥	مميزات الكتابة الانشائية
١٤٥	الكتاب فى هذا العصر
١٤٦	عبد الحميد الكاتب
١٤٧	التدوين والتصنيف

صحيفة
١٤٨ الشعر والشعراء
١٤٩ أغراض الشعر وفنونه
١٥٠ معانيه وأخيلته والفاظه
١٥١ الشعراء فى هذا العصر
١٥٢ كعب بن زهير وقصيدته بانت سعاد
١٥٦ عمرو بن معديكرب الزبيدى
١٥٧ الخنساء
١٦٠ الحطيئة
١٦١ حسان بن ثابت
١٦٢ النابغة الجعدى
١٦٤ عمر بن أبى ربيعه
١٦٦ الاخطل
١٦٨ الفرزدق
١٧٠ جرير
١٧٢ الكميت
١٧٣ الرواية والرواة
١٧٤ العصر الثالث عصر الدولة العباسية
« أحوال اللغة وآدابها فى هذا العصر
« خلفاء بنى العباس
١٧٥ أغراض اللغة
١٧٦ المعانى والافكار
١٧٧ الالفاظ والاساليب
« النثر — المحادثة أو لغة التخاطب
١٧٨ الخطابة والخطباء

صحيفة
١٧٩ داود بن على
١٨٠ شبيب بن شيبة
١٨١ الكتابة الخطية والانشائية
١٨٢ ابن مقلة
١٨٣ الكتابة الانشائية فى الرسائل
١٨٤ الكتاب فى هذا العصر
« ابن المقفع
١٨٦ ابراهيم الصولى
١٨٧ ابن العميد
« بقية خلفاء العباسيين
١٨٨ الصاحب بن عباد
١٨٩ أبو بكر الخوارزمى
١٩٠ بديع الزمان الهمذانى
« ابن زيدون
١٩١ القاضى الفاضل
١٩٢ التدوين والتصنيف
١٩٣ كتابة التصنيف والتدوين
« العلوم اللسانية ونشأتها
١٩٤ الجاحظ
١٩٥ أحمد بن عبد ربه
« الحريرى
١٩٦ فن التاريخ
١٩٧ العروض والقافية
« النحو

صحيفة
١٩٧ علم اللغة
١٩٨ علوم البلاغة
١٩٨ الخليل بن أحمد
١٩٩ سيبويه
٢٠٠ الكسائى
« العلوم الشرعية
٢٠١ كتب الحديث
« الامام البخارى
٢٠٢ علم الفقه
« الامام أبو حنيفة
٢٠٣ الامام مالك
« « الشافعى
٢٠٤ « أحمد بن حنبل
٢٠٥ علم الكلام
« أبو الحسن الاشعرى
٢٠٦ الغزالى
« نشأة العلوم الكونية
٢٠٨ الشعر والشعراء
٢٠٩ بشار بن برد
٢١٠ أبو نواس
٢١٢ مسلم بن الوليد
٢١٣ أبو العتاهية
٢١٤ أبو تمام
٢١٥ البحترى

صحيفة
٢١٧ ابن الرومى
« ابن المعتز
٢١٨ أبو الطيب المتنبى
٢٢٠ ابن هانئ الاندلسى
٢٢١ أبو العلاء المعرى
٢٢٣ ابن خفاجة الاندلسى
٢٢٤ الطغرائى
٢٢٥ البهاء زهير
« الرواية والرواة
٢٢٦ الاصمعى
٢٢٦ العصر الرابع عصر الدولة التركية
« حالة اللغة وآدابها فى ذلك العصر
٢٢٧ النثر لغة التخاطب
« الخطابة
« الكتابة الخطية
« الكتابة الانشائية
٢٢٨ الكتاب فى هذا العصر
« القاضى محيي الدين
٢٢٩ شهاب الدين العمرى
« لسان الدين بن الخطيب
٢٣٠ التدوين والتصنيف
« الادب
٢٣١ بقية العلوم الاسلامية
« كتابة التدوين والتصنيف

صحيفة
٢٣٢ ابن خلكان
٢٣٢ ابن خلدون
٢٣٢ جلال الدين السيوطي
٢٣٣ الشعر والشعراء فى هذا العصر
٢٣٣ البوصيرى
٢٣٤ صفى الدين الحلى
٢٣٥ ابن نباته المصرى
٢٣٥ ابن معتوق الموسوى
٢٣٥ العصر الخامس عصر النهضة الاخير
٢٣٥ محمد على باشا
٢٣٦ انشاؤه المدرس
٢٣٦ مدرسة الطب
٢٣٧ ايقاظ محمد على الشرق
٢٣٧ الخديوى اسماعيل باشا
٢٣٧ مظاهر النهضة الحديثة فى العلوم
٢٣٩ أشهر مشاهير هذه النهضة
٢٤٠ حالة اللغة وآدابها فى هذا العصر
٢٤٠ النثر - المحادثة
٢٤١ الخطابة الكتابة الخطية
٢٤٢ كتابة التدوين
٢٤٣ زعماء النهضة العلمية الحديثة
٢٤٣ رفاعة بك الطهطاوى
٢٤٤ عبد الله فكرى باشا
٢٤٥ على مبارك باشا

صحيفة
٢٤٥ الشيخ محمد عبده
٢٤٦ الشيخ حمزه فتح الله
٢٤٨ المرحومة ملك حفنى ناصف
٢٥١ الشعر وزعماء النهضة الحديثة
٢٥٢ محمود صفوت الساعاتى
٢٥٢ الشيخ على الليثى
٢٥٣ الشيخ شهاب الدين
٢٥٣ حفنى ناصف بك
٢٥٥ مصطفى كامل باشا
٢٥٦ محمد بك فريد
٢٥٧ سعد باشا زغلول
٢٦٠ مصطفى النحاس باشا
٢٦٣ الغازى مصطفى كمال
٢٦٧ محمود البارودى باشا
٢٦٩ أحمد شوقى بك
٢٧٤ محمد حافظ ابراهيم بك
٢٧٦ اسماعيل صبرى باشا
٢٧٨ خليل بك مطران
٢٧٩ أبواب الشعر العربى
٢٧٩ الباب الاول فى المديح
٢٨٩ الباب الثانى فى الفخر والحماسة
٣٠٩ الباب الثالث فى شكوى الزمان
٣٢٦ الباب الرابع في الوصف
٣٢٦ وصف الشعر

صحيفة		
٣٢٦	آراء الحكماء والشعراء فيه	
٣٣٠	شعر فيكتور هوجو	
٣٣٠	وصف طياره لحافظ ابراهيم	
٣٣١	« زلزال صقلية	« «
٣٣١	« سيف للبحتري	
٣٣١	« القلم للمنفلوطي	
٣٣٢	« أبي الهول لشوقي	
٣٤١	وصف النحل ومملكته لشوقي	
٣٤٥	« مقبرة آمون لشوقي	
٣٥١	« مكتوب	
٣٥٢	« الخط والكتابة والبلاغة	
٣٥٣	« الموز الكمثرى التفاح	
٣٥٤	« الخوخ المشمش الرمان	
٣٥٤	« النخيل والبلح	
٣٧٥	« البطيخ	
٣٥٦	« الكرم والعنب	
٣٦٤	« الهلال والثريا والزهرة	
٣٦٧	« السماء والارض والليل	
٣٦٨	« الغيث الربيع	
٣٦٩	« واد جمر يعلوه رماد	
٣٧٠	« بدر وهلال	
«	« روض وربيع	
٣٧١	« الهلال	
٣٧٢	« الصبح والبرق	

صحيفة		
٣٧٣	« وصف الصبح والليل	
«	« الندى على البحر	
٣٧٤	« الجو وادبار الليل	
«	« المطر والصبح والليل	
٣٧٥	« طول الليل والفجر	
«	« وحشة الليل والنجوم	
٣٧٦	« النارنج	
٣٥٧	« الشمس والبدر	
«	« القلم ـ السيف	
«	« الليمون النارنج الفستق	
٣٥٨	« التين اللوز الجزر النبق	
٣٦٢	« قصب السكر	
٣٧٦	« نهر حوله أشجار الجلنار	
٣٧٦	« الرياض والبرق	
٣٧٧	« روضة صنعاء	
٣٧٨	« زهرية ـ الغيث	
٣٧٩	« الثلج ـ مرآة	
٣٨٠	« جواد	
«	« سفرجل ورمان وتفاح	
«	« الشقائق	
٣٨١	« اقتران الزهرة والهلال	
«	« الجليد والثلج	
٣٨٢	« الرمح والسيف	
٣٨٣	« الحرب وأبطالها	

صحيفة
٣٨٤ وصف دار بناها الصاحب بن عباد
٣٨٦ « زوج اثنتين
٣٨٧ « قصر المعتز بالله
« « جواد
٣٨٨ « حديقة
« « الطبيعة
٣٨٩ « النيل لحافظ ابراهيم
« « حال اللغة العربية
٣٩٠ « قطار البخار ـ للرصافى
٣٩١ « سكان جزيرة كريد
٣٩٢ « البسفور
٣٩٣ « المقراض
« « الشمعة
٣٩٤ « قصر وبركة عليها أشجار
٣٩٦ « زلزال صقلية
٤٠٠ « شعب بوان
٤٠١ « طيارة لحافظ ابراهيم
٤٠٤ « قطار السكة الحديد
٤٠٥ « حريق عابدين
٤٠٦ « خزان اسوان
٤٠٦ الباب الخامس فى الاستعطاف
٤١٤ الباب السادس فى التهانى والتهادي
٤٢٣ السابع فى المراثى
٤٤٤ الثامن فى الحكم والنصائح

صحيفة
٤٩٦ الباب التاسع فى العلم
« العاشر فى العقل
« الحادى عشر فى الادب
٥٢٦ « الثانى عشر فى الصبر والتأنى
٥٢٨ « الثالث عشر فى الصدق
٥٢٩ « الرابع عشر في الكذب
٥٢٩ « الخامس عشر فى التواضع
٥٣٠ « السادس عشر فى الكرم
٥٣٠ « السابع عشر فى البخل والبخلاء
٥٣٢ « الثامن عشر فى وصف الدنيا
٥٣٣ « التاسع عشر فى الاسرار
٥٣٤ « الباب العشرون في اللسان
٥٣٥ « الحادى والعشرون فى المعاشرة
٥٣٦ « الثالث والعشرون فى الحقد
٥٣٦ « الثانى العشرون فى القناعة
٥٣٧ « الثالث والعشرون فى الحسد
٥٣٧ « الرابع والعشرون فى الحلم
٥٣٨ « الخامس والعشرون فى الحماقة
٥٣٨ « السادس والعشرون فى الوطن
٥٣٩ « السابع والعشرون فى المال
٥٤٠ « الثامن والعشرون فى السياحة
٥٤٣ « التاسع والعشرون فى الغدر
٥٤٣ « الثلاثون في الختام بالدعاء

في

اديبات وانشاء لغة العرب

(تأليف)

السيد احمد الهاشمي بك

« مدير مدارس فؤاد الاول حالا ـ ومراقب مدارس فكتوريا الانجليزية سابقا »

(الطبعة الخامسة عشرة والإعادة وحقوق الطبع محفوظة لحضرة مؤلفه وولده)

قرظت على طبعه مشيخة الأزهر الشريف

« وقرظه أيضاً كثير من فضلاء وزارة المعارف العمومية »

« مسجل بالمحاكم المختلطة وبرخصة وزارة الداخلية الجليلة »

سنة ١٣٥٦ هـ — سنة ١٩٣٧ م

م — النظام

بسم الله الرحمن الرحيم

أحلى ما سجعت به بلابل الأقلام ، وأغلى ما انتظمت فيه عقود البلاغة والانسجام ، وأشهى ما ينعت به (جواهر الأدب) حمد مولانا الذى شرّف لغة العرب ، وأرسل لنا نبيًّا عربيًّا منزّهًا عن جميع الرّيب ، سيدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله ومن صحب

(أمّا بعدُ) فهذا كتابٌ سمّيته «جواهر الادب، فى أدبيّات لُغة العرب» أودعته ما وقع عليه اختيارى ، لا من نثرى وأشعارى ، فليس لى فى تأليفه من الافتخار ، أكثرُ من الاختيار ، واختيارُ المرء قطعةٌ من عقله ، تدلّ على تخلّقه وفضله ، وفضيلةُ هذا التأليف هى فى جمع ما افترق ، مما تناسبَ واتّسق ، واختيار عيون ، وترتيب فنون ، من أحاديث نبوية ، ومكاتبات أدبيّة ، وحِكَم باهرة وأبيات نادرة ، وأمثال شاردة ، وأخبار واردة ، ووصايا نافعة ، ومواعظ جامعة ، ومناظرات مستظرفة ، ومقامات مستطرفة ، وأوصاف عليّة ، وخُطب اجتماعية ، لينتفعَ به مُقتنيه ، ويستغنى عن غيره الرّاغبُ فيه، إذْ كان أحسنَ من الزهر والرياض ، والحدائق والغياض ، والزبرجد والمرجان ، والدُّر والعقيان والأكاليل والتّيجان ، والنُّزه والبُستان ، إن دُعي أسرع ، وإن تحدَّث أمتع وإن سُئل أجاب ، وإن حكم أصاب ، جليس لصاحبه فى الحضر ، وأنيس له فى السفر نديم ظريف ، وسمير حصيف ، بالغتُ فى تهذيبه ، وبذلت مجهوداً فى حسن ترتيبه وأجزلت التُّحفة ، وانتقيت الطُّرفة ، وبالله نستعين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل

المؤلف

السيد احمد الهاشمي

إليكم معشر الكتاب

أمّا بعد حفظكم الله يأهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفّقكم وأرشدكم فانّ الله عزّ وجلّ جعل الناسَ بعدَ الأنبياء والمُرسلين صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن بعد المُلوك المُكرّمين أصنافاً وإن كانوا فى الحقيقة سواءً وصرّفهم فى صُنوف الصناعات وضُروب المحاولات الى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم. فجعلكم معشرَ الكُتّاب فى أشرف الجهات أهلَ الأدب والمروءة والعلم والرّواية. بكم تنتظم للخلافة محاسنها، وتستقيمُ أمورُها. وبنصائحكم يُصلح الله للخلق سُلطانهم، وتعمرُ بلدانُهم. لا يستغنى الملكُ عنكم. ولا يُوجد كافٍ إلاّ منكم. فموقعكم من الملوك موقعُ أسماعهم التي بها يَسْمَعُون وأبصارهم التّي بها يُبصِرُون، وألسنتهم التّي بها يَنْطِقُون وأيديهم التّي بها يَبْطشون (١) فأمتعكم (٢) الله بما خصّكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه (٣) من النّعمة عليكم. وليس أحدٌ من أهل الصّناعات كُلّها أحوجَ إلى اجتماع خِلال الخير المحمودة وخِصال الفضل المذكورة المعدُودة منكم

أيُّها الكُتّاب إذا كُنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب مِنْ صِفتكم، فإن الكاتبَ يحتاجُ مِن نفسه ويحتاج مِنهُ صاحبهُ الذى يَثِقُ به فى مُهِمّات أموره أن يكون حليماً فى مَوضع الحِلم، فَهِيماً فى موضع الحُكْم، مِقداماً فى مَوْضع

(١) يدافعون (٢) أبقاكم (٣) أفاضه

لاقدام ، محجاماً فى موضع الإحجام (١) مُؤثِراً (٢) للعفاف والعدل والإنصاف كتوماً للاسرار . وفياً عند الشدائد ، عالماً بما يأتى من النوازل ، يضعُ الامور واضعها ، والطوارقَ أماكنها . قد نظر فى كلّ فنّ من فنون العلم فأحكمه إنْ لم يُحكمهُ أخذَ منهُ بمقدار ما يكتفى بهِ . يعرِف بغريزة عقله وحُسن أدبه فضل تجربته ما يَرِدُ عليهِ قبلَ وُرُودهِ ، وعاقبةَ ما يصدُرعنه قبل صُدوره ، فيُعِدُّ لكلّ أمر عُدَّتهُ (٣) وعتاده . (٤) ويُهيّئُ لكلّ وجه هيئته وعادته . تنافسوا يامعشر الكُتاب ، فى صُنُوف الآداب ، وتفقّهوا فى الدّين وابْدءوا بعلم كتاب الله عزّ وجلّ والفرائض ثم العربية فانها ثقاف (٥) ألسنتكم ، ثمّ أجيدُوا الخطّ فانه حلية كُتُبكم وأرْوُوا الأشعارَ واعْرِفوا غريبها ومعانيها وايامَ العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فانّ ذلك مُعين لكم على ما تسمُو اليه هِممكم ولا تضيّعوا النظّر فى الحساب فانه قِوامُ (٦) كُتّاب الخراج ، وارْغبوا بأنفسكم عن المطامع سَنيّها (٧) ودنيّها وسَفساف (٨) الأُمور ومحاقرها فانها مذلّة للرّقاب مفسدةٌ للكُتّاب ، ونزّهوا صناعتكم عن الدّناءة واربأُوا (٩) بأنفسكم عن السّعاية والنّميمة وما فيه أهلُ الجهالات . وإياكم والكِبْرَ والصّلفَ والعَظَمَةَ فانها عَداوة مُجتلَبَةٌ من غير إحنَةٍ (١٠) وتحابُّوا فى الله عزّ وجلّ فى صناعتكم وتواصوْا عليها بالّذى هو أليق بأهل الفضل والعدل والنُّبل (١١) من سَلفكم وإن نَبا (١٢) الزّمان برجل منكم فاعْطفوا عليه وَواسوه حتى يرجع اليه حاله ويَثوب (١٣) اليه أمرهُ . وإن أقعدَ أحداً منكم الكِبَرُ عن مكسَبهِ ولقاءِ إخوانه

---

(١) التأخر (٢) مختاراً له (٣) ما أعددته لحوادث الدهر (٤) العدة (٥) تعديلها (٦) نظام (٧) رفيعها (٨) الرديء من كل شيء (٩) أعرضوا وفروا (١٠) اضمار حقد وسبق عداوة (١١) الذكاء والنجابة (١٢) قصر ونفر (١٣) يرجع

فزُورُوهُ وعظّمُوهُ وشاورُوه واستظهِروا بفضل تجربتهِ وقديم معرفتهِ ، وليكن الرَّجلُ منكم على مَن اصطنعه واستظهرَ بهِ ليوم حاجته اليهِ أحفظَ منهُ على ولده وأخيه ، فان عَرَضتْ فى الشُّغل محْمدةٌ فلا يصرفها إلاَّ إلى صاحبهِ . وإن عَرَضت مذمّةٌ فليحْملها هُو مِنْ دونه وليْحذر السّقطة والزَّلَّة والملَلَ عند تغيّر الحال فان العيبَ اليكم معشرَ الكُتّاب اسرعُ منهُ إلى الفِراء (١) وهو لكم أفسدُ منهُ لها فقد علمتم أنَّ الرَّجلَ منكم إذا صَحبهُ الرجلُ يَبْذُلُ لهُ من نفسهِ ما يجب له عليه من حقّه فواجبٌ عليهِ أن يعتقد لَهُ من وفائه وشُكره ، واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سِرّه وتدبير أمره ما هو جزَاءٌ لحقّه ، ويُصدّقُ ذلك فِعْلهُ له عندَ الحاجة اليه والاضْطرارِ إلى مالديه ، فاستشعرُوا ذلك وفّقكم الله من أنفسكم فى حالة الرَّخاء والشِّدَّة والحِرمان والمُواساة والإحسان والسرَّاء والضرَّاء ، فنعْمت الشّيمة هذه لِمنْ وُسم بها من أهل هذه الصّناعة الشَّريفة . واذا ولَىَ الرَّجل منكم أو صُيّرَ اليه من أمرخلق الله أمرٌ فليُراقب الله عزَّ وجلَّ وليؤثر طاعته وليكُنْ على الضعيف رَفيقاً ، وللمظلوم مُنصفاً فانَّ الخلق عيالُ الله ، وأحبُّهم اليه أرفقُهُمْ بعياله . ثم ليكن بالعَدلِ حاكماً وللأشراف مُكرماً وللفيْءِ (٢) مُوَفراً وللبلادِ عامراً ، وللرعيَّةِ مُتألّفاً ، وعن أذاهم مُتخلّفاً ، وليكن فى مجلسه مُتواضعاً حليماً وفى سجلاّت خراجه واستقضاء حقُوقه دقيقاً ، واذا صَحِب أحدكم رجلاً فليختبر خلائقَهُ ، فاذا عَرَفَ حَسَنَهَا وقبيحَها أعانه على ما يُوافقه من الحَسَن ، واحْتالَ على صرْفه عما يهواه مِن القبيح بألطف حيلة وأجمل وَسيلة . وقد علمتم أنّ سائس البهيمة اذا كان بصيراً بسياستها التَمسَ معرفةَ أخلاقِها ، فان كانت رَمُوحاً لم

(١) الجلد لانه سريع العطب (٢) الغنيمة والخراج

بهجها اذا ركبها وان كانت شموساً اتقاها من بين يديها وان خافَ منها شروداً وقّاها من ناحية رأسها وان كانت حرونا قمع هواها برفقٍ في طريقها (١) فان استمرّت عطفها يسيراً فيُساسُ (٢) له قيادُها . وفى هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجرّبهم وداخلهم .

والكاتب بفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاول من الناس ويناظره ويفهم عنهُ أو يخاف سطوته أولى بالرّفق بصاحبه، ومداراته وتقويم أوَدِه من سائس البهيمة التى لا تفقهُ جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً إلا بقدر ما يُصيّرها اليه صاحبها الرّاكب عليها ، ألا فأمعنوا رحمكم الله فى النظر ، وأعملوا فيه ما أمكنكم من الرّوية والفكر تأمنوا باذن الله ممن صحبتموه النَّبْوة (٣) والاستثقال والجفوة ويصرْ منكم الى المُوافقة وتصيروا منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزنّ الرّجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطْعَمه ومشْربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدْر حقّه ، فانكم مع ما فضّلكم به اللهُ من شرف صنْعتكم خدَمةٌ لا تُحملون فى خدمتكم على التقصير ، وحفظةٌ لا تُحتملُ منكم أفعال التّضييع والتّبذير — واستعينوا على أفعالكم بالقصد فى كلّ ماذكرتهُ لكم وقصصْته عليكم واحذروا متالفَ السّرف وسوءَ عاقبة الترف (٤) فانهما يُعقبان الفقر ويُذلاّن الرّقاب ويفضحان أهلَهما ولا سيّما الكُتّاب وأرباب الآداب ، وللأُمور أشباهُ وبعضها دليلٌ على بعض فاستدلوا على مؤْتنف (٥) أعمالكم بما سبقتْ اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدْبير أوضحها محجّةً وأصدقها حُجّةً وأحمدها عاقبةً واعلموا أنّ للتدبير آفةً مُتلفةً وهو الوصف الشّاغلُ لصاحبهِ عن انفاذ علمه

(١) في مرة من المرات (٢) وفي نسخة يسلس أي ينقاد ويسهل (٣) القبح (٤) التنعم ٥ (مبدأ)

ورُؤيته ، فليقصدْ الرَّجلُ منكم فى مجلسه قصدَ الكافى من منطقه ، وليُوْجز فى ابتدائه وجوابه وليأخذْ بمجامع حُججه فان ذلك مصلحةٌ لفعله ومدْفعةٌ للشّاغل من إكثاره.

وليضرعْ إلى الله فى صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقُوعه في الغلط المُضرّ ببدنه وعقله وأدبه فأنه إنْ ظنّ منكم ظانٌّ أو قال قائلٌ إن الذى برز من جميل صنعته وقوّة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرَّض بظنّه أو مقالته إلى أن يكلَه الله عزّ وجلّ الى نفسه فيصيرُ منها الى غير كاف وذلك على مَن تأمّلهُ غيرُ خافٍ .

ولا يقُلْ أحدٌ منكم إنه أبْصرُ بالأُمور وأحملُ لعبءِ التدْبير من مُرافقه في صناعته ومُصاحبه في خدْمته فانّ أعقل الرجلين عند ذوى الألباب مَنْ رَمى بالعُجب وَرَاءَ ظهره ، ورأى أنْ صاحبَهُ أعقلُ منهُ وأجمل فى طريقته

وعلى كلّ واحد من الفريقين أن يَعرف فضلَ نعم الله عليه جلّ ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا تكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره . وحمدُ الله واجبٌ على الجميع وذلك بالتواضع لعَظَمته والتذلُّل لعزّته والتحدُّث بنعمته

وأنا أقُول في كتابى هذا ما سبق به المثلُ (مَنْ تلزَمُهُ النَّصيحة يلزمُهُ العَمل) وهو (جواهر) هذا الكتاب وغُرَّة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عزّ وجلّ . فلذلك جعلتهُ آخره وتممتهُ به : تولّانا الله وإياكم يامعشَر الكتَبة بما يتولّى به مَن سبق علمه بأسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الحميد الكاتب المتوفي سنة ١٣٢ هـ (١)

(١) هو عبد الحميد بن يحيي العامرى، كاتب دولة مروان بن محمد آخر خلفاء الامويين ـ قتله السفاح سنة ١٣٢ هـ

(تمهيد فى مبادىء علم الادب)

الأدب عبارةٌ عن معرفة ما يُحترز به من جميع أنواع الخطأ وهو قسمان: طبعيٌّ وكسبيٌّ ـ فالطبعيُّ ما فُطرَ عليه الإنسانُ من الأخلاق الحسنة والصفات المحمودة كالكرَم والحلم ـ والكسبيُّ ما اكتسبهُ بالدَّرْس والحفظ والنظر وهُو المقصود لنا فى هذا الكتاب فحينئذٍ يعرّف بأنهُ علمٌ صناعيٌّ تُعرفُ به أساليبُ الكلام البليغ فى كلّ حال من أحواله : وهوَ المدعو (بعلم الأدب)

وموضوعه الكلام المنظوم والمنثُور من حيثُ فصاحته وبلاغته

وغايته الإجادةُ فى فنّي المنظُوم والمنثُور على أساليب العرب ، وتهذيبُ العقل وتذكية الجنان ، وفائدته أنَّهُ يعصم صاحبَهُ من زلةِ الجهل ، وأنهُ يُروّض الأخلاق ويليّن الطبائع ، وأنهُ يُعين على المروءة ، وينهض بالهمم إلى طلب المعالى والامور الشَّريفة

(وأركانه أربعة) الأوّل ـ قُوَى العقل الغريزيَّة وهي خمسةٌ الذكاء[1] والخيال[2] والحافظة[3] والحِسّ[4] والذَّوق[5]

---

(١) الاستعداد التام لادراك العلوم والمعارف بالفكر وفي كتب اللغة الذكاء عبارة عن حدة الفؤاد وسرعة الفطنة (٢) قوة باطنة تحفظ صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة وهو من أكبر أسباب النجاح فى فن الكتابة (٣) قوة من شأنها حفظ ما يدركه العقل من المعانى فتذكره عند الحاجة ولذلك سميت ذاكرة (٤) قوة يتأثر بها الانسان من صور المدركات كاللذة والالم وهو من شروط الكتابة اذ يعين الكاتب بما يحدث فيه من التأثير على رسم صور المحسوسات رسما محكما فيقتدر اذ ذاك على تحريك العواطف واستمالة القلوب ألا ترى أن الكلام العذب اذا حل في القلب أحدث فيه حركة وهزة (٥) قوة غريزية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية وتحصل بالمثابرة على الدرس وبالممارسة لكلام البلغاء وتكراره على السمع والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه وبتنزيه العقل والقلب عما يفسد الاخلاق والاداب

الثانى ـ معرفة الأُصول وهي مجموع قوانين الكتابة وفيها تبيان طُرق حُسن التأليف وضروب الإنشاء وفُنون الخَطابة

وتنقسم هذه الأُصول الى قسمين عامّة وخاصّة (فالعامة) كالتآليف الأَدبية من مَنظوم ومنثور فى أغراض شتى (والخاصة) كالتآليف المُفردة بالرسائل أو بالأَمثال

الثالث ـ مُطالعة تصانيف البُلغاء بالتّأنى والتبصُّر فيها، ليدّخرَ الكاتبُ كلّ لفظٍ مؤنق شريف وكلّ معنى بديع بحيثُ يتصرَّف بهما عند الضرورة

وشروطها ثلاثة (الاول) أن يَستَقلَّ المطالع ببعض علماء اللُّغة وأئمة الأَدب فيقتصر على درسهم حتى ينسجَ على منوالهم (الثانى) أن يُطيل النظر فى هذه المطالعة ويُرَدِّدَ مِرَاراً ما استحسنه من تصانيفهم كي يروّض الذهن فى حَلبة[1] سباقهم فيَقِفَ على غريب أسلوبهم وعجيب تركيبهم (الثالث) أن ينتقيَ منها شيئاً مما استجادَه[2] من الألفاظ الحُرّ والتراكيب الصّحيحة والمعانى البليغة لتكونَ ذُخراً لذاكرته ومِهماز[3] لقريحته

الرابع ـ الارْتياض وهو التّدرُّب بوجوه الإنشاء بأن تتوسّع فى شَرح بعض المعانى فتبينه بأوْجُه شتّي وتُنمقه بأشكال البديع وبأن تجتهد فى وضع بعض مواضيع وجيزة فتَصوغ تارةً وصفَ مدينة أو مدحاً أو تهنئة، وأخرى تَسرُدُ مثلاً أو تسبك رِوَايةً إلى غير ذلك ـ وأن تحذُوَ حذوَ المتقدّمين فى أوضاعهم باستعمال ألفاظهم ومَعانيهم وبانْ تحُلَّ النَّظم فتأتيَ به نثراً أنيقاً[4] وتعقدَ النثر فتصوغه صَوغاً رشيقاً[5]

---

(١) الميدان (٢) وجده جيداً (٣) حديدة تكون فى مؤخر خف الرائض للمهر
(٤) معجباً (٥) حسنا

(مقدمة فى علم الانشاء)

الإنشاء لغةً الشُّروع والإيجادُ والوضع ـ تقول أنشأ الغلامُ يمشى إذا شرَع فى المَشى ـ وأنشأ الله العالَمَ أوْجدهُم وأنشأ فلانٌ الحديثَ وَضَعه واصطلاحاً علم يُعرَف به كيفيةُ استنباط المَعانى وتأليفها مع التعبير عنها بلفظ لائقٍ بالمَقام وهوَ مُستمدّ من جميع العُلوم .وذلكَ لأنَّ الكاتب لا يستثنى صِنفاً من الكتابة فيخوضُ فى كل المباحث ويتعمَّد الإنشاءَ فى كل المعارف البشرية وينحصر المقصود منهُ فى ثلاثة أبواب وخاتمة ومُلحق

(الباب الاول في أصول الانشاء)

وهي أربعةٌ : موادُّهُ وخواصُّه وطبقاتُهُ ومَحاسنُهُ .

أما موادُّه فثلاثٌ: الأولى الألفاظُ الفصيحةُ(١) الصريحةُ(٢) الثانية المعانى(٣)

---

(١) الالفاظ البينة الظاهرة المتبادرة الى الفهم والمأنوسة الاستعمال لمكان حسنها

(٢) الالفاظ التي تدل على نفس المطلوب بحيث تكون كقالب لمعناها ويتوصل الى ذلك بمعرفة المترادفات والصفات والابدال (٣) بحيث يكون المعني واضحاً أى سهل المأخذ خاليا من اللبس والاشكال كقول الاخطل :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الاعمال

وان يكون المعنى سديدا أى أن يكون القول مطابقا للواقع كقول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل

وأن يكون مطابقاً لمقتضى الحال كقول أبى العتاهية :

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط فى زمن البذر

ولهذا قال أبو الفتح البستي :

تكلم وسدد ما استطعت فانما كلامك حي والسكوت جماد

فان لم تجد قولا سديدا تقوله فصمتك عن غير السداد سداد

والمراد بمقتضى الحال الامر الداعي الى التكلم على وجه مخصوص أي مراعاة الاحوال المتكلم

الثالثة إيرادُ المعنى الواحد بطُرُقٍ مختلفةٍ، ومَرجعُها الى الفصاحة وعلمي المعانى والبيان

والمخاطب ومقام الكلام — والمعني اما أن يكون مبتكرا أى مخترعا كقول ابن النبيه :

الناس للموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد

وكقول آخر فى وصف الشتاء

والنار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتياً فليصطل

أو دقيقاً وهو ما لطف مأخذه وبعد مرامه ودل على توقد فهم قائله كقول ابن عنين في فخر الدين الرازى وكانت قد دخلت الى مجلسه حمامة خلفها صقر يريد صيدها فاستجارت بحجرته

جاءت سليمان الزمان حمامة والموت يلمع من جناحي خاطف

من أنبأ الورقاء أن محلكم حرم وأنك ملجأ للخائف

أو فطريا وهو ما أورده الطبع السليم بلا تصنع ولا اعمال روية ودل على بعض السذاجة فى قائله كقول أحدهم وقد سئل هلا تسافر بحرا فأنشد :

لا أركب البحر أخشى على منه المعاطب

طين أنا وهو ماء والطين فى الماء ذائب

وكقول الصياد

سبحان ربى يعطي ذا ويحرم ذا هذا يصيد وهذا يأكل السمكه

أو لينا وهو ما كان لطيف التعبير سلس الالفاظ دالا على أشياء تطرب المسامع وتبهج القلب كقوله

ان السماء اذا لم تبك مقلتها لم تضحك الارض عن شيء من الزهر

أو نافذا وهو ما وصل الى الفهم بسرعة البرق وأخذ لحدته ومضائه بمجامع القلب كقول عنترة

وما دانيت شخص الموت الا كما يدنو الشجاع من الجبان

أو جامعاً وهو ما أفاد باللفظ القليل المعني الكثير كقول أبى تمام في المعتصم

تراه اذا ما جئته متهللا كانك تعطيه الذي أنت سائله

تعود بسط الكف حتي لوانه أراد انقباضا لم تطعه أنامله

وكقول المتنبي: قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها وشرف الناس اذ سواك انسانا

أو متينا وهو ما اتسم بالضبط والحزم وتمكن من ذهن سامعه كقول أبى العتاهية

لدوا للموت وابنوا الخراب فكلكم يصير الى ذهاب

والمعنى الموغل أو الايغال هو ما فتن بسموه القلب وسبى العقل وبلغ الغاية القصوى من البلاغة كما قال قائل علي لسان ربه

سألت عبدى وانت في كنفي وكل ما قلت قد سمعناه

وَأما خواصّه فَهي محاسنُه السبعة وَهي :أوّلاً الوُضوح[١] بأنْ يُختارَ المفرَدات البيّنة. الدّالة على المقصود، وَأن يُعدلَ عن كثرة العوامل[٢] فى الجملة الواحدة، وَأن يتحاشى الإلتباس فى استعمال الضّمائر وَأن تسبك الجملُ سبكاً جلياً بدون تعقيد وَالتباس ، وَأن يُتحاشى كثرَة الجمل الاعتراضية

وَثانياً الصَّراحةُ بأنْ يكونَ الإنشاء سالماً من ضعف التأليف وَغَرابة التّعبير بحيث يكون الكلام حُرًّا مهذَّباً تناسبُ ألفاظُهُ لِلمعانى المقصودة كما قِيلَ

تَزِينُ مَعانيه ألفاظَهُ وَألفاظه زَائناتُ المعانى

وَيكونُ الكلامُ صريحاً بانتقاء الأَلفاظ الفصيحة والمُفرَدات الحُرَّة الكريمة وَكذَا بإصابة المعانى وَتنقيح العبارات مع جودة مقاطع الكلام وحسن صوَغه وتأليفه . وكذَا بمُراعاة الفصل وَالْوَصل وَهوَ العلم بمَواضع العطف وَالاستئناف وَالاهتداءِ إلى كيفية إيقاع حروف العطف فى مواقعها

وَثالثاً الضبطُ وَهوحذف فُضول الكلام واسقاطُ مشتركات الأَلفاظ كقول قيس بن الخطيم المتوفّى سنة ٦١٢ م

أرَى الموْتَ لا يَرعي على ذى قرَابةٍ وَان كانَ فى الدُّنياعزيزاً بمقْعد

لعَمرُك ما الأَيام إلاَّ مُعارَة فما اسطعْتَ من معرُوفها فتزوَّد

سلنى بلا خشية ولا رهب ولا تخف انى أنا الله

واعلم أنه ليس لهذه المعانى مصدر خاص وانما يحصل عليها الاديب من مطالعة كتب البلغاء واعمال الفكرة الطويلة والتبصر في الموضوع الذى يقصد وصفه ليستخرج منه المعانى اللائقة به وانما يلتجيء الاديب الى هذه المعانى عند مسيس الحاجة وذلك يختلف باختلاف أحوال المتكلم ومقام المخاطب ومواقع الكلام (١) كقوله

ليس الجمال بأثواب تزيننا ان الجمال جمال العلم والادب

ليس اليتيم الذى قد مات والده بل اليتيم يتيم العلم والحسب

(٢) كقول بعضهم: أقسم لاأعود أقوم أخطب فيكم

ورابعاً الطبعيةُ بأن يخلو الكلامُ من التكلُّف والتصنُّع كما قال فى رِثاء ابنهِ أبو العتاهية المتوفّي سنة ٢١١ هـ

بكيتُك يا بُنيَّ بدمع عيني فلم يُغْنِ البكاءُ عليك شيّا
وكانت فى حياتك لى عظاتٌ وأنت اليوم أوعظ منك حيّا

وذلك لأنَّ مَن تطبَّع بغير طبعه نزعته العادة حتى تردّه الى طبعه كما أنَّ الماءَ اذا أسخنتهُ وتركتهُ عاد الى طبعه من البرودة . وحينئذٍ الطبع أملك

وخامساً السُّهولة بأن يخلُص الكلام من التعسف فى السبْك وأن يختار مالان منها كما قال فى الأشواق بهاء الدّين زهير المتوفّى سنة ٦٥٦ هـ

شوْقى اليكَ شديدٌ كما علمْتَ وأزيدْ
فكيف تنكِرُ حبًّا بهِ ضميرُك يشهدْ

وأن تُهذَّبَ الجمل وأن يأتلفَ اللفظ مع اللفظ مع مُراعاة النظير كما قال الشاعر فى الوداع

فى كنفِ اللهِ ظاعنٌ ظعنا أودَع قلبى وداعه حزنا
لا أبصرتْ مُقلتى محاسنه إنْ كنتُ أبصرْتُ بعده حسنا

قال بعض البُلَغاء أحذّركم من التقعير والتعمُّق فى القول وعليكم بمحاسن الألفاظ والمعانى المستخفَّة المستملحة فانَّ المعنى المليح اذا كُسِىَ لفظاً حسناً وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً كان فى قلب السّامع أحلى ولصدره أملأ ـ قال البُستي

اذا انقادَ الكلامُ فقُدْهُ عفواً الى ما تشتهيه من المعانى
ولا تُكرِهْ بيانَكَ انْ تأبّى فلا اكراهَ فى دين البيان

وسادساً الاتساق بأنْ تتناسب المعانى كقول المُتنبى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ :

وَما زلتُ حتى قادنى الشوقُ نحوَه يُسايرنى فى كلِّ ركب له ذِكرُ (١)
وأستكبرُ الأخبارَ قبلَ لِقائه فلمَّا التقينا صغرَ الخَبَرَ الخُبرُ

وسابعاً الجزالةُ وهي إبرازُ المعانى الشريفة فى معارضَ من الألفاظ الأنيقة (٢) اللطيفة كقول الصابىء المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

لك فى المحافل منطقٌ يشفي الجوَى (٣) ويسوغُ فى أُذُن الأديب سُلافُه (٤)
فكأنَّ لفظكَ لُؤلؤٌ مُتنخّلٌ وكأنَّما آذاننا أصدافه

وأما عُيوبه فسبعة: الهُجنةُ بأنْ يكون اللفظُ سخيفاً والمعنى مُستقبحاً كقوله

وَإذا أدنيتَ منهُ بَصلاً غَلبَ المسكُ على ريح البَصل

والوحشية كون الكلام غليظاً تمجُّه الأسماعُ وتنفرُ منه الطِّباع كقوله

وَما أرضى لمُقلته بحُلم إذا انتَبَهت توهَّمهُ ابتشاكا (٦)

والرَّكاكة ضعف التأليف وسخافة العبارة كقول المتنبى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ

إنْ كان مِثلك كانَ أوْ هو كائنٌ فبرئتُ حينئذ من الإسلام

والسَّهوُ عبارة عن ضعف البصر بمواقع الكلام كقول المتنبى يُشبِّه ممدوحه بالله تعالى (وهو كفرٌ)

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مِثلَ الذى الأفلاكُ منهُ والدُّنى (٧)

والاسهاب الإطالة الزَّائدة المُملَّة فى شرح المادَّة والعُدول الى الحشو كقوله

أعنى فتى لم تدرِ الشمس طالعةً يوْماً من الدَّهر الاَّ ضر أوْ نفعا

---

(١) خبر زلت يسايرنى والركب جماعة الراكبين أى مازلت اسمع ذكره في كل ركب صحبته حتى قادنى الشوق الى زيارته والمتنبي يمدح عليا الانطاكي ومعنى البيت الثانى انى ما زلت استعظم ما يذكر لى من أخباره حتى لقيته فصغرت عندي تلك الاخبار بالنسبة اليه لانى وجدته اعظم مما وصفوا (٢) المعجبة (٣) الحرقة (٤) الخمرة (٥) مصطفى ومختار (٦) يقول — وان حدثه حلم فى نومه عن شكرى له فلا أرضى به لعله يتوهمه كذبا . (٧) الدنيا

والجفاف الايجاز وَالاختصار المخلّ كقول الحارث بن حِلِّزَة المتوفّي سنة ٢٣٢ هـ

وَالعيش خيرٌ فى ظلال النوكِ (١) ممَّن عاش كدّا (٢)

وَوَحدَةُ السّياق التزام أسلوب واحد من التّعبير وَطريقه واحِدة من التركيب بحيث تكون للأذهان كلالا (٣) وللقلوب ملالاً (٤)

وَللكلام عيوبٌ كثيرَة منها اللّحنُ وَمخالفة القياس الصَّرْفى وَضعف التّأليف والتعقيدُ اللفظي وَالمَعنوى وَالتّكرار وَتتابُع الإضافات إلى غير ذلك من الاشياء التى تكون ثقيلةً على اللّسان مخالفةً للذوق وَالعُرْف غريبة على السَّمع (٥)

وَأمّا طبقاته فثلاثٌ (الأُولى الطبقة السُّفْلى) وَمرجعُها إلى الإنشاء السّاذج وَهُوَ ماعَرَى عَن رقّة المعانى وجزَالة الألفاظ والتأنُّق فى التّعبير فهو بالكلام العادىّ أشْبهُ لسُهُولة مأخذِه وقُرْب موردِه، ويُستعْمل فى المحافل العمومية ليَقْربَ مَنالُ المعانى على جُمهور السامعين وَفى المقالات وَالتآليف العلمية لينصرِفَ الذّهن إلى أخذ المعنى وليس دونهُ حائلٌ من جهة العبارة وَفى المكاتبات الأهليَّة وَالرّحلات وَالأسفار وَالأخبار وَما شابه ذلك (الثانية الطبقةُ العليا) وَمرجعها الى الانشاء العالى وهو ما شُحن بغرُر الألفاظ وَتعلَّق بأهداب المجاز وَلطائف التّخيلات وَبدائعِ التّشابيه فيفتِنُ ببراعَته العُقولَ وَيسْحرُ الألبابَ وَيَصْلحُ في

(١) بفتح النون وضمها الحمق (٢) تعبا (٣) سيئة (٤) سآمة (٥) حكي عن الصفي الحلى ان بعض الفضلاء بلغه أنه اطلع على ديوانه وقال لاعيب فيه سوى انه خال من الالفاظ العربية فأجابه الصفي

انما الحيزبون والدرديس والطخا والنقاخ والعلطبيس
لغة تنفر المسامع منها حين تروى وتشمئز النفوس
وقبيح أن يسلك النافر الوحشي منها ويترك المأنوس
ان خير الالفاظ ما طرب السامع منه وطاب فيه الجليس

ولذيذ الالفاظ مغناطيس :

تترسّل بين بُلغاء الكتّاب وفى المجالس الأدبيّة وديباجة بعض التّصانيف الى غير ذلك من المواضع التى من شأنها الزّجر وتحريك العواطف والحماسة

(الثالثة الطبقة الوسطي) ومَرْجعها إلى الإنشاء الأنيق (١) وهو ما توسّط بين الإنشاء العالى والسّاذج فيأخذ من الاوّل رَوْنقه ورَشاقته ومن الثانى جلاءه وسلامته - ويُصلحُ فى مُراسلات ذوى المراتب وفى الرّوايات المُنمقه والأوصاف المُسْهبة، وفى خُطب المحافل وما أشبه ذلك (٢)

وأما محاسنُه فهي أساليب وطرائق معلومة وُضِعت لتزْيين الكلام وتَنْميقه الغرَض أن يتمكّن البليغُ من ذِهن السّامع بما يورده من أساليب الكلام المُستحسنة يحرّك أهواء النفس ويُثير كامنَ حركاتها، ولغرض أن يكونَ قوله أشدّ اتصالا بالعقل وأقربَ للإدْراك بتصرّفه فى فنون البلاغة

(كيفيّة الشُّروع فى عَمل مَواضيع الانشاء)

إذا عَنّ (٣) لك أو اقترحَ عليك إنشاء موضوع فأنت منُوط (٤) إذاً بأمرين: التّفكر أولاً - والكتابة ثانياً. فإذا أنْعمْتَ الفكْرَ مليًّا (٥) فى أجزاء الموضوع بعد استيلاءِ الاحساس بها على قلبك وقلّبتَها على جميع الأوجُه المُمكنة فيها تولد فى

(١) المعجب (٢) الذى اشتهر بالانشاء الساذج السيوطي والماوردي والغزالى وأبوالفرج الاصبهانى وابن الاثير وابو الفداء . والذى اشتهر بالانشاء الانيق الثعالبي وابن خلكان وابن خلدون والطبرى والفخرى وابن المعتز والبهاء زهير وابن المقفع والمسعودى . والذى اشتهر بالانشاء العالي الحريرى والهمذانى والمعري والاخطل وجرير وابو تمام والبحترى والمتنبي وابن خاقان والعتبي والفارضي . واعلم ان طبقات الانشاء كثيرا ما تختلط ببعضها فيصعب تعيين طبقتها فربما جاء في القطعة الواحدة أشياء من الطبقات الثلاث لايميزها الا المنتقد البصير
(٣) عرض (٤) ملزم (٥) ساعة طويلة

خيالك لكلّ جزءٍ عدّةُ صُوَرٍ (١) تتفاوتُ فى تأديته كتفاوتِ صُوَرِ المَنظُوم فى الحُسن والقبح، فبعضها يستميلُ النّفوسَ بتأثيره فى الحواسّ، وَبعضُها يُوجب نُفورَها، وَبعضها بيْنَ بين، وَاذَا تشخّصت الصُّوَرُ فِى الخيال يتخيّر العقل منها ما له المكانةُ الرفيعةُ فى حُسن تأدية الغَرض المُناسب للمقام، فان كان المقامُ للتّحريض على القتال مثلاً انتخبْ الصُّورة المُهيّجةَ للإحساس، المُشجّعَةَ للنفس على اقتحام الأخطار وَإن كان المقامُ مقامَ فرح وسُرُور انتخب مايشرحُ الصُّدُورَ، وَتقرُّ به العُيونُ، وتروقُ به الأرْوَاحُ، وَيُذهبُ عنها الحزنَ والأتراحَ (٢).

وبعد تشخُّص الصُّور وتخيُّر المُناسب منها تعتنِ - أيُّها المُنشئ - بحُسن تأليف وَترتيب ماتخيرّته: بأن تجمع الصُّور المُناسبةَ التى يرتبطُ بعضُها ببعض بدون تكلُّف، بحيث يكونُ المجموع منسجماً يمضِى وَحدهُ مع النّفس دُون علاج وتعبٍ فى فَهم الغرَض منهُ، وحينئذ يُمكنك إظهارُ هذه الصورة المعقُولة فى صُورة محسوسةٍ بواسطةِ القلم.

---

(١) اما اذا تساوت فى حسن تأدية الغرض اخذ احداها فقط ولا يحسن جمعها (٢) الاحزان « تنبيه » يراعي حال المخاطب ومنزلته فان ما يحسن عند الذكي لا يحسن عند الغبي، وما يناسب ذا الجد لا يناسب الهزلى، وما يصلح للرئيس لا يصلح للمرءوس، فخاطب كلا على قدر أبهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته ونباهته فزن اللفظة قبل ان تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت، وعاير الكلمة بمعيارها اذا سنحت، فكلما احلو لي الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه كان أسهل ولو جاء في الاسماع واشتد اتصالا بالقلوب وخف على الافواه، ولا سيما اذا كان المعنى البديع مترجماً بلفظ مؤنق شريف ومعايراً بكلام عذب بدون تكليف ولا تعقيد، فالمعنى الخفي أشبه بالروح الخفي واللفظ الظاهر أشبه بالجثمان الظاهر، والا تضاءل المعني الحسن تحت اللفظ القبيح كتضاؤل الحسناء فى الاطمار الرثة

(أركان الكتابة)

إعلم أنَّ للكتابةِ أركاناً لا بُدَّ من إيداعِها فى كلِّ كتابٍ بلاغيٍّ ذى شأنٍ ، أولها أنْ يكون مَطلعُ الكتابِ عليه جِدَّةٌ(١) وَرشاقةٌ فإنَّ الكاتب مَن أجاد المطلعَ والمقطع . أو يكون مبنيًّا على مقصد الكتاب . الثانى أن يكون خروجُ الكاتبِ من معنًى الى معنًى برابطة لتكونَ رِقابُ المعانى آخذةً بعضها ببعضٍ ولا تكون مُقتضبةً . الثالث أن تكون ألفاظُ الكتابِ غيرَ مُخلولقة بكثرةِ الاستعمال. وَلا اريدُ بذلك أن تكونَ ألفاظاً غريبةً فإنَّ ذلك عيبٌ فاحشٌ بل أُريد أن تكونَ الألفاظُ المُستعملةُ مسبوكةً سَبكاً غريباً يَظُنُّ السامعُ أنها غيرُ ما فى أيدى الناس وهي مما فى أيدى الناس . وهناك مُعتركُ الفصاحةِ التى تظهرُ فيه الخواطرُ براعتَها وَالأقلامُ شجاعتَها . وَهذا الموْضعُ بعيدُ المَنال كثيرُ الإشكالِ يحتاج إلى لطف ذَوْقٍ وَشهامةِ خاطرٍ وليْس كلُّ خاطرٍ براقٍ إلى هذه الدَّرجةِ (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) وَمع هذا فلا تظنَّ - أيُّها الناظرُ فى كتابى - أنى أردتُ بهذا القوْل إهمالَ جانبِ المعانى بحيثُ يُؤتى باللفْظِ الموصوف بصفات الحُسنِ وَالملاحة ، وَلا يكونُ تحتهُ من المعنى ما يماثِله ويُساويه ، فانهُ إذا كان كذلك كان كصورةٍ حسنةٍ بديعةٍ فى حسنها إلا أنَّ صاحبَها بليدٌ أبْلَهُ . وَالمرادُ أن تكونَ هذه الألفاظُ المشار اليها جسْما لمعنى شريفٍ . على أنَّ تحصيلَ المعانى الشريفة على الوَجهِ الذى أشرتُ اليه أيسرُ من تحصيلِ الألفاظِ المُشارِ اليها . وَلقد رأيتُ كثيراً من

(١) صار جديداً مبتكرا وهو نقيض الخلق الذائب

الجهّال الذين هم من السوقة أرباب الحرف والصنائع، وما منهم إلاّ من يقع
المعنى الشريف ويظهر من خاطره المعنى الدقيق، ولكنّه لا يحسن أن يزوّ
بين لفظتين. فالعبارة عن المعانى هي التى بها تخلب العقول. وعلى هذا فالناس
كلّهم مشتركون فى استخراج المعانى، فانه لا يمنع الجاهل الذى لا يعرف ش
من العلوم أن يكون ذكيّا بالفطرة.

واستخراج المعانى انما هو بالذكاء لا بتعلّم العلم.

فإذا استكملت معرفة هذه الأركان وأتيت بها فى كلّ كتاب بلاغى
ذى شأن فقد استحققت حينئذ فضيلة التقدّم، ووجب لك أن تسمّ
نفسك كاتباً.

(عن «المثل السائر» باختصار)

(كيفية نظم الكلام)

إذا أردت أن تصنع كلاماً فأخطر معانيه ببالك. وتنقّ له كرائم اللفظ
واجعلها على ذكر منك ليقرب عليك تناولها ولا يتعبك تطلّبها. واعمل
ما دمت فى شباب نشاطك، فإذا غشيك الفتور وتخوّنك الملال فأمسك: فان
الكثير مع الملال قليل. والنفيس مع الضجر خسيس. والخواطر كالينابيع
يسقي منها شيء بعد شيء، فتجد حاجتك من الرّىّ، وتنال أربك من المنفعة.
فاذا أكثرت عليها نضب ماؤها، وقلّ عنك عناؤها. واعلم أنّ ذلك أجدى
عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكدّ والمطالبة والمجاهدة والتكلّف
والمعاودة. وإيّاك والتوعّر، فإن التوعّر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذى

تهلك معانيك ويشين ألفاظك.

ومن أراد معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً، فان من حق المعنى الشريف اللفظ الشريف.

فاذا لم تجد اللفظة واقعة موقعها صائرة إلى مستقرها حالة فى مركزها متصلة بشكلها، بل وجدتها قلقة فى موضعها نافرة عن مكانها فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول فى غير أوطانها، فإنك إن لم تتعاط قريض الشعر المنظوم لم تتكلف اختيار الكلام المنثور، لم يعبك بذلك أحد.

وان تكلفته ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا محكماً لشأنك بصيراً، عابك من كان أقل عيباً منه، وزرى[1] عليك من هو دونك.

فإن لم تسمح لك الطبيعة بنظم الكلام فى أول وهلة، وتعصى عليك بعد إطالة الفكرة، فلا تعجل، ودعه سحابة يومك ولا تضجر، وامهله سواد ليلتك وعاوده عند نشاطك، فانك لا تعدم الإجابة والمؤاتاة. فان تمنع عليك بعد ذلك - مع ترويح الخاطر وطول الامهال - فتحول من هذه الصناعة الى أشهى الصناعات اليك وأخفها عليك: فانك لم تشتهها الا وبينكما نسب.

والشيء لا يحن الا الى ما شاكله.

وينبغي أن تعرف أقدار المعانى، فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين وبين أقدار الحالات، فتجعل لكل طبقة كلاماً، ولكل حال مقاماً، حتى تقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات.

(من «كتاب الصناعتين» باختصار)

(١) زري - عاب

(الطريقُ الى تعلُّم الكتابة)

إنّ الطريق الى تعلُّمِ الكتابةِ على ثلاث شعَبٍ :

الأُولى: أنْ يتصفّح الكاتبُ كتابةَ المتقدّمين ، ويطّلعَ على أوْضاعهم فى استعمالِ الألفاظ والمعانى ، ثمَّ يحذو حذْوهم : وهذه أدنى الطبقاتِ عندى .

والثانيةُ : أنْ يمزجَ كتابة المتقدمين بما يستجيدهُ لنفسه منْ زيادة حسنة إمَّا فى تحسينِ ألفاظ ، أو فى تحسين معانٍ : وهذهِ هيَ الطبقة الوُسطى ، وهي أعلى من التى قبلها .

والثالثة : أنْ لا يتصفّحَ كتابةَ المتقدمينَ ولا يطّلعَ على شىءٍ منها ، بل يصرف همَّهُ الى حفظ القرآنِ الكريمِ وعِدَّةٍ من دواوينِ فحُولِ الشعراءِ ممَّنْ غلب على شعرِهِ الإجادة فى المعانى والألفاظِ . ثم يأخذ فى الاقتباس فيقومُ ويقعُ ويخطئُ ويصيبُ ويضلُّ ويهتدى حتى يستقيمَ على طريقة يفتتحُها لنفسهِ . وأخْلِقْ بتلك الطريقِ أنْ تكونَ مبتدَعةً غريبة لاشركَة لأحدٍ من المتقدّمين فيها . وهذه الطريقُ هي طريقُ الاجتهادِ وصاحبُها يُعدُّ إماماً فى فنِّ الكتابةِ ، الاّ أنها مُستوْعِرَةٌ جدًّا ، ولا يستطيعُها إلاّ مَنْ رزَقَهُ اللهُ لسانًا هجاماً وخاطراً رقَّاماً . ولا أُريدُ بهذه الطَّريقِ أنْ يكونَ الكاتبُ مُرتبطاً فى كتابته بما يستخرجه من القرآنِ الكريمِ والشِّعر ، بحيثُ إنّهُ لا ينشىءُ كتاباً إلاّ منْ ذلك ، بلْ أُريدُ أنهُ إذا حفظَ القرآنَ وأكثرَ من حفظِ الأشعارِ ثمَّ نقّبَ عنْ ذلك تنقيبَ مُطّلع على معانيهِ مفتّشٍ عنْ دفائنهِ وقلّبهُ ظهراً لبطنٍ عرفَ حينئذٍ منْ أين تؤْكل الكتفُ فيما ينشئهُ منْ ذاتِ نفسه ، واستعانَ بالمحفوظِ على الغريزة الطَّبيعية .

(عن «المثل السائر» باختصار)

(كيفيّة تهذيب الكلام وأوقات تأليفه)

تهذيبُ الكلامِ: عبارةٌ عنْ ترداد النظرِ فيهِ بعد عملهِ ـ نظماً كانَ أوْ نثراً ـ لتغيير ما يجبُ تغييرهُ، وحذفِ ما ينبغي حذفهُ، واصلاحِ ما يتعينُ اصلاحهُ، وتحريرِ ما يدقُّ منْ معانيه، واطراحِ ما يتجافى عنْ مضاجع الرِّقَّةِ من غليظ ألفاظه، وتشْرِق شُموسُ التّهذيبِ فى سماءِ بلاغته، وترشُف الأسماعُ على الطرب رَقيق سلافته. فإنِ الكلام إذا كانَ مَوْصُوفاً بالمهذَّبِ، منعوتاً بالمنقَّح، علتْ رُتبتهُ وان كانتْ معانيهِ غير مبتكرةٍ. وكلُّ كلامٍ قيل فيه: لو كان موْضع هذه الكلمة غيرُها، ولوْ تقدَّمَ هذا المتأخّرُ وتأخَّرَ هذا المتقدّمُ، أولو تُمِّمَ هذا النقص بكذا، أولو تكمّل هذا الوصفُ بكذا، أولو حُذِفتْ هذه اللَّفظة، أولو اتّضح هذا المقْصدُ وسهُل هذا المطلبُ لكانَ الكلامُ أحسن والمعنى أبين ـ كان ذلك الكلامُ غير منتظمٍ فى نوعِ التهذيبِ.

وكان زُهيْر بن أبى سلمي معروفاً بالتّنقيح والتهْذيبِ، ولهُ قصائدُ تعرفُ بالحوْليّاتِ ـ قيل: إنه كان ينظِمُ القصيدة فى أرْبعةِ أشهرٍ، ويُهذّبها ويُنقّحُها فى أربعة اشهرٍ، ويعرضها على عُلماءِ قبيلته أربعة أشهُرٍ. ولهذا كان الإمامُ عُمرُ بن الخطاب ـ مع جلالته فى العلمِ، وتقدمهِ فى النقد ـ يقدّمُهُ على سائرِ الفُحُولِ من طبقته.

وما أحسن ما أشار أبو تمام إلى التهذيبِ بقوْلهِ

خذْها ابنةَ الفكْرِ المُهذَّبِ فى الدَّجي ... والليْلُ أسْودُ رقْعةِ الجلباب

فإنهُ خصَّ تهذيب الفكرِ بالدُّجي لكونِ اللَّيْلِ تهدأُ فيه الأصواتُ وتسكنُ الحركاتُ، فيكونُ الفكْرُ فيهِ مجتمعاً ومِرآةُ التهذيبِ فيهِ صقيلةً لخلوِّ الخاطرِ وصفاء القريحةِ لا سيما وسط الليْل

قالَ أبو عُبادَةَ البُحتُريُّ : كنتُ فى حداثتي أروى الشِّعرَ، وَكُنت أرجع فيهِ إلى طبعٍ سَليمٍ، وَلم أَكُنْ وَقفت لهُ على تسهيلِ مأخذٍ ووُجُوهِ اقتضابٍ حتى قصدتُ أبا تمّامٍ وَانقطعتُ اليهِ وَاتّكلتُ فى تعريفهِ عليهِ . فكان أوّلَ ما قالَ لى: يا أبا عُبادَةَ: تخيَّرِ الأَوْقاتَ وَأنتَ قليلُ الهمُومِ، صفرٌ منَ الغمُومِ، واعلمْ أن العادةَ فى الأَوْقاتِ اذا قصدَ الانسانُ تأليفَ شىءٍ أو حفظَه أن يختارَ وَقتَ السحرِ ـ وَذلكَ أنَّ النفسَ تكونُ قدْ أخَذَت حظَّها منَ الرَّاحةِ وقسطَها منَ النّومِ وَخفَّ عليها ثِقَلُ الغذاءِ . واحذَرِ المجهولَ منَ المعانى، وَإيّاكَ أن تشينَ شعرَكَ بالأَلفاظِ الوحشيّةِ، وناسبْ بينَ الأَلفاظِ وَالمعانى فى تأليفِ الكلامِ، وَكنْ كأنَّكَ خيّاطٌ تُقدِّرُ الثّيابَ على مقاديرِ الأَجسامِ . واذا عارَضَكَ الضَّجرُ فأرِحْ نفسَكَ ولا تعملْ إلاَّ وأنتَ فارغُ القلبِ، ولا تَنظِمْ إلاَّ بشهوةٍ فإنَّ الشهوةَ نعمَ المعينُ على حُسنِ النّظمِ . وجُملةُ الحالِ: أن تعتبرَ شعرَكَ بما سلفَ من أشعارِ الماضينَ ـ فما استحسَنَ العلماءُ فاقصدهُ، وما استقبحُوهُ فاجتنبهُ .

(عن «خزانة الادب ـ وزهر الآداب» باختصار)

(محاسن الانشاء ومعايبه)

إنَّ للنثرِ محاسنَ ومعايبَ، يجبُ على المنشىء أنْ يفرقَ بينهما، مُحترزاً من استعمالِ الأَلفاظِ الغريبةِ وما يخلُّ بفَهْمِ المرادِ ويوجبُ صعوبتهُ ـ ولا بدَّ من أنْ يجعلَ الأَلفاظَ تابعةً للمعانى دونَ العكسِ . لانّ المعانى اذا تركبتْ على سَجيّتها طلبتْ لأَنفسها ألفاظاً تليقُ بها فيحسنُ اللفظُ والمعنى جميعاً . وأما جعلُ الأَلفاظِ متكلّفةً والمعانى تابعةً لها: فهو شأن من لهم شغفٌ بإيراد شىءٍ منَ المحسّنات اللفظية

يصرفون العنايةَ اليها، ويَجعلون الكلامَ كأنهُ غير مسوقٍ لافادة المعني، فلا يُبالون بخفاءِ الدلالات وركاكة المعني .

ومن أعظم ما يليق بمن يتعاطي الانشاء أن يكتب ما يُراد لا ما يُريد، كما قيل في الصَّاحب والصّابيء : ان الصّابيءَ يكتب ما يراد، والصاحبَ يكتبُ ما يريدُ .

(عن « آداب المنشيء » ببعض تصرف)

(فصاحة الالفاظ ومطابقتها للمعانى)

فصاحةُ الألفاظ تكون بثلاثة أوجه :

الأوَّل: مجانبةُ الغريب الوحشيِّ حتى لا يمجّه سمعٌ، ولا ينفر منهُ طبعٌ .

والثانى: تنكبُ اللفظ المبتذل، والعدول عن الكلام المسترذل حتي لا يستسقطهُ خاصيٌّ، ولا ينبو عنهُ فهمُ عاميٍّ، كما قال الجاحظ فى كتاب البيان: أمّا أنا فلم أرَ يوماً أمثلَ طريقةً فى البلاغةِ من الكتّاب: وذلك أنهم قد التمسُوا من الالفاظِ ما لم يكنْ متوعّراً وحشيًّا، ولا ساقطاً عاميًّا .

والثالثُ: أنْ يكونَ بينَ الألفاظِ ومعانيها مُناسبةٌ ومُطابقةٌ .

أمّا المطابقةُ: فهي أن تكونَ الألفاظُ كالقوالبِ لمعانيها فلا تزيدُ عليها ولا تنقصُ عنها .

وأمّا المُناسبةُ: فهي أنْ يكونَ المعنى يليقُ ببعض الألفاظ - إمّا لعُرفٍ مستعملٍ، أو لاتّفاقٍ مُستحسنٍ - حتى إذا ذكرْتَ تلك المعانى بغير تلك الألفاظِ كانتْ نافرةً عنها، وإن كانتْ أفصحَ وأوضحَ لاعتيادِ ما سواها .

(عن « أدب الدين والدنيا » باختصار)

(حقيقة الفصاحة)

إعلم أنّ هذا موضوع متعذّرٌ على الوالج ، ومسلكٌ متوعّرٌ على النّاهج . ولم تزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القولَ فيه والبحثَ عنه : ولم أجدْ من ذلك ما يعوّل عليه إلاّ القليلَ . وغايةُ ما يقالُ فى هذا الباب : إنّ الفصاحةَ هي الظهورُ والبيانُ فى أصل الوضع اللغوىّ ـ يقالُ : أفصح الصبحُ إذا ظهرَ . ثم أنهم يقفون عند ذلك ولا يكشفون عن السّرّ فيه . وبهذا القولْ لا تتبيّنُ حقيقةُ الفصاحة ، لأنهُ يُعترضُ عليه بوُجوهٍ من الإعتراضات .

أحدها : اذا لم يكُن اللفظُ ظاهراً بيّناً لم يكن فصيحاً ثم إذا ظهرَ وتبيّن صارَ فصيحاً .

الوجهُ الثانى : أنهُ اذا كانَ اللّفظُ الفصيحُ هو الظاهر البيّن فقد صار ذلك بالنّسب والإضافات إلى الأشخاص . فانّ اللفظَ قد يكونُ ظاهراً لزيدٍ ولا يكونُ ظاهراً لعمرٍو . فهوَ إذاً فصيحٌ عند هذا ـ وغيرُ فصيحٍ عند ذاك . وليس كذلك ، بل الفصيحُ هوَ فصيحٌ عند الجميع لا خلاف فيه بحالٍ من الأحوال ، لانه اذا تحقّقَ حدُّ الفصاحة وعُرف ما هي ، لم يبقَ فى اللفظ الذى يختصُّ به خلافٌ .

الوجهُ الثالثُ : أنه إذا جيءَ بلفظٍ قبيح ينبو عنه السّمعُ وهو مع ذلك ظاهرٌ بيّنٌ ينبغي أن يكونَ فصيحاً . وليس كذلكَ لأنّ الفصاحةَ وصف حُسنٍ للّفظ لا وصفُ قبح .

ولما وقفتُ على أقوال النّاس فى هذا الباب ملكتني الحَيرَة فيها ، ولم يثبُتْ عندى منها ما أُعوّلُ عليه . ولكثرة مُلابستي هذا الفنَّ ومُعاركتي اياّهُ ، انكشفَ لىَ السّرُّ فيه ـ وسأُوضّحهُ فى كتابى هذا وأُحقّقُ القولَ فيه فأقولُ :

إنَّ الكلامَ الفصيحَ هو الظاهرُ البيّن . وأعني بالظاهر البيّن : أنْ تكونَ ألفاظهُ مفهومةً لا يُحتاجُ في فهمها الى استخراجٍ من كتاب لُغةٍ .

وانما كانتْ بهذه الصفةِ لأنها تكونُ مألوفةَ الاستعمالِ بينَ أربابِ النظم والنثر دائرةً في كلامهمْ . وانما كانتْ مألوفةَ الاستعمالِ دائرةً في الكلامِ دُونَ غيرها من الألفاظِ لمكانِ حُسنها . وذلك أنَّ أربابَ النظمِ والنثر غربلوا اللُّغةَ باعتبارِ ألفاظها، وسبروا وقسّموا فاختاروا الحسنَ من الألفاظِ حتّى استعملوهُ وعلموا القبيحَ منها فلم يستعملوهُ ، فحسنُ الاستعمال سببُ استعمالِها دُونَ غيرها ،واستعمالُها دُونَ غيرها ـ سببُ ظهُورها وبيانها . فالفصيحُ إذاً من الألفاظ هو الحسنُ .

فإنْ قيلَ : من أيِّ وجه علم أربابُ النظم والنثرِ الحسنَ من الألفاظِ حتى استعملوهُ ، وعلموا القبيحَ منها حتى نفوهُ ، ولم يستعملوهُ ؟ قلتُ في الجوابِ : إنَّ هذا من الأُمور المحسُوسة التي شاهدُها من نفسها . لأنَّ الألفاظَ داخلةٌ في حيِّزِ الأصوات . فالذي يستلذُّهُ السمعُ منها ويميلُ اليه هو الحسَنُ . والذي يكرَهُهُ وينفرُ عنهُ هُو القبيحُ . ألا ترى أنَّ السمعَ يستلذُّ صوتَ البُلبلِ من الطيرِ وصوتَ الشحُورِ ويميلُ اليهما ويكرَهُ صوتَ الغرابِ وينفُر عنهُ . وكذلك يكرَهُ نهيقَ الحمارِ ، ولا يجدُ ذلك في صهيلِ الفرَس . والألفاظُ جاريةٌ هذا المجري ،فإنهُ لا خلاف في أنَّ لفظةَ المُزْنة والدّيمة حسنةٌ يستلذُّها السمع، وأنَّ لفظةَ البُعاق قبيحةٌ يكرَهُها السمعُ . وهذهِ اللفظاتُ الثلاثُ من صفةِ المطر، وهي تدُلُّ على معنى واحد . ومع هذا فانكَ ترى لفظَي المزْنةِ والدّيمة

وما جرَى مجْراهُما مألوفي الاستعمال ـ وترى لفظَ البعاقِ وما جرَى مجرَاه متروكًا لا يُستعملُ، وإن استُعمل فانما يَستعمله جاهلٌ بحقيقة الفصاحة، أو من ذوْقُه غيرُ ذوْقٍ سليمٍ.

ولاجرَم أنه ذمَّ وقُدح فيه ولمْ يلتفَت اليه وان كان عربيًّا محضًا من الجاهلية الأقدمين . فانَّ حقيقة الشيء اذا عُلمَتْ وجب الوقوفُ عندها ولم يُعرّجُ على ما خرَج عنها

(عن «ابن الاثير» باختصار)

(الانسجامُ)

الانسجامُ لغةً: جرَيانُ الماءِ ، وعند أهل البلاغة: هو أن يأتى الناظمُ أو الناثر بكلامٍ خالٍ من التّعقيد اللفظي والتّعقيد المعنوى بسيطًا مفهومًا دَقيقَ الألفاظِ جليلَ المعني، لا تكلُّفَ فيه ولا تعسّف، يتحدَّرُ كتحدّرِ الماءِ المُنسجمِ، فيكادُ لسهولة تركيبه، وعذوبةِ ألفاظه، أن يسيل رِقَّةً .

ولا يكونُ ذلك الاّ فى منْ هو مطبوعٌ على سلامةِ الذوْق، وتوقدِ الفكرةِ وبراعةِ الانشاءِ وحسْن الأساليبِ .

وإنَّ فحول هذا الميدانِ ما أثقلوا كاهلَ سُهولتهِ بنوْعٍ من أنواعِ البديعِ، اللّهمَّ الاّ أن يأتيَ عفواً من غير قصد .

وعلى هذا أجمعَ علماءُ البديعِ فى حدّ هذا النّوع، فانهم قرَّرُوا أن يكون بعيداً من التصنع، خالياً من الأنواعِ البديعيَّة إلا أن يأتىَ فى ضِمْنِ السُّهولة منْ غير قصدٍ، فانْ كانَ الانسجامُ فى النثر تكون أغلبُ فقراته موزونةً منْ غير قصدٍ، وإن كانَ فى النّظْمِ فتكادُ الأبياتُ أن تسيلَ رِقةً وعذوبة وربما دخلتْ فى المُطْرب المرقص.

(عن « بديعة العميان وبديعة الحموى»)

(حل الشّعر)

حلُّ الأبياتِ الشّعريّة ينقسم الى ثلاثة أقسامٍ :

الأوّلُ منها وهو أدناها مرتبةً أنْ يأخذَ الناثر بيتاً من الشعرِ فينثرُه بلفظه من غير زيادةٍ، وهذا عيبٌ فاحشٌ. ومثالهُ كمَنْ أخذَ عِقداً قد أتقنَ نظمه وأحسن تأليفهُ فأوهاهُ وبدَّدهُ، وكانَ يقوم عذرُهُ فى ذلك أنْ لوْ نقلَهُ عنْ كونهِ عقداً الى صورةٍ أخرى مثله أو أحسن منهُ. وأيضاً فانهُ اذا نُثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السّرقة، فيقال هذا شعرُ فلان بعينه : لكون ألفاظه باقيةً لم يتغيرْ منها شيءٌ. وقد سلكَ هذا المسلكَ بعض العراقيين فجاء مُستهجناً، كقوله فى بعض أبيات الحماسة :

وألدَّ ذى حنقٍ علىَّ كأنما تَغلى عداوةُ صدرهِ فى مِرْجَل

أزجيْتُه عنّي فأبصر قصدهُ وكويتُه فوْق النواظر منْ عَل

فقال فى نثر هذيْن البيتين : فكم لقي ألدّ ذا حنَق كأنه ينظر الى الكواكب من عَل، وتغْلى عداوةُ صدره فى مرْجل، فكواهُ فوق ناظريْه وأكبه لفمه ويديه . فلم يزدْ هذا الناثرُ على أن أزال رَوْنق الوزنِ وطلاوة النّظمِ لا غيرُ .

ومن هذا القسمِ ضربٌ محمودٌ لا عيبَ فيه : وهو أن يكون البيتُ من الشعر قد تضمَّن شيئاً لا يمكنُ تغييرُ لفظه فحينئذٍ يُعذرُ ناثرُهُ اذا أتى بذلك اللفظ، وكذلك الأمثالُ السائرةُ فانه لا بدَّ من ذكرِها على ما جاءت فى الشعر .

وأما القسمُ الثانى - وهو وسطٌ بيْنَ الأوّلِ والثالث فى المرتبة - فهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه، ويعبّر عن البعض بألفاظٍ أخر - وهناك تظْهر

الصنعة فى المُماثلة والمشابهة ، ومؤاخاة الألفاظ الباقية بالألفاظ المُرتجلة. فإنهُ إذا أخذَ لفظاً لشاعرٍ مجيدٍ، قد نقّحهُ وصحّحهُ فقرنهُ بما لا يلائمهُ، كان كمن جمعَ بين لؤلؤةٍ وحصاة . ولا خفاءَ بما فى ذلك من الانتصابِ للقدح والاستهدافِ للطّعن . والطريقُ المسلوكُ إلى هذا القسم : أنْ تأخذَ بعضَ بيت من الأبياتِ الشّعريّة هو أحسنُ ما فيهِ ثمَّ تُماثلهُ :

وسأوْرِدُ ههنا مثالاً واحداً ليكون قدوةً للمتعلمّ ـ فأقولُ : قدْ وَردَ هذا البيْت من شعرِ أبى تمامٍ فى وصف قصيدة لهُ :

حذاءَ تملأُ كلَّ أُذْنٍ حكمةً وبلاغةً وتُدرُّ كلَّ وريد

فقوله (تملأُ كلَّ أُذْنٍ حِكمةً) من الكلام الحسَنِ ،وهو أحسنُ ما فى البيْت . فاذا أردْتَ انْ تنثر هذا المعنى فلا بدّ من استعمال لفظه بعينه ، لأنهُ فى الغاية القصْوَى منَ الفصاحة والبلاغةِ . فعليكَ حينئذٍ أنْ تُؤاخيهُ بمثلهِ .

وهذا عسرٌ جدًّا ، وهوعندي أصعبُ مثالاً من نثر الشعر بغير لفظه ، لأنهُ مسلكٌ ضيّقٌ لما فيه من التعرُّضِ لمماثلةِ ما هوَ فى غايةِ الحسنِ والجودةِ . وأمّا نثر الشعرِ بغيرِ لفظهِ فذلك يتصرّفُ فيهِ ناثرُهُ على حسبِ ما يراهُ ، ولا يكون مقيّداً فيهِ بمثالٍ يضطرُّ الى مؤاخاتهِ ، وقدْ نثرْتُ هذهِ الكلماتِ المشارَ اليها وأتيتُ بها فى جُملة كتابٍ فقُلتُ : وكلامي قدْ عُرفَ بينَ الناسِ واشتهرَ وفاقَ مسيرَ الشّمسِ والقمرِ . وإذا عُرف الكلامُ صارَتِ المعرفة لهُ علامةً وأُمنَ منْ سرقتهِ ، إذ لوْ سُرقَ لدلتْ عليه الوسامةُ ـ ومنْ خصائصِ صفاته أنْ يملأَ كلَّ أُذنٍ حكمةً ، ويجعل فصاحة كلّ لسانٍ عُجمةً . وإذا جرَتْ نفثاتُه فى الافهامِ ، قالتْ : أهذهِ بنت فكرَةٍ ، أمْ بنت كرمةٍ ؟

فانظرْ كيفَ فعلتُ في هذا الموْضعِ، فإنّي لما أخذتُ تلكَ الكلماتِ من البيتِ الشّعريّ التزمتُ بأن أُؤاخيها بما هُو مثلُها أو أحسَن منها، فجئتُ بهذا الفصل كما تراهُ. وكذلك ينبغي أنْ يُفعلَ في ما هذا سبيلُه.

وأمّا القسم الثالثُ - وهو أعلى من القسمين الأوّلين - فهو أن يأخذَ المعني فيصاغَ بألفاظٍ غيرِ ألفاظه. وثَمَّ يتبينُ حذقُ الصّائغِ في صياغتِه ويعلمُ مقدارُ تصرُّفِه في صناعتِه، فإن استطاعَ الزّيادةَ على المعني فتلك الدّرجةُ العالية والاّ أحسنَ التصرُّفَ وأتقنَ التأليفَ ليكونَ أولى بذلك المعني من صاحبِه الأوّل.

واعلم أنّ من أبياتِ الشعرِ ما يتّسعُ المجال لناثره فيُورده بضروبٍ من العبارات، وذلك عندي شبيهٌ بالمسائلِ السيّالةِ في الحسابِ الّتي يُجاوب عنها بعدّةٍ من الاجوبةِ. ومن الأبيات ما يضيقُ فيه المجالُ حتّي يكادَ الماهرُ في هذه الصناعة أن لا يخرُجَ من ذلكَ اللفظِ، وانما يكونُ هذا لعدم النظير. فأمّا ما يتّسعُ المجالُ في نثرِه فكقولِ أبي الطيب المتنبي:

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتّي يكون حشاكَ في أحشائه

وقدْ نثرتُ هذا المعني، فمنْ ذلكَ قولي: لا تعذُل المحبَّ في ما يهواهُ حتى تطوِيَ القلبَ على ما طواه: ومنْ ذلك وجهٌ آخرُ، وهو: إذا اختلفت العينان في النظرِ فالعذْلُ ضربٌ من الهذر. وأما ما يضيقُ فيه المجالُ فيعسُرُ على الناثر تبديلُ ألفاظه - كقول أبي تمامٍ:

تردّى ثياب الموْت حُمراً فما أتى لها الليلُ إلاّ وهي من سندسٍ خُضر

قصد أبو تمّام: المؤاخاة في ذكر لوْني الثّياب من الأحمر والأخضر، وجاء ذلك واقعاً على المعني الذي أرادهُ من لوْن ثياب القتلى وثياب الجنّة

وهذا البيتُ لا يمكنُ تبديل ألفاظه - وهو وأمثالهُ مما يجبُ على النَّاثرِ أنْ يحسن الصنعة فى فكِّ نظامه لأنهُ يتصدّي لنثره بألفاظه . فان كان عنده قوّة تصرفٍ ، وبسْطة عبارةٍ ، فانهُ يأتى به حسنًا رائقًا .

وقد قلْت فى نثرِه : لم تكْسهُ المنايا نَسْجَ شفَارِها حتّي كستهُ الجنَّة نسج شعارها ، فبُدِّل أحمرُ ثوْبه بأخضره ، وكأْسِ حمامهِ بكأْسِ كوثرِه .

وإذا انتهي بنا الكلامُ إلى ههنا فى التنبيه على نثر الشعر وكيفيَّة نثره وذكر مايسهلُ منهُ وما يعسُرُ ، فلنتبع ذلك بقولٍ كلّيٍ فى هذا الباب فنقول :

من أحبّ أن يكون كاتبًا أو كان عندهُ طبع مجيبٌ ، فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ، ولا يقنعُ بالقليل من ذلك . ثم يأخذ فى نثر الشعر من محفوظاته .

وطريقه أن يبتديء فيأخذ قصيداً من القصائد فينثرهُ بيتًا بيتًا على التوالى .

ولا يستنكف فى الابتداء أن ينثر الشعر بألفاظه أو بأكثرها فانه لا يستطيع الا ذلك .

وإذا مرنت نفسه وتدرّب خاطره ارتفع عن هذه الدرجة وصار يأخذ المعني ويكسوه عبارة من عنده ، ثم يرتفعُ عن ذلك فيكسوه ضروبًا من العبارات المختلفة . وحينئذ يحصل لخاطره بمباشرة المعانى لِقاحٌ فيستنتجُ منها معانى غير تلك المعانى

وسبيله : أن يكثرَ الادمان ليلاً ونهاراً ولا يزال على ذلك مدَّة طويلة حتي يصير لهُ ملكةٌ ، فاذا كتب كتابًا أو خطب خطبةً تدفقت المعانى فى أثناء كلامه وجاءت ألفاظه معسولةً وكان عليها جدَّة حتي تكاد ترقصُ رقصًا — وهذا شيء خبرتهُ بالتجربة ، ولا ينبئُك مثل خبير .

(عن «المثل السائر» باختصار)

(التخلص والاقتضاب فى مواضيع الانشاء)

التخلص: هو أن يأخذَ مؤلف الكلام فى معنيٍ من المعانى، فبينما هو فيه إذ أخذ فى معنى آخر غيره، وجعل الاوّل سبباً إليه، فيكونُ بعضهُ آخذاً برقاب بعضٍ من غير أن يقطعَ كلامهُ ويستأنف كلاماً آخرَ، بل يكون جميع كلامه كأنّما أُفرغ فراغاً وذلك مما يدلُّ على حذق الشاعر وقوّة تصرُّفه من أجل أن نطاق الكلام ضيق عليه ويكون متّبعاً للوزْن والقافية فلا تُؤاتيه الالفاظ على حسب إرادته.

وأما الناثر فانهُ مطلق العنان يمضى حيث شاء - فلذلك يشقُّ التخلُّص على الشاعر كثيرمما يشق على الناثر. ومما جاء من التخلصات الحسنة قوْل المتنبّي المتوفّى سنة ٣٥٤ هـ:

خَلِيلَيَّ إنّي لا أري غير شاعرٍ ... فَلِمْ منهمُ الدّعوي ومنّي القصائدُ

فلا تعجبا إنّ السيوف كثيرة ... ولكنّ سيفَ الدّوْلة اليوم واحدُ

وهذا هو الكلام الآخذ بعضه برقاب بعض، ألا تري إلى الخروج إلى مدح الممدوح فى هذه الابيات كأنّه أُفرغ فى قالب واحد.

والاقتضاب: أن يقطع الشاعر كلامهُ الذي هو فيه، ويستأنف كلاماً آخر غيرهُ من مديح أو هِجاءٍ أو غير ذلك ولا يكون للثانى علاقة بالاول: كقول أبى نوَاس المتوفى سنة ١٩٨ هـ - فى قصيدته النُّونية التي لم يكمّل حسنها بالتخلص من الغزَل إلى المديح، بل اقتضبه اقتضاباً، فبينما هو يصف الخمرَ ويقول:

فاسقنى كأساً على عذلٍ ... كرِهتْ مسموعه أُذنى

من كُميْت اللّون صافيةٍ ... خير ما سَلسلتَ فى بدنى

ما استقرّت فى فؤاد فتىً ... فدري مالوعة الحزن

(حتى قال)

تضحكُ الدّنيا الى ملكٍ قامَ بالآثار والسُّنَن
سَنَّ للنّاس النّدَى فندَوْا فكأنَّ البُخلَ لم يكُنِ

وإذا لم يحسُن التّخلصُ: بأن كان قبيحاً ممسوخاً فالاقتضابُ أولى منهُ فينبغي لسالك هذه الطريقة أن ينظرَ إلى ما يَصُوغهُ.

فإن أتاهُ التخلُّصُ حسناً كما ينبغي، والاّ فليدعهُ ولا يستكرهه، حتى يكونَ مثلَ هذا

واعلم أنَّ التخلُّص غيرُ ممكن في كل الأحوال، وهو من مُستصعبات علم البيان فليتدبر الشاعر

(عن « المثل السائر » بتصرف)

(كيفيةُ افتتاح مواضيع الانشاء وختامها)

الافتتاحُ أن تجعلَ مَطلع الكلام من الشِّعر أو الرَّسائل دالاً على المعنى المقصود من ذلكَ الكلام: انكانَ فتحاً ففتحاً، وان كان هناءً فهناءً، أو كان عزاءً فعزاءً وهكذا. وفائدته أن يُعرَفَ من مبدإ الكلام ما المرادُ منهُ، فإذا نَظَمَ الشاعرُ قصيدةً ـ فان كانتْ مَديحاً صِرْفاً لا يختصُّ بحادثةٍ من الحوادث، فهو مخيَّرٌ بين أن يفتتحها بغزَلٍ، وبين أن يرتجلَ المديحَ ارتجالاً من أوّلها ـ كقول القائل:

إنْ حَارَتِ الالبابُ كيفَ تقولُ في ذا المَقامِ فعُذْرُها مَقْبولُ
سَامِحْ بِفَضلِكَ مادِحيكَ فما لَهُمْ أبداً إلى ما تستحق سبيلُ
ان كانَ لا يُرضيكَ إلاّ مُحسِنٌ فالمُحسِنونَ إذَنْ لدَيْكَ قليلُ

وأمّا إذا كان القصيدُ في حادثةٍ من الحوادثِ كفتحِ مُقفلٍ، أو هزيمةِ جيشٍ

و غيرذلك: فانهُ لا ينبغي أن يُبدأ فيه بغزل، ومن أدب هذا النوع أن لا يذكر الشّاعرُ في افتتاح قصيدة المديح ما يُتطيّرُ منهُ، أو يُستقبحُ، لا سيّما إذا كان في التهاني، فانهُ يكون أشدَّ قُبحاً. وانما يُستعملُ في الخطوب النّازلة والنوائب الحادثة، ومتى كانَ الكلامُ في المديح مفتتحاً بشيءٍ من ذلك، تطيّر منهُ سامعهُ وانما خُصّت الابتداءاتُ بالاختيار لأنها أوّلُ ما يطرُقُ السّمعَ من الكلام. فاذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعدهُ، توفّرت الدّواعي على استعماله. والختامُ: أن يكون الكلامُ مُؤذناً بتمامه، بحيث يكونُ واقعاً على آخر المعنى، فلا ينتظرُ السامعُ شيئاً بعدهُ. فعلى الشّاعر والنّاثر أن يتأنّقا فيه غاية التأنّق، ويُجوّدا فيه ما استطاعا لانه آخر ما ينتهي الى السّمع، ويتردّدُ صداهُ في الاذن، ويعلقُ بحواشي الذّكر. فهوَ كمقطع الشّراب، يكونُ آخر ما يمرُّ بالفم، ويُعرَضُ على الذّوق، فيَشعُرُ منهُ بما لا يشعُرُ من سِواهُ. ولذلك: ينبغي أن يكونَ الختامُ مُميّزاً عن سائر الكلام قبلهُ بنكتةٍ لطيفةٍ، أو أسلوبٍ رشيقٍ، أو معنىً بليغ. ويُختار لهُ من اللّفظ: الرّقيقُ الحاشيةِ، الخفيفُ المحمل على السّمع، السّهلُ الوُرودِ على الطّبع، ويتجافى بهِ عن الإسهاب، والتّعقيد، والثّقل، وغير ذلك. وحُكم الختام كما سبق، أن يكون مُؤذناً بتمام الكلام، بحيث يكون واقعاً على آخر المعنى، فلا ينتظر السّامع شيئاً بعدهُ. واذا لم يكن المعنى دالاً بنفسهِ على الختام، حسُنَ أن يُدلَّ عليه بكلام آخر، يُذكر على عقب الفراغ من سياقةِ الأغراض السّابقة. وحكمهُ أن يكون مُنتزعاً مما سبقه، فيُقفّى به تقريراً لشيءٍ من الأغراض، أو إجمالاً لمفصّلها، مُورداً على وجه من وجوه البلاغة، أو الكلام الجامع، أو مُخرجاً مُخرَجَ المثَل، أو الحِكمةِ، أو ما شاكل ذلك، مما تعلّقهُ الخواطر، وتُقيدهُ الأذهان: كقول المتنبّي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ

وَما أُخصُّكَ فى بُرْءٍ بتَهْنِئَةٍ إذَا سَلِمْتَ فَكلُّ النّاس قَدْ سَلِمُوا

وكقول الزَّمخشرى المتوفَّى سنة ٥٢٨ هـ فى ختام إحدى مقالاته: «انَّ الطيش فى الكلام يُترْجمُ عن خِفَّةِ الأحلام. وَما دَخلَ الرِّفْقُ شَيْئًا إلاّ زَانهُ، وَما زَان المتكلِّمُ إلاّ الرزانة».

وأمّا فى غير ذلك، فالأكثرُ فيه: أن يُضَمَّنَ غرضًا آخرَ من الدُّعاءِ، أو عَرْض النّفس على خِدمة المكتوبِ اليهِ، أوْ توقُّع الجوابِ منهُ، أو غير ذلكَ ممَّا تحتَمِلهُ مقاماتُ الكلام، وَتقتضيه دوَاعى الحال.

وَأكثر ما يختمونها فى النثر بعد الأغراض المذكورة بقولهم: «إن شاءالله» أوْ «بمنِّ اللّه وَفضله» وَما أشبه ذلك.

وكثيراً ما يَختِمُ النّاثرُ بقوله: «والسلام» أو «بلاَ حوْلَ وَلا قُوَّة إلا بالله». أوْ بقوله: «وَاللهُ المُستعانُ» أوْ بقوله: «وَالحمْدُ لِلهِ أوَّلاً وَآخِراً، باطنًا وَظَاهراً». أو بقوله: «واللهُ أعلمُ». أو غير ذلك

وَرُبّما خُتم بِمثَلٍ، كَختَام الخُوَارَزْمِيِّ المتوفّى سنة ٣٨٣هـ رسالته بقوله: «ولقد سلكَ الأَميرُ مِنَ الكرَمِ طرِيقًا، يَستوْحشُ فيها لقِلَّة سالكها، ويتيهُ فى قفارها لدرُوس آثارها، وانهدام منازِلها، أعانه الله على صعوبة الطَّريق، وقِلّة الرّفيق، وَألهمَهُ صبراً يُهوِّنُ عليه احتمالَ المغَارِم، ويقرّبُ عليه مسافة المكارم.

فبالصّبر تنالُ العُلاَ، وعند الصَّباح يحْمَدُ القومُ السُّرَى»

ومن أمثلَته فى الشِّعر قوْلُ ابن الوَرْدِى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ

سلاَمٌ عَليكُمْ مَا أحبّ وِصالكُم وَغايَةُ مجْهُودِ المُقلِّ سَلاَمُ

(تقسيم الانشاء الى فنّي النّظم والنّثر)

إعلم أنّ لسانَ العرب وكلامَهم يدُور على فنين : فنّ الشعر المنظوم، وهو الكلام المُقفّى الموزون بأوزانٍ مَخصُوصةٍ . وفنّ النّثر ، وهو الكلام الغير الموزُون فأمّا الشعرُ، فمنهُ : المدحُ، والهجاء، والرّثاء. وأمّا النّثر، فمنهُ ما يُؤتى به قِطعاً، ويُلتزم فى كل كلمتين منهُ قافيةٌ واحدةٌ، ويسمى سجعاً . وهو ثلاثة أقسام: القسمُ الأوّلُ: أنْ يكونَ الفصلان مُتساوَيين، لا يزيد أحدُهما على الآخر: كقوله تعالى: « فأمّا اليَتيم فلا تَقْهَرْ. وأمّا السائلَ فلا تَنْهَرْ » وهو أشرف السّجعِ منزلةً للاعتدال الذى فيه والقسمُ الثانى أن يكون الفصل الثانى أطولَ من الأوّلِ ، لا طولاً يخرُج به عن الاعتدال خروجاً كثيراً ، فانّه يَقبُح عند ذلك، ويُستكرَه، ويعدُّ عيباً. فممّا جاءَ من ذلك قوله تعالى : « بل كذّبُوا بالسّاعةِ وأعتدْنا لِمَنْ كذّبَ بالسّاعةِ سَعِيراً إذا رأتهُمْ مِنْ مكانٍ بعيدٍ سَمِعُوا لَها تَغيُّظاً وزَفِيراً. وإذا أُلقُوا منها مكاناً ضيّقاً مُقرَّنِينَ دَعَوْا هُنالكَ ثُبُوراً[1] » فالفصلُ الاولُ ثمان لفظات . والثانى والثالث تسعٌ تسع . ويُستثنى من هذا القسم : ما كان من السّجع على ثلاث فقر. فان الفقرتَيْنِ الأوّليين تُحسبان فى عِدّةٍ واحدة. ثم تأتى الثالثة ، فينبغى أن تكون طويلةً طُولاً يزيدُ عليهما. وقد تكونُ الثلاثُ متساويات. كقوله تعالى: « فى سِدْرٍ[2] مَخْضُودٍ[3] وطَلْحٍ[4] مَنْضُودٍ[5] وظِلٍّ مَمْدُودٍ » . والقسمُ الثالثُ أن يكونَ الفصلُ الآخرُ أقصرَ من الأوّلِ وهو عيبٌ فاحشٌ[6] وأما النّثر المرسلُ ـ فهو

---

(١) ويلا (٢) شجر معروف (٣) مقطوع شوكه (٤) الموز (٥) متراكم بعضه فوق بعض (٦) للسجع أربعة شروط : إختيار المفردات الفصيحة واختيار التأليف الفصيح وكون اللفظ تابعا للمعنى لا عكسه ـ وكون كل واحدة من الفقرتين أو الفقر دالة على معنى لئلا يصبح الكلام تطويلا معيبا

ما يؤتى به قطعاً من غير تقيّد بقافية ولا غيرها . وهو الذى يُطلَقُ فيه الكلام إطلاقاً ، ولا يُقطّعُ أجزاءً ، بل يرسَلُ إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها .

(انتهى من «المثل السائر» باختصار)

(كيفية عمل الشعر)

إعلم أنَّ لعمل الشعرِ وإحكامِ صناعتهِ شُروطاً

أوَّلها : الحِفظُ [١] من جنسهِ – أي من جنس شعر العرَب – حتَّى تنشأ فى النَّفس مَلَكةٌ يُنسَجُ على منوالها ، وَيُتَخيَّرُ المحفوظُ من الحُرِّ النقيِّ الكثيرِ الأساليب وهذا المحفوظُ المختارُ ، أقلُّ ما يكفى فيه شعرُ شاعرٍ من فحول الاسلام ، مثل : ابن أبى رَبيعةَ ، و كُثَيِّر ، وذي الرُّمة ، وجرير ، وأبى نُوَاس ، وأبى تمَّام ، والبُحتري ، والشَّريف الرَّضي ، وأبى فِرَاس ، وأكثرهُ شعرُ « كتاب الأغانى » لأنه جمعَ شعرَ أهلِ الطبقة الاسلاميَّة كلّه ، والمختار من شعر الجاهليّة .

ثمَّ لا بدَّ لهُ من الخلوَة ، واستجادَة المكان المنظوم فيه ، باشتماله على مثل : المياه والازهار ، وكذا استجادةُ المسموع ، لاستثارَة القريحة باستجماعها ، وتنشيطها بملاذِّ السُّرور . ثم مع هذا كلّه فشرطُهُ أن يكون على جَمامٍ ، [٢] ونشاط ، فذلك أجمعُ له وأنشطُ للقريحة أنْ تأتى بمثل ذلك المنوال الذى فى حفظه ، قالوا وخيرُ الأوقات

---

(١) ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر ردىء – ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه او عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط . واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ . ثم بعد الامتلاء من الحفظ ، وشحذ القريحة للنسج علي المنوال ، يقبل علي النظم . وبالاكثار منه تستحكم الملكة وترسخ . وربما يقال : ان من شروطه نسيان ذلك المحفوظ ، لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ، اذ هى صادرة عن استعمالها بعينها . فاذا نسيها ، وقد تكيفت النفس بها ، انتقش الاسلوب فيها كأنه منوال يأخذ في النسج عليه بمثالها من كلمات أخرى ضرورة (٢) الراحة

لذلك أوْقاتُ البُكَرِ(١) عند الهبُوب من النوْم، وفراغ المعدَة، ونشاطِ الفكر وربما يكونُ من بَواعثه العشقُ والانتشاء. قالوا: فان استصعب عليه بعد هذا كلّه، فليتركهُ الى وقتٍ آخرَ، ولا يُكرهْ نفسهُ عليهِ. وليكن بناء البيت على القافيةِ من أوّل صوغه ونسجه، يَضَعُها ويبنى الكلام عليها إلى آخره. لانه ان غفلَ عن بناء البيتِ على القافية صَعُبَ عليهِ وضعُها فى محلّها. فربما تجيء نافرة قَلقة. واذا سَمَحَ الخاطرُ بالبيتِ ولم يناسب الذى عنده، فليتركْهُ الى موضعه الأليْق به. فان كلَّ بيتٍ مُستقلٌّ بنفسه، ولم تبقَ إلاّ المُناسبةُ. فليخيَّر فيها كما يشاء، وليُراجعْ شِعْره بعد الخلاص منهُ، بالتّنقيح(٢) والنقدِ، ولا يَضِنَّ(٣) بهِ على التّرْكِ إذا لم يبلغ الإجادة، فانّ الانسان مفتونٌ بشعرهِ، إذ هو بناتُ فكرهِ، واختراعُ قريحتهِ، ولا يستعملُ فيه من الكلام إلاّ الأفصحَ من التراكيب، والخالصَ من الضّرُورات اللّسانيةِ، فليهْجرْها فانها تنزلُ بالكلام عن طبقةِ البلاغة، وقد حظرَ أئمةُ اللّسان على المولّد(٤) ارتكابَ الضرُورَة، اذ هو فى سَعة منها بالعدُول عنها الى الطريقة المُثلى من الملكة. ويجتنبُ أيضاً المُعقّد منَ التراكيب جُهدَهُ، بحيثُ تكون ألفاظهُ على طِبقِ مَعانيه، ومَعانيه تسابق ألفاظَهُ إلى الفهم. ويجتنب أيضاً الحوشيّ من الألفاظ، والمقصّرَ. وكذلك السوْقيّ المبتذلَ، فانهُ ينزلُ بالكلام عن طبقة البلاغة أيضاً، فيصيرُ مُبتذلاً، ويقربُ من عدم الإفادة. وفى هذا القدْرِ كفايةٌ لمُتعاطِي صِناعة الإنشاءِ.

(عن «ابن خلدون» باختصار)

---

(١) جمع بكرة الصباح وزن غرفة وغرف (٢) بالتهذيب (٣) بفتح الضاد وكسرها لا يبخل (٤) هو من وجد بعد اختلاط العجم بالعرب كالعباس بن الاحنف ومن بعده

(فنون الانشاء)

فُنون الانشاءِ سبعةٌ : وهي : المكاتباتُ ، والمُناظراتُ ، والأمثالُ وَالأوصافُ ، وَالمقاماتُ ، والرِّواياتُ ، والتاريخُ .

(الفن الاول فى المكاتبات والمراسلات)

المكاتبة : وتُعرفُ أيضاً بالمراسلة ، هي مخاطبةُ الغائبِ بلسان القلم . وفائدتها أوسع من أنْ تُحصر من حيثُ أنها تُرجمانُ الجنان ، ونائبُ الغائب فى قضاء أوطاره ،(١) ورباطُ الوداد ، مع تباعد البلاد ، وطريقة المكاتبة هي طريقةُ المخاطبة البليغة مع مُراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنّسبة بينهما (٢) . وخواصُّها خمسٌ : السّذاجة ، والجلاء ، والإيجازُ ، والمُلاءَمَةُ ، والطّلاوَةُ (٣) . فالسّذاجة : تجعلُ الكلامَ فِطرِيًّا سليماً مِن شوائبِ التكلُّف مُنزَّهاً عن زُخرف (٤) القول ، بعيداً عن بهرَجة (٥) الكلام . والجلاء : هو العدُولُ عن الكلام المُغلَق والتّشابيه المُستبعدة والتّراكيبِ الملتبسةِ إلى الكلام المُهذَّب الصَّريح . والإيجاز : تنقيحُ الرسالةِ من حشو الكلام ، وتطويل الجُمل فيبرزُها وَافيةَ الدلالة على المقصود ، مقتصرةً على

---

(١) الحاجات (٢) قال ابراهيم بن محمد الشيبانى : اذا احتجت الى مخاطبة أعيان الناس أو أوساطهم أو سوقتهم فخاطب كلا على قدر أبهته وجلالته وعلو مكانته وانتباهه وفطنته . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك ان ترعاها في مراسلتك . فلا يكتب لمن أصيب فى ماله أو فى عياله كما يكتب لمن فرغ باله ووفر ماله . قال آخر : ان بلاغة الرسالة تستفاد من ملاحظة مقامات الكلام وأوقاته ومراعاة أحوال المخاطبين بالنسبة الي المتكلم ـ واعلم ان لكل مقام مقالا (٣) بتثليث الطاء (٤) مزورة (٥) العدول عن الجادة المقصودة .

لمحسنات القريبة المنال [١] : والملاءمة: تنزل الألفاظ والمعانى على قدر الكاتب والمكتوب اليه، فلا تعطي خسيسَ الناس رفيعَ الكلام ، ولا رفيعَ الناس خسيسَ الكلام. على أنها تجعل الرسالةَ وتعابيرَها مستعذبةَ الأوضاع ، حسنةَ الارتباط، يأخذ بعضُها بأزمة بعض. والطلاوة: تكسو الكلامَ رَوْنقاً وإشراقاً بجودة العبارة، وسلامة المعانى ، وسلاسةِ الألفاظ ، [٢] وتجعله بذلك أحسنَ موقعاً عند سامعه

(أبوابُ الرسائل)

تنقسمُ الرسائلُ باعتبار موضوعها إلى ثلاثة أقسام :الأولُ الرسائلُ الأهلية والثانى الرسائلُ المتداولةُ ، والثالثُ الرسائلُ العلميَّة

(الكلامُ على الرسائل الاهليّة)

الرسائلُ الأهليَّةُ ـ وتُعرَفُ برسائل الأشواق ـ هى ما دارت بين الأقارب والأصدقاء ، وأسفرت [٣] عن مكنون [٤] الوداد، وسرائر الفؤاد. ولا حرَجَ على الكاتب إذا بسط فيها الكلامَ على أحواله ، وأخفى السؤالَ فى أحوال أصحابه . وتتفرَّدُ هذه الرسائلُ بأن يُطلقَ الكاتبُ فيها العِنان للأقلام ، ويتجافى عن الكلفة، ويعدلَ عن الانقباض . وقد قيل : «الأُنسُ يُذهبُ المهابة، والانقباضُ يضيّع المودَّة» . هذا : ولا بدَّ من مراعاة مُقتضَى الحال ، والاعتصامِ بركن الفطنة ، أخذاً بقول أبى الأسود الدُّؤلى :

---

(١) ولا يعد مناقضاً للايجاز ما يستدعيه المقام من البسط فى الموضوع :اما تعزيزاً للمعنى واما حذراً من الابهام، أو دلالة على عواطف القلب ، أو رغبة فى تفكيه الخواطر . قال الاقدمون: « خير الكلام ما قل ودل ولم يمل » (٢) سهولتها (٣) كشفت (٤) مستور

لا تُرْسلَنَّ رِسالةً مشهورَةً لاَ تَسْتطيعُ إذَا مَضَتْ إدراكها

وَإلى هذا الباب ترجعُ مكاتبات الأشواق، والتّعارُف قبل اللّقاء، والهدايا، والاستعطاف، والاعتذار، وغيرُ ذلك. ولنذكرْ شذراتٍ من أقوال الكتّاب[1]

(الفصل الأول فى الشّوق)

« كتب أبو منصور الثّعالبى النّيسابُورِى المتوفّى سنة ٤٢٩ هـ »

شوْقي اليكَ رهينُ قلبي، وقرين صَدْرى، والزعيمُ[2] بتعليق فكرى، وتفريقُ صبرى، سَميرُ ذكرى، ونديمُ فكرى، زادِى فى سفرى، وعتادِى[3] فى حضرى، لاَ يستقلُّ به صدرى، ولا يقوَى عليه صَبرى، يكادُ يكون لِزاماً، ويعدُّ غراماً، لا يرْحل مقيمُهُ، ولا يُصرف غريمُهُ، أستخفّ نفسي وأستفزّها، وحرّك جوانحي وهزّها، شوقٌ أخذ بسمع خاطري وبصره، وحال بين مَوْرد[4] قلبه ومَصدره،[5] شوقٌ قد استنفذ جَلدِى،[6] وملكَ خَلدِي،[7] شوق برَانى برْى الخلال،[8] ومحقني محق الهلال، شَوقٌ تركَني حرَضا،[9] وأوسعَنى مضَضا،[10] أرانى الصّبر حسْرة، والوجد يمنة ويُسرة، شوق يزيدُ على الإيَام[11] توقّداً أوْ تأجُّجاً، وتضرُّماً وتوهُّجاً، نار الشّوق حشوُ ضلوعي، وماءُ الصّبابة ملءُ جفونى، أنا من لواعج الشّوق بين غمائم، لا تمطر الا صواعقَ وسمائم،[12] قد قَدحتْ فى كبدى من الحُرقة، بهذه الفُرقة، ما يفوت

---

(١) قد أفردنا للرسائل الاهلية كتاباً خاصاً أسميناه (انشاء المكاتبات العصرية والمراسلات العربية) وطبعناه عدة طبعات متوالية اه فارجع اليه اذا شئت ولهذا نختصر فى هذا الكتاب أبواب الرسائل ونذكر ما تمس اليه الحاجة فقط (٢) الرئيس (٣) ما أعددته لحوادث الدهر (٤) موضع الورود (٥) الرجوع (٦) القوة (٧) القلب (٨) الضعف (٩) مريضا (١٠) وجعا (١١) بضم الهمزة وكسرها الدخان (١٢) الرياح الحارة

أيسرُه حدَّ الشكايةِ ، ويجوز أضعفُه كُنْهُ الكِناية ، شوقُ الرَّوض الماحل ،(١) الى الغيث الهاطل .

(وكتب فى تشبيه الشوق)

مَا الأعرابية حنَّتْ الى نجد ، وأنَّتْ من وَجد ، بأشدَّ منّى كَلفاً،(٢) وأتمّ منّي شغفاً . أنا فى شِدَّة الشَّوق اليك كالعطشان كشِفَ له عنْ ماءٍ عَذْب ، ومُنِع منهُ بمانع صَعْب ،شوق لو أُلقِىَ على الكواكب بعضُه لما سَارت،أو كلِّفت الافلاكُ ثقله لمَا دارت ، شوق لو فُرِّق على القلوب الخالية لاشتغلتْ ،ولو قُسِّم على الاكباد الباردة لاشْتعلتْ ، أنا أشتاقُك مع كلّ صباحٍ طالع ، وضياءٍ شارق ، ونجم طارِق (٣) .

(وكتب فى أثر الفراق)

وَجدٌ يتكرر على كرِّ الجديدين،(٤) ويستغرقُ ساعات الملوَين،(٥) قد تحمّلت مع يسير الفُرْقةِ ، عَظيم الحُرْقة ،ومع قليل البُعد، كثير الوَجد ،قد انثنيتُ بجسم ناحِل ، وصرْتُ من صَبري على مراحل ، فارقْتنى ، فأرَّقتني ،(٦) وفرَّقت جميعَ صَبْري، واستصحبتَ فريقاً من قلبى ، فرقت به بين عيني والرُّقاد،(٧) وجنبى والمهاد،(٨) مَا أُعوِّلُ إلا على العَويل (٩) لو كان يُغنِى ، ولا أستنصِرُ غير الوَجد لو كان يُجدي ،(١٠) يَدي لا تُساعدُنى،وخَطّي لا يُشبهُ فى الدّقّة الا بدَنى،لولا حصانَةُ (١١) الأجلِ،لخرجتْ رُوحي على عجل ، فارقْتنى فتفرَّقَ عنّي شملُ أنس مُنتظم،وتمكّن منّي بَرَحُ شوق مُضطرِم ،فارَقْتنى ففرّقتَ بين الرُّوح والبدَن،وتركتنى والنّزاع فى

(١) المجدب (٢) كلفاً مصدر كلف من باب فرح التغيير (٣) الآتى ليلا (٤) الليل والنهار (٥) الليل والنهار أيضاً (٦) أسهرتني (٧) النوم (٨) مكان النوم (٩) رفع الصوت بالبكاء (١٠) ينفع (١١) حفظ

قرن ، (١) قد صرتُ حليف وحشة وان كنتُ ثاوياً (٢) فى وطنْ ، وقرينَ كربة وان كنتُ بين جيرةٍ وسكنْ .

عسى الدّهرُ يُدنينا ويدنى ديارَكمُ وَيجمعُ ما بينى وبينكمو الشّملا
فأشكو تباريحَ الغرام اليكمو وَحرّ جوًى تُبلى عِظامي وما يُبلى

« وكتب البسطامي المتوفى سنة ٣٣٢ هـ »

قَلبِى بنار الهوَى مُعذّبْ شوْقًا الى حضرةِ المُهذّبْ
شوقًا الى ماجدٍ كريمٍ يَخْطرُ لى ذكرُهُ فأطرَبْ

وبعدُ فالعبدُ ينهى من لواقح (٣) شوقهِ ، ولوافح (٤) توْقه ، (٥) الى شُهود ذاتكم الجميلة ، ومُشاهدةِ صفاتكم الجليلة ، لينشقَ عَرْفكم (٦) الفائح ، وبَخورُ عُرفكم (٧) الفاتح ، مدّ الله سبحانهُ وتعالى ظِلكم ، وأدَرَّ وَبلكم (٨) وطلّكم . (٩)

أُحبُّ الوَعدَ منكَ وإن تمادى وأقنعُ بالْخيالِ إذا ألَمّا
عسَى الأيامُ تسْمَحُ لى بِوَصلٍ وتأخذُ لى منَ الهجرَان سِلْماَ

والجنابُ منذُ طوى عنّا أبوابَ مُلاقاته ، وزَوى منا أطايبَ أوقاته ، قبض العبدُ عنانَ مَقاله ، وخفض لسانَ حاله .

شكوتُ وما الشّكوى بمثلى عادةٌ ولكن تفيضُ العينُ عند امتلائها

فجلس الفِراقُ بعظيمِ حجابه ، وأليم عذابه ، على ذُرْوَةِ (١٠) عرشه ، وافترس بقوّة بطشه ، وصار للسرّ جاراً ، وأوْقد للحرْب ناراً جهارا .

طَوعًا لقاضٍ أتى فى حكمهِ عجبا أفْتى بِسفْكِ دَمي فى الحِلّ والحرَم

---

(١) قرن مصدر قرن من باب فرح التقى (٢) مقيما (٣) الرياح (٤) الرياح الحارة (٥) الشوق (٦) الريح الطيبة (٧) نبت يقال له النمام طيب الرائحة (٨) المطر الكثير (٩) الندى (١٠) بضم الذال وكسرها أعلاه

وهذه حالتُهُ ، المُفصِحُ عنها مقالتُهُ

إنَّ الأُمورَ إذا التوتْ وتعقّدَت جاءَ القضاءُ من الكريمِ فحلَّها
فلعلَّ يُسراً بعدَ عُسرٍ علّها ولعلّ مَنْ عَقدَ العقودَ يحلُّها
فلعلَّ غروسَ التَّمني قد أثمرَتْ ، وليالى الحظِّ قد أقمرتْ .

سألتُ أحبَّتي ما كان ذَنبي أجابونى وأحشائي تذوبُ
إذا كان المُحبُّ قليلَ حظٍّ فما حسَناتُهُ إلاَّ ذنُوبُ

فرَعى اللهُ أيّاماً لاحت (١) فيها أقمارُ (٢) غُروزها ، وفاحتْ فيها أطراز طروزها ، من بهاءِ سمائها ، على منار ضيائها ، من ذات جلالها ، وصفات دَلالها ، فى جنّات عواطفها ، وحَنّات تعاطُفها .

فان كنتُ لا أطرُقُ (٣) رَحْبَ (٤) فِنائكم ، (٥) فقد أطرُقُ بابَ ثنائكم
لئن غيّبتني عن ذُراكَ حوادثُ فليس ثنائي عن فِناكَ بغائبِ

« وكتب عبدُ الرَّحمن محمد بن طاهر المتوفى سنة ٩٣١ هـ »

كتبت ـ أعزَّكَ اللهُ ـ عن ضميرٍ اندمجَ (٦) على سرّ اعتقادك دُرُّه ، وتبلّجَ (٧) فى أُفُقِ ودادك بَدْرُه ، وسالَ على صفَحات ثنائك مسكُهُ ، وَصار فى رَاحتي سَنائك (٨) ملكُهُ . ولمّا ظفرْت بفلان حمَّلته من تحيّتى زَهراً جنياً ، يُوافيك عَرْفهُ ذكيًّا ، ويوَاليكَ أُنسهُ نجيًّا ، (٩) وَيقضي من حقّكَ فرضاً مأتيًّا (١٠) . على أنَّ شخصَ جلالك لى ماثلٌ ، (١١) وبين ضلوعي نازلٌ ، لا يملّه خاطر ، ولا يمسّه عرَض دائر ، (١٢) إن شاءَ اللهُ عزَّ وجلّ .

---

(١) ظهرت (٢) مراده ما تخرجه الاغصان من النوار (٣) آتى ليلا (٤) المتسع (٥) بكسر الفاء متسع البيت (٦) خفى واستتر (٧) أضاء (٨) رفعتك (٩) مناجيا (١٠) آتيا (١١) متمثل (١٢) هالك

(وكتب أبو الفضل بن العَميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ)

قد قَرُبَ (أيدك الله) محلُّكَ على تراخيه ، وتصاقبَ مُستقرُّكَ على تنائيه، لأن الشوق يُمثِّلك ، والذكرَ يُخيِّلك ، فنحنُ في الظاهر على افتراق ، وفي الباطن على تلاق ، وفي النِّسبة مُتباينون ، وفي المعنى متواصلون ، ولئن تفارقتِ الأشباحُ لقد تعانقتِ الأرواحُ .

(وكتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

يَعزُّ عليَّ - أطال الله بقاءَ مولاي - أن ينوبَ في خدمته قلمي عن قدمي ، ويسعدَ برؤيته رسولي دون وصُولي ، ويَردَ مَشرعةَ الانس به كِتابي ، قبل ركابي ولكنْ : ما الحيلة والعوائق جمَّة ؟!

وعلىَّ أنْ أسعى وليس على إدراك النّجاح

وقد حضرتُ دارَه ، وقبّلتُ جِدارَه ، وما بي حُبُّ الحيطان ، ولكن شغفاً بالقُطّان ، ولا عِشقُ الجُدران ، ولكن شوقاً إلى السّكان .

أمرُّ على الدّيار ديار سَلْمى أقبلُ ذَا الجِدارَ وذَا الجدارا
وما حُبُّ الدّيار شَغفنَ قلبي ولكن حُبُّ منْ سكنَ الديارا

وحينَ عدتْ العَوادي عنه ، أمليتُ ضمير الشوق على لسانِ القلم، معتذراً الى مولاي على الحقيقة عن تقصيرٍ وقع ، وفُتورٍ في الخدمة عَرَضَ ، ولكني أقولُ :

إن يكن تركي لقصدكَ ذنباً فكفى أن لا أراك عقابا

(وكتب أبو محمد عبد الله البَطليوسيُّ المتوفى سنة ٦٢٧ هـ)

ياسيدي الأعلى ، وعِمادي الأسنى ، وحَسنَةَ الدَّهرِ الحُسنى ، الذي جلّ قدرهُ ، وسار مسيرَ الشّمس ذكرُه ، ومنْ أطالَ اللهُ بقاءَه ، لفضلٍ يُعلي منارَه ، وعلمٍ يُحيي

آثاره ـ نحنُ (أعزّكَ الله) نَتَدَانى إخلاصاً، وإن تناءَينا أشخاصاً، ويَجمعنا الأَدبُ، وإن فرّقنا النّسب: فالأَشكالُ أقاربُ، والآدابُ مناسِب، وليس يَضرّ تنائى الأَشباح، إذا تقارَبتِ الأَرواح.

نسيبيَ في رأيي وعلمي ومذهبي وان باعدَتْنا في الأُصول المناسبُ

(وكتب بديع الزّمان الهمذانى المتوفّى سنة ٣٩٨ هـ)

أرانى أذكرُ «مولاي» اذا طلعَت الشمس، أو هبّت الرّيح، أو نجمَ النّجم، أو لمع البرقُ، أو عرَضَ الغيثُ، أو ذكرَ الليثُ، أو ضحكَ الرَّوضُ. وأنّى[1] للشمس مُحياه[2] وللرّيح ريّاه،[3] وللنّجم حُلاه وعُلاه، وللبرق سناؤُه[4] وسناه[5]، وللغيث فِداه[6] ونَداه[7] وفى كلّ صالحةٍ ذِكراه، وفى كلّ حادثةٍ أراه، فمتى أنساه؟ واشدّة شوقاه! عسَى اللهُ أن يجمعني وإيّاه.

(وكتب الشيخ ابراهيم اليازجى المتوفّى سنة ١٣٢٤ هـ)

مازلتُ أُدافعُ النفسَ عمّا تتقاضانى من شكوَى أشواقها، وفى الشّكوى شِفاءٌ، واستنزال أثرٍ من لدُنك تتعلّلُ به مسافةُ البينِ،[8] إلى أن يمُنّ اللهُ باللّقاء، ومن دون إجابتها مشادِهُ[9] قد شَغلت الذّرع،[10] وشَواغلُ قد أفرِغ من دونها الوُسعُ، الى أن غلبَ جَيشُ الوَجد على معاقل الصّبر، وزاحمَ مناكبَ العدْوَاء حتي ضرَبَ أطنابَه[11] بين الحجَاب[12] والصّدر، فاتخذتُ هذه الرُّقعة أزجيها[13] اليك، وفيها من وِقرِ[14] الشّوق ما ينوءُ[15] برسولها، ومن رِقّة الصّبابة ما يكاد

(١) أى من أين (٢) وجهه (٣) رائحة طيبة (٤) الرفعة (٥) بالقصر الضوء (٦) بضم النون وكسرها اشهر الصوت (٧) العطاء (٨) البعد (٩) مشاغل (١٠) بسط اليد (١١) الحبل يشد به سرادق البيت (١٢) لحمة رقيقة بين الجنبين (١٣) ارفعها (١٤) بكسر الواو الحمل الثقيل (١٥) يثقل به

يطيرُ بها ، أو يخلفُها فيُصافحُ الأَعتابَ قبل وصولها ، راجياً لها أن تُتلقَّى بما عُهدَ فى سيدي من الطلاقة والبِشْر ، وأن لا يَضنّ[١] عليها بما عوَّدنى من تمهيد العذْر ، وَيصِلُني من بعدها بأنبائه[٢] الطَّيبة ، عائدة عنه بما يكون للنّاظر قرَّة ، وللخاطر مَسرَّة ، ان شاء الله تعالى بمنه وكرمه .

(وكتب أيضاً)

وَافانى كتابُك العزيزُ ـ فأهلاً بأكرم رسول : جاءَ ببيّنات الإِخلاص والوفاء ، مصدّقاً لما بين يديه من ذِمَّة الوداد والإِخاء ، يتلو علىَّ من حَديث الشَّوق ، ماشهد بصحته سقمي ، وَهتفَ مؤذِّنه فى كل مِفْصَل من جسمي ، ويذكّرنى من عهدك ، ما طالما أذكَرنِيه البرقُ إذَا لمعَ ، والبدرُ إذَا طلعَ ، والقمرِيُّ[٣] اذا سجع . وانما عدَانى عنك : ما أنا فيه من مُجاذبة الشَّواغل ، ومساورة[٤] البلابل[٥]

وفى القلب ما فى القلب من شجَن الهوى تبدّلت الحالاتُ وهو مُقيمُ

وأنا ـ (على مابى من غلِّ البنان ،[٦] وشُغل الجنَان) ـ[٧] ما زالت أنباءُك[٨] عندى . لا يُخْطِئُنى بريدُها ، ولا يَنقَطِعُ عنّي وُرُودها ، أهنىءُ النفس منها بما تتمنَّى لك من سلامة لا يَرثّ[٩] لها شِعارٌ ، وإقبالٍ لا يعترضهُ باذن الله إدبارٌ .

وقُصاري المأمول فى كرمك : أن تُعاملَنى بما سبق لك من جَميل الصِّلة ، الى أن يمُن الله بالاجتماع ، ويُغنى بالعيان عن السّماع : وَما ذَلكَ عَلى الله بعزيزٍ .

(وكتب أبو العباس الغسّانى ـ المتوفَّى سنة ٤٩٨ هـ)

سرْ إلى مجلسٍ يكادُ يسيرُ شوقاً اليك . وَيطيرُ بأجنحةٍ منْ جَواهُ ، حتى

---

(١) أي لا يبخل (٢) اخباره (٣) طير من جنس الحمام يقال للانثي قمرية ، وللذكر ساق احمر (٤) الموثبة (٥) الاحزان (٦) الاصابع (٧) القلب (٨) أخبارك (٩) لا يبلى

يحلّ بين يديك . فلله درُّ(١) كماله: انْ طلعتَ بدراً بأعلاه ، وجماله: إنْ ظهرت غُرَّةً بمُحياه . فهو أُفقٌ قدحوَى نجوماً تتشوّق إلى طُلوع بُدُورِها ، وقطرٌ قد اشتمل على أنهارٍ تتشوَّقُ إلى بحرِها ، لتستمدّ منها - إنْ مننتَ بالحضُور ، وإلاَّ فيا خيبة السُّرور :

(وكتب الصاحب اسماعيل بن عبـاد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ)

مجلسُنا يا سيدي مُفتقرٌ اليكَ ، مُعوِّلٌ فى شوقه عليك : ولقدْ تورّدتْ خُدود بنفسجه ، وفتقت فأْرة (٢) نارنجه ، (٣) وانطلقت ألسُنُ الأوْتار ، وقامت خطباء الأطيار ، وهبّتْ رياحُ الأقداح ، ونفقَتْ (٤) سُوق الأنس والافراح . وقد أبتْ راحتُه أن تصفوَ إلاَّ أن تتناولها يمناك ، وأقسم غناؤُه لا طيبَ حتى تعيهُ أُذُناك . وجنات أُترُجّه قد احمرّت خجلاً لابطائك ، وعُيونُ نرجسه قد حدقَتْ (٥) تأميلاً للقائك ، ونحنُ لغيبتك كعقدٍ ذهبتْ واسطتُه ، (٦) وشباب قد أُخذتْ جُدَّته (٧) . واذا غابت شمسُ السّماء عنّا ، فلا أن تدْنُو شمسُ الأرض منّا . فان رأيتَ أن تحضُرَ لتتّصل الواسطة بالعقد ، ونحصُلَ بك فى جنّة الخلد ، فكن الينا أسرعَ من السّهم فى ممرّه ، والماء إلى مقرّه ، لئلاّ يخبُث منْ يومى ما طابَ ، ويعودَ من نومى ما طار

(وكتب أبو بكر الخوارزمي - المتوفى سنة ٣٨٣ هـ)

كتابى : وأنا بما يبلغُني من صالح أخبار (السيد) مُغتبطٌ مسرُور ، وبما يعرفهُ الزمانُ وأهله من اعتضادى (٨) به مصون موفور ، والله على الأُولى محمودٌ ، وعلى الأُخرى مشكور ، التّطفلُ وان كانَ محظوراً فى غير مواطنه ، فانه مباحٌ فى أماكنه ،

---

(١) كلمة تعجب (٢) فجآت المسك (٣) ثمر معرب باربك (٤) راجت (٥) تاقت (٦) الجوهرة التي فى وسطه وهى أجوده (٧) الطريقة (٨) استعانتى

وهو وان كان في بعض الأحوال يجمع عاراً ووزراً، فانه في بعضها يجمع فخراً وذخراً ورُبَّ فعلٍ يُصابُ به وقته فيكونُ سنةً، وهو في غير وقته بدعةٌ، وقد تطفّلت على «السيد» بهذه الأحرف، أخطبُ بها مودّته اليه، وأعرضُ فيها مودّتي عليه وأسأله أنْ يرسم لي في لساني وقلبي رسماً، ويختم عليهما ختماً، فقد جعلتُهما باسمه وقصرتهما على حُكمه، وسأضعهما تحت ختمه، وبرئت اليه منهما، وصرتُ وكيله فيهما، فهما على غيره حمىً (١) لا يُقرب، وبحيرةٌ (٢) لا تُحلبُ، ولا تُركب، ولما نظرتُ الى آثار السيد على الأحرار، ونُشرتْ طِرازُ محاسنه من أيدي القاصدين والزُّوّار، ورأيتُ نفسي غُفْلاً (٣) من سِمَة (٤) مودّته، وعُطْلاً (٥) من جمال عشرته حميتُها من أنْ يحمى عليها وِرْدٌ موْرود، ويُحسَرَ (٦) عنها ظلٌّ على الجميع ممدود، وعجبتُ من: —

سحابٌ خطانى جُوْدُهُ (٧) وهو صَيِّبٌ (٨) وبحرٌ عدانى سَيلهُ وهو مُفعَمُ (٩)
وبدرٌ أضاءَ الأرضَ شرقاً ومغرباً وموْضعُ رجلى منهُ أسودُ مُظلم

«وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ»

مولايَ — أمّا الشوْق إلى رؤيتك فشديدٌ، وسلْ فؤادك عن صديق حميم، (١٠) وودّ صميم، (١١) وخُلّةٍ لا يزيدُها تعاقُبُ الملَوَين (١٢) وتألُّق (١٣) النيّرين (١٤) إلاّ وُثوقاً في العُرى، وإحكاماً في البناء، ونماءً في الغِراس، وتشييداً في الدّعائم (١٥). ولا يظُنّ سيدي أن عدمَ ازدياري (١٦) ساحتهُ الشريفةَ، واجتلائي طلعتهُ

(١) محظور (٢) الشاة التي اذا نتجت عشرة أبطن شقوا اذنها فكانت حراماً عليهم لحمها ولبنها وركوبها (٣) من لا علامة عليه (٤) العلامة (٥) من لا حلى عليها (٦) يكشف (٧) المطر الشديد (٨) ذو المطر (٩) المتلىء (١٠) القريب الذي يهتم لا مره (١١) الخالص (١٢) الليل والنهار (١٣) اللمعان (١٤) الشمس والقمر (١٥) الاركان (١٦) زيارتي

المُنيفةَ ، لتقاعُس (١) أو تقصير ، فانَّ لى فى ذلك معذرةً اقتضت التأخيرَ . والسيد (أطال الله بقاءَه) أجدرُ (٢) من قَبلَ معذِرةَ صديقه وأغضى عن رَيثٍ (٣) استدعته الضرُورة .

(وبعدُ) فرجائي من مقامكم السَّامي، أن لا تكونَ معذرَتي هذه عائقًا لكم عن زيارتى ، فَلَكُمْ مِنَّا طوَّقْتمُونيها ، ولَكُم فيها فضلُ البُدَاءَة ! وعلىَّ دوامُ الشُّكران. والسلام.

« وكتب المرحوم محمد بك دياب المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ »

كتابى اليك : وقد طال بىَ الانتظار ، وشوقي يجلُّ عن الكيف والانحصار فشخصُكَ دائمُ المثول (٤) أمام إنسانى ، (٥) وعن سِوَاك من الأخِلاَّء ألهانى وأنسانى . فلله أيّامٌ قضيناها ، وليالٍ من الدّهرِ اختلسناها ، (٦) كان السرُور فيها ضاربًا خيامَه ، والأُنسُ ناشرًا أعلامَه ـ طُوِيَ بِساطُها، وكأنّ الأمر ما كانَ غيرَ أنها زَرَعَتْ بفؤادي شجرةَ الاشجان (٧)، لكنْ عودَها حليفُ أوْبتك، (٨) وتجدُّدها رَهينُ إشارتك . فمتى يقرُبُ المَزارُ ، وتنجلى سُحبُ الأكْدارِ ؟ فاضربْ لعَوْدكَ أجلاً ، فالعَوْدُ لا شك أحمدُ ، واكتُبْ بقُرْبك وصلاً فالوَصلُ أضمنُ للعهد ، وعهدي من خُلقك الوَفاء ، وحُسنُ الولاءِ ، فلا تجعل صَفْقةَ (٩) شوقي إليك خُسراً ، بل هَبنى بعد العسر يسراً .

« وكتب وفا افندي محمد المتوفى سنة ١٣١٩ هـ »

أمّا بعدَ سلامي عليك، فهذا كتابى اليكَ ، يُنبئُك (١٠) عنّي وعن شوْقي وعن وُدّي (١١) ولا أزيدك علماً أنّي ما كتبتهُ من دَواة ، ولا أجريتُ عليه

(١) التأخير (٢) احق (٣) البطء (٤) القيام منتصبا (٥) انسان عيني وهو ما يري في السواد (٦) انتهزنا فرصتها (٧) الاحزان (٨) رجوعك (٩) أصلها لعقد البيع (١٠) يخبرك (١١) بتثليث فائه

قلماً، ولكنها دُموعٌ وَشوْقٌ سالتْ على القرطاس، وَجرَتْ على حركات الخوَاطر والأنفاس، وَهبَّتْ عليه حَرارةُ كبدي بالأشوَاقِ. وَوجدي بالفِرَاق. فبينما هي عقيقةٌ حمرَاء، إذْ صَارَتْ فَحمْةً سوْداءَ! ألاَ وَإنَّ كتابي هُوَ قلبي وَلساني أَمَا تَرَاهُ على رِقّتِه، وَلُطفِ عبارَته، وصدْق طويّته، بين يديك مُقبِلاً عليكَ؟ ينْشرُهُ الشوقُ ويطويه، لا يُخفي أمراً، ولا يَكْتمُ عَنك سراً، وتلك صفاتُ لساني وقلبي معك. فما الذي ابتغيه بَعدُ؟! وقد بعثتُ اليَك بالاَصغرَين! (١) وما أنا إلاَّ بهذين! نعم أرجو بقَاك، ممتّعاً بنعماك، لأَكونَ على الدَّوَام محلَّ نظرك والسَّلاَم

(وكتب مؤلف هذا الكتاب)

كتابي لديك، يصفُ شوقي إليك، ولا يخفى عليك، فمُذْ فارقْتني فرَّقت بينَ أنسي ونفسي، بلْ بينَ رُوحي وجسمي، وَلا تعجَب إذا كنتُ أغدو وَأرُوح فالطيرُ يَمشي منَ الألَم وهوَ مذبوح. وإنِّي أشكو إليكَ منْ ألم الوحشةِ غراماً لا يشعُر به إلا من ذاقَ حُلوَ أنسك، وَعرِفَ مقدارَ نفسكَ، وَشاهَدَ جمال لُطفِك ورَأى كمالَ أدبك وظَرْفك، وَلقد أوْدع الله في شخصك نوراً لعيني، وفي حديثك سُرُوراً لفؤادي، وفي صفاتك ترْويحاً لرُوْحي، وَفي كَرِم خُلقِكَ تفريحاً لنفسي.

إذا وَصَفَ النَّاسُ أشوَاقَهُمْ فَشَوْقِي لوجهكَ لاَ يُوصفُ

فعندي لكَ منَ المحبّةِ والشَّوْق، وَالتّلهّفِ وَالتَّوقْ، مالاَ يَصفهُ الواصِفون وَلا يُعبِّر عن حَقيقَته العارفُون

ألشوْق فَوْقَ الَّذِي أشكُو إليْكَ وَهلْ تَخفي عَلَيْكَ صَبابَاتِي وَأشْوَاقِي؟!

(١) القلب واللسان

فيا شوْقي إلى لُقْياك ! وَالهفي عَلى جَمال مُحيّاك ! قَيَّدْتَ أملي عَن سِوَاك وبهرْت ناظري بنظرة سَناك ، وكسرْتَ جيش قراري ، وتركتني لا أُفَرِّقُ بَينَ ليلي ونَهاري !

فؤادي والهوَى سِلْمٌ وحربُ وسُلْوَانى أقامَ على الحِيادَه
وَشوقى كاملٌ ما فيه نقصٌ فَلسْتُ عليْهِ أطْمعُ فى الزِّيادَه

فليت شعري ! ماذا أصنعُ فى شوْقٍ أنا مدفوعٌ اليهِ من صادق حُبّي ، بعوامل صادفتْ منّي قلباً خالياً ، فتمكّنت بالتّعارف ، ولم تدَع للسّلوَان سَبيلا ؟!

عرِفتُ هواه قَبلَ أنْ أعْرِفَ الهوي فصادَفَ قلباً خالياً فتمكّنا

إي وربى : إنّ شوقى إليك شوْقُ الظمآن إلى بَرْد الشّراب ، وحنيني لك حنينُ الشّيخ الى زَمن الشّباب ، فما الابلُ وقد حنّتْ إلى أعطانها ، والغرباء وقد أنّتْ إلى أوْطانها ، بأعظمَ منّي حنيناً ، ولاَ أكثرَ أنيناً ،

ولكنَّ التفرّق طال حتّي توقّدَ فى الضّلُوع لهُ حريق

فكُلّما تخطُرُ ببالى ، فى أىّ وَقتٍ من الأوقات ، يمثّلُ لى التذكّرُ منك محاسنَ ولطائفَ ، تجذبني ميلا اليك ، وتُطربنى شغفاً بك واغتباطاً بإخائك ، فلا عجب أن كان شوْقي لرُؤيتك عظيماً ، لانه كما قيل « من كرَم الرّجل حنينهُ إلى أوطانه ، وشوقهُ إلى إخوانه »

ياخلاَصَ الأسير ياصحةَ المُد نَف يا زَوْرَةً على غيرِ وعد
يا نَجاةَ الغَريق يا فرْحةَ الأَو بة يا قَفْلةً أتتْ بَعد بُعد
إرْضَ عنّي فَدتْكَ نفسى إنى لك عبد أذلُّ من كلّ عبد

ناشدتُكَ الله أن ترفُقَ بحالى ، وتُعيدَ وصالى ، وأرْعَ الودّ القديمَ ، وأبدلْ شقاءَ محبّك بالنعيم . وأغمد سيف ظُلمك المسلولَ ، وأوْفِ بالعَهْدِ إنّ العهد كانَ مَسْئُولا .

(الفصل الثاني في التعارف قبل اللقاء)

« كتب أبو منصور الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

نحنُ في الظاهرِ على افتراق ، وفي الباطن على تلاق ، نحن نتناجَى بالضمائر ونتخاطبُ بالسرائر . إذا حَصَلَ القُرْبُ بالإخلاص ، لم يضُر البُعد بالاشخاص أنا أُناجيكَ بخواطرِ قلبي ، وان كان قد غاب شخصُك عني ، إنْ أخطأتْكَ يدي بالمكاتبة ، ناجاك سرّي بالمُواصلة ، رُبّ غائبٍ بشخصه ، حاضرٌ بخلوصِ نفسه إن تراخى اللقاء ، فاننا نتلاقى على البعاد ، ونتلاقى[1] نظر العين بالفؤاد .

(وكتب أيضاً)

أنا أشتاقك كما تُشتاق الجنان ، وإن لم تتقدّم لها العينان . أنا وإن كنت ممّن لا يَسعدُ بلقائك ، فقد اشتَمل عليّ الانسُ ببقائك ، والشوق الى محاسنك التي سارت أخبارها ، ولاحت آثارُها ، لا زالت الأيامُ تكشف لي من فضلك ، والاخبار تعرض عليّ من عقلك ، ما يُشوّقني إليك ، وإن لم أرَك ، ويزيدني رغبةً في ودّك وقد سمعتُ خبرَك .

(وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ)

كما أن شَغَفَ[2] الجَنانِ[3] بالحُسن والاحسان ، تكونُ داعيتَهُ المُشاهدة وتسريحَ الأنظار ، في مُحيّا الكمال ، ومُجتلى الجمال ، فَتري العينُ من تلك الغرّة ، ما يملؤها قرّةً ، فكذلك السماع يَستدعي هذا الشَّغَفَ ، فيتأثرُ الفؤادُ بما يُشنّفُ[4] الأُذُنَ ، مما تهديه إليه طَرائفُ[5] الأخبار ، حتى كأنّ حاستي السّمع والبصر

---

(١) تتدارك (٢) دخول الحب في غلاف القلب (٣) القلب (٤) يزين (٥) المستملحة

فى ذلك صِنْوان،(١) بل أخَوَانِ فى هيكل هذا الجُثْمانِ .(٢)

وقد يعلمُ السيدُ (أطال اللهُ بقاءه وأدام ارتقاءهُ) أنّ ذلكَ الأمرَ (أي الشَّغَف بالسّماع) ليس بالحديث العهد ، ولا القريبِ الجُدة(٣) . بل هو أمرٌ عُرِفَ قديماً أن يهدي السّماع الى سُويداءِ القلب لاعجَ(٤) الحبّ، سَعّرَه(٥) من الأنباءِ(٦) عَرْفٌ(٧) شميم(٨) فتهيمُ(٩) بمجرَّد استنشاق ذلك الشّميم(١٠) حتي يقولَ الشّاعرُ العربى « وَالأُذْنُ تَعشقُ قَبلَ العَيْنِ أحياناً »

أجلْ!(١١) والقُدْوَة فى هذا المعنى ، والأُسُّ(١٢) لذلك المَبْنَى ، قوْلهُ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ : « إنّي لأَشمُّ نفسَ(١٣) الرّحمن مِن قِبَل اليمَن » لمَا أمْلَته العناية الرّبانيّة ، والمَلكُ الرَّوحانى ، على قلبهِ الشّريف من نبأ(١٤) القَرنى(١٥) أُوَيس(١٦) ولم يكن رآهُ بعدُ .

ألا : وان محاسن السّيد الأَجل ، لمّا سارت بها الركبان ، وأثنى عليها كلّ لسان ما بين أخلاق أبهَي من الرّوض النّضير،(١٧) وأعرَاق أشْهى من عُذَيب العمير(١٨) قد احتلَّتْ من فؤَادي (لاَ أقُول منزلاً رَحيباً وَلاَ وادِياً خصيباً) بل منزلة شمّاء،(١٩) وَدارةً(٢٠) علْياء ، وأوّجاً(٢١) بطوالعها السّعيدة يُسعد ، ويلوح بها من ذِكرَاه كلّ حين فَرْقد(٢٢) فلم أنشَبْ(٢٣) أنْ قدّمت كتابى هذا لموْلاي بين يدي اللّقاءِ علّه أن يسمحَ بهِ الزّمانُ ، وتُسفر(٢٤) عنهُ اللّيالى وَالأَيَّام ، ليُتاح(٢٥) لى رِيّ

(١) هما فرعا النخلة (٢) بالثاء وبالسين الجسم (٣) الحظوة (٤) المتردد (٥) أوقده (٦) الاخبار (٧) الريح الطيبة (٨) مشموم (٩) تذهب (١٠) المرتفع (١١) حرف جواب مثل نعم (١٢) الاصل (١٣) كناية عن الوحي (١٤) الخبر (١٥) نسبة الى قرن قبيلة (١٦) هو سيد التابعين أويس بن عامر قتل في واقعة صفين مع على كرم الله وجهه وخبره قوله صلي الله عليه وسلم يأتيكم أويس بن عامر مع اعداد اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرىء منه الا موضع درهم وله والدة هو بها بار ولو أقسم على الله لابره (١٧) الحسن (١٨) الماء الزاكي (١٩) مرتفعة (٢٠) دارا (٢١) علوا (٢٢) النجم (٢٣) لم ازل (٢٤) تكشف (٢٥) يعطي

الفؤاد، بما أرْويه من حديث زَيد الخيل، الذي سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير، وقال له « ماوُصف لى أحدٌ فرأيته إلاّ وجدته دونَ ماوُصف لى سوَاك وان فيك خَصْلتين يُحبُّهما الله : « الحلم والاناءة » مقتدياً بالإمام (محمود جارِ الله) فى تقديم هذا الحديث الشريف، على ما أنشده ايّاه (الشريفُ بن الشّجريّ) أوّل ما لقيه، وكانا قد تحابّا بالسّماع

كانت مُساءلةُ الرُّكبان تُخبرُنا ... عن جابر بن رَباحٍ أطيبَ الخبرِ
حتى اجتمعنَا فلاَ وَاللهِ مَاسمِعت ... أُذْنى بأحسنَ مما قد رأي بَصرِي

(وكتب حفنى بك ناصف المتوفى سنة ١٩١٩ ـ م)

يعلم الله ما عندي من الشّوق إلى لقاء السيّد: وإن لم يرَهُ البَصَر، والشوق الى شهوده: وإن لم يكتحِل بإثْمِدِ [١] محاسنه النّظر، والشّغفُ بسماع الحديث منه، كما سمعتهُ عنه، فقد سبقَتْ ذكري محاسنه إلى السّمع، ووصل خبرُ لطائفه إلى النفس (وما المرءُ إلاّ ذِكرهُ وماَثرُهُ) وحسدَت العينُ عليه الأُذنَ وَودّتْ لو أنها السابقةُ إلى اجتلاءِ رقائقه، وشهود حقائقه. (فللعيْن عشقٌ مثلُ ما يَعشَقُ السّمعُ)

لاَ جَرَمَ أن مَا تعارَفَ من الأرواح ائتلَف، وَما تناكَرَ منها كما قيل اختلَف. ونحنُ وإن بَعُدَتْ بيننا الشُّقةُ [٢] ولم يسْبق لنا باللّقاءِ عهدٌ، فلُحمةُ [٣] الأدب تجمعُنا، ووحدةُ الوجهة تضمُّنا. وَلُحمة الأدب أقْوَي، منْ لُحمة النَّسب، وجامعةُ الوجهة فوق اجتماع الوُجُوه، وقد رأيتُ أن أزْدَلف [٤] إليك بالمكاتبة، وأتوسّل إلى شرَف التعرُّف بالمُراسلة، حتى إذ لم يبق فى الصبرِ علي الافتراق مسكةٌ، [٥] ولبي الجسم دَعوةَ الرّوح، فاندفعَ إلى طلب

(١) كحل بالحجاز (٢) بالضم والكسر الناحية (٣) قرابته (٤) أتقرب (٥) قوة ولا عقل

لاجتماع ، أكونُ قدْ مهّدْتُ لهُ سبيلا ، ووطّأت (١) لهُ طريقًا ، فلا تبهرُنى (٢) رحة اللُّقيا ، ولا يغرُّنى (٣) طَرَبُ الظَّفَر « فمِن فَرح النَّفس ما يقتلُ ، ومِن شوَةِ (٤) الرَّاح (٥) ما يُزْهِقُ الأرواح ».

فإن رأيَ السيّدُ أنْ يكاتبَ عبدَه ، ويُعتقهُ من رقّ الفرقة ، عجّل بجواب هذا الكتاب ، ليعلم العبدُ أن نميقَتَهُ صادفتْ (٦) قبولًا ، وأن وسيلتَهُ اتخذتْ إلى سيّده سبيلا ، قرّب اللهُ زمنَ اللقا ، وقصّرَ أمد النوى ، (٧) حتى أنشدَ فى الختام :

تطابقَ الخبرُ فى عليائكَ والخبرُ وصدّقَ السمعَ فِى أوصافِكَ البَصَرُ

(وكتب احمد افندي سمير المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ)

يعلم سيّدي أنّ المودّةَ لا تُباع ولا تشرَي ، وإنما هي نتيجة الاجتماع والتّعارُف ، وقدْ خُلقَ الانسان مضطرًّا اليهما ، لان انتظام العُمران عليهما موقوفٌ ، ولهذا : شهد العيان بأنّ المفردَ بأعماله ، المستبدّ بآرائه ، عُرضةٌ للخطأ ، مَظنّةٌ لعدَم الثقة ، بخلاف ما إذا كان الاشتراكُ فى الفكر قاعدةً للعمل فلا بدّ أنّ الصواب يتمحّضُ منه ، لضعْف التفرُّد وقوّة الاجتماع ، إذْ لا جَرَمَ أن المرءَ كما قيلَ : « قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه »

وقد سمعتُ عن السيّد : وقرأت من آثاره المأثورة ما حبّبهُ إلىّ ، وشاقني للتعرُّف به ، لنشترك فى منفعةِ تبادُل الافكار ، فاني لا أكتفي بمجرّد السّماع ولا أقولُ : « إنّ الأُذُنَ تعشقُ قبل العين » فانما هى جارحةٌ صغيرةٌ ـ ولكن كلّى ميالٌ إليه ، محبٌّ لاستجلاء مَرآهُ ، عالمٌ أنى إذا دخلتُ إلى مودّته من باب التلاقي ، لا أجد دهرى

(١) بالتخفيف والتشديد هيأت (٢) لا تغلبني (٣) لا يعلوني (٤) بفتح النون وكسرها السكر (٥) الخمر (٦) وجدت (٧) البعد

يُقرّب منّي كلّ شخصٍ كرهتهُ ويُبعِدُ عَنّي مَنْ إليهِ أميلُ

فإن لم يتيسّر أن يرَاني أو أراهُ ، فليسعدْني ببضعة أسطرٍ تضمنُ لي رضاه، عن هذه المعرفة التَّرسَّليَّة . لنتَرَاءَي بأعيُنِ الطُّروس، (١) قبل أعيُن الرُّؤُوس ونتجاذَبَ أحاديثَ المرَاسلة ، إن عزّت المقابَلة ، وقد وَقفت عليه خالص وُدّى واختَرتُهُ من بين رجال العصر ، سعياً لكسب المعالي بمعرفته . فكلُّ ٱمرىءٍ بما كَسبَ رَهين ، (٢) وأنْ لَيْسَ لِلإِنسانِ إلاَّ ما سعَى .

عن المرءِ لا تسألْ وسلْ عن قَرينه فكلُّ قرينٍ بالمُقارن يَقتدي

(وكتب الشيخ أحمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ)

لم أكن فيما أكتبهُ لك إلاّ سارياً فى ليل التَّعارف على ضياء خِلالك، (٣) التَّى أملاها عليّ لسانُ المدح ، الذى شرّق وغرّب ، وطبّقَ الأَرضَ صيتُه . وإنّي وإن لم أكُنْ أسْعِدْتُ من قبلُ باجتلاء طلعتك الزَّاهِرةِ ، وٱجتناءِ مُفاكهتِك الغضّةِ ، (٤) فقد دلّنى على اللّيث زئيرهُ ، (٥) وعلي البحر خَريرهُ ، (٦) وعلى العقل أثرُهُ ، وعلى السيّف أثرُهُ . (٧) ولَئن لم تجْمعْنا لُحمةُ (٨) النّسب، فقد جمعتنا حِرْفَةُ الأَدب، أوْ لم يضمنّا قبلُ مصيفٌ وَمرْتبعٌ ، فٱلطُّيورُ علي أشكالها تَقعُ وَشبهُ الشيءِ مُنجذِبٌ إليه ، وأخو الفضائلِ هو المُعوّلُ عليه .

وهذه الرُّقعة وإن وَصفَت لك بَعضَ ما أنا مَطوِىٌّ عليه من التهافُت على رُؤْيتك ، وَالمَيل إلى صداقتك ، فَقَلما تنوُب عن المشافهة ، أوْ تقضى حاجاتٍ فى النفْس طالما تردّد صداها . وفى ظنّي أن (سيّدي) يودُّ ما أوَدُّهُ . وَعمّا قليل يُسفر صبحُ اللّقاءِ ، ونتجاذَبُ أهدابَ ٱلمعرفةِ ، وأري من (سيّدي) فوْقَ ما توَسّمتهُ

(١) الصحائف (٢) مرهون (٣) مصادقتك واخائك (٤) اللينة (٥) صوته (٦) صوته (٧) جوهره (٨) القرابة

وسمعتهُ ، ويرَي منّى ما يُرْضيه والسلام

(وكتب الشيخ طه محمود المتوفّى سنة ١٣٢٥ هـ)

أيها (السيد) العزيز الجناب : الغزير الآداب

قد علمت (ولا أزيدك علماً ، زَادك الله ولا نقصك) أن الانسان كما اشتقَّ اسمهُ من الأنس، كذلك جُبل عليه مسمّاهُ . وَأنّ المجتمعَ الإنساني عقدٌ يتحلّى به صدر الزّمان ، نظامهُ التّآلف، وَوساطته[1] التّعارُف . فهذانِ الأمرَان هما قطبُ المدَار فى هذه الدّار، لهذا العالَم، من لدُن آدم . وليس إلاَّ بهما يحسنُ الحال وينْعَم البال . وتدُرّ ضرُوع المنافع ، وتَتفجّرُ عُيون الفوائد . وَمن ثمّ كان أوفر الناس حظًّا من مَغْنمِ الإنسانية ، من يألف ويُؤلف ، ولا خير فيمن لا ـ ولاَ . وناهيكَ بخلق امتنَّ اللهُ به على عِبادهِ ! إذ قال عزَّ مِن قائل : « وَجَعَلْنا كُمُ شعُوبًا وقَبائلَ لِتَعارَفُوا »

ذلك ـ (أيّها السيدُ) هوَ الذي بعثني أن أكتبَ اليكَ، أستفتحُ باب موَدّتكَ بمفتاح الترسل، وَأستصبحُ فى سبيل صُحبتِكَ بمصباح التَّوسُّل، لا أبالِى بما يُنسبُ الىّ ، ويُنتقَمُ علىّ ، ممَّن عسى أن يقول: مالك ولهذا الفضول! وكيف تتطفل على مأدُبة أدبية لم تُدْعَ اليها!! وهل هذا منكَ الا أشبه بالتبرُّج[2] لغير خاطب ؟

أيها المنتقدُ . هوّن عليك ما تجد . فلوْ علمتَ أن ظلَّ الآداب شامل، وَدعوةَ الموَدَّة الجفلى[3] لا يذادُ[4] عنها وَاغلٌ ، [5] لأسرَعت معى الى الوُغول ، [6] ولم تر فى التّودُّد الى أهل الفضل من فُضول . وأيَّ عيبٍ على النكرة فى التّحلّي بحلية المعرفة ؟ ومُصاحبة الأعلام ؟ ! أمَا سِمعتَ قوْل القائل

(١) الجوهرة التي فى وسط العقد وهي أجوده (٢) اظهار المرأة زينتها للرجال (٣) العامة للجماعة (٤) لا يطرد (٥) المتطفل (٦) التطفل

بصُحبَتِكَ الكرَامَ تُعدُّ منهم وتأمنُ من مُلمّاتِ الزَّمانِ !

وكيف أضعُ نفسي بحيث يقول الأَوَّل :

دَعِ المكارمَ لا ترْحلْ لِبُغْيتِها[1] واقعدفإِنَّكَ أنْتَ الطّاعمُ الكاسي !

وشتَّان ما بينَ الرّجُلَيْنِ : رَجلٌ يهوي المكارمَ وبنيها ، ويبتغي المناقِبَ وذَويها ، ويقِفُ نفسهُ على مسألة يعلمها ، وَفضيلةٍ يتحلّى بها. وآخرَ يبذلُ وَجهه المصون ، فى ملء الحقَائبِ[2] والبُطونِ !

هذا : وقد رجوتُ أن أكُونَ الرّجلَ الأَولَ بصُحبتك « أيُّها السيد » فكم روي لنا من أحاديثِ فضائلك الصِّحاح ، وتلى علينا من آيات فضائلك الحِسان ، ما[3] أشخَصَ اليك القلوبَ قبل قوالبها ، وَأوْفدَ عليك الأَرْوَاحَ قبلَ أشباحها ، وأعجَلنى أن أكتُبَ اليك بهذا الرَّقيم ، ألتمسُ بالتعرُّفِ الى جنابكَ الكريم ، ماالْتمس الكليمُ منْ صحبة ذي الوجه النّضْر ،[4] أبى العبّاس الخِضْر. وانّي وإن كنتُ والحمدُ للهِ ممّنْ آمنُوا بالغيب ، وليس عندي فى صِدق هذه الآياتِ مِرْية[5] ولاريب ، بَيدَ[6] أن للصُّحبة فضلاً لا يُنكر ، وللمُؤَاخاة مزيةً لا يتماري[7] فيها اثنان .

فاذا ورد على السيد كتابى هذا : وانشرَح صدره (شرَح اللهُ صدرَه) الى إجابة سؤْلى ، وارْتاحتْ نفسهُ الى اصطناعى ، كتب الى عبده بما يكون آيةً جليّةً على ارْتياحه ، لتحقيق هذه الأَمنيّة.

حتّي أقُولَ لوجْه آمالى ابتهجْ لأُوَلّينَّك قِبلةً ترْضاها

---

(١) بكسر الباء الطلب وبضمها الحاجة (٢) الزكايب (٣) ما فاعل روي (٤) لحسن (٥) شك (٦) غير (٧) لا يختلف

(وكتب المرحوم محمود بك أبو النصر المتوفى سنة ١٩٣٠ م)

إنسانَ العين، وعينَ الانسان

ألمودّةُ (وصلَ اللهُ بأجفان الأشواق أهدابَها ، وفتحَ لنا أبوابها) أمرٌ عزيزُ المُرتقي، على منْ يَصطفي صديقَه ، ويَرعى حقوقَهُ . وإنّي اصطفيتُك على الناس برسالتي هذه ، وعهدي بكَرَم سَجاياكَ أن تُصافحها براحة القبول ، وتتّخذَها فاتحةَ وُدٍّ طارَت به اليك رياحُ فضلك ، بعد ما مَثّلَتْ آياتهُ لك فى القلوب معنًى ظهرَتْ فى مرآة الأعيُن صورتُه .

فانْ أبيْتَ ودادي غيرُ مكترثٍ فعنكَ مادُمتُ حيًّا لا أري بدلا

وحاشاكَ عن مثل ذلك الإباء، ونحنُ وان لم تَحظَ أشباحنا باللّقاء، فأرْواحنا من قبلُ جنُود ، وأعيننا شُهود ، فإن أنتَ منَحتني ولاءً خالصًا ، وإخاءً صادقًا ، (وإلا فهبني امرأ هالكا) ، ولا إخالُكَ ترْضاه ، وإن كنتُ المتطفّلَ على مائدة مودّتك ، فلي نفسُ أديبٍ لا تري العزَّ إلاَّ فى التّرامي على ذُرا الكمال . لازلتَ على مَرْقى الجلال. والسلام

(وكتب الفاضل السيد محمد البيلاوي)

سيّدي : إنّ مكارمَ الأخلاقِ ومعالىَ الهِمَمِ ممّا تسترقُّ القلوبَ ، وتسرِقُ العقول . وتمتلكُ الأرْواحَ ، وانْ لَمْ تتلاقَ الأشباحُ ، فإنّي مذْ سرَي إلىّ النّسيم بأخلاقكم الغرّاء ، وابتسم لى ثغرُ هذا العصر عن آثاركُم الزّهراء ، وتواترتِ الأخبارُ بحبكم للفضل وأهلهِ ، وارتياحِكُم للعلم وذويه ، وأنا مشغوفُ الفؤاد بالتعرُّف بسيادتكم ، مشغولُ البال بالتوسُّل الى رياض مودّتكم . ولعلي أن للصّداقة حقوقًا ، وللمُصاحبة شُروطًا ، ربما صعبُت على من حاوَلها ، وعزّت على منْ

أرَاد الوفاءَ بها ، كنتُ أري الوَحدة أوْلى .والانفرادَ بى أسلَمَ ، ولكن مازالت تَنمي (١) إلىّ أحاسنُ شمائلكم المشرفةِ ، وتتوَاردُ على مسامعى محاسنُ سيركم المطهّرَة ، فينْمُو الوجد ويزْدَاد الشوْق . « والأُذن تعشقُ قبل العين أحيانًا » وما كنتُ أجدُ سبيلاً للتّعرُّف ولا سبباً للتَّودُّد ، ولا تجسرُ نفسي على المرَاسلة ٱبتداءً ، الى أنْ رأيتُ سيِّدي قد اهتم للأدب فأعلى مَنارَه ، ونظرَ للإنشاء فرفعَ مقدارَه ، ونَصرَ دوْلتهُ وأحيا صَوْلته ، وأعادَ شبابهُ ، وفتحَ لأدباء هذا العصر بابه فعلمتُ أنَّ الدَّهرَ قد سَاعدني ، والفُرْصةَ قد أمْكنَتنى منْ مُصافحة ما أمّلتُ ومُصافاةِ ما أردتُ ، من ٱجتناء ثمار مودّة سيّدي ، والتّعرُّف به والتَّمسُّك بأهداب فضائله ، والتزوّد من آدابه . فانَّ الأدبَ أحسنُ ما يُستصْبحُ بأنوَاره ، (٢) وأشرَف ما يُتسابقُ لٱقتطَاف أثماره (٣) ويُحمدُ التّطفُّل على موائده ، ويُمدَح التّنافس فى ٱلتقاط فوائده . فجعلت طلبَ الانتظام فى سلك أرْباب ٱلاقلام وسيلةً لورُود عذْب وِداده ، وَنمير (٤) التعرُّف به ، فان رَأي سيّدي أن يَعُدّ نفسَ حُرّ فى عِداد معارفه ، ويُقابلَ رسالَتهُ بما اشتهرَ من لطائفه ، حتى يتمتّع بالرُّؤْية الإبصارُ ، كما تمتّعت المسامع بطيبِ الأخبار ، كنتُ مُديمَ الشكر لافضاله ، مُستمر الثّناء على كماله .

(وكتب الشيخ عبد الكريم سلمان المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ)

أما بعدُ ـ فهذه أوّلُ رسالةٍ أكتبُها إلي مَنْ لم تكُنْ لي به جامعة جسميّة ، ولم تضمنى وإياهُ حفلةُ تعارف شخصيّة . وهيَ وإن كانَت فى عُرْف غيري تعدّ هُجُوماً ، أوْ تُحسّ فُضولا ، الاّ أنّي أعتقدُ أنها أوفدَتْ على كريمٍ يُكرم

(١) تزيد (٢) اضوائه (٣) ازهاره (٤) الزاكي

وفادتها ، ويتقبّلُ به ما يهديه اليه من رعيم تحية وجليل اجلال. ويجتلى من خلالها إرادة وُدّ ، ورجاء ولاء ، وبُغية فضل ورغبة فى إخاء . فيُحلّها منهُ محلّ القبول ويدرأ[1] عنها وصمة[2] الفضول . إنّ لسيدى آثاراً شاهدْناها ، فاستفدْناها وماثرَ سمعناها ، فروّيناها أوتناقلناها ، ولا مِرْيَة[3] فى أنّ ماغابَ عنا منها، أكثرُ مماوعيناً، وأوفى مما سمعنا. ونحنُ (واللهُ يعلم) طلابُ كمالٍ ، ومنتجعو[4] إفضالٍ ، ورُوّاد[5] ماخصب من فيحاء العلوم . وقد توسمْنا[6] فى السيّد (أطالَ اللهُ بقاه) طِلْبَتنا . ووجدنا لديه ضالتنا . فحثثنا إلى رحابه مطيّةَ المكاتبة ولنا أملٌ كبيرٌ فى نوال المأمول. لعلّهُ يجنحُ[7] الى مُقابلة المثل بالمثْل . فيكتب لأخيه بعضَ كُليمات ، يعرفُ منها أنهُ قبلَ الإخاء . ومال إلى مقتضى طبعهِ من الوفاء . ولا أظنُّ ذلك إلا وقد كان فى أقرب مايكون من الزمان . فانّ الأرواح ماتعارف منها ائتلف . كمابرهنَ الأصحاب فى معاشراتهم خلفاً عن سلف

(وكتب مؤلف هذا الكتاب)

لقدْ سمعْنا بأوصافٍ لكم كَمُلَتْ فَسرّنا ماسمعْناهُ وأحيانا
من قبل رُؤْيتكم نِلنا محبّتكُم والأذْنُ تعشَقُ قبلَ العين أحيانا

سيدى ومولاي

لقدْ بلغني عنك فى وفائك وفضلك . مايدعونى لخطب ودك ، ويُرغّبنى فى إخائك . ويُحببنى فى التوسّلِ إلى معرفة جنابك . وإن لم تجْمعنا جامعةٌ شخصيّة ، ولم تضمّنا حفلة تعارف ذاتية . الا أنّ أحاديث فضائلك الصّحاح ، أوّفدت عليك الأرْواح قبل الأشباح . والولاء والإخلاص ، قبل الأجسام والأشخاص. ولا

(١) يدفع (٢) العار (٣) بضم الميم وكسرها الشك (٤) طالبو معروف (٥) طالبون له (٦) تفرسنا (٧) بتثليث النون يميل

غرابةَ فى ذلك. فانَّ من سُنةِ اللهِ فى خلقهِ: أن يُؤلّف بينَ الأرواحِ وأمثالها. وانَّ لله ملائكة، يسوقونَ الاشكالَ إلى أشكالها، وشِبهُ الشيء مُنجذبٌ اليهِ. وأخو الفضائل هو المعوَّل عليه.

إنَّ القلوب لأجنادٌ مُجندَّةٌ لله فى الأرض بالأهواء تعترفُ
فما تعارَفَ منها فهوَ مُؤتلفٌ وما تناكرَ منها فهوَ مُختلفُ

فلذا اصطفيتك لنفسى. واخترتك لمودَّتى وأُنسى. نَتناجَى بالضَّمائر، ونتخاطب بالسَّرائر، وإنْ بَعُدْنا فى الظاهر، فرُبَّ غائبٍ بنفسه، حاضرٌ بخلوص نفسه

فانْ أبَنْتَ ودادي غيرُ مكترثٍ فعنكَ ما دُمت حيًّا لا أرى بدلا

وحاشاك عن مثل هذا الإباء، والهجرِ والجفاءِ

لكلّ امرئٍ شكلٌ من الناسِ مثله وكلّ امرىءٍ يهوَي الي مَن يشاكله

ناشدتك الله أن تقبلَ منّي الإخاءَ، وتضمن لى الوفاءَ. وأنا أرْضى بك من الدُّنيا نصيباً، وأختارك من العالمين حبيباً

(الفصل الثالث فى رسائل الهدايا)

« كتب سعيد بن حميد المتوفى سنة ١٠٥ هـ يوم النيروز الى بعض أهل السلطان »

أيُّها السيد الشريف

عِشت أطوَل الأعمار بزيادة منَ العمر، موصُولةٍ بفرائضها منَ الشكر. لا ينقضى حقُّ نعمةٍ حتَّي يجدّدَ لك أُخرى. ولا يمُر بك يوم الا كان مُقصّراً عمّا بعدهُ، موفياً عمَّا قبله

انى تصفحتُ أحوال الأتباع الذين يجبُ عليهم الهدايا الي السادة. والتمست التَّاسّي بهم فى الاهداء (وان قصَّرتْ بى الحالُ عن الواجب) فوجدتُ أنى :

انْ أهديتُ نفسي فهي مِلْكٌ لك ، لاَحظّ فيها لغيرك . ورميت بطَرْفى إلى كرائم مالي، فوجدتها منك . فان كنتُ أهديتُ منها شيئاً ، فإنّي لَمهد مالك اليك. ونزَعتُ الى مَوَدّتى فوَجدْتها خالصةً لك ، قديمةً غيرَ مُستحدَثة. فرأيتُ: إن جعلتُها هديّتي ، أنّى لم أجدّد لهذا اليوم الجديد برًّا ولاَ لُطفاً . ولم أميّز منزلةً من شكري بمنزلة من نعمتك ، إلاّ كان الشّكر مُقصّراً عن الحقّ ، والنّعمة زائدة على ما تبلُغه الطّاقة . فجعلتُ الاعترافَ بالتقصير عن حقّك ، هديةً اليك ، والاقرار بالتقصير عمّا يجبُ لك ، برًّا أتوسّل به اليك . وقُلْتُ فى ذلك:

إن أَهد مالاً فهو واهبُه وهوَ الحقيقُ عليه بالشكرِ
أوْ أُهد شكري فهو مُرْتهنٌ بجميل فعلك آخرَ الدهر
والشمس تستغني اذا طلعت أنْ تستضيءَ بِسُنّة (١) الدّهر

(وكتب حفني بك ناصف المتوفّى سنة ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩م)

أهديّة فى نظر الأَصياء جليلةٌ ، وإن كانت فى نفسها قليلةٌ . ومكانتها خطيرةٌ ، وان كانت يسيرةً . وسنةٌ حسنةٌ ، اجتمعت على فضلها الألسنة

مضَت الدّهورُ وأمرُها مُستحسَنٌ وتعاقبتْ بمديحها الأَيّام

أللّهمّ الا إنْ لَبستْ جلبابَ (٢) الرّياء . وَوَلجَتْ (٣) أبوَاب الارْتشاء ولا مِرَاءَ (٤) انّ الأُودّاءَ من ذلك بُرَاءٌ

لاَ يبتغُونَ سِوَى الوَفاءِ وَما لهم غير البقاء على الصفَّاء مَرَامُ

وَمازَالت الهديّةُ شعارَ الأَصدقاءِ ، وعُنوَان تذكار الوَلاءِ ، وكم جدّدتْ بين الاصحاب عهود التّحَاب

(١) الوجه (٢) القميص (٣) دخلت (٤) جدال

وتعهّدت وُدًّا فعادَ شتيتهُ ولشَمْلِه بعد البَدَاد[١] نِظَامُ

قد وصلتني يدُ العصا فحبّذا الإهداء، وأهلاً بتلكَ اليدِ البيضاءِ، وليست هذه أوّلُ أياديك عليّ، ولا أكبرُ عارفةٍ جاءَت من ناديك إليّ، أمِنْت بها النُّوَب[٢] واعتضدْت[٣] بها على تفريق شمل الكُرَب.

فاذا طَغا[٤] بحرُ الهموم ضربتُهُ بعصاىَ فاجتازت[٥] به الأقدامُ

تنفلقُ بها من الأيام صخورٌ، فتنبجسُ[٦] منها عيونُ السُّرور. وتَلقفُ ما يصنعُ الأعداء، فتذهبُ بسحر البَغْضاءِ. وإذا اشتدَّ هَجيرُ[٧] الوحشةِ، نشرَتْ ظلال أنسها، أو عصى فرْعَونُ الدَّهرَ، راعنهُ[٨] ببأسها[٩].

فكأنما أوْصى الكليمُ[١٠] لَنا بها حتى يرى آياتِه الأقوامُ

وقد فكّرْتُ ماذا أُقابلُ به طرْفتكَ،[١١] وأتلقّي به تُحفَتكَ، إلى أن هداني الله، أنّ يدَ المُنعم انما تقابَلُ بالافواه، ليُعزَّ القَبولُ بالقَبل، ويؤدي الرّسم باللّثم. فأرسلت اليك فم سِجارة، وجعلته لهذا المعنى اشارَة. وقلت:

مَولاىَ كَمْ فاضتْ يمينُكَ بالنّدَى[١٢] حتى غَدَوْتُ غريقَ بحر الأنعم

والشكرُ أوْجبَ أن أقبّلَ راحَها فكَنيتُ عن هذا بإهداء الفمِ

وقد علمت أن المنظرَ البهيجَ، يتمُّ بالتّذييج،[١٣] فاخترْتُ أن يكونَ مبدوءُهُ كالليل إذا عَسْعَسَ،[١٤] ومُنتهاه كالصبح إذا تنفسَ،[١٥] إيذانًا[١٦] بزوال الشرور بالسُّرور، ورمزاً إلى الخروج من الظُّلماتِ إلى النُّور.

---

(١) التفريق (٢) جمع نائبه مصيبة (٣) استعنت (٤) علا (٥) سلكت (٦) تنفجر (٧) حرها (٨) أزعجته (٩) بشدتها (١٠) سيدنا موسي عليه السلام (١١) احسانك (١٢) العطاء (١٣) التزين (١٤) أقبل بظلامه (١٥) أضاء (١٦) اعلاما

(وكتب المرحوم محمود بك أبو النصر)

يأيها المولى الذى عمّت أياديه الجميلهْ
إقبَلْ هديةَ مَن يَرى فى حقِّك الدنيا قليله

غُرَّةَ وجه السعود ، وقُرَّة عين الوُجود ـ الأمير الجليل

ياجليلَ الفضائل ـ إليك توجّه الآمال . ويا جميلَ الشمائل بساحتك تحطُّ الرّحال . تلك هى الساحة الفيحاء ، (١) والشيمة (٢) الحسناء ، والهمّة العلياء ، واليد البيضاء ، والأعمال التي تُضربُ بها الأمثال . كم من نِعَم أسدَيتها ، (٣) ومكارمَ أوليتها ، وعلوم أحييتها ، فأنتَ المصدرُ والموْردُ ، والمقصدُ والموْعدُ . إليك أقدّم تلك الهديةَ المرضيّة ، وأرفعُ ذلك الكتابَ المستطابَ ، مشفّعاً فى قبوله كرَم سجاياك ، وعِظمَ مزاياك . وانّي وإن كُنتُ أعلمُ أن مقامكَ العلىَّ يجِلُّ عنْ أن يرفعَ اليه مثله ، فقد عرَفناك ، متواضعاً فى علاكَ ، قريباً مع اعتلاك .

دَنوْتَ تواضعاً وعلوْت مَجداً فشأناك انخفاضٌ وارتفاعُ
كذاك الشمس يَبْعُدُ أن تسامى (٤) ويدنو الضّوْءُ منها والشُّعاعُ

وحاشاك أن أُهدىَ للقمرَ نُوراً ، أو للشمس ضياء . أو أبعثَ بِبُنيّة القَطْر (٥) الى ذلك البحر . ولكنني أحببْتُ أن يحظَي بلثْم بنانك ، (٦) وينالَ من كرمك وإحسانك . وقد عهدْناك تهتزّ للمكارم اهتزاز الصّارم (٧) وترتاح لاسداء الجميل كما يرتاح للكرم النَّزيلُ ، وللشفاء العليلُ ـ وما هو إلا من نُور فكرك مقتبَس ، (٨) فعساه يحظى بالقبول ، فأبلُغ غاية المأمول والسلام .

---

(١) الواسعة (٢) الخلق (٣) اعطيتها (٤) تفاخر (٥) المطر (٦) الاصابع (٧) السيف القاطع (٨) مأخوذ

(وكتب الاستاذ عبد الله بك الانصارى المتوفى سنة ١٩٣٢ م)

المولى (أدام الله وجودَهُ ممتّعاً بهدايا الأيّام ، وتحف الأعوام) طالما أوفدَ (١) من الرّفد (٢) الىّ ، ووجّه من الخيرات ما أفعم (٣) يدىّ ، حتّى أصبحتُ (ولهُ الفضل والمنّة) أجرُّ ذيولَ النّعماء ، (٤) على غبرَاء (٥) البأساء (٦) وأجتلى (٧) معارفَ السّراء ، بعوارفه البيضاء ، التى لا يُوازيها ثناءٌ وحمدٌ ، ولا يُوازنها عطاءٌ ورفد ، ولا يُطاولها سماءٌ وبحر ، ولا يغالبها بؤسٌ وفقر . وإن لى من آلاء (٨) السيّد (حفظهُ الله ، وأدام علاه) ، ما أينعَ ، وأزهرَ وأورقَ وأثمرَ حدائقَ قامتْ لشكره عيدانُها ، وسجدت لفضله أغصانُها ، وترنّمتْ طرباً وتمايلتْ عجباً ، بنفحاتٍ هى عَرْفهُ ، (٩) وبركات هى عُرْفهُ . ولى أملٌ فى جنابه (وأنا سليل (١٠) نعمتهِ ، وعهدي بأخلاقه وأنا ابنُ مودّته) أن يَمنَّ بقبول ما أهديتهُ ، وهو من مال نفسه ، وثمرة غرْسه ، (باكورة تُفاحٍ) يرفعُها إجلالٌ وإعظام ، وتصحبُها تحيةٌ وسلام .

(وكتب الشيخ احمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ)

ألهدية (غمرك الله بالمعروف) تبسطُ يد المودّة ، وتدرُّ بها أخلاف (١١) القرب ، وتغرسُ بين المتحابّين من الائتلاف ، بقدر ما تقطع بينهُما من شجر الخلاف . وما أنا فيما أهديه اليك إلا : كمستبضع (١٢) تمراً الى أرض خيبر (١٣) أو كالواهب الماء للبحر ، والضوء للبدر ، والملك لسليمان (١٤) ، والمال لقارون (١٥)

---

(١) ارسل (٢) العطاء والصلة (٣) ملأها (٤) بالفتح النعمة (٥) الارض (٦) الداهية (٧) نظر اليها مجلوة (٨) نعمة (٩) بالفتح الريح الطيبة (١٠) الولد (١١) جمع خلف بالكسر الضرع (١٢) جاءه بضاعة (١٣) موضع بالحجاز (١٤) ابن داود النبي عليهما الصلاة والسلام (١٥) من قوم موسي عليه السلام اعطاه الله من الكنوز مالم يعطه لغيره

والحلم لأحنف، (١) والذكاء لإياس، (٢) والتفسير لابن عباس. (٣) وماذاك الا كتابٌ كما تراهُ ضَرَبَ فى الأحكام بسهمٍ، ووعى من الأحكام ما خلتْ منهُ مفعمات (٤) الأسفار (٥) وموجزات الرسائل. فهو كما قيل: «كل الصيد فى جوف الفرا» (٦)

تزينُ معانيهِ ألفاظهُ وألفاظهُ زائنات المعانى

على أنّى وان تطفلتُ عليك، وسقتُ لك هذا الكتاب مُزْدَلفًا (٧) الى جنابك الرّحب، ومقامك الأسنى - فقد أصبتُ كبدَ الصوّاب، ووضعته حيثُ يعرفهُ أهلوهُ، ويتقبّلهُ منْ باذِله عالموه. علمًا بأنك عمادُ العلوم وأساس الفضائل لا تغادرُ (٨) شاردةً إلا وعيتها، ولا نادرةً الا رويتها. والا

لو كان يُهدَي على قدْري وقَدْركُمُ لكنتُ أُهدِي لكَ الدُّنيا وما فيها

(وكتب مؤلف هذا الكتاب الى أستاذه الحكيم الشيخ محمد عبده)

سيّدي ومولاي، أطالَ اللهُ بقاك، ورفعَ فى الدّارين علاك - الهديّةُ مفتاح بابِ المودّة. وعنوان تذكار المحبة. يتسابقُ اليها كرامُ السّجايا، (٩) ويتسارعُ إلى إحياء شعائرها عُشاقُ المزايا، حِرْصًا على حِفظِ عهود الودادِ والتآلف وإذهابًا لوحشةِ التّقاطُع والتّحالُف

هدايا الناس بعضهمُ لبعضٍ تُولّدُ فى قلوبهمُ الوِصالا

---

(١) هو ابو بحر صخر بن قيس تابعى كبير يضرب به المثل في الحلم توفى سنة ٦٧ هـ (٢) هو ابو واثلة بن معاوية بن مرة المزنى يضرب به المثل فى الذكاء توفى سنة ١٢٢ هـ (٣) هو ابو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمى ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم صحابى يلقب ترجمان القرآن توفى سنة ٦٨ هـ (٤) مملوآت (٥) الكتب (٦) حمار الوحش ومعناه - كل ماعداه دونه. قاله النبي عليه الصلاة والسلام تطميناً لرجل خرج يصطاد مع اصحابه فلم يصب غير الحمار الوحشى (٧) متقربا (٨) لاتترك (٩) لاخلاق

وتزرع فى القلوب هوًى وودًّا وتكسوك المهابة والجلالا

ولقد وجدتك إماماً حكيماً، وفيلسوفاً عليماً، تقدر الأعمال حقَّ قدرها، وتضع الأشياء فى مواضعها، سبّاقاً إلى نشر العلوم والمعارف، فى المشارق والمغارب

يبقى الثناء وتنفد الأموالُ ولكلِّ دهرٍ دولةٌ ورجالُ

ما نالَ محمدةَ الرجال وشكرَهم إلا الصبورُ عليهم المفضالُ

فلذا أهديك كتابى (جواهر الادب — فى أدبيات لغة العرب) جمع فأوعى من الآداب والحكم، ماخلتْ منهُ مفعمات الأسفار [1]. فهو بلاشك ولا مِرا كلُّ الصيدِ فى جوف الفرا .

تزينُ معانيهِ ألفاظُه وألفاظُه زائناتُ المعانى

على أنّي — وإنْ تطفّلتُ عليك، ووضعتُ كتابى هذا بين يديك — فقد ولجت الأمورَ من الأبواب، وأصبتُ كبدَ الصواب، حيثُ يعرف الفضل من الناس ذوُوه. ويتقبّله بقبول حسنٍ عالموه .

شكراً وحمداً إنْ قبلتَ هديّتي وجعلت لى فضلاً على أقرانى

فتنازلك بقبوله يكونُ الإقبالُ عليه جليلاً، ويعجز لسانى عن أن أشكرك شكراً جزيلاً — والسلام

---

(١) الكتب الكبيرة

(الفصل الثالث فى رسائل الهدايا)

(وكتب مؤلف هذا الكتاب الى المرحوم (سعد باشا زغلول) يُهديه كتابه)

« جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء لغة العرب »

مولاى : أطالَ اللهُ بقاءَكَ فى أهنأ عيشةٍ وَأرغدِها . وَأتمّ نعمةٍ وأسعدِها وأعمّ عافيةٍ وأزيدِها . وأولاكَ من الآلاءِ بأمدّها مزيداً ، ومن السلَامةِ بأسبلِها سِتْراً ، ومن السُّرُور بأوفرِه حظا ، وَمنَ العزّ بأشدّه رُكناً ، وَمن العُمْرِ بأبعدِهِ مداً ، تولاكَ المولى بحفظهِ وحِياطته ، وحرَسكَ تحتَ جناحِ السلَامةِ بكلَأته ورعايته .

إنَّ اللهَ تعالى قدْ خصّكَ : بالعِزّ المنيع ، وَالشَّرَفِ الرفيع ، والخُلقِ السَّنيّ والفخرِ البَهيّ ، وَالرَّأيِ وَالحزم ، والبلاغةِ وَالفهْم ، والبَراعةِ والكمال ، والبذْل والنَّوال ، والجود والإفضال ، والحمد والثناء ، والكرم والوفاء ، والمذهبِ الجميل والقَدْرِ الجليل . فأنت (أدامَ اللهُ كرامتَك ، وأكرمَ حياطتَك) مَعْدِنُ الفضائل وَزَينُ المحافل . غياثُ اللاّجيءِ إليك . وَسندُ المُعوّل عليك . لاَ يُجحدُ فضلُكَ ولاَ يُنسي ذِكْرُكَ . عرْفُك شائع . وَجُودُكَ وَاسع . وَمعرُوفكَ ذائع . وفضلك شامل ولُبُّك كامل . سِلْمٌ لأوْليائك ، وحرْبٌ لأعدائك . سَحَائبُ كفيْك تُمطِرُ دِيم الإنعام . وشأيبُ يَديك تفوق أفعال الكرَام . زَادكَ اللهُ أيُّها الرئيسُ عقلاً إلى عقلك . وفخراً إلى فخرِك . وفضلاً إلى فَضلك . وَطوْلاً إلى طَوْلك . وسُؤْدداً إلى سُؤددك . إنّه لطيف كريم

لمَّا رَأيتُك (أدَام اللهُ عُلوّكَ وتأييدَك . وَأجزَلَ من كلّ خيرٍ حظَّك وقسمك) تغني عن التوَسل اليك بكريمِ أخلاَقك . وشَرِيف أعرَاقك . جَعلتُ كَرمك ذَريعتي اليك. لِما دلّنى من فَضلك عليك. وكفى بهِ عن اللبيبِ شاهِداً . وإلى الكريم قائداً . فأطْمعني فيك ما رَأيتُ من جُودِك وَسماحتكَ . وحُسْنِ بِشرِك وطلاَقتك . ولئن أمَّلتك عندَ الشّدَائد ، وَدفعتُ بك صَوْلةَ النوَائب وَرجَوتكَ لكشف الملمّات، والحوادث الطَّارِقات ، وَاسْتغثْتُ بِسَيبكَ وَجدوَاك على غير شَافع، أطمعُ فى شَفاَعته اليك. أوْ مُتوَسّل فى مَالديك. فإنى أقول كما قال الشاعر

من غير مَا سَبب يُدنى كفَي سبباً للحُرّ أنْ يجتَدِى حُرًّا بلاَ سببِ

ولما كانت الوَسيلة إلى السادَات . وأهل الأَخطار والمرُوءات . إنما هي وكيد حُرمة ، أوْ قديمِ خدمة . وكنتُ صِفراً مِن ذلك كُلّه ، غيرَ دَاخل فى جُملة أهله توسّلتُ بكتابى «جواهر الأَدب ـ فى أدبيَّات لُغة العرب» إذ كان المتوَسّل بها على ثِقةٍ مِمَّنْ عَرَف قدرَها . لأَن الآدابَ عِند ذَوي الكرم ، أعطفُ مِن صِلة الرَّحم . وهو سَببٌ بينَ الكِرَام موْصُول ، ينزعون اليه ، وحقٌّ يتعاطفونَ عليه وفيه قال الشاعر

أدَبٌ بَينَنا تولّد منه نسبٌ والأَديبُ صِنْوُ الأَديب

وقال الآخر

حقّ الاديب وإنْ لَمْ يُدْنهِ نَسبٌ فَرْضٌ على كلّ مَنْ أمْسي لهُ أدبُ

وقد ضمنّتُ كتابى هذَا مِن الآدابِ أظرفها ، ومنَ الأَشعار أفضلها وأجملها وجعلتُه سَبباً أُمتُّ به اليك، وَهديّة أضَعُها بَين يدَيك. فتنازُل دَوْلتكم بشرَف القبُول ، يكون غايةَ مطلوبى : ونهايةَ المأمول

(الفصل الرابع فى رسائل الاستعطاف والاعتذار)

(كتب أبو منصور الثعالبى النّيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ)

ألكريم اذا قدرَ غفرَ ، وإذا أوْثقَ أطلق، وَاذا أسرَ أعتَق. قد هربتُ منك إليك، وَاستعنْتُ بعفْوكَ عليك. فأذِقْني حلاوَةَ رضاك عنّي، كما أذقتني مرارَة انتقامك منّي . الحرُّ كريمُ الظفَر . اذا نالَ أقال (١) . واللئيمُ اذا نال استطال (٢) . قد هابكَ مَن استتر . وَلم يُذنب منِ اعتذَر . تكلفُ الاعتذارِ بلا زلّة (٣) . كتكلُّف الدّواءِ بلا علّة . مولاى يوجبُ الصّفحَ عند الزّلّة (٤) كما يلتزم البَذْلُ عند الخلّة (٥) مولاى يُوليني صفيحة (٦) صفحه ، و يُؤتيني العفوَ منْ عفوه . زَللْتُ وقد يزلُّ العالمُ الذى لاَ أساويه . وعثرْتُ وقد يعثر الجوَادُ الذى لاَ اجاريه . لا تُضيقن عنّي سعة خلُقك . وَلا تكدّرنَ علىّ صفوَ ودّك . مالي ذنْبٌ يضيقُ عنهُ عفوُك ولا جُرمٌ يتجافى تجاوُزك وَصفحك : والسلام

« و كتب عبدالله بن معاوية المتوفى سنة ١٣٢ هـ الى أبى مسلم »

من الأسير فى يديه ، بلا ذنب إليه، ولاخلاَف عليه . (أما بعد) فقد أتاك الله حفْظ الوصيةَ . و مَنحكَ نصيحة الرّعية ، وَألهمَك عدْل القضية . فانّكَ مُستودَع الوَدائع، ومولي الصّنائع . فاحفظْ وَدائعكَ، بحسن صنائعك . فالوَدائع عارية، وَالصنائع مرعيّة ، وَما النّعم عليك وَعلينا فيكَ بمزُور ندَاها، ولا بمبلوغ مداها، فنبّه للتفكير قلبك، وَاتّقِ اللهَ ربّك، وأعط من نفسك من هو تحتك، ما تحبُّ أن يعطيك من هو فوقك ـ من العدل والرّأفة ، وَالأمنَ من المخافة . فقد أنعمَ اللهُ عليك، بأن فوّض

(١) ترك (٢) تملك وتمسك (٣) بالفتح السقطة (٤) بالفتح الغلطة (٥) بفتح الخاء الحاجة والفقر (٦) صفيحه ـ عريض . أى عظيم صفحه

أمرنا اليك. فاعرف لنا لين شكر المودّة، واغتفار مسّ الشدّة، والرّضا بما رضيت والقناعة بما هويت. فإنّ علينا من سمك الحديد وثقله أذىً شديداً، مع معالجة الاغلال، وقلّة رحمة العمّال، الذين تسبيلهم الغلظة، وتيسيرهم ألفظاظة، وايرادهم علينا الغموم، وتوجيههم الينا الهموم. زيارتهم الحراسة، وبشارتهم الإياسة! فإليك (بعد الله) نرفع كربة الشكوى، ونشكو شدّة البلوى. فمتى تُملْ الينا طرفاً، وتولنا منك عطفاً تجد عندنا نصحاً صريحاً، وَوداً صحيحاً، لا يضيّع مثلك مثله، ولا ينفي مثلك أهله فارع حرمةَ من أدركتَ بحرمته، واعرف حُجةَ من فلجت بحجّته[1] فانّ النّاس من حوضك رواء. ونحنُ منهُ ظِماءٌ. يمشون فى الأبراد، ونحنُ نحجلُ فى الأقياد بعد الخير والسَّعة، والخفض والدعة، والله المُستعان. وعليه التكلان.

« وكتب بدر الدين محمد بن حبيب الحلبى المتوفى سنة ٧٩٩ هـ »

رفقاً بمَنْ ملك الوَجدُ قيادَه، وعطفاً على من أذابَ الشّوقُ فؤادَه، متيّمٌ[2] أقلقَه فرط صدُودك، ومُغرَمٌ أغراه بحبّك قولُ حسُودك، وسقيم لاشفاءَ لهُ دُونَ مَزارك، ومُقيمٌ على عَهدك ولو طالتْ مُدّةَ نفارك. إلى مَ هذا التّنائي[3] والنُّفور؟! وعلامَ ياذا القدّ العادل تجور؟! لقدْ تضاعف الأسفُ والاسى وتطاولَ التعلّل بعلّ - وعسى.

هبنى تخطيتُ إلى زَلّة ... ولم أكُنْ أذْنبتُ فيما مضي
أليسَ لي من بعدها حرمةٌ؟ ... توجب لي منكَ جميلَ الرّضا!

ولست ألوذ إلاّ بباب نعمك، ولا أعتمد فى محو الإساءة الا على حلمك وكرمك. وماجلّ[4] ذنبٌ يُضافُ إلى صفْحك، ولا عظُم جرمٌ[5] يسند الي عفوك. ومثلك من يقيلُ العَثَرات، ويتجاوز عن الهفوات.

(١) فلج بحجته - أثبتها (٢) مستعبد ذليل (٣) التباعد (٤) ماعظم (٥) ذنب

وكُنت أظنُّ أنَّ جبال رضوَى (١) تزولُ وأنَّ وُدَّكَ لا يزول
ولكنَّ القلوبَ لها انقلابٌ وحالاتُ ابن آدم تستحيل

طالما آنستني بقربك، ودنوتَ منّي مفارقاً ظباءَ سِربك، وأنجزتَ وعودى وأطلعتَ نجومُ سعودي.

وكنتُ إذا ما جئت أدنيت مجلسى ووجهكَ من ماءِ البشاشةِ يقطُرُ
فمن لىَ بالعين التى كنتَ مرَّةً الىَّ بها فى سالف الدَّهر تنظر

قيّدت أملى عن سواك، وبهرتَ ناظرى بنظرة سَناك (٢). وكسرت جيش قرارى، وتركتني لا أفرّقُ بين ليلى ونهارى، أحُومُ حولَ الدّيار، وأعُومُ فى بحر الأفكار، وأتمسك بعِطْفِ عطفك، وأتعلّق بأذيال مكارمك ولُطفك، أما علمتَ أنَّ الكريمَ إذا قدرَ غفرَ؟ وإذا صدرَتْ من عبده زلّةٌ أسبلَ عليها رِداء العفو وسترَ؟ وأنَّ شفيعَ المُذْنب اقرارُه؟ ورفض خطيئته عندَ مولاه استغفارُه؟

ومن كانَ ذا عُذرٍ لديكَ وحُجَّةٍ فعذرىَ إقرارى بأنْ ليسَ لى عذرُ

لهفي على عيش بسُلاف (٣) حديثك سَلف! وأوقاتٍ حلَتْ، ثم خلَت وأورثت التّلف! وآهاً لايّامٍ بطيب أنسك مضَت! وبرُوقِ ليالٍ لولا قُربك ما أومضَتْ (٤)

قد كنتُ أعرِفُ فى الهوَى مقدارَها رَحلَتْ وبالأسف المبرّح عوّضَت
كيف السبيلُ إلى إعادة مثلها وهِيَ التى بالبُعدِ قلبي أمرضَتْ

فجُدْ بالتّدانى، واسمح بنيل الأمانى، وألِنْ قلبك القاسي، وعدْ عن التّنائي والتّناسي، وارعَ الوُدّ القديم، وأبدلْ شقاءَ مُحبّك بالنّعيم، ولا تعدِلْ عن منهاج

(١) جبل بالمدينة (٢) ضوئك (٣) الخمر (٤) مالمعت

المعدلة ، وسلّم فقد أخذت حقها المسئلة ، وأغمد سيف حيف (١) صيّرته مسلولا وأوف بالعهد ان العهد كان مسئولا .

(وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ)

ليس عندى (أعزّك الله) سبب ، ولا أقدر على شفيع ، الا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة ، والتأميل الذى لا يكون الا من نتاج حُسن الظن ، وإثبات الفضل بحال المأمول ، وأرجو أن أكون من الشاكرين ، فتكون خير معتب (٢) وأكون أفضل شاكر . ولعل الله يجعل هذا الأمر سبباً لهذا الانعام ، وهذا الانعام سبباً للإنقطاع اليكم ، والكون تحت أجنحتكم ، (٣) فيكون لا أعظم بركة ولا أنمى بقيّة من ذنب أصبحت فيه ، وبمثلك (جُعلت فداك) عاد الذنب وسيلة والسيّئة حسنة . ومثلك من انقلب به الشر خيراً ، والغرم (٤) غنما (٥) .

من عاقب فقد أحذ حظه ، وانما الأجر فى الآخرة ، وطيب الذكر فى الدنيا ، على قدر الاحتمال ، وتجرّع المرائر . وأرجو أن لا أضيع (وأهلك) فيما بين كرمك وعقلك وما أكثر من يعفو عمن صغر ذنبه ، وعظم حقه . وإنما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ، ضعيف الحرمة ، وان كان العفو العظيم مستطرفاً (٦) من غيركم فهو تلاد (٧) فيكم ، حتى ربما دعا ذلك كثيراً من الناس الى مخالفة أمركم فلا أنتم عن ذلك تكلون ، (٨) ولا على سالف إحسانكم تندمون ، ولا مثلكم الا كمثل عيسى ابن مريم ، حين كان لا يمرّ بملأ من بنى اسرائيل الا أسمعوه شراً ، وأسمعهم خيراً ، فقال له (شمعون الصفا) : ما رأيت كاليوم ! كلما أسمعوك شرا ، أسمعتهم

(١) الجور (٢) مسير بعد اساءة (٣) حمايتكم (٤) ما يلزم اداؤه (٥) الغنيمة
(٦) مستحدثا (٧) المال القديم (٨) تجنبون

خيراً ! فقال : « كلُّ امرىءٍ يُنفقُ مما عندهُ » وليس عندكم إلاَّ الخيرُ ، ولا فى أوْعيتكم الاَّ الرَّحمة . وكلُّ إناءٍ بالَّذي فيه ينضحُ .

(وكتب ابن مكرّم الى بعض الرُّؤساءِ)

نَبَتْ (١) بى غرَّةُ الحدَاثة ، فردَّتني إليك التَّجربة ، وقادتني الضَّرُورَة ، ثقةً بإسراعكَ إلىّ ، وَانْ أبطأتُ عنك ، وَقبولك لعذْرِى وَإنْ قصّرتُ عن واجبك . وان كانت ذُنُوبى سدّت على مسالك الصّفحِ عنّى ، فراجعْ فىّ مجدَكَ وسُؤْدَدَك . (٢) وَإنّي لا أعرفُ موقفاً أذلّ من موقفي ، لوْلاَ انّ المخاطبةَ فيه لك . ولا خُطَّةً أدنأ مِنْ خطّتي ، لوْلا أنها فى طلب رضاك ـ والسلام .

« وكتب أبو بكر الخُوارَزمي المتوفى سنة ٧٤٠ هـ »

لو بغير الماءِ حَلقي شرقٌ كنتُ كالغصّان بالماءِ اعتصاري

كيف يقدرُ (أبقي الله السيّد) على الدَّوَام ؟ من لاَ يهتدى الي أوْجُهِ الدّاءِ وكيفَ يُداري اعداءَه ؟ من لاَ يعرِف الأصدقاءَ من الأعداء ! وكيف يعالج علّة القرْحة العمياء ؟ أم كيف يسري بلا دليل فى الظّلماء ؟ ! أم كيف يخرُجُ الهارب من بين الأَرْضِ والسماءِ ؟ ! الكريم اذا قدَرَ غفر . واذا أوثقَ أطلقَ . واذا أسرَ أعتقَ ولقدْ هربتُ من السيد اليه . وتسلّحت (٣) بعفوه عليه . وألقيْتُ رِبقَةَ (٤) حياتى ومماتى بيديه . فليُذقْني حلاوَةَ رضاهُ عنّي . كما أذاقَني مرارَةَ انتقامه منّي . ولتلُحْ (٥) على حالي غُرّةُ عفوه . كما لاحتْ عليها مواسمُ (٦) غضبِه وسطْوه ، وليْعلم أنّ الحُر كريمُ الظفَرِ . اذا نالَ أقال . وَأن اللّئيمَ لَئيمُ الظفَر . اذا نال اَستطال . وَليْغنم التّجاوُزَ عنْ عثَراتِ الاحْرارِ . وَليْنتهز (٧) فُرَص الاقتدار . وَليحْمدالله

(١) ابعدتنى (٢) السيادة (٣) استعنت (٤) العروة التي يربط بها والمراد بها الزمام (٥) تظهر (٦) العلامات (٧) يغتنم

الذى أقامهُ مقامَ منْ يُرتجى ويخشى، وركّبَ نصابه فى رُتبةٍ شابَ الزّمانُ ومجدُها فتىّ، وأخلقَ العالَمُ وذِكرُها طرِىّ. وليعتقدْ انه قدْها بهُ من استتر، ولم يذْنب اليهِ من اعتذرْ. وأن منْ رُدَّ عليه عُذْرُه، فقد أُخرِجَ الى الشَّجاعة بعد الجُبن وأخرجَ ذنبهُ إلى صحن اليقين منْ سُترة الظّنّ. وفّقَ اللهُ السيّدَ لما يحفظ عليه قلوبَ أوْليائه، وعصمه ممّا يزيدُ بهِ فى عدَد جماجم أعدائه.

« وكتب بعضهم الى رئيسه »

وجدتُ استصغارَك لعظيم ذنبي أعظمَ بقدر تجاوُزك عني. ولعمري. ماجلّ ذنْبٌ يُقاسُ إلي فضلك، ولا عظُمَ جُرمٌ يضافُ إلى صفحك، ويُعوّلُ فيه على كرَم عفوك. وان كان قد وسعه حلمك، فأصبح جليلهُ عندك محتقراً، وعظيمه لديك مستصغراً، أنه عندى لفي أقبح صُور الذنوب، وأعلى رُتب العُيوب. غير أنهُ لوْلا بوادر (١) السَّفهاء، لم تعرَفْ فضائل الحلماء، ولوْلا ظُهور نقص بعض الأتباع، لم يَبن جمال الرُّؤساء. ولوْلا المام الملمّين بالذّنب، لبطل تطوّل المتطوّلين بالصفح. وانّى لأرجو أن يمنحكَ الله السلامَةَ بطلبك لها، ويُقيلك العثرات باقالتك أهلَها. وما علمت انى وقفتُ منك على نِعمة أتدبَّرُها، الاّ وجدتها تشتمل على فائدة فضل، تتبعها عائدةُ عَقل.

« وكتب فقيد اللغة الشيخ ابراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦ م »

بمَ يعتذرُ اليك منْ لا يَرى لنفسهِ عذْراً ؟! وكيفَ يستتر منْ عَتبك منَ لا يستطيعُ لذَنبه سَتراً ؟! بل كفانى من العَتب: تعنيف نفسي على ما ألقيت عليها من تبعةِ تقصيرى. وما حُلتُ بهِ من التّفريط بينها وبين معاذيرى، واللهُ يعلم ما كان

(١) جمع بادرة الحدة عندالغضب

تقصيرى شيئاً أردته. ولا كان تفريطي أمراً قصدته. ولكنها الأيام! إن صاحبتها لم تصحب. وإن عاتبتها لم تعتب. فلقد عبرتْ بى هذه البُرْهة كلها، وأنا بين شواغلَ لا يشغلها عنّي شاغل، وبلابلَ (١) قد اختلطَ حابلها بالنّابل، فتنازعتها هذه النُّهزةَ (٢) اليسيرةَ، أجدّدُ فيها التّذكرةَ، إلي أنْ يَمنّ اللهُ بصلة الحبل واجتماع الشّمل. وأستنزلُ أحرُفاً من خطّك يكتحلُ بها النّاظر، ويأنسُ إليها الخاطر، متوقّعاً بعدَ ذلك أن أبقي بين يدى مودّتك مذكوراً. وإلاّ يكون عجزى لديك شيئاً منظوراً. وان تجري بى على عادة حلْمك، الى أن يجمعَ اللهُ الشتيتين، ويُغنى العين (٣) عن الأثر بالعين (٤). ان شاء اللهُ تعالى - والسلام.

(وكتب أيضاً)

وافانى كتابك العزيز «والنفسُ نازعة (٥) الي ما يزيلُ نفارَها، والقريحة (٦) تائقةٌ (٧) الى ما يشحذُ (٨) غرارَها (٩). فكان روضةً باسمةَ (١٠) الكمائم (١١) فاتحةَ النّسائم. قد ردّت على النفس انبساطها، وأحيت البادرةَ فاستأنفت نشاطها فأنا منهُ ما بين وشيٍ (١٢) يُخجلُ طرازَ العبقريّة، (١٣) وزُخرُف (١٤) دُونه نضرةُ (١٥) السّابريّة (١٦) تناجيني منه رشاقة (١٧) ألفاظ تفضحُ قُدود (١٨) الحسان، وغضاضةُ (١٩) أنفاسٍ يغارُ منها وردُ الجِنان، ورقّة خطاب يشفُّ (٢٠)

---

(١) هموم والحابل قيل ناصب الحبالة للصيد وقيل سدي الثوب - والنابل قيل صاحب النبال وقيل لحمة الثوب ولفظ المثل «اختلط الحابل بالنابل» وهو مثل يضرب فى ارتباك الامر (٢) بضم النون للفرصة (٣) الباصرة (٤) الذات (٥) مشتاقة (٦) الملكة التى يقتدر بها على استنباط العلم بحدة الطبع (٧) مشتاقة (٨) بحده وأصله لحد السكين (٩) بكسر الغين والمراد ان الملكة مشتاقة الى ما يجعلها قوية مصيبة (١٠) ضاحكة (١١) الزهر (١٢) نقش الثوب (١٣) ثياب تبلغ الغاية فى الحسن (١٤) كمال الحسن (١٥) الحسن (١٦) ثياب رقيقة جيدة وأصلها للدروع السابرية نسبة الى سابور كورة بفارس بينها وبين شيراز ستة عشر فرسخا (١٨) لطافة (١٨) جمع قد القامة (١٩) الحسن (٢٠) يحكى

عن ودٍّ صفيٍّ ، ولطفٍ خفيٍّ ، (١) وكرمٍ وفىٍّ ، وعتبٍ أعذبَ من الماءِ القراحِ (٢) وأرقَّ من نسماتِ الصبا فى الصباح . حتى لقد حببَّ الىَّ تقصيري ، وشفع عند نفسى فى قبول معاذيري . على أنَّ ماعندي من الولاءِ لا يعتريه (معاذ الله) وَهن ، (٣) ولا يُخلقه (٤) تمادي زمن ، أو ترامي وطن . ولكن صُرُوفَ الأحداث (٥) قد قصَّرت الجهد ، (٦) وصرفت جواد العزيمة عن القصد . والله يعلم أنِّي لوْ نزلت على حكم نوازل الدَّهر ، ولم أدافع طلائعها بما بقي من ساقة (٧) الصّبر ، لما كان فى همَّتي إلا كسرُ اليراع ، (٨) وهجرُ المحابرِ والرِّقاع (٩) وحسبي من العذْر ما أعْفُه من حِلمك المألوف ، وما ألفتهُ من كرَمِكَ المعرُوف .

واللهَ أسأل أن يُبقيك لى من الدَّهر نصيباً ، ويمتّعني بلقائك قريباً بمنّه وكرمه

(وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ)

أما بعدُ . فنعمَ البَديلُ من الزلَّة الاعتذار . وبئسَ العِوَضُ من التوبة الإصرارُ فانه لا عِوَضَ من إخائك ، ولا خلفَ منْ حُسن رأيك . وقد انتقمتَ مني فى زلّتي بجفائك ، فأطلق أسيرَ تشوُّقى إلى لقائك . فأنّني بمعرفتي بمبلغ حلمك وغاية عفوك ، ضمنتُ لنفسي العفوَ من زلّتها عندك ، وقد مسّني من الألم ما لَمْ يشفِهِ غير مواصلتك .

(وكتبت زبيدة زوجة الرَّشيد المتوفاة سنة ٢١٦ هـ الى المأمون)

كلُّ ذنبٍ (يا أمير المؤمنين) وان عظُم صغير فى جنب عفوك ، وكل إساءة وإن

---

(١) ظاهر فهو من الاضداد (٢) بفتح القاف الخالص (٣) ضعف (٤) لا يبليه (٥) كلاهما مصائب الدهر (٦) بفتح الجيم وضمها الطاقة (٧) آخره (٨) الاقلام (٩) الرقاع بكسر الراء مفرده رقعة وبضمها القطعة من الورق التي تكتب

جلّت يسيرة لدى حلمك. وذلك الذي عوّدكه الله أطال مدّتك ، وتمّم نعمتك وأدام بك الخير ، ودفع عنك الشّر والضير .

وبعد : فهذه رُقعة الوَلهي (التي ترجُوكَ فى الحياةِ لنوائب الدهر ، وفى الممات لجميل الذّكر) فان رأيت أن ترحم ضعفي واستكانتي ، وقلّة حيلتي ، وأن تصل رحمي ، وتحتسب فيما جعلك الله له طالباً ، وفيه راغباً - فافعل - وتذكّر من لو كان حيّاً لكان شفيعي اليك .

(وكتب اليها المأمون جواب المُواساة الآتى)

وصلت رُقعتكِ يا أماه (أحاطك الله وتولاّك بالرعاية) [1] ووقفتُ عليها وساءني (شهد الله [2]) جميع ما أوْضحتِ فيها . لكنّ الأقدار نافذة [3] والاحكام جارية . والأمور متصرفة . والمخلوقون فى قبضتها ، لا يقدرون على دفاعها [4] . والدُّنيا كلها الى شتات [5] وكل حيّ الى ممات . والغدر والبغي حتف الانسان [6] والمكر راجع الى صاحبه .

وقد أمرتُ بردّ جميع ما أخذ لك . ولم تفقدي ممّن مضى الى رحمة الله الاّ وجهه . وأنا بعد ذلك لك على أكثر مما تختارين [7] والسلام .

(وكتب بعضهم)

إنّي وإن جنيتُ على نفسي ، وخرجتُ عن حدّ الأدب ، فما يجب على العبد لسيّده - فاني عبدُ نعمتك وصنيع إحسانك . وذنبي وان عظُم ، وضاق باب التوبة عن قبول المعذرة ، فالعفوُ عنهُ بعض حسناتك ، التي فُطِرت عليها . والاغضاء عنّي

(١) يعني حفظك الله وصانك برعايته (٢) جملة معترضة يقصد بها تأكيد ما يقول (٣) يعني ما قدره الله لا بدأن يكون (٤) يعنى أن المخلوقات مستسلمة لاحكام الله وأقداره (٥) مآلها التفرق (٦) يعنى أن البغى فيه هلاك الباغي (٧) يعني أقوم لك بجميع ما تحبين وزيادة

سرٌّ من أسرارك التي تميل إليها ، فاجعل العفوَ عنّى قُربةً إلى مولى الموالى ، واترك العبدَ عتيقَ مكارم الأخلاق . وإلاّ فضعْ سيفَ نقمتك ، فى نحر عبد نعمتك وأنتَ حِلٌّ من دمٍ أراقه أهله ، أو آلَ أمرُه الى وارثٍ لا يسعهُ الا النُّزولُ عن المطالبةِ به . ألا وهو مقامُ جلالتكم السّامى

وحاشاك أنْ تُعدمَ الصّادقَ فى خدمتِكَ بهفوةٍ لم يقصِدها ، وذنبٍ أقلعَ عنهُ وعلى كلٍّ فالعبدُ بين يديك ، وأمرُه منكَ واليك . فقد ألقى اليك مقاليد الأجل . فافعل ما تشاء ، واتقِ الله عزَّ وجلّ

استعطاف أم جعفر (١) بن يحيى الرشيدَ لاجل يحيى زوجها

قال سهل بن هارون :

كانت أم جعفر بن يحيى أرضعت الرشيد مع جعفر (٢) وربّته فى حِجْرها وغذَتْه برِسْلها (٣) وكان الرشيد يشاورها مظهراً لاكرامها ، والتبرك برأيها . وكان آلى وهو فى كَفالتها أن لا يحْجُبَها ، ولا استشفعته لأحد إلا شفّعها . وآلت أم جعفر أنْ لا دخلت عليه إلا مأذونًا لها . ولا شفعت لأحد مقترف ذنباً . فكم أسيرٍ فكّتْ ، ومُبهَم عنده فتحت ومُستغلَق (٤) منه فرّجت . فلما قتل ابنها جعفراً وحبس يحيى زوجها وسائرَ أهل بيته طلبت الإذن عليه ، ومتّت (٥) بوسائلها اليه ، فلم يأذن لها ، ولا أمر بشيء فيها

---

(١) ذكر صاحب العقد أن اسمها فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة ، وذكر الطبري أن اسمها زينب بنت منير ، وذكر ابن خلكان أن اسمها عتابة وكذا صاحب نجباء الأبناء ، وذكر بعضهم أن اسمها عبادة والله أعلم . (٢) كذا ذكر صاحب العقد ، وذكر الطبري أنها أرضعته مع الفضل ويؤيده قول سليمان الأعمى يرثى جعفراً ويستعطف الرشيد للفضل :

أمين الله في الفضل بن يحيى رضيعك والرضيع له ذمام

(٣) الرسل : اللبن . (٤) المستغلق : المغلق . (٥) مت اليه : توسل بقرابة أو نحوها

فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها، واضعة لثامها، مُحْتَفِية فى مِشْيَتها، حتى صارت بباب قصر الرشيد، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال: ظئرٌ[1] أمير المؤمنين بالباب، فى حالة تقلب شماتة الحاسد، إلى شفقة أم الواحد. فقال الرشيد: ويحك يا عبد الملك. أوَ ساعية؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، حافية. قال: أدخلها يا عبد الملك فرب كبد غذتها، وكُرْبة فرَّجتها، وعورة سَتَرتها. فدخلت فلما نظر الرشيد اليها داخلة مُحتفِية قام مُحْتفيا حتى تلقاها بين عَمَد المجلس وأكب على تقبيل رأسها ومواضع ثدييها ثم أجلسها معه. فقالت: يا أمير المؤمنين أيَعْدُو علينا الزمان؟ ويجفونا خوفاً لك الأعوان؟ ويُحْرِدك[2] علينا البهتان، وقد ربيتك فى حِجرى، وأخذت برضاعك الأمانَ من عدوّي ودهرى؟! فقال لها: وما ذلك يا أمّ الرشيد؟ قالت: ظئرك يحيى وأبوك بعد أبيك، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته وإشفاقه عليه وتعرّضه للحَتْف فى شأن موسى أخيه[3]. فقال لها: يا أم الرشيد أمرٌ سَبَق، وقضاءٌ حُمَّ[4] وغضب من الله نفذ. قالت: يا أمير المؤمنين «يمحو الله ما يشاء ويُثْبِت وعنده أم الكتاب[5]». قال: صدقتِ، فهذا مما لم يمحه الله. فقالت: الغيب محجوب عن النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين؟ فأطْرَق الرشيد مَليًّا ثم قال:

واذا المنية أنْشَبَتْ أظفارَها ألفيتَ كُلَّ تَميمة لا تنفع[6]

فقالت بغير روية: ما أنا ليحيي بتميمة يا أمير المؤمنين وقد قال الاوَّل:

واذا افتقرتَ إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

---

(١) الظئر: المرضعة. (٢) أحرده: أغضبه وحرد هو. (٣) تشير الى ماكان أراد الهادى وهو موسى بن المهدى من حرمان أخيه الرشيد الخلافة من بعده ونقلها الى ولده واحتيال يحيي بن خالد فى رد الهادي عن عزمه باذلا فى ذلك جهده. (٤) حم الأمر: قضى ونفذ. (٥) أم الكتاب أصله أو اللوح المحفوظ. (٦) التميمة: ما يعلق للأولاد من كتابة أو غيرها دفعاً للعين أو للمرض.

هذا بعد قول الله عز وجل « والكاظمين الغيظَ والعافين عن الناسِ والله يُحِبُّ المحسنين» فأطرق مليًا ثم قال : يا أمّ الرشيد أقول

اذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تُقْبِل

فقالت : يا أمير المؤمنين وأقول

ستَقْطَع فى الدنيا اذا ما قطعتنى يمينَك فانظر أى كف تَبَدَّل (١)

قال هارون : رَضيتُ . قالت : فهبه لى يا أمير المؤمنين فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تَرَكَ شيئا لله لم يُوجده (٢) الله لفقده » فأكبَّ هارون مليًا ثم رفع رأسه يقول « لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ » قالت : يا أمير المؤمنين «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم» واذكر يا أمير المؤمنين أليَّتك (٣) : ما استشفعتُ إلا شَفَّعْتني . قال : واذكري يا أم الرشيد أليتك أن لا شفعت لمُقْتَرِفٍ ذنبا . فلما رأته صَرَّح بمنعها ، ولاذَ (٤) عن مَطْلَبِها ، أخرجت حقًا من زُمُرُّذة (٥) خضراء فوضعته بين يديه . فقال الرشيد : ما هذا ؟ ففتحت عنه قُفْلا من ذهب ، فأخرجت منه خَفْضَه وذوائبه وثَنَاياه قد غَمَسَتْ جميع ذلك فى المسك فقالت : يا أمير المؤمنين أستشفع اليك ، وأستعين بالله عليك ، وبما صار معي من كريم جَسَدك ، وطَيِّب جوارحك ليحيي عبدك . فأخذ هارون ذلك فلثَمَه ثم استعبر (٦) وبكي بكاء شديدا وبكي أهل المجلس . فلما أفاق رمي جميع ذلك فى الحُقّ وقال لها : لحسَنٌ ما (٧) حفظْتِ الوديعة . فقالت : وأهلٌ للمكافأة أنت يا أمير المؤمنين . فسكت وأقفل الحُق ودفعه اليها . وقال : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها» قالت : والله يقول : « واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا

(١) البيتان من قصيدة معن بن أوس الآتية فى باب العتاب . (٢) أوجده : أحزنه . (٣) الالية : الحلف . (٤) لاذ يلوذ : راغ وانحرف . (٥) الزمرذ والزمرد : من الاحجار النفيسة . (٦) استعبر : جرت عبرته وهي الدمعة قبل أن تفيض . (٧) ما مصدرية .

بالعدل ». ويقول : « وأوفُوا بعهد الله اذا عاهدتم » قال : وما ذلك يا أم الرشيد؟ قالت : أو ما أقسمت لى أن لا تحجُبني ولا تمتهنني [١] ؟ قال : احب يا أم الرشيد أن تشتريه مُحكّمة [٢] فيه . قالت : أنصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غيرَ مُستقيلة لك ولا راجعة عنك . قال : بكم ؟ قالت : برضاك عمن لم يُسْخِطك . قال يا أم الرشيد أمَالى عليك من الحق مِثل الذى لهم؟ قالت : بلى يا أمير المؤمنين انت أعز على ،وهم أحب إلىَّ . قال : فتحكّمي فى تمنيةٍ [٣] بغيرهم . قالت : كلا . قد وهبتكه وجعلتك فى حِلٍّ منه وقامت عنه وبقِي مَبْهوتا مايُحِيرُ [٤] لفظة .

قال سهل بن هرون : وخرَجَتْ فلم تعدُ ، ولا والله ما رأيت لها عَبْرة ، ولا سمعت لها أنّةً .

استعطاف ابراهيم [٥] بن المهدى للمأمون

أمر المأمون بابراهيم بن المهدي فأُدْخل عليه فلما وقف بين يديه قال هيه [٦] يا ابراهيم فقال : يا أمير المؤمنين وَلِىُّ الثار مُحكم فى القصاص « والعفوُ أقربُ للتقوى » ومن تناوله الاغترار بما مُدَّله من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه ، وقدجعلك الله فوق كلّ ذي ذنب ، كما جعل كلَّ ذِي ذنب دونك فان أخذتَ فبحقّك ، وان عفوتَ فبفضلك . ثم قال :

ذنبي إليك عظيمٌ وأنت أعظمُ منه

---

(١) امتهنه : ابتذله وأهانه . (٢) يقول : أحب أن تطلبي ما تشائين ازاء هذا القسم .
(٣) التمنية والأمنية والمنية : بمعنى واحد . (٤) يقال : هو لا يحير جوابا أي لا يرد .
(٥) كان ابراهيم بن المهدى أخو الرشيد لأبيه قد ادعى الخلافة بعيد قتل الأمين وقبيل عودة المأمون من خراسان الى بغداد وأعانه على ذلك كثير من أهل بغداد ثم خلع وغلب على أمره فاختفى حتى ظفر به المأمون . وكان ابراهيم بارعا فى الأدب حسن الغناء جيد الشعر توفى سنة ٢٢٤ هـ فى خلافة ابن أخيه المعتصم . (٦) هيه مثل أيه للاستزادة أو للاستنطاق فهي اسم فعل .

فخذ بحقك أو لا فاصفح بفضلك عنهُ
إن لم أكن فى فعالى من الكرام فكُنْهُ

فقال المأمون : شاورت أبا إسحاق (١) والعبّاس فى قتلك فأشارا به . فقال فما قُلتَ لهما يا أمير المؤمنين؟ قال المأمون : قلتُ لهما نَبْدؤه بإحسان ، ونَستأمِره (٢) فيه ، فإنْ غيّر . فالله يُغيّر ما به . قال : إمّا أنْ يكونا قد نصحا فى عظيم بما جرَتْ عليه السّياسة ، فقد فعلا وبلّغا ما يلزُمهما وهو الرأيُ السّديدُ ، ولكنّك أبيت أن تَستَجلِب النّصر إلاّ من حيثُ عوّدَك الله ، ثم اسْتَعبرَ باكيًا فقال له المأمون : ما يُبكيك؟ قال : جَذَلًا اذ كان ذنبي إلى من هذه صفته فى الإنعام ، ثم قال : إنه وإن كان قد بلغ جُرمى استحلالَ دمى فحلم أمير المؤمنين وفضله يبلّغانى عفْوه ، ولى بعدهما شفاعة الإقرار بالذنب ، وحقّ الأبوّة بعد الأب فقال المأمون : يا ابراهيم لقد حُبّبَ إلىّ العفوُ حتى خفتُ أن لا أوجر عليه . أما لو علم الناس مالنا فى العفو من اللّذة لتقرّبوا الينا بالجنايات . لاتثْريب (٣) عليك . يغفر الله لك . ولو لم يكن فى حقّ نَسَبك ما يُبلّغ الصفحَ عن جُرمك لبلّغك ما أمّلت حسنُ تَنصُّلِك ، ولُطْف توَصُّلك ثم أمر بردّ ضياعه وأمواله . فقال ابراهيم :

رَدَدْت مالى ولم تبخل علىّ به وقبل ردّك مالى قد حَقَنْتَ دمى (٤)
وقام عِلْمك بى فاحتجّ عندك لى مقامَ شاهد عدل غيرِ متّهم
فلو بذلتُ دمى أبغى رضاك به والمال حتى أُسلّ النعل من قدمى
ما كان ذاك سوي عارِيّة سلفت لولم تَهَبْهَا لكنتَ اليوم لم تُلَم

(١) أبو اسحاق هو المعتصم بن الرشيد . والعباس هو بن المأمون ولقد أحسن ابراهيم في تصويب رأيهما لأن ذلك أنجع فى طلب الرضا وابلغ فى دفع المكروه من الازراء عليهما فى رايهما . (٢) اصل الاستئمار : المشاورة . والمراد هنا التجربة (٣) التثريب : اللوم والتعيير بالذنب . (٤) حقن الدم : صانه .

استعطاف اسحاق بن العباس للمأمون

قال المأمون لاسحاق بن العباس : لا تحسبنّي أغفلت أمر ابن المهدي وتأييدك له ،وإيقادك لناره . فقال : والله يا أمير المؤمنين لأجرام قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من جُرْمي إليك، ولرحمى بك أمتن من أرحامهم ، وقد قال لهم كما قال يوسف (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) لاخوته :« لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين »وانت يا أمير المؤمنين أحق وارث لهذه الأمّة في الطوّل ، وممتثِلٌ (١) لخلال العفو والفضل .

قال هيهات : تلك أجرام جاهليّة عفا عنها الاسلام وجُرْمك جُرم فى إسلامك وفى دار خلافتك .

قال : يا امير المؤمنين فوالله للمُسلم أحق باقالة العَثْرة وغُفْران الذنب من الكافر وهذا كتاب الله بينى وبينك إذ يقول : «سارعوا إلي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أُعِدّت للمتقين الذين ينفقون فى السرّاء والضرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» والناس يا امير المؤمنين نِسْبةٌ دخل فيها المسلم والكافر ، والشريف والمشروف

قال : صدقت ، ورَتْ (٢) بك زِنادي ولا بَرِحْت أري من اهلك أمثالك .

---

(١) امتثل طريقته : تبعها فلم يعدها. (٢) ورت بك زنادى، ووقدت بك زنادى : مثلان يقالان لمن أنجدك أو أرشدك . والمراد بهما الدعاء

استعطاف الفضل[١] بن الربيع للمأمون

قال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل أكان من حقي عليك وحق آبائي ونعمهم عند أبيك وعندك ان تَثْلِبني[٢] وتَسُبَّني وتحرّض على دمي؟! أتحب أن أفعل بك ما فعلته بى ؟

فقال : يا أمير المؤمنين إن عذري يُحْقِدُك اذا كان واضحاً جميلا، فكيف إذا أخْفته العيوب ! وقبّحته الذنوب ! فلا يضيق عنّي من عفوك ما وسع غيري منك ، فأنت كما قال الشّاعر[٣] فيك :

صَفُوح عن الأجرام حتى كأنّه ... من العفو لم يَعْرف من الناس مجرما
وليس يبالى أن يكون به الأذي ... اذا ما الأذي لم يَغْشَ بالكره مسلما

استعطاف تميم بن جميل للمعتصم

كان تَميم بن جميل السَّدوسي[٤] قد خرج بشاطيء الفرات واجتمع اليه كثير من الأعراب فعظم أمره ، وبَعُد ذكره ، ثم ظُفِر به وحُمِل مُوثَقًا إلى باب المعتصم . فقال أحمد بن أبي دُوَاد : ما رأيت رجلا عاين الموت فما هالَه[٥] ولا شَغَله عما كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل ، فانه لما مَثُل بين يدى المعتصم فأُحضر

---

(١) هو الفضل بن الربيع بن يونس حاجب الرشيد ثم وزيره بعد نكبة البرامكة ثم وزير الأمين فى خلافته . ويقال : انه هو الذى أوغر صدر الرشيد على البرامكة حسداً لهم على منزلتهم وفيه يقول أبو نواس :

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم فى واحد

توفى الفضل سنة ٢٠٨ هـ . (٢) ثلبه : تنقصه وصرح بعيبه . قال الشاعر :

لا يحسن التعريض الا ثلبا

(٣) القائل : هو الحسن بن رجاء . (٤) سدوس : بطن من بنى شيبان ثم من بنى بكر
(٥) هاله : أفزعه .

السيف والنطّع [١] ، وأوقف بينهما ، تأمله المعتصم (وكان جميلا وسيما) فأحَبَّ أن يَعْلم أين لسانه وجَنانه من مَنْظَره . فقال : تكلم يا تميم . فقال : أمَّا إذا أذِنْت يا أمير المؤمنين فأنا أقول : الحمد لله الذي أحسن كل شيء خَلْقه ، وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نَسْله من سُلَالة من ماء مَهين . جَبر بك صدع [٢] الدين ، ولَمَّ بك شعَثَ [٣] المسلمين ، وأوضح بك سبل الحق ، وأَخْمَد بك شِهَاب الباطل . إن الذنوب تُخْرس الألسنة الفصيحة . وتُعْيي الأفئدة الصحيحة . ولقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهُما منك وأسرعهُما الىَّ أشبَهَهُما بك وأولاهما بكرمك . ثم قال (على البديهة) :

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا ... يُلاَحظني من حيثما أتَلَفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي ... وأي امرىء مما قضى اللهُ يُفْلِت ؟ [٤]
وأيُّ امرىء يأتي بعذر وحُجَّةٍ ... وسيف المنايا بين عينيه مصْلَت [٥] ؟
وما جزعي من أن أموت وإنني ... لأَعْلم أن الموت شيء مُوَقَّت
ولكنّ خلفي صِبْيةً قد تركتُهُمْ ... وأكبادهم من حَسْرة تَتَفَتت
كأنّي أراهم حين أُنْعَي إليهم ... وقد خَمَشُوا [٦] تلك الوجوه وصوَّتوا
فان عشت عاشوا خَافضين بغبطة ... أذُود الرَّدى عنهم وان متُّ مُوِّتوا [٧]
وكم قائلٍ لا يبْعِدُ اللهُ رُوحَه ... وآخر جَذْلانٍ يُسَر ويَشْمَت

فتبسم المعتصم وقال : كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العَذَل . قد وهبتك

---

(١) النطع : بساط من الجلد يفرش تحت من يراد قتله حتى لا يسقط دمه على الأرض .
(٢) الصدع : الشق في الحائط ونحوه . (٣) الشعث : انتشار الامر والأشياء المتفرقة .
(٤) أفلت : تخلص ونجا . (٥) أصلت السيف : استله من غمده . (٦) خمش وجهه : لطمه وهو من بابى ضرب ونصر . (٧) موتوا : كثر فيهم الموت .

للصبية ، وغفرت لك الصَّبوة [١] . ثم أمر بفك قيوده وخلع [٢] عليه .

وكتب الجاحظ الى ابن الزيات يستعطفه قد تَنكَّر [٣] له وتَلوَّن عليه .

أعاذك الله من سوء الغَضَب ، وعصمك من سَرَفِ [٤] الهَوى ، وصرف ما أعارك من القوَّة إلى حب الانصاف ، ورَجَّح فى قلبك إيثار الأَناة [٥] فقد خفت ـ أيدك الله ـ أن أكون عندك من المنسوبين الى نَزَق [٦] السُّفهاء ، ومجانبة سبل الحكماء وبعد فقد قال عبد الرحمن [٧] بن حسان بن ثابت :

وان امرأ أمْسَي واصبح سالما من الناس إلا ماجني لسعيد

وقال الآخر . [٨]

ومن دعا النـاس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

فان كنتُ اجترأت عليك ـ اصلحك الله ـ فلَمْ اجترىء إلّا لأن دوام تغافلك عني شبيه بالإهمال الذي يورث الإغفال ، والعفو المتتابع يؤمن من المكافأة ولذلك قال عُيَيْنَة [٩] بن حصن بن حُذَيْفَة لعثمان رحمه الله: عمر كان خيرا لى منك ارهبني فأتقاني [١٠] واعطاني فأغناني. فان كنت لاتهب عقابى ـ ايدك الله ـ لخدمة فهبه لأياديك عندي ، فان النِّعمة تشفع فى النقمة ، والا تَفْعل ذلك لذلك فعد الى حسن العادة ، وإلا فافعل ذلك لحسن الاحدوثة [١١] ، وإلا فأنت ما انت اهله من العفو دون ما انا

---

(١) الصبوة : الزلة وجهلة الشباب . (٢) خلع عليه خلعة : منحه بعض ثيابه وقد يراد به مطلق العطاء . (٣) تنكر له : تغير . (٤) السرف : مجاوزة الحد . (٥) الأناءة : الحلم والوقار . (٦) النزق : الخفة والطيش . (٧) هكذا يقول الجاحظ وغيره ينسب البيت لحسان نفسه . راجع الأغانى . (٨) من الناس من يروى هذا البيت فى جملة أبيات لكعب بن زهير ، ومنهم من يرويه لمحمد بن حازم الباهلي . راجع الأغانى . (٩) هو سيد بني ذبيان فى صدر الاسلام وهو من سلالة حذيفة بن بدر الفزارى الذى كان السبب فى حرب داحس والغبراء . (١٠) أتقاه : صيره تقياً . (١١) الأحدوثة : الحديث والسيرة ، جمعها أحاديث .

أهله من استحقاق العقوبة ، فسبحان من جعلك تعفو عن المتعمّد وتتجافى [١] عن عقاب المصرّ [٢] حتى إذا صرت الى من هفوته ذِكْر [٣] ، وذنبه نسيان ، ومن لا يعرف الشكر إلا لك والإنعام إلا منك هَجَمْتَ عليه بالعقوبة . واعلم — أيدك الله — أن شَيْن غضبك على كَزَيْن صفحك عنى ، وأن موت ذكري مع انقطاع سببي منك كحياة ذكري مع اتصال سببي بك [٤] . واعلم أن لك فطنة عليم وغفلة كريم والسلام .

استعطاف رجل من أهل الشام للمنصور

يا أمير المؤمنين من انْتَقَم فقد شفي غيظه وانتصف ، ومن عَفَا تفضّل ، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ، ولم يُذْكَر فضْله ، وكظم الغيظ حِلم ، والمشفّي طَرَفٌ من الجزَع ، ولم يَمْدح أهل التقوي والنهى من كان حليما بشدة العقاب ولكن بحسن الصفح والاغتفار وشدة التغافل . وبعد : فالمعاقب مستودِع لعداوة أولياء المذنب [٥] والعافى مُسْتَرْعٍ لشكرهم آمن من مكافأتهم . ولان يُثْنى عليك باتساع الصدر خير من أن توصف بضيقه ، على أن إقالتك عثرات عباد الله موجبة لإقالة عثرتك من ربهم وموصولة بعفوه ، وعقابك إياهم موصول بعقابه . قال الله عز وجل : « خُذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

استعطاف رَوْح بن زِنباع لمعاوية

أراد معاوية معاقبة رَوْح بن زِنباع . فقال : يا أمير المؤمنين أنْشُدُك الله تعالى

---

(١) تتجافى : تتباعد . (٢) أصر على الذنب : استمر . (٣) يقول : هفوته هي تذكر الهفوة أو جريها على لسانه (٤) التشبيه في هاتين الفقرتين من قبيل قولهم فى التفضيل : العسل أحلى من الخل . يقول : ان مقدار قبح الغضب كمقدار حسن الصفح وان مقدار موت الذكر عند الانقطاع مثل مقدار حياته عند الاتصال . (٥) الاولياء : الأهل والأقارب .

ألا تضع منّي خسيسة أنت رفعتها أو تنقض منّي مريرةً (١) أنت أبرمتها (٢) أو تشمت بى عدوا أنت كبتّه (٣)، وحاسداً بك وقمته (٤)، وأسألك بالله إلا أربى حلمك على خطئى وصفحك على جهلى. فقال معاوية: اذا الله سنّي (٥) عقد شيء تيسرا وعفا عنه

وقد ألمّ المتنبي بقول روح إذ يقول:

أزل حسد الحسّاد عنى بكبتهم فأنت الذي صيّرتهم لى حسّدا
إذا شدّ زندى حسن رأيك فى يدي ضربتُ بسيفٍ يقطع الهام مغمدا

استعطاف ابن الرومي للقاسم (٦) بن عبيد الله

كتب ابن الرومي يستعطف القاسم بن عبيد الله:

ترفع عن ظُلمى إن كنتُ بريئًا، وتفضّل بالعفو إن كنتُ مُسيئا، فوالله إنى لأطلبُ عفوَ ذنبٍ لم أجنِهِ، وألتمسُ الإقالةَ ممّا لا أعرفُه، لتزداد تطوّلا (٧) وأزدادَ تذلّلا. وأنا أعيذُ حالى عندك بكرمك من وَاشٍ يكيدها، وأحرُسها بوفائك من باغٍ يحاول إفسادها، وأسأل الله أن يجعلَ حظّي منك بقدر وُدّي لك، ومحلّي من رجائك بحيثُ أستحقّ منك. والسلام.

---

(١) المريرة: الحبل الشديد الفتل. (٢) أبرم الحبل: أجاد فتله. والأمر: أحكمه.
(٣) كبته: أذله وغاظه وصرعه لوجهه (٤) وقمه: قهره. (٥) سنى الشيء: فتحه وسهله
وهذا شطر بيت وهو:

واعلم علماً ليس بالظن أنه اذا الله سني عقد شيء تيسرا

(٦) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وبيته بيت وزارة وكتابة وأدب فقد كان وزيرا ابن وزير ابن وزير أما الكتابة فهو فيها معرق لأنه يرثها عن ثمانية آباء متعاقبين منذ خلافة يزيد بن معاوية وكان عظيم الهيبة شديد الاقدام سفاكا للدماء وهو الذى دس لابن الرومي السم في الطعام خوفا من لسانه، توفى القاسم سنة ٢٩١ هـ وعمره نيف وثلاثون
(٧) التطول الانعام

وكتب اليه :

لو كان فى الصّمت موضع يَسعُ حالِي لخَفّفْت عن سَمْع الوزير ونَظره ، ولم أشْغَل وجهاً من فكره . وما زالت الشكوي تُعربُ عن لسان البَلوَي . ومن اختلّت حالتهُ كان فى الصّمت هَلَكَتَهُ (١) . وقد كانَ الصَّبر يَنْصُرنى على ستر أمري حتّي خَذَلنى .

استعطاف للخوارزمى

لَو بغير المَاء حَلْقِي شرق كنتُ كالغَصّان بالماء اعتِصارِي (٢)

كيف يَقْدِر (أبقي الله السيد) على الدّواء ، مَن لا يهتدي إلى أوْجهُ الدّاء ؟ وكيفَ يُدَاري أعداءَه مَن لا يعرِفُ الأَعداء من الاصدِقاء ؟ أم كيف يَسري بلا دَليلٍ فى الظّلماء ؟ أم كيف يَخْرُج الهاربُ مِن بين الأَرض والسَّماء ؟ الكريم (أيّد الله مولاى) اذا قَدَر غفَر ، وإذا أوْثَق أطْلقَ ، واذا أسَرَ أعْتق . ولقد هَرَبْت من الشيخ اليه ، وتَسَلَّحتُ بعفوه عليه ، وأَلقيْت رِبْقَة (٣) حَياتِي ومماتى بيديه ، فَلْيُذِقْنِي حَلاَوَة رِضَاه عنّي كما أذاقنى مَرارة انتقامه منّي ، ولْتَلُح (٤) على حَالِي غُرةُ (٥) عفوهِ كما لاحَتْ عليها مَوَاسِم (٦) غَضَبهِ وسَطْوِه ، وليعلم أنَّ الحرّ كريم الظفَر اذا نال أقال ، وأنَّ اللئيم لئيم الظفَر إذا نال استطال (٧) ، ولْيَغْتنم

(١) الهلكة الهلاك (٢) الشرق بالماء كالغصة بالطعام والاعتصار معالجة الغصص بشرب الماء قليلا قليلا ، والبيت لعدي بن زيد العبادى الشاعر الجاهلى من قصيدة يستعطف بها النعمان ابن المنذر يقول ان الانسان اذا غص بالطعام عالجه بالماء فاذا شرق بالماء فماذا يصنع ؟ (٣) الربقة العروة التي يربط بها ويراد بها الزمام (٤) لاح ظهر (٥) الغرة بياض فى وجه الحيوان . والمراد هنا الأثر (٦) المواسم : العلامات (٧) استطال : تطاول واعتدي

التجاوز عن عثرات الأحرار ، وليغتنم فرص الاقتدار ، وليحمد الله الذى أقامه مقام من يُرتجى ويُخشى ، وركّب نصابه فى رتبة شاب الزمانُ ومجدها فتى ، وأخلقَ العالمُ وذِكْرُها طرىّ ، وليعتقد أنه قد هابه من استتر ، ولم يُذْنب اليه من اعتذر . وفق الله تعالى الشيخ لما يَحْفَظ عليه قلوب أوليائه ، وعَصمهُ ممَّا يزيد به فى جماجم أعدائه .

اعتذار لسعيد بن حميد

كتب سعيد (١) بن حُميد يعتذر :

أنا من لا يُحاجُّك عن نفسه ، ولا يُغالطك عن جُرمه ، ولا يلتمس رِضاك إلا من جِهَته ، ولا يستدعى بِرَّك إلاَّ من طريقته ، ولا يستعطفك إلاّ بالإقرار بالذنب ولا يستميلك إلا بالاعتراف بالجُرم . نَبَتْ بى عنك غِرَّة الحداثة ، وردَّتنى إليك الخُنْكة (٢) ، وباعدتنى منك الثقة بالأيام ، وقادتنى إليك الضرورة . فان رأيت أن تستقبل الصَّنيعةَ بقبول العذر ، وتُجدِّد النعمة بِاطّراح الحقد ، فان قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة . وإن أيام الحياة وان طالت قصيرة والمُتْعَة بها وان كثرت قليلة .

اعتذار لأبى على البصير

كتب أبو على البصير يعتذر .

أنا أحد من أسكنته ظِلَّك ، وأعْلقته حَبلك (٣) ، وحَبوْته بلطيف برّك وخاصّ عنايتك ، وانتصف بك من الزمان ، واستغنى بإخائك عن الإخوان ، فهو لا يرغب إلا إليك ، ولا يعتمد إلا عليك ، ولا يَستَنْجِحُ (٤) طلبه إلا بك . وقد كان

(١) هو من اولاد الدهاقين كاتب شاعر مترسل حسن الكلام فصيح اخذ عن الامام ابن الاعرابى ويؤخذ عليه انه كان كثير الأخذ لكلام غيره . (٢) الخنكة خبرة التجارب .
(٣) وصلته وقيدته بزمام مودتك (٤) استنجح حاجته وتنجحها تنجزها وطلب نجحها

فرَط منّي قول إن تأوّلتَه [١] لى أرَاك وَجْه عذرى وقام عندك بحُجتّي ، فأغنانى عن توكيد الأيمان على حسن نِيتّي، وان تأوّلته علىّ أحاق [٢] بى لائمتك [٣] وحبسني على أسوإ حال عندك. وقد أتيتك معترفًا بالزّلة ،مُستَكِينا [٤] للمَوجِدة [٥] عائذا بالصفح والإقالة، فان رأيت أن تُقِرّ عينا قرت بنعمتك عندى ، ولا تَسْلبَني منها ما ألْبَستنني ، وان تقتصر من عقوبتى على المكروه الذى نالنى بسبب عتبك علىّ ، وتأمرَ بتعريفى رأيك بما يُطَامِن [٦] هَلَعي وتَسْكُن إليه نفسي ويأمَنْ به رُوعي [٧] « فعلت » إن شاء الله .

اعتذار للبديع

كتب البديع إلى القاسم الكَرَجي يعتذر :

يعز علىّ — أطال الله بقاء الشيخ الرئيس — أن ينوب فى خدمته قلمي ، عن قدمي، ويسعد برؤيته رسولى، دون وصولى ، ويرد شِرْعة [٨] الانْس به كتابى قبل رِكابى . ولكن ما الحيلة والعوائق جَمّة ،

وعلىّ أن أسعي وليـ ـس علىّ إدراك النّجاح

وقد حضرت داره ، وقبلت جِداره ، وما بى حب الجُدْران ، ولكن شَغَفًا بالقُطان ، ولا عشق الحيطان ، ولكن شوقًا إلى السُّكان [٩] . وحين عدَت [١٠]

---

(١) اول الكلام وتأوله فسره (٢) احاق انزل (٣) اللائمة اللوم
(٤) استكان خضع وهو من السكون فوزنه افتعال بزيادة الألف للاشباع كما قالوا فى انظر (انظور) ويرى بعض الناس انه من الكون وليس بوجيه لأن المعنى لا يعينه (٥) الموجدة الغضب
(٦) يطامن ، يخفض ويخفف (٧) الروع القلب والروع الفزع والخوف
(٨) الشريعة والشريعة والمشرعة مورد الشاربة من الماء (٩) الم البديع هنا يقول الشاعر

امر على الديار ديار ليـلي اقبل ذا الجدار وذا الجـدارا
وما حب الديار شغفـن قلبي ولـكن حب من سكن الديارا

(١٠) منعت الموانع

العوادى عنه أمليت ضمير الشوق على لسان القلم معتذراً إلى مولاي عن تقصير وقع وفتور فى الخدمة عرض . ولكنى اقول :

إن يكن تركي لقصدك ذنبا فكفي أن لا أراك عقابا

(الفصل الثانى [١] في رسائل حسن التقاضى والطلب)

(كتب الى عبيد الله بن سليمان أبو العيناء المتوفى سنة ٢٨٢ هـ)

انا (أعزّك الله) وعيالى زرعٌ من زرعك . إن أسقيتهُ راعَ [٢] وزكا ، وإن جفوتهُ ذبُلَ وذويَ . [٣] وقدْ مسّني منكَ جفاءُ بعدَ برٍّ ، واغفالٌ بعد تعاهد . حتى تكلمَ عدوٌّ ، وشمتَ حاسدٌ . ولعبتْ بي ظنونُ رجالٍ كُنتُ بهم لاعباً . ولهم مُخرِساً

لا تهني بعدَ أن أكرمتني وشديدٌ عادةٌ منتزعه

(وكتب المرحوم عبد الخالق باشا ثروت)

إليكَ (يا من قد استأسرَ النفوسَ بكرمِه . واسترقّ الأحرارَ بجميلِ صُنعه وأولى النّعمَ والخيراتِ . وأسدَى المعروفَ والمبرّات) . أرفعُ كتاباً . تبعثهُ إلى ناديك العالى عوامل الحاجة ، وتزجيه [٤] إلى ساحتك دواعي الشدّة . آملُ أن يكونَ تذكرةً بأمري ، (والذّكرى تنفعُ المؤمنين) وتذكرةً بحالى (والله لا يُضيعُ أجرَ المُحسنين) فقد كان سيدي رفعَ الله قدره ، وأعلى مرتبته ، وعدّنى (ومثلُه من يتمسك من الوفاءِ بالعُروة [٥] الوُثقى ، ويقطعُ حبلَ الإخلاف بسيف الوفاءِ . ويُطرزّ خلعةَ الوَعدِ بوَشْي العطاء) أنْ يُرسِلَ إلى من خيراته

---

(١) والفصل الاول فى الرسائل التجارية التى أغفلناها فى كتابنا هذا لان لها مؤلفات خاصة بها فارجع اليها اذا شئت (٢) نما وزاد (٣) ذبل (٤) تدفعه (٥) من الحبل الوثيق المحكم

ويُوليَنى من آلائه وحسناته، ويضاعفَ لى من منَنِه، ويزيدَنى من عطائه ما أشدُّ به أزْرِى [١] على الزّمان. وأُطاولُ به نوائب الحدثان. [٢] فقد بارزَنى الدّهر بسيُوفه، ورَمانى بسهامه، وأناخَ [٣] علىَّ بكلاكِلِه [٤] وقد طالَ الأمدُ [٥] على حاجتي عند سيّدي (أطال الله بقاءه) حتى طال غرَاب شبابها، وصاحَ بجانب ليلها، فخفتُ أن تكون هبَّتْ عليها ريحُ النِّسيان، وعَصفَتْ [٦] بها عاصفة [٧] الحدثان [٨] فكتبتُ إلى سيدي ومولاي تلك الرقعة، أستعجلُ بها بِرَّهُ، وأستدرُّ بها ضَرْعَ عَطائه. علماً بأنّ التّعجيل يُكبِّرُ العطية، وإن كانت صَغيرة. ويُكثرها، وإن كانت يسيرةً. فعسى أن يكونَ قد لاحَ نجم النجاح وهبّ نسيمُ الفلاح. فيُرسلُ سيدى إلىَّ سحاب كَرمه، ويمطرُنى من غِياث فضله فَترِفُّ [٩] غصونُ آمالى بعد ذُبولها، وتضحكُ وُجوه مطالبى بعد عُبُوسها وأملى فى ذلك فسيحٌ، فانّ سيّدي من أكرم الناس نسباً وأشرفهم حسباً. ومثله جديرٌ [١٠] بحفظ العهد، وإنجاز الوعد - فان رأى سيدي أن يخفّفَ ثقل الحاجة عنّي، ويَرُدّ ما سَلَبَه الدّهر منّي بقَطرَةٍ من بحر عطائه، ومنّةٍ [١١] من بعض آلائه، [١٢] ويجبُرَ ما كسرهُ الفقرُ من جَناحي، ويرُدّ عنّي النّوائب التى لا تفتأ [١٣] تتولاّنى - عقدتُ لسانى على مدْحه، ووقفتُ نفسي على شكره. فيُحْرِزَ من الله أجراً جزيلا، ومني شكراً جميلا. ان شاء الله بمنه وكرمه.

(وكتب المرحوم أحمد بك رأفت)

السيّد الكامل (أدام الله عَلاءَه، وأطالَ بقاءَه، وجعله موئل [١٤] الكرام

---

(١) ظهري (٢) بفتح الحاء والدال أو بكسر الحاء وسكون الدال حوادث الدهر (٣) مال (٤) مصائبه (٥) الغاية (٦) اشتدت (٧) الريح (٨) حوادث الدهر (٩) تتلألأ (١٠) حقيق (١١) نعمة (١٢) نعمه (١٣) تستمر (١٤) ملجأ

ومُسدِى النِّعَمْ) قد غمرَنى بنعمائه ، وطوَّقني بآلائه . حتّي قصَرْتُ حمدِي عليه وأمسكت لسانى عن الشكر إلاّ إليه . وكان من مِنَنِهِ علىَّ ، وأياديه البيضاء لديّ - أن وعدَنى أنه يُقلّدُنى فى أوّل العام وظيفةً عالية ، ومرتبة سامية . فاخضلّ(١) رَوضُ الأمل بعد ذبوله ، وبزَغَ(٢) كوكبُهُ بعد أفُوله(٣) واتّسعَ نطاقُهُ(٤) واستبشرَ القَلْبُ بنيل أُمْنِيته ، والحصُول على طلْبته . واشتدَّ أزْرِى(٥) على مُقارعة كتائب(٦) الزّمان ، وقوي جَنانى على صدْ جيُوش الحدْثان . وما زالتْ بى الأيام ، حتي حانَ أوّلُ العام ، وما تحقَّقَ الوَعدُ ، أوْ أُوفى العهْدُ . ومثْلُ السّيد مَنْ إذا وعدَ وَفى ، أو تعهَّدَ أوْفى .

أفى دِين ذِي المعرُوف يجملُ أنَّني ... تنوءُ بىَ البُؤسي ويُثقِلُنى العُسرُ
وأنتَ الذي أعطي المكارم حقها ... ولم يحكَ جَدْواكَ السّحابُ ولا البَحرُ
فعجّل فخيرُ البرِّ يُحمدُ عاجِلاً ... وأوْفِ فوَعدُ الحُرّ دِينَ بِهِ الحُرُّ

هذا ولكنّنى رجعتُ وحكّمتُ العقلَ ، فعذَرْتُ السيد ، وحملتُ ذلك على أنهُ إنما لم يعجّلْ بأنجاز وَعدِه ، وإيفاءِ عَهده ، إلاّ لتقليد عبده وظيفةً أسمى ومرتبةً أعلى ، علّهُ يستدرِكُ ما فات ، ويُحسنُ إلى عبدِهِ فيما هُوَ آت

(وكتب الفاضل عبد العزيز بك محمد)

عهدى بالسيد الجليل (أدامهُ الله مَصدراً للمكارم تَشتقُّ منهُ صِفاتها ، ومظهراً للفضائل تتجلّى فيه آياتُها) سبّاقاً إلى غايات المجد درّاكاً لمطالب الحمد ، أرْيحيّاً(٧) لا يَصبو(٨) إلاّ الى إسْداءِ المِنن ،(٩) جَواداً لا يطمعُ طرفه فى بَثّ عوارفه إلى

(١) صار نديا (٢) طلع (٣) غيبته (٤) ثوبه (٥) ظهري (٦) الجيوش (٧) يرتاح للعطاء (٨) لا يميل (٩) احسان

ثمن . ما أمّه (١) أسيرُ فاقة (٢) الاّ وألْفَي (٣) لديه كهفاً منيعاً ، وجاهاً رفيعاً . وما قصده ذُو حاجةٍ الاّ وصدَر (٤) عن موْرِد (٥) فضله شادياً (٦) بثنائه ، مُعلناً بولائه . وإنّ لى الى السيّد حاجةً ان لم يُسْعفْ بقضائها ، فيا حسرة نفسي وطولَ شقائها . وليست هذه بأوّل مرّةٍ استمحتُ (٧) فيها عالى مُرُوءَته ، واستَمْطَرْتُ صَيِّبَ (٨) همّته . فانّهُ طالما طوّقني قلائد نعمه ، وأرسل علىّ مِدْرار (٩) كرمه . فليجرْ فى هذه أيضاً على عادته ، ويُقابلْني بما عوّدَني من كرامته . ومعاذَ الله أن أسأله ما ليس فى وُسعه ، أو أن أستقضيَه شيئاً يحرصُ على منعه . ولكنّني

أُريدُ بسطةَ كفّ أستعين بها على قَضاءِ حقُوقٍ للعلى قِبَلى

والذى يكفلُ لى تلك البسطة : أن يقلدنى سيدى وظيفةً مناسبةً لحالتي ، حتى تكون لى درْعاً أتّقى بها مهانة الفقر ، وسيفاً أكفُّ به عوادى الدّهر . ومالى والأقسام عليه فى إنالتي هذه البغية : بنفيس وقتٍ قضيتُه فى خدمة العلم ، واقتناء أبكاره ، وطويل عناءٍ تحمّلته فى مزاولة (١٠) الادب واكتشاف أسراره ، ونفسٍ ارتاضت (١١) بالفضْل ، وآثرتْ (١٢) غصّة الفقر على منّة البذْل ، وله من سنيّات (١٣) الفضائل ، (١٤) وعليّات الفواضل ، (١٥) وجليّات المآثر ، وجليلات المفاخر — ما لو اقسم به عليه فى إنالة أعز المطالب ، لألزمه كرمُ سجاياه برّ ذلك القسم ، واجابة دَواعي الهمم ، وانك لفاعلٍ ان شاء الله تعالى .

(وكتب أفقد الأدب حسن افندي توفيق العدل المتوفى بلندن سنة ١٣٢٢ هـ)

كتابى إلى ربّ النّعماء ، واليدِ البيضاء ، وقد أصبحتُ كما قال الحريرى :

---

(١) قصده (٢) فقر (٣) وجد (٤) رجع (٥) مكان الورود (٦) مترنما (٧) سألته العطاء (٨) السحاب (٩) مايدر بالمطر (١٠) معاناته (١١) تمرنت (١٢) اختارت (١٣) عاليات (١٤) جمع فضيلة : الدرجة (١٥) فاضلة النعمة الجميلة

«خاوِيَ (١) الوِفاض (٢) بادِيَ (٣) الانقِباض، (٤) لا أملكُ بُلْغة، (٥) ولا أجد فى جرابى مضغة» (٦) ـ قد التوى علىَّ أمْرِي، وثقلَ من حاجتي ظهري. مدّ الاحتياجُ إلىّ أطنابَه، (٧) وسَرْبلَني (٨) الافتقار إهابَه (٩). والدُّنيا مكدِّرة بأحداثها، (١٠) وقصورُها منغصةٌ بأجداثها (١١) نعيمها يَضفُو، (١٢) ولكن لا يصفو وأنتَ (كما أعلم) مفرِّجُ كُرْبتي، ومُنقذي من شدّتى، بطُرفة (١٣) من طرف رِفْدك، (١٤) ولَمْحةٍ من لَمحات بِرِّك. (١٥) فان استدررْتُ (١٦) حلوبة (١٧) مالكَ، فقد لاذ غيري بجاهك. ما يمّمْتُ (١٨) غيرَك. وكيف يَقصِدُ النّهر، من جاوَز البحرَ ويحتاجُ إلى النَّجم، من يسْرى فى ضوءِ البدر؟ فأستهزُّ عِطف (١٩) جُودكَ، وأستمطرُ سَحاب كرَمك. كيف وأنتَ قِبْلَةُ المعرُوف! وملاذ الملهوف! اليك تُشدُّ الرِّحال، وبك تُناط الآمال. أوْلياؤُك مِنك فى ظِلّ ممدُود، وهناءٍ وسعُود. أفأنت الشّمس عمّت بالإشراق؟! أو الغيث والى الاندِفاق؟! ـ لكن.

مَنْ قاسَ جدْوَاك يوْمًا بالسُّحْبِ أخْطأ مدْحَكْ
فالسُّحْبُ تعطِي وتبكى وأنت تُعطِى وتضحكْ

نَسَبُ الكرَم بك عَرِيقٌ، وروضُ المجد أنيقٌ، أصلٌ راسخٌ، وفرْعٌ شامخ. تهتزُّ للمكارم اهتزازَ الحُسام، وتثبُتُ أمامَ الشّدائد بثغْرٍ بَسّام.

تراهُ إذا ماجئتَهُ متهلِّلاً كأنّك تعطيه الذى أنتَ سائلُهْ

---

(١) خالى (٢) بكسر الواو جراب الزاد (٣) ظاهر (٤) فناء الزاد والمال (٥) بضم الباء المؤنة القليلة (٦) انتهى كلام الحريرى (٧) حبال الخيمة (٨) البسنيه قميصا (٩) جلده (١٠) مصائبها (١١) قبورها (١٢) يكثر (١٣) بنعمة (١٤) عطائك (١٥) احسانك (١٦) استحلبت (١٧) ماتحلا (١٨) ما قصدت (١٩) جانب

حكّمت الامال فى أموالك، واستعبدت الأحرار بفعالك، ينابيع الجود من أناملك تتفجّر، وربيع السّماح بك ضاحكٌ لا يضجر، فلا زلت مولاي ممتّعاً بشرف سجاياك وشيمك، مستمدّاً الشكر من غراس نعمك، ولازالت الأنام تنتفع بتلك الشّيم، وتجنى ثمار ذلك الكرم، ودمت للمكارم بدر تمّ لا يناله خسوف، وشمس فضٍ لا يلحقها كسوف، أطال الله لك البقاء، كتطوّل يديك بالعطاء آمين.

استمناح رجل لعبد الملك بن مروان

وفد رجلٌ من بني ضبّة على عبد الملك بن مروان فقال:

والله ما ندري إذا ما فاتنا ... طلبٌ اليك من الذي نتطلّب ؟

فلقد ضربنا (١) فى البلاد فلم نجد ... أحداً سواك الى المكارم ينسبُ

فاصبر لعادتنا التى عوّدتنا ... أو لا فأرشدنا الى من نذهبُ؟

فقال عبدُ الملك. إلىّ ! الىّ ! وأمر له بألف دينار. ثم أتاهُ فى العام المقبل فقال.

يربُّ (٢) الذي يأتى من الخير أنه ... إذا فعل المعروف زاد وتمما

وليس كبانٍ حين تمّ بناؤه ... تتبّعه بالنقض حتى تهدّما

فأعطاه ألفى دينار. ثم أتاه فى العام الثالث فقال.

إذا استمطروا كانوا مغازير (٣) فى الندي ... يجودون بالمعروف عوداً على بدء

فأعطاه ثلاثة آلاف دينار.

---

(١) ضرب فى الارض سافر (٢) رب زاد وأصلح (٣) اغزر المعروف جعله غزيرا. والمغازير لا يكون الا جمعا لمغزار أو مغزير من صيغ المبالغة ولم أجدها في اللسان والقاموس. وفي المخصوص سحابة مغزار: غزير فيكون جمعا لمغزار حتما.

استمناح العتابى لأحد أصدقائه

كتب كُلثوم[١] بنُ عمرو العتّابى الى صديق له

أمّا بعدُ — أطال الله بقاءك، وجعله يمتد بك إلى رضوانه والجنّة — فانك كنت عندنا روضةً من رياض الكرم، تبتهج النّفوس بها، وتستريح القلوب اليها وكُنا نُعفيها من النُّجعة[٢] استماماً لزهرتها، وشفقة على خضرتها، وادّخارا لثمرتها، حتّى أصابتنا سَنَةٌ كانت عندي قطعةً من سِنِي يوسف، واشتدّ علينا كَلَبها[٣]، وغابت قِطتها، وكذبتنا غُيومُها، وأخلفتنا بُرُوقُها، وفقدنا صالح الإخوان فيها، فانتجعتُك. وأنا بانتجاعى إيّاك شديد الشّفقة عليك، مع علمي بأنّك موضعُ الرّائد[٤]، وأنك تُغطّي عينَ الحاسد. والله يعلم أنّي ما أعُدُّك إلاّ فى حومة[٥] الأهل. واعلم أنّ الكريم اذا استحيا من إعطاء القليل ولم يُمكنه الكثير لم يُعرف جودُه ولم تظهر همّته. وأنا أقول فى ذلك[٦]

إذا تكرّمت عن بذل القليل ولم تقدِر على سَعةٍ لم يَظهَرْ الجودُ
بثَّ النَّوالَ ولا تَمنَعْك قِلّته فكلّ ما سَدَّ فقراً فهو محمود

قيل — فشاطره جميع ماله

---

(١) من سلالة عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة، وكان شاعرا مترسلا بليغا مطبوعا متصرفا فى فنون الشعر من شعراء الدولة العباسية ومن شعره فى الشكر

فلو كان للشكر شخص يبين اذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه لتعلم أنى امرؤ شاكر

وله مع الرشيد والمأمون والبرامكة أخبار ونوادر.

(٢) النجعة طلب الكلأ فى موضعه (٣) الكلب القحط وبلاء الشتاء ومرض يصيب الكلاب (٤) الرائد الطالب (٥) الحومة هنا الجماعة والطائفة (٦) كذا ذكر القالى فى أماليه وقد حذفنا من روايته ثلاثة أبيات قليلة الاتصال بالغرض. هذا والمعروف أن هذه الأبيات لشاعر يسمى حماد عجرد أو لبشار بن برد لا للعتابى وتبعه هذا علي القالى.

استمناح اعرابية لعبد الله بن أبى بَكْرَةَ

دخلت أعرابية على عبد الله[١] بن أبى بَكْرة بالبَصْرة فوقفت بين السِّماطين[٢] فقالت : — أصلح الله الأمير وأمْتَعَ به — حَدَرَتْنا إليك سَنَةٌ اشْتَدَّ بلاؤها وانكشف غِطاؤها ، أقودُ صِبيةً صِغاراً ، وآخرين كِباراً ، فى بلدة شاسعة تَخْفِضُنا خافضة ، وترْفعُنا رافعة ، لُمِلِمَّاتٍ من الدَّهر أذْهَبْنَ لحمي ، وبَرَيْنَ عَظْمي وتَرَكْنَني والِهة[٣] أَدُور بالحضيض ، وقد ضاق بىَ البلدُ العريض . فسألتُ فى أحياء العرَب . من الكامِلة فضائله ، المُعْطَي سائلهُ ، الكافى نائلهُ ؟ فدلت عليك — أصلحك الله تعالى — وأنا امرأة من هَوازن[٤] ، قد مات الوالد ، وغاب الرافد وأنْتَ بعد الله غِياثى ومنتهى أَمَلى ، فاصنع بى إحدَي ثلاث خصال . إمّا أن تَرُدَّنى الى بَلَدِي ، أو تُحْسِنَ صَفَدى ،[٥] أو تُقيم أوَدِى[٦]

فقال . بل أجْمَعُهن لك . ولم يزل يُجرِي عليها كما يُجرِي على عياله حتي ماتت!

استمناح حكيم فارسى للمهلب

قال الهيْثَم بن عَدِىّ : قدم حَكيمٌ من حُكماء أهل فَارِسَ على المُهَلَّب فقال : — أصلح الله الأمير — ما أشْخَصَتْنِي الحاجَةُ ، وما قَنِعْت بالمُقَام ، ولا أرْضي مِنْك بالنِّصف إذ قمتُ هذا المَقام . قال . ولِمَ ذَلك ؟ قال . لان النّاسَ ثلاثة . غَنِيّ وفقير ومُسْتَزِيد ، فالغَنِىّ مَن أُعطي ما يستحقّه ، والفقير من مُنع حَقه ، والمستزيد الذي يطلب الفضل بعد الغِنَي ، وإنّي نظرت فى أمرك

---

(١) هو ابن أخي زياد ابن أبيه (٢) السماط الصف (٣) الوالهة والولهى الشديدة الحزن (٤) هوازن قسم من قيس وعبد الله بن بكرة نسبه فى ثقيف وهم من هوازن فهى تريد أن تميله بعاطفة القرابة (٥) الصفد العطاء (٦) الأود الاعوجاج

فرأيتُ أنّك قد أدّيت الىّ حقي ، فتاقت نفسى الى استزادتك ، فإنْ منعتني فقد أنصفتَني ، وإنْ زِدْتَنى زادت نعمتك علىّ ، فأعْجَب المهلب كلامهُ ، وقضي حوائجه

تلطّف رجل من أهل الشام في استمناح المنصور

قدّم رجل من أهل الشام على أبى جعفر المنصور فتكلّم معه كلاما حسنا ، فقال له أبو جعفر . حاجَتَك . فقال . يُبْقِيك الله يا أميرَ المُؤمنين . قال : حَاجتك فانّه ليس كلّ ساعة يمكنك هذا ولا تؤْمر به ، فقال . والله ما أستقْصِر عمرك ، ولا أخاف بُخلك ، ولا أغتنم مالَك ، وانّ سُؤالك لَشرفٌ ، وان عَطاءك لَزَيْن ، وَما بامرِيء بَذل وجهه اليك نقصٌ ولا شَيْنٌ . فأمر له المنصور بمنحة سنيّة .

وقد ألمّ الرجل فى أكثر معانيه بقول أمية بن أبى الصّلت يستمنح عبد الله بن جُدْعان (١) القرشى .

عَطاؤُك زَيْن لامريءٍ إنْ حَبوتَهُ ببذلٍ وَما كلّ العطَاء يَزينُ
ولَيس بشيْن لامريء بذل وجهه اليك كما بعض السّؤال يَشين

. . .

ومن ألطف الاستمناح قول أمية يخاطب ابن جُدْعان أيضا .

أأذكرُ حاجتي أم قد كفانى حِبَاؤك إن شيمَتك الحباء

(١) عبد الله بن جدعان من بني تيم رهط سيدنا أبى بكر الصديق وهو جواد مشهور وكان امية مداحا له منقطعا اليه توفى أمية بين يدى الاسلام

وعلمك بالأُمور وأنت قَرم لك الحسب المهذَّب والسَّناءُ(١)
كريم لا يُغيّره صباحٌ عن الُخلق الجميل ولا مَساءُ
تبارى الرِّيح مَكْرُمة ومجْدا اذا ما الكلبُ أجْحَره الشِّتاءُ(٢)
اذا أثنى عليك المرءُ يوماً كفاه من تَعرُّضه الثّناءُ (٣)

استمناح عبد العزيز بن زرارة لمعاوية

قال العتْبي . وفدَ عبدُ العزيز بن زرارة على معاوية ، فلما أذِن له وقف بين يديه وقال . يا أميرَ المؤمنين ! لم أزل أهُزّ ذوائب(٤) الرحال اليك، اذ لم أجد معوَّلا إلاّ عليك، أمْتطى الليل بعد النهار ، وأسم (٥) المجاهل بالآثار ، يَقودُني اليك أمَل ، وتَسوقني بَلْوَى ، والمجتهد يُعْذَر . وإذ قد بَلَغْتُك ففطني (٦) . فقال معاوية ، احْطُطْ عن راحلتك .

...

ولما وَلي الخليفة المُهتَدي سُليمانَ (٧) بن وَهْب وزارته قام اليه رجلٌ من ذوى حُرْمته فقال : ـ أعزّ الله الوزير ـ أنا خادمك المؤمِّل لدَوْلَتك ، السعيد بأيامك المنطوي القلب على وُدّك ، المَنْشُور اللسان بمدحك ، المُرْتَهن بشكر نعمتك . وقد قال الشاعر .

وفيتُ كلّ صديق وَدَّني ثمنا إلاّ مُؤمِّل دوْلاتي وأيّامي

---

(١) القرم الفحل والسيد والسناء الشرف، والسنا : الضوء (٢) اجحره: الجأه (٣) يقول: انك لاتجشم المحتاج مؤنة السؤال لأنك تستغني بثنائه عن استجدائه (٤) الذوائب : جمع ذؤابة وهي الجلدة المعلقة على آخرة الرحل . (٥) وسم الأرض كوعد : ترك فيها اثرا (٦) قطني اسم فعل بمعني يكفيني ومثلها قدني (٧) سليمان بن وهب من كبار وزراء الدولة العباسية ، وقد تقدم ذكر ابنه عبيد الله وحفيده القاسم . توفى سليمان سنة ٢٧٢ هـ

فانني ضامن أنْ لاَ اكافئَه إلا بتسويغه فصلى وإنعامي (١)

وإنّي لكما قال القيسي (٢) : مازلت أمتطى النهار اليك، واستدلّ بفضلك عليك، حتي اذا اجْتَنّ الليل فغَضّ البصر، ومحا الأثر، قام الرجاءُ يدنى سائر أملى والنفس راغبة والاجتهاد عاذر واذ قد بلغتك فقدنى . فقال سليمان : لا عليك فانى عارف بوسيلتك محتاج الى اصْطناعك وكِفَايتك ، ولست أؤخّر عن يومي هذا توليتك ما يحسنُ عليك أثره ، ويَطِيب لك خَبَره .

وكتب رجلٌ من أهل البَصرة الى أخ له :

أما بعدُ فانه يُسَهِّل علىَّ طلب الحاجة أمران فيك،وأمران لى ، وأمرٌ من قبل الله وبه تمامها ، فأمّا اللذان فيك فاجتهادك فى النُّجْح، ومُبَالَغَتُك فى الاعتذار،وأما اللذان لى فانّى لا أضيق عليك بُعذْرى ، ولا أصونُ عنك شُكرى ، وأمّا الذى من قبل الله عز وجل فإيمانى بأن كل مُقَدّر كائن والسلام .

«وكتب المرحوم السيد مصطفي لطفى المنفلوطي .»

أنا إن سألتك حاجتي ـ أعزّك الله ـ وبَسَطْت اليك يد رَجائي فقد طَرَقتُ بابَ المكارم ، واستمطرت غَيْثَ المراحِم ، ورَجوتُ واحد الدّهر هِمّةً وحزماً ، ونادرة الوجود كرماً وفضلا . فانْ أنجزتها فليستْ أُولَي الهِمَم ، ولا واحدة النّعم فلكم سبقت الىّ منك أيادٍ تَخْرَس دونها ألسنة الشكر ،وتَضيق بها جرائد (٣) الحَصْر ولقد مَثّلت ـ أيدك الله ـ بين أن أسْتَشْفِع اليك بذَوي الجاه عندك ،والزُّلفي (٤)

---

(١) سوغه : اناله (٢) يريد بالقيسي عبد العزيز بن زرارة المتقدم لأنه من بنى عامر ثم من هوازن ثم من قيس . وقد ذكر عبارته بمعناها لا بلفظها . (٣) الجرائد : جمع جريدة وهى السفعة وكانت يكتب فيها ، فالمراد الصحائف (٤) الزلفي : القربة والمنزلة

لديك، وبين[١] أن أكل ذلك الى كرمك وفضلك وما طبعت عليه نفسك الشريفة من خلال الخير وسجايا البر، فرأيت أن الثانية بك أحري، وبفضلك أجدر والسلام.

استمناح الصابيء لبعض الرؤساء

وكتب أبو اسحاق[٢] الصابيء الى بعض الرؤساء:

قد جرت العادة ـ أطال الله بقاء الامير ـ بالتمهيد للحاجة قبل موردها وإسلاف[٣] الظنون الداعية الى نجاحها. وسالك هذه السبيل يسيء الظن بالمسئول فهو لا يلتمس فضله الاجزاء، ولا يستدعي طوله الاقضاء. والأمير بكرمه الغريب ومذهبه البديع، يؤثر أن يكون السلف له، والابتداء منه، ويوجب على المهاجم برغبته اليه، حق الثقة به. فالحمد لله الذي أفرده بالطرائق الشريفة، ووحده بالخلال المنيفة، وجعله عين زمانه البصيرة، ولمعته[٤] الباقية المنيرة.

* * *

وكتب محمد بن عباد الى جعفر بن محمد وزير المعتز وكان يتقرب اليه

ما زلت ـ أيدك الله تعالى ـ أذم الدهر بذمك إياه، وانتظر لنفسي ولك عقباه، واتمني زوال من لاذنب له، الى عاقبة محمودة تكون بزوال حاله، وأترك الإعذار[٥] في الطلب، على الاختلال[٦] الشديد ضنا بالمعروف عندي إلا عن أهله، وحبسا لرجائي إلا عن مستحقه.

---

(١) كرر الكاتب بين توكيدا، وهو جائز مسموع وأنا استحسنه اذا طال ماقبل المعطوف كما هنا (٢) الصابيء: هو أبو اسحاق ابراهيم بن هلال كاتب ديوان الانشاء عن الخليفة وعن عز الدولة بن بويه وهو معدود من رجالات الكتابة توفي سنة ٣٨٤ هـ (٣) الاسلاف: التقديم. (٤) اللمعة: البقعة والقطعة من الجسد تبرق (٥) اعذر: بالغ (٦) الاختلال: الاحتياج

ومن أرق الاستماحة [١] ما كتبه عُبَيْد الله بن طاهر الى سليمان بن وهب

أبى دَهْرُنا إسْعافَنا فى نُفُوسنا وأسْعفنا فيمن نُحب ونُكْرِم

فقلت له : نُعْماك فيهم أتمها ودَعْ أمْرَنا إن المُهِم المُقَدَّمُ

فاعجب سليمان بلطف طلبه فى تهنئته وقضى حوائجه .

وقال أعرابى لرجل . ما اتهمْتُ حُسْن ظني بك ، منذ توجَّه رجائي نحوك ، ولا قعدت بجَدّ فائل [٢] باعتمادي عليك ، ولا استدعتني رغبة عنك الى مَنْ سواك ، ولا أرانى الاختيار غيرك عِوضاً منك .

وكتب البديع الهمذاني فى بابه الى بعض أصحابه

لك ـ أعزَّك الله ـ عادةُ فضل ، فى كل فصل ، ولنا شِبْهُ مقْت ، فى كل وقت ولعمرى ان ذا الحاجة مقيتٌ [٣] الطّلْعة ، ثقيل الوطأة ، ولكن ليَسُوا سواء .

(الفصل الثالث فى رسائل الشكر)

« كتب أبو منصور الثعالبيُّ المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

الشكر تُرجُمان النِّية ، ولسانُ الطويَّة ، وشاهد الاخلاص ، وعنوان الاختصاص عندي من إنعامه ، وخاصّ برّه وعامّه ، ما يستغرق منهُ الشكر ، ويستنفدُ قوَّةَ النشر . شكر الأَسير لمن أطلقهُ ، والمملوك لمن أعتقهُ . شكر كا نفاس الاحباب فى الأَسحار ، أو أنفاس الرّياض غِبَّ الأَمطار .

« وكتب الحسن بن وهب المتوفى سنة ٤٧٢ هـ »

من شكركَ على درجةٍ رفعتهُ اليها ، أوْ ثَرْوَة أقدَرتَهُ عليها ـ فانَّ شكري لك

---

(١) الاستماحة : الاستمناح (٢) الجد : الحظ . والفائل : المخطيء

(٣) المقيت والمقوت : البغيض المكروه

على مُهجةٍ أحييتَها ، وحشاشةٍ أبقيتَها ، ورَمَق أمسكتَ به ، وقُمتَ بين التّلف وبينه . فلكُل نعْمةٍ من نِعَم الدُّنيا حدٌّ تنتَهى اليه ، ومدًى تقِفُ عندهُ ، وغاية من الشكر لا يَسمو إليها الطَّرْف ، خلا هـذه النّعمةَ التي فاقت الوَصف ، وأطالت الشكر ، وتجاوَزَت قدره . وأنتَ (من وراء كلّ غاية) رَددتَ عنّا كيد العدُوّ وأرغمتَ أنف الحسود . فنحن نَلْجأُ منك إلى ظل ظليل ، وكنَف (١) كريم . فكيف يَشكرُ الشّاكرُ ؟ وأين يبلُغُ جُهْد المجتهد ؟ !

« وكتب الأمير أبو الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ »

فأما الشكرُ الذى أعارَني رِداءَهُ ، وقلّدَني طَوْقَه وسناءَه ، (٢) فهيهات أن ينتَسب الاّ إلى عَادات فضله وإفضاله ! أوْ يَسيرَ إلاّ تحتَ رَايات عُرْفه (٣) ونوَاله ! (٤) وهوَ ثوْبٌ لا يُحلّي إلاّ بذكرِه طِرازُه . واسمٌ له حقيقته ، ولسوَاه مَجازُه . ولو أنه (حين مَلك رِقّى بأياديه . وأعجَزَ وُسْعي عن حُقوق مكارِمه ومساعيه) خلّى لى مذْهب (٥) الشكر وميدانَهُ ، ولم يجاذبْني زمامهُ وعِنانَه ـ لتعلّقت فى بلوغ بعض الوَاجب بعُرْوَة طمع ، ونهضْتُ فيه ولَوْ على وَهنٍ وَطلَع . (٦) ولكنهُ يأبي إلاّ أن يَستولى على أمد الفضائل ، ويتسنَّم (٧) ذرَا (٨) الغوارب (٩) منها والكواهل . (١٠) فلا يدعُ فى المجد غَايةً إلا سَبقَ اليها فارطًا ، (١١) وتخلّف سواه عنها حَسيراً (١٢) ساقطًا . لتكون المعالى بأسرها مجموعةً فى ملكه ، منظومةً فى سلكه ، خالصةً له من دعْوَى القَسم وشركه . (١٣)

---

(١) جانب (٢) رفعته (٣) معروفه (٤) عطائه (٥) الطريق (٦) كلاها الضعف (٧) يعلو (٨) اعالى (٩) جمع غارب ما بين الظهر والعنق (١٠) جمع كاهل ما بين الكتفين (١١) سابقا (١٢) كليلا (١٣) مشاركته

وكتب أستاذى المرحوم الشيخ محمد عبده [١] يشكر للمرحوم)

(حافظ بك ابراهيم تعريبه كتاب البؤساء)

لو كان لى أن أشكرك لظنّ بالغتَ فى تحسينهِ ، أو أحمدَك لرأي لك فينا أبدعتَ فى تزيينهِ ـ لكان لقلمي مَطْمعُ أن يدْنو من الوَفاءِ بما يوجبُه حقّك، ويجري فى الشكر الى الغاية كما يطلبُه فضلُك . لكنك لم تَقِفْ بعُرْفك [٢] عندنا ، بل عمّمتَ به مَن حولَنا ، وبسطتَه على القريب والبعيد من أبناء لُغتنا . زَفَفت الى أهل اللّغة العربية عَذراء من بنات الحكمة الغَربيّة ، سَحرَت قَوْمها ، وَملكتْ فيهم يومها . وَلا تزَال تُذبّ منهم خامداً وتهزُّ فيهم جامداً . بل لا تنفكّ تُحْيي من قلوبهم ما أماتَتْه القَسوَة ، وتقوّمُ من نُفوسهم ما أعوَزت فيه الأُسْوة .[٣] حِكمة أفاضها الله على رجلٍ منهم، فَهدَى الى التقاطها رجُلاً منّا . فجرّدها من ثوبها الغريب، وكساها حلةً من نسج الاديب، وجلاَها للنّاظر ، وحلاَّها للطّالب. بعد ما أصلَحَ من خَلْقها وَزان من معارِفها . حتي ظهرَت مُحبّبة الى القُلوب ، شيّقة [٤] الى مؤانسة البصائر تَهشّ [٥] للفهم وَتبَش، [٦] للطف الذّوق . وتُسابق الفكرَ الى موطن العلم ، فلا يكاد يلْحظها الوَهم ، الا وهي من النّفس فى مكان الأَلهام .

حاوَلَ قوْمٌ مِن قبلك أن يَبلُغوا من ترجمة الأَعجم مَبلغك فوَقَفَ العجز بأغلبهم عند مبتدأ الطّريق . ووصل منهم فريق الى ما يحبُّ من مقصِدِه ، ولكنه

---

(١) هو الاستاذ الامام المرحوم مفتي الديار المصرية سابقا ولد سنة ١٢٥٨ هـ وتوفى سنة ١٣٢٣ هـ وكتب هذا المكتوب شكرا لمترجم كتاب البؤساء وقد نظم قصيدة اثناء مرضه منها

ولست أبالى ان يقال محمد أبل او اكتظت عليه المآتم
ولكن د يناقد اردت صلاحه احاذر ان تقضي عليه العمائم

(٢) المعروف (٣) بالكسر والضم القدوة
(٤) لطيفه (٥) بفتح التاء تصل اليه بسهولة (٦) بفتح الباء من البشاشة

لم يُعنَ بأن يعيد الى اللّغة العربية ما فقدت من أساليبها، ويردَّ اليها ماسلبهُ المعتدون عليها من متانة التأليف ، وحُسن الصِّياغة ، وارتفاع البيان فيها الى أعلى مراتبه

أمّا أنْت ، فقد وفّيت من ذلك ما لا غاية لمزيدٍ بعدَه ، ولا مَطمَع لطالب أن يبلُغ حدّه . ولو كنتُ ممن يقول بالتّناسخ، لذهبتُ إلى أنّ روح « ابن المُقنّع » كانت من طيّبات الأرواح ، فظهرتْ لك اليوم فى صورة ابدَع ، ومعني أنفع . ولعلك قد سننت بطريقتك فى التّعريب سُنّة يعمل عليها من يحاوله بعد ظهور كتابك ويحملها الزّمان الي أبناء ما يُستقبَلُ منهُ . فتكون قد أحسنت الى الأبناء كما أجملتَ فى الصُّنع الى الآباء . وحكمت للّغة العربية أن لا يدخلها بعدُ من العُجمة سِوَى ما هو فى الأسماء (أسماء الأماكن والأشخاص، لا أسماء المعانى والأجناس) ومثلى من يعرف قدْرَ الإحسان إذا عمّ ، ويعلى مكان المعروف اذا شمل ، ويتمثل فى رأيه بقول الحكيم العربى أبى العلاء المعرى .

ولو أنى حُبيتُ الخلدَ فرْداً لَما أحببتُ بالخلد انفرادا

فلا هَطلت علىّ ولا بأرضي سَحائبُ ليسَ تنتظِم البلادا

فما أعجزَ قلمى عن الشكر لك ! وما أحقّك بأن ترضي من الوَفاءِ باللقاء!

« وكتب أيضاً فى الشكر مع توثيق المودّة الى بعض أصحابه »

لكَ فى قلوبنا من المودّة ما يزكيه سنَاؤُك ، وَفى مناطقنا من الحمد ما يُوجبه كمالُكَ ، وَفى صدُورنا من الإجلال ما يرفعهُ بهاؤك !

وَما بيننا من المودَّة لا تحُدُّه مُدّه ، ولا تخلق له جِدَّه . نعيذه من حاجة للتجديد ، واستدعاءٍ للمزيد . فلا المواصلةُ تربيه ، ولا المجاهلةُ تُوهيه ـ نَعمْ إنَّ ما يحفظُ لك فى الأنفُس هو تجلى فضلك ، ومثالُ علائك ونبلك ، وذلك الخالد

بخلود الأَرْواح ، الباقي فِى تفانى الأَشباح .

وَبعدُ ـ فقد تلقيتُ مِنك كتاباً يَبُوح بسرّ المحبَّة ، ويَنشرُ طَىَّ الصَّداقة فيه تبيان وُجدانكَ ممّا وَجدْنا ، وتأثّرك على ما فقدنا ، فكان نبأ عما نعلمُ ، وقضاء بما نحكم . ولكن شكَرْنا لك فضلَ المرَاسلة ، وأريحيّة المجاملة ، والله يتولى إيفاءك ، مثوبةً تكافئ وفاءَك .

« وكتب أيضا فى الشكر لآخر »

لوْ كان فى الثناء ، ومُلازمةِ الدُّعاء ، وحفظِ الجميل ، والقيام بالخدمة جُهد المستطيع ما يَفى بشكرِ مَنْ يَفتتح بابَ المحبة ، ويَبدأ بصنائع المعرُوف لكنت والحمد لله منْ أقدَر النّاس عليه . ولكنْ أنّي يكون فى ذلك وَفاءٌ ؟ والمحبَّة سرُّ نظام الأَكوَان ! والأَحسانُ قِوَام عَالَم الامكان ! وَالقائمُ على كنْهِ جميعه قيُّومُ السَّمَوَات وَالأَرْض ! والمفتتحُونَ لأَبوَاب العُرْف على هذه النِّسبة الجليلة منهُ فليس لى إلا أنْ ألجأ الى الله فى مكافأة فضيلتكم ، على ما كان منكم أيام الاقامة بينكم ، ثمَّ أُسلّي نفسي عن عجزِى بما أتخيلُ أن كرمكم سيروي :

سيكفي الكريم إخاءُ الكريم ويَقنع بالوُد منه نوَالا

وبعدَ هذا أرجو عفوكم عن التّقصير فى المبادرة الى المكاتبة ، لأنى شغلت بما شَغَلني عن نفسي . ولكن زالت العوَارض (والحمد لله) وفاتني لهذا العذر تهنئتكم بالعيد . (وإنما للمؤمن فى كلّ يوم برّبه عيد) فنهنئكم برضاءِ الله عنكم وتقبله صالح الاعمال منكم . وسلامي على نجلكم ومن ينتمى اليكم .

(الفصل الرابع في رسائل النصح والمشورة)

(كتب بديع الزمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

اسمع نصيحة ناصحٍ جَمَع النّصيحة والْمِقه (١)
إياك واحذرْ أنْ تكو ن من الثّقاتِ على ثقه

صدَق الشاعر وأجاد، وللثّقات خيانة فى بعض الأوقات: هذه العينُ تريك السَّرابَ (٢) شرابًا. وهذه الأُذُنُ تُسْمِعُكَ الخطأ صوَابًا. فلست بمعذور، إن وثقت بمحذورٍ. وهذه حالةُ الوَاثق بعَينه، السّامع بأُذُنه:

وأري فُلَانًا يُكْثِرُ غِشْيانك (٣) وهو الدنيء دُخلتُه (٤) الرّدي جُملته السّيىء وُصلتُه، الخبيثُ كلمتُه. وقَدْ قاسمتَه فى زِرّك، (٥) وجعلته موْضعَ سرّك فأرني موضع غلطك فيه، حتّي أُريك موْضعَ تَلَافيه (٦). أفظاهرُهُ غرّك؟ أم باطنُه سَرَّك؟!

يا مولاي: يُورِدُك (٧) ثم لا يُصدِرُك (٨) ويُوقِعُك ثمَّ لا يَعْذُرُك. فاجتنبه ولا تقرَبه، وإن حْضر بابَك، فاكنُس جنابك (٩). وإن مَسَّ ثَوْبك، فاغسلْ ثيابك وانْلَصِقْ بجلدِك، فاسلُخْ إهابك. ثم افتتح الصّلاة بلَعْنِه. وإذَا استعذْتَ بالله من الشّيطان فَأعنه (١٠)

(وكتب الاسكندر المقدونى الى أستاذه الحكيم أرسطو)

(يستشيره فيما يفعله بأبناءِ ملوك فارس بعد أن قتل آباءَهم وتغلّب على بلادهم)

عليك أيُّها الحكيم منا السّلام. أمّا بعدُ فان الأفلاك الدّائرةَ والعلل

---

(١) المحبة (٢) ما تراه نصف النهار عند اشتداد الحر كالماء يلصق بالارض وهو مثل فى الخادع الكاذب (٣) اتيانك (٤) بتثليث الدال نيتــه (٥) قوام القلب (٦) تداركه (٧) يوصلك الى مكان ورود الماء (٨) لا يرجعك (٩) الفناء والناحية (١٠) اقصده

السماوية ، وإن كانت أسعدتنا بالأمور التى أصبح الناسُ لنا بها دائنين ـ فإنّا مضطرُّون الى حكمتك غيرُ جاحدين لفضلك ، والاجتباء (١) لرأيك ، لِما بلونا من إجداء (٢) ذلك علينا ، وذُقنا من جَنْي (٣) مَنْفعته ، حتى صار ذلك وبنُجُوعه (٤) فينا ، وترسُّخه فى أذهاننا ، كالغذاء (٥) لنا . فما ننفكُّ نُعوِّلُ عليه ، ونستمدُّ منهُ استمدادَ الجداول من البحار . وقد كان مما سبقَ الينا من النَّصْر ، وبلَغنا من النّكاية فى العدُوّ ما يعجزُ القولُ عنْ وَصفه ، والشكرُ على الإنعام به . وكانَ من ذلك أنّا جاوَزْنا أرْضَ سُورية والجزيرة ، إلى أرْض بابل وفارس ، فلمّا نزلنا بأهلها ، لم يكن الاّ ريثما (٦) تلقانا نفرٌ منهم برأس مَلِكهم هدّية ، وطلبا للحُظوة عندنا . فأمرْنا بصلْب منْ جاءَ به وشُهْرته ، لسوء بلائه ، وقلّة ارْعوائه ووفائه . ثمّ أمَرْنا بجمع من كان هنالك من أوْلاد ملوكهم وأحْرارهم ، وذوي الشرَف منهم . فرأينا رجالاً عظيمةً أجسامهُم وأحلامُهُم ، (٧) حاضرة ألبابهُم وأذهانُهم ، رائعة (٨) مناظرُهم ومَناطِقُهُم ، دليلاً على أنّ وَراء ذلك مالم يكُن معهُ سبيلٌ إلى غلبتهم . ولوْلا أنّ القضاءَ أدالنا (٩) منهم ، وأظهرَنا عليهم ولم نرَ بعيداً من الرّأى فى أمرهم أنْ نستأصِل (١٠) شأفتهُم (١١) ونَجْتثّ (١٢) أصلهم ونُلْحِقهُمْ بمن مضَى من أسلافهم ، لتسْكُنَ القلوبُ بذلك إلى الأمن من جرائرهم (١٣) وبوائقهم (١٤) فرأينا أنْ لا نَعْجل ببادرَة (١٥) الرّأي فى قتلهم ، دُون الاستظهار بمَشُورتك فيهم .

---

(١) الاختيار (٢) اعطاء (٣) مايجني ويؤخذ من الثمر (٤) بتأثيره (٥) بكسر الغين ما يتغذى به (٦) مقدار ما (٧) جمع حلم بكسر الحاء العقل وبضمها المنام ليلا (الرؤيا) (٨) زائدة (٩) جعل لنا الكرة عليهم (١٠) نقطع (١١) عداوتهم (١٢) نقتلع (١٣) كناية عن شرورهم (١٤) الدواهى (١٥) ما يظهر عند الغضب

فارفع إليّ رأيك في ما استشرتك فيه بعد صحته عندك ، وتقليبك إياه بجلي نظرك .

والسلام على أهل السلام . فليكن علينا وعليك .

«وكتب أرسطو المتوفى قبل الميلاد إلى الاسكندر المقدوني»

إنّ لكلّ تربة (ولا محالة) قسماً من كل فضيلة . وإنّ لفارس قسمها من النجدة والقوة . وإنك إن تقتل أشرافهم ، تخاف الوضعاء منهم على أعقابهم . وتورث سفلتهم ، (١) منازل عليتهم . وتغلب أدنياءهم على مراتب ذوي أخطارهم ولم تبتل الملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم من غلبة السفلة وذل الوجوه . وأحذر الحذر كله أن تمكن تلك الطبقة من الغلبة ، فانهم إن نجم منهم ناجم على جندك وأهل بلادك ، دهمهم ما لا روية فيه ، ولا منفعة معه — فانصرف عن هذا الرأي إلى غيره . واعمد الى من قبلك من العظماء والأحرار ، فوزع بينهم مملكتهم . وألزم اسم الملك كل من وليته منهم ناحية . واعقد التاج على رأسه ، وإن صغر ملكه . فإنّ المتسمّي بالملك لازم لاسمه ، والمعقود له التاج لا يخضع لغيره ولا يلبث ذلك أن يوقع بين كل ملك منهم وصاحبه ، تدابراً وتغالباً على الملك وتفاخراً بالمال والجند ، حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك ، وتعود بذلك حربهم لك حرباً بينهم . ثم لا يزدادون بذلك بصيرة إلا أحدثوا هنالك استقامة لك فان دنوت منهم كانوا لك ، وان نأيت عنهم تعززوا بك . حتى يثب كل منهم على جاره باسمك ، وفي ذلك شاغل لهم عنك ، وأمان لاحداثهم بعدك . (وإن كان

(١) بفتح السين وكسر الفاء السقاط من الناس وبعض العرب يخفف فينقل كسرة الفاء الى السين

لا أمان للدَّهر) وقد أدَّيتُ للملك ما رأيتُهُ حظّا ، وعلىَّ حقّا . والملك أبعدَ رويّةً وأعلى عَيناً فى ما استعان بى عليه .

وَالسّلام الذي لا ٱنقضاءَ له وَلا انتهاء ، وَلاَ غايةَ وَلا فناءَ ، فليكنْ على الملك

(ومن رِسالة للامام على المتوفّى سنة ٤٠ هـ)

دَعِ ٱلإِسرَافَ مُقتصِداً . واذكر فى اليوْمِ غدا . وَأمسكْ منَ المال بقدْر ضرُورتك . وقدِّم الفَضل (١) لِيوْم حاجَتك . أترْجُو أنْ يُعْطيكَ الله أجر المتواضعين ، وَانتَ عندهُ مِنَ المتكَبِّرين ؟ . أوْ تَطمعُ وأنتَ مُتمرِّغ فى نعيم تمنعه الضَّعيف وَالارْملة ، أن يُوجبَ (٢) لك ثوَاب ٱلمتصدِّقين ؟ !

وَإنَّما ٱلمرْءُ مجْزيٌّ بما أسلف (٣) وَقادمٌ على ما قدّم : وَالسّلاَم .

« وكتب أيضاً كرَّم الله وجهه الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما »

أمَّا بعدُ ـ فانّ المرْءَ قد يَسُرُّه دَرَك ما لم يكُنْ ليفُوتَه ، وَيَسُوءُه فوْتُ ما لم يكن ليُدْركه . فليكنْ سرُورُك بما نلتَ منْ آخرتِك . وليكُنْ أسفُك على ما فات منها . وَما نلتَ منْ دُنياك فلاَ تُكْثرْ فيه فرَحاً . وَما فاتَكَ منها فلاَ تأسَفْ عليه جزَعاً . وليَكنْ همُّكَ فيما بعد ٱلموت .

(وكتب بطل الوطنية السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ)

لاَ حوْل وَلا قوّة إلاّ (بالله) ٱشتَبَهَ المرَاقِبُ بَاللاّه ! (٤) وٱستبْدِلَ ٱلحلوُ بالمرّ ، وَقُدِّمَ الرّقيقُ على ٱلحرِّ ! وَبيعَ الدُّرُّ بالخزَف ! والخزُّ بالخشف ، (٥)

(١) ما فضل عندك من مال وأعمال فقدمه (٢) أن ومدخولها مجرور بحرف جر محذوف متعلق بتطمع (٣) قدمه فى سالف أيامه

(٤) باللاهي الذي يكون ما يا ـ وغالبا الشيطان (٥) بفتح الخاء أو بضمها الردىء من الصوف

وأظهر كل لئيم كِبْرَه ! إنّ فى ذلك لَعِبْرَه ! سَمعاً سَمعاً ، فالوُشاة إنْ سَعَوا لا يعقلوا . ويُحبُّون أنْ يُحمَدُوا بما لم يَفعلوا . فكيف تشترُون منهُم القار (١) فى صفة العنبر ؟ وقد بدَت (٢) البغضاء من أفواهِهم ، وما تُخفي صدُورُهم أكبر ! وكيف تسمعُ الأحبابُ لمن نهى منهُمْ وزَجَر ؟ ولقَدْ جاءَهُمْ من الأنْباءِ (٣) ما فِيهِ مُزْدَجَر ! (٤) عَجِبْتُ لهم وقد دخلُوا دارنا وهُم عنها معرِضون ! فلما أحسُّوا بأسنَا إذاهُم منها يَركُضون ! فقابلوهُم بذبال الطَّرْد فى الأعناق . حتي إذا أثْخَنْتمُوهُم ، (٥) فشدُّوا الوثاق (٦) أيدْخلون بما لا يَنفع ، فى بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرفع ! سيعلمون مقام الهُبوط والعُرُوج ، (٧) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بالحَقّ « ذلك يَوْمُ الخرُوج » ويقولون اذَا لم يجدُوا ملاذاً ، يا ويلَنا قد كنَّا فى غَفْلةٍ من هذا فانهم عزمُوا على الإقامةِ مدَّه . ولو أرادُوا الخرُوج لأعدُّوا لهم عدّه (٨) وأنت يا عزيز العليا ، ووحيد الدُّنيا ، قد بيَّنْتُ لك فعلهم . فبما (٩) رحمة من الله لِنْتَ لهم ، ولكنهم طَمِعُوا فى عميم طَوْلك ، (١٠) ولو كنتَ فظًّا (١١) غليظَ القلْب (١٢) لانفضُّوا (١٣) منْ حولكْ ، أترَاهُم يعقلُون كلامك أم يفهَمُون ؟ لَعمرُك (١٤) إنّهم لفى سكرَتهم يعمَهُون (١٥) لهم قلوبٌ لا يدرُون بها للحسد قَراراً ، لو اطّلعت عَلَيْهِمْ لوَليْتَ منْهمْ فِراراً ، وإنى قد شيَّدتُ (١٦) لك بقلبي حصناً (١٧) صعباً (١٨)

---

(١) الزفت (٢) ظهرت (٣) الاخبار (٤) النهي بشدة (٥) أكثرتم القتل فيهم (٦) ما يربط به (٧) الطلوع (٨) ما أعده الانسان لحوادث الدهر من المال والسلاح (٩) فبرحمة وما التوكيد وللدلالة على أن لينه ما كان الا برحمة من الله (١٠) احسانك (١١) سيء الخلق (١٢) قاسيه (١٣) لتفرقوا (١٤) لحياتك واللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف فقديره قسمى (١٥) يتحيرون (١٦) زينت (١٧) موضعاً حصينا (١٨) لا يقدر أحد أن يدخله والمراد المبالغة فى تحصين المحبة

فما استطاعوا أن يَظْهِرُوه، (١) وما استطاعوا له نَقْبا (٢) نسيت بالعاذل (٣) جميلَ الصّوْت (٤) وَأنكره، ما أنسانيهِ إلاّ الشيطانُ أن أذكُرَهُ (٥) رُميت أيها العاذل بسيف الغَدر فى نحرك! أجِئتَنا لتُخْرِجَنا مِنْ أرضِنا بِسِحْرِك! فان لم ترْجعْ عنْ السّحر وفعله، فَلنَأتِينَّكَ بِسِحْرٍ مِثلِهِ، كيف يسعي العاذلُ بين النَّدِيم وإلفه، وَقَدْ خَلَتِ النُّذرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِه! فيا سادتى دَعُونى من المعْجبِ والمُطرب لَيْسَ البِرُّ أنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِب. واجعلوا سيفَ ثباتِكم للعُذَّال مسلولا، وَأوْفُوا بالعَهْدِ إنَّ العَهْدَ كانَ مَسْئولا. فإنهم إن قالوا كذب النَّدِيم أو بَطر، سيَعْلَمُونَ غَداً من الكَذَّابُ الأَشِر. (٦) وها قد صارَ أمر الحِزْبيْنِ عندك جلياً، فأىُّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وَأحْسَنُ نَدِيّا (٧)! أتظُنُّ عهدَ العاذل عند غضبك لا يُنكث (٨) مَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إن تحمل عليه يَلْهث، أنه لَكم عَدُوٌّ كَبير، ففرُّوا إلى الله إنِّي لكُم مِنهُ نذير، فانه جمع لقتالِكَ الأولاد والأحفاد، (٩) وآخرين مُقَرَّنِينَ (١٠) فى الأَصْفاد (١١) تركُوا أمر الله واشتغلوا بما يَرضونه، فأعقبهُم نِفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه. وظنّي إنْ وصل إليك كتابى، انهم يُطْرَدُون ويُرْدَعُون، وحرامٌ على قَرْيَةٍ أهْلكْناها أنّهم لا يرجعُون أيُعْجِبُك إذا مشي هذا اللاّه، ثانىَ عطْفه (١٢) لِيُضِلّ عن سَبيلِ (١٣) الله

وإنّك وإن فرِحتَ بِعلم ما يَجْهلُون، قد نعلم انهُ ليُحزنك الذى يقُولُون. فان قلتَ إنّ اجتماعي بهم لأجل الصدقة أو شيءٍ من هذا القبيل، إنَّما الصدَقاتُ للفُقَراء

(١) لا يقدرون أن يعلوا ظهره لارتفاعه ونعومته (٢) خرقا لصلابته وسمكه (٣) اللائم (٤) الذكر الجميل ولا يستعمل الصوت بهذا المعني الا فى الجميل (٥) انسانى ذكره (٦) المتكبر (٧) مجلس القوم (٨) لا ينقض (٩) أولاد الابناء (١٠) مشدودين (١١) القيود (١٢) لاوى عنقه تكبرا (١٣) عن دين الله

والمساكين والعاملين (١) عليها والمؤلفة قلوبهم (٢) وفى الرقاب (٣) والغارمين (٤) وفى سبيل الله (٥) وابن السبيل (٦) على أنه لا تحل الصدقة لذميم (٧) همماز (٨) مشاء بنميم، (٩) وطباعهم كما تعلم منكرة مستقذره، كأنهم حمر (١٠) مستنفره، (١١) فرت من قسوره (١٢)، وقد قال وفائي: خاطب عزيزك هذه المرة، وإن لم يعمل فيك فكراً، وما يدريك لعله يزكي، (١٣) أو يذكر فتنفعه الذكرى. فقال لسانى إن الود هو الرسول المأمون. فأرسله معى ردءا (١٤) يصدقني إني أخاف أن يكذبون. فقلت سيروا مع المحبة ذات الفتوة (١٥) ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة. وقولوا له عند الغاية قد جئناك بآية. ولا تهابوا الجيش وإن كبر، سيهزم الجمع ويولون الدبر (١٦) ولا تظنوا من ظاهر الأمر حلول البلوي، إذ أنتم بالعدوة (١٧) الدنيا (١٨) وهم بالعدوة القصوى (١٩). بل قاتلوهم قتال المستشهدين، وليجدوا فيكم غلظة، واعلموا أن الله مع المتقين. وإذا اشتبك القتال فليذب كل منكم عن مولاه. (٢٠) وإن جنحوا (٢١) للسلم (٢٢) فاجنح لها وتوكل على الله. فسيروا ودعوا الأولاد والجنة، (٢٣) وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة

(١) السعاة الذين يقبضون الصدقات بامر الحاكم (٢) أشراف من العرب كان النبي صلى الله عليه وسلم يستألفهم للاسلام (٣) المكاتبون من العبيد (٤) من تحملوا الدين (٥) الفقراء فى الجهاد (٦) المسافر المنقطع عن ماله (٧) القبيح والمراد قبيح الفعال ذميم الخصال (٨) عياب يعيب الناس (٩) ساع بالنميمة والفساد (١٠) جمع حمار (١١) نافرة (١٢) الاسد (١٣) يتطهر من الذنوب (١٤) معينا (١٥) الكرم والتسامح (١٦) الظهر (١٧) بضم العين وكسرها جانب الوادي (١٨) القربى (١٩) البعدى (٢٠) صاحبه (٢١) مالوا (٢٢) الصلح (٢٣) المراد بها هنا النساء وأصلها لما تغطي بها المرأة وجهها

وَلا تسألوا عن الميرَة (١) من أصله ، وانْ خفتم عيلَةً (٢) فسوفَ يغنيكمُ اللهُ منْ فَضْلهِ ،فانَّ اللهَ قدْ أثارَكمْ (٣) لقتالِ العدّال العائبين ، ليقطعَ طَرَفًا منَ الذين كفَرُوا أو يكبتَهم (٤) . فينقلبُوا خائبين . واحملوا عليهم فانهم متي طعنُوا فى جُنوبهم رَضُوا أنْ يكونُوا مَع الخوالفِ (٥) وطبعَ (٦) اللهُ على قُلوبهم. ولا تدْبرُوا إذا رأيتموهمْ قدّامكم . (٧) ان تنصُرُوا اللهَ ينصركم وَيثبّت أقدامَكمْ وان أخذتم أسرَي فقاتلُوا أنصارَها ، فإمَّا منًّا (٨) بعدُ وإمّا فِداءً حتي تضعَ الحَرْبُ (٩) أوْزارها ، (١٠) فان أطعتم رُفعتم وَأصلحَ اللهُ بالكمْ ، وَانْ تتَوَلوْا يَسْتبدلْ قومًا غيرَكُم ثمّ لا يكونوا أمثالكم .

وسأتلو فى خطبتكم عندقُدُومكم سالمين فَقطعَ دابِرُ (١١) القَوْمِ الذين ظَلمُوا والحمدُ للهِ ربِّ العالمين .

(وكتب أستاذنا الأمام الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة١٣٢٣ هـ)

عرَض لى ما منعنى من قراءة الجرَائد نحوَ أسبوعٍ ، وكنتُ أسمعُ فيه بحادثة (ميت غمر) من بعض الافواه ، أظنها من الحوادث المعتاد وقوعها ،حتى تمكّنتُ من مُراجعة الجرائد ليلة الخميس الماضى، فاذا لهبُ ذلك الحريق يأكل قلبى أكلهُ لُجسومِ أولئك المساكين : سكان (ميت غمر) . ويَصْهرُ (١٢) من فؤادي ما يَصهرُه منْ لُحومهم . حتى أرقتُ (١٣) تلك الليلةَ ،ولم تُغمّض عيناىَ إلاّ قليلا . وكيفَ ينامُ مَنْ يبيتُ يتقلّبُ فى نعم الله ، ولهُ هذا العددُ الجمُّ من إخوَةٍ وأخوَاتٍ يتقلّبُون فى شدّة البأساء ؟ ! (١٤) فأردت أن أبادرَ بما أستطيع من المعونة

(١) جلب الطعام (٢) فقرا (٣) نشركم (٤) يصرفهم ويذلهم (٥) النساء (٦) كناية عن أعماء بصائرهم (٧) سابقيكم (٨) تمنون عليهم باطلاقهم من غير شيء (٩) أهل الحرب (١٠) أثقالها من سلاح وغيره (١١) اهلكوا عن آخرهم (١٢) يذيب (١٣) سهرت (١٤) الضرر والفقر

(وما أستطيعهُ قليلٌ لا يغني من الحاجة ولا يكشفُ البلاء) ثمَّ رأيتُ أن أدعوَ جمعاً من أعيان العاصمة ليشاركوني فى أفضل أعمال البرّ فى أقرب وقت ، وكان ذلك يوم السّبت فحضرَ منهم سابقون ، وتأخّر آخرون ، وكتب بعضهم يعتذرون فشكرَ اللهُ سعيَ مَنْ حضرَ ، وجزي خيراً من اعتذر ، وغفرَ لمنْ تأخّرَ على أنهُ ليسَ الحادثُ بذي الخطْبِ اليسير . فالمُصابُون خمسة آلاف وبضعُ (١) مئين منهم الأطفالُ الذين فقدُوا عائليهم ، (٢) والتّجار والصّناعُ الذين هلكتْ آلاتهم ورُؤوسُ أموالهم . ويتعذّر عليهم أن يبتدئوا الحياة مرّة أخرى إلاّ بمعونةٍ من إخوانهم ، وإلاّ أصبحُوا متلصّصين أوْ سائلين . والذين فقدُوا بيوتهم ولا يجدُون ما يأوُون اليه ، ولا مالٌ لهم يقيمُونَ ما يؤويهم من مثل بُيوتهم المتخرّبة ـ لهذا رأيتُ ورأي كلٌّ منْ تفكّرَ فى الأمرِ ، أنْ يُجمعَ مبلغٌ وافرٌ يتمكّنُ به منْ تخفيف المصاب عن جميع أولئك المنكوبين

(وكتب أيضاً فى الغرض المذكور)

قد بلغكم (ولا ريبَ) من أخبار الجرائد ، ما عليه أهلُ (ميت غمر) بعدَ الحريق الذي أصابَ مدينتهم ، فهم بلا قُوتٍ ولا ساترٍ ولا مأوي ، فليتصوّر أحدُكم أنّ الأمرَ نزلَ بساحتهِ ، أفما كان يتمنّي أنْ يكونَ جميعُ الناس فى معونته فليطالب الآن كلٌّ منا نفسهُ بما كان يطالبُ به النّاسَ ، لوْ نزلَ به ما نزلَ بهم ولينفقْ مما لهُ ما يدفعُ اللهُ به عنه مكروهَ الدّهر . . . فأرجو من همّتكم أن تدفعوا شيئاً منْ مالكم فى مساعدة إخوانكم . وأنْ تبذلوا ما فى وُسعكم لحثّ مَنْ عندكم على مُشاركتكم فى هذا العمل المبرُورِ والسلام

---

(١) بكسر الباء أو بفتحها ما بين الثلاث الى التسع ـ وبالضم الفرج (٢) من ينفقون عليهم

(الفصل السابع فى رسائل الملامة والعتاب)

(كتب بديع الزمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

لَئِنْ ساءنى أنْ نِلْتَنِى بمساءةٍ لقد سَرّنى أنّي خطَرْتُ ببالِكِ (١)

الأَمِيرُ أطالَ اللهُ بقاءهُ ، فى حالىْ برّه وجفائه متفضل ، وَفى يوْمي إدنائه وإبعادِه متطوّل ، وَهنيئًا لهُ مِنْ حِمانا ما يحُلُّه ، (٢) وَمن عُرَانا ما يحِله (٣) ومنْ أعراضنا مَا يستَحِلّه .

بَلَغنى أنهُ (أدَامَ اللهُ عِزّه) ، استزاد (٤) صنيعه (٥) . فكنت أظنّني مجنياً (٦) عليه مساءً اليه ، فاذا أنا فى قرارة الذّنب ، وَمثارة (٧) العتْب ، وَليْتَ شِعْري (٨) أى محظُور (٩) فى العشْرَة حضرْته ، أوْ مفرُوض مِنَ الخِدمة رفضتُهُ ، (١٠) أو وَاجب فى الزّيارَة أهْمَلتُه ، وهل كنت إلاّ ضيفًا أهداهُ مَنزعٌ (١١) شاسِعٌ (١٢) وأدّاهُ أمل واسع ، وحداه (١٣) فضْلٌ وإنْ قلّ ، وهداه رَأيٌ وإن ضلّ ، ثم لم يُلقَ الا فى آل مكال رحله ، (١٤) ولم يصلْ الاّ بهم حبله ، ولم ينظم الاّ فيهم شِعره ، ولم يقفْ الا عليهم شكره .

ثمّ ما بَعُدَت صحبةٌ الاّ دنتْ مهانة ، ولا زادت حرْمةٌ الاّ نَقصَتْ صِيانة وَلا تضاعفَتْ مِنّةٌ الاّ تراجعتْ منزلة ، وَلم تزَلِ الصّفة بناحتى صارَ وَابل (١٥) الأعظامِ قَطرَة ، وَعاد قميص القيام صَدْرَه ، (١٦) ودخلت مجلسه وحوْلهُ من الأعداءِ كتيبةٌ ، (١٧) فصار ذلك التقريبُ أزْوِرَاراً ، (١٨) وذلك السّلامُ اختصاراً

---

(١) هذا البيت لعبد الله بن عبيد الله أحد بنى عامر المشهور بابن الدمينة من قصيدة والخطاب لمؤنث (٢) ينزل فيه (٣) يفكه (٤) زاد (٥) معروفه واحسانه (٦) المؤاخذه بجنايته (٧) مكان الثوران (٨) ليتنى اشعر وأخبر بالحقيقة والواقع (٩) ممنوع (١٠) أبطلته (١١) مصدر ميمي بمعني البعد (١٢) بعيد (١٣) ساقه ودفعه (١٤) ما يأخذه المسافر من الاثاث وحوائج السفر (١٥) المراد به الكثير من الانعام وأصلة المطر (١٦) ثوب يلبس فيغطي الصدر (١٧) جماعة (١٨) انحرافا

وَالاهتزاز ايماءً ،وَالعبارَة اشارَة. وَحين عاتبتهُ آمل اعتابه، (١) وكاتبتهُ أنتظرُ جوابه ، وسألته أرجو ايجابه ، أجاب بالسكوت فما ازْددْتُ له الاّ ولاءً، وَعليه ثناءً. ولاجرَم (٢) انّي اليوْم أبيضُ وَجه العهد، وَاضحُ حُجّة الوُدّ ،طويلُ لسان القوْل رَفيع حكم العُذْر . وقد حمّلتُ فلاناً من الرّسالة ما تجافى القلمُ عنه ،

والأمير الرئيس (أطال الله بقاءَه) يُنعمُ بالاصغاء لما يوردُهُ ،مُوَفّقاً إنْ شاء الله تعالى

« وكتب أيضاً الى القاسم الكرَجي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ »

أنا (وان لم ألقَ تطاوُل الإخوَان الاّ بالتّطَوُّل ، وتحامُلَ الأَحرار الا بالتّحمُّل) أُحاسبُ مَوْلاي (أيّدَه الله) على أخلاقه ، ضنًّا (٣) بما عقدتُ يدي عليه من الظن به ، والتقدير فى مذهبه . وَلوْلاَ ذلكَ ، لقلتُ فى الأَرْض مجالٌ ، ان ضاقت ظلاَلُك (٤) . وَفى الناس وَاصلٌ ، ان رثّتْ (٥) حبالك . وَا آخذهُ بأفعاله .

فانْ أعارنى أُذُناً وَاعية ، ونفساً مراعية ، وقلباً مُتعظاً ، وَرجوعاً عن ذهابه ونزُوعاً (٦) عن هذا الباب الذي يقرَعُه ، (٧) ونزولا عن الصّعود الذى يفرْعه ، (٨) فرشتُ لمودّته خُوَان (٩) صدرى ، وَعقدتُ عليه جوَامعَ خصري ، ومجامع عمرِي (١٠) وان رَكب منَ التّعالى غير مركبه (١١) وَذهب من التغالى فى غير مذهبه ، (١٢) أقطعته خُطّةَ (١٣) أخلاَقه ، ووَلّيتهُ جانب اعراضه .

---

(١) ازالة عتبه وملامته (٢) كلمة كانت فى الاصل بمنزلة لابد ولا محالة فجرت علي ذلك وكثرت حتي تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا (٣) بكسر الضاء وفتحها حرصا (٤) أماكن الظل (٥) بليت وذابت (٦) انتها ، وتركا (٧) يدقه بيده ليفتح له (٨) يصعده ويعلوه (٩) بضم الخاء أو بكسرها ما يؤكل عليه الطعام ومراده تمكين مودته من صدره (١٠) مراده التمسك بمودته مدة حياته (١١) مراده وان تكبر (١٢) طريقه (١٣) بضم الخاء الطريقة: مراده انه يتركه وان أخذ فى غير طريق طباعه

لا أذودُ (١) الطَّير عن شجرٍ قد بلوت المُرَّ من ثمره

فانى وَان كنتُ فى مُقتبل السِّنّ وَالعُمر ، قد حلبتُ شطْري الدّهر ، (٢) وَركبتُ ظهرَي البرّ وَالبحر ، (٣) وَلقيتُ وَفدَي (٤) الخير والشرّ ، وصافحتُ يدى النَّفع وَالضرّ ، وَضَرَبْتُ إبْطي العُسر وَاليُسر ، وَبلوْتُ طَعْمى الحُلو والمرّ وَرضعْتُ ضَرْعي العُرْف وَالنُّكر ، (٥) فما تكاد الأيّام تريني من أفعالها غريباً وتسمعني من أحوالها عجيباً ، ولقيتُ الافراد ، وَطَرَحْتُ الآحاد ، (٦) فما رأيت أحداً الاَّ ملأت حافتيْ (٧) سمعه وَبصره ، وَشغلتُ حَيِّزَىْ (٨) فكره ونظره وأثقلتُ كَتفه فى الحزن ، وكفته فى الوَزْن ، وَوَددْتُ لوْ بادرَ القِرْن (٩) صحيفتي ، (١٠) أوْ لقيَ صفيحتي (١١) . فما لى صغُرْتُ هذا الصِّغر فى عينه ، وَما الذي أزْرَى (١٢) بى عنده حتي إحتجب . وقد قصدته ، ولَزمَ أرْضه وَقد حضرته .

وأنا أُحاشيه (١٣) أن يجهل قدرَ الفضل ، أوْ يجحدَ فضل العلم ، أوْ يمتطيَ (١٤) ظهرَ التِّيه (١٥) على أهْليه ، وأسألهُ أن يختصني من بينهم بفضل إعظام ، إنْ زلّتْ بى مرّةً قدم فى قصده . وكأنى به وَقد غضب لهذه المخاطبة المُجْحفة ، (١٦) وَالرُّتبة المُتحيفة (١٧) وهو فى جنب جفائه يسير ، فان أقلع (١٨) عن عادته ونزَع عن شيمته (١٩) فى الجفاء ، فأطال الله بقاءَ الاستاذ الفاضل ، وَأدام عزّه وَتأييدَهُ .

---

(١) لا أطرد (٢) مراده مربه من خيره وشره وجرب نفعه وضره (٣) مراده انه جرب الامور فى البر البحر (٤) الوفد الجماعة التي ترد على الامير أو غيره ومراده انه عرف الخير والشر (٥) المعروف والنكر ضده (٦) هذا والذى قبله كله بمعني انه جرب الايام واختبرها من أول نشأنه (٧) جانبي (٨) ناحيتى (٩) المقارن الكفء عند ملاقاه الابطال (١٠) كتابى (١١) وجهى معناه تمنى لقائى (١٢) حط من قدرى وشأنى (١٣) انزهه (١٤) يركب (١٥) الكبر والعجب (١٦) من الاجحاف وهو الذهاب بالشيء (١٧) من التحيف وهو الظلم والجور (١٨) رجع (١٩) خلقه

(وكتب أبو عثمان عمرو بن الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ)

وَالله ياقليب : لولا أن كبدى فى هواك مقروحةٌ،(١) وَروحى مجروحة لساجلتُك (٢) هذه القطيعة . وَمادَدْتُكَ حبلَ المُصارَمةِ (٣). وأرجو أن اللهَ تعالى يديل (٤) صبرى من جفائك ، فيردّكَ الى مَوَدَّتى وأنفُ القِلى (٥) راغم فقد طال العهد بالاجتماع حتي كِدنا ننتا كرُ عِندَ اللّقاء والسلام

« وكتب أبو بكر الخُوارَزْمى المتوفى سنة ٣٨٣ هـ الى تلميذه »

كتابى وقدْ خرجتُ من البلاء خُرُوج السَّيْف من الجلاء (٦)،وبرُوز البدْر منَ الظلماء وَقدَ فارَقتْنى المِحنةُ ، (٧) وَهى مُفارِقٌ لا يُشتاقُ اليه ، ووَدّعتنى وهى مَوَدَّعٌ لا يُبكى عليه ، وَالحمدُ للهِ تعالى على مِحنةٍ يجلّيها ، وَنعمةٍ يُنيلها ويُوليها كنْتُ أتوقعُ أمس كتابَ مولاَي بالتسلية ، وَاليوْم بالتهنية فلم يُكاتبني فى أيام البُرَحاء (٨) بأنها غمته ، ولافى أيّام الرخاء بأنها سرّته ! وقداعتذرت عنه إلى نفسى وجادلتُ عنهُ قلبى . فقلتُ أمّا إخلالهُ بالأُولى ، فلأنه شغَلهُ الاهتمام بها عن الكلام فيها وَأمّا تغافلهُ عن الاخرَى ، فلأنه أحبَّ أنْ يُوَفّرَ علىَّ مرتبةَ السَّابق إلى الابتداء ، ويقتصرَ بنفسهِ على محل الاقتداء ، لتكونَ نعَمُ الله سبحانهُ على مَوْفورَةً من كلّ جهة ،ومحفوفةً بى مِنْ كلّ رُتبة، فانْ كنْتُ أحسَنتُ الاعتذارَ عن سيّدي ، فليعْرِفْ لى حقّ الاحسان ، وليكْتبْ إلىَّ بالاستيحْسَان وَإن كنْت أسأتُ ، فليُخبرنى بعذْرِه ، فانّهُ أعرف منّي بسرّه .وليَرْضَ منّى بأنى حاربتُ عنهُ

(١) مجروحة (٢) معناه لقابلتك (٣) المقاطعة (٤) الغلبة والنصر (٥) صاحب البغض (٦) صقله بازالة ما عليه حتى يري له لمعان (٧) البلية (٨) شدة الأذي

قَلْبي، وَاعتذرْت عن ذنْبه، حتى كأنهُ ذنبي، وقلتُ يا نفسُ اعْذِري أخاك وخذِي منهُ ما أعْطاك، فمعَ اليَوْم غد ـ وَالعَوْدُ أحمَدُ.

(وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر المتوفى سنة ٨٠ هـ)

أمّا بعدُ: فقد عاقنى الشكّ فى أمرك، عن عزيمة الرَّأى فيك، وذلك أنك ابتدأْتنى بلُطْف عن غير خِبرَة، ثمَّ اعقَبتهجفاءً من غير ذنْب. فأطمعَني أوّلُك فى إخائك، وَأيأسنِي آخرُك من وفائك. فسبُحانَ مَنْ لوْ شاءَ لكشف بإيضاح الرّأى فى أمرك عن عزيمة الشكّ فيه، فاجتمعنا على ائتلاف. وافترقنا على اختلاف والسلام.

(وكتب صديقي زعيم الوطنيةّ المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش)

سيدي ـ مالى أراك كمن نسىَ الخليط، (١) وتجرَّد فى الصُّحبةِ عنِ المحيط والمَخيط. فاذا ما صادَفتُك (٢) صدفتَ، (٣) أوْ أنصفتك مَا نصفت، (٤) أتظُن أنى قعيدةُ بيتك، (٥) أو رَهين كيْتك وذَيْتك، (٦) فوحقّك اذا آنَستُ (٧) منْ يدِي مللاً، أوْ من قدَمِي كَللاً، (٨) لنجزْتها (٩) البتات، (١٠) وكلّتْ بنقصها الذّات. ولو أنى آستُ من الزّاد فترَة، (١١) أو منَ الشّراب عُسرَة، لَطَعِمت الطّوَي، (١٢) وَاستقيتُ الجوَي (١٣). فكيفَ أُداعِبُ، (١٤) وتُصاعب؟ وأُحالف وتُخالفُ؟ وَأوَصلُ، وَتُفاصلُ؟ وَأجالبُ، وَتُجانبُ! لبئستْ مَطيّتك التى اقتدَعْتَ، (١٥) وشِرْعتك (١٦) التى شرَعت (١٧). فوَاللهِ لوْلا أنَّ الحبَّ حادثٌ لا يُتّقى بالتّرُوس، وَمَعنًى لا يدِبُّ الاَّ فى النفُوس، وَسهامٌ لا تُرْمِي الاَّ من قِسِيّ

(١) الصاحب (٢) وجدتك (٣) أعرضت (٤) كلاهما بمعني ساعدتك واعتنك (٥) المرأة التي فى البيت (٦) كلاهما بمعني كذا وكذا والمراد انى لست رهين قولك أفعل كذا وكذا (٧) عملت (٨) اعياء وضعفا (٩) قضيتها (١٠) القطع المستأصل (١١) ضعفا وقلة (١٢) الجوع (١٣) الحرقة (١٤) امازح (١٥) دفعت (١٦) مكان الماء (١٧) دخلت

الحواجب، ونحوُ أوّله المعيّةُ وآخره الجوازم، لما افترستْ الظّباء الأسود الصيّد، (١) ولا ملكتِ الأحرار العبيد. ولولا انّي كرعتُ (٢) من صابه (٣) والتحفت ببُرْدَة أوصابه، (٤) لتعوّذْتُ منكَ بسورَة الفلَقْ، ونَبذتك (٥) نَبذ الرِّدَاء الخلِق (٦) ولهانَ عليَّ أنْ أدَعك أوْ أُسمِعك

تَمرُّون الدّيارَ ولنْ تَعُوجوا (٧) كلامُكُم عليَّ إذاً حرامُ

غيرَ أنّ لى نفساً شبَّت عل الحبِّ فلم أفطِمها، وتقادَعت (٨) على ناره فلم أعْصِمْها. حتّي بلَغَ السّيلُ الزّبى، (٩) وتبدَّدت (١٠) النّفسُ أيدي سبا (١١) إلا حُشاشةً غفَل عنها الوجدُ، وبقيّة رَمقٍ ألفيتها (١٢) من بعد. وكلّما رأيت منك الشطط، (١٣) واعتساف (١٤) الخطط (١٥) عمدْت إلى أن أثْني (١٦) من رَسنها (١٧) وأدُودَ (١٨) عن عطَنها، (١٩) وشخصت الى المكافحة والمكافأة، وأن لا أكيلك إلاّ مثلاً، ولا أسقيك الاّ وَشلاً، (٢٠) ولا أزيدك الاّ فشلاً.

ولست أجزيك الجزاء الذى على وَفاءِ الصنَع لا بَخْسه
وليس يبكي صاحباً مَنْ اذا أُهين لا يبكي على نفسه

على انّي بالرَّغم أصبحُ فى نهارٍ أحلك (٢١) من ليل، وأمسي فى ليل أشق على النّفس من وَيْل.

---

(١) دفعت (٢) بكسر الراء وفتحها شربت بفمي (٣) مائه المر وأصله عصارة شجر مر (٤) أمراضه (٥) رميتك (٦) القديم البالى (٧) لن تقيموا (٨) تسابقت (٩) مثل يضرب لما جاوز الحد (١٠) ذهبت وهو مثل يقال تبددوا أيدي سبا وأيادي سبأ معناه ذهبوا متفرقين (١١) هم الذين ذهبت جناتهم وغرق مكانهم وقد ذكرهم الله فى القرآن قال لقد كان لسبأ فى آخر الآيات (١٢) وجدتها (١٣) تجاوز الحد (١٤) الميل عن الطريق المألوف (١٥) الامور (١٦) أرد (١٧) زمامها (١٨) أمنع (١٩) مكانها (٢٠) الماء القليل في هذا الموضع والماء الكثير فى غيره (٢١) أشد سوادا

ولَيل كموج البحر أرخى سُدُوله (١) علىَّ بأنواع الهموم ليبتلى (٢)

فان تخلصتُ من لقائك، فالى الشّقاء . واذا لجأتُ من عسرتك، فإلى العناء . واذا استجرتُ بفراقك، فقد استجرتُ من الرمضاء (٣) وكأنّك لم تدرِ أن دولة الحُسن سريعةُ التّقويض، (٤) وأنهُ لا بُدَّ من هُبُوط القمر إلى الحضيض ولسوف تُبلى بعارض (٥) بَيدَ (٦) أنهُ غير مُمطر، وابساعة مُقبلك فيها مُدبر وستُصبحُ عمَّا قريب قد عفَتْ (٧) رُسُومُك، (٨) ولم تجدْ فى سُوق الصُّحبة مَنْ يَسُومُك . والعاقلُ من لا يَختَال بنفسهِ، ولا يَبني على غير أسه (٩) فانّك ما نَضتْ (١٠) لُؤلُؤةُ مَبسَمك، ولا نضرتْ (١١) صُورَةُ معصَمك. (١٢) ولا شئتَ فَخَاقْتَ كما تشاء، ولا اتخذْتَ عِندَ اللهِ عهداً وهذا الوفاءُ . ولكنَّ مِثلَك من أفرغهُ اللهُ فى القالَب الذي اختار، وجعلهُ مَرتَعَ النُّفوسِ ومَسرحَ الأبصار وانّى أيُّها العزيزُ قدْ تقدَّمتُ اليك

ولى أملٌ قطعتُ بهِ اللّيالى أرانى قَدْ فَنيتُ به وَدَاما

فلا تحرمني من سائغ العفو وسابغه، ولا تجعلنى كباسط كَفّيْهِ إلى الماء ليبلُغ فاهُ وما هوَ ببالغهِ

فأشدُّ ما لُقّيتُ من ألَمِ الجوَى (١٣) قُربُ الحبيبِ وما اليه وُصُولُ

كالعِيس (١٤) فى البيداء يقتلها الظَّما (١٥) والماءُ فوقَ ظهورِها محمُولُ

فاعمل فى يومك لغدك، واستجزِ غيرَك ببسط يدك، ولا تأخذنى بجرم الجانى

---

(١) استاره (٢) ليختبرنى (٣) الارض الحارة (٤) التفرق (٥) السحاب الذي يعترض الافق (٦) غير انه (٧) درست وذهبت (٨) أثارك (٩) أساسه (١٠) ما ظهرت (١١) ولا حسنت (١٢) موضع السوار من اليد (١٣) الحزن (١٤) الابل البيض يخالط بياضها شقرة وأ ظلمه خفية (١٥) العطش

المتلبّس ، ولاَ تبتَغ منّي صحيفة المتلمّس [١] بيدَ أنى أنشدُك الذى بلى العاشق بالمعشوق ، وكلّفه فى الحبّ بيض الأنوق ، [٢] وسهّد [٣] طرفه بنواعس العُيون ، وخوّل [٤] للحُسن إذا أرادَ شيئاً أنْ يقُولَ لهُ كُنْ فيكُون . كما قرَنَ الهوَى بالنّوى ، [٥] والقلبَ بالجوَي ، [٦] وقضي على المحبّ ، وَنشَر العشق فلم يحتجب ما الذي أغرَى بكَ الى الاعتساف ، وعدم الإنصاف ؟

أ لِينُ الأعطاف ! أم فتُور [٧] الأجفان ؟ أم تكسُّر الكلام ؟ أم هيفُ القوام ! ؟ لقد شددتَ أزْركَ [٨] (والله) بضعاف ، واستسمنتَ تلك العِجاف . وهل حدا [٩] الى قطيعتى بك ! أنّي خشن المَلْمَس ؟ رثّ الملبَس ؟ ولم أُمنَحْ [١٠] كما مُنِحت نَضْرَة [١١] ولم ألبس بُرْقع البياض والحُمرَة ، فاعلم انك ان نظرتنى بعين الرّضا ورحمتَ فؤاداً يتقلّب منك على جمْرِ الغَضا ، [١٢] فستجدُنى صَديقك الذي لا يُبطره الوَفاء ، ولاَ يثنيه الجفاء . أملك لك من لسان ، وأطوع لأمرك من بنان .

أكتبُ ، فأين لعبد الحميد الكاتب قلمي ؟ وأشعُرُ ، فأين الشعراء إلا تحت علمى ؟ وأبذُل ، فأين حاتمُ [١٣] من كرمي ؟ وأحلُمُ ، فأين ، أحنفُ [١٤] من حِلمى

وحسبكَ فخراً أن يجُودَ بنفسه على رَغَبٍ من ليسَ يأملُ فى الشكر

ومن يحتمِلْ فى الحُبّ مافوْق كاهلى [١٥] فحسبكَ حلماً أنْ يقيم على الهجر

فان أصخْتَ [١٦] الى الدّاعية ، [١٧] ووعيت كلماتٍ لاَ تسْمعُ فيها لاَغية [١٨]

---

(١) الطالب مرة بعد أخرى (٢) الانوق العقاب ولفظ المثل هو أعز من بيض الانوق مثل يضرب للمحال أو لما لا سبيل اليه (٣) أسهره (٤) ملكه (٥) البعد (٦) الحرقة (٧) ذبولها (٨) ظهرك (٩) ساق الى (١٠) اعطى (١١) حسنا (١٢) شجر خشبه فيه صلابة (١٣) ابو عدى حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى وبه يضرب المثل فى الكرم من شعراء الجاهلية (١٤) لقدم تاريخه (١٥) ما بين الكتفين (١٦) استمعت (١٧) مراده الواشى العاذل (١٨) نلغوا من الكلام :

فإليك الجزاء ، وعلىَّ الوفاء . والاّ فالفِرَار الى الموْت أمرٌ يسير ، والقبرُ للعشاق قليلٌ من كثير .

(وكتب معاوية الى ابنه يزيد يُؤنّبه ويعاتبه)

أمّا بعد : فقد أدّت ألسنةُ التّصريح الى أُذُن العناية بكَ ، مَا فَجَع الأمل فيك ، وباعدَ الرّجاءَ منك ، اذ ملأت العُيُون بَهْجَة . والقلوب هيْبة ، وترامَت اليك آمالُ الراغبين ، وهِمَم المنافسين . فسَخَتْ بك فتيان قريش ، وكهول أهلك ، فما يسوغ لهم ذكرك إلا على الجِرّة المُهوّعة ، (١) والكَظّ الجَشِء (٢) . اقتحمت البَوَائق ، (٣) وانقدْت الى المعاير ، واعْتضْتها من سموّ الفضل ، ورفيع القدر . فليتك ـ يزيد ـ إذ كنت لم تكن ، سَرَرْت يافعاً ناشئاً ، وأثقلت كهلا ضائعاً (٤) . فواحزَناه عليك يزيد ! ويا حرَّ صدر المُثكَل بك ! ما أشمت فتيان بنى هاشم ! وأذلّ فتيان بني عبد شمس : عند تفاوض المفاخر ودراسة المناقب ! فمن لصلاح ما أفسدتَ ورَتْق ما فتقْت ؟ هيهات ، خَمَشت (٥) الدُّربة (٦) وجه التّصبر بك . وأبت الجناية إلاّ تحدُّرا على الألسن ، وحلاوة على المناطق . ما أربح فائدة نالوها ، وفرْصة انتهزوها ! انتبه « يزيدُ » للعظة ، وشاور الفكرة . ولا تكن إلى سمعك أسرع من معناها الى عقلك . واعلم أن الذى وطّأك وسوسة الشيطان ، وزخْرفة السلطان مما حَسُن قُبْحه ، واحْلَولى عندك مُرّه ، أمْرٌ شَرَكَكَ فيه السّواد (٧) ، ونافَسكهُ الأعبد . فأضعْت به من قدرك ، وأمكنت به من نفسك ـ فمن لهذا كله ؟

---

(١) الجرة : ما يفيض به البعير فيأكله ثانية ، وكذا غيره من النعم . والمهوعة : من هوعه أي قيأه وهذا تمثيل : انهم يستثقلون ذكرك (٢) الكظ : الامتلاء من الطعام والجشء : الكثير وهذا تمثيل أيضا (٣) البوائق : جمع بأئقه وهي الداهية (٤) الضائع والضليع : القوى (٥) خمش : لطم (٦) الدربة : التجربة (٧) السواد : العامة

واعلم يا يزيد أنك طَرِيد الموت ، وأسير الحياة . بلغنى أنك اتخذت المصانع والمجالس للملاهي والمزامير كما قال تعالى : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون[١]) وأجهرت الفاحشة حتى اتّخذت سريرتها عندك جهرا.

اعلم يا يزيد أن أوّل ما سَلَبَكَهُ السُّكْرُ مَعْرفة مواطن الشكر لله تعالى على نعمه المُتظاهِرة وآلائه المتواترة ، وهى الجرْحة العظمى . والفجعةُ الكبْرى تركُ الصّلوات المفروضات فى أوقاتها ، وهى من أعظم ما يحدث من آفاتها ، ثم استحسان العيوب ، وركوب الذنوب ، وإظهار العورة ، وإباحة السِّر . فلا تأمن نفسك على سرّك ، ولا تعقِد[٢] على فعلك . فما خير لذة تعقِب الندم ، وتعفي[٣] الكرم ؟ وقد توقّف أمير المؤمنين بين شطْرين من أمرك لِما يتوقعه من غلبة الآفة واستهلاك الشهوة . فكن الحاكم على نفسك ، واجعل المحكوم عليه ذِهنَك . ترْشد إن شاء الله تعالى . وليَبلغ أميرَ المؤمنين ما يَرُد شاردا من نومه : فقد أصبح نُصبَ[٤] الاعتزال من كل مؤانس ، ودَريئة[٥] الأَلسُن الشامتة . وفقك الله فأحسن .

(وكتب أعرابى لابنه وسمعه يكذب)

يا بني عجبت من الكذاب المشيد بكذبه . وإنما يدُل على عيبه ، ويتعرّض للعقاب من ربّه ، فالآثام له عادة ، والأخبار عنه متضادّة ، إن قال حقا لم يُصدَّق ، وان أراد خيرا لم يوَفق . فهو الجانى على نفسه بفعاله ، والدال على فضيحته بمقاله . فما صَحّ من صدقه نسب الى غيره ، وما صح من كذب غيره نسب اليه فهو كما قال الشاعر :

---

(١) تقدم شرح غريب الآية فى خطبة قطرى (٢) يقول : تفقد بالشراب الارادة والعزيمة (٣) تعفى : تذهب (٤) النصب هنا : الغرض والهدف (٥) الدريئة : الحلقة التي يتعلم الرامى الطعن والرمي عليها

حَسبُ الكذوب من المها نة بعض مايُحكَي عَليهِ
فاذا سمعت بكذبة من غيره نُسِبت اليه

(وكتب المرحوم حفنى بك ناصف الى سماحة السيّد توفيق البكرى)

كتابى إلى السيّد السنّد ، ولا أُجَشّمُهُ (١) الجوابَ عنه ، فذلك ما لا أنتظرُه منه . وانّما أسأله أن يَنشَط إلى قِراءته ، وَيتنزّل إلى مطالعته ، ولهُ الرّأيُ بعد ذلك أن يحاسبَ نَفسهُ أو يُزكّيها ، ويَحكمَ عليها أوْ لها

فقد تنفعُ الذكرى إذا كان هجرُهمْ دلالاً فأمّا إنّ ملالاً فلا نفعا

زُرْتُ (السيّد) وَيعلم الله أنّ شوقى إلى لقائه ، كحرصى على بقائه ، وكلفنى بشُهُوده ، كشغفى بوُجوده فقد بَعُد (والله) عهدُ هذا التلاق ، وطال امَدُ الفِراق وَتصرّم الزّمان ، وأنا من رُؤيته فى حِرمان . فسألت عنه فقيل لى إنّه خرَجَ لتشييع (٢) زائر ، وَهو عما قليل حاضر . فانتظرت رجوعه ، وترقبتُ طُلوعه وَلم أزل أعُدُّ اللحظات وأستطيلُ الأوقات ، حتى بزغَتْ الأنوار ، وَارتجّ صَحنُ الدّار ، وظهرَ الاستبشارُ على وُجوه الزوّار . وجاء السّيد فى مَوكبه ، وجلالة مَحتِده (٣) ومنْصبِه ، فقُمنا لاستقباله ، وهيْنمنا (٤) بكماله . فمرّ يتعرّف وجُوه القوم حتي حازَانى ، وكبُرَ على عينه أن يرَانى . فغادَرنى (٥) ومن على يسارى ، وَأخذ فى السلام على جارى ، وجرّ السلام الكلام ، وتكرر القعود والقيام . وأنا فى هذه الحال أوهم جارِي ، أنّي فى داري وَأظهرُ للنّاس أن شدة الألفة ، تسقِط الكلفة . ومرّ السيّد بعد ذلك من أمامي ثلاث مرّات ، ومن الغرِيب أنهُ لم يَستَدْرِك ما فات .

(١) لا أكلفه (٢) لتوديع (٣) أصله من جهة النسب (٤) تكلمنا بصوت خفي (٥) تركنى

تمرُّون الدّيارَ ولَنْ تعوجُوا كلاكمُ علىَّ إذَنْ حرامُ

وكنتُ أظُنُّ أنّ مكانتي عِندَ السّيدلا تُنكر ، وأنّ عهدى لديه لا يخفرُ (١) فاذَا أنا لستُ فى العِير ، (٢) ولا فى النّفير . (٣) وغيري عند السيد كثيرٌ ، وَذهاب صاحب أو أكثر عليه يسيرٌ

وَمن مدت العلْيا اليه يمينها فأكبر إنسان لديه صغير

وَلا أدّعي أنى أوازي السيد (صانه الله) فى علوّ حسبه ، أوْ أدانيه فى علمه وأدبه ، أوْ أقاربه فى مَناصبه ورُتبه ، أو أكاثره فى فضّته وذهبه ، وإنما أقول ينبغي للسيد أن يُميّز بين من يزُوره لِسماع الاغانى وَالأذكار ، وَشهود الأوانى على مائدة الإفطار ، وبَين من يزُورُه للسّلَام ، وَتأييد جامعة الإسلام . وَأن يُفرّق بين من يتردَّدُ عليه استخلاصاً للخلاص ، ومن يتردّد إجابةً لدَعوة الإخلاص . وأن لا يشتبه عليه طُلاّب الفوائد ، بطلاب العوائد . وقناص (٤) الشوارد (٥) ، بنُقباء الموالد ، ورُواد الطُّرَفْ ، (٦) بأرباب الحِرف .

فما كلُّ من لُقيتَ صاحِبُ حاجةٍ ولا كلُّ منْ قابلتَ سائلكَ العُرفا (٧)

فان حَسُنَ عند السّيد أنْ يُغضِي عن بعض الأجناس ، فلا يحسُنُ أن يغضى عن جميع الناس ، والاّ فلماذا يطوف على بعضِ الضُّيُوف ، ويحيّيهم بصُنوف من المعرُوف ، وَيتخطّي (٨) الرّقاب « لصرُوف » ؟ (٩) وَيخترق لاجله الصُّفوف ؟ فان زعم السيد أنه أعلم بتصريف الاقلام ، فليس بأقدم هِجرةٍ فى الاسلام وان رأى أنه أقدر منّي على إطرَائه ، (١٠) فليس بمُمكن ان يتّخِذَهُ من أوليائه !

(١) لا ينقض (٢) الجماعة (٣) الجماعة أيضا (٤) جمع قانص بفتح القاف الصائد (٥) المتفرقات والمراد طالبوا متفرقات العلوم (٦) جمع طرفه وهى ما ترى مليحة والمراد أهل المراتب العالية (٧) المعروف (٨) يتجاوز (٩) هو المرحوم الدكتور يعقوب صروف المتوفي في آخر يوليه سنة ١٩٢٧م وهو المرحوم أحد أصحاب مجلة المقتطف وجريدة المقطم اليوميه (١٠) الثناء عليه

ولا أرُومُ بحمد الله منزلةً غيري أحقُّ بها منّي اذا رَاما

وانما أصونُ نفسي عن المهانة والضّعة ، ولا أُعرّضها للضّيق وفى الدُّنيا سعة

وأكرِمُ نفسي إنّني إن أهنتُها وحقّكَ لم تكرم علي أحد بعدي

فلا يُصعّر (١) السيد من خدّه ، فقد رَضيتُ بما ألزَمني من بُعْدِه . ولا يغُضُّ (٢) من عيبه ، فهذا فراقٌ بيني وَبينه . وليتّخذني صاحباً من بعيد ، ولا يكلّمني الى يوم الوعيد .

كِلانا غنيٌّ عن أخيه حياتهُ ونحنُ إذا متنا أشدُّ تغانيا

ومنى علي السيّد السّلام علي الدّوام ، ومُباركٌ اذا لبس جديداً . وكلُّ عام وهو بخيرٍ اذا استقبلَ عيداً ، ومَرحى (٣) اذا أصاب . وشيّعته (٤) السلامة اذا غاب وقدُوماً مباركاً اذا آب (٥) . وبالرّفاءِ والبنين (٦) ، اذا أعرَس ، (٧) وبالطّالع المسعود اذا أنجب (٨) . ورَحمهُ اللهُ اذا عطس ، ونوم العافية اذا نعس ، وصحّ نومه إذا استيقظ ، وَهنيئاً اذا شرب ، وما شاء الله كان إذا ركبَ . وَنعِم صباحه اذا انفجرَ الفجر ، وَسعدَ مَساؤه اذا أذّن العصر ، وبخٍ بخٍ (٩) اذا نثر ، ولا فضّ (١٠) فُوهُ اذا شعَرَ (١١) وأجادَ وأفاد اذا خطبَ ، وأطرَب وأغرَب اذا كتب . واذا حج البيت فحجّاً مَبرُوراً ، واذا شيع جنازَتى فسعياً مشكوراً والسلام

---

(١) لا يميل خده كبرا وخيلاء (٢) لا يغمض (٣) كلمة تقال عند الاصابة في الرمى مدحا للمصيب (٤) ودعته (٥) رجع (٦) كلمة تقال لمن تزوج ومعناها بالالتئام وجمع الشمائل (٧) تزوج (٨) ولده (٩) كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشيء او عند الفخر والمدح وكررها للمبالغة (١٠) لا كسرت أسنانه (١١) قال الشعر

وكتب القاضى الفاضل الى أخيه عبد الكريم يؤنّبه على إيذائه علم الدين بن النحاس

« سبب اصدار هذه المكاتبة الى الأخ (أصلحه الله) إعلامه ماصح عندى من الأحوال التي أخفاها ، والله مبديها ، فى حق الأمير علم الدّين

وبالله أقسمُ لئن لم تداوِ ما جرحت ، وتستدرك ما فعلت ، وتمحُ ما أثبت وتستأنفْ ضدّ القبيح الذي كتبتَ به وشافهت ، وتعتذرْ بالجميل فيما قاطعتَ اللهَ به وبارزت ، ليكوننّ الحديث منّي بغير الكتاب ، ولأُزيلنّ السبب الذي قدرتَ به على مضرّة الأصحاب ، وما أشدّ معرفتي بأنّ الطباع لا تتغيّر ، وبأنك ستُحوجني بعد هذا الكتاب إلى مالا يتأخر . وبالجملة فاستدركْ بفعلك لا بأيمانك لى وتنصّلك الىّ

« فالدَّم فى النصلِ شاهدٌ عجَبُ »

وَويلٌ لمن كانت غنيمته من الايام عقدُ القلوب علي البغضاء ، وإطلاقُ الألسنة بالمذام ، ولولا أنّني شريكك فى كل ما تستوجبهُ من الناس ، لالقيتُ حبلك على غاربك ، وتركتك وما اخترتَ لنفسك . ولكن - كيف بمن يُرمَي وليس برام ؟!

ولكنّ سكوتَ النّاس عن قبيحك مقابلةٌ لجميل كثير منى . فاذاً أنت لا تُنفق إلا من كيسى . فأشفق على نفسك ، ان كنت تنظ فى غدٍ . وعلى بيتك ، ان كنت تنظر فى أمس . وعلى مكانك مني ، ان كنت لا تنظر فى اليوم . ولا تجاوبنى إلا بلسان الرجل شاكراً لك ، فانه وان كان (والله) ماذمّك ، فقد ذممتك به عنه وما أظنُّ أنك تذكرُ أننى كتبت اليك كتاباً ، ولا كنتُ أوثره ، ولولا حافز غليظ ما كتبته . ولولا علمى أن الكثير مما قيل عنك فى أمر الرجل هو القليل مما فعلته لأضربت عن هذا - كما أضربتُ عن غيره . وستعرفك الأيام ما كنت تجهل

والله يأخذ بناصيتك إلى رضاه . ويُغمد سيف حليلتك عن مقتلك ، والسلام

(الفصل السادس في رسائل الشكوى)

« كتب الأمير أبو الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ ﻫ »

انما أشكو اليك زماناً سَلَب ضِعف ما وَهب، وفجع بأكثر مما متّع، وأوْحش فوقَ ما آنس، وعنف فى نزْع ما ألبسَ، فانه لم يُذقْنا حلاوةَ الاجتماع، حتى جرَّعنا مرارَة الفِراق . ولم يُمتّعنا بأُنس الإلتقاء، حتى غادَرَنا (١) رَهْن التلهف والاشتياق،

(والحمد لله تعالى على كلّ حال) يسوءُ ويَسرّ، ويحلو ويمرّ. ولا أيأسُ من رَوْح (٢) الله فى إباحة صُنعٍ (٣) يجعل رَبْعه (٤) مُناخي، (٥) ويقصر مدّة البعاد والتراجيه فألاحظ الزَّمان بعين رَاض، ويقبل إلىَّ حظّي بعد إعراض، وأستأنف (٦) بعزّته عيشاً عذب الموارد (٧) وألمناهل، (٨) مأمون الآفات والعوائل (٩).

« وكتب عبدالحميد بن يحيي المقتول سنة ١٣٢ ﻫ الى أهله وهو منهزم مع مروان (١٠) »

أما بعدُ .فان الله تعالى جَعلَ الدُّنيا محفوفَةَ بالكُرْه والسرُور . فمن ساعد الحظّ فيها سَكَنَ اليها، ومَنْ عَضَّته (١١) بنابها ذمّها ساخطاً عليها، وشكاها مُستزيداً لها وقد كانتْ أذاقتنا أفاويقَ (١٢) استحْلبناها . ثمَّ جمحتْ (١٣) بنا نافرة ورمحتنا (١٤) مُولّيةً، فملح عذبها، وخشنَ لينها . فأبعدَتْنا من الاوْطان

---

(١) تركنا (٢) من رحمة الله (٣) المعروف (٤) دار (٥) مكان النوم ومراده انه لا ييأس من معروف يحظي به مدة حياته (٦) أجدد (٧) امكنه اتيان الماء (٨) المواضع التي فيها الماء والمراد انه يجدد عيشا هنيئا لا حزن معه (٩) الدواهي (١٠) ابن محمد مروان بن الحكم بن ابى العاص الاموي آخر ملوك بنى امية المعروف فالجعدي قتل سنة ١٣٢ﻫ (١١) كناية عن تسلطها عليه بنوائبها ومصائبها (٢١) البانها والمراد نعيمها وخيراتها (١٣) اسرعت غالبة اياانا (١٤) طعنتنا برمحها والمراد مصائبها

وفرَّقتنا عن الإخوان. فالدَّار نازحة،(١) والطَّيرُ بارحة(٢). وقد كتبتُ والأيام تَزِيدُنا منكم بُعداً، وإليكم وَجداً. فانْ تتمّ البَليَّةُ إلى أقصى مُدَّتها يكن آخرَ العَهْد بكم وَبنا، وانْ يَلحقنا ظفرٌ جارحٌ مِن أظفارِ مَنْ يَليكم، نَرْجع اليكم بِذُل الإسار(٣). والذُّلُّ شرُّ جار

نسأل الله الذى يُعزُّ مَنْ يشاء وَيذِلُّ مَنْ يشاء أن يَهبَ لنا ولكم ألفَةَ جامعة فى دَارٍ آمنَةٍ، تجمع سُلامةَ الأبدَان والأديان، فانه ربّ العالمين، وأرحمُ الرَّاحمين

(وكتب أستاذنا الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده وهو مسجون بسبب الحوادث العرابية)

تقلَّدَتني اللَّيالى وهى مُدْبرَةٌ كأنَّنى صَارِمٌ فى كفِّ مُنْهزِمِ

عزيزى (هذه حالتى) اشتدّ ظلام الفِتَن حتي تجسَّم بل تَحجَّر، فأخذت صخوره من مَركز(٤) الأرْض إلى المحيط(٥) الأعلى، وَاعترضت ما بين المشرق والمغرب، وَامتدَّتْ إلى القُطْبيْن،(٦) فاستحجرتْ فى طبقاتها طباعُ النّاس. اذ تغلبتْ طبيعتها على الموادّ الحيوانية أو الأنسانية، فأصبحت قلوب الثقليْن(٧) كالحجارة أوْ أشدّ قسوة. فتبارَكَ اللهُ أقدَرُ الخالِقين. انتثرَتْ نُجومُ الهُدَي وتَدَهْوَرَتْ(٨) الشُّمُوس وَالأقمار، وَتَغيَّبَتْ الثَّوَابِت النَّيِّرَة، وَفرَّ كلّ مُضيء مُنهزِماً مِنْ عالمِ الظلاَم، ودَارتْ الأفلاَكَ دَوْرَةَ العكسِ، ذَاهِبةً بِنيِّرَاتها إلى عوَالِمَ غيرِ عالَمنا هذا، فوَلّى مَعهُ آلِهَةُ الخير أجمعين، وتمحّضتْ السُّلطة

(١) بعيدة (٢) البارح من الطير ما يمر من اليمين الى الشمال والعرب تتشاءم به وذلك أنه كان من عادتهم اذا ارادوا امراً عمدوا الي الطير فاطاروها فان طارت شمالا يتشاءمون ويرجعون وتسمى بارحات وان طارت يمينا تفاءلوا باليمين ومضوا فى امرهم وتسمى سانحات (٣) الاسر وهو القبض على الرجل واخذه اسيرا (٤) وسط دائرتها (٥) الدائرة المحيطة بالكرة الارضية (٦) الشمالى والجنوبى وهما طرفا محور الارض والمحور هو القطر الوهمي الذي تدور عليه الارض من المغرب الى المشرق اثنا حركتها (٧) الانس والجن (٨) ادبرت

لالِهةِ الشرّ فقلبوا الطّباع، وَبدّلُوا الخلقَ، وغيّروا خَلق الله، وكانوا علي ذلك قادرين

رَأيتُ نَفْسي اليومَ فى مَهمهٍ (١) لا يأتى البصرُ علي أطرَافه، فى ليلة دَاجية (٢) غُطّيَ فيها وَجه السّماء بغمامِ سُوء، فتكاثفَ (٣) رُكاماً رُكاماً (٤) لا أرَى إنساناً! ولا أسمعُ ناطقاً! ولا أتوهّمُ مُجيباً! أسمعُ ذئاباً تَعوي! وَسباعاً تَزأر (٥)! وكلاباً تنبح! (٦) كلها يطلبُ فَريسةً وَاحدةً، هي ذَاتُ الكاتب. وَالتفّ علي رجلي تِنينان (٧) عظيمان. وقد خَويت (٨) بطون الكل، وتحكم فيها سلطان الجوع ومن كانت هذه حاله، فهو لا ريب من الهالكين

تقطّع الأمل، وَانفصمت (٩) عُروَة الرّجاء، وَانحلّت الثّقة بالاولياء، وضلّ الاعتقاد بالأصفياء، وَبطلَ القَولُ بإجابَة الدُّعاء، وَانفطر (١٠) مِن صَدْمةِ الباطل كَبدُ السّماء، وَحقتْ علي أهل الارْض لَعنة الله والملائكة والأنبياء، وجميع العالمين

سقطت الهِمم، وخربت الذّمم، وَغاض (١١) ماءُ الوَفاء، وطُمست معالم الحق وحُرّفت الشّرائع، وبُدّلت القوانين، ولم يَبْقَ إلا هوَي يتحكم، وشهوَاتٌ تقضى وَغيظٌ يحتدِم، (١٢) وخشُونةٌ تُنفّذ، (تلك سُنة القدرِ) وَاللهُ لا يَهدي كيدَ الخائنين:

ذَهبَ ذَوُو السُّلطة فى بُحور الحوادث الماضية، يغوصُونَ لِطلب أصداف مِن الشُّبَهِ، وَمقذُوفات مِن التُّهم، وَسوَاقطَ من اللمم (١٣) ليمُوهُوها (١٤) بمياه السَّفسطةِ، وَيغشوها بأغشية مِن مَعادِن القوّة، ليُبرِزُوها فى معرض السّطوة وَيغشّوا بها أعين النّاظِرين. لا يطلبُونَ ذلك لِغامضٍ يُبيّنونه، أو لمستور

(١) مفازة بعيدة (٢) مظلمة (٣) كثر وتراكم (٤) السحاب المتراكم (٥) بفتح عينه أو بكسرها تصوت (٦) بفتح عينه أو بكسرها تصوت (٧) تثنية تنين الحية العظيمة (٨) خلت (٩) انقطعت (١٠) انشق (١١) ذهب (١٢) يتحرك ويشتد (١٣) المتقارب من الذنوب واللمم ايضا طرف من الجنون (١٤) من التمويه وهو التلبيس

يكشفونه ، أو لحقٍّ خفيٍّ فيظهرونه ، أو خرقٍ بدا فيرقعونه ، أو نظامٍ فاسد فيصلحونه ! كلاّ : بل ليثبتوا أنهم فى حبس من حبسوا غيرُ مخطئين ، وقد وجدوا لذلك أعواناً من حُلفاءِ الدّناءة ، وأعداءِ المروءة ، وفاسدِي الأخلاق وخُبثاءِ الأعراق[1] . رضوا لانفسهم قول الزّور ، وافتراء البهتان ، واختلاق الإفك . [2] وقد تقدموا الى مجلس التّحقيق بتقاريرَ محشُوّة من الأباطيل ليكونوا بها علينا من الشّاهدين .

كل ذلك لم تأخذنى فيه دهشة ، ولم تحلّ قلبي وحشةٌ . بلْ أنا على أتمّ أوْصافى التي تعلمُها ، غيرَ مُبال بما يصدرُ به الحكم أوْ يُبرمهُ القضاء عالماً بانّ كل ما يسُوقهُ القدر ، وما ساقهُ من البلاء فهو نتيجة ظلْمٍ لا شبهةَ للحقّ فيه ، لأنّ الله تعالى يعلم كما أنتَ تعلم أننى بريءٌ من كل ما رَمونى به ولو اطّلعتَ عليهِ لوَلّيتَ منهُ رُعبا ، وكنتَ من الضّاحكين .

تعمْ حنقني الغمّ ، وأحمي فؤادي الهمّ ، وفارقني النّوْم ليلةً كاملةً عندَ ما رأيتُ اسمك الكريم ، واسْم بقيةِ الأبناء والأخوان المساكين ، تُنسبُ اليهم أعمالٌ لم تكن ، وأقوال لم تصدُر عنهم ، لقصد زجّهم فى المسجونين .

لكن اطمأنّ قلبى ، وسكن جأشى ، [3] عند ما رأيتُ تواريخ التّقارير مُتقادمة ومع ذلك لم يصلكم شررُ الشّرّ ، فرجوتُ أنّ الحكومة لمْ تُرِدْ أنْ تفتحَ باباً لا يدرُ [4] الأحياء ولا الميّتين .

قدّم فلانٌ وفلانٌ تقريرين ، جعلاَ فيهما تبعاتِ الحوادث الماضيه على عنقي ولمْ يترُكا شيئاً من التّخريف إلاّ قالاه . وذكرا أسماءَكم فى أمورٍ أنتم جميعاً أبعدُ النّاس عنها . لكن لا حرَج عليهما فإنى أراهما منَ المجانين . ولَمْ أتعجبْ من

(١) الاخلاق (٢) الكذب (٣) اضطراب القلب عند الفزع (٤) لا يدع ولا يترك

هذين الشّخصين اذ يعملان مثل هذا الذّنب القبيح ، ويرتكبان هذا الجرم الشّنيع! ولكن أخذنى العجبُ (كلّ العجبُ غاية العجب: بالغْ ماشئتَ فى عجبي) إذ أخبرنى المدافع عني بتقريرٍ قدّمه فلان ، الذى أرسلت اليه السلام ، وأبلغته سرورى عند ماسمعت باستخدامه ، وأنا فى هذا الحبس رهين .

الى هذا الوقت لمْ يصلنى التقرير . ولكن سيصل الىّ . إنما فيما بلغني أنه شهادةٌ بأقبح شيء ، لا يشهد به إلاّ عدوّ مبين

هذا اللئيم الذي كنت أظن أنهُ يألم لألمي ، ويأخذه الأسف لحالى ، ويبذلُ وسعهُ إن أمكنهُ فى المدافعة عنى ! فكم قدّمت له نفعاً ! ورفعتُ له ذكراً وجعلتُ له منزلةً فى قلوب الحاكمين ! كمْ سمعني أقاوم هجاء الجرائد ؟! وأوسع محرّريها لوماً وتقريعا ! وأهزأ بتلك الحركات الجنونية وكان هو علىّ فى بعض أفكاري هذه من اللائمين! كانَ ينسبُ فلاناً لسوء القصد اتّباعاً لرأي فلان ، وأعارضه أشدّ المعارضة . ثم لمْ أنقض له عهداً ولمْ أبخسْ له وُدّاً ، وحقيقةً كنتُ مسروراً لوجوده موظفاً ، فما بالُ أصبحَ من النّاكثين ؟!

آه - ما أطيبَ هذا القلبَ الذى يملى هذه الأحرُف ! ما أشدّ حفظهُ للولاء ما أغيرهُ على حقوق الاولياء ! ما أثبتهُ على الوفاء ! ما أرقّهُ على الضّعفاء ! ما أشدّ اهتمامهُ بشؤون الأصدقاء ! ما أعظم أسفهُ لمصائب مَنْ بينهم وبينه أدنى مودّة ، وإنْ كانوا فيها غير صادقين ! ما أبعدَ هذا القلب من الإيذاء ولوْ للأعداء ! ما أشدّه رعايةً للوُدّ ! ما أشدّهُ محافظةً على العهد ! ما أعظمَ حذرَه من كلّ ما تُوبّخُ عليه الذّمم الطاهرة ! ما أقواه على العمل الحقّ ، والقول الحقّ لا يطلبُ عليه جزاء ! وكم اهتمّ بمصالح قومٍ وكانوا عنها غافلين ؟ ! هذا القلبُ

الذى يُؤلمونه بأكاذيبهم، هو الذى سرّ قلوبهم بالترقية، وملأها فرحاً بالتقدّم ولطّف خواطرهم بحُسن المعاملة، وشرح صُدورهم بلطيف المجاملة، ودافع عنهم أزماناً « خصوصاً هذا اللئيم » !

أفنشرح الصُّدُور وهم يُحرجُون ؟ ونشفي القلوب وهم يُؤلمون؟ ونُفرحُها وهم يحزنون . ؟ ! تالله قد أضلُّوا وما كانوا مُهتدين . هذا القلبُ ذاب مُعظمه من الأسف على ما يُلِمّ بالهيئة العموميّة من مصائب هذه التقلّبات، وما ينشأ عنها من فساد الطّباع الذي يجعل العموم فى قلق مستديم . وما بقي من هذا القلب فهو فى خوفٍ على من يعرفهم على عهد مودّته . فانْ تسلّلُوا جميعاً بمثل هذه الأعمال أصبحُوا من مودّته خالين. واتخذوهُ وقايةً لهم من المضرّة، وجعلوهُ تُرساً يعرّضونه لتلقى سهام النوائب التى يتوهّمونَ تفويقها اليهم، كما اتّخذوه قبل ذلك سهماً يصيبُون به أغراضهُمْ، فينالون منها حظوظَهُم ـ فقد أراحُوا تلك البقيّة من الفكر فيهم، والله يتولّي حسابهم وهو أسرعُ الحاسبين .

آه ـ ما أظنُّ أنّ تلك البقيّة تستريحُ من شاغل الفكر فى شؤون الأحبّة وإن جارُوا فى تصرُّفهم .

إنّ طبيعة هذا القلب لطبيعةٌ ناعم الحزّ، اذا أتّصل بذي الودّ (وان كان خشناً) فصعبٌ أنْ ينفصل ولوْ مزّقته خشونته . وانّ هذا القلب فى علاقةٍ مع الأودّاء كالضّياء مع الحرارة، أيّما حادث يحدث، وأيّما كيماوىّ يُدقق، لا يجد للتحليل بينهما سبيلا . وأظنُّك فى العلم بثبوت تلك الطبيعة فيه كنت من المتحققين

« وكتب المرحوم محمد حافظ بك ابراهيم [1] الى الاستاذ الامام الحكيم الشيخ محمد عبده »

كتابي الى سيدى : وأنا من وعده، بين الجنّة والسلسبيل، [2] ومن تيهي [3]

(١) يشكو اليه حاله وهو ضابط بالسودان (٢) عين في الجنة وهو الشراب السهل فى الحلق
(٣) عجبي

بهِ، فوْقَ النثْرَة(١) وَالإكليل(٢). وَقد تعجّلتُ السُّرُور، وَتسلَّقتُ الحُبور(٣) وقطعتُ ما بَيني وَبينَ النَّوائب.

وَبشَّرْتُ أهلى بالذي قَد سمعتهُ فما محنَتى(٤) إلاَّ ليالٍ قلائل
وَقلت لهم للشَّيخ فينا مَشيئةٌ فليسَ لَنا من دَهرنا ما نُنازلُ(٥)

وجمعتُ فِيه بين ثِقة الزُّبيديّ(٦) بالصَمْصَامة، (٧) وَالحارِث بالنعّامة، (٨) فلم أقل فيه ما قال الهُذَلى(٩) لصاحبه، حينَ نسىَ وَعدَهُ(١٠) وَحجبَ رِفدَهُ(١١) «يا دارَ عاتكة التي أتغَزَّلُ» بل أناديه نداء الأَخيذةِ(١٢) فى عَمُّورِيَّة(١٣) شجاع الدَّوْلة العبّاسية. وَأمُدُّ صَوتى بذكر إحسانه، مَدَّ المؤذّن صَوْتهُ فى آذانه وَأعتمدُ عليه فى البُعد وَالقُرْب، اعتمادَ الملاَّح(١٤) على نجمَة القطب(١٥)

وقالَ أُصيْحابى وَقدْ هالني النَّوَى(١٦) وَهالَهمُ أمري متى أنتَ قافل(١٧)
فقلتُ إذَا شاء الامامُ فأوْبتي(١٨) قريبٌ وَرَبعي(١٩) بالسَّعادة آهل

وها أنا متماسكٌ حتى تنحسر(٢٠) هذه الغَمْرَة، (٢١) وَينطويَ أجلُ تلك

(١) كوكبان متقاربان بينهما قدر شبر وفيهما لطخ بياض كأنه قطعة سحاب (٢) من منازل القمر أربعة انجم مصطفة (٣) الفرح ومعنى تسلق تسور أي أتى الفرح من غير بابه ويروي تسلفت بالفاء (٤) محنتي: بليتى (٥) نضارب لان الشيخ كفانا صدمات الدهر (٦) أبو ربيعة عمرو بن معدي كرب ينتهى نسبة الى قحطان صحابى من شجعان الجاهلية والاسلام وزبيدي نسبة الى زبيد بضم الزاي قوم من اليمن (٧) اسم سيف عمرو (٨) اسم فرس للحارث بن عباد البكرى شيخ من العرب (٩) نديم الخليفة أبى جعفر المنصور العباسي كان لا يكلم الخليفة الا جوابا (١٠) وعده ولم يوف ولما مرا على دار عاتكة بنت عوف قال الهذلى هذه دار عاتكة التي قال فيها الشاعر ـ يادار عاتكة فعجب الخليفة كيف بدأه بالكلام على غير عادة ثم نظر الملك فى قصيدة الشاعر فوجد فيها (وأراك تفعل ما تقول) فتذكر الخليفة الوعد (١١) عطاءه (١٢) الاسيرة يريد بها أمرأة من بني هاشم اسرها الروم فنادت وامعتصماه تعنى المعتصم من خلفاء بنى العباس فوصل الخبر الى المعتصم فحاربهم وخلصها (١٣) بلدة من بلاد الروم (١٤) صاحب السفينة (١٥) كوكب فى السماء تدور عليه الكواكب وهو ثابت مكانه ينظر اليه صاحب السفينة فيعرف الجهة التى هو قاصدها (١٦) البعد (١٧) راجع (١٨) رجعتي (١٩) دارى (٢٠) تنكشف (٢١) الشده

الفترة ، (١) وينظر إلىّ سيدي نظرة ترفعنى من ذات (٢) الصدع ، (٣) الى ذات (٤) الرجع (٥) وتردنى الى وكري (٦) الذي فيه درجت ، (٧) رد الشمس قطرة المزن (٨) الى أصلها ، ورد الوفى الأمانات الى أهلها.

فان شاء فالقرب الذى قد رجوته وان شاء فالعز الذي أنا آمل
والا فإنى قاف رؤبة (٩) لم أزل بقيد النوى حتى تغول الغوائل

فلقد حللت السودان حلول الكليم (١٠) فى التابوت ، (١١) والمغاضب (١٢) فى جوف الحوت . بين الضيق والشدة ، والوحشة والوحدة . لا بل حلول الوزير (١٣) فى تنور العذاب ، والكافر فى موقف الحساب ، بين نارين : نار القيظ (١٤) ونار الغيظ.

فناديت باسم الشيخ والقيظ جمرة تذيب دماغ الضب والعقل ذاهل
فصرت كأني بين روض ومنهل تهب الصبا فيه وتشدو البلابل

واليوم أكتب اليه وقد قعدت همة النجمين ، وقصرت يدا الجديدين ، (١٥) عن إزالة ما فى نفس ذلك الجبار العنيد . فلقد نمي ضبّ (١٦) ضغنه (١٧) علىّ ، وبدرت (١٨) بوادر (١٩) السوء منه إلىّ . فأصبحت كما سر العدو وساء الحميم (٢٠) وآلامي كأنها جلود أهل الجحيم ، كلما نضج منها أديم تجدد أديم (٢١) وأمسيت

---

(١) يريد المدة بينهما (٢) الارض (٣) الشق (٤) السماء (٥) صوت الرعد (٦) يريد وطنه وأصله عش الطائر (٧) مشيت (٨) المطر (٩) رجل من العرب كان اكثر روى اراجيزه على القاف الساكنة (١٠) سيدنا موسي عليه السلام (١١) الذى وضعته أمه فيه والقته فى البحر (١٢) سيدنا يونس بن متي عليه السلام (١٣) محمد الزيات وزير الخليفة مروان الحمار أدخله تنور الذى اصطنعه لتعذيب من يامر بتعذيبه (١٤) شدة الحر (١٥) الليل والنهار (١٦) بكسر الضاد الغيظ (١٧) حقده (١٨) أسرعت (١٩) جمع بادرة الحدة عند الغضب (٢٠) القريب الذي يهتم لامره (٢١) الجلد

ومُلْك آمالى الى الزَّوال ، أسرع منْ أثَر الشَّهاب فى السّماء ، وَدولة صبرى إلى الاضمحلال ، أحثُّ (١) من حَبابٍ (٢) الماء . فنظرْتُ فى وجوه تلك العباد، وإنى لفارسُ العين والفؤاد، فلم تقفْ فِرَاستي على غير بابك.

وانى أهديكَ سلاماً لو امتزَجَ بالسّحاب، واختلطَ مِنهُ باللُّعاب، لأصبحتْ تتهادَي (٣) بقَطره الأكاسِرة، (٤) وأمْستْ تدَّخر منه الرُّهبان فى الأدْيَرة ولأغني ذات الحِجاب، عن الغالية (٥) وَالملاب (٦)

وَلا بِدْع إذا جاد السيّد بالردّ، فقدْ يُري وجه المليك فى المرآة، وَخيال القَمر فى الإضاءة. وإن حال حائلٌ، دونُ أمْنيَّة هذا السّائل، فهو لا يذمّ يومك، ولا ييأسُ من غدك، فأنت خيرُ ماتكون حين لاتظنُّ نفسٌ بنفس خيراً : والسلام

(الفصل التاسع فى رسائل العيادة)

(كتب ابن الرُّومى المتوفى سنة ٢٨٤ هـ الى بعضهم)

أذنَ الله فى شفائك، وَتلقّى داءك بدوَائك، ومسَحَ بيد العافية عليك، ووجه وَفد السَّلاَمة اليك، وجعلَ علّتك ماحِيةً لِذُنوبك، مَضاعفةً لِثوَابك.

(وكتب أبو بكر الخوارزْمي المتوفى سنة ٣٨٣ هـ)

وَصل كتابك ياسيّدى، فسرنى نظَري إليه ثمَّ غمَّني اطلاعي عليه، لما تَضمَنهُ مِنْ ذِكر علتك، جعلَ الله أوّلها كفارةً، وآخرها عافيةً، ولا أعدمك على الأولى أجراً، وعلى الأُخرى شُكراً

وبودّى لوْ قرُب على مُتناولُ عيادتك، فأحتملْت عنك بالتّعهد والمساعدة

(١) أسرع (٢) مايرى علي وجه الماء من الفقاقيع (٣) تجعله هدية (٤) الملوك (٥) الطيب (٦) الزعفران

بعض أعباء (١) علتك، فلقد خصني من هذه العلة قسمٌ كقسمك، ومرض قلبي فيك لمرض جسمك. وأظن أنى لو لقيتك عليلاً، لا نصرفت عنك، وأنا أعلُّ منك، فإني بحمد الله تعالى جلدٌ (٢) على أوجاع أعضائى، غير جلدٍ على أوجاع أصدقائى - شفاك الله وعافاك.

(الفصل العاشر فى رسائل التهانى)

(كتب فى التهنئة بميلاد الأولاد أبو منصور الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ)

أهلاً وسهلا بعقيلة (٣) النساء، وأمّ الأبناء، وجالبة الأصهار، والأولاد الاطهار

ولو كان النّساء كمثل هذي ... لفضّلت النساء على الرّجالِ

فما التّأنيث لاسم الشّمْس عيبٌ ... ولا التّذكيرُ فخرٌ للهلال

والله يُعرّفُك البركة فى مطلعها، والسعادة بموقعها. فالدّنيا مؤنثة، والناس يخدمونها، والذّكور يعبدونها. والارض مؤنّثة، ومنها خلقت البريّة، وفيها كثرت الذّرية. والسماء مؤنّثة، وقد زيّنت بالكواكب، وحلّيت بالنجوم الثواقبْ (٤) والنفس مؤنّثة، وهي قِوام الأبدان، وملاك الحيوان. والحياة مونّثة ولولاها لم تتصرّف الأجسام، ولا تحرّك الانام. والجنّة مؤنّثة، وبها وُعِد المتقون وفيها تنعم المرْسلون - فهنيئاً هنيئاً ما أوليتَ، وأوْزعك (٥) الله شكر ما أعطيت وأطال بقاءك ما عرف النسل وما بقي الابد.

(وكتب بديع الزمان الهمذانى المتوفّى سنة ٣٩٨ هـ الى الداوردى يهنئه بمولود)

حقاً لقد أنجز الاقبال وعده، ووافق الطّالع سعده، وأن الشأن لفيما بعده وحبذا الاصلُ وفرْعه، وبورك الغيثُ وصوْبه (٦) وأينع الرّوض ونوْره، (٧) وحبّذا

(١) جمع عبء الثقل (٢) شديد (٣) كريمتهن (٤) المضيئات (٥) اقدرك (٦) مطره وهو هنا كناية عن الولد (٧) زهره الشجر وهو كناية عن الولد أيضا

سماءٌ أطلعت فرقداً ، وغابةٌ (١) أبرَتْ أسداً ، وظهرٌ وَافق سنداً ، وذِكر يبقي أبداً ، ومجدٌ يُسْمِي ولداً ، وشَرَفٌ لُحْمةٌ وسدًى (٢)

أنجب (٣) كلٌّ من والديه به إذْ نجلاه فنعْمَ مانجلا

فألفياه (٤) شِهابَ ذكاءٍ ، وبدْرَ علاءٍ

وَوجداهُ ابنْ جلاَ (٥) أبيض (٦) يُدّعي الجفَلَي (٧)

لمثله أوْلَى فلاَ إذا النّديُّ (٨) احتفلا

« وكتب فى التهنئة بالقدوم أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

اهنِيءْ سيّدِي، ونفْسي تطيب بما يَسّرَ الله من قدومه سالماً ، وأشكرُ الله على ذلك شكراً دائماً . جعلَ الله قدومَك مقرُونًا بالخيرَة التامة العامة، والكفاية الشّاملة الكاملة

غيبةُ المكارم مَقرُونةٌ بغيبتك، وَأوْبةُ النّعم موصُولةٌ بأوْبتك. فوصل الله قدُومَكَ من الكرَامة ، بأضعاف ما قرن به مَسيرك من السلامة ، وَهنّاك بإيابك، وبلغك غاية محابّك ، ما زلتُ بالنيّة معكَ مُسافراً ، وباتّصال الذّكر والفكر ملاقياً ، إلي أن جمع شمل سرُورِي بأوْبتك وسكَنَ نافِرُ قلْبي بعوْدتك

(وكتب أيضاً فى التهنئة برمضان)

ساق اللهُ إليكَ سعادَة إهلاله ، وَعرّفَكَ بركة كماله ، لقّاك اللهُ فيه ما ترْجوه ورَقّاك إلى ماتحبُّ فى ما تتلوه ، جعلَ الله مايطول من هذا الصوم مقرونًا بأفضل

(١) موضع الاسد الذى يألفه والمراد أصوله (٢) كلاهما من لحمة الثوب وسداه وهو كناية عن الصرف وظاهراً وباطنا (٣) ولداه كريما (٤) وجداه (٥) واضح الامر (٦) نقي العرض شريفا (٧) دعاهم بجماعتهم وعامتهم (٨) مكان اجتماع الناس والاحتفال هو التجمع «أي لمثله نصوغ التهانى أولى فلا يحسن أن تصاغ لغيره »

بشري فقد أنجز الاقبال ماوعدا وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا

القَبُول ، مؤذناً بدَرك البغية ونجح المأمول . ولا أخلاك من برٍّ مرفوع ، ودعاء مسمُوع . قابل اللهُ بالقبول صيامك ، وبعظيم المثوبة تهجّدك وقيامك . أعاد اللهُ إلي مولاي أمثاله ، وتقبّل فيه أعماله ، وأصلح فى الدّين والدُّنيا أحواله ، وبلّغه منها آماله ، أسعدَ اللهُ مولاي بهذا الشهر ، ووفّاه فيه أجزلَ المثوبة والاجرِ .

(وكتب أبو الفرج البيغاء المتوفى سنة ٣٩٨ هـ تهنئة)

سيّدي : أيّدَه الله ـ أرفعُ قدراً ، وأنبهُ ذِكراً ، وأعظمُ نُبلاً ، وأشهرُ فضلا ـ مِنْ أنْ نهنّئه بولاية ، وإن جلَّ خطرها ، وعظُم قدرُها . لأن الواجبَ تهنئة الاعمال بفائض عدْلِه ، والرعية بمحمود فعله ، والاقاليم بآثار رياستهِ . والولايات بسِمات سياسته ، فعرَّفهُ اللهُ يُمْنَ ما تولاه ، ورَعاه فى سائر ما استرعاهُ . ولا أخلاه من التّوفيق فيما يُعانيه ، والتّسديد فيما يُبرِمُه ويُمضيه .

(وكتب أستاذنا المرحوم الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٥ هـ)

أى جهابذَة (١) الكِنانة (٢) نبّال الجنانة (٣) ميَاه الإجّانة (٤) أبناء تلك اللُّغي ، صناديدَ هذه الوَغى ، اليكم يُساقُ الحديثُ ، فى القديم والحديثِ ، عن هذا النَّبأ العظيم ، والمجد الصميم . مالى أرَي فى لغتنا الشريفة « ويعلم أولو النّهي آيةً من اللغات أحقُّ بهذا النّبْز (٥) أن يُصرَفَ اليها عند الاطلاق » هُبوباً غِبَّ خُمُول ، وتَرَّةً (٦) بعد نُحول ، ونُوراً عُقيب أفول ، ونوْراً أثر ذُبول ، وصَباً وراءَ قَبول ، وعدلاً ولاحيف (٧) وقوّة ولا ضعف ، وما يشاء المُطري (٨) فى هذا القبيل من العَطف

(١) الحذاق ذوو النقد (٢) ما يوضع فيها السهام والمراد انهم نقادون للمسائل (٣) بضم الجيم الترس التي يُتقى بها (٤) الاجانة بالكسر اناء تغل فيه الثياب وماحول الغراس شبه الاحواض جمع اجاجين (٥) اللقب الرفيع (٦) امتلاء الجسم بالسمن (٧) الظلم والجور (٨) المادح

آمنتُ بالقدر المقدُور ، والبعث والنشُور ، كذلك يحيي الله الموتى

أليس رجلٌ واحدٌ أسفرَت (١) عنهُ عناية التّوفيق ، فألقتْ اليه المقاليد ؟(٢)

بلى (٣) ولكنهُ الواحد الذى يقول فى مثله صاحب بنى ميكال

والناس ألفٌ منهمُ كواحدٍ وواحدٌ كالالف ان أمرٌ عنا(٤)

إي (٥) وربّ تلك البَنيّة ، (٦) بارِىء (٧) نَسَم البريّة ، إنه لرجلُ البلاذِ رجلُ الحزم والسّداد . ألَم ترَ جنَانه ، (٨) وحنانه ، وبنانه (٩) وبيانه : عوامل رفع لهذه اللّغة : لغةِ الفرْقان ، (١٠) لغة الاوْطان ! لا ـ بل أمضَي من العَوامل حتي ظلّت آدابها (فرائض) ، وقد كانتْ وما بالعهدِ من قِدَم (نوافل) . ومنْ حُليّها أجيادُ (١١) اللهجاتِ عواطلُ . اللّهم الاّ بقيةَ ثَمد ، قدْ مُنيت (١٢) صُحُفها الاوَد ، (١٣) ففقدت الجلد والجلد (١٤) وبعدَ أنْ راجَ سُوقُ الرّطانة (١٥) ونضبَ (١٦) ماء الإبانة ، وخبتْ (١٧) أنْوارُ البلاغة ، وذوَتْ (١٨) أنوارُ (١٩) النّباغة ، وكسدَ البيان ، وقوّض (٢٠) منهُ البُنيان ، وأصبحت العربية لُقًى (٢١) مُلقاه ، وبضاعةَ مُزجاه ، (٢٢) فآهٍ لهذا اليَراع (٢٣) لا أقلّ من نَفَثات ، فى صَوْغ كُليمات ، تقدُر هذه النّعمة قدْرها ، وتمنحُها (٢٤) شكرَها

ويْحك ! (٢٥) هُبّ (٢٦) من سِنَتِك ، (٧) فى حِلْية مقتك ، (٢٨) وانْض (٢٩)

---

(١) ظهرت (٢) المفاتيح (٣) حرف جواب تثبت المنفى (٤) أهم الناس وأقلهم (٥) حرف جواب مثل نعم (٦) بفتح الباء وزن غنية الكعبة (٧) خالق (٨) قلبه (٩) أنامل أصابعه (١٠) القرآن الشريف (١١) الاعناق (١٢) اختبرت (١٣) الاود الكد والتعب ومراده اعتنى الناس بها لا عن بذل جهد (١٤) القوة (١٥) كل لسان يخالف العربية (١٦) غار وذهب (١٧) خفيت (١٨) ذبلت (١٩) جمع نور بالفتح الزهر (٢٠) نقض (٢١) بالقصر مطروحة (٢٢) قليلة (٢٣) القلم (٢٤) نعطيها (٢٥) كلمة رحمة (٢٦) استيقظ (٢٧) نومك (٢٨) محبتك (٢٩) سله من غمده

حُسامَك،(١) وَأشْحِذْ كهامك،(٢) وأنثلْ (٣) كنانتَكَ (٤)، واعمَلْ بنَانَتك(٥)، وُصغْ إن استْطَعتَ تهانىء غُرّا، بل عقوداً دُرّاً، بل أنجُماً زُهراً، مشتاراً (٦) من خَلَايا ذلك الأرْيِ (٧) الشَّهىّ، (٨) النّدِي الذّكيّ، ماجَرَسَتْ (٩) نحلُه الشّيحَ (١٠) وَالخُزَامَي،(١١) وأطايبَ الثمار، وَأزَاهيَ ألازْهار، تُهْديهنَّ أولئك المصاقِعُ (١٢) شكرَانًا لتلكَ النعم تجميعاً لشَوَارِدها، وتقييداً لأَوَابدِها (١٣)

كما شبْهها رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو الصّادق المصدُوق، واشفاقاً عليها منْ الجِماح، (١٤) بعد ذلك من الارتياح.

فاليكم بنى هذه اللغة «كتابى هذَا» تهنئةً بتلك النّهضة العرَبية فى إبّانٍ (كما تعلمون) وَجهُهُ مُكفهرّ (١٥) وبَدنه مقشعر، وَثناء على العناية (التوفيقية) والعزمة (الرياضية) على أنَّ لهذا المولى الوَزير سوّى ذلك، أيادَي (١٦) مبرُورة، ومساعي مشكورة أكْسَبَتِ الوطنَ وأهليه نهَضات، وأقالته كثيراً منَ العَثرات ـ لكنّنى آثرْتُ (١٧) تلكمُ النّهضة العربية بتهنئتكم بها. أي بَنِي جِلْدَتى، (١٨) وَإخوانَ حِرْفتي لكونها فيما إخال، لا، بلْ فيما أتيَقَّنُ ويتيَقنُ أولو الحِجا، (١٩) أعظم النهضات، وأيمنَ (٢٠) ما اجتازه (٢١) الوطن من العقبات. ولو كان فى نطاق الامكان، زيادة البيان، فى هذا الشّان، لأَسهبْتُ (٢٢) وأوْسعْتُ، وأطرَيْتُ (٢٣) وأطنبْت. ولو لم يكن فى تلك

---

(١) السيف القاطع (٢) شحذه حده والكهام بفتح الكاف السيف الكليل (٣) استخرج ما فيها من النبال (٤) الجراب الذى توضع فيه النبال والسهام (٥) أصبعك (٦) كثير الشراء (٧) العسل (٨) ما يشتهي (٩) أكلت واصله جرس الشيء جرسا لحسه بلسانه (١٠) نبت طيب الرائحة (١١) بضم الخاء نبت زهره أطيب الازهار (١٢) جمع مصقع البليغ (١٣) لغرائبها (١٤) الذهاب بسرعة (١٥) متعبس (١٦) نعما من ذلك الوزير الخطير مصطفى باشا رياض المتوفى سنة ١٣٣١ هـ (١٧) اخترت (١٨) بنى عشيرتى (١٩) العقل (٢٠) أكثر بركة (٢١) سلكه (٢٢) لاكثرت الكلام (٢٢) مدحت

النهضة إلاّ أنّ حياة الأمة حياة لغتها فحسبُ ، لكفاكَ ، وشفاك ، وأغناك ، وكان ذلك قصاراك (١) وحماداك (٢).

(وكتب المرحوم الاستاذ محمود بك أبو النصر)

انسان عين الفضائل ، عزيزي فلان المحترم

نورٌ على نور، وشفاءٌ لما فى الصُّدُور ، شفاؤك أيُّها العزيز من ذلك الرَّمد .قد أنجزَ الإقبالُ ما وَعدْ ، وابتهجت النُّفوس ، وتزيّنتِ الطُّروس ، واهتزّت الأقلام،وأعلنتْ بالسلام

ولاح فجرُ التهانى بالبَشَائر اذ حيّتْ فأحيَتْ رُبُوع الفضْل والادب

وكيف لا؟ وأنت واحد الكتّاب ، وإنسان عين الآداب ! رَمِدْتَ فرَمِدَتْ وشفيت فاهتزت ورَبت . وَقد كانَ طرْفُها كليلا ، وفؤادُها عليلاً . واليوْم زالَ العَناء ، وحقّ الهناء ، ووَافى الشّفاء . فكان بردْاً وسلاماً على القلوب وقميص يوسف فى أجفان يعقوب .

فَلكَ الهناء بصحّةٍ ميمُونةٍ أبداً على مرّ الدُّهور تدُوم

وان الله مَا قضي بما قد مضي ، إلا ليُعرّف سيّدي مكانته من القلوب ومنزلته من الفضل . وهذه حُلل العافية قد خُلعت عليك ، وثيابُ السلامة سيقتْ إليك فوافى السرُور ، وعمّ الحُبور . واللهُ يُبلّغك بالصحة والاعمال ، منتهي الآمال والسلام

« وكتب الوَزير المرحوم عبد الله باشا فكرى المتوفى سنه ١٣٠٧ هـ فى تهنئة العيد»

هذا يوم نَشَرَ البِشرُ فيه أعلامه . وأضاءت الدُّنيا وازْدانت الآفاق، ببهجة

(١) مبلغ جهدك وغايتك (٢) غاية ما تحمد عليه

هذا العيد السّعيد ، وأخذَ الاَحبةُ يتهادَوْن رسائل البشائر فيما بينهم ، وكلُّ حزبٍ فرِحُون بما لدَيهم ، بما أوْدَع فيهم من رَوَابط المحبَّةِ وَعوَامل الاتحاد السّارية فى النفوس ـ أما أنا فعيدي ، وبهجة نفسى ، وَسرُور فؤادي ، دَوَام إقبال الزّمان عليك بوجه النصر وعوْدُ أعياد السُّرُور على جنابك الرفيع . فمثلك تشرُقُ الدُّنيا بطلعتهِ ، وَتفرَح الاَعياد برُؤيته .

وَأرَي الحياة لذيذةً بحياته وأرَى الوُجُود مُشرّفًا بوُجودِه
لوْأنّني خُيّرتُ من دهرى المنى لاخترْتُ طُول بَقائه وَخلودِهِ

أعادَ اللهُ عليكَ أيّها الاخُ أمثالَهُ وَأمثال أمثالهِ فى صفاء وَهناء

(الفصل الحادى عشر فى رسائل التعازي والتأبين)

« كتب أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

خبرٌ عزّ علىّ مُستمعهُ ، وَأثّر فى قلبي موْقِعُهُ . خبرٌ تستاء (١) له المسامع وترتجُّ منهُ الاَضالع ، خبرٌ يهدُّ الرّوَاسى ، (٢) وَيفلقُ الحجرَ القاسى . كادت له القلوبُ تطير ، وَالعقُول تطيش ، وَالنُّفوسُ تَطيح (٣) خبرٌ يُشيب الوَليد ، وَيُذيب الحديد ، قد كاد من الحزن أن تنْقبضَ الاَلسنُ عن هذا النّعي الفَادح ، (٤) وتخرَس وَتقصرُ الأيدى عن التّعزِية بهذا الرَّزْء الفَادح ، (٥) وَتيبس .

(وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

إذا ما الدَّهرُ جرّ على أناس مَصَائبهُ أناخ بآخرينا
فقل للشّامتينَ بنا أفيقوا سَيلقى الشَّامتون كما لقينا

(١) تتألم وتتأثر من أجله (٢) الجبال (٣) تهلك (٤) الذي يثقل الناس ويهمهم (٥) المصيبة

أحسنُ مافى الدَّهر عمومهُ بالنّوائب، وخصوصهُ بالرّغائب، فهو يدعوا الجفلى (١) إذا ساءَ، ويخصّ بالنّعمة إذا شاءَ، فليكفر الشّامتُ: فان كان أفلت (٢) فله أن يشمت. ولينظر الإنسان فى الدّهر وصُروفهِ، والموتِ وصُنوفه، من فاتحة أمرهِ إلى خاتمةِ عمره، هل يجدُ لنفسِهِ أثراً فى نفسه؟ أم لتدبيرِه عوناً على تصويره؟ أمْ لِعمَله تقديماً لأَمله؟ أم لِحيله تأخيراً لأجله؟ كلا. بلْ هُو العَبدلم يَكنْ شيئاً مذكوراً، خُلقَ مقهُوراً، فهو يحيا جبراً، ويهلك صَبْراً، وَليتأمّل المَرءُ كيفَ كانَ قبلاً؟ فانْ كان العدمُ أصلاً، والوُجُودُ فضلاً، فليعلم الموْتَ عدْلا.

والموتُ (أطال الله بقاءَ مَوْلاي) خَطْبٌ قد عظُم حتى هان، وأمرٌ قد خشن حتّى لانَ، ولعلّ هذا السّهمَ قد صارَ آخرما فى كِنانتها، (٣) وأزكى (٤) ما فى خِزانتها، ونحنُ معاشرَ التبَع، نتعلم الادبَ من أقْوَاله، والجميلَ من أفعاله، فلا نحثهُ على الجميل وهو الصّبرُ ولا نرْغبهُ فى الجزيل وهو الأجر، فلْيرفيهمارأيه.

« وكتب أيضاً »

ياسيدي — ألمصابُ لعمرالله كبيرٌ، وأنتَ بالجزع جدير. ولكنّكَ بالصبر أجدَر. والعَزاءُ عن الأعزّة رُشْد كانهُ الغيّ، وقد مات الميْتُ: فليَحيى الحيّ

« وكتب فقيد اللغة الشيخ ابراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦ م »

أشباحٌ تروح وتجي، وآجالٌ تُمسي وتغتدي، وأنفاسٌ تتقطع من دُونها حزناً وأسفاً، وعَبراتٌ تتفطرُ وجداً ولهفا. وَما عمدَت الأقدار إلى استنزاف مدْمع، ولا أرادت الايام إيلامَ مُوجَع. إنما هي سُنّةُ الخلق: كونٌ يليه زوال وعقْدٌ يَسبقهُ انحلال، وأنّ لكلّ شيءٍ أجلاً موقوتاً، وأنّ لكلّ أجل سبباً

(١) يدعو الناس بعامتهم وجماعتهم (٢) أطلق وخلص وسلم من نوائب الدهر
(٣) الجراب الذى توضع فيه السهام (٤) اطهر وانقى لانه لايحرز الا ماكان نفيسا

مقدُوراً ، وَإنَّ الإنسانَ لفى كلّ ذلك شاهدٌ ، يسمعُ لاهياً ويبصرُ ساهياً ، وليس فى يَدِه أن يسترّد ماضياً ، ولا أن يُردَّ آتياً ، ولقدْ وَددت أن أعزّيك : لولاَ ما يُغالبنى على العزَاء من كبدٍ حرّي ، ومقلةٍ شكرَى ، وزَفرَة تَترى . ثمّ وددت أن أستبكيك : لولا أنّي بَكيتُ حتّي لم أدع فى البكاء من واد ، وَأحييتُ ليالىّ بالنّوْح حتى ما بالنَّجم سُهاد . ثمّ لم يزدنى البكاء على سقم جَسَدِي ، ولم يَزدنى النوَّح على صفر يدي الاّ من كَبدِي . وإن الاقدارَ سِهامٌ إذا انطلقتْ لَمْ تُرَدْ ، وإن المتطلّع إلى الفائتِ لَطويلُ شُقّةِ الكمَد ، وَإنَّ الخُطوبَ لهي هي وَإنما تتفاوَت عِند الجَلَد .

وَإن الحصى عند الجزُوع ثقيلةٌ وضَخْم الصفا عند الصبور خفيفُ

والله المسئول فى إطالة بقائك قرة للعيون ، وجبراً لخاطر المحزون ، بمنّه وكرَمه

« تأبين الأحْنَف[1] بن قَيْس »

مات الأحْنَفَ بن قَيْس بالكوفة فمشي مُصْعَبُ بن الزبير فى جنازته بغير رداء[2] وقال قوم : مات سر العرب . فلما دفن قامت امرأة على قبره فقالت : لله درُّك[3] من مُجَنٍّ[4] فى جَنَن ، ومُدْرَجٍ فى كَفَن ، فنسأل الذى فَجَعنا بموتك وابتلانا بفقدك أن يجعل سبيل الخير سبيلك ، ودليل الرشد دليلك ، وأن يُوسع لك فى قبرك ، ويغفر لك يوم حشرك ، فوالله لقد كنت فى المحافل شريفا ، وعلى الارامل عطوفا . ولقد كنت في الحي مسوَّدا ، والى الخليفة موَفّدا . ولقد كانوا لقولك

(١) اسمه الضحاك وكان سيد تميم في عهده معروفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم الى ثبات جنان وحسن بيان ، وحياته مملوءة بجلائل الاعمال وكريم الفعال توفى سنة ٦٧ هـ . (٢) تلك كانت عاداتهم فى جنائز العظماء (٣) الدر : اللبن والعمل ، ولله درك : كلمة تعجب . (٤) أجنة : ستره . والجنن : القبر . ومن بدائع العربية أن مادة (ج ن ن) تدل على الستر كالجن والجنون والجنة والمجن والجنان والجنين .

مستمعين ، ولرأيك متبعين . « ثم أقبلت على الناس فقالت » : ألا ان أولياء الله فى بلاده ، شهود عباده . وانى لقائلة حقا ، ومثنية صدقا ، وهو أهل لحُسن الثنّاء ، وطيب البقاء ، أمَا والذي كنتَ من أجله فى عِدَّة ، ومن الحياة الى مُدَّة ، ومن المقدار إلى غاية ، ومن الآثار الى نهاية ، الذى رفع عملك ، لمّا قضي أجلك ، لقد عشت حميداً مودوداً ، ومت سعيداً منقوداً [١] ، ثم انصرفت وهى تقول :

لله دَرُّك يا أبا بحرٍ ماذا تغيب منك فى القبر
لله درك أيَّ حشو ثَرًى أصبحت من عُرْف ومن نُكر
ان كان دهر فيك جدّ لَنَا حدَثانَه ووهت قوي الصبر [٢]
فَلَكَمْ يدٍ أسديتها ويد كانت ترُد جرائر الدهر

ثم انصرفت فسئل عنها فاذا هي امرأته وابنة عمه [٣] فقال الناس : ما سمعنا كلام امرأة قط أصدق ولا أبلغ منه .

« تأبين الاسكندر »

لمّا جعل الإسكندر فى تابوت من ذهب تقدّم اليه أحد الحكماء فقال : كان الملك يخبأ الذهب وقد صار الآن الذهب يخبؤه .

وتقدّم اليه آخر والناس يبكون ويجزعون فقال : حرَّكنا بسكونه :

وتقدم اليه آخر فقال : كان الملك يعظنا فى حياته وهو اليوم أوعظ منه أمس [٤]

---

(١) يقولون مات فلان غير حميد ولا فقيد أى غير مكترث لفقدانه فقولها : مفقوداً تريد يحزن الناس فقدك (٢) حدثان الدهر . نوائبه . (٣) ذكر صاحب بلاغات النساء أن اسمها صفية بنت هشام المنقروية . (٤) أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال :

وكانت فى حياتك لى عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وتقدم اليه آخر فقال : قد طاف الارضين وتملّكها ثم جعل منها فى أربع أذرع

ووقف عليه آخر فقال : انظر الى حُلْم النائم كيف انقضي، وإلى ظل الغمام وقد انجلى .

ووقف عليه آخر فقال : مالك لا تُقِلُّ عضوا من أعضائك وقد كنت تستقلّ مُلك العباد ؟

وقال آخر : مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان وقد كنت ترغب بها عن رَحْب البلاد ؟

(الفصل الثاني عشر في رسائل الاجوبة)

« كتب المرحوم عبدالله باشا فكري المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ »

سيدى سلّمك الله وحيّاك ، وأسعدنى برُؤية مُحيّاك ، وزاد عزّك وعُلْياك وحرس دينك ودُنياك ، وجمعنى على بساط المسرّة وإيّاك ، ولا حرمنى دوام لقياك ولا بَرح الدهر مُبتَسِمَ الثّغر بمحاسن معاليك ، مُباهياً أعصار الاوائل بأيامك ولياليك ، مُحلّياً أجياد المفاخر بزواهر لآليك — وَرَدّ علىّ كتابك الكريم مورد إعزاز وتكريم ، فبلّ بعض ما فى الجوانح من الصّدي ، وأنعشنى ولا انْتعاش الزهر بمُبا كرَة الندَي ، وجلا علىّ من البلاغة رَوْضاً غضّا ، وأدار لدّي صَفْواً من سُلاف المحبّة محضا . وهزنى هزة النشوان شوْقاً وطَرَبا واستفزّنى بمعجز آياته الحسان عُجْباً وعَجبا . ونثر على من محاسن لفظك الحُر وكلماتك الغر ، ما يخجلُ الدراري ويفضَح الدُّر .

كلامٌ كستهُ بهجة الحُسن رونقاً هو السّحر لا بل جلّ قدراً عن السّحر

(وكتب أيضاً وهو بالاستانة العلية فى يوم برد كثير الامطار)

كتبتُ إليك والأمطارُ ساجمة (١) بطَلُّها (٢) ووَبْلها ، (٣) وعَساكرُ البَرْد والبَرَد هاجمةٌ بخيلها ورَجْلها ، (٤) والسّماءُ مُتلفّعةٌ بأذيال السَّحاب ، وكأن الشمس خافت من الظّلّ فتوارَت بالحجاب . والجوُّ مِسكيّ الرِّداء ، عنبريّ الأرجاء ، كأنه وَعليه ثوب الغيم مزْرُورٌ ، قد وَجلَ (٥) من صوْلة البرد فلبس فرْوَة السَّمُّور والغمام على الأُفقِ بكلاَكِله (٦) ، وَهزّ من البرْق بيض مناصله ، (٧) ونَشَرَ فى الجوّ طرَائقَ مطارِفه ، (٨) وجاد على الأرْض بتَليدِه (٩) وطارِفه . وَثقل على كاهل الهواء ، كالطير بلّ جناحَه بالماء ، وقَرُب حتى كادَ يُمسك باليدين ، ويُعتصرُ بالرَّاحتين أوْ كأنه مرآةٌ مذَهّبةٌ تبدُو وتخفَى ، أوْ جُذوَةٌ (١٠) مُلتهبةٌ تُوقَدُ وتُطفَى والرّعْدُ يُهدّدُ بزَواجر زماجره السّحائب فيُبكيها ، والطيرُ يتلُو سُطور النّدَى فى طرُوس الثّرَى (١١) فيُمليها ، ويُطربُ بأفنان (١٢) الألحان أفنان (١٣) البَان فيُعليها ويُثْنيها . ويقرَأ على رُؤوس الأغصان أوْرَاده الحسان فيقريها ويَرقيها وقوسُ السّماء يَرمي بسَهام وَبْله (١٤) جنوب الشّقائق (١٥) فيُصميها (١٦) ويُدميها والرّبح تمسحُ أخلافَ (١٧) الغمائم فتُمريها ، (١٨) وتُرْضعُ بدَرّها بنات النّبات فى جُحُور أرَاضيها فتُربّيها وترْبيها ، وتُرَصّعُ بدُرّها تيجان القضبَان ، وتارة تجعله عقوداً فى تراقيها ، (١٩) أوْ دُمُوعاً فى أماقيها . وكانَّ الحرَ خافَ من بَنادق

(١) سائلة (٢) الندى (٣) المطر الكثير (٤) المشاة على ارجلهم (٥) خاف (٦) بجماعاته (٧) سيوفه (٨) ثياب من خز مربعة والمراد أنه كثر حتي غطي السماء (٩) المال القديم والطارف ضده والمراد كثرة مطره (١٠) بتثليث الجيم الجمره (١١) الارض (١٢) جمع فنن الغصن (١٣) الاغصان الناعمة (١٤) المطر الكثير (١٥) شقائق النعمان نبت أحمر (١٦) ليرميها ومراده انه يرميها بالمطر حتي تزهو فتحمر (١٧) جمع خلف بالكسر الضرع (١٨) مرى الناقة يمريها اذا مسح ضرعها لتدر اللبن (١٩) اعناقها

البَرْد ، ومدافع الرَّعد ، ففرَّ إلى مصر ونواحيها ، وأصبحَ نزيل مَنْ فيها لكرم أهليها . وكانَّ غيرها بخلت عليه فلم تقبله عندها ضيفًا ، أوْ غلط النّاس فى حساب الفصُول فظنوا شتاها صيفًا .

(وكتب المرحوم حفني بك ناصف الى المرحوم الشيخ على الليثي المتوفى سنة ١٣١٣هـ)

وصل يامولاى إلى هذا الطرَف ، ماخصَّصت به العبدَ من الطرَف «قفصٌ» من عنب كاللؤلؤ فى الصدَف ، تتألق عناقيده كأنّها من صناعة « النّجف »ولَعمر الحق أنها تُحفة من أحلى التّحف ، لا يُعثَر على مِثلها إلاّ بطريق (الصُّدف) . فقابلناه ، لثما بالأفواه ، ورَشفًا بالشفاه ، واحتفينا (١) بقدُومه كل الاحتفاء ، ولم نفرِّط فى حُبِّه عندَ اللقاء . بل حَللْنا لهُ الحُبى ، (٢) وقلنا لهُ أهلاً وسهلاً ومرحبًا ، وأوْسعناهُ عَضا ولثمًا ، وتناولناهُ تَجْميشًا (٣) وضمًّا . وحفظنا فى صدورنا سره المكنون ، وطوَيناه فى غضُون (٤) البُطون ، فطَربتْ منْ تعاطيه الارْواح ، ولا غرْوَ فهو أصل الرَّاح ، (٥) وانتَشَيْنا (٦) ولم نحمل وِزْراً ، وثَمِلْنا (٧) ولم نذُقْ طعمًا مرّاً . فهوَ كبيان مُهديه سِحرٌ ولكنّه حلالٌ . ولَعِبٌ إلاّ أنه كمال . فان أكسبَت الشَّمُول شاربها قوّة فى الجنان ، ونَفحت (٨) ذائقها طلاقة فى اللّسان ، فقد سَرَت فى أجسامنا من حرارته شجاعةٌ « لَيثيّة » ودّبّتْ فى كلامنا من مذاقته فَصاحةٌ « علويّة » وخلُصَتْ إلينا منهُ فوائدُ لا يحيط بها العلم ، ونَجمَتْ (٩) عنه منافع ليس يصْحُبها إثْمٌ — فان زَعَمَ الأوّلونَ أنّ فى الخمر معْني ليس فى العنَب ، فقد تغيَّرالحال فى هذه الهدّية

(١) بالغنا فى اكرامه واظهرنا الفرح والسرور (٢) الحبال (٣) المغازلة والملاعبة (٤) طيات البطون (٥) الخمرة (٦) سكرنا (٧) سكرنا أيضا (٨) أعطت (٩) أظهرت

وَانْقلبَ ، وانكشف للمتأخرين حقيقة الامر ، أنّ في العنب معني ليسَ في الخمر

وكان الأَحرَي بهذا العنب أن يُناط (١) بالنُّحور ، أو تُزَيَّن به الصُّدور . فما هوَ إلاّ اللؤْلؤُ ! لكنهُ سَليم مِن سِجْن البحار ، وما هوَ إلا الدُّرّ ، لكن ليس فيه صغار (٢)

(وَمن كنتَ بحراً له يا عَليّ لا يَلقط الدُّرّ إلا كبارا)

وما ضرّه أنْ ضمَّهُ القفَص حصّةً من الحصص ، فانّ كريم الطير يودَع في الأَقفاص ، والقلبُ ليس لهُ من حنايا الضّلوع خلاص . فلا بِدع أن تستقلَّ في حبّاته حبّاتّ القلوب ، ويُستملَحَ في جنبِ حلاوَتهِ رُضابُ (٣) المحبوب . وكانَّ الثريا لما أخذَتْ شكلَهُ فغرَ (٤) الهارل فاهُ لعنْقودها ، يُريد أكلهُ . فهو يطاردها في السّماء ، ويأخذ عليها الطريق من الوراء ، وهي تجرى من الأَمام ، مخافة الالتهام . هذا لمجرَّد تشابه في الشكل ، فكيف بالثريّا ، لو أشبَهَتْهُ حلاوةً وريًّا (٥) فللهِ تلك العناقيد : وما أشدَّ . تألّقها ! وأصفَي ماءها وأحسن رَوْنقها ! من كل عنقودٍ ، تخاله عمود الصُّبح أحاطتْ به الدَّراري ، أو غُصن البان تعلّقت به القماري .

فسقَي الغيثُ أرضاً أنبتَتْهُ ، ولا ثَلَّ (٦) الدّهر عُرُوشاً حملَته ، وأرضاً عرفتنا بأثمارها حَلاوة الجنَّة ، وأبرَزتْ لنا لمحةً من محاسنها المستكنة . وأنسانا عِنبُها ذِكرَى دَمشْق (٧) وأزْمير ، وأنبأنا غارسُها أن مصرحيرُ مُسْتقرّ ، ولا يُنبئك مثلُ خبير ، وعروساً كالعروس ، تَتيه (٨) في الحلْي والملبُوس ، تحسدُها المجرَّة (٩)

(١) يعلق (٢) بضم الصاد الصغير (٣) ريقه (٤) فتح (٥) منظراً حسنا (٦) لا هدم (٧) عاصمة الشام سميت باسم بانيها دمشاق بن كنعان (٨) تتبختر (٩) نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر وانما ينتشر ضوءها فيري كأنه بقعة بيضاء

فى السّماء وتودّ لو تكون لها هذه البهجةُ والرّواء [١] لازال مولاي يَهدِي ويُهدي وصنائعه تعيد فى ثنائه وتُبدي .

(وأجابه المرحوم الشيخ على الليثي المتوفى سنة ١٣١٣ هـ)

وبعدُ . فقد وصل كتاب القاضي الفاضل . وأرّج الارجاءَ بلطيف فواضله وشريف الفضائل . وما كنتُ أظنُّ أن يحصلَ من زَبيبة خمّاره ، حتى رأيت القاضِيَ الفاضل سبكه في قوالبَ شتى وصاغه ، وأتى بما أدهش اللّب من أساليب البلاغة ، فتارةً عِقْداً على النُّحور ، وتارةً في ميادين الطلب تُطاردُه البدُور ، وآونة دُرًّا مكبّراً ، ومرّة خمرا معنبراً ، وساعة دوالى « نجمة » وساعة غصناً تعلق به الهزَار [٢] وأزِنه .

تكاثرَت الظّباءُ على خِراشٍ فما يدْرِي خراشٌ ما يصيدُ

عجباً لك أيها الفاضل ! هذا مع اشتغال بالك ، وإقبالك على ما لديك من مراعاة عدلك واعتدالك ! فكيف لو تفرّغتَ لهذا الامر ؟ ولإراحة النفس ، اعتصرتَ من العنقود قدحا من خمر ، وامتَطَيْتَ [٣] طرَفَ اليرَاع منتهجاً مناهج الطّرْس ، ودَبّجْتَ [٤] بياضَ صفحاته بمحاسن حلْى النّقس [٥] فلله أنت من بليغ بلغَ ما يريد ! وقلدَ فرائدَ آدابه كلّ جيد ! وأفاد السّحْرَ منشوراً في فواصله وأقام بعوامل أقلامه تثقيفَ عوامله ! وأوجب علينا الشهادة له بالسبق ؟ فأذعنّا مسلمين والحقُّ أحقُّ — هذا : ولولا أن يقال : فلان جفا ، وما احتفل بكتاب أخه ولا احتفَي ، [٦] وإن كان شيبي يُلزِمُني ذلك ، كما أن شباب (البيك) يسلك به

---

(١) بضم الراء حسن المنظر (٢) بفتح الهاء طائر يقال له العندليب (٣) علوت (٤) نقشت
(٥) بكسر النون الحبر (٦) ولا سأل

أقوم المسالك ، لَسَتَرْتُ عِنّى وما أشرْت ، ورأيتُ طَيِّي خيراً لى مما نشرت وجعلت كتاب سيّدي فى عنقى تَمِيمَةً (١) وَرَوَّحتُ النَّفس تيمُّناً (٢) بمسّ آياته الكريمة . وقلتُ : كفاني ما أحاط بالعنق من قلائده ، حيثُ العبد لا يبلغ فى الفخامة كمال سيّده .

وَهَبْنى قلتُ هذا الصّبحُ ليلٌ أيعمَي العالَمون عن الضّياءِ

لا زالت بُرُد التّرَسُّل بيننا مُستمرّةً ، ومُدد التّوصّل على جَناح التَّقرب مُستقرّة ، وَلا برَح الجنابُ فى كلّ بداية ، يترَقى كما يحبّ من غاية الى غاية والسلام .

(الفصل الثالث عشر فى رسائل الوصايا والشفاعات)

(من كلام له عليه الصلاة والسلام لعُمر بن الخطاب فى غزْوة الفرس)

إنّ هذا الامر لم يكن نصرُه ولا خِذلانه بِكثرَةٍ وَلا قِلَّة ، وهو دِين الله الذي أظهَره ، وجُندُه الذى أعدّه وَأمدّه ، حتى بلغ ما بَلغ ، وَطلع حَيثُما طَلع ونحنُ على موْعود من الله ، والله مُنجزٌ وَعدَه ، وناصرٌ جندَه ـ ومكان التَّيّم بالامْر مكان النّظام من الخرز يجمعهُ وَيضُمّه ، فاذا انقطع النّظام تفرّق الخرز وذهب ثُمّ لم يجتمع بحذافيره أبداً

والعرَبُ اليوْمَ وان كانوا قليلاً فهمْ كثيرون بالاسلام ، عزيزُون بالاجتماع فكن قُطباً ـ واستَدِر الرَّحى بالعرَب ، وَأصلهمْ دُونكَ نارَ الحرْب ، فانك إن شخصت من هذه الارْض انتقَضتْ عليك العرَب من أطرَافها وأقْطارها ، حتى يكون ماتَدَعُ وَرَاءك منَ العَوْرَات أهمّ اليك مما بين يديك .

(١) ما تكتب وتعلق فى عنق الصبيان للحرز (٢) تبركا

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا هذا أصل العرب . فاذا قطعتموه استرحتم : فيكون ذلك أشدّ لكلبهم عليك وطمعهم فيكَ ، فأمّا ماذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين ، فانّ الله سبحانه هو أكرهَ لمسيرهم منك . وهو أقدر على تغيير ما يكرهَ . وأمّا ماذكرت من عددهم فانّا لم نكن نقاتل فيما مضي بالكثرة ، وانما كنّا نقاتل بالنّصر والمعونة .

(ومن وصية له عليه الصلاة والسلام قالها بصفّين)

أمّا بعدُ : فقد جعل الله لى عليكم حقا بولاية أمركم ، ولكم علىّ من الحق مثل الذي لى عليكم ـ فالحقّ أوسعُ الاشياء فى التواصُف ، وأضيقُها فى التناصُف لايجرى لأحدِ الاّ جرى عليه ، ولا يجري عليه الاّ جرى لهُ ، ولو كان لأحد أنْ يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانهُ دُونَ خلقه ، لقُدرته على عباده ، ولعدْلهِ فى كلّ ماجرَت عليه صُرُوف قضائه . ولكنّهُ جعل حقّهُ على العباد أن يُطيعوُه ، وجعلَ جزاءهم عليه مُضاعفَةَ الثّواب تفضُّلا منه وتوسّعا بماهُوَ من المزيد أهلهُ ، ثمّ جعل سُبحانه من حقوقه حقُوقاً افترضها لبعض الناس على بعض ، فجعلها تتكافأ فى وجوهها . ويُوجبُ بعضُها بعضا ، ولا يُستوجب بعضها الا ببعض . وأعظَمُ ماافترض سبحانهُ من تلك الحقوق ، حقُّ الوالى على الرَّعية ، وحقّ الرَّعيَّة على الوالى . فريضة فرضها سبحانهُ لكل على كلّ . فجعلها نظاماً لألُفتهم وعزاً لدينهم ، فليست تصلح الرَّعية الاّ بصلاح الوُلاة ، ولا تصلح الوُلاة الاّ باستقامة الرَّعية ، فاذا أدّت الرعية الى الوالى حقه ، وأدّي الوالى اليها حقها ، عزّ الحقُّ بينهم وقامت مناهج الدين ، واعتدلت معالم العدْل وجرَت على إذْلالها ألسننُ . فصلح بذلك الزمان ، وطُمع فى بقاء الدولة . ويئست مطامعُ الأعداء ، وإذا غلبت

الرَّعيَّة واليها، وأجحف الوالى برعيته ، إختلفتْ هنالك الكلمةُ وظهرَتْ معالم الجوْر وكثُرَ الإدغال فى الدّين وتُرِكتْ محاجُّ السُّنَنْ فعُمل بالهوَى وعطّلت الأحكام وكثُرَت علَلُ النفوس فلا يُستوحشُ لعظيم حقٍّ عُطّل ، ولا لعظيم باطلٍ فُعل: فهنالك تذلُّ الأبرار ، وتعزّ الأشرار، وتعظمُ تبعاتُ الله عند العباد فعليكم بالتناصُح فى ذلك وحُسن التعاوُن عليه ، فليس أحد وإن اشتدّ على رضاء الله حرْصُهُ، وطال فى العمل اجتهادُه ، ببالغٍ حقيقةَ ما اللهُ أهله من الطاعة : ولكن من واجب حقوق الله على العباد ، النصيحة بمبلغ جُهدهمْ ، والتعاوُن على إقامة الحق بينهم وليسَ امرؤٌ وإن عظُمت فى الحقّ منزلتُه ،وتقدّمتْ فى الدين فضيلته، بفَوْقَ أنْ يُعان على ما حمّله الله من حقّه ، ولا امرؤ وان صغرَتْه النفوس،واقتحمَتْهُ العيُون بدُون أنْ يُعين على ذلك أوْ يُعانَ عليه .

فأجابه عليه الصلاة والسلام رَجل من أصحابه بكلام طويل يُكْثِرُ فيه الثّناء عليه ويَذكر سمْعه وطاعته. فقال عليه السلام : إنّ من حقّ مَن عظم جلالُ الله فى نفسه ، وجلّ موْضعُهُ من قلبِه ، أن يَصغُرَ عنده لعِظم ذلك كلّ ماسوَاه ، وإنّ أحقّ من كان كذلك لَمَنْ عَظمت نعْمةُ الله عليه ولُطفَ إحْسانُه إليه،فانه لم تَعْظم نعمةُ الله على أحد الاّ ازدادَ حقُّ الله عليه عِظَما ، وإنّ مِنْ أسْخَف حالات الوُلاة عند صالح النّاس ، أن يُظنَّ بهم حُبُّ الفخر، ويُوضعَ أمرُهُم على الكِبر ، وقد كرِهْتُ أن يكُون جالَ فى ظنكم أنى احبّ الاطراء واستماع الثّناء ، ولَستُ بحمد الله كذلك، ولو كنت أحبّ أن يقال ذلك لتركتُهُ انحطاطا لله سبحانه عن تناوُل ما هو أحق به من العظمة والكبرياء ، وربّما استحلى النّاسُ الثناء بعد البلاء ، فلا تثْنُوا علىّ بجميل ثناء لاخراجى نفسى الى الله وإليكم من التقيّة فى

حقوقٍ لم أفرُغْ من أدائها، وفرائضَ لا بُدَّ من إمضائها، فلا تكلّمونى بما تكلّم به الجبابرة. ولا تتحفّظوا منّي بما يُتحفّظ به عند أهل البادِرَة. ولا تخالطونى بالمصانعة ولا تظُنُّوا بى استثقالاً فى حقٍّ قِيل لى. ولا التماس إعْظام لنفسي. فانه من استثقل الحقّ أن يُقالَ له، أو العدْلَ أن يُعْرَض عليه، كان العمل بها أثقلَ عليه. فلا تكفّوا عن مقالةٍ بحقٍّ، أوْ مشُورَة بعدْل، فانى لستُ فى نفسى بفَوق أنْ أُخْطِيء ولا آمنُ ذلك من فعلى، إلا أن يكفي الله من نفْسي ماهو أملك به مني. فانما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لربٍّ لا ربّ غيره، يملك منّا مالا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنّا فيه إلى ماصلحنا عليه، فأبدَلَنا بعدَ الضلالة بالهدَى، وأعطانا البصيرة بعد العمى.

(ومن وصية له عليه الصلاة السلام وصّى بها جيشاً بعثه الى العدو)

فاذا نزلتم بعدُوٍّ أوْ نزلَ بكم فليكُنْ معسكركُم فى قبيل الأشراف، وسفاح الجبال، أوأثناء الأنهار. كيما يكون لكم رِدْءاً، ودونكم مَرَدًّا. ولتكن مقاتلتكم منْ وَجه واحد أو اثنين. واجعلوا لكم رُقباء فى صياصي الجبال، ومناكب الهضاب، لئلا يأتيكم العدوّ من مكان مخافة أو أمْن. واعلموا أن مُقدّمة القوم عيونُهم. وعيونَ المقدّمة طلائعهم — وايا كم والتفرّق. فاذا نزلتم فانزلوا جميعاً، واذا ارْتحلتم فارتحلوا جميعاً، واذا غشيكم الليلُ فاجعلوا الرّماح كفّة، ولا تذُوقوا النوم إلا غِراراً أو مَضمضة.

(ومنْ وصية له عليه الصلاة والسلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات

إنطلقْ على تقْوى الله وحده لاشريك له، ولا تُروِّعَنَّ مسلماً، ولا تجتازَنّ عليه كارها، ولا تأخذنَّ منه أكثر من حقّ الله فى ماله، فاذا قدِمْتَ على الحيّ

فانزل بمائهم من غير أنْ تُخالطَ أبياتهم ، ثم امْضِ اليهم بالسكينة والوَقار ، حتى تقوم بينهم فتُسلّم عليهم ، ولا تخدج بالتحية لهم ، ثم تقول — عبادَ الله ، أرسلني اليكم ولى الله وخليفتهُ ، لآخذَ منكم حقّ الله فى أموالكم . فهل لله من أموالكم من حقّ فتؤدّوه إلى وليّه ؟ فإن قال قائلٌ منهم : لا . فلا تراجعه . وإن أنعمَ لكَ مُنعِم ، فانطلق معه من غير أن تُخيفه وتُوعدَه ، أو تعسِفه أو ترهقه . فخذْ ما أعطاك من ذهب أو فضة . فان كان له ماشية أو إبل ، فلا تدخلها إلا بإذنه . فإنّ أكثرَها له . فإذا أتيتها فلا تدخُلْ عليها دُخولَ مُتسلطٍ عليه ، ولا عنيف به ولا تُنفرنّ بهيمة ، ولا تُفزِعنّها ، ولا تسُوأنّ صاحبها فيها ، واصدَع المال صدْعين ثم خيّره ، فإذا اختار فلا تعرّضنّ لما اختاره . ثم اصدَع الباقي صدْعين ثم خيّره . فاذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره . فلا تزال بذلك حتى يبقي مافيه وفاءُ لحق الله فى ماله ـ فاقبض حق الله منهُ . فإن استقالكَ فأقِلهُ . ثمّ اخلطْهما . ثم اصنع مثل الذى صنعت أوّلا حتى تأخذ حقّ الله فى ماله ، ولا تأخذنّ عوْداً ولا هرمة ولا مكسورةً ولا مهلوسة ولا ذاتَ عوارٍ ، ولا تأمننّ عليها إلا من تثق بدينهِ رافقاً بمال المسلمين حتى يوصّلهُ إلى وليّهم فيقسمهُ بينهم . ولا تُوكل بها إلا ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً غيرَ معنّف ولا مُجْحف ولا مُغلب ولا مُتعب . ثم احدُر إلينا ما اجتمع عندك نُصيّرهُ حيثُ أمر الله ، فاذا أخذَها أمينُك ، فأوْعزْ إليه أنْ لا يحُول بين ناقة وبين فَصيلها ، ولا يمصُر لبنها فيضرّ ذلك بولدها ، ولا يجهدَنّها ركوباً . ولْيعدِلْ بين صواحباتها فى ذلك وبينها : وليُرفّه على اللاغب ، وليستأن بالنّقب والظالع وليُوردها ماتمرُّ به من الغُدُر . ولا يعدلُ بها عن نبْتِ الارْض إلى جواد الطُّرُق ولْيُرَوّحها فى الساعات ، ولْيُمهلها عند النطّاف والأعشاب ، حتى تأتينا بإذن الله

بدْنا مُنقيات، غير مُتعبات ولا مجهودات، لنقْسمهَا على كتاب الله وسُنة نبيه صلى الله عليه وآله، فان ذلك أعظم لأَجْرِك، وأقْرَب لرُشْدك، إن شاءَ الله

وقال عليه الصلاة والسلام. وَقد سمع رجلاً يذم الدُّنيا - أيُّهَا الذَّامُّ للدُّنيا المُغترُ بغرورها، المخْدُوع بأباطيلها، أتَغْترّ بالدُّنيا ثم تذُمها؟! أنت المتجرّم عليها أم هي المُتجرّمة عليك؟! متي استَهْوَتك؟! أم متي غرّتك؟ أبمصارع آبائك من البِلى؟ أم بمَضاجع أمهّاتك تَحتَ الثّرَي؟! كم عللْتَ بكَفّيْك؟! وكمْ مرَّضْتَ بيَديك؟! تَبْغِي لهم الشفَاء، وتَستوْصف لهمُ الأَطبّاء، لمْ ينفع أحَدَهُم إشفاقُكَ، وَلمْ تسْعف بِطَلِبَتِكَ، ولمْ تَدفع عنهُ بقُوّتك. وقد مثّلت لك به الدُّنيا نفسَك وبمَصرَعِه مَصرَعك

ان الدُّنيا دَارُ صدْق لمن صَدَقها. ودَارُ عافيةٍ لمن فهمَ عنها؟ وَدارُ غِنًى لمنْ تزَوّد منها. وَدارُ موْعظة لمن اتّعظ بها، مسجدُ أحبَّاء الله، ومُصلّي ملائكة الله ومَهْبط وَحي الله، ومَتجر اوْلياء الله، اكْتسبُوا فيها الرَّحمة، ورَبحوا فيها الجنة فَمنْ ذا يذُمّها وَقدْ آذَنتْ ببيْنها، ونادَت بفرَاقها، ونَعتْ نفسها وأهلَها، فمثّلت لهم ببلأَيها البلاء، وشوّقتهم بسرُورها إلى السُّرُور، رَاحتْ بعافية، وَابتكرَت بفَجيعة، ترْغيباً وترهيباً، وتخويفاً وتحذيراً. فذَمَّها رجالٌ غدَاةَ الندَامة، وحمدَها آخرُون يوم القيامة. ذكرَتهُم الدنيا فتذكّرُوا، وحدّثتهم فصدقوا، ووَعَظتْهم فاتّعظوا

« عهد الامام على المتوفى سنة ٤٠ هـ لمالك بن الحارث الأَشتر النَّخعي »

(حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واصلاح أهلها وعمارة بلادها)

اعلم يامالكُ أنى قدْ وَجّهتُك إلى بلاد قد جَرَتْ عليها دُولٌ قبلك من عدْلٍ وجَور. وأنَّ النّاس ينظرُن من أمورك فى مِثل ما كنتَ تنظر فيه من أمور الوُلاة قبلك. ويقولُون فيك كما كنتَ تقول فيهم. وَانما يستدلُّ على

الصالحين بما يجرى الله لهم على ألسنة عباده - فليكن أحبّ الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح. فامْلِكْ هواكَ، وشحّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك. فانّ الشحّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحببتْ أو كرهت — وأشعِرْ قلبك الرحمة للرعيّة، والمحبة لهم واللطف بهم. ولا تكوننّ عليهم سَبُعا ضاريا تغتنم أكلهم. فانهم صِنفان: إمّا أخ لك فى الدين، وإمّا نظير لك فى الخلق. يفرُط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل ويُؤتى على أيديهم فى العمد والخطأ. فأعطهم من عفوك وصفحك، مثلَ الذي تُحبّ وترضى أن يُعطيكَ الله من عفوه وصفحه. فإنك فوقهم، ووالى الأمر عليك فوقكَ، والله فوق من ولاّك، وقد استكفاك أمرَهم وابتلاك بهم. ولا تنصِبنّ نفسك لحرب الله. فانهُ لا يدى لك بنقمته، ولا غنىً بك عن عفوه ورحمته. ولا تندمنّ على عفوٍ، ولا تبجحنّ بعقوبة، ولا تُسرِعن إلى بادرة وجدتَ عنها مندوحة، ولا تقولن إنّي مُؤمَّرٌ آمرُ فأُطاع، فانّ ذلك ادغالٌ فى القلب، ومنهكة للدين، وتقرُّبٌ من الغير. وإذا أحدَث لك ما أنتَ فيه من سلطانك أبّهةً أو مخيلةً، فانظر إلى عِظَم ملك الله فوقك، وقدرَته منك على مالا تقدر عليه من نفسك، فانّ ذلك يُطامن اليك من طِماحك، ويكُفُّ عنك من غربك، ويُفيء اليك بما عزَب عنك من عقلك. وإياك ومُساماة الله فى عظَمته، والتشبُّه به فى جبروته. فانّ الله يُذِلُّ كلّ جبّار، ويُهين كلّ مُختال. أنصفِ الله وأنصفِ الناس من نفسك، ومن خاصّة أهلك، ومن لك فيه هوًى من رعيّتك. فانّك إن لم تفعَلْ تظلم، ومن ظلمَ عباد الله كان اللهُ خصمه دُون عباده، ومَن خاصمهُ الله أدْحَض حُجّته، وكان اللهُ حربًا حتى يَنْزع ويتوب، وليس شيءٌ أدعى الى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فانّ الله سميعٌ دعوةَ المظلومين، وهو للظالمين بالمرْصاد

وليكُنْ أحبّ الأُمور اليك أوْسطها فى الحقّ، وأعمُّها فى العدْل، وأجمعها لرضاءِ الرَّعيَّة. فإن سخطَ العامَّة يجحفُ برضاءِ الخاصَّة. وأنّ سخْط الخاصة يُغتفرُ مع رِضاءِ العامَّة. وليس أحدٌ من الرَّعيَّة أثقلَ على الوَالى مؤونةً فى الرَّخاء، وأقلّ معونةً فى البلاء، وأكرَه للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقلّ شكراً عند الإعطاء وأبطأ عذْراً عند المنع، وأخفّ صبراً عِندَ مُلِمَّات الدّهر، من أهل الخاصة. وانما عماد الدّين، وجمَّاع المسلمين، والعُدَّة للأعداءِ، العامةُ من الأُمة. فليكُنْ صفوُك لهم وميلكَ معهم. وليكن أبعد رعيَّتك منك، وأشنأهُم عندك، أطلَبهم لمَعايب النَّاس فانّ فى النّاس عُيوبًا، الوَالى أحقُّ من سترَها، فلا تكشفِن عمّا غاب عنك منها فانما عليك تطهير ماظهرَ لك، واللهُ يحكم على ماغابَ عنك. فاستُرِ العوْرة مَا استطعت يسترُ الله منكَ ماتحبُّ سترَهُ من رعيّتك ـ أطلق عن النّاس عُقدَة كلّ حقد، واقطع عنك سَبَب كلّ وَتْرٍ، وتَغابَ عن كلّ مالاَ يصحُّ لك ـ ولا تعجلَنّ الى تصديق ساعٍ، فانّ السّاعى غاشٌّ. وان تَشبّه بالنّاصحين ـ ولا تدخلنّ فى مشُورَتك بَخيلا يُعدل بك عن الفضل ويَعِدُكَ الفقر. ولا جبانًا يُضعفك عن الأُمور. ولا حريصاً يُزَيّن لك الشرَّ بالجَوْر. فان البُخْل والجُبن والحرص غرَائز شتّى، يجمعها سوءُ الظّنّ بالله. ان شرَّ وُزَرائك مَنْ كان قبلك للأشرار وزيراً. ومَنْ شرِكهم فى الآثام، فلايكونَنّ لك بطانةً. فإنهم أعوان الأَثمة، وإخوان الظّلَمة، وأنت واجدٌ منهم خيرَ الخلَف ممّنْ هو مثلُ آرائهم ونفاذِهم، وليسَ عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لا يُعاونُ ظالماً على ظُلمه، ولا آثماً على إثمه. أولئك أخفّ عليك مؤونةً وأحسن لك معُونةً، وأحنى عليك عطفاً، وأقلّ لغيرك إلفاً. فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك. ثم ليكُنْ آثرهم عِنْدَك أقْولهمْ لك بمُرّ الحقّ، وأقلّهم مُساعدَةً

فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع

وألصق بأهل الورع والصدق. ثم رُضهم على أن لا يُطروك، ولا يُبجّحوك ببباطل لم تفعله. فان كثرة الإطراء تُحدث الزهو، وتُدنى من العزة. ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء. فانّ فى ذلك تزهيداً لأهل الإحسان، فى الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة. وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه. واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حُسن ظنّ وال برعيته، من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم، على ما ليس له قبلهم. فليكن منك فى ذلك أمر يجمع لك حسن الظنّ برعيتك. فان حسن الظنّ يقطع عنك نصباً طويلاً. وإن أحقّ من حَسُنَ ظنك به، لَمَنْ حَسُنَ بلاؤك عنده. وإن أحقّ من ساء ظنك به، لمن ساء بلاؤك عنده. ولا تنقض سُنة صالحة عمل بها صُدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية. ولا تُحدثن سُنة تضرّ بشيء ممّا مضى من تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنّها، والوزر عليك بما نقضت منها. وأكثر مُدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء، فى تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك. واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتّاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل ومنها عُمال الأنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومُسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكُلاً قد سمّى الله سهمه، ووضع على حدّه فريضة فى كتابه، أو سُنة نبيه صلى الله عليه وآله عهداً منه عندنا محفوظاً. فالجنود باذن الله حُصون الرعية، وزين الولاة، وعزّ الدين، وسُبُل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله

تعالى لهم من الخراج ، الذي يقوون به فى جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم — ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة ، والعمال ، والكتاب ، لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها . ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار ، وذوى الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ، ويقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ، مالا يبلغ رفق غيرهم . ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم ، وفى الله لكل سعة . ولكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه . وليس يخرج الوالى من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك ، إلا بالاهتمام والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزومه الحق ، والصبر عليه ، فيما خف عليه أو ثقل فول من جنودك ، أنصحهم فى نفسك لله ولرسوله ولإمامك — وأطهرهم جيباً وأفضلهم حلماً ممن يبطيء عن الغضب ، ويستريح الى العذر ، ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء ، ممن لا يثيره العنف . ولا يقعد به الضعف . ثم ألصق بذوى المروآت والأحساب . وأهل البيوتات الصالحة ، والسوابق الحسنة ، ثم أهل النجدة والشجاعة ، والسخاء والسماحة . فانهم جماع من الكرم ، وشعب من العرف — ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما . ولا يتفاقمن فى نفسك شيء قويتهم به — ولا تحقرن لطفاً تتعاهدهم به وإن قل . فانه داعية الى بذل النصيحة لك ، وحسن الظن بك . ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها . فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به ، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه — وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم فى معونته ، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهلهم حتى يكون همهم هماً واحداً فى جهاد

العدو ، فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ، وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل فى البلاد ، وظهور مودة الرعية . وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم ، وقلة استثقال دولهم ، وترك استبطاء انقطاع مدتهم . فأفسح فى آمالهم . وواصل فى حسن الثناء عليهم ، وتعديل ما أبلى ذوو البلاء منهم . فان كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله تعالى — ثم اعرف لكل امرىء منهم ما أبلى ، ولا تضيفن بلاء امرىء الى غيره ، ولا تقصرن به دون غاية بلائه ، ولا يدعونك شرف امرىء إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ، ولا ضعة امرىء أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما . وارددْ إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب . ويشتبه عليك من الامور ، فقد قال سبحانه لقوم أحب إرشادهم « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول » فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه ، والرد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة — ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك فى نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم ، ولا يتمادى فى الزلة ، ولا يحصر عن الفيء الى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه ، أوقفهم فى الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشيف الأمور ، وأصرمهم عند اتضاح الحكم ، ممن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراء ، وأولئك قليل — ثم أكثر تعاهد قضائه ، وافسح له فى البذل ما يزيح علته ، وتقل معه حاجته إلى الناس . وأعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك ، لتأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك . فانظر فى ذلك

نظراً بليغاً ، فانّ هذا الدّين قد كانَ أسيراً فى أيدي الأشرار ، يُعمل فيه بالهوَي وتطلب به الدنيا ـ ثمّ انْظُرْ فى أمور عُمّالك ، فاستعملهم اختباراً ، ولا تولّهم محاباةً وأثرَةً ، فانهم جماعٌ من شُعَب الجوْر والخيانة ، وتوخّ منهم أهل التّجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدَم فى الإسلام ، فانهم أكرَمُ أخلاقاً وأصحُّ أعراضاً ، وأقل فى المطامع إشرافاً ، وأبلغ فى عواقب الامور نَظراً . ثم أسْبغ عليهم الأرزاق ، فانّ ذلك قوّة لهم علي اْستصلاح أنفسهم ، وغنيً لهم عن تناوُل ماتحت أيديهم ، وحُجّة عليهم إن خالفُوا أمرَك أو خانوا أمانَتك ـ ثم تفقّدْ أعمالهم وابْعث العيُون من أهل الصّدق والوَفاء عليهم ، فانّ تعاهُدَك فى السرّ لأُمورهم حَدْوةٌ لهم علي استعمال الأمانة والرّفق بالرّعية . وتحفّظ من الأعوان ، فإن أحد منهم بسط يدهُ إلى خيانة اجتمعَتْ بها عليه عندك أخبار عُيونك ، اكتفيتَ بذلك شاهداً فبسطْتَ عليه العُقوبة فى بدنه ، وأخذْتَه بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلّة ، ووسمْته بالخيانة ، وقلّدته عار التُّهمة ـ وتفقّدْ أمرَ الخرَاج بما يُصلح أهله ، فانّ فى صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سِواهم ، ولا صلاح لمن سِواهم إلاّ بهم لأنّ الناس كلهم عيالٌ علي الخرَاج وأهله ـ وليكن نظرُك عمارة الأرض ، أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج ، لان ذلك لا يُدرَك إلا بالعمارة . ومَن طلب الخراج بغير عمارة أخرَب البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يستقم أمرُه إلا قليلاً ، فان شكَوْا ثقلاً أو علّةً أو انقطاع شرْب أو بالّةً أو إحالة أرْض اعْتمرها غرَقٌ ، أوْ أجحف بها عطش ، خفّفتَ عنهم بما ترْجُو أنْ يَصلحَ به أمرُهم . ولا يثقلنّ عليك شيءٌ خفّفْت به المؤونَةَ عنهم . فانه ذخر يعودون به عليك فى عمارة بلدِك وتزْيين ولايتك ، مع استجلابك حسنُ ثنائهم ، وتبجّحك باستفاضة العدل فيهم

مُعتَمداً فضل قُوّتهم بما ذخرتْ عندهم من اجمامك لهم، والثقة منهم بما عوّدتهم من عدْلك عليهم فى رفقك بهم، فربَّما حدَثَ من الأُمور ما إذا عُوّلَ فيه عليهم من بعدُ احتملُوه طيّبة أنفسهم به. فانَّ العُمرَانَ يحتمل ماحمّلته، وإنما يأتى خرَاب الأَرْض من إعوَاز أهلها، وإنما يعوَز أهلها لإشرَاف أنفُس الوُلاة على الجمع وسوء ظنّهم بالبقاء، وقلَّة انتفاعهم بالعِبَر — ثمَّ انظر فى حال كُتابك فوَلّ على أمورك خيرَهم، واخصص رَسائلك التي تُدخل فيها مكائدَك وأسرَارك بأجمعهم لوُجوه صَالح الأَخلاق ممَّن لاتبطره الكرَامة فيجترِىء بها عليك فى خلاف لك بحضرة ملأٍ، ولا تُقصّر به الغَفلة عن إيراد مكاتبات عمّالك عليك، واصدَار جوَابها على الصَّوَاب عنك فيما يأخذ لك ويعطي منك، ولا يضْعِف عقداً اعتقدَه لك، ولا يعجز عن إطلاق ماعقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه فى الأُمور. فان الجاهل بقدر نفسه، يكون بقدر غيره أجهلَ، ثم لايكن اختيارُك إياهم على فِرَاستك واستنامتك وَحسن الظَّن منك، فان الرِّجال يتعرَّفونَ لفِراساتِ الوُلاة بتَصنُّعهم وَحسن خدمتهم، وليسَ وَرَاء ذلك من النّصيحةِ وَالأَمانةِ شىء، ولكن اختبرْهم بماولُّوا للصَّالحين قبلك، فاعْمدلأَحسنهم فى العامّة أثراً. وأعرَفهم بالأَمانة وجهاً، فانّ ذلك دليلٌ على نصيحتك لله ولمَن وُليتَ أمرَه. وَاجعل لرَأس كلٍّ من أمورك رَأساً منهم لايقهره كبيرُها، ولا يتَسَلَّطُ عليه صغيرُها. ومهما كان فى كتَّابك من عَيب فتَغابيتَ عنهُ ألزِمتَه. ثمّ استوْص بالتُّجار وذوِى الصّناعات، وَأوص بهم خيراً المُقيم مِنهم والمُضطرب بماله، والمُترَفّق ببدنه فانّهم موَادّ المنافع، وأسباب المرَافق وجُلاّبها من المباعد والمطارح، فى برّك وبحرِك، وسهلك وجبلك، وحيث لايلتئِم النّاس لمواضِعها، ولايجترِئون عليها فانهم سِلْمٌ لاتُخافُ بائقته، وصُلحٌ لاتُخشى

غائلته. وتفقّد أمورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك، واعلم مع ذلك أن فى كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشُحّاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً فى البياعات، وذلك بابٌ مضرّة للعامّة، وعيبٌ على الوُلاة. فامنع من الاحتكار، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منعَ منهُ. ولْيكن البيع بيعاً سَمْحاً، بموازين عدْل، وأسعار لا تُجحِف بالفريقين من البائع والمُبتاع. فمن قارف حكرَةً بعد نهيك إياه فنكّلْ به وعاقب فى غير إسراف، ثمّ الله الله فى الطّبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين، والمحتاجين، وأهل البؤسَى والزّمنى. فانّ فى هذه الطبقة قانعاً ومُعتّراً واحفظ لله ما استحفظك من حقّه فيهم. واجعل لهم قسْماً من بيت مالك، وقسما من غلّات صوافى الإسلام فى كلّ بلد، فانّ للأقصى منهم مثلَ الذي للأدنى وكلٌّ قد استُرْعيتَ حقّه، فلا يَشْغلنّك عنهم بطرٌ، فانك لا تعذر بتضييعك التّافه لاحكامك الكثيرَ المُهم. فلا تُشْخِص همّك عنهم، ولا تُصعّر خدّكَ لهم، وتفقدْ أمورَ مَنْ لا يصلُ اليك منهم ممّنْ تقتحمه العُيون، وتحتقرهُ الرّجال، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهلِ الخشْيةِ والتواضع، فليرفعْ اليك أمورَهم. ثمّ اعمل فيهم بالاعذار إلى الله سبحانه يوْم تلْقاه. فانّ هؤلاء من بين الرعية أحوجُ إلى الانصافِ من غيرهم، وكلٌّ فاعذِرْ إلى الله فى تأدية حقّه اليه، وتعهّد أهل اليُتم وذوى الرّقة فى السنّ ممنْ لا حيلةَ له، ولا ينصبُ للمسألة نفسه، وذلك على الوُلاة ثقيل، والحق كله ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبّروا أنفسهم ووَثِقوا بصدْق موُعود الله لهم. واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرّغُ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عامّاً فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتُقعِد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك، حتي يكلمك متكلمهم غير مُتتعتع. فانى

سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى غير مَوْطنٍ : « لن تقدّس أُمّة لا يُؤْخذ للضّعيف فيها حقه من القوىّ غير مُتتَعْتع »

ثم احتمل الخُرْق منهم والعِيّ ، وسنّح عنهم الضّيق والأَنف ، يَبسط اللهُ عليك بذلك أكناف رحمته ، ويُوجب لك ثواب طاعته . وأعط ما أعطيتَ هنيئاً وامنع فى إجمال وإعذار

ثم أمورٌ من أمورك لا بُدّ لك من مباشرتها ، منها إجابةُ عُمّالك بما يَعْيا عنه كتّابك ، ومنها إصدار حاجات النّاس يومَ وُرُودها عليك مما تحرَج به صدُور أعوانك . وأمْضِ لكلّ يومٍ عَمَله . فانّ لكلّ يوم مافيه . واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المواقيت ، وأجزلَ تلك الأقسام ، وان كانت كلّها لله اذا صلحَت النّية وسَلِمت منها الرّعية . وليكن فى خاصّة ماتُخْلِصُ لله به دِينك إقامة فرائضه التي هي له خاصّة . فأعط اللهَ من بدَنك ، فى ليلك ونهارك . ووَفّ ماتقرّبت به إلى الله سُبحانه من ذلك كاملاً غيرَ مثلوم ولا منقوص ، بالغاً من بدَنك ما بالغَ . وإذا قمتَ فى صلاتك للنّاس فلا تكونن مُنفّراً ولا مُضيّعاً ، فان فى النّاس مَن به العِلّة وله الحاجة . وقد سألتُ رَسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وجّهنى الى اليمن كيف أُصلى بهم ؟ فقال : « صلّ بهم كصلاة أضعفهم ، وكنْ بالمُؤمنين رَحيما »

أمّا بعدُ ـ فلا تُطَوّلنّ احتجابَك عن رَعيتك ، فان إحتجابَ الولاة عن الرّعية شُعبة من الضّيق وقلّة علم بالأُمور ، والاحتجاب منهم يَقطع عنهم علم ما احتجَبوا دُونه ، فيصغُر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويَقبُح الحسَن ، ويحسُن القبيحُ ، ويُشاب الحقّ بالباطل . وانما الوالى بشرٌ لا يعرف ماتَوارَي عنهُ الناس

به من الأمور، وليست على الحقّ سِماتٌ تعرَف بها ضرُوب الصّدق من الكذب وإنما أنت أحد رَجُلين: إمّا امرؤٌ سخَتْ نفسك بالبذل فى الحقّ، ففيم احتجابك من واجب حق تُعطيه! أو فعل كريمٍ تُسديه؟! أو مبتَلًى بالمنع، فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك إذا أيسُوا منك بذلك، مع أن أكثر حاجات النّاس إليك، مما لا مؤُونة فيه عليك، من شكاة مَظْلَمة، أو طلب إنصافٍ فى مُعاملة!

ثمّ انّ للوَالى خاصةً بطانةً - فِيهم استئثار و تطاوُلٌ، وقلّة انصاف فى مُعاملة فاحسم مادّة أولئك بقَطع أسباب تلك الاحوَال، ولا تُقطِعنّ لأحد من حاشيتك وخاصتك قطيعة، ولا يَطْمعنّ منك فى اعتقاد عقدَة تَضُرُّ بمن يَليها من الناس فى شرْبٍ أوْ عَملٍ مُشترَك، يحملون مؤُونته على غيرهم فيكون مَهنأ ذلك لهم دونك وَعيبهُ عليك فى الدُّنيا وَالآخرَة. وألزم الحقّ من لزمه من القريب والبعيد، وكن فى ذلك صابراً محتسباً، وَاقعاً ذلك من قَرابتك وخاصّتك حيثُ وَقع، وابتغ عاقبة بمَا يَثْقُل عليْك منهُ، فان مغبّة ذلك محمودة، وإن ظنّت الرّعيّة بك حَيفاً فأصحر لهم بعُذْرِك، وَاعْدِلْ عَنك ظُنونهم باصحارك. فان فى ذلك رياضةً منك لنفسك، وَرفقاً برعيّتك، وإعذاراً تبْلغُ به حاجتك من تقويم على الحق. ولا تدْفعنّ صلحاً دعاكَ اليه عدُوّك، ولله فيه رضا. فانّ فى الصلح دعةً لجنودك وَرَاحةً من هُمُومك، وأمناً لبلادك. ولكنّ الحذَر كلّ الحذر من عدُوك بعد صلحه، فانّ العدُو رُبما قارَب ليَتغفّل. فخذ بالحزْم، واتهم فى ذلك حُسن الظن. وَإن عَقدت بَينَكَ وَبين عدُوك عُقدَةً، أو ألبستهُ منكَ ذِمة، فحُطْ عهدَك بالوَفاء، وَارْع ذِمتك بالأمَانة، وَاجعل نفسك جُنة دُون ما أعْطيتَ. فانه ليَس من فرَائض الله شيءٌ النّاسُ أشدُّ عليه اجتماعا مع تفرُّق أهوَائهم. وتَشتت

آرائهم ، من تعظيم الوفاء بالعهود . وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين ، لما استوبلوا من عواقب الغدر . فلا تغدرنّ بذمّتك ، ولا تخيسن بعهدك ولا تختلنّ عدوّك ، فانه لا يجترىء على الله إلا جاهل شقيّ . وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته ، وحريماً يسكنون إلى منعته ، ويستفيضون إلى جواره ، فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ، ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ولا تعوّلنّ على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة . ولا يدعونك ضيق أمرٍ لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحقّ . فان صبرك على ضيق أمرٍ ترجو انفراجه وفضل عاقبته ، خيرٌ من غدر تخاف تبعته ، وأن تحيط بك فيه من الله طلبةٌ ، فلا تستقيلُ فيها دنياك ولا آخرتك

إيّاك والدّماء وسفكها بغير حلّها ، فانه ليس شيءٌ أدعى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أحرى بزوال نعمةٍ ، وانقطاع مدّة من سفك الدّماء بغير حقّها والله سبحانه يتولّى الحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة . فلا تقوّينّ سلطانك بسفك دمٍ حرام ، فانّ ذلك مما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله ويَنْقُلُه ، ولا عذر لك عند الله ولا عندى فى قتل العمد . لانّ فيه قود البدن وإن ابتُليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة ، فان فى الوكزة فما فوقها مقتلةً . فلا تطمحنّ بك نخوةُ سلطانك ، عن أن تؤدّي إلى أولياء المقتول حقّهم . وإياك والإعجاب بنفسك والثّقة بما يعجبك منها ، وحبّ الإطراء . فانّ ذلك من أوثق فرص الشّيطان فى نفسه ، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين . وإياك والمنّ على رعيّتك باحسانك ، أو التزيّد فيما كان من فعلك ، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك ، فانّ المنّ يبطل الإحسان ، والتزيّد يذهب بنور الحقّ

والخلف يوجب المقتَ عند الله والنّاس ، قال اللهُ سبحانهُ وتعالى « كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا مَالا تَفْعَلُونَ »

وإيّاكَ والعَجلة بالامُور قبلَ أوانها ، أو التَّسقّط فيها عند امكانها ، أو اللّجاجة فيها إذا تنكّرت ، أو الوَهن عنها إذا استوْضحت ، فَضع كلّ أمرٍ موْضعه وأوْقع كلّ عملٍ موقعه . وإياك والاستئثار بما النّاس فيه أسوةٌ ، والتّغابى عَمّا يعنى به مما قد وَضح للعُيون ، فانه مأخوذٌ منك لغيرك ، وعما قليلٍ تنكشف عنكَ أغطيةُ الأُمور ، ويُنتصف منكَ للمظلوم . أمْلِكْ حميّة أنفك ، وسَورَة حدّك وسَطْوَة يدك ، وغربَ لسانك ، واحترِس من كل ذلكَ بكفّ البادرة ، وتأخير السَّطْوَة ، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ، ولنْ تحكم ذلكَ من نفسك حتي تكثرُ هُمُومك بذِكر المعاد إلى ربك ـ والواجب عليك أن تتذكّر ما مضي لمَنْ تقدّمك من حكومة عادلة ، أوسنة فاضلة ، أو أثرٌ عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أو فريضة فى كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك فى اتباع ما عهدتُ اليك فى عهدي هذا ، واستَوْثقتُ به من الحجّة لنفسي دليلك لكيلا يكون لك علة عندَ تسرُّع نفسك الى هَواها ، وأنا أسأل الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدْرته على إعطاء كل رَغبة ، أنْ يُوفّقنى وإيّاك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح اليه وإلى خلقه من حسن الثناءِ فى العباد ، وجميل الأثر فى البلاد ، تمام النّعمة ، وتضعيف الكرامة ، وأن يختم لى ولك بالسعادة والشّهادة إنّا إلى الله راغبُون ، والسلامُ على رَسول الله عليه وآله الطيّبين الطاهرين

(وكتب أبو بكر الصدّيق المتوفى فى ٧ جماد الثانية سنة ١٣ هـ إلى بعض قوّاده)

إذا سِرتَ فلا تُعنّف أصحابك فى السَّير ولا تُغضبهم ، وشاور ذوي

الآراء منهم واستعمل العدل، وباعدْ عنك الجورَ، فانهُ ما أفلحَ قومٌ ظلَمُوا ولا نُصروا على عدوِّهم (وإذا لَقيتُمُ الَّذينَ كَفَرُوا زحفًا (١) فَلا تولوهُمُ الأدْبار (٢) ومن يوَلِّهم يومئذ دُبُرَه، إلا مُتحرِّفًا (٣) لقتال، أو مُتحيِّزًا (٤) إلى فئةٍ، فقد باءَ بغضَبٍ من الله) وإذا نُصرْتُم عليهم، فلا تقتلوا شيخًا، ولا امرأة، ولا طفلاً، ولا تحرقوا زرْعًا، ولا تقْطَعوا شجراً، ولا تذبحُوا بهيمةً، إلا ما يلزمكم للأكل، ولا تغدروا اذا هادنتم (٥) ولا تنقضوا اذا صالحتم، وستمرُّون على أقوامٍ فى الصوامع، رُهبان ترَهَّبوا لله، فدَعُوهم، وما انفردوا اليه وارتَضَوْهُ لأنفسهم، فلا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم — والسلام

« وكتب عمر بن الخطاب المتوفَّى فى ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٢ هـ الى بعض قوّاده »

أمَّا بعد: فإنى أُوصيك ومَن معك من الأجناد بتقوَى الله على كلّ حال فانَّ تقوَى الله أفضل العُدّة على العدُوِّ، وأقوَى المكيدة فى الحرب، وأن تكون أنتَ ومن معكَ، أشدَّ احترَاسًا من المعاصى منكم من عدُوِّكم، فانَّ ذُنوب الجيش أخْوفُ عليهم من عدُوهم، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوَّة، لان عددنا ليس كعددهم، ولا عُدَّتنا كعُدَّتهم. فان استوَينا فى المعصيةِ كان لهم الفضلُ علينا فى القُوَّة (وإلاَّ ننصرْ عليهم بطاعتنا، لم نغلبهم بقوَّتنا) واعلموا أنَّ عليكم فى سيركم حَفَظَةً من الله، يعلمُون ما تفعلون. فاستحيُوا منهم واسألوا الله العوْن على أنفسكم، كما تسألُونه النَّصْرَ على عدُوِّكم

وأقِيم بمن معك فى كل جُمعةٍ يوْمًا وليلةً، حتي تكون لهم راحةً يُحيُون

(١) مجتمعين لكثرتهم يزحفون (٢) الانهزام
(٣) ومتعطفاً (٤) منضما الي جماعة يستنجد بهم (٥) صالحتهم

فيهما أنفسهم، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم . ونحّ منازلهم عن قرى أهل الصُّلح والذمّة ، فلا يدخلها من أصحابك الاّ مَنْ تثقُ به ـ وليكن منك عند دُنوّك من أرض العدوّ أن تكثر الطلائع ، وتبثّ السّرايا بينك وبينهم ، ثم أذْكِ أحراسك على عسكرك ، وتيقّظ من البيات جُهدك ، والله ولىُّ أمرك ومن معك ، وولى النّصر لكم على عدوّكم .

(وكتب أبو الفضل بديع الزّمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ الى ابن أخته)

أنتَ ولدي مادُمتَ : والعلمُ شأنُك ، والمدرسة مكانك، والمِحْبرة حليفك والدفترُ أليفك . فإن قصّرتَ ولا إخالك ، فغيرى خالك ـ والسلام

« ومن وصية ابن سعيد المغربى المتوفى سنة ٩٦٧ هـ لابنه وقد أراد السفر »

أُودِعُك الرّحمنَ فى غُربتك ... مُرْتقباً رُحماه فى أوْبتك
فلاتُطِلْ حبل النّوي إنني ... والله أشتاق إلى طلعتك
واختصر التّوْديعَ أخذاً فما ... لى ناظرٌ يقوي على فُرْقتك
واجعل وصاتى نُصب عين ولا ... تبرح مدي الأيام من فكرتك
خُلاصة العُمر التى حنّكت ... فى ساعةٍ زُفّت إلى فطنتك
فللتّجاريب أمُورٌ إذا ... طالعتها تَشْحَذُ من غفلتك
فلا تَنمْ عنْ وَعيها ساعةً ... فإنها عونٌ إلى يقظتك
وكل ما كابَدْتهُ فى النّوَي ... إيّاك أن يكسِر منْ همتك
فليس يُدْري أصلُ ذي غُرْبة ... وإنما تُعرَف من شِيمتك
وامْشِ الهُوَينا مُظهراً عِفّةً ... وابغِ رِضا الأعين عن هيئتك
وانطق بحيثُ العيّ مُستقبحٌ ... واصمُتْ بحيث الخير فى سكتتك

وَلِجْ على رِزْقِك من بابه ... واقْصِدْ لهُ ما عشْت فى بكْرَتِك
ووَفِّ كُلًّا حقَّه وَلتكُنْ ... تكْسِر عندَ الفخْرِ من حدَّتك
وحيثُما خيَّمتَ فاقصد إلى ... صُحبة مَنْ ترْجُوهُ فى نصرتك
وللرَّزَايا وَثْبةٌ ما لها ... إلا الذي تَذْخرُ من عُدَّتك
وَلا تَثِلْ أسلَمُ لى وَحدتى ... فقدْ تقاسى الذلَّ فى وَحدتك
ولتجعَلِ العقلَ مِحكًّا وخذ ... كُلًّا بما يَظهر فى نَقدَتك
واعتبر النّاس بألفاظهم ... واصْحَبْ أخَا يَرغب فى صحبتك
كم من صَديق مُظهِرٍ نُصحه ... وفكْرُهُ وَقْفٌ على عَثْرتك
إيَّاك أنْ تقرَبهُ إنهُ ... عَوْنٌ مع الدَّهر على كَرْبتك
وانْمُ نُمُوَّ النَّبْت قد زَارَه ... غِبَّ النَّدَى واسمُ إلى قدْرتك
ولا تُضيِّع زَمنًا مُمكنًا ... تذكارُه يذكى لظي حسرتك
والشرّ مهما اسطَعت لا تأتِهِ ... فانهُ جَوْرٌ على مهجتك

يا بُنىّ : الذى لا ناصحَ له مثلى ، ولا مَنصُوح لى مثله — قد قدَّمت لك فى هذا النظم ما إن أخطَرته بخاطرك فى كلّ أوانٍ رَجوْت لك حُسْن العاقبة (إن شاء الله تعالى) وإنَّ أخنَّ منه للحفظ ، وأعلق بالفكرِ ، وأحقَّ بالتقدُّم قولُ الأوّل

يَزِينُ الغريبَ اذا ما اغتَرَب ... ثلاثٌ فمنْهنَّ حسن الادبْ
وثانيةٌ حُسن أخلاقه ... وثالثةٌ اجتنابُ الرِيَب

وَاصغ يا بنىّ إلى البيت لذى هو يتيمة الدَّهر ، وسُلَّم الكرَم والصبر

ولَوْ أنَّ أوطانَ الدِّيارِ نبت بكم ... لَسكنتمُ الأخلاقَ والآدابا

إذ حُسن الخُلق أكرمُ نزيل، والأدبُ أرحبُ منزل . ولٰكن كما قال بعضهم فى أديب متغرّب : وكان كلّما طرأ على ملك فكأنهُ معهُ ولد، واليه قصدَ غيرَ مستريب بدَهْره، ولا مُنكرٍ شيأ من أمره

وإذا دعاك قلبُك إلى صُحبة من أُخذ بمجامع هواه، فاجمل التّكلف لهُ سُلّماً، وهُبَّ فى روْض أخلاقهِ هُبُوب النّسيم، وحُلَّ بطرفه حُلولَ الوسَن وانزل بقلبه نزولَ المَسرّة، حتي يتمكّنَ لك وِدادُه، ويَخلص فيك اعتقادُه وطهّر من الوُقوع فيه لسانَك، وأغلق سمْعك ولا تُرَخّص فى جانبهِ لِحسُودٍ لك منهُ، يُريد إبعادَك عنهُ لمنفعة، أوْ حسُودٍ لهُ يَغارُ لتجمُّله بصُحبتك . ومع هذا: فلا تَغترّ بطول صُحبته، ولا تتمهَّد بدَوام رقدته، فقد يُنبّههُ الزّمان، ويتغيّر منهُ القلْب واللسان، وإنما العاقل مَن جعل عقلهِ معياراً، وكان كالمرآة يلقي كلّ وجهٍ بمثاله — وفى أمثال العامة : « من سَبقَك بيوْم فقد سَبقَك بعقل » . فاحتذِ بأمثلة مَنْ جرَّب، واستمع إلى ما خلَّد الماضُون بعد جهدهم وتَعبهم من الأقوال فانها خُلاصة عُمرهم، وزُبدَة تجاربهم. ولا تتّكل على عقلك، فإنّ النّظر فيما تعبَ فيه النّاسُ طُول أعمارهم، وابتاعُوه غالياً بتجاربهم، يُربْحُك، ويَقع عليك رَخيصاً — وإنْ رأيت مَنْ له عقل ومُرُوءة وتجربة، فاستفد منه، ولا تضيّع قوْله ولا فعله، فان فيما تلقاهُ تَلقيحاً لعقلك، وحثّاً لك واهتداءً

وليس كل ما تَسمع من أقوال الشعراء يحْسُن بك أن تَتّبعه، حتى تتدبّره فإن كان مُوافقاً لعقلك، مصلحاً لحالك، فرَاعِ ذلك عندك، وإلا فانْبذهُ نَبذَ النّواة فليس لكلّ أحد يُتبسّم، ولا كل شخص يُكلم، ولا الجودُ ممّا يعُم به، ولا حُسن الظنّ وطيبُ النفس ممّا يُعامَل به كلُّ أحدٍ — ولله دَرُّ القائل:

وَمالىَ لا أوْفِى البريَّةَ قِسطَها على قَدْرِ ما يُعطى وعقلىَ ميزانُ

وإيّاك أنْ تُعْطِيَ مِنْ نَفسك إلاَّ بقَدَرٍ. فلا تُعامل الدُّون بمعاملة الكُفء، ولا الكفءَ بمعاملة الأعلى، ولا تُضيّع عمرَك فِيمنْ يُعاملك بالمطامع، ويُثيبك على مصلحةٍ حاضرة عاجلة، بغائبة آجلة، ولا تجفُ النّاسَ بالجملة، ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحَق منهُ ملَل، ولا ضجَر، ولا جفاء. فمتى فارَقتَ أحداً، فعلى حُسنى فى القَوْل والفعل. فإنَّكَ لا تدْرى هلْ أنتَ رَاجعٌ إليه؟! فلذلك قال الأوَّل: «ولما مَضى سِلمٌ بَكيْتُ على سلمٍ» ـ وإيّاك والبيت السَّائر

وكنتَ إذا حللتَ بدَارِ قومٍ رحلتَ بخزْيةٍ وتركتَ عارَا

واحرص على ما جَمعَ قوْل القائل «ثلاثة تبقي لك الوُدَّ فى صَدر أخيك أن تبدَأهُ بالسَّلام، وتُوسعَ له المجلس، وتَدْعوهُ بأحبّ الاسماء اليه»، واحذَر كلّ ما يَنهَّنه لك القائل: «كل ما تغرسه تجنيه، إلاَّ ابن آدم، فاذا غرَستهَ يقلعك». وقول الآخر: «إن ابن آدم ذئب مع الضّعف، أسدٌ مع القوَّة» وإيّاك أن تثبت على صحبة أحد قبل أنْ تُطيل اختباره. ويحكى أن ابن المُقفع خطب من الخليل صُحبته، فجاوبهُ: «إنَّ الصُّحبة رِقّ، ولا أضعُ رقّى فى يدَيك حتي أعرف كيف ملكتك». واستمل من عين من تُعاشره، وتفقَّد فى فلتات الألسن، وصفحات الأوجه. ولا يحملك الحياء على السكُوت عمّا يضُرُّك أن لا تُبيّنه، فانَّ الكلام سلاح السّلم، وبالأنين يُعرَف ألَمُ الجرح. واجعل لكل أمرٍ أخذْت فيه غايةً، تجعلها نهاية لك

وخذ من الدَّهر ما أتاك به مَن قر عيناً بعيشه نفَعه

إذ الأفكار تجلب الهمُوم، وتضاعفُ الغُموم. وملازمة القطوب، عنوان

المصائب والخطوب، يستريب به الصاحب، ويشمت العدوّ والمُجانب، ولا تضرّ بالوَساوس إلاّ نفسك، لأنّك تنصر بها الدّهر عليك — ولله درُّ القائل

إذا ما كنت للأحزانِ عوْنًا عليك مع الزّمان فمن تلوم ؟!

مع أنه لا يردّ عليك الغائب الحزْن، ولا يَرْعوى بطول عتْبك الزّمن

ولقد شاهدْت (بغرناطة) شخصًا قد ألفتْه الهُموم. وعشقتْه الغُموم، ومن صغَره إلى كِبَره لا تراهُ أبداً خَليًّا من فِكرَة، حتى لُقّب « بصدْر الهمّ »

ومن أعجب ما رأيتهُ منهُ انهُ يَتنكّدُ فى الشّدّة، ولا يتعلّل بأن يكون بعدها فرَج، ويتنكّد فى الرّخاء خوفًا من أن لا يدُوم — وينشد :

« توقّعْ زوالاً إذا قِيلَ تمّ » وينشد : «وعند التّناهي يَقصرُ المُتطاولُ»

وله من الحكايات فى هذا الشأن عجائب . ومثل هذا عُمرُه محسور يَمرُّ ضياعًا

ومتى رفعَك الزّمانُ إلي قوم يذمُّون من العلم ما تُحسِنه حسداً لك وقصداً لتصغير قدرك عندك، وتزهيداً لك فيه، فلا يحملك ذلك على أن تزهد فى علمك، وتركن إلى العلم الذى مدَحوه، فتكونَ مثلَ الغُرَاب الذي أعجبه مشيُ الحَجَله، فرَامَ أن يتعلّمهُ فصَعبَ عليه، ثم أرَاد أن يَرجع إلى مشيه فنَسيه فبقي مخبَّل المشى كما قيل :

إن الغرَابَ وكان يمشى مِشْيَة فيما مضي من سالف الأجيالِ

حَسَدَ القطا وأرَاد يمشى مشيها فأصابه ضرْبٌ من العُقّال

فأضلَّ مِشيَته وأخطأ مشيها فلذاك كنّوْهُ (أبا مِرْقال)

ولا يُفسد خاطرَك من جعل يذُمّ الزّمان وأهلَه، ويقول : ما بَقي فى الدُّنيا

كريم ولا فاضل، ولا مكان يُرتاح فيه ، فانَّ الذين تراهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن صحبهم الحرمان ، واستحقتْ طلعتُهم للهوان ، وأبرموا على الناس بالسُّؤال فمقتوهم، وعجزُوا عن طلب الامور من وجوهها ، فاستراحوا إلى الوُقوع فى الناس ، وأقاموا الاعذار لأنفسهم بقطع أسبابهم . ولا تُزِلْ هذين البيتين من فكرك

لنْ إذا ما نِلتَ عزًّا فأخو العزِّ يلينُ
فاذا نابكَ دَهرٌ فكما كنتَ تكون

والامثال تضْرَبُ لذِى اللُّبِّ الحكيم ، وَذُو البصَر يمشي على الصراط المستقيم . والفطنُ يقنع بالقليل ، ويستدِلُّ باليسير . واللهُ سبحانهُ خليفتى عليك لا ربَّ سواه

(وصية هارون الرشيد لمعلم ولده الأمين)

يا أحمرُ — إن أمير المؤمنين قد دَفع اليك مُهجةَ نفسه ، وثمرةَ قلبه. فَصيِّر يدَكَ عليه مبسوطةً ، وطاعتهُ لك واجبةً . فكُنْ لهُ بحيث وضعَك أميرُ المؤمنين أقْرِئْهُ القرآن ، وعرِّفهُ الأخبارَ ، ورَوِّهِ الأشعارَ ، وعلِّمهُ السُّننَ ، وبَصِّرْه بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعهُ من الضَّحك إلاّ فى أوْقاته ، وخذْهُ بتعظيم بنى هاشم إذا دخلوا عليه ، وَرفع مجالس القُوَّاد اذا حضروا مجلسه ، ولا تمرنَّ بك ساعة إلاَّ وأنت مُغتنمٌ فائدةً تفيده إيّاها من غير أن تُحزِنَهُ فتُميتَ ذِهنَهُ ، ولا تُمْعِنْ فى مُسامحته فيستحلى الفراغ وَيألفهُ ، وَقوِّمْهُ ما استطعت بالقُرْب والملاينة ، فان أباها فعليك بالشدَّة والغلظة

(وصية بعض نساء العرب إلى ابنها وقد أراد السفر)

قال أبانُ بن تغلب، وكانَ عابداً من عُبَّاد أهل البصرة : شهدتُ أعرابيةً وهى توصي ولداً لها يريد سفراً، وهي تقول لهُ :

أي بُنيّ : إجلس أمنحْك وصيّتي وبالله توْفيقُك، فانّ الوصيَّة أجدَي (١) عليك من كثير عقلك . قال أبان :فوقفتُ مُستمعاً لكلامها، مستحسناً لوصيتها فاذا هي تقول : أى بُني- إيّاك والنَّميمةَ ، فانَّها تزرَعُ الضَّغينةَ ، وتُفرّقُ بين المحبّين،وإيّاك والتّعرُّضَ للعيوب فتُتّخذ غرضا (٢) وخَليقٌ ألاّ يثبت الغرضُ على كثرة السِّهام . وَقلَّما اعتورَت (٣) السِّهام غرضاً إلاّ كلمْته (٤) حتي يَهي (٥) ما اشتدَّ من قُوَّته .

وإياك والُجودَ بدِينكَ ، والبُخلَ بمالك . وإذا هَزَزْتَ فاهزُز كريماً يلِنْ لهزَّتك، ولا تهزُز اللّئيم فانه صخرة لا ينفجر ماؤها

ومثّلْ لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك: فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبهُ ، فان المرء لا يري عيب نفسه

ومن كانت مودّته بِشْرَهُ ، وخالف ذلك منهُ فعلهُ ، كان صديقه منهُ على مثل الرّيح فى تصرّفها . والغدر أقبح ما تعامَلَ به الناس بينهم . ومن جمع الحِلْم والسَّخاء ، فقد أجاد الُحلة ريطتها وسرْبالها

(نصيحة رجل لهشام بن عبد الملك)

خرَج الزُّهرى يوماً من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا سمعت كاربع كلمات تكلم بهن رجل عند هشام . دخل عليه فقال : يا أمير

(١) انفع (٢) هدفا (٣) تداولت (٤) جرحته (٥) يضعف

المؤمنين : احْفَظ عنّي أربع كلمات، فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك . قال ما هنّ ؟ قال : لا تعِد عِدة ولا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يَغُرَّنَّك المُرْتَقى وإن كان سهلا إذا كان المُنْحَدَرُ وعْراً ، واعلم أن للأعمال جزاءً فاتّق العواقب وأن للأُمور بَغَتَاتٍ (١) فكن على حذر . قال عيسي بن دأب : فحدثتُ بهذا الحديث (المهدىّ) وفى يده لُقمة قد رفعَها إلى فيه فأمسكها وقال ويحك ! أعد علىّ فقلت يا أمير المؤمنين : أسِغْ (٢) لقمتك . فقال : حديثك أعْجب إلىّ

(نصيحة أعرابى لسليمان بن عبد الملك)

قال أعرابى لسليمان بن عبد الملك : « إنى أكلّمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله: فانّ وراءهُ إن قبلته ما تحبّه » . قال : هاته يا أعرابى: فنحن نجود بسَعَةِ الاحتمال على من لا نأمن غَيْبَتَه، ولا نرجو نصيحته ، وأنت المأمون غيباً، الناصح جيباً (٣) . قال: « فإنى سأطلق لسانى بما خَرِست عنه الألسن تأدية لحق الله تعالى إنه قد اكْتَنَفَك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا (٤) دنياك بدينهم ورضاك بسُخْط ربهم ، وخافوك فى الله ، ولم يخافوا الله فيك، فهم حَرْب للآخرة وَسِلْم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنهم لم يألوا (٥) الأمانة تضييعاً ، والأُمة كسفاً وخسفا ، وأنت مسئول عمّا اجترموا، وليسوا مسئولين عما اجترمت ، فلا تصلح دُنياهم بفساد آخرتك . فإن أعظم الناس عند الله غبْناً من باع آخرته بدنيا غيره » . فقال سليمان : أمّا أنت يا أعرابى فقد سَلِمْت لسانك

(١) البغتات : جمع بغتة وهي الفجأة . (٢) أساغ اللقمة : ابتلعها . (٣) فلان ناصح الجيب : يراد به قلبه وصدره أي أمين ، قال الشاعر : « وخنت صدراً حبيبه لك ناصح »
(٤) ابتاع : اشترى . (٥) ألا يألو ألوا : قصر . يقال انى لا آلوك نصحاً أى لا أقصر: وقال تعالي : « لا يألونكم خبالا » أي لا يقصرون في خبالكم وفسادكم .

وهو سيفك . قال : « أجل : يا أمير المؤمنين لك لا عليك »

(نصيحة فتاة لأبيها)

قالت أعرابية : تنصحُ أباها بمُجانبة السَّرف : حبس المال ، أنفع للعيال ، من بَذْل الوجه فى السؤال ، فقد قَلَّ النوال ، وكَثُرَ النِّجال [١] . وقد أتلفتَ الطّارف والتّلاد [٢] ، وبقيت تطلب ما فى أيدى العباد . ومن لم يحفَظ ما ينفعه ، أوْشك أن يسعى فيما يضره

(نصيحة البديع الهمذانى لوارث مال)

كتب البديع إلى بعض إخوانه يعزيه وينصح له :

وصلت رُقْعتك (ياسيدي) والمصاب لعمر الله كبير ، وأنْت بالجزع جَدير ، ولكنك بالصبر أجدر . والعَزاء عن الأحبة رُشْد كأنه الغَيّ ، وقد مات الميت فَلْيَحْيَ الحيّ ، فاشدد على مالك بالخَمْس [٣] ، فأنت اليوم غيرك بالأمس قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وَكِيلك ، تضحك ويبكى لك . وقد موَّلك [٤] مما ألف بين سُرَاهُ [٥] وسيره ، وخلَّفك فقيراً إلى الله غنياً عن غيره . وسيعْجُم [٦] الشيطان عودك ، فإن استلانك رماك بقوم يقولون : خير المال ما تُتْلفه بين الشراب والشَّباب ، وتنْفقه بين الحِبَاب [٧] والأحباب ، والعيش بين القِداح والأقداح [٨]

---

(١) النجال : جمع نجل وهو الولد (٢) الطارف : المستحدث من المال وغيره . والتلاد : جمع تليد وهو عكس الطارف . (٣) يريد بالخمس الاصابع وهى مؤنثة فى الاكثر .
(٤) موله : اتخذ له مالا . (٥) السرى : سير الليل . (٦) عجم العود : عضه ليعرف مبلغ صلابته . (٧) حباب الماء والشراب : فقاقيعه التى تطفو كأنها القوارير
(٨) القداح : سهام الميسر واحدها قدح كقرد . والاقداح : جمع قدح كجبل وهو وعاء الشراب

ولولا الاستعمال ، لما أريد المال . فإن أطعتهم فاليوم فى الشراب ، وغداً فى الخراب واليوم وَاطَرَبَا للكاس ، وغداً واحَرَبَا [١] من الإفلاس . يامولاى: ذلك الخارج من العُود يسمّيه الجاهل نَقْرا ، والعاقل فقرا ، وذلك المسموع من النّاى [٢] هو فى الآذان زَمْر ، وفى ألأ بواب سَمَر . وإن لم يجد الشيطان مَغْمَزاً فى عودك من هذا الوجه، رماك بآخرين يُمثّلون الفقر حِذاء عينيك ، فتجاهد قلبك ، وتحاسب بطنك ، وتناقش عِرْسك [٣] ، وتمنع نفسك ، وتبوء فى دُنياك بوِزْرِك ، وتراه فى الآخرة فى ميزان غيرك . لا ـ ولكن قصداً بين الطريقين ، وميلاً عن الفريقين لا منع ولا إسراف ، والبخل فقر حاضر ، وضَيْر عاجل ، وإنما يبخل المرء خيفة ما هو فيه

ومن يُنفِق الساعاتِ فى جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

فليكن لله فى مالك قِسْم ، وللمُرُوءة قسم ، فَصِل الرحم ما استطعت ، وقدِّر [٤] إذا قطعت ، فلأن تكون فى جانب التقدير ، خير من أن تكون فى جانب التبذير

(وصية الرّياحى لقومه)

قال الرّياحى فى خطبته بالمِرْبد [٥] :

يابني رياح ـ لا تُحقّرُوا صَغيراً تأخذُون عنه . فإنى أخذت من الليث بَسالته ومن الحمار صبره ، ومن الخِنْزِير حِرصه ، ومن الغُرَاب بُكُورَه ، ومن الثّعلب

(١) الحرب : أن يسلب الرجل ماله وقد حرب ماله أى سلب ومن هذا قولهم : واحربا

(٢) الناى : آلة للزمر (فارسى معرب) وقد تهمز ياؤه ، وقد جمعوه على نايات

(٣) العرس : الزوجة . (٤) التقدير : التروية والتفكير فى تسوية أمر :

(٥) المربد : الجرين ثم صار علماً على موضع بالبصرة

رَوغانه (١) ومن السِّنور ضَرَعَه (٢) ، ومن القرد حكايته ، ومن الكلب نُصرَته ومن ابن آوَى حِذْره . ولقد تعلّمت من القمر سير الليل ، ومن الشمس ظهور الحين بعد الحين

(وصية ذى (٣) الأصبع لابنه)

لمّا احتُضِرَ ذُو الأصبع العَدْوانى دعا ابنه (أَسِيداً) فقال له :

يا بُنى : إن أباك قد فنى وهو حىّ ، وعاش حتى سئم العيش . وإنى موصيك بما إن حفظته بلغت فى قومك ما بلغته . ألِنْ جانبك لقومك يحبُّوك . وتواضع لهم يرفعوك . وابسُط لهم وجهك يطيعوك . ولا تَستأثِر عليهم بشىء يُسوِّدوك . وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ، ويَكبَر على مودّتك صغارهم واسمح بمالك ، وأعزِز جارك (٤) ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك وأسرع النهضة فى الصّريخ (٥) فان لك أجلا لا يَعدُوك . وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتمّ سُؤدَدُكَ .

(وصية عبد الله (٦) بن شدّاد لابنه)

قال الكلبي : لما حضرتْ عبد الله بن شدّاد الوفاة دعا ابناً له يقال له (محمد) فقال : يا بُنى ، إنى أرى داعي الموت لا يُقلِع ، وأرى من مضى لا يرجع ، ومن

(١) الروغان : الميل عن الشيء لتجنب الضرر . (٢) الضرع : الخضوع . (٣) هو حرثان بن الحارث ، خطيب حكيم ، شاعر فارس ، وهو أحد المعمرين فى الجاهلية .
(٤) الجار : المجاور والذى أجرته من أن يظلم . (٥) الصريخ : صوت المستغيث وهو أيضاً المغيث واحداً أو أكثر . (٦) هو عبد الله بن شداد بن الهادي الليثى كان من رجالات العراق ، ومن ذوي المكانة عند الحجاج ، ثم خرج عليه مع ابن الأشعث ، ويقال انه قتل سنة ٨٣ هـ .

بقى فإليه يَنْزِعُ (١) . وإنى موصيك بوصية فاحفظها:

عليك بتقوى الله العظيم ، وليكن أولى الأمور بك شكرُ الله ، وحُسْنُ النيّة فى السِّر والعلانية ، فان الشكور يزداد ، والتقوى خير زاد . وكن كما قال الحُطيئة:

ولست أري السعادة جمع مال ... ولكنّ التقيّ هو السعيدُ

وتقوى الله خير الزاد ذخرا ... وعند الله للأتقي مزيد

وما لا بُدَّ أن يأتى قريبٌ ... ولكنَّ الذي يمضي بعيد

أيْ بُنيّ : لا تزْهَدَنَّ فى معروف ، فان الدهر ذو صُرُوف ، والأيام ذاتُ نوائب ، على الشاهد والغائب ، فكم من راغب قد كان مرغوباً إليه ، وطالب أصبح مطلوباً ما لديه . واعلم أنَّ الزَّمان ذو ألوان. ومن يصحب الزّمان يَرَ الهَوَان . وكن أىْ (بُنَيّ) كما قال أبو الأسود الدؤلى :

وعدّ من الرحمن فضلا ونعمة ... عليك إذا ما جاء للعُرْف (٢) طالبُ

وإن امرأً لا يُرْتَجَى الخيرعنده ... يكن هيّناً ثِقلاً على من يصاحب

فلا تمنعنْ ذا حاجة جاء طالباً ... فانك لا تدرى متى أنت راغب

رأيت التوا (٣) هذا الزمان بأهله ... وبينهم فيه تكون النوائب

أىْ بُنىّ : كن جواداً بالمال فى موضع الحق ، بخيلا بالأسرار عن جميع الخلق فإنّ أحمد جود المرء الإنفاق فى وجه البِرّ ، وإنّ أحمد بخل الحر الضَّن بمكتوم السِّر وكن كما قال قيس (٤) بن الخطيم الأنصاري :

---

(١) نزع اليه كجلس : اشتاق (٢) العرف : المعروف . (٣) التوا مصدر التوى وقعره للضرورة ، والتوى به الزمان : اعوج . وألوي به: أهلكه . (٤) شاعر من أهل يثرب وبينه وبين حسان بن ثابت مناقضة .

أجُود بمكنون التِّلاد وإنّني بسِرِك عمّن سَالنِي لضَنين (١)
إذا جاوز الإثنين سرّ فإنه بنَثّ وتكثير الحديث قمين (٢)
وعندي له يوماً إذا ما ائتمنتني مكان بسَوْدَاءِ الفؤاد مكين (٣)

أيْ بُنيّ : وإن غُلِبت يوماً على المال ، فلا تدع الحيلة على حال ، فإنَّ الكريم يحتال ، والدنِيَّ عيال . وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالا ، أقلّ ما تكون في الباطن مالا ، فإن الكريم من كرمت طبيعته ، وظهرت عند الإنْفاد (٤) نعمته . وكن كما قال ٱبن خَذَّاق (٥) العَبْدي :

وجدتُ أبي قدَ ٱوْرثه أبوه خلاَلا قد تُعدّ من المعالى (٦)
فأكرمُ ما تكون عليَّ نفسى إذا ما قَلَّ في الازَمات مالى
فَتحْسُن سِيرتى وأصون عِرْضي ويَجْمل عند أهل الرأي حالى
وإن نلْتُ الغِني لم أغْلُ فيه ولم أخصُص بجفوتِيَ الموالى (٧)

أيْ بُنيّ : وإن سمعت كلمة من حاسد ، فكن كأنك لست بالشاهد ، فانك إن أمضيتها حيالَها (٨) رجع العيب على من قالها . وكان يقال : الأُريب العاقل هو الفطن المتغافل (٩) . وكن كما قال حاتم الطائي :

وما من شِيمتى شتْم ٱبن عمّي وما أنا مُخْلِف من يرتجيني

---

(١) سهل الشاعر همزة سأل للوزن . (٢) قطع همزة اثنين للضرورة . ونث الحديث : أفشاه . (٣) سوداء الفؤاد أو القلب وسويداؤه وسواده وأسوده : حبته . (٤) الانفاد : الفقر . (٥) اسمه يزيد وهو شاعر قديم . (٦) نقلت حركة الهمزة من آورث الى الذال وحذفت هي للوزن . والخلال . جمع خلة وهي الخصلة .
(٧) غلا في الأمر غلوا : جاوز الحد . والموالى : الأقارب . يقول ان كثر مالى لم أجف أقاربى . (٨) حيال ظرف في معني ازاء أي ان تركتها تذهب في طريقها الخ . (٩) في معنى هذا قول الشاعر :

ليس الغبى بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابى

وكلمةِ حاسد فى غير جُرم سمعت فقلت مُرِّى فانْفُذِيني (١)
فعابوها علىَّ ولم تُسُؤْنى ولم يَعْرق لها يوماً جبيني
وذو اللَّونين يلقانى طَليقاً وليس إذا تغيّب يَأْتلِيني (٢)
سمعت بعيبه فصفحت عنـه مُحافَظَةً على حَسَبي ودِيني

أيْ بُنيّ : لا تؤَاخِ امرأً حتَّى تعاشره ، وتَتَفَقَّد موارده ومصادره ، فاذا استطعت العِشرة ، ورضيت الخُبْرة (٣) ، فوَاخهِ على إقالة العثْرة ، والموَاساة فى العُسْرة وكن كما قال المُقنَّع الكِنْدى (٤) :

اَبْلُ الرجالَ إذا أردت إخاءهم وتوسَّمَنّ فِعالهم وتَفَقَّدِ
فإذا ظفِرت بذي اللَّبابَة والتُّقَي فَبِه اليَدَيْن قَرِيرَ عينٍ فَاشْدُدِ (٥)
وإذا رأيت ولا مَحَالة زَلَّة فعلى أخيك بفضل حلمك فاردُدِ

أيْ بنيّ : إذا أحببت فلا تُفْرِط ، وإذا أبْغَضْت فلا تُشْطِطْ (٦) ، فانه قد كان يقال : أحْبِبْ حبيبك هَوْناًمّا (٧) عَسي أن يكون بغيضك يوماًمّا ، وأبْغِض بَغِيضَك هَوْناًمّا عسي أن يكون حبيبك يوماًمّا . وكن كما قال هُدْبةُ (٨) بن

(١) نفذه : جازه . (٢) ائتلى كألا أى قصر . يقول : اذا غاب عنى فلن يقصر فى نكايتي (٣) الخبرة وبغير هاء : العلم بالشيء كالاختبار . (٤) هو محمد بن عميرة والمقنع لقبه شاعر رصين المبانى حكيم المعانى من شعراء الدولة الأموية . (٥) اللبابة مصدر لب أى صار ذا لب وهو العقل ، وكل ماقبل فاشدد من الشطر الثانى معمول له وتكررت الفاء للربط — وكذا في البيت التالى .

(٦) شط وأشط : جاوز الحد . (٧) الهون : الرفق ، وما — اما زائدة . واما صفة لهونا مثلها فى قوله تعالى : « ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما » (٨) هو شاعر من شعراء الدولة الأموية جيد البديهة . وهو القائل

ولست بمفراح اذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشر والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أركب

الخشرم العذري !

وكن معقلا للحلم واصفح عن الخنا فإنك راءٍ ما حييت وسامع
وأحبب إذا أحببت حبًّا مقاربًا فإنك لا تدري متى أنت نازع[1]
وأبغض اذا أبغضت بغضًا مقاربًا فانك لا تدري متى أنت راجع

(الفصل الثانى عشر فى رسائل التنصّل والتبرّؤ)

(كتب أبو الحسن على بن الرومي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ)

(إلى القاسم بن عُبيد الله)

ترفّع عن ظُلمى إن كنتُ بريئًا ، وتفضّل بالعفو إن كنتُ مُسيئًا . فوالله إنى لأطلب عفو ذنبٍ لم أجْنِه ، وألتمس الإقالة مما لا أعرفه، لتزدادَ تطوُّلاً ،وأزداد تذلّلاً . وأنا أُعيذ حالى عندك بكرمك من واشٍ يكيدُها ، وأحرسها بوفائك من باغٍ يحاولُ إفسادها

وأسأل الله تعالى أن يجعل حظّي منك، بقدر وُدّي لك، ومحلّى من رجائك بحيث أستحقُ منك . والسلام .

(وكتب أبو الوليد أحمد بن زيدون الأندلسى)

(المتوفى بأشبيلية سنة ٤٦٣ هـ)

يا مولاى [2] وسيدي[3] الذي ودادي له[4] ، واعتمادى [5] عليه

(١) تزع عن الامر نزوعا : انصرف وانتهى عنه . (٢) المولى له معان كثيرة والأليق منها هنا السيد أو المنعم ومنها العبد أيضا ـ قال أبو تمام

مولاك يا مولاى صاحب لوعة فى يومه وصبابة في أمسه
دنف يجود بنفسه حتي لقد أمسى ضعيفا أن يجود بنفسه

(٣) السيد من ساد على قومه ارتفع ـ وهو اخص مما قبله وذكر لمزيد الاستعطاف (٤) محبتى (٥) اتكالى

واعتدادِي (١) به ، وَامتدادِى (٢) منه ، ومن أبقاهُ الله ماضِيَ (٣) حَدّ العَزْم (٤) وارى (٥) زَنْد (٦) الأمل (٧) ، ثابتَ (٨) عَهْدِ (٩) النِّعْمة ، إنْ سَلَبتنى (١٠) أعزَّك (١١) اللهُ لِباسَ (١٢) نَعمائك ، وعطّلتنى (١٣) من حُلَي (١٤) إيناسِك (١٥) وَأظمأتْني (١٦) إلى بُرُود (١٧) إسعافك (١٨) وَنفَضْتَ (١٩) بى كفَّ حياطَتك (٢٠) وغضَضتَ (٢١) عنّي طرْفَ (٢٢) حمايتك ، بَعدَ أن نظر الأعمى إلى تأميلى (٢٣) لك ، وسمع الأصَمُّ ثنائى (٢٤) عليك ، وأحسَّ الجمادُ باسْتِحْمَادِى (٢٥) اليك .

---

(١) عدتى ليوم حاجتي (٢) مزيد خيرى (٢) قاطع (٤) قوة الارادة : أى لا يعزم على أمر الا أمضاه (٥) الورى خروج النار من الزند وقت الاقتداح (٦) مقدحة (٧) الرجاء (٨) متمكن ومتوثق (٩) ميثاق أى ان نعمته ثابتة ومحفوظة عليه أبداً وان محبته مقصورة عليه ، وانه هو الملتجأ اليه ، وانه يطلب من الله أن يبقيه وعزمه سيف قاطع وأمله نور لامع وخيره غيث متتابع وانه لحسن افتتاح وبراعة استهلال (١٠) انتزعت مني (١١) أعزك الله جملة اعتراضية الغرض منها الدعاء لسيده بالعزة والاشارة الى ما يستلزمه سلب اللباس من المذلة وتنبيهاً له على ذلك (١٢) ما يواري الجسم أى جردتنى من نعمك المحيطة بى (١٣) العطل فى الأصل خلو جيد المرأة من القلائد (١٤) ما يتحلى به (١٥) انسك — اى احرمتنى من لذيذ أنسك (١٦) اعطشتنى (١٧) بارد (١٨) انجادك (١٩) طرحت (٢٠) احاطتك اي طرحتني من كف حوزك لى (٢١) خفضت (٢٢) نظر — اي خفضت طرف وقايتك عنى فتركتني غرضا لصائبات الحوادث (٢٣) التأميل امر معنوى لا يشاهد وانما ذلك مبالغة فى شدة التلبس والانصاف به (٢٤) مدحى — مبالغة في انتشار مدحه (٢٥) استحمادى مبالغة فى تأثير حمده يشير الى تعداد ما حل به من المصائب وأحدق به من كل جانب الا وهو تجريده من نعم الأمير المحيطة به احاطة الثياب وحرمانه من الأنس بذلك الجناب واعطاشه الى سريع اغاثته واخراجه من محيط دائرته وصرفه عنه نظر ملاحظته خصوصاً بعد ان صير تأميله فيه جسما مخترعا ولذا رآه الأعمى وجلا مدحه بما جذب اليه الآذان فدخلها بدون استئذان ولذا سمعه الأصم .

وبذل قصارى جهده فى حمده حتى كان مؤثراً فى كل الكائنات ولذا ادركه الجماد : وفيه من المبالغة ما في قول المتنبي

انا الذى نظر الاعمى الى أدبى واسمعت كلماتى من به صمم

وانما اكثر من تعداد مصائبه ليكون ذلك ادل على توجعه ، وتأمله واسرع لتلبية ندائه وامكن لجلب الصفاء وازالة الجفاء

فلا غَرْوَ (١) قد يغَصُّ (٢) بالماء شاربُهُ ، ويقتلُ الدواءُ المستشفى به ، ويؤتَى الحَذِرُ (٣) من مأمنه (٤) وتكونُ مَنِيَّةُ (٥) المُتمنّي فى امنيّته (٦) ، والحين (٧) قد يسبقُ جُهْدَ (٨) الحريص

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى وتهون غيرَ شماتةِ (٩) الحُسَّاد

وإنى لأتجلّدُ (١٠) وأُري للشامتين «أنى لريبِ (١١) الدّهر لا أتضعضعُ (١٢)

فأقول : هل أنا إلا يدٌ أدْماها (١٣) سِوَارُها (١٤) ، وجبينٌ عَضَّ به إكليله (١٥) ومِشْرَفِىّ (١٦) ألصقهُ بالأرْض صاقِلُهُ (١٧) ، وسَمْهرىٌّ (١٨) عرضهُ على النّار مُثَقِّفُه (١٩) ، وعبدٌ ذهَب به سيّده مَذهبَ الذي يقول

---

(١) فلا عجب ــ والفاء واقعة فى جواب ان من قوله ان سلبتنى (٢) غصصت بالماء أغص غصا اذا شرقت به وأغصصته انا (٣) المتيقظ (٤) محل امنه (٥) موت (٦) ما يتمناه (٧) الهلاك (٧) طاقة (٩) الفرح فى بلية الغير يقول ان انتزعت منى ما أعطيت وأحللت بى من المصائب ما أحللت بعد غلوى فى الثناء عليك والتجائى فى كل الأمور اليك فليس ذلك بالأمر العجيب ولا بالنادر الغريب بل كثير النظائر والأمثال فالماء الذي به زوال الغصص قد يكون هو الغص وان الأمنية قد تكون فيها المنية وأنه يشير فى عبارته الى قول بعضهم

قد كنت عدتى التي أسطو بها ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما أملته والمرء يشرق بالزلال البارد

والى قول الآخر :

تجري الأمور علي وفق القضاء وفى طي الحوادث محبوب ومكروه
فربما سرنى ما بت أحذره وربما ساءنى ما بت أرجوه

والبيت الذى ذكره لابن أبى عيينة (١٠) أتكلف الصبر والقوة (١١) ريب الدهر نوائبه (١٢) أتزلزل : هذا حل بيت لابى ذؤيب الهذلي وهو

وتجلدي للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا اتضعضع

(١٣) أسال دمها (١٤) نوع من الحلي يلبس فى الساعد (١٥) تاجه
(١٦) سيف (١٧) جاليه (١٨) رمح (١٩) مقومه

فقَسا ليزْدَجِرُوا[١] ومَن يكُ حازمًا فليقسُ أحيَانًا على مَنْ يرْحَم

هذا العَتبُ[٢] محمودٌ عواقبهُ ، وهذه النَّبوَةُ[٣] غَمرةٌ[٤] ثمَّ تنجلى[٥] وهـذه النَّـكبةُ[٦] سحابة صيفٍ عن قليلٍ تقْشَعُ[٧] ، ولن يُريبَنِى[٨] من سيدِى إن أبطأَ سَيبُه[٩] ، أو تأخر غير[١٠] ضنين غناؤُه[١١] . فأبطأُ الدلاء فيضًا[١٢] أملؤُها ، وأثقَلُ السَّحائب مَشيًا أحفلها[١٣] ، وأنفعُ الحيا[١٤] ماصادف جدبًا[١٥] ، وألذُّ الشراب ما أصاب غليـلاً[١٦] ، ومَع اليوم غدٌ ولـكلِّ أجَلٍ كتابٌ .

---

(١) يمتنعوا : يخاطب نفسه ويسليها ويضرب لها الأمثال ويمنيها ويسهل عليها ماتعانيه ويحببها ما تعاديه مع مزيد استعطاف قلب سيده واستجلاب رحمته حيث لم يستهجن فعله وعمله معه فقد نزل نفسه منزلة يد الحسناء التي أجرى دمها السوار ، والجبين الذى أثر فيه تاج الافتخار ، والسيف الذى وضعه على الترب صاقله لصقله لا لهوانه ، والرمح الذى وضعه على النار مثقفه لتعديله لا لاحراقه ، والعبد الذى قسي سيده رحمة به واحسانا لا استخفافا به وهوانا — والبيت لأبى تمام (٢) اللوم (٣) الجفوة (٤) شدة (٥) تنكشف (٦) المصيبة (٧) تقلع — يقول أرجو أن يكون هذا اللوم خاتمة الجفاء فاتحة الألفة والصفاء وان هذه الجفوة شدة وتحول وسحابة لا تلبث أن تزول — يشير الى قول المتنبى

لعـل عتبـك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل

والي المثلين العربيين « غمرات ثم تنجلى » و« سحابة صيف عن قليل تقشع » والاول يضرب فى حصول اليسر بعد العسر والثانى فى سرعة التغير (٨) يجعلني شاكا (٩) عطاؤه (١٠) غير ضنين احتراس يريد به حمل سيده على العطف ودفع ما يتوهم من أن التأخير للايقاع به (١١) نفعه (١٢) الفيض صعود الماء على الضفة والمراد هنا مجرد الصعود أى أبطأ الدلاء صعوداً أكثرها امتلاء (١٣) أملؤها (١٤) المطر (١٥) الأرض التي لا نبات بها (١٦) العطش بحرارة — لما ذكر أن هذا العتب محمود العاقبة وان ما جل به عن قريب يزول ورأى ان تأخير الرحمة به وعدم انقاذه من ورطته ربما يوهم الريبة فى محمدة العاقبة دفع ذلك معتذراً عن سيده فى هذا التأخير معللا بقوله فابطأ الدلاء فيضاً املؤها وأثقل السحائب مشياً احفلها وغير ذلك مما يدل على أن فى التأخير ما ينعم البال ويقر الأعين ثم ختم عبارته بما هو أمثل فى التسلية وأدعى للتصبر من حيث قال ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب

له الحمدُ على اهتباله (١) ولا عتبَ عليه فى اغْتِفاله (٢)

فإن يكن الفعلُ الذى ساءَ واحداً فأفعالُه اللَّائى سَرَرْنَ ألوف

وأعود فأقول : ما هذا الذَّنبُ الذى لم يَسَعْهُ عَفْوُكَ ، والجهلُ الذى لم يأتِ من وَرائه حلمُك ، والتَّطاوُل (٣) الذى لم يَسْتغرقهُ تَطَوُّلكَ (٤) والتَّحامُلُ (٥) الذى لم يَفِ به احتمالكَ (٦) ؟ ! ولا أخلو من أن أكونَ بريئاً فأينَ عدلك ؟

أو مُسيئاً ، فأين فضلُك ؟

إلاَّ يكن ذنبٌ فعدلُك واسعٌ أو كان لى ذنبٌ ففضلُك أوسعُ

فهَبْنى مُسيئاً كالذى قلت طالباً قصاصاً (٧) فأين الأخذ ياعزّ (٨) بالفضل

حنانَيْكَ (٩) قد بلغ السَّيل الزُّبى (١٠) ، ونالني ما حَسْبي به وكفى .

---

(١) اغتنامه (٢) تغافله وهو تركه على ذكر منه بعد ان اعتذر عن سيده بما اعتذر أخذ يمدحه على ايقاعه به وتغافله عنه عله أن يرأف به ويعطف عليه والبيت للمتنبي (٣) الكبر (٤) فضلك (٥) التكليف بما لا يطاق (٦) الاحتمال كالحمل الا أنه فى الأمور العظيمة قال النابغة الذبيانى * فحملت برأ واحتملت فجارا * (٧) عقابا (٨) اسم امرأة — رجع بعد أن عود نفسه فى مخاطبة الأمير الصبر والانتظار التفت منه الي ما فى ضميره من بقايا العتب فقال يستفهم مريداً بذلك الزامه بالصفح عنه بتصغير ذنبه وتكبير عفو سيده فكأنه يقول ماهذه الحركة التى زلزلت طودك وما هذه الحيفة التي عكرت بحرك ولم لا يشملنى كرمك وجودك مع أن فضلك وعدلك أكبر شفيع للعاصى والمطيع — وذكر البيتين تأييد لما قاله فى نثره والأول للبحترى والثانى مأخوذ من قول الحماسي

هبينى ظلوماً نلتـــه بمساءة قصاصاً فأين الاخذ ياعز بالفضل

(٩) تثنية حنان وهو الرحمة (١٠) جمع زبية وهي حفرة تحفر لصيد الاسد فى مكان مرتفع لا يعلوه الماء فاذا وصل اليه السيل كان مجحفا — يريد بذلك مزيد استرحام سيده من حيث يقول له : حنانيك أى رحمة بعد رحمة أطلبها منك فن الذل والهوان قد وصلا الى النهاية . والصغار والاحتقار قد بلغ الغاية — وقوله بلغ السيل الزبى مثل عربى يضرب فى بلوغ الشيء غايته

وما أرانى إلاَّ لو أُمرتُ بالسُّجُود لآدمَ فأبيتُ (١) واستكبرتُ .

وقال لى نوحٌ إركب معنا فقلت سَآوِي (٢) إلى جَبلٍ يَعْصِمُنِي (٣) منَ الماءِ وأمرتُ ببناءِ صَرْحٍ (٤) لَعَلِّي أطَّلع إلى إلَهِ مُوسَى ، وعكَفْتُ (٥) على العِجْلِ واعتديت (٦) فى السَّبتِ وتعاطَيتُ (٧) فعقَرْتُ (٨) وَشربتُ من النَّهر الذى

---

(١) امتنعت : ولقد احسن كل الاحسان وتلطف ما شاء فى عطف قلب سيده وطلب العفو عما اجترح من جريمته بأبلغ عبارة وأدق اشارة مبدعاً فى وصف ما لاقاه من العقاب والنكال وأنه لوقسم على ذوى الذنوب من الأولين والآخرين لكان كافياً لتكفير تلك الذنوب جزاء وفاقاً ، ملمحاً الى ذوي الذنوب المشهورة ووقائع الآثام المأثورة . فقال : وماأرانى الخ . يشير الى ذنب ابليس وهو امتناعه واستكباره عن السجود لآدم من حيث امره الله بذلك فأبى واستكبر وكان من الكافرين وقال انا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين (٢) سألجأ

(٣) يحفظنى : يشير الي ذنب ابن نوح ، وهو مخالفته لأبيه من حيث قال له لما عم الطوفان وصعد السفينة هو ومن آمن معه : « يا بنى اركب معنا ولاتكن مع الكافرين » فخالف أباه وقال : سآوي الخ (٤) قصر : يشير الى ذنب فرعون وهو انكاره الآله وادعاؤه أنه هو الآله الحقيقي ، وذلك حينما أتاه موسى عليه السلام بالايمان بالله ، فقال فرعون : « ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى ، فأوقد لى ياهامان علي الطين فاجعل لى صرحا » الآية (٥) واظبت : يشير الي ذنب بنى اسرائيل وهو عبادة العجل وذلك أنه لما ذهب موسي عليه السلام لميقات ربه ، قام رجل صائغ من قبيلة يقال لها سامرة كانت تعبد البقرة وقال لبني اسرائيل ان الحلى الذي استعرتموه من المصريين وبقي معكم بعد غرقهم لا يحل لكم فادفنوه حتى يأتى موسى ويرى رأيه فيه ففعلوا فأخذه وصاغه عجلا ووضع فيه القبضة التي اخذها من اثر حافر فرس الحياة ، فرس جبريل عليه السلام فصار العجل يمشي وكأنه يخور فقال لبني اسرائيل هذا آلهكم والهآ موسى نسيه وذهب لطلبه فافتتن به كثير منهم واتبعوه (٦) جاوزت : يشير الى ذنب بنى اسرائيل وهو انتهاك حرمة السبت وذلك انهم نهوا عن الاصطياد فيه وكانت الحيتان تأتى فيه بكثرة رافعة خراطيمها حتى تغطى الماء ولا تأتى فى غيره فتحيلوا بعمل حيضان متصلة بالبحر فاذا جاءت عشية الجمعة فتحوا الاتصال فتدخل الحيتان فى الحيضان فيأخذونها يوم الأحد ولما أمهل الله عقوبتهم استحلوا الصيد يوم السبت فحاق بهم العذاب (٧) تعاطى : قام على أطراف اصابع رجليه ثم رفع يديه وضرب (٨) عقر البعير بالسيف فانعقر اي ضرب به قوائمه : يشير الى ذنب قدار وهو قتل ناقة صالح عليه السلام وذلك ان امرأة يقال لها عنيزة لها مال وبنات حسان

ابتلى [١] به جُيوش طالوت ، وقُدْتُ الفيـل لأبرَهةَ [٢] ، وعاهدتُ [٣] قُريشاً على ما فى الصَّحيفة ، وتأوَّلت [٤] فى بَيعـة العَقَبة [٥] و استنفرتُ إلى العِير [٦]

واخري يقال لها صدوق بنت الحيا صاحب أوثانهم كان زوجها أسلم وأنفق ماله علي صالح وأتباعه وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح فدعت صدوق مصدقاً لنفسها علي قتل الناقة ودعت عنبرة قداراً علي ذلك أيضاً فذهبا وتبعهما أشقياء ثمود وكمن كل منهما فى اصل صخرة ولما مرت ضربها مصدع فأصاب ساقها فشد عليها قدار بسيفه فأبان عروقها ثم نحرها

(١) اختبر — يشير الى ذنب معظم جيوش طالوت عليه السلام وهو مخالفتهم له حينما اقترحوا عليه قلة الماء فقال لهم : « ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده » فخالفوا وشربوا الا قليلا منهم (٢) كان عامل اليمن من قبل النجاشي يشير الى ذنب أبرهة وهو ذهابه لهدم الكعبة وسبب ذلك انه بنى كنيسة فى صنعاء ليصرف الناس عن الكعبة فأتى رجل كنانى ولوثها بالعذرة وأتى أقوام من تجار قريش وأضرموا ناراً بجانبها فهبت الريح فأحرقتها فغضب النجاشي لذلك وقام أبرهة وأخذ الفيلة وقى مقدمتها فيل النجاشي المسمى محموداً ليهدم الكعبة ارضاء له ولما وصل اليها وجه الفيل نحوها فأبى فوجهه الى اليمن فقام مهرولا وبعد ذلك أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل

(٣) أعطيتهم عهداً وميثاقاً — يشير الي ذنب قريش وهو اتحادهم على عدم نصر الدين وذلك انهم لما رأوا ان الدين أخذ فى النمو وأن حمزة : وعمر أسلما تعاقدوا على مهاجرة بنى هاشم وبنى عبد المطلب وعلى قطع العلائق بينهم تماماً وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى جوف الكعبة تأكيداً لذلك (٤) حالفت (٥) طريق وعر في الجبل — يشير الى ذنب من نقض بيعة العقبة وبيعات العقبة ثلاث ولم يتأول فيها أحد فذكره لها على سبيل الفرض أى هب أنى خالفت الاجماع وتعديت الحد وفعلت ما لم يفعله أحد (٦) العير بالكسر الابل التى تحمل الميرة : يشير الى ذنب ضمضم الغفارى وهو استنهاض قريش لأبى سفيان ، وذلك : ان أبا سفيان كان آتياً من الشام فى عير ، فذهب عليه السلام لقتاله ، فشعر بذلك أبو سفيان ، فاستأجر ضمضما المذكور ليخبر قريشاً ، فذهب وصرخ ببطن الوادى واقفاً على جمل قد جدعه ، وحول رحله وشق قميصه قائلا يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة : أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ، فتجهزوا جميعاً وذهبوا اليه ، وحصلت الوقعة الشهيرة المسماة بغزوة بدر الكبرى ، اوفيها نصر النبي عليه الصلاة والسلام انتصاراً باهراً

ببدْر ، وانخذلت (١) بثُلث الناس يوم أُحُد (٢) ، وتخلّفت (٣) عن صَلاة العصر فى بَني قُرَيظة (٤) ، وجئْتُ بالأفك (٥) على عائشـةَ الصِّدّيقيَّة ، وأنِفت (٦) عن إمارة أسامة ، وزعمتُ أنَّ خِلافة أبى بكر كانت فَلتَةً (٧) ، وَرَوَّيْتُ رُمْحى

---

(١) خذله ترك عونه ونصرته (٢) أحد جبل بالمدينة يشير الى ذنب أبى بن سلول رأس المنافقين ، وهو رجوعه من الجيش هو ومن معه من المنافقين ، وذلك : أن النبى عليـه الصلاة والسلام ، لما خرج الى أحد ومعه ألف من أصحابه لقتال أعدائه ، كان من رأى أبى بن سلول أن يمكث النبي فى المدينة ، فأبى عليه الصلاة والسلام قبول رأيه ، موافقاً لمعظم الصحابة ، فرجع هو ومن معه من المنافقين ، وقال أطاعهم وعصانى (٣) تأخرت

(٤) طائفة من اليهود : يشير الى حادثة بنى قريظة ، وذلك أنه عليه الصلاة والسـلام بعد رجوعه من غزوة الخندق ، قال : من كان سميعاً مطيعاً ، فليصل العصر فى بنى قريظة ، فبعض الصحابة أخذ بظاهر الحديث وصلى العصر هناك بعد مغيب الشمس ، والبعض الآخر رأى أن المقصود الاسراع فصلى فى الطريق ، ولما اختلف الفريقان فى تعيين المصيب ، ترافعا اليه عليـه الصلاة والسلام فحكم باصابتهما واذا تكون عبارته كناية عن فداحة التخلف عن الذهاب

(٥) الكذب : يشير الى ذنب مسطح وحسان ومن معهما ، فى مجاهرتهم بالسوء لزوجه عليه الصلاة والسلام . وذلك : أنه لما ذهب عليه الصلاة والسلام الى غزوة بنى المصطلق ، كانت معه السيدة عائشة ، حيث كانت قرعتها . ففي العودة ذهبت السيدة لقضاء حاجتها ففاتها الركب ولم ينظر فى هودجها ، فمر صفوان وكان قد تأخر لأمر ما ، فأركبها بعيره وقاده فأشاعوا هؤلاء ما أشاعوا فبرأها الله تعالى بالآيات البينات (٦) استـكبرت : يشير الي بعض الصحابة ، من حيث استـكبروا على أسامة . وذلك : أن النبى عليه الصلاة والسلام جهز جيشاً ليذهب به الي الشام وقال له سر الي مقتل أبيك فتـكلم قوم وقالوا . أيأمر هذا الغلام على المهاجرين الاولين فغضب عليه الصلاة والسلام من ذلك وخرج فى مرضه عاصباً رأسه وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليـه وقال ما معناه : لئن طعنتم فى أسامة فقد طعنتم فى أبيه من قبـل وانه لأهل لها فاستوصوا به خيراً

(٧) أى من غير احكام ولا روية : يشير الى ذنب الشيعة وهو اعتقادهم أن علياً هو الأحق بالخلافة ، ومن سواه غاصب ويقولون ما تقدم . وفى حديث عمر : « أن بيعة أبى بكر كانت فلتة وقى الله شرها » فقيل : المراد بالفلتة الخلسة أى أن الامامة يوم السقيفة مالت الأنفس الى توليها وكثر فيها التشاجر فانتزعها واختلسها أبو بكر اختلاسا ومثل هذه البيعة مهيجة للشر والفتنة فعصم الله تعالى من ذلك ووق

من كَتيبة (١) خالد ، ومزّقت (٢) الأديمَ (٣) الذي بارَكتْ يدُ الله عليه
وضحّيتْ بأشمط (٤) عنوان السّجود به ، وبذلتُ لِقطام (٥)
ثلاثة آلافٍ وعبدٌ وقَينةٌ (٦) وضَربُ عليٍّ بالحسامِ المسمَّمِ
وكتبت إلى عُمر بن سعد : أن جَعْجَعْ (٧) بالحسين ، وتمثلت عند ما بلغني

(١) جيش : يشير الى ذنب أبي شجرة السلمي وهو قتله بجيش خالد في حرب الردة . ويشير الى قوله في ذلك :

وروّيت رمحي من كتيبة خالد وانى لأرجو بعدها أن أعمرا

(٢) قطعت (٣) الجلد : يشير الى ذنب أبي لؤلؤة وهو قتل عمر عليه الرضوان وذلك أن أبا لؤلؤة طلب منه أن يخفف عنه جعل سيده فقال له : انه ليس بكثير وانك لصانع مجيد وأريد أن تصنع لي رحي. فقال : سأصنع لك رحى يسمع دويها أهل المشرق والمغرب وكمن له حتى طعنه في صلاة الصبح ومات بسبب ذلك . ويشير الى ذلك ما قاله بعضهم في رثاء

جزى الله خيراً من امام وبارکت يد الله في ذاك الأديم المزق

(٤) مختلط شعر الرأس : يشير الى ذنب بعضهم وهو قتل عثمان عليه الرضوان وذلك أنه وفد عليه كثير من الجهات يشكون عماله فأرضاهم وأرسل محمد بن أبي بكر ليكون والياً على مصر فبينما هو ذاهب اذ رأى عبداً على هجين يستحثه فأحضره وفتشه فوجد معه كتاباً من الخليفة الى عامل مصر يقول فيه : اذا أتاك محمد ومن معه فتحيل في قتلهم ، فرجع محمد وأعطى الجواب الخليفة فأقر بأنه خط كاتبه وهذا ختمه وعبده وهجينه وأنه لم يرسله ، فطلب منه أحد أمرين : الاعتزال أو اعطاء كاتبه الحكم فأبى فحصلت الفتنة وحاصروه الى أن قتل . ويشير الى ما قاله بعض نعاته :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

(٥) اسم امرأة (٦) جارية : يشير بذلك الى ذنب ابن ملجم وهو قتل على كرم الله وجهه . وذلك ان هذه المرأة أعجبته لنضارتها فأراد أن يتزوجها فطلبت ما في البيت فقال لها : لك ما طلبت وقال البيت وبعده :

فلا مهر أغلى من علي وان غلا ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

(٧) ضيق : يشير الى ذنب عبيد الله بن زياد وهو تحريضه على قتل الحسين . وذلك أنه أبى مبايعة يزيد وأراد الذهاب الى الكوفة من حيث أنهم طلبوا مبايعته فأخبر يزيد عامله هناك عبيد الله بن زياد بذلك فأرسل لقتاله عمر بن سعد ولما أبطأ جهز له (شمراً) وكتب عبيد الله له ما تقدم فانتشبت الحرب بينهما وانتهت بقتله رضي الله عنه

من وقعة الحرّة (١)

ليت أشياخى ببدرٍ شهدُوا جزعَ الخزرج من وَقع الأسل

ورَجمت (٢) الكعبة ، وصلبت العائذ (٣) على الثَّنية (٤) لكان فيما جرَي علىَّ (٥) ما يحتمل أن يكون نَكالاً (٦) ، ويُدْعى ولو على المجاز عقاباً .

وحسبُك من حادث بامرئٍ ترى حاسديه له رَاحمينا

فكيف ولا ذنبَ إلا نميمةٌ (٧) أهداها كاشحٌ (٨) ! ونبأ (٩) جاء به فاسق

وهم الهمَّازُون (١٠) المشَّاؤون (١١) بنَميم ، والواشُونَ (١٢) الذين لاَ يلبثون (١٣) أن يَصْدَعوا (١٤) العصا ، والغُوَاةُ (١٥) الذين لا يتركُون أديماً (١٦) صحيحاً

---

(١) أرض بظاهر المدينة كانت بها الواقعة بن عقبة بن مسلم وأهل المدينة: يشير الى ذنب يزيد وهو تشفيه من أهل المدينة وذلك انه أرسل عقبة بن مسلم الى محاربة أهل المدينة واباحتها ثلاثة أيام فقتل وأسرف وأباح ، فلما بلغ يزيد ذلك قال بيت ابن الزبعرى المذكور مظهراً للضمير المستتر وهو كراهة الأنصار والمهاجرين

(٢) رميت بالحجارة (٣) الملتجىء (٤) طريق العقبة : يشير الى ذنب الحجاج وهو رجمه الكعبة وصلبه عبد الله بن الزبير وذلك أنه لما حاربه التجأ عبد الله وأصحابه الي الكعبة فنصب الحجاج المنجنيق عليها ورجمها وبعد ما انتصر عليه صلبه منكساً وآلى أن لا ينزله الا اذا شفعت أمه فيه فبعد سنة مرت أمه وقالت أما آن لهذا الفارس أن يترجل فاعتبر قولها شفاعة وأنزله . ومن قولها لابنها يوم مقتله : يابنى لا تقبلن منهم خطة تخاف منها على نفسك الذل مخافة القتل ، فوالله لضربة بالسيف فى عز ، خير من ضربة بالسوط فى مذلة . فقال لها : انما أخاف المثلة . قالت يابنى : ان الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها

(٥) حصل لى (٦) عذاباً : يريد انى لو اتيت بهذه الذنوب كلها لكان ما حصل لى من التعذيب والاهانة والذل والاستكانة كافياً لتمحيص هذه الذنوب . : كيف لا وقد صرت فى حالة يرثى لها العدو والحبيب والبعيد والقريب ، وذلك ادل على طلب الرحمة واحكم في الاستعطاف . والبيت الذى ذكره للعتبي (٧) نقل الكلام الافساد (٨) مضمر العداوة « اهداها كاشح » كناية عن حسن سبك هذه النميمة وانه ممتن بها كما يعتنى بالهدية للأمير (٩) خبر

(١٠) المعتابون (١١) النمامون (١٢) الذين يزينون الحديث للافساد (١٣) لبث بالمكان: قام به (١٤) يشقوا (١٥) المضلون (١٦) جلداً

والسُّعاة (١) الذين ذكرهم الأحنفُ بن قيس فقال : « ما ظنُّك بقومٍ الصِّدقُ محمودٌ إلا منهم ؟! »

حَلفت فلم أترك لنفسك رِيبةً (٢) وليسَ وَراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ

والله ما غَشَشْتُك بعدَ النَّصيحة ، ولا انحرفت (٣) عنك بعدَ الصَّاغية (٤) إليك ، ولا نصَبْتُ (٥) لك بعد التَّشيّع فيك ، ولا أزمعتُ (٦) يأساً منك ، مع ضمان تكفّلتْ به الثّقة عنك ، وعهد أخذه حُسن الظّن عليك . ففيم عَبِثَ (٧) الجفاء بأذمّتى (٨) ، وعاث (٩) العقُوق (١٠) فى موَاتى (١١) ، وتمكّن الضياع (١٢) من وَسائلى (١٣) ؟ ولمَ ضاقَتْ مذاهبى (١٤) ، وأكدَتْ (١٥) مطالبي ؟ وعلام رَضيت من المركب (١٦) بالتّعليق (١٧) ؟ بل من الغَنيمةِ بالإياب (١٨) ؟ وأنّي غلبنى

(١) المفسدون : يريد بذلك انه بنى الاهانة والابعاد والصد والاعراض على اوهن الأسباب واضعفها وهو سعى النمام وخبر الفاسق وتزيين الغواة والذين يشقون عصا الألفة ويمزقون اعراض الناس ويلمح فى عبارته الى قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » الآية . والى قول كثير عزة :

ولا يلبث الواشون ان يصدعو العصا اذا هي لم يصلب على البرى عودها

(٢) شبهة : يريد حلفت فلم اترك شبهة فى نفسك من براءتى وليس بعد الله من يصدق القسم به حتي اقسم به واذهب اليه . والبيت للنابغة الذبيانى من اعتذارياته للنعمان

(٣) ملت (٤) الاصغاء (٥) الناصبي فى العرف من كان عدواً لعلى وهو ضد الشيعي

(٦) خفت : يقول أقسم بالله انى مقيم على النصح لك ثابت علي الميل اليك ولم أتخذ مذهب الناصبية مذهباً ولم يستفزنى اليأس منك وتلعب بى أبدى الأهواء فان ثقتى بك وحسن ظنى فيك قد ضمنا لى أن أطرد اليأس بالرجاء فى عفوك . وهذا الكلام من الاستقصاء البديعى بمكان فانه استوفى جميع عوارض المحبة بحيث لم يبق لقائل قول «لو» ولا «ليت» استجلاباً للرحمة وطلباً للعفو (٧) لعب وهزل (٨) حرمانى (٩) أفسد (١٠) ضد البر

(١١) وسائلى (١٢) الهلاك (١٣) ما أتقرب به (١٤) طرقي (١٥) ردت

(١٦) الركوب (١٧) المراد تعليق الامتعة (١٨) الرجوع

المغلب (١) ، وفجر (٢) على العاجز الضعيف ، ولطمتنى (٣) غير ذات سوار ؟ ! ومالك لم تمنع من قبل أن أفترس ؟ وتدركنى ولمّا أمزّق (٤) ؟ !

أم كيف لا تضطرِمُ (٥) جوانحُ (٦) الأكفاء (٧) حسداً لى على الخصوص ك ؟ وتنقطع أنفاسُ (٨) النظراء (٩) مُنافسةً (١٠) لى على الكرامة فيك ، وقد زانَنى اسمُ خدمتك ، وزهانى (١١) وسْم (١٢) نعتك ، وأُبليت (١٣) البلاء الجميل فى سماطك (١٤) ، وقمت المقامَ المحمود على بِساطك ؟ !

ألستُ الموالى (١٥) فيك غُرّ قصائد هي الأنجُمُ اقتادت مع الليل أنجُما

---

(١) المغلوب مراراً (٢) اجترأ (٣) ضربتنى على وجهى براحتها

(٤) أقطع : يستفهم عن سبب افساد الجفاء والعقوق لما قدمه من وسائل الرضا حتي ضاقت عليه المذاهب وامتنعت عليه المطالب وحتي رضى من عظيم الامر بصغيره ومن الغنيمة بالرجوع سالماً واجترأ عليه كل ضعيف . وغلبه من كان له غلاباً وظلمه من لم يكن له كفؤاً وقد ضمن عبارته من الأمثال ما هو كالسحر الحلال « أولها » أرض من المركب با لتعليق يضرب فى القناعة بادراك بعض الحاجة « وثانيها » رضيت من الغنيمة بالاياب يضرب فى القناعة با لسلامة وهو مأخوذ من قول امرىء القيس :

لقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

وثالثها ورابعها مأخوذان من قوله :

فانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقد صحفه ابن زيدون وهو تصحيف حسن وخامسها « لو ذات سوار لطمتنى » قاله حاتم حينما لطمته جارية وكانت العادة لبس السوار للحرة ــ والثلاثة تضرب عند العجز والذلة ــ ويشير الى قول المثقب العبدى

فان كنت مأكولا فكن خير آكل والا فادركنى ولما أمزق

وفى هذا الاستفهام تحضيض له على انجاده وسرعة انقاذه

(٥) تتقد (٦) أضلاع (٧) الامثال (٨) جمع نفس (٩) جمع نظير (١٠) رغبة شديدة (١١) الزهو : الكبر (١٢) علامة (١٣) جربت (١٤) السمط : الصف من الناس (١٥) المتابع

ثناءٌ يَظَلُّ الرَّوضُ منهُ مُنوَّراً ضُحًى ويُخالُ الوَشْيَ (١) فيه منمنما (٢) ؟!

وهل لبس الصبَّاحُ إلاَّ بُرْداً (٣) طرَّزتهُ (٤) بفضائلك ، وتقلَّدت (٥) الجوزاء (٦) إلاَّ عِقداً فصَّلتهُ (٧) بمآثرك ، واستملى (٨) الربيعُ إلاَّ ثناءً أملأتَه فى محاسنك ، وبثَّ (٩) المسكُ إلاَّ حديثاً أذعته (١٠) فى محامدك ؟ (ما يوم حليمةَ بسرّ) وإن كنت لم أكسك سليباً (١١) ! ولا حليتك عُطلاً ! ولا وسمتك غفلاً (١٢) بَلْ وجدت آجُرًّا (١٣) وجصًّا (١٤) فبنيت . ومكان القول ذا سعةٍ فقلت : حاشَا (١٥) لك أن أُعَدّ من العاملة النَّاصبة (١٦) ، وأكون كالذُّ بالة (١٧) المنصُوبة ، تضِئُ للنَّاس وهي تحترقُ . فلكَ المَثَلُ الأعلى (١٨) ، وهو بك وبى فيك

(١) ضرب من الحرير ذو ألوان (٢) ثوب موشى بألوان فيها البياض — لقد أتى ابن زيدون من كلام السحر وسحر الكلام بما يكبو دونه قلم البليغ — وذلك من الاعتراف لسيده بأنه قد أوقد النار فى قلوب الحساد والنظراء بتعهده له بالانعام وصلته بالصلات حتى أنطق لسانه فيه بالمدائح التى طلعت من الليل أنجما والثناء الذى زهرت به الرياض ووشيت به حلل الفضل . والبيتان من قصيدة للبحترى يعاتب بها الفتح بن خاقان (٣) رداء (٤) علمته (٥) لبست (٦) برج (٧) تفصيل العقد : جعل خرزة بين كل لؤلؤتين (٨) طلب الاملاء (٩) نشر (١٠) أشعته : والمعنى ان فضائلك التى نشرتها فى مدائحى ظهرت للعين ظهور الصباح حتى أنه لا يضيء الا بسببها . وأن عقد الجوزاء لم يحسن في مرآي العين الا لكونى فصلته فى محامدك وكذلك الربيع لم تتضوع الأزهار بنشرها فيه الا لكونه استملى من الثناء المملوء بمحاسنك ثم أثبت أن ما تقدم حقائق ثابتة بقوله ما يوم حليمة بسر وهو مثل عربى يضرب فى فشو الامر وانتشاره (١١) مسلوباً (١٢) عادم العلامة (١٣) الطين المحروق (١٤) الجير : أراد دفع ما يتوهم من أنه يتفضل عليه باذاعة المحاسن ونشر المدائح وأنه اخترع له هذه السجايا والخلال حيث يقول له : أنى لم أمدحك الا بما هو فيك من خصائص الخصال وجميل الخلال وانما أنا صفتها فى القالب الذى يلفت الأنظار ويجلى صدأ الأفكار (١٥) تنزيهاً لك (١٦) من النصب : وهو التعب (١٧) الفتيلة (١٨) الصفة العليا — بعد أن عمل جهد المستطيع فى الثناء عليه أراد أن يستميله بلطف ليجعل لعمله فائدة ونتيجة فنزهه عن أن يجعل مثله معه كمثل الكفار حيث عملوا وتعبوا فى الدنيا فيما لم يعد عليهم منه فائدة فى الأخرى . ويشير الى قوله تعالى : « وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة ، تصلى ناراً حامية » الآية : والى قول العباس ابن الأحنف :

أولى . ولعمرك (١) ما جهلت أنّ (صريح الرأي (٢)) أن أتحوّل إذا بلغتني الشّمس و(نبابى المنزل (٣)) وأصفح (٤) عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال فلا (أستوطيُ العَجْز (٥)) ولا أطمئنّ (٦) إلى الغُرُر (٧) . وَمِن الأمثال المضروبة : خامري (٨) أُم عامر (٩)

وإنى مع المعرفة ان الجلاء (١٠) سِباءٌ (١١) والنُّقلةَ (١٢) مُثْلةٌ (١٣)

ومن يَغترِبْ عن قومه لم يزل يَري مصارعَ مَظلوم مجرا ومسحبا

وتدفَن منه الصّالحاتُ وإن يُسئ يكن ما أساء النّار فى رأس كَبكبا (١٤)

عارفٌ أن الأدب الوطنُ لا يُخشى فراق ، والخليط (١٥) لا يتوقّع زياله (١٦)

صرت كأنى ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

وبالغ فى التلطف بقوله : فلك المثل الأعلى والصفة العليا من التجاوز والصفح وأنت أولى من صفح عن زلة المسيء ، وأنا أولى من ادخرت مودته بالصفح عنه ، وما أحسن قوله وهو بك الخ . كأنه يقول هو بك أولي وهو بى كذلك اذا كان فيك فكلا الحالين مخصوص بك وما ألطف ما ينسب الى الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه فى الامام أحمد بن حنبل:

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله

ان زرته فلفضله أو زارنى فلفضله فالفضل فى الحالين له

(١) حياتك (٢) شديده (٣) نبابى : المنزل لم يوافقنى (٤) أعرض (٥) أستوطىء العجز : أجده ليناً سهلا (٦) أميل (٧) ما يغتر به من متاع الدنيا (٨) استرى (٩) كنية الضبع يقسم بحياة سيده أنه ما جهل أن سديد الرأى وجوب التحول عن مقام الاهانة متى شعر بلحاقها به كما أنه لم يجهل أن الطمع مورد الهلكة وذريعة الخذلان ومقطع أعناق الرجال وانه كان عليه أن يرحل ولا يستسهل العجز ولا يميل الى الغرور ولكن خابت آماله وانعكست أحواله فكان الغرور نصيبه والامل قائده فاغتر كما اغتر الضبع بقول القائل: خامرى أم عامر . يشير الي قول أبى تمام :

وان صريح الرأى والحزم بامرىء اذا بلغتــه الشمس ان يتحولا

والى المثل العربى «العجز وطيء» يضرب لمن استلان فراش العجز وقعد عن طلب المكاسب وقوله خامرى الخ مثل يضرب لمن عرف الدنيا وتقلباتها ثم يميل اليها ويغتر بها

(١٠) الخروج عن الوطن (١١) أسر (١٢) الانتقال (١٣) تنكيل (١٤) جبل (١٥) المخالط (١٦) مفارقته

والنَّسيب (١) لا يخفى ، والجمال لا يُجفي (٢)

ثمَّ ما قران (٣) السَّعد بالكواكب أبهي أثراً ، ولا أثنَي خطراً (٤) من اقتران غِ النفس به ، وانتظامها نسقاً (٥) معه ، فإن الحائز (٦) لهما الضَّارب بسَهْم فيهما ، « وقليلٌ ما هُمْ » (٧) أينما توجّه ، وردَ منهل (٨) بر وحطَّ فى جناب (٩) قبول ، وضُوحِك قبل إنزال رَحْله ، وأعطى حكم الصَّبِ على أهله

(١) ذو النسب (٢) لا يهجر : بعد ان بين لسيده أنه لا يجهل أن الصواب التحول أراد أن يبين له أنه يعرف أيضاً أن الانتقال فيه التمثيل والنكال وأن الغربة كربة والنوى توى وأن حسنات الغريب مهجورة وسيئاته منشورة فقال انى مع معرفتى بأن خروجى من وطنى أسر لى ودفن لمحاسنى وانتقالى منه الى غيره مع عدم معرفة أهل هذه الجهات بما أنا متحل به من العلوم والآداب والكمالات تنكيل بمحاسنى وتضييع لبهجة كمالاتى فيجهل قدرى وتهضم حقوقى وتدفن منى الصالحات وتشاع على قلتها السيئات غير أنى لا أعد ذلك البناء هو الوطن الحقيقي بل وطنى الذى أعول عليه انما هو الخلق وهو ملازم لى أينما حللت وارتحلت فلا أخشى فراقه وهو سميرى الملازم لى فلا أتوقع غيابه وان النسيب أينما حل فهو معروف والجمال أينما وجد فهو مألوف وحيث هو كذلك فلا يخشي من الانتقال بأساً ولا من التحول ضيما — والبيتان للأعشى . والنقلة مثلة — مثل مولد

(٣) مصاحبة (٤) قدراً (٥) النسق من الكلام وغيره ماجاء على نظام واحد (٦) الجامع (٧) قليل ما هم : يريد بذلك التعريض لسيده بأنه لا نظير له فى أخلاقه وآدابه (٨) عين (٩) ناحية بعد ان بين أن الادب كبير النفع عظيم الفائدة حتى جعله وطناً فى الغربة وفرجة عند الكربة بين أنه يكون أكبر نفعاً وأعظم جدوى اذا صاحبه غنى النفس فان المتحلى بحلاها القابض على زمامهم أينما يمم فالسعد قرينه والناس أهله يقبلون عليه من كل جانب ويعظمونه كل التعظيم الاول وهلة أو مجرد نظرة ويعطونه حكم الصبى على أهله يفعل ما يريد كالسيد بالعبيد ويقولون له لقيت أهلا ونزلت مكاناً سهلا واسعاً رحباً فانس ولا تستوحش وكن كما تحب وتختار فأنت رب الدار . وقوله ما قران السعد الخ أخذه من قول البستى :

وأنتم الاشياء نوراً وحسنا بكر شكر زفت الى صهر بر
ما قران السعد بالحوت أبهى منظراً من قران بر وشكر

وقوله أعطى حكم الصبى الخ : عبارة كانت تقولها العرب فى مدح من نزلوا عنده وأكرمهم وأصل البيت المذكور — فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا — فهذا مبيت صالح وصديق

وقيلَ لهُ أهلاً وسهلاً ومرحبا فهذا مَبيتٌ صالحٌ ومقيل

غير أن الوطنَ محبوبٌ ، والمنشأ مألوفٌ ، واللبيبُ يحنُّ إلى وطنهِ ، حنين النجيب (١) إلى عَطَنِهِ (٢) . والكريمُ لا يجفو أرضاً بها قوابله (٣) ، ولا ينسى بلداً فيها مراضعهُ — قال الأوّل :

أُحبُّ بلادَ اللهِ ما بين مَنعجٍ (٤) إليَّ وسلمي أن يصوبَ سحابها

بلاد بها حل الشَّباب تمائمي (٥) وأوّل أرض مسّ جِلدي ترابُها

هذا إلى مُغالاتى (٦) بعقد جوارك ، ومُنافستي (٧) بلحظةٍ من قربك واعتقادي أن الطّمع فى غيرك طَبعٌ (٨) ، والغنى ممن سواك عناءٌ ، والبَدل منك أعور ، والعوض لَغاءٌ (٩) وكلُّ الصيّد فى جَوْفِ الفرا (١٠)

وإذا نظرتُ إلى أميرى زادنى ضنا به نظري إلى الأُمراءِ

---

(١) النجيب من الابل الفحل الكريم (٢) مبرك الابل حول الماء (٣) جمع قابلة وهي من تتلقي المولود عند خروجه (٤) اسم مكان (٥) جمع تميمة وهو ما يعلق للطفل حفظاً له — بعد أن بين له أن سديد الرأى الا تتقال وأنه لا يخاف عاقبة ذلك لأدبه وغنى نفسه أراد أن يبين له السبب الحامل على المكث فقال ان الوطن محبوب والمنشأ مألوف

ما من غريب وان أبدى تجلده ألا سيذكر عند الغربة الوطنا

ولا غرو فهو أول أرض وجد بها وأول تربة تضمخ بها جسده وأول بقعة نما فيها فكره وأول جهة قضي فيها الشباب ما مر به مع اخوان وأحباب وخلان وأتراب — فاذا تذكر هذه الجهات تخيل له رغد العيش وحسن الحال ورأى أغصان شبابه تميد على تلك الاوطان وتتمايل مع النسيم تمايل البان فيحن اليها حنين الغريب الى وطنه وأنه ليس من كرم الاصل وشرف المحتد أن يهجر الانسان قوابله ومراضعه لما لهن عليه من الخير العميم والفضل الجسيم أثناء الصغر فالواجب عليه أن يصلهن فى ابان الكبر حتى يجنين ثمرات أتعابهن ويسررن بحسن معاملته لهن — والبيتان لبعض الاعراب

(٦) مجاوزتى الحد (٧) رغبتى فيك على وجه المباراة (٨) دنس

(٩) خسيس (١٠) حمار الوحش

وفى كلّ شجرٍ نار ، وأستمجدُ (المَرْخ وَالعفَار) (١) ، فما هذه البراءةُ ممن يتَولاّك (٢) ؟ والميلُ عمَّن لا يميلُ عنك ؟! — وهلاّ (٣) كان هواك (٤) فيمن هواه فيك ؟ ورضاك فيمن رضاه لك ؟!

يا من يعزّ علينا أن نُفارقهم وِجْدَانُنا كلَّ شىء بعد كم عدمُ

أعيذُك ونفسي من أن أشيمَ (٥) خُلّبا (٦) ، وأستمطرَ جَهَاما (٧) ، وأكدِمَ (٨)

---

(١) نوعان من الشجر سريعا الوري . وأستمجد : أستفضل ، وقيل أقتدح على الهوينا — بعد ان بين محبة الوطن وألفة المنشأ . وسبب ذلك الطبيعى : أراد أن يبين للأمير ان ذلك ليس هو السبب الوحيد الحامل لى علي المكث بل انضم اليه ما هو أشد منه تأثيراً وأعظم خطراً ألا وهو شدة محبتى لجوارك وحظوتى بقربك ، وأنت أكرم من حفظ للجوار حرمته ، وأوضح محجته ، واعتقادى بأن الطمأنينة الى غيرك غرور والثقة بخلافك خذلان وعدم رضائى بسواك بدلا ولا بغيرك عوضاً ، وكيف أستبدل السمين بالغث ، والراحة بالتعب ، أم كيف أنظر الى غيرك من الأمراء ، وغيرك فيك

وليس علي الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

نعم وان اشتركوا معك فى اللقب الا أنهم لم يشتركوا معك فى كمال الادب وفى كل شجر نار وأستمجد المرخ والعفار فى ذلك من استمالة القلب ما يدهش اللب وقد جمعت هذه العبارة من الامثال ما يذري باللآل — فأولها « رب طمع يجر الى طبع » وثانيها « كل الصيد فى جوف الفرا » وهو يضرب لمن يفضل نفسه علي أقرانه وثالثها « البدل منك أعور » يضرب لكل ما لا يرتضى به من الذاهب وأصله أن يزيد ابن المهلب لما صرف عن خراسان بقتيبة بن مسلم الباهلى وكان شحيحاً أعور قال الناس هذا بدل أعور — ورابعها « رضي من الوفاء باللقاء » يضرب لمن يرضى بالقليل من الكثير — وخامسها « وفى كل شجر نار وأستمجد المرخ والعفار » يضرب فى تفضيل بعض المشتركين فى صفة على بعض

(٢) مضارع تولاه صار وليه (٣) كلمة تحضيض (٤) ميل النفس : بعد ان بين له أنه لا يرضي بما سواه وأنه يفضل جواره على ما عداه وهو مع ذلك يعرض عنه ولا يميل اليه رجع ينكر عليه ذلك بطريق الاستفهام كما هو الادب من حيث يقول كيف تتبرأ منى . وأنا أواليك وتميل عني وتهجرنى وأنا لاأميل الا اليك وهلا هويت من يهواك ورضيت من يرضاك والبيت للمتنبي (٥) شام البرق : نظر الى سحابته أين تمطر (٦) البرق الذى لا يعقبه مطر

(٧) السحاب الذى لا ماء فيه (٨) أعض

فى غير مَكدَم ، وأشكُو شكوَى الجَريح الى الغِربان والرَّخَم (١) فما أبْسَسْتُ (٢) لك إلاّ لِتَدُرّ ، ولا حرّكت لك الحُوار (٣) إلا لِتَحِنّ ، ولا نبَّهتك إلاّ لِأنَام ، ولا سَرَيْتُ اليك الاّ لأحمَدَ السُّرَى (٤) لدَيك

وإنك إن سَنَّيت (٥) عقدَ أمرٍ تَيسَّر ، ومتى أعذَرت (٦) فى فكّ أسْرِى لم يتعذّر . وعِلمك محيط بأنّ المعروف ثمرة النّعمة ، والشَّفاعة زكاةُ المرُوءة وفَضلَ الجاه (٧) يَعوذُ به صَدَقَة

وإذا امرُؤٌ أهدَى اليك صَنيعةً من جاهه فكأنّها من ماله

---

(١) طائر ضعيف (٢) الابساس الرفق (٣) ولد الناقة (٤) السير ليلا — يطلب منه أن يجعل لاعماله نتيجة يجنى ثمرتها وأن يكون سيده غارس دوحتها وأن لايجعله كالمستميح الماء من الصخر ، والمستجير عند كربته بعمرو ، والمستمطر الجهام والناظر الى البرق الخلب بل يرسل عليه عطفه مدرارا ، وان يصل رحم الجوار بعد القطيعة ويقر عينا أضرها سهاد الجفوة وأن يحمد اليه سراه ويحسن عقباه ، ولقد رصع عبارته بجواهر الأمثال وصاغها فى قالب غريب المثال يشير فيها إلى قول ابن معديكرب

لاتهنى بعد اكرامك لى فشديد عادة منتزعه
لايكن برقك برقا خلبا إن خير البرق ماالغيث معه

والى المثل العربى « كدمت فى غير مكدم » يضرب لمن يطلب شيئا من غير أهله ، وإلى قول المتنبى

ولاتشكو إلى خلق فتشمتهم شكوى الجريح إلى العقبان والرخم

وإلى الامثال العربية « الابساس قبل الايناس » وهو يضرب فى الرفق « حرك لها حوارها تحن » وهو يضرب فى استنهاض الهمة و « نبه لها عمراً ثم نم » يضرب فيمن يعتمد على غيره و « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو يضرب عند حمد العاقبة (٥) سهلت (٦) بالغت فى طلب العذر (٧) المنزلة — يقول لسيده إنى ماكلفتك أيها السيد بارتكاب متون الاهوال ولا بمعاناة الاحوال ولابعد نجوم السماء ولارمال الدهناء وإنما هو أمر يكبر فى عين سائله ويصغر عند باذله وهو فى يدك وقبضتك وأنت قادر عليه وإن سهلت عسيره سهل وان التمست لى المعذرة انتفت الصعوبة ، وأنت تعلم زادك الله علماً أن النعمة شجرة ثمرها المعروف وان المروءة مال زكاتها الشفاعة وشفاعة اللسان أفضل زكاة الانسان وبذل الجاه رفد المستعين — وأيد ذلك بالبيت بعده وقوله ان سنيت مأخوذا من قول بشار

فبالله ثق إن عزما تبتغى وقل إذا الله سنى عقد أمر تيسرا

لعلّى ألقى العصا بذَراك (١) وتستقرُّ بىَ النَّوَى (٢) فى ظلّك ، وأستأنِف (٣) التّأدّب بأدَبك ، والاحتمالَ على مَذهبك . فلا أُوجِدُ للحاسد مَجَالَ (٤) لحْظِه (٥) ولا أدَعُ للقادح (٦) مساغَ (٧) لفظِه

والله مُيسِّرك من إطلابى (٨) بهذه الطِّلبَة (٩) ، وإشكائى (١٠) من هذه الشّكْوَى ، بصنيعةٍ تُصيبُ منها مكان المَصْنع ، وتَستوْدِعها أحفظ مُستودع حسبما أنتَ خليقٌ (١١) له ، وأنا منك حَرِىٌّ (١٢) به ، وذلك بيدِه وهيِّن عليه

﴿ مكاتبات متفرقة ﴾

(كتب رئيس الجمهورية التركية إلى إحدى الدُّوَل الأوربية)

أيها الوزير الأفخم — إن لفظة تقسيم (تركيا) إفكٌ لا يفوه بهِ عاقل ، ولا يَتصوَّره إنسان . تكاد تَنْفطر له السَّماء دَهْشة ، وترتجُّ له الأَرْض وَحْشة . بل تخِرّ دُونهُ الجبال . وتنفكّ عنده الآمال ، كأنّ أوربا تستطيعه ، ولكنها لم تفعله ولن تفعله ، ولو كان بعضُهم لبعض ظهيراً ، فقل : « اللَّهمَّ مالك المُلك تُؤتى الملك

---

(١) كل ماستترت به (٢) ماينويه المسافر من قرب أو بعد (٣) أبتدئ (٤) جال طاف (٥) نظره (٦) الطاعن (٧) ساغ الشراب سهل مدخله فى الحلق — يقول أرجو من سيدى أن يعفو عن ذنبى وتقصيرى ويلبى ندائى ، هذا كى أسكن فى ظلك وكنفك ولا أذهب إلى غيرك وتكون غاية آمالى ومنتهى أسفارى وأتوب عما كنت مرتكبه ومتمسكا به مما لايرضيك وأتخلق باخلاقك وأتمسك بطريقتك وأحذو حذوك وأتبع مذهبك وبذلك لا يجد عدوى فى مدار لحظه ولا الطاعن ما يسوغ من لفظه . وقوله لعلى القى الخ حل بيت للمعز بن أوس وهو

وألقت عصاها واستقربها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافر

(٨) اسعافى (٩) ما أطلبه (١٠) ازالة ما أشكوه (١١) جدير (١٢) حقيق : يقول لسيده والحمد لله الذى سهل لك مطلبى وإسعافى وازالة ما أشكوه من آلام السجن بمعروف تبذله لاهله وتحفظه عند أمين لوقته حسبما يقتضيه كرم أخلاقك وجميل صفاتك وأنا أحق الناس به لمودتى لك واخلاصى فى ولائك وما ذلك عليك بعزيز

ان الصنيعة لاتكون صنيعة حتى تصيب بها مكان المصنع

من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتُذِلُّ من تشاء بيدِكَ الخير إنك على كلِّ شيءٍ قدير »

تقسيم تركيا ، كلمة ليست أكبر من أوربا فقط ، بل هى أكبر من منظومة هذا العالَم الشَّمسى ، الذى تراه أو تسمع به ، إن كنت لاتراه ، فلا يليقُ أن يفوه به إلافم القدرة الآلهية « القائم على كلّ نفسٍ بما كسبتْ وَاللهُ غالبٌ على أمْره وَلكنَّ أكثرَ النَّاس لا يعلَمون »

تقسيم تركيا : رُبَما يكون ، ولكن متى يكون ؟ حينما يتحلَّى وَجهُ البسيطة بدمائنا الطاهرة الزكية . يوم ترى الأرض لابسة تلك الحُلَّة الأرْجُوانية الثَّمينة ، حيث تتمشَّى الدِّماء ، على فيروزج الفضاء ، مُحاطة كواكب الوجود بكتائب جنود العدم المطلق : لا أرض لمن تقِلّ ، ولا سماء لمَن تُظلّ ، ولا قائم موجود ، ولا دائم مقصود — هنالك تتحدَّث شياطين الخيال فى أندية المحال ، بحديث ذلك التَّقسيم المشئوم ، ولا من سميع ولا من مجيب . فالويلُ ثم الويل يوم ذلك التَّقسيم الموهوم ، والثُّبُور ثم الثّبور إذا تنزّلَت السَّماء بقضاءِ ذلك الهول المقسوم . إنَّ فى ذلكِ لبلاغاً لِقَوْمٍ يتفكّرُون .

« وكتب ابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ فى شكر صديق له على مراسلته إياه »

وصل ما وصلتَنِى به [١] (جعلنى الله فِداكَ) [٢] من كتابك ، بل نعمتك التَّامة ، ومِنّتك العامة [٣] ، فقرَّت عينى بوُروده [٤] وشُفيت نفسى بوُفوده [٥] .

---

(١) ورد الى كتابك الذى ربطتنى به معك (٢) أى وضعنى الله مكانك فى كل مكروه حتى تخلص منه (٣) أى الذى ورد إلى هو خطابك الذى أعده بمنزلة نعمتك العمومية وجميلك الشامل (٤) فاطمان قلبي بوصوله الى (٥) وطابت نفسى بمجيئه الى

ونشرته فحكى نسيم الرّياض غِبّ المطر (١)، وتنفّسَ الأنوار فى السّحر (٢)، وتأمّلتُ مفتتَحه وما اشتمل عليه من لطائف كلِمك، وبدائع حكمك (٣) فوجدته قد تحمّل من فنون البرّ عنك (٤)، وضرُوب الفضل منك (٥)، جدًّا وهزلاً (٦) ماملأ عينى وغمر قلبى، (٧)، وغلبَ فكرى، وبهر لُبِّى (٨). فبقيت لا أدرى! أسُمُوط دُرّ خصصتنى بها (٩)؟ أم عُقود جوهر منحتنيها (١٠)؟ ولا أدرى: أجَدّك أبلغ وألطف؟ أم هزلك أرفع وأظرف؟ وأنا أوكّل بتتبُّع ما انطوى عليه نفساً لا ترى الحظّ الا ما اقتنته منهُ (١١)، ولا تعدّ الفضل الا فيما أخذتهُ عنه. وأمتّع بتأمله عيناً لا تقرّ إلا بمثله، ممّا يصدُر عن يدك، ويردُ من عندك. وأُعطيه نظراً لا يملّه، وطرَفاً لا يطرِف دونه (١٢). وأجعله مثالاً أرتسمه وأحتذيه (١٣)، وأمتع خُلقى برونقه، وأغذّى نفسى ببهجته، وأمزج قريحتى برقّته، وأشرح صدرى بقراءته، ولئن كنت عن تحصيل ما قلته عاجزاً، وفى تعديد ما ذكرتهُ متخلّفاً، لقد عرفت أنهُ ما سمعت به من السِّحر الحلال.

(ومن كتاب للمرحوم السيد توفيق البكرى فى سَفرته إلى الاستانة العلية)

كتابى إلى السيد الأجل، وأنا أحمد الله اليهِ، وأدعوهُ أن يُديم النّعمة والسلامة

---

(١) ونشرته أى فتحته فحكى نسيم الرياض غب المطر أى لشبه الريح التى تهب من البساتين بعد مانزل المطر عليها. (٢) وأشبه تفتح الازهار فى أواخر الليل (٣) أى وتدبرت فى صدره وفى الكلمات اللطيفة التى أودعتها فيه والحكم البديعة التى نثرتها فيه (٤) أى شاهدت منه أنواعا من الاكرام أثبتها فيه (٥) وأصنافا من الافضال دونتها فيه (٦) من الامور الهامة الجدية والامور المفرحة المازحة (٧) ملأ عينى يعنى صرفها عن النظر الى غير احسانك ـ وغمر قلبى أى لم يدع له منصرفاً إلى غير افضالك (٨) وغلب فكرى اى استحوذ على عقلى، وبهر لبى أى راع عقلى وسباه (٩) أى عقود در قصرتها على (١٠) منحتنيها أى اعطيتنيها (١١) اكتسبته (١٢) الطرف العين، ويطرف يطبق جفنا على الآخر (١٣) أرسمه فى فكرى واقتدى به

عليه : و بعدُ — فلما اعتزمتُ على الرّحلة هذا العام ، الى قبّة السلام ، ودار خلافة الأسلام ، وفارقت مصر وساكنها ، وأرباضها [١] ومواطنها ، ركبت سفينة عَدَوْليّة [٢] ، إلى الثّغُور الفرنجيّة ، فَجَرتْ فى خِضَمّ [٣] عجّاج ، مُلتطم الأمواج له دَوِىٌّ من جرجرة [٤] الآذىّ [٥] ، أخضر الجلد ، كأنه إفْرِند [٦] تصطخبُ [٧] فيه النِّينانُ [٨] ، وتَجرى فى جوْفه الدّعاميصُ [٩] والحِيتان ، اذا مازجه الأصيلُ [١٠] بالعشِىّ ، خِلْتهُ كُسِّرت [١١] عليه الحُلىّ ، أو مُزج بالرّحيق [١٢] القُطْرُبُّلى [١٣] . وَإن لاحت به نجومُ السّماء ، خلتهُ صفائح من فضّة بيضاء ، سُمِّرت بمسامير صغار من نُضار [١٤] . وأخذت السفينةُ تشقُّ عُبابه [١٥] ، وتَفلُق حَبابه [١٦] ، بين ريح رُخاء [١٧] ، أو زَعزَع [١٨] هَوجاء [١٩] . فهى تارةً فى طريق مُعبّد [٢٠] ، ورَميثٍ [٢١] مُسرَّد [٢٢] ، وطوراً فوْقَ حَزْن [٢٣] وقرْدَد [٢٤] ، أو على صَرْح [٢٥] ممرّد [٢٦] وكان معنا فى الفُلك ، رَهط منَ العرَب والتُّرْك ، فكنّا نتوارد معهم فى جوائب [٢٧] الأخبار ، وطُرف [٢٨] الأحاديث والأسمار [٢٩] ، ما يُزرى [٣٠] بالْمنهل العَذْب ، واللّؤلؤ الرّطب ، الى أن يميلَ ميزان النّهار ، وتَغْرَق ذُكاء [٣١] فى البحار ، و يُمسى

(١) مساكنها (٢) نسبة الى قرية عدولى بالبحرين او نسبة الى صانعها ، والمقصود أنها أضخم سفينة (٣) البحر (٤) الصوت (٥) الموج (٦) جوهر السيف (٧) تختلط أصواتها (٨) جمع نون الحوت (٩) جمع دعموص دودة لها رأسان ترى فى الماء إذا قل (١٠) الوقت بعد العصر حتى تغرب الشمس (١١) ردت ووضعت (١٢) الخمر (١٣) بضم القاف وتسكين الطاء وضم الراء وتشديد الباء الخمر المنسوب الى قطربل قرية بين بغداد وعكبرا مشهورة بالخمر (١٤) الذهب (١٥) بضم العين الموج (١٦) بفتح الحاء مايعلو الماء (١١) بضم الراء الريح اللينة (١٨) بفتح الزاءين الريح الشديدة (١٩) بفتح الهاء الريح القوية تقلع الاشجار والبيوت (٢٠) مذلل ومسهل (٢١) جمع ميثاء الارض السهلة (٢٢) منتظم لا صعوبة فيه (٢٣) الارض الصعبة (٢٤) الارض المرتفعة الغليظة (٢٥) القصر (٢٦) مرد البناء ملسه حتى صار ناعما (٢٧) الاخبار الطارئة (٢٨) المحاسن (٢٩) الاحاديث وأصله لاحاديث الليل (٣٠) يعيب ويحقر (٣١) بضم الذال ممنوعة من الصرف اسم للشمس

الكونُ من السّواد ، فى لَبُوس حديد [١] أو لِباس حداد . وتَبْرُق نجومُ السّماء فى أكناف الظَّلماء ، كأنّها سِكاك [٢] دِلاص [٣] ، أو فلقُ رَصاص ، أو عيُون جراد ، أو جمرٌ فى خلال رماد ، أو دُرٌّ فى بحر ، أو ثُقبٌ فى قُبَّة الدَّيْجُور [٤] ، يلُوحُ منها النُّور . ويبدو الهلال كأنه خنْجَرٌ من ضياء ، يَشقُّ طيالس الظَّلماء ، أو قِلادة ، أو دُمْلُج [٥] غادةٍ [٦] ، أو سِنان [٧] لواه الضرّاب ، أو اللَّيل فِيلٌ وهو ناب . فنأخذ مجلساً نَسْمه [٨] الكافور ، وأَرْضُهُ عنبر مذُور [٩] ، رُقِمتْ فيه زَرَابىٌّ مبثُوثاتٌ [١٠] ، ومنابذ [١١] وحُسبانات [١٢] ، وأنماطٌ [١٣] مفروشة ، وبُسط منقوشة .

بُسْطٌ أجادَ الرَّسمَ صانعُها ... وَزها عليه النَّقشُ والشَّكلُ

فيكادُ يُقطَفُ من أزْهارها ... وَيكاد يسقط فوْقها النّحلُ

وحوله شموع تَزْهَر ، وأضواءٌ تَبْهر [١٤] ، وقد دَارت عليه سُقاةٌ [١٥] كجُمَّاع [١٦] الثُّريا [١٧] ، بأقداح الحُمَيَّا [١٨] ، وأكوابِ [١٩] الفانيذِ [٢٠] المرَوَّق ، وقوارير [٢١] الجُلّاب [٢٢] المُصفّق [٢٣] . ثمَّ تجىء قَيْنةٌ [٢٤] فى يدها نَايٌ ، كأنه صُور اسرافيل ،

---

(١) بفتح اللام الدرع (٢) جمع سك المسمار (٣) بكسر الدال الذى يبرق ويلمع (٤) الظلام (٥) بكسر الدال وزن درهم او بضمها مع ضم اللام حلى للنساء يلبسنه فى أيديهن (٦) المرأة الناعمة لينة الاعطاف (٧) حديدة الرمح (٨) نسيمه (٩) منشور (١٠) منشورات (١١) جمع منبذة وزن مكنسة الوسادة التى يتكأ أو ينام عليها (١٢) جمع حسبانة الوسادة الصغيرة التى يتكأ عليها أيضا (١٣) جمع نمط ثوب من صوف يطرح على الهودج ذو لون من الالوان (١٤) تزهر وتبهر كلاهما بمعنى تضئ وبابهما منع (١٥) جمع ساق (١٦) بالضم ماجمع وانضم بعضه الى بعض ومراده الغلمان (١٧) سبعة كواكب منضمة بعضها الى بعض (١٨) الخمر والمراد الشراب (١٩) جمع كوب الكوز المستدير الرأس لاعروة له أو لا خرطوم (٢٠) نوع من الحلوى فارسى معرب بانيد (٢١) جمع قارورة مايوضع فيها الشراب من الزجاج (٢٢) ماء الورد فارسى معرب (٢٣) المروق الصافى (٢٤) المغنية

يُحيي الرُّفات (١) ، ويُنْشِرُ (٢) الأموات ، حتى إذا بدَا الضِّياء ، كابتسام الشَّفة اللّمياء (٣) ، دخلنا المضْجَع لنهجَع ، وهَلُمَّ جرًّا (٤) ، فى أيّامنا الأُخرَى .

﴿ وكتبت السيدة وردة اليازجية الى السيدة عائشة تيمور المتوفاة سنة ١٣٠٠ هـ ﴾

سيِّدتى ومَولاتى — أُعرض أننى بينما أنا أَلهجُ بذكر ألطافكم السَّنيَّة ، وأَتنسَّمُ شذا أنفاسكم العَبْقَرِيَّة ، وأترقَّبُ لقاءَ أثرٍ من لَدُنكم يتعلّل به الخاطر ، ويكتحل بإثمِدِ مداده النَّاظر

وصلتْنى مكاتبتكم ، فجلَتْ عن العين أَقْذاءها ، وردَّت إلى النَّفس صَفاءها فتناولْتها بالقلب لا بالبنَان ، وتصفَّحت ما فى طيّها من سحر البَيان — فقلت

هذا الكتابُ الذى هامَ الفؤاد به ياليتنى قَلَمٌ فى كَفِّ كاتبه

ولَعمْرى انه كتاب حوَى بدائع المنثور والمنظُوم ، وتحلّى من دُرر الفصاحة فأخْجلت لديه دَرارى النّجوم ، وقد تطفّلتُ على مقامكم العالى بهذا الجواب ناطقاً بتقصيرى ، وضمَّنتهُ من مَدْح سجاياكم الغرَّاء ، وما يشفع لدى مكارمكم فى قبول معاذيرى ، لا زلتم للفضل معدناً وذُخراً ، وللأَدب كنزاً وفخراً .

﴿ وكتبت السيدة عائشة تيمُور إلى السيدة وردة اليازجية المتوفاة سنة ١٣١٣ هـ ﴾

أَستهلُّ براعةَ سلامٍ حَمَلَ الشَّوقُ رِسالَتهُ ، وتقلَّدَ الشَّفَقُ مانشقَتْ ناشقةُ عَرْفِ الوداد كفالَته . ولو رَضيتُ المجال . فى صدْق المقال ، لَنطَقَ بخالص الوَفاء مِدادُ حرُوفه ، وأقام بأداء التَّحيَّة العَاطِرة قبلَ فضّ خِتام مظْرُوفه . ولعَمرى قد توّجتهْ أزهارُ الثناءِ ، بلآلىء غرَّاء ، كلَّلتهُ زواهر الوَفاء ، من خالص الوداد إلى

(١) الحطام البالى — والمراد الاموات (٢) يحييها (٣) فيها لمى وهى سواد الشفة (٤) معناه إتصال الامر واستدامته

حضرة من لا تزال تستروح الأسماع بنسيم أنبائها صباح مساء، وتتشوّق الأرواح إلى استطلاع بدر إنسانها الكامل أطرافاً وآناء، ومما زادنى شوقاً إلى شوق، حتى لقد شبّ فيه طفل الشفق عن الطوق، اجتلائى حديقة « الورد » القدسيّة، ونافجة الأدب المسكيّة. فيالها من حديقة رمتها أحداقُ الأذهان، فاقتبست نوراً ونوراً وانتشقتها مسامُّ الآذان، فشملت طرباً وسروراً. ومنذ سرّحتُ فى أرجاء تلك اليانعة إنسان العيون، وشرحت بأفكار البصيرة أسرار ذلك الدُّرّ المصون، لم أزل بين طرب أتوشّح بوشاحه، وأتعجّبُ من حسن اختتامه وافتتاحه، وجعلت أغازل من نرجس تلك الروضة عيوناً ملكتْ منّى الحواس، وهصرت من غصون ألفاتها كلّ ممشوقٍ أهيف مياس، وأتأدّبُ فى حضرة وردها، خوفاً من شوكة سلطانها، وأن حياتى بجميل الالتفات ضاحكةٌ عن نفيس جُمانة، وإذا بالياسمين الغضّ قد ألقى نفسه على الثرى، ونادى بلسان الأفصاح: هل لهذه النّضرة نظيرة يا تُرى؟! فأشار المنثور بكفّه الخضيب أن لا نظيرَ لتلك الغادة، ونطقَ الزّنبقُ بلسان البيان: لا تكتموا الشهادة. فعند ذلك صفّق الطيرُ بأكفّ الأجنحة وبشّر، وجرى الماء لإذاعة نبأ السرور فعثرَ بذيل النّسيم وتكسّرَ، وتمايلتْ أغصانها المورقةُ لسماع هذا الحديث، وأخذتْ نسماتها العاطرة فى السّير الحثيث إذاعةً لتلك البشائر فى العشائر، ونشراً لهذه الفضائل التى سارتْ مسير المثل السائر، فقلتُ بلسان الصادق الأمين، بعد تحقيق هذا النبأ اليقين. هكذا هكذا تكون الحديقةُ والاّ. وكذلك كذلك لتُكتب الفضائل وتملى.

وحدّثنى يا سعدُ عنهم فزدْتنى غراماً فزدْنى من حديثك ياسعدُ

فتحمّلْ عنى أيّها الصّديقُ تحيّةً إلى ربّة هاتيك الحديقة، واشرحْ لديها

حديث شغفى بفضلها الباهرِ على الحقيقة ، وأعتذرُ عن كتابى هذا فقد جاء يمشى على استحياء ، وكلّما حرّكه الشّوْقُ يُبطئُهُ الحياء . وكيف وقد حلّ فى منبع الفضائل والمقام الذى لم يدَعْ مقالاً لقائل ، فكأنى انما أهدى الثّمر إلى هَجر ، وأمنَحُ البحرَ الخِضمّ بالمطَر ، أدام الله معالى تلك الحضْرَة ، وزادَها فى كل حال بهجة ونَضْرة ، مالاح جبينُ هلال ، وبلغ غاية الكمال .

« وكتب المرحوم السيد عبد الله النّديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ »

أستاذى وقُدْوَتى ، ومَلاذى وعُمدتى — رَبَّيْتَ فأحسنْتَ . وغذَّيت ، فأسْمنْتَ . مؤدّباً ليثاً ، ولِنت فسوّدتَ ، وجُدتَ فعوّدتَ ، مُهذَّباً غيثاً . وعلّمت فأفهمت ، وأشرت فألهمت غرَض سَهمك . وقدْ نِلْتَ ما أمَّلتَ ، فيمَنْ عليه عوّلت ، بحُسْن فَهْمك .

غلامُك الشّهير بالنّديم مَنْ صارَ فى البيان كالنّسيم

وكيف لا يكونُ لسانى قوسَ البديع ؟ وكلامى السّهم السّريع ؟ وأنت باريه ورَاميه ! أم كيف لا يكون مقامى الحِصنَ المَنيع ؟ وقدْرى العزيزَ الرّفيعَ ؟ وأنت مُعليه وبانيه ! فوجهُ جمالِ العلم أنتَ غُرّته ، وإنسانُ عينِ العلم أنتَ قُرّته ، وحاليه وجاليه . وجَبينُ العقل أنت طُرّته ، وكتاب الفَضْل أنت صُورته ، وطاليه وتاليه .

على بابك العالى من الفضْل رايةٌ على رأْس أرباب المعارفِ تخفقُ
فعلمك جنّاتٌ وحلمك جُنّةٌ وكُلّك خيراتٌ وغَيثُك مُغدِقُ
أرَى غصن من يدْعُوا إلى الفضل نفسه مِنَ الفضْل عُرْياناً وغُصْنك مُورقُ
اذا رُمْت إنشاءً فعَنْ صِدْقِ فكْرة تهادى بأبكارٍ وغيرك يسرقُ

« وكتب أيضاً فى التَّوَدُّد »

بينما أنا راكبٌ لُجَّة بحر الفِكر، مُجِدٌّ فى طلب فريدةٍ بِكر، تارةً أغوص ومَرَّةً أسبَحُ، وآونةً أقفُ وطَوْراً أصفَحُ، لا يقرُّ لى قرَار، ولا يُمكننى الفرار، ولا يقْصر عن طَرْح شِباكى ذراعٌ، ولا يُطوَى لسفينتى شِراع، كلَّما أدركنى المَلل، هاجت علىَّ رياحُ الأمل، حتى دخلتُ فى بحرٍ عَجّاج، مُتلاطم الأمواج، فاقتحمت هذا المركَبَ الصعْب، وتهتُ بين الجزائر والشِّعب، فتعلّقت أفكارى بالسوَّارى والجبال، وبتّ بليلة نجومُها كواحل، لا يُرَى فيها بَرّ ولا سوَاحل، وقلتُ اشتدادُ الأمر يستدعى ضدّه، ولا يأتى الفرَجُ إلا بعد الشدّة ـ وعينيك ما سلَّ سيفها على مَفْرَق مَساهَا، حتى سمعت باسم الله مُجراها ومُرْساها. فكان من تمام حظّى وسعُودى، أن تركتْ لجّة اليَمِّ واستوتْ على الجُودى. وانصرَف خوفى وارتباكى، وبادرتُ بطرْح شِباكى، فاذا هى قَد مُلئت بأصداف الجوْهر، وعلقت بها شَجَرَة العنبر، فتفتّح الصَّدف عن دُرٍّ يستخدمُ الأقمار، وفاح العنبرُ بما أذهب شذىّ الأزهار.

وصرت ما بينها كِسرى الزَّمانِ له ... شمسٌ تُنادمهُ فى مجلِس عطر
ونِلتُ أقصى أمانٍ كنت آمُلها ... الأُنس فى خلَدى والنُّور فى نظرى

ولما جلوْت الطَّرْف، بما فيها من الظَّرْف، ووقعت عندى الموْقع الحسن، أردت أن أسومَها بثَمَن، فاذا هى دُرَّة يتيمة، لا يقدِر لها أحدٌ على قيمة. فاستهديتها من ربِّها، لشغفى بحبّها، وجعلت القلبَ لها كنزاً، والفؤادَ لها حِرْزاً، ألا وهى ((محبَّة العزيز الحافظ)) أبدع مرئىٍّ وأبلغ لافظ.

« وكتب ابراهيم بك المويلحى المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ يعزِّى محموداً باشا البارودى »

أنت يافوق أن تُعزَّى عن الأحبا ب فوق الذى يُعزّيك عقلا
وبألفاظك أهتدى فاذا عزّا ك قال الذى له قُلت قبلا
وقتلت الزَّمان علماً فما يغ رب قولاً ولا يُجدّد فعلا

نَعم إنك يا « محمود » الخصال و « سامى » الفِعَال ، لأنْتَ الشهم المُجرِّب الصُروف الحدَثان ، والعالم الخبير بأحوال الزَّمان ، قد أعْدَدْتَ لنوازل المقدُور ، نُزُلاً من الصَّبر المأجور ، وصرفت ضيف الشُّجون والهُموم ، إلى قُرى الفضائل والعلوم ، وأخذت بسُنة السلَف الصالح ، فى مُقابلة الخطوب الفَوادح ، وأنت لاشك عندنا آخذ فيما دهمك اليوم من المصاب العظيم ، بسيرة ذاك الفَيلسوف الحكيم بين هو جالسٌ يوماً فى الدّرس بين تلاميذه ، إذ جاءه من أخبره بأنّ ابنه الوَحيد مات ، وهو رَطْب الشباب غضّ العُمر ، فلم يتولَّه الفزَع ، ولم يظهر عليه الاضطرابُ ، ولم يَبدُ على وجههِ الكدَر ، وما زاد على أن استرجع ، واستمرّ فى قراءة درسه كما كان . فلمَّا انتهى منه بادره أحد الحاضرين من أصحابه ، ممَّن حيَّرتهم الدّهشة فى أمره ، يسأله : كيف لم يسلبه الحُزنُ ثوب الثَّبات بُرهةً عند مُفاجأته بالخبر ؟ فقال له : « لو فاجأتنى النَّازلةُ على غِرَّة منّى لجزعْتُ وحزنت ، ولكنّى ما زلتُ أُقدّرُ لابنى مُنذُ يوم ولادتهِ ، حُلول أجله فى كلّ يوم من أيام حياته ، ولمثلِ هذا اليوم كنت أعدّه من زمانٍ طويلٍ ، وكان كلما مضى عام من أعوامه اعتبرْتهُ خُلسة اختلَسْتها من الدَّهر ، حتى مضى على هذه العارية عشرُون عاماً ، فشُكرى للهِ اليوْم على أن أبقاها فى يدى طُولَ هذه المدَّة ، يوم مقام الحُزْن عندَ غيرى لدى استردادها » وعن النَّبى ﷺ « إذا ماتَ ولدُ العبد قال الله تعالى للملائكة : أقَبَضْتم ولدَ عبدى؟

فيقولون : نعم . فيقول : أقبضتُم ثمرَة قلبه ؟ فيقولون : نَعم . فيقولُ الله تعالى : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدَك واسترجع . فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة : وسمُّوه بيت الحمد » وأنت يامحمود ـ صلوات الله عليك ورحمتهُ لقوله تعالى « ولنبلوّنكم بشىءٍ من الخوْف والجُوع ونَقصٍ من الأموال والأنفُس والثّمرات ، وبشِّر الصَّابرين الذين اذا أصابتهم مُصيبةٌ قالوا إنَّا لله وإنَّا اليهِ رَاجعون ، أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورَحمةٌ ، وأولئك هُمُ المُهتدُون » — أوَّل مَنْ يمتثل لحكم القضاء ، ويَسترجعُ عندَ نزُول البلاء ، ويمملُ بأدب الدين فى التَّجلُّد والتَّصبّر ويأخذُ بسيرة الحكماء فى التدّبر والتبّصّر

ومن كان ذا نفس كنفسك حُرَّة ففيه لها مُغن وفيها له مُسل

وكتب سهل [1] بن هرون المتوفى سنة ٦٤٩ هـ فى البخل

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمْركم ، وجمع شَمْلكم ، وعَلَّمكم الخير ، وجعلَكم من أهله . قال الأحنف بن قيس : يامعشر بنى تميم ، لا تُسْرِعوا الى الفتنة ، فان أسرع الناس الى القتال ، أقلّهم حياء من الفِرار . وقد كانُوا يقولون : اذا أردت أن تَرَى العيوب جَمّة ، فتأمّل عَيّابا . فانه إنما يَعيب الناس بفضل ما فيه من العَيْب . ومِن أعْيب العيب أن تَعيب ما ليس بعيب . وقبيح أن تَنْهى مُرْشِدا ، وان تُغْرَى بمُشفِق وما أردْنا بما قلنا إلا هِدايتكم وتقويمكم ، واصلاح فاسدكم ، وإبقاء النعمة عليكم

(١) هو من أبناء الفرس وكان من رجالات البلاغة والعلم والحكمة فى دولتى الرشيد والمأمون وقد وضع كتابا حاكى به كتاب « كليلة ودمنة » وسماه « ثعلة وعفرة » وكان قيم بيت الحكمة (مديردار الكتب) فى عهد المأمون .

وما أخطأنا سبيل حُسن النّيّة فيما بيننا و بينكم . وقد تعلمون أنّا ما أوصينا كم إلا بما اخترناه لكم ، ولأنفسنا قبلكم ، وشُهِرْنا به فى الآفاق دونكم ؛ ثم نقول فى ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : « وما أُرِيد أن أخالِفكم الى ما أنْهاكم عنه ، إن أريدُ إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكّلت واليه أُنيب » فما كان أحقَّنا منكم فى حُرْمَتِنا بكم ، أن تَرْعَوْا حقَّ قَصْدِنا بذلك اليكم على ما رَعَيْناه من واجب حقكم ، فلا العُذْر المبسوط بَلَغْتم ، ولا بواجب الحرمة قمتم . ولو كان ذكر العيوب يراد به فخر ، لرأينا فى أنفسنا عن ذلك شُغلا .

عِبْتمونى بقولى لخادمى : « أجِيدى العَجِين فهو أطيب لطَعْمه ، وأزْيَد فى رَيْعه[1] » . وقد قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : « [2]أملِكوا العجين فإنه أحد الرَّيْعين »

وعِبْتُمونى حين ختَمتُ على ما فيه شىء ثمين من فاكهة رَطْبَة نَقِيَّة ، ومن رُطَبَة غريبة ، على عَبْدٍ نَهِم ، وصَبِىّ جَشِع ، وأمَة لَكْعاء[3] ، وزوجةٍ مُضيعة وعبتمونى بالختم . وقد ختَم بعض الأئمة على مِزْود سَوِيق[4] وعلى كِيس فارغ . وقال : « طِينة خير من طَيَّة[5] » فأمسكتم عمَّن ختم على لا شىء ، وعِبْتُم من ختم على شىء :

وعِبتمُونى أنْ قُلت للغلام : « إذا زدتَ فى المرَق فزِدْ فى الإنضاج ، ليجتمع مع التَّأدّم باللحم طيب المرق » .

وعِبتمُونى بخَصْف[6] النعل ، وبتَصدِير[7] القميص . وحين زَعمت أن

---

(١) الريع : النماء والزيادة . (٢) املاك العجين : انعام عجنه . (٣) اللكعاء : الحمقاء .
(٤) المزود : وعاء الزاد . والسويق : طعام يتخذ من الحنطة أو الشعير . (٥) طينه من طان الشىء أى ختمه بالطين و(طيه) من الطوى وهو الجوع (٦) خصف النعل : خرزها .
(٧) تصدير القميص : أن يجعل لصدره بطانة .

المَخْصُوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبهَ بالشدّ ، وانّ التَّرقيع من الحَزْم ، والتَّفْريط من التَّضْييع. وقد كان رسول الله ﷺ يَخْصِف نعله ويُرَقِّع ثوبه ، ويقول : «لو أُهدى إلىّ ذِرَاع لقبلت ، ولو دُعِيت إلى كُرَاع لأجبت » . وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يَلْبَس الخَلَق . وبعث زياد رجلا يرتاد له مُحَدّثا ، واشترط عليه أن يكون عاقلا . فأتاه به موافقا ، فقال له : أكُنت به ذا معرفة ؟ قال : لا . ولكنّى رأيته فى يوم قائظ ، يَلْبَس خَلَقا ، ويَلْبَس الناس جديدا . فتَفَرَّست فيه العقل والأدب . وقد علمت أن الخَلَق فى موضعه ! مثل الجديد فى موضعه . وقد جعل الله لكل شىء قَدْرا ، وسما به موضِعاً . كما جعل لكل زمان رجالا ، ولكل مقام مقالا . وقد أحيا الله بالسّم ، وأمات بالدّواء ، وأغصّ بالماء . وقد زعموا أن الاصلاح أحد الكاسبين كما زعموا أن قِلّة العيال أحد اليسارين . وقد جَبر الأحنف بن قيس يدَ عَنْز ، وأمر مالك بن أنس بفَرْك النَّعْل . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكل بَيْضة فقد أكل دجاجة . ولبس سالم بن عبد الله جِلْد أُضحية . وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أُهدى اليك دَجاجة . فقال : ان كان لابد فاجعلها بَيُوضا .

وعِبْتُمونى حين قلت : من لم يَعرف مواضع السَّرَف فى الموجود الرخيص لم يَعرف مواضع الاقتصاد فى الممتنع الغالى . ولقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية وأشَدّ من الكفاية ، فلما صِرْت الى تفريق أجزائه على الأعضاء ، وإلى التَّوْفير عليها من وَضيعة [1] الماء ، وجدْت فى الأعضاء فَضْلا عن الماء . فعلمت أنْ لَوْ كنت سَلَكت الاقتصادَ فى أوائله ، لَخَرَج آخره على كِفاية أوّله ، ولكان نصيب الأوّل كنصيب الآخر . فعبتموني بذلك وشَنّعتم علىّ ؛ وقد قال الحسن : وذكر

(١) الوضيعة هنا : النقص .

السّرف : « أمَا إنه لَيكونُ فى الماء ، والكلأ » . فلم يَرْض بذكر الماء حتى أردفَه الكَلأ .

وعبتمونى أن قلت : لا يَغْترّنَّ أحدكم بطول عمره ، وتقويس ظهره ، ورِقّة عَظْمه ، ووهْن قوّته . وأن يَرَى نحوه أكثر ذُرِّيّته ، فيدعوُه ذلك إلى إخراج ماله من يده ، وتحويله إلى ملك غيره ، وإلى تحكيم السَّرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ، فلعلّه يكون مُعَمّرا وهو لا يدرى ، ومَمْدودا له فى السّن وهو لا يَشْعُر . ولعلّه أن يُرْزَق الولدَ على اليأس ، ويَحْدُث عليه من آفات الدهر ، ما لا يخْطُر على بال ولا يُدْرِكه عقل . فيستردّه ممّن لا يردّه ، ويُظْهِر الشكوى الى من لا يرحمه ، أصْعَبَ ما كان عليه الطَّلب ، وأقْبَح ما كان به أن يُطلب ؛ فعِبْتُمونى بذلك . وقد قال عمرو بن العاص :

اعْمَلْ لدنياكَ كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

وعِبْتمونى بأن قلت : بأن السَّرَف والتّبذير إلى مال المواريث ، وأموال الملوك . والى مالا يُعرَّض فيه بذهاب الدين . واهتِضَام العِرْض . ونَصَب البَدَن . واهتضام القلب أسْرع ، وأن الحفظ للمال المكتسب ، والغنىَ المجتلَب أقرب . ومن لم يَحْسُب نفقته لم يَحْسُب دخله . ومن لم يَحْسُب الدخل ، فقد أضاع الأصل . ومن لم يعرف للغنىَ قدره ، فقد أُوذِن بالفقر ، وطاب نفسا بالذلّ .

وعِبْتُمونى بأن قلت : إنّ كَسْب الحلال ، يَضْمَن الانفاق فى الحلال . وإن الخَبِيث يَنْزِع الى الخبيث ، وإن الطّيّب يدعو الى الطّيب ، وإن الإنْفاق فى الهوى حِجاب دون الهُدى ، فعِبتُم علىّ هذا القول . وقد قال معاوية : لم أرَ تبذيراً قطّ إلا وإلى جَنْبِه تَضْييع . وقد قال الحَسَن : إن أردتم أن تَعْرِفوا من أين أصَابَ

الرجل ماله ، فانظروا فيماذا يُنفقه . فان الخبيثَ إنما يُنفق فى السّرَف . وقلت لكم بالشَّفَقة عليكم ، وحُسْن النّظر منّى لكم ، وأنتم فى دار الآفات ، والْجوائح غير مأمونات . فإن أحاطت بمال أحدكم آفة لم يَرْجع إلا الى نفسه . فاحذروا النِّقم باختلاف الأمكنة . فإن البليّة لا تجرى فى الجميع ، إلا بموت الجميع .

وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى العبد والأَمَة . والشّاة والبعير : فرّقوا بين المنايا . وقد قال ابن سِيرين لبعض البَحْريين : كيف تَصْنَعُون بأموالكم ؟ قالوا : نُفرّقها فى السُّفن : فإن عَطِب بَعْض سلم بَعْض . ولو لا أنّ السّلامة أكثر ماحَمَلْنا أموالنا فى البحر . قال ابن سِيرين : « تَحْسبها خَرْقاء وهى صَنَاع (١) » .

وعِبْتُمونى بأنْ قلت لكم عند إشْفَاقى عليكم : إن للغنى لَسُكْرا ، وللمال لنَزْوة (٢) . فمن لم يَحفَظ الغنى من سكره ، فقد أضاعَه ، ومن لم يَرْتَبِط المالَ بخوف الفقر ، فقد أهْمَله .

فَعِبْتمونى بذلك ، وقد قال زيد بن جَبَلَة : ليس أحد أقصر عقلا من غَنِىّ أَمِنَ الفقر . وسُكر الغِنى أكثر من سُكر الخَمْر . وقد قال الشاعر فى يحيى بن خالد بن بَرْمَك :

وَهُوبُ تِلادَ المال فيما يَنُوبه مَنُوعٌ اذا ما منعه كان أحزما

وعبتمونى حين زَعَمْتُم أنّى أُقدِّم المال على العلم ، لأن المال به يُفاد العلم ، وبه تقوّم النفس ، قبل أن تعرف فضل العلم . فهو أصل ، والأصل أحقّ بالتفضيل من الفرع . فقلتم : كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : آلأغنياء أفْضَل أم العلماء ؟ قال : العلماء . قيل له : فما بال العلماء يأتُون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء

(١) هذا مثل يضرب لمن تظن فيه الغفلة هو فطن يقظ . (٢) النزوة : الثورة ـ أو الوثبة

أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لِمَعْرِفة العلماء بفضل المال ، وجهل الأغنياء بحق العلم فقلت : حالهما هى القاضية بينهما . وكيف يَسْتَوِى شىء حاجةُ العامة اليه ؟ ؟ وشىء يَغْنَىَ فيه بعضهم عن بعض .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأْمُر الأغنياء باتّخاذ الغَنَمَ ، والفقراء باتّخاذ الدّجاج . وقال أبو بكر رضى الله عنه : إنى لأبغض أهل بيت يُنْفِقُون نفقة الأيام فى اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدُّؤلى يقول لولده : اذا بَسَط الله لك الرزق فابْسُط . واذا قبض فاقْبِض .

وعِبتمونى حين قلت : فضل الغنى على القوت ، إنما هو كفضل الآلة تكون فى البيت ، اذا احْتِيجَ اليها استُعمِلت ، و إن اسْتُغْنِى عنها كانت عُدَّة . وقد قال الُحضَيْن بن المُنْذِر : وَدِدْت أنّ لى مثل أُحد ذهبا لا أنْتفع منه بشىء . قيل له فما كنت تصنَع به ؟ قال : لكثرة من كان يَخْدُمنى عليه ، لأن المال مخدوم . وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الغِنَى : فلو لم يكن فيه إلا أنه عِزّ فى قلبك وذُلّ فى قلب عَدُوّك ، لكان الحظّ فيه جسيما ، والنّفع فيه عظيما .

ولسنا ندع سيرة الأنبياء ، وتعليم الخلفاء ، وتأديب الحكماء ، لأصحاب اللهو ولستم علىّ تردّون ، ولا رأيى تُفَنِّدون . فقَدّموا النَّظر قبل العَزْم ، وأدرِكوا مالكم قبل أن تُدْرِكوا مآلكم . والسلام عليكم .

﴿ الكلام على الرسالات العلمية ﴾

أَلرِّسالات العلمية ، هى : مقالاتٌ فى المطالب العلمية ، أو المسائل الأدبية ، وانّما سمِّيت بالرِّسالات ، لأن أصحابَها يُرْسلونها إلى مَن اقترحها عليهم ، و يسلك فيها

صاحبها مناهج الاسترسال ، والمخاطبات البليغة . وقد أفردنا لها كتابنا « أسلوب الحكيم ـ فى منهج الأنشاء القويم » فارجع اليه إن شئت .

﴿ الفن الثانى فى المناظرات ﴾

للمناظرة ثلاثة شروط (الأول) أن يُجمَع بين خصمين متضادَّين ، أو مُتباينين فى صفاتهما ، بحيث تظهر خواصُّهما بالمقابلة . كالرَّبيع ، والخريف ، والصيف ، والشتاء (والثانى) أن يأتى كلٌّ من الخصمين فى نُصرته لنفسهِ ، وتَفنيد مزاعم قِرْنه ، بأدلّة من شأنها أن تَرفَع قَدْره ، وتَحُطّ من مقام الخَصم ، بحيث يميل بالسّامع عنه اليه (والثالث) أن تُصاغ المعانى والمراجعات صوغاً حسناً ، وتُرَتّبَ على سِياق مُحكَم ليزيد بذلك نشاط السّامع ، وتَنمى فيه الرّغبة فى حلّ المشكل .

ولنذكر لك عليها شذرات من أقوال الكُتّاب فنقول :

﴿ مناظرة النُّعمان بن المنذر وكِسرى أنو شِرْوان فى شأن العرب ﴾

رَوى ابن القُطامى عن الكَلْبى قال : قَدِم النّعمان بن المنذر على كِسرى : وعنده وُفود الرُّوم . والهند . والصّين . فذكروا من ملوكهم و بلادهم ـ فافتخرَ النّعمان بالعرب وفضّلهم على جميع الأمم ، لايَستَثْنى فارسَ ولا غيرها ، فقال كِسرى وأخذَته عِزّة المُلك : يانعمان ، لقد فكّرْتُ فى أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت فى حالة من يَقْدِم علىَّ من وفُود الأُمم — فوجدت للرُّوم حظًّا فى اجتماع أُلْفتها ، وعِظم سُلطانها ، وكثرة مدائنها ، ووَثيق بُنيانِها . وإنّ لها دِيناً يُبيِّن حلالَها وحرامها ، ويردّ سَفيهها ويقيم جَاهها — ورأيت الهند نحواً من ذلك فى حِكمتها وطِبِّها ، مع كثرة

أنهار بلادِها وثمارها ، وعجيب صناعتها ، وطِيب أشجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددِها . وكذلك الصِّين فى اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها ، وفُروسيّتها ، وهِمَّتها فى آلة الحرب وصناعة الحديد ، وانَّ لها مُلكاً يَجْمَعُها - والتُّرك والخزرُ على مابهم من سوء الحال فى المعاش ، وقِلة الرّيف والثِّمار والحُصون ، وماهو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لَهم ملوك تَضمّ قَواصِيَهُم ، وتُدَبِّر أمرهم - ولم أرَ للعرب شَيئاً من خصال الخير فى أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوّة . ومع أن مما يَدُلّ على مهانتها وذُلها ، وصِغَرِ هِمَّتها ، محِلَّتهم التى همْ بها مع الوحوش النَّافرة ، والطير الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مَطَاعِم الدُّنيا وملابسها ومَشارِبها ولَهْوها ولذّاتها . فأفضل طعام ظَفر به ناعِمهم لحُوم الإبِل التى يَعافها كثير من السّباع لِثقلِها ، وسوء طعمها ، وخوف دائها ، وان قَرى أحدُهم ضيفاً عدَّها مكرُمَةً ، وان أُطعم أكلة عدَّها غنيمة ، تنْطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم (ما خلا هذه التّنُوخية التى أسَّس جَدّى اجتماعَها وشدّ مملكتها . ومنَعها من عَدُوّها ، فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا ، وان لها مع ذلك آثاراً ولبُوساً ، وقرَى وحصُوناً ، وأُموراً تشبه بعض أمور النَّاس . يعنى (اليمن)

ثم لا أراكم تَستكينون على ما بكم من المَذَلّة ، والقلّة . والفاقة . والبُؤْس . حتى تفتخرُوا ، وتريدوا أن تنزلوا فوْق مراتب الناس —

قال النعمان : أصلح الله الملك . حَقّ لأُمة ، الملكُ مِنها أن يَسمُوا فضلها ، ويَعْظُمَ خَطرُها ، وتعلُوا درجتها ، إلاّ أنّ عندى جَواباً فى كل ما نطق به الملك فى غير ردٍّ عليه ، ولا تكذيب له ، فان أمَّنَنى من غضبه نَطقْتُ به ، قال كسرى : قلْ فأنتَ آمن ، قال النعمان : أما أُمتك أيها الملك : فليست تنازعُ فى الفضل لموضعها الذى

هِيَ به ، من عقولها وأحلامها وبَسطة محلّها ، وبُحبوحة عزّها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأمّا الامم التى ذكرْتَ فأيّة أُمَّة تقرنها بالعَرَب إلاّ فضلتها .

قال كسرى : بِمَاذا ؟ قال النعمان : بعزّها ومنعتها ، وحُسن وجُوهها وبأْسها وسخائها وحِكْمة ألسنتها ، وشدَّة عقولها وأنفتها ووَفائها .

فأمّا عِزّها ومَنعتها ، فانها لم تَزَل مُجاوِرَة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ، ووَطّدُوا المُلك ، وقادوا الجُنْد ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينَلْهم نائل . حُصونُهم ظهُور خيلهم ومِهادُهم الأرض ، وسقُوفُهم السماء ، وجُنَّتُهم السُّيوف ، وعُدَّتهم الصَّبر — إذْ غَيْرُها من الأمم . انما عِزُّها الحِجارة والطّين ، وجَزائر البُحُور .

وأما حُسْن وُجوهها وألوانها ، فقد يُعرَف فَضْلهم فى ذلك على غيرهم من الهند المُنحرَفة ، والصِّين المُنْحَفة ، والتُّرْك المشوّهة ، والرُّوم المُقشّرة .

وأما أنْسابُها وأحسابُها ، فليست أُمَّة من الأمم الا وقد جَهِلت آباءها وأصولها وكثيراً من أوّلها ، حتى ان أحدَهم لَيُسئل عمّن وراء أبيه دُنيا فلا يَنْسبُهُ ، ولا يَعرفه وليس أحد من العرَب الا يُسمِّى آباءه أباً فأباً . حَاطُوا بذلك أحسابَهم ، وحفِظوا به أنسابَهم ، فلا يدخل رجل فى غير قومه ، ولا يَنْتسب إلى غير نسبه ، ولا يُدعى إلى غير أبيــه .

وأما سخاؤها : فانّ أدْناهم رَجُلا الذى تكون عنده البَكْرة والنَّاب ، عليها بلاغه فى حَموله ، وشِبعه وريّه ، فيَطرُقه الطارِق الذى يكتفى بالفَلْذة ، ويَجتزِى بالشَّرْبة ، فَيعقرها له ، ويرْضى أن يَخرج عن دنياه كلّها ، فيما يكسبه حُسن الأحدوثة ، وطَيّبَ الذِّكر .

وأما حِكمة ألسنتهم : فان الله تعالى أعطاهم فى أشعارهم ، ورَونق كلامهم وحسنه

وَوَزْنه . وقوافيه ، مع معرفتهم بالأشياء وضرْبهم للأمثال وابلاغهم فى الصفّات ما ليس لشىءٍ من ألسنة الأجناس - ثمّ خيلُهم أفضل الخيْل ؛ ونِساؤهم أعفّ النّساء ولباسُهم أفضل اللّباس ، ومَعادِنُهم الذّهب والفضّة ، وحجارة جبالهم الجَزْع ومَطاياهم التى لا يُبْلغ على مِثْلها سفَرٌ ، ولا يُقْطع بمثلها بلدٌ قفْرٌ .

وأمّا دِينها وشَريعتها : فانهم مُتمسكون به ، حتّى يبلغ أحدُهم من نُسُكه بدينه أنّ لهم أشْهُراً حرُما ، وبلدًا مُحرَّما ، وبَيتاً مَحْجُوجا ، ينسكونَ فيه مناسكَهُم ، ويَذبَحُونَ فيه ذَبائحهم ، فيَلقَى الرَّجلُ قاتلَ أبيه أو أخيه ، وهو قادر على أخذ ثاره وإدْراك رَغمه منهُ ، فيَحْجُزُهُ كرَمُه ، ويَمنعُه دينُه عن تَناوله بأذى .

وأمّا وَفاؤها : فانّ أحدَهم يلحظ اللّحظةَ ، ويُومىء الإيماءَةَ : فهى وَلْتٌ (أى عَهدٌ) وعُقدَةٌ لا يحلُها إلا خُروج نفسه ، وإنّ أحدَهم يَرفعُ عُوداً من الأرض فيكون رَهناً بدينه ، فلا يَغلق رهنُه ، ولا تخفر ذِمّته . وإنّ أحدَهم ليَبْلُغه أنّ رجلاً استَجارَ به ، وعَسى أنْ يكون نائياً عن دَاره فيُصاب فلا يرضى ، حتى يُفْنِى تلك القبيلة التى أصابته ، أوْ تَفْنَى قبيلته لما أُخْفِر منْ جوَاره . وإنه ليلجأ إليهم المجرِم المحْدِث من غير معرفة ولا قرَابة ، فتكون أنفُسهم دُون نفسه ، وأموالهُم دُون ماله

وأمّا قولك أيها الملك يئِدُون أوْلادهم فانما يفعله من يفعَله منهم بالإناث أنفَة منَ العار ، وغَيرَة منَ الأزواج .

وأما قولُك إنّ أفضل طعامهم لُحوم الإبل على ما وَصَفْت منها ، فما تركوا ما دُونها الا احتقارا له ، فعَمدُوا إلى أجلّها وأفضلها ، فكانت مرَاكبهم وطَعامهم مع أنها أكثرُ البَهائم شُحوماً ، وأطيَبُها لُحوماً ، وأرَقُّها ألباناً ، وأقلها غائلة ، وأحلاها مَضغة ، وانه لا شىءَ من اللّحمان يُعالج ما يُعالج به لحمُها الا استبان فَضلُها عليه .

وأما تحاربُهم وأكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أنِسَت من نفسها ضعفاً، وتخوّفت نهوض عدُوّها اليها بالزّحف، وانّه انما يكون فى المملكة العظيمة أهلُ بيتٍ واحدٍ يُعرَف فضلُهم على سائر غيرهم، فيلقونَ اليهم أمورَهم، وينقادُونَ لهم بأزمّتهم.

وأما العرب فانّ ذلك كثيرٌ فيهم، حتّى لقد حاوَلُوا أن يكونوا مُلوكا أجمعين مع أنفَتهم من أداء الخَرَاج والوَطْث (أى الضَّرْب الشّديد بالرّجل على الأرض) بالعَسف.

وأما اليمن الّتى وَصفَها الملك، فإنما أتى جدّ الملك اليها الذى أتاه عند غلبة الجيش له على مُلكٍ مُتّسق، وأمرٍ مُجتمع، فأتاه مسلوباً طريداً مُستصرخاً. ولَوْلا ماوُتِر به مَنْ يليه من العرَب لمال الى مجال. ولَوجَدَ مَنْ يُجيد الطّعان، ويَغْضَب للأحرار، من غَلبة العَبيد الأشرار.

قال: فعجب كسرَى لمَا أجابه النعمان به، وقال: انك لأهلٌ لموْضعك من الرّياسة فى أهل إقليمك: ثم كساه من كسوته وسرّحه إلى موْضعه من الحيرة.

فلمّا قدِم النعمان الحيرة وفى نفسه مافيها مما سمع من كسرى من تنقُّص العرَب وتهجين أمرِهم، بعثَ إلى أكثم بن صَيفى. وحاجِب بن زُرارة التميميَيْن، والى الحارث بن ظالم. وقَيس بن مسعُود البَكريّين، وإلى خالد بن جعفر. وعلْقمة بن عُلاثة. وعامر بن الطُّفيل العامريين، والى عَمرو بن الشَّريد السُّلَمى، وعمرو بن معْديكرِبَ الزُّبيدى، والحارث بن ظالم المُرّىّ - فلما قدِمُوا عليه فى الخوَرْنق قال لهم قد عرفتم هذه الأعاجم، وقُرْب جِوَار العرَب منها، وقد سمعتُ من كسرى مقالات، تَخوّفت أن يكُون لها غوْرٌ، أو يكون انّما أظهرَها لأمرٍ أراد أنْ يتّخذ به

العرب خولاً كبعض طماطمته فى تأديتهم الخراج اليه ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله ـ فاقتص عليهم مقالات كسرى ، ومارد عليه فقالوا : أيها الملك وفقك الله ما أحسن ما رددت ، وأبلغ ما حججته ، فمرنا بأمرك ، وادعنا إلى ما شئت .

قال : انما أنا رجل منكم ، وانما ملكت وعززت بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم ، وليس شيء أحب إلى مما سدد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزكم — والرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط ، وتنطلقوا إلى كسرى فاذا دخلتم : نطق كل رجل منكم بما حضره ، ليعلم أن العرب على غير ما ظن ، أو حدثته نفسه ، ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه ، فإنه ملك عظيم السلطان ، كثير الأعوان ، مترف معجب بنفسه ، ولا تتخذلوا له انخذال الخاضع الذليل ، وليكن أمر بين ذلك ، تظهر به دماثة حلومكم ، وفضل منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام (أكثم بن صيفى) ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التى وضعتكم بها ، فانما دعانى إلى التقدمة اليكم علمى بميل كل رجل منكم الى التقدم قبل صاحبه ، فلا يكونن ذلك منكم فيجد فى آدابكم مطعناً ، فانه ملك مترف ، وقادر مسلط ، ثم دعا لهم بما فى خزائنه من طرائف حلل الملوك وأعطى كل رجل منهم حلة . وعممه عمامة ، وختمه بياقوتة ، وأمر لكل رجل منهم بنجيبة مهرية ، وفرس نجيبة ـ وكتب معهم كتاباً .

أما بعد ـ فان الملك ألقى إلى من أمر العرب ماقد علم ، وأجبته بما قد فهم مما أحببت أن يكون منه على علم ، ولا يتلجلج فى نفسه أن أمة من الأمم التى احتجزت دونه بملكتها ، وحمت مايليها بفضل قوتها ، تبلغها من الأمور التى يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة ـ وقد أوفدت أيها الملك رهطاً

من العرب ، لهم فضل فى أحسابهم وأنسابهم ، وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك وليُغمض لا عن جفاء إن ظهر من منطقهم ، وليكرِمْنى باكرامهم ، وتعجيل سراحهم

وقد نسبتهم فى أسفل كتابى هذا الى عشائرهم .

فخرج القوم فى أهبتهم :حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا اليه كتاب النعمان ، فقرأه وأمر بانزالهم الى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم ـ فلمّا أن كان بعد ذلك بأيام ، أمر مرازبته ، ووجوه اهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسى عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الولاء ، والمراتب التى وصفهم النعمان بها فى كتابه وأقام الترجمانَ ليؤدّى إليه كلامهم ، ثم أذن لهم فى الكلام

فقام أكثم بن صيفى فقال : إنّ أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرِّجال ملوكها وأفضل الملوك أعمّها نفعاً ، وخيرُ الأزمنة أخصبُها ، وأفضل الخطباء أصدقها .

ألصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشّر لجاجة ، والحزم مركب صعب والعجز مركب وطئ — آفةُ الرَّأى الهوَى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصَّبر . حُسن الظّنّ وَرْطة ، وسوء الظَّنّ عِصمة . إصلاح فساد الرّعية خيرٌ من إصلاح فساد الرَّاعى ، مَن فسدت بطانته كان كالغاصّ بالماء .

شرُّ البلاد بلاد لا أمير بها ، شرُّ الملوك من خافه البرىء ، المرءْ يعجز لا المحالةَ ، أفضل الأولاد البررة ، خيرُ الأعوان من لم يُراء بالنَّصيحة ، أحقّ الجنود بالنَّصر من حسُنتْ سريرته ، يكفيكَ من الزَّاد ما بلّغك المحلّ ، حسبُكَ من شرّ سماعُه ، الصَّمتُ حِكَم وقليلٌ فاعله ، البلاغة الإيجاز ، مَن شدَّد نفَّر ، ومن تراخى تألّف . فتعجّب كسرى من أكثم ـ ثم قال : ويْحك ياأكثم ما أحكمك وأوثق كلامك ! لولا وضعُك كلامك فى غير موضعه . قال أكثم : الصِّدْق يُنْبىء

عنك لا الوَعيد ، قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أكثم : ربَّ قولٍ أنفذُ من صَوْل .

ثم قام حاجب بن زرارة التَّميمى وقال : وَرَى زَنْدُك ، وَعلت يدُك ، وهيبَ سُلطانُكَ ـ انَّ العربَ أمّة قد غَلُظَتْ أكبادُها ، واستحصدَتْ مِرَّتُها ، ومُنعَت درَّتها ، وهى لك وامقةٌ ما تألَّفتَها ، مُسترسلةٌ ما لاَ ينتَها ، سامعة ما سامَحتها ، وهى العَلقم مَرارة ، وهى الصّاب غضاضة ، والعسل حلاوة ، والماء الزُّلال سَلاَسَة .

نحنُ وفودُها اليك ، وألْسنتها لديك ، ذِمَّتُنا محفوظة ، وأحسابُنا ممنوعة وعَشائرنا فينا سامعة مُطيعة ، إنْ نؤُب لكَ حامِدين خيراً ، فلكَ بذلك عموم محْمَدَتنا ، وإن نَذُمَّ لم نُخصَّ بالذَّمّ دُونها ـ قال كسرى : ياحاجب ، ما أشبه حَجر التِّلاَل بألوَان صَخرها ـ قال حاجب : بل زَئير الأسْد بصَولتها ـ قال كسرى : ذلك ثم قام الحارث البكرى فقال : دَامت لك المملكة باستكمال جزيل حظِّها ، وعلوّ سَنائها — من طال رَشاؤُهُ كثُرَ متحُه (١) ، ومن ذهبَ مالهُ قَلّ مَنحه ، تَناقُل الأقاويل يُعرِّف اللُّبَّ ، وهذا مقام سيُوجَف (٢) بما تَنْطِق به الرَّكْب ، وتعْرف به كُنْه حالِنا العجَم والعرَب ، ونحن جيرانُك الأدْنون ، وأعْوانُك المُعينُون . خيُولُنا جمة ، وجيُوشُنا فَخمة ، إن آستَنْجَدْتنا فغير رُبْض ، وإن استَطرَقْتَنا فغيْر جُهض ، وإن طلبتنا فغير غُمض ، لا نَنْثَنى لذُعر ، ولا نتنكَّر لدَهر ، رِماحُنا طِوَال ، وأعْمارنا قصار ، قال كسرى : أنفسٌ عزيزة وأمَّة ضعيفة . قال الحارث : أيها الملك وأنَّى يكون لضعيف عزّة أو لصغير مِرَّة ؟ (٣) قال كسرى : لو قصُر عُمرُك لم تَستوْل على لِسانك نفسُك ، قال الحارث : أيُّها الملك ، إن الفارس إذا حمل نَفْسَهُ على الكتيبة ، مُغرِّراً

(١) المتح ـ الاستقاء (٢) أو جفته ـ أعديته أى اجريته (٣) مرة . قوة

بنفسه على الموت ، فهى مَنيَّة استقبلها ، وجنانٌ استدْبَرَهَا — والعرَب تعلم أنِّى أبْعث الحرب قُدُماً ، وأحبسها ، وهى تَصرّف بها[1] حتى إذا جاشَتْ نارُها ، وسَعرَتْ لَظاهَا ، وكشفَتْ عن ساقِها ، جعلْتُ مقَادها رُمْحى ، وبَرْقَها سَيفى ، ورَعْدَها زئيرى ولم أُقصِّر عن خوْض خَضخاضِها ، حتى أنْغمس فى غمرات لُجَجِها ، وأكون فُلكاً لِفُرْسانى إلى بُحبُوحة كَبْشها ، فأستَمْطِرُها دَما ، وأترُكُ حُماتَها جزر السِّباع ، وكلِّ نسرٍ قَشْعم ، ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أكذلك هُو ؟ قالوا : فعالهُ أنطَق من لسانه ، قال كسرى : مارأيتُ كاليوم وفداً أحشد ، ولا شُهوداً أوْفَد .

ثم قامَ عمْرو بن الشَّريد السُّلمى فقال : أيها الملك . نعُم بالُك ، ودَامَ فى السُّرُور حالُك ، إنَّ عاقبة الكلام مُتدَبَّرة ، وأشكال الأُمور مُعتبرة ، وفى كثير ثِقْلة وفى قليل بُلْغة ، وفى الملوك سَوْرَةُ العزِّ ، وهذا منطقٌ له ما بَعدَه ـ شرُف فيه من شرُف ، وخَمَل فيه من خَمَل ، لمْ نأت لضيْمك ، ولم نُفد لِسخطك ، ولم نتعرَّض لِرفدِك ، انَّ فى أموَالنا مُنتقَدا ، وعلى عزّنا مُعتمَدا ، إنْ أوْرَينا نارا أثْقبنا ، وإن أَودَدهرٌ بنا اعتدَلنا ، إلاَّ أنّا مع هـذا لجوَارك حافظُون ، ولَمنْ رَامَكَ كافِحُون حتى يُحمدَ الصَّدرُ ، ويُستَطاب الخَبر . قال كسرى : مايقوم قصدُ منْطِقك بإفراطِك ولا مدْحِك بذمِّك ، قال عَمرو : كفى بقليل قصْدِى هادِيا ، وبأيسَر إفرَاطى مُخبِرا ولم يُلَمْ من غرَبت نفسُه عمَّا يَعلَم ، ورَضى من القصد بما بلغ ، قال كسرى : ما كلُّ مَا يَعرف المرء يَنْطق به ـ اجلس

ثم قامَ خالد بن جعفر الكلابى فقال : أحضرَ الله الملك إسعاداً ، وأرْشده إرشاداً ، إنَّ لكلِّ مَنطق فرصة ، ولكلِّ حاجة غُصّة ، وعِىُّ المنْطق أشدّ من

---

(١) بها ـ أى بالعرب

عىّ السكوت ، وعِثار القوْل أنكأ من عِثار الوعْث ، وما فُرصة المنطق عندنا إلاّ بما نَهوَى ، وغُصةُ المَنطق بما لا نهوَى غيرُ مُستساغة ، وتَركى ما أعْلم من نفسى ويعلَمُ من سَمعى ، أنّنى لهُ مُطيق ، أحبُّ إلىَّ من تكلّفى ما أتَخوَّف ويُتَخوَّف منّى وقد أوفدَنا اليك مَلِكُنا النُّعمان ، وهو لك مِن خير الأعوَان ، ونِعْم حامل المعرُوف والأحسان ، أنفُسنا بالطاعة لكَ باخعةٌ ، وَرقابنا بالنَّصيحة خاضعة ، وأيدينا لك بالوفاء رهينة ، قال كسرى : نَطَقتَ بعقْل ، وسَمرْت بفضل ، وعلوت بنُبل .

ثم قام علقمة بن عُلاثة العامرى فقال : نَهجَتْ لك سُبل الرشاد ، وخضعت لك رقاب العباد ، إنَّ للأقاويل مناهج ، وللآراء موالِج ، وللعويص مَخارج ، وخير القوْل أصدَقه ، وأفْضَلُ الطَّلب أنجحهُ ـ إنَّا وإن كانت المحبةُ أحْضرَتنَا ، والوِفادة قرّبتنَا ، فليس من حَضرَك منَّا بأفضل ممَّن عزَب عنك ، بَل لو قِست كلَّ رجل منهم وعلمتَ منهم ماعلمنا ، لوَجدت له فى آبائهِ دُنيا أنداداً وأكفاء ، كلّهم إلى الفَضْل منسوب ، وبالشّرَف والسُّؤدَد موصوف ، وبالرأى الفاضل ، والأدب النَّافذ معروف يحمِى حماه ، ويُروى نداماه ، ويذود أعداه ، لا تخمدُ ناره ، ولا يَحترِزُ منه جارهُ أيّها الملك ، من يَبلُ العرَب يَعرف فَضلهم ، فاصطنع العرب فانها الجبال الرَّواسى عزًّا ، والبحور الزّواخر طميا ، والنجوم الزّواهر شُرفا ، والحصى عددا ، فان تعرِف لهم فضلهم يُعزّوك ، وان تَستصرخهُم لا يَخذلوك ـ قال كسرى : وخشِى أن يأتىَ منهُ كلام يَحملهُ على السُّخْط عليه : حسبُك أبلغت وأحسَنت .

ثم قام قيس بن مسعود الشَّيبانى فقال : أطابَ الله بك المراشد ، وجنَّبك المصائب ، ووقَّاك مكروه الشدائد ، ما أحقَّنا اذا أتَينَاك بإسماعك مالا يُحنق صدرك ولا يَزْرع لنا حِقداً فى قلبك ، لم نَقدم أيُّها الملك لمُسامَاةٍ ، ولم ننتسب لمُعَاداة

ولكن لتعلم أنت ورعيتك، ومن حضرك من وُفود الأمَم، أنّا فى المنْطِق غيْر محجمين، وفى النَّاس غير مُقصِّرين، ان جُورينا فغير مسبوقين، وان سومينا فغير مغلوبين، قال كسرى: غيْرَ أنكم إذا عاهدْتُم غيرُوافين. وهو يُعرِّض به فى تركه الوفاء بضَمانه السَّوَاد ـ قال قيس: أيها الملك، ما كُنتُ فى ذلك إلا كوافٍ غُدِرَ به أو كخافر أُخْفِرَ بذِمَّتِه ـ قال كسرى: ما يكون لضَعيف ضَمان، ولا لذليل خِفَارة قال قيس: أيها الملك، ما أنا فيما اخفِر من ذمّتى أحقُّ بالزامى العارَ منك فيما قُتِل من رَعيتك، وانتُهك من حُرْمتك. قال كسرى: ذلك لِأنَّ من ائتَمَنَ الخونة واستَنْجد الأثَمة، نالَه مِنَ الخطأ ما نالَنى، وليس كلّ النَّاس سَواء ـ كيف رَأيت حاجِبَ ابن زُرارة لِمَ يُحكِمُ قُواه فيُبْرِم، ويعْهد فيُوفى، ويَعِدُ فيُنجِز؟؟ قال: وما أحَقّه بذلك وما رَأيتُه إلّا لى. قال كسرى القوْم بُزْلٌ[1] فأفْضَلُها أشدُّها

ثم قام عامر بن الطُّفَيل العامرىّ فقال: كَثُرُ فُنون المنْطِق، وليس القول أعْمى من حِنْدِس الظّلْماء، وانّما الفخر فى الفِعال والعَجز فى النَّجدَة: والسّؤدَد مطاوَعةُ القُدْرة، وما أعْلمَك بقدرنا، وأبْصرَكَ بفَضْلنا، وبالحَرِىّ: إنْ أدالَت الأيّام وثابَت الأحلام، أن تُحْدِث لنا أُمورا لها أعْلام ـ قال كسرى: وما تلك الأعلام؟ قال: مُجْتَمع الأحياء من رَبيعة ومُضَر على أمر يُذكر — قال كسرى: وما الأمر الذى يُذكر؟ قال عامر: مالى عِلْم بأكثر مما خبَّرتنى به مخبِّر. قال كسرى: مَتَى تكاهنْتَ يا ابن الطّفيل؟ قال: لستُ بكاهن، ولكنّى بالرُّمْح طاعِن، قال كسرى فإن أتاك آت من جهة عَينك العَوْرَاء، ما أنتَ صانع؟ قال: ماهَيْبَتِى فى قفَاى

---

(١) بازل — البعير سن ٩ سنوات

بدُون هَيبتى فى وَجْهى . وما أذهَبَ عينى عَيْثٌ ، ولـكن مُطاوعةُ العَبَث .

ثم قام عمرو بن مَعـد يكرَب الزُّبيدى فقال : انما المرء بأصغَرَيه قلبه ولسانه فبلاغ المَنْطق الصَّواب ، وَملاك النَّجْدة الارْتياد . وعَفُو الرَّأى خيرٌ من استِكراه الفِكرَة ، وتوْقيف الخِبْرة ، خيرٌ من اعتساف الحَيرْة . فاجْتَبِذ طَاعَتَنا بلَفظك واكتَظِم بادِرَتنا بحلمك ، وألِنْ لنا كنَفَك يَسلَس لك قِيادنا . فإنَّا أُناس لم يُوَقِّس صَفَاتنا قِرَاعُ مَناقير مَنْ أرادَ لَنَا قَضماً . ولـكن مَنَعْنَا حمانا مِن كلِّ مَن رَام لَنَا هَضْما

ثم قام الحارث بن ظالم المُرِّى فقال : انَّ من آفة المَنْطق الـكذب ، ومن لؤم الأخلاق الملَق ، ومَن خَطَل الرَّأى خِفَّة المَلِك المُسلَّط . فان أعلَمنَاك أنَّ مُوَاجهتنَا لكَ عن ائتلاف ، وانقيادنا لك عن تَصاف ، فما أنتَ لِقبول ذلك مِنا بِخَليق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق . ولـكن الوَفاء بالعُهُود ، وإحكام وَلْث العقُود ، والأمرُ بَيننَا وَبينَكَ مَعتدِل ، مالم يأتِ من قِبلك مَيل أوْ زَلَل ـ قال كسرى : من أنت ؟ قال : الحارث بن ظالم . قال : إنّ فى أسماء آبائك لَدليلاً على قِلَّة وَفائك . وأن تـكون أوْلى بالغدر ، وأقرب من الوِزر . قال الحارث : إنّ فى الحقّ مَغضبة ، والسّرّ التغافل ، ولن يْستوجب أحـدٌ الحِلم إلاَّ مع القُدْرَة . فَلْتُشْبه أفْعَالكَ مَجْلِسَك . قال كسرى : هذا فتى القوم — ثم قال كسرى : قد فَهِمْتُ ما نطقتْ به خُطباؤكم ، وتفنَّن فيه متكلِّمُوكم ، ولَولاَ أنِّى أعلم أنَّ الأدَب لم يُثقِّف أودَكم ، ولم يُحكِم أمرَكم ، وأنّه ليس لـكم ملك يجمعكم ، فتنْطقون عنده مَنطق الرّعية الخاضعة الباخعة ، فَنَطقتُمْ بما استولى على ألْسنتكم وغلب على طباعكم ، لم أُجِز لـكم كثيراً مما تكلّمتم به ، وإنّى لأكره أن أُجيبِّه وفُودى ، أوأحنق صدُورهم ، والذى أُحبّ من إصلاح مُدبّركم ، وتألُّف شواذِّكم ، والإعذار إلى الله فيما بينى وَبينكم . وقد قبلتُ ما كان فى منطقكم من

صواب وصفحت عما كان فيه من خلل ، فانصرفوا إلى مَلِيكِكُم فأحسنُوا مُوازرته والتزموا طاعته ، وَارْدعوا سُفهاءكم وأقِيموا أودَهم ، وأحسنُوا أدَبهم فإن فى ذلك صلاح العامة .

***

رُوى عن الكلبى أنه قال : كان كسرى يَحفِل بالعرب ، ويستأنس بمشاهدتهم ويرغب فى سماع محادثاتهم ، ومُفاخراتهم ومُنافراتهم . ولم يدَّخر وُسعاً إلا بذله للحصول على ذلك (ومما اتَّفق له) أنَّ النُّعمان بن المنذر ، كان بمجلسه يوماً : فقال له هل فى العرب من قبيلة تَشرُف على قبيلة ؟ قال نعم . قال : فبأى شئ ؟ قال من كانت له ثلاثة آباء متواليـة رؤساء ، واتّصل ذلك بمزيَّة رابعة ، فبيته أشرف بيت واليه تنسب القبيلةُ ، وبه تعلو على غيرها . قال أحضر مَنْ هذه صفتهم . فطلبهم النُّعمان فلم يُصبهم إلا فى آل حُذَيفة بن بدر ، وآل ذى الجدَّين ، وآل الأشْعث بن قيس بن كِنْدة ، فأحضرهم فى جملة من عشائرهم . فعَقد لهم كسرى مَجْلِساً عاماً حضره الحكَّام والعدول والأعيان . ثم قال : ليتكلّم كلّ منكم بمآثر قومه وليصدُق فانتصب حُذيفة بن بدر قائماً وكان ألسن القوم فقال : قد علمت العرب أنْ فينا الشَّرفَ الأقـدم ، والفَخرَ الأعظم . فقيل له لِم ذاك يا أخا فزارة ؟ قال : ألسنا الدَّعائم[1] التى لا ترام ؟! والعزّ الذى لا يضام ؟! فقيل له صدَقْت ثم قام شاعرهم فقال

فزارةُ بيتُ العزِّ والعزّ فيهمُ ... فزارةُ بدرٍ حسْبُ بدرٍ نِضَالها[2]

لها العزَّةُ القعساء[3] والحسب الذى ... بناه لبَدرٍ فى القديم رِجالُها

فهيْهات قد أعيا القُرون التى مَضت ... مآثر بدرٍ مجدُها وفعالها

(١) الاركان (٢) محاماتها ودفاعها (٣) الرفعة

وهل أحدٌ إن مدّ يوماً بكفّه إلى الشّمس فى مجرى النّجوم ينالها؟!
فان يصلُحوا يَصلُح لذاك جميعُنا وان يُفسِدُوا يَفسُد على النّاس حالُها

ثم قام الأشعث بن قيس : فقال : لقد علمت العرب أنّا نُقاتل عديدَها الأكثر ونقْهر جمْعَها الأكبرَ . وأنّا غِياثُ اللّزْبات [١] وبُناة المَكرُمات . فقيل له لمَ يا أخا كِندَة ؟ قال : لأنّا وَرِثنا مُلك كِندة ، فاستَظلّنا بأفيائِه ، وتقلّدْنا مَنكبَه الأعظم ، وتوسّطنا بُحْبوحَه [٢] الأكرم . ثم قام شاعرهم فقال :

إذا قِستَ أبياتَ الرِّجال ببيتنا وجدْت لهُ فَضلاً على منْ يفاخرُ
فمن قال كَلاًّ أو أتانا بخُطّة يُسافرُنا يوماً فنحن نُخاطِرُ
تَعالوْا قِفُوا كىْ يعلم النّاس أيُّنا له الفضل فيما أورَثته الأكابرُ

ثم قام بسطام بن قيس .فقال : قد علِمتْ العرَب أنّا بُناةُ بيتها الذى لا يزول ومغرَسُ عزّها الذى لا يحول . فقيل له ولِمَ يا أخا شيبان ؟ قال لأنّا أدركُهم للثّأر وأضربُهم لِلْملك الجبّار ، وأقولُهم للحق ، وألدُّهم للخَصم .

ثم قام شاعرهم فقال :

لَعمرِىَ بِسْطامٌ أحقُّ بِفضلها وأوّل بَيْت العزِّ عزّ القبائلِ
فسائل أُبيْتَا للّعْن عن عزّقومها اذا جدّ يوم الفخر كلُّ مُناضل [٣]
فيخبرك الأقوام عنها فانها وقائع جِدٍّ لا مَلاعِبُ هازِل
ألسنَا أعزّ النّاس قوماً وأُسرةً وأضْرَبهم للكبش يوم التّخاذل
وقائع عزّ كلّها رَبَعيّةٌ [٤] تذِلُّ لهم فيها رقابُ المحافل
اذا ذُكرتْ لم يُنكر النّاس فضلَها وعاذَ بها من شَرِّها كلُّ قائل

(١) بتسكين الزاى . الشدائد (٢) وسطه . (٣) المجادل (٤) نسبه الى قبيلة ربيعة

وإنّا ملوك النّاس فى كلّ بلدةٍ اذا نزلت بالنّاس إحدى النّوازل

ثم قام حاجب بن زُرارة التّميمى ، فقال : قد علمت العرب أنّا فرعُ دعامتها وقادَة زُحُوفها . فقيل له : لِمَ ذلك ياأخا بنى تميم ؟ قال : لأنّا أكثرُ النّاس عديداً وأنجبُهم طُرّا وليدا ، وأعطاهم للجزيل ، وأحملُهم للثقيل .

ثم قام شاعرهم فقال :

لقد علمتْ أبناء خِندفَ أنّنا لنَا العزّ قِدماً فى الخطوب الأوائِل

وأنّا كرامٌ أهلُ مجدٍ وثروةٍ وعزٍّ قديم ليس بالمُتضائل

فكم فيهم من سيِّدٍ وابن سيِّدٍ أغرَّ نجيبٍ ذى فعَال ونائل

فَسَائِل أُبيتَ اللّعنَ (١) عنّا فانّنا دعائم هذا الناس عند الجلَائِل

ثم قام قَيس بن عاصم السّعدى فقال : لقد علم هؤلاء أنّا أرفعهم فى المكرُمات وأثبتهم فى النّائبات . فقيل له : لِم ذاك يا أخا بنى سعد ؟ قال : لأنّا أدركهم للثأر ، وأمنعهم للجار ، لا نتّكل اذا حَملنَا ، ولا نُرام اذا حللنَا . ثم قَام شاعرهم فقال :

لقد علمت قَيسٌ وخندِفُ أنّنَا وجلُّ تميم والجموع التى تَرى

بأنّا لُيوثُ البأسِ فى كلِّ مأزِق اذا جُزَّ بالبيض الجماجم والطّلى

وأنّا اذا دَاعٍ دعانا لِنَجدةٍ أجبنا سِراعاً فى العلائم من دعا

فهيهات قد أعيا الجميع فِعالُهم وقاموا بيوم الفخر مَسعاة من سعى

فقال كسرى حينئذ : ليس منهم إلاّ سيّد يصلح لموضعه ، ثم أعظمَ صِلاتهم أجمعين ، وردّهم الى أقوامهم مُعظَّمين .

---

(١) اللعن بغضته ومنعته والمعنى انك لا تفعل ما يوجب لعنك ، بل تفعل ماتحمد وتمدح عليه

﴿ مناظرات المهدى لأهل بيته ومشاورته لهم فى حرب خراسان ﴾

هذا ما تراجع فيه المهدى ووزراؤه ، وما دار بينهم من تدبير الرأى فى حرب خُراسان ، أيّام تحاملت عليهم العُمال وأعنفت ، فحملتهم الدّالّة وما تقدّم لهم من المكانة ، على أن نكثوا بيعتهم ونقضوا موثقهم وطردوا العُمّال ، والتووا بما عليهم من الخراج ، وحمل المهدى ما يُحبّ من مصلحتهم ويكره من عنتهم ، على أن أقال عثرتهم ، واغتفر زلّتهم واحتمل دالّتهم تطوّلاً بالفضل واتّساعا بالعفو وأخذاً بالحجة ورفقاً بالسياسة ، ولذلك لم يزل مُذ حمّله اللهُ أعباء الخلافة وقلده أمور الرّعيّة رفيقاً بمدار سلطانه ، بصيراً بأهل زمانه ، باسطاً للمعدلة فى رعيّته تسكن إلى كنفه ، وتأنس بعفوه ، وتثق بحلمه ، فإذا وقعت الأقضية اللاّزمة والحقوق الواجبة ، فليس عنده هوادة ولا إغضاء ولا مُداهنة ، أثرةً للحق ، وقياماً بالعدل وأخذاً بالحزم ، فدعا أهلَ خُراسان الاغترارُ بحلمه والثقة بعفوه ، أن كسّروا الخراج وطردوا العُمال وسألوا ما ليس لهم من الحق ، ثم خلطوا احتجاجاً باعتذار ، وخُصومة بإقرار ، وتنصّلاً باعتلال — فلما انتهى ذلك إلى المهدى خرج إلى مجلس خلائه ، وبعث إلى نفرٍ من لُحمته ووزرائه ، فأعلمهم الحال واستفهم للرّعية ، ثم أمر الموالى بالابتداء ـ وقال للعباس بن محمّد : « أى عمّ » تعقّبْ قولنا وكُن حكماً بيننا . وأرسل إلى ولديه (مُوسَى وهارُون) فأحضرهما الأمر وشاركهما فى الرّأى ، وأمر محمداً بن اللّيث بحفظ مُراجعتهم وإثبات مقالتهم فى كتاب .

فقال سلاّم صاحب المظالم :

أيُّها المهدى ، إن فى كلّ أمر غاية ولكلّ قوم صناعة ، استفرغتْ رأيهم

واستغرقت أشغالهم ، واستنفدت أعمارهم وذهبوا بها وذهبت بهم ، وعُرِفوا بها وعُرِفت بهم ، ولهذه الأمور التى جعلتنا فيها غاية ، وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب ، وساسة الأمور وقادة الجنود وفرسان الهزاهز وإخوان التجارب وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سجالها وفيأتهم ظلالها وعضتهم شدائدها وفرمتهم نواجذها فلو عجمت ما قبلهم وكشفت ما عندهم ، لوجدت نظائر تؤيد أمرك وتجارب توافق نظرك وأحاديث تقوى قلبك ، فأما نحن معاشر عمالك وأصحاب دواوينك فحسن بنا ، وكثير منا أن نقوم بثقل ما حملتنا من عملك واستودعتنا من أمانتك وشغلتنا من إمضاء عدلك وإنفاذ حكمك وإظهار حقك .

فأجابه المهدى ، إن فى كل قوم حكمة ، ولكل زمان سياسة ، وفى كل حال تدبيراً يبطل الآخر الأول — ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا

قال نعم : أيها المهدى ، أنت متبع الرأى ، وثيق العقدة ، قوى المنة ، بليغ الفطنة ، معصوم النية ، محضور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق العزيمة ، معان بالظفر ، مهدى إلى الخير — إن همت ففى عزمك مواقع الظن ، وان اجتمعت صدع فعلك ملتبس الشك ، فاعزم يهد الله إلى الصواب قلبك ، وقل ينطق الله بالحق لسانك ، فان جنودك جمة ، وخزائنك عامرة ، ونفسك سخية ، وأمرك نافذ

فأجابه المهدى : إن المشاورة والمناظرة بابا رحمة ، ومفتاحا بركة ، لا يهلك عليهما رأى ، ولا يتغيل معهما حزم فأشيروا برأيكم وقولوا بما يحضركم ، فإنى من ورائكم ، وتوفيق الله من وراء ذلك .

قال الربيع : أيها المهدى ، ان تصاريف وجوه الرأى كثيرة ، وإن الاشارة ببعض معاريض القول يسيرة ، ولكن خراسان أرض بعيدة المسافة ، متراخية

الشُّقَّة متفاوتة السبيل ، فإذا ارتأيتَ من مُحكَم التدْبير ومبْرَم التَّقدير ولُباب الصّواب رأياً ، قد أحكمه نَظَرُك وقلَّبه تدْبيرك ، فليس وراءه مَذْهب طاعن ولا دُونه مَعْلَقُ خُصومة عائب ، ثم خبَتْ البُرُد به وانْطوَت الرّسل عليه كان بالحرَى أن لا يَصِل اليهم مُحكَمُه ، إلا وقد حدَث منهم ما يَنْقُضه ، فما أيْسرَ أن ترجع اليك الرّسل ، وتَرِدَ عليك الكتب بحقائق أخبارهم وشَوارد آثارهم ومصادر أمورهم فتُحْدث رأياً غيره وتبتدع تدبيراً سواه ، وقد انْفرجت الحَلَق وتحلَّلت العُقَد واسترخى الحِقاب وامتدَّ الزمان ، ثَمّ لِعلْمك موقع الآخرة كمصدر الأولى ، ولكنّ الرأى أيُّها المهدى ، وفّقك الله أن تَصْرِف إجالة النظر وتقليب الفِكَر فيما جَمعْتنا له ، واستشرتنا فيه من التّدبير لحَرْبهم والحِيَل فى أمرهم إلى الطَّلب لرجل ذى دِينٍ فاضل وعقلٍ كاملٍ وورَعٍ واسع ليس موصوفاً بهوى فى سواك ، ولا متّهماً فى أثرة عليك ، ولا ظَنينا على دُخلةٍ مكروهة ولا مَنْسوباً إلى بدعة محذُورة ، فَيقْدح فى فى ملكك ويُريض الأمور لغيرك ، ثم تُسنِد إليه أمورَهم وتُفوّض اليه حربَهم وتأْمُره فى عهدك ، ووصيَّتك إيَّاه بلزوم أمرك ما لَزِمه الحزم ، وخلاف نَهيك إذا خالفه الرّأى عند استحالة الأمور واشتداد الأحوال التى يَنقَضُّ [1] أمرُ الغائب عنها ويثبتُ رأىُ الشاهد لها ، فانه إذا فعل ذلك ، فواثبَ أمرَهم من قريب وسقَط عنه ما يأتى من بعيد ، تَمّت الحِيلة وقَويت المكيدة ، ونَفذَ العمل وأُحِدّ النَّظر إن شاء الله .

قال الفضل بن العباس :

أيُّها المهدى - إنّ وَلىّ الأمور وسائس الحرُوب رُبما نَحّى جنوده وفرَّق أمواله فى غير ما ضيقِ أمرٍ حزَبه ، ولا ضَغْطة حالٍ اضطرَّته فيقعد عند الحاجة اليها وبعد

---

[1] ينقض — ينهدم .

التَّفْرِقة لها عديماً منها فاقداً لها ، لا يثق بقوَّة ولا يَصول بعُدّة ولا يَفْزع إلى ثقة فالرّأى لك أيها المهدى وفّقك الله أن تَعْفى خزائنك من الإنفاق للأموال وجُنودك من مُكابدة الأسفار ومُقارعة الأخطار وتغرير القتال ، ولا تُسرع للقوْم فى الإجابة الى مايطلبُون والعطاء لما يسألون ، فيَفسدُ عليك أدبُهم وتُجرِّئ من رَعيّتك غيرَهُم ولكن أغزُهم بالحيلة وقاتلهم بالمكيدة وصارعْهم باللين وخاتِلْهم بالرّفْق وأبْرِق لهم بالقوْل وأرْعد نحوهم بالفعل وابْعث البُعُوث وَجنّد الجنود وكتّب الكتائب واعقد الأَلوية وانصب الرّايات وأظْهر أنك مُوَجِّهٌ اليهم الجيوش مع أحْنَق قُوادك عليهم وأسوئهم أثراً فيهم ، ثمّ ادسُس الرسل ، وابثُثْ الكُتب ، وضَعْ بَعْضهم على طَمع من وَعدك وَبعْضاً على خَوْفٍ من وعيدك ، وأوْقد بذلك وأشباهه نِيرَان التّحاسُد فيهم واغرِس أشجار التّنافس بينهم ، حتى تملأ القلوب من الوَحشة ، وتَنطْوى الصُّدُور على البِغضة ، ويَدخل كلاًّ من كلٍّ الحَذَرُ والهيْبَة ، فان مرَام الظَّفرِ بالغيلة والقتال بالحيلة والمُناصبة بالكتب ، والمُكايدة بالرُّسل ، والمُقارَعة بالكلام اللطيف المُدخَل فى القلوب ، القوِىّ الموْقع من النُّفوس ، المعقود بالحُجَج الموْصول بالحِيَل المبْنى على اللِّين الذى يستميل القلوب ويسترقُّ العقول والآراء ويستميل الأَهواء ويستدعى المُوَاتاة — أنفَذُ من القتال بظُبات السُّيوف وأسنَّة الرِّماح . كما أنَّ الوالِىَ الَّذى يستنزل طاعة رعيّته بالحِيَل ويُفرِّق كلمةَ عدُوِّه بالمُكايدة أحكم عملاً وألطفُ مَنظَراً وأحسَن سياسة ، مِن الذى لا يَنال ذلك الا بالقتال والإتلاف للأموال والتّغرير والخِطار .

وليعلَم المهدى ، أنه إنْ وجَّه لِقتالهم رَجلاً لم يَسِرْ لقتالهم الاَّ بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتقدِم على أسفار ضيّقة وأموال مُتفرِّقة وقُوَّاد غشَشة إنْ

ائتمنهم استنفدوا ماله ، وان استنصحهم كانوا عليه لا له . قال المهدى : هذا رأى قد أسفر نوره ، وأبرق ضوءه وتمثل صوابه للعيون ومجد حقه فى القلوب ، ولكن فوق كل ذى علم عليم ، ثم نظر الى ابنه على فقال : ما تقول ؟

قال على : أيها المهدى ان أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ولم ينصبوا من دونك أحداً يقدح فى تغيير ملكك ويريض الأمور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب أيسر والشأن أصغر والحال أدل ، لأن الله مع حقه الذى لا يخذله وعند موعده الذى لا يخلفه ، ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم والياً وجعل العدل بينك وبينهم حاكما ، طلبوا حقاً وسألوا إنصافاً فان أجبت الى دعوتهم ونفست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال ، أو يحدث من عندهم فتق ، أطعت أمر الرب وأطفأت ثائرة الحرب ووفرت خزائن المال وطرحت تغرير القتال ، وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك وسجية حلمك وأسجاع خليقتك ومعدلة نظرك ، فأمنت أن تنسب إلى ضعف ، وأن يكون ذلك فيما بقى دربة . وان منعتهم ما طلبوا ولم تجبهم إلى ما سألوا اعتدلت بك وبهم الحال وساويتهم فى ميدان الخطاب — فما أرب المهدى أن يعمد الى طائفة من رعيته مقرين بملكته مذعنين بطاعته لا يخرجون أنفسهم عن قدرته ولا يبرئونها من عبوديته فيملكهم أنفسهم ويخلع نفسه عنهم ويقف على الحيل معهم ، ثم يجازيهم السوء فى حد المنازعة ومضمار المخاطرة — أريد المهدى وفقه الله الأموال ؟؟ فلعمرى لا ينالها ولا يظفر بها الا بإنفاق أكثر منها مما يطلب منهم ، وأضعاف ما يدعى قبلهم ، ولو نالها فحملت اليه أو وضعت بخزائطها بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها وطال عليهم بها ، لكان مما اليه ينسب وبه يعرف من الجود الذى طبعه الله عليه وجعل

قرَّة عينه ونهْمة نفسه فيه ، فان قال المهدى هذا رأىٌ مستقيم سديد فى أهل الخراج الذين شكَوْا ظُلمَ عُمّالنا ، وتحامُلَ وُلاتنا . فأمَّا الجنود الذين نقضُوا مَواثيق العهود وأنطقوا لسان الإرجاف وفَتحوا بابَ المعْصية وكسَّرُوا قيد الفتنة ، فقد ينبغى لهم أن أجْعلهم نَكالاً لغيرهم وعِظةً لسواهم ، فيعلم المهدى انه لو أتى بهم مَغلولين فى الحديد ، مُقرّنين فى الأصفاد ثم اتّسع لحقْنِ دِمائهم عفوُه ، ولإقالةِ عثَرتهم صفحُه واستبقاهم لما هم فيه من حِزْبه ، أو لمن بازائهم من عدُوِّه لما كان بِدْعاً من رَأيه ولا مستنكراً من نظره .

لقد عَلِمت العرب انه أعْظم الخلفاء والملوك عَفْواً وأشدُّها وَقعاً وأصدقها صوْلةً ، وأنَّه لا يتعاظُمه عفْو ، ولا يَتكاءدُه صفْح ، وان عظم الذَّنب وجلّ الخطب فالرَّأىُ للمهدى وَفَّقه الله تعالى أن يَحُلَّ عُقدة الغيظ بالرَّجاء لحُسن ثوَاب الله فى العفو عنهم ، وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعةَ عِيالاتهم برًّا بهم وتوَسعاً لهم فانهم اخوان دولته وأركان دَعوته ، وأساس حقِّه الذين بعزَّتهم يَصُول وبحجّتهم يقول وانَّما مثلُهم فيما دَخلوا فيه من مَساخِطه وتعرَّضُوا له من معاصيه وَانْطووْا فيه عن إجابته ، ومَثلُه فى قلَّة ما غيّر من رأيه فيهم أو نُقِلَ من حاله لهم ، أو تغيّر من نعمته بهم كمثل رُجلين أخوين مُتناصرين مُتوازِرين أصاب أحدهما خَبلٌ عارض ولهو حادث فنهض إلى أخيه بالأذى وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزدد أخوه الاَّ رِقَّة له ولطفاً به واحتيالاً لِمُداواة مرضه ومراجعة حاله عطْفاً عليه وبَرًّا به ، ومَرْحمةً له

فقال المهدى ـ أمّا على فقد نَوى سَمتَ اللِّيانِ وفَضّ القلوب فى أهل خُراسان ولكل نبأ مُستقَر . فقال : ما ترى يا أبا محمد ؟ يعنى موسى ابنه

فقال موسى

أيُّها المهدى : لا تسكُن إلى حلاوة ما يَجْرى من القوْل على ألسنهم وأنت ترى الدّماء تسيل من خلَل فعلهم ، الحالُ من القوْم يُنادى بمضْمرة شَرٍّ وخفيَّة حقِد قد جعَلوا المعاذير عليها سِتراً واتّخذُوا العلل من دونها حجاباً ، رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير ، والأمور بالتطويل ، فيكسِرُوا حِيَل المهدى فيهم ويُفنوا جنوده عنهم ، حتى يتلاحم أمرُهم وتتلاحق مادَّتهم وتَستفحل حربهم وتَستمِرّ الأمور بهم والمهدىُّ من قولهم فى حال غِرَّة ولباس أمنَة ، قد فترَ لها وأنِس بها وسكن اليها ولوْلا ما اجتمعتْ به قلوبهم ، وبَردتْ عليه جلودهم من المناصبة بالقتال ، والإضمار للقراع عن داعية ضلال أو شيطان فساد لَرَهِبُوا عواقب أخبار الوُلاة وغِبَّ سكون الأمور ، فلْيَشدُدْ المهدى وفقه الله أزْره لهم ويُكتّب كتائبه نحوهم ، وليضَع الأمر على أشدّ ما يَحْضرُه فيهم ، ولْيُوقنْ أنه لا يُعطيهم خطَّةً يُريدُ بها صلاحهم الا كانت دُرْبة إلى فسادهم وقُوّة على مَعصيتهم وداعيةً الى عودتهم وسبباً لفساد من يحضُرته مِن الجنود ، ومَن ببابه من الوُفود ، الَّذين إنْ أقَرَّهم وتلك العادة ، وأجراهم على ذلك الأرب ، لم يبْرَح فى فَتْق حادث وخلاف حاضر ، لا يَصلُح عليه دِين ولا تَستقيم به دُنيا . وإن طَلبَ تَغْييرَه بعد استحكام العادة ، واستمرار الدُّرْبة لم يصل إلى ذلك إلاَّ بالعقُوبة المفرطة ، والمؤُونَة الشّديدة . والرأىُ للمهدِى وفّقه الله أن لا يُقيل عثْرتهم ، ولا يقْبل مَعذِرَتهم حتى تَطأهم الجيوش ، وتأخُذهم السُّيوف ويَستحرّ بهم القتل ويُحْدق بهم البلاء ويُطبِق عليهم الذلّ ، فان فعل المهدى ذلك كان مَقْطعةً لكلّ عادة سوء فيهم وهزيمةً لكل بادرة شرٍّ فيهم ، واحتمالُ المهدى فى مؤُونة غزوتهم هذه تَضع عنه غَزَواتٍ كثيرة ونَفقات عظيمة .

فقال المهدى قد قال القوم ، فاحكُم يا أبا الفضل .

فقال العباس بن محمد :

أيُّها المهدى : أمَّا (الموالى) فأخذُوا بفرُوع الرَّأى وَسلَكوا جَنبات الصَّواب وَتعدَّوْا أمُوراً قَصّر بنَظرهم عنها أنه لم تأت تجارِبُهُم عليها ـ وأما (الفضل) فأشار بالأموال أن لا تُنفق ، والجنود أن لا تُفرّق ، وبأن لا يُعطَى القومُ ما طَلبُوا ولا يُبذَل لهم ما سألوا ، وجاء بأمرٍ بين ذلك استصغاراً لأمرهم ، واستهانة بحَربِهم وانما يَهيج جَسيماتِ الأمور صِغارُها ، وأمَّا (علىّ) فأشار باللّين ، وإفراط الرِّفق وإذا جرَّد الوَالى لمن غَمِط أمره وسفِه حقّه اللّينَ بحتاً والْخيْر مَحضاً لم يخْلِطهما بِشدّة تَعطِف القلوب عن لِينه ، ولا بِشرٍّ يَحبسهُم إلى خيره ، فقد ملّكهُم الْخلع لعذْرهم ووسّع لهم الفُرْجة لِثَنْيِ أعناقهم ، فان أجابُوا دعوته وقبِلوا لينه من غير خوف اضطرّهم ولاشدّة ، فنَزْوَة فى رُؤوسهم ، يستدعون بها البلاء إلى أنفسهم ، ويستصرخون بها رأى المهدى فيهم ، وإن لم يقبلوا دعوته ويسرعوا لإجابته باللِّين المحض والخير الصُّراح ، فذلك ماعليه الظّن بهم ، والرأىُ فيهم ، وما قد يُشبه أن يكون من مِثلهم لأنّ الله تعالى خلق الجنّة وجعَل فيها من النّعيم المقيم والمُلك الكبير مالا يخطرُ على قلب بَشر ولا تدْركُه الفِكر ، ولا تعْلمه نفْس ، ثم دعا النّاس اليها ورغّبَهُم فيها فلو لا أنه خلق ناراً جَعلها لهم رحمةً يسوقهُم بها الى الجنة لما أجابوا ولا قَبلوا .

وأما (موسى) فأشار بأن يُعْصَبوا بشدّة لا لين فيها ، وأن يُرْمَوْا بشرٍّ لا خير معه . واذا أضمر الوالى لِمَن فارق طاعتَه وَخالف جماعتَه الخوْف مفرداً والشَّر مجرّداً ليس معهما طمع ولا لين يَثْنِيهم اشتدّت الأمور بهم وانقطعت الحال منهم الى أحد أمرين : إما أن تدْخُلَهم الحَميّة من الشدّة والأنفَةُ من الذِّلّةِ والامتعاض من القهر ، فيدْعُوهم ذلك إلى التّمادى فى الخِلاف والاستبسال فى القتال والاستسلام

للموت ، وإمّا أنْ ينقادوا بالكُرْه ويُذْعِنوا بالقهر على بغضةٍ لازمةٍ وعداوة باقية تورثُ النّفاق وتُعقب الشّقاق ، فاذا أمكنَتْهُم فُرْصة أوْ ثابت لهم قُدْرة أو قَوِيت لهم حالٌ ، عاد أمرهُم الى أصْعب وأغلظ وأشدّ ممّا كان .

وقال : فى قول الفضل: أيّها المهدى أكفى دليل وَأوْضح بُرْهان وأبين خبر بان قد أجْمع رَأيه وحزْم نَظره على الأرشاد ببعثة الجيُوش اليهم ، وتوجيه البعُوث نحوهم مع إعطائهم ما سألوا من الحقّ ، وإجابتهم إلى ما سألوه من العدْل .

قال المهدى : ذلك رَأىٌ .

قال هارون ما خلطت الشدّة أيّها المهدى باللّين ، فصارَت الشدّة أمَرّ فطامٍ لما تكْره ، وعاد اللّين أهْدَى قائدٍ إلى ما تُحبّ ، ولكن أرَى غير ذلك .

قال المهدى : لقد قلْتَ قوْلا بديعاً ، وخالفت فيه أهل بيتك جميعاً ، والمرء مؤْتَمَن بما قال ، وَظنِينٌ بما ادّعى ، حتى يأتى ببيّنة عادلة وحجّة ظاهِرة فاخرج عما قلت .

قال هارُون :

أيها المهدى : إنّ الحرْبَ خُدعة ، والأعاجم قوْمٌ مكرَة ، ورُبّما اعتدَلت الحال بهم ، واتّفقت الأهواء منهم فكان باطن ما يُسرُّون على ظاهر ما يُعْلنون ورُبما افترقت الحالان ، وخالف القلبَ اللسانُ ، فانطوَى القلبُ على محجُوبة تُبطن ، واسْتسرّ بمدْخولة لا تُعلَن ، والطّبيب الرَّفيق بطبّه ، البَصير بأمْره العالم بمقدّم يدِه وَموْضع ميسمِه ، لا يَتعجّل بالدّوَاء حتى يَقع على معرفة الدّاء ، فالرّأى للمهدى وفّقه الله : أنْ يَفرّ باطن أمرهم فَرّ المُسِنّة ويَمخَض ظاهرَ حالهم مخض السِّقاء بمتابعة الكتب ومظاهرَة الرُّسل ، وموَالاة العُيون ، حتى تُهتك حُجُب عيونهم

وتكشف أغطية أمورهم . فان انفرجت الحال وأفضت الأمور إلى تغيير حال أو داعية ضلال اشتملت الأهواء عليه ، وانقادَ الرِّجال اليه وامتدَّت الأعناق نحوه بدين يعتقدونه وإثم يستحلُّونه عصبَهم بشدّة لالين فيها ، ورَماهم بعُقوبة لا عَفْو معها ، وإن انفرجت العيُون واهْتُصِرَت السُّتور ورُفِعت الحُجُب والحال فيهم مرِيعة والأمور بهم معتدلة فى أرزاق يطلبونها وأعمال يُنكرونها ، وظلامات يدَّعونها وحقوق يسألونها بماتّة سابقتهم ودالّة مناصحتهم ، فالرّأى للمهدى وَفّقه الله أن يتّسع لهم بماطَلَبوا وَيتجافى لهم عما كرهوا وَيشْعَب من أمْرِهم ماصدَعوا وَيرتُق من فَتقِهم ماقطعوا ويُولّى عليهم من أحبّوا ويُداوى بذلك مَرَض قلوبهم وَفساد أمورهم ، فانما المهدى وأمّته وَسوَاد أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرَّفيق وَالوَالد الشَّفيق والراعى المُجرِّب الذى يحتال لمرَابض غنمه ، وضوَالّ رَعيّته ، حتى يُبْرِىء المرِيضة من داء علّتها وَيرُد الصحيحة الى أُنس جماعتها — ثم ان خُراسان بخاصة الدِّين لهم دالة محمولة ، وماتّة مقبولة ، ووسيلة معرُوفة ، وحقوق واجبة . لأنهم أيدى دولته وسيُوف دَعْوته وأنصار حقّه وأعوان عدله . فَليسَ من شأن المهدى الاضطِغان عليهم ولا المؤاخذة لهم ولا التَّوعُّر بهمْ ولا المكافأة باساءتهم . لأن مبادرة حَسْم الأمور ضعيفةً ، قبل أن تقْوى ومُحاولة قَطع الأصول ضئيلةً قبل أن تَغْلُظ أحزَمُ فى الرَّأى وأصحّ فى التَّدبير من التأخير لها والتَّهاون بها حتى يَلتئِم قليلها بكثيرها وتجْتَمع أطرافُها الى جُمْهورها

قال المهدى : ما زال هارون يقَع وقْع الحيا حتى خرَج خرُوج القدَح من الماء ، وانْسلّ انسلال السيف فيما ادّعى ، فَدَعُوا ما سبَقَ مُوسى فيه فانه هو الرَّأى وثنّى بعده هارون — ولكن مَن لأعِنَّة الخيل وسياسة الحرب وقادة النَّاس إن

أمعن بهم اللَّجاج وأفرطت بهم الدّالّة ؟!

قال صالح بن علىّ

لسنا نبلغ أيُّها المهدى بدوام البَحث وطول الفِكْر أدْنى فِراسة رَأيك ، وَبعضَ لَحظات نَظرك ، وليس يَنْفضُّ عنك من بُيُوتات العرب ورجالاتِ العجم ذو دين فاضل ورأى كامل وتدبير قوىّ تُقلّده حَرْبك وتستودعه جُندَك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ويضْطَلع بالأعباء الثَّقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون النَّقيبة مبارك العزيمة مَخْبور التَّجارب محمود العواقب ، معصُوم العزْم فلَيس يقَع اختيارُك ولا يقف نَظرك على أحد تُوَلّيه أمرَك وتُسند اليه ثَغرك الاَّ أرَاكَ الله ماتُحبّ وجَمَع لك منه ماتريد

قال المهدى : انى لأرجُو ذلك لقديم عادة الله فيه وَحُسْن مَعُونَته عليه ، ولكن أُحِبّ المُوافقة على الرَّأى والاعتبار للمشاورة فى الأمر المُهم .

قال محمد بن الليث :

أهل خُراسان أيها المهدى ، قَوْمٌ ذَوُو عِزَّة وَمنعَة وشياطين خَدَعة ، زُروع الحميَّة فيهم نابتة ، وملابس الأنفة عليهم ظاهرة ، فالرَّوِيَّة عنهم عازبة والعَجلة عنهم حاضرة ، تَسْبق سيولهم مطَرَهم وَسيُوفُهم عَذَلهم . لانهم بين سِفْلة لا يعْدو مبلغ عقُولهم مَنظر عيُونهم . وبين رُؤساء لا يُلْجَمون الاَّ بشدَّة ، ولا يُقْطمون إلاَّ بالمرّ وان وَلَّى المهدى عليهم وضيعاً لم تَنْقد له العُظماء ، ، وان ولَّى أمرَهم شريفاً تحامل على الضُعفاء ، وان أخَّر المهدى أمرَهم وَدَافع حَرْبهم حتى يُصيب لنفسه من حَشَمه ومواليه أو بَنى عمِّه أو بَنى أبيه ، ناصحاً يتَّفق عليه أمرُهم وثِقة تَجتَمع له أملاؤُهم بلا أَنفة تَلزمُهم ولا حَميّة تَدْخلهم ولا مُصيبة تُنفِّرهم ، تَنفّست الايّام بهم وتَراخت الحال بأمرهم فدَخلَ بذلك من الفساد الكبير والضَّياع العظيم مالا يتلافاهُ صاحبُ

هذه الصفة وان جَدَّ ، ولا يَستَصْلحُه وان جهَد ، إلا بعد دَهْرٍ طويل ، وشرّ كبير ولَيس المهدى وفَّقه اللهُ فاطماعاداتهم وَلا قارعاً صفاتهم بمثْل أحد رَجُلين لا ثالث لهماولا عَدل فى ذلك بهما : أحَدهما لسانٌ ناطِق موصول بَسمعك ويَدٌ ممثّلة لِعينك وصخْرة لا تُزَعزع وبُهمة لا تُثْنى ، وبازلٌ لا يفزِعه صوْتُ الجُلجُل ، نقىّ العرْض نزِيه النَّفس جَليل الخطر ، قد اتّضعتْ الدُّنيا عن قدره ، وَسما نحو الآخرة بهمَّته فَجعل الغَرَض الأقصى لِعينْه نُصْبا ، والغَرَض الأدْنى لِقدَمه مَوْطئاً ، فليس يَقبَل عملا ، ولا يتعدَّى أملاً وهو رأْس مَواليك وأنْصح بَنى أبيك . رجل قد غُذّى بلطيف كرامتك ونَبت فى ظلّ دولتك ونَشأَ على قوائم أدَبك فان قلَّدْته أمْرَهم وحمَّلْته ثِقْلَهم وأَسْندت اليه ثَغْرهم ، كان قُفلاً فتَحه أمرُك وباباً أغْلقه نَهْيُك ، فجعل العدْل عليه وعليهم أميراً والانصافَ بينَه وبينهم حاكماً ، واذا حَكم المَنْصفة وسلك المعْدَلة فاعطاهم مالهُم وأخذ منهم ماعليهم ، غرس لك فى الذى بين صُدُورهم وأَسْكن لك فى السُّوَيدَاء دَاخل قلوبهم ، طاعةً راسِخةَ العُروق بَاسِقة الفروع مُتماثِلة فى حوَاشى عوَامِّهم ، متَمكِّنة من قلوب خواصِّهم ، فلا يبقى فيهم رَيْبٌ إلاَّ نَفَوْه ولا يلزَمهم حقٌّ إلاّ أدّوه ، وهذا أحدُهما . والآخرُ عُودٌ من غيضَتَك ، أوْ نَبْعةٌ من أُرُومَتِك ، فَتِىّ السِّن كهْلُ الحِلْم رَاجح العقل محمود الصَّرامة مأمُون الخِلاف يُجَرِّد فيهم سَيفَه ويَبْسط عليهم خَيْرَه بقدر مايستَحقون وعلى حسب مايستَوْجبُون وهو « فُلان » . أيها المهدى — فسلّطه أعزَّك اللهُ عليهم ، وَوجّهْه بالجيوش اليهم ولا تَمنعُكَ ضَراعة سِنِّه وَحداثة مَوْلده فان الحِلْم والثّقة مع الحْداثة خيْرٌ من الشّكّ وَالجَهْل مع الكُهولة ، وانما أحْدَاثُكم أهلَ البيت فيما طبَعكم الله عليه ، واختَصَّكم به من مكارم الأخلاق ومحامد الفَعال ومحَاسن الأمور وصواب التَّدبير وَصرَامة

الانفس كفراخ عتاق الطير [١] المحكمة لأخذ الصيد بلا تدريب، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب، فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتؤدة والرفق ثابت في صدوركم مزروع في قلوبكم، مستحكم لكم متكامل عندكم، بطبائع لازمة، وغرائز ثابتة

قال معاوية بن عبد الله:

أفتاء [٢] أهل بيتك أيها المهدى في الحلم على ما ذكر. وأهل خراسان في حال عز على ما وصف — ولكن ان ولى المهدى عليهم رجلاً ليس بقديم الذكر في الجنود ولا بنبيه الصوت في الحروب ولا بطويل التجربة للأمور، ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة في الأعداء، دخل ذلك أمر ان عظيمان، وخطران مهولان أحدهما — أن الاعداء يغتمزونها منه ويحتقرونها فيه ويجترئون بها عليه في النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل الاختبار لأمره، والتكشف لحاله والعلم بطباعه والأمر الآخر — أن الجنود التي يقود، والجيوش التي يسوس، اذا لم يختبروا منه البأس والنجدة ولم يعرفوه بالصيت والهيبة انكسرت شجاعتهم وماتت نجدتهم واستأخرت طاعتهم، إلى حين اختبارهم ووقوع معرفتهم، وربما وقع البوار قبل الاختبار

وبباب المهدى وفقه الله رجل مهيب نبيه حنيك صيت له نسب زاك وصوت عال قد قاد الجيوش وساد الحروب وتألف أهل خراسان، واجتمعوا عليه بالمقة [٣] ووثقوا به كل الثقة، فلو ولاه المهدى أمرهم لكفاه الله شرهم.

قال المهدى: جانبت قصد الرمية وأبيت إلا عصبية، اذ رأى الحدث من أهل بيتنا كرأى عشرة حلماء من غيرنا — ولكن أين تركتم ولى العهد؟

---

(١) عتاق الطير — الجوارح منها (٢) أفتاء — أصحاب القوة من الشبان جمع فتى كيتيم وأيتام (٣) المقة — المحبة

قالوا : لم يَمْنَعنَا من ذكره الاّ كونُه شَبيه جَدّه و نَسيجَ وحدِه ، ومن الدّين وأهله ، بحيث يَقْصُر القول عن أدنى فضله ، ولكن وَجدْنا الله عزّوجل حَجب عن خَلْقه وَستَرَدون عباده عِلم ما تختلف به الأيام ، ومعرفة ما تَجْرى عليه المقادير من حوادِث الأمور ، ورَيب المَنون المختَرِمة لخوالى القُرون ، ومَواضى المُلوك فكرْهنا شُسُوَعه عن محِلّة الملك ودار السُّلطان ، ومقَرّ الإمامة والولاية ، وموضع المدائن والخزائن ، ومستقَرّ الجنود ومعدِن الجود ، وَمجمع الأموال التى جعلها الله قُطْباً لدار الملك ، ومِصْيدة لقلوب الناس ومثابة لأخوان الطَّمع وثُوّار الفِتن ، ودواعى البِدع وفُرسان الضّلال وأبناءِ الموت — وقلنا ان وجَّه المهدى ولى عَهده فحدث فى جيوشه وجنوده ماقد حدث بجنود الرسل من قبله ، لم يستطع المهدىُّ أن يُعقبهم بغيره إلا أن ينْهض اليهم بنفسه ، وهذا خطر عظيم وهَوْل شديد ، إن تنفّستِ الأيام بمقامه واستدارت الحال بإمامه ، حتى يقع عِوض لا يُستغنىَ عنه ، أو يحدث أمر لابدَّ منه صار ما بعده مما هو أعظم هولاً ، وأجل خطراً له تبعاً ، و به متّصلاً .

قال المهدى

الخطْب أيْسَر مما تَذهبون اليه ، وعلى غير ما تَصفونَ الأمر عليه . نحن أهل البيت نَجرى من أسباب القضايا ومواقع الأمور على سابق من العلم ، ومحتوم من الأمر ، قد أنبأتْ به الكتب ونبَّأتْ عليه الرُّسل . وقد تنَاهى ذلك بأجْمَعه الينا وتكامل بحذافيره عندنا ، فبه ندبّر وعلى الله نتوكل . انه لابدّ لوَلىِّ عهدى ، وولى عهد عَقبى بعدى ، أن يقود الى خراسان البعوث ويتجّه نحوها بالجنود ، أمّا الأوّل فانه يقدّم اليهم رسله ويُعمِل فيهم حِيله ثم يَخْرج نشيطا اليهم حَنِقا عليهم ، يريد أن لا يَدَع أحداً من إخوان الفِتَن ودواعى البِدَع ، وفُرسان الضلال الاّ توطَّأه بحرّ

القتل وألبسه قِناعَ القهر ، وقلّده طوق الذلّ ولا أحداً من الذين عملوا فى قصّ جناح الفتنة وإخماد نار البدْعة ونُصرة وُلاة الحقّ إلاّ أَجْرى عليهم دَيمَ فضْله وجدَاول نَهله ، فاذا خرَج مُزْمِعاً به مُجْمعاً عليه لم يسِرْ إلاّ قليلاً حتى تأتيه أن قد عمِلَت حيلُه ، وكَدحتْ كتبُه ونفَذت مكايده ، فهدأت نافرة القلوب ووقعت طائرة الأهواء واجتمع عليه المختلفون بالرضا فيميل نظراً لهم وبرًّا بهم وتعطُّفا عليهم إلى عدُوّ قد أخاف سبيلهم وقطَع طريقهم ومنع حُجّاجهم بيتَ الله الحرام ، وسَلب تُجّارَهم رِزْقَ الله الحلال ، وأمّا الآخر ، فانه يُوَجّه اليهم ثم تُعقد له الحجّة عليْهم باعطاءِ ما يطلبون وبذل مايسألون ، فاذا سمحت الفرَق بقراباتها له وجنَح أهل النّواحى بأعناقِهم نحوه ، فأصغَتْ اليه الأفئدة واجتمعت له الكلمة وقدِمت عليه الوُفود قصدَ الأول ناحية نجعت بطاعتها وألقت بأزمّتها فألبسَها جناح نِعْمته وأنزلها ظِلّ كرَامته وخصَّها بعظيم حِبائه ، ثمّ عمّ الجماعة بالمعدَلة وتعطّفَ عليهم بالرّحمة فلا تبقى فيهم ناحيةٌ دانية ولا فِرْقة قاصية إلا دخلت عليها بَركَته ووَصلتْ اليها منفعته فأغنَى فقيرَها وجبرَ كَسيرها ورفَع وضيعها وزاد رفيعها ، ما خلا ناحيتيْن : ناحية يَغلب عليها الشقاء ، وتَستميلهم الأهواء ، فتستخِفّ بدْعوته ، وتُبطئ عن إجابته وتتثاقَل عن حقّه ، فتكون آخر مَنْ يبعْث وأبطأ مَنْ يُوجّه ، فيصْطلَى عليها مَوْجدَة ويبتغى لها علة ، لا يلْبَث أن يَجدَّ بحقّ يلزُمهم وأمرٍ يجب عليهم فتستلْحمهم الجيوش وتأكلهم السيوف ويستحرُّ بهم القتل ويُحيط بهم الأسر ويُفْنيهم التّتبُّع حتى يُخرِّب البلاد ويُوتّم الأولاد . وناحيةٍ لا يَبسُط لهم أمانا ولا يقبلُ لهم عهداً ولا يجعل لهم ذمّة لانّهم أوّلُ من فتَحَ باب الفرْقة وتدَرَّع جلْبابَ الفتنة ورَبض فى شقّ العصا ، ولكنه يقتُل أعلامَهم ويأسِر قوّادهم ويطلب هُرّابهم فى لُجَج البحار

وقُلل الجبال وحميل الأوْدية و بطون الأرض تقتيلاً وتغليلاً وتنكيلا حتى يدَع الدِّيار خراباً والنساء أيامَى — وهذا أمرٌ لا نعرف له فى كتبنا وقتاً ولا نصحِّح منه غيرَ ما قلنا تفسيراً — وأما (موسى ولىّ عهدى) فهذا أوانُ توجُّهه إلى خراسان وحلوله بجُرْجان وما قضى الله له من الشُّخوص اليها والمقام فيها خيرٌ للمسلمين مَغبّة وله باذن الله عاقبة من المقام بحيث يغمر فى لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا فيتصاغر عظيم فضله ويتذاأب مشرق نوره ويتقلل كثير ماهو كائن منه ، فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من النَّاس ؟

قال محمد بن الليث .

أيُّها المهدى — ان ولىّ عهدك أصبح لأمتك وأهل مِلّتك علماً قد تثنّتْ نحوه أعناقها ، ومدّتْ سَمْتَه أبصارَها ، وقد كان لقُرْب داره منك ومحلِّ جوَاره لك عُطل الحال غُفْل الأمر واسعَ العُذْر ، فأما اذا انفرد بنفسه وخلا بنظره وصارَ إلى تدبيره ، فان من شأن العامة أن تتفقّد مَخارج رأيه . وتَستَنصِت لمواقع آثاره وتَسأل عن حوادث أحواله فى برّه ومَرْحمته ، و إقْساطه ومعْدلته ، وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه ، ثم يكون ما سَبَق اليهم أغلب الأشياء عليهم وأملك الأمور بهم وألزَمها لقلوبهم وأشدَّها استمالةً لرأيهم وعَطفا لأهوائهمْ فلا يفتأ المهدى وفقّه الله ناظراً له فيما يُقوِّى عمدَ مملكته ، ويُسدِّد أركان ولايته ، ويستجمع رضاء أمته بأمر هو أزين لحاله وأظهر لجماله وأفضل مَغبّة لأمره وأجلّ موقعاً فى قلوب رعيته وأحمد حالا فى نُفوس أهل ملّته ، ولا أدفع مع ذلك باستجماع الأهواء له وأبلغ فى استعطاف القلوب عليه ، من مَرحمة تظهر منْ فعله ، ومعدلة تنتشر عن أثره ، ومَحبةٍ

للخير وأهله — وأن يختار المهدى وفقه الله من خيار أهل كل بلدة ، وفقهاء أهل كلّ مِصْر ، أقواماً تسكن العامة اليهم اذا ذُكِرُوا ، وتأنس الرَّعيةُ بهم إذا وُصفوا ثم تُسهّل لهم عِمارَة سُبُل الاحسان ، وفتْح باب المعرُوف ، كما قد كان فُتح له وسُهّل عليه

قال المهدى : صدقت ونصحت . ثم بعث فى ابنه موسى ، فقال :

أى بُنىَّ — إنك قد أصْبحتَ لِسَمْتِ وُجوه العامة نُصْبا ، ولمثْنَى أعطاف الرَّعيّة غايةً ، فحسَنتُك شاملة واساءتك نائيــة ، وأمرُك ظاهر ، فعليك بتقوى الله وطاعته فاحتمل سُخط الناس فيهما ، ولا تَطْلبْ رِضاهُم بخلافهما . فان الله عزّ وجل كافيكَ من أسْخَطه عليك إيثارُك رضاه ، وليس بكافيك من يُسْخطه عليك ايثارُك رِضا مَن سواه — ثم اعلم أن لله تعالى فى كلّ زمان فَترةً من رسله ، وبَقايا من صفْوة خلْقه وخبايا لنُصرة حقه يجدِّدُ حَبل الاسلام بدعواهم ويُشيِّدُ أركان الدِّين بنُصْرتهم ويَتَّخذ لأولياء دينه أنصاراً وعلى إقامة عدْله أعْواناً ، يَسُدُّون الخلل ويُقيمُون المَيَل ، ويَدْفعون عن الأرض الفساد ، وان أهل خراسان أصبحُوا أيْدِى دولتنا وسيُوف دَعْوتنا ، الذين نستدْفع المكاره بطاعتهم ، ونَستَصْرف نزُولَ العظائم بمناصَحتهم ، ونُدافع ريبَ الزمان بعزائمهم ، ونُزاحم ركن الدَّهر ببصائرهم ، فهُم عِماد الأرض إذا أرجَف كنَفُها ، وَخوْف الأعداء إذا برزت صفحتها ، وَحصون الرَّعية اذا تضايقت الحال بها ، قد مضت لهم وقائع صادقات ، ومَواطن صالحات أخمدَتْ نِيرَان الفتَن وقسَمتْ دواعى البدَع وأذلَّت رِقاب الجبَّارين ، ولم ينفكُّوا كذلك ماجرَوا مع ريح دولتنا ، وأقامُوا فى ظلّ دعْوَتنا ، واعتصموا بحبل طاعتنا ، التى أعز الله بها ذاتَهم ورَفع بها ضعَتَهم ، وَجعلهم بها أرْباباً فى أقطار الأرض ومُلوكا على رقاب العالمين ، بعد لباس الذُّلّ وقِناع الخوف ، وإطباق البلاء ومُحالفة الأسَى

وَجهد البأس والضّر ، فظاهِرْ عليهم لِباسَ كرامتك ، وأنزلْهُم فى حدائق نعمتك ثم اعْرف لهم حقّ طاعتهم ، ووسيلة دالّتهم ، وماتّة سابقَتهم ، وحُرمة مُناصحتهم بالاحسان اليهم ، والتّوسعة عليهم ، والإثابة لمحسنهم ، والإقالة لمُسيئهم .

أىْ بُنَىّ - ثم عليك العامّة فاستدْع رِضاها بالعَدْل عليها . واستجلِبْ مودّتها بالانصاف لها ، وتحسّن بذلك لرَبك ، وتوثّق به فى عين رَعيّتك ، واجعل عُمّال العذْر ووُلاة الحُجج مُقدّمة بينَ يَدَىْ عملك ونَصفةً مِنْك لرَعيّتك ، وذلك أن تأمر قاضىَ كلّ بَلد ، وخيار أهل كل مصر أن يَختاروا لأنفسهم رَجُلاً تُوليّه أمرَهُمْ وتجعل العَدْل حاكماً بينه وبَيْنهُم ، فانْ أحسنَ حُمِدتَ ، وإنْ أساء عُذِرْتَ ، هؤلاءِ عُمّال العُذْر ووُلاة الحُجَج ، فلاَ يسقُطنّ عليك ما فى ذلك ، اذا انْتشرَ فى الآفاق وَسبقَ الى الأسماع من انعقاد ألسنة المُرْجفين وكَبْتِ قلوب الحاسدين وإطْفاء نِيرَان الحرُوب ، وسلامة عواقب الأمور . ولا يَنْفكّنّ فى ظلّ كرامتك نازلا وبعُرَا حَبْلِك مُتعلّقا - رَجُلان : أحدُهما كريمة من كرَائم رجالات العرَب وأعْلام بُيُوتات الشّرَف ، له أدب فاضل وحلْم رَاجح ودِين صحيح - والآخرُ له دِين غيرُ مَغْموز ، ومَوْضع غير مَدْخول ، بصيرٌ بتقليب الكلام وتَصريف الرّأى ، وأنْحاء العرَب ووَضْع الكُتب ، عالم بحالات الحرُوب ، وتصاريف الخُطُوب ، يضَع آداباً نافعة وآثاراً باقية من مَحاسنك وتحسين أمرك وتحْلية ذِكرك فتَستشيرُه فى حرْبك وتُدْخلهُ فى أمْرك ، فرَجلٌ أصبتْه كذلك فهوَ يأوِى إلى مَحلّ ، ويَرْعى فى خُضْرة جِنانى ، ولا تدَعْ أنْ تختار لكَ من فُقهاء البُلدَان وخيار الأمصار أقواماً يكونون جِيرانك وسُمّارك ، وأهلَ مُشاوَرَتك فيما تُورِد ، وأصحاب مُناظرتك فيما تُصدِر فسِرْ على بَركة الله - أصْحبَك الله من عوْنه وتوْفيقه دليلا يهدِى إلى الصّوَاب قلبَك

وَهادياً يُنْطِق بالخير لسانَكَ .

﴿ وُفودُ بكّارة الهلالية على مُعاوية ﴾

استأذنت بَكّارة الهلالية على معاوية بن أبى سفيان فأذِن لها ، وَهوَ يومئذ بالمدينة فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسَنَّت وعَشِيَ بصرُها ، وَضعفت قُوَّتها ، ترْعَشُ بين خادمين لها ؛ فسلَّمت وَجلست . فرَدَّ عليها مُعاوية السَّلام . وقال : كيف أنتِ ياخالةُ ؟ فقالت : بِخير يا أمير المؤمنين . قال : غيَّرَكِ الدَّهر . قالت : كذلك هو ذو غِيَرٍ ، من عاش كَبِر ، ومن مات قُبِر . فقال عمرو بن العاص : هى والله القائلة ياأمير المؤمنين : —

يازيدُ دُونك فاحتفر من دارنا سيفا حُساما فى التُّراب دفينا
قد كنتُ أذْخرُه ليوم كريهة فاليوم أبرزه الزَّمان مصونا

قال مروان : وهى والله القائلة يا أمير المؤمنين :—

أترى ابن هِندٍ للخلافة مالكا هيهات ذاك وإن أراد بعيدُ
مَنَّتْك نفسك فى الخلاءِ ضلالةً أغرَاك عمرو للشقَا وسعيدُ

قال سعيد بن العاص : هى والله القائلة :—

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أُميَّة خاطباً
فالله أخَّر مُدَّتى فتطاولت حتّى رأيت من الزّمان عجائباً
فى كل يوم لا يزال خطيبُهم بينَ الجميع لآل أحمد عائباً

ثم سكتوا . فقالت : يامُعاوية — كلامك أعْشى بصرى ، وقصَّر حُجَّتى . أنا والله قائلة ما قالوا وماخفى عليك منّى أكثر . فضحك معاوية وقال : لَيس يَمْنَعُنا ذلك من برِّكِ . اذكُرى حاجتك . قالت : أمّا الآن فلا .

﴿ مناظرة السيف والقلم لزين الدين عمر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ﴾

لمَّا كان السّيفُ والقلمُ عُدَّتَى العمل والقوْلِ ، وعُمْدَتَىِ الدُّوَل ، فإِنْ عَدِمْتُهما دَولةٌ فلا حَوْل . وَرُكْنَىْ إسناد المُلْك المُعْرِبَيْنِ عنِ المخفُوضِ والمرْفوعِ ، ومُقدَّمتَى نتيجةَ الجدَل الصَادر عَنْهما المحمُولُ والموْضُوعُ ، فكَّرْتُ أيهما أعظم فخراً ، وَأعلى قدْراً ، فجلَستُ لهُما مجلِسَ الحكْمِ والفَتْوى ، ومثَّلتهُما فى الفِكرِ حاضرَيْن للِدَّعوى ، وسوَّيتُ بين الخَصمين فى الإِكرام ، واستنطَقتُ لسانَ حالِهما للكلام ـ فقال القلمُ : بسمِ الله مَجراها ومُرساها ، والنَّهارِ إِذا جلاَّها ، وَاللَّيلِ إذا يَغشاها ـ أمّا بعد حَمْدِ الله بارِئ القلمِ ، ومُشرِّفه بالقَسَمِ ، وَجعله أوَّل ما خَلق ، وجمّلَ الوَرَق بغُصْنه ، كما جمَّل الغُصن بالوَرَقِ ، والصلاةِ على القائلِ جفّتِ الأقلامُ فإِنَّ القلَم قصبُ السِّباقِ ، والكاتبُ بِسَبعة أقلام مِنْ طبقاتِ الكُتَّاب فِى السّبع الطِّباقِ ، جرَى بالقضاءِ والقدَر ، ونابَ عن اللِّسان فيما نَهى وأَمرَ ، طالما أرْبى على البِيض والسُّمر فى ضِرابها وَطعانِها . وقاتَل فى البُعد . والصَّوارِمُ فى القُرْب ملءُ أجفانِها ، وماذا يُشبهُ القلم فى طَاعَة ناسه ؟ ومشيِه لهم على أُمِّ رَاسه ؟! قال السَّيْف : بْسم الله الخافضِ الرَّافع ، وأَنْزلنا الحديدَ فيه بأسٌ شديدٌ ومنافع ـ أَما بعد حمدِ الله الذى أنزَلَ آيةَ السّيفِ ، فعَظَّمَ بها حُرْمة الجَرْح وآمن خيفةَ الحيْف ، والصلاةِ على الذى نَفَّذَ بالسَّيف سُطُور الطُّروس ، وخدمتْه الأقلام ماشية على الرُّؤُوس ، وعلى آله وَصحبهِ الذين أُرْهفَت سيوفُهم ، وبُنِيَت بها على كسْرِ الأعدَاء حُرُوفهم ، فانَّ السّيفَ عَظيم الدّوْلة ، شديدُ الصّوْلة ، محَا أسْطارَ البلاَغةِ ، وأساغ ممنُوعَ الإِساغَةِ ، من اعْتمَدَ على غيره فى قَهْر الأَعْداءِ تعِب . وكيفَ لا وَفى حدّه الحدُّ بيْن الجَدِّ وَاللَّعِب ؟ ! فإِنْ كان القلمُ شاهِدًا . فالسّيف قاضٍ ، وإِن اقتربت مُجادَلته بأمرٍ

مُستقبل قطعَه السيّف بفعلٍ ماضٍ . به ظهرَ الدّين . وَهو العُدّة لقمع المُعتدين ، حَملتْه دُونَ القلم يدُ نَبيِّنا ، فشَرُفَ بذلك فى الأمم شَرفاً بيِّناً ، الجنّةُ تحتَ ظِلالِه ، ولا سيّما حينَ يُسَلُّ وتَرَى وَدْق الدَّم يَخْرُج من خِلالِه . زُيِّنتْ بزينة الكَواكب سَماءِ غِمْده ، وصدَق القائلُ « السَّيْفُ أصدَقُ إنباءً من ضدِّه» لا يَعبثُ به الحاملُ ، ولا يتناوله كالقلم بأطرافِ الأَنامِل . ما هوَ كالقلم المُشبّه بقوْمٍ عرُّوا عن لبوسهم ، ثمَّ نُكِّسوا كما قيل على رُؤوسهم ، فكأنَّ السيفَ خُلقَ من ماءٍ دافق ، أو كوكبٍ راشق ، مُقدَّراً فى السَّرْدِ ، فهو الجوْهرُ الفرْدُ ، لا يُشرَى كالقلم بثَمنٍ بَخْس ، ولا يَبلى كما يَبلى القلم بسوادٍ وطَمْسٍ . كم لقائمه المُستَظِرِ ، من أثرٍ فى عينٍ أوعينٍ فى أثرٍ . فهو فى جِرَاب القوْم قوامُ الحرْب ، ولهذا جاء مطبُوع الشّكل داخِلَ الضَّرْب . قال القلمُ : أَو من يَنْشأ فى الحِلْية وهو فى الخصام غيرُ مُبينٍ ، يُفاخرُ وهو القائمُ عن الشِّمال ، وأنا الجالس على اليَمين ؟! أنا المخصوص بالرَّأى وأنتَ المخصوص بالصَّدَى ، أنا آلةُ الحياة وأنتَ آلةُ الرّدى . ما لِنْتَ إلاَّ بعْد دُخول السَّعير ، وما حُدِدت إلاَّ عن ذنبٍ كبير . أنتَ تَنفعُ فى العمرِ ساعة ، وأنا أُفنى العُمرَ فى الطَّاعةِ . أنتَ للرَّهَبِ ، وأنا للرَّغَب . وإذا كان بَصرُكَ حديداً فبَصرى ماءُ ذهب . أَين تقليدُكَ من اجتهادى . وَأينَ نَجاسةُ دَمك من تطهير مِدَادى ؟. قال السَّيفُ : أمِثلك يُعيِّرُ مِثلى بالدِّماء ؟! فطالما أمرْتُ بعض فِراخى وهى السِّكين فأصبحْت من النفّاثاتِ فى عُقَدكَ يامِسكينُ . فأخلت من الحياة جُثْمانَك . وشقّت أنْفك وقطعت لسانَك . ويلَك ! إنْ كنت للدِّيوان فحَاسِبٌ مهمومٌ ، أو للإنشاءِ فخادمٌ لمخدوم . أو للبليغ فساحرٌ مذمومٌ . أو للفقيه فناقص فى المعلومِ . أو للشّاعر فسائلٌ محروم ، أو للشّاهد فخائفٌ مسمومٌ . أَو للمعلِّم فللحىّ القيُّوم . وأما أنا فلى

الوجهُ الأزهرُ ، والحِلية والجوهر . والهيبةُ إذا أُشْهَر . والصُّعودُ على المِنبر ، شكلى الحَسَنُ علَى . ولم لَأَحملك الخطبَ بدلى ، ثمَّ إنِّى مملوك كمالك . فانّك كَناسِك . أسلكُ الطّرائق ، وأقطعُ العلائق . قال القلمُ : أمَّا أنا فابن ماءِ السّماء . وأليف الغدير وحليف الهواء . وأمَّا أنت فابنُ النَّار والدُّخان . وناثرُ الأعمارِ وخوَّان الإِخوان . تفصِلُ ما لا يُفصَلُ ، وتقطع ما أمرَ الله به أن يُوصل ، لاَجرم أنْ صَعّر السَّيّفُ خدّهْ وصقُلَ قفاهُ ، وسُقى ماءً حميماً فقُطّع مِعاهُ ، يا غُرابَ البيْن ، ويا عُدَّة الحَيْن ، ويا مُعتلّ العَين ، ويا ذا الوَجهين ، كم أفْنيت وأعْدَمت ؟ وأرملتَ وأيتَمْتَ ؟

قال السَّيف : يا ابن الطِّين ، ألست ضامراً وأنت بَطين ، كم جَرَيت بعكسٍ ، وتصرَّفتَ فى مكسٍ ، وَزوَّرْت وحرَّفتَ ، ونكَّرْتَ وعرَّفتَ ، وسطَّرْتَ هَجواً وَشتما ، وخلَّدْت عاراً وذمًّا ، أبشِرْ بِفرط رَوْعتك ، وشدَّة خيفتك ، إذا قِستَ بَياض صحيفَتى بسوَاد صحيفتك ، فألِنْ خِطابَك فأنتَ قصير المدَّة ، وأحْسِنْ جوابك فعندى حِدّةٌ ، وأقلِل من غلظتِك وجبهِك ، واشتغِل عن دَم فى وجهى بمدَّةٍ فى وجهِك ، وإلا فأدْنَى ضربةٍ منّى تروُم أُرومتك ، فتستأصل أصلكَ وتَجتثُّ جُرثومتَك ، فَسَقياً لمَنْ غابَ لك عن غابِك ، ورَعياً لمن أهابَ بِك لسلْخ إهابك .

فلمَّا رأى القلم السَّيفَ قدِ احتَدَّ ، ألاَنَ له من خطابهِ ما اشتدَّ ، وقال : أمَّا الأدُب فيؤخذُ عنّى ، وامَّا اللّطْف فيكْتسب منِّى ، فان لِنتُ لنتَ ، وإنْ أحسَنت أحسَنت ، نحن أهلَ السَّمع والطَّاعة ، ولهذا نُجمَع فى الدَّواةِ الواحدةِ مِنَّا جماعة ، وأمّا أنتم فأهل الحِدَّة والخلافِ ، ولهذا لم يجمعوا بين سيفين فى غلافٍ . قال السيف : أمكْراً ودَعوى عِفّةٍ ، لأمرِ مّا جَدع قصيرٌ أنْفه ـ لو كنتَ كما زَعمتَ ذا أدبٍ ؛

لَمَا قابلتَ رأس الكاتب بعُقدة الذَّنَب، أنا ذُو الصِّيت والصَّوت، وغِرارَىّ لسان مَشْرَفىّ يَرْتجل غرائب المَوْت. أنا من مارجٍ من نارٍ، والقلم من صَلْصالٍ كالفَخَّار. وإذا زَعم القلم أنّه مِثلى، أمرت من يَدق رأسه بنعلى. قال القلم: صَهْ فصاحب السَّيف بلاسعادةٍ كأعزلَ. قال السيفُ: مَهْ فقلم البليغ بغير حظّ مِغزَل، قال القلم: أنا أزكى وأطهر، قال السيف: أنا أبهى وأبهر. فتلاَ ذُو القلم لقلمه: إنّا أعطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، وتلاَ صاحب السَّيف لسيفه: فَصلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر. فتلا ذو القلم لقلمه: إن شَانِئَكَ هوَ الأبْتر، قال: أمَا وكِتابى المسطور، وبيتى المعمور، والتوراة والانجيل، والقُرآن ذى التّبجيل، إن لم تَكُفّ عنّى غَرْبك، وتُبعد منّى قُرْبَك، لأكْتبنّكَ منَ الصُّم البُكم، ولأُسَطّرَنّ عليك بقَلمى سِجِلاًّ بهذا الحكم. قال السَّيف: أمَا ومَتْنِى المَتين، وفتحى المُبين، ولسانَىَّ الرَّطبين، ووَجْهى الصُّلبين، إنْ لم تَغب عنْ بياضى بسوادك، لأمسَخنّ وجهك بمدادك، ولقد كسبتَ من الأسد فى الغابة، توقيع العين والصّلاَبة، مع أنِّى ما ألوتُكَ نصحاً، أفَنضرب عنكم الذِّكرَ صفحاً؟ قال القلم: سَلّم إلىّ مع مَنْ سلّم، إن كنت أعلى فأنا أعلم، وإن كنت أحلى فأنا أحلم، وإن كنت أقوى فأنا أقوم، أو كنت ألوى فأنا ألوم، أو كنت أطرى فأنا أطربُ. أو كنتَ أغلى فأنا أغلب. أو كنت أعتَى فأنا أعتُب أو كنتَ أقْضى فأنا أقضب. قال السَّيْف: كيفَ لا أفْضلُك، والمقرُّ الفُلانىُّ شادٌّ أزرِى. قال القلم: كيف لا أفْضلُك وهو (عزَّ نَصرُه) ولىّ أمرى؟!

قال الحكَمُ بين السيْف والقلم: فلما رأيتُ الحجّتيْن ناهضتَين. والبَيِّنتيْن بَيِّنتَين مُتعارَضتين. وعَلمتُ أنّ لكلّ واحدٍ منهما نسبةً صحيحةً، إلى هذا المقرّ الكريم. وروايةً مُسْندةً عن حديثه القديم، لَطَّفتُ الوَسيلَة، ودقّقت الحيلةَ،

حتى رَدَدْتُ القلمَ إلى كِنّه ، وأغمدْتُ السَّيفَ فنام مِلءَ جفنهِ ، وأخَّرت بَينهما التَّرجيحَ ، وسَكَتُّ عمَّا هو عندى الصَّحيح ، إلى أن يَحكم المقرُّ بَينهما بعلمه ، ويُسكِّنَ سَوْرَةَ غضبهما الوافر ولجاجهما المديد ببسط حِلمهِ .

﴿ مناظرة للآمدِى بين صاحب أبى تمَّام ـ وصاحب البُحْتُرى ﴾

صاحب أبى تمَّام : كيف يَجُوز لقائل أن يَقول : إنَّ البُحترى أشعرُ من أبى تمَّام ؟ وعن أبى تمّام أخَذ ، وعلى حَذْوهِ احتَذَى ، ومن معانيه اسْتقَى ! حتى قِيل الطّائىّ الأكبر ـ والطّائى الأصغر !

صاحب البُحترى : أمَّا الصّحبة له فما صَحبه ولا تَتلمذَ له ، ولا رَوَى ذلك أحد عنه ولا نَقله ، ولا رَأى قطّ أنه محتاج إليهِ ، ودَليل ذلك الخبر المستفيض من اجْتماعهما وتعارفهما عند (أبى سعيد محمد بن يوسف الثَّغرى) وقد دَخَل عليه البحترى بقصيدته التى أوّلها « أأفاقَ صبّ من هوى فأفيقا » وأبو تمّام حاضرٌ . فلما أنشدها علَقَ أبو تمَّام منها أبياتاً كثيرة . فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمَّام على محمد بن يوسف فقال : أيها الأمير ، ماظننت أن أحداً يُقدم على أن يسرق شعرى ، ويُنشده بحضرتى حتى اليوم ، ثم اندفع يُنْشد ما حفظه ، حتى أتى على أبيات كثيرة مِن القصيدة : فبُهت البحترى ، ورأى أبو تمَّام الإنكار فى وجه (أبى سعيد) فحينئذ قال له أبو تمَّام : أيها الأمير والله ما الشِّعر إلاّ له ، وإنه أحسن فيه الإحسان كلّه . وأقبل يُقرّظه ويَصِف معانيه ويذكر محاسنه ، ولم يقنع من (محمد بن يوسف) حتى ضَاعَفَ له الجائزة .

فمن كان يقول مثل هذه القصيدة التى هى من عين شعره وفاخر كلامه قبل أن يَعرِف أبا تمّام جديرٌ به أن يستغنِىَ عن أن يَصحبه أو يتتلمذ له أو لغيره من الشّعراء .

على أننى لا أنكر أنّه اسْتعار بعض معانى أبى تمّام ، لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البُحترى من شعره . وليس ذلك بمقتضٍ أنْ يَكُون أبو تمّام أستاذ البُحترى ، ولا بمانع أنْ يكون البُحترى أشْعر من أبى تمّام . فهذا « كُثَيِّر » قد أخذ من « جميل » واستقى من معانيه ، فما رأينا أنَّ أحداً قال إنَّ « جميلاً » أشعرُ منهُ ، بل هو عند أهل العِلْم بالشّعر والرّواية أشعرُ من جميل .

صاحب أبى تمّام : إنَّ البُحترى نفسه يَعْترف أن أبا تمّام أشعرُ مِنهُ .

فقد سُئل عنهُ وعن أبى تمّام فقال : إنّ جيِّده خيرٌ من جيِّدِى ، وجيِّدُ أبى تمّام كثيرٌ . صاحب البُحترى : إنْ كان هذا الخبر صحيحاً فهو للبُحترى لا عليه لأنّ قوله هذا يدلّ على أنَّ شعر أبى تمّام كثير الاختلاف ، وشعرَه شديد الإستواء : والمُستوِىّ الشِّعر أولى بالتّقدمة من المُختلِف الشَّعرِ ، وقد اجْتمعنا نحن وأنتم على أنّ أبا تمّام يعلو علواً حسناً ، وينحطُّ انحطاطاً قبيحاً ، وأنّ البُحترى يعلو بتوسّط ولا يسقط .

ومن لا يسقط ولا يُسِفّ أفضل ممن يَسْقُط ويُسِفّ .

صاحب أبى تمّام : إنَّ أباتمّام انْفرَد بمذهبٍ اخترعه ، وَصار فيه أوّلا ، وإماما متبوعاً ، وشُهِر به ، حتّى قِيل هذا مذْهبُ أبى تمّام ، وطريقة أبى تمّام . وَسلَك الناس نَهْجه ، واقْتفوا أثرَه ، وهى فضيلة عرِى عن مثلها البُحترى .

صاحب البُحترى : ليس الأمر على ما وصفتَ ، وليس أبو تمّام صاحبَ هذا المذهب ، ولا بأوّل فيه ولا سابق اليه ، بل سَلكَ فيه سبيلَ مُسْلم بن الوليد ، واحتذَى حَذْوهُ ، وأفْرَط فى ذلك وأسرف ، حتى زالَ عن النَّهج المعروف ، والسنَن المألوف بل إن مُسلماً غيرُ مبتدع ، ولكنَّه رَأى هذه الأنواع التى وقع عليها اسمُ

البديع متفرّقة فى أشعار المتقدمين فقصدَها ، وأكثرَ فى شعره منها . ولكنه حرَص على أنْ يَضعَها فى مواضعها ، ولم يَسلم مع ذلك من الطَّعن عليه ، حتّى قيل إنّه أوّل من أفسد الشعر . فجاء أبو تمّام على أثره واستَحسن مذهبه ، وأحبَّ أن يجعل كل بيتٍ من شعره غير خال من هذه الأصناف ، فسَلك طريقاً وعراً واستَكْره الألفاظ والمعانى استِكراهاً ، ففَسد شعره وذَهبت طلاوته ونَشِف ماؤه — فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبى تمّام لهذا المذهب وسبقه اليه — وكلٌّ مافى المسألة أنه استكثر منهُ وأفْرط ، فكان إفراطهُ فيه من أعظم ذُنوبه ، وأكبر عيوبه .

أما البحترى : فإنّه ما فَارق عمود الشّعر ، وطريقته المعروفة على كثرة ما جاء فى شعره من الاستعارة والتّجنيس والمُطابقة ، فكان انفراده بحسن العبارة وحلاوة اللّفظ وصحّة المعنى والبُعد عن التّكلّف والتّعمّل سبباً فى إجماع الناس على استِحسان شعره واستجادته وتداوله ، ونَفاق شعر الشّاعر دليلٌ على علوّ مكانتِه ، واضطلاعه بما يلائم الأذواق ، ويُلامس القلوب ، من أساليب الكلام ومناهجه

صاحب أبى تمّام : إنّما أعْرضَ عن شعر أبى تمّام مَنْ لم يَفْهمه لدِقّة معانيه وقُصور فهمه عنه — أما النُّقّاد والعلماء فقد فَهِموه وعَرفوا قدره ، واذا عرفت هذه الطّبقة فضيلته لم يضُرّه طعْن مَن طعنَ بعدها عليه .

صاحب البُحتُرى : لايستطيع أحدٌ أن يُنكِر منزلة ابن الأعرابى ، وأحمد بن يحيى الشّيبانى ، ودُعبل بن الخزاعى من الشعر ومنزلتهم من العلم بكلام العرب وقد علمتم مذهبَهم فى أبى تمّام وازدِرائهم بشعره حتى قال دُعبل إن ثُلث شِعره محال[1] وثُلثه مسروق وثُلثه صالح ، وقال : ماجعَل الله أباتمّام من الشّعراء : بل شعره

(١) المحال — الفاسد

بالخُطب والكلام المنثور أشبه منه بالشعر ـ وقال ابن الأعرابى فى شعر أبى تمّام : إنْ كان هذا شعراً فكلام العرب باطلٌ . وهذا محمد بن يزيد المُبَرِّد : ما علمناه دُوِّنَ له كبير شىء .

صاحب أبى تمام ، إن دُعبلاً كانَ يشنأ أبا تمّام ويَحسده على ماهو معروف ومشهورٌ فلا يُقبل قول شاعر فى شاعر . واما ابن الأعرابى فكان شديد التّعصّب عليه لغرابة مذهبه ، ولأنه كان يَرد عليه من معانيه مالا يَفْهمه ولا يَعْلمه ، فكان إذا سُئِل عن شىء منها يأْنَفُ أنْ يَقُول لا أدْرِى ، فَيعدِل الى الطَّعن عليه ولا مانع أن يكون جميع من تَذْكرونه على هذا القياس .

صاحب البُحترى : لاعَيْب على ابن الأعرابى فى طعنِه على شاعر عدل فى شعره عن مذاهب العرب الى الاستعارات البعيدة المُخرجة للكلام الى الخطأ والأحالة ، والعيبُ فى ذلك يَلْحق أبا تمّام إذا عدل عن المحجّة إلى طريقة يَجْهلها ابن الإعرابى وأمثاله من المضطلعين بالسَّليقة العربية .

صاحب أبى تمام : إنَّ العلم فى شعر أبى تمّام ، أظهرُ منه فى شعر البُحترى والشاعر العالم ، أفضل من الشاعر غير العالم .

صاحب البحترى : كان الخليل بن أحمد عالماً شاعراً ، وكان الأصمَعِى شاعراً عالماً ، وكان الكِسائِى كذلك ، وكان خلَف بن حيَّان الأحمر أشعرَ العلماء ، ومابلغ بهم العلم طبقةَ من كان فى زمانهم من الشُّعراء غير العلماء . والتّجويد فى الشّعر ليست علّته العلم — والشّائع المشهور أنَّ شعرَ العلماء دُون شعر الشعراء ، وقد كان أبو تمّام يعمل على أن يدلَّ فى شعره على علمه باللغة وكلام العرب .

أما البُحترى : فلم يَقْصد هذا ولا اعتَمده ، ولا كان يعدّه فضيلة ولا يراه علماً

بل كان يَرَى أنه شاعر ،لابدّ له أن يقرّب شعرَه من فهم سامعه ، فلا يأتى بالغريب الا أن يتّفق له فى اللّفظة بعد اللّفظة فى موضعه ، من غير طلبٍ له ولا حرص عليه. على أن هذا العلم الذى تُؤْثرون به أبا تمّام لم يَنْفَعهُ ، فقد كان يَلْحن فى شعره لحناً يَضيقُ العذرُ فيه ، ولا يَجد المتأوّل له مخرجاً منهُ ، إلاَّ بالحيلة والتحمُّل الشديد .

صاحب أبى تمّام : لسنا نُنكر أن يكون صاحبُنا قد وَهم فى بعض شعره ، وعَدَل عن الوجه الأوضح فى كثير من معانيه ، وغير غريب على فكر نَتَج من المحاسن مانَتَجَ ، وولَدَ من البَدَائع ماوَلَد ، أن يَلْحقَه الكلال فى الأوقات والزلَلُ فى الأحيان بل من الواجب لمن أَحْسَن إحسانَهُ أن يُسامَحَ فى سهوه ، ويُتجاوزَ لَهُ عن خطائه وما رَأَيْنَا أحداً من شعراءِ الجاهلية سلِمَ من الطَّعن ، ولا من أخْذ الرُّواة عليه الغلطَ والعيب ، وكذلك ما أخَذتهُ الرُّواة على المُحْدثين المتأخرين من الغلط والخطأ . واللّحن أشْهَرُ مِن أنْ يَحتاج الى أن نُبَرهنهُ أو ندلّ عليهِ ، وما كان أحدٌ من أولئك وهؤلاء مجهول الحقّ ولا مجحود الفضل ، بل عفا إحسانهم عن إساءتهم وتجويدهم عن تقصيرهم .

صاحب البُحترى : أما أخْذ السَّهو والغلط على من أُخِذَ عليهم من المتقدّمين والمتأخرين ففى البيت الواحد والبيتين والثلاثة — أما أبو تمّام فلا تكاد تَخْلو له قصيدة واحدة من عِدَّة أبيات ، يكون فيها مفسداً أو مُحيلاً أو عادلاً عن السّنن أو مستعيراً استعارةً قبيحةً ، أو مخطئاً للمعنى بطلب الطّباق والتَّجنيس ،

أو مبهماً بسوء العبارة والتَّعقيد ، حتى لايُفهم ولا يُوجَد له مخرج .

صاحب أبى تمّام : إنكم تُنكِرُون على أبى تمام من الفضل مايَعترِف به البُحترى نفسه ، فقد رَثاه بعد موته رِثاءً اعْترَف فيهِ له بالسّبق ، وفَضّله على شعراء عصره

صاحب البحترى : لم لا يفعل البحترى ذلك ؟ ؟ وقد كان هو وأبو تمّام صديقين مُتحابّين ، وأخوين متصافيين ، يَجْمَعهما الطّلَب والنّسَب والمُكتسَب ، فليس بِمُنكَر ولا غريب أنْ يَشْهدَ أحدهما لصاحبه بالفضل ، ويَصِفهُ بأحسن مافيه ، وَيَنْحلهُ ماليس فيهِ ، على أن الميّت خاصّة يُعطى فى تأبينه من التّقريظ والوَصف وَجميل الذِّكر أضعاف ما كان يستحقّهُ .

صاحب أبى تمّام : كيفما كان الأمر لا تَسْتطيعون أن تَدْفعوا ما أجمع عليه الرُّواة والعلماء ، أن جَيّد أبى تمّام لا يَتعلق به جَيّد أمثاله ، وإذا كان جيّده بهذه المكانة وكان منَ الممكن اغفال رديئه واطّراحه كأنّه لم يَقُله فلا يَبْقى ريب فى أنّه أشعر شعراء عصره ، والبُحترى واحد منهم .

صاحب البحترى : إنما صار جيّد أبى تمّام موصوفاً ومذكوراً لنُدرته ، ووقوعه فى تضاعيف الرّديء ، فيكون له رونق وماء عند المقابلة بينه وَبين مايليهِ . وجيّد البحترى كجيّد أبى تمّام ، إلا أنه يقع فى جيّدٍ مثله أو متوسّط ، فلا يفاجئ النفسَ منه ما يفاجئها من جيّدٍ صاحبه .

﴿ مناظرة بين الليل والنهار ـ لمحمد أفندى المبارك الجزائرى ﴾

لمّا أسْفرَ النّهار عن بياض الغُرّة ، قابله الليل بسواد الطّرة ، ثم صار الهزْل جدًّا ، واشتدّ النّزاع بينهما جدًّا ، فاستنجد كلٌّ منهما أميرَه ، وأفْشَى له سرّه وضميره ، وإذا باللّيل حَملَ على النّهار ، فَصبغَ حُمْرَة وَرْدَتهِ بِصفُرة البَهار ، وَخطرَ يجرُّ ذُيُول تيهه وعُجبه ، مُرصّعاً تيجان مَفاخره بدُرَر شُهبه . ثم قال : « واللّيْل إذَا يَغْشَى » . « إنّ فى ذَلكَ لَعبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى » ففَتح باب المُناقشة فى هذا الفصل ، وعقَد أسباب المُنافسة بقوله الفَصْلِ « فإنّ الحرْب أوّلها كلام » ثم تَنْجلى

عن قتيل، أو أسير بكلام .

ولمّا بلغَ الليل غايتَه ، بَزَغ الفجر ورَفعَ رَايتَه ، وقال إذ جال فى مُعترَك المنايا « أنا ابن جَلاَ وَطلاَّع الثَّنايا » فتقدَّم فى ذلك المَيدان وجلَّى ، تَالياً قوله تعالى « وَالنَّهار إذا تجلّى » ثمَّ استوى على عرْش السَّنا والسنّاء ، وأطلع شُموس طلعته فى الأَرْض والسماءِ ، فأعْرَبَ عن غوامض الرَّقائق والحقائق ، وأغربَ فى نَشر ما انطَوى من الأسرار والدقائق ، وما انحدر مِن مِنبره ، حتى أيَّدَ دَعْوَى خبرِه بِشاهِدِ مَخْبَرِه . فانتدب اليه « الليل » ومال عليه كل الميل ، وقال : أحمَدُ من جَعلنى خلوة للأحباب ، وجلوَة لعرائس العرفان ونَفائس الآداب ، وخَلقنى مَثوًى لراحة العباد ، ومأوًى لخاصَّة النُّسَّاك والعُبَّاد : ولله درُّ من قال فأجاد : —

أيها اللَّيلُ طُل بغير جُناحِ لَيسَ للعين راحةٌ فى الصباحِ
كيف لا أبغض الصّباح وفيه بانَ عَنّى نور الوجوه الصّباح

أتَردَّدُ على أرباب المجاهدة بفنون الغرائب ، وأتودَّد إلى أصحاب المُشاهدة بعيون الرَّغائب ، تدُورُ فى ساحتهم بدُورُ الحسن والبهاءِ ، وتُدَارُ من راحتهم كؤوس الأنس والهناء ، فتُحييهم نغمات السَّمر ، وتُحْيِيهم نسمات السَّحَر ، فأحيانُ وَصْلى بالتَّهانى مُقمرة ، وأفنان فَضْلى بالأمانى مُثمرة ، وَحسبى كرَامةً أنِّى للناس خير لباس أقِيهم بلطف الإيناس من كل باس ، ومَن واصَلَ الإدلاج وهجَرَ طيبَ الكرَى قيل له (عند الصَّباح يَحمد القومُ السُّرَى)

وما الليلُ الا للمُجِدِّ مَطِيَّةٌ وَميدَانُ سَبقٍ فاستبق تبلغ المُنَى

ففتن بمعانى بيانه البديع ، وتفنَّن فى أفانين التَّصريع والتَّرْصيع ، ثمَّ أتمَّ خطبته بالتماس المغفرة والعفو ، واستعاذ بالله من دواهى الغفلة ودَواعى اللّهو ، فوثب

اليه (النّهار) وصال عليه صولة ملك قهّار ، وصعَدَ على مِنبره ثانيا ، وقد أضحى التيه لعَطْفِهِ ثانياً . فأثنى على منْ جلَى ظلمة الحجاب ، وتَحلّى له باسمه النّور وتوّجه بسورَة منَ الكتاب ، وزَانه بأبْهى سراج وهّاج ، فأوضح بسناه السّبيل والمنهاج ثمّ صاح : أيها الليّل ، هَلاّ قَصَّرت من إعجابك الذّيل ؟! ولئن دَارَت رَحى الحَرْب واستَعَرّتْ نار الطّعن والضَّرْب ، فلأَسبيَنّ مخدَّراتك ، وَهىَ عنِ الْوُجوه حاسِرَة وَأنتَ تتَلو يوْمئذ « تِلكَ إذاً كَرّةٌ خاسِرَة » فما دَعاك إلى حَلبة المُفاضلة ؟ ومَا دهاك حتى عرَّضت بنفسك للمُناضلة ؟ وهل دَأبك إلاَّ الخِداع وَالمَكر ؟! وتَرَقُّب الفُرْصة وأنت داخل الوَكر ؟ ! أمَا حَضّ القُرآنُ على التَّعوُّذ بِرَبِّ الفَلَق وندب «مِنْ شَرِّ مَاخَلَق وَمنْ شَرِّ غَاسِقٍ إذَا وَقب» فبِرَبِّى يُستعاذ منْ شرّك ، ويُستعانُ على صُنُوف صُرُوف غَدْرك ، وَهَبْ أنَّكَ تجْمع المُحِبّ بالحبيب ، إذا جارَ عليه الهوى وحار الطّبيب ، فكم يُقاسى منك فى هاجرَة الهَجر ، وَيئِنّ أنِين الثَّكلَى حتَّى مَطلع الفجر ؟ !

يبيتُ كما بَاتَ السَّليمُ مُسهَّدا وفى قلبهِ نارٌ يَشُبُّ لها وَقدُ

فَيُسَاهر النجوم ، ويُسَاور الوُجوم ، وقد هاجت لوَاعِج غرَامه ، وتحرّكت سوَاكن وَجده وَهُيامِه : فأنشد وَزَفيرهُ يتَصعَّد : —

أُقضِّى نهارِى بالحَدِيثِ وَبالمنَى وَيَجمعُنِى والهمّ باللَّيل جامعُ
نهارى نهار النَّاس حتى اذا بدا لىَ الليلُ هزَّتنى إليك المضاجعُ

على أن العاشق الوَالِه ، يشكو منك فى جميع أحوالِه ، فكم قطع آناءَك بموَاصلة أنِينهِ ، مُتَمَلْملاً منْ فرط شوقه وَحنِينه ، فلمَّا أنْ حُظِىَ بالوصال ، تمثّل بقول من قال

أللَيلُ إن واصلَتْ كاللَّيْل إن هَجرَتْ أشكُو منَ الطول ما أشكُو من القِصَر

ولئن افتخرتَ ببدرك الباهر الباهي ، فانما تُبارِى ببعض أنوارى وتُباهِي وهلَ للبدر عند إشراق الشمس من نور ؟ أو لطلعة حُسنه من خدُور البُطون ظُهور ؟! ومن ادَّعى أنك تُساوينى فى الفضل والقدْر ؟ ! أو زَعَم أنَّ الشمس تَقْتَبِس من مِشكاة البدر ؟! ومَتى استَمدَّت الأصول منَ الفرُوع ؟ « وَما أغْنى الشموسَ عن الشّموع » فَبِى تَنْجلى محاسنُ المظاهِر الكونيَّة ، وَتتحلّى بجوَاهر الأعراض اللّونيّة وأنَّى يخفى حسْنى وجمالى على مُشاهد ؟ أو يفتقرُ فضلى وكمالى الى شاهد ؟ ! وَعِرْضى عارٍ عن العار ، وَجميعُ الحسن من ضيائى مُستَعار ؟ !

وَلَيسَ يَصحُّ فى الأذهان شىءٌ اذا احتاج النَّهار الى دليل

أما كفاك بَيِّنةً ، وزادك ذِكرى وتبصرة ، قوله تعالى : « فَمَحَوْنَا آيةَ اللَّيل وَجعلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبصِرَة » « وَهلَ يستَوى الأعمى وَالبَصير ، أمْ هلَ تَستَوِى الظُّلمات وَالنُّور » وأين منزل أهل الغفلة من منزل أهل اليقظة والحضور ؟ وإن كنتَ مَغنَى الأنس والأفراح ، تَفعَل بِعقول الناس فعل الرّاح ، فهل حسبت أنّ السُّكوت خيرٌ منَ الحركة ؟ وَقد أجمع العالَم على أن « الحركة بَركة » فانَّ لى بكلِّ خطوَة حَظْوة ، وليسَ لجوَادى كَبوةٌ ، وَلا لِصارمى نَبوَة ، وَإنْ صَرّحتَ للَّذين يَبيتُون لرَبِّهم سُجَّدًا وَقياماً ، مُعرِّضاً بكلّ غافِل لاَه ، فى كلّ مجالٍ رجالٌ لاَ تُلهيهِم تِجارَةٌ وَلاَ بَيعٌ عنْ ذكرِ الله ، وأينَ من احتَجبَ بظلماتٍ بَعضُها فوق بَعض ، ممَّن أضحى ينظر بعين الإعتبار فى ملكوت السّموات وَالأرض ؟! وقد أحفَنى الله بالصَّلاَة الوُسطَى فأوْترُ بها صلَواتى ، وشرعَ فيها الإسرار لأسرار اختَصت بها أهل جلواتى ، وكفانى شرفاً (شَهْرُ رمضَانَ الَّذى أُنْزِل فيهِ القرآن) فَمآثِرى مأثورةٌ فى القَديم وَالحديث ، ومفَاخرى مَنْثُورةٌ فى الكتاب والحديث

ومحاسنى واضحة لأولى الأبصار، وهل تخفى الشمس فى رائعة النهار ؟! فاكفف عن الجدال وأمسك، ولا تجعل يومك مثل أمسك، وسالم من ليس لك عليه قدرة، فقد قيل « ماهلك امرؤ عرف قدره » أقول قولى هذا - وأستغفر الله من آفة العجب والكبرياء، ولما انهار ركن النهار، إبهار (الليل) وتبرقع بالكفهرار، فسد ما بين الخافقين بسواده، وطفق يرمى بسهام جداله فى جلاده وقدم بين نجواه سورة القدر، آية على ما حازه من كمال الرفعة والقدر، وثنى بقوله تعالى: « سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً » فأشار إلى الحبيب حين تجلت له قرة عينه ليلاً، ثم قال: سحقاً لك أيها النهار، فقد أسست بنيانك على شفا جرف هار، تناضلنى ومنى كان انسلاخك وظهورك، وتفاضلنى وبى أرخت أعوامك وشهورك - ألم يأن لك أن تخشع للذكر [1] ؟ فتعترف لى برتبة التقديم فى الذكر [2]، وكيف تعيرنى بلون السواد ؟ وهل يقبح السواد إلا فى الفؤاد ؟! أو كيف تعيبنى بالخداع (والحرب خدعة) وليس الشئ فى موطنه بغريب ولا بدعة ؟! أما تشهد العوالم من هيبتى حيارى ؟ « وترى الناس سكارى وما هم بسكارى » فكم أرقت [3] ملوكاً أكاسرة ؟ وأرقت [4] دماء أسود كاسرة، وكم أوريت نار الوغى تحت العجاج ؟ وقد أزورت اللحاظ واغبرت الفجاج. فأنا البطل الذى لا يصطلى بناره، ولا يأخذ منه الموتور بثاره، وافتخارك علىّ بالصلاة الوسطى، ليس إنصافاً منك ولا قسطا. وهب أنك انفردت بتلك الصلاة الجليلة، فأين أنت مما أوتيته من الصلات الجزيلة ؟ أما كان افتراض الصلاة فى ليلة العروج ؟! فما بالك تدعى الارتقاء الى هذه البروج ؟!

(١) الذكر — القرآن (٢) الذكر — الشرف (٣) أرقت — أسهرت (٤) أرقت - أسلت

وما أعجبتني قطّ دعوى عريضة ولو قام فى تصديقها ألف شاهدِ

وأمّا افتخارك علىّ بفضل شهر رمضان ، ومانزل فيهِ من السبع المثانى والقرآن فهل صحّ لك صيامه إلا بى بدءاً وختاماً ؟! وقد تميّزتُ عليك بفضيلة إحيائه تهجّداً وقياماً . على أنى محلّ النيّة «ونيّة المرء خيرٌ من عمله» لأنها بمثابة الرّوح له ، وبها يحظى الرّاجى ببلوغ أملهِ ، هذا : وإنّى أتكفّل للصّائم بمديدِ الراحة ووافر الأجر حتى يتبيّن له الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر . وكيف تفتخر بالكتاب المنزّه فى مزياه عن المُشاركة ؟ والله تعالى يقول فيه « إنّا أنزلناه فى ليلة مباركة » وهلْ فى مطالع سُعودك أشرقت بدُور العيدين ؟ ! أم على جناح جنحك أُسرِىَ بنُور طلعة الكوْنين ؟! ثمّ عُرجَ بهِ عليه الصّلاةُ والسّلامُ إلى منزلة قاب قوْسيْن . وهل فى تجلّيات أسحارك يقول الربّ : هل من سائل ؟ ؟ فيُباجيه العبد مُتضرّعا اليه بقلب خاشع ودمع سائل ؟

وممّا اختصصتُ بهِ من الفضائل والمفاخر ، أنّه فى دولتى وُلدَ سيّد الأوائل والأواخر . وناهيك بليالى شهر الله رجب ، وكيف لا وفى طالعها السّعيد حملت آمنة بسيّد العجم والعرب .

فطلع (النّهار) طُلوع الأسد من غابه ، وكشّر جيوش الدُّجى حينَ كشّر عنْ نابه ، وشمّر للحرب العوان ، غيرَ ناكلٍ ولا وانٍ ، ناشراً فى الأفق رايته البيْضاء وأسنّته لامعة بين الخضراء والغبراء ، وقال : والذى كسانى حُلَل الملاحة ، وأطْلَق لسانى بالبلاغة والفصاحة ، لأمْحوَنّ سُطُور الدُّجى من طُروس الوجود ، ولأُثبتَنّ حسن أحوالى فى مقامات أهل الشُّهود ، فإنّى معروفٌ بالوفاءِ وصدْق الخبر ، موصوف بالصّفاءِ الذى لا يَشُوب صفوه كدَر ، كيْف يُباهينى (اللّيل) بمكارم الأخلاق ومحاسن

الشِّيم ، وأنا أتحدَّث بِنَعم الله وهو مَوْسوم بكُفران النِّعم ؟ ألستُ مَظهرَ الهداية والدّلالة ، وهو مَظهر الغِواية والضَّلَالة ؟! فكم أرشدت مَن أضلّه ، وأعزَزْت من أهَانه وأذلّه ، وكم أظْهرت مِنه عَيباً كان غيباً ، فابْيضّت عينُه حُزْنا «واشْتعَل الرَّأس شَيْبا»

وَمن جَهِلَت نَفْسه قَدرَه رَأى غَيْره مِنْه مَا لَا يرى

وكيفَ يَزعم هذا العبد الآبق ، أنَّه لِسيِّدِه فى حَلْبة الشرف سابق ، وقد قال الواحِد القهَّار . « ولاَ الَّليل سَابِقُ النَّهار » إن هو وأيم الله إلاَّ كافر ، وَبشموس أنوار الشَّهادةِ غير ظافِر ، لو كانَ مِن السُّعداء لَفازَ بدارِ النَّعيم ، ولولاَ شَقاؤه لما شَابَهُ سواد طَبقَات الجَحيم ، ومَاذَا يُؤمِّله مِنَ الجَزاء و يرجوه « يَوم تَبيَضُّ وجوهٌ وتَسودُّ وجوه» أمَا دَرى أنَّ صحيفته سوداء مُظلمة ، وصحيفتى تفصح عن نَفسٍ مؤمِنة بالله مسلمة ؟ ! وأنّى يرقى كتابه إلى عِلِّيِّين ، وهو مِن ظلمات الحِجاب فى سِجِّين ؟!

ثمَّ أقبَلَ عليه ، وأنشد مشيراً إليه : —

يا مُشبها فِى فِعلِه لوَنه لم تَعْدُ ما أوجَبَتِ القسْمة
خُلقُك من خَلْقك مستخْرجٌ والظُّلم مشْتق من الظلمة

وقال : كيفَ تدَّعى فوق حالك ؟ وأىُّ فضل لمن مَنْظره أسود حالِك ؟ !

أما علمتَ أنّ الظَّاهِر للباطن عنوان ، كما أن اللّسان عن الجَنان ترجمان :

قال أفضل الخلق : ﷺ « ابْتَغوا الخير عنْد حِسان الوجوه » وقال الشاعر : —

لَا تسأل المرءَ عن خَلائِقه فى وجهِهِ شاهدٌ مَن الخبَر

فأنا مِفتَاح خزَائن الأرزَاق ، وبى يستفتح باب الكريم الرّزّاق ، وكفانى دليلاً على الفضل وَالكمال « إنّ الله تعالى جميل يُحبُّ الجمال» لقد سمِعتُ أقاويلك التى قدّمتها بين يَديك ، وزعمتَ أنَّها حُجّة عليك ، ولا جَرم أنّ لسان الجاهِل

مِفتاحُ حتْفه . وكم مِنْ باغٍ قُتل بصارِم بَغْيه وحَيفه — أمَا انسلاخى منكَ فمن أملَح المُلح لى وَالغُرَر ، وهلْ تحقُّ لأصناف الأصداف أنْ تُنافِس نَفائس الدُّرَر؟ أليست « تلِدُ الأمَةُ رَبّتَها حُرَّة نجيبة » وقد قالوا : « إنَّ اللَّيالى حبَالَى يلِدْن كلّ عَجِيبة » وأمَّا تقدُّمك علىَّ فمنَ العادة تقدُّم الخدَم بينَ يدِى السَّادة .

أوْ ما ترَى أنَّ النَّبىّ محمداً فاقَ البريّة وَهو آخرُ مُرْسَل

على أنّه « أوَّلُ ماخلقَ اللهُ النُّورَ » كما وَرَد عن جابر فى خبره المأثور .

وأمّاتحلّى صفوَتك بتجلّى الحقّ تعالى فى السَّحَر ، فلَيس إلا لمن أحْيا أحيانك بالمُجاهدة والسَّهر ، وأمَّا زَهْوُك بقِصّة ظُهور سيد ولد آدم ، الذى هو نتيجة مقدِّمات الكون وَزُبدَةُ العالَم ، فهل وَقع اتّفاقُ الرّواة على ذلك ؟! وَأنَّى لكَ هذا ، وَصُبْح طَلعته يمحو سَوادك الحالك ، وَأمَّا خبرُ الإسراء فعنّى رَوته الأُمَّة[1] ثم بلّغه الشاهد للغائب بعد أُمَّة[2] ، فما لاَحت أسرَاره إلا بمطالعى ، ولا رَاحت أستاره إلا بطوالعى . وما أَشرْتَ اليه من بقيّة معانيك التى أضاءتْ بها فى الخافقين نجومُ معاليك ، فأنت أين من يوْم عرَفه ، الذى عرَفه بأبْهى الخصائص مَن عرَفه ؟! وأين أنت من يوم عاشوراء ، الذى يَعظُم فيه الشكر وَالصَّبر على السَّراءِ والضرَّاء ؟! وناهيك بسُموّ شأن العيدَين ، فما أجلّهما من موسمين سعيدين ، وكيف تُفاخِرنى بساعة تبدو منك مرّة فى كلّ عام ، ولى فى كل أسبوع أمدٌ تمتدُّ فيه موائد الجُود والإنعام فأخبارُ أخيارى سارَت بها الرّكبان ، وَماسَت بنسيم رِقّتها معاطف البيان ، وقَدرى فوق ماتصِفُه الألسُن ، وعندى « مَا تَشْتَهِيه الأنفُس وتلَذ الأعْيُن » فدَعْ عنك قول الزّور والمَيْنِ « فقد بُيِّن الصّبح لذى عينين »

(١) الأمة — اهل الدين (٢) الأمة — الحين من الدهر — أى مدة — أو وقت

ولمَّا أفاض (النَّهار) فى حديث يَفْضَح الأزْهار، أبدَع فى كِنايته وتلويحه وأعرَب فى تعريضه وتصريحه ـ ابتدَرَ اليه (الليل) وأجْلبَ عليه بالرَّجل والخيل وامتطى جواده الأدهم، واعتمّ بعمامة سوْدَاء وتلثَّم، فأنسَى بفَتكاته عَنْترَةَ بَنى عَبس، حِينَ أمْسَى يتوَعّد عمارةَ بالقتل والرَّمس، ثم نشرَ فى الأُفق ذوائبه السُّود وعَبَسَ وبَسر فأسرَ بسَطوته الأسود، وقال: « فلاَ أُقسِمُ بِالشَّفَقِ، واللَّيـل وَما وَسَق، والْقَمرِ إذا اتَّسَق » لأسبيَنَّ رُومىّ النَّهار، ولأجعلنّهُ عِبرة لذوى الاعتبار فلقَدْ تَزَيَّى المملُوكُ بزىِّ الملوك، وادَّعى مقام الوُصول الى صاحب السيْرِ والسلوك أَما كفاه ازْدِرائى وتحقيرِى ؟! حتى حكم بتضليلى وَتـكْفيرى ؟! كَم أسبلتُ على عَوْراته ذيلَ سِترى، وهو لا يُبالى بهتك أستارى ؟! وكم أوْدَعتُ مكنُون سِرِّه فى خِزانة سرِّى، وهو يبُوح بمصون أسرارى ؟! أُفٍّ له من فاضح، أمَا يـكْفيه ما فيه من المفاضح ؟!

أنَمّ بما اسْتودَعْتُهُ من زُجاجةٍ يُرى الشَّىءُ فيها ظاهراً وهو باطِنُ

كيف احتَجَّ لتقدّمه بحديث جابر؟ مع أن مارَواه لِـكَسْرِى أعْظمُ جابر، فإنّه برهنَ عَلى تقدّمى عليه، لو أدْرَك سِرّ ماأوْمأ اليه، وعلاَم جعَل السوّاد علَى النقّص علامة؟ وهو مُشْتَقٌّ من السُّؤْدَد لدَى كلّ علاَّمة ؟! أما دَرى أنّى حُزتُ من الـكمال الحظّ الأوْفر؟ حتى تحلّى ببديع وَصْفى العَنْبرُ والمسكُ الأزفر ؟!

إن كنتُ عبدًا فنفسى حُرّة كرَمًا أو أسوَد الخَلْق إنّى أبيض الخُلق

وهل يُزْرى بالخال سواده البارع ؟! أو يُغرى بالبرَص بياضه النّاصع ؟! وفى بياض المشيب عِبرَة وأىّ عبرَة، فـكم أجرى من الآماق أعظم عَبرة .

لهُ منظرٌ فى العين أبيضُ ناصع ولـكنَّه فى القلب أسود أسفَعُ

ومَن عاب نعْت الشَّباب، وفضَّل وصفَ الشَّيب، فقد غاب عن شهود العَيب وعالَم الغيب «فما كلّ بيضاء شَحْمة ولا كلّ حَمْرَاء لحمة» ولمَّا أنهى مقالَه، ومَلّ مقامه شمَّر للرّحلة أذْياله، وقوَّض خيامه، فتهلَّلَ وجه الصَّباح، وهلّل بذكر فالق الإصباح وازْدهاه السّرُور والابتهاج، كأنّه ربّ السَّرير والتَّاج.

فكأنّ الصُّبْح لمّا لاَح من تحت الثُّريَّا
مَلكٌ أقبلَ فى التّا ج يُفدَّى ويُحيَّا

وبَرزَ إلى المُبارزَة من بابها، إذ كان من فرسانها وأرْبابها، فسلب (اللَّيل) لباسَه، وأذاقه شدّته وباسَه، وقال له: أيها المعجبُ بنفسه، المغرب فى نقْشه صحيفة زُوره بنفسه [1] «ما كلّ سوْداء تمْرة، ولا كل صَهْباء خَمْرة» ألم تعلم أنّنا أبْهى مُحيّا، وشتَّان ما بَين الثَّرَى والثُّريَّا. أين سَوادك من بَياضِى؟! وما زهر نجمك إن تتلألأ زهرُ رياضى؟! وكم أطلعت بُدوراً فى مواكب السّيّارة، فأضحت تزهو بجمالها على الكواكب السّيّارة، وهل لك مثل الغزالة؟ التى انفَردت فى الملاحة لامحالة؟! فأنا الذى ضاء صباح الصَّباحة من مُحيَّاه، وضاعَ عَبير العنبر من نشر أنفاسِه وطيب رَيّاه، ولَوْلاى ما عُرِف الحُسن والجمال، ولا سعَى على وجه الأرض بدر الكمال: فَوَجَم (الليل) لبراعة تلك العبارة، و بلاغة مالاح له من الرَّمز والإشارة ثمّ وثبَ للمقال، كأنّما أنشِط من عِقال، وقال: «رُبّ ملوم لاذنب له» ومظلوم خيَّب الدّهر أمله، فإلى متى يسوءنى النهار؟ وحتى مَ يسومنى عذَاب النار؟ طالما أعرتُه أُذُناً صمّاء، وعيناً عمياء، وهو لا يَنثنِى عن المُقابلة. ولا يرْعوى عن المُحاربة والمُقاتلة، أمَا تعلم أيُّها المُغترّ ببياضك أن السَّواد حِلية أهل الزُّهد والصّلاح؟ وهل

(١) النقس — ما يكتب به. من مادة يريد سواده

يسترقُّ الأُسود إلا سُود أحداق المِلاح ؟ ! بَيْدَ أنّ الحرّ لا يُبالى بالجمال الظّاهر وإنّما يباهى بالفعل الجميل والقلْب الطّاهر، فإنّ تفاوُت المرَاتب، بحسَب تفاوُت المناقِب

وما الحسن فى وجه الفتى شرفٌ له اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وكم أعددت للأُنس مقاعد ؛ وفى الأمثال : « ربَّ ساعٍ لقاعد » فإنّ ظِلِّى ظليل ، ونسيمى عليلٌ بليل . تَهْدأ بى الأنفاس ، وتَسْكُن الأعضاء والحواسّ فقام (النّهار) يَعثُر فى ذَيْله ، وقد كفكَفَ وَاكِف سَيْلِه ، فما لَبِث أن تنفّس الصّبَاح ، وأظهر مِن سَنَاه ما أخفى ضوءَ المصباح ، ورَفرَف بجناحِه الأبيضِ على الدُّجى . فاقْتنَصه من وكره بعد ماسكن وسَجا .

فكأنَّ الصّباح فى الأفْق بازٌ وَالدُّجى بين مِخْلَبيْه غُراب

وقال تبًّا لك أيها (اللّيل) فلقد أُتيتَ مَنَ المَيْن أَوْفرَ نَيل ، أىُّ حديث لك صحيح وضعتُه ؟ وأىّ حقّ لك صريح أَضعْتُه ؟ !

عليك بالصِّدق ولو أنّه أحرقَكَ الصّدْق بنار الوعيد

وابْغ رضا الله فأغبَى الورَى من أسخط المولى وأرْضى العَبيد

نعم لك فى السّمر خبرٌ مرفوع ، بيد أنه مكروه فى السُّنّة موضوع ، قد اشتهرتَ لكن بأقبح الأوصاف ، وعدلْتَ لكن عن سبيل العدْل والإنصاف ، تكتم عن المرء ما يُرْديه « وتُخفِى فى نفسك ما الله مبديه » وفى المثل : « الليل أخْفى للويل » فما أصْعَبَ مرَاسك قبل افتراس سُهيل . وهل يترنَّم بذكرك إلاّ غافل ؟ ! وأنّى يغترُّ بك عاقلٌ ونجمك آفل ؟ ! وكيف تفتخر علىّ ، وأنت تَفتقر إلىّ ؟ !

ولمّا سلَب النهار بأساليب بيانه العقُول ، وسكت الليل مَليًّا ثم أنشأ يقول : —

فعين الرِّضا عن كلّ عيب كَليلةٌ كما أنّ عين السُّخْط تُبدِى المساويا

كيفَ أتصدّى للكذب، وأتردّى باللّهو واللّعب ؟ ! وأنا المنعُوت باللُّطْف والظَّرف والموسوم بالصّمت وغضِّ الطّرف، كيفَ أُورث الغُرور، وأوثر الغفلة على الحضور وأنا الدّاعى لذكر الله وَحده، والسّاعى فى رَدّ الكثرَة الوَهميَّة الى عين الوَحْدَة وأنا الموْصوف بالسّتر الجميل، والمعرُوفُ بشكر المعروف والجميل، وهل أَحْجُبُ البَصَر عن شُهود عالَم الكثافة ؟ إلاّ لأكشفَ لعين البصيرَة عن عالَم اللّطافة، وبذلك يتحقَّق العبدُ بفنائه عن وُجودِه، فَيمدُّه الرّبُّ تعالى بسرٍّ بقائه من خزائن جُودِه، ثمّ قال (النّهار لليل) وقد هجمَ عليه هُجُوم السيّل، أيّها المدّعى مقام الدّعْوَة الى الله، وهو فى حال الغفلة عن موْلاه لاَه، كيف تسنَّمْتَ ذِرْوَةَ هذا المِنبر ؟ كأنك تكتبُ بالمِسك وتختمُ بالعنبر ! لَقدْ أطلتَ فيما « لا طائل تحته » ولا معنَى، فكم ذا «أسمعُ جَعْجَعةً ولا أَرَى طِحْناً» فلوْ كُنتَ ممَّن انتخب غُرَر الشِّيَم وانتقى. لاَ تّعظتَ بقوله تعالى : « فَلا تُزكُّوا أنْفُسكم هُوَ أعْلَمُ بِمَن اتّقى » فتنبَّه من غَفلتِك أيّها « اللّيل» قبل أن تدعو بالثّبُور والويل، وإلاّ فَرَّقتُ طلائعَ سَوادِك أىّ تفريق، ومزّقتُ سوابغَ ظلامِك أىّ تمزيق « فَما كلُّ مَرَّة تَسْلمُ الجرّة » فاسودّ وَجه اللّيل، وانقلبَ « بحَشَف وسُوءِ كَيْلٍ » وَندِم على مُناضلة النّهار، نَدامة الفَرَزْدَق حين فارَق النّوّار[1] ولمّا سُقِط فى يدِه. وَرُزِئ فى عَدَدِه

---

(١) بنت مجاشع زوج الفرزدق طلقها فى مجلس عبد الملك بن مروان — وذلك ان الفرزدق قال فى المجلس وعند جرير — النوار طالق ثلاثا ان لم أقل بيتا لا يستطيع جرير ان ينقضه ابداً فقال عبد الملك : ما هو ؟ فقال :

فانى انا الموت الذى هو واقع بنفسك فانظر كيف انت مزاوله

فقال جرير ام حرزة طالق منه ثلاثا ان اكن نقضته وزدت عليه . فقال عبد الملك : هات فانشد

انا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئنى بمثل الدهر شيئا يطاوله

فقال عبد الملك : فضلك والله ياأبا فراس ، وطلق عليك

وعُدده ، تَردَّى بالسوَّاد ، ولبِسَ ثِياب الحِدَاد ، ثم لاح هـلالُه للعيْن ، كَمِنجَل صِيغَ مِنْ لجَين .

أُنْظُر إلى حُسْنِ هلالٍ بدَا يَجْلُو سَنا طَلعته الحِنْدِسا
كَمِنْجَل قد صِيغ من فِضَّةٍ يَحْصدُ من زَهرِ الدُّجى نَرجِساً

وقالَ : مَنْ يُنْصفُنى من هذا الجائر ؟ وَينصتُ لى فأُبثُّهُ شكوَى الوَاله الحائر فحتّام أعانِى حدَّ الظُّبَا ، وقد بلَغ السّيلُ الزُّبَى .

وكُنت كالمُتَمنِّى أن يرَى فَلَقاً مِنَ الصَّباح فلما أنْ رآه عمِى

فانتبهَ طرفُ (النّهار) وأزْدهر سِراجُه أىّ ازدِهـار ، وشَرَع يتلو سُورَةَ النُّور بكمال الابتهَاج ، والشَّمسُ تَرْقُمُ آية جَماله بالذَّهب الوَهّاج .

وقابَل الصُّبْحُ جُنحَ اللَّيلِ فارْتَسَمَتْ سُطورُه البِيضُ فى ألْواحه السُّودِ

ثمَّ قال : أيها « اللَّيل » البهيم « تَاللهِ إنّكَ لَفى ضَلَالِكَ القديم » كيف تدَّعِى أنّك مظلوم ؟ وتَشتكِى من جَوْرى وأنتَ الظَّلُوم ؟! وَهبْ أنِّى قاتَلتُكَ ظُلماً فأنتَ البادى ، وَهل قابلتُك إلاَّ بما وَاجهتَنِى به فى المبادِى ؟! وَها أنا برَهْنتُ على فَضلى بشهُودٍ عدُول ، لَيس للمُنْصِف على تَزكيَة شهادَتهم عُدُول . فاستَقِلْ من دعوَى المجد والفخر ، فقد « حَصْحَصَ الحَقُّ » وَوضَحَ الفجر ، وَإنْ أبيتَ سُلوكَ محجّتى ولمْ تتَّضح لك أدِلَّة حُجّتى ، فهلُمّ إلى « حضرة الأمير » ولاَ يُنبِّئُك مثل خبير ، فأنكرَ اللَّيلُ زَعمهُ التفرّدَ بالفضل وَادّعاءهُ ، وأجابَ فى عرْض أمرِهما على (الأمير) دُعاءه ، وقال : « على الخبير سقَطت ، وَعند ابن بَجْدَتها حطَطت »

﴿ وكتب أيضاً مُناظرة بين الارض والسماء ﴾

جالتِ السّماء فى ذلكَ المضمار وصالت ، ونوّهتْ برفيع قدرها وقالت ، تباركَ الّذى

جعل فى السّماءِ بُرُوجاً ، ومنحَ أشرَف الخلق إلىّ مُرُوجا ، وَقدّمَنى فى الذِّكر ، فى محكم الذّكر ، وَشرّفنى بحُسْن القَسَم ، وأتحفنى بأوْفر القِسَم ؟ وَقدّسنى منَ النَّقائِصِ وَالعيُوب ، وأطلعنى على الغوَامض والغيُوب ، وقد وَرَد أنّ الرّبّ ينزل إلى كلّ ليلة ، فيُولى مَن تعرّض لنفحَاته برّه و نَيلَه . فَيالها من تُحفة جَليلة ، وَمنحةٍ جزيلة يحقُّ لى أن أجُرّبها ذُيول العزّة والافتخار ، وكيف لا والوجود بأسرِه بَاسطٌ إلىّ أيدىَ الذِّلة والافتقار ، فلِىَ العزُّ البَاذخ ، والمجدُ الأثيل الشَّامخُ ، لتفرّدى بالرِّفعة والسُّموِّ ، وعلُوِّ المنزلة دُون عُلوّ ، فقالت لها « الأرض » ويْك لقد أكثرْت نزراً وارْتكَبتِ بما فُهْتِ به وِزراً ، أمَا إنَّهُ لا يُعجَبُ بنفسه عاقل ، ولا يأمنُ مكر رَبه إلاَّ غافل ، وَمن ادَّعى ماليس لهُ بقوْله أوْ فعله ، فهلاكه أقربُ إليه منْ شراك نَعله وقد قيل : « من سعادة جدّك ، وُقوفُك عند حدِّك » ومن فعلَ ما شاء ، لقىَ ما ساء ، أو ما كفاك أنْ خَطرْت فى مَيادين التِّيه والإعجاب ؟! حتى عرّضت لشتْمى ؟ « إنّ هذَا لَشَئٌ عُجَاب » وهل اختصّك اللهُ بالذِّكر ؟ أو أقسَم بك دُونى فى الذِّكر ؟ أو آثرك بالتَّقديم ، فى جميع كلامه القَديم ، حتى تردّيتِ بالكبرياء وتعَدّيت طَوْرَ الحياء ؟ !

إذا لم تخشَ عاقبة اللّيالى ولم تَسْتَحْى فاصنَع ماتشاء
فلا وأبيك مافى العيش خيرٌ ولا الدُّنيا إذا ذهب الحياء

وكيف تزدرين أهلى بالذُّنوب والمعاصى ؟ وأنت تعلمين أنّ الله هو الآخذ بالنَّواصى ! فقابلتها « السماء » بوجه قد قطَّبتْهُ ، ومَجنٍّ قد قلّبتْهُ ، وقالت لها فى الحال : أيتها القانعةُ بالمحال ، ما كنتُ أحسبُ أنك تجترئين على مُبارزة مثلى ، وتُنكرين علىّ ماترَنَّمتُ به من شوَاهد مجدى وَفضلى ، وهَلْ خفِيَ أنّ التَّحدُّث بالنِّعم مما يُلام عليه ؟

مع أنه أمرٌ مندوبٌ إليه ! ومن أمثال ذوى الفطنة والعقل ، « ليس من العدل سُرْعة العذل » وكيف جحدتْ ظهُور شمس كمالى ؟ وهل لك من الفضائل والفواضل كمالى ؟ ولكنّ لك عندى عُذراً جليًّا ، وإن كنت « لقد جئت شيئاً فرِيًّا »

قد تُنكرُ العينُ ضوء الشّمس من رمدٍ ويُنكرُ الفمُ طعم الماء من سَقَم

ولو رأيت ما فيك من المساوى عِيانا ، لما ثنيت إلى حَلْبة المُفاخرة عِناناً . فأنّى تفوزين بأشرف الأقدار ؟ وأنت موضعُ الفضلات والأقذار ! وما هذا التّطاولُ والإقدام ؟ ووجهك موْطئ النِّعال والأقدام ! إن هذا إلاّ فعل مكابر ، دَعوى عريضةٌ وعجزٌ ظاهر ، وهل يحقّ للكثيف ، أن يتغالى على اللّطيف ؟ ! أم ينبغى للوضيع ، أن يتعالى على الرّفيع ؟! فقالت لها « الأرض » أيتها المُغترّة بطوالع أقمارها والمُعتزّةُ بلوامع أنوارها « ما كلّ بَيضاءَ شحمه ، ولا كلّ حمراءَ لحمه » فبمَ تزعُمين أنك أتقى منّى وأنقى ؟ وما عند الله خيرٌ وأبقى ! وأنتِ واقفةٌ لى على أقدام الخِدْمة جاريةٌ فى قضاء مآربى بحسب الحِكمة ، قد كفّلك الحقُّ بحمْل مؤُونتى ، وكلّفك بمساعدتى ومعونتى ، ووكّلك بأيقاد سِراجى ومِصباحى : ووكلك إلى القيام بشؤونى فى ليلى وصَباحى ، وليس عُلوُّكِ شاهداً لك بالرّتبة العليّة ، فضلاً عن أنْ يُوجبَ لك مقام الأفضلية ـ فما كلّ مُرْتفع نَجد ، ولا كلّ متعاظم ذُو شَرف ومجد

وإن علانىَ مَنْ دُونى فلا عَجبٌ لى أُسوَةٌ بانحطاط الشّمس عنْ زُحَلِ

فمِنْ أعظم ما فُقتُ به حُسناً وجمالاً ، وكِدْتُ بإخْمَصى أطأ الثُّريّا فضلاً وكمالا تكوينُ الله منّى وجودَ سيِّد الوُجود ، فأفرَغ علىَّ به خِلع المكارم والجُود . فهو بدر الكمال ، وشمْسُ الجمال

وأجملُ منك لم تَرَ قطّ عينٌ وأكملُ منك لم تَلِدِ النِّساءُ

خُلِقتَ مُبَرّأً من كلّ عَيْب كأنَّكَ قد خُلِقت كما تشاءُ

فأكرمْ به من نبيٍّ أسرَّنى به وأرْضى ، كيف لا ولولاه ما خَلَقَ سماءً ولا أرضاً وجعلنى له مسجِدًا وطَهوراً ، وأقرَّ بهِ عَيْنِى بطوناً وظُهورا .

فأبْرَقتْ «السّماءُ» وَأرعدَتْ ، وأرْغتْ وأزبدَتْ ، وقالت : إن لم تَتَخطَّى خُطَّةَ المُكابَره ، وتَتخلّى عن هذه المُثابرَه ، لأغرِقَنَّكِ فى بحار طُوفانى ، أوْ أحرقَنَّكِ بِصواعِقِ نِيرَانى ، وهل امتَطيتِ السِّماكَينِ ، أو انتعلَتِ الفَرْقَدَيْنِ ، حتى تَفتَخرى علىَّ ، وتُشيرى بالذَّمّ إلىَّ ؟ وتلك شهادةٌ لى بالكمال ، ولقد صدق من قال :

وإذا أتتْك مذمَّتى من ناقصٍ فهىَ الشّهادة لى بأنى كامل

أم حَسِبتِ أنَّ لكِ فى ذلك حُجَّة ، فخاطرْتِ بنفسكِ فى رُكوب هذه اللُّجّة وكنتِ كالباحِث عن حَتفه بِظِلْفه ، والجادِع مارِن أنْفه بكَفِّه ؟ !

لكلِّ داءٍ دَواءٌ يُستَطبُّ به إلاَّ الحماقةَ أعْيتْ مَنْ يُدَاويها

أمّا دعواكِ أنّى واقفةٌ لك على أقدام الخِدمة ، فهى ممايُوجبُ لى عليك شكر الفَضل والنّعمة ، فلوْ تفكَّرْتِ أنّ خادم القوْم هُو السَّيد والموْلى ، وَعرفت الفاضل من المفضول ، أو تَدَبَّرْتِ أنَّ « اليدَ العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى » لاسْتَقلتِ من هذا الفُضول ، فانّ فى قيامى بشؤُونك أوْضحَ أمارة ـ وأمّا قوْلك منّى سيّد الوُجود ومن اصطفاهم لحضرَته الملكُ الوَدُودُ ، فإن كنت تفتخرِين بأشباحهم الظَّاهرة ، فأنا أفتخِرُ بأرْواحهم الطَّاهرَة ، أما علمتِ أنها فى مَلكوتى تغدُو وترُوح ، وبواردَى[1] بَسْطِى وقَبضى تَشْدُو وتنوح ، فأنا أوْلى بهم ، وأحرَى بالافتخار بحزْبهم

فلما سمعت الأرض من السِّماء ، مقالة تَقْطُرُ من خلالها الدِّماءُ ، أطرقت لمحة

(١) وارد — طريق

بارقٍ خاطِف ، أو نُغْبـةَ (١) طائرٍ خائف ، ثمَّ قَنَّعتْ رأسها ، وصعّدت أنفاسَها وقالت : لقد أكثرْتِ ياهذه اللَّغط ، وما آثرْتِ الصَّواب على الغَلَط ، فعلامَ تَهزَئين بى ، وتستخفّين بحَسَبى ونَسبى ؟ وإلامَ تنقُضين عُرى أَدِلَّتى ، ولا تُعامِلينى باللَّتى ؟ وحتّام تُقابلينَنى بأنواع التّأنيب ، ولِمَ لا تقفى على حقيقتى بالْبَحثِ والتّنقيب ؟ أحسِبْتِ أنّ الجسمِ ماخُلق إلا عَبثا ، وَلا كان للنّفس النّفيسة إلا جدَثا ؟ وفى مَيْدانه تتَسابق الفُهوم ، وتُدْرك عَوارف المعارف والعلوم ، وبه تترقَّى الأَرْواح فى مراقى الفَلاح وكيفَ لا يكُون مقدّساً من كلِّ غىٍّ ومَيْن ؟ وهو لا يفْتُر عن تسبيح بَارئهِ طرْفة عيْنٍ ؟! وإلى متى أنتِ علىَّ مُتحاملة ؟ وعن آية العدْل والإحسان مُتماحِلة ؟ وأنا لكِ أسمعُ من خادم ، وأطوَع من خاتم ، على أنَّ لى من الفضائل ما ثبت بأصحّ البراهين والدَّلائل ، أمَا فىّ بُقعةٌ من أشرف البِقاع على الإطلاق ، لِضمّها أعضاء مَن تَمّمَ اللهُ به مكارم الأخلاق ؟ ! وفىَّ روْضةٌ من رياض الجنَّة ، كما أفصحتْ عنْ ذلك ألسنةُ السُّنة ، ومنّى الكعبة والمَشْعرُ الحرام ، والحجر وزمزَم والرُّكنُ والمقام ، وعلىّ بُيوتُ الله تُشَدّ اليها الرِّحال ، ويُسبَّحُ فيها بالغُدُوِّ والآصال رجال وأخرَج منّى طيّبات الرّزق فأكرمَ بها عِباده . وأتمَّ نِعمتهُ عليهم فجعل الشُّكر عليها عِباده ، وناهيكِ بما اشتملت عليه من الرِّياض والغِياض ، ذات الأنهار والحِياضِ ، التى تَشْفى بنسيمها العليل ، وتَنْفِى ببرَد زُلالها حرّ الغَليل .

لِم لا أهيمُ على الرّياضِ وطيبِها ... وأظلُّ منها تحت ظِلّ طَافى

والزَّهرُ يَضحكُ لى بثَغرٍ باسم ... والنَّهرُ يلقانى بقلبٍ صافى

فأسفرتْ عن بدر طَلْعتِها « السّماء » وهى تَزْهُو فى بُرُد السَّنا والسناء ، وقالت

(١) النغبة ــ الجرعة

تُناجِى نفسها عند مارقَ السّمر ، حتّام أُريها السُّهى وتُرينى القمر ؟ ثمّ عطفتْ عليها تقول ، وهى تَسْطو وتصول : أيتها المعتدّيةُ لمُفاضَلتى ، والمتصدّيةُ لمناضلتى ، متى قيس التُّرْب بالعسجد ؟ أوْ شُبّه الحصى بالزّبرْجد ؟ ! إن افتخرتِ بشَرف هاتيك البقاع التى زَهابها منك اليفاع والقاع ، فأين أنت من عرش الرّحمن ؟ الذى تَعكفُ عليه أرْواحُ أهل الإيمان ؟ ! وأين أنت من البيت المعْمور ؟ والكرْسى المكلّل بالنّور ؟ ! وكيف تفتخرين علىّ بروْضةٍ من رياض الجنة ، وهى علىّ بأسرِها فضلاً من الله ومنّه ! أم كيف تزعُمين أنه كُتب لك بأوْفر الحظوظ ، وعندى القلم الأعلى واللّوح المحفُوظ ؟ وأمّا ازْدهاؤك بالحِياض والأنهار ، والرّياضِ المبْتهجة بوُرُود (١) الورْد والأزهار فليتَ شعرى هل حَويت تلك المعانى إلّا بنفحات غُيوثى وأمطارى ؟ ! أم أشرقت منك هاتيك المغانى إلا بلمحات شموسى وأقمارى ؟ ! فكيف تُباهينى بما منحتُك إيّاه ، وعطّرتُ أرْجاءك بأرْيج نَشْره وَرَيّاه ؟ ! ويا عجباً منك كلّما لاحَ علىّ شعار الحزن ، خطَرت فى أبْهى حُلّة من حُلل الملاحة والحُسن ، وإن افترّت ثُغُورُ بدُور أنسى ، وقرّت ببديع جمالى عين شمسى ، زَفرْت زَفْرَة القيظ ، وكدت أن تتميّزى من الغيظ ، ما هـذا الجفاء ياقليلة الوفاء ؟ ! وهل صفتْ أوْقاتُك إلّا بوجودى ، أو طابت أوْقاتك إلا بوابل كرمى وجُودى ؟ ! ولوْ قطعْتُ عنـك لَطائف الإمـداد لخلعتِ ملابس الأنس ولبست ثياب الحداد ! أو حَجَبتُ عنك الشّموس والأقمار لما ميّزت بينَ اللّيل والنّهار ! فهلا كُنت بفضلى معترفة ، حيث إنك منْ بحر فَيْضى مغترَفة ؟ ! فنَزعت « الأرض » عن مُقاتلتها ، وعلمت أنها لا قِبَل لها بمُقابلتها . وحين عجزَت عن العَوْم فى بحرها ، واسْتسلَمت تَمائمُها لسحرِها ، بسطت لهـا بِساط

(١) وردت الشجرة وروداً اذا أخرجت وردها

العتاب ، مُتمثّلةً بقولِ ذى اللُّطْف والآداب .

إذا ذَهبَ العِتابُ فليسَ وُدّ ويَبقى الوُدُّ ما بَقِيَ العِتابُ

ثمَّ قالت : اعلَمى أيّتها الموسومةُ بسلامة الصَّدْر، الموْصوفة بسموِّ المنزلة وعُلوِّ القدر ، أن اللهُ ما قارَنَ إسمى باسمك ، ولا قابلَ صورة جسمى بجسمك ، إلاَّ لمُناسبة عظيمةٍ ، وأُلفةٍ بيننا قديمة ، فلا تُشْمتى بنا الأعداء ، وتُسيئى الاحبَّاء والأوِدّاء ، فانَّ ذلك من أعظم الرّزايا ـ وأشدِّ المحن والبلَايا

كلّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى فتهونُ غيرَ شماتة الأعداءِ

ألا وإنَّ العبدَ محلُّ النّقصِ والخلل ، وهل يسُوغ لأحدٍ أن يُبرِّىء نفسه من الزَّلل ؟! ومنْ ذَا الذى يَسلم من القَدح ؟ ولو كانَ أقومَ من القِدْح (١)

وَمن ذا الذى تُرجى مزَايَاهُ كلُّها كفى المرءَ نُبلاً أن تُعدَّ معايبُه

هذا — وإنّ لى مفاخرَ لا تُنكر ، ومآثرَ تجلُّ عن أن تُحصر ، كما أنّك فى الفضل أشهرُ من نارٍ على علَم ، وأجلُّ من أن يُحصى ثناءً عليك لسانُ القلم ، فإلى متى ونحنُ فى جدالٍ وجلاد ؟ نتطاعنُ بأسِنَّة ألسِنَة حِداد ، وهل ينبغى أنْ يجُرّ بعضُنا على بعضٍ ذَيلَ الكِبرِ والصَّلَف ؟ ولكن عفا الله عمَّا سلَف ، وهذه لَعمرى ، حقيقة أمرى ، فانْظرى إلىّ بعينِ الرِّضا ، واصفحى بحقِّك عمَّا مَضى

ولما سمعت السماء هذه المقالة ، التى تجنَحُ إلى طلب السِّلم والإقالة ، قالت لها مآربُ لا حفَاوة ، ومشربُ قد وَجدْتُ لهُ حلاوة ، وما ندَبتِ اليه من المودّة والألفة ، فلأمر مّا جدَع قصيرٌ أنفه ، ولو لم تُلْقِ إلىّ القياد ، لعاينتِ منِّى ما دونه خَرْط القتَاد ، ولكن لاحرَج عليك ولا ضَيْر ، فإنك اخترْت الصلح والصلْحُ

(١) القدح — السهم قبل أن يراش ويركب نصله

خير ، وكيف جعلتِ العتاب شرْطاً بين الأحباب ، أوَ ماسمعت قول بعض أولى الألباب .

اذا كنتَ فى كلّ الأمور مُعاتباً صديقَك لم تلْقَ الّذى لا تُعاتبُه

وان أنتَ لم تشرب مِراراً على القذَى ظَمِئتَ وأىّ النّاس تصفُومشاربُه

وها أنا رادّةٌ اليك عوائد إحسانى ، وموائدَ جُودى وامتنانى ، فقرِّى عيناً وطِيبى نفساً ، وتِيهى ابتهاجاً وأنساً ، وأبشرى ببلوغ الوَطر ، وزوَال البُؤس والخطر . فَسجدت الأرْض شكْراً ، وهامَت نَشْوةً وسُكراً . وتَهلَّل وجهُها سرُوراً ، وامتلأت طرباً وحبُورا .

﴿ مناظرة بين فصول العام لابن حَبيب الحلبي المتوفى سنة ٤٠١هـ ﴾

(قال الرَّبيع) أنا شابُّ الزَّمان ، ورَوْح الحيوان . وإنْسانُ[1] عين الإنسان أنا حياة النُّفوس ، وزينة عرُوس الغروس ، ونُزهة الأبصار ، ومَنطق الأطيار ، عَرْف[2] أوْقاتى ناسم ، وأيامى أعيادٌ ومواسِم ، فيها يَظْهر النَّبات ، وتنْشر[3] الأموات ، وتُرَدُّ الودائع ، وتتحرَّك الطّبائع . ويَمرح[4] جَنيب[5] الجنوب[6] ويَنْشَح[7] وجيب[8] القلوب ، وتَفيض عيون الأنهار ، ويَعْتَدل اللّيل والنّهار ، كم لى عِقدٌ منظوم ، وطِراز وشْيٍ مرْقوم ، وحُلَّةٌ فاخرةٌ ، وحُلية ظاهرة ، ونَجم سعدٍ يُدنى راعيه من الأمل ، وشمس حُسْنٍ تنْشدنا[9] «يابُعد ما بين بُرْج الجدْى[10] والحَمل»[11] عساكرى منصورة ، وأسلِحتى مشهورة ، فمِن سيف غُصْنٍ مجوْهر ، ودِرْع بنَفسج

---

(١) مايرى فى السواد (٢) الريح الطيبة (٣) تحيا (٤) ينشط (٥) مجنوب ، والجنوب ريح تخالف الشمال ، مهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا (٦) ريح تخالف الشمال ومنه اذا جاءت الجنوب جاء معها خير كثير (٧) يبعد ويذهب (٨) كثرة خفقانها (٩) تقول لنا (من انشاء الشعر (١٠) برج فى السماء وهو أحد البروج الاثنى عشر التى تمر بها (١١) برج فى السماء من البروج الربيعية

مُشهّر ، ومِغفر (١) شقيق (٢) أحمر ، وترْس بهارٍ يَبْهر ، وسَهم آس يرْشق فينْشق ورُمح سوْسن (٣) سِنانه أزْرق ، تحرُسها آيات ، وتكْتنفُها ألويةٌ ورَايات ، بى تحْمرّ من الورد خدُوده ، وتهتزّ من البان قدُوده ، ويخضرّ عذار الرِّيحان ، ويَنتبهُ من النّرْجس طرفه الوسْنان (٤) وتخرُج الخبَايا من الزّوايا ، ويَفتر ثغرُ الأقْحوان (٥) قائلاً (أنا ابنُ جلاَ وطلاّع الثّنايا)

إنّ هذا الرّبيعَ شئٌ عجيبٌ يُضحِكُ الأرضَ من بُكاء السّماءِ
ذَهبٌ حيثُما ذهَبنا ودُرٌّ حيث دُرْنا وفِضةٌ فى الفَضاء

(وقال الصّيف) أنا الخِلّ المُوافق ، والصّديق الصّادِق ، والطّبيب الحاذق أجتهدُ فى مَصلحة الأحبَاب ، وأرْفع عنهم كُلْفة حَملِ الثّياب . وأُخفّف أثقالهم ، وأُوَفّر أموالهم ، وأكْفِهم المؤونة ، وأجزِلُ لهم المعُونة ، وأغنِيهم عنْ شِراءِ الفِرا ، وأُحقّقُ عندهم (أنّ كلّ الصّيد فى جَوْفِ الفَرَا) نُصرتُ بالصّبا ، وأُوتيتُ الحِكمة فى زمن الصِّبا ، بى تتّضحُ الجادّة (٦) وتَنضَج من الفَواكه المادّة ، ويزْهُو البُسرُ والرُّطَب ، وَينصلحُ مِزَاج العِنَب ، وَيقوى قلبُ اللّوز ، وَيلين عطف التّين والموز ، وَينعقدُ حبُّ الرُّمّان ، فيقمَع الصّفراء ويسكنُ الخفقَان ، وتُخْضبُ وجنات التُّفّاح ، ويذهب عَرقُ (٧) السّفرْجل مع هُبوب الرِّياح ، وتسْودُّ عيون الزّيتون وتخرُج تِيجان النّارنج والليمون ، مواعدى منقودة ، وموائِدى مَمدُودة ، أنا الخير موْجود فى مقامى ، والرِّزْقُ مقسومٌ فى أيّامى .

---

(١) زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس (٢) شقائق النعمان وهو نبت أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة (٣) نبات طيب الرائحة (٤) النعسان الغفلان (٥) البابونج نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر (٦) الطريق (٨) رائحته الطيبه

ألفقير يَنصاع [١] بملء مُدِّه وصاعه ، والغنىُّ يرتعُ فى رَبْع مُلكه وأقطاعه والوحش تأتى زَرافاتٍ [٢] ووَحداناً ، والطَّير تغدُو خِماصاً وتروح بِطانا [٣] .

مَصيفٌ لهُ ظِلّ ظَليلٌ على الوَرَى ومنٌّ حلاَ طعماً وَحللَ أخلاَطا
يعالج أنواعَ الفواكه مُبدياً لصحّتها حفظاً يُعجّزُ بقراطا [٤]

(وقال الخريف) أنا سَائق الغُيوم ، وكاسر جَيش الغُموم ، وهازم أحزَاب السُّموم [٥] وحَادى نجَائب السّحائب ، وحاسر نِقاب المنَاقب ، أنا أصدُّ الصّدَى [٦] وأجود بالنَّدى ، وأُظهِر كلّ معنًى جلَىّ ، وأسمو بالوسمىّ [٧] والولىّ ، فى أيامى تُقْطَف الثّمار ، وتَصفُوا الأنهار من الأكدَار ، ويترقْرَق [٨] دمع العيون ، ويَتلوّن وَرَق الغصون ، طَوْراً يحاكى البَقّم ، وتارَةً يُشبه الأرْقم ، وَحيناً يَبدو فى حُلّته الذّهبيّة فيَجذِب إلى خُلّته القلوب الأبيّة ، وفيها يُكفى النَّاسُ هَمّ الهوامّ ، ويَتساوى فى لذّة الماء الخاصّ والعامّ ! وتَقدُمُ الأطيارُ مُطْرِبَةً بِنَشيشها ، رَافلةً فى الملاَبس المُجدّدة من رِيشها ، وتُعصَرُ بنت العُنقود ، وتُوثَقُ فى سجن الدِّنّ بالقيُود ، على أنها لم تجترح إثماً ، ولم تُعاقَبْ إلا عُدوَاناً وظلماً ، بى تَطيبُ الأوْقات ، وتحصلُ اللّذّات ، وترِقُّ النَّسمات ، وترْمى حَصى الجمَرات ، وتسكُن حرارة القلوب ، وتكثُر أنواع المطعوم والمشرُوب . كم لى من شجرةٍ أُكُلُها دائم ؟ وحملها للنفع المُتعدِّى لاَزم ، ورَقُها على الدَّوام غيرُ زائل ، وقُدُودُ أغصانها تُخجِلُ كلّ رُمح ذَابل .

إنَّ فصل الخريف وافى الينا يَتهادى فى حُلّةٍ كالعَرُوسِ

---

(١) ينتقل راجعا مسرعا (٢) جماعات (٣) تذهب جائعة وترجع ممتلئة (٤) بقراط الحكيم اليونانى وهو لفظ يونانى معناه ناسك الصبح (٥) الريح الحارة (٦) العطش (٧) المطر الذى يأتى فى الخريف ، والولى الذى يأتى بعده (٨) ترقرق الدمع فى العين تحرك

غيرهُ كانَ للعيُون ربيعاً وهو ما بيننا رَبيعُ النُّفوسِ

(وقال الشتّاء) أنا شيخُ الجماعة، وربّ البضاعة، والمُقابَلُ بالسَّمع والطَّاعة أجمعُ شَمَلَ الأصحاب، وأسدِلُ عليهم الحِجاب، وأتحفهم بالطَّعام والشَّراب، ومَنْ ليس له بى طاقةٌ أغلق من دونه الباب، أميلُ إلى المُطيع، القادر المُستطيع المُعْتضدّ بالبُرود والفِرَا، المُتمسّكِ من الدّينار بأَوْثَق العُرَى، ومنْ يَعشُ عن ذِكرِى، ولم يمتثل أمرى، أرْجَفْتهُ بصوت الرَّعد، وأنْجزتُ له من سيف البرق صادق الوعد، وسِرتُ اليه بعساكر السّحاب، ولم أقْنع من الغنيمة بالإياب، مَعروفى مَعروف، ونَيْل نَيلى موصُوف، وثمار إحسانى دانيةُ القُطوف، كم لى من (وابِل) طويل المدَى (وجَود) وافرِ الجدا (وَقطر) حلا مذاقُه (وغيثٍ) قيَّد العُفاة إطلاقُه (ودِيمَةٍ) تُطْرب السمع بصوتها (وحَياً) يُحيى الأرْضَ بعد موْتها، أيّامى وَجيزة وأوقاتى عزيزة، ومجالسى معمورةٌ بذوى السِّيادة، مغمُورَة بالخير والمَير والسَّعادة، نُقلُها يأتى من أنواعه بالعَجَب، ومناقِلها تَسمحُ بذهب اللّهب، وراحُها تنعش الأرْواح، وسقاتها بجفُونهم السَّقيمة تَفتِن العقول الصّحاح، إن رُدْتُها وجدْتَ مالاً ممدوداً، وإن زُرْتها شاهدْت لها بَنين شهوداً.

﴿ مناظرة بين البر والبحر لبعض الأدباء ﴾

قال (البَرّ) ياصاحب الدُّرّ، ومَعدن الدُّر، أطرقتَ رياضى، ومزَّقتَ جُسورى وأحواضى، وأغرقت جُثتِي، ودَخلْت جَنَّتِي، وتَلاطَمت أمواجُك على جنَّتِي وأكلتَ جزائرى وَجرُوفى، وأهلكتَ مَرْعَى فَصيلى وخُروفى، وأهزلتَ ثَورِى وَحملى، وفَرسِى وجَملى، وأجريتَ سُفنك على أرْض لم تَجرِ عليها، ولم تملِ طرف

غرابها إليها . وغرستَ أوتادها على أوْتاد الأرض ، وعرّستَ فى مواطن النّفل والفرض ، وجعلتَ مَجرى مَراكبك فى مَجرَى مراكِبى ، ومشى حُوتُك على بطنه فى سعد أخبية مضاربى ، وغاصَ ملاّحك فى ديار فرَحى ، وهاجرْت من القُرى إلى أمِّ القرى ، وحمّلتَ فلاّحى أثقاله على القِرى ، وقد تلقّيتك من الجَنادل بصدرى ، وحملتُك إلى بَرزخِك على ظهرى . وقبّلت أمواجَك بثَغْرِى ، وخلّفتَ مقياسى فرحاً بقدُومك الى مصرِى ، وقد جُرتَ وَعدلت ، وفعلتَ مافعلت ، فلعلّك تَفِيض ، ولا يكون ذهابُك عن ذهاب بغيض ، أوْ تُفارقُ هذه الفِجاج ، وتَختَلط بالبحر العَجّاج ، وإن لم تفعل شَكَوناك إلى مَن أنْزلَك من السَّماء ، وأنْعَم بك علينا من خزائن الماء .

إذا لم تكن ترْحم بلاداً ولم تُغِث عِباداً فمولاَهم يُغيثُ ويَرحمُ
وإن صدَرت منهم ذُنوبٌ عَظيمةٌ فعَفْوُ الّذى أجراك يَا بحرُ أعظَمُ
نَمدُّ إليه أيْدِياً لم نَمُدّها إلى غيره وَالله بالحالِ أعلمُ

قال (البحر) يابَرُّ ، ياذا البِرِّ ، ومنْبتَ البُرِّ ، هكذا تُخاطِب ضيفَك ، وهو يخصُب شتاءك وصيفك ، وقد ساقنى الله إلى أرْضك الجُرُز ، ومعدن الدُّر والخرَز لأُبْهِجَ زرْعها وخيلَها ، وأُخرِج أبَّها ونَخيلَها ، وأُكرِمَ ساكنَك ، وأُنزلُ البركة فى أماكنِك ، وأُثبت لك فى قلب أهلك أحكام المحبَّة ، وأُنبتَ بكَ لهم فى كلّ سُنْبلةٍ مائة حبّة ، وأُحييك حياة طيّبة ، يَبتَهِج بها عمرُك الجديد ، ويتلُوا « كذلك يُحيِى اللهُ الموْتى » ألسنةُ العبيد ، وأُطهِّرك منَ الأوْساخ ، وأَحمِل اليك الإبْليز فأطيبك به من عرَقِ السِّباخ . وأنا هديّة الله إلى مِصرك ، وملكُ عصرك ، القائمُ بنَصْرك ، ولولا بَرَكاتى عليك ، ومَسيرى فى كلّ مَسْرًى اليكَ ، لكنتَ وَادياً

غير ذى زَرْع ، وصادِياً غير ذى ضَرْع

سَرَيتُ أنا ماء الحياة فلا أذى ... إذا ماحفِظْتُ الصَّحب فالمالُ هيِّنُ

فكن خَضراً يابَرّ واعلمْ بأنَّنى ... إلى طِينك الظّمآن بالرِّىِّ أُحسنُ

وَأسعَى اليه من بلادٍ بعيدةٍ ... وأُحسنُ أجرِى بالَّتى هىَ أحْسنُ

اذا طاف طُوفانِى بمقياسك الذى ... يُسرُّ باتيان الوَفاءِ ويُعلنُ

فَقُم وتلقَّاه ببسطتِك التى ... لرَوْضتِها فضلٌ على الرَّوْض بَيِّنُ

ولَعَمرى : لقد تَلطَّفَ (البَرّ) فى عِتابه وأحسنَ ، ودَفع (البحرُ) فى جوابه بالتى هى أحسَن ، وقد اصطلَحا وهما بِحَمْد الله أخوان مُتضافِران على عِمارة بلاده ونشر الثرْوة ونموّ الخيرات بين عباده ، فالله تعالى يُخصب مرعاهُما ويحرُسهما ويَرْعاهما

﴿ وكتب بعض الادباء مناظرة بين الهواء والماء ﴾

ألحمد لله الذى رفع فلكَ الهواء ، على عُنصر التُّراب والماء «أمَّا بعد» فأنا الهواء الذى أُؤَلّف بَينَ السَّحاب ، وَأنقُلُ نسيم الأحباب ، وأهُبُّ تارَةً بالرَّحمة وأُخرَى بالعذاب ، وَأنا الَّذى سُيِّرِ بىَ الفُلكُ فى البحر كما تَسير العِيسُ فى البِطاح ، وطاربى فى الجوّ كلّ ذى جَناح ، وأنا الذى يضْطربُ منّى الماء اضطرَاب الأنابيب فى القَنا . إذا صفَوْتُ صفا العالَم ، وكانله نَضرة وزَهْواً ، واذا تكدَّرتُ انكدرتْ النّجوم وتكدَّر الجوّ ، لا أتلوَّن مثل الماء المُتلوّن بلَون الإناء ـ لولاىَ ما عاش كلّ ذى نفس ، ولولاىَ ماطاب الجوُّ من بُخار الأرض الخارج منها بعدَ ما احتبَس ولولاىَ ما تكلّم آدمىٌّ ولاصوّت حيوان ، ولاغرَّد طائرٌ على غُصن بَان ، ولولاى ما سُمعَ كتابٌ ولاحديث ، ولاعُرف طَيِّب المسموع والمشموم من الخبيث فكيف يُفاخرنى الماء الذى إذا طَال مُكثُه ، ظهر خبثُه ، وعلَتْ فوْقه الجِيَف

وانحطّت عنده اللآلئ فى الصَّدف .

فقال « الماء » الحمد لله الذى خلق كلّ حىّ (أمَّا بعدُ) فأنا أوّل مَخلوق ولا فَخْر ، وأنا لذَّة الدُّنيا والآخرة ويوم الحْشر ، وأنا الجوهر الشَّفَّاف ، المُشبَّه بالسَّيف إذا سُلّ من الغلاف ، وقد خلق الله فىَّ جميع الجواهر حتّى اللآلئ والأصداف أُحيِى الأرضَ بعد مماتها ، وأُخرج منها للعالَم جميع أقواتها ، وأكسو عرائس الرّياض أنواع الحُلَل ، وأنثر عليها لآلئ الوَبْل والطَّلل ، حتى يُضرَب بها فى الحُسن المثَل — كما قيل :

إنَّ السَّماء إذا لم تبكِ مُقْلتُها لم تَضحك الأرضُ عن شَىء من الزَّهر

فكيف يُنكرُ فضلى مَنْ دَبَّ أوْ دَرَج ؟ وأنا البحرُ الذى قيل عنهُ فى الأمثال «حدِّثْ عن البحر ولا حرَج» وأما أنتَ أيّها الهواء : فطالما أهْلَكْتَ أُمماً بسمومك وزَمهريرك ، ولا تقوم جنَّتُكَ بسعيرك

وأمّا قولك : لولاى ماعاش إنسان ، ولا بقىَ على الأرض حيوان ، فجوابُهُ : لَو شاء اللهُ تعالى لَعاش العالَم بلا هَواء ، كما عاش عَالَم المَاء فى الماء . وأنشدُك اللهَ أمَا رَأيتَ ما حبانى اللهُ به من عظيم المِنَّة ، حيثُ جعلنى نَهراً من أنهار الجنّة ، أنا أرفعُ الأحداث ، وأُطهِّرُ الأخباث ، وأجلُو النظَر ، وأُزيلُ الوَضر ، أمَا رَأيت الناسَ إذا غِبتُ عنهم يتضرَّعون إلى الله بالصَّوْم والصلاة والصَّدقة والدُّعاء ويَسألونه تعالى إرْسالى من قِبَل السَّماء — واعلَمْ أنَّنى ما نِلتُ هذا المقامَ الذى ارْتفعتُ به على أبناء جنسى ، إلا بانحطاطى الّذى عيَّرْتَنى به وتَواضُعى وهَضْم نفسى وقد كثُرَ بَينهما النزّاع والجدال ، حتى حكَم بَينهما أميرٌ وقال :

إنَّ كُلاًّ منكما مُحِقٌّ فيما يدّعيه، فما أشبهكما فى السِّماءِ بالفَرْقدَين، وفى الأرض بالعينين، إلاّ أن مِرآة الحقِّ أرَتنى فضيلةً تفضُلُ بها أيها الماءُ أخاكَ الهواء، وحقّقتْ لى بأنكما لَستُما فى الفضل سَواء. وهى (أنَّ اللهَ تعالى خلَقَ آدَمَ مِنَ الماء) فاعترفْ لأخيك بالفَضل والذّكاء

(وكتب المقدسى المتوفى سنة ٨٧٥ هـ مناظرة بين الجمل والحصان)

قال الجمل: أنا أحملُ الأحمالَ الثِّقال، وأقطعُ بها المراحل الطِّوال، وأُكابدُ الكَلالَ، وأصبرُ على مُرِّ النَّكال، ولا يعترينى من ذلك ملَال، وأصُولُ صَوْلةَ الإدلال، بل أنقادُ للطِّفل الصَّغير، ولو شِئتُ استصعبتُ على الأمير الكبير فأنا الذّلول، وللأثقال حَمُول، لستُ بالخائِن ولا الغَلول، ولا الصَّائل عند الوُصول أقطعُ فى الوُحول، ما يعجزُ عنهُ الفحول، وأُصابرُ الظَّلماءَ فى الهواجر ولا أحُول فاذا قضيتُ حقَّ صاحبى، وبلغتُ مآربى، ألقيتُ حَبلى على غاربى، وذهبتُ فى البوادى أكتسبُ من الحلال زادِى، فإن سمعتُ صوْتَ حادِى، سلّمتُ اليه قِيادِى، وواصلتُ فيه سُهادى، وطلَّقتُ طِيبَ رُقادِى، ومدَدْتُ اليه عُنُقى لبُلوغ مرادِى، فأنا إنْ ضَلِلْتُ فالدَّليلُ هادِى، وإنْ زلَلْتُ أخذَ بيدِى مَن اليه انقِيادِى، وإن ظَمِئتُ فذِكرُ الحبيب زادِى، وأنا المُسخّر لكم، بإشارة «وتَحْمِلُ أثْقالَكُمْ» فلم أزَل بين رِحلة ومقام، حتّى أصِلَ الى ذلك المقَام.

فقال (الحِصان) أنا أحمِلُ على كاهلى فأجتَهدُ بهِ فى السَّير، وأنطلقُ به كالطَّير أهجمُ هُجومَ اللَّيل، وأقْتحمُ اقتحامَ السَّيل.

فانْ كان طالباً أدرَكَ فىَّ طلَبه، وإن كان مَطلوباً قطَعتُ عنه سَببه، وجعلتُ أسبابَ الرَّدَى عنهُ مُحتجِبه، فلا يُدرِكُ منِّى إلا الغُبار، ولا يُسمَعُ عنِّى إلا الأخبار

وانْ كان الجملُ هو الصَّابر المُجرَّب ، فأنا السَّابق المُقرَّب ، وانْ كان هو المُقتصِدُ اللاَّحق ، فأنا المُقرَّب السَّابق ، فاذا كان يوم اللِّقاء قدمتُ أقدام الوَالِه وسبقت سبق نِباله ، وذلك متُخلِّفٌ لِثِقَل أحماله ، وإنْ أوْثَقَ سائسى قَيدى وأمِن قائِدى كيدِى ، أُوثقتُ بِشكالِى ، لِكيلا أحُول على أشكالِى ، وأُلجمتُ كَيلا أغفلَ عنْ قِيامِى ، وأُنْعِلتْ بالحديد أقدامِى ، كيلا أكِلَّ عن إقدامِى

فأنا الموعُودُ بالنّجاه ، المعدُود لِنَيل الجاه ، ألمشدود للسَّلامه ، ألمقصُود للكَرامَه قد أجزل المُنْعِم علىَّ إنعامه ، وأمضى بالعناية الأزَليّة أحكامَه «فإنّ الخيرَ معقودٌ بنَواصى الخيل الى يوم للقيامة » خُلِقتُ من الرّيح ، وأُلهمتُ التّسبيح ، وما برِح ظهرى عِزّا ؛ و بطنى كنزاً ، وصَهْوتى حِرزاً ، فكم رَكِضتُ فى مَيدان السّباق وما أبديت عَجزا ، وكم حزَزْتُ رؤوس أهل النِّفاق حَزّا ، وكم أخليت مُنهم الآفاق (هل تحِسّ منهم من أحدٍ أو تسمعُ لهم رِكزا)

﴿ الفن الثالث فى الأمثال ﴾

ألمَثل عِبارَةٌ عنْ تأليف لاحقيقة له فى الظَّاهر ، وقد ضُمِّنَ باطنهُ الحِكم الشَّافية وَهى ثلاثة أقسام مُفترَضةٌ مُمكنة ، ومُخْتَرعةٌ مُستحيلة ، ومُختلطة .

(١) فالأمثال المُفترضة المُمكنة : هِىَ مانُسبَ فِيها النُّطق وَالعمل الى عاقل[1]

(٢) والمُخترَعة المُستحيلة : ماجاءَتْ على ألسنة الحيوانات وَالجمادَات فَيُعزَى لها النُّطق وَالعمل لإرْشاد الأنْسان

(٣) والمُختلطة: مادَارَ فيها الكلامُ أو العملُ بينَ النَّاطق وَغير النَّاطق

(١) وتختلف عن الحكاية من وجهين : الاول ان لها مغزى . والثانى كونها غير واقعة وان كانت فى حيز الامكان

وشروط المثل أربعة : (الأول) أن تكون روايته خالية من كل تعقيد ليفضي المقصود منه إلى ذهن السامع (الثانى) أن لا يكون مسهباً مملاً (الثالث) أن يهيج السامع بطلاوته ويفكه فكرته بهزل كلامه . وابتكار معانيه ، ويضبط عقله فى فهم الرواية المختلقة وفض مشكلها (الرابع) أن يورد بصورة محتملة .

وفوائد المثل جمة ، منها نزهة البال وترويح الخاطر - ومنها استقصاء الحكم وهى قديمة العهد جدًا ، ولا يعرف اسم أول من تكلم بها ، وكما تكون نثراً تكون نظماً — ونذكر لك من الأمثال ماطاب وراق : فنقول

﴿ أمثال القرآن الكريم ﴾

أمثال القرآن الكريم قسمان : ظاهر مصرح به - وكامن لا ذكر للمثل فيه

أما أمثاله : الظاهرة : فكقوله تعالى فى شأن المنافقين « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون ، أو كصيب[1] من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ، يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت ، والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم

وقوله تعالى فى شأن الذى ينفق أمواله ابتغاء مرضاة الله والذى ينفقها رياء « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان[2] عليه تراب فأصابه وابل[3] فتركه صلدًا[4] لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم

(١) مطر (٢) حجر أملس (٣) مطر شديد (٤) صلباً نقيا من التراب

الكافرين ، ومَثَلُ الذين يُنفقون أموالهم ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ وتَثْبيتاً مِنْ أنفسهم كمَثَلِ جنَّةٍ بربوةٍ (١) أصابَها وابلٌ فآتت أُكلَها ضِعفَين فإنْ لم يُصبْها وابلٌ فطَلٌّ (٢) واللهُ بما تعملونَ بَصير ، أيَوَدُّ أحدُكم أنْ تكونَ لهُ جنَّةٌ مِنْ نخيلٍ وأعناب تجري مِنْ تحتها الأنهارُ ، لهُ فيها مِنْ كُلِّ الثمرات وأصابهُ الكِبرُ ولهُ ذُرِّيةٌ ضُعفاءُ فأصابَها إعصارٌ (٣) فيهِ نارٌ فاحترقتْ كذلك يُبيِّنُ اللهُ لكمُ الآياتِ لعلَّكم تتفكَّرون »

وقوله تعالى فى تمثيل الحقّ والباطل « أنزلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فسالتْ أوديةٌ بقدَرِها فاحتملَ السَّيلُ زَبَداً (٤) رابياً ومِمَّا يُوقدونَ عليْهِ فى النَّارِ ابتغاءَ حلْيةٍ أوْ متاعٍ زَبَدٌ مثلُهُ ، كذلكَ يَضربُ اللهُ الحقَّ والباطل ، فأمَّا الزَّبَدُ فيذهَبُ جُفاءً (٥) وأمَّا ما ينْفعُ النَّاسَ فيمكُثُ فى الأرض كذلكَ يَضربُ اللهُ الأمثال »

وقوله تعالى فى تمثيل الحِكمة وضدّها

« ألم تَرَ كيفَ ضربَ اللهُ مثلا كلمة طيّبة كشجرةٍ طيّبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرْعُها فى السَّماء تؤْتى أُكلَها كلَّ حينٍ بإذْنِ ربّها ، ويَضربُ اللهُ الأمثالَ للنَّاس لعلَّهم يتذكَّرون ، ومَثَلُ كلمة خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتثَّت (٦) مِنْ فوق الأرض مالها مِنْ قرار » .

وقوله جل شأنه فى حال الكفار وما يعبدون من دون الله

« يا أيُّها النَّاس ضُربَ مَثَلٌ فاستمعوا له ، إنَّ الذين تدْعُون من دُون الله لن يَخلقُوا ذُباباً ولو اجتمعُوا له ، وإنْ يسلُبْهُم الذُّبابُ شيئاً لا يستنْقذُوه منْه ضعُفَ

---

(١) مكان مرتفع (٢) مطر خفيف (٣) ريح شديد (٤) مايعلو على وجه الماء من قذر ونحوه (٥) باطلا مرميا به (٦) قطعت من أصلها

الطَّالبُ وَالمطلوبُ » وقوله تعالى « مثل الذين اتَّخذُوا من دُون الله أولياء كمثَل العنكبوت اتخذت بَيتاً ، و إنّ أوهَنَ البيُوت لبيتُ العنكبوت لو كانوا يعلمُون »

وقوله تعالى فى أنّ عمل الكافر يذْهبُ هباءً تذرُوه الرّياح

« مثل الَّذين كفرُوا بربّهم أعمالُهم كرَمادٍ اشْتدَّت بهِ الرّيحُ فى يَومٍ عاصِف لا يَقدِرُونَ ممَّا كسَبُوا على شىْءٍ »

وَقولهُ تعالى «والذين كفرُوا أعمالهم كسَرَاب (١) بقيعَةٍ (٢) يحسبهُ الظمآن ماءً حتى إذا جاءَهُ لم يجدْه شيئاً وَوَجَد اللهَ عِندهُ فوفّاه حسابهُ واللهُ سَريعُ الحِساب ، أوْ كظُلمات فى بحر لُجِّىّ (٣) يغشاهُ موْجٌ من فوْقه موْجٌ منْ فوْقهِ سحاب . ظُلُمات بعضُها فَوْقَ بعض إذا أخرَجَ يدَهُ لم يَكَد يرَاها وَمنْ لمْ يَجعَل اللهُ لهُ نوراً فما لهُ مِنْ نُور »

وقوله تعالى فى أنَّ الدُّنيا ظلٌّ زائل وَخيال باطل

« واضرِبْ لهم مثلَ الحياة الدُّنيا كماءٍ أنْزلْناهُ مِنَ السّماء فاختلط بهِ نباتُ الأرض فأصْبحَ هَشيما (٤) تذْرُوه الرّياح »

وقوله تعالى « اعلَمُوا أنَّما الحياة الدُّنيا لَعِبٌ وَلهْوٌ وَزينةٌ وَتفاخرٌ بَينكم وتكاثُرٌ فى الأمْوَال والأوْلادِ كمثل غيث أعجبَ الكُفّارَ نباتُه ثمَّ يَهيجُ فتراهُ مُصفرًّا ثم يكون حُطَاماً »

وأما أمثاله الكامِنة : فهى الآداب البارعة والحِكم الباهرَة فمن ذلك قوله تعالى

---

(١) شعاع يرى مثل الماء حين اشتداد الحر نصف النهار (٢) جمع قاع وهو الارض المستوية (٣) عميق (٤) يابسا متفرقة أجزاؤه

فى الصّدق

١ يأيُّها الّذين آمَنُوا اتّقُوا اللهَ وكونوا مَعَ الصّادِقين

٢ هذا يومُ يَنفعُ الصادقينَ صدْقُهُمْ

٣ إنَّهُ كان صادِقَ الوعد

فى الصّبر والثّبات

١ وبَشِّرِ الصّابرين

٢ فاصْبر صبراً جميلا

٣ واصبِرْ على ما أصابك إنَّ ذلك من عَزْمِ الأمور

٤ فصبرٌ جميل

٥ واصبر على ما يقولون واهجرُهم هَجراً جميلا

فى العلم والاسترشاد

١ إنّمَا يخشَى اللهَ مِن عباده العُلَماء

٢ وما يعقِلُها إلا العالِمُون

٣ قلْ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون

٤ فاسألوا أهلَ الذِّكْرِ إنْ كنتم لا تعلمون

فى الاتحاد والوئام بعد الخصام

١ واعتَصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقُوا واذكروا نِعْمَةَ الله عليكم إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا

٢ ولا تَنازَعوا فتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكم

٤ ولا تكونوا كالتى نَقَضَتْ غَزْلَها من بعْدِ قُوة أنْكاثاً

في العفو

١ فاصفَحِ الصفحَ الجميل

٢ والكاظِمِين الغيظَ والعافين عنِ الناس

٣ فمن عفا وأصلح فأجرُهُ على الله

٤ عفا الله عمّا سَلَف

فى الوفاء

١ وأَوْفُوا بالعهد إنَّ العهدَ كان مسْئولا

٢ إنَّ اللهَ يأمرُكم أنْ تُؤَدُّوا الأماناتِ إلى أهْلِها

فى الاقتصاد

١ ولا تجعل يدَكَ مَغْلُولَةً إلى عنقِكَ

ولا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ فتقعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً

٢ إنَّ المُبذِّرين كانوا إخوانَ الشَّياطِين

٣ وكلوا واشربوا ولا تُسْرِفُوا

فى الأمر بالمعروف

١ خُذِ العفوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأَعْرِضْ عن الجاهلين

٢ ولْتَكُنْ منكم أمَّةٌ يَدْعُون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينْهَوْن عن المُنكَرِ وأولئك همُ المُفْلِحُون

٣ وتَعاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتّقوى ولا تَعاوَنُوا على الإثْمِ والعُدْوَان

٤ إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعدل والإحسان وإيتاءِ ذِي القُرْبَى وينْهَى عنِ الفَحْشاءِ والمُنكَرِ والبَغْى

برُّ الوالدين والقريب والجار والصّاحب

١ وقَضَى ربُّك ألاَّ تعبُدوا إلاَّ إيّاهُ وبالوالدين إحساناً إمَّا يبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحدُهما أو كِلاهما فلا تقُل لهما أُفٍّ ولا تَنهَرْهما وقل لهما قولا كريماً . واخفِضْ لهما جَناحَ الذُّلِّ من الرَّحْمَةِ وقل ربِّ ارحمهما كما رَبَّيانِي صَغِيراً

٢ وأولو الأرحام بعضُهُم أَوْلَى ببعض

٣ وبالوالِدَين إحساناً وبذى القُرْبَى واليتامى والمساكين والجارِ ذِى القربَى والجارِ الجُنُبِ والصّاحب بالْجَنْبِ وابْنِ السَّبِيل وما ملكت أيمانُكم إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَن كان مُخْتالاً فَخُوراً

فى النّصيحة

١ إنِّى لك من النّاصحين

٢ وأنا لكم ناصحٌ أمين

٣ ونَصَحْتُ لكم ولكِنْ لا تُحِبُّون النّاصحين

فى الشُّكر

١ لئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزيدَنَّكم

٣ وقليلٌ من عبادِىَ الشَّكُور

٣ ومَن شكر فانّما يشكر لنفسه

٤ وسيَجْزِى اللهُ الشّاكرين

فى الإغضاء والتغافل واللّين

١ أولئك الذين يعلم اللهُ ما فى قلوبهم فأعْرِضْ عنهم وعِظْهُمْ وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغاً

٢ لاتَثريبَ عليكم اليومَ يغفرُ اللهُ لكم

٣ إدْفَعْ بالتى هى أحسن

٤ فاصبِرْ على ما يقولون واهجُرْهم هجْراً جميلاً

٥ ولو كنتَ فَظًّا غَليظَ القلبِ لاَ نفَضُّوا مِنْ حَوْلِك

٦ فأَسَرَّها يوسفُ فى نفسِهِ ولم يُبْدِها لهم

٧ واذا خاطَبَهُمُ الجاهلون قالوا سلاماً

في المدح

١ ما هذا بَشَراً إنْ هذا إلا مَلَكٌ كريم

٢ إذا رأيتَهم حَسِبْتَهُم لُؤلؤاً منثوراً

٣ إنك اليوم لدَيْنا مَكينٌ أمين

٤ إنَّ هذا لَهُوَ الفضلُ المُبين

٥ وَإنك لَعلَى خُلُقٍ عظيم

٦ ختامُه مِسْك

٧ ذُرِيّةً بعضُها مِن بعض

٨ وبرًّا بوالديه ولم يكن جبّاراً عَصيًّا

٩ ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا

١٠ أولئك هم خيرُ البَرِيَّة

١١ رضى اللهُ عنهم ورَضُوا عنه

١٢ وكلٌّ منَ الأخْيار

١٣ سِيماهم فى وجوههم

١٤ وكانوا أحقَّ بها وأهلَها

١٥ أولئك الذين هدَى اللهُ فبِهُداهُمُ اقتَدِهْ

١٦ إنَّ خيرَ مَنِ اسْتأجرتَ القويُّ الأمين

فى التّبرئة والتّنزيه

١ حاشَا لِلّه ما علمنا عَلَيْهِ مِنْ سوء

٢ أولئك مُبَرَّؤون ممّا يقولون

٣ فبَرّأه اللهُ مِمَّا قالوا

فى حُسن الخَلْق

١ ما شاء الله

٢ وصوَّركم فأحْسَنَ صُوَركم

٣ يَزيدُ فى الخَلقِ ما يشاء

٤ فتبارَكَ اللهُ أحسن الخالقين

٥ صنعَ اللهِ الذى أتقنَ كلَّ شىءٍ

فى الكذب والزُّور

١ وإنّهم ليَقولون مُنكَراً من القول وزُوراً
٢ إنْ هذا إلا اختِلاق
٣ كبُرَتْ كلمةً تخرجُ من أفواههم إنْ يقولون إلاَّ كَذِبا
٤ فويلٌ لهم ممّا كَتَبَت أيديهم وَوَيلٌ لهم ممّا يَكسِبُون
٥ فَبَدَّلَ الذين ظَلَمُوا قولا غيرَ الذى قيل لهم
٦ أُنظر كيف كَذَبوا على أنفسِهم وضَلَّ عنهم ما كانوا يَفتَرون

فى الخيانة ونقض العهد

١ أَوَ كلَّما عاهدوا عهدا نَبَذَهُ فريقٌ منهم
٢ وما وجدنا لأكثرِهم مِنْ عهد
٣ إنّهم لا أيمان لهم
٤ فمن نَكَثَ فإنما يَنكُثُ على نفسه
٥ وأنَّ اللهَ لا يَهدِى كيدَ الخائنين
٦ إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ من كان خوَّانا أثيما

فى السُّخرية والغيبة والنّميمة والجهر

١ يا أيها الذين آمنوا لا يَسخَر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يَكُنَّ خيراً منهُنَّ ولا تَلمِزُوا أنفُسَكُم ولا تنابَزُوا بالأَلقابِ
٢ ولا تَجَسَّسُوا ولا يَغتَبْ بعضُكم بعضا
٣ لا يُحبُّ اللهُ الجهرَ بالسُّوءِ من القول إلاَّ مِنْ ظُلِم
٤ ويلٌ لكل هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ
٥ وإذا مرُّوا بِهِم يتغامَزُون

فى القتل والانتحار

١ ولا تقتلوا أولادَكم خشيةَ إملاقٍ نحن نرزقُهم وإيّاكم إنّ قتلَهم كان خِطْئاً كبيراً
٢ ولا تقتلوا النفسَ التى حرَّمَ اللهُ إلا بالحقِّ ومَنْ قُتِلَ مظلوماً فقد جعلنا لِوليِّه سُلطانا فلا يُسرِفْ فى القتل إنَّه كان منصورًا
٣ ولا تُلقُوا بأيديكم إلى التَّهلُكَةِ

٤ ولا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيما

فى الزِّنا

١ ولا تقربوا الزِّنا إنه كان فاحشةً وساءَ سبيلا

٢ ولا تُكرِهوا فتياتكم على البِغاءِ إنْ أردْن تحصُّناً لتبتغوا عرَضَ الحياةِ الدنيا

فى الخمر والميسر

١ يسألونك عن الخمر والمَيْسِر قل فيهما إثمٌ كبير ومنافعُ للناس وإثمُهما أكبر من نفعِهما

٢ يأيها الذين آمنوا إنما الخمْر والميسُر والأنْصابُ والأزْلامُ رِجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تُفلِحون

إنما يريد الشَّيْطان أن يُوقِعَ بينكم العداوةَ والبغضاءَ فى الخمر والميسر ويَصُدَّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم مُنتَهُون؟؟

فى البخل وحبّ المال

١ ومَن يَبْخَلْ فإنما يبخلُ على نفسه والله الغنِىُّ وأنتم الفقراء

٢ والذين يَكنِزُون الذهب والفِضّةَ ولا يُنفقونها فى سبيل الله فبَشِّرْهم بعذاب أليم

٣ الذى جمعَ مالاً وعدَّدَه يحْسَبُ أنَّ ماله أخلَدَهُ

٤ وتأكلون التُّراث أكلاً لَمًّا. وتُحبُّون المال حُبًّا جمًّا

فى الرِّبا

١ وأحَلَّ اللهُ البيعَ وحرَّمَ الرِّبا

٢ يمْحَقُ اللهُ الرِّبا ويُرْبِى الصَّدَقات

فى العُجْب والكبر

١ واسْتَكبَرَ هو وجنودُه فى الأرض بغير الحق

٢ ثم ذهب إلى أهله يَتمطّى

٣ ثانِىَ عطفِه ليُضلَّ عن سبيل الله

٤ أليس فى جَهنَّمَ مَثْوًى للمُتكبِّرين

٥ إنْ فى صدورهم إلاّ كِبرٌ ماهم بِبالِغيه

٦ ولا تُصَعِّرْ خدَّك للناس ولا تمش فى الأرض مَرَحاً

فى الاستبداد والأثرة

١ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تُصِبهم سيئة يَطَّيَّروا بموسى ومَن معه

٢ وإن يكن لهم الحقُّ يأتوا إليه مُذْعِنين

٣ ما أُريكم إلا ما أرى

فى التفرُّق والاختلاف

١ تحسَبهم جميعاً وقلوبهم شتَّى

٢ كلّ حزب بما لديهم فرحون

٣ فاختلف الأحزاب من بينهم

٤ إنكم لفى قولٍ مختلفٍ

فى الجُبن والفرار

١ إنْ يُريدون إلا فِراراً

٢ يحسبون كلَّ صيحةٍ عليهم هم العدوُّ

٣ أشحَّةً عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يُغشَى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنةٍ حِدادٍ

مَنْ يأمر بما لا يفعل ويعلم ولا يعمل

١ أتأمرون الناس بالبرّ وتنسَوْن أنفسكم

٢ لِمَ تقولون مالا تفعلون ؟؟

٣ كمثَل الحمار يحمل أسفاراً

فى الغفلة

١ لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون

٢ قُتل الخرّاصون الذين هم فى غمرةٍ ساهون

٣ وإذا ذُكِّروا لا يذكرون

٤ فويلٌ للمصلِّين الذين هم عن صلاتهم ساهون

٥ إذْ قُضِىَ الأمرُ وهم فى غفلةٍ

٦ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون

فى إنكار الجميل

١ فلمَّا كشفنا عنه ضُرَّه مرَّ كأنْ لم يدعُنا إلى ضُرٍّ مسَّه

٢ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضُرٍّ للجُّوا فى طُغيانهم يعمهون

٣ ولو بَسَطَ الله الرِّزق لعباده لَبَغَوْا في الأرض
٤ إنّ الانسانَ لَيَطْغَى أنْ رآه استغْنَى
٥ قُتِلَ الإنسانُ ما أكْفَرَه

في الذم والاهانة والتهكّم والتّحقير

١ أنتم شرٌّ مَكاناً ؟؟
٢ فَلْيَنْظُرِ الانسانُ مِمَّ خُلِق ؟؟
٣ خذُوه فغُلُوهُ
٤ مَا نَفْقَهُ كثيراً ممَّا تقول
٥ كلّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها
٦ لا يُسْمِنُ ولا يُغنِي مِن جُوعٍ
٧ إنَّا تَطَيَّرْنا بكم
٨ سَواءً مَحْيَاهُم ومَماتهم
٩ لَمَقْتُ اللهِ أكبرُ مِن مَقْتكم أنْفسَكُم
١٠ يُعْرَفُ المُجرمون بِسِيماهُمْ
١١ ذُقْ إنك أنت العزيز الكريم
١٢ ذوقوا فِتْنَتَكُم هذا الّذى كُنتُم به تَستعجلُون
١٣ ومَنْ يُهِنِ اللهُ فمالَهُ مِنْ مُكْرِم
١٤ وما أُوتِيتُمْ من العلم إلا قليلا
١٥ ذلك مَبْلَغُهُم مِنَ العلم
١٦ فَمَثَلُه كَمَثَلِ الكلب إن تَحمِلْ عليه يَلْهَثْ أو تتركْه يَلْهَثْ
١٧ كمَثَلِ الحمار يَحمِلُ أسفاراً
١٨ أولئك هم شرُّ البَرِيَّة
١٩ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ، مَنَّاعٍ للخير مُعْتَدٍ أثيم . عُتُلٍّ بعد ذلك زَنِيمٍ
٢٠ إنك لَغَوِىٌّ مُبين
٢١ إنَّ شانِئَكَ هو الأَبْتَرُ
٢٢ أولئك لا خَلاقَ لهم فى الآخرة
٢٣ أينما يُوَجِّهْهُ لا يأتِ بخير
٢٤ أولئك حزْبُ الشَّيطان
٢٥ إتَّخَذُوا أيْمانَهم جُنَّة
٢٦ فما لِهؤلاء القومِ لا يكادون يَفقَهون حَدِيثا

فى الضّالين والمُضلّين

١ إنهم ألْفَوْا آباءهم ضالّين ، فهم على آثارهم يُهْرَعُون
٢ الشَّيطانُ سَوَّل لهم وأمْلى لهم
٣ وإنّ كثيراً ليُضِلُّون بأهوائهم بغير علْم
٤ ولقد ضَلَّ قبلَهم أكثرُ الأوَّلين

٥ وإخوانهم يمدّونهم فى الغىّ ثم لا يُقصِرون

٦ ربّنا إنّنا أطعنا سادتنا وكُبَراءنا فأضلونا السّبيلا

فيمن عميت بصيرتهم وأضلّهم هواهم

١ لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يُبصرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها أولئك كالأنعامِ بل هُم أضلُّ أولئكَ هُمُ الغافلونَ

٢ فإنّها لا تعمَى الأبصارُ ولكن تعمَى القلوبُ التى فى الصدور

٣ أفرأيتَ منِ اتّخذَ إلَهَهُ هَواه وأضلَّه اللهُ على عِلم

فى قُرناء السُّوء والغاوينَ والنهى عن اتباعهم

١ ولا تُطِعْ مَنْ أغفَلْنا قلبَه عن ذِكْرِنا واتبعَ هَواه وكان أمرُه فُرُطاً

٢ يدعُو لَمَنْ ضَرُّه أقربُ من نفعه لَبِئْسَ المولَى ولبِئْسَ العَشِير

٣ ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا فتَمسَّكم النارُ

٤ ولا تتّبعانِّ سبيلَ الّذين لا يَعلَمُون

٥ وإخوانُهم يَمدُّونهم فى الغىِّ ثم لا يُقْصِرُون

٦ ياليتَ بَينِى وبينَك بعدَ المشْرِقَيْنِ فبئْسَ القَرِينُ

٧ ياوَيْلتَا ليتنِى لم أتّخِذ فُلاناً خليلا

فى التنبيه على الخطأ والضلال

١ مالَكُمْ كيف تحْكُمون ؟

٢ فأينَ تذْهبون ؟

٣ أتَستَبْدِلونَ الذِّى هُو أدنَى بالّذى هُو خَير ؟

٤ تِلكَ إذَن قِسمةٌ ضِيزَى

٥ تاللهِ إنَّك لَفِى ضَلالِك القَديم

٦ ذلك هُوَ الضّلالُ البعيدُ

٧ ويَحسَبون أنَّهمْ على شَىءٍ

٨ وهمْ يَحْسَبُون أنهمْ يُحسِنون صُنعاً

فى المنافقين والمُرائين

١ قد بدَت البغضاءُ مِنْ أفْواهِهِمْ وما تُخفِى صدُورُهمْ أكبر

٢ وإذا خلَوْا عضُّوا عليكم الأناملَ من الغيظ
٣ يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم
٤ يُرضُونكم بأفواههم وتأبَى قلوبُهم
٥ وليحلِفُنَّ إن أردْنا إلاَّ الحُسْنى والله يشهدُ إنهم لكاذبُون
٦ إنْ تمسَسْكم حسَنةٌ تسؤْهم وإن تُصبكم سيِّئةٌ يفرَحوا بها وإن تصبِروا وتتّقوا لا يضرُّكم كيدُهم شيئاً
٧ مذبذَبين بين ذلكَ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء
٨ يبغُونكم الفتنةَ وفيكمْ سمّاعونَ لهم
٩ لقدِ ابتغَوُا الفتنةَ من قبلُ وقلَّبوا لك الأمورَ حتى جاء الحقُّ وظهرَ أمرُ الله وهم كارهون
١٠ ويحلِفون بالله إنّهم لمنكمْ وما هم منكم ولكنّهم قومٌ يفرَقُون

فى تمثيل أعمال المُرائين والمُنافقين

١ فمثَله كمثَل صفْوانٍ عليه تُرابٌ فأصابه وابلٌ فتركه صلْداً
٢ أعمالهم كرَمادٍ اشتدّت به الريح فى يوْمٍ عاصفٍ
٣ أعمالُهم كسَرابٍ بقِيعةٍ يحْسَبه الظّمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجِدْه شيئاً

فى الانذار والوعيد

١ فمن اعْتدَى بعدَ ذلك فله عذابٌ أليم
٢ فسوفَ يأتيهم أنباءُ ما كانوا به يستهزِئُونَ
٣ لكلِّ نبأٍ مُستقرٌّ وسوفَ تعلمون
٤ وإنْ تنْتهوا فهو خيرٌ لكم وإن تعودوا نَعُدْ ولن تُغنِيَ عنكم فِئتُكم شيئاً ولو كثُرتْ
٥ فانتظِرُوا إنِّى معكم من المُنتظرين
٦ واتقوا فتْنةً لا تُصيبَنَّ الذين ظلَمُوا منكم خاصَّةً
٧ إلاّ تفعلوه تكنْ فِتْنةٌ فى الأرض وفَساد كبير
٨ ذلك وعْدٌ غيرُ مكذُوب
٩ وما هىَ من الظّالمين ببعيد
١٠ هذا بلاَغٌ للناس ولِيُنذَرُوا به
١١ عمَّا قليلٍ ليُصبِحُنَّ نادمين
١٢ وسيعلم الّذينَ ظلموا أىَّ مُنْقلَبٍ

ينقلبون

١٣ فسيعلمونَ منْ هوَ شرٌّ مكاناً وأضعفُ جنداً

١٤ اعملوا علىَ مكانتكم إنّى عاملٌ سوف تعلمون

١٥ إنه لقولٌ فصلٌ وما هوَ بالهزل

١٦ ذرْهم يأكلوا ويتمتّعوا ويُلهِهمُ الأملُ فسوفَ يعلمون

١٧ سيعلمونَ غداً منِ الكذّابُ الأشرُ

١٨ سيُهزَمُ الجمعُ ويُولّون الدُّبُر

١٩ لتُنبَّؤُنّ بما عملتُمْ

٢٠ ولقد جاءهم منَ الأنباءِ ما فيه مُزدَجَر

٢١ اعملوا ما شئتُمْ

٢٢ فستعلمون منْ هوَ فى ضلالٍ مُبين

٢٣ إنَّ ما تُوعدُون لواقع

٢٤ فستذكرون ما أقول لكم

٢٥ فليضحكوا قليلاً وليبكُوا كثيراً

٢٦ فإن للّذينَ ظلموا ذنوباً مثلَ ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون

٢٧ إعملوا على مكانتكم إنّا عاملون وانتظروا إنا مُنتظرُون

٢٨ كلاَّ سيعلمون ، ثم كلاَّ سيعلمون

٢٩ وسكنتُم فى مساكن الّذين ظلموا أنفُسهم وتبيَّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال

٣٠ كلُوا وتمتّعوا قليلا إنكم مُجرِمون

٣١ ولنُخرجنَّهم منها أذلَّةً وهم صاغرُون

٣٢ وقدْ أفلحَ اليوْم منِ استعلى

٣٣ ولا تُعجبْك أموالُهم وأولادهم إنّما يُريد اللهُ أن يُعذِّبهم بها فى الدنيا

٣٤ لقد كنت فى غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءك

٣٥ ولتعلمُنَّ نبأَهُ بعد حين

٣٦ سنَسِمُهُ على الخُرطوم

٣٧ أوَ لَمْ يعلمْ أنّ اللهَ قد أهلكَ منْ قبله منَ القرُون منْ هوَ أشدُّ منه قُوَّة وأكثرُ جمْعاً

٣٨ كلاَّ لا وزَرَ

٣٩ إنَّا منَ المجرمينَ منْتقمون

٤٠ سنَستدرجُهُمْ منْ حيْثُ لا يعلمون

٤ سننظرُ أصدقتَ أم كنت منَ الكاذبين ؟؟

فى الحياة الزّوجية

١ ومنْ آياتهِ أنْ خلقَ لكم منْ أنفسِكمْ أزْواجاً لتسكنُوا إليها وجعلَ بينكمْ مودّةً ورحمةً

٢ وأنْ تعفُوا أقربُ للتقوى ولا تنسَوُا الفضل بينكم

٣ وإنْ خفتم شقاقَ بينهما فابعثُوا حكَماً منْ أهلهِ وحكماً منْ أهلها إنْ يُريدا إصلاحاً يُوفّقِ اللهُ بينهما

٤ ولهنّ مثلُ الذى عليهنّ بالمعروفِ وللرجال عليهنّ درجَةٌ

٥ وإنِ امرأةٌ خافتْ من بعلِها نُشوزاً أو إعراضاً فلا جُناحَ عليهما أنْ يُصلِحا بينهما صُلحاً والصُّلحُ خير

٦ وعاشِرُوهنّ بالمعروف

٧ وائتمِرُوا بينكم بمعروف

فى آداب النساء

١ وقُلْ للمؤمناتِ يغضُضنَ منْ أبصارِهنّ ويحفظنَ فروجَهنّ ولا يُبدينَ زينتَهنّ إلا ما ظهرَ منها وليضربنَ بخُمُرِهنّ على جيوبهن

٢ وقرْنَ فى بيوتكنّ ولا تبرّجنَ تبرُّجَ الجاهليّةِ الأُولى

٣ محْصناتٍ غيرَ مُسافحاتٍ ولا متّخذاتِ أخدانٍ وقُلْنَ قولاً معروفاً

٤ إنِ اتّقيتُنّ فلا تخضعْنَ بالقولِ فيطمعَ الذى فى قلبِهِ مرضٌ وقُلنَ قولاً معْروفاً

فى الصّلح والسّلم

١ فاتّقُوا اللهَ وأصلحُوا ذاتَ بينكم

٢ فأصلِحُوا بينَ أخَوَيكم

٣ والصُّلحُ خيرٌ

٤ وإنْ جنَحُوا للسّلمِ فاجنح لها

٥ يا أيها الذينَ آمنوا ادخلوا فى السِّلمِ كافّةً ولا تتّبعوا خُطُوات الشيطان

الناس بخيرٍ ما تباينوا

١ ولو شاءَ ربك لجعلَ الناسَ أمّة

واحدةً ولا يزالون مختلفين . إلاّ
من رحم ربُّك ولذلك خلقهم

٢ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً

في الحثّ على الصدقة والنهي عمّا يبطلها

١ مثلُ الذين ينفقون أموالهم في سبيل
الله كمثل حبّةٍ أنبتت سبع سنابل
في كلّ سنبلةٍ مائةُ حبّة

٢ لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبّون

٣ يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمنّ والأذى

٤ قولٌ معروفٌ ومغفرةٌ خيرٌ من صدقةٍ
يتبعها أذى

٥ وما تنفقوا من خير يوفّ إليكم

٦ وأمّا السائلَ فلا تنهر

في التحيّة والاستئذان

١ وإذا حُيّيتم بتحيّةٍ فحيّوا بأحسنَ
منها أو ردّوها

٢ رحمةُ الله وبركاته عليكم أهلَ البيت

٣ يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غيرَ
بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلّموا
على أهلها

٤ فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها
حتى يؤذنَ لكم

٥ فإن استأذنوك لبعض شأنهم فأذنْ
لمن شئتَ منهم

في آداب المشي

١ واقصدْ في مشيكَ واغضضْ من
صوتكَ

٢ ولا تمشِ في الأرض مرحاً إنك لن
تخرقَ الأرضَ ولن تبلغَ الجبالَ طولاً

٣ وعبادُ الرحمن الذين يمشون على
الأرضِ هوناً

في التلطّف في الدعوة والطلب

١ إن أريدُ إلاّ الاصلاح ما استطعتُ

٢ يا قوم اتّبعونِ أهدِكم سبيلَ الرشاد

٣ هل أتّبعكَ على أن تعلّمنِ ممّا
علّمتَ رشداً

٤ فقلْ هل لك إلى أن تزكّى

٥ إنِّى لكم رسولٌ أمين
٦ فاتَّبِعْنى أهدِكَ صِراطاً سَوِيا

فى الشّورَى

١ وشاوِرْهُمْ فى الأمر
٢ وأمْرُهم شُورَى بينهم
٣ أفْتُونِى فى أمرى

فى الشّفاعة

١ مَنْ يَشْفَعْ شفاعةً حَسَنَةً يكنْ له نصيبٌ منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كِفْلٌ منها

فى الخطأ والاضطرار

١ وليسَ عليكم جُناحٌ فيما أخْطأتُمْ به ولكنْ ما تَعَمَّدَتْ قلوبُكم
٢ فمَنِ اضْطُرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فلا إثْمَ عليه

فى المسئوليّة عن العمل

١ ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرَى
٢ وأنْ ليس للإنسانِ الاّ ما سَعَى
٣ كلُّ امْرِئٍ بما كسَبَ رَهِين
٤ وكلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائرَهُ فى عُنُقِه
٥ لا يضُرُّكم مَن ضَلَّ إذا اهتدَيتُمْ

فى الجِهاد

١ وأعِدُّوا لهم ما استطعتم مِنْ قُوَّةٍ ومن رِباطِ الخيل
٢ وقاتلوهم حتى لا تكونَ فِتنَةٌ
٣ وفضَّلَ اللهُ المجاهدين على القاعِدين أجراً عظيما
٤ ولولا دفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لَفَسَدَتِ الأرض

فى الأيْمان

١ واحْفَظُوا أيْمانَكم
٢ ولا تجْعَلوا اللهَ عُرْضَةً لِأيمانِكم
٣ ولا تَنقُضُوا الأيمانَ بعدَ تَوْكيدِها

فى الكلام والاستماع

١ ألم ترَ كيْفَ ضَرَبَ اللهُ مثلاً كلِمَةً طَيِّبَةً كَشجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أصْلُها ثابتٌ وفَرْعُها فى السماءِ تُؤتِى أُكُلَها كلَّ حِينٍ بإذنِ رَبِّها
٢ ومَثَلُ كلِمَةٍ خبيثة كشجرَةٍ خبيثة اجْتُثَّتْ مِنْ فوقِ الأرض مالها من قَرار

٣ الذينَ يستمعُون القولَ فيتّبعُون أحسنَهُ أولئكَ الذينَ هداهُم اللهُ وأولئكَ هم أولُوا الألباب

٤ وقولوا لِلنّاسِ حُسناً

٥ يا أيها الذين آمنُوا اتقّوا اللهَ وقولوا قولاً سديداً

٦ وإذا سَمِعُوا اللّغوَ أعرَضُوا عنهُ

٧ وإذا مرُّوا باللّغوِ مرُّوا كِراماً

فى الجدَل والمُناظرة

١ ولا تُجادِلُوا أهلَ الكتابِ إلاّ بالتى هىَ أحسنُ إلاّ الذين ظَلموا منهم

٢ أُدعُ إلى سبيل ربِّكَ بالحكمةِ والمَوعِظَةِ الحسنَةِ وجادِلهم بالتى هىَ أحسنُ

فى تَباينُ المذاهب وتفاوُت الدّرجات

١ لِكُلٍّ جعلنا منكم شِرْعَةً ومِنهاجاً

٢ ولِكلٍّ وِجهَةٌ هو مُولِّيها

٣ قل كلٌّ يعملُ على شاكِلته

٤ واللهُ فضّلَ بعضَكُم على بعض فى الرِّزق

٥ وما مِنّا إلاّ له مقامٌ معلوم

٦ وفوقَ كلّ ذى علمٍ عليم

٧ وإنّا مِنّا الصّالحون ومنّا دُونَ ذلك

وبضِدِّها تتميّز الأشياء

١ قل لا يَستوِى الخبيثُ والطّيبُ ولو أعجبَكَ كثرة الخبيث

٢ أفمَنْ أسّسَ بُنيانه على تقوَى من الله ورضوانٍ خيرٌ أم مَن أسّسَ بُنيانَهُ على شفَا جُرُفٍ هارٍ فانهارَ به فى نار جهنّمَ

٣ مَثَلُ الفريقَين كالأعمى والأصمِّ والبصيرِ والسميعِ هل يستويان مَثلاً

٤ وما يستوى البحرانِ هذا عذبٌ فُراتٌ سائغٌ شرابُه وهذا ملحٌ أُجاجٌ

٥ أفمن يَمشِى مُكبّاً على وجهِه أهدَى أمّن يَمشِى سَوِيا على صِراطٍ مُستقيم

٦ قل هل يستوى الذين يَعلمُون والذين لا يعلمون

فى الحث على العمل والسّعي والتّنافُس والمُهاجرة

١ ولِكلٍّ درجاتٌ ممّا عَملوا

٢ وفى ذلك فليتَنافسِ المُتنافسُون

٣ ألم تكن أرضُ اللهِ واسعةً فتهاجروا فيها؟؟
٤ فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه

فى الجزاء على العمل

١ ظهرَ الفسادُ فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليُذيقهم بعضَ الذى عملوا لعلهم يرجعون
٢ إنَّ هذا كان لكم جزاءً وكانَ سعيكم مشكورًا
٣ فمن يعمل مثقال ذرَّة خيرا يرَهُ. ومن يعمل مثقالَ ذرَّةٍ شرًّا يرَهُ
٤ وأن ليسَ للانسان الاّ ما سعى. وأنَّ سعيهُ سوف يُرَى ثمَّ يُجزاهُ الجزاءَ الأوفى

الجزاء من جنس العمل

١ وإنْ جنَحوا للسَّلْم فاجنحْ لها
٢ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم
٣ وإنْ عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
٤ وجزاءُ سيِّئة سيِّئةٌ مثلُها
٥ فمن اعتدَى عليكم فاعتدُوا عليه بمثل ما اعتدَى عليكم
٦ هل جزاءُ الإحسانِ إلاّ الإحسانُ
٧ للَّذين أحسنوا الحُسنى وزيادةٌ
٨ فاذكرونى أذكُرْكم
٩ وإن عُدْتُمْ عُدنا
١٠ إنَّ اللهَ لا يغيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم
١١ وأوفُوا بعهدى أُوفِ بعهدكم
١٢ وما كان ربك ليُهلِكَ القُرَى بظلم وأهلُها مُصلِحون
١٣ جزاءً وِفاقًا

شبيه الشىء منجذبٌ إليه

١ الخبيثات للخبيثين والخبيثونَ للخبيثات والطيِّباتُ للطيبين والطيبونَ للطيِّبات

فى الافساد والبغى والنهى عنهما

١ ولا تُفْسِدوا فى الأرض بعدَ إصلاحها
٢ ولا تبغِ الفساد فى الأرض
٣ وإنَّ كثيراً منَ الخُلَطاءِ ليَبغِى بعضُهُمْ على بعض

٤ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان

فى المفسدين المكابرين

١ وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون

٢ ألذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

٣ ويحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون

فى غرور الظلمة واستدراجهم

١ يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا

٢ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا

٣ بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا

٤ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون

٥ وأملى لهم إن كيدى متين

٦ فذرهم فى غمرتهم حتى حين

٧ فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا

٨ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون

٩ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون

فى سوء عاقبة الظالمين والشماتة بما يصيبهم

١ فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين

٢ انقلب على عقبيه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

٣ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين

٤ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق

٥ فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر

٦ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون

٧ فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون

٨ فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها

فى الإعراض عن الدعوة

١ واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا

كأنْ لم يَسمعها كأنّ فى أُذُنيهِ وقْرًا
٢ كأنّهم حُمُرٌ مُستنفِرَةٌ فرّتْ من قسورَة
٣ ثم نظَر ، ثمَّ عَبَسَ وبَسَرَ ، ثمَّ أدْبرَ واسْتكبرَ

فى التدخل فى مَالا يَعنِي والنهى عنه

١ ولا تَقْفُ ما لَيس لكَ بهِ علم
٢ لا تَسألوا عَنْ أشياءَ إن تُبْدَ لكم تَسُؤْكم
٣ عليكم أنفسَكم لا يَضُرّكم منْ ضَلَّ
٤ فلا تسألْنِ مَا لَيس لكَ بِهِ عِلم
٥ ليس لك من الأمر شئ

فى الكرم والاكرام والضّيافة

١ ادْخلوها بسلام آمنينَ
٢ كلوا واشربوا هَنيئاً
٣ فكلوهُ هَنيئاً مَرِيئاً
٤ فكُلِي واشربى وقَرِّى عيناً
٥ وفاكهةٍ ممَّا يتخيّرُون ولَحمِ طيرٍ ممّا يشْتهُونَ
٦ ويُؤْثِرُون على أنفُسهم ولو كان بهم خَصاصَة

فى التعزية وتهوين الخطب

١ ويَخْلقُ مالا تعلمون
٢ كل نفسٍ ذائقةُ الموت
٣ كلُّ مَنْ عليها فانٍ
٤ كلُّ شىءٍ هالكٌ إلا وجْهُهُ
٥ فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا إنَّ مَعَ العسرِ يُسراً
٦ ولا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ الله
٧ فلا تَذْهَبْ نَفسُك عليهم حسَرَاتٍ
٨ ولا تَحزَن عليهم ولا تكُ فى ضَيْقٍ مما يَمْكرون
٩ ولا يَحْزُنْكَ قولُهم
١٠ سيَجْعَلُ اللهُ بعدَ عسْر يُسْراً

فى الكيل والميزان

١ أَوْفُوا الكَيلَ ولا تكونوا مِنَ المُخْسِرِين وزِنوا بالقِسْطَاس المستقيم ولا تَبخَسُوا الناسَ أشياءهمْ ولا تَعْثَوْا فى الأرض مُفْسِدِين
٢ ويلٌ للمُطَفِّفين الذين إذا اكْتالوا على الناسِ يَسْتَوْفون ، وإذا كالوهمْ

أو وَزَنُوهم يُخْسِرُون

فى النّهى عن الرّشْوة

١ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتُدْلُوا بها إلى الحُكّام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون

٢ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم

فى مال اليتيم ومتاعه

١ ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتى هى أحسنُ

٢ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً

٣ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيَصْلَوْنَ سعيراً

٤ فأمّا اليتيم فلا تقهرْ

فى صكّ الدَّيْن وإنظار المُعسِر

١ يا أيُّها الذين آمنوا إذا تداينتم بدَيْنٍ إلى أجلٍ مُسمًّى فاكتبوه

٢ وإنْ كان ذُو عُسرةٍ فنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ

فى الأحكام والحُكّام

١ واذا حكمتم بينَ النّاسِ أن تحكُموا بالعدل

٢ واذا قلتم فاعدلوا ولوْ كان ذا قُرْبَى

٣ ولا يَجْرِمَنّكم شَنَآنُ قَوْمٍ على ألاّ تَعْدِلوا إعدِلُوا هُوَ أقربُ لِلتّقْوَى

٤ ولا تَلْبِسُوا الحقَّ بالباطلِ وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمون

فى إتّهام الأبرياء

١ ومَن يَكْسِب خطيئةً أو إثماً ثم يَرْمِ به بريئاً فقد احتَمَلَ بُهتاناً وإثماً مُبيناً

٢ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكونُ لنا أن نتكلمَ بهذا سُبحانَكَ هذا بُهتانٌ عظيم

٣ إذ تَلَقَّوْنه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسَبُونه هيِّناً

وهو عند الله عظيم

٤ لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولّى كِبْرَه منهم له عذابٌ عظيم

في المكابرة فى الحق والمعاندة

١ ويجادل الذين كفروا بالباطل ليُدْحِضوا به الحق

٢ وجحدُوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوًّا

٣ ما ضربوه لك إلا جدلا

٤ يريدون أن يُطفئوا نورَ الله بأفواههم

٥ يجادلونك فى الحق بعد ما تبيّن

٦ وإنّ فريقا منهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون

٧ أنظر كيف نُصَرِّفُ الآيات ثم هم يَصْدِفون

فى الحقّ والباطل

١ ليُحِقَّ الحقَّ ويُبْطِلَ الباطلَ ولو كره المجرمون

٢ الآن حَصْحَصَ الحقُّ

٣ فأما الزَّبَدُ فيذهبُ جُفاءً وأمّا ما ينفع الناسَ فيمكثُ فى الأرض

٤ قُضِيَ بالحق وخسِرَ هنالكَ المبطلون

٥ الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع

٦ فماذا بعدَ الحقِّ إلا الضلال

٧ لقد جئناكم بالحق ولكنّ أكثرَكم للحقِّ كارهون

٨ فوقَعَ الحقُّ وبطَلَ ما كانوا يعملون

٩ ولا يأتونك بمثَلٍ إلا جئناكَ بالحقِّ وأحسنَ تفسيراً

فى أداء الشهادة

١ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقِسْطِ شهداءَ لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين

٢ ولا تكتموا الشهادة

٣ فاذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهِدوا عليهم

٤ ولا يأبَ الشهداءُ إذا ما دُعوا

٥ وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يُضارَّ كاتبٌ ولا شهيد

٦ وأنا على ذلكم من الشاهدين

٧ وما شهِدْنا إلا بما علمنا

فى الخبر اليقين

١ ما زَاغَ البصَرُ وما طَغَى
٢ فَلَنقُصَنَّ عليهم بِعلمٍ وما كُنّا غائِبين
٣ نحنُ نَقُصُّ عليكَ نبأَهُم بالحقّ
٤ أَحطتُ بما لم تُحِطْ بهِ
٥ ولاَ يُنَبِّئُكَ مِثلُ خَبير

في الاستنكار والتّعجب

١ إِنِّى لِعملكم منَ القالِين
٢ لَقَد جِئتم شيئاً إِدًّا
٣ لقد جِئْتَ شيئاً إِمْراً
٤ لقَدْ جِئتَ شيئاً نُكراً
٥ ما سَمِعنَا بهذا فى آبائِنَا الأَوَّلين
٦ إِنَّ هذا لشيءٌ عَجيبٌ

فى المُحاماة والدِّفاع عن الأَئمة

١ ها أَنْتُم هَؤُلاءِ جادَلْتُم عَنهُم فى الحياةِ الدُّنيا فمن يُجادلُ اللهَ عنهم يومَ القيامةِ أَمْ مَنْ يكونُ عليهم وكيلاً
٢ ولا تُجادِل عنِ الذين يَختانون أَنفسهم
٣ ولا تَعاوَنوا على الإِثْمِ والعُدوَان
٤ فلَن أَكونَ ظَهيراً للمُجرِمين

فى التّحدِّى وعدم المُبالاة

١ فاقْضِ ما أَنت قاضٍ
٢ فإِن كانَ لكم كَيدٌ فكيدُون
٣ فكِيدُونى جميعاً ثم لا تُنْظِرُونِ
٤ قلْ هاتوا بُرهانَكم إِنْ كنتم صادقين
٥ قل هَلْ عِندكم مِنْ عِلمٍ فتُخرِجُوه لَنَا

فى النّجوَى والمُؤامَرة

١ فتنَازَعُوا أَمرَهُم بينَهُم وأَسرُّوا النَّجْوَى
٢ لاخيرَ فى كثيرٍ مِنْ نَجواهُم
٣ أَم يَحسَبون أَنَّا لانَسمعُ سِرَّهم ونجواهم

فى الظّنّ والشّك

١ إِنْ يَتَّبعونَ إِلاَّ الظَّنَّ وإِنَّ الظَّنَّ لا يُغنِى مِن الحقِّ شيئاً
٢ وإِنَّهُم لَفى شَكٍّ منهُ مُريب
٣ وإِنَّا لفى شَكٍّ مِمَّا تَدعوننا إِليهِ مُريب
٤ إِنْ يتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وما تهْوى الأَنفس
٥ وما يُتَّبعُ أَكثرهُم إِلاَّ ظنًّا
٦ إِنَّ بعْض الظَّنِّ إِثْمٌ

فى التبرّؤ والتنصّل

١ فلمّا تَرَاءَتِ الفِئتَان نَكَصَ على عَقِبَيْهِ وقال إنِّى بَرِىءٌ مِنْكمْ إنى أرَى مالا ترَوْنَ

٢ أنتم بَرِيئُونَ مِمَّا أعملُ وأنا برِىءٌ ممّا تعملونَ

٣ فلا تَلومُونى ولومُوا أنفسَكم

فى موقف الظّلمة والمُجرمين أمام العدالة

١ وَقِفُوهُمْ إنهم مَسْئولُون

٢ هذا يَوْمُ الفصْل جمعناكم والأوّلين

٣ مكانَكم أنتم وشرَكاؤُكم

٤ خذُوهُ فغُلّوهُ

٥ مالَكُمْ لا تَنْطِقونَ

٦ مالكم لاَ تَنَاصَرُون

٧ لا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ

فى حيرة المُجرمين وإشفاقهم عند ظهور الحق

١ فَعَمِيَتْ عليْهِمُ الأَنْباءُ يومَئذٍ فهُمْ لاَ يَتَساءَلُون

٢ ووقع القولُ عليهم بما ظَلمُوا فهم لا يَنطقون

٣ وَوُضِعَ الكتابُ فترَى المجرِمين مُشْفِقين ممّا فيهِ

فى الافحام والإلزام

١ إقرأ كتابكَ كفَى بنفسِكَ اليومَ عليكَ حَسيباً

٢ هذا كتَابُنا ينطقُ عليكم بالحق إنّا كُنّا نَسْتَنْسِخُ ما كنتم تعملون

٣ ووجدوا ما عَمِلوا حاضراً

في اليأس والتّيئيس

١ قُضِىَ الأَمْرُ الذى فيهِ تَستَفتِيان

٢ فَنادَوْا ولاَتَ حينَ مناصٍ

٣ إصْبِرُوا أولا تصبِرُوا

٤ ولا تُخاطِبْنى فى الذين ظَلَمُوا

٥ لا تَعتَذِرُوا اليَوْم

فى إمضاء الأمر

١ فإذا عزَمْتَ فتوكَّلْ على الله

٢ وكان أمراً مَقْضِيًّا
٣ إفْعَلْ ما تُؤْمَرُ
٤ فافعلوا ما تُؤْمَرُون

فى حال المُجرمين وهم يُعذّبون

١ كلّما أرادُوا أنْ يَخْرُجوا منها أُعيدوا فيها
٢ لهم فيها زَفيرٌ وشَهيقٌ
٣ يَتَجَرَّعُهُ ولا يكادُ يُسيغه
٤ إنّ الّذين كَفَرُوا بآياتِنا سوفَ نُصْليهِمْ ناراً كُلّما نَضِجَتْ جلودُهم بدّلْناهُم جُلوداً غيرَها ليَذوقُوا العذابَ

فى الشّيب والكِبَر والضّعف

١ رَبِّ إنى وَهَنَ العَظْمُ منّى واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً
٢ وقد بَلَغْتُ من الكِبَرِ عِتِيًّا
٣ ومَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فى الخَلْقِ
٥ ومِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً

جَزَعُ النّاس ومظاهرهم عند البلاء

١ مُهْطِعينَ مُقْنِعى رُؤُوسِهم لا يَرْتَدُّ إليهم طَرْفُهم وأفْئِدَتُهم هَواءٌ
٢ وتَرَى النّاسَ سُكارَى وما هُمْ بِسُكارَى
٣ هل تُحِسُّ منهم مِنْ أحدٍ أو تَسْمَعُ لَهُم رِكْزاً
٤ وُوجُوهٌ يومئِذٍ عليها غَبَرَةٌ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ أُولئك هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ
٥ فانْطَلَقوا وهُمْ يَتَخافَتونَ

فى صِفات الانسان الفِطريّة

١ إنَّ الإنْسانَ لَظَلومٌ كفار
٢ وكان الانسانُ أكثرَ شىءٍ جَدَلاً
٣ خُلِقَ الانسان مِنْ عَجَلٍ
٤ فِطرَةَ اللهِ الّتى فَطَرَ الناسَ عليها لا تبديلَ لخلْقِ الله
٤ وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً
٥ إنَّ الإنْسانَ لَيَطغَى أنْ رآهُ استَغْنَى
٦ إنَّ الانْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إذا مسَّه الشَّرُّ جَزوعاً . وإذا مسَّه الخيرُ مَنُوعا

٧ قُتِلَ الإنسان ما أكْفَرَه

في الخوف

١ فأصْبَحَ فى المدينة خائفاً يترَقَّبُ
فخرَجَ مِنها خائفاً يترقّبُ

٣ لو اطَّلعتَ عليهم لوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً ولَمُلِئْتَ منهم رُعْباً

٤ ذلك يُخَوِّفُ اللهُ به عِبادَه

٥ فأوْجَسَ مِنهم خِيفَةً

٦ إنَّنا نخاف أن يَفْرُط علينا أو أن يَطْغَى

٧ إنى أخافُ أنْ يكذِّبون

٨ إذْ دخلوا على دَاوُدَ ففَزِعَ منهم

٩ إنَّا منكم وَجِلون

فى التَّضجُّر والتّحسُّر وإظهار الضّعف

١ لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً

٢ ياليتنى كنتُ معهم فأفوزَ فوْزاً عظيما

٣ ياليتنى مِتُّ قبلَ هذا وكنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا

٤ هذا منْ عملِ الشَّيْطَان إنهُ عدوٌّ مُضِلٌ مُبِين

٥ هذا يومٌ عَسِر

٦ ياليتها كانت القاضيةَ

٧ ويَضِيقُ صدْرى ولا يَنْطَلِقُ لسانى

فى النّفس الأمّارة بالسُّوء

١ ما أصابكَ مِن حسَنَةٍ فمِنَ اللهِ وما أصابكَ مِن سيِّئَةٍ فمن نفسِك

٢ وما أُبرِّىء نفسى إنَّ النَّفس لَأَمَّارة بالسُّوء إلاَّ ما رَحِمَ رَبِّى

فى الخجل والاستحياء

١ فجاءته إحداهما تمشى على استِحْياءٍ

٢ يتَوَارَى مِن القوْمِ مِنْ سوءِ ما بُشِّرَ به

فى النِّسيان

١ وما أنسانيهُ إلاَّ الشيطانُ أنْ أذْكُرَه

٢ فنسِىَ ولم نَجِدْ لهُ عزْماً

٣ ونَسُوا حظًّا ممَّا ذُكِّرُوا به

٤ ولا تَنْسَوُا الفضْلَ بينكم

٥ واذكر ربَّكَ إذَا نَسِيتَ

٦ سنُقْرِئُكَ فلا تَنْسَى

٧ لاَ تؤَاخِذْنى بما نَسِيتُ

فى الرُّؤيا والأَحلام

١ نَبِّئنا بِتأْوِيلِهِ إنَّا نَرَاكَ مِنَ المُحسنين
٢ أفْتونِى فى رُؤْيَاىَ إن كنتم لِلرُّؤْيا تَعْبُرون
٣ أَضْغاثُ أحْلام وما نحن بِتَأْوِيل الأَحلام بِعالِمِين
٤ أنَا أُنَبِّئُكُمْ بتأوِيلِهِ
٥ هذا تأويل رُؤْيَاىَ مِن قبلُ قدْ جعلَها رَبِّى حقًّا

الفرحُ بزَوال المْكرُوه

١ وكفَى اللهُ المُؤمنين القِتالَ
٢ الحمد للهِ الذى أذهبَ عنَّا الحزَن
٣ الحمدللهِ الذى نَجَّانَا مِنَ القَوْمِ الظّالمين
٤ فقُطِعَ دَابِرُ القومِ الذين ظلموا والحمد لِلّه ربِّ العَالَمِين
٥ فوَقَعَ الحقُّ و بطَلَ ما كانوا يعْمَلون
٦ فانْقَلَبوا بنِعمةٍ مِنَ اللهِ وفضل لم يمْسَسْهم سوء
٧ فوَقاه لله سيِّئاتِ ما مَكَروا

فى النّعيم والسُّرور والقُصور وما حَوتْ

١ تَعْرِفُ فى وجُوهِهم نَضرَةَ النَّعيم
٢ إذَا رأيتَهُم حَسِبتهم لُؤلؤاً مَنْثُوراً
٣ وُجوهٌ يَوْمَئذٍ مُسفرةٌ ضَاحِكةٌ مُسْتَبْشِرة
٤ فيهَا سُرُرٌ مرفوعَةٌ، وأكوَاب مَوضوعة ونَمَارِقُ مَصْفوفَة، وَزَرابىُّ مَبْثوثةٌ
٥ مُتَّكِئينَ على فُرُشٍ بطَائِنُها مِن إسْتَبْرَق
٦ وَيُطاف عَلَيهِمْ بآنِيةٍ من فضَّةٍ وأكْوَاب كانت قوَارِيرَا
٧ مُتَّكِئين فِيهَا على الأرَائكِ

فى الجِبال والبِحار والسُّفن والأمواج

١ ومِن الجبال جُدَدٌ بِيضٌ وحمرٌ مختَلِفٌ ألوانُها وغرَابِيبُ سُودٌ
٢ وقال اركبوا فيها باسمِ اللهِ مَجْرِيها ومُرْسَاهَا
٣ وهىَ تجْرِى بِهم فى مَوج كالجبالِ
٤ أو كظُلماتٍ فى بحْرٍ لُجِّىٍّ يَغْشَاه مَوْجٌ

من فوقه موجٌ من فوقه سحابٌ
ظلماتٌ بعضها فوق بعض إذا أخرج
يده لم يكد يراها
٥ فغشيهم من اليمِّ ما غشيهم
٦ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين
٧ وله الجوارِ المنشآتُ في البحر
كالأعلامِ

في المطر والبرق والرعد والريح

١ يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار
٢ هذا عارضٌ ممطرنا
٣ ريحٌ فيها عذاب أليم
٤ وهو الذى يرسل الرياح بشرًى بين
يدَىْ رحمته

في البساتين والروح والريحان

١ ودانيةً عليهم ظلالُها وذُلِّلَتْ قطوفُها
تذليلا
٢ فيها فاكهةٌ والنخلُ ذاتُ الأكمام
والحبُّ ذو العصفِ والريحان
٣ في سِدْرٍ مخضودٍ وطلحٍ منضودٍ، وظلٍّ
ممدودٍ، وماءٍ مسكوبٍ، وفاكهةٍ
كثيرةٍ، لامقطوعةٍ ولا ممنوعة

في التفكر والنظر والاستدلال
على الخالق

١ وما من دابةٍ في الأرض ولا طائرٍ
يطيرُ بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم
٢ وترى الجبالَ تحسبُها جامدةً وهى
تمرُّ مرَّ السحابِ صُنعَ اللهِ الذى
أتقنَ كلَّ شيء
٣ وهو الذى يبدأُ الخلقَ ثم يعيدُه
وهو أهونُ عليه
٤ ماخلقُكم ولا بعثُكم إلاّ كنفسٍ واحدة
٥ لخلقُ السمواتِ والأرضِ أكبر
من خلقِ الناس ولكنَّ أكثر الناس
لا يعلمون
٦ وما خلقنا السمواتِ والأرضَ وما
بينهما لاعبين
٧ وفى أنفسكم أفلا تبصرون
٨ فلينظر الانسانُ إلى طعامه
٩ فلينظرُ الانسانُ مِمَّ خُلقَ
١٠ واللهُ أنبتكم من الأرضِ نباتاً ثم

يُعيدكم فيها ويُخرجكم إخراجاً

١١ وجعلنا الليلَ والنهارَ آيتين فمحَوْنا آيةَ الليْل وجعلنا آية النهار مُبْصِرةً لتَبْتَغوا فضلاً من ربكم ولِتَعْلَموا عددَ السِّنينَ والحسابَ

١٢ وترَى الأرض هامدةً فاذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزَّتْ ورَبَتْ وأنْبتَتْ مِن كلِّ زَوجٍ بَهيج

فى العِظة والعِبرَة

١ إنَّ فى ذلك لَذِكْرَى لِمَنْ كان له قلبٌ أو أَلْقَى السّمع وهو شهيدٌ

٢ فاعْتبِرُوا ياأُولى الأبْصار

٣ ذلك ذِكْرَى لِلذَّاكرين

٤ لِنجْعَلَها لكم تَذْكِرَةً وتَعِيها أُذُنٌ واعِية

٥ إن فى ذلك لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى

٦ إن فى ذلك لَعِبْرَة لِأُولى الأبْصَار

٧ وما يَذَّكَّرُ إلا أُولوا الألباب

٨ لقد كان فى قَصَصِهم عِبرةٌ لِأُولى الألباب

فى نِعم الله وفضلِه

١ ذلك تَخْفيفٌ مِن ربِّكم ورحمة

٢ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليسْرَ ولا يُرِيد بكم العسرَ

٣ وما مِن دابَّة فى الأرض إلا على الله رزقُها

٤ وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصوها

٦ وإنَّ ربَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ للناس على ظلمهم

ما استأثر الله بعلمه

١ إنَّ اللهَ عِندَه علمُ الساعة ويُنَزِّل الغيثَ ويَعلَم مافى الأرحام وماتَدْرى نفسٌ مَاذا تَكْسِب غداً وماتدْرى نفسٌ بِأَىِّ أرض تموت إنَّ الله عليم خبير

٢ ويسألونك عن الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ ربِّى

فى العمل لوجه الله لا لجزاء النّاس

١ إنَّما نُطْعِمُكم لوَجْهِ اللهِ لا نُريد مِنكم جزاءً ولا شُكوراً

٢ وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجريَ إلاّ على ربِّ العالمين

وصفُ الدنيا وتحقير متاعها

١ قلْ متاعُ الدُّنيا قليل
٢ إنما الحياة الدُّنيا لعبٌ ولهْو
٣ وما الحياةُ الدنيا إلا متاعُ الغُرور

في التّحذير من النفس والشيطان وغرور الدنيا

١ الشيطانُ يعدكم الفقرَ ويأمركم بالفحشاءِ
٢ إنَّ النفسَ لأمّارةٌ بالسُّوءِ
٣ فلا تغرَّنكم الحياةُ الدُّنيا ولا يغرَّنكم باللهِ الغَرور

في التّسليم بقضائه تعالى وقدَره

١ قُلْ لن يُصيبَنا إلاّ ما كتبَ اللهُ لنا
٢ ولو شاء ربك ما فعلُوهُ
٣ ليقضيَ اللهُ أمرًا كانَ مفعُولاً
٤ إنَّ اللهَ بالغُ أمرِه
٥ ألا لهُ الخلقُ والأمرُ
٦ اللهُ يبسُطُ الرِّزقَ لمنْ يشاءُ ويقدِر
٧ وربكَ يخلقُ ما يشاءُ ويختار
٨ للهِ الأمرُ منْ قبلُ ومن بعدُ
٩ ألا إلى اللهِ تصيرُ الأمور
١٠ لا يُسألُ عمّا يفعَلُ

في التّرغيب في التقوى والإحسان

١ مَنْ جاءَ بالحسنةِ فلهُ عشرُ أمثالِها
٢ إن الحسناتِ يُذْهبنَ السَّيئاتِ
٣ إنَّ أكرَمكُمْ عندَ اللهِ أتقاكم
٤ ورحمةُ ربِّكَ خيرٌ ممّا يجمعُون
٥ للّذين أحسنُوا الحُسنى وزيادةٌ

في الاعتماد على الله والتّوكّل

١ وعلى اللهِ قصدُ السبيلِ
٢ وما ذلك على اللهِ بعزيز
٣ حسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيل
٤ إنّما أشكو بثّي وحُزني إلى الله
٥ ليسَ لها من دون اللهِ كاشفة
٦ واللهُ المُستعانُ
٧ وأفوِّضُ أمري إلى الله

في الموت وعدم تخلُّف الآجال

١ كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ

٢ لكُلِّ أجَلٍ كِتَابٌ

فى التّوبة والإنابة

١ إنّمَا التَّوْبَةُ على اللهِ لِلَّذين يعملُون السُّوءَ بِجَهالةٍ ثمَّ يتوبون من قريبٍ

٢ وليستِ التَّوْبة للَّذين يعلمون السَّيِّئات حتى إذا حضر أحَدَهُم الموْتُ قالَ إنِّى تُبتُ الآن

٣ ومَنْ يَعْمَلْ سُوأً أو يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يجدِ اللهَ غفوراً رحيما

فى الدُّعاء والتضرّع إلى الله تعالى

١ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخْطَأْنا

٢ رَبِّ هَبْ لى مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إنَّكَ سَمِيع الدُّعاء

٣ رَبَّنا فاغْفِرْ لَنا ذنوبَنا وكَفِّرْ عنَّا سَيِّئاتِنا وتوَفَّنا مَعَ الأبْرارِ

٤ رَبِّ أدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وأخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ واجْعَلْ لِى مِنْ لَدُنْكَ سُلطاناً نَصِيراً

٥ رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وهَيِّئْ لَنا مِنْ أمْرِنا رَشَدًا

٦ رَبِّ اشْرَحْ لى صَدْرِى ويَسِّرْ لِى أمرى

فى القرآن الكريم

١ ولَقَدْ يَسَّرْنا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِر

٢ إنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أقْوَمُ

٣ فاقْرَأُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآن

٤ وإذَا قُرِئَ القُرْآن فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتوا لعلكم تُرحمون

فى الأنباء والاستنباء

١ عَمَّ يَتَساءلون . عَنِ النَّبَإِ العظيم . الذى هم فيه مُخْتَلِفون

٢ فأقْبَلَ بَعْضُهُم على بَعْضٍ يَتَساءلون

٣ عَرَّفَ بَعضَهُ وأعرَضَ عنْ بعض

٤ مَنْ أنْبَأكَ هذا ؟

٥ هَلْ أتاكَ حَدِيثُ الجُنُود ؟

فى الكُتُب والكِتابة والرِّسالة

١ إذْهَبْ بكتابى هذا فألْقِهْ إليهم

٢ ولَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القول

٣ فيها كتبٌ قيِّمَةٌ
٤ هاؤمُ اقرأوا كتابيَهْ

في الاقتراب والدّنوّ

١ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ
٢ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بقريب؟؟
٣ أزِفتِ الآزِفَة
٤ فكانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى
٥ قلْ عَسَى أنْ يَكونَ قَريباً

في الضّعف والعجز

١ فما اسْتَطاعوا مِنْ قِيامٍ وما كانوا مُنتصِرين
٢ فما اسْطاعوا أن يظْهَرُوه وما اسْتطاعوا له نَقْباً
٣ وما ينْبغِي لهم وما يَسْتطيعون
٤ إنّكَ لَنْ تستطيعَ مَعِيَ صَبْراً
٥ وإنَّ أَوْهَنَ البيوت لَبَيتُ العنكبوت
٦ ضَعُفَ الطالِبُ والمطلوب
٧ فماله مِنْ قوّة ولا ناصِرٍ
٨ وخُلِقَ الإنسانُ ضَعيفاً

في البَلاء وما يُصاب الناس به

١ فَجعلناها حصيداً كأنْ لم تَغْنَ بالأمْس
٢ إنَّ هذا لَهُوَ البلاءُ المُبين
٣ فأَصْبَحوا لا يُرى إلا مَساكِنُهُم
٤ ماتَذَرُ مِنْ شيءٍ أَتَتْ عليه إلا جَعلَتْه كالرَّميم
٥ فتَرَى القومَ فيها صَرْعَى كأنهُمْ أعجازُ نخلٍ خاوية
٦ وأخْرَجتِ الأرضُ أثْقالَها
٧ فجعلَهُمْ كَعَصْفٍ مأكولٍ

في الاغترار بالظّواهر

١ وإذا رأيتَهُمْ تُعْجِبُكَ أجسامُهم وإنْ يقولوا تسمَعْ لِقَوْلهم كأنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَة
٢ يَحْسَبُهُ الظمآنُ ماءً حتى إذا جاءَهُ لم يجدْهُ شيئاً
٣ يحسَبهم الجاهِلُ أغْنياءَ من التَّعفُّف
٤ تَحْسَبُهُمْ جميعاً وقلوبُهم شَتَّى
٥ وتَحْسَبُهُم أيقاظاً وهُمْ رُقود

فى البشرى والتهنئة

١ يا بُشْرَى هَذَا غلام
٢ بُشْرَاكُم اليومَ
٣ بشَّرْنَاكَ بالحقِّ فلا تكنْ مِنَ القانطين
٤ وبَشّروهُ بِغلامٍ عَليم

ما يقال عِندَ الظّفرِ بالحاجة

١ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي
٢ إِنَّ هَذا لهوَ الفَوْزُ العَظِيم
٣ فضْلاً مِنَ اللهِ ونِعْمة
٤ ذلِكَ ما كنَّا نَبْغِ

فى الامتنان بالنِّعَم

١ ألم نشرَح لكَ صَدْرَك
٢ ألم يجدْكَ يتيما فآوَى ، ووَجَدَكَ ضالا فهَدَى ، ووَجَدَكَ عائلاً فأغْنى
٣ أذْكُروا نِعْمَتِيَ التى أنعمتُ عليكم
٤ كلوا وارعَوْا أنعامَكمْ
٥ ولولاَ أن ثبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تركَنُ إليهم شَيئاً قَليلا

في التَّحدُّث بالنِّعمة

١ وَبرًّا بوَالدَتى ولَم يجعلْنى جبَّاراً شقيًّا
٢ ولولا نِعْمَةُ ربى لكُنْتُ منَ المُحْضَرين
وأمَّا بِنعمةِ رَبكَ فحدِّثْ

التأمين والطَّمأنينة

١ خُذْها ولا تَخفْ
٢ لاَ تَخفْ نجوْتَ منَ القوم الظالمين
٣ أقْبِلْ ولا تَخف إنَّك من الآمنين
٤ ولَكنْ ليطْمَئِنَّ قلبى
٥ لا تخف إنك أنت الأعلى
٦ وما أريد أنْ أشُقَّ عليك ستجدُنى إنْ شاءَ اللهُ من الصالحين
٧ ولاتَخَافِي ولاتَحزني إنَّا رادُّوهُ إليكِ
٨ لَن يَصِلوا إليك
٩ ولاتَهِنُوا ولا تحزنوا وأنتم الأعْلوْنَ واللهُ مَعكم

أمثال مختارة للعرب

(١) إنّ من البيان لسحراً (٢) إنّ البلاء مُوَكّل بالمنطق. (٣) إن المُوَصّين بنو سهوان. (٤) إنّ الشّقيّ وافد البراجم. (٥) إنّ البُغاث بأرضنا يستنسر (٦) إنّ الجبانَ حتفُه من فوقه. (٧) إنّ المُعافَى غيرُ مخدُوع. (٨) إن فى الشّر خيارا. (٩) إنّ الحديدَ بالحديد يُفْلَحُ. (١٠) إنّ الشّفيق بسوء ظَنّ مُولَعُ (١١) إنّ وراء الأكَمَةِ ما وراءها. (١٢) إنّ العَصَا من العُصَيّة. (١٣). إنّ العوَانَ لا تُعلّم الخِمْرَةَ. (١٤) إنّ الغنيّ طويلُ الذّيل ميّاس. (١٥) إنّ اللّيلَ طَويلٌ وأنتَ مُقمر. (١٦) إنّ العَصَا قُرِعَتْ لذى الحِلم. (١٧) إنّ الحبيبَ الى الإخوان ذُو المالِ. (١٨) إنّ الهزيلَ اذا شَبِعَ ماتَ. (١٩) إنّ غداً لِناظرِهِ قَريبٌ. (٢٠) إنّ أخاكَ مَن آساكَ. (٢١) إنّك لا تَجنِي مِنَ الشّوك العِنَبَ. (٢٢) أتتك بحائن رجلاه. (٢٣) إنّما أُكِلْت يوم أُكِل الثّور الأبيض. (٢٤) إنْ يبغِ عليك قومُك لا يبغِ عليكَ القمرُ. (٢٥) إنْ كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعْصاراً. (٢٦) إن تردّ الماء بماء أكيس. (٢٧) إحدَى حُظَيّات لُقْمان

(١) يضرب فى استحسان المنطق. (٣) يضرب لمن يسهو عن طلب شئ أمر به. (٤) البراجم بطن من تميم. يضرب لمن يوقع نفسه فى هلكة طمعا. (٥) يضرب للضعيف يصير قويا. (٦) يضرب فى أن الحذر لا ينجى من القدر. (٧) يضرب لمن يخدع فلا ينخدع. (١١) يضرب لمن يفشى على نفسه أمرا مستورا. (١٢) يضرب فى مشاكلة الفرع للأصل. (١٣) العوان: المرأة النصف، والخمرة: لبس الخمار. يضرب فى استغناء المجرب عن الأرشاد. (١٤) أى لا يستطيع ذو الغنى أن يكتمه. (١٥) يضرب للأمر بالتصبر فى طلب الحاجة. (١٦) يضرب لمن إذا نبه انتبه (١٨) يضرب فيمن استغنى فتجبر على الناس. (٢٠) يضرب فى الحث على مراعاة الاخوان. (٢٢) يضرب فى المرء يسعى لحتفه بظلفه. (٢٣) يضرب به المرء يزرأ بأخيه. (٢٤) يضرب للأمر المشهور. (٢٥) يضرب للداهى الشديد يبلى بمن هو أدهى منه وأشد. (٢٦) يضرب للأخذ فى الأمور بالاحتياط. (٢٧) يضرب فى الشر يصدر عمن عرف به، وحظيات لقمان: سهامه (وفى القاموس خطأ)

(٢٨) أكلَ عليه الدّهرُ وشَرِب . (٢٩) إنّه لَيَعْلَمُ مِن أيْنَ تُؤْكَلُ الكَتِفُ . (٣٠) آكُلُ لَحمِي ولا أدعهُ لآكِلٍ . (٣١) إيّاكَ ومَا يُعتذَر منه . (٣٢) اذا زَلَّ العَالِمُ زَلَّ بزلّته عالَم . (٣٣) أنتَ تَئِق وأنا مَئِق فمتى نتّفِق . (٣٤) إيّاكِ أعنِي واسمعِي يَاجَارة . (٣٥) إذَا حَانَ القَضَاءُ ضَاقَ الفَضَاءُ . (٣٦) أُمّ الجبَان لا تَفْرَحُ ولا تحزَنُ . (٣٧) اذا جاءت السَّنَة جاء مَعها أعوانُها . (٣٨) إنْ حَالت القَوْسُ فسَهْمِي صَائبٌ . (٣٩) ألاَ مَنْ يَشترِي سَهَراً بنَوم . (٤٠) إذا ماالقارطُ العَنَزِي آبا . (٤١) إنْ كُنتَ كَذُوباً فكُن ذَكوراً . (٤٢) إنما يحمل الكلّ على أهل الفَضْل . (٤٣) إذا تخاصم اللّصان ظَهَرَ المسروقُ . (٤٤) إذا تفرّقت الغنَم قادتْها العَنَزُ الجرباء . (٤٥) إذَا عَابَ البزّاز ثوباً فاعلم أنه من حاجَتِه (٤٦) اذَا أردتَ أنْ تطاعَ فسَلْ ما يُستطَاع (٤٧) إن يَكن الشّغلُ مجهدةً فانّ الفَراغَ مَفْسَدَةٌ . (٤٨) اذا قَدُم الإخاءُ سَمُج الثّنَاءُ . (٤٩) بلَغَ السَّيلُ الزُّبى . (٥٠) بَعضُ الشّرّ أهونُ مِن بعضٍ . (٥١) بلَغَ السِّكينُ العظمَ . (٥٢) بَاقعةٌ من البَواقع . (٥٣) إبْدأُهم بالصُّراخ يَفِرُّوا . (٥٤) أبْدى الصَّريحُ عن الرِّغْوة . (٥٥) بَعضُ الجَدَب

(٢٨) يضرب لمن طال عمره . (٢٩) يضرب فى المجرب المحنك . (٣٠) يضرب فى الرجل ينصر قريبه وإن كان عدوه . (٣٣) التئق : السريع الى الشر . والمئق : السريع الى البكاء . يضرب للمختلفين اخلاقا . (٣٤) يضرب لمن يخاطب شخصا وهو يريد غيره تعريضا . (٣٧) السنة : القحط وأعوانها الجراد والأمراض ، يضرب فى تجمع الشدائد . (٣٨) حالت القوس : زالت عن استقامتها . يضرب فيمن زالت نعمته ولم تزل مروءته . (٣٩) يضرب لمن غمط النعمة وكره العافية . (٤٠) يضرب فى امتداد البعدو الغيبة . (٤١) يضرب للرجل يكذب ثم ينسى فينا قض نفسه . (٤٢) الكل : الثقل . (٤٤) يضرب فى القوم يختلفون فيسود فيهم الأشرار . (٤٥) البزاز : بائع الثياب . (٤٩) الزبى : جمع زبية وهى أعلى الجبل . يضرب لمن جاوز الحد . (٥٠) يضرب فى الشرين يختار أهونهما (٥١) يضرب لماجاوز الحد . (٥٢) الباقعة : الداهية يقال فى الرجل يكون داهيا منكرا (٥٣) يضرب فى الظالم يتظلم ليسكت عنه . (٥٤) يضرب عند انكشاف الأمر وظهوره .

أمرأ للهزيل . (٥٦) بَنَانُ كَفّ ليس فيها ساعد . (٥٧) بَعد البلاء يكون الثّناء. (٥٨) أبلغُ من قُسّ . (٥٩) أبْخَل من مَادِر . (٦٠) أبصرُ من زَرْقاء اليمامة . (٦١) أبصرُ من غُراب . (٦٢) أبقَى من الدهر . (٦٣) أبقَى من وَحْيٍ فى حَجَر . (٦٤) أبينُ من فلَق الصُّبح (٦٥) أبْكَر من غُرَاب . (٦٦) تَرْك الذَّنب أيْسر من طلَب التّوبة . (٦٧) تَجُوعُ الحُرَّة ولا تأكلُ بثَدْيَيْها . (٦٨) تَسْألنى برَامتين سَلجَما . (٦٩) تجشَّأ لُقمانُ من غير شِبَع . (٧٠) تَضْرِبُ فى حَديد بَارد . (٧١) تَلْدَغ العَقْربُ وتَصِئ . (٧٢) ترَكْتُهم فى حَيْصَ بَيْصَ . (٧٣) تَطْلُبُ أثَراً بعد عَيْن . (٧٤) تَسمعُ بالمُعَيْدى خَيْر من أن تَراه . (٧٥) اتَّخَذ اللّيلُ جَملا . (٧٦) تَرَى الفِتْيَان كالنخل وما يُدْريك ما الدَّخْل . (٧٧) التثبُّتُ نِصفُ العَفو . (٧٨) تُقطِّعُ أعنَاق الرّجال المطامع . (٧٩) أتبعْ السَّيئةَ الحسَنةَ تَمْحُها . (٨٠) اتّقِ شَرّ مَن أحسَنتَ اليه . (٨١) تَضَرَّع إلى الطّبيب قبل أن تَمْرَض . (٨٢) تَجرِى الرّياح بما لاتَشتهِى السُّفُنُ . (٨٣) ألتّقديرُ أحدُ الكاسبين . (٨٤) التَّدبير نصف المعيشة. (٨٥) جَزاء سِنِمَّار . (٨٦) جَعْجَعةً ولا أرَى طِحْناً . (٨٧) جَوِّع كلبَك يَتْبعك .

---

(٥٥) يضرب فيمن لايحسن احتمال الغنى بل يطغى فيه . (٥٦) يضرب فيمن له همة ولاقدرة له على بلوغ ما فى نفسه . (٦٣) الوحى : الكتابة . (٦٧) أى لاتكون مرضعا . يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب . (٦٨) السلجم : اللفت . يضرب لمن يطلب شيئا فى غير موضعه . (٦٩) يضرب لمن يدعى ما ليس يملك . (٧٠) يضرب لمن يظلم ويتظلم وصاءت العقرب : صوتت . (٧٢) يضرب فيمن وقع فيما لامخلص له منه . (٧٣) يضرب فيمن ترك الشىء ثم طلبه بعد ذهابه . (٧٤) يضرب فيمن منظره دون مخبره . (٧٥) أى أدى واجبه من العمل ليلا . (٧٦) يضرب لذى المنظر لاخير فيه . (٨٥) يضرب فى مقابلة الاحسان بالاساءة (٨٦) يضرب فيمن يعد ولا يفى . (٨٧) يضرب فيما ينبغى أن يعامل به اللئيم .

(٨٨) جاوزَ الحزامُ الطِّبْيَيْنِ .(٨٩) جانِيكَ مَن يَجْنِي عليك.(٩٠)جليسُ السُّوء كالْقَيْنِ إنْ لم يُحْرِقْ ثَوْبك. دَخَّنَهُ. (٩١) جاءوا على بَكْرة أبيهم . (٩٢) أجودُ من حاتم ، ومنْ كعْبِ بن مامَة . (٩٣) أجبنُ من صافر ، ومن نَعامة.(٩٤) أجهلُ من فِراشَة . (٩٥) أجمعُ من نملة . (٩٦) حال الجريضُ دُونَ القَريض . (٩٧) حنّ قِدْح ليس منها .(٩٨) حَسْبُكَ مِنْ شَرٍّ سَماعُه . (٩٩) حَسْبُكَ من القِلادة ماأحاطَ بالعُنُق. (١٠٠) حُبُّكَ الشّيءَ يُعمِي ويُصِمّ . (١٠١) الْحديثُ ذُو شُجُون. (١٠٢) حافظْ على الصّديق ولو فى الحريق . (١٠٣) أحشَفًا وسُوءَ كِيلَة . (١٠٤) الحِكمة ضالّة المؤمن . (١٠٥) الحُبارى خالة الكَرَوان . (١٠٦) الْحاجة تَفْتُقُ الحِيلة . (١٠٧) أحْمقُ مِن هَبَنَّقة ومن جُحا .(١٠٨) أحلَم من الأحْنَف .(١٠٩) أحْكَمُ مِن لُقمان . (١١٠) أحْذَرُ من غُراب ، ومن ذِئب ، ومن ظَلِيم . (١١١) أحفَظُ مِن الشَّعْبى. (١١٢) خُذْ من جِذْعِ ما أعطاك .(١١٣) خالِفْ تُذْكر . (١١٤) خَرْقاء وجدتْ صُوفا . (١١٥) خير المال عَينٌ خَرَّارَة فى أرض خَوّارة . (١١٦) أخطبُ من سَحْبان ، ومن قُسٍّ .(١١٧) أخْوَنُ من ذِئب . (١١٨)دون ذا ويَنْفُق الحمار . (١١٩) أدْهَى من قَيس بن زُهَير ، ومن عَمرو بن العاص .

---

(٨٨) يضرب فى تفاقم الأمر . (٨٩) أى لاتزر وازرة وزر أخرى . (٩٠) القين : الحداد (٩١) أى جاءوا جميعا . (٩٣) الصافر من الطيور بغاثها وضعافها . (٩٦) الجريض : الغصة. والقريض : الشعر . يضرب فى الأمر يتيسر حين لا ينفع . (٩٧) يضرب فى الرجل يفتخر بقوم ليس منهم أو يتمدح بما ليس فيه .

(٩٨) يضرب فى المقالة السيئة وما يخشى منها . (١٠١) الشجون : الفنون . يضرب فى الحديث يتذكر به غيره . (١٠٣) يضرب فى الجمع بين خصلتين مكروهتين . (١٠٥) يضرب فى مناسبة أحدالشيئين للآخر . (١١٠) الظليم: ذكر النعام .

(١١٢) جذع ! اسم رجل . يضرب فى اغتنام ما يجود به البخيل . (١١٤) الخرقاء : التى لا تحسن العمل . يضرب لمن يفسد ماله بسوء تصرفه . (١١٥) الخوارة : الأرض التى فيها لين وسهولة . (١١٨) يضرب فى المبالغة فى المدح بغير احتياج اليها .

(١٢٠) ذَهبُوا أيدِى سبَا . (١٢١) الذّئبُ خَالِياً أَسدٌ . (١٢٢) ذَكَّرْتَنِى الطَّعْنَ وكُنْتُ ناسياً . (١٢٣) رَمَتْنِى بدائها وانْسلَّت . (١٢٤) رَمَاه الله بثالثة الأثافِى . (١٢٥) رُبَّ قول أشدُّ من صَوْل . (١٢٦) رُبّ أخٍ لكَ لم تَلِدْه أُمك . (١٢٧) رَجَع بخُفَّىْ حنَين . (١٢٨) رُبّ رَمْيَة من غير رَام . (١٢٩) الرّاوِية أحدُ الشّاتمين . (١٣٠) رُبَّ كلمة سَلبَتْ نِعْمَة . (١٣١) رُبّ مَلُوم لا ذَنبَ له . (١٣٢) رُبّ زَارع لنفسِه حاصدٌ سِواه . (١٣٣) أرْوَى من ضَبّ . (١٣٤) أَرقّ من النّسيم ومن رَقْراق السَّرَاب ، ومن غِرْقِئ البَيض . (١٣٥) الزَّيْتُ فى العجين لا يَضِيع . (١٣٦) زَكَاة النِّعَمِ المعروفُ . (١٣٧) أزْكَنُ من إيَاس . (١٣٨) أزْهَى من طَاوُس . (١٣٩) سَبَقَ السَّيفُ العَذَلَ . (١٤٠) أَسَاءَ سَمعاً فأساءَ إجَابةً . (١٤١) سَكَتَ أَلْفاً ونَطق خَلْفاً ، (١٤٢) سُرق السّارق فانتحر . (١٤٣) السَّلِيم لا يَنام ولا يُنيم . (١٤٤) سَحَابةُ صيفٍ عن قَليل تَقَشَّعُ . (١٤٥) شَرّ الرَّأْىِ الدَّبَرِىّ . (١٤٦) شُخْبٌ فى الإِناءِ وشُخْبٌ فى الأرض . (١٤٧) شِنْشِنَةٌ أعرِفُها

---

(١٢٠) أى تفرقوا تفرقا لا اجتماع معه كما تفرقت سبأ . (١٢٢) يضرب فى تذكر الشىء بغيره . (١٢٣) يضرب فيمن يعير صاحبه بعيب هو فيه . (١٢٤) الأثافى : جمع أثفية وهى الحجر توضع عليه القدر وهما اثنتان وثالثتهما الجبل والمراد بها الداهية العظيمة . (١٢٥) يضرب عند الكلام يؤثر فيمن يواجه به . (١٢٧) يضرب فى الخيبة . (١٢٩) هذا كقولنا شتمك من بلغك . (١٣٣) تزعم العرب أن الضب لا يحتاج الى شرب الماء بل يفتح فاه للهواء فيكون فى ذلك ريه . (١٣٤) الغرقئ القشرة الرقيقة الملتزقة ببياض البيضة (١٣٥) يضرب فى الاحسان إلى الأقارب . (١٣٨) الزهو العجب . (١٣٩) يضرب فى الخطأ يلام فاعله بعد وقوعه .

(١٤١) الحلف : الردىء من القول . (١٤٢) يضرب لمن ينتزع من يده ماليس له فيجزع عليه . (١٤٣) السليم : الملدوغ . يضرب فيمن لا يستريح ولا يريح غيره . (١٤٥) الدبرى : يسنح بعد فوات الفرصة . (١٤٦) الشخب : ماخرج من الضرع ممتدا من اللبن . يضرب فيمن يصيب مرة ويخطىء أخرى . (١٤٧) الشنشنة الطبيعة والعادة يضرب فى مشابهة الفرع لأصله فى الشر .

مِن أَحْزَم . (١٤٨) شَرٌّ من الموت مايُتمنَّى معه الموتُ . (١٤٩) أشأمُ من البَسُوس ومِن أحمر عاد ، ومن غُراب البَيْن . (١٥٠) أشْكَرُ من كَلْب . (١٥١) صَدَقَنِي سِنّ بَكْره . (١٥٢) صَادف دَرْء السّيل دَرءاً يَصدُعه . (١٥٣) صَدرُك أوسعُ لِسرّك . (١٥٤) أصدقُ من قَطَاة . (١٥٥) أصعبُ من رَدّ الشُّخْب فى الضَّرع . (١٥٦) ضَرَب أخماساً لأَسْدَاس . (١٥٧) أَضْيقُ من ظِلِّ الرُّمْح . (١٥٨) أضعفُ من بَعُوضة . (١٥٩) أَضبطُ من نَملة . (١٦٠) أطرِقْ كَرَا ، إنّ النّعامَةَ فى القُرى . (١٦١) أطولُ صُحْبَةً من الفَرْقَدين . (١٦٢) أطمعُ من أشعب . (١٦٣) طَبيبٌ يُداوى النَّاسَ وهو مريضٌ . (١٦٤) طفَيلىّ ومُقْتَرِح . (١٦٥) ظِئْر رَؤُوم خيرٌ من أُمّ سَؤُوم . (١٦٦) عِند الصَّباح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى . (١٦٧) عند جُهَيْنَةَ الخبرُ اليقينُ . (١٦٨) عَرَض عليه خَصْلَتى الضَّبُع . (١٦٩) عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَبا . (١٧٠) أعْطِ القوسَ بَارِيهَا . (١٧١) أعْرَضَ ثَوْبَ المَلْبَس . (١٧٢) ألعَودُ أحمدُ . (١٧٣) عِند الامتحان يُكْرَم المرءُ أو يُهان . (١٧٤) أعزّ من كُلَيب وَائل . (١٧٥) أعيا من بَاقِل . (١٧٦) أعدَى من الظَّليم ، ومن الشَّنْفَرَى ، ومن السُّلَيك . (١٧٧) أعقُّ من ذِئْبة . (١٧٨) أعقدُ من ذَنَبِ الضَّبِّ . (١٧٩)

---

(١٤٩) البسوس : هى المرأة التى هاجت بسببها حرب بكر وتغلب . وأحمر عاد هو أحمر ثمود وهو الذى عقر الناقة فحل العذاب بثمود من جراء عمله . (١٥١) يضرب فى الانسان يقرر الحقيقة على غير قصد منه . (١٥٢) هذا كقولهم لا يفل الحديد إلا الحديد . (١٥٤) لأن صوت القطاة واحد لايتغير ، (١٥٦) يضرب فيمن يريد الشىء ويظهر غيره . (١٦٠) الكرا : الكروان . يضرب فيمن يتكلم بما لايقدر عليه . (١٦٥) الظئر : الحاضنة : والرؤوم . العطوف (١٦٦) يضرب فى تحمل المشقة رجاء الراحة .

(١٦٧) يضرب فى الرجل يعرف الشىء على وجهه كقولهم : (على الخبير سقطت)

(١٦٨) تزعم العرب أن الضبع صادت ثعلبا وخيرته بين أن تأكله وأن تمزقه . يضرب فيمن يسوم غيره مالا خيار فيه من البلاء . (١٧١) يضرب فيمن اذا سألته عن أمر أبهم الجواب .

أعجزُ ممَّن قتَلَ الدُّخَان . (١٨٠) غُدَّة كغُدَّة البَعير وموتٌ فى بيت سلُولِيّة . (١٨١) غثّك خيرٌ من سَمِين غيرك . (١٨٢) فى الصّيف ضَيّعتِ اللّبنَ . (١٨٣) فى بَيته يُؤتَى الحَكَمُ . (١٨٤) فى كلّ شَجَر نَار واستَمجَدَ المرْخ والعفَار . (١٨٥) أفرسُ من بِسْطَام . (١٨٦) أفتَكُ من عَمرو بن كلثُوم . (١٨٧) قَطَعتَ جَهِيزَةَ قَولِ كلّ خَطِيب . (١٨٨) قد أنصفَ القَارَةَ من رَاماها . (١٨٩) قَبلَ الرِّماء تُملأ الكنائن . (١٩٠) أقتلُونى ومَالكا . (١٩١) القَوْلُ ما قَالت حَذَام (١٩٢) كان كُرَاعا فصَار ذِراعا . (١٩٣) كلامٌ كالعَسل ، وفعلٌ كالأَسَل . (١٩٤) كلّ فَتَاةٍ بأبِيها مُعْجَبَةٌ . (١٩٥) كطالبِ القَرْن جُدِعت أُذُنُه (١٩٦) كمُجِير أُمّ عامر . (١٩٧) كيفَ أُعاوِدُك وهذَا أثرفأسِك . (١٩٨) كأنّ على رءوسهم الطّيرَ . (١٩٩) كالمُسْتَجِير من الرَّمْضاءِ بالنّار . (٢٠٠) لَوذاتُ سِوار لَطَمَتْنى . (٢٠١) لو خُيِّرْتُ لاَخترت . (٢٠٢) لو تُرِك القَطَا لَيلاً لنامَ . (٢٠٣) لعلّه عذْراً وأنتَ تَلومُ . (٢٠٤) لأَمْرٍ مّا جُدِعَ قصيرٌ أنْفُه . (٢٠٥) لكُلّ مَقامٍ مَقَال .

(١٨٠) سلول قبيلة ذليلة . يضرب فى اجتماع خصلتين من الشر . (١٨٢) يضرب لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه (١٨٤) المرخ والعفار : شجران قويا النار . يضرب فى تفضيل بعض الشئ على بعض . (١٨٧) يضرب لمن يقطع عمل الناس ماهم فيه بحماقة يأتى بها . (١٨٨) القارة : قبيلة من أبرع الناس فى المراماة . (١٨٩) يضرب فى الاستعداد للأمر قبل الشروع فيه . (١٩٠) يضرب فيمن يريد بصاحبه المكروه وإن ناله هو منه ضرر . (١٩٢) يضرب فى الذليل يصبح عزيزا . (١٩٣) الأسل : الرماح . (١٩٤) يضرب فى عجب الرجل برهطه وعشيرته ، (١٩٥) أصل المثل فى النعام . ويضرب فى طلب الأمر يفضى بصاحبه الى التلف .

(١٩٦) أم عامر : الضبع وقد أكلت من أجارها . يضرب فى الذى يجزى على إحسانه بالسوء . (١٩٧) يضرب فيمن لا يفى بالعهد . (٢٠٠) يضرب فى الوضيع يقع منه العدوان . (٢٠٢) يضرب فيمن حمل على مكروه من غير إرادته .

(٢٠٦) لا مَخْبأَ لِعطْرٍ بعد عَرُوس. (٢٠٧) لا تَعدَم الْحَسناءُ ذَاماً. (٢٠٨) لا تَهْرِفْ بما لا تَعْرِفُ. (٢٠٩) لا نَاقتي فيها ولا جَملي، (٢١٠) لا فى العِير ولا فى النَّفير (٢١١) لا يَفُلّ الحديدَ إلاّ الحديد. (٢١٢) لا تأمَن الأحمق و بيدِهِ سكّين. (٢١٣) لا تَجزَعَنّ من سُنَّة أنتَ سِرْتها. (٢١٤) ما وراءَك يا عِصام. (٢١٥) ما يومُ حليمة بِسِرٍّ. (٢١٦) مَا أشبهَ اللَّيْلَة بالبَارحة. (٢١٧) مَرْعًى ولا كالسَّعْدان. (٢١٨) ما كلّ بَيضاء شَحْمَة. (٢١٩) مِنك أنفُك و إن كان أجْدع. (٢٢٠) مَن استَرعَى الذّئب ظُلم. (٢٢١) مِن مَأمَنه يُؤْتى الحذِر. (٢٢٢) مَواعيدُ عُرقُوب. (٢٢٣) مُكْرَهٌ أخوك لا بَطل. (٢٢٤) أَمنعُ من عُقاب الجوّ. (٢٢٥) نَفْسُ عِصامٍ سَوّدَتْ عِصاما (٢٢٦) نعيمُ كلب فى بُؤس أهله. (٢٢٧) أَندمُ من الكُسَعيّ. (٢٢٨) وَافقَ شنٌّ طَبَقَة. (٢٢٩) أَوردَها سَعد وسَعد مُشْتمِل. (٢٣٠) أَوْفى مِن السَّموْءَل، ومن الحارث بن عُباد. (٢٣١) هُما كفرَسَىْ رِهان. (٢٣٢) يَدَاك أَوْكَتَا وفُوكَ نفخَ. (٢٣٣) اليومَ خمرٌ وغدًا أمرٌ.

---

(٢٠٦) يضرب فيمن لايدخر عنه نفيس. (٢٠٧) يضرب فى الشيء الحسن لا يخلو من عيب. (٢٠٨) يضرب لمن يتعجل فى مدح الشيء قبل تمام معرفته.

(٢١٠) يضرب فى الوضيع ليس فيه شيء من خلال الشرف. (٢١٢) يضرب فى عسف الجاهل اذا قدر. (٢١٥) حليمة بنت ملك غسان. يضرب للأمر المشهور الذى لايكاد يجهل. (٢١٧) السعدان: نبت من أنفع الاعشاب للابل. يضرب فى الشيء يفضل على أشكاله وأقرانه. (٢١٩) يضرب فيمن يلزمك خيره وشره. (٢٢٣) يضرب فيمن يحمل على ما ليس من شأنه. (٢٢٥) يضرب فى سؤدد الرجل بنفسه. (٢٢٦) يضرب فى التابع ـ كالخادم يشغل سادته بمصيبة فيغتنم ماقدر عليه من أموالهم. (٢٢٨) يضرب فى تمام المشاكلة والاتفاق. (٢٢٩) يضرب للمقصر فى الامر. (٣٢٢) يضرب لمن يجنى على نفسه. (٢٣٣) يضرب فى تقلب الأيام.

﴿ الفن الرابع فى الأوصاف ﴾

ألوصفُ[١] عبارَة عن بيَان الأمرِ باْستِيعَاب أحوالِه وضُروب نعُوته المُمثّلة له ، وأصولُه ثلاثة .

«الأوّل» أن يكونَ الوصفُ حَقيقيًّا بالموصُوف مُفرزاً له عمّا سِوَاه

« الثانى » أن يكون ذَا طلاَوَة ورونَق

«الثّالث» أنْ لايَخرُجَ فيه إلى حُدُود المُبالَغة والإِسهاب ، ويُكتفى بما كان مناسباً للحال ـ وأنواعه كثيرة ، ولكنّها ترجع إلى قسمين : وهما وَصفُ الأشياء ووصفُ الأشخَاص — أمَّا الأشياءُ الحْرِيّةُ بالوصفِ فهى كالأمكنة والحوادث ومناظر الطَّبيعة .

وأمَّا وصفُ الأشخَاص فيَكون بوصف الصُّورة أو الطّبع أو بوصفهِمَا معاً ولنذكر لك فِقراً جارِية على ألسنة البُلغاء فى صِفات شتّى ـ ثم نُتْبِعُها بمقالات فى الوصف نَثرا ونَظماً

﴿ وَصْفُ البُلْدان ﴾

بَلْدَةٌ كأنها صُورة جنّة الخُلد ، مَنقوشَةٌ فى عُرْض الأرض ، بَلدةٌ كأنَّ محاسِنَ الدُّنيا مجموعةٌ ومَحصُورة فى نَواحيها ، بلدةٌ تُرابها عَنْبر ، وحَصبَاؤُها عَقِيق ، وهَواؤها نَسيم ، ومَاؤها رَحِيق ، بَلدة مَعشوقَة السّكنَى ، رْحبةُ المَثْوَى[٢] كوكَبها يَقْظان ، وجوُّها عُرْيان ، يَومُها غَداةٌ ، وليلُها سَحَر ، بلدةٌ واسعَةُ الرُّقْعة

---

(١) احسن طريقة للاجادة فى الوصف أن ترسم أولا فى بدء وصفك نظراً عاما جامعا لمجمل الامر الذى تحاول وصفه ثم تأخذ بأيراد مختلف الاجزاء قسما فقسما وذلك اما على تتابع ورود هذه الأجزاء تماما بتقديم أهم الاجزاء ، أو إيثار ما كان يراه الكاتب أشد مناسبة لغايته

(٢) الاقامة

طَيِّبة البُقْعة ، واسِطَة البِلاَد وسُرَّتها ، ووجهُها وغُرَّتها .

﴿ وصف القِلاع ﴾

قَلعةٌ حَلّقت [١] بالجوّ تُناجى السَّماء بأسرارها ، قلعة تَتوشَّحُ بالغُيوم ، وتَجتلِى النُّجوم ، قلعةٌ مُتناهيةٌ فى الحصَانة ، مُمتنعةٌ عن الطَّلب والطَّالب ، مَنصوبة على أضيق المسالك وأوعرِ المناصب ، لم تزِدْها الأيام إلاّ نُبُوًّ [٢] أعطَاف ، واستِصْعابَ جوانب وأطراف ، قد ملَّ المُلوك حِصارَها ، ففارَقُوها عن طِماح [٣] منها وشِماس ، [٤] وسَئِمَتِ الجيُوش ظِلّها ، فغادرَتْها [٥] بعد قُنوط ويَأس ، فهى حِمىً لا يُراع [٦] ومَعْقِلٌ لا يُستَطاع ، كأنَّ الأيَّام صَالَحَتها على الإعفَاءِ من الحوادث ، واللّيالِى عَاهدَتها على التّسليم من القَوارِع [٧]

﴿ وَصف الدُّور ﴾

دارُ قَرارٍ تُوسِعُ العينَ قُرَّة ، والنّفسَ مَسَرَّةً ، كأنَّ بانيهَا استَسلفَ الجنّة فعجّلتْ له ، دارٌ تَخلُ منها الدُّور ، وتَتقاصرُ عنها القُصُور ، دارٌ قد اقترَن اليُمن [٨] بيُمناها ، واليُسْرُ بيُسراها ، الجُسوم منها فى حَضر ، والعُون على سَفَر ، دارٌ دارَ بالسعْد نجمُها ، وفَاز بالحُسن سَهمُها ، يَخدِمُها الدَّهر ، ويأويها البَدر ، ويكنفُها النَّصر هى مَرْتَعُ النَّواظر ، ومُتنفَّس الخوَاطر ، أخذَت أدواتِ الجِنَان ، وضَحِكت من العَبْقرِىّ [٩] الحِسَان

﴿ وصف الدِّيار الخالية ﴾

دارٌ لبسَت البِلى . وتَعطّلتْ من الحُلَى ، صارتْ من أهلها خَالية ، بعد مَا

---

(١) ارتفعت (٢) بعدا (٣) كبر وفخر (٤) اباء وامتناع (٥) تركتها (٦) لايفزع ولا يخاف فيها أحد (٧) الحوادث والنوائب (٨) البركة (٩) البسط المعجب شكلها

كانت بهم حالية ، قد أنفدَ البيَن سُكانَها ، وأقعدَ حِيطانَها ، دارٌ شاهدُ اليأس منها ينْطقُ ، وحَبلُ الرَّجاء فيها يَقْصرُ ، كأنَّ عُمرانها يُطوَى ، وخَرابَها يُنشَر أركانها قيامٌ وقُعود ، وحيطانُها رُكّع وسُجود

بَكتْ دَارُهم من بَعدهم فتهلَّلت دُموعى فأىَّ الجازِعين أَلُومُ
أمُستعبراً يَبكِي على اللّهو والبِلَى أم آخرَ يَبكى شَجْوه فيَهِيمُ

﴿وصف أيام الرَّبيع﴾

يومٌ جَلابيبُ غيُومه رواق (١) وأوْدِية نَسيمه رقَاق ، يومٌ سَماؤُه فاختيّة وأرضُهُ طاوُوسيّة ، يومٌ مُمسكُ السّماء ، مُعصفرُ الهواء ، مُعنبرُ الرَّوض مُصندَلُ الماء يومٌ تبسّم عنه الرَّبيعَ ، وتبرّج عنه الرَّوضُ المَرِيع ، يوم كأنّ سماءه مُحِدٌّ تتبا كَى وأرضُه عَرُوسٌ تتَجلَّى ، يومٌ دُجنُه (٢) عَاكِف ، وقَطرُه واكِف (٣)

﴿ وصف الرّياض ﴾

روضَةٌ رقّت حواشِيها ، وتأنّقَ وَاشيها (٤) ، روضة كالعُقُود المُنظّمة ، على البُرود المُنمنمة ، روضة قد رَاضتها أكفُّ المطَر ، ودَبّجتها أيدى النّدَى ، رياضٌ كالعرائس فى حَليْها وزَخارفها ، والقيان (٥) فى وَشْيها ومَطارفها (٦) ، باسطة زَرابيّها وأنْماطَها ، ناشِرة بُرودَها ورِياطَها ، زَاهيةٌ بِحمرَائها وصَفرائها ، تائهةٌ بغِيدَانها وغُدرَانها ، كأنّما احتفلَت لوفْد ، أو هِى من حَبيب على وَعْد ، روضة قد تَضوّعت (٧) بالأرَج (٨) الطَّيِّب أرجاؤُها ، وتَبرَّجَت (٩) فى ظُلل الغَمام صَحْراؤُها ، وتنافحتْ

(١) الكساء المرسل على مقدم البيت من أعلاه الى الارض (٢) الغيم (٣) سائل
(٤) حائكها ونقاشها (٥) جمع قين المغنية (٦) جمع مطرف رداء من خز مربع فيه أعلام والزرابى البسط والانماط الاثواب التى تطرح على الهوادج ،والرياط الاثواب الرقاق (٧) تحركت
(٨) نفحة الريح الطيب (٩) تزينت

بنَوافِح المِسك أنوارُها ، وتعارَضت بغرائب النُّطق أطيَارُها ، بُستانٌ أنهارُه محفُوفة بالأزهَار ، وأشجاره مُوقرَةٌ بالثمّار ، أشجارٌ كأنّ الحُورَ أعارَتها قُدُودَها وكستْها بُرُدَها ، وحَلّتها عقُودها ، شَقَائقُ كتِيجَان العَقِيقِ على رَؤُوس الزُّنوج كأنّها أصدَاغُ المِسكِ على الوَجنات المُورَّدة ، كأنّ الشّقيق جَامٌ (١) من عَقيق أحمر ، مُلِئَتْ قَراراتُه بمسكٍ أذْفر ، الأرض زُمُرُّدة ، والأشجار وَشْيٌ والمَاءُ سيُوفٌ ،

والطّيُور قِيَان (٢) قدْ غرّدت خُطبَاءُ الأطيَار على مَنابر الأنوَار والأزهَار

(وصف طول الليل والسّهر وما يعرض فيه من الهمُوم والفكر)

لَيلةٌ قُصَّ جَناحُها ، وضلَّ صَباحُها ، ليالٍ ليست لها أسحَارٌ ، وظُلُمَاتٌ لا يَتخلّلُها أنوَار ، ليلٌ ثَابتُ الأطناب ، (٣) بَطِئُ الغَوارب ، طَامِحُ الأموَاج وَافِي الذَّوَائِب ، بَاتَ بليلة سَاوَرتْه (٤) فيها الهمُوم ، وسَامَرَته النّجوم ، واكتحَلَ السُّهاد ، وافترَش القَتاد ، واكتَحَلَ بماء السّهرَ ، وَتَململ علَى فِراش الفِكر ، قد أقَضَّ مَهادُه (٥) وقَلِقَ وَسادُه ، هُمومٌ تُفرِّق بينَ الجنب والمِهاد ، وَتجمعُ بين العين والسُّهاد

(وصف انتصاف الليل وتناهيه وانتشار النور وأفول النجوم)

قَدا كتهَلَ (٦) الظَّلام ، قدْ نَصفْنا عُمْرَ اللّيل وَاستْغرَقنا شَبَابَهُ ، قد شَاب رَأسُ اللَّيل ، كَادَ ينِمّ النّسيم بالسّحر . قد انكشَفَ غِطاءُ اللّيل وسترُ الدُّجى . هَرِمَ اللَّيلُ ، وشَمِطتْ ذَوَائبُه ، قُوّضت (٧) خِيامُ اللّيل . وخلَع الأُفُق ثوبَ الدُّجَى تَبسّمَ الفجرُ ضَاحكا مِن شَرْقه ، ونَصبَ أعلامَه علَى مَنازل أُفقه . اقْتنصَ

---

(١) اناء (٢) مغنيات (٣) حبال الخيمة (٤) شغلته وقاومته (٥) خشن وتترب (٦) صار كهلا تشبيها بالرجل الكهل وهو من جاوز الاربعين سنة (٧) هدمت

بازىُّ الضوء غُرَابَ الظَّلام ، وَفَضّ كافُور النُّور من الغَسَق مِسْك الخِتام . طُرِّزَ قميصُ اللّيـل بغُرَّة الصُّبح ، باحَ الصّبحُ بسِرّه . خَلَعَ الليل ثِيابَه ، وحَدَر (١) الصّبحُ نِقابه . بَثّ الصُّبح طَلائعه . تَبَرقع اللّيل بُغرَّة الصُّبح . أَطار مُنادِى الصُّبح غُرابَ اللّيل . عُزِلَت نَوافج اللّيل بجَامات الـكافُور . وانهزمَ جَيشُ الظّلام عن عَسكر النّور . مَالت الجوزَاء (٢) للغُروب ، ووَلّت موَاكبُ الكواكب وتنَاثرتْ عقُودُ النّجُوم ، وَوَهى نِطاق الجَوزاء ، وانطفأ قِنديل الثُّريا .

﴿ وصف طلوع الشمس وغروبها ﴾

بدَا حَاجبُ الشَّمس . أَلْقت الغَزَالة (٣) لُعابَها . وَضَربت الضُّحى (٢) أَطنَابَها . انْتَشَرَ جناحُ الضوّ ، فى أُفُقِ الجَوِّ . استوَى شبابُ النّهار عـلى رَونق الضّحى . بلغت الشَّمسُ كَبِدَ السّماء . قام قائمُ الهاجِرَة وَرَمت الشَّمس بجمرَات الظهر . اصفرَّت غِـلالةُ (٤) الشَّمس ، وَصارت كأنَّها الدِّينارُ يلمع فى قرَار المـاء نفّضتْ تِبْراً على الأَصِيل ، وشدَّت رَحلَها للرَّحيل ، جَنَحت الشَّمس إلى مغاربها دَلـكتْ (٥) دَلُوح (٦) وَاغبرَّ لَوْحُ اللَّوْح (٧) تَصوّبت الشَّمس للمَغِيب ، تَضيَّفت للغُرُوب ، فآذَن جنبُها بالوُجوب (٨) شابَ النَّهار وأقبـلَ شَبابُ اللّيل ، استَتَرَ وجهُ الشَّمس بالنِّقاب ، وتوَارَت بالحِجاب ، كأنّ هـذا الأمرَ مِنْ مَطلع الفَلَق إلى مجمع الغَسَق .

---

(١) أنزل (٢) برج فى السماء (٣) الشمس (٤) الضحى جمع ضحوه ، مؤنث والضحا تذكر على أنها اسم (٥) الثوب الرقيق (٦) غربت (٧) السحابة . ولوح صفحه . واللوح اللمح واللمعان ، من لاح يلوح لوحا (٨) وجبت الشمس وجيباً ووجوبا غابت

﴿ وصف الرَّعد والبرق ﴾

قامَ خَطيبُ الرَّعد ، نَبضَ [١] عِرْق البَرْق ، سَحَابة ارْتجزتْ [٢] رُعودُها وَذَهبتْ بِبُرُوقها بُرُدُها ، نَطق لسانُ الرَّعد ، وخَفقَ قلبُ البرْق ، فالرعد ذُو صَخَبَ [٣] والبَرق ذُو لَهب ، ابْتسَم البَرقُ عن قَهقهة الرَّعد . زَأَرت أُسُود الرَّعد ولمعت سُيوفُ البَرق . رَعَدت الغَمائم وبَرَقت ، وانحلّت عُرَى السّماء فطبَّقت هَدَرت رَواعِدُها ، وقَربت أباعِدُها ، وَصدقتْ مَواعدُها .

﴿ وصف مُقدّمات المطر ﴾

لَبِست السَّماء سِرْبالها ، وَسحَبت السَّحائبُ أذيالها . قد احْتَجَبت السَّماء فى سُرادِق الغَيم . لبسَ الجوّ مُطْرَفَه [٤] الأدكَن [٥] باحَت الرِّيحُ بأسرار النَّدى ضُربت خَيمةُ الغَمام ، ابتلَّ جَناح الهوَاءِ ، واغْرَوْرَقت مُقْلة السَّماءِ . هبَّت شمائل الجنائب ، لتأليف شَمْل السَّحائب . تألّفت أشْتَات الغيوم ، وأُسبلَت السّتور على النّجُوم

﴿ وصف الثّلج وَالبرَد وأيام الشّتاء ﴾

مَدَّ الشّتاءُ رِواقه ، وَألْقى أرواقه [٦] وَحلَّ نِطاقَه ، أناخ بنوَازِله ، وَأرْسَى بكلاكِله وكَلَحَ بوجهه ، وكشرَ عن أنْيابه . قد عَادت الجِبالُ شَيبَا ، وَلبِست مِن الثُّلوج مَلاءً قَشيباً [٧] شَابتْ مَفارِق البُرُوج بتراكُم الثُّلوج ، ألمّ الشَّيب بها ، وَابْيضّت لِمَمُها [٨] بَرْدٌ يُقضْقِض [٩] الأعضاء ، وَينْقضُ الأحْشاء ، بَرْد يُجَمِّدُ الرِّيق فى الأشْدَاق وَالدّمع فى الآماق ، يوْم كأنَّ الأرضَ شابَتْ لِهوْلِه . يومٌ فِضّيُّ الجِلبَاب ، مِسْكيّ

(١) تحرك (٢) الرجز ضرب من الشعر ويقال رجز الراجز وارتجز أيضا (٣) كثير اللغط والجلبة (٤) رداء من خز مربع ذو أعلام (٥) المائل الى السواد (٦) جمع روق وهو والرواق بمعنى (٧) جديدا (٨) جمع لمة الشعر الذى يجاوز شحمة الاذن (٩) يكسر ويضعف

النقاب ، عبوس قمطرير[١] ، كشر عن ناب الزمهرير ، وفرش الأرض بالقوارير.[٢] يوم أرضه كالقوارير اللامعة ، ، وهواؤه كالزنابير اللاسعة .

(وصف المطر والسحاب والماء والغدران)

ماء إذا مسته أيدى النسيم ، حكى[٣] سلاسل الفضة . غدير ترقرقت[٤] فيه دموع السحائب ، وتواترت عليه أنفاس الرياح الغرائب ، انحل عقد السماء وانهل دمع الأنواء[٥] انحل سلك القطر ، عن درّ البحر . سحابة تحدو من الغيوم جمالاً ، وتمد من الأمطار حبالاً ، سحابة ترسل الأمطار أمواجاً ، والأمواج أفواجاً ، سحابة يضحك من بكائها الروض . وتخضر من سوادها الأرض . سحابة لا تجف جفونها ، ولا يخف أنينها ، ديمة[٦] روت أديم[٧] الثرى[٨] ونبهت عيون النور من الكرى[٩] . سحابة ركبت أعناق الرياح ، وسحت كأفواه الجراح . مطر كأفواه القرب .

﴿ وصف القيظ وشدة الحر ﴾

حر يشبه قلب الصب ، ويذيب دماغ الضب[١٠] . قوى سلطان الحر ، وبسط بساط الجمر ، أوقدت الشمس نارها ، وأذكت[١١] أوارها[١٢] . حر يلفح حر الوجه . هاجرة كأنها من قلوب العشاق ، إذا اشتعلت فيها نار الفراق ، هاجرة تحكي نار الهجر ، وتذيب قلب الصخر . حر يهرب له الحرباء[١٣] من الشمس قد صهرت[١٤] الهاجرة الأبدان ، وركبت الجنادب[١٥] العيدان . حر ينضج

(١) شديد مظلم (٢) جمع قارورة الاناء من الزجاج (٣) شابه (٤) تحركت (٥) جمع نوء المطر (٦) المطر بلا رعد (٧) وجه الارض (٨) التراب (٩) النوم (١٠) حيوان يرى لا يعيش الا فى الجهات الشديدة الحر (١١) اوقدت (١٢) نارها (١٣) حيوان يستقبل الشمس ويدور معها كيفما دارت ويتلون الوانا بحر الشمس (١٤) اذا بت (١٥) الجراد

الجُلُود ، وَيُذِيب الجلمُود ، أيام كأَيَّام الفُرْقة امتدَاداً ، وَحرٌّ كحُرِّ الوَجه اشتداداً هاجِرَة (١) كالسّعير الهاجم ، يَجُرُّ أذيال السَّمائم (٢)

﴿ وصف الشيب ﴾

ذَوَى (٣) غصنُ شبابه ، بَدَتْ فى رأسه طَلَائع المْشِيب . أقمرَ ليلُ شَبَابه ظَهَرَت غُرّة القَمر ، وأومضَ (٤) البْرقُ فى لَيلِ الشَّعر . رُمِىَ فاحمُ الفوْدِ (٥) بِضِدِّه واشتَعَلَ المبيضّ فى مُسوَدّه . لمَع ضَوءُ فَرْعه ، وتَفرَّق شَمل جَمعه ، علاه غُبارُ وقائع الدَّهر . بَيْنَا هو رَاقدٌ فى ليل الشَّباب ، أيقَظَهُ صُبحُ المَشِيب . طَوى مَراحِل الشَّباب ، وأَنفقَ عُمرَهُ بغيرِ حِساب ، جاوَز منَ الشَّباب مرَاحِل ، وَوَرَدَ منَ الشَّيب مَناهل . فَلَّ (٦) الدَّهرُ شبَابَه . ومحا محاسنَ رُوائه ، طار غُرابُ شَبَابِه انتَهى شبابُه ، وَشاب أَترَابُه . إستبدَل بالأدهمَ (٧) الأبلَق (٨) وبالغُراب العَقْعَق (٩) استَعاضَ (١٠) من الغُراب بقَادمةِ النِّسر ، آسفرَ صُبحُ المشِيب . عَلَتْه أُهْبَةُ الكِبرَ . نَفض جُبَّةَ الصبّا ، وَتوَلى دَاعِيةَ الحِجَا (١١) الشَّيب زُبدةٌ مَخَضَتْها الأَيام وفِضّة محَّصَتها التَّجارِب . سرَى فى طريق الرُّشد بمصبَاح الشّيب ، الشّيبُ خِطام المَنِيَّة . الشَّيب نَذيرُ الآخِرة .

﴿ وصف آلات الكتابة ﴾

الدواه ـ المداد ـ الاقلام

ألدَّوَاةُ من أَنفع الأدَواتِ ، وَهى لِلكتابة عَتَاد ، (١٢) وَللخَاطِرِ زِناد . غَديرٌ

---

(١) شدة الحر عند الزوال (٢) الرياح الحارة (٣) ذبل (٤) برق ولمع (٥) معظم شعر الرأس مما يلى الاذن (٦) هزم (٧) الاسود (٨) الابيض واصله للرخام (٩) طائر على قدر الحمامة (١٠) جعله عوضا (١١) العقل (١٢) مايعده الانسان لحوادث الدهر

لا يَرِدُ غيرَ الأفهام ، ولا يُمتح (١) بغير أرْشِيَةِ (٢) الأقلام ، غَديرٌ تفيضُ ينابيعُ الحِكمة من أقطاره ، وتنشأ سُحبُ البلاغة من قراره

مِدادٌ كسوَاد العين وسُوَيداءِ القلب ، وَجناح الغُراب ، ولُعابِ اللَّيل ، وألوَان دُهم الخيل . مِدادٌ ناسبَ خافيَة الغُراب ، واستعارَ لَونهُ من شَرْخ (٣) الشَّباب .

أقلامٌ جمَّة المحاسن ، بَعيدةٌ من المَطاعِن . أنابيبُ نَاسَبَت رِماحَ الخطّ في أجْنَاسِها ، وشَاكَلَتْ الذَّهبَ في ألوَانها ، وضاهت الحديدَ في لمَعانها . أقلامٌ كأنها الأميال استِوَاءً ، والآجالَ مَضاءً ، بَطيئةُ الخفي قَوية القُوى . قلم لا ينبُو (٤) إذا نَبتْ الصفّاح ، وَلا يُحجِمُ (٥) إذا أحجمَتْ الرِّماح . قلم يسكتُ وَاقفاً وينطقُ سَاكتاً

(وصف الخطباء)

جلَوْا بكلامهم الأبصار العليلة ، وَشَحَذُوا بمواعظهم الأذهانَ الكليلةَ ، ونَبّهوا القُلوبَ من رَقدتها ، ونقلُوها عَنْ سُوءِ عادَتها ، فشفَوْا من دَاء القَسوة ، وغباوَة الغفْلة ، وداوَوْا من العِيِّ الفاضح ، ونهَجُوا لنا الطَّريق الوَاضح . خَطيبٌ لا تنالهُ حُبسة ، ولا ترْتهنُه لُكنةٌ ، ولا تتمشَّى في خطابه رُتّةٌ (٤) ولا تتحيّفُ (٥) بيانهُ عُجمة ، ولا تعترضُ لسانه عُقْدة . خطيبٌ جواهر نفثاته صِحاح ، وعرائس أفكاره صبَاح . خَطيبٌ تَزَيَّنت بدُرر ألفاظه عقودُ المُلح ، لا عَيبَ فيه إلاّ أنّ لفظَهُ عطَّل الياقُوت والدُّرّ . خطيبٌ مِصقَع يَنثُرُ لسانُهُ اللُّؤلُؤَ المكنون . هو الخطيبُ المِصقعُ الّذى أشخصَ بآياتِ خُطبهِ الزَّاجرة عُيون القوْم وأبكاها ، هو الخطيبُ

---

(١) لاينزح للاستقاء (٢) حبال الدلاء (٣) ريعانه (٤) لايبعد (٥) لايتأخر (٦) العجمة (٧) بمعنى تنقص

المِصقعُ الذى تتَلاعَبُ بالعقُول مَعانيه ، ويُصاغ الدُّرُّ من لَفِظ فِيـه . هو الخطيبُ الذى تَهتزّ لهُ المنَابر، وتَنقادُ اليه كَلِماتُ السَّحر مُتسابقةً، آخذاً بعضُها بِرقَاب بَعض

(وصف العُلماء)

بَدرُ العُلوم اللَّائح ، وقَطرُها الغَادِى والرَّائِح ، وثَبيرُها [١] الّذى لا يُزْحَم، ومُنيرُها الّذى يَنجلى به لَيلُها الأسحم . [٢] أمَّا فنونُ الأدب فهو ابنُ بَجدِتها [٣] وأخو جُملَتها ، وأبو عُذرتها ، ومَالكُ أزّمتها . تُستخرَج الجَواهرُ من بُحوره ، وتُحلَّى لمعَات الطُّروس بقَلائد سُطُوره وتآلِيفُه غُرَرٌ مُنيرات ، أضاءَت فى وُجُوه دُهُم المُشكِلاَت . عَالمٌ أقلامُه نَفَثاتُ السِّحر ، تآليفه عقَائل أصبحَ الدَّهر من خُطّابها له بَدائع مَائِسَاتُ [٤] الأعطَاف ، بَحرُ البيَان الزّاخر ، شَيخُ المعارف وَإمامُها وَمن فى يدْيه زِمامُها . لَدَيه تُنشـدُ ضَوَالُّ الأعرَاب ، وتُوجَد شوَارد اللّغـة وَالاعرَاب . مالك أعِنَّة العُلوم ونَاهجٌ طَريقهَا ، وَالعارِفُ بترْصيعهَا وتَنمِيقِها النَّاظم لِعقُودِها ، الرّاقِمُ لبرُودها ، المُجيدُ لإرهَافِها [٥] العالِم بجلاَئها وزَفافها مَلَكَ رِقّ الـكتابة والإنشاء ، وَتصرّف فى فُنون الإبداع كيف شَاءَ . عَالم يَتفجَّرُ العلمُ من جوَانِبه ، وتنطُق الحِكمة من نَواحيه ، صاحِبُ المُصنّفات الّتى دلّت على وَفرة اطّلاعِه ، وغزَارةِ مادَّته ، وحُسْنِ بيَانه . لم يَترُك مَعنًى مُغلَقا إلاَّ فَتح صَيَاصِيه [٦] ، وَلا مُشكِلاً الاَّ أوضحَ مَبَانِيَه .

(وصف البُلغاء)

فلانٌ يَحوكُ الـكلامَ عـلى حَسب الأمانِى ، وَيخيطُ الألفاظَ عـلى قُدُود

---

(١) المثابر المواظب (٢) الاسود (٣) العالم بها المتقن لها (٤) متبخترات مائلات
(٥) لدقتها ولطفها (٦) جمع صيصة الحصن المنيع

المعانى . يَجتنِى من الألفاظ أنوارها ، ومن المعانى ثِمارَها . يَعبثُ (١) بالكلام وَيقودُه بأَلين زِمام، حتى كأنَّ الألفاظَ تَتحاسَدُ فى التَّسابُق إلى خواطره، والمعانى تَتغايرُ فى الأنثيال (٢) على أنامِله، بَليغٌ نَسقَ (٣) من جواهر كلامه أكاليلَ دُرّ مَا لمنظُومها سِلْك. بَليغٌ تَفُكُّ سِهامُ أفكارِه الزَّرَد ، نَاظمُ سِلك البَلاغة ، وقائدُ زِمام البَراعة ، إذا أوْجَز أعجزَ ، واذَا شاءَ أطَال ، وأطلق من البلاغة العقال إذا أذكى سِراجَ الفِكر ، أضاء ظلامَ الأمر ، يَستَنبطُ حقائقَ القلوب، وَيستخرجُ ودَائعَ الغُيُوب .

(وصف الشّعراء والمُنشئين ومحاسن النّظم والنّثر)

مَقذِفُ حَصَى القريض وجمارِه ، ومَطلعُ شُموسِه وأقمارِه ، نَثْرُهُ سِحرُ البيان ونَظمُهُ قِطعُ الجُمان . طَلعت شمسُ الأدَب من أُفُق أشعارِه ، وتَفجّرَت ينابيعُها من خلال آثارِه . شَاعرٌ توقَّدَت جَمراتُ أفكاره . شاعرٌ عرائسُ أفكارِه صِباح .

إن نثَر فالنّجُوم فى أفلاكها ، أو نَظمَ فالجواهرُ فى أسلاكِها ـ أخذَت بمجامع القلُوب كَلِمُه ، إذا كتبَ انتَسبَ اليه السِّحر أصحّ انتساب ، وَنَسق (٤) المُعجزات نَسْق حساب ، وأرَى البدَائعَ بِيض الوُجوه كريمة الأحساب ، إن نَثَر رأيتَ بحراً يزْخر ، وإذا نَظَم أزْرَى بِنظم العُقُود ، وأتَى بأحسنَ مِنْ رَقْم البُرُود إذَا كتبَ مَلأ المَهارق (٥) بَياناً ، وأرَى السّحر عِياناً ، هو الكاتب الذى تحسدُ أرقامُ الطِّرَاز سُطورُ قلمه ، ويودّ التِّبرُ لو كان مِدَاد كَلِمه . هو الكاتب الذى تَنقادُ إلى يَراعه (٦) دَقائق المعَانى صَاغِرَةً بزِمام ـ نثْرٌ كنثْرِ الوَرْد ، ونَظمٌ كنَظم

(١) يلعب (٢) الانصباب (٣) نظم (٤) نظم (٥) جمع مهرق ثوب حرير أبيض يبقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه (٦) اقلامه

العقد، نثر كالسَّحر أوْ أدَق، وَنظم كالماء أو أرَقَّ، نَثر كما تفتَّح الزّهرُ، ونظمٌ كما تنفَّسَ السَّحَرَ، رسالة تضحَكُ عن غُرَر وَزَهر، وَقَصيدةٌ تَنطوِى على حبر وَدُرَر. كلامٌ كما هَبَّ نسيم السَّحر، على صفحات الزَّهر، كتابٌ مَطلعه مَطلع أهِلّة الأعياد، وموْقِعه مَوْقعُ نَيل المُراد، كتاب حَسِبته يَطير من يدىّ لِخفَّته، ويلطُفُ عن حِسّى لِقلَّته، صَحائف انطوَت المحاسن تحت رِقٍّ مَنشُورها، وَصدَحت حَمائم البلاغة على أغصان سُطورها. صَحائف تنُوب عن الصّفَائح، وقَرَاطِيس تَزُفُّ الى الأسمَاع عَرائس القرَائح. صحائفُ ألبَسها الحِبر أثْواباً من الحُبْر (١)، وَدبّجها (٢) صَوْبُ (٣) الفِكر، لا صَوْب المَطر.

(وصف الأمراء وَالأشراف)

فلانٌ من شَرَف العُنصُر الكريم، وَمعدَنِ الشَّرَف الصَّميم (٤). أَصلٌ رَاسخ، وفَرع شامخ، (٥) وَمجد باذِخ (٦). قَدْ ركَّبَ الله دَوْحتَه (٧) فى قرارةِ المجد، وَغرَس نَبْعته (٨) فى مَنْبِت الفضل. ألمجدُ لسان أوْصافه، والشَّرَف نسب أُسلافِه. دَوحةٌ رَسَبَ (٩) عِرْقها، ، وَبَسَق (١٠) فرْعُها، وطَاب عُودُها، واعتدَل عمُودها وفَيَّأَت ظِلالها، وَتهدَّلتْ (١١) ثِمارها، وَتفرَّعتْ أغصانها، وَبَرَدَ مَقيلُها (١٢) أميرٌ جيشُه الهمَم. دَوْحةُ مجدِه وَريفةُ (١٣) الظِّلِّ وَريقة (١٤)، أميرٌ لاعيبَ فى نَدَاه (١٥) إلاّ أنَّه يَستعبد كلّ حُرّ، هو غُرَّةُ الجمال، وصورةُ الكمال، عِقْد

(١) الحبرات التى تلبسها النساء المصرية اذا خرجن (٢) نقشها (٣) المطر (٤) الخالص (٥) المرتفع (٦) العالى (٧) الشجرة العظيمة (٨) الشجرة أيضا (٩) نبت (١٠) ارتفع (١١) تدلت (١٢) مكانها (١٣) ممتدة متسعة (١٤) مورقة (١٥) عطائه وهذا نوع من انواع البديع يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم كقول بعضهم

ولاعيب فى معروفهم غير أنه يبين عجز الشاكرين عن الشكر

وفى الحقيقة ليس بعيب بل هو نهاية فى المدح

المناصب به نَضِيد ، أمير عبقَت من شمائله نسمات النَّد ، وقطرَت من سلسبيل أوصافه مِياهُ المجد ، جامعٌ ما تفرّق من شمل الفضائل ، ناظِمُ ما انتثر من عِقد المآثر . أنارَت به نجومُ المعالى وشُموسُها . له شرف باذخ تُعقد بالنّجوم ذوائبه ، ألقت إليه الرِّئاسة مقاليدها (١) ، وملّكته طريفها وتليدها (٢) . أمير تفرَّع من دوحة سناء ، (٣) وتحدّر من سُلالة أكابر ، ورُقاة أسرَّة ومنابر . مُرتضع ثَدْى المجد ، ومُفترش حِجر الفضل ، له صدر تضيقُ به الدَّهناء ، (٤) وتفزعُ اليه الدَّهماء . (٥) له فى كلّ مكرُمَة غُرَّةُ الإصباح ، وفى كل فضيلةٍ قادِمَة الجناح . لهُ صورة تستنطق الأفواه بالتَّسبيح ، ويترقرقُ فيها ماء الكرَم ، وتقرأ فيها صحيفة البِشْر . ينابيعُ الجود تتفجَّر من أنامِله ، وربيعُ السَّماك يَضحكُ من فواضِله . لهُ أخلاقٌ خُلقن من الفضل ، وشِيَمٌ تُشام (٦) منها بوارقُ المجد . أرِجَ (٧) الزَّمانُ بفضله ، وعَقِمَ النّساء عن الأتيان بمثله ، مالهُ للعُفاة (٨) مُباح ، وفعَالُه (٩) فى ظُلمة الدَّهر مِصباح . مناقب تَشدَخُ (١٠) فى جبينها غُرَّة الصّباح ، وتتهادَى أنباءها (١١) وُفُودُ الرِّياح سألت عن أخباره فكأنّى حرّكت المِسْك فتيقاً ، أو صبّحت الرَّوض أنيقاً (١٢) . هو رائشُ (١٣) نَبْلهم ، ونبعة (١٤) فضْلهم ، وواسِطةُ (١٥) عِقدهم ، له همّة علا جناحُها إلى عِنان النجم ، وامتدَّ صباحُها من شرقٍ إلى غرب ، همّتُهُ أبعدُ من مَناط (١٦) الفرقد ، وأعلى من منكِبِ الجوزاء (١٧) . مَوضعُهُ من أهل الفضل مَوْضعُ الواسطة من العِقْد ، وليلَة التِّمِّ من الشَّهر ، بل ليلةُ القدرِ إلى مطلعِ الفجر .

(١) مفاتيحها (٢) حديثها وقديمها (٣) مجد ورفعة (٤) الفلاة الواسعة (٥) جماعة الناس (٦) تنظر (٧) فاحت منه رائحة طيبة (٨) الطالبون للعطاء (٩) بفتح الفاء كرمه (١٠) تفلق (١١) اخبارها (١٢) معجباً (١٣) السهم ذوالريش (١٤) الشجرة (١٥) ما تكون وسط العقد وهى احسنه (١٦) محل علاقته (١٧) برج فى السماء

هَطَلَت على سَحائبُ عِنايَتِهِ، وَرَفرَفت حَوْلى أجنِحَةَ رِعايته، قَدْ استَظهَرْتُ عَلى جَوْرِ الأيّام بعدلهِ، وَاسْتَرْتُ من دَهرى بِظلِّه. قد غَرَّقَتى نِعَمُهُ حتى استنفَدَت شُكر لِسانى وَيدى. وتتابعتْ نِعَمهُ تَتَابُعَ القَطْر على القَفْر، وترَادفتْ مِنَنهُ ترَادُف اليُسر إلى ذَوى الفَقر، لهُ أيادٍ قد عمَّت الآفاق، وطوّقت الأَعناق، أيادٍ قد حَبستْ عليه الشّكر، واستعبدَت لهُ الحُرَّ. مِنَنٌ تَوالت تَوَالىَ القَطْر، واتَّسعتْ سَعَة البَرِّ والبَحر، وَأثقلَت كَاهِلَ الحُرّ.

(وصف القلم)

ألقلمُ أحدُ اللّسانين. وَهو المُخاطِب لِلغيُوب، بَسرائر القُلوب، على لُغات مُختلفةٍ من مَعانٍ مَعقُولة، بحرُوف مَعلولة، مُتبَايناتِ الصُّور، مُختلفات الجهات لِقاحُها التّفكر ونِتاجُها التَّدبير، تَخْرسُ مُنفردات، وتنْطِق مُزدوَجات، بلا أصوَات مَسمُوعة، ولا ألسُن مَحدُودة، ولا حَركات ظَاهرة ـ خَلا قلم حَرَّف بَاريهِ قَطَّتهُ، لِيتَعلّق المِدَادُ به، وأرْهفَ جانبيهِ، لِيرُدَّما انتشَر عنه إليهِ، وشَقَّ رأسه لِيحتبَس المِدَادُ عليه، فهُنالك استَمدّ القلمُ بِشقّه، ونثَر فى القِرطَاس بخطّه حرُوفاً أحكَمها التّفكر وأولَى الأسماع بها الكلامُ الّذى سداهُ العقل، وألحمه اللّسان ونَهسَتْهُ اللّهوَات، وَقطَعته الأسنان، ولفظتهُ الشِّفاه، وَوعتْهُ الأسمَاعُ عن أنحاء شتّى من صفَات وأسماء ـ قال البُحترى:

طِعَانٌ بأطرَاف القَوافى كأنّه طِعانٌ بأطرَاف القَنا المُتكسّر

وقاك ابن المُقفّع «ألقلم بَريدُ القَلْب. يُخبرُ بالخَبر، وَينظُر بلاَ نَظر»

وقال أبو دُلَف «ألقلمُ صَائِغُ الكلام يفرغ ما يجمعهُ العلم»

وقال الجاحظ «الدّواة مَنْهَل، والقلمُ مَاتح، والكِتَابِ عَطَن»

وقال سهل بن هارون « القلمُ أنفُ الضَّمير . إذا رَعف أعلَن أسرَاره ، وأبان آثاره »

وقال عَمرو بن مَسعدة « الأقلام مطَايا الفِطَن »

وقال المأمون « لله دَرّ القلم كيفَ يَحُوك وَشْى المملكَة »

وقال جَالينُوس : « القلمُ طَبيبُ الْمنطِق »

وقال أحمد بن عبد الله « القلمُ رَاقدٌ فى الأفئِدة ، مُستيقظٌ فى الأفوَاه »

وقيل : « عُقولُ الرجال تحتَ أقلاَمِهَا »

وقال آخر : «القلمُ أصمّ يَسمعُ النَّجوى ، وأخرسُ يفصحُ بالدّعوى ، وجَاهل يَعلمُ الفَحْوى »

وقال أحمد بن يوسف : «عَبرَاتُ الأقلام فى خُدُود كُتُبها أحسنُ من عَبرَات الغوانِى فى صُحون خُدُودهَا »

وقال أيضاً « القلمُ لِسانُ البَصر يُنَاجيه بما استتَر عن الأسماع ، إذَا نَسَج حُلله ، وأودعَها حِكمه »

وقال العتابى « الأقلام مطايَا الأذهان »

وقال عبد الحميد «القلمُ شَجرَةٌ ثمرتها الألفاظ ، والفِكر بَحر لُؤلُؤهُ الحِكمة»

وقيل : بِرِىِّ القلم تُروَى القُلوبُ الظّمئة »

وقال ابن أبى دُؤاد : «القلمُ سَفيرُ العقل ، ورسولُه الأنبل ، ولسانُه الأطول وتُرجمَانه الأفضل »

وقال أيضاً : « القلمُ الدّنيا والآخرة »

وقال آخر : « بِنَوْءِ القلم تصوّبُ الحِكمة »

وقال ابن ميثم: «من جلالة شأن القلم أنه لم يُكتب لله تعالى كتاب قطُّ إلاّ به»

وقالوا: «القلم قسيمُ الحكمة»

وقال يحيى بن خالد البرمكي: «الخطّ صورة رُوحُها البيان، ويدُها السُّرعة وقدمُها التَّسويةُ، وجوارحُها معرفةُ الفصول»

ووصفَ أحمد بن اسماعيل خطّاً حسناً فقال: «لو كان نباتاً لكان زهراً، ولو كان معدناً لكان تبراً، أو مذاقاً لكان حلواً، أو شراباً لكان صفواً»

وقال أقليدس: «الخطُّ هندسة رُوحانيّة. وإن ظهرت بآلةٍ جسمانية».

أخذه النظّام فقال: الخطّ أصلٌ في الرّوح وإن ظهر بالجسَد»

وقال بعض الملوك اليُونانية: «أمرُ الدِّين والدُّنيا تحت شيئين: قلم وسيف والسّيفُ تحتَ القلم»

وقال أفلاطون: «الخطُّ عِقالُ العقل»

وقال ارسطاليس «القلمُ العلّة الفاعلة، والمِداد العلّة الهيولانيّة، والخط العلّة الصّوريّة، والبلاغة العلّة السّامية»

سُئل بعضُ الكُتاب عن الخطّ. متى يستحقّ أن يُوصفَ بالجودة؟ فقال: «إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه، واستقامت سطوره، وضاهى صعودُه حدُوره، وتفتّحت عيونه، ولم تُشبه راءهُ نُونه، وأشرق قِرطاسه، وأظلمت أنفاسه ولم تختلف أجناسه، وأسرعَ إلى العيون تصوّره، وإلى العقول ثمرهُ، وقدّرت فصُوله، واندمجت وُصُوله، وتناسب رقيقه وجليله، وخرجَ عن نمطِ الورّاقينَ وبُعد عن تصنُّع المحدرين، وقامَ لكاتبه مقام النِّسبة والحلية».

وقالوا: «القلمُ أحدُ اللِّسانين، والعمُّ أحدُ الأبوين، والتَّثبُّتُ أحدُ العفوين

والْمُطْل أحدُ المَنْعَين ، وقِلَّة العِيال أحَدُ اليَسَارَيْن ، والقَناعة أحدُ الرِّزقين والوَعيدُ أحدُ الضّربين ، والاصلاح أحَدُ الكَسْبين ، والرّوايَة أحدُ الهاجين والهَجرُ أحدُ الفِراقين ، واليأسُ أحد النّجحَين ، والمزاحُ أحَد السَّبابين »

وقال آخر : « مَساقُ أمر الدّنيا بسين وقَافٍ فيقال سق » يريد :السيف والقلم

وقال آخر : « ألقلم لِسانُ اليَد »

حدّثني يَحيي بن البُحترُى قال حدّثنا أبى عن ابن التُّرجمان ـ وكانَ الواثِقُ أنفذهُ إلى ملك الرّوم بهدَايَا — قال : وافقتُ لهم عِيداً ، فرأيتُهم قد علّقوا على باب بِيَعتهم كُتباً بالعربيّة مَنشُورة ، فسألتُ عنها فقيل هذه كتُب المأمون بخطّ أحمد بن أبى خالد الأحول ، استَحسنُوا صُوره وتقديره فجعلوه هكذا . فحدّثتُ أنا بهذا الحديث أبا عُبَيد الله محمد بن داود بن الجرّاح فقال : هذا حقٌّ قد كتب سليمان بن وهب كتاباً إلى ملك الروم فى أيام المُعتمد فقال : ما رأيتُ للعرب شيئاً أحسنَ من هذا الشّكل ، ولَستَ أحْسِدُهم على شيء حَسدى إيّاهم عليه ، والطّاغيةُ لا يَقرأ العربى . وإنما راقَه اعتدالُه وهَندستُه وحُسنُ مَوقعه ومراتبه

وقال هِشام بن عبد الملك لأعرابى : أنظركَم على هَذَا الميل من عَدد الأَميال وكان الأعرَابى لا يُحسنُ أن يقرأ فمضَى ونظَر ثم عَاد فقال : رأيتُ كرأس المِحجن مُتّصلا بحلقة صغيرة ، تَتبعُه ثلاثة كاطباء الكلبة ، تفضِى الى هنّة كأنّها رأس قَطاة بلاَ منقار . ففهم بوصفه أنها خمسة .

حدّثنى يعقوبُ بن بيان الكاتب قال : قال بعضُ الكُتّاب «ألقلمُ الرّدِىء كالولد العَاقّ »

وقالوا : « رَدَاءةُ الخطّ إحدى الزّمانتين ، كما أنّ حُسنَه إحدَى البلاَغتين »

حدثني طلحة بن عبد الله قال :

اعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بلغه عنه . فرأى خطّه قبيحاً . فوقّع فى رقعته : «أردنا قبولَ عُذرك ، فاقتطعنا عنه ماقابلنا من قُبح خطّك ولو كنت صادقاً فى اعتذارك لساعدتك حركةُ يدِك ، أوَ ماعلمتَ أنّ حُسنَ الخطّ يُناضل عن صاحبه بوضوح الحُجّة ، ويُمكّن له دَرك البُغية »

وكان أبو هفّان عبد الله بن أحمد المُهتزمى من أقبح النّاس خطّاً ، وكان يَبْتَدِىء الخطّ من رأس الوَرقة ويُعوِّج سُطُوره حتّى يبقى آخرُ سطر فى الورقة كلمةً واحدةً . فرثاه يحيى بن علىّ فقال فى مَرثيّته :

مَع خطّ كأنّه أرجُل البطّ أو الخطّ فى ذوى الفتيان

قالوا : « رَداءةُ الخطّ زَمانة الأديب »

نظر عبد الله بن طاهر إلى خطّ بعض كُتّابه فلم يرضه . فقال : «نحّوا هذا عن مرتبة الديوان فانه عليل الخطّ ، ولا يُؤمَن أن يُعدِىَ غيره »

أنشدنى العنزى الحسن بن على فى قبح الخط

جزعت من قُبح خطّى وفيه وضعى وحطِّى
رَجعتُ من بَعد حِذقى الى تعلُّم حُطِّى

حدثنا أبو العباس الرّبعى قال حدثنا الطّلحى قال حدثنى أحمد بن ابراهيم قال دخل على الرّشيد أعرابى فأنشده أرجوزة — واسماعيل بن صُبيح يكتب بين يديه كتاباً ، وكان أحسنَ النّاس خطاً ، وأسرعَهم يداً — فقال الرشيد للأعرابى: صِف هذا . فقال لهُ : مَارأيتُ أطيشَ من قلمه ، ولا أثبتَ من حلمِه . ثم قال :

له قلمٌ بُؤسَى ونِعمَى كلاهما سَحابته فى الحالتين درُورُ

يناجيك عمّا فى ضميرك لَحظُه وَيفتحُ باب النَّجح وهو عَسيرُ

فقال الرّشيد : « قد وَجب لك يا أعرابى عليه حَقّ ، هو يقضيك إيّاه ، وحقّ علينا فيه نحن نقوم به ، ادفعُوا اليه دِية الحُرّ » فقال له : « على عبدك دِيَة العبد »

جاء يوماً عبدُ الله بن المُعتزّ فى المسجد الجامع إلى أبى العباس أحمد بن يحيى ليُسلِّم عليه فقام له وأجلَسه مكانَه ، فَداس ابنُ المُعتزّ قلماً فكسره ، فلمّا جلَس قال لِمَن حوَله :

لِكفِّىَ ثَأْرٌ عند رِجلى لأنّها أثارتْ قتيلا ما لِأعظُمِه جَبرُ

فعجبَ الناس من سُرعة بديهتِه

وأهدَى رجل إلى ابراهيم بن المدبّر قلماً وكتَب اليه :

قد وجّهت اليك أعزّك الله بمفاتح العلوم ، بادٍ جَمالُها ، تامّ كَمالها ، فهى كما قال الشاعر :

لَيس فيها ما يُقالُ له كمُلت لو أنّ ذا كُملا

كلّ جُزءٍ من محاسنها كائنٌ من حُسنه مَثلاَ

وقال أحمد بن اسماعيل :

واذا نَمْنمتْ بَنَانك خَطًّا مُعرباً عن إصَابة وسَدَادِ

عجبَ النّاس من بياض مَعانٍ يُجتنى من سَواد ذاك المِدَادِ

حدّثنا أحمد بن يزيد المُهلّبى قال **حدّثنى** أبو هفّان ، قال سألت ورّاقا عن حاله فقال :

« عَيشِى أَضيقُ من مَحبرَةٍ ، وجِسْمِى أَدقُّ من مَسطَرة ، وَجاهى أَرقُّ من الزّجَاج ، ووَجهِى عند النّاس أشدّ سَواداً من الحِبر ، وحَظّى أَحقرُ من شَقّ القلم

وَبَدَنِي أضعفُ من قَصبة ، وطَعامى أمرّ من العَفْص ، وسوءُ الحال ألزمُ لى من الصَّبغ »
فقُلتُ له عَبّرتَ عن بَلاءٍ ببلاءٍ (١)

وسُئِل وَرّاقٌ عن حاله فقال :

إذا كنتُ باللَّيل لا أكتُب وطُول النّهار أنا أَلعبُ
فَطوراً يُبطِلُنى مَأكلٌ وَطوراً يُبطلنى مَشْربُ
فإنْ دَام هذا على ما أرَى فَبيتِي أولُ مَا يَخربُ

(وصف الكِتاب)

الكِتابُ نِعْمَ الأنيسُ فى ساعة الْوَحدَة ، ونِعْم المعرفَةُ فى دَار الغُرْبة ونعم القَرين وَالدّخيل ، ونعم الزَّائر والنَّزيل ، وِعاءٌ مُلِئَ علماً وظَرفاً ، وإناءٌ مُلِئَ مزحاً وجِدّا ، وحِبّذا بُستانٌ يُحمل فى خُرْج ، وروضٌ يُقلّبُ فى حِجر . هل سَمِعت بشجرة تُؤتى أُكلها كلّ حين بألوان مُختلفة وطُعومٌ متباينة ؟ هل سمعت بشجرَة لا تَذْوَى ، وَزَهر لا يُتوَى (٢) ، وَثمر لا يَفنى ، ومَن لكَ بجليس يُفيدُ الشّئ وخلافه ، والجنس وضِدّه ، يَنطقُ عن الموْتى ويُترجم عن الأحياء ، إن غَضبتْ لم يَغْضبْ ، وإنْ عَرْبدتْ لم يَصخَب (٣) . أكتَمُ من الأرض ، وأَنَمُّ من الرِّيح وأهوَى من الهوى ، وأخدعُ من المُنَى ، وأمتعُ من الضّحى ، وأنطقُ من سَحبَان وائل ، وأعيا من بَاقِل (٤) هل سمعت بمُعلّم تَحلّى بِخِلال كثيرَة . وَجمع أوصافاً عَديدةً ـ عَرَبىّ فارسىّ يُونانىّ هِندىّ سِدىّ رُومىّ ، إن وَعظ أسمع ، وان ألهَى

(١) ومثله قول قائلهم : تبا لرزق نازل من شق هذى القصبه
تباً له تبا له ما أتعبه ما أتعبه

(٢) يتوى يهلك (٣) لم يصوت (٤) رجل من اياد به يضرب المثل فى العى ومن عيه أنه اشترى ظبيا فحمله على عنقه فسئل عن ثمنه فحل عنه يديه وفتح اصابعه واشار بها واخرج لسانه يريد انه بأحد عشر درهما ولم يلهم ان يخبر عن سعره بلسانه فصار عيه مثلا

أمتع ، وإنْ أبكى أدمعَ ، وإن ضربَ أوجع . يُفيدُك ولا يستفيدُ منك ويزيدُك ولا يستزيدُ منك ، إن جدّ فعبْرة ، وإن مزح فنزهة . قبرُ الأسرار ومخزن الودائع . قيدُ العلوم ، وينبوعُ الحِكَم . ومعدنُ المكارم ، ومؤنسٌ لا ينام ـ يفيدك علم الأولين ، ويُخبرك عن كثير من أخبار المتأخرين ـ هل سمعت فى الأوّلين أو بلغك أنّ أحداً من السالفين جمعَ هذه الأوصاف مع قلّة مُؤونته ؟ وخفّة محمله ، لا يرزؤك [١] شيئاً من دُنياك ، نعم المدّخرُ والعُدّة [٢] والمشتغلُ والحرْفة جليس لا يُطريك ، [٣] ورفيق لا يملّك ، يُطيعك فى الليل طاعته فى النهار ، ويُطيعك فى السفر طاعته فى الحضر ، إنْ أطلْت النظر اليه أطالَ إمتاعك ، [٤] وشحذَ [٥] طباعك ، وبسط لسانك ، وجوّد بيانك ، وفخّم ألفاظك ، إنْ ألّفته خلّد على الأيام ذِكرك ، وإنْ درسته رفع فى الخلق قدْرك ، وإن نعتّه نوّه عندهم باسمك ، يُقعِدُ العبيدَ فى مقاعد السادات ، ويُجلِسُ السوّقة فى مجالس الملوك فأكرِم به من صاحب ، وأعْزِزْ به من مُوافق .

﴿ وصف عاصفة لجلال الدّين السّيوطى المتوفّى سنة ٩١١ هـ ﴾

أتى عارضٌ فى ليلة الجمعة التّاسعة من جمادى الآخرة ، كانت فيه ظُلُماتٌ متكاثفة ، وبُرُوق خاطفة ، ورياح عاصفة ، فقويتْ أهْويتُها ، واشتدّ هبُوبها فتدافعت لها أعِنّةٌ مُطلقات ، وارتفعتْ لها صواعقُ مُصعقات ، فرجفتْ لها الجدران واصطفقت ، وتلاقت على بُعدها واعتنقت ، وثار بين السّماء والأرْض عجاج فقيل لعلّ هذه على هذه أطبقت ، وتحسب أنّ جهنّم قد سال منها وادٍ ، وعدا منها عادٍ ، وزاد عصفُ الرّياح إلى أنْ انطفأت مصابيحُ النّجوم ، ومزّق أديمُ السّماء

(١) لا ينقصك (٢) ما يعده الانسان لحوادث الدهر من سلاح وغيره (٣) لا يمدحك
(٤) انتفاعك (٥) أحدها وقواها

ومُحيىَ مافوقَهُ من الرّقوم ، لاعاصِمَ من الخطف للأبصار ، ولامَلجأَ من الخطب الأَمعاقلَ الاستغفار ، وفرّ النّاس نساءً ورِجالاً ، ونفرُوا من دُورهم خِفافاً وثِقالاً لايَستطيعونَ حيلة ، ولا يَهتدُون سَبيلاً ، فاعتَصمُوا بالمساجد الجامعة ، وأذْعنُوا للنّازلة بأعناق خاضعَة ، ووجُوه عانيَة ، ونُفوسٍ عن الأهل والمال سالية ، ينظُرون مِن طَرْف خفِيّ ، ويتوقعُون أىَّ خطْب جلِيّ ، قد انْقطعَت من الحياة عُلقُهم وعَميَتْ عن النّجاة طُرُقهم ، ووقعت الفِكرةُ فيما هُم عليه قادِمُون ، وقاموا إلى صلاتهم وَودُّوا أن لو كانوا من الّذين هم عليها دائِمون ، إلى أنْ أذِنَ الله فى الرّكود وأسعَفَ الهاجدينَ بالهجُود ، وأصبحَ كلٌّ يُسلّم على رَفيقه ، ويُهنّئه بسلامة طَريقهِ ، ويَرى أنّه قد بُعثَ بعدَ النّفخة ، وأفاقَ بعدَ الصّيحة والصّرْخة ، وأنّ الله قد ردَّ له الكرّة ، وأدّبهُ بَعدَ أنْ كادَ يأخُذُهُ على غِرّة ، ووَرَدَتْ الأخبار بأن كُسرَت المراكبُ فى البحار ، والأشجار فى القِفار ، وأُتلِفَ خلْقٌ كثير من السّفّار ، ومَنهم مَن فرَّ فلَمْ ينفعهُ الفِرار .

(وصف العِلم لبديع الزّمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

ألعِلمُ شَىءٌ بَعيد المرَام ، لا يُصادُ بالسّهام ، ولا يُقسمُ بالأَزلام [١] ، ولا يُرَى فى المنَام ، ولا يُضبَط باللّجام ، ولا يُكتبُ لِلنّام ، ولا يُورَثُ عن الآباءِ والأعمام . وزَرْعٌ لا يَزكو [٢] إلاّ متَى صادَفَ من الحزم ثَرًى طيّباً . ومن التّوْفيق

(١) الازلام جمع زلم بفتح الزاى أو ضمها مع فتح اللام وهى سهام لانصل لها ولا ريش كان العرب إذا أرادوا القمار أحضروا جزوراً فنحروها وقسموا لحمها الى ثمانية وعشرين قسما ثم أتوا بعشرة أزلام فرسموا على واحد منها خطا وعلى الثانى خطين وعلى الثالث ثلاثة وهكذا الى السابع فيكون عليه سبعة وهو المسمى بالقدح المعلى وتبقى ثلاثة غفلا لا يرسم عليها شىء ثم يضعون الجميع فى خريطة ويدخل رجل يده فيها فيخرج زلماً باسم واحد من المقامرين فان كان مرسوما عليه شىء أخذ من أقسام اللحم بقدره وإن كان غفلا غرم ثمن الجزور . والمقصود من هذه العبارة ان العلم لاينال بطريق البخت والمصادفة كما ينال اللحم المقسوم (٢) يزكو ينمو ويطيب

مطراً صَيِّباً ، وَمن الطَّبعَ جوّاً صَافياً ، وَمن الجهد رَوْحاً [١] دائماً ، ومن الصَّبر سُقياً نافعاً ،

وَغرَضٌ لا يُصاب إلا بافتراش المدَر ، [٢] وَاستِنادِ الحجَر . وَرَدّ الضَّجَر وَرُكوب الخَطر ، وَإدمَان السَّهر ، وَاصطِحابِ السَّفَر ، وكثرَة النَّظر ، وَإعمال الفِكر

(وصف رجل لخصمه)

كان أحمدُ بنُ [٣] يوسُف متصرّفا عن غسَّانَ بن عُباد . وَجرتْ بينهما هَنات [٤] بحضرة المأمُون . ثم قال المأمون يوما لخاصّة أصحابه : « أخبرُونى عن غَسَّان بن عُباد : فإنّى أُريدُه لأمر جَسيم » . وكان قد عزَم على تقليده السِّنْدَ . فتكلّم كلّ بما عنده فى مدحه فقال أحمدُ بن يوسف : هو « ياأمير المؤمنين » رَجلٌ مَحاسنُه أكثرُ من مَساويه ، لا يَتطرّق [٥] الى أمرٍ إلا تقدّم فيه . ومَهما تُخُوِّف عليه فانّه لَن يَأتَى أمراً يُعْتَذَر منه ، لأنه قَسّم أيامَه بين أفعال الفَضل ، فجعَل لكلّ خَلق نَوبة [٦] . إذَا نظرتَ فى أمره لم تَدر أىّ حَالاته أعجب : أمَا هدَاه اليه عَقْله ؟ أمْ مَا اكتَسبه بأدبه ؟ » فقال له المأمون : « لقد مدحتَه على سُوء رأيك فيه » . قال : « لأنّى فى أمير المؤمنين كما قال الشاعر :

كفَى ثَمناً لِمَا أسديتَ أنّى نَصحتُك فى الصّديق وفى عدَائى
وإنّى حينَ تَندُبنِى مرٍ يكونُ هَواكَ لا أغلبَ مِن هَوائى [٧]

---

(١) الروح بفتح فسكون نسيم الريح (٢) المدر قطع الطين اليابس وافترش المدر نام عليه (٣) كاتب بليغ من كتاب المأمون وكان بارعا فى الرسائل ويكنى أبا جعفر . (٤) الهنات ، جمع هنة وقد تجمع على هنوات والمراد أمور . (٥) تطرق الى الأمر : ابتغى اليه طريقا . (٦) النوبة : الفرصة والدولة والمرة ، جمعها كغرف . (٧) يريد هوائى ومده للضرورة .

وصف أبى دُلَف لعبد الله بن طاهر

دخَل أَبو دُلَف (١) على المأمون بعد الرِّضا عنه فسأَلهُ عن عبد الله بن طاهر (٢) فقال : خلَفته يا أميرَ المؤمنين أمينَ غَيب ، نَصيحَ جَيب (٣) ، أسداً عَاتياً قَائماً على بَرَاثِنه ، يَسْعَد به وليّك ، وَيشقَى به عَدوّك ، رَحْبَ الفِنَاء لأهل طَاعتك ، ذَا بأْسٍ شَديد لِمَن زَاغَ عن قَصْد مَحَجَّتِك . قد فَقَّههُ الحُزَم ، وأيْقَظَه العَزم ، فقامَ فى نَحْر الأمور على سَاق التَّشمير ، يُبْرِمهَا بأَيْده (٤) وكَيْده ، ويَفُلُّها بحَدّه وجِدّه .

وما أَشبههُ فى الحرب إلا بقول العبّاس بن مِرْدَاس :

أَكرُّ على الكَتيبَةِ لا أُبالِى أَحتفِى كان فيهَا أم سِوَاها

فَقَال قَائل : مَا أَفصَحهُ على جَبَلِيَّته ! فقال المأمون : إنّ بالجبل (٥) قوماً أمجاداً (٦) كِراما أَنجَادا (٧) ، وإنّهم ليُوَفُّون السَّيفَ حظَّه يوم النِّزال ، والكلامَ حَقّهُ يومَ المقَال .

وصف أعرابى لرجل

وصف أعرابى رجلا فقال :

إنْ سَأَل أَلحفَ ، وإنْ سُئِلَ سَوَّفَ ، وإذَا وَعَدَ أَخلَفَ ، وإذَا صَنَعَ أَتلَفَ ، وإذا همَّ بالفعل الجميل تَوقّف . يَنظر نظَرَ الْحسُود ، ويُعْرِضُ إعراضَ

---

(١) أبودلف كعمر هوالقاسم بن عيسى البكرى من قواد المامون ثم المعتصم وكان جوادا شجاعا وفيه يقول الشاعر :

انما الدنيا أبو دلف بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

توفى سنة ٢٢٦ هـ . (٢) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين من كبار ولاة المأمون ولى مصر مدة سنتين تقريبا . قال صاحب كتاب أدب الخواص : إن البطيخ العبدلاوى الموجود بالديار المصرية منسوب اليه اه . (٣) يقال هو ناصح الجيب أى القلب والصدر

(٤) الأيد : القوة . (٥) الجبل : بلاد بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وبلاد الديلم . (٦) الأمجاد : جمع ماجد أو مجيد كأشهاد فى شاهد وشهيد والماجد والمجيد : الحسن الخلق السمح . (٧) الأنجاد : جمع نجد بكسر الجيم أو ضمها وهو الشديد البأس . ومن كلام على : أما بنو هاشم فانجاد أمجاد .

الحقود ، بينما هو خِلٌّ وَدُود ، إذ هو خَلٌّ وَدُود ، فِناؤه [١] شاسِع ، وضيفُه جائِع وشرّه شائع ، وسرّه ذائع ، ولونه فاقع [٢] ، وجفْنه دامع ، وديارُه بلاقِع ، رَدِئ المَنْظَر ، سَيِّئ المَخْبَر ، يبْخَل إذا أيسر ، [٣] ويَهْلَع إذا أعسر ، ويكْذِب إذا أُخبر ، إن عاهَد غدرَ ، وإنْ خاصَم فجَرَ ، وإن خُوطِبَ نَفَرَ .

(وصف الامام العادل)

كتبَ عُمرُ بنُ عبد العزيز رَضى الله تعالى عنه لمّا وَلى الخِلافة إلى الحسَن بن أبى الحَسن البصرى ، أن يكتب اليه بوصف الإمام العادل . فكتب اليه الحسَنُ :

إعلَم يا أميرَ المؤمنين أنّ الله جعلَ الإمام العادِل قِوَامَ كلّ مائِل ، وقَصْدَ كلّ جائر ، وصلَاحَ كُلّ فاسد ، وقُوَّة كلّ ضَعيف ، ونَصفَة كلّ مَظلُوم ، ومَفْزَع كُلّ مَلهُوف . والإمام العادلُ يا أميرَ المُؤمنين كالرَّاعِي الشّفيق على إبله ، الرَّفيق الذى يَرْتَادُ لها أطيبَ المَرْعَى ، ويَذُودُها عَن مراتع المهلكة ، ويَحميها من السِّباع ويَكنفُها من أذَى الحرّ والقرّ . والإمامُ العادلُ يا أميرَ المؤمنينَ كالأَبِ الحانِي على وَلده ، يَسْعَى لهم صِغاراً ، ويُعلِّمهم كِباراً ، يَكتسبُ لهم فى حياته ويدَّخِرُ لهم بعد مماته ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالأُم الشّفيقة ، البرّة الرّفيقة بوَلدها ، حَملَتهُ كُرْهاً ، ووَضعتهُ كُرْهاً ، ورَبَّته طِفلاً ، تَسهرُ بسَهرِه وتَسكُن بِسكُونه ، تُرْضِعهُ تارَةً ، وتَفْطمه أُخرَى ، وتفرح بِعافيتِه ، وتَغتمّ بِشكايتِه والإمام العادل يا أميرَ المؤمنين وَصىُّ اليتامَى ، وَخازنَ المساكين ، يُربِّى صغيرَهم

---

(١) فناء البيت : الساحة أمامه جمعه أفنية والشاسع البعيد والجملة كناية عن أنه بخيل لأن من عادة البخيل عندهم أن يبنى خباءه بعيدا عن الحى حتى لا يقصد ، قالت الفارعة :

ولا يحل إذا ماحل منتبذا يخشى الرزية بين الماء والبادى

(٢) الفاقع : الشديد الصفرة وربما أكد به الأبيض . (٣) الهلع : أفحش الجزع .

ويُموّن كبيرَهم . والإمام العادل يا أميرَ المؤمنين كالقلب بين الجوانح ، تَصلُح الجوانح بصلاحه ، وتفسدُ بفساده ، والإمام العادل يا أميرَ المؤمنين هو القائمُ بين الله وبين عباده ، يسمع كلامَ الله ويُسمعُهم ، وينظرُ إلى الله ويُريهم ، وينقادُ إلى الله ويَقودُهُ — فلا تكُن يا أميرَ المؤمنين فيما ملَّكك الله كعبد ائتمنَهُ سيِّده واستحفظه مالَه وعيالَه ، فبدَّد المال ، وشرَّد العيال ، فأفقرَ أهلَه ، وفرَّق مالَه

واعلم يا أمير المؤمنين أن اللهَ أنزلَ الحدودَ ليَزْجُرَها عن الخبائث والفواحش فكيف إذا أتاها مَنْ يليها ؟! وأنَّ اللهَ أنزل القِصاص حياةً لعبادِه ، فكيف إذا قتلهم مَن يقتص منهم ؟! واذكرْ يا أميرَ المؤمنينَ الموتَ وما بعده ، وقلَّة أشياعك عنده ، وأنصارك عليه . فتزوَّدْ له ولما بعدَهُ من الفزع الأكبر . واعلم يا أمير المؤمنين ، أنَّ لكَ منزلاً غيرَ منزلك الذى أنت فيه ، يطول فيه ثواؤك ، ويُفارقُكَ أحباؤك ، يُسلمونك فى قعْره فريداً وحيداً ، فتزوَّدْ له ما يصحَبُك ، يومَ يفرّ المرءُ من أخيه ، وأمِّه وأبيه وصاحبتِه وبنيه — واذكر يا أميرَ المؤمنين : إذا بعثرَ ما فى القبور ، وحُصِّل ما فى الصدور ، فالأسرار ظاهرة ، والكتابُ لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصاها — فالآنَ يا أميرَ المؤمنين وأنتَ فى مَهل ، قبل حلول الأجل ، وانقطاعِ الأمل — لاتحكم يا أمير المؤمنين فى عبادِ اللهِ بحُكم الجاهلين ولا تسلُك بهم سبيلَ الظالمين ، ولا تُسلِّط المُستكبرين على المُستضعَفين ، فانهم لا يرْقُبونَ فى مُؤمن إلاًّ ولا ذمّة ، فتبوء بأوْزارك وأوْزارٍ مع أوْزارك ، وتحمل أثقالَك وأثقالاً مع أثقالك . ولا يغُرَّنك الذين يتنعَّمونَ بمافيه بُؤسُك ، ويأكلون الطيِّبات فى دُنياهم بإذهابِ طيِّباتك فى آخرتك . ولا تنظُر إلى قُدْرَتك اليوم ولكن انظُر إلى قُدْرَتِك غداً ، وأنتَ مأسورٌ فى حبائل الموْت ، وموقوف

بين يَدى الله فى مَجْمع من الملائكة وَالنَّبيين وَالمُرْسلين ، وَقَدْ عَنَتِ الوُجُوه للحَىّ الْقيّوم . إنّى يا أمير المؤمنين وإنْ لم أبْلغ بِعظَتى مابَلَغَهُ أولُوا النُّهى من قَبلِى فلم آلُك شَفَقَةً وَنُصحاً . فأنزِلْ كتابى اليك كمُداوِى حَبيبهِ ، يَسقيه الأدويةَ الكريهة ، لِمَا يَرْجُولهُ فى ذلك منَ العافية والصِّحة .

(وصف عمرو بن العاص مصر لسيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب)

مِصر تُرْبةٌ غَبْراء ، وَشجرَة خَضرَاء . طُولها شهر ، وعرْضها عشر (١) يَخُطّ وسطَها نَهر مَيمون الغَدَوات ، مُبارك الرَّوْحات ، يَجرى بالزِّيادة وَالنّقصان ، كجرْى الشَّمس وَالقَمر ، لَه أوَان تظهرُ به عُيونُ الأَرض ويَنابيعها ، حتى إذا أُصلح عَجاجه ، وَتعظَّمت أموَاجه ، لم يكن وُصول أهل القُرَى إلى بعض إلاَّ فى خِفَافِ القَوارب (٢) وصِغار المرَاكب . فإذا تكاملتْ زِيادته نكص (٣) على عقَبيه كأوَّل مابدَأ فى شِدَّته ، وَطَما (٤) فى حِدّته . فعند ذلك يخرُج القوْمُ ليحرُثوا بُطون أوْديتِه وَرَوَابيه ، فَيبذُرُون الحَبّ ، ويَرْجُون الثِّمار من الرَّبّ . حتى إذَا أشرَق وأشرَف ، سقَاهُ من فوْقه النَّدَى ، وَغذَّاه من تحته الثَّرَى . فعند ذلك يدُرّ حلابُه ، ويُغنِّى ذُبابُه — فبينما هى ياأمير المؤمنين دُرَّة بَيضَاء ، إذ هى عَنبرَةٌ سَوْداء ، فإذا هى زَبرجدَةٌ خَضْرَاء ، فتبارَك الله الفعّال لما يشاء .

(وصف حرب لأبى منصور الثَّعالبى النِّيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ)

عندَ مَا دارَت رَحا الحرْب ، صَمَتتْ الألسِنَة ، ونَطَقت الأسِنَّة ، وخطَبت السُّيوف على مَنابر الرِّقاب ، وَأقدَمت الرِّماح على الخُطَطِ الصِّعاب ، وَتلاَصقت

---

(١) أى عشر ليال لأن عادة العرب السير فى الليل (٢) السفن الصغيرة (٣) رجع (٤) ارتفع

القَنا والقَنَابل (١) وَتعانَقت الصَّوارم (٢) والمنَاصل ، وَبلغَت القلوبُ الحَناجر وَأدْركت السُّيوفُ المنَاحِر ، وَضاقَ المجَال ، وَتحكَّمت الآجال ، فلا تَرَى إلاَّ رُؤوساً تُبْدر (٣) ، وَدِماءً تُهدَرُ ، وأعضاءً تَتَطايَر وَتَتَناثر ، وأجسَاماً تتزَايَل وَتتَمايَل حتى ثَمِلَت الرِّماحُ من الدّماء ، فتعثّرَتْ فى النحور ، وَتكسَّرَت فى الصدُور ، فَرَجَموا الأعداء من جوَانِبهم ، وَتمكَّنُوا من فَضّ موَاكبهم .

(وصف المطر شعراً لأبى الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ)

مع مقدمة لعمر بن على المطوعى فى وصف ذلك المطر نثراً

حكى عُمَرُ بْنُ عَلىّ المطْوعِىّ قال : رَأى الاميرُ السيدُ أبو الفضل عبدُ الرَّحمن ابْنُ أحمد أدام الله عِزَّه أيَّام مُقامه بجُوَيْن (٤) أن يطالعَ قَرية من قُرى ضِياعهِ (٥) تُدعَى « نجاب » على سبيل التَّنزُّهِ والتَّفرُّج ، فكنتُ فى جُملة مَن استصحبَه إليها مِن أصحابه ، واتّفقَ أنْ وَصَلنا والسماءُ مُصْحِيةٌ (٦) ، والجوّ صَافٍ ، لم يُطرَّزْ ثوْبُهُ بعلَم الغَمام (٧) والأُفقُ فَيْرُوزَجٌ لم يعْبق به كافورُ السّحاب . (٨) فوَقَع الاختيار على ظِلّ شَجرَة باسِقة الفُروع (٩) مُتّسعة الأَوْراق والغُصون ، قد سَترَت ماحَواليها من الأرض طُولاً وَعرْضاً . فَنَزَلْنا تَحتَها مُستظلِّين بسَماوَة أفْنانِها (١٠) مُستترين من وَهَج الشّمس بستَارَة أغصَانها (١١) وَأخذنا نَتجاذَب أذيَال المُذَاكرَة (١٢)

(١) القنا الرماح والقنابل جمع قنبل مابين الخمسين فصاعدا من الخيل (٢) السيوف القاطعة وكذا المناصل (٣) تسقط (٤) كورة بخراسان وبلدة بسرخس (بلاد فارس)

(٥) يطالع قرية يطلع عليها والضياع جمع ضيعة وهى العقار والارض المغلة (٦) لا غيم فيها (٧) عبارة عن خلو الجو من السحاب (٨) أى لونه مثل لون الفيروزج وهو الزرقة ولم يعبق به لم يلصق به والكافور طيب يستخرج من شجر كبير ولون هذا الطيب يصير أبيض بعد عملية تعمل فيه — والمعنى أنه لايرى شئ من السحاب فى الأفق (٩) طويلتها (١٠) الافنان الغصون وسماوتها يعنى أوراقها العريضة المتلاحمة تلاحما يجعلها تشبه السقوف (١١) وهج الشمس شدة حرها وتوقدها (١٢) عبارة عن تذاكرهم

وَنتسالب أهدابَ المُناشدة والمحاورَة (١) فما شعَرْنا بالسَّماء إلا وقد أرْعدَتْ وأبرقَتْ (٢) وأظلمت بعد ما أشرقَتْ، ثمَّ جادَت بمطَر كأفواهِ القِرَب، فأجادَتْ (٣) وحكت أنامل الأجواد، بل أوْفت عليها وزادت، (٤) حتَّى كادغَيْثها يَعودُ عَيثاً (٥) وهَمَّ وَبلها أن يستحيلَ ويلاً (٦) فصبرْنا على أذاها وقلنا سَحابةُ صيف عنْ قَليلٍ تَقشّعُ (٧) فإذا نحْنُ قد أمْطرَتْنا بَرَدَ الثّغور، لكنّها من ثغور العذاب (٨) لا منَ الثُّغور العِذاب، (٩) فأيْقنَّا بالبَلاء، وَسلّمنا لأسبابِ القَضاء، (١٠) فما مرت ساعةٌ من النَّهار، حتى سمعنا خَرير الأنهار، (١١) ورَأينا السَّيْل قد بلغ الزُّبى، (١٢) والماء قد غمَرَ القيعانَ والرُّبا، (١٣) فبادرْنا الى حِصْن القرْيةِ، لائذينَ من السَّيل بأفنِيتِها (١٤)، وَعائذينَ منَ القَطْر بأبْنيتِها (١٥)، وأثوابُنا قدْ صَنْدَلَ كافُورَها ماء الوَبْل (١٦)، وَغلفَ طِرازَهَا طِينُ الوَحْل (١٧) (ونحنُ نحمد الله تعالى على سلامة

(١) عبارة عن تناشدهم الاشعار وتحاور بعضهم مع بعض تحاورا أدبيا (٢) يقال رعدت وبرقت أى جاءت بالرعد والبرق وأرعدت وأبرقت يعنى تهددت بالرعد وتوعدت بالبرق (٣) جادت تكرمت وأجادت أحسنت (٤) حكت شابهت وأنامل الاجواد المقصود أيدى الكرام ومحاكاتها لايدى الكريم يعنى مشابهتها لايديهم فى السخاء وأوفت وزادت بمعنى واحد (٥) الغيث المطر — والعيث الافساد (٦) الوبل المطر الشديد العظيم القطرات والويل الشر (٧) أى لا تمكث الا قليلا وتذهب (٨) البرد قطرات المطر المتجمدة التى تنزل على الارض كالحب فى شكل الثلج أوالجليد يشبه به أسنان الغوانى وثناياها عند افترار الثغور والثغر الفم وثغور العذاب فتحاته (٩) لا من الثغور العذبة الريق (١٠) وخضعنا لاحكام المقادير (١١) يعنى جرى الماء بشدة حتى صار يسمع له صوت كصوت مياه الانهار (١٢) السيل الماء العظيم الذى يتجمع من المطر ويسيل بشدة — والزبى جمع زبية وهى الارض المرتفعة ارتفاعا عظيما بحيث لايعلوها الماء عادة — أو حفرة تحفر فيها لتصاد فيها الاسد (١٣) الربا جمع ربوة وهى الارض المرتفعة — والقيعان جمع قاع وهو الارض السهلة المطمئنة التى انفرجت عنها الجبال والآكام (١٤) فبادرنا اسرعنا: والحصن الموضع الحصين الذى لايوصل إلى جوفه . لائذين متحصنين — والافنية جمع فناء وهو المتسع أمام الدار (١٥) عائذين ملتجئين — والقطر مانزل من ماء المطر — والابنية المبانى (١٦) صندل استعمله متعديا بمعنى جعل لون الصندل أحمر ضاربا الى السواد — والكافور والوبل تقدم معناهما (١٧) غلف الشئ جعل له غلافا أى حجابا وستراً والطراز رسم الثوب والمعنى أن رسم الثوب

الأبدَان ، وإنْ فَقَدْنا بَياضَ الأكْمَامِ وَالأرْدَان ، (١) وَنشكره على سلامة الأنفُس وَالأرْوَاح ، شُكْرَ التَّاجر على بَقاءِ رَأس المال . إذا فُجعَ بالأرْباح (٢) فَبِتْنا تلك اللَّيلَة تحتَ سماء تَكِفّ ولا تَكُفّ ، (٣) وَتبكى علينا إلى الصَّباح بأدمع هوَامِ ، (٤) وَأرْبَعِ سِجَام (٥) فلمَّا سُلَّ سيفُ الصُّبْح من غِمد الظَّلام (٦) وصُرف بوَالى الصَّحو عَاملُ الغمام ، (٧) رَأينا صوَابَ الرَّأيِ أنْ نُوسعَ الإقامةَ بها رَفضاً ، (٨) وَنتَّخذَ الارْتحال عنها فرْضاً ، فما زِلنا نَطوى الصَّحارَى أرْضاً فأرْضاً ، إلى أن وَافينا المَستقَرّ رَكضاً ، (٩) فلمَّا نَفضنَا غُبَارَ ذلك المَسير ، (١٠) الذى جعلَنا فى رِبْقة الأسير (١١) ، وَأفْضَينا إلى سَاحة التَّيسير . (١٢) بعد ما أُصِبْنَا بالأمر العَسير ، وَتذَاكرنا ما لَقينَا منَ التّعب والمَشقَّة ، فى قطع ذلك الطَّريق وَطىّ تلك الشُّقَّة ، (١٣) أخذَ الأمير السيد أطال الله بقاءه القلم فعلّق هذه الأبيات ارتجالا :

دَهَتْنا السَّماءُ غَدَاة السَّحاب بغَيْثٍ عَلى أُفْقِهِ مُسبلِ (١٤)
فَجاءَ برَعْدٍ لهُ رَنَّة (١٥) كرنّةِ ثَكلَى وَلَم تُثكَلِ (١٦)

ستره الطين المتناثر من الوحل (١) الاردان أصول الاكمام (٢) أى أوجع بعدم الارباح وفقد المكاسب (٣) يكف يقطر ولا يكف ولا ينقطع (٤) هوام جمع هام من همى يهمى بمعنى سال (٥) لعله يريد أربع نواح يقطر منها الماء كثيراً (٦) أى الصبح الشبيه بالسيف والظلام الشبيه بالغمد (٧) الوالى العامل أى الحاكم والمعنى أزال الصحو الغمام (٨) أى أن نرفض الاقامة بها رفضا باتا (٩) وافينا أتينا والمستقر السكن وركضا يعنى عدوا وجريا على الاقدام (١٠) يعنى لما أزلنا وسخ هذا السير بمعنى استرحنا (١١) الربقة عروة تجعل فى حبل مع عرى أخرى ويربط فى هذا الحبل (ويسمى الربق) أولاد الضأن والمعز والبقر (١٢) أفضينا وصلنا والساحة رحبة بين الدور والتيسير اليسر والتسهيل (١٣) وطى تلك الشقة أى قطع تلك المسافة (١٤) الغداة أول النهار يعنى دهمتنا السماء فى أول النهار الذى كان فيه غيم — والغيث المسطر — والمسبل الهاطل يعنى دهمتنا السماء بمطر هاطل على الافق الذى كان السحاب مخيما عليه (١٥) له رنة أى دوى وصوت هائل (١٦) الثكلى التى فقدت ولدها ولم تثكل يعنى لم يفقدها الله ولدها والمعنى كصوت الغائب عنها ولدها مع أن الله لم يهلكه فهى تصوت على غيابه ولم ينقطع أملها من وجوده

وَثنَّى بِوبْلٍ عَدَا طَوْرَهُ (١) فعَادَ وَبالا عَلى المُحْلِ (٢)
وَأشْرَفَ أَصْحابُنا مِنْ أذَاهُ على خَطَرٍ هائل مُعْضَلِ (٣)
فَمِنْ لاَئذٍ بِفِناءِ الجِدَارِ (٤) وَآوٍ إلى نَفَقٍ مُهْمِلِ (٥)
ومن مُسْتَجيرٍ يُنادِي الغَرِيقَ هُنالكَ وَمن صارخٍ مُعْوِلِ (٦)
وجادَتْ علينا سماءُ السقُوفِ بِدمعٍ مِنَ الوَجْدِ لَمْ يُهْمِلِ (٧)
كأنَّ حَراماً لها أن تَرَى يَبِيساً مِنَ الأرْضِ لَمْ يَبْلَلِ (٨)
وأقبَلَ سَيلٌ له رَوْعَةٌ (٩) فأدبَرَ كُلٌّ عنِ المُقبِلِ (١٠)
يُقَلِّعُ ما شاء مِنْ دَوْحَةٍ (١١) وما يَلِقَ مِنْ صَخرةٍ يَحْمِلِ (١٢)
فَمِنْ عامِرٍ رَدَّهُ غامِراً (١٣) وَمِنْ مُعْلَمٍ عاد كالمجْهَلِ (١٤)
كفانا بَلِيَّتَهُ رَبُّنا فَقَدْ وَجب الشكْرُ للمُفْضِلِ (١٥)
فقُلْ للسَّماءِ ارْعُدِي وَابْرُقِي (١٦) فإنّا رَجعْنا إلى المَنْزِلِ

(وصف حديقة لابن حبيب الحلبى المتوفى سنة ٧٧٩ هـ)

لمَّا صدَأتْ مِرْآةُ الجَنانِ، (١٧) قصدتُ جَلائها بَعضَ الجِنانِ، (١٨) فدخلْتُ

(١) الوبل تقدم تفسيره (المطر الشديد) وعدا طوره تجاوز حده (٢) فصار ثقيلا وخيما على المكان الممحل الجدب المنقطع عنه المطر (٣) اشرف على كذا قرب منه والمعضل الذى لادواء له (٤) فمن متحصن بالاراضى المجاورة للجدران (٥) ومن لاجئ الى سرب فى الارض لم يتعهده أحد (٦) ينادى الغريق أى يدعو الناس ويقول الغريق لينقذوه والمعول الرافع صوته بالبكاء (٧) همل الدمع — سال والمعنى انها جادت بدمع لم يكن السبب فى اسباله لا الغرام ولا الوجد (٨) كان حراما لها أى كأن السماء محرم عليها أن ترى أرضا يابسة لم تبل بالماء (٩) الروعة الفزعة (١٠) فصار كل واحد يولى ويهرب ممن يقابله (١١) يقتلع كل مايريد من الشجر العظيم (١٢) ويحمل كل مايلقاه من الصخور الضخام (١٣) رده غامرا صيره خرابا (١٤) من معلوم صار كالمجهول (١٥) كفانا الله شره فوجب الشكر له لافضاله علينا (١٦) ايتى بالرعد والبرق (١٧) الجنان القلب وصدئت مرآته علاها الوسخ والمعنى لما كل القلب ومل العمل (١٨) لجلائها أى ازالة الوسخ الذى علاها ، والجنان جمع جنة وهى الحديقة ذات النخل والشجر

إليها ، وما كِدْتُ أنْ أقدِمَ عليها ، فإذا هي جَنَّةٌ عاليةٌ ، (١) قُطُوفُها دانيةٌ (٢) وَطَلْحُها مَنْضُودٌ (٣) وَظِلُّها مَمْدُودٌ ، (٤) وأعلامُ أشجارها مرفُوعةٌ ، (٥) وفاكِهتُها كثيرَةٌ لا مقْطوعةٌ ولا ممْنوعةٌ ، (٦) تَجُوسُ المِياهُ خِلالَ دِيارِها (٧) وتُشْرِقُ بآفاقها أنوار نَوّارها (٨) نُزْهةُ النَّواظِرِ ، (٩) وَشرَكُ الخواطِرِ (١٠) بها أشجارٌ لا تُحصَى ، (١١) وثِمارٌ لا تُعدُّ ولا تُستقْصَى (١٢)

(وصف البيان لأمير المؤمنين ابن المُعْتَزّ المتوفى سنة ٢٩٦ هـ)

ألبيان تَرْجمان القلوب ، وصيقل العقول ، (١٣) ومُجْلى الشّبهة ، (١٤) ومُوجب الحُجّة ، والحاكم عند اختصام الظّنون ، والمُفرّق بين الشكّ واليقين ، وخيرُ البيان ما كان مُصرِّحاً عن المعنى ، ليُسرِع إلى الفهم تلَقِّيه ، أو مُوجَزاً ليَخِفّ على اللّفظ تعاطِيه

(ووصف أيضاً المكارم)

لَن تَكْسَبَ أعزَّك الله المحامد ، وتَستوجبَ الشّرف ، إلا بالْحَمْل على النّفس والحَال ، والنُّهوض بحَمل الأثقال ، وَبذْل الجاه والمَال ، ولو كانت المكارِم تُنَالُ بغير مُؤونة لاشترك فيها السَّفَل (١٥) والأحرار ، وتَساهمهما الوضَعاء (١٦) من ذَوِي الأخطَار . ولكنّ الله تعالى خَصَّ الكرماء الّذين جعلهم أهلها ، فخفّف عليهم حَملَها وَسوّغهم فَضلها ، وحظَّرها (١٧) على السّفلة لِصغَر أقدارهم عنها ، وبُعد طِباعهم منها ، ونُفُورها عنهم ، واقشِعْرَارها منهم .

---

(١) أى مرتفعة فاخرة (٢) عنافيدها متدلية قريبة من الجانى (٣) الطلح الاشجار العظام ومنضود يعنى متراكم بعضه فوق بعض (٤) أى متسع (٥) أى اغصانها مرتفعة (٦) لاتقطع عن الطالب ولاتمنع منه (٧) أى تتردد بين بيوتها (٨) النوار الزهر (٩) تتنزه فيها العيون (١٠) تصطاد الخواطر وتسبى العقول (١١) لا يمكن الاتيان على عددها (١٢) لا يتاتى ادراك آخرها (١٣) جلاؤها (١٤) كاشفها (١٥) السفل جمع سفلة وهم طغام الناس وغوغاؤهم (١٦) جمع وضيع وهو الساقط (١٧) منعها

(ووصف أيضاً القرآن الكريم)

فَضْلُ القرآن على سائر الكلام معروفٌ غير مجهول ، وظاهرٌ غيرُ خفيّ ، يشهدُ بذلك عجزُ المتعاطين ، ووَهْنُ[1] المتكلّفين . وهو المُبلّغُ الذى لا يملّ ، والجديدُ الذى لا يَخْلُق[2] والحقّ الصّادع ، والنور الساطع ، والماحى لِظُلَم الضّلال ، ولسانُ الصِّدْقِ النّافى للكذب ، ومِفْتاح الخير ، ودليلُ الجنّة — إنْ أوْجز كان كافياً وإنْ أكثرَ كان مُذكّراً ، وان أمر فناصحاً ، وان حكَم فعادلاً ، وانْ أخبرَ فصادقاً سِراجٌ تستضىء به القلوبُ ، وبحْر العلوم ، وديوان الحِكَم ، وجوهرَ الكَلِم

(وصف البلاغة لفحول البلغاء)

(١) قال الجوهرى : أحسنُ الكلام نظاماً ما ثقبتْه يدُ الفِكرة ، ونَظمتْهُ الفِطنة ووُصِلَ جوهر معانيه فى سُمُوط[3] ألفاظِه ، فاحتملتْهُ نحُور الرُّواة :

(٢) وقال العطّار : أطيبُ الكلام ما عُجن عنْبرُ ألفاظه ، بمسك معانيه ، ففاح نَسيمُ نَشْقِه[4] وسطعت رائحة عَبقه ، فتعلّقت به الرُّواة ، وتعطّرت به السّراة

(٣) وقال الصّائغ : خيرُ الكلام ما أحْمَيتهُ بكِيرِ الفِكر ، وسبكْتهُ بمشاعِل النّظر ، وخلّصتهُ من خبَث الإطناب ، فبرزَ بُرُوزَ الإبريز ، فى معنى وَجيز[5]

(٤) وقال السيّر فى : خيرُ الكلام ما نقدته عينُ البصيرة ، وجلَتْهُ يدُ الرَّوِيّة ووزَنْته بمعيار الفصاحة ، فلا نَظرٌ يُزيِّفه ،[6] ولا سَماعٌ يُبهرِجُه .

---

(١) ضعف (٢) لا يبلى (٣) السمط — الخيط الذى ينظم فيه (٤) النشق — الاستنشاق ، العبق — لصوق الطيب بالشىء وتغلف الرجل بالطيب — ادهن به . والسراة — الأشراف (٥) الكير — زق ينفخ فيه الحداد . والمشاعل جمع مشعل وهو القنديل وموضع شعل النار أى الهابها (٦) زيف الدراهم إرتأى أنها زائفة أى مغشوشة (٧) وبهرجها — أبطلها

(٥) وقال الحدّاد : أحسنُ الكلام ما نصبتَ عليه مِنفَخَةَ القَريحَة،وأشعلتَ عليه نار البَصيرة ، ثم أخْرجتَه من فحم الافحام و رَقّقتَه بغطّيس الأفهام [١]

(٦) وقال النَّجار : خيرُ الكلام ما أحكمتَ نَجرَ معناه بقَدُّوم التّقدير، ونَشرتَه بِمِنْشَار التّدبير ، فصار باباً لبيت البيان ، وعارضةً [٢] لسَقف اللّسان .

(٧) وقال الحائك : أحسن الكلام ما اتّصلت لُحمةُ ألفاظِه ، بسَدَى معانيه فخرج مُفوَّفاً مُنيراً ، مُوَشّى مُحبّرا . [٣]

(٨) وقال الجمّال : البليغُ مَن أخذَ بخُطام [٤] كلامه ، فأناخَه فى مَبْرَك المعنى ، ثم جعل الاختصار له عِقَالا ، والإجادة له مَجالا ، فلم [٥] يَنِدَّ عن الآذان وَلم يَشِذَّ عن الأذهان .

﴿ وصف عمر بن الخطاب ﴾

قال مُعاوية بن أبى سُفيان لِصَعْصَعَة بن صُوحان: صِف لى عُمر بن الخطاب .فقال: كان عالماً برعيّته ، عادلاً فى قَضيّته ، عارياً من الكِبْر ، قَبُولا للعُذْر ، سَهْلَ الحِجاب ، مَصُونَ الباب ، مُتحرِيّاً للصّواب ، رَفيقاً بالضّعيف ، غير مُحابٍ للقريب ولا جَافٍ للغَريب .

(وصف على بن أبى طالب)

قال مُعاوية لِضرَار الصُّدَائى ، ياضِرَار : صِف لى عليًّا قال : أعفِنى يا أميرَ

---

(١) الغطيس كسكين المطرقة العظيمة (٢) العارضة — الخشبة العليا التى يدور فيها الباب وعوارض البيت خشب سقفه (٣) المفوف ـ الرقيق من الثياب أو الذى فيه خطوط بيض والمنير ـ المنسوج على نيرين أى المضاعف النسج ، والموشى ـ المنقوش ، والمحبر ـ المحسن

(٤) الخطام ـ كل ماوضع فى أنف البعير ليقتاد به — جمعه خطم (٥) وند — هرب

المؤمنين . قال : لتَصِفنّه . قال : أمّا إذ لا بُدَّ منْ وَصفه فكان والله : بَعيدَ المدَى [1] شَديدَ القوَى . يقول فَصلا ، ويَحكم عَدلا . يتفجّر العلمُ من جوانبه ، وتَنطِقُ الحِكمةُ من نواحيه . يَستوحِشُ من الدّنيا وزَهرتها ، ويَستأنسُ باللّيل ووَحشتِه وكان والله غزيرَ العَبْرة ، طَويلَ الفِكرة . يُقلّب كَفّه ، ويُخاطِبُ نَفسه ، يُعْجبه من اللّباس ما قَصُر ، ومن الطَّعام ما خَشُن . وكان فينا كأحدِنا ، يُجيبُنا إذا سَألْناه ويُنبّئنا إذا استَنبأْناه . ونحن مع تقريبه إيّانا ، وقُربه منّا ، لانكادُ نُكلِّمه لهيبته ، ولا نَبتدئه لِعظَمته . يُعظّم أهلَ الدِّين ، ويُحبّ المساكين ، لايَطْمعُ القَوىُّ فى باطِله ، ولا يَيأَس الضَّعيف من عَدله .

(وصف كلام العرب لعتبة بن أبى سُفيان)

قال عُتبة بن أبى سُفيان : إنّ للعرب كلاماً هو أرقُّ من الهوَاء ، وأعذبُ من الماء ، مرَق من أفواهِهم مُرُوق السّهام من قِسيِّها ، بكلمات مُؤتَلفَات ، إنْ فسّرت بغيرها عُطِّلت [2] وانْ بُدّلت بسِواها من الكلام استُصعبت . فسهُولة ألفاظهم تُوهمُك أنّها مُمكِنة إذا سُمِعَتْ ، وصُعوبتها تُعلِّمك أنّها مَفقودة إذا طُلبت [3]

(وصف الكتاب للجاحظ)

قال الجاحظ : الكِتابُ وعاءٌ مُلِئَ علماً ، وظَرْفٌ حُشِىَ ظَرْفاً ، وبُستان يُحمَلُ فى رُدْن [4] ورَوضةٌ تُقلَّب فى حِجر . يَنطق عن الموتَى ، ويُترجمُ كلام الأحياء ، ولا أعلمُ جاراً أبرّ ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقا أطوع ، ولا مُعلّما أخضع ، ولا صاحباً أظهرَ كِفاية ، وأقلّ جِناية ، ولا أقلّ إملالا وإبراما ، ولا أقلّ

(١) المدى — الغاية (٢) التعطيل — ترك الشئ ضياعا (٣) هذا النوع من الكلام يسمى السهل الممتنع (٤) الردن ـ الكم جمعه أردان

خلافا وإجراما ، ولا أقل غيبة ، ولا أبعدَ من عَضبهَة [١] ، ولا أكثر أعجُوبة وتَصرّفا ، ولا أقلّ صلَفاً [٢] وتَكلّفا ، ولا أبعدَ من مِرَاء ، ولا أترك لِشغَب ، ولا أزهدَ فى جِدال ، ولا أكفّ عن قِتال ـ من كتاب . ولا أعلمُ قرينَا أحسنَ مُوَاتاة [٣] ولا أعْجل مُكافأة ، ولا أحضرَ مَعونة ، ولا أقلّ مؤُونة . ولا شجرة أطْولَ عُمرا ولا أجمع أمراً ، ولا أطْيبَ ثمرةً ، ولا أقْربَ مُجتنًى ، ولا أسْرع إدرا كا فى كلّ أوَان ، ولا أوْجدَ فى غير إبَّان ـ من كتاب . ولا أعلمُ نِتاجاً فى حَداثة سِنّه ، وقُرب ميلاده ، ورُخص ثمنه ، وامكان وُجوده ، يَجمعُ من التّدابير الحَسنة ، والعلوم الغَريبة ، ومن آثار العقُول الصّحيحة ، ومحمود الأخبَار اللّطيفة ، ومن الحِكم الرّقيقة ومن المذَاهب القديمة ، والتّجارب الحكيمة ، والأخبار عن القرُون الماضية والبلاد المتُرَاخية ، والأمثال السّائرة ، والأمم البَائرة [٤] مايجمعُ « الكتاب »

وقيل لبعض العلماء : مابلغَ من سُرورك بكتُبك ؟

فقال : هى إنْ خَلوتُ لذّتى ، وان اهتَمَمْتُ سَلْوتى ، وإنْ قلت إنّ زَهْر البُستان ، ونَوْر الجنان ، يَجلُوان الأبصار ، ويُمتِعان بحُسنهما الألحاظ ، فان بُستان « الكُتب » يَجلُو العقل ، وَيشْحذُ الذّهن ، ويُحيي القلب ، ويُقوِّى القَريحة ، ويُعين الطَّبيعة ، ويَبعثُ نتائجَ العقول ، وَيستثير دَفائن القلوب ، ويُمْتِعُ فى الخَلوة ويُؤْنس فى الْوحشة ، ويضْحك بنوَادره ، ويَسُرّ بغرائبه ، ويُفيد ولا يَستفيد ، ويُعطِى ولا يأخُذ ، وتَصِل لَذّته إلى القلب من غيرِ سآمة تُدرِكك ، ولاَ مَشقّة تَعرض لك .

---

(١) العضبهة ـ البهتان والنميمة (٢) الصلف ـ تمدح المرأ بماليس عنده (٣) المواتاة حسن المطاوعة والموافقة وأصله بالهمزة وفى الحديث : خير النساء المواتية لزوجها (٤) البائرة

(وصف التاريخ لابن الأثير)

ألتَّاريخ : مَعَاد [١] معنوى . يُعيد الأعصار وقد سلَفت ، ويَنشُر أهلها وقد ذَهبت آثارُهم وعفَت [٢] ، وبه يَستفيدُ عُقولَ التّجارِب مَن كان غِرّا . ويلقى مَن قبله من الأمم وهلُمَّ جرًّا . فهم لَديه أحياء ، وقد تَضمّنتهم بُطونُ القُبُور ، وعنه غُيَّبٌ وقد جعلتهم الأخبار فى عِدَاد الحُضُور . ولولا التَّاريخ لُجهلت الأنساب ونُسيت الأحساب ، ولم يعلم الانسانُ أنّ أصْلَه من تراب ، وكذلك لولاه لماتَتِ الدُّول بموت زُعمائها ، وعَمِيَ [٣] على الأواخر حَال قُدمائها ، ولم يُحَطْ علْماً بما تداولته الأرض من حوادث سَمائها . ولمكان العِناية به لم يخْلُ منه كِتاب من كُتُب الله المُنْزلة فمنها ما أتَى بأخباره المُجملة ، ومنها ما أتى بأخباره المُفَصَّلة ، وقد ورد فى التَّوراة مُفرداً فى سِفر من أسفارها ، وتضمّن تفصيل أحوال الأمم السّالفة ومُدَد أعمارها .

وقد كانت العرب على جهلها بالقلم وخَطّه ، والكِتاب وضَبطه ، تَصرِفُ الى التّواريخ جُمل دَواعيها ، وتجعل لهُ أوّل حَظّ من مَساعيها ، فتستغنى بحفظ قلوبها عن حفظ مكتوبها ، وتَعتاضُ برقم صُدُورها ، عن رَقم سُطُورها ، كلّ ذلك عِناية منها بأخبار أوائلها ، وأيّام فضائلها . وهل الانسان إلا ما أسّسه ذِكره وبَناه ؟ وهل البقاء لصُورة لحمه ودَمه لولا بَقاء معناه ! ؟

(وصف الرَّجل الكامل)

كتبَ الحسن [٤] بن سَهل الى محمد [٥] بن سَماعة القاضى يَصِفُ له الرّجلَ الكاملَ

---

(١) معاد يقصد أنه كاليوم الآخر (٢) عفا الشئ ـ هلك (٣) عمى عليه الامر ـ التبس وكذلك عمى عليه ٤١) هو وزير المأمون وختنه أبو زوجه بوران توفى سنة ٢٣٦ هـ (٥) من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة توفى سنة ٢٢٣ وقد بلغ مائة سنة وهو صحيح الحواس

أمّا بعدُ : فانّى احتجتُ لبعض أُمُورى الى رجل جامع لخصال الخير ، ذى عِفَّةٍ ونَزاهة ، طُعْمة [١] قد هذَّبته الآداب ، وأحكمته التّجارب ، ليس بظنّين [٢] فى رأيه ، ولا بمَطْعُون فى حَسَبه ، إن أُؤتمنَ على الأسرار قام بها ، وان قُلِّد مُهمًّا من الأمور أجزأ [٣] فيه ، له سِنّ مع أدَب ولسَان ، تُقعدُه الرَّزانة ، ويُسكِنُه الحِلم قد فرَّ [٤] عن ذَكاء [٥] وفِطنة ، وعَضَّ على قارِحَة [٦] من الكمال ، تكفيه اللّحظة وتُرْشدُه السّكتة . قد أبصرَ خدمةَ المُلوك وأحكَمها ، وقامَ فى أمُورهم فُحمد فيها له أَناةُ الوزراء ، وَصوْلة الأمرَاء ، وتَواضُع العُلماء ، وفَهم الفُقهاء ، وجَواب الحُكماء لا يَبيعُ نَصيبَ يوْمه بحرْمان غَده . يَكادُ يسْترقّ [٧] قُلوب الرِّجال بحلاَوة لِسانه ، وحُسنِ بَيانه ، دَلائلُ الفضل عليه لائحة ، وأَمارات العلم شَاهدة مُضطلعاً [٨] بما استنهض ، مُستقلاً [٩] بما حُمّل ، وقد آثرتُك بطَلَبِه ، وَحبَوْتك بارْتيَادِه [١٠] ، ثِقةً بفضل اختيَارك ، ومعرفةً بحُسن تأَتّيك [١١] .

(وصف قناة السويس)

« للمرحوم أحمد شوقى بك » مخاطبا ابنَيه يومَ أنْ عبرَ قناة السّويس مُيَمما الأنْدلُس حِينما نَفثَتْه الأحكام العُرفيّة ، إبّانَ الحرب العَالَميّة

---

(١) الطعمة بالضم طريق الكسب وبالكسر هيئة الاكل والسير فيه . (٢) الظنين ـ المتهم (٣) أجزأ ـ أغنى (٤) فر الدابة ـ كشف عن أسنانها ليعرف مبلغ عمرها (٥) الذكاء ـ تمام السن واكتماله أوحدة الذهن (٦) الفرس القارح ـ الذى استكمل القوة باكتمال العمر ونظيره فى الابل البازل، والسن التى تنبت له عند قروحه تسمى قارحا وقارحة . والجملة كلها كناية عن استيفاء صفات الكمال (٧) يستعبد (٨) يقال هو مضطلع لهذا الامر وبه اذا كان قديرا عليه (٩) استقل بالحمل نهض (١٠) الارتياد ـ الطلب (١١) تأتى للامر ـ ترفق وأتاه من وجهه

يا ابنىَّ : القناة لقومكما فيها حياه ، ذِكْرَى إسماعيل وريّاه [١] ، وعُلْيا مفاخرِ دُنْياه ، دَولة الشّرق المُرَجّاة ، وسلطانُه الواسعُ الجاهْ ، طَريقُ التِّجارة ، والوسيلة والمَنارة ، ومَشْرَع [٢] الحضارة

تَعبرُانِها اليومَ على مُزْجاة [٣] ، كأنّها فُلْكُ النَّجاة . خرجت بنا بين طُوفان الحوادث ، وطُغيان الكوارث ، تُفارق برًّا ، مُغْتَصبهُ مُضَرِىٌّ [٤] الغَضْبَة ، قد أخذَ الأُهْبة ، واستَجْمعَ كالأسد للوَثْبة ، وتلاقَى بحراً جُنَّت جَوَاريه ، ونَزت [٥] بالشّرّ نَوازيه ، وتَمثّلتْ بُكلّ سَبيل عَواديه . مملوءًا ببغتَات الماء ، مُترعاً بفُجاءات السّماء ، من نُونٍ [٦] يَنْسِفُ الدّوارع ، أو طَيرٍ [٧] يَقذِفُ البيض مَصَارِعَ . فقلت : سِيرِى ، عَوّزتك بِوَديعة [٨] التّابوت ، وبصاحب [٩] الحُوت ، وبالحىِّ الذى لا يَموتُ . واسْرِى يا ابنة اليمِّ ، زِمامُكِ الرُّوح ، [١٠] وربّانك [١١] نوح ، فكم عليك من مَنْكُوبٍ ومجرُوح .

إنَّ للنِّفى لرَوْعة ، وإنّ للنّأى للوَعْة ، وقد جرَتْ أحكامُ القَضاء ، بأنْ نَعْبرُ هذا المَاء ، حِين الشّرُّ مُضْطرِم ، واليأس مُحتدِم ، والعَدوّ مُنْتقم ، والخصْم مُحتكِم وحينَ الشّامتُ جَذْلان مُبتَسِم ، يَهزأ بالدّمع وإنْ لم يَنْسَجِم [١٢] نفانا حُكّامٌ عُجْم ، أعوان العُدوَان والظُّلْم ، خلّفناهُم يَفرحُون بذَهب اللُّجْم ، ويمْرحُون فى أرسانٍ يُسمّونَها الحُكم ، ضربونا بسَيفٍ لم يَطبعُوه ، ولم يَملِكُوا أن يَرفَعُوه ، أو

(١) الريا — الرائحة الطيبة (٢) المشرع — المورد (٣) زجاه وأزجاه — ساقه وسيره
(٤) مضر — فخذ من أفخاذ العرب ينسب لمضر بن نزار وهذا التعبير مأخوذ من قول بشار
اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما
(٥) النزو — الوثب ، والنازية — حدة الرجل الوثاب الى الشر وجمعها نواز (٦) النون الحوت والمراد النسافة (٧) يريد بالطير الطيارات وبالبيض ما يلقى منها من مهلكات القذائف (٨) هو موسى كليم الله (٩) هو نبى الله يونس (١٠) جبريل (١١) الربان رئيس الملاحين وجمعه ربابين
(١٢) انسجم الدمع — سال

يَضَعُوه ، سامَحهم فى حقوق الأَفراد ، وسامَحُوه فى حقُوق البلاد، وما ذَنبُ السّيف إذا لم يَستَحْيِ الجلاّد ؟ !

مَاذا تَهمِسان ؟ كأنّى أسمعكما تقولان : أىّ شَئ بَداله ، على هذه الضّاحية [١] وَمَاذا شَجَا خَياله من هذه النّاحية ؟ وأىّ حسن أو طيب لِملْح يَتَصَبَّب فى كَثيب ماء عَكِر فى رمل كَدِر ؟؟

قناة حَمِئة [٢] ، كأنّها قناة صَدِئة ، بل كأنّها وَعبرِيها [٣] رمال ، بعضها مُتماسِك وبعضها مُنهال . وكأنّ راكب البحر مُصحِر [٤] وكأن صاحب البرّ مُبحر .

رُوَيْدَ كما : ليسَ الكِتابُ بزينة جِلده ، وليس السّيفُ بحلية غِمده . تلكَ التّنائفُ ، [٥] من تاريخكم صَحائف ، وهذه القفار ، كُتُب منه وأسفار . وهذا المجازُ هُو حَقيقةُ السيّادة ، ووثيقة الشّقاء أو السّعادة . خيطُ الرّقبة ، مَن اغتَصبه اختصّ بالغلبَة ، وَوَقَفَ للأعقاب عقَبة . ولوسكتُّ لَنطقتْ العِبر ، وأينَ العِيانُ وأينَ الخبر ؟

أنظُرا : تريَا على العِبَرين عِبْرَةَ الأيام ، حُصون وخِيام ، وجُنود قُعود وقِيام جَيش غيرنا فُرسانه وقُوّاده ، ونحنُ بُعْرانُه [٦] وعلينا أزواده ، [٧] دِيك على غير جداره خَلاَلَهُ الجوّ فصاح ، وكلبٌ فى غير داره انفردَ وراء الدّار بالنُّباح .

ألقَناة وما أدراكما ما القناة ؟ حظّ البِلاد الأغبر ، من التِقاء الأبيض والأحمر بَيْدَ أنّها أحلامُ الأُوَل ، وأمانِىّ الممالك والدُّول : الفراعِنة حاولُوها ، والبَطالسة

---

(١) الضاحية — الباديه وكل أرض بارزة للشمس (٢) الحمئة — التى فيها الحمأة أى الطين الاسود المنتن ، القناة الأولى الترعة والقناة الثانية الرمح (٣) عبر النهر — شاطئه (٤) أصحر سار فى الصحراء (٥) التنائف جمع تنوفة وهى المفازة (٦) البعران جمع بعير كأبعرة (٧) الازواد جمع زاد وهو الطعام

زاولُوها [١] ، والقيَاصِرة تَناولوها ، والعرب لأمر ما تجاهلوها [٢] ، إلى أن جرى القدَر لغايته ، وأتى « إسماعيلُ » بآيته ، فانفتح البرزخ بعنايته ، والتقَى البحرانِ تحتَ رايتهِ ، فى جَمع من التِّيجان لم يَشهده إكليلُه . [٣] قد كان يُتوَّج فيه لو شهِدْتهُ جيُوشه وأساطيله ، وَما إسماعيلُ إلا قَيصُر لو أنه وُفِّقَ ، والإسكندر لو لم يُخْفِق . تركَ لكم عزّ الغدِ وكنز الأبد ، والمَنْجِم الأحَد ، والوقف الذى إن فات الوالد فلن يفُوتَ الولد .

ماذَا على الرّمال ؟ من لمَحاتِ جلَال وجَمال ؟ ارجعَا القَهْقرَى بالخيال ، إلى العَصْر الخالى ، واعرِضا فى حَداثتها الأجيَال ، تَريا على هذَ المكان وُجُوهاتتمثّل وركاباً تَتَنقّل ، وتَريَا النُّبُوَّة تتهلّل ، والآيات تتَنزّل ، وتريَا المَلك يترجَّل ، حتى كأنّكما بالزمان الأوّل . فهَاهُنا وُضع للنبوّة المهد ، وابتدأ بهَا العهد ، فأقبل صاحبُ المقام ، ومحطِّم الأصنام ، وبنّاء البيت الحرام ، خَليل ذى الجلال والاكرام [٤]

هاجرَ إلى مصرَ أكرم من هَاجرَ . ثم انقلب منها بأمّ العرب هَاجرَ [٥] . ومِن هذه الثَنيّات طَلع يُوسُف يَرسُفُ فى القيد ، وهو للسيّارة صيد ، يَسير من كيد إلى كيد . قلبٌ جرَّحته الإخوة ، وجَنْب قرّحته النِّسوة . فيالك « يوسف » من أُسوة [٦] ، عزّ بعد هَون ، ودولة بعد المنزِل الدّون ، وشُئون أقدار وشُجُون ، وسُهول حياة وحُزون ، وَسجُوفُ القُصور بعد السجُون : إلى سُجود الشّمس لك والقَمر

---

(١) زوال الشئ — حاوله (٢) يروى أن هارون الرشيد فكر فى أن يصل البحرين بقناة وانه استشار يحيى بن خالد البرمكى فى ذلك فقال له : ياأمير المؤمنين « إن خرق السويس خرق فى الاسلام » فعدل عن رأيه . (٣) الا كليل — التاج (٤) هو خليل الله ابراهيم (٥) هى جارية مصرية أهداها فرعون الى السيدة سارة زوج سيدنا ابراهيم فوهبتها له فاستولدها اسماعيل جد العرب المستعربة (٦) الاسوة — القدوة ، وما يتاسى به الحزين أى يتعزى .

والكواكب الأخر .

و إلى هذا الفضاء خرج موسى حين زال زويله (١) وطلبه قتيله ، و زين له الفرار خليله (٢) فحوته هذه الرمال ، فاذا الأمن سبيله ، واليمن دليله ، والسلامة زاملته (٣) والسلم زميله . ولو أطلعه الله على غيبه ، لمس النبوة بين يده وجيبه إلى أن رفع له المنار ، واكتحل بالنور واقتبس من النار ، وقيل له : كن من الأحرار الأحبار ، وارجع فسلط الحق على فرعون الجبار . فكان عليه السلام أول من اقتحم على الفرد جبروته ، وهتك على المستبد طاغوته (٤) ، وخطم (٥) المتأله (٦) وحطم عظموته . ماء الحق على لطفه ، ظفر بنار الباطل على عنفه . ظهر العدل على الحيف ، وكسرت العصا السيف .

وعلى هذه الأرض مشت السماء (٧) الطاهرة ، والنيرة الزاهرة ، والآية المتظاهرة أم الكلمة (٨) وطريدة الظلمة . سرحوا فى عرضها ، فأخرجوها من أرضها فضربت فى طول الأرض وعرضها ، يوسف حاديها ، وجبريل هاديها ، والقدس ناديها ، والطهارة أرجاء واديها ، وعلى ذراعيها مصباح الحكمة ، وجناح الرحمة والإصباح من الظلمة ، حتى هبطت به أكرم الأديم (٩) فنشأ بين الحكيم والعليم

(١) زال زويله — فزع وحذر (٢) يشير الى ما كان من أمر موسى حين وجد قبطيا وإسرائيليا يقتتلان فاستنصره الاسرائيلى على القبطى فوكزه وكزه كانت القاضية فلما أصبح وجد الاسرائيلى نفسه يقاتل قبطيا آخر فاستغاثه فقال له موسى إنك لغوى مبين . ثم هم بنصرته على القبطى ظن أنه يريده بالاذى فصاح الاسرائيلى يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس فذاع أمره ولم يلبث أن جاءه رجل وقال له : ياموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين . فخرج الى بلاد مدين . (٣) الزاملة — ما يحمل عليه من الابل وغيرها

(٤) الطاغوت — الشيطان وكل رأس ضلال (٥) خطمه — قهره أو ضرب أنفه (٦) أراد بالمتأله المتكبر غير أن معناها اللغوى المتنسك المتعبد (٧) يريد السيدة مريم (٨) الكلمة سيدنا عيسى (٩) الاديم — وجه الارض

وترعرع حيث ترعرع بالأمس الكليم .

فيالك من دار لعبتْ على عرصاتها الأقدار ، ناوَيت [١] موسى القريب ، وآويت عيسى الغريب ، نبوت [٢] بالنبيّ ، وحبوْت الأمنَ عيسى وهو صبيّ . عُذرك لاتنضى [٣] اليه المطيّ ، فانّما غضبت لابنك القبطيّ .

ثم انظرا : ترَيا إبلا صعابا ، وخيلا عرابا [٤] ، وترَيا الرُّعاةَ [٥] انقضوّا على الوادى ذئابا ، فأخافوا القرَى الآمنة ، وأخرجُوا من مصر الفراعنة ، واستبدّوا بالمُلك فيها آونة ، وترَيا الوُحوش الضّارية ، والجوارح الكاسرة ، يقودُها شرّ الأكاسرة [٦] ، ملأت هذه الفجاج [٧] ، وكأنّها حرَجات [٨] السّاج ، أو حركات الأمواج ، ثم تدَفّقت تكتسح الدّيار ، باغية السّيف طاغية النّار ، تدكّ الهياكل والمعاقل ، وتهتِكُ العقائد والعقائل . وترَيا الإسكندر الكريم ، قد لمع كالصّارم من هذا الضّريم [٩] ، ويحملُ الحملات النّجائب ، ويفتح بالكُتُب والكتائب

وترَيا ابنَ العاص والصّحابة ، مروا من هذه الأرجاء مرَّ السّحابة ، يفتحُون للحقّ ويفتكون بالرّق ، حتّى أخلوا القُصُور من القياصرة ، وأراحُوا مصر الصّابرة من صلَف الجبابرة

وترَيا صلاح الدين يخفى كالبدر ويبدُو ، ويروح كالغيْث ويغدُو ، بُعوثٌ بلا عدَد ، ومددٌ إثر مدَد ، وذخائرُ وعُدَد ، وبُشْرى كلّ يوم بفتوح جُدد .

وترَيا نابليون قد ركب طَيشه ، وأركب الغرَر جيشه . وترَيا إبراهيم بن عليّ

---

(١) ناوأه وناواه عاداه (٢) نبا به المكان لم يوافقه (٣) انضى المطية — هزلها (٤) العراب من الخيل والأبل — العربية (٥) هم العمالقة الذين ملكوا مصر مدة من الدهر (٦) قميز (٧) الفجاج — الطرق الواسعة (٨) الحرجة — الشجرة الملتفة والساج شجر يعظم جدا ويذهب طولا وعرضا وله ورق عريض جدا (٩) الضريم — الرمل

مَشهورَ الجُراز ، مَوفورَ الجهاز ، ملكَ سُورِيةَ وضبطَ الحِجاز . وتَرَيا اسماعيل بعث الحاشِرين ، وحشَد الحافرين ، وقَرّب المسافةَ للمُسافرين . غيّرَ وَجه السّفر ، فقيل: بلغ غايةَ الظفر ، وقيل وَقَع الحافرُ فيما حفر .

ثُمّ انْظرُا اليومَ تَرَيا القَناة فى يَد القوم إنْ أَمِنُوا رَكزُوهَا ، وإنْ خَافُوا هَزوهَا

(وصف فرس)

قال محمد بن الحُسين يصِف فَرساً .

هوَ حَسنُ القَميص ، جَيّد الفُصُوص ، وَثيق القَصَب ، نَقيّ العَصَب ، يُبْصر بأُذنيه ، ويَتبوّع بيدَيه ، ويُداخل برِجليه ، كأنه مَوجٌ فى لُجّةٍ ، أو سَيلٌ فى حَدُور يناهب المَشى قبل أن يُبعث ، ويلحق الأرَانبَ فى الصَّعُوداء ، ويُجاوزُ جَوارى الظّباء فى الاستواء ، ويَسبق فى الحدُور جَرْىَ الماء . إنْ عُطِفَ جار ، وإنْ أُرسِلَ طَار ، وانْ كُلِّف السّير أمعنَ وسَار ، وإنْ حُبس صَفَن ، وان استوقَف قَطَن ، وان رُعِيَ أتَن ، فهو كما قال تأبّط شرًّا :

ويَسبق وَفْدَ الريح مِن حَيثُ تَنْتَحِي بِمُنْخَرَقٍ من شَدّة المُتدَارِك

(وصف العصا)

لقِيَ الحجّاج أعرابياً فقال : مِنْ أين أقبلتَ ؟ قال مِن البَادية قال : مَا بِيدِك ؟ قال عصاً أركُزُها لصلاتى ، وأُعِدُّها لعُداتى ، وأسوقُ بها دابّتى ، وأقْوَى بها على سَفَرى ، وأعتمدُ عليها فى مَشْيى ، لِيتّسعَ بها خَطْوى ، وأعبرُ بها النّهر فتؤَمّننى وأُلقِى عليها كسَائى فيسترُنى من الحرّ ، ويَقِينى من القرّ ، وتُدْنِىَ مابَعُدَ مِنّى . وهى محْمَل سفْرتى ، وَعلاقَة إداوَتِى [1] ومِشْجَبُ ثِيابى ، أعتمدُ بها عنـد الضِّراب ، وأقرعُ بها الأبواب ، وأتّقِى بها عَقُور الكلاب . تَنُوب عن الرُّمْح فى الطّعَان ،

(١) أداوة — وعاء ماء يتطهر به

وعن الحَرْبة عند مُنَازلة الأقران ، ورثتُها عن أبى ، وأُورثُها بَعدِى ابنى ، وأهشّ بها على غَنَمِى ، ولى فيها مآربُ أُخرى ، كثيرة لا تُحصَى .

(وصف كرة القدم لمؤلف الكتاب)

قاتلَ اللهُ الكُرةَ : مَا أعجبَ أمرَها . ومَا أدقّ سِرّها ، قد جمعت الأضدَاد واسترقّت النُّجَباء والأوغَاد . فهى كَبيرةُ الحَجم ، مُفوّقةُ الجِسْم ، لكنّها خَفيفةُ الوزن ، سَريعة الوَثْب . وهى نَاعِمة اللّمس . مَليحةُ الرّقص . لكنّها تَأبَى الوَخْز ولا تُطِيقُ اللّكز . وهى تَفِرّ من المُداعَبة والمُلاعَبة . ولكنّها لا تَملّ من ضرب ولا تَكِلّ من دَحرجة . وهى مَحبوبة مألوفة ، تنقل على الأيدى والأحضان ، لكنّها تُطرد بالأرجل والعصِىّ ، فهى عَزيزة ذَليلة ، حَقيرة جَليلة ، تُشبه القنَابل فى صُورها . . والدُّفُوف فى أصوَاتها . والطّير فى امتِطَاء الهوَاء . واختراق الفَضَاء .

﴿ وصف جيوش لابن الرُّومى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ﴾

وصارُفلان فى جُيوش ، عليهم أردِيَةُ السّيُوف وأقمصةُ الحَديد ، وكأنّ رِمَاحَهم قُرونُ الوعُول (١) ، وكأنّ أدراعهم زَبدُ السّيول ، على خيل تأكُل الأرض بحوَافرها وتمدّ بالنّقع سُرَادِقها ، قد نُشِرت فى وجوهها غُرر (٢) كأنها صحائف الرّق (٣) وأمسكها تحجيل (٤) كأنها أسورة اللُّجَيْن ، وقُرِطتْ عُذُراً (٥) كأنّها الشّنوف تتلقّف الأعدَاء أوائلها ، ولَم تنهَض أواخِرها ، قد صُبّ عليهم وقارُ الصّبر وهبّت معهم رِيحُ النّصر

---

(١) جمع وعل وهو تيس الجبل (تيس الشاة الجبلية) وقرونه طويلة (٢) جمع غرة وهى بياض فى جبهة الفرس (٣) الرق جلد رقيق أبيض يكتب فيه (٤) التحجيل بياض فى قوائم الفرس (٥) أى ألبست عذرا جمع عذار وهو ماعلى خد الفرس من اللجام

﴿ وصف الحسد للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ﴾

أَلحسدُ (أبقاك الله) داءٌ ينهك الجسد، عِلاجُه عَسِيرٌ وصاحبهُ ضَجِر، وهو بابٌ غامض [١] وما ظَهر منه فلا يُداوَى، وما بطَن منه فمُداويه فى عَناء. ولذلك قال النبىّ ﷺ « دَبّ [٢] اليكم داءُ الأُمم مِنْ قَبلكم الْحسدُ والبَغْضاءُ »

أَلحسدُ عَقيدُ [٣] الكُفر، وحَليفُ الباطل [٤] وضدّ الحقّ، منهُ تَتولّد العداوةُ، وهو سَببُ كلّ قَطيعة [٥]، ومُفرّق كلّ جَماعة، وقاطع كُلّ رحِمٍ مِنَ الأقرباء، [٦] ومُحدِثُ التّفرّق بين القُرناء [٧]، ومُلقّح الشّرّ بين الحُلفَاء [٨]

ووصف أيضاً أفضل الكلام — وقال.

أفضلُ الكلام مَا كان قليلهُ يُغنيك عَن كَثيره، ومعناهُ ظَاهراً فى لَفظه. وكأنّ الله قَد ألبسهُ من ثِياب الجَلالة، وغشّاه [٩] من نُور الحِكمة، على حسَب نيّة صَاحبه، وتقوى قائله - فاذا كان المعنَى شَريفاً واللّفظ بليغاً صَحيحَ الطبع بَعيداً من الاستِكراه [١٠]، مُنزّهاً عن الاختلال، مَصُوناً عن التّكلّف، صَنعَ فى القلوب صَنيع الغَيثِ [١١] فى التُّربة الكريمة، وَمتى فُصّلت الكلمة على هذه الشّريطة ونَفذت من قائلها على هذه الصّفة، كساها الله من التوفيق، ومنحَها من التأييد مالا يمتنعُ مِنْ تَعظيمها به صدور الجبابرة، ولا يذهَلُ عن فهمها معه عُقول الجَهلَة

﴿ وصف الشعراء المحدثين ﴾

قال ابنُ دُريد: سألتُ أبا حَاتم عن «أبى نُواس» فقال: إنْ جَدَّ أَحسَنَ، و إنْ

---

(١) أى مسلك خفى يعسر الخروج منه (٢) سرى فيكم (٣) أى معاهده ومحالفه (٤) ملازمه (٥) انفصال (٦) كل قرابة واتصال (٧) المناظرين (٨) مولد الشربين المتحالفين (٩) كساه (١٠) أى من اجبار الفكر (١١) المطر

هَزَلَ ظَرَف ، وإنْ وصفَ بَالَغ ، يُلقى الكلامَ على عَواهِنه لايُبَالِى مِنْ أيْنَ أخَذَ
قلت « فَبشَّار بن بُرد » قال : نظّار غوّاص مُطِيلُ مُجِيدٌ ، يَصِف مَالم يَرُه كأنَّه رآه
على أنّ فى شِعره خللاً كثيراً ـ قلت « فمَرَوَانُ بن أبى حَفْصَة » قال : شاعر رَاضٍ
عن نفسهِ يَستحسِنُ كلّ مَا جاء منهُ مُعجَبٌ ، لا يَرى أنّ أحداً يتقدَّمهُ ، كَثير
الصّواب ، كثير الخطأ ، لَيسَ لِشعره صَنعة .

قلت : « فمُسْلِمُ بنُ الوليد » قال : خَليج صَافٍ يَنزع من بَحر كَدرٍ . كالزّند
يُورِى تَارة ويَصلِد أُخرَى . قلت « فأبُو العَتَاهِية » قال : غُثاء جَمٌّ ، واقتِدَار سَهلٌ
وشعر كخرز الزّجَاج ، وربّما أشبَه اليَاقُوتَ والزّبرجد . قلت « فعبّاس بن الأَحْنَفِ »
قال : يُلقِى دَلوهُ فى الدّلاءِ فيغترفُ الصّفو أحيانا والحمأة أحيَانا ، على أنّ كدره
أكثرُ من صَفوه . قلت « فمُسلِم الخاسر » قال : مُقِلٌّ مَدّاح ، شعرهُ دِيباج وعهنٌ
يُموّه الرّدىء حتى يُشبهَ الجيّد . قلت « فأبو الشِّيص » قال : جدُّه كلّه فيه حَلاوة
وبَشاعة كالسّدرة التى نَفضت ، ففيها المُستعذَبُ والمُستبشعُ . قلت « فعلىّ بن جَبَلَة »
قال : بحّاث عن الكلام الفَخْم ، والمعنى الرّائع . لاينالُ مَرتبة القُدماء ، ويجلُّ عن
منزلة النّظراء . قلت « فأبو تمَّام » قال : سَيلٌ كثير الغَثاء ، غَزير الغَمار ، جمّ النِطَاف
فاذا صَفَا فهو السّلاف بالماء الزّلال . قلت « فعبدُ الصَّمد بن المُعذّل » قال : خرّاج
ولاّج ، يعتَسفُ تَارة ، وَيهتدِى أخرى . قلت « فعلىّ بن الجَهْم » قال : كلام رَصين
ومَسلكٌ وعْر ، عقَلهُ أغلبُ على شعره من طَبعه . قلت « فبكر بن النّطاح » قال :
تَشبَّه بالأعرَاب فأفرَط ، وتجَاوزَ حدّ المولّدين فأسهبَ ، فهو السَّاقط بين القريتين

﴿ ووصف ابن الأثير المتوفى سنة ٧٥٩ هـ أبا تمّام والبُحتُرىَّ والمُتَنبّى ﴾

قال : لقدْ وقَفتُ من الشّعر فى كلّ دِيوان ومَجموع ، وأنفذت شَطراً من العُمر

فى المحفوظ منه والمسموع ، فألفيته بحراً لا يوقف على ساحله . وكيف يحصى قول لم تحص أسماء قائليه ؟ فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثر فوائده ، وتتشعب مقاصده ، ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم ، فى اتباع من قصر نظره على الشعر القديم . إذ المراد من الشعر إنما هو إيداع المعنى الشريف ، فى اللفظ الجزل اللطيف ، فمتى وجدت ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل ، وقد اكتفيت من هذا بشعر أبى تمام ، والبحترى ، والمتنبى . وهؤلاء الثلاثة هم (لات الشعر وعزاه ومناته) الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين وفصاحة القدماء ، وجمعت بين الأمثال السائرة ، والحكمة الحكماء أما أبو تمام : فإنه رب معان وصيقل أذهان . وقد شهد له بكل معنى مبتكر . لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الإغراب ، الذى برز فيه على الأضراب . ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ، ولم أقل ما أقوله إلا بعد التنقير ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراض فكره برائضه ، أطاعته أعنة الكلام وكان قوله فى البلاغة ماقالت «حذام» فخذ منى فى ذلك قول حكيم ، وتعلم (ففوق كل ذى علم عليم) .

وأما البحترى : فإنه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى ، ولقد حاز طرفى الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينا يكون فى شظف نجد ، إذ يتشبث بريف العراق . وسئل المتنبى عنه وعن أبى تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحترى . ولعمرى إنه أنصف فى حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن البحترى أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلافة الماء ، فأدرك بذلك بعد المرام ، مع قربه إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى

فى مَعانيه بالنَّوادر الغَالية، ورقَى فى دِيباجة لفظه إلى الدّرجة العَالية . وأمَّا المُتنبيّ فانه أراد أن يَسْلُكَ مَسْلَكَ أبى تمَّام ، فقصُرت عنه خُطاه ، ولم يُعطه الشّعر من قِياده مَا أعطَاهُ ، ولكنّه حُظِى فى شِعره بالحِكَم والأَمثال ، واختَصَّ بالإبداع فى وصف مَواقِف القِتَال ، وأنا أقول قولا لَستُ فيه مُتأثّماً ، ولا منه مُتلثّماً ، وذاك أنه إذا خَاضَ فى وصف مَعركة كان لسانُه أمضَى من نِصالها ، وأشجعَ من أبطَالها . وقامت أقواله للسَّامع مَقَام أفعَالها ؛ حتى يظنّ أن الفريقين قد تَقابَلا ، والسّلاحين قد تَواصَلا فطريقهُ فى ذلك تَضِلّ بسَالِكه ، وتقوم بعُذر تَاركه ، ولاشكّ أنه كانَ يَشهدُ الحروب مع سيف الدولة فيصِف لِسَانه ، ما أدّاه إليه عِيَانُه ، ومع هذا فانى رأيت النَّاس عَادلين عن سُنن التّوسّط ، فإمّا مُفرِّط فى وصفه وإمّا مُفْرط . على أنّه إذَا كانَ انفردَ بطريق صَار أبا عذره . ولقد صدق فى قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة:

لا تَطلّبنّ كريماً بعد رُؤيته إنّ الكرَام بأسخَاهم يداً خَتمُوا

ولا تبالِ بشعر بعد شاعِره قد أُفْسِد القول حتّى أحمِد الصّممُ

(ووصف المفضّل الضبّى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ مروره ببعض أحياء العرب)

رَوَى المُفضّل الضَّبّى قال : نزَل علينا بنُو ثَعلبةَ فى بعض السِّنين ، وكنتُ مَشغوفاً بسماع أخبار العَرب وجَمعها ، فأخذت أَجولُ بين خِيَامهم ، وأتَحسّسُ من أحوَالهم ، وإذا أنا بامرأة واقفة فى فِناءِ خِبَائها ، آخِذَةٍ بيد غُلام قلّما رأيتُ مثلَه فى حسْنِه وجَماله ، وهى تُعاتبهُ بلسان رَطب ، وكلام عَذْب ، يَسترِقهُ السَّمع ويترشّفهُ القلب ، فكان أكثر ما أسمعهُ منها (بُنىّ - وأىْ بُنىّ) وهو يتبسّم فى وجهها وقد غَلَب عليه الحَياء والخَجل كأنّه من ربّات الحِجَال ، فلا يَحيرُ جَواباً ، ولا يُبدى خِطاباً ، فاستحسنتُ مَا رأيتُ ، واستَحلَيْتُ ما سَمعتُ ، فدَنوتُ فسلّمت ، فردّ

علىَّ السَّلام ، ووقفتُ أنظرُ إلى المرأة والغلام . فقالت لى : ياحضَرىُّ ماحاجتُك ؟ قلتُ الاستكثارُ ممَّا أسمعُ ، والاستمتاعُ بمَا أرَى ، فابْتَسمَت وقالت : يا هذا إنْ شئتَ سقُتُ إليكَ ما هوَ أحسنُ ممَّا رأيتَ . فقلت هَاتِ حفِظك الله . قالت : وُلد هـذا الغلامُ فكانَ ثالثَ أبويه ، فربِّى بيننا كأنّه شِبْلٌ . وكنتُ أقِيه بَرْد الشتاء وحرّ الهَجِير ، حتّى إذَا مَا تمَّت له خَمسُ سِنين ، أسلمتُهُ إلى المؤدِّب فحفّظه القرآنَ فتلاَه ، وعلّمه الشّعر فرواه ، ورغبَ فى مُفاخر قومه ، وَطلبَ مآثر آبائه وأجدَاده . فلمّا أن اشتدّ عَظْمُه وكمُل خَلْقه ، حملتُه على عِتاق الخيلِ فتفرّس وتمرّس ، ولبسَ السّلاح ومَشَى الخيلاء بين بُيوتات الحىّ ، وأصغَى إلى أصوات ذَوى الحاجات ، فأخذ فى قِرَى الضّيف و إطعام الطعام ، وأنا عليه وَجلة أحرسه منَ العيون أن تُصيبَه ، ومن الأَلسُن أن تعيبَه ، إلى أن نَزَلنا فى بعض الأيامَ مَنهلاً من المنَاهل بين أحياء العرب ، فخرج فِتيَان الحىِّ فى طلب ثأْر لهم ، وشاء الله تعالى أن أصابت الغـلام وَعكة شغَلتْه عن الخروج ، حتى اذا أمعنَ القومُ ولم يبقَ فى الحىّ غيره ، ونحن آمنون وادِعون ، فوربّك ماهو إلا أن أدبرَ اللّيل وأقبل الصّبح حتّى طلعت علينا طَلائع العدُوّ وغُرر الجِياد ثواراً لا زوّاراً ، فما كان إلّا هُنيهَة حتى أحرزوا الأموال ، وهو يَسألنى ما الخبر ؟ وأنا أستره عنه اشفاقاً عليه وَضنّاً به ، حتى اذا علَت الأصوات ، وبرّزَت المُخدّرات ، رَمى دِثاره وثَار كما يَثُور الضَّرغام اذا أُغضِبَ ، فأمر بإسراج فَرسه ، ولَبس دِرعَ حربه ، وأخذَ رُمحه بيده ، وركب حتّى لحق حُمَاة القوم وأنا أنظر اليه ، فطعن أدناهم منه فرمَى به ، ولَحق أبعدَهم فقتلَه . فانصرفت اليهِ وُجوه الفرسان ، فرأوه غلاماً صغيراً ، لا مدَد وراءه ، فحملُوا عليه ، فأسرَع يؤُمّ البيوت ، حتّى اذا خلّفهم وَراءه وامتدُوا فى أثره

عطف عليهم فقرّق شملهم وشتّت جمعهم وقلّل كثرتهم ومزّقهم كلّ ممزّق ومرق كما يمرق السهم من الرّمية ، وناداهم خلّوا عن المال فوالله لا رجعتُ إلاّ به، أو لأهلكنّ دُونه ، فتداعت اليه الأقران ، وتمايلت نحوهُ الفرسان ، وتميّزت له الفتيان وحملُوا عليه وقد رفعوا اليه الأسنّة ، ومالوا عليه بالأعنّة ، فوثب عليهم وهو يزأر كالأسد ، وجعل لا يحملُ على ناحية إلا حطّمها ، ولا كتيبة إلا هزمها ، حتى لم يبق من القوم إلا من نجا بفرسه ، ففاز بالأموال وأقبل بها . فكبّر القومُ عند رُؤيته ، وفرحُوا فرحاً عظيماً بسلامته . فوالله ما رأينا قط يوماً كان أصبح صباحاً وأحسن رواحاً من ذلك اليوم . ولقد سمعته ينشد فى وُجوه فتيات الحىّ هذه الأبيات

تأمّلنَ فعلى هل رأيتنّ مثله ... إذا حشرجت نفسُ الكمىّ عن الكربِ
وضاقتْ عليه الأرضُ حتى كأنّه ... من الخوف مسلوبُ العزيمةِ والقلبِ
ألم أعطِ كُلاً حقّه ونصيبه ... من السّمهرىّ اللّدْنِ والصّارم العضْبِ
أنا ابن أبى هند بن قيس بن خالد ... سليل المعالى والمكارم والسّيبِ
أبى لىَ أن أعطى الظّلامة مُرْهفٌ ... وطرفٌ قوىّ الظّهر والجوف والجنْبِ
وعزمٌ صحيح لو ضربت بحدّه ... شماريخَ رضْوى لانحطّطنَ الى التُّرْبِ
وعرضٌ نقىٌّ أتّقى أن أعيبه ... وبيتٌ شريف فى ذُرا ثعلب الغُلبِ
فان لم أُقاتلْ دُونكن وأحتمِى ... لكُنَّ وأحميكُنّ بالطّعن والضّرْبِ
وأبذل نفساً دُونكنّ عزيزة ... علىّ لأطراف القنا وظُبىَ القضبِ
فلم تصدق اللاّتى مشين الى أبى ... يُهنّئْنه بالفارس البطل النّدبِ

(وصف نهج البلاغة للامام المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ)

أوفى لى حكم القدر بالاطّلاع على كتاب (نهج البلاغة) صدفةً بلا تعمّد ،

أصبته على تَغيّر حال ، وتَبلبُلُ بال ، وتزاحم أشغال ، وعطلة من أعمال ، فحسبته تسلية ، وحيلةً لِلتّخلية ، فتصفّحت بعضَ صفحاته ، وتأمّلتُ جُملا من عباراته من مَواضعَ مُختلفات ، ومَواضيعَ مُتفرّقات ، وكان يُخيَّل لى فى كلّ مقام أن حرُوباً شَبّت ، وغاراتٍ شُنّت ، وأنّ للبلاغة دَولةً ، وللفصاحة صَولةً ، وأنّ للأوهام عرَامة (١) وللرِّيب دعَارة (٢) ، وأنّ جحافلَ الخطابة ، وكتائب الذّرابة ، فى عُقود النّظام ، وصُفوف الانتظام ، تُنافح بالصّفيح الأبلَج (٣) ، والقويم الأملج (٤) وتَمتلجُ (٥) المهُج ، بِروَائع الحُجج ، وتفُلّ دَعارة الوَساوس ، وتُصيب مَقاتل الخوَانس (٦) ، فما أنَا إلاّ والحقّ مُنتصر ، والباطلُ مُنكسِر ، ومَرَج الشّكّ فى خُمود . وهَرَج الرّيب فى رُكود . وأن مُدبّر تلك الدّولة ، وباسل تلك الصّولة هو حَامل لِوَائها الغَالب ، أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب ، بل كنت كلّما انتقلت من موضع الى موضع أحسُّ بتغيّر المشاهد ، وتحوّل المَعاهد ، فتارةً كنت أجدُنى فى عَالَم يَعْمُره من المعانى أرواح عالية ، فى حُلل من العبَارات الزّاهية ، تَطُوف على النّفوس الزاكية ، وتدنُو من القلوب الصّافية ، تُوحى اليها رشادها ، وتُقوّم منها مِنادها ، وتنفُر بها عن مداحض المزَالّ ، الى جوَاد الفضل والكمَال ، وَطوراً كانت تَتكشّف لى الجُمل عن وُجوه بَاسرة ، وأنيَاب كَاشرة ، وأرواح فى أشباح النُّمور ، ومخَالب النُّسور ، وقد تحفّزتْ للوثَاب ، ثم انقضّتْ للاختِلاب ، فَخَلَبتْ القلوب عن هواها ، وأخذَت الخواطر دون مَرْمَاها ، واغْتالت فاسد الأهواء ، وباطل الآراء . وأحْيَاناً كنت أشْهد أن عقلاً نُوارنياً ، لا يُشبه خَلقاً جسدانياً

(١) العرامة الشراسة (٢) الدعارة سوء الخلق (٣) الصفيح السيف والابلج اللامع البياض (٤) الرمل الاملج الاسمر (٥) تمتلج تمتص (٦) الخوانس خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء

فُصِل عن الموكب الالهىّ . واتّصل بالرُّوح الأنسانىّ ، فخلَعه عن غَاشيَات الطَّبيعة وَسما بهِ إلى الملكوت الأعلى ، ونَما بهِ إلى مَشهد النّور الأجلى ، وسكنَ بهِ إلى عَمار جانب التّقديس ، بعد استخلاصه من شَوائب التّلبيس ، وأنّات كأنّى أسمع خطيبَ الحِكمة . يُنادى بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الأُمة ، يُعرّفهم مواقعَ الصّواب ويُبصّرهم بمَواضع الارتياب ، ويُحذّرهم مَزالق الاضطراب ، ويُرشدُهم الى دقائق السياسة ، ويَهديهم طريق الكياسة ، ويرتفع بهم الى مَنصّات الرّياسة ، ويُصعدهم شرف التدبير ، ويُشرف بهم على حسن المصير .

(وصف حفلة للمرحوم محمد بك المُويلحى المتوفى سنة ١٩٣٠ - م)

لو كان لّيالى لسانٌ ينطق بالفَخَار . وَجنانٌ يجرَى بنظْم الأَشعار . لأَنشدتْ لَيلةُ الحفلة (الخديويّة) قصيدةً تسجّل لها فى ديوان العُصور والدُّهور . ما لم تبلُغه ليلة قبلها فى تكامُل الفَرح والسُّرور . ولو كان الدّهر يُفصحُ لنا يوماً عن انشراحه وابتهاجه ، لأَنبأَنا بأنّه ادّخرَها غُرَّةً لَجبينه ، ودُرَّة لتَاجه .

لا زالت أيام الجناب العَالى ولَياليهِ مُشرقةً بالسّعد والهناء ، متألّقة تألّقَ البُدُور فى أُفق السّماء .

﴿ ووصف أيضاً متحفاً من مقامة له ﴾

قال عِيسَى بن هِشَام : زَايَلْنا الأهرام وخلّيْنَاها ، تَندُبُ من شَادَها ، وتَنْعى مَنْ بنَاها ، وملْنا إلى دار التُّحَفِ ومُستودَع الآثار لمُشاهدة ماحفظتهُ لنا من صُنوف الطّرَف وعُيونِ الأخبار ، وما أخرَجتْهُ الأيام من عَالَم الخَفاء إلى عالَم الظُّهور ، بعدَ أن كان سِرًّا مكتوماً فى خَواطر العُصور والدُّهور ، وما صَانتهُ بطُون القُبور من الفَنَاء والدُّثور ، وَحمتْه أحشاء الرُّمُوس من العَفَاء والدُّرُوس ، وما أخبتْهُ أرحَام المعابد

والهيا كل من بقايا الماضين وخبايا الأوائل ، وما انكشفت عنه سجوف الأحقاب وديعة الأسلاف للأعقاب ، من مكنون الدفائن ومكنوز الخزائن ، وعجائب الفن الدقيق ، وبدائع البدع الأنيق ، وغرائب الصنع العتيق ، بليت فى اصطحابها بطون الأيام والليالى ، وانحنت فى احتضانها ظهور العصور الخوالى ، وانقلبت البحار وهاداً ، وأصبحت الوهاد أطواداً ، وغدت الأغوار أنجاداً ، وأضحى العمار خرابا والخراب عماراً ، والغمار سرابا ، والسراب غماراً ، وتمدينت بواد ، وتبدت مدائن (١) ، وبادت مواطن وقامت مواطن (٢) ، ومضت دول بعد دول ، وذهبت أول إثر أول ، وبدت أحوال وحالت ، وظهرت أعمال وزالت ، وهى هى كما تركها أهلها ، مصون وضعها ، محفوظ شكلها — خبر صادق ، ولسان ناطق تخبر بالعبر ، وتحدث عمن غبر .

مضت غبرات العيش وهى غوابر على الدهر مكتوب عليها حبائس

(وصف الفونغراف « الحاكى » للمرحوم مصطفى بك نجيب المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ)

مثال القوة الناطقة ، من غير إرادة سابقة ، يقتطف الألفاظ اقتطافا ، ويختطف الصوت اختطافا ، مطبعة الأصوات ، ومرآة الكلمات ، ينقل الكلام من ناحية إلى ناحية ، نقل كلام عمر رضى الله عنه إلى سارية (٣) ، أشد من الصدى فى فعله ، فى إعادة الصوت على أصله ، كأنه الحروف عن يد الطابع ، والوتر عن يد الضارب ، والقصب عن فم القاصب ، يحفظ الكلام ولا يبيده ، ومتى استعدته منه يعيده ، من غير أن يبقى لفظاً فى صدره ، أو يكتم شيئاً من أمره ، كأنما حفظ

---

(١) البادية — الصحراء (٢) مواطن — الأولى جمع موطن أى مكان الانسان ومقره ومواطن الثانية — مشاهد الحرب (٣) ابن زنيم الذى ناداه عمر رضى الله عنه على المنبر

الوَديعة ، فى نفسه طَبيعة ، فلو تقدّم لهُ الوجودُ فى مَرتبة الزمن لما احتَجنا فى الاخبار إلى عَنعنَة ، (١) ولاَ فى الدّعاوى إلى بَيِّنَة ، بل كان يُسْمِعُنا كلامَ السّيد المسيح فى المَهد ، وصَوت عَاذرَ (٢) من اللّحد ، وكانت استَوْدَعتْه الفلاسِفة حِكمتهم ، وأنشَدُوه كلمتهم ، فرأينَا به غَرائب اليُونان ، و بدائع الرُّومان ـ و رُبما سَمعنا خُطَب سَحْبان وشِعرَ سيّدنا حسَّان بذلك اللّسان وأصْبَح وجود الإنسان غيرَ محدُود بزَمن من الزّمان . لله دَرُّه من تلميذ يَستوعب ما عنـد المُعلم ، وَيستخلصُه فى لحظة مُعيداً لقوله ، ناقلا لصوته ولفظه

لقدوَجدتُ مكانَ القول ذا سَعَةٍ فإن وجدتَ لساناً قائلاً فقُل

نديم ليس فيه هَفوةُ النّديم ، وسمير لا يُنْسَبُ اليه تقْصير ، تُسكتُه وتَستعيده وتَذُمّه وتستَجيدُه ، وتَنقُصه وتَستزيده ، وهو فى كلّ هذه الأحوال ، راضٍ بما يُقال ، لا يَكِلّ من تحديث ، ولا يَملُّ من حديث ، نمّامٌ كما يَنمّ عليك ، وينقُلُ لغيرك كما يَنْقُلُ اليك ، فهوَ المصوّرُ لكلّ فنٍّ ، المُتكلّمُ بكلّ لُغة ، المُحدّث عن كلّ إنسان ، المؤرّخ لكلّ زَمان ، الشّاعر النّاثر ، المُغنّى العَازف ، لا تُعْجزه العبارة ، ولا يُجْهدُه الأداء ، ولا يَضرُّهُ اختلافُ شكل ، ولا تَبايُنُ أصل ، بل تعدّت شِدّة حِفظه البَشريةَ من اللّغات ، إلى حفظ أصوات العجْماوات ، إلى حَركة اصْطِكاكِ الجمَادَات .

﴿ ووصف أيضاً نظارة ويشكر من أهداها ﴾

وردَ الكِتابُ المُطَرَّزُ بُحلَى الكَرَم ، المُحلّى بجَميل النِّعم . واستلمتُ الهدِيَّةَ

---

(١) مراده الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم التى تروى عن فلان عن فلان (٢) هو الذى أحياه عيسى عليه السلام

فسلمتْ يدٌ أهدتها، وحُفظتْ السجايا التى لمحاسن الأعمال هَدَتْها. ودامت رحابٌ لمثل هذه الحسنات فيها مجال، وللمحسنات بهاء وجمال. وللآمال محطّ رحال، وللمقاصد كعبةُ إقبال: وطابت نفسٌ تعالى الله أن تماثلها نفسُ عصام، فانها نسخت آية الكرِّ والإقدام؛ بآية الجود والإكرام، وفعلتْ فى القلوب بالعطاء والنوال، ما قصرت عنه الرماحُ الطوال — وتأملتها فأرتنى مالاَ عينٌ رأتْ وأظهرتْ من محاسن المناظر ما أعمرت، وقربت كلّ منظور بعيد، وتلت «فكشفنا عنكَ غطاءك فبصرُك اليومَ حديد» وصفا وقتى بصفائها، فلم أشته شيئاً الاجمعتْ بينهُ وبينى، وصحّ علينا قولُ القائل «رأيتُ بعينها ورأتْ بعينى» ثمّ سرّحت نظرى فى الأطلال والرسُوم، حتى نظرتُ نظرة فى النجوم، فلمْ تُخفِ عنّى شجراً ولا مدراً، ولا نجماً ولا قمراً.

يزيدك وجهُها حُسناً اذا ما زدته نظراً

ببهاء يُخيَّل لى أنها صيغتْ من ضياء، فلا عيبَ فيها غير أنّى نظرتُ بها فى سماء فضلك الباهر، وأفق شرفك الطاهر، فلم ينكشف لى بها لجودك آخر لازال كرمُك بعيداً حدُّه على كلّ ناظر وباصر، وفضلُ منا هلك غاية تقصدُها الأوائل والأواخرُ.

(وصف سان استفانو باسكندرية لمؤلف الكتاب)

كتابى والقلمُ فى البنان، يُسطِّرُ ما يُمليه الجنان، عن محاسن ذلك المكان، المشهور (بسان استفان) هناك ترى البحرَ كالمرآة تمثّلتْ فيها السماء، فكأنما الماء سماء والسماء ماء، وتخالُ الشاطىء مرتعاً للظبيات الآنسات، أو سوقَ جمال تُباع فيه القلوبُ على الغانيات

هُناك الشّبيبة واللّعب ، والزّهْو والطّرب ، وقد اعتلّ الصّبا ، وصحّ الصِّبا. حُورٌ وولدان يمرحُون بنشاط الشّباب ، ويتهادَوْن بنشوة الدّلال والإعجاب فمن « غادَات » رَوائحُ غادِيات ، قُدُودهُن الرّماح الطّاعِنات ، ولحاظُهنّ القلاتلات المُحيِّيات .

ومن « ولْدان » يلعبون بالكُرَة والصّوْلجان ، فالكُرة قلبُ المُحبّ المُتيّم ، والصّوْلجَان الذى يَدْفعُها شوَق العاشق المُغْرَم ، هُناك نغمَات الأوْتار ، تدعُو الى اغتِنَام الأوطار ، تُهدى الارْتياحَ الى الأرواح ، وتُبْدِل الأفراح من الأتراح هُناك الكؤوسُ على قُطْب الخلاعة تدُور ، فهى برَشفَاتها الثغور ، وبنُورها البدُور ، تَشْرُقُ من الحنان ، وتَغرُبُ فى أفواه النُّدْمان ، فيعلُو الوُجوه الشَّفَق ، فتبارك المُبْدِعُ فيما خلَق .

هُناك فريقٌ من أهل الهوَى ، حُلفَاء الأسى والجوَى ، يَختلِسُون النَّظرات وتحتها سِهَام صَائبات ، تَقصدُ قلوبهم ولا راحِمَ لهم ، يُنادون مَن يُحبُّون فلا يُجابون ويَتذلَّلُون لعزّ الجمال على أنّهم لا يُحابون ، يتمنَّون الرِّضا بعد الهَجْر ، وحلْوَ اللِّقا بعد الصّبر ، وفريقٌ آخر قد وَافاهم السّعد فنالوا الأمانِى ، تَعلو وُجوهَهم نَضرَةُ النعيم بما نالُوه من إشارةٍ أو تَسلم ، يتبادلون التحيّات بالحواجب ، ويُشفقُون على القُلوب فيضعُونَ الأيدِى فوقَ التَّرائب ، حتى إذا اللّيلُ سَجَا ، وسترَهم رِداءٌ من الدُّجى يَتلاقُون الى جَانب اليَمِّ ، ويَتهامسُون والفمُ قريبٌ من الفَم ، تَراهم على الأرائك جَنباً بجنب ، وعُنقاً على كتف ، مُبتعدين عن العيُون هُنا وهُنا ، وقد بلَغُوا الآرابَ والمُنى ، يجتَنون الثَّمرَ من السَّمر ، ويَلثُمون الرّاحَ بالرّاح ، ولا يَزالون فى مَسرّة وهَناء ، وأنسٍ وصَفاء ، حتى يُنادِى مُنادِى المَوائد بحَىّ على شَهىّ الطّعام ، وهلُمُّوا

الى رَائق المدَام ، فيجلسُون مَثْنَى وثُلاث ورُباع ، محفوفين بيَانع الأزهار ، مُستَضيئين بأزْهَى الأنوَار ، والغِلْمانُ عن يَمينهم وشمَالهم قَائمون بحوَائجهم ، وهم فى لِبَاسهم كأقمار ، وفى خِفّتهم كلمح الأبصار ، فيأكلونَ ويَشربون ، ويَضحكون ويَلعبون بين نَغَمة بالحديث الرّخيم ، ونَشوة المُدَام القَديم ، حتى إذا أخذَتْ كلُّ حاسّة حظّها ، وتلَجْلَجتْ الألسنةُ فلا تَفهم لَفظَها ، هنالك تَراهمُ كسِرْب الظباء رَائح وغاد ، هذه مَائلة وهـذا مُتهاد ، الى أن يَتمشّى النّوْمُ فى الجُفون ، فتذبلُ العيون فينصرفون الى المَنام ، ويحلُمون بلذيذِ الأحلام ، بعـدَ أن يَتعاهدُوا على الاوْبة ويُحسنُوا الخِتَام بالتّوْبة .

﴿ وصف الشمس ﴾

ألشمسُ كوكبٌ مُضىءٌ بذاتِه . وهى أعظمُ الكواكب المَرْئيَّةِ لنَا مَنظراً ، وأسطعُها ضَوءاً ، وأغزرُها حَرارةً ، وأجزلُها نفعاً للارض التى نسكنُها ولكثير من أخواتِها ، سيارات الشمس وبناتِها .

والشمسُ كرةٌ مُتأجِّجَةٌ ناراً ، حَرارتُهـا أشدُّ من حَراةِ أىّ ساعورٍ [1] أرضىّ . ويَبلغُ ثِقْلُها ثلثمائةِ وزْنٍ من ثِقْلِ الأرض ، وهى أكبرُ منها جِرْماً بثلثمائة ألف وألف ألف مرّةٍ

وتَدورُ الشّمس على مِحْورِها من الغرب إلى الشّرق مرةً واحدةً فى نحو خمسة وعشرين يوماً . وتبعُدُ عنّا بنحو اثنين وتسعين ألفَ ألف مِيل وخمسمائةِ ألف مِيل وهى مع كلّ هذا العِظَمِ الهائل لا تُعَدُّ فى النّجوم الكُبرى ، بل إنّ أكثرما نُشاهد من النّجوم الثّابتة شموسٌ أكبرُ من الشّمس بألوف الأُلوف ، والشّمس بسيَّارتها

(١) الساعور النار نفسها أو موقدها

تابعٌ من توابع أحدِها .

وسطحُ الشمسِ مَهَبُّ عواصفَ وزوابعَ نيرانيةٍ شديدةٍ ، تثيرُ فى جوّها أشواظة (١) هائلةً ، تندلعُ (٢) ألسنتها المتأججة عن محيط كرتها أميالاً . وقد وصفَ بعضُ العلماءِ لهباً ارتفع منَ سطحها لأوّلِ وَهْلةٍ نحوَ أربعين ألفِ ميل فى الفضاءِ . ثم ازدادَ بريقاً وتألقاً (٣) ، ثم ارتفعَ بعدَ نصف ساعة إلى خمسين وثلثمائةِ ألف ميل ، ثم جعلَ يضؤلُ ويضعفُ ، فلم يمضِ ساعتان حتى اضمحلَّ اضمحلالاً غيرَ أن ما وصفَه هذا العالم ليس إلاَّ من قبيل النّوادر ، ولكنَّ ارتفاعَ اللّهبِ نحوَ مائةِ ألف ميل ليس بغير العادى . وكثيراً ما تبلغُ سُرعةُ اللّهب مائةَ ميل فى الثانية وأكثرُ مادّةِ الشمس من عُنصرِ المُحْذِى (الإيدرُجين) المتّقد

وبرصدِ الشمس مراراً بالمِرْقَبِ المُغَشَّى بالسّوادِ شُوهدَ فى صفْحة قُرْصِها نُكتٌ سودٌ ، وكلفٌ يُشوّهُ مُحيَّاها ، كأنما هى كُرةٌ سوداء الباطن غُلِّفتْ بسطحٍ ساطعٍ من الصعّادات يتخلّلُه نقبٌ يظهرُ تحتَها السّوادُ . ولا تزالُ حقيقةُ هذه البُقَعِ موضوعَ البحث والتّعليل عند الفلكيين ؛ ومن تنقُّلِ هذه النكت عرفت دورتها على محورها

وللشّمس سيّاراتٌ أو أبناءٌ انفصلتْ منها منذُ أزمانٍ سحيقة ، علِمَ منها الى الآن نحوَ ثمانيةٍ ، هى على ترتيب الأقرب منها فالأقرب : عُطارد . فالزُّهرة فالأرض ، فالمرّيخ . فالمُشترى . فزُحَلُ . فأُرانوس . فنبتُونُ . ولم تُعلَمْ كُلُّ شُؤُونِ هذه السّياراتِ حق العلم ، وإنما ألَمَّ العلماء بمعرفةِ موادّها وكثافتها وأبعادها ،

ولكنّ أمْرَ الحياة فيها لم يزلْ مُبْهَماً مُستغلقاً - اللهُمّ الا فى الارض وقمرِها

أمّا مِقدارُ النِّعم التى سخرها اللهُ لنا بوُجود الشمس فمِمَّا لا يُحصيه العدّ ، فهى

(١) الشواظ اللهب (٢) اندلع اللسان خرج من الفم (٣) تلالؤاً

مَبْعَثُ حياتنا وحياة الحيوان الذى يعيشُ معنَا ، ومَصدرُ نُورنا ونارنا وحرِّنا وبرْدِنا ، وهى التى تُحيلُ مياهَ البحار بُخاراً ، وتُقِلُّها فى الجوِّ غُيوماً ، وتُنزِلُها على الأرض أمطاراً ، حيثُ تجرِى جداولَ وأنهاراً ، فتَروى زَرْعنا ، وتُنْمِى غِراسَنا وتُثيرُ الرِّياح ، وتُطلِعُ الأنواء ، وتُزْجِى (١) السُّفُنَ والبواخرَ فى عُباب الماءِ وتَدفَعُ القُطُراتِ الحديديةَ ، وتُديرُ الآلات البُخارية ، وتُنيرُ المصابيحَ الدُّخانية والزّيتيّة إذْ ليس الفحمُ الحجرى والزيت الأرضىُّ إلاَّ حرارة نارها المُدَّخَرَة مُنذُ قديم الدّهور ، لينتفعَ بها أحياءُ هذه العُصور ، وما النهار المُبصِرُ ، والليلُ المظلِم الا آيتانِ من آيات اللهِ المسخَّرة لنا بتَسخير هذا المخلُوق العَجيب : ففى النّهار نَسعَى فى مَنَاكب الأرض لابتغاءِ رِزْقنا ، وتَدبير معَاشنا ، وتَنظيم شُؤون حياتنا ، ونُسبّح بحمد ربّنا ، ونَعتبرُ بآثار مَن سبقَنا ، وفى الليل نسكُن لإراحة أبدَاننا ، واستجمام (٢) قُوانَا ، واستيفاءِ حظّنا من النَّومِ الذى به نستديمُ صحّتنا ، ونستعيضُ ما فقدناه بأعمالنا ، وننظرُ فى مَلكوتِ السّمواتِ وماخلقَ اللهُ من شىءٍ فى حركات الكواكب وانتقالها ، وبَديع صُورِها وألوانِها ، فتَعنُو وجُوهُنا ، ويَتضاءلُ كِبْرِياؤُنا ، أمامَ قُدْرة خالِقنا العظيمِ ، فسُبحانه من إلهٍ حكيمٍ .

ومَا الألوانُ التى نَراها فى نَوْر الأزهار ، وريش الأطيار ، ونفائس المصنُوعات إلا أثرُ وُقوعِ أضوائِها على هذه المرئيّات وانعكاسها (٣) على أبصارنا ، فإنّ نُور الشّمس الأبيض مؤلّفٌ من سبعة ألوانٍ أصليّة (٤) تَنشأ منها كلُّ الألوان الفرعيّة وهى — الأحمرُ ، والبُرْتقالىُّ ، والأصفرُ ، والأزرق ، والأخضرُ ، والنيلَجى

---

(١) تسير (٢) استجماع (٣) انعكس معطاوع عكس كما فى الاساس (٤) أمكن ارجاع هذه الالوان فى الصناعة الى ثلاثة

والبَنَفْسَجيُّ . فمِن الأجسام مالا يمتص شيئاً من هـذه الألوان ، بل يعكِسُها كلّها على العين ، فيبدو أبيضَ ناصعاً كزهرةِ الياسمين ، ومنها ما يمتصُّ بعضها ويعكِس باقيها ، فيتلوَّن بلونِ مايعـكِسُ منها ، فأذا أبصرتَ ورقةَ الشجر خضراء عرفت أنها اختزنت من ضَوْءِ الشمس ستّة ألوان ، ورَدَّت الى عينيك سابعها ، وهو الأخضر لأنّ فيما ادّخرَتْهُ نفعاً لها ، وليسَ بها الى مالفَظَتْهُ افتقارٌ ، ومنها ما يردُّ لونين أو أكثر ، فيبدو لونهُ مَزيجاً بين هذه الألوان السّبعة . وهـذه الألوانُ من عجائب صُنع الله فى الأرض لتميز بعضها من بعض ، فقـد يتماثلُ الشّيئان شكلا ، وحَجماً وصَلابةً ، ولِيناً ، وشماً ، ثم لا يتباينانِ إلا من حيثُ اللّونُ فيكونُ اللّون آيةَ تبايُنهما ، وأكثرُ ما يكون ذلك فى الأزهار .

وتنوُّعُ الألوانِ هو السِرُّ فى جمالِ المرْئيَّاتِ من مَشاهِدِ الطّبيعةِ وبدائع الصّناعة ، وإنّ أعظم المُصوّرينَ وأمهرَ النقّاشين لم يُبرِّزوا على غيرِهم ، ويدلُّوا على ذكائِهم ونُبوغِهم إلاَّ ببراعتِهم فى مُحاكاةِ ألوان الطّبيعة المؤْتلفةِ ، وأشكالها المُتجانسة ، وإنّما يتمُّ لهم ذلك اذاعرَفوا كيفَ يمزجُون من الأصباغ مايستخدِمون به ألوان النُّور خيرَ استخدامٍ ، ويَنتفعونَ بهِ أحسنَ انتِفاع . وقد سَخَّرَ علماء الطبّ تبايُنُ الألوانِ فى كشفِ النِّقابِ عن حقائق الجراثيم ، فإنَّ منهـا ما لا يتّضحُ للعين فى المِجْهرِ إلا اذا أُلْقِيَ عليه صِبْغٌ خاص يُؤثّرُ فيه لونُه فيُصبغُ به .

ولأمواجِ الشّمس الضّوئية سُرعة معلومةٌ تَسيرُ بها ، فاذا انخفضتْ هـذه السُّرعة عمّا هى عليه لم تَعُد العينُ قادرةً على رُؤْيَتِها ، لأنّها تستحيلُ الى مظهرٍ آخرَ غير مَظْهرِ الضّوء والحرارة ، وليس يُنكرُ مالِلضّوءِ والحرارةِ معاً من الأثرِ الحسَن فى تنقية المساكن مما يقطُنها من الجراثيم القتّالة والعفَن المُضْنى . ولذلك قيل

إنّ الدّار التّى تدخلُها أشعةُ الشّمس لا يدخلُها الطّبيبُ .

﴿ وصف القمر ﴾

ألقمرُ أجملُ الكواكب صُورةً ، وأبينُها منظَراً ، وأسهلُها رَصداً ، وأكبرُها فى رأْىِ العيْن بَعْدَ الشمس جِرْماً .

وهو سيّارٌ كُرِىٌّ أصغر منَ الارض بِنَحْوِ تسعٍ وأربعينَ مرّة . انفصلَ منها زَمَنَ التّكوين ، وصارَ تابعاً لها ، طائفاً حَوْلها ، مُستمدًّا نُورَه من الشّمس مثلَها دائراً حَوْلَ الشمس معَها ، غيرَ أنّ طَواف الأرض بقمرِها حَولَها يتمُّ فى سنةٍ شمسيّةٍ ، وطَوافُ القمر حوْلَ الأرض يتمُّ فى شهْرٍ قمرىٍّ : أى مُدّة تسع وعشرين يوماً ونصف يوم تقريباً . ومع أنهُ خاضعٌ لنظامِ الأرض لا يقلُّ بُعْدُه عنها عن واحد وعشرين ألفاً ومائتىْ ألفِ ميل .

والذى يَسترعِى أنظارَنا كما استرعَى أنْظارَ مَنْ قبلَنا اختلافُ أشكالِه وتَعدُّد مَطالعِه ، ممَّا جعلَه مَبْعَثَ تَخيُّلِ القُدَماءِ ، ومَثارَ تفكّرِ الحكماء ، ومَقصِداً لعبادَةِ الجُهلاءِ ، فتراهُ يلوحُ ليلةَ أوّلِ الشهر إثْرَ غروب الشمس ضئيلا مُقوَّساً ، لا يلبثُ أن يغرُبَ ويغيبَ فى شفَقِ الشمس ، ثم يُهلّ فى الليلة الثالثة أبيَنَ صورة وأبْقَى زمناً لازدياد تأخرِه فى الغروب عن الشمس ، ولا يزالُ نورُه فى تزايدٍ ومَطالعُه فى تقدُّمٍ نحوَ المشرق ، حتّى يطلُع من المشرق فى اللّيلة الرابعةَ عشرةَ عند غروب الشمس بدراً كاملاً ، بَهِىّ الطلعةِ باهرَ الأنوار ، فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين

ولكنَّ الكمالَ لِلّه وحدَهُ ، فإن مُنتهَى الزِّيادة مُبتدأُ النّقْصِ ، ففى اللّيلة الخامسةَ عشر يتأخّرُ طلوعُهُ من المشرق ، وينقُصُ من حافةِ نورِه التى كانت موضعَ هِلاله الأوّل زيقٌ لا يُشعَرُ به إلاّ فى اللّيالى التّالية ، ولا تزالُ مَطالعُه فى تقهقُر

ونورُه فى تناقُص حتى قُرْبِ آخر الشهر ، فيُشْرِق قُبَيْلَ الفجْرِ هِلالاً ضئيلا يكادُ يكونُ مَقلوبَ الهلال الأول ، وفى اللَّيلة الأخيرة يكونُ عندَ الصباحِ فى الأُفق الشرقىّ مُظلِماً لا يُرى منه شىءٌ ، وهى ليلة المُحَاقِ أو السِّرارِ ، ويَظَلُّ بَعضَ النَّهار كذلك . ثم يتولَّدُ هلالُه الجديد ، ولكنَّه لا يَظهَرُ إلاَّ بعدَ أن يغيبَ قُرْص الشمسِ ، فيلوحُ هلالُه ثم يَختَفِى كما قدمنا .

وعِلةُ ذلك : أن نُورَ القمر كنور الأرض مُستفادٌ من الشمس ، وهو لا يُقابلُ الأرض إلاّ بوجهٍ واحد لا يتغيّر ، وهذا الوجهُ بالنِّسبة إلى حركتِه مع الأرض حولَ الشمس لا يقابِل الشمسَ مقابلةً تامةً إلاّ فى وضعٍ واحد ومرّة واحدة هى اللّيلةُ الرّابعةَ عشرةَ ، فيَغشاهُ نُورُها ، ويَصير بَدراً . أمّا بقيّةُ اللّيالى التى قبلها والتى بعدَها فينحرفُ قليلاً أو كثيراً عنها ، حتّى يصيرَ كله ظلاماً ليلةَ المُحاق . فيُطوى خبرُه ، ويكون الوجه الآخر الذى لا يُرى لنا بَدراً كاملاً . ثم يتولّدُ هِلالُه خلقاً جديداً

وكذلك شأنُ الأرض فى استمدادِ نُورها أوْ ما نُسَمِّيهِ نهاراً ، ولو كان فى القمر سُكانٌ ، لكانتْ فى رأى أعيُنِهِمْ أكْبرَ كوكبٍ فى السماء ، ولَشاهدوها أكبرَ من الجِرْمِ الّذى نُشاهِدُ القمرَ عليه أضعافاً مُضاعفةً ولكانتْ عندَهم أرْوَعَ جَمالاً ، وأبدعَ من قمرهم فى نظرنا تَشَكُّلاً ، فبدورانها على نفسها يرَوْنها كلّها جزءاً فجزءاً ، وتظهرُ قارّاتُها ومُحيطاتها واضحةً عليها فى وقت الصَّحْو ، ومُظلّلاً بعضُها بالغمامِ فى وقت الدَّجْن ، وتبدُو أهلّتُها وبُدُورُها ضَخْمة باهرة ، ولكنْ لا يَرَاها إلاَّ سُكانُ النّصفِ المُقابِلِ لنا ، أو الّذين يُريدون التَّفرُّجَ برُؤيتها من أهل النّصف الثّانى

ولقُرب القمر منّا وخلُوّ جوّه من الهواء سَهُلَ رصْدُه علينا ، فنرَى فى صفحتِه

عند الشُّروق ليلةَ التِّمام كثيراً من المَحْوِ [١] يَجعلُ صورتَه أشبه بوجهِ إنسان ذى أنْفٍ وفمٍ وحاجبينِ وعينينِ إحداهما مُغْضِبةٌ ، ولا يزالُ كذلك حتى يتعدَّى خطّ زوال مكانِ النّاظر . فإذا مال الى المَغرب انحرفتْ هذه الصُّورة حتى يصيرَ عاليها سافلَها . وليس هذا المَحْوُ إلا ظلامَ بطون الأوديةِ والسُّهول البعيدةِ الغَوْر وظِلالَ الجبالِ والهِضاب الشّاهقةِ الطّول شهوقاً يكاد يمنع استدارته ، أمّا قِمَمُ الجبالِ وسُطُوحُها المقابلةُ للشمس فترَى لامعةً ساطعةً فتبينُ سُلاسلُ الجبال طرائقَ مضيئةً وقِمَمُها نُقطاً لامعةً ، وفوّهاتُ جبال ناره الشّديدةُ السَّعَةِ ، البعيدةُ الغَوْر التى تُعَدُّ بعشرات الأُلوف ، كأنها حلقاتٌ وَسطها نُقطٌ سُود .

وقد ظَنّ القدماء فى علّة المَحْوِ ظُنوناً ، بعضُها صادفَ الحقيقةَ ، و بعضُها جانبَها حتى ظهرَ غاليليُو ، واخترع سنة ١٦٠٦ م مِرْقَباً يُقرِّب الأشباحَ ثلاثين مَسافةً فأثبتَ وُجودَ الجبالِ والأوديةِ فيهِ . وزادَ عليه غيرُه فى تحسين المراقبِ المكبّرة حتى أصبح القمرُ يُرَى كأنهُ على بُعدِ أربعينَ ميلاً منّا . على أن هذا القُرب لا يجعلُنا نرى الأشباحَ الصغيرة التى من نوع الحيوان لِنتحقّق أ لِلْقَمَرِ سُكانٌ كما للأرض أوْلا ؟ ولكنْ قد أصبحَ من المُرَجَّح إنْ لم يكنْ من المُحقق أنهُ خالٍ من الماء . ومن السَّحاب والضّباب النّاشئين منه ومن النّباتِ ، إذ لو كان به شيءٌ منها لتغيّر شكله من حالٍ إلى حال . ويُشكُّ أنّ له هواءً ، وإنْ كان له هواءٌ فلعلّه لا يزيد على قِمَمِ جبالِه . ولا شكّ أنّ الماءَ والهواءَ هما يَنْبُوعا الحياة . وتجرُّدُه منهما . وخمودُ جبال ناره ، ويُبس جُرمه يجعلُ بردَه شديداً جدًّا فى اللّيل ، وحرَّه عظيما جدًّا فى النهار ، على فَرْط طُولها البالغ فيه خمسة عشرَ يوما : ممّا يجعلُ الحياة

(١) المحو : السواد فى القمر ،

فيه مُتعسّرةً بل مُستحيلةً ، أللّهم إلاّ أن تكونَ حياةً غيرَ حياتنا .

ويُرجِّحونَ أنّ القمرَ كان فى أزمانٍ سَحيقةٍ على طبيعةٍ تقرُبُ من طبيعةِ أُمِّهِ الأرض ، فكانَ آهلاً بالحيوانِ والنباتِ ، إلاّ أن صِغَرَ جسمِه جعلَه يسبق الأرض فى اليُبْس والبرُودة ، فتقبَّضَ وبرَدَ وانتهت دُنياه ، وأصبحَ كإسفَنْجةٍ مُشعَّثةٍ ذاتِ شُعبٍ ونَخاريب [١] تكوينُها منْ جِنْسِ تكوين الأرض .

ولقد خلَقَ اللهُ القمرَ مُسخّراً لأهل الأرض خاصّةً ، فهو بعكْسِه نور الشّمس عليهم هِدايةٌ لهم فى ظُلماتِ البرّ والبحرِ . ولقد قضى الإنسان عُصوراً ودهوراً وليس له مِصباحٌ فى جُنْح الظّلام غيرَه . ولا يزالُ كذلك لأهل البَدْوِ وقبائل الهَمَج . وهو باختلافِ أشكالِه تقويمٌ فِطْرىٌّ لهم ، فبإهلالِه يُعْرَفُ أوّلُ الشّهْر وبالتّرْبيع الأوّل يُعْرَفُ رُبْعُه ، وببدْرِه [٢] يُعرَفُ نِصْفُه ، وبالتّربيع الأخير يُعرفُ ثلاثةُ أرباعه ، وبِمُحاقِه تُعرفُ نِهايته .

وإذا مَرَن الإنسانُ على النَّظَرِ فى تقدير ضَوْئِه ، وأوقات مَطالِعه ، عرَفَ الشّهرَ يوماً يوماً ، واللّيلَ ساعةً ساعةً . قال تعالى « يَسألونكَ عن الأهِلّة قُلْ هى مَواقيت للناسِ والحَجِّ » .

وباتّحاد جذبِه مَع جذْب الشّمس للأرْض يَنشأ المَدُّ والجَزْرُ ، وفائدتهما فى تَسْهيل الملاحةِ لا تُنكر ، فكم مِن مَوانىءَ ومرافىءَ لولاهما لَسُدَّت بروَاسِبِ الأنهارِ والسيول .

---

(١) جمع نخروب وهى الثقب التى تكون فى مثل بيوت الزنابير والنحل (٢) مصدر بدر البدور يبدر بدراً . وبالمصدر سمى هذا الكوكب عند تمام نوره كأنه يبادر الشمس بالشروق فى ليلة التمام عند غروبها

ولِضوءِ القمرِ فى إنضاجِ الثِّمار والبُقول أثرٌ أيُّما أثرٍ ، حتى إنَّ بعضَها لا ينمُو ويزهُو لونُه إلا فى لياليهِ البِيض .

(الفن الخامس فى المقامات)

ألمقَامة عِبارةٌ عن كتابة حسنة التأليف ، أنيقة التّصنيف ، تتَضمّن نُكتة أدبيّة ومَدارُها على رِواية لَطيفة مُختلَقَة تُسندُ الى بعض الرّواة ، ووقائعَ شتّى تُعزَى الى أحد الأدباء — والمقصود منها غالباً جَمعُ دُرَر الألفاظ وغُرَر البيان ، وشَوارد اللّغة ونَوادر الكلام ، من مَنظوم ومَنثور ، فضلاً عن ذكر الفرائد البديعة ، والرّقائق الأدبيّة ، كالرّسائل المُبتكَرَة ، والخُطب المُحبّرَة ، والمواعظ المُبكية ، والأضاحيك المُلهيّة (١) ولْنذكرْ لك مُنتخبات مِن مقامات مختلفة فنقول :

(قال الحريرى (٢) المتوفى سنة ٥١٦ هـ المقامة التاسعة الاسكندرانية)

أخبر الحارث بن هَمّام قال : طَحَا بِى (٣) مَرَحُ (٤) الشَّباب ، وهَوَى الاكتِسَاب (٥) الى أنْ جُبْتُ (٦) ما بينَ فَرغَانة (٧) وغَانَة (٨) أخوضُ الغِمَارَ (٩) لأجْنِيَ الثّمار وأقتحِمُ الأخطار (١٠) لكى أُدرِكَ الأوْطار (١١) وكنتُ لَقَفتُ مِن أفْوَاه العُلماء

---

(١) اعلم ان المقامات تعرف بالمكان الذى تجرى فيه فيقال المقامة الحلبية أو الموصلية بناء على أن محل وقوعها حلب أو الموصل وربما نسبت الى المروى عنه ويستحب فى راوى المقامة أن يمثل رجلا ظريف النفس كثير الاسفار حسن الرواية متفرغا لفنون الادب جادا فى طلب غرره كاداً ذهنه فى تحصيل دُرره كالحارث بن همام فى المقامات الحريرية وعيسى بن هشام فى المقامات البديعية ومخترع هذا الفن هو بديع الزمان الهمذانى وبعده الحريرى واشتهر بعدهما كثيرون ممن نسجوا المقامات على منوالهما وان لم يبلغوا شأوهما (٢) تقدم أنه توفى سنة ٦١٥ هـ (٣) ذهب بى

(٤) هو النشاط وشدة الفرح (٥) أى محبة اكتساب المال (٦) قطعت

(٧) بلد باقصى بلاد المشرق (٨) بلد باقصى المغرب (٩) بالكسر جمع غمرة الكثير من الماء والمراد هنا الامور الصعبة (١٠) أى ادخل فى القحمة بالضم وهى الشدة والاخطار الامور العظيمة (١١) الحاجات

وثقفت (١) من وصايا الحكماء ، أنّه يلزمُ الأديبَ الأريبَ (٢) إذا دخلَ البلد الغريب ، أن يستميل قاضيه (٣) ويستخلصَ مراضيه (٤) ليشدّ ظهرهُ عند الخصام ويأمنَ فى الغُرْبة جَوْرَ الحكّام ، فاتّخذتُ هذا الأدبَ (٥) إماماً (٦) وجعلتُه لمصالحى زِمَاما ، فما دخلتُ مدينة ، ولاوَلجت (٧) عَرينَة (٨) إلا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالرّاح ، وتقوّيت بعنايته تقوّى الأجسادِ بالأرْواح ، فبينما أنا عندَ حاكم الاسكندريّة ، فى عَشيّة عَرِيّة (٩) وقد أحضرَ مالَ الصّدقات ، ليفُضّه (١٠) على ذوى الفاقات (١١) إذْ دخلَ شَيخٌ عِفْرِيَة (١٢) تَعْتِلُه (١٣) امرأة مُصْبِيَة (١٤) فقالت أيّدَ (١٥) الله القاضى ، وأدام به التّراضى (١٦) إنّى امرأةٌ من أكرم جُرْثومة (١٧) وأطهرِ أُرومة (١٨) وأشرف خُؤولة وعُمومة ، ميسمى (١٩) الصّوْن (٢٠) وشيمتى (٢١) آلهون (٢٢) وخُلُقى نِعْمَ العوْن (٢٣) وبَينى وبين جارَتى بَوْن (٢٤) وكان أبى اذا خطَبنى بُناةُ (٢٥) المجد ، وأربابُ الجدّ ، سَكّتهم (٢٦) وبَكّتهم (٢٧) وعَاف وَصْلتهم (٢٨) وصِلَتهم (٢٩) واحتجّ بأنّه عاهد الله تعالى بحِلْفة ، أنْ لا يُصاهر (٣٠) غيرَ ذى حِرفة (٣١) فقيّض القدَرَ (٣٢) لنَصَبى ووَصبى (٣٣) أن حَضَرَ هذا الخُدْعَة (٣٤) نادِىَ

(١) أدركت (٢) العاقل (٣) يرغبه ويترضاه ويطلب ميله اليه (٤) يطلب خالص رضاه (٥) أى هذا لامر الظريف المستحسن (٦) قدوة أى اعمل بمقتضاه (٧) دخلت (٨) مأوى الاسد (٩) أى شديدة البرد أو ذات ريح باردة (١٠) يفرقه (١١) أى الفقراء المحتاجين (١٢) أى خبيث شديد الدهاء (١٣) تجره بعنف وجفاء (١٤) أى ذات صبيان (١٥) قوى ونصره (١٦) أراد التراضى بين الخصوم بحيث يرضى بحكمه الغالب والمغلوب (١٧) أى أصل (١٨) الاروما بالفتح أصل الشجرة ثم استعير لاصل الحسب (١٩) علامتى وأصل الميسم الآلة التى يكوى بها ويعلم (٢٠) الحفظ والعفاف (٢١) خلقى وعادتى (٢٢) الرفق (٢٣) أى الرفيق الظهير (٢٤) أى فرق وتفاوت فى الفضل (٢٥) بالضم جمع بان (٢٦) أى قال لهم كلاما لايجدون له جوابا (٢٧) ألزمهم الحجة (٢٨) أى كره قربهم (٢٩) عطاءهم (٣٠) أى لايزوج ابنته (٣١) صناعه (٣٢) يعنى قدر الله تعالى (٣٣) لتعبى ومرضى (٣٤) الكثير الخداع

أبى (١) فأقسَم بين رَهطِه (٢) إنّه وِفقُ شرْطِه، وادّعى أنه طالما نَظم دُرّة، فباعَها بَبدرَة (٣) فاغترَّ أبى بزخْرفةِ مِحاله، وزَوّجَنيه قبل اختبَار حَاله، فلمَّا استخرجَنى مِن كِناسِى (٤) ورحّلنى عن أُناسِى، ونقِلنى الى كَسْرِه (٥) وحصّلَنى تحت أسْرِه وَجدتُه قُعدَةَ جُثمَة (٦) وألفَيْته ضُجَعَة نَومة (٧) وكنتُ صحِبْته برِياش (٨) وزىّ (٩) وأثَاث (١٠) ورِىّ (١١) فما بَرح يَبيعه فى سُوق الهَضْم (١٢) ويَتلِفُ ثمنَه فى الخَضْم (١٣) والقَضْم (١٤) الى أن مزّق مالى بأَسْره، (١٥) وأنفَق مالى فى عُسره، فلمّا أنسانى طَعمَ الرّاحة، وغادَر (١٦) بيتى أنقَى من الرّاحة (١٧) قلتُ له يا هـذا إنهُ لاَ مَخْبَأَ بعد بُوس (١٨) ولا عِطرَ بعدَ عرُوس (١٩) فانهَضْ للاكتسابِ بِصناعتِك، واجْتنِى (٢٠) ثمرةَ برَاعتِك (٢١) فزعم (٢٢) أنّ صِناعتَهُ قد رُميتْ بالكسَاد (٢٣) لِمَا ظَهَرَ فى الأرض من الفساد، ولى منهُ سُلاَلَة (٢٤) كأنه خِلاَلَة (٢٥) وكِلاَنا ما يَنَال معه شبْعة (٢٦) ولاتَرْقَا (٢٧) له من الطّوى (٢٨) دِمعه، وقد قُدْته (٢٩) اليك، وأحضرته لديك، لِتَعْجُمَ (٣٠) عُودَ دَعواه، وتحكَم بيننَا بما أراك الله — فأقبل القاضى

(١) مجلس أبى (٢) قومه وعشيرته (٣) البدرة عشرة آلاف درهم (٤) أى منزلى وأصله بيت الظبى أو بقر الوحش (٥) بفتح الكاف وكسرها أى جانب بيته (٦) كثير العقود كثير الجثوم أى يلازم الموضع الذى يقعد فيه (٧) الضجعة أصله العاجز الذى لا يتصرف والنومة كثير النوم والمعنى انه عاطل عن العمل كسول (٨) مال ولباس فاخر (٩) هيئة حسنة (١٠) هومتاع البيت (١١) حسن حال وكثرة نعمة وهو بكسر الراء وفى الاصل اسم من روى من الماء يروى ريا (١٢) المراد يبيعه بأقل من القيمة (١٣) الاكل بجمع الفم (١٤) الاكل باطراف الاسنان وقيل الخضم الاكل باطراف الاسنان والقضم بمقدمها وقيل الخضم أكل الرطب والقضم أكل اليابس يريد أنه يصرف ثمنه فى أنواع الاكل واللذات (١٥) أى فرق الذى لى بأجمعه (١٦) ترك (١٧) بطن الكف لنقائه من الشعر (١٨) أى فقر (١٩) مثل قالته امرأة من بنى عذرة مات عنها زوجها واسمه عروس فتزوجها رجل أبخر وأمرها أن تتعطر فقالته (٢٠) أى مكنى من الجنى وهوجمع الثمرة (٢١) أى فضلك وفوقانك على أقرانك (٢٢) ادعى (٢٣) هو خمود السوق وقلة البيع ضد النفلق بالفتح (٢٤) يعنى ولدا (٢٥) مايتخلل به (٢٦) قدرما يشبع به مرة (٢٧) أى لا تسكن (٢٨) الجوع (٢٩) أتيت به (٣٠) لتقضى وتختبر

عليه ، وقال له قد وَعيتُ (١) قَصَص عِرْسِك ، فبرْهِنْ الآن عن نَفْسك ، و إلاّ كشَفتُ عن لَبسِك (٢) وأمرْتُ بحَبسِك ، فأطرق إطراقَ الأَفْعُوان (٣) ثم شمَّر للحرْب العوَان (٤) وقال :

إسمَعْ حَدِيثى فإنّه عَجَبُ يُضحكُ من شرْحه ويُنتَحبُ (٥)
أنا امرُؤٌ ليس فى خصائصه (٦) عَيْبٌ ولا فى فَخاره رِيبُ
سُرُوجُ دارى التى وُلدْتُ بها والأصل غَسّان (٧) حِينَ أنْتَسِبُ
وشُغْلِىَ الدَّرْسُ والتَّبحّرُ فى العـــلم طِلاَبى وحبّـذا الطَّلَبُ
ورأسُ مالىَ سِحرُ الكلام (٨) الذى منهُ يصاغُ القَرِيضُ (٩) والخُطبُ
أغوصُ فى لُجَّة البيان فأختـــار اللآلئَ منها (١٠) وأنتخِبُ
وأجتَنِى (١١) اليانع (١٢) الجَنِىَّ (١٣) من القـــول وغـيرىَ للعُود يَحتطِبُ
وآخذُ اللفظَ فِضَّةً فإذا ما صغتهُ (١٤) قيل إنّهُ ذَهبُ
وكنتُ من قبلُ أمترى نَشَباً (١٥) بالأدب المُقْتَنى وأحتَلِبُ
ويَمتطِى (١٦) أخمصِى (١٧) لُحرْمته مراتباً ليس فوقها رُتبُ
وطالما زُفّتْ الصِّلات إلى رَبْعِى (١٨) فلم أرضَ كلّ مَن يَهَبُ (١٩)

---

(١) فهمت وحفظت ما قصته زوجك (٢) اظهرت اشكالك وتعمية أمرك (٣) ذكر الافاعى أو العظيم منها (٤) الحرب التى قبلها حرب وهى تكون أشد من الاولى (٥) الانتحاب رفع الصوت بالبكاء (٦) خصاله وطباعه (٧) اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبو اليه منهم بنو جفنة ورهط الملوك وقيل غسان قبيلة (٨) هو مالطف مأخذه ورق (٩) الشعر (١٠) أى اتعمق فى بليغ المعانى وانتقى منه الملح (١١) اقتطف (١٢) الزاهى (١٣) الطرى من الثمر الذى جنى حديثاً (١٤) سبكته (١٥) أى اكتسب مالا (١٦) أى يركب (١٧) مارتفع من باطن القدم عن الارض (١٨) أى حملت الجوائز والهدايا الى منزلى (١٩) أى لم ارض ان اكون تحت منة كل أحد بل لم أقبل الا من العظماء

فاليوم من يَعلقُ الرَّجاءُ بهِ ... أكسدُ شيءٍ فى سُوقه الأدبُ (١)
لا عِرضُ أبنائهِ يُصانُ ولا ... يُرْقب (٢) فيهم إلٌّ (٣) ولا نسبُ
كأنّهم فى عِراصِهم (٤) جِيفٌ ... يُبعَدُ من نَتْنها ويُجتَنبُ
فَحارَ لُبِّى (٥) لِمَا مُنِيتُ به (٦) ... من اللّيالى وَصرْفُها (٧) عَجَبُ
وضاقَ ذَرعِى (٨) لضيق ذَاتِ يدى ... وساوَرتْنِى (٩) الهمومُ والكُرَبُ
وقادَنِى دَهرِى المُليمُ (١٠) الى ... سُلوكِ مايَستشينهُ (١١) الحَسبُ (١٢)
فبعْتُ حتى لم يَبق لى لَبَدٌ (١٣) ... ولا بَتاتٌ (١٤) اليه أنقلبُ
وادَّنْتُ (١٥) حتى أثقلتُ سالِفتى (١٦) ... بحَمل دَيْنٍ من دونهِ العطبُ
ثم طويتُ الحشَا على سَغَبٍ (١٧) ... خمساً (١٨) فلمّا أمَضَّنِى (١٩) السَّغَبُ
لَمْ أرَ إلاَّ جَهازها عَرَضاً (٢٠) ... أجولُ فى بيعه وأضْطرِبُ
فجُلْتُ فيهِ والنَّفس كارهةٌ ... والعينُ عُبرَى (٢١) والقلبُ مُكتئِبُ (٢٢)
وماتجاوزت (٢٣) إذْ عَبثْتُ (٢٤) به ... حَدّ التّراضِى (٢٥) فيحدثُ الغَضَبُ

---

(١) أى ان من يتعلق به الامل ويرجى منه النوال لايستعمل الادب والمعارف حتى صار ذلك كالسلعة الكاسدة عنده (٢) يحفظ (٣) بكسر الهمزة وتشديد اللام العهد والقرابة والجوار (٤) جمع عرصة وهى فناء الدار أى كانهم فى مواضعهم (٥) تحير عقلى
(٦) بليت به (٧) تقلبها (٨) انقبض قلبى (٩) انتابتنى وغلبتنى (١٠) الذى يأتى بما يلام عليه (١١) يستبشعه (١٢) ما يعد من مفاخر الاباء او الدين وقيل الكرم
(١٣) يقال ماله سبد ولا لبد اى شعر ولا صوف والمراد ذوات الشعر والصوف من المواشى واراد الحريرى انه لم يبق له كثير ولا قليل كناية عن شدة الفقر والحاجة (١٤) الزاد ومتاع البيت (١٥) تداينت (١٦) صفحة العنق وقيل مقدمه (١٧) جوع (١٨) خمس ليال (١٩) احرقنى
(٢٠) حطام الدنيا وهو المال قل او كثر (٢١) دامعة باكية (٢٢) حزين (٢٣) تعديت
(٢٤) فعلت به مالا يليق فعله (٢٥) أى حد الرضا

فانْ يَكنْ غاظَها توهُّمُها أنَّ بَنَانى بالنَّظْم تَكتَسبُ
أو أننّى إذْ عزمتُ خِطْبَتَها زَخرفتُ قولى لينجَح الأَرب (١)
فَوالّذى سارت الرّفاقُ (٢) الى كَعْبَته تَستَحثّها (٣) النُّجُبُ (٤)
مَا المكرُ بالمُحصَنَات (٥) من خُلُقِى ولا شِعارى (٦) التَّمويهُ (٧) والكذبُ
ولا يَدِى مُذ نشأتُ نِيط بها (٨) إلاَ مواضى اليَرَاع (٩) والكُتُبُ
بل فِكرتى تَنظِم القَلائدَ (١٠) لا كفّى وشِعرى المنظوم لاالسُّخُبُ (١١)
فهذه الحِرْفة المشارُ الى ما كنتُ أحوِى بها وأجتلِبُ
فَأْذَنْ لشرحى كما أُذِنْتَ لها ولا تُراقب (١٢) واحكم بما يَجبُ

قال : فلمّا أحكَم ما شاده (١٣) وأكمل إنشاده ، عطَف القاضى إلى الفتاة ، بعد أن شغفَ (١٤) بالأبيات ، وقال أمَا أنّه قد ثبتَ عند جميع الحُكّام ، وولاة الأحكام انقِراض (١٥) جِيل الكِرَام (١٦) ومَيْلُ الأيام الى اللِّئَام ، وإنى لإخَال (١٧) بَعلَكِ (١٨) صَدوقاً فى الكلام ، بَرِيئاً من الملاَم — وهاهُو قد اعترف لك بالقَرض وصَرّح عن المحض (١٩) وبَيّنَ مِصداقَ النَّظم ، وتبيّن أنه مَعروقُ العَظْم (٢٠) وإعنَاتُ المُعذِر

---

(١) الحاجة (٢) جمع رفقة وهو جمع رفيق (٣) تستعجلها (٤) جمع نجيبة وهى الكريمة من الابل (٥) جمع محصنة النساء العفائف (٦) تخلق (٨) تزين الكلام واصله ان يطلى المعدن غير الذهب والفضة باحدهما أوالفضة بالذهب (٨) علق بها (٩) جمع يراعة وهى القصبة الجوفاء والمراد بها الاقلام (١٠) جمع قلادة اصله ما تقلد به المرأة من الذهب والمراد ماينظم من القصائد الاشعار (١١) جمع سخاب وهو القلادة من القرنفل والمسك ليس فيها من الجواهر شىء تجعل فى اعناق الاطفال (١٢) أى لا تنظر الى واحد منا والمراد لا تعدل عن الحق

(١٣) أى اتقن ما قاله وانشده من شاد البناء اذا طلاه بالشيد وهو الجص (١٤) ويروى بالعين المهملة من شعف الحب فؤاده أى علاه وشمله — وبالغين المعجمة أى فتن وبلغ حبها شغافه وهو غلاف القلب (١٥) انقطاع وفناء (١٦) أى جماعة الكرم والجيل أهل زمان واحد (١٧) بكسر الهمزة أى لاظن (١٨) زوجك (١٩) الخالص (٢٠) كناية عن الهزال يقال عظم معروق اذا أخذ ما عليه من اللحم .

مَلأمة (١) وحَبسُ المُعسِر (٢) مأْلمة (٣) وكتمانُ الفقر زَهادة ، وانتظارُ الفرَج بالصّبر عِبادة ، فارْجعِي الى خِدْرك (٤) واعـذُرى أبا عُذْرك (٥) ونَهْنِهى من غَرْبك (٦) وسلِّمِى بقضاءِ ربّك — ثُم إنّهُ فرَضَ لهما فى الصَّدَقات حِصّةً ، وناولهما من دَراهمها قبصَةً (٧) وقال لهما تعلَّلا (٨) بهـذه العُلالة (٩) وتَندّيا بهذه البلالة (١) وصَبراً على كيد الزّمان وكَدّه ، فعسى الله أنْ يأتىَ بالفتح أو أمْرٍ من عنده. فنهضَا وللشّيخ فَرْحةُ المُطلَق من الإسار (١١) وهزّةُ المُوسرِ بعد الإعسار — قال الرّاوى وكنتُ عرَفتُ أنّه (أبوزيد) ساعةَ بزَغَتْ شمسُه ، ونزعَتْ (١٢) عِرسُه ، وكِدتُ أُفصح عن افتِنانه (١٣) وأنْمارِ أفنانه (١٤) ثم أشفقتُ (١٥) من عثُور (١٦) القاضى على بُهتانه (١٧) وتزويق (١٨) لِسانه ، فلا يرى عندَ عِرفانه (١٩) أن يُرشحه (٢٠) لاحسانه فأحْجَمتُ (٢١) عن القول إحجامَ المُرْتاب (٢٢) وطَويت ذكره كطىّ السِّجل للكِتاب (٢٣) إلاّ أنىِّ قلتُ بعد ما فَصَل (٢٤) ووصلَ إلى ما وَصل ، لو أنّ لنا مَن

---

(١) الاعنات الحمل على المشقة الشديدة والمعذر البالغ فى العذر أو هو الذى يأتى بما يعذر به ويطلق على المحقق العذر وعلى الذى بان عذره والملامة اللؤم (٢) العاجز عن قضاء الدين (٣) إيلام (٤) بيتك وسترك (٥) أبو عذر المرأة أول زوج لها (٦) أى كفى وازجرى نفسك عن الحدة (٧) هى ما يتناوله الانسان بأطراف أصابعه (٨) تشاغلا وتلاهيا (٩) مايتعلل به وأصلها بقية اللبن (١٠) قدر ما يبل به الشيء واسم للبقية أيضاً (١١) القيد الذى يشد به الاسير (١٢) خبثت والنزع الذكر بالقبيح والأفساد بين النـاس ومعناه خاصمته عرسه (١٣) يقال افتن الرجل فى حديثه اذا جاء بالافانين وهى الاساليب والمراد هنا تصرفه فى الفنون والمعارف (١٤) جمع فنن بالتحريك وهو طرف الغصن (١٥) خفت (١٦) اطلاع (١٧) كذبه (١٨) التزويق التحسين والتزيين مأخوذ من الزاووق وهو الزئبق (١٩) معرفته (٢٠) الترشيح والتربية والتاهيل من ترشيح الظبية ولدها لانها اذا بلغ ولدها السعى سعت به حتى يرشح عرقا فيقوى ـ ويأتى بمعنى التقوية أيضا (٢١) تأخرت (٢٢) الشاك (٢٣) السجل الصحيفة فيها الكتابة أى كما تطوى الصحيفة الكتابة (٢٤) ذهب

يَنطلقُ فى أثَرِه ، لأتانا بفَصٍّ خبره [١] وما يُنشرُ من حِبَرِه [٢] فأتْبعَه [٣] القاضى أحدَ أُمنائه ، وأمرَه بالتَّجسُّس [٤] عن أنبائه [٥] فما لَبثَ أن رجع مُتَدَهْدِهاً [٦] وقَهقَرَ مُقهقِهاً [٧] فقال له القاضى مَهْيَم [٨] يا أبا مَريم [٩] ؟ فقال له : لقد عايَنْت عَجباً ، وسمعتُ ما أنشأَلى طَرَباً . فقالَ لهُ ماذا رَأيتَ ؟ وما الّذى وَعيتَ ؟ قالَ : لم يزل الشّيخ مُذ خرجَ يُصفّق بيَديه ، ويُخالفُ بين رجليه [١٠] ويُغرِّد بِمِلْء شِدْقيه — ويقول

كِدْتُ أُصلَى [١١] بِبليّه من وَقاح [١٢] شَمَرِيّه [١٣]
وأزورُ السِّجنَ لولا حاكمُ الإسكندريّه

فضَحك القاضى حتى هَوتْ [١٤] دُنيَّتُه [١٥] وذَوَت [١٦] سَكينته [١٧] فلمّا فاء [١٨] الى الوَقار ، وعَقَّبَ الاستغرابَ بالاستغفار ، قال أللّهم بِحُرْمَة عبادِك المقرّبين حرّم حَبسَى على المتأدِّبين ، ثم قال لذلك الأمين عَلىَّ [١٩] به ، فانطلق مُجِدًّا فى مَطْلبه ثم عاد بعد لَأْيه [٢٠] مُخبراً بنَأْيه [٢١] فقال له القاضى أمَا إنّه لو حَضر ، لَكُفِىَ الحَذَر [٢٢] ثم لأَوْلَيتُه ما هُو بِهِ أوْلى ، ولأرَيتُه أنّ الآخِرَة خيرٌ له من الأولَى — قال الحارث ابن همّامٌ فلمّا رَأيتُ صَغوَ [٢٣] القاضى اليه ، وفوت ثمرة التّنبيه عليه ، غَشَيتنى [٢٤]

(١) بحقيقة حاله (٢) الحبر أردية يمانية موشاة جمع حبرة وهى ماتلبسه المرأة المصرية والمراد مايذكره من الكلام المسجع الشبيه بالحبر فى الحسن (٣) أى أرسل وراءه من يتبعه (٤) اى بالبحث سراً بحيث لايشعر (٥) أخباره (٦) التدهده الاسراع من دهدهت الحجر اذا دحرجته وتبدل الهاء الاخيرة ياء فيقال تدهدى تدهديا (٧) القهقرة المشى إلى الوراء والقهقهة الضحك بصوت (٨) أى ما الخبر وهى كلة لاهل اليمن معناها ما خبرك وماشأنك (٩) يقال لعون القاضى أبو مريم (١٠) أى يرقص (١١) احترق (١٢) الوقاح قليله الحياء بينة القحة والوقاحة وحافروقاح صلب (١٣) الشمرى الماضى فى الامور الجاد فيما يحاول (١٤) وقعت (١٥) بتشديدالنون والياء جميعا قلنسوة طويلة يلبسها القضاة كانها منسوبة إلى الدن (١٦) ذبلت وفترت (١٧) وقارته (١٨) رجع (١٩) أى أئت به وأحضره (٢٠) اللأى كالسعى الابطاء والاحتباس (٢١) أى ببعده (٢٢) مايحذر منه ويخاف (٢٣) ميله (٢٤) أتتنى وحضرتنى

نَدَامةُ الفرَزْدَق (١) حينَ أبانَ النَّوار (٢) والكُسَعِيُّ (٣) لمّا استبانَ النَّهار

(المقامة البِشْرية لبديع الزمان الهمذانى المتوفَّى سنة ٣٩٨ هـ)

حدّثنا عِيسى بنُ هِشَامٍ ، قال : كان بِشرُ بنُ عَوَانة العَبْدىّ صُعلوكاً ، فأغار على رَكبٍ فيهم امرأةٌ جميلة فتزوّجَ بها ، وقال ما رأيتُ كاليوم — فقالت

أعْجبَ بِشْراً حَوَرٌ فى عَيْنى ... وساعِدٌ أبيضُ كاللُّجَيْنِ

وَدونَه مَسْرَحُ طرف العينِ ... خَمْصَانَةٌ تَرْفُل فى حِجْلَيْنِ

أحسنُ مَنْ يَمشِى على رجلينِ ... لو ضَمّ بِشرٌ بينهَا وَبينى

أدامَ هَجرى وأطَال بَيْنِى ... ولو يَقيس زَيْنَها بزَيْنِى

لأسْفَرَ الصُّبحُ لذِى عَينينِ

قال بِشرٌ وَيْحَكِ من عَنَيْتِ ؟ فقالت : بنت عمّك فاطمة : فقال أهِىَ من الحسْن بحيثُ وصَفْتِ ؟ قالت : وأزيدُ وأكثرُ — فأنشأ يقول

ويْحَكِ ياذاتَ الثَّنايَا البِيضِ ... ما خِلْتُنى منك بمُسْتَعيضِ

فالآنَ إذْ لَوّحتِ بالتّعريض ... خَلَوْتِ جوًّا فاصفِرى وبيضِى

لا ضُمّ جَفْنَاى على تَغميض ... مالم أشِلْ عِرْضِى من الحَضيض

(١) هو همام بن غالب التميمى الشاعر (٢) النوار على وزن سحاب اسم زوجة الفرزدق وكان قد طلقها ثم ندم على ذلك ومن شعره فى ذلك قوله :

ندمت ندامة الكسعى لما ... غدت منى مطلقة نوار

وكانت جنتى فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار

ولو انى ملكت يدى وأمرى ... لكان على للقدر الخيار

(٣) الكسعى هو عامر بن الحارث نسبة الى كسع بضم الكاف وفتح السين حى من بنى ثعلبة كان راعيا وعمل قوسا بعد طول تعب ثم رمى عنها ليلا فنفذت فى الرمية ووقع السهم فى حجر فقدح منه الشرر فظن أن السهم أخطأ الرمية فرمى ثانيا وثالثا الى آخر الاسهم وكانت خمسا وهو يظن خطأها فعمد الى قوسه فكسرها ثم بات فلما أصبح تبين أن أسهمه كلها أصابت فندم ندماً شديداً فضربت العرب المثل به فى الندامة

فقالت: كم خاطِبٍ فى أمرها ألحّا وهى إليك إبنة عمّ لحَا

ثم أرسل إلى عَمّهِ يَخطُب ابنَته ، ومَنعه العمّ أُمنيتَه ، فآلى ألاّ يرْعَى على أحد منهم إنْ لم يُزَوِّجْه ابنته — ثم كثُرَت مَضرّاتُه فيهم واتّصلت معرّاتُه اليهم فاجتمع رِجال الحىّ الى عمّه وقالوا كُفَّ عنّا مجنونَك . فقال : لا تُلْبِسونى عاراً وأمهلُونى حتىّ أهلكَهُ ببعض الحِيل — فقالوا أنتَ وذاك ، ثم قال له عَمُّه إنى آليتُ أن لا أُزوّجَ بنتى هذه إلاّ مِمّن يَسوقُ اليها ألفَ ناقة مَهراً . ولا أرضاهَا إلاّ من نُوق خُزَاعة

وكان غرَضُ العمّ أن يَسلك بِشْر الطّريقَ بينه وبين خُزاعة فيفترسُه الأسد لأنّ العرب قد كانت تحامتْ عن ذلك الطّريق ، وكان فيه أسدٌ يُسمَّى « دَاذاً » وحيَّة تُدْعى « شُجاعاً » يقول فيهما قائلهم

أفتَكُ من (دَاذٍ) ومن (شُجاعِ) إن يَكُ داذٌ سيّدَ السّباعِ

فانها سيّدةُ الأفاعِى

ثم إنّ بِشْراً سلَكَ ذلك الطريق ، فما نَصفَهُ حتى لَقِىَ الأسدَ وقمَصَ مُهْرُه فنزَل وعقَرَه ، ثم اخترَطَ سيفه الى الأسد واعترَضه وقطَّعه ، ثم كتب بدَم الأسد على قَميصه الى ابنة عمّه

أفاطمُ لو شَهِدْتِ ببطْنِ خَبْتٍ وقد لاقَى الهزَبرُ أخاكِ بِشْرا

إذاً لرأيتِ لَيثاً زارَ لَيثاً هزَبْراً أغلَباً لاقَى هزَبرا

تَبهْنَسَ حين أحْجَمَ عنهُ مُهرِى مُحاذَرَةً فقلتُ عُقِرْتَ مُهراً

أنِلْ قدَمَىّ ظَهْرَ الأرض إنى رأيتُ الأرضَ أثبتَ منك ظَهْرَا

وقلتُ له وقد أبدَى نِصالاً مُحَدّدة ووَجهاً مُكفهِرّا

يُكفكِفُ غِيلةَ إحدَى يديه ويَبسُطُ للوُثُوب علىّ أُخرَى

يُدِل بمِخْلَب وبحدّ نَاب ... وباللَّحظاتِ تَحسَبهنَّ جمرَا
وفى يُمناىَ ماضى الحدّ أبْغى ... بمَضرَبه قِراع الموْت أُثْرَا
ألم يَبْلُغْكَ ما فعلَتْ ظُباهُ ... بكاظمةٍ غداةَ لَقيتُ عَمْرَا
وقلبى مثلُ قلبك ليس يخشى ... مُصاوَلةً فكيفَ يخاف ذُعْرَا
وأنتَ تروم للأشبال قُوتاً ... وأطلبُ لابْنةِ الأعمام مَهرا
ففيمَ تَسوم مِثلى أن يُوَلِّى ... ويجعلَ فى يدَيك النفَّس قسْرا
نصحتك فالتمِسْ ياليثُ غيرى ... طعاماً إنّ لحمى كان مُرَّا
فلمَّا ظَنَّ أنّ الغشَّ نُصحِى ... وخَالفنِى كأنّى قلتُ هُجرَا
مَشَى ومشَيْتُ من أسدَين رَاما ... مَرَاماً كان إذ طَلَباهُ وعرَا
هَزَزْتُ له الحُسَامَ فخِلتُ أنى ... سَللتُ به لدَى الظّلماء فجرْا
وجُدْتُ له بجَائشةٍ أرَتْهُ ... بأنْ كَذَبَتْه ما مَنّتْهُ غدْرَا
وأطلقتُ المُهنَّدَ من يمينى ... فقدَّ له من الأضلاع عشْرَا
فخَرَّ مُجَنْدَلاً بدَمٍ كأنّى ... هَدمتُ به بناءً مُشْمَخِرَّا
وقلتُ له يَعزُّ علىّ أنّى ... قتلتُ مُناسِبى جلدًا وفخراً
ولكنْ رُمتَ شيئاً لم يَرُمهُ ... سواكَ فلم أُطِقْ ياليثُ صبرَا
تُحاولُ أن تُعلّمَنِى فِرَارًا ... لعَمْرُ أبيك قد حاوَلتَ نُكْرَا
فلا تجزَعْ فقد لاقيتَ حُرًّا ... يُحاذِر أن يُعابَ فمُتّ حُرَّا

فلمّا بلَغتِ الأبياتُ عمّه نَدم، على ما منَعه تزْويجها وخَشِى أن تغتالَهُ الحيَّةُ فقام فى أثَره وبلغه وقد مَلكتْه سَوْرةُ الحيّة فلمّا رأى عمّه أخذَته حميةُ الجاهليّة فجعل يده فى فَمِ الحيّة وحكّم سيفَه فيها وقال

بِشْرٌ الى المجد بعيدٌ هَمُّهُ لمّا رآه بالعَرَاءِ عَمّهُ
قد ثَكِلَتْهُ نفسُهُ وأُمُّهُ جاشتْ به جائشةٌ تهمُّهُ
قام إلى ابنٍ للفلاَ يؤُمُّهُ فغابَ فيه يدُهُ وكُمُّهُ
ونفسهُ نفسي وسَمِّي سَمُّهُ

فلمّا قتلَ الحيّة قال عمّه إنّى عرَّضْتُك طمَعاً فى أمرٍ قد ثنَى الله عِنَانى عنهُ فارْجعْ لأُزوّجك ابنتى — فلمّا رجعَ جعلَ بِشرٌ يملأ فمَه فخراً حتى طلع أمرَد كَشقّ القمر على فرَسه مُدَجَّجاً فى سِلاحه — فقال بشرٌ ياعمُّ إنى أسمع حِسّ صيدٍ وخرج فاذَا بغلامٍ على قَيدٍ . فقال ثَكلتْكَ أُمّك يا بشرُ أن قتلتَ دُودة وبَهيمة تملأ ما ضَغيْك فخراً أنت فى أمَان إنْ سلّمتَ عمّك ، فقال بِشرٌ مَن أنتَ ؟ لاأُمَ لك ؟ قال : أليوْمُ الأسود والموْتُ الأحمر . فقال بِشر ثَكِلَتْكَ من سلَحَتْك . فقال يا بشر ومَن سلحتك . وكرّ كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه ، فلم يتمكّنْ بشرٌ منه . وأمكن الغلامُ عشْرين طَعنة فى كُلْيةِ بِشر . كُلّما مَسّه شباَالسِّنانِ حماَه عن بدَنه إبقاءً عليه — ثم قال يا بشر كيف ترى ؟ — أليسَ لو أردتُ لأطعمتُك أنيابَ الرُّمح ؟ ثم ألقَى رُمحه واستلّ سيفَه فضَرَب بشراً عشرين ضَرْبةً بعَرْض السّيف ولم يَتمكّن بشرٌ من واحدة ، ثم قال يا بشر سلِّم عمّك واذهبْ فى أمَانٍ ، قال نعم : ولكنْ على شَريطة أن تقول لى مَن أنتَ ؟ فقال أنا ابنُ المرأة التى دلّتك على ابنة عَمّك — فقال بشر

تلكَ العصَا من هذه العُصَيّه هل تَلِدُ الحيَّةُ الا الحيّة

وحلفَ لارَكب حِصَاناً . ولاتزوّج حَصَاناً . ثم زوّج ابنةَ عمه لابنه .

الفن السادس فى الروايات

ألرّواية عبارة عن ذكر قولٍ أو فعل حدثا ، أو أمكنَ حدوثُهما

وخَواصُّها أربعة : الإيضاح . والإيجاز . والإمكان . والتّلطُّف .

فالإيضاح يكون بتقديم فرش للحديث ، وتوْطئةٍ للخبر ، يُقرِّب مَأْخذَ الرّاوية وبمُراعاة التّرتيب الطّبيعى فى إيراد ظُرُوف الخبر مالم يكن لِلرّاوى غرَضٌ لتجاوُز هذا النّظام — وبالعُدول عن كثرة الاستطرادات فى إنشاء الحديث لأنّ ذلك يصرفُ العقلَ عن سياق الرّواية ويَذْهبُ برَوْنقها .

والايجاز : حذفُ فُضول حَشْوِ الكلام مع انتقاء أخصّ الظرُوف وأنسَبها للغَاية — ولا بأسَ بالإطناب إذا مَا دعا اليه مُقتضَى الحال .

والامكان : ترَشيحُ الرّواية للقبُول فى ذِهن السّامع .

والتّلطّف فى الرّواية أن يَبلغ الكاتبُ كُنهَ القلوب وَيأخذَ بمجامع اللُّبّ بأن ينتقل فيها من حال الى حال ، لأن النّفس قد جُبلَتْ على محبّة التّحوُّل وطُبعت على إيثَار التّنقّل .

وللرّواية ثلاثة أجزاء : صدرُها . وعِقدتُها . وخِتامُها . فالصّدْر التّوْطئة للواقع بحيث يَقِفُ السّامع على أسماء الأشخاص وطِباعهم ، وعلى مكان الواقع وسوابق العمل

« والعِقدَةُ » هى الجزء الذى على محْوره تَدُور الرّواية — وهو المجَال الأوْسع الذى تتقابلُ فيه الأشخاصُ وتَشتبكُ الاحوال وتَضطرِم فى النّفس لواعجُ الشّوق للوُقوف على عاقبة الأمر ، فتنقل من الرّجاءِ الى الخوف ومن الفرَح الى الحُزن .

« والخِتام » الجزء الأخيرُ من الرّواية الذى به تُفكّ الإرْبة وتُحلُّ رِباق الحديث فتنالُ النُّفوس بذلك مرَامَها وتفُوزُ بوَطَرِها — وسِمَتُهُ أن يكون فُجائياً

مُرْتبطا مع ماقبله ارتباطاً مُحكماً وافياً بالمُراد بحيث ترضَى به النفوس ، وترْتاح اليه القلوب . وشواهدُ الرّواية كثيرة لا نُطيل بذكرها — أفردها الأدباء بالتآليف العديدة ـ ولنذكر هنا بعض مُلَح لايَستغنى عنها المقام .

﴿ لَيلى الأخْيليّة مع الحجّاج ﴾

رَوَى بعضُهم أنّه بينما كان الحجّاجُ فى مجلس ومعه عَنْبَسَة بنُ سعد العَاصى إذ دخل الحاجبُ . فقال امرأةٌ بالباب فقال له الحجّاج : أدْخِلْها . فدخلتْ فلمّا رآها الحجّاج طَأطأَ رأسه حتى ظَنَنتُ أنّ ذَقَنه قد أصابَ الأرضَ . فجاءت حتى قَعدتْ بين يديه فنظرتُ فاذا امرأةٌ قَدْ أسنّت ، حَسنةُ الخلقِ ، ومعهَا جاريتان لها . وإذا هى ليلَى الأَخيليَّة فسألها الحجّاج عن نَسبها ، فانتسبت له فقال لها : ياليلَى ما أتَى بك ؟ فقالت اخلافُ النُّجوم ، وقلّة الغيوم ، وكلَب البرد ، وشِدّة الجَهد ، وكنتَ لنا بَعْدَ الله الرِّفْد ، فقال لها صِفى لنَا الفِجَاجَ . فقالت ، الفِجاجُ مُغبرّة ، والأرض مُقْشعِرَّة والمبْرَك مُعتلّ ، وذُ العيال مُختلّ ، والهالك للقُلّ ، والناس مُسْنِتُون ، رَحمةَ الله يرجُون ، وأصابتنَا سِنُونُ مجحفة مُبلطه ، لم تَدع لنا هُبَعاً ولا رُبَعاً ، ولا عافِطة ولا نافطة ، أذْهبتْ الأموَال ، ومزّقت الرّجال ، وأهلكتْ العِيال . ثم قالت : إنى قلتُ فى الأمير قولا . قال هات — فأنشأت تقول :

أحجّاجُ لا يُفللْ سلاحُك انّما الـــمنايَا بكفّ الله حيث يرَاها
أحجّاج لا تُعطِ العُصَاةَ مُناهُم ولا اللهُ يُعطِى للعُصاة مُناها
إذا هَبط الحجّاج أرضاً مريضةً تَتَبَّع أقصَى دَائها فشفَاها
شفَاها من الدّاء العُضال الذى بها غلامٌ إذا هزّ القَناةَ سقاهَا
سَقَاها فروّاها بشرْب سِجاله دماء رجالٍ حيث مالَ حشَاها

إذَا سمع الحجّاج رِزّ كَتِيبةٍ أعدَّ لها قبلَ النُّزول قِرَاها
أعدّ لها مَصقولةً فارسيّة بأيدى رجال يحْلبُون صِرَاهَا
فما وَلد الأبكارُ والعُونُ مِثله ببحرٍ ولا أرضٍ يَجفّ ثرَاها

قال : فلمّا قالت هـذا البيتَ ، قال الحجاج : قاتلها الله ، مَا أصابَ صِفَتى شاعرٌ مُنذ دخلتُ العِرَاق غيرها — ثم التفت الى عَنْبسةَ بن سعيد فقال ، والله إنى لأَعدّ للأمر عسَى أن لا يكون أبداً . ثم التفت إليها فقال : حَسبُك . قالت : إنّى قد قلت أكثر من هذا . قال : حسبُك . ويْحَك حسبُك . ثم قال : يا غـلام إذهب إلى فلان ، فقل له اقطع لسانَها ، فذهب بها فقال له : يقول لك الأمير : اقطع لسانَها . قال فأمرَ بإحضَار الحجّام فالتفتت إليـه فقالت : ثَـكلتْكَ أُمك . أمَا سمعتَ ماقال ؟ إنّما أمرَك أن تقطعَ لسانى بالصِّلّة . فبعث إليه يَستَتْبتُه ، فاستشاط الحجّاج غَضباً ، وهمَّ بقطع لسانِه ، وقال اردُدها . فلمّا دخلت عليه ، قالت : كاد (وأمانةِ الله) يقطع مِقْولى — ثم أنشأت تقول :

حجّاجُ أنت الّذى ما فوقه أحدٌ إلا الخليفةُ والمُستَغفَرُ الصّمد
حجّاج أنتَ شِهابُ الحربِ إن لَقحتْ وأنتَ للناس نُورٌ فى الدُّجَى يَقِدُ

ثُم أقبل الحجّاج على جُلسائه فقال : أتدرون مَن هذه ؟ قالوا : لاوالله أيّها الأمير إنّا لم نَرَ قطّ أفصحَ لساناً ، ولا أحسَنَ مُحاورة ، ولا أملحَ وجهاً ، ولا أرصنَ شعراً منها . فقال : هذه لَيلى الأخيليّة التى ماتَ تَوبة الخفَاجى من حُبّها . ثم التفتَ إليها فقال : أنشدينا ياليلى بعض ماقال فيك تَوبة . قالت : نعم أيها الأمير هو الذى يقول :

وهل لَيلَى تبكِينِى اذا مِتّ قبلها وقام على قَبرى النّساء النَّوائحُ
كما لو أصابَ الموتُ ليلَى بَكيتُها وجاد لها دمعٌ من العين سافِحُ

وأُغبَطُ من ليلى بما لا أَناله بلَى كلّ ما قرّت به العينُ طائحُ
ولو أنّ ليلى الأخيلية سلّمت علىّ ودونى جَنْدَلٌ وصفائحُ
لَسلّمتُ تسليمَ البشاشة أورَقا اليها صدًى من جانب القبر صائحُ

ثم قال لها سَلى يا ليلى تُعطى . قالت أَعطِ : فمثلكَ أعطَى فأحسنَ . قال لكِ عشرون ، قالت : زِدْ ، فمثلك زاد فأجمَل . قال لك أربعون . قالت زِد ، فمثلكَ زاد فأكمل . قال لك ثمانون . قالت زِد ، فمثلك زاد فتَمّم . قال لكِ مائة ، واعلمى أنّها غنَم . قالت : معاذ الله أيّها الأمير . أنتَ أَجْوَدُ جودًا ، وأمجَدُ مَجدًا ، وأورَى زندًا من أن تجعلَها غنماً . قال : فمَا هِى وَيْحك ياليلى ؟ قالت مائةٌ من الإبل برُعاتها فأمرَ لها بها . ثم قال : ألكِ حاجة بعدَها ؟ قالت يُدفع إلىّ النّابغة الجعدى . قال قد فعلت . وقد كانت تَهجوه ويَهجوها . فبلغ النّابغة ذلك ، فخرج هارباً عائذاً بعبد الملك ، فأتبعتْهُ إلى الشّام . فهرب إلى قُتَيبة بن مُسلم بخُراسان ، فأتبعتْهُ على البريد بكتاب الحجّاج إلى قتيبة بقومَس ـ ويقال بحُلوان .

﴿ بنات الشّاعر المقتول ﴾

كان لشاعر عدوٌّ : فبينما هو سائر ذاتَ يوم فى بعض الطُّرق إذَا هو بعَدوّه ، فعلم الشّاعر أنّ عدوّه قاتلُه لا محالة — فقال له ياهذا : أنا أعلم أنّ المنيّة قد حضرت ولكن سألتك الله اذا أنتَ قتلتنى أن امْضِ إلى دارى ، وقِفْ بالباب وقل « ألاَ أيّها البِنتانِ إنّ أباكما » فقال : سمعاً وطاعة ، ، ثم إنّه قتله فلمّا فرغ من قَتله أتى الى داره ، ووقفَ بالباب وقال «ألاَ أيّها البنتان إن أباكما » وكان للشاعر ابنتان فلمّا سمعتَا قولَ الرّجل « ألا أيّها البنتان إنْ أباكما » أجابتاه بفمٍ واحد «قَتيلٌ : خُذَا بالثّأر ممّن أتاكما » ثم تعلّقتَا بالرجل ، ورفعتاه إلى الحاكم ، فاستقرّرَه فأقرّ بقتله فقتله .

﴿ المرأة المتكلّمة بالقرآن الكريم ﴾

قال عبد الله بن المُبارك : خرجت حاجًّا الى بيت الله الحرام ، وزِيارَة قبر نَبِيّه عليه الصّلاة والسّلام ، فبينما أنا فى بعض الطريق إذْ أنا بسَوادٍ ، فتميّزت ذاك فإذَا هى عَجوزٌ عليها دِرْعٌ من صُفوف ، وخِمارٌ من صُوف ، فقلت السَّلام عليك ورحمة الله وبركاته . فقالت « سلامٌ قولاً من ربّ رَحيم » قال : فقلت لها يرحمُك الله ما تَصنعينَ فى هذا المكان ؟ قالت « ومن يُضلِل اللهُ فلا هَادِيَ لهُ » فعلمتُ أنها ضَالّة عن الطّريق . فقلت لها أين تُريدين ؟ قالت « سُبحان الّذى أسرَى بعبده ليلاً من المسجد الحرَام الى المسجد الأقصى » فعلمتُ أنّها قد قَضت حَجَّها وهى تُريد بيتَ المقدس . فقلت لها أنتِ مُنذُ كم فى هذا الموضع ؟ قالت « ثلاث ليالٍ سَوِيًّا » فقلت ما أرَى معك طعاماً تأكلين . قالت « هو يُطعِمُنى ويَسقين » فقلت فبأىّ شىءٍ تتوضّئين ؟ قالت « فان لم تَجدوا ماءً فتيمّموا صعيداً طيّباً » فقلت لها إنّ معى طعاماً ، فهل لك فى الأكل ؟ قالت « ثم أتمُّوا الصيّام الى اللّيل » فقلت ليس هذا شهر رمضان . قالت « ومَن تَطوّعَ خيراً فانّ الله شاكرٌ عليم » فقلت قد أبيحَ لنا الإفطار فى السَّفر . قالت « وأن تَصوموا خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمون » فقلت : لِم لا تكلّمينى مثل ما أُكلِّمك ؟ قالت « ما يَلفظُ من قول إلاّ لديهِ رقيبٌ عَتيد » فقلت فمن أىّ الناس أنت ؟ قالت « ولا تَقْفُ ما ليسَ لك بهِ علمٌ إنّ السّمع والبصرَ والفُؤَاد كلُّ أولئك كان عنهُ مسئولا » فقلت قد أخطأت ، فاجعلينى فى حِلّ قالت « لاَ تثْريبَ عليكم اليومَ يغفر الله لكم » فقلت فهل لكِ أن أحملكِ على ناقتى هذه فتُدركِى القافلة ؟ قالت « وماتفعلوا من خير يَعلمْهُ الله » قال فأنَخْتُ ناقتى قالت « قل للمؤمنين يَغُضّوا من أبصارهم » فغضضت بصرى عنها ، وقلت لها

اركبي . فلمّا أرادت أن تركب نفرت النّاقة ، فمزّقت ثيابها فقالت « وما أصابكم من مُصيبة فبما كسبت أيديكم » فقلت لها اصبري حتى أعقلها ، قالت « ففهّمناها سليمان » فعقلتُ النّاقة ، وقلتُ لها اركبي فلمّا ركبت قالت « سُبحان الذى سَخّرَ لنا هـذا وما كُنّا له مُقرنين وانّا إلى ربّنا لمُنقلبُون » قال فأخـذت بزمام النّاقة وجعلت أسرع وأصيحُ . فقالت « واقصِـدْ فى مَشيك واغضُضْ من صَوتك » فجعلت أمشى رُوَيْدًا رُويداً وأترَنّم بالشّعر . فقالت « فاقرءوا ماتيسّر من القرآن » فقلت لها لقد أُوتيتُ خيراً كثيراً . قالت « وما يَذَّكر إلاّ أُولوا الألباب » فلمّا مشيتُ بها قليلاً قلت ألكِ زوجٌ ؟ قالت « يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تُبدَ لـكم تَسُؤكم » فسكتُّ ولم أُكلّمْها حتى أدركت بها القافلة ، فقلت : لها هـذه القافلة فمن لك فيها ؟ فقالت « ألمال والبنُونَ زِينـة الحياةِ الدُّنيا » فعلمتُ أنّ لَها أولاَداً : فقلتُ ومَا شَأنُهم فى الحجّ ؟ قالت « وعلاماتٌ وبالنّجم هم يَهتدُون » فعلمت أنهـم أدِلاّء الركب فقصدت بها القِباب والعمارات فقلت : هـذه القباب فمن لك فيها ؟ قالت « واتّخذ الله ابراهيم خليلا وكلّم الله موسى تكليماً » « يايَحيى خُذ الـكتاب بقوّة » فناديْت يَا إبراهيم ياموسى يايحيى فاذا أنا بشُبّان كأنّهم الأقمار ، قد أقبلوا ، فلمّا استقرّ بهـم الجلوس ، قالت « فابعثوا أحـدكم بوَرِقـكم هـذه إلى المدينة فَلينْظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منهُ » فمضى أحـدهم فاشترى طعاماً فقدّموه بين يدىّ . وقالت « كُلُوا واشربوا هنيئاً بمـا أسلفتُم فى الأيام الخاليـة » فقلت الآن طعامكم علىّ حرام حتى تخبرونى بأمرها . فقالوا هذه أُمنا لها منذ أربعين سـنة لم تتكلّم إلاّ بالقُرآن ، مخافة أن تَزِلّ فيسخط عليها الرّحمن ، فسُبحان القادر على ما يشاء . فقلت « ذلك فضل الله يؤتيـه من يشاء

والله ذُو الفضل العظيم »

﴿ مروَان بن الحكَم ـ وعبد الله بن الزُّبير ﴾

روَى عقُيل بن خالد عن ابن شهاب أنَّ مروَان بن الحكَم وعبدَالله بن الزُّبير اجتمعا ذات يوم فى حُجرة عائشة (والحِجَابُ بينهما و بينها) يُحدّثانها ويَسألانها فجرى الحديث بين مروَان وابن الزُّبير ساعة — وعائشة تسمعُ : فقال مروَان

فمن يَشأ الرّحمن يُخْفِضْ بقدرِه ... وليسَ لمَن لم يرفع الله رافعُ

فقال ابن الزّبير

ففوّضْ الى الله الأُمورَ إذا اعْترَت ... وبالله لا بالأقربينَ أُدافعُ

فقال مروَان :

وداوِ ضَميرَ القَلب بالبرّ والتّقى ... فلا يستوَى قَلبان قاسٍ وخَاشعُ

فقال ابن الزُّبير :

ولا يستوَى عبدَان هذا مُكذّب ... عُتُلٌّ لأرحام العَشيرة قاطعُ

فقال مروَان :

وعبدٌ يُجافِي جَنبهُ عن فِراشه ... يَبيتُ يُناجِى ربَّه وهو راكع

فقال ابن الزُّبير :

ولِلخير أهلٌ يُعرفونَ بهَديهِم ... اذا اجْتَمعت عند الخُطُوب المجامعُ

فقال مروان :

وللشّرّ أهلٌ يُعرفون بشكلهم ... تُشيرُ اليهم بالفُجُور الأصابعُ

فسكت ابن الزّبير ولم يُجب ، فقالت عائشة : ياعبد الله مَالَكَ لم تُجبْ صاحبك ؟ فوالله ما سمعتُ تجاوُلا فى نحو ما تجاولتُما فيه أعجبَ الىّ مِنْ تجاوُلكما . فقال ابن

الزُّبير : إنى خِفتُ عوَار القَول فكَففْتُ

﴿ عُبيد بن الأبرص ـ وامرُؤ القيس ﴾

قيل إنّ عُبيدَ بن الأبرص لَقِى امرأ القَيس يوماً فقال له : كيف معرفتك بالأوابد ؟ قال : ما أحببت . فقال :

ما حَبّةٌ مَيْتَةٌ قامَتْ بميتِتها ... دَرداء ما أنبتت ناباً وأضراساً

فقال امرؤُ القيس :

تلك الشّعيرة تُسقَى فى سَنَابلها ... قدأخرجت بعدُطول المُكثأكداسَا

فقال عُبيد :

ما السُّودُ والبِيضُ والأسماء واحدةٌ ... لا تستطيعُ لهنّ النّاسُ تِمساسَا

فقال امرُؤُ القيس :

تِلك السّحاب إذاالرَّحمنُ أنشأها ... رَوَّى بهن مُحول الأرض أيباسَا

فقال عُبيد :

ما مُرتجَاتٌ على هَولٍ مَرَاكبُها ... يَقْطعنَ بعد المدى سَيراً وأمراساً

فقال امرؤُ القيس :

تلك النّجومُ إذا حانَت مَطالعُها ... شبّهتها فى سواد اللّيل أقباساً

فقال عُبيد :

ما القاطعاتُ لأرضٍ لاأنيسَ بهَا ... تأتى سِراعاً وما يرجِعْنَ أنكاسَا

فقال امرؤُ القيس :

تلك الرّياحُ إذا هَبّت عَواصِفُها ... كفَى باذيالها لِلتُّرب كُنّاسَا

فقال عُبيد :

ما الفاجعاتُ جهاراً فى علانيةٍ أشدّ من فيلَق ملحُومة باسَا

فقال امرؤُ القيس :

تلك المنايا فما يبقينَ من أحدٍ يأخذنَ حَمْقَى وما يُبقينَ أكياسَا

فقال عُبيد

ما السّابقات سِراعُ الطّير فى مَهل لا يَشتكين ولو طَالَ المَدى باسَا

فقال امرؤُ القيس

تلك الجِيادُ عليها القومُ مُذْ نَتَجتْ كانُوا لهنّ غَداة الرّوع أحلاسَا

فقال عُبيد

ما القاطعاتُ لأرض الجوّ فى طَلق قبل الصبّاح وما يسوين قرْطاسا

فقال امرؤُ القيس

تلك الأمانىُّ يتركن الفتَى ملكاً دون السّماء ولم تُرفع له راسَا

فقال عبيد

ما الحاكمونَ بلا سمعٍ ولا بصرٍ ولا لسانٍ فصيحٍ يُعجبُ النّاسا

فقال امرؤُ القيس

تلك الموازينُ والرحمنُ أرسلَها ربّ البرية بين النَاس مِقياسَا

﴿ أبو تُراب ـ والشّريف العبّاسى ﴾

اجتمعَ يوماً أبو تُراب هبةُ الله بن السّريجى والشّريف العبَاسى وكانَا شاعرين فقالَ أبو تُراب

أسلوتَ حُبّ بُدُورَ أمْ تتجلّدُ وسَهرتَ ليلَك أم جُفونكَ ترقُدُ

فأجاب الشريفَ بديهاً

لاَ بَل هُمُ ألِفوا القَطيعةَ مثل مَا ... ألِفُوا نزولهمُ بهـا فتبعّدُوا

فقال أبو تراب

فإلامَ تصبرُ والفؤادُ مُتيَّمٌ ... ولَظَى اشتياقِك فى الحشَى يَتوقّدُ

فأجاب الشريف

مادامَ لى جَلَدٌ فلستُ بجازعٍ ... اذْ كان صَبرى فى العَواقب يُحمدُ

فقال أبو تراب

أحسنْتَ: كِتمانُ الهوى مُستحسَنٌ ... لو كان ماء العين ممّا يَجمُدُ

فأجاب الشريف

انْ كان جفنى فاضِحى بدُمُوعه ... أظهرتُ للجُلساءِ أنّى أرمَدُ

فقال أبو تراب

فَهبِ الدّموعَ إذَا جرت موّهتها ... فيُقال لِمْ أنفاسُهُ تتصعّدُ

فأجاب الشريف

أمشِى وأُسرعُ كى يَظنّوا أنّها ... من ذلك المَشى السَّريع تَوَلّدُ

فقال أبو تراب

هذا يجوزُ ومثلُهُ مُستعملٌ ... لـكنَّ وجهَك بالمحبّة يَشهدُ

فأجاب الشريف

إن كان وَجهى شاهداً بهوًى فما ... يدرِى الى مَن بالمحبّة أقصِدُ

فقال أبو تراب

إخضعْ وذلّ لمن تحبّ فليسَ فى ... حُكمِ الهوى أنفٌ يُشالُ و يعقدُ

فأجاب الشريف

ذا لا يكونُ مع الحبيبِ وانّما مع ساقط مُتحيِّل يتعمَّدُ

﴿ المأمونُ والمرأة المُتَظَلِّمةُ ﴾

جلسَ المأمونُ يوماً للمظَالِم فكان آخرُ مَن تقدَّم اليه وقد هَمَّ بالقيام (امرأةٌ) عليها هَيئةُ السفر وعليها ثيابٌ رَثَّةٌ فوقفتْ بين يديه فقالت (السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته) فنظرَ المأمونُ الى يحيى [1] بن أكثمَ فقال لها يحيى : وعليكِ السلام يا أمَةَ الله ، تكلّمى فى حاجتكِ ، فقالت :

يَاخيرَ مُنْتَصِفٍ يُهْدَى له الرّشَدُ ويا إمَامًا به قد أشْرقَ البَلَدُ
تشكُو اليك عَميدَ القوم أرْمَلَةٌ عَدَا عليها فلم يُترك لَها سَبَدُ [2]
وابْتَزّ منِّى ضِياعِى بعدَ منْعَتِها ظُلْمًا وفُرِّق منِّى الأهلُ والولدُ

فأطرقَ المأمونُ حيناً ثم رفعَ رأسَهُ اليها وهو يقول :

فى دُونِ ما قُلتِ زالَ الصبرُ والْجَلَدُ عنّى وأُقْرِح منّى القلبُ والكبِدُ
هَذا أوَانُ صلاةِ العصرِ فانصرفِى وأحْضِرى الخَصْمَ فى اليوم الذى أعِدُ
والمجلسُ السبتُ إن يقْضَ الجلوسُ لنا نُنْصِفْكِ منه وإلاّ المجلسُ الأحدُ [3]

فلمّا كان يومُ الأحدِ جلسَ فكانَ أوّلَ مَن تقدّم اليه تلكَ المرأةُ فقالت (السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته) فقال : وعليك السلام . أينَ الخَصمُ ؟ فقالت : ألواقفُ على رأسك يا أمير المؤمنين ، وأومأتْ الى العبّاس ابنه . فقال : يا أحمدُ بن أبى خالد خُذْ بيده فأجْلِسه معها مجلسَ الخُصُوم ، فجعل كلامُها يَعلُو كلام العبّاس فقال لها أحمد بن أبى خالد : يا أمَةَ اللهِ إنّك بَين يَدى أمير المؤمنين

---

(١) يحى بن أكثم قاضى قضاة الدولة العباسية لعهد المأمون ومن سلالة أكثم بن صيفى توفى سنة ٢٤٢ هـ . (٢) أصل السبد : القليل من الشعر . ويقال ماله سبد ولا لبد أى لاقليل ولا كثير . (٣) قوله : وإلا المجلس . أسقط منه فاء الجواب للضرورة .

وإنّك تكلّمينَ الأمير فاخفضِى من صَوتِك . فقال المأمون : دَعْها يا أحمدُ ، فان الحقّ أنطقهَا وأخرسهُ . ثم قضَى لها بِردّ ضَيعتِها اليها ، وأمرَ بالكِتاب لها الى العامل ببلدها أن يُوَفِّر لها ضَيعتَها . ويُحسن مَعونتها وأمرَ لها بنفقةٍ .

﴿ عُمر بن الخطّاب ـ والهُرْمُزَان ﴾

لَمّا أُتِىَ بالهُرمُزَان أسيراً الى عُمر بن الخطاب قيل له : ياأمير المؤمنين هذا زَعيم العَجم وصاحبُ رئيسهم . فقال له عمر : أَعْرِضُ عليك الإسلام نصحا لك فى عاجِلِكَ وآجلك . قال : يا أمير المُؤمنين إنّما أعتقِدُ ما أنا عليه . ولا أَرْغَب فى الإسلام . فدَعا له عمر بالسّيف فلمّا همّ بقتله . قال : ياأمير المؤمنين شَرْبَةٌ من ماء أَفْضل من قَتْلى على ظَمَأ . فأمر له بِشَرْبة من ماء . فلمّا أَخذها قال أأنا آمِنٌ حتّى أَشْرَبها قال : نَعَم . فرَمَى بها وقال : ألوفاء يا أميرَ المؤمنين نورٌ أبلج . قال : صَدَقْتَ لك التَّوَقُّف عنكَ والنَّظرُ فى أمرك . إرْفَعُوا عنه السّيف . فلمّا رُفِع عنه قال : الآن يا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً عبدُه ورسوله وما جاء به حقٌّ من عنده . فقال عمر : أَسْلَمْتَ خير إسلامٍ فما أخرّك ؟ قال : كرِهْت أنْ تظُنَّ أنّى أَسلَمْتُ جزَعاً من السّيف . فقال عمر : إنّ لأهل فارسَ عُقولاً بها استَحقُّوا ما كانوا فيه من المُلك . ثم أمر به أن يُبرَّ ويُكرَمَ ، وكان بَعدُ يُشاوِره فى توجيه الجيوش لأهل فارس .

﴿ إبراهيم بن المهدِى ـ وابن بَخْتَيْشُوع ﴾

قال العُتْبِى : تنازع إبراهيمُ بن المهدى وابنُ بَخْتَيْشُوع الطّبيب بين يدَىْ أحمد بن أبى دُواد فى مجلس الحُكم فى عقَار بناحية السَّواد ، فأرْبَى[1] عليه إبراهيم

(١) أربى عليه : زاد .

وأغلظ له ، فأحفظ [١] ذلك ابنَ أبى دُوَاد فقال :

يا ابراهيم اذا نازَعْتَ فى مجلس الحُكم أمراً فلا أعْلَمَنّ أنّك رفعتَ عليه صوتاً ولا أشرتَ بيد ، وليكن قَصْدُك أمَمًا [٢] وريحُك ساكنة ، وكلامُك مُعتدلاً ، ووَفّ مجالسَ الخليفة حقُوقَها من التّعظيم والتّوقير ، والاستكانة والتّوجّه الى الواجب ، فإنّ ذلك أشبه بك ، وأشكل بمذْهبك فى مَحْتِدك [٣] وعظيم خَطَرك ولا تَعجلنّ فرُبّ عجلة تَهبُ رَيثًا [٤] . والله يَعْصِمُك من خَطَل القول والعمل ، ويُتمّ نعمته عليك كما أتمّها على أبَوَيْك من قبل إنّ ربّكَ حكيمٌ عليم .

فقال ابراهيم : أصْلَحَكَ الله ، أمرتَ بسَدَاد ، وحَضَضْتَ على رشاد ، ولستُ عائداً لما يَثْلِم [٥] مُرُوءتى عندك ، ويُسْقِطُنى من عينك ، ويُخْرِجنى من مقدار الواجب الى الاعتذار ، فهأنذا معتذرٌ اليك من هذه البادرةِ اعتذارَ مُقِرّ بذنبه مُعترفٍ بجُرْمه ، ولا يزال الغضبُ يَستَفِزّنى [٦] ببَوادره ، فيُردُنى مثلك بحِلمه وتلك عادة الله عندك وعندنا منك . وقد جعلتُ حَقّى فى هذا العَقَار لابن بَخْتَيْشُوع فليت ذلك يكون وافِياً بأَرْش [٧] الجناية عليه « ولم يَتْلَف مالٌ أفاد مَوْعِظة » وحَسْبُنَا الله ونِعْم الوكيل .

﴿ الأحنف بن قيس ـ وقَيْس بن عاصم ﴾

قيل لِلأحنَف بن قَيس : مِمّنْ تعلّمت الحِلْم ؟ قال : مِن قيس بن عاصم المِنْقَرى رأيتُه قاعدا بِفِناء دَاره ، مُحْتَبِياً [٨] بحمائلَ سَيفه ، يُحدِّث قومه حتّى أُتِىَ برجل

(١) أحفظه : أغضبه . والحفيظة : الحمية والغضب (٢) الأمم : البين من الأمر والوسط .
(٣) المحتد : الأصل (٤) الريث : الابطاء والمقدار (٥) ثلم الاناء : كسره من حرفه .
(٦) استفزه : استخفه وأزعجه (٧) الارش : الدية وما يعطى تعويضا (٨) احتبى : جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أونحوها ، والاسم من ذلك الحبوة .

مَكْتوف ، ورجل مقتول ، فقيل له : هذا ابنُ أخيك قَتَلَ ابنك . فوالله ما حَلّ حِبُوته ولا قَطَع كلامه ، ثم التفت الى ابن أخيه وقال له : يا ابن أخى أسأْتَ الى رَحِمِك ، ورميتَ نفسكَ بِسَهْمك ، وقتلتَ ابن عمّك . ثم قال لابن له آخر : قُم يابُنَىّ فحُلّ كِتاف ابن عمّك ووَارِ أخاك ، وسُقْ الى أمّه مائة ناقة دِيَةَ ابنها ، فانها غريبة . ثم أنشأ يقول :

إنّى امرُؤٌ لا يَطْبِى حَسَبِى ... دَنَسٌ يُهَجّنُه ولا أَفْنُ (١)
من مِنقر فى بيت مَكْرُمة ... والغُصْنُ يَنْبُتُ حوله الغُصْنُ
خُطباء حين يقول قائِلُهم ... بيضُ الوجوه مَصَاقِعٌ لُسْنُ (٢)
لا يَفْطَنُون لعيب جَارِهِم ... وهمُ لِحِفظ جِواره فُطْنُ (٣)

﴿ مَعْن بن زائدة ـ وجاره بين يدى المهدى ﴾

قال سعيد بن مسلم : نَذَر المهدىّ دمَ رجُل من أهل الكوفة ، كان يَسْعَى فى فساد سُلطانه ، وجعل لمن دَلّ عليه أو جاء به مائة ألف درهم . فأقام الرجل حِينا متوارياً ثم إنّه ظهر بمدينة السَّلَام (٤) ، فكان ظاهراً كغائب خائفاً مُترقّباً . فبينا هو يمشى فى بعض نَواحيها إذ بَصُرَ به رجل من أهل الكوفة فعرَفَهُ فأَهْوَى الى مَجَامع (٥) ثَوْبه ، وقال : هذا بُغْيَةَ أمير المُؤمنين . فأمكَن الرجُل من قِيَاده ، ونظَر الى الموت أمَامَه . فبينا هو على تلك الحال ، اذْ سَمِع وَقْع حوافر الخيل من وراء ظَهره فالتفَت فإذَا مَعْن بن زائدة . فقال : يا أبا الوليد أجِرْنِى أجارك الله . فوقف وقال للرجل الذى تعلّق به : ماشأنك ؟ قال : بُغْيَة أمير المؤمنين الذى نَذَر دَمَهُ ، وأعطَى

(١) اطباه : دعا ، واستهواه . والافن : ضعف الرأى وفعله كفرح (٢) رجل لسن وألسن فصيح ويجمع ألسن على لسن كاحمر وحمر (٣) فطن . جمع فطن كجون : جمع جون ، وهذا جمع نادر (٤) مدينة السلام : هى بغداد أو قسم منها (٥) مجامع الثوب : ما أحاط بالجيب ويقال لها التلابيب

لمن دَلّ عليه مائة ألف . فقال : يا غلام انزِل عن دَابّتِكَ واحمِل أخانا . فصاح الرجلُ يامعشَر النّاس يُحالُ بيني و بين مَن طَلَبهُ أمير المؤمنين ! قال له مَعْن : اذْهَبْ فأَخْبِرْهُ أنه عندِى . فانطلق الى باب أمير المؤمنين فأخبرَ الحاجبَ فدَخل الى المهدىّ فأخبَرَهُ ، فأمر بحبْسِ الرّجل . ووَجّه الى مَعْن مَن يَحضُر به ، فأتَتْهُ رُسل أمير المؤمنين : وقد لَبِس ثِيابَهُ وقُرِّبتْ اليه دَابّته فدعا أهل بيته ومَواليه وقال : لا يُخْلَصَنَّ الى هذا الرّجل وفيكم عين تَطْرِف [1] ، ثم رَكِب ودَخَل حتى سلّم على المهدِىّ فلم يَرُدّ عليه وقال : يامَعن أتُجير علىّ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : ونَعَمْ أيضاً ؟ واشتدّ غضبُه . فقال مَعن : يا أمير المؤمنين قَتَلْتُ فى طاعَتِكم باليَمن فى يوم واحد خَمْسَةَ عشر ألفا ، ولى أيّام كثيرة قد تقدّم فيها بَلائى وحُسن غَنَائِى فما رَأيتمونى أهلاً أن تَهَبُوا لى رجلا واحداً استجارَ بى ؟ فأَطرَق المهدىّ طويلا ثم رفع رأسه وقد سُرِّىَ [2] عنه فقال : قد أَجَرْنَا من أجَرْتَ . قال معن ، فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يَصِلَهُ فيكون قد أَحْيَاه وأغْنَاه « فَعَلَ » قال : قد أمرنا له بخمسة آلاف ، قال يا أمير المؤمنين إنّ صِلاَت الخلفاء على قدر جِنايَات الرعيّة ، وإنّ ذنبَ الرّجل عظيم ، فأَجْزِلْ له الصِّلة . قال : قد أمرنا له بمائة ألف . قال : فتَعَجَّلْها يا أمير المؤمنين بأفضل الدُّعاء . ثُم انْصَرَف ولَحِقهُ المال ، فدعا الرّجلَ وقال له خُذْ صِلَتك ، وألْحِقْ بأَهلِكَ ، و إيّاك ومُخالفة خلفاء الله تعالى .

﴿ معن بن زائدة ـ والأَسْوَد ﴾

رَوى مَرْوَان بن أبى حَفصة عن مَعْن بن زَائدة أنه قال : لما جَدَّ المَنْصُور فى

---

(١) طرفت العين : تحركت (٢) سرى عنه الهم : انكشف ، وقد يحذف المرفوع اكتفاء بالجار والمجرور .

طَلَبى، وجعل لمن يحملنى اليه مالاً، اضْطُرِرْتُ لِشدَّة الطَّلب أن تَعَرّضتُ للشَّمس حتى لَوَّحَتْ[١] وجهى، وخَفَّفت عَارِضَىَّ[٢]، ولَبِسْتُ جُبّة صُوف، وركِبتُ جَمَلاً وخرجتُ مُتوجّهاً الى البادية لأُقِيم بها. فلمّا خرجتُ من باب حَرْب، وهو أحد أبواب بغداد: تَبِعَنِى أسودُ مُتقلّدٌ سيفا، حتى إذَا غِبتُ عن الحَرَس قبض على خِطَام الجمَل فأَناخه وقبض على يدى. فقلت له: مَابِك؟ فقال: أنت[٣] طَلِبَة أمير المؤمنين. فقلت: ومَن أنا حتى أُطْلَب؟ فقال: أنت مَعْن بن زائدة. فقلت له: ياهذا ـ اتّق الله عزّوجل، وأين أنا من مَعن؟ فقال: دع هذا: فانى والله لَأَعرَفُ بك منك. فلمّا رأيت منه الجِدّ قلت له: هذا عِقْد جَوْهر، قد حَمَلْتهُ معى بأضْعَاف ماجَعَله المنصور لمن يجيئه بى، فخُذْهُ ولا تكن سبباً لسَفْك دمى. قال: هَاتِه فأخرجتُه اليه فنظر فيه ساعة وقال: صَدَقْتَ فى قيمته، ولستُ قابِله منك حتى أسأَلكَ عن شئ فإن صَدَقْتَنى أَطلقْتُك. فقلت: قل. قال: إنّ الناسَ قد وصفوك بالُجود، فأَخْبِرْنِى هل وهبتَ مالكَ كلّه قَطُّ؟ قلت: لا. قال: فنصفَهُ؟ قلت: لا. قال: فَثُلْثَهُ؟ قلت: لا. حتى بلغ العُشْر، فاستَحْيَيْتُ وقلت: أظُنّ أنّى قد فعلت هذا. قال: ما ذاك بعظيم. أنا والله رَاجل[٤] ورزقى من أبى جَعفر المنصور كلَّ شهر عشرون درهماً وهذا الجوهرُ قيمته ألُوفُ دنانيرَ وقد وهَبتُه لك ووهبتُكَ لنفسِك ولُجودِك المأثور بين النَّاس، ولِتَعْلم أنّ فى هذه الدنيا من هو أجودُ منك فلا تُعْجِبك نَفَسُك ولْتَحْقِر بعد هذا كلّ جودٍ فعلتَهُ ولا تَتَوَقَّف عن مَكْرُمة. فقلت: ياهذا قد والله فَضَحْتَنى ولَسَفْكُ دمى عَلَىَّ أهْوَن ممّا فَعلتَ، فخُذ ما دفعتُه لك فانّى غَنىٌّ عنه، فضحك

---

(١) لوحه العطش والسفر: غيره، ولوحت وجهه الشمس: غيرت لونه (٢) العارضان: جانبا الوجه وما يكون عليهما من اللحية (٣) الطلبة: الحاجة وما يطلب (٤) الراجل: غير الراكب

وقال : أردْتَ أن تُكَذِّبَنى فى مقالى هذا . والله لا أخذْتهُ ولا آخُذُ لمعروفٍ ثمناً أبدا ! ومضَى لسبيله . فو الله لقد طلبته بعد أنْ أمِنت . وبذلْتُ لمَن يجىء بهماشاء فما عرَفْتُ له خبرَا وكأنَّ الأرضَ ابتلعته .

﴿ معاوية ـ والأعرابيّة ﴾

خرَجَ معاوية مُتنَزِّها ، فمرّ بِحَواءٍ (١) ضَخم فقصد قَصْد بيت منه ، فاذَا بفِنَائه امرأة بَرْزَة (٢) ، فقال لها : هل من غَدَاء ؟ قالت : نَعمَ حاضِر . قال : وماغَدَاؤُكِ ؟ قالت : خُبْزٌ خَمِير ، وماء نَمِير ، (٣) وحَيْسٌ فطير ، ولبن هَجِير ، (٤) فثنَى وَرِكه ونزَل ، فلمّا تغدّى قال : هل لك من حاجة ؟ فذكرت حاجة أهل الحِواء . قال : هَات حاجَتَكِ فى خاصّة نفسك . قالت : يا أمير المؤمنين : إنِّى أكرهُ أن تَنزِل وادياً (٥) فيَرِفّ أوّلهُ ، ويَقِفُّ آخرهُ (٦) .

﴿ الأحنف بين يدى معاوية ﴾

وَفَدَ الأحنفُ بن قَيس على مُعاوية مع أهل العِراق ، فخرج الآذِنُ فقال : إنّ أمير المؤمنين يَعْزِم عليكم أن لا يَتكلّم أحدٌ إلاّ لنفسِه . فلمّا وصلوا اليه قال الأحنف : لولا عَزْمة أمير المؤمنين لأَخْبَرْته أنّ دَافّة دَفّت (٧) ونازلةً نزلت ونَابتَة نبتتْ ، كلّهم بهم حاجَةٌ الى معروف أمير المؤمنين وبِرِّه . فقال معاوية : حَسْبُك يا أبا بَحْرٍ فقد كَفَيْت الشّاهد والغائب .

---

(١) الحواء ككتاب : جماعة البيوت المتدانية (٢) البرزة من النساء : الكهلة الجليلة تبرز للقوم وتحدثهم مع العفة (٣) الحيس : تمر يخلط بسمن ولبن ممخوض (٤) الهجير : الخاثر من اللبن (٥) رف النبات : اهتز (٦) قف النبات : يبس (٧) يقال : دفت دافة أى أتت فئه مهاجرة .

﴿ الأحنف بين يدى عمر بن الخطاب ﴾

قدم الأحنفُ بن قَيس التَّميمى على عمر بن الخطاب فى أهل البصرة وأهل الكوفة . فتكلّموا عنده فى أنفسهم وما يَنُوب كلّ واحدٍ منهم، وتكلّم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ مفاتيحَ الخيرِ بيد الله ، وقد أتتك وفودُ أهل العراق وانّ اخوانَنَا من أهل الكوفة والشّام ومِصر نزَلُوا منازلَ الأمَمِ الخالية ، والملوك الجبابرة ، ومنازلَ كِسرى وقَيْصر وبَنى الأصفر (١) ، فهم من المياه العَذْبَة والجِنَانِ المُختلفة فى مثل حُوَلاء السَّلَى (٢) وحَدَقة (٣) البعير ، تأتيهم ثمارُهم غَضّة لم تَخْصَر (٤) و إنّانزلنَا أرضاً طَرَفٌ فى فَلاَة . وطَرَفٌ فى مِلْح أُجَاج ، جانبٌ منها مَنَابت القصب وجانبٌ سَبَخَة نَشَّاشة (٥) لا يجفُّ ثرَاها ، ولا يَنْبُت مرعَاها . يخرج الرجل الضّعيف مِنَّا يستعذبُ الماء من فَرْسَخَيْن ، وتخرج المرأة بمثل ذلك تُرنِّق (٦) لولدها تَرْنيق العَنْز ، تَخَافُ عليه العدوّ والسَّبُعَ . فإِلَّا تَرْفع خَسِيسَتَنَا ، وتَنْعَش (٧) رَكِيستَنَا وتَجْبُرُ فاقتنا ، وتَزِدْ فى عيالنا عيالا . وفى رجالنا رجالا ، وتُصغِّر درهمنا ، وتُكبّر قَفِيزَنَا (٨) ، وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء هلكنا . فقال عمر : هذا والله السيّد ! هذا والله السيّد ! ثم كتب الى أبى موسى الأشعرىّ أن يحتفِر لهم نهرا .

﴿ أُسَيْد بن عَنْقَاء ـ وعُمَيْلة الفزارى ﴾

كان أُسَيْد بن عَنْقاء الفزَارى من أكْبَرِ أهل زمانه ، وأشدّهم عارضة ولسانا

---

(١) بنو الأصفر عند العرب : هم الروم (٢) السلى : غلاف رقيق يكون فيه المولود والحولاء : جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد وهذا يكنون به عن الخصب وكثرة الماء والخضرة (٣) قال فى اللسان : وفى حديث الأحنف نزلوا فى مثل حدقة البعير أى نزلوا فى خصب وشبهه بحدقة البعير لانهاريا من الماء (٤) خصر : يرد (٥) أرض سبخة نشاشة : لايجف ثراها ولا ينبت مرعاها (٦) رنق الماء صفاه (٧) نعشه : رفعه كانعشه والركيسة الضعيفة .
(٨) القفيز : مكيال

وطال عُمره ، ونكبَه دَهْره ، واختلّت حاله ، فخرج عَشيّة يتَبَقّل [١] لأهله ، فمرّ به عُميلة الفزارى ، فسلّم عليه وقال : يا عمّ ما أصارك الى ما أرى ؟ قال : بُخْل مثْلك بمَاله ، وصَوْن وجْهى عن أموال النّاس . فقال : لئِنْ بقيتُ الى غدٍ لأُغَيِّرنّ ما أرى من حالكَ . فرجع ابن عَنقاء الى أهله ، فأخبرَها بما قال له عُمَيْلة . فقالت له لقد غرّك كلام غُلام ، جُنْح ظلام . [٢] فكأنّما ألقمَتْ فاه حجرا ، فبات متململا بين رَجاء ويأْس . فلمّا كان السَّحَر : سمع رُغاءَ الإبل ، وثُغاء الشّاء ، وصَهيل الخيل ولَجَبَ الأموال [٣] . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : هذا عُمَيْلة ، ساق اليك مَالهُ . فخرج ابن عَنقاء له ، فقَسَم عُميلةُ مالهَ شطرين ، وساهمه [٤] عليه . فأنشأ ابن عنقاء يقول

رآنى على مابى عُمَيلة فاشتكى ... الى ماله حالى أسرَّ كما جهَرْ
دعانى فآسانى ولو ضنّ لم يلُم ... على حين لا بدْوٌ يُرَجّى ولا حضَرْ
فقلتُ له خيراً وأثْنَيْتُ فعلَه ... وأوفاك ما أُبليت من ذمّ أوشكَرْ
ولمّا رأى المجدَ استعيرَتْ ثيابه ... تَرَدَّى رِداءً سابغَ الذيْل واتَّزَرْ [٥]
غلام رماه الله بالخيْرِ مُقْبلا ... له سيمياءُ لا تَشُقُّ على البصرْ [٦]
اذا قيلت العَوْرَاء أغْضَى كأنّه ... ذليلٌ بلاذُلٍّ ولوشَاء لانتصرْ [٧]

﴿ الفضل ـ وجعفر ابنا يحيى البرمكى ﴾

قال [٨] محمد بن عبد الرحمن الهاشمى : كانت أمُّ جعفر بن يحيى تزورُ أمّى

(١) تبقل : خرج يطلب البقل (٢) جنح الليل أو الظلام : الطائفة منه (٣) اللجب : الجلبة والصياح واضطراب موج البحر (٤) ساهمه : قارعه أى ضرب القرعة. (٥) : اتزر من الازار قلبت الهمزة تاء وأدغمت فى تاء الافتعال (٦) السيما والسيماء والسميا والسيمياء : العلامة . يقول يفرح به من يراه للطف محياه . (٧) العوراء الكلمة القبيحة ، وقريب من هذا البيت قوله

يصم عن الفحشاء حتى كأنه ... اذا ذكرت فى مجلس القوم غائب

(٨) هو محمد بن غسان بن عبد الرحمن صاحب صلاة الكوفه .

وكانت لبيبة من النساء ، حازمةً فصيحةً بَرْزَة ، يعجبُنِي أنْ أجِدَها عنـد أُمّى فأَستَكْثِر من حديثها ، فقلت لها يوماً : ياأُمّ جعفر : إن بعض الناس يُفضِّل جعفراً على الفَضْل ، و بعضهم يُفضّل الفضل على جعفر . فأَخبرِينى . فقالت : ما زلنا نعرف الفَضْلَ للفَضْل . فقلت : إنّ أكثر الناس على خلاف هذا . فقالت : هأنذَهْ أُحدّثُك واقْضِ أنتَ . وذلك الّذى أردتُ منها . فقالت : كانَا يوماً يلعبان فى دَارى ، فدخل أبوهما : فدعا بالغِذاء وأحضرهما ، فطَعِمَا معه ، ثم آنَسهما بحديثه ، ثم قال لهما : أتلعبان بالشِّطْرَنج ؟ فقال جعفر وكان أجرأَهُما : نعم ! قال : فهل لاَعبتَ أخاك بها ؟ قال جعفر : لا . قال : فَالعبَاها بين يَدىّ لِأَرَى لِمَن الغَلَب ؟ فقال جعفر : نعم ! وكان الفضْل أبْصَرَ منه بها . فجىء بالشِّطْرَنج فَصُفَّت بينهما . وأقْبَل عليها جعفر ، وأعْرَضَ عنها الفضل . فقال له أبوه : مالك لا تُلاعِبُ أخاك ؟ فقال : لا أُحبُّ ذلك . فقال جعفر : إنّه يرَى أنّه أعلمُ بها منّى ، فيأْنَفُ من مُلاَعبتى ، وأنا أُلاعِبه مُخَاطرةً فقال الفضل : لاأفعلُ . فقال أبوهُ : لاعِبْهُ وأنا معَك . فقال جعفر : رَضِيتُ . وأبَى الفضلُ ، واستعفَى أباه : فأَعفاه . ثم قالت لى : قد حدَّثْتك فاقْضِ . فقلت : قد قضيتُ بالفضل للفضل على أخيه . فقالت : لو علِمْتُ أنّك لا تُحْسِن القضَاء لَمَا حَكَّمْتُكَ . أفلا ترى أنّ جعفراً قد سقَطَ أربع سقَطات تَنزَّه الفضلُ عنهنّ ؟

فسقَط حين اعْتَرَفَ على نفسه بأنه يَلْعَب بالشِّطْرَنج ، وكان أبوه صاحب جِدّ

وسقط فى التزام مُلاَعبَةِ أخيه واظْهارِ الشَّهوةِ لغَلَبه والتَّعرُّض لغضَبِه .

وسقط فى طلب المُقَامَرَةِ وإظْهارِ الحِرْص على مالِ أخيه .

والرابعة قاصمة الظهر حين قال أبوه لأخيه لاعِبْهُ وأنا معَك ، فقال أخوه لا ، وقال هو نعم ؟ فناصب صفًّا فيه أبوه وأخوه ؟ فقلت أحسنتِ ، والله وإنّكِ

لأقضىَ من الشَّعْبى . ثم قلتُ لها : عزمت عليك أخبرينى هل خفِى مِثْلُ هذا على جعفر ؟ وقد فطِن له أخوه ، فقالت : لولا العَزْمة لمَا أخبرْتُك إنّ أباهما لمَّا خرج ، قلت للفضل « خالية به » : ما مَنَعَك من إدخال السّرور على أبيك بمُلاعبَةِ أخيك ؟ فقال : أمرانِ : أحدهما ـ لو أنِّى لا عبتُه لَغلبْتهُ فأخجلته والثّانى : قولُ أبى لا عِبْه وأنا مَعَك ، فما يَسُرُّنى أن يكون أبِى مَعِى على أخِى . ثم خلوت بجَعْفر ، فقلت له : يسأل أبوك عن اللّعب بالشَّطْرَنْج فيَصْمُت أخوك وتَعترف ، وأبوك صاحب جدّ ؟ فقال : إنّى سمعت أبِى يقول نِعْم لَهْوُ البال المَكْدود (١) . وقد علِم مانلقاه من كَدّ التّعلّم والتّأدّب . ولم آمَنْ أن يكون بلَغه أنّا نلعب بها ، ولا أن يبُادِر فيُنْكر ، فبادرتُ بالإقْرَارِ اشفاقاً على نفسى وعليه ، وقلت إنْ كان توبيخٌ فَدَيته من المُوَاجهَةِ بهِ . فقلت له : يابُنَىَّ ، فلَم تقول ألاَعبه مُخَاطرة ؟ كأنّك تُقَامِر أخاك وتَسْتَكْثِرُ ماله . فقال : كَلاّ ـ ولكنهُ يَسْتَحْسِنُ الدَّواةَ التى وهَبَها لى أمير المؤمنين فعَرضْتها عليه فأبىَ قبولَها ، وطمِعتُ أنْ يُلاعِبَنى فأخاطرهُ عليها ، وهو يَغْلبنى فتَطِيبُ نفسُه بأخذها . فقلت لها : يا أمّاه ما كانت هذه الدّواة ؟ فقالت : إنّ جعفرا دخل على أمير المؤمنين ، فرأى بين يَدَيْهِ دَواةً من العقيق الأحمر ، مُحلاّةً بالياقوت الأزرق والأصفر ، فرآه ينْظُر اليها فوَهَبَها له . فقلت إيهِ . فقالت : ثم قلت لجعفر هَبْكَ اعْتَذَرْتَ بما سَمِعْت . فما عُذْرُكَ من الرّضا بمُناصَبَة أبيك حين قال لاَ عِبْهُ وأنا معك ؟ فقلت أنت نعم : وقال هو لا ؟ فقال : عرَفتُ أنه غالِبى ، ولو فتَر لَعِبهُ لتَغالَبتُ له ، مع مالَهُ من الشّرَفِ والسُّرور بتَحيزِ أبيه اليه . قال محمد بن عبدالرّحمن فقلت . بَخٍ بَخٍ (٢) هذه والله السِّيادة ! ثم قلت لها : يا أمّاه ـ أكان منهما مَن بلَغ

(١) كده : أجهده وأتعبه (٢) يقال : بخ بخ ـ وبخ بخ اعجابا بالشئ واظهاراً للسرور به

الحُلُم ؟ فقالت : يا بنى : أين يُذْهَب بك ؟ أُخبِرُك عن صَبيين يلعبان : فتقول « أكان منهما من بَلَغ الحُلُم » ؟ ! لقد كُنَّا نَنْهَى الصَّبِىَّ إذا بلغ العشْر . وحضر من يُسْتَحَى منه أن يبْتَسِم .

﴿ براعة الرشيد فى الأدب ﴾

دخل سهل بن هرون على الرشيد وهو يُضاحك المأمون فقال : أللّهُمّ زِدْهُ من الخيرات ، وابْسُط له من البركات ، حتّى يكونَ فى كلّ يومٍ من أيّامِه مُرْبِياً على أمْسِه ، مُقَصِّرا عن غده .

فقال له الرّشيد . ياسهل : مَنْ رَوَى من الشّعْر أحْسَنَهُ وأرْصَنه ، ومن الحديث أفصَحهُ وأوضَحهُ ، إذا رام أن يقول لم يُعْجِزْه القول .

فقال سهل : يا أمير المؤمنين ما ظَنَنتُ أنّ أحداً تَقدّمَنِى الى هذا المعنى . قال : بل أعْشَى هَمْدَان : حيث يقول :

رأيتُك أمسِ خيرَ بَنِى لُؤَىّ ... وأنتَ اليومَ خيرٌ مِنْك أمسِ
وأنتَ غداً تَزِيد الخيرَ ضِعفاً ... كذاك تَزيدُ سادَةُ عبد شمسِ

﴿ الواثق وابن أبى دُوَاد ﴾

قال أبو العَيناء : دخل ابنُ أبى دُواد على الواثق فقال له : ما زال اليوم قومٌ فى ثَلْبك ونَقصِك . فقال : يا أمير المؤمنين لِكلّ امرىءٍ منهم ما اكْتسَب من الإثْم . والّذى تولّى كِبْره منهم له عذابٌ عظيم . والله ولىّ جزائه ، وعقابُ أمير المؤمنين من ورائِه ، وما ذَلَّ يا أمير المؤمنين مَن كُنْتَ ناصرَه . ولا ضاعَ من كُنْت حافِظَه . فماذا قلتَ لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قُلْتُ يا أبا عبد الله :

وَسعَى الىَّ بِعَيْبِ « عزّة » مَعشرٌ ... جعلَ الالهُ خُدُودَهُنَّ نِعَالَها

﴿ المنصور ـ والربيع بن يونُس [١] ﴾

قال سَعيد بن مُسْلِم بن قُتَيْبة : دَعَا المنصُور بالربيع فقال : سَلْنِي ما تُريد؟ فقد سَكتَّ حتى نطقتُ [٢] ، وخَفَفْتَ حتى ثَقُلتُ ، وأقللتَ حتى أكْثرتُ فقال : والله يا أمير المؤمنين : ما أرْهَبُ بُخْلَك، ولا أَسْتَقْصِرُ عُمرَك، ولا أستصغرُ فضْلك ، ولا أغْتنِمُ مَالَكَ ، وإنّ يومى بفَضْلك علىّ أَحْسَنَ مِنْ أَمْسِى ، وغَدُك فى تأْمِيلى أحسنُ منْ يومى . ولو جَازَ أَنْ يَشْكُرَكَ مثلى بغير الخِدمة والمُناصحةِ لَمَا سَبَقَنِي لذلك أحد .

قال : صدقتَ . عِلْمِي بهذا منك أَحلّك هذا المحل . فسَلْنِي ما شِئْتَ ؟؟

قال :أسألك أن تُقَرّب عبدَك « الفضل » وتُؤْثِرَه وتُحبَّه .

قال : يا ربيع : إن الحُبّ ليس بمالٍ يوهَب، ولا رُتبة تُبْذَل ، وانّما تُؤَكّده الاسباب

قال : فاجْعَل لِى طريقاً اليه بالتَّفَضُّل عليه .

قال : صدقْتَ . وقد وصلْتُه بألف ألف درهم ، ولم أصِلْ بها أحدا غير عُمُومتى لِتعلَم ماله عِندى ، فيكون منه مايَسْتَدْعِي به مَحبَّتى . وكيف سألت له المحبّة يا ربيع؟

قال : لأنّها مِفْتاح كلّ خيرٍ . ومِغْلاقُ كُلّ شرّ ، تَسْتَتِر بها عندك عُيُوبه وتصير حسناتٍ ذُنُوبه . قال : صدقت ، وأَتَيْتَ بمَا أَردت .

﴿ الأعرابى السّائل ﴾

وقَفَ أعرَابى يَسأَلُ ، فعَبِثَ به فَتى ، وقال : مِمَّن أنتَ ؟

---

(١) الربيع بن يونس هو حاجب المنصور توفى سنه ١٧٠ هـ

(٢) يقول : إنك أطلت السكوت فنبهت بذلك على نفسك فقام السكوت مقام الكلام ، وعلى هذا القياس ما بعده .

فقال الأعرابى : من بنى عامر بن صعصعة قال : من أيهم ؟

قال : إن كنتَ أردتَ مُعاطفة القرابة فليكفِك هذا المقدارُ من المعرفة فليس مقامى بمقام مُجادلة ولا مُفاخرة ، وأنا أقول ، فإنْ لم أكنْ من هاماتهم [١] فلستُ من أعجازهم .

فقال الفتى : ما رَوَيتَ عن فضيلتك إلاّ النقص فى حسَبك .

فامتعض [٢] الأعرابى لذلك . فجعلَ الفتى يعتذرُ ، ويخلط الهزلَ والدّعابة [٣] باعتذاره ، وأطال الكلام : فقال له الأعرابى ، ياهذا ! إنّك منذُ اليوم أدأبتنى بمزحك ، وقطعتنى عن مسألتى بكلامك واعتذارك ، وإنّك لتكشف من جهلك بكلامك ما كان السّكوتُ يستره من أمرك . ويحكَ ! إنّ الجاهل إنْ مزَح أسْخط وإنْ اعتذر أفرط ، وإنْ حدّث أسقط [٤] وإنْ قدر تسلّط ، وإنْ عزَم على أمر تورّط [٥] وإنْ جلس مجلس الوقار تبسّط [٦] . أعوذُ منك ، ومن حالٍ اضطرّتنى الى احتمال مثلك .

﴿ مُعاوية ـ والأحنف بن قيس ﴾

لمّا عزَم مُعاويةُ على البَيْعَة ليزيد : كتب الى زياد ـ أن يُوجّه اليه بوَفد أهل العراق . فبعث اليه بوفد البصرة والكُوفة ، فتكلّمتْ الخطباء فى يزيد والأحنفُ بن قَيْس ساكتٌ ، فلمّا فرَغوا ـ قال : قُلْ يا أبا بحر ، فانّ العيونَ اليك أشْرَعُ [٧] منها إلى غيرك ، فقام الأحنف : فحَمِدَ الله وأثْنى عليه ، وصلّى على نبيه صلّى الله عليه وسلم ـ ثم قال :

---

(١) الهامات : الرءوس . (٢) امتعض : تألم . (٣) الدعابة : اللعب والمزح
(٤) أسقط : أخطأ . (٥) تورط فى الأمر : وقع وارتبك . (٦) تبسط : أكثر من القول وجانب الاحتشام . (٧) أشرع : ارفع وأكثر نظراً .

يا أمير المؤمنين : إنّك أعلَمُنَا بيزيد فى لَيلِه ونَهاره ، واعلانِه وإسْرَارِه فإنْ كُنتَ تعلَمُه لله رضاً ، فلا تُشَاوِرْ فيه أحدا ، ولا تقِم له الخطَباء والشّعراء ، وإن كنتَ تعلم بُعْدَه من الله ، فلا تزوِّدْه من الدّنيا وترْحل أنت إلى الآخرة فإنّك تصير الى يومٍ يفِرُّ المرء من أخيه ، وأمّه وأبيه ، وصاحِبَتِه وبنيه . فكأنّه أفرَغ على معاوية ذَنوبَ (١) ماءٍ بارد .

فقال له : أقْعُد يا أبا بَحر ، فإنّ خِيرَة اللهِ تجْرِى ، وقَضاءه يَمْضِى ، وأحكامَه تَنْفُذُ ، لا مُعَقِّب (٢) لحُكْمِه ، ولا رَادّ لقضائه ، وإنّ « يزيد » فتى بلَوْناه ولم نَجِدْ فى قُرَيْش فتًى هو أجْدَر بأنْ يُجْتَمَع عليه منه .

فقال : يا أمير المؤمنين : أنت تَحْكِى عن شَاهِد ، ونحن نتكلّم على غائب واذَا أراد الله شيئاً كان .

﴿ الحَجّاج ـ ورسول المُهَلّب ﴾

يُروَى أنّ المُهلَّب (٣) لَمَّا فَرَغ من أمْرِ عبد ربّه الحَرُورِى (٤) ، دَعا بِشْر ابن (٥) مالك : فأنفذَه بالبِشارة الى الحجّاج . فلمّا دخل على الحجّاج قال : ما اسمُك ؟ قال : بِشْر بن مالك . فقال الحجّاج : بِشَارَةٌ ومُلْك . كيف خلَّفْت المُهلَّب ؟ قال : خلَّفْته وقد أمِنَ ما خَاف ، وأدْرك ما طَلَب . قال : كيف كانت حالكم مع عدوّكم ؟ قال : كانت البُدَاءة لهم ، والعاقبة لنَا . قال الحجاج : العاقبةُ للمتّقين ، فما حال

---

(١) الذنوب : الدلو الملأى ، جمعه أذنبة ذنائب (٢) أي لاراد لقضائه .

(٣) هو المهلب بن أبى صفرة الأزدى : كان شجاعا مهيبا وقائدا من أكبر قواد الجيوش فى الدولة الأموية وهو الذى شتت الخوارج ومزقهم كل ممزق . ويقال للبصرة بصرة المهلب لانه حماها من الخوارج توفى سنة ٨٣ هـ (٤) الحرورى نسبه الى حروراء على غير القياس وهى بلدة بقرب الكوفة . والحرورية : فرقة من الخوارج كالازارقة . (٥) كذا فى زهر الآداب وفى تاريخ ابن خلكان أن اسم الرسول مالك بن بشير ـ والخطب سهل .

الجُند ؟ قال : وسعهُم الحقّ ، وأغناهُم النفَل[١] ، وانّهم لَمعَ رجل يَسُوسهم بسياسة الملوك ، ويُقاتِل بهم قتال الصُّعْلوك ، فلهم منه برّ الوالد ، وله منهم طاعةُ الولد . قال : فما حال ولد المُهلّب ؟ قال رُعاة البيَات[٢] حتى يأمنوه ، وحُماة السَّرح[٣] حتى يَرُدُّوه . قال فأيّهم أفضل ؟ قال : ذلك الى أبيهم . قال : وأنت أيضا ، فانّى أرَى لك لساناً وعبارةً . قال : هم كالحلْقةِ المُفْرَغة[٤] لا يُدْرَى أيْنَ طرفاها قال : وَيْحَك ! ! أكُنتَ أعددْتَ لهذا المقام هذا المقال ؟ قال : لا يَعْلَم الغَيْب إلا الله . فقال الحجّاجُ لجلسائه : هذا (والله) الكلام المطبُوع ، لا الكلام المصنُوع

﴿ حديث مُعاوِية ـ وليْلى[٥] الأخيلية ﴾

قال بَعضُ الرُّواة : بينا مُعاوية يَسير إذْ رأى راكباً فقال لبعض شُرَطه ائتِنى به ، وإيّاك أن ترُوعَه . فأتاه فقال : أجِب أميرَ المؤمنين . فقال : إيّاه أردتُ . فلمّا دنا الرّاكبُ حدَر لِثامَه ، فاذا لَيْلى الأخْيليّة : فأنشأت تقول :

مُعَاوِيَ لم أكَد آتيكَ تَهْوِى ... برَحْلِى نحو ساحَتِك الرِّكابُ
تَجوبُ الأرض نحوك ماتأنَّى ... إذَا ماالأكْمُ قنَّعها السَّراب[٦]
وكنتَ المُرْتجَى وبك استعاذَتْ ... لِتنْعَشَها إذا بَخِل السَّحابُ

فقال : ما حاجتُكِ ؟ قالت : ليس مِثلى يَطلبُ الى مثلك حاجة ، فَتَخيَّرْ أنْتَ أعلى عيْناً . فأعطاها خمسين من الإبل . ثم قال : أخبرينى عن مُضَر . قالت :

---

(١) النفل الغنيمة جمعه أنفال . (٢) يقول : إنهم يخشون ان يبيتهم العدوأى يهجم عليهم ليلا فلا ينامون إلا اذا أمنوا ذلك . (٣) السرح : الماشية فى المرعى . (٤) الحلقة المفرغة : المصبوبة قطعة واحدة ، وهذه الجملة مثل لامرأة عربية .

(٥) ليلى الأخيلية أشعر امرأة عربية بعد الخنساء . (٦) الأكم : واحده أكمة وسكنت الكاف للوزن . تقول : إن ركابها تجول فى الأرض قاصدة معاوية ، ولا تتأنى عند اشتداد الحر إذ تتغطى الأكام بالسراب .

فَاخِرْ بمُضَر، وحارِبْ بقَيس، وكَاثِر بتَميم، وناظِرْ بأَسَد[١]

فقال: وَيْحَكِ يالَيلَى؟ أكما يقول النّاس كان تَوْبة؟ قالت يا أمير المؤمنين ليس كلُّ النّاس يقولُ حقًّا. ألناس شَجَرَة بَغْى يَحْسُدون النِّعم حيث كانت، وعلى مَن كانت، كان يا أمير المؤمنين - سَبْطَ البَنَان، حَدِيد اللّسان، شَجَى الأَقران، كريم المَخْبَر، عفيف المِئْزَر، جَميلَ المَنْظَر، وكان كما قُلتُ، ولم أَبْعُد عن الحقّ فيه:

بَعيدَ المَدَى لا يَبلُغُ القَرْم غَوْرَه ألدُّ مُلَدٍّ يَغلِبُ الحقَّ باطِلُه[٢]

فقال مُعاوية: وَيحكِ يا ليلَى! يَزْعُم النّاس أنه كان عاهِراً فاجراً. فقالت من ساعتها مُرتَجلة:

مَعَاذ النُّهى قد كان والله تَوبةٌ جواداً على العِلاّت جَمًّا نوافلُهْ[٣]

أغرُّ خَفَاجِيًّا يَرى البُخْلَ سُبَّةً تُحَالِفُ كفّاه النَّدَى وأنامِلُهْ

عفيفاً بَعِيدَ الهَمِّ صُلبًا قَنَاتُه جَميلاً مُحيّاه قليلاً غوَائلُهْ[٤]

وكان إذَا ما الضّيفُ أَرْغَى بعيرُه لديه أتاهُ نَيْلُه وفَواضلُهْ

وقد علم الجَدْبُ الذى كان ساريًا على الضَّيفِ والجيرانِ أنّك قاتلُهْ

وأنّك رَحْبُ الباع يا تَوَبَ بالقِرَى اذا مالئيم القَوْمِ ضاقتْ منَازلُهْ

يَبيتُ قريرَ العينِ مَن كان جاره ويُضْحِي بِخَيرٍ ضيفُه ومُنَازلُهْ

فقال لها معاوية: وَيْحَكِ يالَيلَى! لقد جُزْتِ بتوبة قَدرَه. فقالت: يا أمير المؤمنين: والله لو رأَيْتَه وخبَرْتَه لَعَلِمْتَ أنّى مُقصِّرةٌ فى نَعته، لا أَبْلُغ كُنْهَ ماهو

(١) مضر: أصل لقيس وتميم وأسد. تقول: إن مضر ذات مجد عظيم وتيس أهل البسالة والأقدام وتميم ذوو الكثرة والعدد وأسد أهل الحجة واللدد. (٢) القرم السيد. والألد: الشديد الخصومة، والملد مبالغة فى الألد. تقول: لايدرك غوره مع شدة عارضة تجعل باطله يغلب الحق (٣) على العلات: أى على كل حال. والنوافل: العطايا. (٤) الغوائل: الدواهى وفلان قليل الغوائل: أى ليس فيه ما يعيبه العشير.

له أهلٌ . فقال لها معاوية : فى أىّ سنّ كان توبة ؟ فقالت : ياأمير المؤمنين :

أتتــهُ المنَايَا حين تَمَّ تَمَامُه وأقْصَرَ عنــه كلّ قِرْن يُنَاضله
وصار كلَيْثِ الغَاب يَحمِي عَرِينَه فترضَى به أشْبَالُه وحلائلُه
عَطُوفٌ حليمٌ حين يُطلَبُ حِلْمُهُ وسُمٌ ذُعافٌ لا تُصاب مَقَاتله

فأمرَ لها بجائزة ، وقال : أىّ ! ما قلتِ فيه أشعر ؟

قالت : يا أمير المؤمنين : ما قلت شيئاً إلا والذى فيه من خِصَال الخيرِ أكْثَرَ ولقد أجَدْتُ حيث أقول :

جزَى اللهُ خَيْراً والجزَاءُ بِكَفه فَتًى من عَقيل ساد غَيْرَ مُكلَّفِ
فتًى كانت الدّنيا تَهُون بأسرِها عليه فلم يَنْفَكّ جَمّ التَّصَرُّف
يَنال عَلِيَّات الأمــور بِهَوْنَةٍ إذَا هى أعْيتْ كلّ خِرْقٍ مُسَوِّف (١)

﴿ ألحارث (٢) بن عَوف المُرِّى ومُصاهرته أوس (٣) بن حارثة الطَّائى ﴾

يُروَى أنّ الحارثَ بن عَوف المُرّى : قال يوما لخارجةَ بن سِنان المُرِّى : أترانِي أخْطُب إلى أحد فيَردّنى ؟ قال : نَعْم . قال : ومَن ذَاك ؟ قال : أوْسُ بن حَارثة ابن لأم الطّائى . فقال الحارثُ لغُلامه : ارْحَلْ بنا . ففَعل : فرَكِبا حتى أتيَا أوساً فلمّا رَأى الحارِثَ بن عوف قال : مَرْحباً بك ياحارِث . قال : وَبك . قال : ما جاء

(١) الهونة : التؤدة . والخرق : الفتى الحسن الكريم السجايا . والمسوف : من يصنع ما شاء لايرده احد .

(٢) هو أحد عظماء ذبيان . ومرة : بطن من ذبيان . والحارث أحد السيدين اللذين سعيا فى الصلح بين عبس وذبيان فى حرب داحس والغبراء التى دامت نحو أربعين سنة . وقد احتملا فى حملهما خاصة غرامة تلك الحرب .

(٣) هو سيد طيئ فى زمانه وفيه يقول الشاعر :

الى أوس بن حارثة بن لأم ليقضى حاجتى فيمن قضاها
فما وطئ الحصا مثل ابن سعدى ولالبس النعال ولا احتذاها

بك ؟ قال : جئتُك خاطباً . قال : لَسْتَ [١] هناك . فانصرفَ ولم يُكلّمه ، ودخل أوْسٌ على امرأته مُغضَباً ـ وكانت من بَنِي عَبْسٍ [٢] ـ فقالت : مَنْ الرجلُ الّذى وقف عليك فلم يُطِل ولم تُكلِّمه ؟ قال : ذاك سيِّد العرب الحارثُ بن عَوف المُرِّى قالت : فمالَكَ لا تَستنزلُه ؟ قال : إنّه اسْتَحْمَق [٣] . قالت : وكيفَ ؟ قال : جاءنى خاطباً . قالت : أفتُريد أن تُزوّجَ بناتَك ؟ قال : نَعَم . قالت : فاذَا لم تُزوِّجْ سيّدَ العرب : فَمن ؟ قال : قد كانَ ذلك . قالت : فَتداركْ ما كانَ منك . قال بماذَا ؟ قالت تَلْحقُه فتردُّه . قال : وكيف وقد فَرَطَ منِّى ما فرطَ اليه ؟ قالت : تقول له : إنك لَقيتَنِي مُقتضِباً [٤] بأمر لم يَتقدَّم منّى فيه قول ، فلم يَكُنْ عندى فيه من الجواب إلا ما سمعتَ ، فانصرفْ ولكَ عندى كلّ ما أحببتَ ؟ فانه سيَفعلُ . فَرَكِبَ فى أثرهما . قال خارجةُ بن سنان : فوالله إنّى لأسيرُ إذْ حانَتْ منِّى التِفَاتَةٌ ، فرأيته فأقبلتُ على الحارث وما يُكلِّمُنى غَمّاً ، فقلت له : هذا أوسُ بن حارثة فى أثرِنا . قال : وما نَصْنَعُ به ؟ امْضِ . فلمّا رآنا لا نَقِف عليه ، صاحَ : ياحارثُ اربَعْ [٥] علىّ ساعة . فوقفنا له . فكلّمَنَا بذلك الكلام ، فَرَجَعَ مسرُوراً .

فَبلَغنِي أن أوْساً لمّا دخل منزله ـ قال لزَوْجته : ادْعِي لى فُلانة ـ لأكبر بناتِه فأتتهُ ، فقال : يابُنيَّة هذا الحارث بن عوف سيّدٌ من سادات العرب ، قد جاءنى طالباً خاطِباً ، وقد أردتُ أن أُزوِّجك منه ، فما تَقولينَ ؟ قالت : لا تَفْعَلْ . قال : ولِمَهْ ؟ قالت : لِأنّى امرأةٌ فى وَجهِى رَدَّة [٦] ، وفى خُلُقى بعض العُهْدة [٧] ، ولستُ

(١) أى لست كفئا . (٢) عبس وذبيان ابنا عم . (٣) استحمق : فعل فعل الحمق
(٤) الاقتضاب : المفاجأة .
(٥) ربع عليه : وقف له أو مال اليه . (٦) يقال : فى وجهه ردة أى قبح مع شئ من الجمال .
(٧) العهدة : الضعف .

بابْنة عمّه فيَرْعَى رَحمِي، وليس بجَارِك فى البلد فيَسْتَحِي منك ، ولا آمنُ أن يَرَى مِنِّى ما يَكْرَهُ فيَطْلُقُنى ، فيكون علىّ فى ذلك ما فيه . قال : قُومِى بارك الله عليك ادْعِى لِى فُلانة « لابنته الوُسطى » فَدَعتهَا ثم قال لها مثلَ قوله لأُختها فأجابتْهُ بمثل جوابها وقالت : إنِّى خَرقاء [1] ولَيْستْ بيدى صِناعةٌ ، ولا آمنُ أن يَرَى مِنِّى ما يكرهُ فيَطْلُقنى، فيكون علىّ فى ذلك مَا تعلَمُ، وليس بابن عَمِّى فيرعى حقِّى ولاجارك فى بلدِك فيَستحييك . قال : قُومِى بارك الله عليك ، ادْعِى لى « بَهِيسة » « يعنى الصُّغرى » فأُتِى بها ، فقال لها كما قال لهما . فقالت : أنت وذاك . فقال لها : قد عَرَضْتُ ذلك على أُختَيكِ فأَبتَاهُ ، فقالت ولم يَذكر لها مقالتيهما ، لكنّى والله الجميلةُ وجهاً. الصّنَاع [2] يداً، الرَّفيعةُ خُلُقاً ، الحسِيبة أباً ، فانْ طَلَّقَنِى فلا أَخلفَ الله عليه بِخَيرٍ . فقال : بارَكَ الله عليك .

قال خارجة : ثم خرجَ الينَا فقال : قد زوّجتك ياحارث « بَهِيسةَ » بنت أَوْس قال : قد قَبِلْتُ . ثم أمر أمّها أن تُهيِّئها، وتُصْلح من شأنها ، ثم أمر ببيت فضُرِب [3] له ، وأنزله إيّاه . فلمّا هُيِّئتْ بَعَث بها اليه ، فلم يَلْبَثْ عندها إلا هُنَيْهَة [4] ثم خرج الىّ ، فقلت : أبنيتَ بأهلك ؟ قال : لا ـ والله ، فانى لمّا دَنَوْت منها قالت : مَهْ ، أعِنْد بى واخوَتى ؟ هذا والله مالا يكون . قال خارجة : ثم ارتحلنا بها فسِرْنا ماشاء الله ثم انتحَى بها ناحيةً ، ولم يَلْبث أنْ عادَ الىّ . فقلت : أبنَيْتَ بأهلِكَ ؟ قال : لا والله فقد قالت : أكما يُفعل بالأَمَةِ الجَلِيبة [5] ؟ والسبيّة الأَخيذة [6] ؟ لا والله حتى تَنحر الجُزُر ، وتَذبَح الغَنَم ، وتَدعو العَرب ، وتَعْمَل ما يُعمل لِمثلى . قلت : والله إنّى لأَرى هِمّة وعقلاً ، وأرجو أن تكونَ المرأة مُنْجِبةً انْ شاء الله . فَرَحلْناحتى قدمنا

(١) الحرقاء : التى لاتحسن صنعة (٢) امرأة صناع : حاذقةفى الصناعة (٣) أقيم وبنى
(٤) الهنيهة : الزمن اليسير. (٥) الجليبة : المجلوبة (٦) الأخيذة : المأخوذة

وأحضَر الإبِل والغنم، ثم خلاَ بها، ولم يَنشبْ أنْ خرج. فقلت: أبنيتَ بأهلك؟ قال: لا ـ فقد قُلْت لها قد أحْضَرنا من المال ما قد تُريدينَ. فقالت: والله لقد ذكرتَ لى من الشَرف مالاَ أراهُ فيك. قلت: وكيف؟ قالت: أتفرُغ للنّساءِ والعربُ يَقتلُ بعضُها بعضاً؟ — وذلك فى أيام حرب عَبس ذُبيَان — قلت: فماذَا تُريدين؟ قالت: أُخرجْ الى هؤلاء القوم فأصْلح بينهم، ثم ارْجِعْ الى أهلِك فلن يَفوتَك. قال خارجة. فقلت: والله إنى لأَرى هِمّةً وعقلا. قال: فاخْرُج بنا فخرجنا حتى أتَينَا القوم، فمَشَينا فيما بينهم بالصُّلح، فاصطلحُوا وحَمَلْنَا عنهم الدّيات، فكانت ثلاثة آلاف بعير فى ثلاث سنين، فانصرفْنَا بأجمل الذِّكر (١)

« ولَوكان النِّساء «كمثْلِ هذِى» لُفضّلَتِ النِّساء على الرِّجالِ »

﴿ سَوْدة بنت عُمَارة ـ ومعاوية ﴾

قال عامرُ الشَّعبىّ: وفَدتْ سَوْدةُ بنت عمارة بن الأشتَر الهَمْدانيّة على مُعاوية بن أبى سُفيان: فاستأذنتْ عليه فأذِن لها، فلمّا دخلت عليه سلَّمت، فقال لها: كيف أنت يا ابنة الأشتر؟ قالت: بِخَيرٍ يا أميرَ المؤمنين. قال لها: أنت القائلة لأخيك

شمِّر لفعل أبيك يا بن عُمارة يوم الطِّعان وملْتَقَى الأقرَانِ
وانصُرْ عَليّا والحُسينَ وَرَهْطَهُ واقصِد لِهند(٢) وابنها بهَوَانِ
إنّ الإمامَ أخَا النّبىّ محمّد عَلمُ الهُدَى ومنارةُ الإيمَانِ
فقُدِ الجيوشَ وسِر أمامَ لِوَائه قُدُمًا بأبيضَ صَارِم وسِنَانِ

(١) وقد خلد زهير هذا الذكر الجميل فى معلقته إذ يقول من ابيات كثيرة:

يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

(٢) هند هى أم معاوية

قالت : يا أميرَ المؤمنين مات الرأسُ وبتُر الذَّنَب ، فَدَع عنك تَذكارَ ما قد نُسِي . قال : هَيهات ، ليس مثل مَقام أخيك نُسِي . قالت : صدقتَ ، والله يا أمير المؤمنين . ما كان أخي خَفيَّ المقام ، ذَليلَ المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :

وإنّ صَخراً لتأتَمّ الهُداة به كأنّه عَلَمٌ فى رأسِهِ نارُ

وبالله أسألك يا أمير المؤمنين إعفائى ممّا استعفيتُه . قال : قد فعلْتُ ، فقولى حاجتك . قالت :

يا أميرَ المؤمنين : إنّك للنّاس سيِّد ، ولأُمورهم مُقلَّد . والله سائلك عمّا افترض عليك من حقّنا . ولا تزال تُقْدِمُ علينا من يَنْهَض بعزِّك ، ويَبْسُط بسُلطانك ، فيَحْصُدُنا حِصَاد السُّنْبُل ، ويدوسُنا دِياس البقر ، ويسومُنا الخَسِيسَة [1] ويَسألُنا الجليلة ، هذا ابن أَرْطَاة : قَدِم بِلادى ، وقَتَل رِجالى ، وأخذَ مالى ، ولولا الطّاعة لكان فينا عِزًّا ومَنَعَةً ، فإمّا عَزلْتَهُ فشكرناك ، وإمّا لا فَعرفْنَاك . فقال مُعاوية : أإيّاىَ تُهَدِّدِينَ بقومك ؟ والله لقد هَمَمْت أن أَرُدَّك اليه على قَتَب أشرس [2] فَيُنْفِذ حكمه فيك . فسكتت . ثم قالت :

صَلَّى الآله على رُوح تَضَمَّنَه قَبرٌ فأصبحَ فيه العَدْلُ مَدفونَا

قد حالَف الحقَّ لا يبغى به ثمناً فصار بالحقّ والإيمان مَقْرونا

قال : ومَن ذلك ؟ قالت : علىّ بن أبى طالب . قال : ما أرى عليك منه أثراً . قالت : بلى ، أتيتُه يوماً فى رَجُل ولاّه صَدَقاتنا ، فكان بيننا وبينه مابين الغَثِّ والسَّمين ، فوجدته قائماً يُصَلّى فانْفَتل [3] عن الصَّلاة ، ثم قال برأفة وتَعَطُّف : ألك حاجة ؟ فأخبرتُه خبرَ الرجل ، فبكى ثم رفع يديه إلى السّماء فقال : اللّهم إنّى لم آمرْهُم

(١) سامه الأمر : كلفه إياه . تقول : يجشمنا دنايا الأمور . (٢) القتب : الرحل الصغير . والأشرس : الخشن الغليظ (٣) انفتل : انصرف

بظلم خلقك، ولا ترك حقك. ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب، فكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم. « قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين. بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين. وما أنا عليكم بحفيظ » إذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك حتى يأتى من يقبضه منك والسلام. فعزله يا أمير المؤمنين ما خزمه بخزام ولا ختمه بختام فقال معاوية: أكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها. فقالت: ألى خاصة أم لقومى عامة؟ قال: وما أنت وغيرك؟ قالت: هى والله إذن الفحشاء واللؤم، ان كان عدلا شاملا، والا يسعنى مايسع قومى. قال هيهات، لمظكم [1] ابن أبى طالب الجرأة - وغرّكم قوله:

فلو كنتُ بوّابا على باب جنّةٍ ... لقلتُ لهمدان ادخلوا بسلام

وقوله:

ناديتُ همدانَ والأبوابُ مغلقة ... ومثل همدان سنّى فتحة البابِ
كالهندوانىّ لم تفلل مضاربه ... وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وجّابِ

أكتبوا لها بحاجتها.

﴿ أمّ سِنان بنت جُشَمة - ومُعاوية ﴾

قال سعيد بن أبى حُدَافة: حبس مَرْوان وهو والى المدينة غلاماً من بَنى لَيْث فى جناية جناها، فأتته جدّة الغلام، وهى أم سِنان بنت جُشَمَة المَذْحِجيّة فكلّمته فى الغلام، فأغلظ مَرْوَانُ لها، فخرجتْ الى مُعاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرَفها فقال لها: مَرْحَبًا يابنْة جُشَمِ: ما أقدمك أرضنا، وقد عهدتك تَشْتُمِينَنا

(١) لمظه الشىء: منحه إياه.

وتُحضِّين علينا عدَّونا ؟ قالت : إنّ لبنى عبدِ مَناف أخلاقاً طاهرةً ، وأحلاماً وافرةً ، لا يجهلون بعدَ عِلم ، ولا يَسْفَهُون بعد حِلم ، ولا يَنْتَقِمون بعد عَفْو ، وإنّ أَوْلى النّاس باتّباع ما سَنَّ آباؤه لَأنت . قال : صدقتِ ، نحنُ كذلك . فكيف قولك :

عَزَبَ الرُّقاد فمُقْلَتِى لا تَرْقُد ... واللّيل يُصْدِر بالهمُوم ويُورِدُ
يا آل مَذْحجَ لا مُقَام فشَمِّروا ... إنّ العدُوّ لآل أَحْمدَ يَقْصِد
هـذَا علىّ كالهـلال تَحُفّه ... وَسط السَّماء من الـكواكب أَسْعُدُ
خيرُ الخلائِقِ وابنُ عمّ محمـدٍ ... إنْ يهدِكُمْ بالنّور منه تَهْتَدوا
ما زالَ مُذ شَهِد الحروبَ مُظَفَّرا ... والنّصر فوق لِوَائه ما يُعْقَدُ ؟

قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين ـ وأرْجُو أن تـكونَ لنا خَلَفاً . فقال رجل من جُلسائِه : كيف يا أمير المؤمنين ؟ وهى القائلة :

إمّا هلـكت أبا الُحسين فلم تَزَلْ ... بالحقّ تُعْرف هادياً مَهْدِيّا
فاذْهَبْ عليكَ صَلاةُ ربّك مادعَتْ ... فوقَ الغُصُونِ حَمَامَةٌ قُمْرِيّا
قد كنتَ بعـد مُحمّد خَلَفاً كما ... أَوْصَى اليك بنا فـكنتَ وَفِيّا
واليومَ لا خَلفٌ يُؤمَّلُ بعـدَهُ ... هيهاتَ نَأْمَلُ بَعـدَهُ إنْسيّا

قالت : ياأمير المؤمنين لسَانٌ نَطَق ، وقولٌ صدق ، ولئن تَحقَّق ماظَنَنّا فحظّك الأوفر . والله ما وَرَّثك الشَّنَآنَ (٢) فى قلوب المسلمين إلا هؤُلاءِ ، فأدْحِض (٣) مقالَتَهم ، وأَبْعِد منزِلَتَهُم ، فانك ان فَعلْتَ ذلك تَزْدَدْ من الله قُرْباً ، ومن المؤمنين حُبًّا . قال : وَإنّك لتقولين ذلك . قالت : سُبحانَ الله ! والله ما مِثْلُك مُذِح بباطل ولا اعتُذِر اليه بِكَذِب ، وإنّك لَتعلمُ ذلك مِن رأينا وضمير قلوبنا

شكراً لربى الذى أعاننى على طبع الجزء الأول ويليه الجزء الثانى أوله الفن السابع فى التاريخ

الجزء الثانى

من كتاب « جواهر الأدب »

فى أدبيات لغة العرب

لمؤلفه السيد أحمد الهاشمى

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الفن السابع فى تاريخ أدب اللغة العربية

وفيه مقدمات عشرة

المقدمة الأولى في التاريخ

التّاريخ — هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتُهم، وسياستهم واعتقادهم، وأدبُهم، ولُغتهم

والأدب — (كل رياضة محمودة يتخرَّجُ بها الإنسانُ فى فضيلة من الفضائل.) وهذه الرّياضة كما تكون بالفعل، وحسن النظر، والمُحاكاةِ، تكون أيضاً بمُزاولة الأقوال الحكيمة التى تَضمّنتها لغةُ أىّ أُمَّة.

واللّغة — ألفاظٌ يُعبِّر بها كلّ قَوْمٍ عن أغراضهم — وهى من الأوضاعِ البَشَريّة

وأدبُ لغة أىّ أُمة — هو ما أُودِعَ شِعرها ونثرها من نتائج عُقول أبنائِها وصُوَر أخيلَتهم وطباعِهم: ممَّا شأنهُ أن يهذّب النّفس، ويُثقّف العقل، ويُقوّم اللّسان

وتاريخ أدب اللّغة — هو العلم الباحثُ عن أحوال اللّغة: نثرها ونظمها فى عُصورها المختلفة من حيثُ رفعتُها وضَعتُها، وعمّا كان لنابغيها من التأثير البيّن فيها

واللّغة العربيّة — إحدى اللّغات الساميّة. وهى لغة أُمّة العرب القديمة العَهد الشائعةِ الذكر التى كانت تسكُن الجزيرةَ المنسوبةَ اليها فى الطرَف الغربىّ من آسيا

وهـذه الأمة — منها القُدَماء، وهم الّذين يسكُنون تلك الجزيرَة، وَيَنْطِقون باللغة العربيّة سليقةً وطبعاً، وهم ثلاثُ طبقات : —

أُولاها ـ العربُ البائدةُ . وهؤلاء لم يَصِلْ الينـا شىءٌ صحيحٌ عن أخبارِهم إلاّ ماقصّه الله علَينا فى القرآن الكريم، وإلاّ ما جَاء فى الحديث النبوىّ . ومن أشْهَر قبائلهم طَسْمُ، وجَدِيس وعَادٌ، وثمودُ، وَعِمْليق، وعبدُ ضَخْم .

وثانيتُها ـ العرب العاربَة، وهم بنو قحطانَ الذين اختاروا اليمن منازلَ لهم ومن أمهات قبائلهم كَهْلاَن، وَحِمْيرُ .

وثالثتهـا ـ العرَب المُسْتَعْرِبة وهم بَنُو اسماعيـل الطّارئون على القحطانِيّين والمُمْتزجون بهم لغةً ونسباً، والمَعْرُوفون بعـدُ بالعَدْنانِيّين، ومن أُمهات قبائلهم رَبيعة، ومُضَرُ، وَإِيادُ، وأَنْمارُ .

ومنهـا المُحدَثون — وهم سلائلُ هؤلاء الأقْوَام الممتزجُون بسلائل غَيْرِهم والمُنْتشِرون بعـدَ الإسلام فى بِقاع الأرضِ منْ المُحيط الأخضَر (الأطلنطى) إلى ما وراء بحر فارِسَ ودِجْلَةَ، ومن أعالى النَّهرين إلى ما وراء جاوه وسُومَطْرَة .

﴿ المقدمة الثانية فى توضيح بعض ما فى المقدمة الاولى ﴾

اعلم أنه يُوجَدُ فى الجنُوب الغربىّ من آسيا اقْليم واسِع الأرجاء، تَبْلغ مِساحَتهَ رُبْع أُوربا تقريباً، تَساهَلَ الأقْدَمون فسَمَّوْه « جزيرة العرب » مع أن المـاء لم يُحِط به من جميع جِهاتِه .

يَتألّف غَرْبى هـذا الاقْليم من جُزأَيْن شَهيريْن : الحجاز شَمَالا، واليَمن جَنُوباً أما الحجاز فَقُطْر فقير، قلّت مِياهه، وأَجْدَبَت أَرضُه، واشْتَدَّت حَرَارَته، يَعْتَمِد

أهله على الأودية القليلة، والآبار الشحيحة، لم يستطيعوا أن ينتفعوا كثيراً بالماء الذى ينزل من السماء، لأنهم لم يبلغوا من الفنون مبلغاً يمكّنهم من اختزانه واستخدامه عند الحاجة إليه، وأشهر مدنه مكّة والمدينة والطّائف.

وأمّا اليمن فقد اشتهر قديماً بالغنى والخصب والحضارة، كثرت أمطاره وسيوله وعرف أهله بما أوتوا من فنٍّ أن ينتفعوا بها، فأنشئوا السدود يسيطرون بها على الماء جمعاً وتصريفاً وأشهر مدنه صنعاء. وجرّان. وعدن.

وهذان القطران، أعنى: الحجاز واليمن، أبعدُ البلادِ أثراً فى حياةِ العرب وفى تاريخهم السياسى. والاقتصادى. والأدبى.

واذا وقع نظرك على (مصوّر) جزيرة العرب فأبينُ ماترى فيها وأبعده مدى صحراؤها فى داخلها، وهى متنوّعة فى طبيعتها، فسهلة لينة حيناً، وصلبة انتثرت فيها الحصباء حينا، ومفروشة بحجارة سوداء، تسمى الحرار حينا: وهذه الصحراء فى جملتها قفر، تسطع الشمس عليها فى الحرّ فتلفح أرضها وأهلها، ويعتمد ساكنوها على ما تنبته بعض البقاع عقب المطر فترعاه إبلهم وشياههم، وهم يأكلون من لحومها، ويشربون من ألبانها، ويلبسون من أصوافها وأوبارها.

المقدمة الثالثة فى نسب سكان جزيرة العرب

اعتاد النسّابون أن يقسّموا الشعوب إلى أجناس، ويسمّوا كلّ جنس باسم خاص يجمعها، فاعتادوا أن يسمّوا الجنس الذى منه العرب (الجنس السامىّ) نسبةً إلى (سام بن نوح) عليه السلام، وعدّوا من هذا الجنس البابليّن والأشوريّين والعبرانيّن والفينيقيين والآراميّن والحبشيّن، ولكن هذا كله لا يزال موضع

خلاف بين علماء الأنساب ، كما اختلفوا فى أن أصل (الجنس السّامى) نشأ فى آسيا (فى جزيرة العرب أو أرمينيّة أو على شاطئ الفُرات) أو نشأ فى إفريقيّة ثم نزح منها الى آسيا

ومن قديم هؤلاء العربُ ينقسمون إلى عرب الشمال (الحجازيين) وعرب الجنوب (اليمانين) ويذكر النّسابون أن عرب الشمال يَرْجعون فى نَسبهم إلى اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام ، ويُسَمَّوْن النِّزاريين نِسبة الى نِزار من نَسْل اسماعيل وعرب الجنوب من نَسل قَحْطان، ويُسمون اليمانين أو القطحانيّين ، وبين هذين النوعيْن من العرب فروق ترجع فى جملتها إلى أن عرب الحجاز تَغلِبُ عليهم عِيشة البدَاوة ، وعرب اليمن يعيشون عيشة حَضارة .

ولسنا نَقصد أن عرب الشمال كانوا يَسكُنون الحجاز فحسبُ ، وعرب الجنوب كانوا يَسكنون اليمن ولا يتعدّونها، بل نَعنى :أن كلاًّ من الحجازيين واليمانين عُنْصُر يَخْتلف فى نَسبه ودمه عن العُنْصُر الآخر . ولكن كانت بَيْنَ العنصُرين صِلاتٌ ورَحَل قوْم من كلّ فريق الى موطن الآخر لأسباب يطول ذكرها ، فكان فى الحجاز عرب من اليمن ، وكان فى اليمن عرب من الحجاز .

وكل من اليمانين والحجازيين ينقسمون الى قبائل :

فاليمانون : يتَفرّعون الى فرعين كبيرين : شَعْب كَهْلان ، وشعب حِمْيَر .

فشعب كَهْلان : أشهر قبائله طَيِّىء ، وهَمْدان ، ولخَم ، وكِنْدَة .

وشعب حِمير : أشهر قبائله قُضاعة ، وتَنوخ ، وكلب .

والحجازيون : كذلك يَنْقَسمون إلى قسمينْ كبيرين ، رَبيعَة ، ومُضَر .

فشعب ربيعة : أشهر قبائله : بَكْر ، وتَغلب .

وشعب مُضَر : أشهر قبائله : قَيس ، وتَميم ، وهُذيل ، وكِنانة ، وقُرَيش . وكل قبيلة من هـذه القبائل تنقسم الى بطون وأفخاذ يطول عـدّها ، وكان بين هذه القبائل حتى ما كان منها من أصل واحد من الحروب . والمُنازعات . والتّهاجى ما مُلئت به كتب التاريخ والأدب .

﴿ المقدمة الرابعة فى اللغة العربية ﴾

واذ قـد ذكرنا قبلُ أنّ العرب والعبرانيين ومن اليهم يُعدُّون (ساميّين) فلغاتهـم التى يتكلمون بها تُسَمّى (لغات ساميّة) فاللّغة العربيّة احـدى اللغات السامية ، وقد عُرفت على النحو الذى نعلمه ، حول آخر القرن الخامس للميلاد .

ويذهب الباحثون فى علم المُقارَنة بين اللغات الى أنّ اللّغة العربيّة منْ أقْرَب اللّغات الى اللّغة الأصليّة التى تفرّعت منها اللغات الساميّة ، نظراً لاحْتباس العرب فى بِلادِهم وقِلّة النّازحين منها والوافدين اليها ، وضعْف العلاقة بين أهْلِها وغـيرِهم من الأمَم .

وكما انقسم العرب الى حجازِيين ويمانين انقَسمت لُغتُهم الى مُضَريّة ، وحِميريّة وكانت هناك فُرُوق بين اللّغتين عَظيمَة فى الألفاظ اللّغوية ، وفى الصِيَغ ، وفى التّراكيب ، وفى اللّهجات . ولـكن حدث قُبَيل الاسلام أن أخذت لغـة الحجاز و بعبارة أدق (لغة قُريش) تسود . ومازالت كذلك حتى ظفِرت باللّغة الحِميريّة وحتى صارت (لُغة قريش) هى لغة جزيرة العرب جميعها ، وقد دعا الى هذه الظاهرة أسباب سياسية . ودينيّة . واقتصاديّة — ستأتى الاشارة اليها بعد

﴿ المقدمة الخامسة فى تاريخ الأمة العربية ﴾

لَيس تاريخ الأمّة العَرَبيّة قبل الاسلام معروفاً محققاً لأنّ أكثر الأمّة كانوا أهل بَدْو، لم تُمكِّنهم بدواتُهم من أن يدوّنوا تاريخَهُم. أو ينقُشوا حوادِثَهم حتى أنّ الّذين تحضَّروا منهم كاليمانين والحِميْريّين لم يَعْثُرُ الباحِثُون إلا على القَليل من نقوشِهم وآثارِهم، وإنّما يَعتمِد الّذين يُؤرّخون العرب قبل الاسلام على هذا القليل من الآثار، وعلى ما كَتَبَه عنهم أهْل عَصرِهم من الأمم الأخرى كاليونان والرومان. والمصريّين. والعبريّين. والحبشيّين، وعلى ما يَسْتَنْبِطون من بعض نصوصٍ أدبيّة. ولنقصِر الآن كلامنا على حالة العرب قُبَيْل الاسلام، فان اللّغة العربيّة التى نعنى بآدابها وتاريخها إنّمَا عُرِفَت فى هذا العصر.

هذا العصر سمّاه القرآن الكريم « الجاهلية » ونَسَبْنَا اليه فَقُلْنا (العصر الجاهِلِي) والأدب الجاهلى، وقد يكون اشتقاق هذا الاسم من الجهْلِ وهو ضِد الحِلْم لِمَا كان يَغلِبُ فيه من السَّفَه والفخر بالأنْسَابِ والإمْعَان فى سفْكِ الدّماء والعصبيّة الحادّة ونحو ذلك مما كَرِهَهُ الاسلام ونفّر منه. وقد نُقل الينا كثير مما يَدُل على حالة هذا العصر الاجتماعيّة والسيّاسيّة من شعر وأمْثَالٍ وقَصص، ولكنها كلها لم تُدوَّن فى الكتب الافى القرن الثانى والثالث للهجرة، فكان بعضها مَثَاراً لنقد الناقدين وأخذ العلماء والأدباء من قديم يُمحّصونها ويُصحّحون بعضا ويُكذّبون بعضا ولكن بجانب ذلك وَرَد كثير من آيات القرآن الكريم وصحيح الحديث يروِى لنا الشيء الكثير عن هذه الحياة الجاهليّة، ويَكشِفُ لنا من غموضها.

يدلّنا ما صحّ من تاريخهم على أنه قد أنْشِيء على نُحُوم جزيرة العرب الشمالية

إمارتان كبيرتان : إمارةُ الحِيرة فى العراق بجوار الفُرْس ، و إمارة الغَسَاسِنة فى الشّام بجوار الرومان ، وكان يحكم هاتين الإمارتين أُمَراء من العرب يتبعون فى نظامهم نظام الدّول المجاورة لهم : فإمارةُ الحِيرة تتبع فى كثير من شئونها نظام الفُرْسِ و إمارة الغَساسِنة تتبع فى كثير من شئونها نظام الرومان .

وكان سُكان هاتين الإمارتين وسُكّان اليمن فى الجنوب يعيشون عيشةَ حضَارَة ، يَزْرعون و يصْنَعون ، وكثير من سادتهم مُتْرَفون ، وقد رُوِى لنا الكثيرُ عن تَرَف أمراء الغَسَاسِنة فى الشّام ، وعن حَضَارَة الْحِيرين ، وما كان لهم من خَوَرْنَق وسَدِير .

أما داخل الجزيرة والحجاز ، إذا أنت استَثْنَيْتَ بعض سكّان المدن المشهورة كَمَكة ويَثْرب والطّائف — فكانوا أهل بَدْو يَحْتقرون الزّراعة والصّناعة والتّجارة ويعتمدون فى معيشتهم على الإبل ، ويُوغِلون بها فى الصّحراء ، يتطلّبون منابت العُشب ، ومراعى الشّجر ، ومواردِ الماء ، ويأكلون مما تخرجه الأنعام .

﴿ المقدمة السادسة في حياة العرب الاجتماعية ﴾

كان سكان الجزيرة يعيشُون عيشة قبائل ، فالقبيلة هى الوحدة التى يُبْنَى عليها نظام حياتهم ، وأفْرادُ القبيلة يَنْتَسبون الى أبٍ واحدٍ ، وقلّ أن ينْتَسب اليها من لم يُسَاهِمْها فى نَسَبها الا عن طريق الحِلف أو الولاء (١) .

تسود أفراد القبيلة فكرةُ العصبيّة ، فكُل فرد يتعصّب لقبيلته ويُعنى بحفظ

(١) كان الأثير من قبيلة أخرى إذا لم يستطع فداء نفسه يسمونه بسمة القبيلة التى أسرته ، ويسمى حليفا لها . وكانوا يجيزون استرقاق الأسرى ، فاذا اعتق الأسير ظلت هناك صلة بين المعتق والمعتق ، وهذه الصلة تسمى الولاء .

نسبه ويفتخر به، ويحنو على من يُشارِكه فيه، ويسير على منهج قبيلته، سواء أصابت أم خطأت.

وما أنا إلا مِن غَزِيَّة إن غوَت غوَيتُ وإن ترشُد غزِيَّة أرشُدِ

والقبيلة تحْميه من العدوان، وتطالب بدمه ان جنى أحد عليه، ولكل قبيلة رئيس هو سيّدها، وهو مَرْجِعُ الأفراد فى إقامة العدْل بينهم على حسب عُرْفِهم وتَقليدهم.

وعلاقة القَبيلة بالقبيلة علاقة عِداء غالبا — تُغير عليها، وتغنَم من مالها ورجالها، والأخرى تتربّص بها الدّوائر لتنتقم منها.

يغار علينا واترين فيُشتفى بنا إن أصبنا أو نُغير على وِترِ[1]

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضِى الا ونحن على شطر

ولم تكن للعرب فى الجاهليّة عدا من ذكرنا قبلُ حكومة تسيطر عليهم جميعا وتُشرف على شئونهم، لأنّ شرط قيام الحكومة انتساب الأفراد الى المواطن، لا إلى القبائل، وانحلالُ العصبيات وقيام الجامعة الوطنية أو الدينية مقام العصبية القَبَلِيَّة وهى أمور لم تتوافر للعرب فى جاهليتها.

كانت القبيلة تنقسم عندهم الى أُسَر، ونظام الأسرة كان فى هذا الطّور هو المعروف عند علماء الاجتماع: بطَوْر السّلطة الأبوية، اذ كان الأب فيها واسع السّلطان نَافذَ الكلِمَة على كل أفراد الأُسْرة، يتَصَرّف فى مالهم وفى شئونهم ويَقطَع فى الأُمُور دُونَهم، وهو المرْجِع الأعلى لهم جميعاً، وكان بعض هذه الأُسَر

(١) الواتر القاتل، والموتور الذى قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه، وواترين حال من الضمير فى علينا.

تمتاز بصفات ، وأعمال تجعل له الرّياسة والشّرف كبيت هاشم ، و بيت أُميّة فى قريش ، و بيت زُرارة فى تَميمَ — وهكذا .

﴿ المقدمة السابعة فى أخلاقهم ﴾

رأيتَ أنّ أكثر العرب أهلُ بَدْو ، ولأهل البَدْو صفات خاصّة يتمدّحون بها ، ويُكثِرون فى شعرهم من ذِكْرِها والتّغنّى بها ، ولَعلّ من خير ما يمثّل هذه الصفات ما جاء فى قول (تأبَّطَ شرًّا) أحد الشّعراء الجاهليّين[1] اذ يمدح ابن عمّ له بأنّه قليل الشكوى من الهمّ ينزل به ، بعيد الهِمّة واسع الأمل ، يَسلك له شتّى المسالك ، حليف الصّحراء ، يُصبح فى مَفَازة ، ويُمسى فى أخرى ، يَسير وحيدا لا يَهاب ، ويَرْكب المهالك ولا يخشى مُواجَهتَها (عَدّاء) يَسْبق الرّيح السّريعة إن نام فانّمَا تنام عينه ، ولا ينام قلبه ، و إن صَحَا كانت عينُه دَيْدَبان قلبه ، و له سيفٌ صارمٌ : إن أَصَاب به قِرنا استقْبلتْه المنايا مُتهلِّلةً ، لا يخشى الوحدة بل يَأنس بها و يَعْرف مسالك الصّحراء ، فلا يضِلُّ فى سيره ، كما لا تَضِلّ الشّمس ، وهذه

---

(١) قليل التشكى للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك
يظل بموماة ويمسى بغيرها جحيشا ويعروى ظهور المهالك
ويسبق وفد الريح من حيث ينتحى بمنخرق من شدة المتدارك
اذا حاص عينيه كرى النوم لم يزل له كالئ من قلب شيحان فاتك
ويجعل عينيه ربيئة قلبه إلى سلة من حد أخلق صائك
اذا هزه فى عظم قرن تهللت نواجذ أفواه المنايا الضواحك
يرى الوحشة الانس الانيس ويهتدى بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك

الموماة المفازة التى لاماء فيها . وجحيشا وحيدا . ويعروى ظهور المهالك يركبها مأخوذ من قولهم أعرورى الفرس إذا ركبته عاريا ليس عليه شئ .. وفدالريح أولها — والمعنى أنه يسبق الريح لخفته ، والمنخرق السريع ، والمتدارك المتلاحق ، حاص خاط والشيحان الحازم ، والفاتك الذى إذا هم بشئ فعله ربيئة القلب ديدبانه — ويريد بالسلة السيف الذى يستل . أم النجوم الشمس .

الصفات كما ترى هى (المثل الأعلى) للبدوى لا للحضرى .

قد تمدّحوا بالمروءة ، وأكثروا من ذكرها ، وهو لفظ يجمع قانون الشرف عمادُه الشجاعة والكرم والوفاء ، وأكثر ماتتجلّى فيه الشجاعة عندهم النّزال والقتال والدّفاع عن الأهل والقبيلة ونجدة المستصرخ ، وأكثر ما يتجلى فيه الكرم إيقاد النّيران . ونحر الجزور . وإضافة اللاجئ .

فأمّا الشجاعة فيمثّلها فى نظرهم قولُ عمرو بن معد يكرب :

لمّا رأيتُ نِساءَنا يَفْحَصْنَ بالمِعْزَاءِ شَدَّا (١)
وبدَت « لميس » كأنها بَدرُ السماء اذا تبَدَّى
وبدت محاسِنُهَا التى تخْفَى وكان الأمرُ جِدَّا
نَازَلْتُ كَبْشَهُمُ ولم أرَ مِنْ نِزالِ الكبشِ بُدَّا (٢)
هم يُنْذِرُون دمى وأُنْذِرُ إن لقيتُ بأن أُشدَّا
كم من أخٍ لىَ صالحٍ بَوَّأْتُهُ بيَدَىَّ لَحْدَا
ما إنْ جزِعْتُ ولا هَلِعْتُ ولا يَرُدُّ بُكَاىَ زَنْدَا
أَلْبَسْتُه أثوابَهُ وخُلِقْتُ يوم خُلِقْتُ جِلْدَا
أُغْنِى غَنَاءَ الذَّاهبِينَ أُعَدُّ للأَعْدَاءِ عَدَّا
ذهب الذينَ أُحِبُّهُمْ وبَقِيتُ مُثلَ السيفِ فرْدَا

وأما الكرم : فمن خير ما يُمثّله فى نظرهم قول عُتْبَة بن بُجير :

فقالوا غريبٌ طارقٌ طوَّحَتْ به متونُ الفيافِى والخطوبُ الطَّوائحُ (٣)

---

(١) المعزاء الأرض الصلبة ذات الحجارة — ومعنى يفحصن بالمعزاء شدا : أى أنهن يؤثرن فى الارض الصلبة لشدة عدوهن . (٢) كبش القبيلة رئيسها .
(٣) الخطوب الطوائح : أى المصائب المهلكة ، وطوحت به حملته على ركوب المهالك .

فقمتُ ولم أجْشِم مكانى ولم تَقُم مع النفسِ عِلاَّت البخيلِ الفواضِح
ونادَيتُ شِبلا فاستجاب وربَّمَا ضمِنَّا قِرى عَشْرٍ لمن لا نصافح (١)
فقام أبو ضيفٍ (٢) كريمٌ كأنَّهُ وقد جَدَّ من فرط الفكاهة مازحُ
الى جِذْمِ مالٍ (٣) قد نَهِكْنَا سَوامه وأعراضُنا فيه بواق صحائح
جعلناه دون الذَّمِّ حتى كأنَّه إذا عُدَّ مالُ المكثرين المنائحُ (٤)
لنا حمدُ أرْباب المئِينَ ولا يُرى الى بيتنا مالٌ مع الليلِ رائحُ (٥)

قد أحبّوا كثيرا . وشَرِبُوا الخمر : ولَعِبوا الميسر . وشُغِفُوا بالصيّد . وطرِبوا للغناء . وتَاقُوا الى السَّمَر ، وكان هذا كله مادة لشِعْرِهم وأدبهم .

﴿ المقدمة الثامنة فى دينهم ﴾

كان للعرب فى الجاهليّة دِينٌ ، ولكنه دِين ضَعِيف ، لا يُخْلِصُون له ، ولا يَصِل الى أعْماق نُفوسِهم ، وحَسبنَا دليلاً على ذلك أنا ننظر فيما بين أيْدِينا من شِعْرِهم فنرى فيه الصيّد كثيراً ، والخَمْر والنّسَاء والمَيْسِر كثيراً ، والفخْر والهِجَاء وَوَصْف القتال كثيرا ، ولكن قلّ أن نَرى فيه شَرْحاً لِعاطِفةٍ دينيّة ، وقلّ أن نرى فيه ذِكْر الله وتمجيده ، وقلّ أن نرى فيه وصفاً لما كانوا يَعْبُدُون .

انتشرت اليهوديَّة والنّصرانِيّة فى بَعْضِ بِقَاع جَزِيرَة العرَب ، فقد كان فيها

---

(١) شبل اسم ابنه : وقرى عشر أى ضيافة عشر ليالى لمن ليس بيننا وبينه مصادقة توجب مصافحته
(٢) أبو ضيف يريد نفسه .
(٣) إلى جذم متعلق بقام فى البيت قبله ـ ويريد بجذم المال أصل المال وهو النوق التى قدنهكها
(٤) المنائح جمع منيحة وهى الناقة أو الشاة تدفع إلى الجار لينتفع بلبنها مادام بها لبن .
(٥) يقول أن مالنا قليل فابلنا باركة بفناء الدار انتظار الضيف وهى ليست كثيرة حتى تصير سارحة ورائحة ومع ذلك لنا من الحمد والثناء مثل ما للمكثرين ؛ أصحاب المئين .

مستعمرات يهوديّة من أشهرها (يثرب) وهى التى سُميت بَعدُ « بالمدينة » ، كذلك انتشرت اليهوديّة فى اليمن فى أوائل القرن السادس للميلاد ، ولكنّها كانت فى نزاع مستمرٍّ مع النصرانية .

وانتشرت النصرانية فى مَنَاذِرةِ الحيرة ، وفى غَسَاسِنَة الشَّام ، وسائر قبائله وزاحمت اليهوديّة فى اليمن ، وكان أشهر مراكزها النصرانيّة فى اليمن (مدينة نَجْرَان)

وكان القسّيسون والرّهْبَان يَردون أسواق العرب يَعِظون ويُبَشّرون ويذكرون البعث والحساب والجنّة والنّار ، واشتهر من شُعرائهم وخُطبائهم (عَدِىُّ ابن زَيْد وقُسُّ بن ساعِدة) ولكن اليهوديّة والنصرانيّة كانتا قليلتين اذا قِيستَا بالدّين السَّائد فى الجزيرة وهو الوثنيّة ، فقد عبد العرب الأصنام ، وعظّموا الأوْثان ونَصَبُوها فى الكعبة ، وقرّبوا لها القرابين ، وكان من أشهر هذه الأصْنَام (اللّاتَ والعُزَّى ومَنَاة) وكان تقديسها يكاد يَعُمّ قبائل العرب ، وان كان ثَمّ أصنام أخرى خاصة ببعض القبائل .

﴿ المقدمة التاسعة فى ثقافتهم ﴾

كانت المدن على التّخوم واليمن مُتحضّرةً بعض تحضُّر ، فالآثار التى عُثر عليها فى اليمن والحِيرة ، وما نُقل عن أهْلِهَا يَدُلّ دلالة صادِقة على أنّهم كانوا على حظّ من الفنّ والعِلم غير قليل ، فأهْل الحِيرة تسرَّب اليهم شئ من علوم الفُرْس وآدابهم وعلوم اليونان وآدابهم . والغَسَاسِنة فى الشَّام تسرّب اليهم شىء من حضَارة الرومان واليونان وآدابهم ، واليمن أمة عريقة فى المدنيَّة كانت تَتّصل بالفُرْس ، وتَتّصل بالحبشة وتَتّصِل بالرومان . ولها مَعَهم جميعاً صِلَات تِجَارِيَّة — أمَّا ما عدا هؤلاء من سكان الجزيرة فكان حظّهم من العِلْم والفَنّ قليلا .

وعلى الجملة كان للعرب مَعرِفَةٌ بالأنساب ، وبشىء من أخبار الأمم ، وبشىء من الطّب ، ولكنّ ما كان عندهم من ذلك لم يَعْدُ أن يكون معلومات عمليّة أوليّة وتجارب يَنْقُصها الاستقراء ، ونظرات عامة يُعْوِزُها التّعمّق والاستقصاء .

أمّا من النّاحية الأدبيّة فكان لهم شِعْرٌ وقصص وأمثال - وقد طبع كل ذلك بطابع عقليّتهم التى أنتجها تاريخهم وبيئتهم كما سترى .

﴿ المقدمة العاشرة فى عصور اللغة العربية وآدابها ﴾

لمّا كان تاريخ لغة أىّ أمة وأدبها يرتبط كلّ الأرتباط بالحوادث السيّاسيّة والدّينيّة والأجتماعية التى تقع بين ظهرانىْ هذه الأمة ، ناسب لذلك تقسيم تاريخ أدب اللغة العربية الى خمسة أعصر :

الأول — عصر الجاهلية — وينتهى بظهور الاسلام ، ومُدّته نحو خمسين ومائة سنة .

الثانى — عصر صدر الاسلام ، ويشمل بنى أُميّة — ويبتدئ بظهور الاسلام وينتهى بقيام دولة بنى العبّاس — سنة (١٣٢) هـ

الثّالث — عصر بنى العبّاس — ويبتدئ بقيام دولتهم ، وينتهى بسقوط بَغدَاد فى أيدى التتّار — سنة (٦٥٦) هـ

الرابع — عصر الدُّول التُّركية — ويبتدئ بسقوط بغداد ، وينتهى بمبدإ النّهضة الأخيرة — سنة (١٢٢٠) هـ

الخامس — عصر النّهضة الأخيرة — ويبتدئ من حكم الأسْرة المحمّدية العلوية بمصر ، ويمتدُّ الى وقتنا هذا

﴿ العصر الاول عصر الجاهلية ﴾

(حالة اللّغة العربية وآدابها فى ذلك العصر)

لُغة العرب من أغنى اللّغات كَلِماً ، وأعرقها قِدَماً ، وأوسعها لِكُلّ ما يقع تحت الحِسّ ، أو يَجُول فى الخاطر : من تحقيق علوم ، وسنّ قوانين ، وتَصْوير خيال وتَعيين مَرافق — وهى على هَنْدَمَة أوضاعها ، وتناسُق أجزائها لُغةُ قوم أميّين ولا عَجَب أنْ بلغت تلك المنزلة : من بَسْطة الثّروة ، وسَعة المدَى ، إذ كان لها من عوامل النموّ ، ودواعى البقاء والرقىّ ، ما قلّما يَتهيّأ لغيرها — وما رَوَاه لنا منها أئمة اللّغة ، وجاء به القرآن الكريم والحديث النبوى هو نتيجة امتزاج لُغات الشعوب التى سَكَنَت جزيرة العرب — ولاشكّ فى أنّ من أسْبَاب امتزاج هذه اللّغات ما يأتى

(١) هجرة القَحْطَانِيّين الى جزيرة العَرب ومخالطتهم فيها العرب البَائِدة باليمن ثم تمزّقهم فى بقَاع الجزيرة كلّ مُمَزّق بظلمهم أنفسَهم وتخرُّب بلادهم بسَيْل العَرِم (١)

(٢) هجرة اسماعيل عليه السّلام الى جزيرة العَرب واخْتِلاَطه وبَنِيه بالقحطَانِيّين بالمُصاهرة والمُجَاورة والمُحَاربة والمتاجرَة — وأظهرُ مواطن هذا الامتزاج مَشاعر الحج والأسواق التى كانت تُقيمها العربُ فى أنحاء بلادها ، ومن هذه الأسواق : عُكاظُ . ومجنّة . وذو المجاز .

وأهَمُّها سُوق عُكاظَ — وكانت تُقام من أوّل ذى القَعدة الى اليوم العشرين

---

(١) العرم جمع عرمة كفرحة وهى سد يعترض به الوادى أو هو جمع بلا واحد ، أو هو الاحباس والسدود تبنى فى الوادى لحبس المياه خلفها وهى المسماة الآن بالخزانات . وحادثة سيل العرم أنه كان لسبا فى اليمن عرم تحبس المياه خلفها لتوزع بنظام فهدمت العرم بسيل عظيم أغرق البلاد ودمر القرى أمامه فكان هو مع كثير من الفتن والحروب الاهلية سبباً فى تفرق قبائل سبأ فى أنحاء جزيرة العرب حتى ضرب بهم المثل فى التفرق فقيل (تفرقوا أيدى سبا)

منه . وأُقيمت تلك السُّوق بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة . وبقيت الى ما بعد الاسلام حتى سنة تسع وعشرين ومائة . وكان يجتمع بهذه السُّوق أكثر أشراف العرب للمُتاجرة ، ومُفادات الأسرى ، والتَّحكيم فى الخصومات ، وللمُفاخرة والمنافرة بالشِّعْر ، والخُطب فى الحسَب والنسَب والكَرَم والفَصاحة والجمال والشَّجاعة وما شاكل ذلك. وكان من أشهر المحكّمين بها فى الشعر « النَّابغة الذُّبْيانى» . ومن أشهر خُطبائها « قُسُّ بن ساعدَة الإيادِى » . وقد لهجَ الشّعراء بِذِكْرِها فى شِعْرِهم وحَضَرَها منهم الرجال والنّساء ، ولقريش عظيم الأثر فيما نَجَم عن اجتماع العرب بتَهذيب لغتِهم .

﴿ كلام العرب ﴾

أَلغرضُ من كلام العرب كغيره الإبانةُ عمّا فى النفس من الأفكار ، ليكون مَدْعاةً الى المُعاونة والمعاضدة . وذَريعة الى تَسهّل أعمال الحياة .

ولمّا كانت هذه الأفكارُ لا تزالُ مُتجدّدةً غير مُتناهية . كانت صُور الكلام المبيِّن عنها لا تزال كذلك متجدّدة خاضعةً لقُوى الاختراع والابْتِدَاع وأنواع الانشاء والتَّأليف على حسب ما يَقْتَضيه المقام فقد تَصل صُورة الكلام الى الغاية القُصوى فى البلاغة ، وقد تنحطُّ صورة العبارة الى الدَّرْك الأسفل من الإبانة بحيث لو انحطّت عن ذلك لكانت عند الأدَبَاء بأصْوَات العَجماوات أشبَه وبَيْن الحالين مراتب ، وجُلُّ بحث عِلم الأدب وتاريخه فى التّفاوت بين هذه المراتب ورجالها

وكلام العرب بمراتبه العُلْيَا والدّنيا وما بينَهما تَعتَورهُ كغيره أحْوَال تتغيّر

بتغيُّر حياة أهْلِه العقليّة والمعاشِيّة والدِّينيّة . وتلك الأحوالُ تتمثَّل فى « أغراض اللّغة ، ومَعَانِيها ، وعِبارَاتها »

﴿ أغراض اللغة فى الجاهلية ﴾

(١) كانت اللّغة تُستعمل فى أغراض المعيشة البدويَّة ، ووصف مرافقها من حلٍّ وتَرحال ، وانتِجاع كَلأٍ . واستدرار غيث . ونَتْج حيوان .

(٢) وفى إثارة المُنَازعات والمُشَاحنات ، وما يَتْبَعها من الحضّ على إدرَاك الثَّأر والتَّفاخر بالانْتِصار ، والتَّباهى بكَرَم الأصل والنِّجار

(٣) شرح حالِ المشاهَدات والكَيْفِيَّات ، والإخْبَار عن الْوَقائع والقَصص وغير ذلك

﴿ معانى اللغة فى الجاهلية ﴾

تُجمَل معانى اللغة فيما يأتى .

(١) فى قصْر معانى المفْرَدات على ما تَقتَضيه البَدَاوة والفِطرة الغضّة الخالية من تَكلّف أهل الحضر وتأنُّقهم

(٢) وفى انحِصار أحْكامِهم فى (الخَبر) ومطالبهم فى (الأنشاء) إمّا فى التَّعقُّل المُسْتَنْبَط من الحِسّ . والمشاهدة . أو الطَّبيعة . أو التَّجْرِبة . أو الوِجدان . من غير مُبالَغَة ولا إغراق . وإمّا فى التَّخيُّل المنتزعة صُورُه من المحسوسات ، بحيث لا تَخْرج عن الإمْكان العَقلى والعادىّ

﴿ عبارة اللغة فى الجاهلية ﴾

تُلخّص أحوالُ العبارة فى الجاهلية فيما يأتى :

(١) استعمال الألفاظ فى معانيها الوضعية . أو معانٍ مُناسِبة للمعنى الأصلى بطريق المجاز الذى قد يُصبح بعد قليل وضعاً جديداً

(٢) كثرة استعمال المترادِف ، وقلّة الأعجمىّ المعبّر عنه بالمُعرّب ، وخلو الكلام العربىّ من اللّحن ، وغلبة الإيجاز عليه ، كما تراه واضحاً فى شِعْرِهم

(٣) ارْسَال الأساليب الكلاميّة على حسَب ماتقْتَضِيه البلاغة بدون تكلُّفٍ

﴿ تقسيم كلام العرب ﴾

ينقسم كلام العَرب قسمين : نثراً ـ ونظماً .

فالنّظمُ هو الموزون المُقفّى . والنّثرُ ما ليس مُرتبطاً بوزن ولا قافية

﴿ النثر — المحادثة — الخطابة ـ الكتابة ﴾

الأصل فى الكلام أن يكون منثوراً : لإبانَتِه مقاصدَ النّفس بوجه أوضح وكُلفة أقلّ : وهو إمّا حديثٌ يدور بيْن بعض النّاس و بعض فى اصلاح شؤون المعيشة . واجْتِلاب ضروب المصالح والمنافع ، وذلك ما يسمّى (المحادثة) أو « لغة التّخاطُب » . وإمّا خطابٌ من فصيح نابهِ الشأن ، يُلقيه على جماعة فى أمر ذى بالٍ . وهذا مَا يُسمّى « الخَطَابة » . وإمّا كلامٌ نفسىٌّ مَدْلول عليه بحروف ونُقوش لإرادة عدم التّلفّظ به . أو لحفظه للخلَف . أو لبُعد الشُّقّة بين المتخاطبين . وذلك ما يُسمّى (الكتابة) . إذاً فأقسام النّثر ثلاثة . مُحادَثة . وخَطابة . وكِتابة

وكلّها إما أن تكون كلاماً خالياً من التزامِ التّقفية فى أواخر عِبارَاته : وذلك ما يُسمّى « النّثر المُرسل » وإمّا أن تكون قِطعاً ملتزَماً فى آخر كل فِقْرتين منْها أوأكثر قافيةٌ واحدة . وهذا ما يُسمّى « السّجعَ » وهو نوع من الحِلية اللفظية

إذا جاء عفواً ولم يُتعمَّد التزامه . ولحسن وقْعِه فى الأسماع ، وحَوكه وتأثيره فى الطِّباع ، كان أكثر ما يُستعمل فى الخطابة . والأمثالِ . والحِكَم . والمُفاخرات والمُنافرات

﴿ المحادثة ـ أو : لغة التخاطب ﴾

لُغة التّخاطب عند عرب الجاهليّة بعد أن توحّدَت لغاتُها هى اللغة المُعَربة المستعملة فى شِعرِها وخُطبها وكتابتها . ولا فرق بينها فى البلاغة إلاّ بقدر ما تَستدْعيه حال الخطابة . والشّعر . والكِتابة : من نبَالة الموضوع ، والتّأنّق فى العبارة وأكثر ما وصل الينا منها ما كان شريفَ المعنى . فصيحَ اللفظ

﴿ الخطابة ﴾

لمّا كان جُلُّ العرب فى جاهليّتها قبائلَ مُتبدّية .

لا يربطُها قانونٌ عام ولا تضبطُها حكومة مُنظَّمة ، ومن شأن المعيشة البدوِيَّة شَنّ الغارات لأوهى الأسباب ، والمُدافعة بالنفس عن الرُّوح والعِرْضِ والمال والمباهاة بقوّة العَصَبِيَّة وكرَم النِّجارِ وشرفَ الخِصال . وللقول فى ذلك أثر لا يقلُّ عن الصوْل — كانت الخطابة لهم ضَرُورية . وفيهم فطريّة . وإنّما لم تصل إلينا أخبار خُطبائهم الأوائل . وشىءٌ من خُطَبهم كما كان ذلك فى الشعر . لحفلهم قديماً بالشِّعر دون الخَطابة . ولصعوبة حفْظ النَّثْر

وما عُنِي الرُّواة بنقل أخبار الخُطباء وخُطَبهم الا عند ما حلَّت الخطابة بعدُ منزلة أسمى من الشعر . لابْتِذالِه بتعاطى السّفهاء والعامَّة له . وتلوّثهم بالتَّكسُّب به ، والتّعرض للحرَم . فنبَهُ بذلك شأن الخطابة . واشتهر بها الأشراف

وكان لكلّ قبيلة خطيب ، كما كان لكلّ قبيلة شاعر .

وأكثر ما كانت الخَطابة فى التَّحريض على القِتَال . والتَّحكيم فى الخُصومات وإصْلاح ذاتِ البَين . وفى المُفاخرات . والمُنافَرات . والوصايا — وغير ذلك

وكان من عادة الخَطيب فى غير خُطب الإملاك والتَّزويج أن يَخطب قائماً أو على نَشز ومُرتفع من الأرض ، أو على ظَهْر راحِلَته . لإبعاد مَدَى الصّوت وللتأثير بشخصه ، وإظْهار مَلامح وجْهه ، وحَركات جَوارحه . ولا غِنىً له عن لَوْثٍ وعَصْبِ العَمامة ، والاعْتماد على مِخصرَة أو عصا أو قناة أو قَوْس ، وربما أشار بأحداها ـ أو بيده .

وخُطباء العرب كثيرون (من أقدمهم كَعب بن لُؤَىّ) وكان ذا نُفُوذ عظيم فى قومه ، حتى أكبروا مَوْته ، وذو الإصْبع العَدْوانى وهو حُرْثانُ بن مُحرِّث (ومن أشهرهم) قيسُ بنُ خَارِجة بن سِنَان خطيب حرب دَاحِس (١) والغَبْراء ، وخُويلدُ بن عَمْرو الغطَفانىّ ، خطيب يوم الفِجار (٢) وقُسُّ بن (٣) ساعدة الإيادى خطيب عُكاظ . وأكثَم بن صَيفىّ زعيم الخُطباء الذين أوفدهم النُّعمان على كِسرَى : وهم أكثم بن صَيفى ، وحاجب (٤) بن زُرارةَ التَّميميَّان ، والحارث بن

---

(١) داحس والغبراء فرسان لقيس بن زهير سيد عبس ، راهنه حذيفة بن بدر الفزارى على أن يسابقه بفرسيه : الخطار والحنفاء ، فوضعت فزارة كميناً فى طريق السباق ، فلطم وجه الغبراء وكانت سابقة ، فهاجت الحرب بين عبس وفزارة ، ثم بين عبس وذبيان لنصرتها فزارة وفى القصة روايات أخرى (٢) يوم الفجار حرب كانت بين قريش وهوازن حضرها النبى صلى الله عليه وسلم وكان عمره أربع عشر سنة ، وسميت كذلك لانها كانت فى الاشهر الحرم (٣) ستأتى ترجمة قس وأكثم (٤) سيد من سادات تميم ، وهو الذى وفد على كسرى حين منع تميما من ريف العراق حتى أصابهم القحط فأعجب به ومنحه مطلبه وتعهد له حاجب بحسن الجوار ، ورهن عنده قوسه على ذلك فقبلها منه وبقيت عند كسرى حتى أخذها ابن حاجب ثم بيعت بعد بأربعة آلاف درهم

عُبَاد (١) وقَيسُ بن مَسعود (٢) البكريَّان ، وخالدُ بن جَعفر (٣) وعَلقمة بن (٤) عُلاثة ، وعامر بن الطُّفَيل (٥) العامريّون ، وعمرو بن (٦) الشَّريد السُّلمى ، وعمرو ابن مَعديكَرِب (٧) الزُّبيدى ، والحارث بن ظالم (٨) المُرِّى)

﴿ قُسُّ بن ساعدة الإيادى ﴾

هو خطيب العرب قاطبَة ، والمضروب بهِ المثل فى البلاغَةِ والحِكمَة ، كان يَدين بالتَّوحيد ، ويُؤمنُ بالبَعث ، ويدْعو العرب إلى نَبذ العكوف على الأوْثان ويُرشدهم إلى عِبادة الخالق — ويقال إنَّه أوّل مَنْ خطبَ على شَرَف ، وأوّل من قال فى خُطبه « أمّا بعـدُ » وأوّل من اتّـكأ على سيف ، أو عصاً فى خَطابَته وكان الناس يتَحاكمون اليه ، وهو القائل « أَلبَيِّنةُ على من ادَّعى ، واليمين على من أنكر — وسَمعَهُ النَّبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثَة يخطُب فى عُكاظ : فأثنى عليه

---

(١) كغراب كان خطيباً مؤثراً ، وشاعراً بليغا ، وله عمل جليل فى الحرب التى نشبت بين بكر وتغلب لمقتل كليب بعد أن اعتزلها ، وله فيها قصيدة مشهورة ـ منها

قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال

(٢) هو قيس بن مسعود بن خالد بن ذى الجدين كان كريماً عالى الهمة من أفضل العرب حسبا ونسباً وكانت تقر له القبائل كلها بذلك بل هى وكسرى أيضا . وكان له حظيرة فيها مائة من الابل لأضيافه إذ انحرت ناقة قيدت أخرى مكانها . (٣) سيد من سادات بنى عامر . خلص قومه من العبودية لغطفان بعد أن قتل سيدها زهير بن جزيمة (٤) خطيب بليغ اشتهر فى قومه بالعفة والمحافظة على الجوار والعقل الراجح والحسب الواضح (٥) هو ابن عم لبيد الصحابى شاعر متين ؛ وفارس من أشهر فرسان العرب نجدة وأبعدهم اسما ؛ ولقد بلغ من شهرته أن قيصر كان إذا قدم عليه قادم من العرب قال مابينك وبين عامر فان كانت بينه وبينه رحم وأشجه قربه وأكرمه (٦) وهو أبو السيدة تماضر الخنساء يميل إلى الفخر والصراحة فى القول ـ ولقد بلغ من تغاليه فى ذلك أنه كان يأخذ ابنيه معاوية وصخراً فى المواسم العامة : ويقول أنا أبو خيرى مضر فمن أنكر فليغير فلا يغير ذلك عليه أحد (٧) خطيب شاعر وفارس قاهر وصحابى جليل شهد حربى اليرموك والقادسية وأبلى فيهما البلاء الحسن على كبر فى سنه وضعف فى جسمه (٨) كان شجاعا فاتكا وخطيبا شاعراً يميل إلى معاقرة الخمر وهو الذى قتل خالد بن جعفر غيلة لقتله أباه وكثيراً من قومه

وعمّر قُسٌّ طويلاً : ومات قُبيل البعثة — ومن خُطَبه خُطْبته التى خَطَبها فى سُوق عُكاظ وهى ـ أيها الناس : اسمعوا وعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات : وكلُّ ما هو آت آتٍ ، ليلٌ داج ، ونهارٌ ساجٌ ، وسماءٌ ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحارٌ تزخر ، وجبال مُرساه ، وأرض مُدحاه ، وأنهار مُجراه ، إنّ فى السّماء لخبرا ، وإن فى الأرض لِعبرا ، ما بال النَّاس يذهبون ولا يَرجعون ، أرَضُوا فأقاموا ؟ أم تُرِكوا فناموا ؟ يُقسِم قُسٌّ بالله قَسماً لا إثْمَ فيه ، إن لله دِيناً هو أرْضى لكم ، وأفضل من دِينكم الذى أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكراً

ويُروى أن قساً أنشأ بعد ذلك يقول :

فى الذَّاهبين الأوّلين مِنَ القرون لنا بصائر
لمّا رأيْت مَوَارداً للموت ليس لها مَصادر
ورأيت قومِى نحوها يمضى الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضى الىّ م ولا مِنَ الباقين غابر
أيقنتُ أنّى لا مَحا لةحيث صار القومُ صائر

﴿ أكثم بن صيفى ﴾

هو أعْرف الخطباء بالأنْساب ، وأكثرهم ضربَ أمثال ، واصابةَ رأيٍ ، وقوّة حُجّة ، وقَلّ من جارَاه من خطُباءِ عَصره ، وهو زعيم الخطباء الذين أوفدهم النّعمان على كِسرى ، ولقد بلغ من إعْجابه به أن قال لهُ : لو لم يكن للعرب غيرُك لكفى : وقد عمّر طويلاً حتى أدرك مَبعث النَّبى صلّى الله عليه وسلم ، وجمع قومَه وحثَّهم على الإيمان به ، وفى إسْلامه رواياتٌ ، وكان فى خُطبه قليلَ المجاز ، حَسَن الإيجاز ،

حلو الألفاظ، دقيق المعانى، مولعاً بالأمثال «راجع خطبه فى فن المناظرات الآتية»

﴿ الكتابة ﴾

يُراد بالكتابة عند الأدباء: صناعة إنشاء الكُتُب والرسائل، وإذ كانت الكتابة بهذا المعنى تُؤدَّى بالنُّقوش المسمَّاة بالخط، فأوّل حلقة من سلسلة الخطّ العربى هى الخطّ المصرى القديم، ومنهُ اشتقّ الخط الفينيقى، ومن هذا اشتقّ الآرامىّ. والمُسند: بأنواعه: الصفَوىّ. والثمُودىّ. واللِّحيانىّ. شمالى جزيرة العَرب، والحِميرىّ جنوبيها.

ورُواة العرب يقولون: أنّهم أخذوا خطّهم الحجازىّ عن أهل الحيرة والأنْبار

أما الكتابة: بمعنى إنْشاء الكُتُب والرسائل، فهى لازمة لكل أمّة متحضِّرة ذات حكومة منظَّمة، ودواوين متعدّدة، وقد كان بعض ذلك موفوراً فى ممالك التَّبابعة جنوباً، ومأثوراً عن ممالك المنَاذِرة والغسَاسنة شمالاً، ولذلك استُعمِل الخط المسند الحميْرى عند الأوّلين من عَهد مَديد، والأنبَارى الحيرىّ عند الآخرين، وإنّما لم يَصِل الينا شىء من رسائل تلك الامم، ولا من كُتُب فنونها ودينها غير قليل، عثُر عليه لتقادُم عهد أهلها، وعدم استكمال البحث بعدُ فى بلادها.

ولم يُعرّفنا التاريخ أيضاً بأحد من كتّاب هذه الصناعة إلاّ «بِعدِىّ بن زيد العِبادىّ» الذى كان كاتباً ومُترجماً عند «كِسرى»

أما البَدوُ من سكان أواسط الجزيرة وهم جمهور مُضَر، وبعض القحطانيّين فكانوا أُميّين — ومن المعقول أنّهم لم يَعْرفوا الكتابة الانْشائية إلاّ بعد أن عَرَفوا الخط (آخرَ عصور الجاهليّة) وهو ما نقل عنْهم فيه أنّهم كانوا يَكتُبُون فى بَدْءِ رَسَائِلهم (باسْمك اللّهمّ) ومن فلان الى فلان، وأمّا بعد

ولم تقم لهم دولة بالمعنى السَّابق إلاَّ بقيام الأسلام ، فهو الذى أفشى فيهم الخط والكتابة .

ولما كانت علومُ كلّ أمَّة لها الأثرُ العظيم فى تكوين فِكْر الأديب ، وخيَال الشَّاعر ، وكانت كِتابتها قسماً قائماً بنفسه يُسمى كِتابة التَّدوين : ناسب شرح ذلك

﴿ علوم العرب وفنونها ﴾

ألعلوم والصّناعات لازِمة لحضَارة الأمم ، ومن العرب أهلُ حضارة دلَّتْ عليها دُوَلُهم العظيمةُ ، وقِدَمُ تاريخهم ، وآثارهمُ الخالدةُ ، وهم التّبّابعةُ فى اليمن ، والْمناذِرةُ والغَسَاسنةُ فى الشَّمال — واذاً تكون هَندسةُ إرْواء الأرض ، وعِمارةُ المدُن ، والحسابُ ، والطّبُّ ، والبَيْطَرةُ ، والزّراعةُ ، ونحوُها معروفةً فى الجنوب والشمال ، مُدَوَّنةً فى الكتب ، وان لم يحْفَظ لنا الدّهرُ صُوراً منها — أما البَدَوُ منهم : وإنْ كانوا أُميّين يَمقتُون الصّناعاتِ ، فلا غِنًى لهم عن تجربة تُرشِدُهم الى ما ينفعهُم ، ليعرفوا متى تجود السماء ، وبمَ يتميزُ الأقرباءُ من البعداء ؟ ؟ فكَسبهم ذلك علمَ النّجوم . والطّبّ الضّرورى ، والأنْسابَ . والاخْبار . ووَصْف الأرْض والفِراسة . والعِيافَة

والقِيافَة . والكهانة . والعِرافة . والزّجْر . وقَرْض الشّعر

علم النجوم — هو معرفة أحْوَال الكواكب — وقد كانوا أبْرَع فى هذا العلم منهم فى كلّ عِلْم سِوَاه ، تَعْرِفه عامّتهم قَبلَ خاصّتهم للإهتداء به فى ظُلمات البرّ والبَحْر ، ومعْرفة أزْمِنَة الخِصب والمَحْل ، و بعضُ مَعارفهم فيه مُستمدّ من الكَلْدَان لاخْتِلاطهم بهم ، ولاتّفاق اللّغتيْن فى كثير من أسماء الكواكب والبروج

ومن أشهرهم فيه (بنو حارِثة بن كَلْب ـ وبنو مُرّة بن همّام الشَّيبانى)
الطّب الانسانى ـ والحيوانى (البيطرة) وقد عَانَاه من العرب كثيرون
ومن مشهوريهم (الحارث بن كَلَدَة الثّقَفى ـ وابن حِذْيَم التّيْمى)

الأَنساب — علم تُتعرّف به القَرابات التى بَيْن بعض القبائل و بعض ، فتُلْحق فروعُها بأصولها — وانّما دَعَاهم الى العِناية به حاجتهُم الى التّناصر بالعَصبيَّة ، لكثرة حروبهم ، وتفرّق قبائِلهم ، وأَنفتهم من أن يَكُون لغريب عنهم سلطانٌ عليهم وحُبّهم الافتخار بأَسْلافِهم

وممن اشتهر بمعرفة أَنْساب العرب (دَغْفَل بن حَنظلة الشّيبانى ـ وزيدُ بن الكيس النّمَرى ، وابن لسان الحُمَّرة) ولهذا كانوا يحفظون أنسابَهم .

الأَخبار والتّاريخ والقَصَص : هى معرفة أحوال السّابقين ، وكانوا يَعْرفون منها ما كان عليه أَسْلافُهم ، و بعض مُجاوِريهم من الأحوال المأثورة ، وَوَقائع أيّامِهم المشْهورة ، كقصّة الفيل ، وحرب البسُوس ، وحرب الفِجار

وصف الأَرض — هو معرفة كل بُقْعة وما يُجاوِرُها ، وكيف يُهتدى اليها ؟؟

وَمن قرأ شِعْر العرب فى نسيبهم ، واطّلع على وَصْفِهم ، وكَيفَ كانوا يحدّدون الحقير منها بحدودٍ قلَّما تُحَدّ به مملكة عظيمة ، عَرَف شدّة حِذقهم بمعرفةِ بلادهم

الفِراسة : هى الاسْتِدْلال بهَيئة الأنسان وشَكْله ولَوْنه وقَوله على أَخْلاقه وفَضائله وَرَزائله ، وقد نَبَغ فيها من العرب من لا يُحْصَى عَدَدهم ، ولهم فى ذلك نَوادِر شَتَّى

القيافة — ضربٌ من الفِراسة وهى الاهتِداء بآثار الأَقْدام على أَرْبابها ، أو الاستدلال بهَيْئة الانسان وأَعْضائِه على نَسَبِه . فقد كانوا يميّزون بين أثر الرّجُل والمرأة . والشّيْخ . والشّاب . والأَعمى . والبَصير . والأَحمق . والكيّس .

واذا نظروا عِدَّة أشخاص ألْحَقُوا الابنَ بأبيهِ ، والأَخَ بأخيهِ ، والقَرِيبَ بقريبهِ وعرفوا الأَجنبيّ من بينهم ـ وممن اشتهر بالقيافة (بنو مُدلِج ـ و بنو لِهْب)

الكهانة والعِرافة : وهما القضاء بالغيب — وربّما خُصَّتْ الكهانة بالأمور المستقبلة ، والعِرافة بالماضية — وطَرِيقُهم فى ذلك الاستدلال ببعض الحوادث الحالية على الحوادث الآتية ، لِمَا بَيْنهما من المُشَابَهة الخفيّة ـ وللعرب فى الكهّان اعْتِقَاد عَرِيض لِزعْمِهم أنهم يَعلمون الغيبَ ، فيَرفعون اليهم أمُورَهم للاستِشَارة ويَستَفسِرونهم عن الرُّؤى ، ويَستَطِبُّونهم فى أمْرَاضِهم — وممن اشتهر من الكهّان (شِقُّ أنْمار : وسَطِيح الذِّئبى) ومن الكَوَاهن (طُرَيفَةُ الخير ـ وسَلْمَى الهمْدانيّة) ومن العرّافين (عرّاف نجد : الأبلقُ الأسدى ، وعرّاف اليمامة : رَباح بن عَجلَة)

الزّجر : وهو الاستدلال بأصْواتِ الحيَوان ، وحَرَكاتِه ، وسَائر أحْواله على الحوادث بقوّة الخَيال ، والاسترسال فيه

ومن أشهر الزّجارين : بنو لِهْبٍ ، وأبو ذُؤيب الهُذلىُّ ، ومُرَّة الأسدى

ومن العرب من لم يَعبأ بالزّجر وما شاكَلَه كلَبِيد بن ربيعة القائل

لَعمرُك ما تدرِى الطّوارقُ بالحصى ولا زاجراتُ الطّير ما الله صانعُ

وكضابىء بن الحارث القائل

وما عاجلاتُ الطير تُدنِى من الفَتى نجاحا ولا عن رَيْثِهِنَّ يَخيبُ

ورُبَّ أمورٍ لا تَضِيرك ضَيرةً وللقلب من مَخْشَاتِهِنّ وَجيبُ

ولا خير فيمن لا يُوطِّنُ نفسه على نائبات الدهر حِين تَنوبُ

﴿ النظم ـ والشعر ـ والشُّعَراءُ ﴾

النَّظم : عرَّفه العَرُوضيُّون بأنهُ الكلام الموزون المُقفّى قصداً ـ ويُرادفه الشِّعر

عندهم — أما المحققون من الأدباء: فيخصُّون الشعر بأنهُ الكلام الفصيح الموزون المقفّى، المعبّر غالباً عن صُوَر الخيال البَديع، واذا كان الخيال أغلبَ مادّته أطلق بعض العرب (تجوّزاً) لفظ الشّعر على كل كلام تضمَّن خيالاً، ولو لم يكن موزوناً مُقفّى — ولجَرْيه وفق النّظام الممثِّل فى صورةِ الوزْن والتَّقفية كان تأثيره فى النفس من قبيل إثارة الوِجْدان والشُّعور، بَسْطاً وقَبضاً وترغيباً وترهيباً ـ لا من قَبيل إقْناع الفكر بالحجّة الدّامغة، والبُرْهان العقلىّ، ولذلك يَجْمُلُ أثره فى إثارَة العواطف وتَصْوير أحوال النفس، لا فى الحقائق النّظَريّة ـ ولا رَيْب أنّ النّفْس تَرتاع بصُور المحسُوس الباهر، وما انْتُزِع منه من الخيال الجلىِّ لخِفّة مؤونَتِه عليها، وإراحَتِه لها من المُعاناة والكدّ ـ فكيف اذا انضم الى ذلك نَغمُ الوزن والقافية، الشّديد الشّبه بتأثير الإيقاع والتلْحين الذى يَطْرَبَ له الحيوانُ، فضلا عن الإنسان

والعرب بفِطْرتهم مطبوعُون على الشّعر لِبداوتهم، وملاءمة بيئتهم لِتَرْبية الخيال فالبدوىّ لحرّيته، واستقلاله بأمر نفْسه، يغلِبُ على أحكامه الوجدانُ، ويَسلك إليه من طَريق الشّعور، ومعيشةُ البدَوِىّ فوق أرْضٍ نقيَّة التُّرْبة، وتحت سماءٍ صافية الأديم، ساطعةِ الكواكب، ضاحيةِ الشّمس، جلَت لحِسّه مناظرَ الوُجُود وعوالمَ الشُّهود، فكان لخياله من ذلك مادَّةٌ لا يغور ماؤها، ولا يَنْضُب مَعينها فهام بها فى كلّ وادٍ، وأفاض منها الى كلّ مُرَاد، وكان له من لُغَتِه، وفصاحة لسانه أقوى ساعِد، وأكبر مُعَاضِد، ويَشْعُرُ الانسان بِطَبْعه أنّ الشّعر متأخّر فى الوجُود عن النَّثر، وان كانت واسِطة بين النَّثر والشّعر، فَلَيْسَت إلاّ السّجع، لما فيه من مُعادَلة الفِقر، والتزام القَافية، والميل الى التّغنِّى به — فكان من ذلك المقطّعات، والأراجيز الصغيرةُ، يَحدُون بها الإبل، ويُعَدّدُون بها المكارم

ثمّ لما نمت مَلكة الشّعر فيهم، واتّسعت أغراضهُ أمامهم، نوّعوا الأوزان وأطالوا القوافى، وقصّدُوا القصيد

وقد خفى علينا « كأَ كثر الأمم » مبدأُ قول الشّعر، وأوّل من قاله

أمّا ما نُسِب من الشعر: إلى آدم: وإبليس: والملائكه: والجن: والعرب البائدة: فهو حديثُ خُرافة

والشّعر الذى صَحّت روايتُه مُنذ أواسط القرن الثّانى قبل الهجْرة يَنْتهى أقدم مطوّلاته (الى مُهلهِل بن ربيعة) وأقدَمُ مقطّعاته إلى (نَفر) لعلّهم لم يبعدوا عنهُ طويلا مثل: العَنْبر بن عمرو بن تميم، ودُرَيد بن زَيد بن نَهْد، وأعْصُر بن سعد ابن قَيْس عَيْلان، وزهير بن جناب الكلْبي، والأفْوه الأوْدِى، وأبو دُواد الإيادى، وقد رَوَوا أنهُ لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلاّ الأبيات يُقولها الرّجل فى حاجَتِه، وأن أول من قصّد القصائد، وذكر الوقائع (المهلْهل بن ربيعة التّغلَبي) فى قتل أخيه كُليَب. فهو أوّل من رُوِيَتْ له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً، وتبعه الشّعراء مثل (امرئ القيس) وَعلْقمة، وعَبيد، ممن أخرجوا لنا الشعر العربىّ فى صورته الحاضرة.

هذا مجمل ما يتعلق بحقيقة الشعر، ونشأته فى الجاهليّة

أما ما يتعلق بمادّته وجوهره فانّه يَرجع الى أغرضه. وفنونه. ومَعانيه. وأخيلته. وألْفاظه. وأساليبه. وأوْزانه. وقَوافيه.

(١) أغراضه ـ وفنونه

نَظَم العرب الشّعر فى كل ما أدْرَكتْه حواسّهم، وخَطَر على قلوبهم من فنونه

وأغراضه الكثيرة ، كالنسيب ويسمّى (التشبيب والتغزّل) وطريقته عند الجاهليّة يكون بذكر النساء ومحاسنهن ، وشرح أحوالهن ، وكان له عندهم المقام الأوّل من بين أغراض الشعر ، حتى لو انضمّ اليه غرض آخر قُدّم النسيب عليه وافتُتح به القصيد : لِمَا فيه من لَهو النفس وارتياح الخاطر ، ولأنّ باعثه الفذّ هو الحبّ ، وهو السرّ في كل اجتماع انسانيّ — والبدْوُ أكثر الناس حبًّا لفراغهم .

والفخر — هو تمدُّح المرْء بخصال نفسه وقومه ، والتحدُّث بحسن بلائهم ومكارمهم ، وكرَم عُنصرهم . ووفرة قبيلهم ، ورفعة حسَبهم ، وشهرة شجاعتهم

والمدح — وهو الثناء على ذي شأن بما يُستحسَن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل . والعفّة . والعدل . والشجاعة ، وانّ هذه الصفات عريقةٌ فيه ، وفي قومه وبتعداد محاسنه الخلُقيّة — وشاع المدْح عنْد ما ابتُذل الشعرُ ، واتخذه الشعراء مهنة

ومن أوائل مدّاحيهم : زُهير — والنابغة — والأعشى

والرّثاء : وهو تَعْداد مناقب الميت ، واظهارُ التفجُّع والتلهُّف عليه ، واستعظام المُصيبة فيه

والهجاء — هو تَعْداد مثالب المرْء وقبيله ، ونفيُ المكارم والمحاسن عنه :

والاعتذار — هو دَرْء الشاعر التهمةَ عنه ، والترفّق في الاحتجاج على براءته منها ، واستمالةُ قلب المعتذَر اليه ، واستعطافُه عليه : و(النابغة) في الجاهليّة فارس هذه الحلبة .

والوصْف — هو شَرْح حال الشيء وهيئته على ماهو عليه في الواقع ، لإحضاره في ذهن السامع ، كأنه يَراه ، أو يشعرُ به ، ومن أشهرهم في ذلك (امرؤ القيْس وأبو دُواد الإيادي)

والحِكمة والمثل — فالحِكْمة قولٌ رائعٌ يتضمّن حكماً صحيحاً مسلّماً . والمثل مرآة تريك أحوال الأمم وقد مضَت ، وتقف بك على أخلاقها وقد انْقضت فالأمْثال ميزان يُوزن به رُقِيّ الأمم وانحطاطُها، وسعادتها وشقاؤها، وأدَبها ولُغتها وأكثر ما تكون أمْثالُ العرب وحِكمها مُوجزَة متضمّنة حُكماً مقْبولا، أو تجْربة صحيحة ، تُمليها عليها طِباعها بلا تكلُّف — وأكثر الشّعراء أمثالا . زُهير — والنّابغة

(٢) معانيه وأخيلته

قَصْدُ الشّاعر من شِعره الإبانةُ عمّا يُخالج نفْسه من المعانى فى أىّ غرَض من الأغْراض السّابقة ونحْوها . ومن هذه المعانى ماهو عادِىٌّ فى البدَوِىِّ والحضَرى والعربىِّ والعجَمىّ كالأخْبار الصّادقة، وأوصاف المشاهَدات ، وشَرْح الوجْدانات كما يُمليها الخاطر بلامُبالَغة ولا إغْراق — ومنها ما هو غريبٌ نادر ، إنْتزَعه الخيال من المرْئيات البَديعة ، والأشْكال المنتظِمة ، وذلك ما يسمَّى بالمعنى المخترَع الذى تتفاضل الشّعراء بالإجادة فيه والأكْثار منه

واذا قِسنا الشّعر الجاهلى بهذا المعيار وجَدنا معانيه وأخيلته تمتازُ بالأمور الآتية :

(١) جلاء المعانى وظُهورها ومُطابقتها للحقيقة والواقع (٢) قلّة المبالَغة والغُلوّ فيها بما يُخرِجها عن حدّ العقل ومألوف الطّبع (٣) قلّة المعانى الغريبة المنزَع، الدّقيقة المأْخذ ، المتجلّية فى صُور الخيال البَديع . والتّشبيه الطّريف . والاستِعارة الجميلة والكِناية الدّقيقة . وحُسْن التّعليل وغير ذلك (٤) قلة تأنُّقهم فى تَرْتيب المعانى والأفْكار على النِّظام الذى يَقتضيه الذّوق ، فيُدخلون معنى فى معنى ، وينتقلون من غَرض الى آخر ، اقتضاباً بدون تخيُّل ولا تلطُّف

(٣) ألفاظه ـ وأساليبه

ولما كانت العربُ أمماً بدويّة تَنْظِم الشّعر بطَبعها ،من غير مُعاناة صناعة ولا دِراسة عِلم ـ غَلَب على شِعْرها صراحةُ القول وقلةُ المُوارية فيه ،والبُعد عن التكلّف وصحّة النّظم ، والوفاءَ بحقّ الممنى ـ أضف الى ذلك الأمُورَ الآتية

(١) جودة اسْتعمال الألفاظ فى مَعانيها الموضوعة لها : لإحاطة عِلْمِهم بلُغَتهم ومَعْرفتهم بوجوه دلالتها (٢) غَلَبة اسْتعمال الالفاظ الجزلة ، واسْتِعمال الألفاظ الغريبة التى هُجرت عند المحدَثين (٣) القصد فى اسْتعمال ألفاظ المجاز ، ومَقْت استِعمال الأعجمى إلاَّ ما وقع نادراً (٤) عدم تعَمُّد المحسِّنات البَدِيعيَّة اللّفظيّة ومَتانة الأسلوب ، بِحُسْن إيراد المعنَى إلى النّفس من أقْرب الطرق اليها ، واطْرَفِها لَدَيها ، وبإيثار المجاز ، أو قلّة الأسْهاب ،إلا إذا دَعَت الحال

(٤) أوزانه ـ وقوافيه

العرب : لم تعرف مَوَازين الشِّعر بتعلُّم قوانينَ صناعية،وتعرُّف أصُولٍ وضعيّة وانما كانت تَنْظِم بطبْعها على حسب ما يُهيّئهُ لها انشادُها ، وقد هَدَتْهم هذه الفطرة الى أوزان ـ أرجعها الخَليلُ الى خمسةَ عَشر وزْناً سمَّاها بحوراً ، وزاد عليها الأخْفَش بحراً ، وقد أكثروا النظم من بعضها دون بعض

راجع مؤلَّفنا (ميزان الذّهب فى بُحور شعر العرب)

وشعر العرب رَجزُه وقصيدُه يُبنى على قَافِية واحِدة كيفَما طال القول :

(٥) شعراء الجاهلية

شُعراء الجاهليّة : أكثر من أنْ يحاط بهم . ومن جُهِل مِنهم أكثر ممّن عُرِف

وانما اشتهر بعضهم دُونَ بعضٍ : لنبوغه : أو كثرة المروىّ من شعره ، أو قُرب عهده من الاسلام زَمنِ الرِّواية ـ وكان للشّعراء عند العرب منزلة رفيعة ، وحُكم نافذ ، وسلطان غالب ، إذْ كانوا ألسنتهم الناطقة بمكارمهم ومفاخرهم ، وأسلحتهم التى يَذودون بها عن حياض شَرَفِهم (وكانت القبيلة من العرب اذا نَبَغ فيها شاعر أتت القبائل فهنّأتها ، وصنعت الأطعمة ، وأتتْ النساء يَلعبن بالمزاهر كما يَصنعون فى الأعراس ، ويَتباشر الرّجال والوِلْدان ، لأنه حماية لأعراضهم ، وذبٌّ عن حياضهم ، وتخليدٌ لمفاخرهم ، وإشادَة بذكرهم ، وكانوا لا يهنِّئُون إلاّ بغلام يُولد أو شاعر ينْبغ : أو فرس تُنتج)

وكانت طريقةُ نظم الشّعر ارتجالَه ، فتأْتيهم ألفاظُهُ عفواً ، ومعانيه رَهواً ، كما وقعَ (للحارث بن حِلِّزة) وعمرْو بن كلثوم . أما من اتخذه منهم صِناعة يستدرُّها ويلتمس به الجوائز ، ويُنْشِده فى المحافل والمواقف العِظام ، فانه يتعهّده بالتهذيب والتّنقيح ، ليجعله رَقيق الحاشية ، حَسَن الدِّيباجة ، يَصحّ أنْ يُقَال فيه انّه المثَل الأعلى للشعر الجاهلىّ : كما ترَى ذلك واضحاً فى حَوْليّات (زُهير ، واعتذاريات النابغة)

وقد عبر النّاس دهراً طويلا لا يقُولون الشعر إلاّ فى الأغراض الشّريفة ، لا يمْدَحُون عظيماً طمعاً فى نَواله ، ولا يهجُون شريفاً تشفياً منهُ وانتقاماً ، حتى نشأت فيهم فِئة امتهنت الشعر وتكسّبت به ، ومدَحت الملوكَ والأمرَاء (كالنّابغة الذُّبيانى وحسّان مع النعمان بن المُنْذر) وملُوك غسّان ، وزُهير بن أبى سُلمَى مع هَرِم بن سِنان ، وأُميَّةَ بن أبى الصَّلْت مع عبْدِ الله بن جُدعان أحد أجواد قُريش ، والأعشَى مع الملوك والسُّوقة ، حتى قَصدَ به الأعاجم ، وجعَله متْجراً يتَّجر به ، فتحامَى الشّعرَ الأشْراف ، وآثروا عليه الخطابة

﴿ (٦) طَبقات الشّعراءِ ﴾

طَبقاتُ الشُّعَراء باعتبار عُصُورهم أربعٌ : (١) طَبقةُ الجاهِليِّين (٢) طَبقةُ المُخضْرَمِين (وهُم الّذين اشتَهروا بقول الشّعر فى الجاهليَّة والإسلام) (٣) طبقة الإسلاميِّين ، وهم الذين نَشئُوا فى الإسْلام ، ولم تَفْسُدْ سَلِيقتُهم العربيَّة ، وهم شُعراء بَنى أُميَّة (٤) طَبقةُ المُوَلَّدين ، أو المُحْدَثِين ، وهم الذين نَشئُوا زَمن فَسَادِ العربيَّة وامْتِزاجِ العربِ بالعَجم ـ وذلك من عصر الدّولة العبّاسيَّة الى يومِنا هذا .

والشّعراء الجاهليُّونَ يُقَسَّمون باعتبار شُهرتهم فى الشّعر للإجادة ، أو للكثرة الى طبقاتٍ كثيرة ، نذكر منها ثلاثاً (١) الطَّبقة الأولى ، امرُؤ القَيس بن حُجْر وعمرو بن كلثوم ، وزُهَير بن أبى سُلْمَى ، والنَّابغةُ الذُّبْيَانِى (٢) الطَّبقة الثَّانية الأعْشَى قَيْس ، ولَبيد بن ربيعة العامرى ، وطَرَفة بن العبد (٣) الطَّبقة الثَّالثة عَنْتَرة بن عَمرو بن شدّاد ، وعُرْوَةُ بن الوَرد ، ودُرَيْد بن الصِّمَّة ، والمُرَقَّش الأكبر ، والحارث بن حِلِّزَة اليَشْكُرِى ـ ومن الأدباءِ مَن يُقدِّم ويزيد

﴿ (١) امْرُؤ القَيْس ﴾

هو الملكُ أبو الحارث حُنْدُج بن حُجْر الكِنْدِىُّ ، شاعرُ اليَمانِيَة وآباؤه من أشْرَاف كِنْدة ومُلوكها ، وكانت بنو أسد من المُضريَّة خاضِعةً لملوك كِندة — وآخر ملك عليهم هو حُجْر أبو امْرِىءِ القَيْس — وأمّه أختُ مُهَلْهِل وكُلَيب .

نشأ امرؤ القَيْس بأرض نَجْد ، بَيْن رَعيَّة أبيه من بنى أسَد ، وسلك مَسْلَك المُترَفينَ من أولاد الملوك يَلْهو ويَلْعبُ ويُعاقرُ الخَمر ويُغازلُ الحِسَان ، فَمَقَتَه أبوه ولمّا لم يَنجع فيه القولُ طَرَده عنه وأقْصاه ، حتّى جاء نَبأ ثَوَرَان بَنى أسَد على

أبيه وقتلهم له . لأنّه كان يعسفُ فى حُكمه لهم ، فقال (ضيَّعنى صغيراً ، وحمّلنى دَمَه كبيراً ، لاصَحْوَ اليومَ ولاسُكْرَ غدًا ، أليومَ خمرٌ ، وغداً أمرٌ) وأخذ يَجْمعُ العُدَّة ، ويَستنجدُ القبائل فى ادْرَاك ثأره ، فنازلَ بنى أسد وقتَل فيهم كثيراً ، ثم اشتدّت به عِلّة قُروحٍ فمَات منها ودُفِنَ بأَنْقرَة — وكان ذلك قبل الهِجْرة بقريب من قَرن .

شعره — يُعتبرُ امرُؤ القَيْس رأسَ فُحول شعَراء الجاهليّة ، والمُقدَّم فى الطَّبقة الأُولَى ، فهو أوَّلُ من أجاد القَوْل فى اسْتيقَاف الصّحْب ، وبُكاء الدّيار ، وتَشْبيه النِّساء بالظِّباء والمَهَا والبَيْض ، وفى وَصْف الخَيْل بقَيْد الأَوابد ، وترْقيق النّسيب وتَقْريب مآخذ الكَلاَم ، وتَجْويد الاسْتعَارة ، وتَنْويع التَّشبيه ، وذلك لِسَعَة خيَاله بكثرة رِحلاته .

وقد يُفْحِشُ فى تَشبُّبه بالنّساء ، وتحدُّثه عَنهُن ، ويُشمُّ من شِعْره رائحة النَّبْل وتلمح فيه شارات السّيادة والمُلْك : من ذلك قوله :

فظلّ العَذارَى يَرْتَمين بِلَحْمِها وشحمٍ كهُدّاب الدِّمقْس المُفتّلِ

وقوله: وظَلّ طُهاةُ اللّحم من بين مُنضِج صَفيفَ شِواءٍ أو قديرٍ مُعَجّلِ

وقوله : ولو أنّ ما أسعَى لأَدنَى معيشةٍ كَفَانِى ولم أَطْلُب قليلٌ من المالِ

ولكنَّما أسعَى لمجدٍ مُؤثَّلٍ وقد يُدرِك المجدَ المُؤثَّلَ أمثَالِى

وشعره : وان اشْتَمَل بشَمْلة البَداوة فى جَفَاء العِبارة ، وخُشونة الألْفاظ وتَجهم المعانى ، تَراه أحْيَاناً يخطرُ فى حُلل من حُسْن الدِّيباجَة ، وبَديع المعنى ودِقّة النَّسيب ، ومُقاربَة الوَصْف ، وسُهولة المأْخَذ : ممّا كان خَلفَه أجملَ مِثال فى مُحاكاته ، ولمْ يَقل الشّعرَ كاسِباً .

ومن شعره : يذكر رحلته الى قيصر مع عمرو بن قميئة الضبّعى .

سَمَا لكَ شوقٌ بعدَ ما كان أقْصرَا ... وحلّت سُلَيمى بَطنَ ظبْيٍ فعَرْعَرَا
فَدَعْها وَسَلِّ الهمَّ عنها بجَسْرَة ... ذَمُول اذا صامَ النَّهار وهجّرا
عليها فتًى لم تحمِل الأرضُ مثلَه ... أبرَّ بميثاقٍ وأوْفَى وأصْبرا
إذَا قلتُ هذا صاحبٌ قد رَضيتُه ... وقُرّتْ به العينان بُدّلتُ آخرَا
كذلكَ جدّى لا أُصاحِبُ صاحباً ... مِن النّاس إلا خانَنى وتغيّرا

ومن أبياته السّائرة : قوله

إذَا المرءُ لم يخزُنْ عليه لسانَه ... فليسَ على شىءٍ سِواهُ بخزّانِ

وقوله : وقد طوّفتُ فى الآفاق حتّى ... رَضِيتُ من الغَنيمة بالإيابِ

ومن أشهر المُطوّلات والمُقطّعات :

مُعلّقة امرىء القَيْس

قِفَانَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ ... بِسَقْطِ اللِّوَى بينَ الدَّخولِ فحَوْمَلِ (١)
فَتُوضِحَ فالمِقْرَاةِ لم يَعْفُ رَسْمُهَا ... لِمَا نَسَجَتْها مِنْ جَنُوب وَشَمْأَلِ (٢)
تَرَى بَعَرَ الآرَام فى عَرَصَاتِهَا ... وَقِيعَانِها كأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ (٣)
كأنِّى غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا ... لدَى سَمُرَاتِ الحىِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ (٤)

---

(١) اللوى : ما التوى من الرمل . أو استرق منه . والجمع ألواء وألوية .. وسقط اللوى منتهاه . وهو مثلث السين . والدخول وحومل وتوضح والمقراة : كلها أسماء أماكن يقع بينها سقط اللوى . وفيه منزل الحبيب (٢) لم يعف رسمها . لم يمح أثرها . والمراد من (جنوب وشمأل) ريح الجنوب وريح الشمال . (٣) الآرام : جمع رئم . وهو الظبى الخالص البياض والعرصات : جمع عرصة . وهى البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء . والقيعان : فناء الدار . (٤) تحملوا : ارتحلوا والسمرات جمع سمرة . وهى الشجرة . ونقف الحنظل : استخراج حبه . وناقف الحنظل ينهمر دمعه لحرارته . والشاعر يتحدث عن بكائه يوم ارتحل احبابه

وُقُوفاً بِها صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولون لا تَهْلِكْ أَسًى وتَجَمَّلِ (١)

وَإِنّ شِفَائِى عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ ... فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ (٢)

كَدَأْبِك منْ أُم الحُوَيْرِثِ قبلها ... وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ (٣)

إذا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهمَا ... نَسِيمَ الصَّبَا جاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ (٤)

ففَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ منِّى صَبَابَةً ... على النَّحْرِ حتّى بَلَّ دَمْعِى مِحْمَلِى (٥)

أَلاَ رُبَّ يومٍ لى مِنَ البِيضِ صَالِحٍ ... ولا سِيَّما يومٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ (٦)

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِى ... فيَاعَجَباً مِنْ كُورِها المُتَحَمَّلِ (٧)

فظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِها ... وشَحمٍ كَهُدَّاب الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ (٨)

تُدَارُ عَلَينَا بالسَّدِيف صِحَافُها ... وَيُؤْتَى إِلَيْنَا بالْعَبِيطِ المُثَمَّلِ (٩)

ويَوْمَ دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ ... فقالت لك الوَيْلاتُ إنك مُرْجِلِى (١٠)

تقولُ وقد مالَ الْغَبِيطُ بنَا معاً ... عَقَرتَ بَعِيرِى يا آمرأَ القيس فانزل (١١)

فقُلْت لهَا سِيرِى وأَرْخِى زِمَامَهُ ... ولاَ تُبْعِدِينى مِنْ جَنَاكِ المُعَلَّلِ (١٢)

---

(١) اى وقف صحبي على مطيهم بسمرات الحى . ونصحوا الى بالتجمل والاحتمال (٢) عبرة مهراقه دمعة مسكوبة . والمعول المستعان به (٣) الدأب : الشأن (٤) تتضوع المسك : انتشرت رائحته . والريا الرائحة . والمراد انه اذا قامت هاتان المرأتان يتضوع منهما المسك . كما يأتى النسيم بشذا القرنفل (٥) المحمل على وزن منبر حمالة السيف (٦) ابتدأ الشاعر يذكر حوادث شبابه . وملاعب صباه . وخص بالذكر ايامه بداوة جلجل . وهى مكان بنجد . وسيحدثنا عن لهوه أطيب الحديث (٧) مطية الشاعر هنا ناقته . العذارى . الابكار . والكور بالضم : الرحل . والمتحمل المحمول (٨) هداب الدمقس : أطراف الحرير . والمفتل : المفتول (٩) السديف . قطع السنام والصحاف . جمع صحفة القصعة . والعبيط . لحم الذبيحة تنحر من غير علة . والمثمل الشهى (١٠) الخدر هنا الهودج . وعنيزة اسم لمحبوبته ـ انك مرجلى : أى فاضحى بين رجالى (١١) الغبيط : الرحل . عقرت بعيرى : ادميت ظهره لثقلك (١٢) الجنى : الشهد . المعلل : الشهى

دَعِي البَكْرَ لا تَرْثِي لهُ منْ رِدَافِنا ... وَهاتي أَذِيقِينَا جَنَاةَ القَرَنفُلِ (١)

بِثَغرٍ كَمِثْلِ الأُقحُوانِ مُنَوَّرٍ ... نَقِيِّ الثَّنايا أَشْنَبٍ غيرِ أَثْعَلِ (٢)

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ ... فألهَيتُها عن ذى تَمائِمَ مُحْوِلِ (٣)

إذا مَا بَكَى من خلْفِها انصَرَفتْ لهُ ... بِشِقٍّ وَتحتِي شِقُّها لم يُحَوَّلِ (٤)

ويَوْماً على ظَهْرِ الكَثِيبِ تعذَّرَت ... علىَّ وآلتْ حِلفَةً لم تُحلَّلِ (٥)

أَفَاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هذَا التَّدلُّلِ ... وَإِن كُنتِ قدأزمَعْتِ صَرمِي فأجمِلِي (٦)

أَغَرَّكِ مِنِّى أنَّ حُبَّكِ قاتِلى ... وأنَّكِ مهمَا تأمُرِى القلبَ يَفعَلِ

وأنَّكِ قَسَّمتِ الفُؤَاد فنِصفُهُ ... قَتِيلٌ وَنِصفٌ بالحَدِيد مُكَبَّلِ (٧)

فإنْ تَكُ قدْ ساءَتْكِ مِنِّى خَلِيقةٌ ... فَسُلِّى ثِيَابِى من ثِيَابِكِ تَنْسُلِ (٨)

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلاَّ لِتَضربِى ... بِسَهْمَيكِ فى أعشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ (٩)

البكر . البعير ، الرداف . هو ان يركب اثنان على دابة واحداة ـ اذ يقينا جناة القرنفل . أى مكنينا من ثغرك العطر (٢) الاقحوان زهر أبيض جميل تشبه به الثغور العذاب . اشنب . فيه برد ورقة وصفاء ـ غير أثعل . غير مختلف المنابت . يصفه بالتنسيق . وجمال التكوين (٣) محول . مضى عليه حول . يريد ان يقول انى رجل افتن النساء ، حتى لاتنجو منى الحبلى ولا المرضع . مع أنهما فى شغل بالحمل والرضاع (٤) فى هذا البيت صورة فاتنة من صور الجماع (٥) تعذرت . تمنعت . أى مضت فى عنادها وتجنيها ـ آلت حلفة : أقسمت يميناً ـ لم تحلل . لم تقيد اليمين بقيد يحلها هو ولم يستثن فيها (٦) ازمع الامر . وازمع عليه . إذا ثبت عزمه على امضائه . الصرم بفتح الصاد وضمها الهجر والقطيعة . والاجمال : الرفق (٧) مكبل . مقيد (٨) الخليقة . السجية والطبيعة . والثياب هنا القلب . وتنسل . تسقط ـ والمعنى : اذا ساءتك خصلة من خصالى فسلى قلبى من قلبك . أى فتباعدى واقطعى اسباب الصبابة (٩) ذرف دمعه ذروفا : سال . والسهمان هنا العينان . والاعشار : اجزاء الجذور التى تنحر فى الميسر . يأخذ منه السهم المعلى سبعة والرقيب ثلاثة . والمعنى أن سهمى لحظ المحبوبة يظفران بكل اجزاء قلبه ـ وقلب مقتل . أهلكه العشق

وبَيْضَةِ خِدْرٍ لاَ يُرَامُ خِبَاؤُهَا تمتّعتُ منْ لَهْوٍ بهَا غيرَ مُعْجَلِ (١)
تجَاوَزْتُ أَحْرَاساً إِلَيْهَا وَمَعْشَراً علىَّ حِرَاصاً لو يُسِرُّونَ مَقْتَلِى (٢)
إذا ما الثُّرَيَّا فى السَّماء تعرّضتْ تعرُّضَ أَثناء الوِشَاحِ المُفَصَّلِ (٣)
فَجِئتُ وَقد أَنْضتْ لِنَوْمٍ ثِيابها لدى السِّتْرِ إلاّ لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ (٤)
فقَالَتْ يَمِينُ اللهِ مالكَ حِيلَةٌ وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الغَوَايةَ تَنْجلِى (٥)
خَرَجتُ بِهَا أَمْشِى تجرُّ وَرَاءَنا على أَثَرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ (٦)
فلمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحىِّ وَانْتَحَتْ بِنَا بَطْنَ خَبْتٍ ذى حِقَافٍ عَقَنْقَلِ (٧)
هَصَرْتُ بِفَوْدَىْ رَأْسِهَا فَتَمَايَلَتْ علىَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ (٨)
مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاء غيرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ (٩)

---

(١) بيضة الخدر كناية عن المرأة المخدرة المحجبة . غير معجل غير مضطر الى العجلة . والمعنى : تمتعت بهذه المخدرة الممنوعة وأنا فى طمأنينة ! (٢) الأحراس . الحراس . وحراص جمع حريص وأسر الأمر أضمره . والمعنى تجاوزت اليها قوماً حراصا على قتلى لو استطاعوا اخفاءه وكتمه (٣) الوشاح : أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها . والوشاح المفصل . وهو المرصع بالذهب أو الزبرجد . والمعنى : زرت حبيبتى حين تعرضت الثريا فى السماء تعرض الوشاح المرصع (٤) أنضى الثياب خففها . والمتفضل هو الذى يلبس ثوبا واحداً حين يأوى الى فراشه . (٥) مالك حيلة : أى لا بصر لك بعواقب الأمور . وهى ههنا كلمة نسائية يقصد بها الدعابة ، لا التحقير ! (٦) المرط : كساء من صوف أو خز ، مرجل . بالجيم ، فيه صور رجال وبالحاء فيه صور رحال ، والمعنى : خرجت بها الى الفضاء . وهى تجر ملاءتها على الارض لتمحو أثر أقدامنا فى الرمال : لتضل الرقباء .

(٧) جزت المكان : قطعته وخلفته ، انتحت : قصدت . الخبت : الفضاء الواسع . الحقاف جمع حقف ، والعقنقل : والعقنقل : الوادى العظيم (٨) هصرت فوديها : أملتهما الى . والفودان : جانبا الرأس . هضيم الكشح : دقيقة الخصر . ريا المخلخل : بضة الساق ، والمخلخل موضع الخلخال (٩) مهفهفه ضامرة البطن . غير مفاضه مسترخية . اللحم الترائب موضع القلادة من الصدر والسجنجل المرآة المجلوة

كبكر المقاناة البياض بصفرة ... غذاها نمير الماء غير المحلل (١)
تصد وتبدى عن أسيل وتتقى ... بناظرة من وحش وجرة مطفل (٢)
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش ... إذا هى نصته ولا بمعطل (٣)
وفرع يزين المتن أسود فاحم ... أثيث كقنو النخلة المتعثكل (٤)
غدائره مستشزرات إلى العلى ... تضل المدارى فى مثنى ومرسل (٥)
وكشح لطيف كالجديل مخصر ... وساق كأنبوب السقى المذلل (٦)
ويضحى فتيت المسك فوق فراشها ... نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل (٧)
وتعطو برخص غير شثن كأنه ... أساريع ظبى أو مساويك إسحل (٨)

---

(١) المقاناة الخلط (والشاعر يشبه خليلته ببيضة النعام لأول عهدها بمزج الصفرة بالبياض) نمير: صاف عذب . المحلل : الذى كدرته الابل ، يصف حبيبته بأنها لاتشرب الماء المحلل كسائر الأعرابيات ، وانما هى سيدة مترفة تشرب الماء النمير ! (٢) تصد : تصدف . تبدى : تعيد الصد ، أى تصد ثم تصد . تقول بدأ وأبدأ ، أى عاود مابدأه . الاسيل: الرقيق ، صفة لموصوف محذوف هو الخد ، وجرة : مكان لتربية الوحوش بين مكة والبصرة ومطفل : ذات طفل والمعنى تصد عن خد أسيل ، وتتقى المحب بعين مملوءة بالعطف ، كما تنظر الى طفلها الظبية الرءوم
(٣) الجيد : العنق : الرئم : الظبى . نصته : رفعته : معطل وعاطل . لاحلية فيه (٤) الفرع: الشعر . المتن : الظهر . فاحم : شديد السواد . اثيث غزير . متعثكل : ذوعثاكيل ، وهى فى النخيل كالعناقيد فى الأعناب (٥) مستشزرات : مرتفعات والغدائر . خصل الشعر : المدارى . الأمشاط (٦) الجديل : الوشاح . مخصر : دقيق . والسقى على وزن غنى نبات يسقى كثيراً ويسمى البردى ، ومن هنا لانت انابيبه ، وشبهت بها السيقان البيضاء والمذلل اللين ، ومنه شجرة مذللة معطفة الاغصان ، ينالها كل احد (٧) انتطقت المرأة لبست المنطق أو النطاق ، وهو شقة تلبسها وتشد وسطها فترسل الاعلى على الأسفل ، وينجر الاسفل على الارض . والتفضل لبس الثوب الواحد . وعن هنا ، بمعنى بعد ، أى لم تلبس المنطق بعد المفضل يريد انها لم تكتس بعد عرى ونوم الضحى من عادات المترفات اللائى يقضين الليل فى مرح الصبا وجنون الشباب ! (٨) العطو التناول . ورخص : لين ناعم ، وهو وصف للبنان . وشثن : خشن وأساريع جمع أسروع وهو دود أبيض احمر الرأس تشبه به الانامل البيض المخضبة الاطراف . والاسحل شجر يستاك به

تُضِيءُ الظَّلامَ بالعِشاءِ كأنّها ... مَنارةُ مُمْسَى راهبٍ مُتبتِّلِ (١)
إلى مِثْلِها يَرْنو الحليمُ صَبابةً ... إذا ما اسْبَكَرَّتْ بيْنَ دِرْعٍ ومِجْوَلِ (٢)
تَسلّتْ عمَايَاتُ الرجال عَنِ الصِّبَا ... وليْس فُؤادِى عَنْ هَوَاها بمُنْسَلِ (٣)
ألا رُبَّ خَصْمٍ فيكِ ألْوَى رَدَدْتُهُ ... نَصيحٍ عَلَى تَعْذَالِهِ غيْرِ مُؤْتَلِ (٤)

***

ولَيْلٍ كمَوْجِ البَحْرِ أرْخَى سُدُولَهُ ... عَلَىَّ بأنْوَاعِ الهُمومِ لِيبْتَلِى (٥)
فقُلْتُ لَهُ لمَّا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ ... وَأَرْدَفَ أعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ (٦)
ألاَ أيُّها اللَّيْلُ الطَّوِيلُ ألاَ انْجَلِ ... بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بأمْثَلِ (٧)
فيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كأنَّ نُجُومَهُ ... بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ (٨)
كأنّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فى مَصَامِهَا ... بأمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ (٩)

***

---

(١) يقول : تضىء محبوبتى الظلام كأنها منارة الراهب فى الماء، ومنارة الراهب أقصى مايتصوره أهل البادية من جمال الاضواء والانوار (٢) اسبكرت : اعتدلت واستقامت ، ودرع المرأة قميصها ، والمجول على وزن منبر ثوب تلبسه الفتاة وتجول فيه قبل أن تخدر . والمعنى : الى مثل هذه التى وصفتها لك يميل الحليم ويصبو اذا اعتدلت بين درعها ومجولها وأوحت اليه بأسرار الشباب ! (٣) تسلت : تكشفت وانزاحت ، عمايات : جمع عماية ، وهى الغوية والضلالة ومنسل : سال . والمعنى : تكشفت غوايات الرجال عن صباهم ، ولم يسل عن هواك فؤادى .

(٤) ألوى : عسر . والتعذال والعذل : اللوم . غير مؤتل : غير مقصر . يذكر أنه لم يسمع فيها قول الوشاة (٥) السدول : الستور . يبتلى : يختبر . وهو يصف الليل بتعمد ايذائه (٦) تمطى لليل طال والجوز الوسط وفى رواية : بصلبه . ناء : نهض . الكلكل : الصدر (٧) أمثل أفضل . يذكر أن همومه موصولة : فليس الصبح خيراً من الليل ! (٨) مغار : محكم شديد . ويذبل : اسم جبل . يصف نجوم الليل بالثبات (٩) فى مصامها : فى موضعها . أمراس جمع مرس وهو الحبل . والجندل الأصم الحجر الصلب

وَقِرْبَةِ أَقْوَامٍ جَعَلْتُ عِصَامَهَا ... عَلَى كَاهِلٍ مِنِّى ذَلُولٍ مُرَحَّلِ (١)
وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ ... بِهِ الذِّئْبُ يَعْوِى كَالْخَلِيعِ الْمُعَيَّلِ (٢)
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى إِنَّ شَأْنَنَا ... قَلِيلُ الْغِنَى إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلِ (٣)
كِلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ ... وَمَنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِى وَحَرْثَكَ يَهْزُلِ (٤)

***

وَقَدْ أَغْتَدِى وَالطَّيْرُ فِى وُكُنَاتِهَا ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ (٥)
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا ... كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ (٦)
كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ ... كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَنَزَّلِ (٧)
عَلَى الْعَقْبِ جَيَّاشٍ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ ... إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمْيُهُ غَلْىُ مِرْجَلِ (٨)
مِسَحٍّ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى ... أَثَرْنَ غُبَارًا بِالْكَدِيدِ الْمُرَكَّلِ (٩)

---

(١) العصام : حبل تربط به القربة ومرحل : كثير الحمل والترحيل (٢) يقال للموضع الذى لاخير فيه « هو كجوف العير » وهو الحمار ، لانه ليس فى جوفه ماينتفع به ، والمعيل : المسيب المتروك الذى ألقى حبله على غاربه (٣) تمول : صار ذا مال . يريد : ان شأننا شأن فقر لا ثراء (٤) أفاته : ضيعه . ومن يحترث حرثى وحرثك ، أى من يعمل عملى وعملك من الضلال فى البادية ويهزل : يضعف (٥) وكنات : جمع وكنة ، وهى العش ، وفرس أجرد ومنجرد : قصير الشعر رقيقه . الاوابد : الوحوش النافرة . وقيد الاوابد مبالغة فى سرعة العدو . والهيكل الضخم من كل شئ (٦) مكر مفر : سريع الكر والفر . من عل : من فوق . يصف عدو الفرس فى كره وفره واقباله وادباره بجلاميد الصخر تحطها السيول ، وهو وصف رائع (٧) كميت : خالط حمرته سواد ـ ويزل : يسقط ـ عن حال متنه : عن وسط ظهره . الصفواء الصخرة الملساء ـ المتنزل المطر ينزل من السماء (٨) يقال للفرس الجواد : انه لذو عفو وذو عقب ، فعفوه أول عدوه ، وعقبه أن يعقب بحصر أشد من الاول ، وجياش إذا حركته بعقبك جاش كما يجيش البحر بالامواج ـ اهتزامه صهيله . المرجل القدر . يشبه صهيل جواده حين يجيش حميه بالقدر حين تفور (٩) مسح : عداء ـ السابحات والسوابح الخيول ـ الونى الضعف والتعب ـ الكديد الارض تكدها بحوافرها الدواب ـ المركل : المكدود . يصف جواده بسرعة العدو ، وبانه ليس كالسابحات الضعاف اللائى يثرن الغبار بالكديد

يَزِلُّ الغُلَامُ الخِفُّ عَنْ صَهَوَاتِهِ ... وَيُلْوَى بِأَثْوَابِ العَنِيفِ المُثَقَّلِ (١)

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ ... تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ (٢)

لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ ... وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ (٣)

ضَلِيعٌ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ ... بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ (٤)

كَأَنَّ المُتُونَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى ... مَدَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَلَابَةُ حَنْظَلِ (٥)

كَأَنَّ عَلَى دِمَاءِ الهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ ... عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَّلِ (٦)

فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ ... عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذَيَّلِ (٧)

---

(١) الخف الجلد أو الخفيف ـ الصهوة : موضع السرج ، يقول نشأوا على صهوات الخيل ـ يلوى يرمى ـ العنيف . من لا رفق له بركوب الخيل ـ المثقل الثقيل ـ يريد أنه لا يذل لغير سيده ، وهو وصف بديع (٢) درير : كثير الجرى ـ الوليد الصبى ، والخذروف على وزن عصفور شئ يدوره فى يديه بخيط فيسمع له دوى ـ أمره : فتله ـ موصل : موصول

(٣) الأيطل الكشح ـ السرحان الذئب ـ والارخاء جرى غير شديد والتتفل ولد الثعلب والتقريب رفع اليدين معا : يصف جواده بضمور البطن حتى كأن كشحيه أيطلاظبى ، وبمتانة الساقين حتى لتحسبهما ساق نعامة ، أنه يقرب تقريب التتفل ويرخى ارخاء السرحان (٤) ضليع قوى الجنبين ـ استدبرته نظرب اليه من خلف وضاف طويل سابغ والأعزل الفرس المعوج العسيب . أى عظم الذنب ، فهو يميل ذنبه الى شق ، والعرب تتشاءم به إذا كانت إمالته إلى اليمين . يصف جواده بالقوة وطول الذيل ، واستقامة العسيب (٥) ـ المداك والمدوك الصلابة يذكر أن الجواد اذا انتحى ناحية وهو غير مسرج رأيت ظهره براقا لامعا كما تلمع صلابة الحنظل ومداك العروس ، وانما خص صلابة الحنظل لما يترك بها من الدهن اللامع ، وخص مداك العروس لقرب عهده بالطيب ـ وان امرء القيس لشاعر فنان ! (٦) الهاديات المتقدمات ، ويريد بها هنا الفرائس ـ مرجل مسرح . يذكر أن دماء الفرائس بنحره كعصارة الحناء بالشيب المرجل ، وكلاهما يلمع من الخضاب (٧) عن : عرض ـ السرب : القطيع ـ النعاج ـ البقر ـ دوار اسم صنم ـ مذيل طويل الأطراف . يصف سرب البقر الذى عرض له بالعذارى يطفن حول دوار فى الملاء الفضفاض

فأدبرن كالجزع المفصل بينه ... بجيد معم فى العشيرة مخول (١)
فألحقنا بالهاديات ودونه ... جواحرها فى صرة لم تزيل (٢)
فعادى عداء بين ثور ونعجة ... دراكا ولم ينضح بماء فيغسل (٣)
فظل طهاة اللحم ما بين منضج ... صفيف شواء أو قدير معجل (٤)
ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه ... متى ما ترق العين فيه تسفل (٥)
فبات عليه سرجه ولجامه ... وبات بعينى قائما غير مرسل (٦)

***

أصاح ترى برقا أريك وميضه ... كلمع اليدين فى حبى مكلل (٧)
يضىء سناه أو مصابيح راهب ... أهان السليط بالذبال المفتل (٨)

---

(١) الجزع بفتح الجيم : الخرز ، لان لونه قد يجزع الى بياض وسواد ، والمفصل بينه : أى الذى فصل بين حباته بالذهب أو الزبرجد ـ الجيد : العنق ـ المعم والمخول : كرام العم والخال . يشبه النعاج بالجزع المفصل فى جيد من كرم عمه وخاله ، أى أنها تروق العيون

(٢) الهاديات : السابقات المتقدمات ـ الجواحر : المتخلفات ـ فى صرة . فى صياح شديد ـ لم تزيل : تتفرق ، يريد . ألحقنا الجواد بأوائل الوحش ، وخلى أواخرها مذعورة لم تتفرق ، فهو مدركها لامحالة (٣) عادى عداء : جمع بين ثور ونعجة ـ دراكا . تباعا ، لم ينضح بماء لم يعرق. يصف الجواد بانه فعل كل ذلك ولم ينضح جلده بالعرق . فهو ذو قوة متين (٤) الطهاة . جمع طاه وهو الطباخ . لحم صفيف : صف على النار ليشوى ، وفى الشمس ليقدد ، وقدير . مطبوخ فى القدر . يريد أن الطهاة شغلوا باللحم ، فمنهم من يشويه على الجمر : ومنهم من يطبخه فى القدر

(٥) يكاد الطرف يقصر دونه . أى ان العين لا تقدر على حصر محاسنه ـــ ترق . تنظر الى أعلاه ـ تسفل . تنظر الى أسفله ـ يريد أنه جواد فتن ، لا تدرى العين أتتمتع بأسفله أم بأعلاه

(٦) يريد انه بات مقيداً مسرجاً ملجماً ، ليستطيع الفارس امتطاءه متى شاء (٧) ومض البرق ومضاً ووميضاً وومضانا . لمع لمعاً خفياً : الحبى : السحاب المتراكم ، كأن بعضه حبا الى بعض مكلل : يضحك بالبرق (٨) السليط . الزيت الجيد ـــ الذبال . جمع ذبالة ، وهى فتيلة المصباح والمعنى ماذا ترى ياصاح ؟ أترى برقاً يضىء سناه فى السحاب المتراكم ، أو مصابيح راهب أهان الزيت بالذبال المفتول ؟ واهانة الزيت يقصد بها الاسراف فى استعماله . وفى رواية . أمال

قَعَدْتُ وأَصْحابى لهُ بَيْنَ ضَارِجٍ ... وبَيْنَ العُذَيْبِ ، بُعْدَ مَا مُتَأَمَّلِ (١)
على قَطَنٍ بالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ ... وأَيْسَرُهُ على السِّتَارِ فَيَذْبُلِ (٢)
فأَضْحَى يَسُحُّ الماءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ ... يَكُبُّ على الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ (٣)
ومَرَّ على القَنَانِ من نَفَيَانِهِ ... فأَنْزَلَ مِنْهُ العُصْمَ من كُلِّ مَنْزِلِ (٤)
وتَيْماءَ لمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ ... ولا أُطُماً إلاّ مَشِيداً بِجَنْدَلِ (٥)
كأَنّ ثَبِيراً فى عَرَانِينِ وَبْلِهِ ... كَبِيرُ أُنَاسٍ فى بِجَادٍ مُزَمَّلِ (٦)
كأَنّ ذُرَا رَأْسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً ... منَ السَّيْلِ والغُثَّاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ (٧)
وأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الغَبِيطِ بَعَاعَهُ ... نُزُولَ اليَمَانِى ذى العِيَابِ المُحَمَّلِ (٨)

---

(١) ضارج : اسم ماء ببلاد طيء ، والعذيب اسم ما قريب منه — متأمل : أى مأمول : وما زائدة : أى ـ يا بعد ما أرجو وآمل من هذا البرق الذى قعدت له مع أصحابى ، بين ضارج وبين التعذيب ! (٢) قطن . اسم جبل ـ الشيم : النظر الى البرق — الصوب : أى المطر الستار ويذيل . جبلان . والمعنى أرى بالشيم أيمن صوب السحاب على جبل قطن ، وأيسره على جبلى يذبل والستار (٣) يسح الماء : يسكبه ، كتيفة ، اسم أرض ـ دوح جمع : دوحة ، وهى الشجرة العظيمة والكهبل . نوع من الشجر الضخم . والشاعر يصف المطر بالشدة ، ويذكر أنه لعنفه يكب دوح الكنهبل على الاذقان . (٤) القنان : اسم جبل لبنى أسد ـ نفيان المطر : رشاشه — العصم . الوعول ومفردها أعصم ، سميت بذلك لاعتصامها بالجبال ، يذكر أن رشاش المطر مر بالقنان فأنزل ما فيه من عصم الوعول (٥) تيماء : اسم أرض — الاطم : القصر . يريد أن المطر لم يترك بتيماء الا جذوع النخل وما شيد بالصخر من الاطام والديار (٦) ثبيراً : اسم جبل ـ فى عرانين وبله : فى طغيان وبله . البجاد : كساء مخطط يلبسه كبار الاعراب ـ مزمل ملفف . يذكر أن المطر ترك بمسابله خطوطا فى ثبير تشبه خطوط البجاد (٧) المجيمر : اسم جبل . وذرا رأسه : أعاليه . الغثاء : ما يخالط زبد السيل من ورق الشجر والحشيش ـ يقول ان رأس المجيمر أضحت من السيل والغثاء كأنها فلكة مغزل ، يريد أن الغثاء أحاط بذرا الجبل احاطة الفلكة بالمغزل (٨) الغبيط : أرض لبنى يربوع — بعاعه : ثقله — العياب : جمع عيبة ، وهى ما يضع الرجل فيه متاعه . يريد أن المطر ألقى ثقله بصحراء الغبيط : كما ينزل الجمل اليمانى المحمل بالعياب

كأنّ مُكاكِيَّ الجِوَاءِ غُدَيَّةً صُبِحْنَ سُلافاً مِنْ رَحِيقٍ مُفَلْفَلِ
كأنَّ سِبَاعاً فِيهِ غَرْقَى عَشِيَّةً بأَرْجَائِهِ القُصْوَى أَنَابِيشُ عُنْصُلِ (١)

(٢) النّابغة الذُّبيانى

هو النّابغة الذُّبيانى أبو أُمامة زيادُ بن مُعاوية : أحدُ فحول الطّبقة الاولى من شعراءِ الجاهليةِ وزعيمُهم بعُكاظ ، وأحسنُهم ديباجةَ لفظٍ ،وجلاءَ معنًى ، ولُطفَ اعتذار ـ ولُقّب بالنّابغة لنُبوغه فى الشّعر فُجاءة وهو كبير ، بعد أن امْتنَع عليه وهو صغير ـ وهو من أشْراف ذُبيان ، إلاّ أنّ تكَسُّبه بالشّعرغَضَّ قَليلاً منْ شَرَفِهِ ، على أنّه لم يتَكسّب بِشِعْرِه إلاّ فى مَدْح ملوك العرب ، وكان من أمْرِه فى ذلك أنّه اتّصل بِمُلوك الحِيرَة ومَدحَهم ، وطالت صُحبته للنُّعمان بن المُنْذر . فأدناه منه إلى أن وشَى به عند النُّعمان أحد بطَانته ، فَغضِب عليه وهَمّ بِقَتْله . فأسَرّ إليه بذلك عِصامُ حَاجِبُ النّعمان ، فهرب النّابغة إلى ملوك غسَّان فى الشام ، المُنافسين للمناذِرة فى مُلْك العرب فى الحِيرَة ، فمدح عَمرو بن الحارِث الأَصغر وأخاه النُّعمان ، غير أنّ قَديم صُحبته للنُّعمان جعله يحِنُّ إلى مُعاودة العَيْش فى ظِلاله ، فتنصّل واعْتذَر اليه بِقَصائد عَطفتْ عليه قلْبَه ، وعُمّر النّابِغَةُ طويلاً ، ومات قُبيل البِعثة .

شعره — يَمتاز برَشَاقة اللّفظ وَوُضُوح المعنى ، وحُسن النّظْم ، وقِلّة التّكلُّف

---

(١) المكاكى : ضرب من الطير يصيح فى الغدوات ـ صبحن : شربن شراب الصباح ـ السلاف والسلافة : صفوة الخمر — الرحيق : الخمر — مفلفل : وضع عليه فلفل ، يريد أنه لذاع . والشاعر يذكر أن المكاكى طربت لصفاء الجو بعد المطر حتى لتحسبها لمرحها شربت سلاف الرحيق (٢) الأنابيش : جمع أنبوش ، وهو أصل البقل ، والعنصل : البصل البرى ، يذكر أن السباع وهى غرق فى بقايا السيل تشبه جذور البصل البرى ، فكلاهما ملطخ بالطين .

حتى عُدّ عند المُرِّقين من الشُّعَراء كَجَرِير أنّه أشعرُ شعَرَاء الجاهليّة ، وأغراه تكسُّبه بالشّعر أن يَفْتَنَّ فى ضُرُوب المدْح ، حتى مَدَح الشّىء وَضِدّه

ومن جَيِّد قوله فى الاعْتِذَار :

أتَانِى (أَبيتَ اللَّعنَ) (١) أنك لُمتَنِى ... وتلك التّى أُهتمُّ (٢) منها وأَنصَبُ (٣)

فبِتُّ كأنّ العائداتِ (٤) فرشنَ لِى ... هَرَاسا (٥) به يُعلَى فِرَاشِى ويُقشَبُ (٦)

حلفتُ فلم أترُك لِنَفسِك رِيبةً ... ولَيْس وَرَاء اللهِ للمرءِ مَذْهب

لَئِن كُنتَ قد بُلِّغتَ عنّى جِنَايةً (٧) ... لَمُبلِغُك الواشى (٨) أغشُّ وأكْذَب

ولكنّنى كنتُ امرأً لىَ جانبٌ (٩) ... من الأرض فيه مُستَرادٌ (١٠) ومَهْرَبُ

ملوكٌ (١١) وَإخوانٌ اذا ما أتيتُهم ... أُحَكِّمُ (١٢) فى أمْوالِهم وأُقَرَّبُ

كَفِعلك فى قومٍ أَرَاك اصْطَنَعتَهم ... فلم ترَهم فى شكر ذلك أذنَبُوا (١٣)

فلا تتَرُكَنِّى بالوَعيد كأنّنى ... الى النّاس مَطْلِىٌّ به القارُ (١٤) أجربُ

ألم ترَ أن الله أعطاك سُوْرَةً (١٥) ... تَرَى كلَّ مَلْكٍ دونها يتَذَبْذَب (١٦)

وإنك شمسٌ والمُلوكُ كواكبٌ ... اذا طَلَعتْ لم يبدُ مِنْهنّ كوكبُ (١٧)

---

(١) جملة دعائية يخاطبون بها الملوك تحية : ومعناها أبيت أن تفعل شيئا تلعن به . وكانت هذه تحية ملوك لخم وجذام (٢) اصبر لأجلها إذا هم (٣) أتعب (٤) الزائرات فى المرض (٥) شوكا كأنه حسك (٦) يخلط (٧) ذنبا وفى رواية (خيانة) (٨) التمام (٩) الجانب الناحية وأراد به الشام (١٠) موضع يتردد فيه لطلب الرزق (١١) بدل من مسترادٌ ومهرب ـ أو مبتدأ بتقدير فيه ملوك (١٢) أتصرف كيف أشاء (١٣) قال الأصمعى كما فعلت أنت بقوم قربتهم وأكرمتهم فتركوا الملوك ولزموك فلم تر ذلك ذنبا عليهم (١٤) القطران (١٥) منزلة رفيعة وشرفا ، وسورة بضم السين وفتحها (١٦) يضطرب (١٧) أراد بهذا البيت والذى قبله تسلية النعمان على ماحصل من مدحه لآل جفنة

ولستَ بمُستبقٍ أخاً لا تَلُمُّه ... على شَعَثٍ ، أىُّ الرجال المُهذَّبُ ؟(١)
فانْ أكُ مظلوماً (٢) فعبدٌ ظَلَمتَه ... وإنْ تَكُ ذا عُتبى (٣) فمثلك يُعتِبُ (٤)

ومن أبلغ المعلّقات والمطوّلات أيضاً

مُعلّقة النّابغة الذُّبيانى

عُوجُوا فحيُّوا لِنُعْمٍ دِمنَةَ الدَّارِ ... ماذَا تُحيُّونَ مِنْ نؤْىٍ وأحْجَارِ (٥)
أقْوَى وأقْفَرَ منْ نُعمٍ وغَيَّرَهُ ... هُوجُ الرِّياحِ بهَابِى التُّرْبِ موَّارِ (٦)
وقَفْتُ فِيها سَرَاةَ اليومَ أسألُها ... عنْ آلِ نُعمٍ أمُوناً عَبْرَ أسْفَارِ (٧)
فاسْتَعْجمَتْ دَارُ نُعمٍ ما تُكلّمُنَا ... والدَّارُ لوْ كلّمتْنا ذَاتُ أخْبَارِ (٨)
فَما وَجَدْتُ بها شَيْئاً أُلوذُ بهِ ... إلاّ الثِّمَامَ وإلاّ مَوْقِدَ النّارِ (٩)
وقدْ أرَانى ونُعْماً لاهِيَيْنِ مَعاً ... والدَّهْرُ والعَيش لمْ يَهْمُمْ بإمْرَارِ (١٠)
أيَّامَ تُخبِرُنى نُعمٌ وأُخبِرُهَا ... ما أكتُمُ النّاسَ منْ حاجِى وأسرَارِى

---

(١) تلمه تصلحه . والشعث الفساد . المهذب المنقى من العيوب . يعتذر بذلك عن زلته ـ والمعنى أى الرجال يكون مبرأ من العيوب، فان قطعت اخوانك بذنب لم يبق لك أخ (٢) جعل غضبه ظلما لانه عن غير موجب (٣) رضا. (٤) يرضى (٥) عوجوا : قفوا — الدمنة — : ما اجتمع من آثار الديار — النؤى ما يكون حول الخباء لمنع المطر . والشاعر يأمر رفاقه بتحية دار من يهوى ، ثم ينكر على نفسه بعد ذلك الوقوف بالآثار ، اذ ليس عندها لسائل جواب (٦) أقوى : خلا ـ أقفر : صار قفراً — هوج : جمع أهوج الريح تعصف بشدة ـ هابى الترب : سافيه ـ موار : يجىء ويذهب . يذكر أن بيت نعم أقوى واقفر ، وغيرته الريح الهوجاء بما ترمى عليه من التراب الموار (٧) سراة اليوم : وسطه والأمون : الناقة القوية المأمونة — عبر أسفار : لاتزال يسافر عليها . يذكر أنه وقف ناقته على الدار ، وأخذ يسالها عن آل نعم (٨) استعجمت : عيت عن الجواب (٩) ألوذ به : أفزع اليه — الثمام : نوع من النبت الدقيق الضعيف (١٠) أمر العيش امراراً : صار مراً

لولا حبائلُ من نُعْمٍ عَلِقْتُ بها ... لأقْصرَ القلبُ عنها أىَّ إقْصارِ (١)
فإنْ أفاقَ لقد طالتْ عمايتُه ... والمرءُ يُخلَقُ طوْراً بعدَ أطْوارِ (٢)
نُبِّئْتُ نُعْماً على الهِجْرانِ عاتبةً ... سَقْياً ورَعْياً لذاكَ العاتبِ الزّارِى
رأيْتُ نُعْماً وأصْحابى على عَجَلٍ ... والعِيسُ لِلْبيْنِ قدْ شُدَّتْ بأكْوارِ
فَرِيعَ قلْبى وكانتْ نَظْرةً عرَضَتْ ... حيْناً وتوفيقَ أقْدارٍ لأقْدارِ (٣)
بيْضاءَ كالشَّمْسِ وافَتْ يومَ أسعدِها ... لمْ تُؤْذِ أهْلاً ولمْ تُفْحِشْ على جارِ
تلُوثُ بعْدَ افْتِضالِ البُرْدِ مِئْزرَها ... لَوْثاً على مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلةِ الهارِى (٤)
والطِّيبُ يزدادُ طِيباً أنْ يكُونَ بها ... فى جِيدِ واضِحةِ الخدَّيْنِ مِعطارِ (٥)
تسقِى الضَّجيعَ إذا استَسْقَى بِذِى أشَرٍ ... عذْبِ المَذاقةِ بعدَ النَّومِ مِخمارِ (٦)
كأنَّ مَشْمُولةً صِرْفاً بِرِيقتِها ... من بعدِ رَقْدتِها أو شهْدَ مُشْتارِ (٧)
أقُولُ والنَّجمُ قدْ مالَتْ أوَاخِرُهُ ... إلى المَغِيبِ : تثبَّتْ نظْرةً حارِ (٨)
أَلَمحةٌ من سَنَا بَرْقٍ رأى بَصَرِى ... أم وجهُ نُعْمٍ بدَا لِى أم سَنَا نارِ

---

(١) الحبائل جمع حبالة ، وهى الشرك — أقصر : كف وانصرف (٢) العماية : الضلالة : والطور : الحال — ويخلق : يتغير (٣) ريع : من الروع وهو الفزع — والحين : الهلاك. يريد أنه هلك بالنظر اليها يوم الوداع ، ولم يكن ذلك عن قصد ، وانما كان توفيق أقدار لأقدار (٤) تلوث : تلف — وافتضال البرد : هو التوشح به — والدعص : الكثيب الصغير — والهارى : المنهار . يريد انها تلف مئزرها على ردف رجراج كأنه الكثيب ينهار ! (٥) الجيد : العنق — معطار : كثيرة العطر . ووضوح الخد إشراقه (٦) الأشر : حسن الثغر وتحريز أطرافه — مخمار : عطر ، تقول : وجدت خمرة الطيب : اي رائحته (٧) المشمولة : الخمر — والصرف : الخالصة ـ والريقة الريق ـ والمشتار : الذى ينزع العسل من العسل من بيوت النحل ـ يذكر أن ريقها بعد النوم عطر حلو المذاق ، مع ان النوم يغير الأفواه ! (٨) حار : مرخم حارث ، والشاعر يدعو رفيقه الى تامل مايرى من النور

بَل وَجهُ نُعمٍ بدَا واللَّيلُ مُعتَكِرٌ ... فلاحَ من بَينِ أثوابٍ وَأستارِ

إنّ الحُمول الَّتى رَاحَتْ مُهجَّرَةً ... يَتبَعْنَ كلَّ سفيهِ الرَّأى مِغيَارِ (١)

نَواعمٌ مِثْلُ بَيضَاتٍ بِمَحنِيَةٍ ... يَحفِزنَ منهُ ظَلِيماً فى نَقاً هَارِ (٢)

إذا تَغنى الحَمامُ الوُرقُ هَيَّجَنِى ... وإنْ تَغرَّبْتُ عَنها أُمِّ عَمَّارِ (٣)

وَمَهْمَهٍ نازحٍ تَعْوِى الذِّئَابُ به ... نَائى المِياهِ عَنِ الوُرَّادِ مقفارِ (٤)

جاوَزتُهُ بِعَلَنْدَاةٍ مُنَاقِلَةٍ ... وَعرَ الطَّرِيقِ على الإحزَانِ مِضمارِ (٥)

تَجتَابُ أُرضاً إلى أرضٍ بذِى زَجَلٍ ... مَاضٍ على الهولِ هَادٍ غيرِ مِحيارِ (٦)

إذا الرِّكابُ وَنَتْ عنها رَكائِبُها ... تَشَذَّرَت بِبَعِيدِ الفَترِ خَطَّارِ (٧)

كأَنَّمَا الرَّحْلُ منها فوْقَ ذِى جُدَدٍ ... ذَبَّ الرِّيَادِ إلى الأشْباحِ نَظَّارِ (٨)

---

(١) الحمول : الهوادج ، ويريد بها النساء ـ راحت مهجرة : سارت وقت الهجير ـ مغيار : غيور (٢) المحنية والحنو : منعطف الوادى ومنحناه — والظليم : ذكر النعام — والنقا : الكثيب — والهارى : المنهار ـ والحفز : الملابسة ـ يذكر أن هؤلاء النساء نواعم كأنهن يلابسن الظليم فى النقا بمنعطف الوادى (٣) الورق : جمع ورقاء ، وهى الحمامة تألف الشجر الوريق ـ وأم عمار : واقعة موقع البدل من الضمير فى «عنها» (٤) المهمه : الوادى الموحش ـ نازح : بعيد — الوراد : جمع وارد ـ مقفار : مقفر لاأنيس به (٥) علنداة : شديدة ، وهو وصف للناقة ـ مناقلة : سريعة نقل القوائم فى جرى بين العدو والخبب ـ الاحزان : المشى فى الحزن ، وهو ما صلب من الأرض — مضمار كثيرة الضمور . يذكر ـ أنه قطع ذلك الوادى المقفر بناقة شديدة عداءة ضامرة لا تحسب لوعورة الطريق وحزونته حساباً (٦) تجتاب : تقطع وتجوب ـ الزجل : الصوت — محيار : شديد الحيرة . يذكر ـ أنها تجوب البلاد بزجل قوى الصوت ماض على الهول لايضل ولا يحار (٧) ونت من الونى : وهو الضعف ـ تشذرت : نشطت — الفتر : الضعف ـ خطار : كثير الخطران برجليه على الناقة يحثها على المضى . يذكر أن هذه الناقة لا تضعف إذا ضعفت الركائب وانما تنشط بحث راكبها القوى النشيط لها .

(٨) ذو الجدد : هو ثور الوحش تملو ظهره خطوط بيض وحمر ـ والذب : الدفع ـ والرياد والارتياد التجول ، والشاعر يذكر أن ناقته سريعة نشيطة حتى كأنها ثور وحشى يعدو فى البيداء

مُطَرَّدٌ أُفْرِدَتْ عنهُ حَلائلُهُ ... من وَحشِ وَجْرَةَ أومن وَحْشِ ذى قارِ (١)
مُجَرَّسٌ وَحَدٌ جَأْبٌ أطَاعَ لَهُ ... نَبَاتُ غَيْثٍ منَ الوَسمِىِّ مِبْكارِ (٢)
سَرَاتُهُ مَاخَلا لَبَانَهُ لَهَقٌ ... وفى القَوَائمِ مثلُ الوشْمِ بالقارِ (٣)
باتَتْ لهُ لَيْلَةٌ شَهْبَاءَ تَسْفَعُهُ ... بحَاصبٍ ذاتِ إشعانٍ وإمْطارِ (٤)
وَبَاتَ ضَيْفاً لأرْطَاةٍ وأَجْأَهُ ... معَ الظَّلامِ إلَيْها وابِلٌ سارِ (٥)
حتّى إذا مَا انجلَتْ ظَلماءُ لَيلتِهِ ... وأَسْفَرَ الصُّبْحُ عنْهُ أىَّ إسْفارِ
أهْوَى لهُ قانِصٌ يَسعَى بأكلُبِهِ ... عارِى الأشَاجعِ منْ قُنّاصِ أنْمارِ (٦)
مُحالفُ الصَّيْدِ هبَّاشٌ لهُ لَحَمٌ ... ما إنْ عليْهِ ثيابٌ غيرُ أطمارِ (٧)
يَسعَى بِغُضْفٍ براهَا فهىَ طاوِيَةٌ ... طولُ ارْتحَالٍ بهَا مِنْهُ وتَسْيارِ (٨)

---

(١) مطرد : مشرد — وجرة وذوقار : موضعان — والوحش إذا أفردت عنه حلائله جن وأكثر من العدو فى أرجاء الفضاء (٢) مجرس : خائف ، وذلك أن يسمع جرس الانسان أى صوته — وحد : وحيد . جأب : صلب شديد — طاع له الكلأ وأطاع ، إذا اتسع وأمكن رعيه حيث شاء — والوسمى : أول المطر ، ومثله المبكار . وهو يصف ثور الوحش بالذعر والقوة (٣) سراته : ظهره — لبانه : صدره — لهق : أبيض — القار . شىء اسود تطلى به السفن وهو يصف الثور بان ظهره أبيض ، وبأن فى قوائمه خطوطاً سودا كأنهن الوشم بالقار .
(٤) ليلة شهباء ويوم أشهب : تهب فيهما ريح باردة — تسفعه : تلفحه وترميه — والحاصب الريح تقذف بالحصباء وهى الحصى — ذات إشعان : من الشعن وهو ما تناثر من ورق العشب بعد يبسه ، يصف الريح بأنها تقذف الثور بالحصى وأوراق الأعشاب (٥) الأرطاة : شجرة مرة — والوابل : المطر الغزير . والسارى : المطر يسح بالليل (٦) أهوى له : انقض عليه — أكلبه : كلابه — الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف ، وعريها محمود فى الرجال — أنمار : اسم لقبيلة مشهورة بالصيد (٧) هباش : كثير الهبش وهو الكسب يتكسب لهم ومعه هباشات : أى مكاسب — أطمار : جمع طمر وهو الثوب الخلق — يذكر أن الثور هو جم بعد أن أسفر الصبح عنه بقانص خلق الثوب نهم قوى حليف صيد وكسب (٨) الغضف : جمع أغضف ، وهو اللين الناعم ، طاوية جائعة — والشاعر يتكلم عن كلاب الصيد

حَتَّى إذَا الثَّوْرُ بعْدَ النَّفْرِ أمكَنَهُ ... أشلَى وأرْسَلَ غُضْفًا كلُّها ضَارِ (١)
فكَرَّ مَحمِيَةً مِنْ أنْ يَفِرَّ كما ... كَرَّ المحامِى حِفاظًا خَشْيَةَ العارِ (٢)
فشَكَّ بالرَّوق مِنْهُ صَدْرَ أوَّلها ... شَكَّ المُشَاعِب أعْشَاراً بأعْشَارِ (٣)
ثم انثنَى بعدُ للثّانى فأقْصَدَهُ ... بذات ثَغْرٍ بَعيدٍ القَعر نَعَّار (٤)
وأثبَتَ الثّالث الباقى بِنافِذَةٍ ... منْ باسِلٍ عالمٍ بالطّعْنِ كَرَّار (٥)
وظَلّ فى سَبْعَةٍ منها لَحِقْنَ بهِ ... يَكُرُّ بالرّوْقِ فيها كَرَّ إسْوَارِ (٦)
حتَّى إذَا مَا قَضَى منها لُبانَتَهُ ... وَعادَ فِيها بإقْبالٍ وإدْبار (٧)
انقضّ كالكوكبِ الدُّرِّىِّ مُنصلِتاً ... يَهوَى ويخلِطُ تَقْرِيباً بإحْضَارِ (٨)
فَذاكَ شِبْهُ قلُوصِىٍّ إذ أضَرَّ بها ... طولُ السُّرَى والسُّرَى منْ بَعد أسْفَار (٩)
لقَد نَهَيْتُ بَنِى ذُبْيانَ عَنْ أُقُرٍ ... وعَنْ تَرَبُّعِهِمْ فى كلّ أصفار (١٠)
فقُلتُ ياقَوْمِ إنَّ اللّيْثَ مُنْقَبِضٌ ... على بَرَائِنِهِ لوَثْبَةِ الضّارى (١١)

---

(١) النفر : العدو ـ أشلى : تقول أشليت الكلب للصيد إذا دعوته اليه وأغريته به ـ ضار : معتاد على الصيد (٢) محية : حفاظ ـ والمحامى الذائد والمدافع ـ يذكر أن الثور كر ولم يفر (٣) الروق : القرن ـ المشاعب : الذى يشعب القدح ويصدعه . يعنى أن الثور شك أول كلاب الصيد بقرنه كما يشعب النجار القدح فيصيره عشرة أجزاء (٤) اقتصده : رماه ـ بذات ثغر أى بطعنة ذات ثغر ، والثغر هنا الشق ـ بعيد القعر : بعيد الغور ـ نعار : له نعير
(٥) نافذة : أى ماضية ـ باسل : من البسالة وهى الشجاعة (٦) الاسوار : الرامى الحاذق:
(٧) لبانته : حاجته (٨) منصلتاً : من الانصلات وهو المضى فى سرعة . (٩) القلوص : الناقة ـ والسرى : السير بالليل . يذكر أن ناقته تشبه هذا الثور فى سرعة عدوه ـ وإن أضربها السرى والسفر بعد السفر (١٠) أقر : واد خصيب حماه النعمان ، وتربعه بنو ذبيان قوم النابغة ، فنهاهم وحذرهم إغارة الملك ، ولكنهم لم يستمعوا له ، وعابوا عليه خوفه من النعمان وانقطاعه اليه ـ التربع : الاقامة فى زمن الربيع ـ فى كل أصفار : يريد فى جميع الأصفار ، جمع صفر وكان شهر صفر إذ ذاك يحل فى الربيع (١١) منقبض على برائنه : متحفز للوثوب لوثبة الأسد الضارى

لاَ أَعْرِفَنْ رَبْرَباً حُوراً مَدَامِعُها ... كأَنَّهُنَّ نِعاجٌ حَوْلَ دَوَّار (١)

يَنْظُرْنَ شَزْراً إلى مَنْ جاءَ عنْ عُرُضٍ ... بأَوْجُهٍ مُنْكِرَاتِ الرِّقِّ أحرار (٢)

خَلْفَ العضَارِيطِ لا يُوقِينَ فَاحِشَةً ... مُسْتَمْسِكاتٍ بأَقتَاب وَأَكْوار (٣)

يُذْرِفْنَ دَمْعاً على الأَشْفَارِ مُنْحدِراً ... يَأْمُلنَ رَحْلَةَ حِصْنٍ وَابْنِ سَيَّارِ (٤)

إِمَّا عُصيتُ فإِنّى غيْرُ مُنْفَلِتٍ ... منِّى اللِّصَابُ فجَنْبا حَرَّةِ النَّارِ (٥)

إِذْ أُصنَعُ البيتَ فى سَوداءَ مُظْلِمَةٍ ... تُقيِّدُ العِيْرَ لا يَسرى بها السَّارى (٦)

تُدَافِعُ النَّاسَ عنَّا حين نَرْكبها ... منَ المَظَالِمِ تُدْعى أُمَّ صَبَّار

سَاقَ الرُّفَيْدَاتِ مِنْ جَوْشٍ ومِنْ خَرَدٍ ... ومَاشَ من رَهَطِ رِبْعِيٍّ وحَجَّار (٧)

قَرْمَىْ قُضَاعَةَ حَلاَّ حَوْلَ حُجْرَتِهِ ... مَدَّا عليهِ بِسُلاَّفٍ وأَنفارِ (٨)

---

(١) الربرب : القطيع من البقر ، شبه به النساء ـ حور : جمع حوراء ، من الحور وهو شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها — والمدامع : العيون — والنعاج : يريد بها هنا أيضاً النساء — ودوار ودوار : صنم كن يطفن حوله . (٢) النظر الشزر : هو النظر فى إعراض بمؤخر العين كنظر المباغض — العرض : الجانب — منكرات الرق أحرار : صفة للنساء يرمين السبى بالعبودية (٣) العضاريط : الخدم ، لا يوقين فاحشة يريد أن السبى عرضهن للمنكر الفحشاء — الأقتاب : جمع قتب وهو عود الرحل والأكوار الرحال (٤) الاشفار : منابت الهدب ، يذكر أن هؤلاء السبايا يذرفن الدمع آملات أن يعود اليهن حصن وابن سيار ليفكا إسارهن (٥) اللصاب : جمع لصب وهو الشعب الضيق من الجبل ، والحرة . أرض ذات حجارة سود نخرة كانها أحرقت بالنار . والشاعر ينذر قومه وينهاهم عن التربع بوادى أقر ، ويذكر أنه سيلجأ إن عصوه الى اللصاب ، وهى شعاب الجبال ، والى حرة النار (٦) سوداء مظلمة : وصف لحرة النار — تقيد العير : تمنعه من المشى (٧) الرفيدات : هم بنو رفيدة من كلب بن وبرة — جوش : جبل ببلاد بنى القين ـ خرد : أرض لكلب ـ ماش : خلط ـ ربعى وحجار : رجلان من قضاعة ـ يذكر أن الملك غزا جميع هؤلاء (٨) قرمى قضاعة : صفة لربعى وحجار ، والمراد الرجل القوى المتين — حلا : نزلا . مدا عليه : أمداه — السلاف : من يتقدمون العسكر ـ والأنفار : من يتكون الجيش من أفرادهم

حتى استقلَّ بجَمْعٍ لا كِفاءَ لهُ يَنْفِي الوُحُوشَ عنِ الصَّحْرَاءِ جَرَّار (١)
لا يَخفِضُ الرِّزَّ عَنْ أَرْضٍ أَلمَّ بها ولا يضِلُّ على مِصْباحِهِ السَّارِى (٢)
وعَيَّرَتْنِي بَنو ذُبْيانَ خَشْيَتَهُ وهلْ علىّ بأنْ أخشَاكَ منْ عار

﴿ (٣) زُهَيرُ بن أبى سُلْمَى المُزَنِى المُضَرِى ﴾

هو زُهَيْر بن أبى سُلمى : واسمه رَبيعة بن رِياح المُزَنىُّ ، ثالثُ فحول الطّبقة الأولى من الجاهليّة ، وأعفُّهم قولا ، وأوجزُهم لفظاً ، وأغزَرهم حكمةً ، وأكثرهم تهذيباً لشعره

نَشَأ فى غَطَفَان و إن كان من مُزَينَة ، من بيتٍ جُلُّ أهله شعراء : رجالا ونساءً واختصّ زهيرٌ بمدح هَرِم بن سِنان الذُّبيانى المُرِّى - وأوّل ما أعجبَه من أمره وجبَ اليه مدحَه حُسن سعيه هو والحارثُ بن عَوف فى الصّلح بين عَبس وذُبيان فى حرب دَاحِس والغَبْراء بتحملهما دياتِ القتلَى التى بلغت ثلاث آلاف بَعير ، وقال فى ذلك قَصيدته إحْدى المُعلّقات السّبع الآتية

ثم تَابَع مدْحه كما تَابع هَرِم عطاءه حتى حلف ألاّ يمدحه زُهير إلاّ أعْطَاه ولا يَسْأله إلا أعْطَاه ولا يُسلِّم عليه إلاّ أعْطَاه عبداً أو وليدةً أو فرساً ، فاستحْيازُهير منْه ، فكان اذا رآه فى ملأ قال : أنْعِموا صباحاً غير هرم ، وخيرَ كم استثْنيتُ وكان زُهيرسيداً كثير المال حليماً معروفاً بالوَرَع — مُتَدَيِّناً مؤمناً بالبعث والحساب كما يظهر من قوله :

---

(١) استقل : نهض — لا كفاء له : لا نظير له — والجرار : الجيش الكبير كأنما يجر بعضه بعضاً — يريد أنه قام بجيش ضخم تنفر من طريقه الوحوش (٢) الرز : الصوت ، ألم : نزل — يعنى أنه لا يهاب أرضاً ينزل بها حتى يخفض صوته ، بل يوقد المصابيح فى المكان الذى ينزل به ليهتدى بها السراة بالليل

فلاَ تكتُمُنّ اللهَ ما فى نفوسكم ليخفَى ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعلمِ
يُؤخَّرْ فيُوضَعْ فى كتاب فيُدَّخَرْ ليومِ حِسَابٍ أو يُعَجَّلْ فيَنْقَمِ

وعُمِّرَ زهير — ومات قبل البعثة بسنة

وكان زُهير صاحب رَوِيّة وتَعَمُّل وتهذيب لما يقول ولا سيّما مطوّلاته ، حتى قيل انه كان ينظم القصيدة فى أربعة أشهر ، ويُهذِّبها فى أربعة أشهر ، ويَعْرِضها على خَواصّه فى أربعة أشهر ، فلا يُظهرها إلاّ بعد حَوْل ، ولذلك يُسمّون بعض مُطوّلاته الحوليّات ، ومما سبق فيه غيره قوله يمدح هَرِماً :

قد جَعلَ المُبْتَغونَ الخيرَ فى هَرِمٍ والسّائلون الى أبوابه طُرُقا
مَن يلقَ يوماً على عِلاّته هَرِماً يلقَ السّماحةَ منه والنَّدى خُلُقا
لو نال حىٌّ من الدّنْيا بمَكْرُمة أُفقَ السّماء لنالتْ كفّهُ الأُفُقا

شعره — يمتاز أولا بحُسن الإيجاز وحذْفِ فُضُول الكَلاَم وحَشْوه ، بحيث يودِعُ اللّفظ اليَسِير المعنى الكثير .

وثانياً بإجادة المدْح وتجنّبِ الكذب فيه

وثالثاً بتجَنُّب التّعقيد اللّفظى والمعنوى ، والبُعد من حُوشى الكلام وغريبه .

ورابعاً بقِلّة الهذَر والسُّخف فى كلامه ، ولذلك كان شعرُه عفيفاً يَقِلُّ فيه الهجاء ولقد هجا قوماً فأوجع ، ثم ندِم على ما صنع

ومن أشهر المعلقات والمطولات أيضاً

﴿ مُعلّقة زُهَيْر بن أبى سُلْمَى ﴾

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمنَةٌ لم تَكَلَّمِ بحَوْمَانَةِ الدَّرّاج فالمُتَثَلَّمِ (١)

(١) أم أوفى امرأة زهير : ودمنة الدار الأثر ـ لم تكلم : لم تظهر ـ أى : أمن دمن أم أوفى دمنة لم تتكلم : وحومانة الدراج موضع ، وكذلك المتثلم

دِيَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا ... مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِى نَوَاشِرِ مِعْصَمِ (١)

بِهَا الْعِينُ وَالْآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً ... وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ (٢)

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً ... فَلَأْيًا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ (٣)

أَثَافِيَّ سَفْعًا فِى مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ ... وَنُؤْيًا كَجِذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ (٤)

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا ... أَلَا أَنْعِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ

تَبَصَّرْ خَلِيلِى هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ ... تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ (٥)

جَعَلْنَ الْقَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَهُ ... وَكَمْ بِالْقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ (٦)

عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكِلَّةٍ ... وَرَادٍ حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةُ الدَّمِ (٧)

ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ ... عَلَى كُلِّ قَيْنِىٍّ قَشِيبٍ وَمُفْأَمِ (٨)

وَوَرَّكْنَ فِى السُّوبَانِ يَعْلُونَ مَتْنَهُ ... عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِّمِ (٩)

---

(١) الرقمتان : اسم مكان ـ مراجيع الوشم : خطوطه . ونواشر المعصم : عروقه ـ يريد أن الديار لم يبق منها غير آثار تشبه خطوط الوشم فى المعصم ، وهو موضع السوار (٢) العين : البقر ، والآرام : الظباء ، وأطلاؤها : أولادها ـ والمجثم : المكان الذى يقمن فيه ـ يمشين خلفة : فوجا بعد فوج ، وسربا بعد سرب (٣) حجة : سنة ـ يريد أنه توهم الديار توهما ثم عرفها بعد عناء ، فقد مر على عهده بها عشرون سنة ، وهى مدة كافية لمحو منازل الأعراب (٤) الأثافى : الحجارة توضع عليها القدر ـ سفع : سود . ومعرس المرجل : الموضع الذى يكون فيه ـ والنؤى : مايحفر حول الخيام لمنع السيل ـ جذم الحوض : أصله ـ لم يتثلم : لم يتكسر ـ يذكر أنه وجد الأثافى ووجد النؤى سليما (٥) الظعائن . الجمال عليها الهوادج . العلياء وجرثم : موضعان ـ والتحمل . الارتحال (٦) القنان . اسم جبل ـ الحزن . ما غلظ من الأرض (٧) الانماط . ثياب تفرش بها الهوادج ـ وعتاق : جيدة الحوك ، والكلة : الستارة (الناموسية) ورواد موردة ـ مشاكهة مشابهة . وهذا البيت وصف للهوادج التى ظعنت فيها تلك النسوة (٨) السوبان : اسم واد ـ جزعنه : قطعنه ـ قينى رحل منسوب الى بنى القين وهم يجيدون صنع الرحال ـ قشيب : جديد ـ مفأم : واسع ـ يذكر أنهن ظعن على رحال جديدة واسعة (٩) وركن فى السوبان : عرجن عليه ـ متنه ظهره .

بَكَرْنَ بُكوراً واستَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ ... فَهُنّ ووَادِي الرِّسِّ كاليَدِ لِلْفَمِ (١)
وفيهنَّ مَلْهىً لِلصَّدِيقِ ومَنْظَرٌ ... أنِيقٌ لِعَيْنِ النَّاظِرِ المُتَوَسِّمِ
كأنَّ فُتاتَ العِهْنِ فى كلِّ مَنْزِلٍ ... نزلنَ بهِ حَبُّ الفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ (٢)
فلمّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقاً جِمَامُهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ (٣)
تُذَكِّرُنى الأحْلامُ ليلَى ومَن تَطِفْ ... عليهِ خَيالاتُ الأحِبَّةِ يَحْلُمِ (٤)
سَعَى ساعِياً غَيْظَ بنِ مُرَّةَ بَعْدَ مَا ... تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ العَشِيرَةِ بالدَّمِ (٥)
فأقسَمْتُ بالبيتِ الذِى طاف حَوْلَهُ ... رجالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وجُرْهُمِ (٦)
يميناً لَنِعمَ السَّيِّدانِ وُجِدْتُمَا ... على كلِّ حالٍ مِنْ سَحِيلٍ ومُبْرَمِ (٧)
تَدَارَكْتُمَا عَبْساً وذُبْيَانَ بَعْدَ مَا ... تَفانَوْا ودَقّوا بَيْنَهم عِطْرَ مَنْشِمِ (٨)
وقدْ قُلتُما إنْ نُدرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً ... بِمَالٍ ومَعرُوفٍ مِنَ الأمرِ نَسْلَمِ (٩)
فأصْبَحْتُما منها على خيرِ مَوْطِنٍ ... بَعِيدَيْنِ فيها مِنْ عُقُوقٍ ومَأْثَمِ (١٠)

---

(١) استحرن : سرين سحراً — كاليد للفم : يريد أنهن فى قربهن من وادى الرس كاليد للفم ، لأنها لا تخطئه فى قربها منه (٢) العهن : الصوف — الفنا : شجر له حب أحمر وفيه نقط سود — لم يحطم : لم يكسر (٣) جمام الماء : ما اجتمع منه . والجمام الزرق : المياه الصافية — ووضع العصى : كناية عن ترك السير — الحاضر : النازل على الماء — المتخيم : المقيم (٤) فى كتاب « مدامع العشاق » بحث مفصل عما قاله الشعراء فى طيف الخيال (٥) الساعيان فى هذا الصلح هما الحارث بن عوف وهرم بن سنان واليهما يوجه زهير هذا الثناء (٦) البيت : هو الكعبة وجرهم : اسم لقوم كانوا ولاة البيت قبل قريش ، وأبادهم الله لبغيهم (٧) السحيل . الخيط المفرد المبرم المفتول ، والسحيل هنا والمبرم كناية عن الرخاء والشدة (٨) منشم : امرأة تبيع عطراً — فاذا حاربوا اشتروا منها كافوراً لموتاهم ، فضرب بها المثل فى الشؤم — يذكر أن هذين السيدين تداركا عبساً وذبيان بعد ما تفانوا فى الحرب (٩) واسعاً خالصاً من شوائب الاحقاد (١٠) العقوق : قطيعة الرحم — والمأثم : الاثم ، وهو العدوان

عظيمَيْنِ فى عَليا مَعَدٍّ هُديتُما ... ومَنْ يستَبِحْ كَنزاً من المجدِ يَعظُم (١)
وأصبَحَ يُحدَى فيهمُ من تِلادِكم ... مغانِمُ شتَّى من إفالِ مُزَنَّم (٢)
تُعفِّى الكلُومُ بالمِئينَ فأصبحتْ ... يُنَجِّمها مَنْ ليسَ فيها بمُجْرِم (٣)
يُنَجِّمُها قومٌ لِقومٍ غَرامَةً ... ولمْ يُهَريقوا بينهمْ مِلْءَ مِحْجَم (٤)
ألاَ أبلِغْ الأحلافَ عنِّى رِسالةً ... وذُبْيانَ هَلْ أقسَمتُمُ كلَّ مُقسَم (٥)
فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما فى صُدُورِكم ... لِيَخفَى ومَهْما يُكتَمِ اللهُ يَعلَم
يُؤَخَّرْ فيُوضَعْ فى كِتابٍ فيُدَّخَرْ ... ليومِ حِسابٍ أو يُعَجَّلْ فيُنقَم
وما الحربُ إلاّ ما عَلِمتُم وذُقتُمُو ... وما هُوَ عَنها بالحديثِ المُرَجَّمِ
مَتَى تَبعَثُوها تَبعَثوها ذَميمةً ... وتَضْرَى إذا ضَرّيتُموها فتَضرَمِ (٦)
فتَعرُككُمُ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفالِها ... وتَلقَحْ كِشافاً ثُمَّ تُنتَجْ فتُتئِمِ (٧)
فتُنتِجْ لكم غِلمانَ أشأمَ كلُّهم ... كأحمَرِ عادٍ ثمّ تُرضِعْ فتَفطِمِ (٨)
فتُغلِلْ لكم مالاَ تُغِلُّ لأهلِها ... قُرًى بالعِراقِ من قَفيزٍ ودِرهَمِ (٩)

---

(١) يذكر أن فى السعى لاصلاح ذات البين كنزاً من المجد يرفع رأس صاحبه بين العالمين.
(٢) يحدى . يساق ـ إفال . جمع أفيل وهو الفصيل . مزنم . معلم (٣) تعفى . تمحى — الكلوم . الجروح ، ينجمها ، يؤديها أقساطاً — والمعنى تعفى الكلوم بالمئين من كرام الابل يؤديها نجوما من لم يرتكب جرماً فى تلك الحرب ، وانما سعى لاصلاح ذات البين (٤) المحجم ، وعاء يتلقى فيه الحجام الدم عند الفصد (٥) أى ـ هل حلفتم لا تعلمون شيئاً ينقض ما تحالفتم عليه (٦) يقال ضريته فضرى . أى هجته فهاج — تضرم . تشتعل (٧) الثفال . جلد يبسط تحت الرحى عند الطحن — والمعنى . متى تبعثوا الحرب تهج عليكم ، وتعرككم عرك الرحى . وتجرى بينكم الدم فى كل حين ، كالناقة الكشوف لا يكاد لبنها يعيض والشاعر يشبه الحرب الدائمة بالناقة الولود التى تنتج أرداً النتاج (٨) غلمان أشأم . غلمان شؤم ـ وأحمر عاد . هو عاقر الناقة (٩) القفيز . اسم مكيال . والمعنى أن الحرب لا تغل لأهلها ما تغل قرى العراق من الحبوب والأموال ، وانما تغل لأهلها الدماء والقحط والخراب

الحيِّ حلَّال يَعصِم النَّاسَ أمرُهم إذَا طَرقَت إحْدَى اللّيالى بمُعظِم (١)
كِرام فلاذُو الضِّغْنِ يُدرِك نَبلَهُ ولاَ الجَارمُ الجَانِى علَيهم بمُسلَم (٢)
رعَوْا ما رَعَوْا من ظِمْئِهم ثم أوردُوا غِماراً تَفرَّى بِالسِّلاَح وَبالدّم (٣)
فقَضَّوْا مَنَايَا بينهم ثُمَّ أصدَرُوا إلى كَلاَءٍ مُستَوبِلٍ مُتوَخِّمِ (٤)
لعمرِى لِنعمَ الحىُّ جَرَّ عَليهمُ بمَالاَ يؤَاتِيهم حُصَينُ بنُ ضَمضَم
وكانَ طَوَى كَشْحاً على مُستَكِنّةٍ فلاَ هُوَ أبدَاها ولم يَتَجمْجَمِ (٥)
وقالَ سأقضِى حَاجَتِى ثمَّ أتَّقِى عَدُوِّى بِألفٍ مِن ورَائِى مُلجَمِ (٦)
فشَدَّ وَلَم يَنظُر بُيُوتاً كَثيرَةً لَدَى حَيْثُ ألقَتْ رَحلَها أُمُّ قَشْعَمِ (٧)
لدَى أسَدٍ شَاكِى السِّلاحِ مُقَذَّفٍ لهُ لِبَدٌ أظفَارُهُ لم تُقلَّمِ (٨)
جَرِىءٍ متَى يُظلَمْ يُعاقِبْ بِظُلمه سَريعاً وإلاّ يُبْدَ بالظُّلمِ يَظْلِمِ
لَعَمْرُكَ مَا جَرَّت علَيهمْ رِماحُهُم دَمَ ٱبنِ نَهِيكٍ أوْ قَتِيلِ المُثلَّمِ
ولاَ شَارَكُوا فى القوم فى دَمِ نَوْفَلٍ ولا وَهَبٍ منهم ولا ٱبنِ المُخَزَّمِ

---

(١) حى حلال ، حالون فى مكان واحد متجاورون . يعصم الناس أمرهم ـ يسلم الناس برأيهم والمعظم : الحادث الرهيب (٢) النبل . الثأر ـــ الجارم . المجرم ـ مسلم . تاج متروك . يذكر أن الجانى عليهم لا يفلت ، وأن الثأر عندهم لا يدرك (٣) الظمء . الهدنة بين الحربين ـــ والغمار : جمع غمر ، وهو الماء الكثير ـ تفري . تفجر : وفى رواية تسيل ـ والمعنى . رعوا ما رعوا من شروط الهدنة حتى اذا تمت أوردوا أنفسهم بحاراً تموج بالدماء (٤) انكلأ العشب ـ أصدروا رجعوا ـ مستوبل . متوخم . مستثقل . مرذول . يذكر أنهم وجدوا عاقبة الحرب وخيمة

(٥) الكشح الجنب ـ مستكنة . مضمرة ، يريد أنه طوى كشحه على نية سيئة . يتجمجم . يحجم ، أى لم يبد نيته ولكنه لم يحجم عن تنفيذ ما نواه (٦) ألف ملجم . يريد ألف فارس ألجموا خيولهم (٧) لم ينظر : لم ينتظر . والبيوت الكثيرة . قومه وأنصاره . يريد أنه لم يستعن بأحد ـ وأم قشعم . هى المنية (٨) شاكى السلاح ـ شاهر السلاح . مقذف ـ يقذف به كثيراً الى الحروب لبد ـ الشعر الملبد على منكبى الاسد ـــ ومراده انه رجل يشبه الاسد فى القوة والبطش

فَكُلاًّ أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ ... عُلالَةَ أَلْفٍ بَعْدَ أَلْفٍ مُصَمَّمِ
وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزِّجَاجِ فَإِنَّهُ ... يُطِيعُ الْعَوَالِى رُكِّبَتْ كُلُّ لَهْذَمِ (١)
وَمَنْ يُوفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يَفْضِ قَلْبُهُ ... إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبِرِّ لاَ يَتَجَمْجَمِ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنَلْنَهُ ... وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ ... عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ
وَمَنْ لا يَزَلْ يَسْتَرْحِلُ النَّاسَ نَفْسُهُ ... وَلا يُعْفِهَا يَوْماً مِنَ الذُّلِّ يَنْدَمِ
وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ ... وَمَنْ لاَ يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لا يُكَرَّمِ
وَمَنْ لاَ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاَحِهِ ... يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ (٢)
وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ... يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأْ بِمَنْسِمِ (٣)
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ ... وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ
وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ ... زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِى التَّكَلُّمِ
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ
وَإِنَّ سِفَاهَ الشَّيْخِ لا حِلْمَ بَعْدَهُ ... وَإِنَّ الْفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمِ
سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ... ثَمَانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

---

(١) الزجاج : أسفل الرمح . والعوالى جمع عالية ، وهى أعلاه ، اللهذم : السنان الطويل والمعنى : من عصى زجاج الرمح وهى لا تقتل ، أطاع عواليه وهى قتالة ، أى من لم يطع باللين أطاع بالشدة (٢) الذود : هو الدفع ـ ومن لا يظلم يظلم : يريد به أن من طبع الناس أن يبطشوا بالضعيف وان يظلموا من لا يقدر على الظلم يعنى من لم يدفع الظلم بمثله يظلم

(٣) المصانعة : المداراة ـ يضرس : يمضغ بالأضراس ـ والمنسم : الحافر

وأعلمُ مَافى اليومِ والأمسِ قبلَه ولـكننّى عن علم مَافى غدٍ عَمِ
رَأيْتُ المَنَايا خبطَ عشواءَ مَنْ تُصبْ تُمِتْهُ ومنْ تُخطِئْ يُعَمَّرْ فيَهرَمِ
سألْنا فأعطيتُمْ وعُدْنا فعُدتُمُ ومنْ يُكْثر التّسْآلَ يوماً سيُحرَمِ

﴿ (٤) عنْتَرة العَبسِى ﴾

هو عَنْترة بنُ عَمرو بن شَدَّاد العَبْسِى أحد فُرسَان العرب وأغربَتِها وأجوَادِها وشُعرائها المشهورين بالفخر . والحماسة

وكانت أُمُّه أَمَةً حبشيّة تسمَّى زَبِيبَةَ ، وأبوه من سَادات بنى عَبْس .

وكان من عادات العرب ألاَّ تُلحِق ابن الأَمَة بِنَسَبها ، بل تجعله فى عِدَاد العبيد ، ولذلك كان عَنْتَرة عند أبيهِ مَنبوذاً بين عُبدانهِ ، يَرْعى له إبلَه وخَيلَه فربَأَ بنفسه عن خِصال العَبيد ، ومارس الفُروسية ومَهَرَ فيها ، فشَبَّ فارساً شُجاعاً هُمَاماً ، وكان يَكرهُ من أبيه استعبادَه له وعدمَ إلحاقِه به ، حتى أغار بعضُ العرب على عبْس ، واستاقُوا إبلَهم ، ولَحِقتهم بَنو عبْس ، وفيهم عَنترةُ لاستِنقاذ الإبل فقال له أبوه : كُرَّ ياعنْتَرة ، فقال : ألعبدُ لا يُحْسن الكَرّ ، إنّما يُحسنُ الحِلاَبَ والصَّر . فقال : كُرّ وأنت حرٌّ ، فقاتل قتالاً شديداً ، حتى هَزَم القومَ واستنقذ الإبل فاْستَلْحقَهُ أبوه ، ومِن ذلك الوقت ظهر اسمهُ بين فُرسان العرب وساداتِها .

وطال عُمر عَنْتَرة حتى ضعُفَ جِسْمُهُ ، وعَجز عن شَنّ الغَارات ، ومات قُبيل البِعْثة

شعره — لم يشتهر عَنترة أوّل أمره بشعر غير البيتين والثّلاثة ، وانّما غلَبت عليه الفُروسيّة مُكتفياً بها حتّى عيَّره يوماً بعضُ قومه بسَوادِه ، وأنّه لا يقول الشّعر فاحتجَّ لسَواده بخلُقه وشَجاعته ، واحتجّ لفصاحَتِه بنَظْم مُعلّقته المشهورة التى كانت تُسمّى المُذهّبة أيضاً — وقد ضمَّنها خِصاله ومَكارِم قومه ، وحُسْنَ دِفاعه عنْهم

ووفرة جُودِه ، مُعرّجا فيها على أوصاف أمورٍ شتّى ، وهى من أجمل المعلّقات .

مُعلقة عَنْتَرة العَبْسِى

هَلْ غادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ؟ أمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ ؟ (١)

يادَارَ عَبْلَةَ بالجِوَاءِ تَكَلَّمِي وعِمِي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ واسْلَمِي (٢)

دَارٌ لآنِسَةٍ غَضِيضٍ طَرفُهَا طَوْعِ العِنَانِ لَذِيذَةِ المُتَبَسَّمِ

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي « وكأنّها فَدَنٌ » لأَقْضِيَ حَاجَةَ المُتَلَوِّمِ (٣)

وَتَحِلُّ عَبْلَةُ بالجِوَاءِ وأَهلُنَا بالحَزْنِ فالصَّمَّانِ فالمُتَثَلَّمِ (٤)

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُه أقْوى وَأَقْفَرَ بَعدَ أُمِّ الهَيْثَمِ (٥)

حَلَّتْ بأَرْضِ الزَّائِرِينَ فأَصْبَحَتْ عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ (٦)

عُلِّقْتُهَا عَرَضاً وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا زَعْماً لَعَمْرُ أَبِيكَ لَيْسَ بِمَزْعَمِ (٧)

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فلا تَظُنِّي غَيْرَهُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ المُحِبِّ المُكْرَمِ (٨)

كَيْفَ المَزَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهلُها بِعُنَيْزَتَيْنِ وَأَهلُنَا بالغَيْلَمِ (٩)

---

(١) غادر : ترك — متردم . أى شىء يصلح لم يكونوا أصلحوه (٢) الجواء : بلد ، تكلمى : أفصحى وأخبرى — وعمى : أنعمى أى أنعم الله صباحك وأدامك سالمة (٣) وقفت ناقتى : منعتها عن المسير — الفدن : القصر — والمتلوم : المترقب المنتظر ، وعنى بالمتلوم نفسه (٤) تحل : تترك ـ والصوان والصمان بمعنى واحد وهو مكان معروف عند العرب وقيل الجواء بنجد ، والحزن لبنى يربوع والصمان لبنى تميم ـ ومتثلم : مكان . (٥) حييت : لك منى التحية من طلل : المكان تقادم عهده ـ أقوى : خلا من السكان ـ أقفر : خرب ـ الهيثم : الصقر .

(٦) الزائرين : بالهمز الاعداء والزاير بالياء من الزيارة للأحباب والأصدقاء ، وبيت عنترة يروى بالوجهين ويتضمن المعنيين وان تناقضا ، ومخرم اسم رجل اسمه مخرمة رخم فى غير النداء (٧) علقتها : أحببتها ـ عرضا : من غير قصد : زعما : طمعا ـ يقول انى أعجب من أنى أحبها وأنا أقاتل أهلها ، واستدرك على نفسه فقال : اننى أطمع فى غير مطمع (٨) نزلت : حللت من نفسى منزلة المحب المكرم (٩) تربع القوم : نزلوا فى الربيع ـ والعنيزتان والغيلم : موضعان يقول كيف أزورها وقد بعدت عنى بعد قربها

إنْ كنتِ أزمعتِ الفِراقَ فإنّما ... زُمّتْ رِكابُكُمُ بليلٍ مُظْلِمِ (١)
ما راعَنِي إلاّ حَمُولةُ أهلِها ... وَسْطَ الدِّيارِ تَسُفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ (٢)
فيها اثْنَتانِ وأرْبَعُونَ حَلوبةً ... سُوداً كَخافيةِ الغُرابِ الأَسْحَمِ (٣)
إذْ تَسْتَبِيكَ بذِي غُرُوبٍ واضحٍ ... عَذْبٍ مُقبَّلُهُ لَذِيذ المَطْعَمِ (٤)
وكأنّ فأرةَ تاجرٍ بقَسيمةٍ ... سَبَقَتْ عَوارِضَها إليكَ مِنَ الفَمِ (٥)
أوْ رَوْضةً أُنُفاً تَضَمَّنَ نَبتَها ... غَيْثٌ قَليلُ الدِّمْنِ لَيْسَ بمَعْلَمِ (٦)
جادَتْ عليهِ كلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ ... فَتَرَكْنَ كلَّ قَرارَةٍ كالدِّرْهَمِ (٧)
سَحّاً وتَسْكاباً فكُلَّ عَشِيَّةٍ ... يَجْرِي عليها الماءُ لم يَتَصَرَّمِ (٨)
وخَلا الذُّبابُ بِها فَلَيْسَ بِبارِحٍ ... غَرِداً كَفِعْلِ الشّارِبِ المُتَرَنِّمِ (٩)
هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَهُ بِذِراعِهِ ... قَدْحَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأَجْذَمِ (١٠)

---

(١) أزمع : نوى وصمم ، زمت الركاب : شدت ، والمعنى أن هذا أمر أحتكموه ودبروه بليل (٢) راعنى : أفزعنى والحمولة : الابل ، تسف : تأكل بقلة لها حب أسود اذا أكلته الغنم قلت ألبانها وتغيرت . يريد أنها ماأكلته الا لانها لم تجد غيره ، يعنى أنهم لما جف الربيع وأزمعوا الرحيل لم تجد الراحلة ما تأكله غير هذا (٣) الحلوبة : الناقة فى ضرعها لبن — والخوافى : أواخر ريش الجناح مما يلى الظهر — الاسحم : شديد السواد (٤) تستبيك : تذهب بعقلك غروب : حد — وغروب الاسنان حدها . والعذب : الحلو أو طيب الرائحة — المطعم : المقبل .
(٥) فارة : الفارة هنا وعاء المسك — تاجر : والتاجر هنا العطار — بقسيمة : القسيمة هنا الجونة والمعنى أن رائحة فمها طيبة فى الوقت الذى تتغير فيه الأفواه إذا شممتها سبقت إليك عوارض رائحة المسك (٦) الروضة : الحديقة — والأنف : التام فى كل شىء ، والدمن : المطر الخفيف والمعلم : ذو العلامة (٧) البكر : السحابة فى أول الربيع وفى عادتها أن لاتمطر . الحرة : البيضاء والقرارة القاع المستدير المنخفض . كالدرهم : يعنى فى البياض والاستدارة (٨) لم يتصرم : لم ينفد ولم ينقطع ، وخص مطر العشي لأنه أكثر ما يكون صيفاً (٩) خلا : انفرد — ببارح : أى بتارك — غرداً : مترنما ، والتغريد والترنيم : ترجيع الصوت كما يفعل الشارب إذا سكر وغنى ،
(١٠) الهزج : السريع الصوت ، يحك ذراعه بذراعه : أى يمر احداهما على الأخرى — قدح المكب : الذى أكب على الزناد يقدحه على التوالى — الأجذم الزناد القصير ، وكلها نعوت لغناء الذباب وترنيمه فوق الغدير

تمسى وتُصبِحُ فوقَ ظَهرِ حَشِيَّةٍ ... وأَبِيتُ فوقَ سَرَاةِ أَدْهَمَ مُلْجَمِ (١)
وحَشِيَّتِي سَرجٌ على عَبلِ الشَّوَى ... نَهْدٍ مَرَاكُلُهُ نَبِيلِ المَحْزِمِ (٢)
هَلْ تُبلِغَنِّى دَارَهَا شَدَنِيَّةٌ ... لُعِنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصَرَّمِ (٣)
خَطَّارَةٌ غِبَّ السُّرَى زَيَّافَةٌ ... تَطِسُ الإِكَامَ بِذَاتِ خُفٍّ مِيثَمِ (٤)
وَكَأَنَّمَا أَقِصُ الإِكَامَ عَشِيَّةً ... بِقَرِيبِ بَيْنَ المَنْسِمَيْنِ مُصَلَّمِ (٥)
تَأْوِى لَهُ قُلُصُ النَّعَامِ كَمَا أَوَتْ ... حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لأَعجَمَ طِمْطِمِ (٦)
يَتْبَعْنَ قُلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ ... حَرَجٌ عَلَى نَعْشٍ لَهُنَّ مُخَيَّمِ (٧)
صَعْلٍ يَعُودُ بِذِى العُشَيْرَةِ بَيضَهُ ... كَالْعَبدِ ذِى الفَرْوِ الطَّوِيلِ الأَصْلَمِ (٨)

---

(١) الحشية الفراش المحشو — يعنى أن حبيبته تمسى وتصبح مستريحة ناعمة — أما هو فيبيت فوق ظهر جواده حارسا لها ومدافعاً عن القبيلة (٢) حشيتى فراشى — سرج : السرج ما يوضع على الجواد — عبل : غليظ الشوى والقوائم يريد جواده — نهد : ضخم منتفخ الجنبين والمركل حيث تبلغ رجل الراكب من بطن الجواد — نبيل : كبير وغليظ — المحزم ، موضع الحزام (٣) تبلغنى : توصلنى دارها : منزلها ومقامها — شدنية : ناقة تنسب الى أرض باليمن . ولعنت : جف ضرعها لتكون أقوى فى المسير من سواها والشراب هنا اللبن (٤) خطارة : تحرك ذنبها وترفعه وتضرب به حاديها . غب السرى أى بعد السرى — زيافة : تسرع فى مشيها : الوطيس الضرب الشديد بالخف أو الحافر الاكام النتوء فى الأرض تدقه الناقة أو الفرس والميثم شديد الوطء (٥) أقص . أكثر والاكام المرتفع من الأرض . المنسمان الظفران المقدمان فى الخف ، مصلم . مقطوع الاذنين ، يعنى أنه يسير على ناقة كأنها الظليم الذى لا أذنين له (٦) تأوى . ترجع وتسكن — قلص . جمع قلوص وهى الناقة الشابة — كما أوت . كما سكنت — حزق . جماعات — والطمطمة . الصوت الذى لا يفهم والمعنى تأوى قلص النعام ، وكلما تقنق لها الظليم اجتمع اليه النعام كما تجتمع فرق الابل اذا أهاب بها الأعجمى وهذا التشبيه معكوس (٧) يتبعن . يحطن به — قلة الرأس : أعلاه — والحرج . سرير يحمل عليه المريض أو الميت — وهو هنا مركب النساء شبه به الظليم — مخيم . ملتف كالخيمة أى أن النعام تنظر الى رأس الظليم فتتبعه وتحيط به حتى تصير كالخيمة (٨) صعل : صغير الرأس دقيق العنق — يعود : يأتى الى بيضه — ذو العشيرة اسم مكان — الأصلم . مقطوع الأذنين — شبه ذكر النعام بالعبد الأسود عليه فروة طويلة

شَرِيتْ بِماءِ الدَّحرُضَيْنِ فأصبحتْ ... زَوْرَاءَ تَنفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ (١)

وكأنّما تَنْأَى بجانبِ دَفِّها ... الوَحْشِيِّ مِنْ هَزِجِ العَشِيِّ مُؤَوَّمِ (٢)

هِرٌّ جَنِيبٌ كلَّما عَطَفَتْ لهُ ... غَضْبَى اتَّقَاهَا باليَدَيْنِ وبالفَمِ (٣)

أبقَى لَهَا طُولُ السِّفَارِ مُقَرْمَداً ... سَنَداً وَمِثْلَ دَعائِمِ المُتَخَيِّمِ (٤)

بَرَكتْ على مَاءِ الرِّدَاعِ كأنّما ... بَرَكتْ على قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّمِ (٥)

وكأنَّ رُبًّا أوْ كُحَيْلاً مُعْقَدًا ... حَشَ الوَقُودُ بهِ جَوَانِبَ قُمْقُمِ (٦)

يَنْباعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ ... زَيَّافَةٍ مِثْلِ الفَنِيقِ المُكْدَمِ (٧)

إنْ تُغْدِقِي دُونِي القِنَاعَ فإنَّنِي ... طَبٌّ بِأَخْذِ الفَارِسِ المُسْتَلْئِمِ (٨)

---

(١) الدحرضان . اسم مورد من موارد الماء ـ زوراء : عوجاء مائلة من النشاط ـ والديلم : الأعداء والمعنى أنها تجافت عن الحياض لخوفها منها (٢) يناى : يبعد ـ والدف : الجنب ـ والوحشى . الجانب الأيمن من البهائم ـ وسمى الجانب الايمن وحشيا لانه لا يركب منه الراكب ولا يحلب منه الحالب ـ هزج العشى صوت الهر الذى يخدشها لان السنانير أكثر ما تصيح فى العشيات . والمؤوم . عظيم الرأس والمعنى أنها كثيرة النشاط فى ساعة العشى وهى ساعة الفتور عند سواها من الابل فكأنها من نشاطها يخدشها هر تحت إبطها (٣) هر . مجنوب كلما مالت له غاضبة اتقاها وردها باليدين وبالفم (٤) أبقى : ترك ـ طول السفار طول السفر وامتداده . والمقرمد المبنى بالآجر، أراد به سنامها وقد أراد أنه تكمش وتماسك وصلب كما يتماسك الآجر وهو الحجارة الخشنة الملمس ـ والمتخيم الذى يتخذ خيمة وهذا كناية عن أن سنامها مرتفع صلب (٥) الرداع مورد لبنى سعد . الاجش : الذى فى صوته خشونة ـ المهضم : المحرم ، وقيل المكسر ـ والمعنى انها بركت فحنت (٦) الرب ما بقى من عصارة الثمار ـ الكحيل . القطران ـ معقداً . أوقد تحته حتى انعقد ـ حش . اتقد ـ الوقود . الحطب ـ والقمقم : القد الصغير (٧) ينباع . ينفعل والذفران العظمان الناتئان خلف الاذنين ، وأول ما يعرق البعير منهما ـ والغضوب : الناقة العبوس ـ والجسرة : الماضية فى سيرها ـ زيافة . متبخترة فى سيرها ـ والفنيق الفحل من الابل والمكدم . المعضض والكدم العض ـ وفى رواية المقرم (٨) تغدق . ترخى القناع على وجهك ـ طب : أى خبير حاذق والمستلئم : الذى لبس اللامة وهى الدرع ، والمعنى ان نبت عينك عنى وأرسلت قناعك فأنى حاذق بقتل الفرسان وأسر الاقران فلست بالرجل الذى يرخى القناع دونه

أثنِي علىَّ بما علِمْتِ فإنَّنى سَهْلٌ مُخالَفتِي اذا لمْ أُظْلَمِ
فإذَا ظُلِمْتُ فإنَّ ظُلْمِيَ باسِلٌ مُرٌّ مذَاقَتُهُ كَطَعْمِ العلقَمِ
ولَقدْ شربتُ منَ المُدَامَةِ بَعْدَ ما رَكَدَ الهواجِرُ بالمَشُوفِ المُعلَمِ
بزُجَاجَةٍ صفْرَاءَ ذَاتِ أَسِرَّةٍ قُرِنتْ بأزْهَرَ فى الشَّمالِ مُفَدَّمِ (١)
فإذَا شَرِبْتُ فإنَّنِي مُستَهْلِكٌ مَالِى، وعِرْضِي وافِرٌ لمْ يُكْلَمِ (٢)
وإذَا صَحَوْتُ فما أُقَصِّرُ عَن نَدًى وكما عَلِمتِ شمائِلِى وتَكَرُّمِي (٣)
وحَلِيلِ غانِيَةٍ تَرَكتُ مُجَدَّلاً تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأعلَمِ (٤)
سَبَقَتْ يَدَاىَ لهُ بِعاجِلِ ضَرْبَةٍ ورَشَاشِ نافِذَةٍ كلَوْنِ العَنْدَمِ
هَلاَّ سألْتِ الخَيْلَ يا ابْنَةَ مَالِكٍ إنْ كُنتِ جاهِلَةً بِمَا لَمْ تعلَمِى
إذْ لا أزَالُ على رِحَالَةِ سابِحٍ نَهْدٍ تَعَاوَرَهُ الكُمَاةُ مُكَلَّمِ (٥)
طَوْراً يُعَرِّضُ لِلطِّعَانِ وتَارَةً يأْوِى إلى حَصَدِ القِسِيِّ عَرَمْرَمِ (٦)
يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقَائِعَ أنَّنِي أَغْشَى الوَغَى وأَعِفُّ عِنْدَ المَغْنَمِ
فأرَى مَغَانِمَ لو أَشَاءُ حَوَيتُها فيَصُدُّنِى عَنها الحيَا وتَكَرُّمِي
ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالَهُ لاَ مُمْعِنٍ هَرَباً ولاَ مُستَسْلِمِ (٧)

(١) الاسرة : الخطوط والطرائق التى فى وسطها — قرنت : شدت بكأس أخرى — أزهر: ابريق من فضة ، والمفدم المصفى (٢) شربت : سكرت — مستهلك : مستنفد ، وعرضى : كرامتى — وافر : موفور ، لم يكلم : لم يطعن . (٣) صحا : أفاق من سكره — والمعنى أنه يسخو ويعطى ليس فى حالة السكر فقط كالاشحاء بل وفى حالة الصحو والافاقة . (٤) الحليل: الزوج — والمعنى أن فريصة الفارس تصفر صفيراً كصفير شدق البعير من اتساع الضربة وشدتها (٥) تعاوره ، يطعنه ذا مرة وذاك أخرى — الكماة : الشجعان ، مكلم : مجروح . (٦) الحصد : الكثير وقيل المحكم — والقسى : جمع قوس ، والعرمرم الشديد، وقيل الكثير (٧) المدجج المتغطى بالسلاح — كره الكماة : خافوا منه ، لامعن هربا : لايفر فراراً بعيداً ، وإنما ينحرف برجعة ، ولامستسلم : ملقى السلاح ، فياسره العدو ، وإنما يقاتل

جادَتْ يَدَاىَ له بعاجل طَعْنَةٍ ... بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوب مُقَوَّمِ
بِرَحِيبَةِ الفَرْغَيْن يَهْدِى جَرْسُها ... باللَّيْلِ مُعْتَسّ الذِّئَابِ الضُّرَّمِ (١)
فشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمّ ثِيَابَه ... لَيْسَ الكَرِيمُ على القَنَا بمُحَرَّمِ (٢)
فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاع يَنُشْنَهُ ... مَا بينَ قُلَّةِ رأسِهِ والمِعْصَمِ
وَمِشَكِّ سَابِغَةٍ هَتَكتُ فُرُوجها ... بالسَّيْفِ عَنْ حامِى الحَقِيقَةِ مُعْلَمِ (٣)
رَبِذٍ يَدَاهُ بالقِدَاحِ إذَا شَتَا ... هَتَّاكِ غَايَاتِ التِّجَارِ مُلَوَّمِ (٤)
لَمَّا رَآنى قَدْ نَزَلتُ أُرِيدُهُ ... أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغيرِ تَبَسُّمِ (٥)
فَطَعَنْتُهُ بالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ ... بِمُهَنَّدٍ صَافِى الحَدِيدَةِ مِخْذَمِ (٦)
عَهْدِى بِهِ مَدَّ النَّهَارِ كأنّما ... خُضِبَ البَنَانُ وَرَأْسُهُ بالْعِظْلِمِ (٧)
بَطَلٍ كأنّ ثِيَابَهُ فى سَرْحَةٍ ... يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ (٨)

(١) الرحيبة : الواسعة ، وما بين كل من عرقوبين فرغ — يهدى : يدل ويرشد ـ جرسها الصوت — والمعتس : المبتغى والطالب ، والضرم : الجياع — والمعنى أن صوت الدم من أثر الطعنة يجلب الذئاب الضرم الجائعة (٢) فشككت . شققت — ثيابه : درعه وقيل قلبه — ليس الكريم الخ : يعنى أن الكريم لا يمتنع عن الطعان ، وقيل معناه أن الكريم لايموت فى فراشه وانما يموت فى مواقع الحروب . (٣) المشك : الدرع ـ السابغة : السابلة أضافها لنفسها وهوجائز هتكت : فضحت وكشفت ـ فروجها : جمع فرجة الخرق والنافذة ـ الحقيقة الراية ـ والمعلم : الذى قد أعلم نفسه بعلامة فى الحرب (٤) الربذ : السريع الضرب بالقداح الحاذق فى لعبها ـ إذا شتا : لأن القحط والجدب أكثر مايأتيان عند العرب فى الشتاء ـ هتاك : كثير الهتك ـ غايات : أغراض والتجار : هنا المخارون — ملوم : الذى يكثر لوامه على انفاق ماله (٥) أبدى نواجذه الخ : كلح فى وجهى فبدت أضراسه (٦) المخذم : من الخذم وهو القطع (٧) خضب : طلى ـ والعظلم شجر أحمر (٨) بطل : لأنه يبطل العظائم بسيفه ، وقيل هو الذى تبطل عنده دماء الأقران فلا يأخذ الناس منه أو ممن فعل فى حماه ثاراً — والسرحة شجرة لا ثمرة لها وإنما يستظل بها ، وتعرف عند العرب بطول ساقها ، شبه بها الفارس الطويل القامة — يحذى يلبس ، والسبت: المدبوغة بالقرظ ، والتوأم : الذى يولدمعه آخرفيكون ضعيفاً . وهذا الفارس غير توأم فهو قوى

ولَقَدْ ذَكَرْتُكِ والرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ ... مِنِّى وَبِيضُ الهند تَقْطُرُ مِنْ دَمِى

فَوَدِدْتُ تَقبيلَ السُّيُوفِ لِأَنَّهَا ... لمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغرِكِ المُتَبَسِّمِ

ياشَاةَ مَا قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لهُ ... حَرُمتْ عَلىَّ وَلَيتَهَا لم تَحْرُمِ (١)

فَبَعَثْتُ جَارِيَتِى فَقُلتُ لَهَا اذْهبى ... فَتَجَسَّسِى أخْبَارَهَا لِى واعلَمِى

قالَتْ رَأَيتُ مِنَ الأعادِى غِرَّةً ... والشَّاةُ مُمْكِنَةٌ لمَنْ هُوَ مُرْتَمِ

وكأنَّمَا التَفَتَتْ بِجِيدِ جَدَايَةٍ ... رَشَإٍ مِنَ الغِزْلاَنِ حُرٍّ أَرْثَمِ (٢)

نُبِّئْتُ عَمْراً غَيرَ شَاكِرِ نِعمَتِى ... والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ المُنْعِمِ (٣)

وَلَقَدْ حَفِظتُ وَصَاةَ عَمِّىَ بالضُّحى ... إذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الفَمِ

فى حَوْمَةِ الحَرْبِ التّى لا تَشتَكِى ... غَمَرَاتِهَا الأبْطَالُ غيرَ تَغَمْغُمِ

إذ يَتَّقُونَ بِىَ الأسِنَّةَ لَمْ أَخِمْ ... عَنْهَا ولكنِّى تَضايَقَ مُقْدَمِى (٤)

لمَّا سَمِعتُ نِدَاءَ مُرَّةَ قَدْ عَلاَ ... وَابْنَىْ رَبيعَةَ فى الغُبارِ الأقتَمِ (٥)

وَمُحَلِّمٌ يَسْعَوْنَ تَحتَ لِوَائِهِمْ ... والمَوْتُ تَحتَ لِوَاءِ آلِ مُحَلِّمِ (٦)

---

(١) الشاة هنا المرأة وهو يعنى جارته لان من كافت له جارة فهى فى حماه ،وكانت محرمة كالام والاخت — حرمت على الخ معناه أنها جارتى لذا حرمت على ـ وليتها لم تكن جارتى حتى لا تكون لها حرمة (٢) الجيد العنق : والجداية • بكسر الجيم وفتحها الظبية : أتى عليها خمسة أشهر أو ستة — والرشأ . الغزال الصغير — والحوار • البيض والارثم . هو الذى فى شفته العليا بياض أو سواد — فان كان فى السفلى فهو ألمظ ولمظاء (٣) المعنى ان جحود الجميل يكون سبباً فى ان لا تطيب نفس المنعم للانعام على المنكر الجاحد : فعمرو هذا احمق (٤) يتقون بى• يجعلونى وقاية بينهم وبينها بان يقدمونى للموت — لم اخم . لم احبن — تضايق — ضاق — مقدمى الموضع الذى هو قدامى ـ من ان يدنوه احد ، (٥) النداء • الصياح — الاقتم الاسود الحالك (٦) هو ابن عوف الشيبانى الذى يضرب به المثل فى الوفاء والعزة يقال (لاحر بوادى عوف)

أَيْقَنْتُ أَنْ سَيَكُونُ عِنْدَ لِقَائِهِمْ ... ضَرْبٌ يَطِيرُ عَنِ الفِرَاخِ الجُثَّمِ (١)

لَمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ ... يَتَذَامَرُونَ كَرَرْتُ غَيرَ مُذَمَّمِ

يَدْعُونَ عَنْتَرَ والرِّمَاحُ كَأَنَّهَا ... أَشْطَانُ بِئْرٍ فِى لَبَانِ الأَدْهَمِ (٢)

مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِغُرَّةِ وَجْهِهِ ... وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسَرْبَلَ بِالدَّمِ

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ ... وَشَكَا إِلَىَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ (٣)

لَوْ كَانَ يَدْرِى مَا المُحَاوَرَةُ اشْتَكَى ... وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الكَلَامَ مُكَلِّمِى

وَاَلخَيْلُ تَقْتَحِمُ الخَبَارَ عَوَابِساً ... مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ (٤)

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِى وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا ... قِيلُ الفَوَارِسِ «وَيْكَ» عَنْتَرَ أَقْدِمِ (٥)

ذُلُلٌ: رِكَابِى حَيْثُ شِئْتُ: مُشَايِعِى ... قَلْبِى، وَأَحْفِزُهُ بِأَمْرٍ مُبْرَمِ (٦)

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَكُنْ ... لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى اِبْنَىْ ضَمْضَمِ (٧)

---

(١) المعنى أن الضرب يطيرهام الفارس وماحوله ، وما حولهما هو المعنى بالفراخ تشبيها ، والعرب تعبر عن الرأس بالفرخ والعصفور (٢) الاشطان : جمع شطن وهو حبل البئر ، شبه الرمح به لطوله واللبان بالفتح : الصدر — الأدهم : الفرس الأسود ، يعنى أن الرماح فى صدر هذا الفرس بمنزلة حبال البئر من الدلاء لأن البئر إذا كانت كثيرة الجرفة اضطربت فيها الدلاء فيجعل لها حبلان لئلا تضطرب (٣) ازور : مال — وشكا : لو كان يستطيع الشكوى — والعبرة بفتح العين : البكاء والاشفاق — وتحمحم : التحمحم صوت مقطع دون الصهيل (٤) تقتحم : تخوضه والعوابس : الكوالح — والشيظم والأجرد: القصير الشعر (٥) ويك: كلمة يقولها المتندم اذا ندم على ما فرط منه ، ولكثرة استعمالها ألحقت بها الكاف . وقيل (وى) بمعنى أعجب أو عجباً لك ياعنترة — أقدم : خض المعركة فقد أعددت نفسك لها ولأمثالها (٦) ذلل : جمع ذلول ، والذلول من الابل وغيرها سهلة القياد — وركابى : ما أركبه — وأحفزه : أدفعه — والمبرم المحكم (٧) خشيت خفت — والدائرة : ما ينزل بالناس من بلوى — وابنا ضمضم : هما هرم وحصين ابنا ضمضم المريان قتلهما ورد بن حابس العبسى، وكان عنترة قتل أباهما ضمضما فكانا يتوعدانه

الشَّاتِمَىْ عِرْضِى وَلَمْ أَشْتِمْهُما والنَّاذِرَيْنِ إذَا لم أَلْقَهُما دَمى
إنْ يَفْعَلاَ فَلَقَدْ تَرَكتُ أَباهُما جَزَرَ السِّباعِ وكلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ (١)

(٥) عَمْرو بن كُلثُوم التَّغْلَبِى

هو أبو الأسْود عَمْرو بن كُلْثومِ بنِ مالك بن عتاب التَّغْلَبِى — وأمه ليلى بنت مهلهل أخى كليب . نشأ عمرو فى قبيلة تغلب بالجزيرة الفُراتية وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقاد الجيوش مَظفَّراً ، وأكثر ما كانت فِتن تغلب مع أختها بكر بن وائل بِسَبَب حرب البَسُوس ، وكان آخر صلح لهم فيها على يد عَمْرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المُنْذر . ولم تمض مدّة حتى حَدَث بَيْن وُجُوه القبيلتين مُشَاحّة فى مجلس عَمْرو بن هند ، قام أثناءها شاعر بُكر (الحارث بن حِلِّزة اليَشْكُرِى) وأنشد قَصيدته المشهورة ، ومافرغ منها حتى ظهر لِعَمْرو بن كُلثوم أنّ هوى الملك مع بكر ، فانصرف ابن كلثوم وفى نفسه مافيها . ثم خطر فى نفس ابن هند أنْ يكسِر من أنَفَةِ تَغْلَبَ بإذْلاَل سيدِها وهو عَمْرو بن كُلْثُوم فدَعاه وأمَّه ليلى بنت مُهَلْهِل وأغرى هِنْداً أُمَّه أنْ تَسْتخدِمَها فى قضاء أمرٍ ، فصَاحت ليْلَى وَازْلاّه ، فثارَ به الغَضَبُ وقتل ابن هنـدٍ فى مَجلسِه ، ثمّ رَحَل توًّا إلى بلاده بالجزيرة ، وأنْشَد مُعلّقته الآتية ، وعاش مائة وخمسين سنة — ومات قبلَ الأسلام بنحو نصف قرن .

شِعْرُه — لم يشتهر عَمرو الا بمعلّقته الواحدة التى قامَت له مقامَ الشّعر الوفير لُحسن لفظها ، وانسجامِ عِبارتها ، وعُلوّ فخرها ، ولعلّ شُهرته بالخَطَابة تقلُّ عن شُهرته بالشعر الجيِّد ، ومِنْ سامى الفخر البليغ .

(١) يقول مهما يندرانى ومهما يشتمان فلن يبلغا منى مناهما فلقد قدمت أباها طعمة للسباع والنسور — والقشعم : الكبير من النسور .

معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى

ألاَ هُبِّى بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا ... وَلا تُبْقِى خُمُورَ الأَنْدَرِينَا (١)

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فِيهَا ... إِذَا مَاالمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا (٢)

تَجُورُ بِذِى اللُّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ ... إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتّى يَلِينَا (٣)

تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيحَ إِذَا أُمِرَّتْ ... عَلَيهِ لَمَالِهِ فِيهَا مُهِينَا (٤)

صَدَدْتِ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو ... وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا (٥)

وَمَا شَرُّ الثَّلاَثَةِ أُمَّ عَمْرٍو ... بِصَاحِبِكِ الَّذِى لاَ تُصْبِحِينَا (٦)

وكأسٌ قَدْ شَرِبْتُ بِبَعْلَبَكٍّ ... وَأُخْرَى فى دِمَشْقَ وَقَاصِرِينَا

إِذَ صَمِدَتْ حُمَيَّاهَا أَرِيبًا ... مِنَ الْفِتْيَانِ خِلْتَ بِهِ جُنُونَا (٧)

فَمَا بَرِحَتْ مَجَالَ الشَّرْبِ حَتّى ... تَغَالُوهَا وَقَالُوا قَدْ رَوِينَا (٨)

وإِنَّا سَوْفَ تُدْرِكُنَا الْمَنَايَا ... مُقَدَّرَةً لَنَا وَمُقَدِّرِينَا

وَإِن غَدًا وَإِنَّ الْيَوْمَ رَهْنٌ ... وَبَعْدَ غدٍ بِمَا لاَ تَعْلَمِينَا

فَقِفِى قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ظَعِينَا ... نُخَبِّرْكِ الْيَقِينَ وَتُخْبِرِينَا

---

(١) هبى : استيقظى — الصحن : القدح العريض — فاصبحينا : أى اسقينا الصبوح ، وهو شرب الخمور فى الغداة — والأندرينا : جمع الأندر وهى قرية بالشام جمعها بما حواليها .
(٢) مشعشعة : ممزوجة ، سميت بذلك لأنه يظهر لها شعاع كالشمس — والحص : الورس — سخيناً : أى جدنا وتكرمنا من السخاء (٣) تجور : بمعنى تعدل وتميل — واللبانة : الحاجة (٤) اللحز : الضيق — الشحيح : البخيل — أمرت : أى جرت عليه — مهين : مذل — أى اذا سكر بذل ماله فيها (٥) صددت : أى صرفت (٦) أى لست أنا شر الثلاثة فتعدلى عنى الكأس (٧) صمدت : قصدت . حماها : صورتها . أريباً : عاقلا . (٨) الشرب : جمع شارب المجال : موضع المجاولة — تغالوها تنافسوا فيها

بِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ ضَرْباً وَطَعْناً أَقَرَّ بِهِ مَوَالِيكِ العُيُونَا (١)
قِفِي نَسْأَلْكِ هَلْ أَحْدَثْتِ صَرْماً لِوَشْكِ البَيْنِ أَمْ خُنتِ الأَمِينا (٢)
أَفِي لَيْلٍ يُعَاتِبُنِى أَبُوهَا وَإِخْوَاتُهَا وَهُمْ لِى ظَالِمُونَا ؟ !
تُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ وَقَدْ أَمِنَتْ عُيُونَ الكَاشِحِينَا
ذِرَاعَىْ عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بِكْرٍ تَرَبَّعَتِ الأَجَادِعَ وَالْمُتُونَا (٣)
وَثَدْيَاً مِثْلَ حُقِّ الْعَاجِ رَخْصاً حَصاناً مِنْ أَكُفِّ اللاَّمِسِينَا (٤)
وَنَحْراً مِثْلَ ضَوْءِ البَدْرِ وَافَى بِأَتْمَامٍ أُنَاساً مُدلَجِينَا (٥)
وَمَتْنَىْ لَدْنَةٍ طَالَتْ وَنَالَتْ رَوَادِفُهَا تَنُوءُ بِمَا يَلِينَا (٦)
وَمَأْكَمَةً يَضِيقُ البَابُ عَنْهَا وَكَشْحاً قَدْ جُنِنْتُ بِهِ جُنُونَا (٧)
وَسَالِفَتَىْ رُخَامٍ أَوْ بَلَنْطٍ يَرِنُّ خَشَاشُ حَلْيِهِمَا رَنِينَا (٨)
تَذَكَّرْتُ الصِّبَا وَاشْتَقْتُ لَمَّا رَأَيْتُ حُمُولَهَا أُصُلاً حُدِينَا (٩)
وَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْمَخَرَّتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِى مُصْلِتِينَا (١٠)
فَمَا وَجَدَتْ كَوَجْدِى أُمُّ ثَقْبٍ أَضَلَّتْهُ فَرَجَّعَتِ الحَنِينَا

---

(١) الكريهة : موضع الحرب — أقر : أى : أسكن ـ مواليك هنا بنو عمك . (٢) الصرم القطيعة — والوشك : السرعة ـ والبين هنا الفراق والأمين : الوفى بالعهد (٣) العيطل : الناقة طويلة العنق ـ والادماء من الابل والظباء : البيضاء ـ بكر : لم تلد ـ تربعت : رعت الربيع — الأجارع : جمع أجرع وهو الرمل المنبسط — والمتون : جمع متن وهو ما ارتفع من الارض (٤) العاج: عظم الفيل — والرخص : اللين — والحصان : العفيفة ـ واللامس المباشر (٥) النحر أعلى الصدر (٦) لدنة : أى لينة ـ تنوء : بمعنى تثقل ـ بما يلينا : منها (٧) المأكمة رأس الورك (٨) السالفتان : صفحتا العنق ـ والرخام والبلنط : حجارة بيض ـ الخشاش : صوت الحلى (٩) أصلا : جمع أصيل ، وهو العشى (١٠) أعرضت : قابلت — اشمخرت : ارتفعت ـ مصلت : مجرد .

وَلاَ شَمْطاءَ لم يَتْرُكْ شَقاها لها مِنْ تِسْعَةٍ إلاَّ جَنِينا (١)
أَبَا هِنْدٍ فلا تَعْجَلْ عَلينَا وأَنْظِرْنا نُخبِّرْكَ اليَقينَا (٢)
بأنّا نُوردُ الرَّايَاتِ بِيضاً وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قدْ رَوِينَا
فإنَّ الضغْنَ بعْدَ الضّغْنِ يَفشُو عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينَا (٣)
وَأَيَّامٍ لنا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنا المَلْكَ فيها أنْ نَدِينَا
وَسيِّدِ مَعْشَرٍ قدْ تَوَّجُوهُ بتاجِ المُلْكِ يَحْمِي المُحْجِرِينَا
تَرَكْنا الْخيْلَ عاكِفَةً عَليْهِ مُقلّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونا (٤)
وقدَ هَرَّتْ كِلابُ الْحَيِّ مِنَّا وَشَذَّبْنا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا (٥)
وَأَنْزَلْنا البيُوتَ بِذى طُلوحٍ إلى الشَّامَاتِ نَنْفِي المُوعِدِينَا (٦)
نَعَمْ أُنَاسَنَا وَنَعِفُّ عنهمْ ونَحْمِلُ عنهمُ مَا حَمَّلُونَا (٧)
وَرِثْنَا المجدَ قدْ عَلِمتْ مَعَدٌّ نُطاعِنُ دُونَهُ حتَّى يَبِينَا (٨)
وَنَحْنُ إذَا عِمَادُ الحَرْبِ خَرَّتْ على الأحْفَاضِ نَمنَعُ مَنْ يَلِينَا (٩)
نُطَاعِنُ ما تَرَاخَى النَّاسُ عنَّا وَنَضْرِبُ بالسُّيُوفِ إذا غَشِينَا (١٠)
بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا الخَطِّىِّ لُدْنٍ ذَوَابِلَ أوْ بِبِيضٍ يَعْتَلِينَا (١١)

---

(١) الشمطاء : التى خالط رأسها المشيب — شقاها : يعنى شؤمها (٢) يعنى عمرو بن هند (٣) الضغن : الحقد ويفشو : يكثر — الداء الدفين : الكامن (٤) صفونا : جمع صافن وهى من الخيل ماقام على ثلاث قوائم ، وترك سنبك الرابعة فى الأرض (٥) هرت : نبحت وأنكرتنا وشذبنا : أى قطعنا — القتادة • واحدة القتاد ، وهو ضرب من الشجر كثير الشوك ـ وهذا مثل ضربه لشدة شجاعتهم وبأسهم (٦) يقول وأنزلنا بيوتنا بمكان يعرف بذى طلوح إلى الشامات تنفى من هذه الأماكن أعداءنا الذين كانوا يوعدوننا (٧) نعم : أى نعطى (٨) المجد : الشرف — يبين : يظهر (٩) الاخفاض : عمد الأخبية ، (١٠) تراخى : تباعد
(١١) السمر : الرماح ، والخطى : منسوب إلى الخط قرية على ساحل البحر• لدن : لينة — ذوابل : جمع ذابل ، وهو اللين — تعتلينا : أى يرتفعن ـ والضمير الى السيوف .

نَشُقُّ بِهَا رُؤُوسَ القَوْمِ شَقًّا ... وَنُخْلِيهَا الرِّقَابَ فَتَخْتَلِينَا (١)

تَخَالُ جَمَاجِمَ الأَبْطَالِ مِنهُمْ ... وُسُوقًا بِالأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا (٢)

نَجُذُّ رُؤُوسَهُمْ فِى غَيرِ وِتْرٍ ... وَلاَ يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا (٣)

كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ ... خُضِبْنَ بِأَرْجُوَانٍ أَوْ طُلِينَا (٤)

كَأَنَّ سُيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ ... مَخَارِيقٌ بِأَيْدِى لاَعِبِينَا (٥)

إِذَا مَا عَىَّ بِالإِسْنَافِ حَىٌّ ... مِنَ الهَوْلِ المُشَبَّهِ أَنْ يَكُونَا (٦)

نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةَ ذَاتَ حَدٍّ ... مُحَافَظَةً وَكُنَّا السَّابِقِينَا (٧)

بِفِتْيَانٍ يَرَوْنَ القَتْلَ مَجْداً ... وَشِيبٍ فِى الحُرُوبِ مُجَرَّبِينَا

يُدَهْدِونَ الرُّؤُوسَ كَمَا تُدَهْدِى ... حَزَاوِرَةٌ بِأَبْطَحِهَا الكُوِينَا

حُدَيَّا النَّاسِ كُلِّهِمِ جَمِيعاً ... مُقَارَعَةً بَنِيهِمْ عَنْ بَنِينَا (٨)

فَأَمَّا يَوْمَ خَشْيَتِنَا عَلَيْهِمْ ... فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا عُصَباً ثُبِينَا (٩)

وَأَمَّا يَوْمَ لاَ نَخْشَى عَلَيْهِمْ ... فَنُمْعِنُ غَارَةً مُتَلَبِّبِينَا (١٠)

بِرَأْسٍ مِنْ بَنِى جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ ... نَدُقُّ بِهِ السُّهُولَةَ وَالحُزُونَا (١١)

بِأَىِّ مَشِيئَةٍ عَمْرُو بْنَ هِنْدٍ ؟ ... نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا (١٢)

---

(١) نخليها : أى نقطع بها فيختلينا : أى يقطعن ، والضمير راجع الى السيوف أيضا (٢) تخال تظن — جماجم جمع جمجمة وهى الرأس — وسوق : جمع وسق وهو المكيال — بالأماعز جمع أمعز وهو المكان الغليظ (٣) نجذ : نقطع والوتر : الدخل — وفى رواية « بر » (٤) الأرجوان صبغ أحمر (٥) المخاريق : ثياب صغار يلعب بها الصبيان (٦) الاسناف : التقدم (٧) الرهوة : رأس الجبل وذات حد : أى كثيرة السلاح — محافظة : من الحفاظ وهو المنافعة (٨) الحديا : التحدى فى القتال ، وهو طلب المبارزة — مقارعة : من القراع فى القتال ، وهو اصطدام الفارسين (٩) ثبين جمع ثبة وهى الجماعة (١٠) نمعن : نسرع — المتلبب : المتحزم (١١) الرأس السيد ، وهو هنا الجماعة (١٢) القيل : السيد — والقطين : الخدم

بأىِّ مَشيئةٍ عَمْرو بْن هِنْدٍ ؟ تَرَى أنّا نَكُون الأرْذَلينَا
بأىِّ مَشيئةٍ عمرو بْن هِنْدٍ ؟ تُطيعُ بِنَا الوُشَاةَ وَتَزْدرِينا (١)
تُهدِّدُنَا وَتُوعِدُنا ! رُوَيْدًا مَتَى كُنّا لِأُمِّكَ مُقْتَوِينا ؟ ! (٢)
وَإنّ قَناتَنَا يا عَمْرُو أعْيَتْ عَلَى الأعْدَاءِ قَبْلَكَ أنْ تَلِينا (٣)
إذَا عضَّ الثِّقَافُ بِهَا اشْمَأَزَّتْ وَوَلَّتْهُ عشَوْزَنَةً زَبُونا (٤)
عَشَوْزَنَةً إذَا عُمِزَتْ أرَنّتْ تَشُجُّ قفَا المُثَقِّفِ وَالجَبِينا (٥)
فَهَلْ حُدِّثْتَ عَنْ جُشْمِ بْنِ بَكْرٍ ؟ بِنَقْصٍ فى الخُطوبِ الأوَّلينا (٦)
وَرِثْنا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ أباحَ لَنا حُصونَ المجْدِ دِينَا (٧)
وَرِثْتُ مُهَلْهِلاً وَالخَيرَ مِنْهُ زُهَيْراً نِعْمَ زُخْرُ الزَّاخِرِينا (٨)
وعَتَّاباً وَكُلْثُوماً جميعاً بِهِمْ نِلْنَا تُرَاثَ الأكْرَمِينا (٩)
وَذَا البُرَةِ الَّذِى حُدِّثْتَ عَنْهُ بِهِ نُحمَى وَنَحمِي المُجْحَرِينَا (١٠)
وَمِنّا قَبْلَهُ السَّاعِى كُلَيْبُ فأىُّ المجْدِ إلاّ قَد وَلِينَا ؟ (١٢)

---

(١) الازدراء الاحتقار (٢) رويداً : تمهل قليلا ، والمقتوى . الذى يخدم بقوة (٣و٤) القناة ههنا العزة — والثقاف : خشبة تقوم بها الرماح واشمأزت : ارتفعت — والعشوزنة : الشديدة الصلبة ـ الزبون : الدفوع (٥) غمزت : أى لينت ـ أرنت : أى موتت ـ تشج : أى تجرح المثقف : المصلح للرماح والمقوم — والجبين : ما عن يمين الجبهة وعن شمالها (٦) جشم ابن بكر : جده. الخطوب : الامور العظيمة (٧) دينا ، أى طاعة لنا ، وهو علقمة بن سيف بن شرحبيل بن مالك بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن غنم بن جشم بن تغلب بن وائل . وهو الذى حل تغلب بجزيرة العراق وكانت قد أصابتهم مجاعة فسمنوا حتى تقطعت نطقهم فسمى علقمة مقطع النطق (٨) مهلهل : يعنى عديا أخا كليب ، وسمى مهلهلا لأنه أول من رقق الشعر .
(٩) كلثوم : أبوه — وعتاب : جده (١٠) ذا البرة : كعب بن زهير : بن تيم ، وسمى بهذا لشعرات كانت تحت أنفه مدورة كالبرة فى أنف البعير (١٢) قبله الساعى : ضربه مثلا كالكعبة فى كثرة من يختلف اليه

مَتى تُعْقَدْ قَرِينَتُنا بِحَبْلٍ تَحُدُّ الحَبْلَ أوْ تَعْصِ القَرِينا (١)
ونُوجَدُ نحنُ أمنَعهمْ ذِمَاراً وَأوْفَاهمْ إذَا عقَدُوا يَمِينا (٢)
وَنَحْنُ غَدَاةَ أُوقِدَ فى خَزَازَى رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينا (٣)
وَنَحْنُ الحَابِسُون لِذى أُراطٍ تَسِفُّ الجَلّة الخُورَ الدَّرِينا (٤)
فَكُنّا الأَيمَنِينَ إذا التقينا وَكانَ الأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِينا (٥)
فصالُوا صوْلَةً فيمَنْ يَليهمْ وَصُلْنا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينا (٦)
فآبُوا بالنِّهاب وبالسَّبايا وَأُبْنا بالمُلوكِ مُصَفَّدِينا
إليْكُمْ يَا بَنى بَكْرٍ إليْكُم ألَمَّا تَعْلَموا مِنَّا اليَقِينا
ألَمَّا تعلمُوا مِنَّا ومنْكُم كَتَائب يَطّعِنَّ ويرتَمِينا
نقودُ الْخَيْلَ دَامِيَةً كِلاَهَا إلى الأَعْدَاءِ لاَحِقَةً بُطُونَا
علَيْنا الْبِيضُ وَالْيَلَبُ الْيَمانى وأَسْيافٌ يَقمْن وَيَنْحَنِينَا (٧)
علَيْنَا كلُّ سَابِغَةٍ دِلاَصٍ تَرَى تحْتَ النِّجَادِ لَهَا غُضُونَا (٨)
إذَا وُضعَت عَنِ الأَبْطَالِ يَوْماً رَأَيْتَ لهَا جُلودَ الْقَوْمِ جُونَا (٩)
كأَنَّ مُتُونَهُنَّ مُتُونُ غُدْرٍ تُصفِّقُها الرِّيَاحُ إذَا جَرِينَا (١٠)

---

(١) القرينة : أصلها أن يقرن جمل صعب إلى جمل ذلول. وتعص : تكسر ، وهذا مثل ضربه (٢) الذمار ما يحق عل الانسان أن يحميه (٣) خزازى : موضع واقعة كانت بين ربيعة واليمن وكانت قضاعة إذ ذاك وربيعة احلافاً ـ والرافد : العظيم المعونة ـ يقول : أعنا فوق كل إعانة (٤) أراط موضع واقعة كانت لهم — وتسف . توكل — والجلة . الابل المسنة — والخور : غزيرات الالبان — والدرين . ما انهشم من الاشجار (٥) بنى أبينا . يعنى مضر بن نزار ، وربيعة بن نزار . (٦) الصولة . الحملة (٧) اليلب . جلود تنسج على هيئة الدروع وتلبس . (٨) السابغة . الدرع الطويلة ـ دلاص . براقة — والنجاد . النطاق — والغضون . التثنى . (٩) جونا . سوداً (١٠) المتون . الأعالى ، شبه أعالى الدروع فى بياضها ولمعانها بالغدر وهى الحياض اذا حركتها الريح

وَتحْمِلُنَا غَدَاةَ الرَّوْعِ جُرْدٌ عُرِفْنَ لَنَا نَقَائِذ وَافْتُلِينَا (١)
وَرِدْنَ دَوَارِعا وَخَرَجْنَ شُعْثًا كَأَمْثَالِ الرَّصَائِعِ قَدْ بُلِينَا
وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ وَنُورِثُهَا إِذَا مِتْنَا بَنِينَا
وَقَدْ عَلِمَ القَبَائِلُ غَيْرَ فَخْرٍ إِذَا قُبَبٌ بِأَبْطَحِهَا بُنِينَا
بِأَنَّا العَاصِمونَ إِذَا أُطِعنا وَأَنَّا الغَارِمونَ إِذَا عُصِينَا
وَأَنَّا المُنْعِمونَ إِذَا قَدَرْنَا وَأَنَّا المُهْلِكُون إِذَا أُتِينَا
وَأَنَّا الحَاكِمونَ بِمَا أَرَدْنَا وَأَنَّا النَّازِلونَ بِحَيْثُ شِينَا
وَأَنَّا التَّارِكُونَ لِمَا سَخِطْنَا وَأَنَّا الآخِذُونَ لِمَا هَوِينَا
وَأَنَّا الطَّالِبون إِذَا نَقَمْنَا وَأَنَّا الضَّارِبُونَ إِذَا ابْتُلِينَا
وَأَنَّا النَّازِلون بِكُلِّ ثَغْرٍ يَخَافُ النَّازِلونَ بِهِ المَنُونَا (٢)
وَنَشْرَبُ ـ إِنْ وَرَدْنَا ـ المَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدَرًا وَطِينَا
أَلا سَائِلْ بَنِي الطَّمَّاحِ عَنَّا وَدُعْمِيًّا فَكَيْفَ وَجَدْتُمُونَا؟ (٣)
نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَضْيَافِ مِنَّا فَأَعْجَلْنَا القِرَى أَنْ تَشْتِمُونَا (٤)
قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا (٥)
مَتَى نَنْقُلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا يَكُونُوا فِى اللِّقَاءِ لَهَا طَحِينَا (٦)

(١) الروع . الحرب ـ والجرد . قصيرة الشعر ـ نقائذ : استنقذناها من قوم آخرين وافتلين . أى فطمن عن أمهاتهن فهن أفلاء أعزاء (٢) الثغر ـ المكان المخوف . المنون ـ جمع منية وهى الموت (٣) بنو الطماح ودعمى . حيان من بنى أسد بن ربيعة بن نزار (٤) نزلتم حيث نزل الاضياف ، أى جئتم للقتال فعاجلناكم بالحرب ولم ننتظر أن تشتمونا (٥) قريناكم . جعلنا قراكم الحرب لما نزلتم بنا ولقيناكم فطحناكم طحن الرحى ـ والمرداة . الحجر وكل ما يكسر به الشىء فهو مرداة (٦) أصل الرحى ما استدار من الشىء ـ والرحى هنا الحرب ، تشبيهاً لها بالرحى .

يَكُونُ ثِفَالُها شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلُهْوَتُها قُضَاعَةُ أَجْمَعِينا (١)
عَلَى آثَارِنَا بِيضٌ حِسَانٌ نُحَاذِرُ أَنْ تُفَارِقَ أَوْ تَهُونَا (٢)
ظَعَائِنُ مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ خُلِطْنَ لِمَيْسَمٍ حَسَباً وَدِينا (٣)
أَخَذْنَ عَلَى فَوَارِسِهِنَّ عَهْداً إِذَا لاَقَوْا فَوَارِسَ مُعْلِمِينَا (٤)
لَيَسْتَلْبُنَّ أَبْدَاناً وَبِيضاً وَأَسْرَى فِى الْحَدِيدِ مُقَرَّنِينا (٥)
إِذَا مَارُحْنَ يَمْشِينَ الْهُوَيْنَا كَمَا اضْطَرَبَتْ مُتُونُ الشَّارِبِينَا
يَقُتْنَ جِيَادَنَا وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا (٦)
إِذَا لَمْ نَحْمِهِنَّ فَلاَ بَقِينَا لِشَىْءٍ بَعْدَهُنَّ وَلاَ حَيِينَا (٧)
وَمَا مَنَعَ الظَّعَائِنَ مِثْلُ ضَرْبٍ تَرَى مِنْهُ السَّوَاعِدَ كَالْقُلِينَا (٨)
إِذَا مَا الْمَلْكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفاً أَبَيْنَا أَنْ يُقِرَّ الْخَسْفَ فِينَا (٩)
أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا
وَنَعْدُوا حَيْثُ لاَ يُعْدَى عَلَيْنَا وَنَضْرِبُ بِالْمَوَاسِى مَنْ يَلِينَا
أَلاَ لاَ يَحْسَبَنَّ الأَعْدَاءُ أَنَّا تَضَعْضَعْنَا وَأَنَّا قَدْ فُنِينَا
تَرَانَا بَارِزِينَ وَكُلُّ حَىٍّ قَدِ اتَّخَذُوا مَخَافَتَنَا قَرِينَا

---

(١) الثفال : جلدة توضع تحت الرحى للطحين ـ ولهوتها : أى مقدار مايطرح فى فم الرحى من الحب (٢) أى نساءنا اللواتى خلفنا نقاتل عنهن ونحذر أن نفارقهن أو يصرن الى غيرنا .
(٣) الميسم الحسن أى لهن مع جمالهن حسب ودين (٤) المعلم الذى يعلم نفسه فى الحرب بعلامة
(٥) الابدان جمع بدن وهى الدروع ـ والبيض جمع بيضة (٦) يقتن . من القوت وهو الطعام ـ جيادنا . جمع جواد ـ بعولتنا : أزواجنا . تمنعونا . تذودوا عنا (٧) نحميهن . ندافع عنهن ـ ما بقينا . ما حيينا (٨) القلون : جمع قلة ، وهى الخشبة التى يلعب بها الصبيان ، يضربونها بالمقلاء
(٩) يقول إننا أعزاء لا تصل الملوك الى ظلمنا

كأنّا والسُّيُوف مُسَلَّلاتٌ ولَدْنا النّاسَ طُرًّا أجمعينا
ملأْنا البرَّ حتى ضاق عنّا كذَاكَ البحرُ نَمْلؤُهُ سفينا
إذَا بَلغَ الرّضيعُ لنا فِطَاماً تَخِرُّ لَهُ الجبَابِرُ سَاجِدينا
لَنا الدُّنيَا ومَنْ أضْحَى عَليها ونَبطِشُ حِين نَبطِشُ قادِرينا
تُنادِى المُصْعَبَانُ وآلُ بَكرٍ ونادَوْا بالكِنْدَةَ أجمعينا
فإنْ نَغْلِبْ فَغَلاّبُونَ قِدْماً وإنْ نُغلَبْ فغيرُ مُغلّبينا

(٦) طَرَفة بن العبد البكرى

هو عَمرو بن العبد البكرىّ ـ أقصر فحول شُعراء الجاهلية عُمراً ، ومال إلى الشّعر والوقوع به فى أعْرَاض النّاس ، حتى هَجا عَمْرو بن هند ملك العرب على الحِيرة مع انّه كان يَتطلّبُ معروفه وجُودَه ، فبلغ عمرو بن هِنْد هجاء طرفة له فاضطغنها عليه . حتى اذا ماجاءه هو وخالهُ المُتلمِّس يتعرّضان لفضله أظهر لهما البَشاشة وأمر لكل منهما بجائزة ، وكتب لهما كتابين ، وأحالهما على عامِلهِ بالبحرين لِيُسْتوْفياها منه ، وبينما هما فى الطّريق ارْتاب المُتلمّس فى صَحيفته ، فعرّج على غلام يقرؤها له (ومضى طرفة) فاذا فى الصحيفة : الأمر بقتله ، فألقى الصّحيفة ، وأرَادَ أنْ يلحق طرفة فلم يُدْركه ، وفرّ الى ملوك غسّان ، وذهب طَرَفة الى عامل البَحْرين وقُتِل هناك — وعُمره ستٌّ وعشرون سنة

شعره — تُجيد طرفة الوصف للناقة فى شعره مقْتصراً فيه على بيان الحقيقة مع قَصْد فى الغُلوّ ، ومعاظلة فى بعض التّراكيب ، واسترْسال فى حوشى اللّفظ وخَفِى المعنى وكذلك كان هِجاؤه للملوك على شدة وقعه — ومن أبلغ المقطّعات والمُعلّقات أيضاً

معلّقة طَرَفة بن العَبْد البَكرى

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلوحُ كَباقِى الْوَشْمِ فى ظاهِرِ الْيَدِ (١)
وُقُوفاً بِها صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولون لا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ (٢)
كَأَنَّ حُدُوجَ الْمالِكِيَّةِ غُدْوَةً خَلايَا سَفِينٍ بِالنَّواصِفِ مِنْ دَدِ (٣)
عَدَوْلِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ بْنِ يَامِنٍ يَجُورُ بِها الْمَلَّاحُ طَوْراً وَيَهْتَدِى (٤)
يَشُقُّ حُبَابَ الْماءِ حَيْزُومُها بِها كَما قَسَمَ التُّرْبَ الْمُفَايِلُ بِاليَدِ (٥)
وَفِى الْحَىِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَشَادِنٌ مُظَاهِرُ سِمْطَىْ لُؤْلُوٍ وَزَبَرْجَدِ (٦)
خَذُولٌ تُراعِى رَبْرَباً بِخَمِيلَةٍ تَنَاوَلُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ وَتَرْتَدِى (٧)
وَتَبْسِمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مُنَوَّراً تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٌ لَهُ نَدِ (٨)
سَقَتْهُ إِيَاةُ الشَّمْسِ إِلَّا لِثَاتِهِ أُسِفَّ وَلَمْ تَكْدِمْ عليه بِإِثْمِدِ (٩)

---

(١) خولة . امرأة من بنى كلب — وثهمد . أكمة فى بلاد خثعم — تلوح . تظهر (٢) وقوفا واقفين ـ أسى . حزنا ـ تجلد . تحمل (٣) المالكية . نسبة الى مالك بن ضبيعة بن عم عمرو والحدوج الهوادج والقباب . والخلايا ـ جمع خلية ، السفينة الكبيرة ـ والنواصف . مجارى الماء الى البحر ـ ودد : أرض معروفة ـ والمعنى . أن حدوج أو قباب المالكية وهى على الجمال غدوة تشبه السفن العظيمة (٤) عدولية . قديمة ـ وهى الكبيرة من السفن وهى تنسب الى موضع يقال له ابن يامن. ملاح أوتاجرمن أهل البحرين ـ ويجور . يميل ويضل (٥) حباب الماء طرائقه وما ارتفع منه والحيزوم الصدر ـ والمفايل الذى يجمع تراباً ويخبىء فيه شيئا مثل الحلقة ويقسم التراب نصفين ويطلبه فى أحدهما فان أصاب ظفر وان أخطا قهر (٦) أحوى فى لونه سواد ـ والمرد شجر الاراك والشادن ولد الظبية اذا قوى ـ مظاهر . واحد على واحد ـ سمطى . خيطى (٧) الخذول: المتخلفة من الظباء ـ والربرب القطيع من الظباء ـ والخميلة الشجر الملتف — البرير المدرك من ثمر الاراك — وترتدى أى تدخل فى أغصان الشجر فيصير لها كالرداء (٨) تبسم . يفتر ثغرها واللمى . سواد فى الشفة: والمنور . الاقحوان ـ تخلل . دخل فيه ـ حر الرمل . النقى منه ـ الدعص الكثيب الصغير من الرمل : والندى من صفة الاقحوان ـ يصفه بالنداوة (٩) الاياة . ضوء

وَوَجْهٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِدَاءَهَا عَلَيْهِ نَقِيَّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدِ (١)

وَإِنِّى لَأُمْضِى الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِهَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِى (٢)

أَمُونٍ كَأَلْوَاحِ الْإِرَانِ نَسَأْتُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ (٣)

جُمَالِيَّةٍ وَجْنَاءَ تَرْدِى كَأَنَّهَا سَفَنَّجَةٌ تَبْرِى لِأَزْعَرَ أَرْبَدِ

تُبَارِى عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتْبَعَتْ وَظِيفًا وَظِيفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ (٤)

تَرَبَّعَتِ الْقُفَّيْنِ فِى الشَّوْلِ تَرْتَعِى حَدَائِقَ مَوْلِىِّ الْأَسِرَّةِ أَغْيَدِ (٥)

تَرِيعُ إِلَى صَوْتِ الْمَهِيبِ وَتَتَّقِى بِأُذْنَىْ خُصَلَ رَوْعَاتِ أَكْلَفَ مُلْبِدِ (٦)

كَأَنَّ جَنَاحَىْ مَضْرِحِىٍّ تَكَنَّفَا حَفَافَيْهِ شُكَّا فِى الْعَسِيبِ بِمِسْرَدِ (٧)

فَطَوْرًا بِهِ خَلْفَ الزَّمِيلِ وَتَارَةً عَلَى حَشَفٍ كَالشَّنِّ ذَاوٍ مُجَدَّدِ (٨)

الشمس ـ اللثة مغرز الاسنان ، يقول أسنانها بيض ـ ولثاتها زرق ـ أسف . أى ذر عليه بائمد وهو الكحل ـ ولم تكدم . أى لم تعض فتختلف نبتته وأصوله (١) ألقت وفى رواية حلت ـ رداءها . أى بهاءها ـ لم يتخدد . أى لم يضطرب حتى تصير فيه شقوق (٢) الهوجاء الخفيفة الفؤاد ـ مرقال . وصف للناقة بشدة السير (٤) الأمون . التى أمنت من أن تكون ضعيفة ، والاران التابوت الذى تحمل فيه الموتى ـ نسأتها . أى زجرتها ـ واللاحب الطريق : والبرجد كساء من أكسية العرب ، شبه استقامة الطريق بخط أبيض يكون فى الكساء من القطن

(٤) تبارى . تشابه ـ والعتاق . الابل الكرام ـ والناجيات المسرعات فى السير ـ والوظيف . ساق البعير ـ والمور . الطريق ـ المعبد . المذلل من كثرة الوطء . (٥) تربعت . رعت أيام الربيع ـ والقفان . موضعان موصوفان بالمرعى لجودتهما ـ والشول بفتح الشين من الابل التى جف لبنها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر ـ والحدائق . جمع حديقة ـ ومولى : من الولى وهو المطر الثانى بعد الوسمى ـ والأسرة هى بطون الأودية ـ والأغيد الناعم (٦) تريع . تصغى ـ المهيب . الداعى . وتتقى بذى خصل . أى بذنب كثير الهلب ـ روعات جمع روعة ، والروعة الفزع ـ والأكلف . الذى فى وجهه لون يخالف لونه ـ وهو صفة من صفات الفحل ـ والملبد . الذى تكاثف الشعر على كتفيه (٧) المضرحى . النسر ـ تكنفا . أحاطا ـ حفافيه . جانبيه ـ والعسيب . عظم الذنب ـ والمسرد المخصف الأشفى (٨) الطور : المرة الاولى ـ والتارة المرة الثانية ـ والزميل . الرديف ـ والحشف : الضرع الذى لا لبن فيه وهو المنقبض ـ والشن : القربة الخلقة ـ والذاوى هو اليابس ـ والمجدد الضرع الذى لا لبن فيه ولا لبن

لها فَخِذَانِ أُكْمِلَ النَّحْضُ فيهما كأَنَّهُما بابَا مُنيفٍ مُمَرَّدِ (١)
وطَيُّ مِحالٍ كالحنِيِّ خُلُوفُهُ وأَجْرِنَةٌ لُزَّتْ بِدَأْيٍ مُنَضَّدِ (٢)
كأَنَّ كِناسَيْ ضالَةٍ يَكْنُفانِها وأَطْرَ قِسِيٍّ تحت صُلْبٍ مُؤَيَّدِ (٣)
لها مِرْفَقانِ أَفْتَلانِ كأَنَّهَا تَمُرُّ بِسِلَمَّى دالِجٍ مُتَشَدِّدِ (٤)
كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا لَتُكْتَنَفَنْ حتى تشادَ بِقَرْمَدِ (٥)
صُهابِيَّةُ العُثْنُونِ مُؤْجَدَةُ القَرَا بَعِيدَةُ وَخْدِ الرِّجلِ مَوَّارَةُ اليَدِ (٦)
جَنُوحٌ دِفَاقٌ عَنْدَلٌ ثُمَّ أُفْرِعَتْ لَهَا كَتِفَاها فى مُعالًى مُصَعَّدِ (٧)
أُمِرَّتْ يَدَاها فَتْلَ شَزْرٍ وَأُجْنِحَتْ لَهَا عَضُدَاها فى سَقِيفٍ مُسَنَّدِ (٨)
كأَنَّ عُلُوبَ النِّسْعِ فى دَأَيَاتِهَا مَوَارِدُ مِنْ خَلْقاءَ فى ظَهْرِ قَرْدَدِ (٩)

(١) النحض اللحم — والمنيف المشرف — والممرد الملس (٢) المحال : فقار الظهر ـ والحنى القسى ـ خلوفه . مؤخر أضلاعه ـ وأجرنة . باطن عنق البعير — لزت . قرن بعضها الى بعض فانضمت واشتدت ـ بدأى : أعالى الاضلاع ـ منضد . أى بعضه فوق بعض (٣) الكناس . بيت الظباء ـ والضال . السدر البرى ، شبه تباعد ما بين مرفقيها وزورها بكناس الظبى حول الشجر ـ وأطرقسى أى عطفها وانحناؤها ، والصلب . الظهر ـ والمؤيد . الموثق ، والأيدى القوة (٤) المرفق . مفصل العضد ـ أفتلان مفتولان ـ تمر : وفى رواية أمراً : فتلا ، السلم : الدلو له عروة الدالج الذى يمشى بالدلو من البئر الى الحوض ـ متشدد: متكلف للشدة ومعنى ذلك أن الذى يسقى الابل يجعل الحوض بعيداً عن البئر ، فاذا أخرج الدلو من البئر ليجعله فى الحوض باعد بالدلو عن ركبتيه مجتهداً لئلا تخرق ركبتاه الدلو (٥) القنطرة ـ الجسر ـ الرومى. أحد البنائين من الروم ـ تكتنفن أى يحاط حواليها بالبناء ـ وتشاد ترفع . والقرمد . الجص ـ وهو يعنى ارتفاع الناقة وكبرها (٦) صهابية . بياض شيب بحمرة ـ والعثنون . شعيرات تحت الحنك . موجدة : أى قوية ـ القرى. الظهر والوخد . ضرب من السير ـ موارة . سريعة الحركة (٧) جنوح . مائلة فى سيرها من النشاط دفاق مندفقة فى السير ـ عنديل . عظيمة الرأس وأفرعت: رفعت ـ فى معالى . مرتفع (٨) أمرت: فتلت فتلا محكما والشزر : الفتل الى اليسار ـ وأجنحت . أميلت ـ والسقيف . هنا صدرها ومسند : وفى رواية منضد بعضه على بعض (٩) العلوب . الآثار ـ والنسع حزام الرجل ـ والدأيات . آخير الاضلاع . موارد : طرق الماء ـ والخلقاء : الصخرة الملساء — والقردد . الارض الصلبة .

تَلَاقَى وَأَحْيَاناً تَبِينُ كَأَنَّهَا ... بَنَائِقُ غُرٌّ فِى قَمِيصٍ مُقَدَّدِ (١)

وَأَتْلَعُ نَهَّاضٌ إِذَا صَعَّدَتْ بِهِ ... كَسُكَّانِ بُوصِيٍّ بِدِجْلَةَ مُصْعِدِ (٢)

وَجُمْجُمَةٌ مِثْلُ الْعَلَاةِ كَأَنَّمَا ... وَعَى الْمُلْتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفِ مِبْرَدِ (٣)

وَخَدٌّ كَقِرْطَاسِ الشَّآمِىِّ وَمِشْفَرٌ ... كَسِبْتِ الْيَمَانِى قِدُّهُ لَمْ يُجَرَّدِ (٤)

وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ اسْتَكَنَّتَا ... بِكَهْفَىْ حَجَاجَىْ صَخْرَةٍ قَلْتِ مَوْرِدِ (٥)

طَحُورَانِ عُوَّارَ الْقَذَى فَتَرَاهُمَا ... كَمَكْحُولَتَىْ مَذْعُورَةٍ أُمِّ فَرْقَدِ (٦)

وَصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ لِلسُّرَى ... لِهَمْسِ خَفِىٍّ أَوْ لِصَوْتٍ مُنَدَّدِ (٧)

مُؤَلَّلَتَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا ... كَسَامِعَتَىْ شَاةٍ بِحَوْمَلَ مُفْرَدِ (٨)

وَأَرْوَعُ نَبَّاضٌ أَحَذُّ مُلَمْلَمٌ ... كَمِرْدَاةِ صَخْرٍ فِى صَفِيحٍ مُصَمَّدِ (٩)

---

(١) تلاق . يتصل بعضها ببعض وتتلاق الطرق من أعلاها وتفترق من أسفلها مثل بنايق القميص تضيق من أعلا ، وتتسع من أسفل ـ والغر البيض والمقدد المفصل المشقق (٢) الاتلع . الطويل يعنى عنقها ـ نهاض : كثير الارتفاع ـ صعدت : ارتفعت ـ السكان : الدقل وهو مؤخر السفينة ـ والبوصى : ضرب من السفن ـ بدجلة : نهر ـ مصعد . قاصد الى العراق (٣) الجمجمة : غطاء الرأس وهو يعنى رأس الناقة ـ والعلاة : السندان الذى يضرب عليه الحداد ـ وعى الملتقى يعنى جمع ملتقى شعاب الرأس شبهه بحرف المبرد لصلابته (٤) المشفر : من البعير كالشفة من الانسان ـ والسبت : جلود البقر إذا دبغت بالقرظ ، شبه خدها بالقرطاس وهو الورق ـ من جهة الشام وشبه مشفرها بالجلد المدبوغ بدباغ الجلد للينه وذلك محمود فى الناقة والفرس وقده : قطعه ، ولم يجرد : أى أن شعره عليه (٥) الماويتان : المرآتان المصقولتان ـ استكنتا دخلتا ـ والقلت : النقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء ـ والمورد : المنهل (٦) طحوران : دفوعان ـ العوار : الخبث الذى يقع فى العين وكذلك القذى وكمكحولتى : أى عينى ـ مذعورة : خائفة طردها القناص وأفزعها ـ والفرقد : ولدها (٧) وصادقتا سمع : يعنى أذنيها ـ والتوجس : التسمع ـ والهمس الصوت الخفى ـ والمندد المرتفع (٨) مؤللتان : محددتان كالحربة ـ والعتق : الكرم ـ والشاة : بقرة الوحش وتسمى نعجة ـ وحومل : موضع معروف ـ ومفرد : وحيد (٩) الأروع : فزع فؤادها ونباض : كثير الحركة السريع ـ أحذ : قليل الشعر ململم : أى مجتمع ـ كمرداة : كصخرة ترمى بها الحجارة لصلابتها ـ الصفيح : الحجارة العريضة ـ مصمد : مصلب ، وهو يعنى أنها لاجوف لها

وَإِنْ شِئْتُ سَامَى وَاسِطَ الْكُورِ رَأْسُهَا ... وَعَامَتْ بِضَبْعَيْهَا نَجَاءَ الْخَفَيْدَدِ (١)

وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تُرْقِلْ وَإِنْ شِئْتَ أَرْقَلَتْ ... مَخَافَةَ مَلْوِيٍّ مِنَ الْقِدِّ مُحْصَدِ (٢)

وَأَعْلَمُ مَخْرُوطٌ مِنَ الْأَنْفِ مَارِنٌ ... عَتِيقٌ مَتَى تَرْجُمْ بِهِ الْأَرْضَ تَزْدَدِ (٣)

عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إِذَا قَالَ صَاحِبِي ... أَلَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْهَا وَأَفْتَدِي

وَجَاشَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ خَوْفًا وَخَالَهُ ... مُصَابًا وَلَوْ أَمْسَى عَلَى غَيْرِ مَرْصَدِ

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتًى؟ خِلْتُ أَنَّنِي ... عُنِيتُ، فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

أَحَلْتُ عَلَيْهَا بِالْقَطِيعِ فَأَجْذَمَتْ ... وَقَدْ خَبَّ آلُ الْأَمْعَزِ الْمُتَوَقِّدِ (٤)

فَذَالَتْ كَمَا ذَالَتْ وَلِيدَةُ مَجْلِسٍ ... تُرِي رَبَّهَا أَذْيَالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ (٥)

وَلَسْتُ بِحَلَّالِ التِّلَاعِ مَخَافَةً ... وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفَدِ (٦)

فَإِنْ تَبْغِنِي فِي حَلْقَةِ الْقَوْمِ تَلْقَنِي ... وَإِنْ تَقْتَنِصْنِي فِي الْحَوَانِيتِ تَصْطَدِ (٧)

مَتَى تَأْتِنِي أُصْبِحْكَ كَأْسًا رَوِيَّةً ... وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا غَانِيًا فَاغْنَ وَازْدَدِ (٨)

---

(١) سامى : ساوى — واسط : وسط — الكور : الرحل — عامت : مدت يدها كهيئة السابح فى الماء — الضبعين : العضدان — نجاء : سرعة — الخفيدد : الظليم ، وهو ذكر النعام (٢) الارقال : ضرب من السير — والملوى من القد : السوط — والمحصد : المحكم الفتل (٣) الأعلم المشقوق الشفر الأعلى — المارن : ما لان من الأنف وهو مقدمه — عتيق : كريم — متى ترجم به الأرض : أى تضربها به ، يريد أنها إذا حطت رأسها إلى الأرض أسرعت فى السير وذلك لنشاطها وحدتها (٤) أحلت : وثبت — والقطيع : السوط — وأجذمت : أسرعت — وخب : ارتفع — والآل : ما يكون فى أول النهار مثل السراب — الامعز : الأرض الغليظة التى فيها حصى — والمتوقد : المشتعل (٥) ذالت : تبخترت الناقة — والوليدة الفتية — ترى ربها : أى مولاها — أذيال : أطراف الثوب التى تصل الى الأرض — والسحل الثوب القطن والممدد : المبسوط (٦) التلعة : من أسماء الأضداد تكون للمرتفع ، وتكون للمنخفض وهو المراد هنا ، لأن البخيل يحل فى الأماكن المنخفضة لئلا يراه أحد (٧) حلقة القوم : مجالس أشرافهم — والحوانيت : بيوت الخمارين (٨) تأتنى : تجئنى : — أصبحك كأساً أسقيك كأسا من الصبوح ، والصبوح شرب الغداة — غانياً : غنياً — فاغن وازدد : فبالغ فى شربها

وإنْ يَلْتَقِ الحىُّ الجميعُ تُلاقِنى ... إلى ذِرْوَةِ البَيْتِ الرَّفيعِ المُصَمَّدِ (١)
نَدَامَاىَ بِيضٌ كالنّجُومِ وقَيْنَةٌ ... تَرُوحُ عَلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ ومُجْسَدِ (٢)
رَحيبٌ قِطابُ الجَيْبِ منْهَا رَفيقَةٌ ... لِجَسِّ النَّدَامَى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ (٣)
وَما زَالَ تَشْرابِى الخُمُورَ ولَذَّتِى ... وَبَيْعِى وَإنْفَاقِى طَرِيفِى وَمُتْلَدِى (٤)
إلى أنْ تَحَامَتْنِى العَشِيرَةُ كُلُّها ... وَأُفْرِدْتُ إفْرَادَ البَعِيرِ المُعَبَّدِ (٥)
رَأَيْتُ بَنِى غَبْرَاءَ لا يُنْكِرُونَنِى ... ولاَ أَهْلُ هذَاكَ الطِّرَافِ المُمَدَّدِ (٦)
ألاَ أيُّهاذا اللائِمِى أُحْضُرِ الوَغَى ... وأنْ أَشْهَدَ اللَّذّاتِ هَلْ أنْتَ مُخْلِدِى (٧)
فإنْ كُنْتَ لا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِى ... فَدَعْنِى أُبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِى
فلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ مِنْ عِيشَةِ الفَتى ... وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِى
فَمِنْهُنَّ سَبْقِى العَاذِلاَتِ بِشَرْبَةٍ ... كُمَيْتٍ مَتى مَا تُعْلَ بالماءِ تُزْبِدِ (٨)
وَكَرِّى إذَا نَادَى المُضَافُ مُحَنَّباً ... كَسِيدِ الغَضَا نَبَّهْتَهُ المُتَوَرِّدِ (٩)
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ ... بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطِّرَافِ المُمَدَّدِ (١٠)

---

(١) ذروة : الذروة أعلى الشىء — والمصمد الذى يصمد اليه ، أى يقصد (٢) الندامى : أصحابى على الخمر — والقينة : الجارية — والبرد : الثوب الأبيض — والمجسد : المصبوغ بالزعفران (٣) رحيب : واسع ـ قطاب الجيب : أى مجتمع الجيب ، يصف صدرها بالرحب والسعة رفيقة : متئدة غير متعجلة ـ والجس الاستماع ـ بضة : رقيقة الجلد ـ المتجرد : ما تحت ثوبها (٤) الطريف : الحديث المكتسب ـ والتليد القديم الموروث (٥) المعبد : المذلل المطلى بالقطران (٦) بنى غبراء : اللصوص ، والطراف : بيت من جلد ، يعنى أنه لا ينكره الغنى ولا الصعلوك (٧) اللائمى : اللاحى وفى رواية الزاجرى ـ أحضر : أشهد — الوغى : الحرب (٨) كميت : خمر تضرب إلى السواد — تعل : أى يصب الماء عليها (٩) كرى : عطفى — والمضاف : الذى أضافته الهموم — والمحنب الفرس المعوجة الساقين . والسيد : الذئب — والغضا شجر . (١٠) الدجن : المطر الخفيف ـ معجب : أى يعجب من رآه — والبهكنة : المرأة التامة الخلق .

كَأَنَّ البُرِينَ وَالدِّمَالِيجَ عُلِّقَتْ ... على عُشَرٍ أَوْ خِرْوَعٍ لَمْ يُخَضَّدِ (١)

فَدَرْنِي أُرَوِّي هَامَتِي فِي حَيَاتِهَا ... مَخَافَةَ شِرْبٍ فِي الْحَيَاةِ مُصَرَّدِ (٢)

كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ ... سَتَعْلَمُ إِنْ مِتْنَا غَدًا أَيُّنَا الصَّدِي (٣)

أَرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيلٍ بِمَالِهِ ... كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدِ (٤)

تَرَى جُثْوَتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا ... صَفَائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيحٍ مُنَضَّدِ (٥)

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي ... عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ (٦)

أَرَى الدَّهْرَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالدَّهْرُ يَنْفَدِ

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى ... لَكَالطِّوَلِ الْمُرْخَى وَثُنْيَاهُ بِالْيَدِ (٧)

فَمَالِي أُرَانِي وَابْنُ عَمِّيَ مَالِكًا ... مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنِّي وَيَبْعُدِ (٨)

يَلُومُ وَمَا أَدْرِي عَلَامَ يَلُومُنِي ؟! ... كَمَا لَامَنِي فِي الْحَيِّ قُرْطُ بْنُ أَعْبَدِ (٩)

---

(١) البرين : الخلاخيل فأنف الناقة ـ على عشر : العشر شجر أملس مستو ضعيف العود ، شبه به عظامها وساعديها لملاسته واستوائه — والخروع : كل ناعم ـ لم يخضد : لم يثن وقيل لم يكسر (٢) الشرب : بكسر الشين وضمها اسم للمشروب والمصرد : المقلل (٣) يروى نفسه من الخمر فى حياته والصدى العطشان . وهو يريد هنا ماذاع عند العرب فى الجاهلية من أن الرجل إذا قتل ولم يأخذ بثاره خرج من رأسه طائر يشبه البوم فيصيح اسقونى اسقونى (٤) النحام : كثير السعال عند مايسأل — والغوى : الذى يتبع هواه ولذاته — والبطالة : اتباع الهوى والجهل ، والمعنى أن البخيل والمنفق لماله بعد الموت سواء (٥) الجثوة : التراب المجموع — صفائح صم : صلبة — المنضد : المجموع بعضه على بعض (٦) يعتام : يختار . الخيار : الكرام ، الاماجد ويصطفى : ينتخب ، وعقيلة كل شىء خيرته — والفاحش : القبيح السيء الخلق — والمتشدد وكثير البخل (٧) الطول : الحبل ، وثنياه : أى طرفاه . والمعنى أن الانسان وإن يطل عمره الا أنه كالفرس فى يد صاحبها إذا أرادها جذب الحبل إليه (٨) ابن عمى على خلاف ، أتقرب إليه فيبعد عنى (٩) ويبالغ ابن عمى فى الجفاء فيلومنى على ما لا أستحق اللوم عليه — كما يفعل قرط بن أعبد

وَأَيأَسَنِى مِنْ كلّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ ... كَأَنَّا وَضَعْنَاهُ إلى رَمْسِ مُلْحَدِ (١)

عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ قُلْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِى ... نَشَدْتُ فَلَمْ أُغْفِلْ حَمُولَةَ مَعْبَدِ (٢)

وَقَرَّبْتُ بِالقُرْبَى وَجَدِّكِ إِنَّنى ... مَتَى يَكُ أَمْرٌ لِلنَّكِيثَةِ أَشْهَدِ (٣)

وَإِنْ أُدْعَ فى الجُلَّى أَكُنْ مِنْ حُمَاتِها ... وَإِن يَأْتِكَ الأَعْدَاءُ بالجَهْدِ أَجْهَدِ (٤)

وَإِنْ يَقْذِفُوا بالقَذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِهِمْ ... بِكَأْسِ حِيَاضِ المَوْتِ قَبْلَ التَّهَدُّدِ (٥)

بِلاَ حَدَثٍ أَحْدَثْتُهُ وَكَمُحْدِثٍ ... هِجَائِى وَقَذْفِى بالشَّكَاةِ وَمُطْرَدِى (٦)

فَلَوْ كانَ مَوْلاَىَ امْرَأً هُوَ غَيْرُهُ ... لَفَرَّجَ كَرْبِى أَوْ لَأَنظَرَنِى غَدِ (٧)

ولكِنَّ مَوْلاَىَ امْرُؤٌ هُوَ خَانِقِى ... على الشُّكْرِ والتَّسْآلِ أَوْ أَنَا مُفْتَدِى (٨)

وَظُلْمُ ذَوِى القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً ... على المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ (٩)

فَذَرْنِى وَخُلْقِى إِنَّنى لَكَ شَاكِرٌ ... وَلَو حَلَّ بَيْتِى نَائِياً عِنْدَ ضَرْغَدِ (١٠)

فَلَوْ شَاءَ رَبِّى كُنْتَ قَيْسَ بْنَ خَالِدٍ ... وَلَوْ شَاءَ رَبِّى كُنْتَ عَمْرَو بْنَ مَرْثَدِ (١١)

---

(١) أيأسنى : جعلنى يائساً والرمس القبر ـ والملحد : اللحد (٢) وكل ما ألقاه منه لاسبب له الا أنى نشدت : طلبت ـ والحمولة بفتح الحاء الابل وبضمها الأحمال ـ ولم أغفل : لم أترك التسآل عنها (٣) النكيثة : بلوغ الجهد ، وقيل الانتقاض ـ يريد متى يكن أمر عظيم أشهده (٤) الجلى : الأمر العظيم ـ والحماة الذائدون ـ يعنى أنه من أبطال الحروب (٥) القذع : الشتم القبيح ـ العرض : بالكسر ـ موضع المدح والذم من الانسان والتهدد : الانذار والتخويف (٦) أى هو متعد على بلا حدث أحدثته ، هجانى وطردنى ـ والمطرد : الطريد (٧) يقول لو أن مولاه رجلا آخر لفرج كربه وأنظره ولم يتعجله بما تعجله به ابن عمه من القدح والذم (٨) خانقى مكرهى على شكره على مالم يفعله ، والا فأنا هدف سهامه (٩) أما أنا فقد ضقت بهذا التجنى لأن ظلم الأقربين لا يحتمل ، بل هو أشد على النفس من ضرب السيوف البواتر ـ والمضاضة والغضاضة الايلام والايذاء (١٠) ضرغد : جبل بعيد (١١) قيس بن خالد . من بنى شيبان ـ وعمرو بن مرثد بن عم طرفة ، قيل لما بلغ هذا عمرو بن مرثد وجه إلى طرفة فقال له أما الولد فالله يعطيكهم ، وأما المال فلك فيه مالنا ، ثم دعا ولده وكانوا سبعة فأمر كل واحد فدفع لطرفة عشرا من إبله . ثم أمر ثلاثة من بنى بنيه فدفع كل واحد منهم الى طرفة عشرا من الابل

فَأصْبحتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وزَارنِى ... بَنُونَ كِرَامٌ سَادَةٌ لِمُسَوَّدِ
أنا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِى تَعْرِفونَهُ ... خَشَاشٌ كَرَأسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ
فَآلَيْتُ لاَ يَنْفَكُّ كَشْحِى بِطَانَةً ... لِعَضْبٍ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ
حُسَامٍ إذَا مَاقُمْتُ مُنْتَصِرًا بِهِ ... كَفَى الْعَوْدَ مِنْهُ الْبَدْءُ لَيْسَ بِمِعْضَدِ
أخِى ثِقَةٍ لاَ يَنْثَنِى عَنْ ضَرِيبَةٍ ... إذَا قِيلَ مَهْلاً : قَالَ حَاجِزُهُ قَدِى
وَبَرْكٍ هُجُودٍ قَدْ أثَارَتْ مَخَافَتِى ... نَوَادِيَهَا أمْشِى بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ (١)
فَمَرَّتْ كَهَاةٌ ذَاتُ خَيْفٍ جُلالَةٌ ... عَقِيلَةُ شَيْخٍ كالوَبِيلِ يَلَنْدَدِ (٢)
يَقُولُ وَقَدْ تَرَّ الوَظِيفُ وَسَاقُهَا ... أَلَسْتَ تَرَى أنْ قَدْ أتَيْتَ بِمُؤْيِدِ (٣)
وَقَالَ ألاَ مَاذَا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ ... شَدِيدٍ عَلَيْنَا بَغْيُهُ مُتَعَمِّدِ (٤)
وَقَالَ ذَرُوهُ إنَّمَا نَفْعُهَا لَهُ ... وَإلاَّ تَرُدُّوا قَاصِىَ البَرْكِ يَزْدَدِ (٥)
فَظَلَّ الإمَاءُ يَمْتَلِلْنَ حُوَارَهَا ... وَيُسْعَى عَلَيْنَا بالسَّدِيفِ المُسَرْهَدِ (٦)
فَإنْ مِتُّ فَانْعِينِى بِمَا أنَا أهْلُهُ ... وَشُقِّى عَلَىَّ الجَيْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبَدِ (٧)
وَلاَ تَجْعَلِينِى كَامْرِئٍ لَيْسَ هَمُّهُ ... كَهَمِّى وَلاَ يُغْنِى غِنَائِى وَمَشْهَدِى (٨)

---

(١) البرك : الابل الكثيرة البارکة — والهجود : النيام — يقول لما أقبلت بالعضب لأعقرها ثارت من مخافتى — ونواديها : ماند منها . (٢) الكهاة : الناقة السمينة — والخيف : الضرع — والجلالة الكبيرة — والوبيل : العصا — ويلندد : شديد العناد و المراس (٣) تر : بمعنى انقطع — والوظيف : مستدق الساق من الابل والخيل — والمؤيد : الأمر العظيم (٤) مارأيكم فى رجل شديد يبغى على الناس متعمداً — وجواب هذا السؤال فى البيت الآتى (٥) ذروه : اتركوا عناده — وان لم تكفوا عن لومه يزدد عقراً فى الأبل (٦) الحوار : الصغير من الابل — والسديف : السنام ، والمسرهد المقطع صغاراً (٧) انعينى : اذكرى من الأفعال ما أنا أهله — وهو يخاطب ابنة أخيه ، وشق الجيب معروف — ويراد به التنويه بشدة المصاب (٨) واحذرى أن تجعلينى هينا كرجل لايغنى غناء مثل غنائى ، ولايقوم فى الحرب مقامى ولايشهد مشهدى فى المجالس والخصومات

بَطِىءٍ عَنِ الجُلَّى سَرِيعٍ إلى الخَنَا ذَلِيلٍ بِإِجْمَاعِ الرِّجَالِ مُلَهَّدِ (١)
فلوْ كُنْتُ وَغْلاً فى الرِّجالِ لَضَرَّنى عَدَاوَةُ ذِى الاصْحَابِ وَالمُتَوَحِّدِ
ولَكِنْ نَفَى عَنِّى الأعادِىَ جُرْأَتِى عَلَيْهِمْ وَإِقْدَامِى وَصِدْقِى ومَحْتِدِى (٢)
لَعَمْرُكَ ما أَمْرِى عَلَىّ بِغُمَّةٍ نَهارِى ولاَ لَيلِى عَلَىّ بِسَرْمَدِ (٣)
وَيَوم حَبَسْتُ النَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهِ حِفاظاً عَلَى رَوْعَاتِهِ وَالتَّهَدُّدِ (٤)
عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى مَتَى تَعْتَرِكْ فيه الفَرَائِصُ تَرْعَدِ
وَأَصْفَرَ مَضْبُوحٍ نَظَرْتُ حِوارَهُ على النَّارِ وَاسْتَوْدَعْتُهُ كَفَّ مُجْمِدِ (٥)
أَرَى الموتَ أَعْدَادَ النُّفُوسِ ولا أَرَى بعيداً غداً مَا أَقْرَبَ اليومَ من غَدِ
سَتُبْدِى لَكَ الأَيامُ ما كنتَ جَاهلاً وَيَأْتِيكَ بالأَخْبَارِ مَنْ لم تُزَوِّدِ (٦)
وَيَأْتِيكَ بالأَنْبَاءِ مَن لم تَبِعْ لهُ بَتَاتاً وَلَم تَضْرِبْ له وقْتَ مَوْعِدِ (٧)
لَعَمْرُكَ ما الأَيَّامُ إلا مُعَارَةٌ فما اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِها فَتَزَوَّدِ (٨)
عن المَرْءِ لاَ تَسأَل وأَبْصِرْ قَرِينَهُ فإِنَّ القَرِينَ بالمُقَارِنِ مُقْتَدِ

(١) البطىء الكسول المتقاعد ـ والجلى : الأمر الخطير العظيم ـ والخنا : الفساد ـ والذليل المقهور ـ والملهد المضروب بجمع الكف (٢) يقول ان الجرأة والاقدام والصدق وكرم الأصل منعت عنه أعداءه من الاساءة اليه (٣) الغمة : الأمر الذى لايهتدى له ، والمعنى انى لا أتحير فى أمرى نهاراً ولا ليلا فيطول على الليل ـ والسرمد : الطويل (٤) العراك : الازدحام ـ أى صبرت النفس عند ازدحام القوم فى الحرب والخصومات على روعات اليوم وهن قرعاته (٥) الاصفر هنا : الأسود ـ والمضبوح : الذى قد غيرته النار ـــ نظرت : بمعنى انتظرت ـــ والحوار أو الحوير : الصوت ـ وذلك انهم كانوا فى شدة البرد يوقدون النار وينحرون الابل ويضربون عليها القداح ـــ المجمد : الذى يأخذ بكلتا يديه ولا يخرج من يديه شىء ، وقيل الذى يضرب بالسهام أو الامين فى القمار ـ ولعله هو المراد عند طرفة فى هذا المقام (٦) ستبدى : ستظهر ما كنت جاهلا : يعنى ما لم تسمع من قبل ، ويفيدك بها من لم تسأله عنها (٧) تبع له بتاتاً : تشترى له زاداً . (٨) لعمرك : وحياتك ليست الأيام الا معارة : عارية تسترد وتسترجع فاحرص على عمل الخير وصنع المعروف وتزود من ذلك كثيراً

لعَمْرُكَ مَا أدْرِى وَإنى لوَاجِلٌ أفِي الْيَومِ إقْدَامُ المَنِيَّةِ أمْ غدِ؟(١)
فإنْ تكُ خَلْفِى لاَ يفُتْهَا سوَادِيا وَإنْ تَكُ قُدَّامى أجِدْهَا بِمَرْصَدِ (٢)
إذَا أنْتَ لم تَنْفعْ بِوُدِّكَ أهلَهُ وَلَم تُنْكِ بالبُوسَى عَدوَّكَ فابْعَدِ (٣)

(٧) ﴿ أعْشَى قَيس ﴾

هو أبو بَصير مَيْمُون الأَعْشَى بنُ قَيْس بن جَنْدَل القَيْسِى ـ نَشأ فى بَدْء أمره رَاوِيةً لخاله «المُسَيّب بن عَلَس» وقد عَمِىَ: وطال عُمرُه، حتّى انبلَجَ فَجرُ الإسلام وعظُم أمرُ النّبى صلّى الله عليه وسلم بينَ العَرب، فأعدَّ له قَصيدة يمدحُه بها وقَصدَهُ بالحجاز، فلَقيَهُ كفّارُ قُريش وصدّوه عن وجهه على أن يَأخُذ منهم مائة ناقة حَمرَاء، ويرجعَ إلى بلده لِتَخوُّفِهم أثَر شعره: ففعَلَ، ولمّا قرُب من اليَمامة سقط عن ناقته، قُدِّفت عُنُقُهُ ومات، ودفن ببلدته «مَنْفُوحة» باليمامة.

شِعرُه: يُعَدُّ «الأعشَى» رابعاً لثلاثة الفُحُول: إمْرئ القيس، والنّابغة وزُهَيرٍ — وانْ كان يَمتازُ عنهم بغَزارة شعرِه، وكثرةِ ما رُوى له من الطِّوال الجِياد وتَفننّه فى كلّ فنّ من أغراض الشّعر — واشتَهر من بينهم بالمُبالغة فى وصف الخمر حتى قيل: (أشعرُ النّاس امرُؤُ القَيس إذَا ركِب، وزُهَيرُ إذَا رَغِب، والنّابغة إذَا رَهِب، والأَعشَى إذَا طرِب)

ولشعره طَلاَوة ورَوْعَة، ليست لكثير من شِعْر غيره من القُدَماء، ولقُوّة طبعه وجَلبَة شعره سُمِّى «صَنَّاجة العرب» حتى لَيُخَيَّل اليك إذَا أنشدتَ شعره أنّ آخَرَ يَنشِد معَك.

---

(١) وأنا وأنت وغيرنا لا يدرى ولا يعرف متى يحين حينه، وفى أى ساعة أو فى أى يوم يفارق الحياة ويهجر الدنيا (٢) فان تك خلفى: فهى جادة ورائى ولن أغرب عن عينها — وإن تك قدامى: فهى رقيبة مترصدة (٣) إذا لم تنفع ببرك الاقربين والاصدقاء واذا لم تلحق العطب بالاعداء ببطشك فاتخذ مكانا قصيا

ولجلالة شعره كان يَرفعُ الوضيعَ الخامِل ، ويَخفِضُ الشَّريف النابه ، ومن الَّذين رفعهم شعرُ الأعشَى «المُحلَّق الكِلابى» وقد كان أبا ثمانى بنات عوانس : رَغِبتْ عن خِطْبَتِهنّ الرجالُ لفقرهنّ ، فاستضافه على فقره ، فمدَحهُ الأعشَى ونوَّه بذكره فى «سُوق عُكاظ» فلم يمضِ عامٌ حتّى لم تبقَ جاريةٌ منهنَّ إلاّ وهى زَوجُ لسيّد كريم ، وكان الأعشَى يتطرَّف فى شعره ويتكسَّبُ به ، وعدَّهُ بعضهم من أصحاب المُعلّقات ، وذكر قصيدتهَ اللّاميَّة التى يمدحُ بها الاسود الكِندى — ومطلعها :

ما بُكاءُ الكَبير بالأطلالِ وسُؤالى وما تَردُّ سُؤالى

ومن جيِّد شعره قصيدتهُ التى أعدَّها ليُنشدِها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمدحه فيها فلم يَفُزْ بذلك — وأوّلها

ألم تَغتَمِض عيناكَ ليلةَ أرْمَدَا وبِتَّ كما باتَ السّليمُ مُسَهّدَا

وما ذاكَ من عِشق النِّساء وانّما تَناسَيتَ قبل اليوم خلَّةَ مَهْدَدا

ولكنْ أرَى الدّهرَ الّذى هُو خائنٌ إذَا أصلحتْ كفّاىَ عادَ فأفسدَا

شَبابٌ وشَيْبٌ وافتِقارٌ وثَروَة فللّهِ هٰذَا الدَّهرُ كيفَ تَردَّدَا

وقَصيدتهُ الّتى أنشدَها فى مدح المُحلَق أوّلها :

أرِقتُ وما هذَا السُّهادُ المؤَرِّقُ ؟ وما بِىَ من سُقْم وما بى تَعشُّقُ

ومنهـا :

لَعمرِى لقد لاَحتْ عيونٌ كثيرةٌ الى ضَوء نارٍ فى اليَفاعِ تَحرَّقُ

تُشَبُّ لِمقرُورَينِ يَصْطَليانِهَا وباتَ على النّار النَّدى والمُحلَّق

رَضيعَىْ لبانٍ ثَدىَ أُمٍّ تقاسَمَا بأسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لا نَتفرَّقُ

تَرى الجُودَ يَجرى ظَاهِراً فوقَ وجهِهِ كَما زَانَ مَتنَ الهِنْدُوانِّى رَوْنَقُ

يَداهُ يَدا صِدقٍ فكفٌّ مُبيدةٌ وأُخْرَى إذَا مَاضُنَّ بالمال تُنْفِقُ

وقيل : إن مُعلقتَه هِى التِى أوّلها

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنّ الرّكبَ مُرْتَحِلُ وهَل تُطيقُ وَدَاعاً أيُّها الرّجلُ (١)

غَرّاءُ فَرْعاءُ مَصقُولٌ عَوارِضُها تَمشِى الهُوَيْنى كما يَمشِى الوَجِى الوَحِلُ (٢)

كأنّ مِشيَتَها من بَيتِ جارَتِها مَرُّ السَّحابةِ ، لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ (٣)

تَسمعُ لِلحَلْى وَسْوَاساً إذَا انْصرفتْ كما استعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ (٤)

ليستْ كَمن يَكرَه الجيرانُ طَلْعَتَها ولا تَراهَا لسِرِّ الجَارِ تَختَتِلُ (٥)

يَكادُ يَصدَعُها (لولاَ تَشَدُّدُها) إذَا تَقومُ إلى جاراتِها — الكَسَلُ (٦)

إذَا تَقُوم يَضوعُ المِسْكُ أصورَةً والزَّنْبَقُ الوَرْدُ من أرْدَانِها شَمِلُ (٧)

---

(١) هريرة اسم قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها الى قريب له ، فولدت خليدا الآتى ذكره فى شعره .

(٢) الغراء : البيضاء الواسعة الجبين ، والفرعاء : الطويلة الفرع أى الشعر ، والعوارض هنا الرباعيات والأنياب من الاسنان ، يريد أنها نقية الاسنان ، الوجى : الذى يشتكى حافره ولم يحف بعد ، فيكون مشيه متثاقلا ، فكيف اذا كان وحلا ؟ أى يمشى فى الوحل . يعنى أن هذه الجارية لسمنها وتدللها تمشى متمهلة متمايلة .

(٣) الريث : البطء

(٤) الوسواس : صوت الحلى ، والعشرق : شجيرة مقدار ذراع لها أكمام فيها حب صغار إذا جفت فرت بها الريح تحرك الحب فسمع له خشخشة على الحصى . شبه وسواس حليها بصوته اذا ضربته الريح — والزجل : رفع الصوت بالطرب ، والزجل بالكسر صفة منه .

(٥) تختتل : أى تتسمعه استراقا .

(٦) يصفها بالسمن والترف ، وكانوا يمدحون المترفات بالكسل وقلة العمل فى البيت لانهن مخدومات متنعمات .

(٧) يضوع المسك : أى تذهب رائحته هنا وهناك ، وأصورة : جمع صوار بالضم ، وهو ناجفة المسك أو حقه ، والزنبق عند العرب : زيت الياسمين ، وأجوده ما كان يميل الى حمرة : ولذلك وصفه بالورد . (المعنى) اذا قامت هذه الجارية تضوع منها المسك شديدة رائحته كأنما تضوع من عدة حقاق ، وكذلك كانت رائحة زيت الياسمين المنبعثة من أطراف أكمامها شاملة عامة للمكان الذى هى فيه

ما رَوضةٌ من رياضِ الحَزْن مُعْشِبَةٌ ... خَضراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ (١)
يُضاحِكُ الشّمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بعَميمِ النَّبتِ مُكتَهِلُ (٢)
يوماً بأطيَبَ منها نَشْرَ رائحةٍ ... ولا بأحسنَ منها إذْ دنا الأُصُلُ (٣)
صَدَّتْ « هُرَيرةُ » عنّا ما تُكلِّمنا ... جهلاً بأمِّ خُلَيدٍ ، حبلَ مَنْ تَصِلُ؟ (٤)
أَأَنْ رَأَتْ رجلاً أَعشَى أَضرَّبِهِ ... رَيبُ المَنُونِ ودهرٌ مُفْنِدٌ خَبِلُ (٥)
قالت هُرَيرةُ لمّا جئتُ زائرَها : ... وَيْلِي عليكَ! وَوَيْلِي منك يارجلُ ! (٦)
إمّا تَرَيْنا حُفاةً ، لا نِعالَ لنا ... إنّا كذلك ما نَحْفَى ونَنْتَعِلُ (٧)

---

(١) الحزن : الأرض الغليظة ، والحزن المراد هنا : موضع ببلاد بنى يربوع من اليمامة فيه رياض وقيعان .

(٢) كوكب كل شيء : معظمه ـ ويريد به هنا جماعة الزهر ، أى يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها ، أو يتفتح ويشرق عند شروقها ، وهذا الزهر مؤزر أى يكنفه نبات تام النمو ملتف عليه كالتفاف الازار .

(٣) الأصل : جمع أصيل وهو من العصر الى الظلام ، وخص هذا الوقت لأن الجو يبرد فيه فيهب النسيم حاملا رائحة الأزهار ، يعنى أن رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة .

(٤) أم خليد : كنية هريرة وقوله (حبل من تصل ؟) استفهام تعجبى ، يعنى . اذا هجرتنا ولم تكلمنا فمن تكلم إذن ؟ .

(٥) الأعشى : الذى لا يبصر بالليل ، والمفند : الآتى بالفند وهو السفه فى الرأى ، ومثله الخبال .

(٦) « ويلي عليك وويلي منك » أى أتفجع عليك لأنك تسعى بزيارتك لى فى هلاك نفسك ، وأتفجع منك لأن زيارتك لى تجر الى هلاكى . (المعنى) أمن أجل أن رأتنى هريرة رجلا أعشى قد أهلك الموت أهله وخانه دهر سفيه مخبول تقول لى لمازرتها « ويلي عليك الخ »

(٧) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التى صدت عنه من أجلها طارئة عليه بفعل الموت والزمان ، وأنه كان شابا غنيا طروبا غزلا يشرب الخمر مع فتيان مثله ويستمع للقيان وينعم بهن فقال : « إما ترينا حفاة لا نعال لنا ... الخ » أى إن ترينا نتبذل مرة فنمشى حفاة فليس هذا دأبنا دائما فاننا نمشى أيضا منتعلين فطورا نفتقر وطورا نغنى .

وقد أقودُ الصِّبَا يوماً ، فيتبَعُنِي ... وقد يُصَاحِبُنِى ذُو الشِّرَّةِ الغَزِلُ (١)
وقد غَدَوتُ إلى الحانُوت يَتبُعُنِي ... شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ (٢)
فى فِتيَةٍ كسيُوف الهندِ قد عَلِمُوا ... أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحفَى وَيَنتَعِلُ (٣)
نَازعتُهم قُضُبَ الرَّيحَانِ مُتَّكِئاً ... وقَهوَةً مُزَّةً رَاوُوقُها خَضِلُ (٤)
لَا يَستفيقونَ منها ، وهى رَاهنةٌ ... إلاّ بِهاتٍ ، وإن عَلُّوا ، وإن نَهِلوا (٥)
يَسعَى بها ذو زُجَاجاتٍ له نَطَفٌ ... مُقَلِّصٌ أسفَلَ السِرْبال مُعتَمِلُ (٦)
ومُستجيبٍ تخالُ الصَّنْجَ يُسْمِعُه ... إذا تُرجِّعَ فيهِ القَيْنَةُ الفُضُلُ (٧)

---

(١) أقود الصبا الخ : أى أتصابى ، وآتى بافعال الفتيان ، ويصحبنى منهم الغزل ذو الشرة وهى : نشاط الشباب .

(٢) الحانوت : بيت الخمار ، والشاوى : الذى يشوى اللحم ، والمشل : السواق الخفيف ، والشلول والشلشل : الغلام الخمار الرأس الخفيف الروح النشيط فى عمله ، والشول : من يشول بالشىء الذى يشتريه المشترى ، فيحمله له ويرفعه . (المعنى) قد أبكر الى حانة الخمار يتبعنى غلام طاه يشوى لى اللحم ويسوق دابتى سوقا حسنا ويحمل لى ما أشتريه فى نشاط وخفة روح . وذكر هذه الألفاظ المتقاربة الحروف والمعانى مبالغة ، ولكنها عيبت عليه لما فيها من التنافر ومخالفة الذوق السليم ،

(٣) أى كالسيوف فى المضاء والصرامة وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف وجملة خبرها «هالك كل من ... الخ» فهالك خبر مقدم وكل مبتدأ مؤخر . (المعنى) أى فى فتية قد علموا أن جميع الناس هالكون فهم يبتدرون اللذات خوف أن يفوتها الموت عليهم

(٤) الريحان : كل زهر طيب الرائحة ، ونازعتهم قضب الريحان : أتناولها مرة ويتناولونها أخرى ؛ والقهوة : الخمرة ، والراووق : الوعاء الذى تروق فيه الخمر ، وخضل : دائم الندي لا يجف لكثرة شربهم .

(٥) راهنة دائمة أمامهم أى لا ينتهون إلا اذا أبطا عليهم الساق فصاحوا به «هات» ولو شربوا عللا بعد نهل أى مرة بعد أخرى .

(٦) النطف : القرطة من اللؤلؤ ، ومقلص مشمر ، والسربال : القميص ، والمعتمل : النشيط (المعنى) يسعى بالخمرة ساق يحمل زجاجاتها مقرط الاذن بلؤلؤ مشمر ذيله معتمل نشيط .

(٦) ومستجيب : أى ورب عود طرب مستجيب لصوت الصنج كأنه يسمعه النغم فيجيبه بمحاكاته ، أى أن العود والصنج متفقان فى النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر . والصنج : دوائر

(٨) الحارث بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِى

هو الحارثُ بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِىّ البَكرىّ، يتّصلُ نَسبُه الى يَشْكُرَ رَهْطٍ مِنْ بكر بن وَائل ولم يُؤثَر عنه غيرُ قِطع يسيرة ـ ومُعلّقته الآتية التى كان من أمْرِها أنّ عَمْرو بن هِنْد أحدَ ملوك الحِيرَة أصلحَ بين بكر وتَغلِب بعد حرب البسُوس ـ وأخذ من كِلا الفريقين رَهائنَ من أبنائهم، ليكُفَّ بعضُهم عن بعض وليُقيدَ منها للمُعتدَى عليه من المُعتدِى، فحدَث أن سَرّح الملك ركباً من تَغلِبَ فى بعضِ حاجتِه، فزعمتْ تَغلِبُ أنّ الركبَ نزلُوا على مَاءٍ لبكر فأَجْلَوْهم عنه، وحَملُوهم على المَفَازة فماتُوا عَطَشاً، وتزعُم بكرٌ أنّهم سقَوْهم وأَرشدُوهم الطّريق فتاهُوا وهلكوا، وذهبَ الفريقان يَتدافعان عِندَ عمرو بن هند، وكانت ضِلعُه مع تَغلَب، فهاج ذلك الحارثَ بنَ حِلِّزة، وكان فى المجلس مَستوراً عن الملك بِستَارة لمَا فيه من البَرَص، فارتجل قصيدته هذه ارتجالا يفتخر فيها بقومه وفِعالهم وحُسن بلائهم عند الملك وعِظَم أيّامهم معه، فما أتمّ قصيدَته حتى انقلب الملك الى جانب البكريين، وقَرَّب الحارثَ من مجلسه، وعُمِّر الحارثُ طويلاً حتى قيل إنه أنشد هذه القصيدة وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة، ومات قبل الهجرة بنحو خمسين سنة.

وشِعرُه: تَغلبُ عليه الجزَالةُ مع الأيجاز. واطّراد التعبير من طريق الحقيقة والتّشبيه فى الغالب، وكذلك مافيه من الطّابع البدوىّ الذى يَكادُ يَمتازُ به شعر الجاهليين — ومعلّقته هى

رقاق من صفر يصفق باحداهما على الاخرى وهى التى نسميها فى زماننا «الكاسات» وهو أيضا نوع من الآلات الوترية، وترجيع: تردد النغم، والقينة: الأمة، وقيل إذا كانت مغنية والمرأة الفضل: التى تلبس ثوبا واحدا كأنها متبذلة.

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ (١)
بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِبُرْقَةِ شَمَّا ءَ فَأَدْنَى دِيَارِهَا الخَلْصَاءُ (٢)
لا أَرَى مَنْ عَهِدْتُ فِيهَا فَأَبْكِى الْيَوْ مَ دَلْهًا وَمَا يُحِيرُ الْبُكَاءُ
غَيْرَ أَنِّى قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الْهَمِّ إِذَا خَفَّ بِالثَّوِىِّ النَّجَاءُ (٣)
بِزَفُوفٍ كَأَنَّهَا هِقْلَةٌ أُمُّ رِئَالٍ دَوِّيَّةٌ سَقْفَاءُ (٤)
آنَسَتْ نَبْأَةً وَأَفْزَعَهَا الْقُنَّـــاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَى الإِمْسَاءُ (٥)

ثم قال :

وَأَتَانَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالأَنْـ ـبَاءِ خَطْبٌ نُعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ (٦)
إِنَّ إِخْوَانَنَا الأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا فِى قِيلِهِمْ إِحْفَاءُ
يَخْلِطُونَ الْبَرِىءَ مِنَّا بِذِى الذَّنْـ ـبِ وَلا يَنْفَعُ الْخَلِىَّ الْخَلاءُ (٧)
زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْـ ـرَ مَوَالٍ لَنَا ، وَأَنَّا الْوَلاءُ (٨)

---

(١) آذنتنا أعلمتنا ، وبينها : : بفراقها لنـا ، وثاو : مقيم ، أى كثيرا ما تكره إقامة المقيم بين قوم لثقل كلفته أو لشره ، وأسماء ليست من هؤلاء ، ففراقها شاق علينا

(٢) برقة شماء مكان — والخلصاء لذلك . الثوى المقيم والنجاء الاسراع . (٤) الزفيف اسراع النعامة فى سيرها والمراد المبالغة فى وصف الناقة بالسرعة . والهقلة النعامة والرئال أولادها والواحد رأل والدو المفازة والدوية المنسوبة اليها والسقفاء الطويلة مع انحناء (٥) آنست أحست والنبأة الصوت الخفى والقناص الصيادون (٦) نعنى به : نقصد به نحن دون غيرنا . ونساء به : يصيبنا منه سوء ، والأراقم : أحياء من تغلب معادية لبنى بكر قبيلة الشاعر ، ويغلون علينا : يتجاوزون الحد فى التقول علينا ، والقيل : القول والاحفاء : شدة الالحاح والاستقصاء (المعنى) بلغنا من الاخبار خبر يقصد به اساءتنا ، وهو أن الاراقم من تغلب يغالون ويتشددون فى نسبة مالم نفعل الينا . (٧) الخلى هنا : الخالى من الذنب ، والخلاء : الخلو من الذنب كذلك ، أى لا تنفع عندهم البرىء براءته من الذنب فهم يأخذونه بذنب المجرم .

(٨) أى فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤاخذ عليه ؛ فعندهم أن كل من ضرب حمارا مثلا مذنب ، وأنه من موالينا وانصارنا ، ونحن دون غيرنا ولاته وأنصاره .

أجمعُوا أمْرَهم عِشاءً فلمَّا أصبحُوا أصبحتْ لهم ضَوْضاءُ :
من مُنادٍ ، وَمنْ مُجيبٍ ، ومن تَصْـ ـهالِ خَيْلٍ خِـلالَ ذاكَ رُغَاءُ (١)
أيُّها النّاطقُ المُرقِّشُ عنّا عند عَمْرٍو ، وهل لِذاكَ بَقاءُ ؟ (٢)
لا تَخَلْنَا عـلى غِراتِك ، إنَّا قَبْلُ ما قد وَشَى بنَا الأعداءُ (٣)
فَبَقِيـنا على الشَّنَاءةِ تَنمِيـ ـنَا حُصُونٌ ، وعِزّةٌ قَعساءُ (٤)
قبلَ ما اليومِ بَيَّضَتْ بعُيون النّـ ـاس فيها تَعَيُّطٌ وإباءُ (٥)
وكأنّ المَنُونَ تَرْدِى بنَا أرْ عَن جَوناً يَنجابُ عنه العَماءُ (٦)
مُكْفَهِرًّا عـلى الحَوادث لاتَرْ تُوهُ للدّهر مُؤْيِدٌ صَمَّاءُ (٧)

---

(١) أى يتلمسون أى ذنب ، ويتشاورون فى الليل فى أمر حربنا ، والتعبئة له فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبة وضوضاء من مناد الخ . قيل إن هذين البيتين أوجز ما قيل فى وصف التأهب للارتحال وأصدقه وأوضحه تصويرا للحقيقة .

(٢) المرقش : المزين القول بالباطل ، وهل لذلك الخ : أى لتزيينك الباطل دوام .

(٤) لاتخلنا : أى لاتحسبنا ، والغرة : اسم مصدر من الاغراء ، ومازائدة والمفعول الثانى محذوف (المعنى) لاتحسبنا جازعين لاغرائك الملك بنا ؛ فمن قبلك وشى بنا الاعداء فلم يفلحوا .

(٤) الشناءة : البغض ، وتنمينا : ترفعنا . والقعساء : الثابتة : أى فبقينا على بغضك لنا ، فى عزة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم مكروه .

(٥) قبل ما اليوم : أى قبل اليوم وما زائدة ، وبيضت بعيون الناس : بيضتها أى أعمتها والباء زائدة ، والتعيط : الترفع والاباء (المعنى) قبل اليوم أعمت عزتنا القعساء أبصار الناس ، فلا يتطلعون الى إذلالنا ، وكان فى عزتنا ترفع وإباء عن أن تنال بسوء .

(١) تردى : ترمى وترجم ، والباء فى (بنا) للتجريد نظير قولهم : لئن لقيت فلانا لتلقين به الاسد ، أى لتلقين الاسد ، أى هو كالاسد . والارعن هنا الجبل الذى له حدود وأطراف تخرج عن معظمه ، والجون : الاسود ، وينجاب عنه : ينشق عنه ، والعماء : السحاب الابيض (المعنى) كأن المنون اذا رمتنا انما ترمى جبلا عاليا يشق السحاب ، وذلك من منعتنا وقوتنا .

(٧) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر ، والمكفهر من الجبال : الصلب المنيع ، ولا ترتوه : لا تنقصه وتنال منه ، والمؤيد : الداهية . وصماء لا تسمع اعتذارات ، أى أن هذا الجبل منيع على حوادث الدهر لاتنال منه الدواهى الصماء

أَيُّهَا خُطَّةٍ أَرِدْتُمْ فَأَدُّو ها إلينا تَمشِي بها الأَمْلاءُ (١)
إِنْ نَبَشْتُم ما بين مِلْحَةَ فالصّا قِبُ فيه الأَمواتُ والأحياءُ (٢)
أو نَقَشْتُم ، فالنّقشُ يَجْشَمُهُ النّا سُ ، وفيه الصَّلاحُ والإِبْرَاءُ (٣)
أو سَكَتُّمْ عنّا ، فكُنَّا كمَن أغ مَضَ عَيناً فى جَفنِها أَقْذَاءُ (٤)
أو مَنعتُم ما تُسألُون فَمَن حُدَّ ثْتُمُوهُ له عَلَينا العَلاءُ ؟ (٥)
هل علِمتمْ أيامَ يُنتَهبُ النّا سُ غِوَاراً لِكلّ حيٍّ عُواءُ (٦)
إذْ رَكِبْنا الجمالَ من سَعَفِ البحْ رَينِ سَيْراً حتى نِهَاها الحِسَاءُ (٧)

---

(١) الخطة : الامر يقع بين القوم . ، أوالاقدام على الأمر : والأملاء : جمع ملأ ، وهم الأشراف والرؤساء . (المعنى) أى أمر أو طريقة تجرون عليها فى معاملتنا فابعثوها الينا مع سادتكم وسفرائكم .

(٢) ملحة والصاقب : موضعان — أى إن كانت الخطة التى ترضونها أن تثيروا القتال الذى وقع بيننا فى هذين المكانين ففيه أموات وأحياء أى فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدركوا منا ثأرهم — وحذفت الفاء الواقعة فى جواب الشرط (وهو فيه الأموات الخ . للضرورة ، أو أن جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك ، أو أن جواب الشرط الا تى له ولهذا .

(٣) أو نقشتم أى دققتم فى الاستقصاء ، ويجشمه : يتكلفه على مشقة . (المعنى) إن دققتم الحساب فيما وقع بيننا وبينكم فان ذلك مع مافيه من المشقة والكلفة يفضى بنا الى صلاح أمورنا وإبرائنا من العار .

(٤) وإن سكتم عنا فانا نسكت ، ونغضى أعيننا على القذى لأن الحق فى جانبنا .

(٥) وان منعتم ماتسالون فيه من الصلح والتراضى فمن الذى أخبرتم أن له العلو علينا ؟ حتى تطمعون فينا — وحدث هنا تعدت الى ثلاثة مفاعيل .

(٦) غوارا : أى مغاورة بعض على بعض ، والعواء : الصياح . (المعنى) إن كنتم لاتنتهون عنا فقد علمتم فعالنا وحفظنا لأنفسنا ، بل تغلبنا على غيرنا من قبائل تميم فى تلك الايام التى تعرفونها أيام كان الناس ينهب بعضهم بعضا ، ويغير بعضهم على بعض ، وفى كل حى منهم صياح .

(٧) يريد بالسعف النخل ، والحساء : جمع حسى . وهو الرمل يكون الماء تحته قريبا . أى هل علمتم اذ ركبنا الجمال من نخل البحرين حتى انتهينا الى الحساء .

ثُمَّ مِلْنا على تَميم فأحْرَمْـ نَا وفينَا بَناتُ مُرٍّ إماءُ (١)
لا يُقيم العزيزُ بالبلَد السهـ لِ ، ولا ينفعُ الذَّليلَ النَّجاءُ (٢)
ليس يُنجِى مُوَائِلا من حِذارٍ رَأسُ طَودٍ وحَرةٌ رَجْلاءُ (٣)
فملكْنَا بذلك النّاسَ حتّى مَلك المُنذرُ بنُ مَاءِ السّماءُ

(٩) ﴿لَبِيدُ بن رَبيعَةَ العَامِرِى﴾

هو أبو عُقيل لَبيدُ بن رَبيعة العَامِرىّ أحد أشْرَاف الشّعراء المُجيدين ، وهو من بَنى عامر بن صَعْصَعة احدى بُطون هَوازن من مُضَر ، وأُمُّهُ عبسية ، نشأ لَبيد جوَاداً شجاعاً فاتكاً ، أمّا الجُود فورثه عن أبيه المُلقّب بربيعة المعْتَرِّين . وأما الشجاعةُ والفتكُ فهما خَصلتا قبيلته ، اذ كان عمُّهُ مُلاعبُ الأسنَّة أحدَ فُرْسان مُضَرَ فى الجاهليّة ، وكانَ بين قبيلته و بين بنى عَبْس أخواله عدَاوة شديدة ـ فاجتمع وفداهما عند النّعمان بن المُنذر ، وعلى العبسيّين الرّبيعُ بن زياد — وعلى العَامريين مُلاعبُ الأسنَّة ، وكانَ الرّبيع مُقَرَّباً عند النّعمان يُؤَاكِله و يُنادمه فأوغَر صدرَه على العامريّين ، فلمّا دخل وفْدُهم على النّعمان أعْرَض عنه فشقَّ ذلك عَليهم — ولَبيد يومئذٍ صغير ، يسرحُ إبلَهم و يَرْعاها ، فسألهم عن خَطْبهم فاحتقَروه لِصغره ، فألحَّ حتى أشركوه معهم ، فوعدهم أنه سَيَنْتَقِم لهم منْهُ غَدًا عِنْد النّعمان أسوأ انتقام : بهجاء لا يُجالسه بَعْده ولا يُؤاكله ـ فكان ذلك ، ومَقَت النّعمان الرّبيع ولم يَقْبل له عذراً

---

(١) فاحرمنا : أى دخلنا فى الأشهر الحرم فامتنعنا عن قتالهم وفينا بناتهم سبايا . ومر أبو تميم

(٢و٣) النجاء : الاسراع والفرار ، والموائل : الذى يطلب موئلا أى ملجا ، والطود : الجبل والحرة : الأرض ذات الحجارة السوداء . والرجلاء : الغليظة . (المعنى) أن الشدة كانت عامة فلم يقم العزيز فى البلد السهل لما فيه الناس من الخوف . ولم ينفع الذليل فراره ولو التجاء الى رأس جبل أو تحصن فى حرة غليظة .

وأكرمَ العامريّين وقضَى حوائجهم ، فكان هذا أوّلَ ما اشتهرَ به لَبيد ـ ثم قال بعد ذلك المقطّعات والمطوّلات ـ وشهد النّابغة له وهو غُلَام بأنه أشعرُ هَوازن ولمّا ظهَر الإسلام وأقبلت وُفُود العرب على النّبى صلّى الله عليه وسَلّم جاء لَبيد فى وفد بنى عامر وأسْلم ، وعاد إلى بلاده وحَسُن إسلامه ، وتَنسّك وحفِظ القرآن كلّه

وقال الحمد لله إذْ لَم يَأتِنى أَجلِى حتّى اكْتَسيْتُ من الاسلامِ سِربَالا وهجر الشعر حتى لم يُروَ له فى الاسلام غير بيت واحد ـ وهو :

ما عَاتبَ الحُرَّ الكريم كنفسه والمرء يُصلحهُ الجليسُ الصَّالحُ

وبعدَ أن فُتحت الأمْصَار ذَهَب إلى الكُوفة زمن عمر بن الخطَّاب واختارها دار إقامة . وما زال بالكوفة حتى مات فى أوائل خِلافة معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، وقد قيل انّه عاش ثلاثين ومائة سنة .

شعره — نبغ فيه وهو غلام — وجرى فيه على سَنَن الأشراف والفرسان فمن قوله يرثى أخاه أرْبد :

بَلينا وما تَبلَى النُّجومُ الطَّوالعُ وتَبقَى الدّيارُ بعدنا والمصانعُ
وقد كنتُ فى أكناف جارِ مَضنَّةٍ ففارقنى جارٌ بأربدَ نافعُ
فلا جزَعٌ إنْ فرّق الدّهر بيننا فكلّ امرىءٍ يوماً به الدّهر فاجعُ
وما النّاسُ إلاّ كالدّيَار وأهْلِها بها يوم حلّوها وراحوا بلاقعُ
وما المرءُ إلاّ كالشّهاب وضوئهِ يَحورُ رَماداً بعد إذْ هُو ساطعُ
وما المالُ والأهلونَ إلاّ وَدائعٌ ولا بُدَّ يوماً أن تُرَدَّ الودَائعُ
لَعمرُك ماتَدرِى الضَّوَارِبُ بالْحَصَى ولا زَاجرَاتُ الطّيْرِ مَا اللهُ صَانعُ
وما النّاس إلاّ عاملانِ : فعامل يُتبّر ما يَبنى وآخرُ رافعُ

فمنهمْ سعيدٌ آخذٌ بنصيبه ومنهمْ شقيٌّ بالمعيشة قانعُ

ومن جيدِّ الشعر وأبلغه أيضا

﴿ معلقة لَبيد بن رَبيعة العامِرِى ﴾

عفتِ الدِّيارُ مَحلُّهَا فَمُقامُها بِمنًى تأبَّدَ غَوْلُها فَرِجَامُها (١)

فَمَدَافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّىَ رَسْمُها خَلَقاً كَماضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُها (٢)

دِمَنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنيسِها حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلالُها وحَرامُها (٣)

رُزِقَتْ مَرابِيعَ النّجُومِ وصَابَها وَدْقُ الرَّوَاعِدِ جَوْدُها فَرِهَامُها (٤)

مِنْ كلِّ سارِيةٍ وغادٍ مُدْجِنٍ وَعَشِيَّةٍ مُتَجَاوِبٍ إِرْزامُها (٥)

فَعَلاَ فُرُوعُ الأَيْهُقانِ وأَطْفَلَت بالْجَلْهَتَيْنِ ظِبَاؤُهَا وَنَعامُها (٦)

وَالعِينُ ساكِنَةٌ عَلَى أَطْلائِها عُوذاً تَأَجَّلُ بالْفَضَاءِ بِهَامُها (٧)

وجَلاَ السُّيُولُ عَنِ الطُّلول كأنّها زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلامُها (٨)

---

(١) عفت : درست — والمحل والمقام : موضع الحلول والاقامة — ومنى : موضع فى وسط نجد قريب من طخفة وليس بمنى مكة — تأبد توحش . الغول والرجام جبلان (٢) الريان : واد بحمى ضرية ـ ومدافعه : مجارى المياه به حيث يندفع السيل وعرى رسمها خلقا : أى ظهر باليا — الوحى : جمع وحى المكتوب ـ والسلام : الحجارة . يذكر أن مدافع الريان لم تبق منها غير آثار تشبه آثار الكتابة على الاحجار . (٣) الدمن : ما اجتمع من آثار الديار — تجرم : مضى — حجج : السنة — خلون : مضين . (٤) المرابيع . أوائل الامطار فى الربيع . والنجوم . الانواء — صابها : مطرها وجادها — والودق : المطر ، وجوده : غزيره ، ورهامه : لينه وصغيره يذكر أن تلك الدمن رزقت مرابيع النجوم وجادتها السحب والرواعد بالمطر الغزير والمطر الغزير (٥) السارية . السحابة — وغاد . يسير بالغداة — مدجن . مظلم . لان الغيم اذا انتشر ملاء الجو بالدجنة وهى الظلمة — والارزام . صوت الرعد (٦) الايهقان النبت — أطفلت . أصبحت ذات أطفال — الجلهتين . الجهتين (٧) العين . البقرة وأطلاؤها . أولادها والعوذ . حديثة النتاج لان ولدها يعوذ بها — تأجل تجمع وصار اجلا ، والاجل القطيع — والبهام . أولاد الضأن والمعز والبقر (٨) يريد أن السيول كشفت عن الطلول فظهرت كالكتب تجدد ظهورها الاقلام — والزبر . جمع زبور وهو الكتاب

أَوْ رَجْعُ وَاشِمَةٍ أُسِفَّ نَؤُورُها ... كِفَفاً تَعَرَّضَ فَوْقَهُنَّ وِشَامُها (١)

فَوَقَفْتُ أَسْأَلُها؟ وكَيْفَ سُؤَالُنا ... صُمًّا خَوَالِدَ مَا يَبِينُ كَلامُها (٢)

عَرِيَتْ وكانَ بِهَا الجَمِيعُ فَأَبْكَرُوا ... مِنْها وغُودِرَ نُؤْيُها وَثُمَامُها (٣)

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا ... فَتَكَنَّسُوا قُطُناً تَصُرُّ خِيَامُها (٤)

مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ ... زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وَقِرَامُها (٥)

زُجُلاً كَأَنَّ نِعاجَ تُوضِحَ فَوْقَها ... وَظِبَاءَ وَجْرَةَ عُطَّفاً أَرْآمُهَا (٦)

حُفِزَتْ وَزَايَلَها السَّرَابُ كَأَنَّها ... أَجْزَاعُ بِيشَةَ أَثْلُها وَرِضَامُهَا (٧)

بِلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ «نَوَارَ» وَقَدْ نَأَتْ ... وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا (٨)

مُرِّيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدَ وَجَاوَرَتْ ... أَهْلَ الحِجَازِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا؟ (٩)

---

(١) الواشمة . من تحلى الأيدى بالوشم — يذكر أن السيول تفعل بالطلول ما يفعل الوشم بالأنامل حين يملؤها بالخطوط ، أى ان السيول تظهر بالطلول ألوانا من الآثار (٢) الصم البواقى وهى الأثافى — مايبين . لايظهر (٧) عريت . خلت ـ أبكروا . ساروا فى البكرة وغودر . ترك والنؤى . حفير حول الخباء يمنع السيل — والثمام . نبت ضعيف (٤) الظعن . الجمال عليها الهوادج أو هى النساء فى الهوادج ، تكنست الظباء . سكنت الكناس — والقطن . الهوادج ، تصر خيامها . يسمع لها صرير — يريد أن ظعن الحى تركوا وطنهم وأسكنهم الرحيل رحالا يصفق بها الريح (٥) محفوف : صفة للهودج يحفف بالديباج ويزدان بجانباه — يظل . يغطى أو يظلل والعصى هنا أعواد الهودج — والزوج . بساط يفرش على الهودج — والكلة ستر رقيق — والقرام ثوب ملون منقوش (٦) زجل . الجماعة — توضح ، ووجرة . موضعان — النعاج . البقر — عطف . الظبية تعطف جيدها اذا ربضت — يذكر أن النساء فوق الهوادج كانهن النعاج أو الآرام والاعلام (٧) حفزت . حثت على المسير وزايلها . فارقها — السراب : بياض يرى من بعد كانه ماء — بيشة : واد — والاجزاع منعطف الوادى — الاثل : نوع من الشجر — والرضام صخور عظام . يصف الهوادج بالضخامة حتى ليحسبها الرائى أجزاع بيشة فى أثلها ورضامها (٨) نوار . اسم حبيبته — الرمام . القطعة من الحبل البالى — يريد أن الوصل تقطعت به الاسباب . (٩) مرية . تنسب الى مرة ابن عوف — فيد . موضع فى طريق مكة مرامها . منالها .

بِمَشَارِقِ الجَبَلَيْنِ أو بِمُحَجَّرٍ ... فَتَضَمَّنَتْهَا فَرْدَةٌ فَرُخَامُهَا (١)

فَصَوَائِقٌ إِنْ أَيْمَنَتْ فَمَظِنَّةٌ ... مِنْهَا وَحَافُ القَهْرِ أَوْ طِلْخَامُهَا (٢)

فَاقْطَعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصْلُهُ ... وَلَشَرُّ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُهَا (٣)

وَأَحَبُّ المُجَامِلَ بِالجَزِيلِ وَصَرْمُهُ ... بَاقٍ إِذَا ظَلَعَتْ وَزَاغَ قِوَامُهَا (٤)

بِطَلِيحِ أَسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً ... وَأَحَنَّ صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا (٥)

فَإِذَا تَغَالَى لَحْمُهَا وَتَحَسَّرَتْ ... وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ الكَلَالِ خِدَامُهَا (٦)

فَلَهَا هِبَابٌ فِي الزِّمَامِ كَأَنَّهَا ... صَهْبَاءُ رَاحٍ مَعَ الجَنُوبِ جَهَامُهَا (٧)

أَوْ مُلْمِعٌ وَسَقَتْ لَأَحْقَبَ لَاحَهُ ... طَرَدُ الفُحُولِ وَضَرْبُهَا وَكِدَامُهَا (٨)

يَعْلُو بِهَا حَدَبَ الإِكَامِ مُسَحَّجٌ ... قَدْ رَابَهُ عِصْيَانُهَا وَوِحَامُهَا (٩)

بِأَحِزَّةِ الثَّلْبُوتِ يَرْبَأُ فَوْقَهَا ... قَفْرُ المَرَاقِبِ خَوْفُهَا أَرْآمُهَا (١٠)

---

(١) الجبلان . أجأ وسلمى — محجر : جبل فى بلاد طىء — فردة . اسم أرض — والرخام ، موضع كثير الاشجار (٢) الصوائق ، جبل قرب مكة وتروى فصعائد وأيمنت . سارت نحو اليمن . وحاف . الصخرة السوداء ، والقهر . اسم موضع — والطلخام الفيلة (٢) اللبانة الحاجة — تعرض . تغير (٤) واحب . أعط — المجامل المكافىء وصرمه باق . أى وقطيعته باقية — إذا ظلعت : اذا مالت مودته عنك — وزاغ قوامها أى ملاكها (٥) الطليح . الناقة المعيبة . وأحنق بمعنى ضمر — وصلبها . ظهرها وسنامها . أعلاها (٦) تغالى . ارتفع من الهزال وتحسرت . تقطعت ، والكلال الاعياء ، والخدام . سيور تربط فى نعال تنعل بها الابل اذا حفيت الى أرساغها (٧) الهباب . النشاط . والصهباء . السحابة التى لم يكن فيها ماء — والجهام الذى لا ماء فيه — والجنوب هى الريح اليمانية (٨) الملمع . الأتان التى قد بان حملها واسودت حلماتها ، وسقت . أى . حملت ماء الفحل ، والأحقب من الحمر الذى فى موضع حقيبته بياض — لاحه . أضمره وأهزله ، والكدام . العضاض (٩) يعلو . يرتفع . الحدب . ما ارتفع من الأرض المسحج . المعضض . رابه . أى شككه . والعصيان . الامتناع ، والوحام . الكراهية للشىء . (١٠) أحزة . ما غلظ من الأرض . الثلبوت . موضع فى نجد — يربأ . يرتفع — قفر المراقب عالى موضع الارتقاب — والآرام . الأعلام .

حَتَّى إذَا سَلَخَا «جُمَادَى» سِتَّةً ... جَزْءاً فَطَالَ صِيَامُهُ وَصِيَامُهَا (١)

رَجَعَا بأَمْرِهِما إلى ذِي مِرَّةٍ ... حَصِدٍ وَنُجْحُ صَرِيمَةٍ إبْرَامُهَا (٢)

وَرَمى دَوَابِرَهَا السَّفَا وَتَهَيَّجَتْ ... رِيحُ المَصَايِفِ سَوْمُهَا وَسِهَامُهَا (٣)

فَتَنَازَعَا سَبَطاً يَطِيرُ ظِلالُهُ ... كَدُخَانِ مُشْعَلَةٍ يَشِبُّ ضِرَامُهَا (٤)

مَشْمُولَةٍ غُلِثَتْ بِنَابِتِ عَرْفَجٍ ... كَدُخَانِ نَارٍ سَاطِعٍ أَسْنَامُهَا (٥)

فَمَضَى وَقَدَّمَهَا وَكَانَتْ عَادَةً ... مِنْهُ إذَا هِيَ عَرَّدَتْ إقْدَامُهَا

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا ... مَسْجُورَةً مُتَجَاوِراً قُلَّامُهَا (٦)

مَحْفُوفَةً وَسْطَ الْيَرَاعِ يُظِلُّهَا ... مِنْهَا مُصَرَّعُ غَابَةٍ وَقِيَامُهَا (٧)

أَفَتِلْكَ ؟ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ ... خَذَلَتْ وَهَادِيَةُ الصُّوَارِ قَوَامُهَا (٨)

خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ الفَرِيرَ فَلَمْ يَرِمْ ... عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا (٩)

---

(١) أراد ستة أشهر أولها المحرم وآخرها جمادى — جزءاً : أى استغنيا بالرطب من الكلاء عن الماء — والصيام : عن الماء — وسلخا : أى مضى عليهما (٢) رجعا : الأتان والحمار — بأمرهما : برأيهما — ذى مرة : قوة — يعنى الحمار ، حصد : محكم وصريمة : عزيمة — والابرام الاحكام (٣) الدوابر : ما خير الحوافر — والسفا شوك البهمى هنا — المصايف : الرعى أيام الصيف — سومها : مرها — السهام وهج الصيف وشدة حره (٤) تنازعا : تجاذبا — سبط ممتدا منتشراً : ظلال — الغبار والمشعلة : النار — يشب : يرتفع — الضرام : الحطب (٥) أسنم الدخان : اذا ارتفع وكثر — غلثت : خلطت — العرفج : كثير الدخان — ساطع : مرتفع . (٦) توسطا : دخلا وسطه — عرض السرى : ناحية النهر — وصدعا : فرقا — مسجورة : أى عينا مملوءة (٧) محفوفة : محوطة من جميع جوانبها ، يعنى العين — مصرع : بعضه فوق بعض والغابة : الأجمة وهى الشجر الملتف (٨) أفتلك : الأتان — أم وحشية : بقرة الوحش — مسبوعة : أكل السبع ولدها — خذلت : تأخرت عن البقر ، والخذول المتخلفة — وهادية : متقدمة والصوار : جماعة البقر والظباء — قوامها ملاكها يعنى أنها هى التى تدلهم وتهديهم الى الماء (٩) خنساء : قصيرة الأنف — الفرير : ولد البقرة — يرم : يبرح — عرض : أى ناحية — الشقائق : جمع شقيقة وهى مابين الرملتين — وطوفها : أى دورانها وترددها — وبغامها : صوتها

لِمُعفَّرٍ قَهْدٍ تَنازَعَ شِلْوَهُ ... غُبْسٌ كَواسِبُ مَا يُمَنُّ طَعامُها (١)

صادَفْنَ مِنْها غِرَّةً فأصَبْنَها ... إنَّ المَنايَا لا تَطِيشُ سِهامُها (٢)

باتَتْ وأَسْبَلَ واكِفٌ مِنْ دِيمَةٍ ... يَرْوِي الخَمائِلَ دائِماً تَسْجامُها (٣)

تَجْتافُ أَصْلاً قالِصاً مُتَنَبِّذاً ... بِعُجُوبِ أَنْقاءٍ يَمِيلُ هُيامُها (٤)

يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِها مُتَواتِراً ... فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ ظَلامُها (٥)

وَتُضِيءُ فِي وَجْهِ الظَّلامِ مُنِيرَةً ... كَجُمانَةِ البَحْرِيِّ سُلَّ نِظامُها (٦)

حَتَّى إذا انْحَسَرَ الظَّلامُ وأَسْفَرَتْ ... بَكَرَتْ تُزَلُّ عَنِ الثَّرَى أَزْلامُها (٧)

عَلِهَتْ تَبَلَّدُ فِي نُهاءِ صُعائِدٍ ... سَبْعاً تُؤاماً كامِلاً أَيَّامُها (٨)

حَتَّى إذا يَئِسَتْ وأَسْحَقَ حالِقٌ ... لَمْ يُبْلِهِ إرْضاعُها وَفِطامُها (٩)

وَتَسَمَّعَتْ رِزَّ الأَنِيسِ فَراعَها ... عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ والأَنِيسُ سُقامُها

فَغَدَتْ كِلا الفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ ... مَوْلَى المَخافَةِ خَلْفُها وأَمامُها (١٠)

---

(١) المعفر ، ولد البقرة ـ والقهد : الأبيض ـ تنازع : تجاذب ـ شلوه : واحد الاشلاء وهى الاعضاء ـ وغبس : الذئاب الغبر وكواسب تكسب ما تاكل ـ مايمن طعامها : ليس أحد يمن به عليها (٢) صادفن : وجدن ـ غرة : غفلة ـ فاصبنها : أوقعنها ـ لا تطيش : لا تخطىء (٣) أسبل : هطل ـ الواكف : المطر يقيم أياماً لا ينقطع ـ الخمائل : الشجر الملتف والتسجام : كثرة المطر (٤) تجتاف : تدخل جوفه ـ أصلا قالصاً : منقضاً يعنى أصل شجرة ـ بعجوب : أصل الذنب ، يعنى أطراف الرمال ـ متنبذاً : متنحياً ـ وأنقاء : جمع نقا وهو الكثيب يميل : يتداعى وينهار ـ هيامها : الضمير راجع الى الانقاء ـ والهيام الرمل الذى لا يتماسك وكذلك الهار (٥) الطريقة : الخطة ـ متواتراً : متتابعاً ـ كفر : غطى ـ والغمام : السحاب (٦) تضىء : تنير والجمانة : الحب من اللؤلؤ ـ سل نظامها : وهو الخيط الذى يسلك فيه اللؤلؤ (٧) انحسر الظلام : انكشف ـ أسفرت : دخلت فى الأسفار وهو الصبح . بكرت : غدت بكرة ـ تزل : تسرع ـ الثرى : التراب ـ أزلامها : قوائمها (٨) عهلت : تحيرت ـ تبلد : تتردد وتتحير ـ فى نهاء : غاية ـ الصعايد : المكان المرتفع ـ تؤاماً : أى متتابعة لياليها (٩) أسحق : ارتفع ـ والحالق المرتفع وهو ضرعها ـ والحالق الجبل المرتفع (١٠) الفرجان : ما بين القوائم ، مولى المخافة : صاحب المخافة

حَتَّى إِذَا يَئِسَ الرُّمَاةُ وَأَرْسَلُوا ... غُضْفاً دَوَاجِنَ قَافِلاً أَعْصَامُهَا (١)

فَلَحِقْنَ وَاعْتَكَرَتْ لَهَا مَدَرِيَّةٌ ... كَالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّهَا وَتَمَامُهَا (٢)

لِتَذُودَهُنَّ وَأَيْقَنَتْ إِنْ لَمْ تَذُدْ ... أَنْ قَدْ أَحَمَّ مَعَ الحُتُوفِ حِمَامُهَا (٣)

فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابِ فَضُرِّجَتْ ... بِدَمٍ وَغُودِرَ فِي المَكَرِّ سُخَامُهَا (٤)

فَبِتِلْكَ - إِذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحَى ... وَاجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا (٥)

أَقْضِي اللُّبَانَةَ لاَ أُفَرِّطُ رِيبَةً ... أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لَوَّامُهَا (٦)

أَوْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي «نَوَارُ» بِأَنَّنِي ... وَصَّالُ عَقْدِ حَبَائِلٍ جَذَّامُهَا ؟ (٧)

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا ... أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا (٨)

بَلْ أَنْتِ لاَ تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ ... طَلْقٍ لَذِيذٍ لَهْوُهَا وَنِدَامُهَا

قَدْ بِتُّ سَامِرَهَا وَغَايَةِ تَاجِرٍ ... وَافَيْتُ إِذْ رُفِعَتْ وَعَزَّ مُدَامُهَا (٩)

أُغْلِي السِّبَاءَ بِكُلِّ أَدْكَنَ عَاتِقٍ ... أَوْ جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا (١٠)

---

(١) الغضف : جمع أغضف وهى الكلاب - والدواجن : جمع داجن وهى الكلاب المرباة للصيد والقافل : اليابس — والاعصام : الحبال التى فى أعناق الكلاب (٢) اعتكرت : اجتمعت ورجعت - مدرية : محددة - والسمهرية : الرماح المنسوبة الى سمهر وهو رجل كان يقوم الرماح باليمن : رأى أن البقرة لما لحقتها الكلاب رجعت لتنالها بقرنها - وحدها حدتها - وتمامها : طولها (٣) تذودهن : أى تطردهن . وأن قد أحم : قدر - الحتوف : جمع حتف وهو الموت - والحمام الموت (٤) فتقصدت : قصدت - يعنى قتلت - كساب : اسم كلبة - فضرجت : خلطت وغودر : ترك - فى المكر : موضع القتال - سخامها : اسم كلب (٥) فبتلك : البقرة - رقص : ارتفع - اللوامع بالضحى : الآل - واجتاب : لبس - أردية : جمع رداء - السراب : شىء يشبه الماء نصف النهار ويكون لازقا بالقيعان - آكامها : جمع أكمة (٦) اللبانة الحاجة - أفرط : لا أترك والريبة : الشك والمخافة - أوأن لا يلوم ، (٧) وصال . أى أصل وأقطع (٨) تراك أمكنة يقول إذا رأى ما يكره تركها - أو يرتبط : يتلف - وبعض : بمعنى كل (٩) بت سامراً : أى فيها - وغاية تاجر يريد راية تاجر يبيع الخمر ، يضع الراية ليعرف موضعه بها فرفعها لذلك - عز - غلا . مدامها : خمرها - وسميت مدامة لمداومتها فى الدن (١٠) السباء : شراء الخمر — وجونة سوداء — والادكن : الزق — قدحت غرفت - وعاتق : لم يفتح قبل ذلك - وفض ختامها : كسر .

بِصَبُوحِ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِينَةٍ ... بِمُوَتَّرٍ تَأْتَالُهُ إِبْهَامُهَا
بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُحْرَةٍ ... لِأُعَلَّ مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا
وَغَدَاةَ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقِرَّةٍ ... إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا
وَلَقَدْ حَمَيْتُ الخَيْلَ تَحْمِلُ شِكَّتِي ... فُرُطٌ وِشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجَامُهَا (١)
فَعَلَوْتُ مُرْتَقِياً عَلَى مَرْهُوبَةٍ ... حَرِجٍ إِلَى أَعْلَامِهِنَّ قَتَامُهَا (٢)
حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَداً فِى كَافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا (٣)
أَسْهَلْتُ وَانْتَصَبَتْ كَجِذْعِ مُنِيفَةٍ ... جَرْدَاءَ يَحْصُرُ دُونَهَا جُرَّامُهَا (٤)
رَفَّعْتُهَا طَرْدَ النَّعَامِ وَفَوْقَهُ ... حَتَّى إِذَا سَخِنَتْ وَخَفَّ عِظَامُهَا (٥)
قَلِقَتْ رِحَالَتُهَا وَأَسْبَلَ نَحْرُهَا ... وَابْتَلَّ مِنْ زَبَدِ الحَمِيمِ حِزَامُهَا (٦)
تَرْقَى وَتَطْعَنُ فِى العِنَانِ وَتَنْتَحِى ... وِرْدَ الحَمَامَةِ إِذْ أَجَدَّ حَمَامُهَا (٧)
وَكَثِيرَةٍ غُرَبَاؤُهَا مَجْهُولَةٍ ... تُرْجَى نَوَافِلُهَا وَيُخْشَى ذَامُهَا (٨)
غُلْبٍ تَشَذَّرَ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا ... جِنُّ البَدِىِّ رَوَاسِياً أَقْدَامُهَا (٩)

---

(١) فرط : من صفة الفرس السابق — وشكتى : سلاحى (٢) فعلوت : طلعت مرتقياً — الحرج : الضيق — والأعلام : الصوت ـ والقتام : الغبار (٣) ألقت يداً : يعنى الشمس — والكافر . البحر — وأجن : ستر ـ العورات : جمع عورة ، موضع المخافة ـ والثغر : موضع المخافة أيضاً (٤) أسهل نزل السهل ـ وانتصبت: يريد الفرس — ومنيفة : يريد نخلة طويلة ـ الجرام : الصرام — جرداء قد جرد عنها شعرها — يحصر يعجز أن يرتقى إليها الجرام (٥) ركضها فى المسير كما تطرد النعام — وفوقه : فوق الطرد ـ وسخنت حميت — وخف عظامها : أسرعت ، فاذا عرقت جاد جريها (٦) الرحاله : سرج ـ والحميم : العرق وأسبل — نحرها : جرى (٧) الى الماء وهو الورد ـ وترقى : تعتمد — وتنتحى : تقصد ـ كأنها حمام اجهد نفسه — ورد الحمامة : كأسراعها (٨) يريدكم من خطة وحالة عظيمة مشهورة حضرتها وكنت المقدم فيها — ترجى نوافلها : فضلها ، ويخشى عيبها (٩) تشذر : تهيأ للقتال ـ الذحول الأحقاد ـ البدى مكان معروف بالجن ـ رواسيا ـ يعنى أنها ثابتة

أنكرتُ باطلها وبُؤتُ بحقِّها ... يوماً ولَمْ يفخرْ علىَّ كِرامُها (١)
وجزورِ أيسارٍ دعَوْت لحتفِها ... بمغالقٍ متشابهٍ أعلامُها (٢)
أدعُو بهنَّ لعاقرٍ أوْ مُطفِلٍ ... بُذلتْ لجيرانِ الجميعِ لحامُها
فالضيفُ والجارُ الغريبُ كأنَّما ... هَبَطاً تبالةَ مُخصباً أهضامُها (٣)
تأوِى إلى الأطنابِ كلُّ رَذيَّةٍ ... مثلَ البليَّةِ قالصٍ أهدامُها (٤)
ويكلِّلُونَ إذا الرِّياحُ تناوحتْ ... خُلُجاً تمدُّ شوارعاً أيتامُها (٥)
إنَّا إذا التقَتِ المجامعُ لَمْ يَزَلْ ... مِنَّا لِزازُ عظيمةٍ جشَّامُها (٦)
ومقسِّمٌ يُعطِي العشيرةَ حقَّها ... ومُغذمِرٌ لحُقوقِها هضَّامُها (٧)
فضلاً: وذو كرَمٍ يُعينُ على النَّدَى ... سَمْحٌ كسوبُ رغائبٍ غنَّامها
مِنْ معشرٍ سنَّتْ لهُمْ آباؤُهم ... ولِكلِّ قومٍ سُنَّةٌ وإمامُها
إنْ يفزَعوا تلقَ المغافرَ عِندَهُمْ ... والسنُّ يلمَعُ كالكواكبِ لأمُها
لا يَطبَعُونَ ولا يَبورُ فعالُهمْ ... إذْ لا يَميلُ مَعَ الهوَى أحلامُها
فبنَوْا لنَا بيتاً رفيعاً سمْكُه ... فسَما إليهِ كهلُها وغلامُها (٨)

(١) بؤت: أقررت (٢) الأيسار: الذين يحضرون القسمة ويضربون بالقداح والمغالق: السابع من سهام الميسر، ويقال كل سهم مغلق — متشابه يشبه بعضها بعضاً (٣) يقول عنده من الخصب مثل ما عند أهل تبالة من الرطب ـ وتبالة: قرية فى نجد ـ أهضامها: جمع هضيم وهى بطون الأرض المطمئنة (٤) الرزية: المرأة التى قد أهزلها أهلها ـ والبلية: ناقة الرجل تعقل عند قبره وتفقأ عيناها ويطرح حفتها ويلذعون وجهها فلا تزال عند قبره حتى تموت ويحضرلها قدر ما بقيت قوائمها ـ الأطناب: حبال الفساطيط ـ والأهدام: الحلقان ـ وقالص: قصير مرتفع (٥) التكليل: أن يوضع اللحم بعضه على بعض ـ الخلج: الجفان ـ شوارع: جمع شارعة وهى من صفات الايدى، رأى أيديهم ممدودة للاكل (٦) المحافل: المجامع ـ لزاز: قرن ـ لكل عظيمة جشامها: أى متجشم لها، متكفل بها (٧) المقسم: يريد عامر بن الطفيل — والمغذمر: الذى يأخذ من هذا ويعطى هذا ويدع هذا ـ والهضم: النقصان (٨) بنوا: يعنى آباءه وأجداده السمك: المرتفع من الشىء ـ والكهل: الشيخ.

فَاقْنَعْ بِما قَسَمَ المليكُ فإنّما قسَمَ الخلائقَ بيْنَنا عَلاّمُها
وإذَا الْأَمَانَةُ قُسِّمَتْ فى مَعْشَرٍ أَوْفَى بِأَعْظَمِ حَظِّنَا قَسَّامُها
فَهُمُ السُّعَاةُ إذا العْشيرَةُ أُفْظِعَتْ وهُمُ فَوَارِسُها وَهُمْ حُكّامُها (١)
وَهُمُ رَبِيعٌ لِلمُجاور فِيهِمُ وَالمرْمِلاَتِ إذَا تَطاوَلَ عَامُها
وَهُمُ الْعشيرةُ إنْ يُبطَّأَ حَاسِدٌ أَوْ أنْ يَمِيلَ مع العدوِّ لِئامُها

ومنه قوله فى النُّعمان يرثيه :

أَلاَ تَسألانِ المرءَ ماذَا يُحاول أنَحْبٌ فيُقْضَى أم ضلالٌ وباطلُ (٢)
أرى النّاس لا يدرون ما قدرُ أمرهم بَلَى كلّ ذِى لبٍّ إلى الله واسل (٣)
ألا كلُّ شىءٍ ما خلاَ اللهَ باطلٌ وكلّ نَعيم لا مَحالةَ زائلُ (٤)
وكلّ أُناس سوف تدخُل بينهم دُوَيهيَةٌ تَصفَرُّ منها الأَناملُ
وكلّ امرئٍ يوماً سَيعلم غَيبه اذا كُشِّفَت عند الإلَه الحصائلُ

ويُعتبرُ لَبيدُ مِمّن رَثَى نفسه قبل موته بقوله لابنتيه وهو مُحتضر

تَمنَّى ابْنتَاىَ أَنْ يَعيشَ أبوهما وهَل أَنا إلاّ مِن رَبيعةَ أو مُضَرْ
فإنْ حَانَ يوماً أن يَموتَ أُبوكما فلا تَخْمِشَا وجْهاً ولاَ تَحلِقَا شَعَرْ
وقُولا هو المرْءُ الّذى لا حَليفَهُ أَضاعَ ولا خَانَ الصّديقَ ولا غَدَرْ
الى الحوْل ثم السّلام عليكما وَمَن يَبكِى حَولاً كَاملاً فقد اعتَذَرْ

---

(١) السعاة : جمع ساع وهو المصلح — وأفظعت : ابتليت بالامر الفظيع ، وهو المهم
(٢) السؤال بمعنى الاستفهام — والمحاولة استعمال الحيلة ـ والنحب النذر ـ اسالوا هذا الحريص على الدنيا عما هو فيه أهو نذر نذره على نفسه فلابد من فعله أم هو ضلال وباطل من أمره
(٣) الواسل الطالب والراغب الى الله ـ أرى الناس لا يعرفون ماهم فيه

(١٠) ﴿ عَلْقَمَةُ بنُ عَبدَةَ التَّمِيمى ﴾

هو عَلْقَمَةُ الفَحْلُ بن عَبدَةَ بن ناشِرَةَ التَّمِيمى ، شاعرٌ جاهلى مُجيد من أقران امرئ القيس ، مات قبل الاسلام بزمن طويل ، وإنَّما قِيلَ له «الفحل» من أجل أن يتميَّز فى الأخبار من شاعر آخر فى قبيلته أيضاً يُسمّى عَلْقَمَةُ الخِصّى بن سهل وَيُكَنَّى أبا الوَضَّاح ، أدركَ الاسلام وأسْلَمَ ، وقِيلَ سُمِّىَ « الفَحل » لأنه خلفَ امرأ القيس على زوجته بعد أن طَلَّقها ، لأنها فضلت عَلْقمة عليه حين حكّماها فى شِعْرِهما .

(١٠) معلقة عَلْقَمَةَ الفحل بن عَبدَةَ التّميمى :

طَحا بكَ قَلْبٌ فى الحِسان طَرُوب ... بُعَيدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ (١)

يُكلِّفُنى لَيْلى ، وقد شَطَّ وَلْيُها ... وعادَتْ عَوادٍ بينَنا وخُطوبُ (٢)

منَعَّمَةٌ ، ما يُستطاعُ كلامُها ... على بابِها مِنْ أنْ تُزارَ رَقيبُ (٣)

---

(١) طحا به قلبه : ذهب به كل مذهب ، والطروب : من الطرب ، وهو خفة السرور والشوق الى الشىء ، وبعيد : تصغير بعد ـ وحان المشيب : قرب ، أو آن أوانه ـ أى أضلك قلبك الطروب فى حب الحسان بعد ماذهب الشباب وقرب المشيب ـ والخطاب لنفسه . ثم التفت وتكلم عن نفسه فقال : يكلفنى الخ .

(٢) وشط وليها : بعد عنك قربها ودنوها ومواصلتها ـ وعادت : شغلت وصرفت ، مقلوب عداه عن الأمر : صرفه والعوادى : جمع عادية ، وهى الأمر الشاغل عن الشىء . والخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر . (المعنى) أن قلبى هذا يكلفنى حب ليلى مع أنها بعدت عنه ، وعز عليه قربها ، وحالت بينه وبينها حوائل وشواغل وحوادث صوارف عنها .

(٣) منعمة : من النعيم فهى محجبة يعنى بحراستها أهلها .

إذَا غابَ عنها البَعْلُ لم تُفِشِ سِرَّه ... وتُرضِى إيابَ البَعل حِينَ يَؤُوب (١)

فلا تَعدِلى بَينِى وبينَ مُغَمَّر ... سَقَتْكِ رَوايا المُزْنِ حين تَصوبُ (٢)

سَقَاكِ يَمَان ذُو حَبىٍّ وعَارض ... تَروح به جُنْحَ العَشِىِّ جَنُوب (٣)

وما أنْتَ ؟ أم مَا ذِكرها رَبَعيّةً ... يُخَطُّ لها من ثَرْمَدَاءَ قَليب (٤)

فإنْ تَسألونى بالنّساءِ فإنّنِى ... بَصير بأدوَاءِ النِّساءِ طَبيب (٥)

إذا شابَ رأسُ المرءِ أوْ قَلَّ مالُه ... فَليسَ له من وُدِّهِنَّ نَصيب

يُرِدْنَ ثَراءَ المال حيثُ عَلِمْنَه ... وشَرْخُ الشّبابِ عِندهن عَجيب (٦)

فدعْها ! وسَلِّ الهمَّ عنكَ بجَسرَةٍ ... كَهَمِّكَ فيهَا بالرِّدَافِ خَبِيبُ (٧)

---

(١) لم تفش سره : كناية عن أنها لم تخنه ، ولذلك هى ترضى إيابه فلا يعجبها غيره ، وإذا قرئ وترضى (بالضم) كان المعنى وتجعل إيابه رضيا حميدا بألا يشك فى صونها .

(٢) فلا تعدلى : أى فلا تسوى ، والمغمر من الرجال : المحمق من الرجال الذى يستجهله الناس سقتك الخ : يدعو لها بأن تسقيها المزن الروية أى التى تروى حين تمطر — يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغى لها أن تحرص عليه . ثم عاد الى الدعاء لها فقال : سقاك الخ :

(٣) أى سقاك سحاب يمان أى يأتى من ناحية جنوبى نجد . أصله يمنى خففوا ياء النسب ، وزادوا الألف عوضا عنها ، فعومل المنسوب معاملة المنقوص ، الحبى : السحاب المتراكم بعضه على بعض فيكون سيره بطيئا ، كأنه يحبو ، ويكون لذلك مطره عزيرا ، والعارض : السحاب المعرض فى الأفق ، والجنوب : الريح الجنوبية . (المعنى) سقاك سحاب يمان مركوم . وسقاك سحاب عارض تسوقه فى الليل ريح جنوبية . ثم عدل عن هذا ، وقال : وما أنت الخ .

(٤) وما أنت : ما استفهامية للتعجب وأم للاضراب بمعنى بل ، أى ما شأنك ؟ بل ما الداعى لذكرك ليلى ، وهى ربعية من ربيعة وأنت تميمى ، وقد رحلت إلى بلادها حيث خط لها فى ثرمداء قليب . والقليب البئر وثرمداء موضع . ثم أخذ يصف أخلاق النساء وطباعهن ، فقال : فان تسالونى الخ .

(٥) الأدواء : جمع داء ، أى بطباعهن المعيبة التى بمنزلة الأمراض فيهن .

(٦) الثراء : الكثرة ، أى يحبين من يعلمن عنده مالا . وشرخ الشباب أوله ، وعجيب : معجب

(٧) الجسرة : الناقة القوية الماضية ، وكهمك أى مثل همتك فى المضاء والقوة ، والرداف :

الى الحارث الوَهَّاب أعملتُ نَاقتِي بِكلْـكَلِها والقُصْرَيَيْنِ وَجِيبُ (١)

وَقَال أيضاً عَلْقَمَةُ الْفَحْلُ بنُ عَبَدَةَ التَّمِيمِي

والحمدُ لا يُشترَى إلاَّ لَه ثَمنٌ ممّا يَضِنّ به الأَقْوَام مَعْلُومُ (٢)

وَالجُودُ نافيةٌ للمَال مَهْلَـكةٌ والبُخْلُ مُبْقٍ لأَهليهِ ومذمومُ (٣)

والمـالُ صُوف قَرارٍ يَلْعبُون به على نِقَادَتِه وافٍ ومَجْلوم (٤)

ومُطعِمُ الغُنْمِ يَومَ الغُنْمِ مُطْعَمُه أنَّى تَوَجَّه ، وَالمحروم مَحْرُوم (٥)

والجهلُ ذو عَرضٍ لا يُستَرَاد له والحِلمُ آونةً فى الناس مَعْدوم (٦)

ومن تَعرّض للغِربانِ يَزْجُرُها على سَلَامَته — لابُدَّ — مَشْئُوم (٧)

جمع رديف ، والردبف والردف : كل شىء يكون خلف الراكب ، ولو حقائب . والخبيب : السير السريع . (المعنى) أى فدع ليلى هذه ، وسل الهم عنها برحلة على ناقة قوية سريعة مثل همتك فى المضاء والنفاذ ، وفى سيرها سرعة ولو حملت خلف الراكب لها عدة أثقال.

(١) والحارث الوهاب: يريد به الحارث بن جبلة بن أبى شمر الغسانى ، وكان أسر أخاه شاسا فرحل اليه يطلب خلاصه وفكه . وأعمل الناقة : وجهها وأجهدها ، والكلكل : الصدر و مابين الترقوتين ، وهو المناسب هنا ، والقصريان : ضلعان تليان الترقوتين ، والوجيب : خفقان القلب أى أنه لشدة إجهادها فى السير اشتد نبض قلبها، وبان ذلك فى كلكلها وقصربيها لقرب القلب منهما

(٢) يقول : ان الحمد لايشترى إلا بأثمان تضن بها النفوس . والحمد : الثناء والمدح

(٣) نافية أى مبيد ومهلك — والبخل ... الخ : أى أن البخل يوفر المال وأهله مذمومون وادخل الهاء فى نافية للمبالغة مثل علامة ونسابة .

(٤) القرار : النقد ، وهى غنم صغار الأجرام قصار الواحدة نقدة ، يلعبون به : أى يتداولونه ويعبثون به ، واف : كثير ، ومجلوم : مجزور بالجلم أى المقص . يريد أن منهم من يعطى القليل ومنهم من يعطى الكثير كما أن الصوف على النقد قليل وكثير . والنقادة : جمع لاسم الجمع

(٥) المعنى : أن الذى جعل الغنم له طمعة فسيطعمه فى يوم الغنم أينما توجه ، ومن حرمه فلن يناله فقضا ، الله كائن لامحالة

(٦) ذو عرض أى يعرض لك — لا يستراد له أى لايراد ولايصلب فانت لاتحبه ولاتريده آونة : أحيانا . ومفرده أوان وإوان . (المعنى) أن الناس يسرعون الى الشر والجهل أحيانا فيجدونه

(٧) المعنى أن من يزجر الطير وإن سلم فلابد أن يصيبه شؤم — والغربان يتشاءم بها ، فمن

وَكلُّ حِصْنٍ وإن طالت سلامَته على دَعائمه — لابُدَّ — مهدوم (١)

﴿ أُمَيَّة بن أبى الصَّلْتِ ﴾

هو أُمَيَّةُ بن عبد الله أبى الصَّلْتِ بن أبى رَبيعة بن عَوْف الثَّقَفِى شاعر خَطير من أشراف ثَقيف ، وأحد المُلتمسين للدِّين فى الجاهليّة ، وأمه رُقيّة بنت عبد شمس ابن عبد مناف .

مَنْشؤُه — نَشأَ باللطَّائف ، وكان أبوه شاعراً مشهوراً ، وروَى الكثيرَ من أخبار اليهود والنّصارى ومابَقِى فى رُءوس شيُوخ الجاهليّة من مِلّة ابراهيم واسماعيل وحدّث عن خَلْق السّموات والأرض والملائكة والجِنّ وشَرائع الأنبياء والرُّسل وَخَاضَ فى التّوحيد وأمْرِ الآخِرة ، وتعبّد ولَبِسَ المسُوحَ ، وحرّم الخمر على نفسه وشكّ فى الأوثان . ورأى فى هذه الكتب ما يُبشِّر ببعثْة نبىّ من العرب ، فطمع أن يكونه . فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . كُسِفَ بالُه ، وحمَله الحسَدُ والكمد أن يُنابذه ، ويكفُرَ بدينه على علمه بصحّته ، ويُحرِّضَ عليه قُريشاً ، ويَرثِى قَتْلاهم فى وقعة بدر . فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن رواية شعره فى ذلك . ورُوى أنّه هو الذى نزلت فيه آية « واتْلُ عَليهِمْ نَبأَ الذِى آتيناه آياتِنا فانْسلَخَ منها فأتبعه الشّيطان فكان من الغاوين » وكان عليه الصّلاة والسلام اذا سَمِعَ شعْرَه فى التّوحيد والإيمان والثّناء على الله يقول : آمنَ لسانُه ـ وكفر قلبُه

ومن آخر شعر قاله عند موته :

تعرض لها يزجرها ويطردها خوفا من أن يصيبه الشؤم فلابد أن يقع مايخاف ويحذر .

(١) يقول : كل حصن دامت سلامة أهله فيه فلابد أن يهلكوا ويخرب الحصن ، ودعائمه : أركانه التى يقوم بها .

كُلّ عَيشٍ وإنْ تَطَاوَلَ دَهْراً مُنْتَهَى أمْرِه الى أنْ يَزُولا
لَيتَنِي كنتُ قَبلَ مَا بَدَالى فى رؤوسِ الجبَال أَرْعَى الوُعُولاَ
فاْجعَلُ الموْتَ نُصْبَ عَينَيْـ ـك واحذَرْ غَوْلَةِ لِلدَّهْرِ إنّ الدّهرغُولاَ

واختصّ بأكثر مدَائحه فى الجاهلية (عبد الله بن جُدْعان أحدُ سَرَاةِ قُريش وأجوَادِها) حتى كان منه بمنزلة زُهَيْر مع هَرِم. وأَقام بَقِيّة حَياتِه بالطّائف الى أنْ مات بها كافراً سنة تسع للهجرة

شعره — يُعَدُّ أُميَّة من أكْبر شُعراء القُرى على قِلّة الشّعر فيهم، غير أن الذى أزوى بشعره فى نَظَر بَعضِهم كثرة استعماله للدّخيل من العِبْرِيّة والسُّريانيّة فى شعره وكان أُميّة يُسمِّى — السّماء صَاقُورة، وجَاقُورة — وَيَزْعم أن للقَمَر غُلافاً يَدْخُل فيه اذا خُسِف ويُسمّيه (السّاهور) ويُسمّى الله فى شعره السلطّيط، والتَّغرور — ونحو ذلك

ويمتاز شِعْرُهُ بِبعْض السُّهولة فى لَفْظِه، وبِذِكْره بَعْض العَجَائب من القِصَص الخياليّة والأسَاطِير الخُرافيّة، وخَلْق العَالَم وفَنَائه، وأحْوال الآخِرَة وصِفَات الخلق والخشوع له — ويَذْكرُ مِن ذلك ما لم يَذْكره أحَد من الشّعراء قَبْله، ويتخلّل ذلك شئٌ من الحكم والأَمثال — ومن شعره:

ألحمدُ لله مُمسَانَا ومُصبَحنَا بالخير صَبَّحنَا رَبِّى ومَسَّانَا
رَبّ الحَنِيفَةِ لم تَنْفَد خَزَائنهُ مَمْلُوءَة طَبَّقَ الآفاقَ سُلطانَا
ألا نَبِىٌّ لَنَا مِنّا فَيُخْبِرنَا ما بَعْد غَايَتِنا من رَأسِ مَحيَانَا
وقد عَلِمنَا لو أنَّ العِلْم يَنفعُنَا أنْ سوفَ تُلْحَقُ أُخرَانَا بأُولاَنَا

﴿ الرِّواية — والرُّواة ﴾

قَدْ علمنَا مِما تقدّم أنّ عامّة المروىّ من كَلاَم العرب شعْرِها ونَثْرِها وأخبارِها

معزوٌّ الى أهلِ البَدْو الأُمِّيين ، ولذلك لم يصلِ الينا كتابٌ يَجْمع بين دَفّتيه الكثيرَ منها — وما رُوِى لنَا من كَلام فُصَحاء العرب ليس الا النّزْرَ اليَسيرَ بوجوه مُختلفة ، وبالطّبع لا يَحفَظُ هذه الوَديعَة إلاّ أهْلُ الحِفاظ عليها ، والاعتِداد بها وهم الشّعراء والمتأدّبون ، فقد كان امرُؤ القيس رَاوِيَة أبى دُوَاد الإيادىّ وزُهَيرُ رَاوية أَوْسِ بن حجر ، والأعْشَى راوية المُسيَّب بن عَلَس

واشتهر من قريش أربعة بأنهم رُواة النّاس للأشعار وعُلمَاؤهم بالأنْسَاب وهم مَخْرَمةُ بن نَوْفَل ، وأبو الجَهْم بن حُذَيْفة ، وحُوَيْطِب بن عبد العُزَّى ، وعَقيل بن أبى طالب .

﴿ العصر الثانى عصر صدر الإسلام ، ويَشمُل بَنى أُمَيّة (١) ﴾

حالة اللّغة العربيّة وآدابها فى ذلك العصر

كانتِ العربُ أُمماً بَدويّةً ، ليس لها من وسائل العُمران وأسْبَاب الرَّخاء ما يحمِلُها على تَبَحُّرٍ فى عِلْم ، أو تَبَصُّر فى دِين ، أو تَفَنُّن فى تِجارة ، أو زِرَاعة ، أو صِناعة ، أو سِياسة — وعلى وِفْق ذلك كانت اللّغة العربيَّة لا تعْدُو أغراضَ المعيشة البَدويّة ـ إلاّ أنّ رُوحاً من الله تَنسَمّ بين أرجائها فأيقظَها من رَقدتها ، ونبّهها لضرورة التّعاون على الخير فى معَاشِها ولُغتِها وجَماعتِها ، فظهر ذلك بَيِّناً فى الأسواق التِّجارية اللّغوية الاجتماعيّة ، وفى الإذعان فيها إلى حُكومة الأشْرَاف

---

(١) خلفاء بنى أمية هم : مدة الخلافة

١ : معاوية بن أبى سفيان (٤١ — ٦٠)
٢ : يزيد بن معاوية (٦٠ — ٦٤)
٣ : معاوية بن يزيد (٦٤ — ٦٤)
٤ : مروان بن الحكم (٦٤ — ٦٥)
٥ : عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦)
٦ : الوليد بن عبد الملك (٨٦ — ٩٦)
٧ : سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩)
٨ : عمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١)
٩ : يزيد بن عبد الملك (١٠١ — ١٠٥)
١٠ : هشام بن عبد الملك (١٠٥ — ١٢٥)
١١ : الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ — ١٢٦)
١٢ : يزيد بن الوليد الاول (١٢٦ — ١٢٦)
١٣ : مروان الجعدى (١٢٧ — ١٣٢)

من قُرَيْش وتَميم وغيْرِهما، ممّا هيّأهم لأن يَجتمِعُوا تحت لِوَاءٍ واحِد، ويَتفَاهموا بِلِسان واحِدٍ. فكان ذلك إيذاناً من الله بإظْهارِ الإسْلام فيهم، وما أَلِفَت نفُوسهم هذا النّمط الجديد إلا وقد جاء النبى الكريم لأمَّ لِشَعثهم، مُوَحِّداً لِكَلِمتهم مُهذباً لِطباعهم، مُبيِّناً طَريق الحقّ. وَجادة الصّواب. بِشريعةعَظِيمة. فكان من نَتيجة ذلك أن أُسِّسَتْ لهم جَامعة قَوْميّة مِلِّية ومُلكٌ كبيرٌ ـ وبالتِفَاف العرب حَوْل صَاحِب هذه الدّعوة وأنْصَاره. وتَفَهُّمِهِمْ شَريعتهُ وكَلامَهُ، ثم خضوعهم بعدُ لزَعامَة قومه وخُلفَائه وولاتِهم. وفتوحُهم تحت أَلْوِيتهم ممالكَ الأكاسرة والقَيَاصرة وغيْرها ومُخالطتهم أهلها بالجوار والمُصاهرة. حدَث فى حَياتِهم الفِكْرِيّة واللِّسانيّة ما يُمْكِن إجمالُه فى الأمُور الآتية:

الأوّل — شُيوع اللّغة القُرشيّة، ثم توحُّدُ لُغات العرب وتَمثُّلُها جميعُها فى لغة قريش واندِماج سائر اللّهجات العربية فِيها. وبَعْضُ أسْبابِ هذا يَرْجع إلى ما قَبْل الإسْلام بتأثير الأسْواق والحجّ وحكومة قريش — وأكثرها يرجع إلى نزول القرآن بِلغتهم. وظُهور ذلك الدّاعى العظِيم منهم. وانْتِشار دِينِه وسُلْطانه على أيْديهم.

وبِحُكم الضرورَة تَكُون لغتُهم هى اللّغة الرّسْمية بين القَبائل

الثانى ـ انتشار اللّغة العربيّة فى ممالك الفُرْسِ والرّوم وغيْرِهما بالفُتُوح والمغَازِى وهِجرة قَبائل البَدْوِ إليها، واسْتِيطانهم لها، واختلاطهم بأهلها

الثالث ـ اتِّساع أغْراض اللّغة بِسلوكها مَنْهجاً دِينياً، واتّباعها خُطّة نِظاميّة تَقْتضِيها حالُ الملك وسُكْنَى الحضَر

الرابع ـ ارْتِقاء المعَانى والتّصورات وتَغيّر الألفَاظ والأساليب.

الخامس — ظهور اللحن فى الكلام بين المستعربين : من الموالى . وأبناء العرب من الفتيات . و بعض العرب المكثرين من معاشرة الأعاجم .

ولما كان معظم هذه التغيرات يرجع إلى القرآن الكريم والحديث النبوى ناسب وصفهما بقليل من كثير مما ينبغى أن يقال فيهما .

﴿ القرآن الكريم وأثره فى اللغة العربية ﴾

القرآن (كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير) فيه آيات بينات . ودلائل واضحات . وأخبار صادقة . ومواعظ رائقة . وشرائع راقية . وآداب عالية . بعبارات تأخذ بالألباب وأساليب ليس لأحد من البشر بالغاً ما بلغ من الفصاحة والبلاغة أن يأتى بمثلها . أو يفكر فى محاكاتها ، فهو آية الله الدائمة . وحجته الخالدة . (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) أنزله الله على رسوله ليبلغه قومه وهم فحول البلاغة . وأمراء الكلام . وأباة الضيم . وأرباب الأنفة والحمية ، فبهرهم بيانه . وأذهلهم افتنانه فاهتدى به من صح نظره ، واستحصف عقله ، ولطف ذوقه ، وصد عنه أهل العناد

اعلم أولا ان اعجاز القرآن من جهة أغراضه ومقاصده — فتجده فى كل غرض وموضوع غاية فى الابانة والجلاء ونهاية فى الاصابة واطراد الاحكام . فمن تشريع خالد ، وتهذيب بارع ، وتعليم جامع ، وأدب بالغ ، وإرشاد شامل . وقصص ومواعظ ومثل سائر ، وحكمة بالغة ، ووعد ووعيد وأخبار بمغيب ، الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وقد كان فحول البلاغة لايبرز أحدهم الا فى فن واحد من انواع القول فمن يبرع فى الخطابة لاينبغ في الشعر ومن يحسن الرجز لايجيد القصيد ، ومن يستعظم منه الفخر لايستعذب منه النسيب ، ولامر ماضربوا المثل بامرئ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب ، والنابغة اذا رهب

ثانياً — من جهة ألفاظه وأساليبه — فلاتجد منه الاعذوبة فى اللفظ ، ودماثة فى الاساليب وتجاذباً فى التراكيب ، ليس فيها وحشى متنافر ، ولاسوقى مبتذل ، ولاتعبير عويص ، ولا فواصل متعملة ، على شيوع ذلك

والمُكابرة واللّجاج — فتحدّاهم أنْ يأتوا بمثله فنكصوا ، ثم بعشر سُوَر مثله فعجزُوا ، ثم بسُورة من مثله فانقطعوا ، فحقّ عليهم إعجازُه — قال تعالى

(قلْ لئنِ اجْتمعَتِ الإنْسُ والجنُّ على أنْ يأتوا بمثْلِ هذا القُرْآن لا يأتون بمثله ولوْ كان بَعْضُهمْ لبعضٍ ظَهيراً)

وللقرآن فَضْلٌ على اللّغة فقد أثّر فيها مالم يُؤثِّره أىُّ كتاب سماويًّا أكان أو غير سماوىّ فى اللّغة التى كان بها . إذْ ضَمِن لها حيَاة طيِّبةً وعُمراً طويلا . وصانها من كلّ ما يُشوِّه خلقَها ويَذْوِى غَضَارتها — فأصْبحَتْ وهى اللّغة الحيّة الخالدة من بين اللّغات القَديمة التى انْطمَستْ آثارُها . وصارَت فى عِداد اللّغات التّاريخيّة الأثريّة ، وأنه قد أحْدَثَ فيها عُلوماً جَمّة وفُنُوناً شتّى لولاه لم تَخطر على قَلْب . ولم يخطّها قلم — منها . اللّغةُ . والنّحو . والصّرف . والاشْتِقاق . والمعَانى . والبَديع . والبيَان . والأدَب . والرّسْم . والقِراءات . والتّفْسير . والأُصُول . والتّوحيد . والفِقْه

﴿ جمع القرآن وكتابته ﴾

قد نزَل القرآن الكَريم على رسول الله صلّى الله عليه وسلم مُنجَّماً على حَسَب

فى كلام المفلقين وأهل الحيطة المترويين ، حتى انك لترى الجملة المقتبسة منه فى كلام أفصح الفصحاء منهم تفرعه جمالا ، وتشمله نوراً ، وتكسوه روعة وجلالة — الى إجمال فى خطاب الخاصة وتفصيل فى تفهيم العامة ، وتكنية للعربى ، وتصريح للأعجمى — وغير هذا مما يقصر عن احصائه الالمام ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام

ثالثاً — من جهة معانيه — فانك تجدها من غير معين العرب الذى منه يستقون لاطراد صدقها وقرب تناولها واطمئنان النفوس اليها وابتكارها البديع على غير مثال معهود : من حجج باهرة وبرهانات قاطعة وأحكام مسلمة وتشبيهات رائعة على تمازج وتواصل وبراءة من التقاطع والتدابر وهو فى جملته نزهة النفوس وشفاء الصدور وهو الكتاب الخالد الذى لاتبديل لكلماته ولا ناسخ لاحكامه ولا ناقض . (انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

الوَقائع ومُقتضيات الأحْوَال فى بِضْع وعشرين سَنَة ، وكان عَلَيْه الصلاة والسلام يأمر كُتَّابَ وحْيِه بكِتَابة ما يُنزّل - وتُوفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن كلّه مَكْتوب ، وفى صُدُور الصَّحابة مَحفُوظ . وفى مدّة الإمَام عُثمان كثُرت الفتُوحات وانتَشَر القُرّاء فى الأمْصَار ، فأمر عثمانُ زيدَ بن ثابت ، وعبدَ الله بن الزُّبير ، وسَعيدَ بن العاص ، وعبدَ الرّحمن بن الحارث بن هِشام — فنسخوا تلك الصُّحف فى مُصحفٍ واحدٍ مُرتَّب السُّور - واقتُصر فيه من جَمِيع اللّغات على لغة قريش لنزوله بلغتهم .

﴿ صاحب الشريعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

هوسيّدنامُحمدٌ بنُ عبد الله بن عبد المُطَّلِب بن هَاشم بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ من أبناء إسماعيل بن إبراهيم الخليل أبى العرب المُسْتَعْرِبة . وُلِدَ فى « مَكَّة » ونَشَأ بها يتيماً ، ورَبّته أُمّه آمِنةُ بنت وَهْب بن عُبد مَنَاف ، وأرْضَعَتْهُ حَليمَة بنت أبى ذُؤَيْبٍ من عَرب البَوَادِى . وماتت أمّه وعمره ستّ سنين ، فعَالَه جَدّهُ عبدُ المطَّلب ثم مات جدّه بعد سنتين ، فَكَفَلَهُ عمّه أبو طالب

وعند ما بلغ أشُدَّه تولَّى رَعْىَ الغَنَم بالبَادية مع إخوته فى الرَّضاع ، وكذلك كانت الأنبياء عليهم السلام ، فما من نَبِىٍّ إلاّ رعاها ، وهذه من حِكَمِ الله سبحانه وتعالى فإنّ الإنسَانَ إذَا استَرعَى الغَنَم وهى أضعفُ البهائم سكنَ قَلبَهُ الرِّفْقُ والرَّحمةُ ، فإذَا انتقلَ من ذلك الى رِعاية الخَلْق كان قد هَذَّب نَفسه ، وخلَّصها من شَوائب الخُلق الغريزِيَّة كالحِدّة والحَسَد ، ثم اشتغل عليه السلام بالتِّجارة ، وكان شَريكه فيها السّائبَ بن أبى السَّائب ، وخرج إلى الشّام يتَّجرُ لخَدِيجة بنت خُوَيلد من سَرَاة بنى أسَد ، وشَرُفت بعد ذلك خَدِيجةُ بزواجه منها ، فكان يَعملُ فى مالها تاجراً .

صِفَاته : وكان رسولُ اللهِ وسيطَ القامةِ ليس بالطّويلِ البائنِ ولا القصيرِ المُتردّد مُعتدلَ السِّمَن ، ضخمَ الرّأس عظيمَ الهامة صلْت الجبين سهلَ الخدّين واسعَ العينينَ أسودَهُما أزجّ الحاجبين سابغهما أهدَب الأشفار صبيحَ الوجه مُدوّره مُستوى الأنف مُفلَّج الأسنان رَجِلَ الشَّعْر حسنهُ عريض الصّدر رَحْب الرّاحتين سَائلَ الأطرافِ أزْهرَ اللّون فلا هو بالآدَم ولا بالشّديد البياض .

وكان عليه السلام أفصحَ قومه لِساناً وأرجَحَهم عقلاً وأصحّهم فهماً وأعظمَهم أمانةً وخيرَهم جِواراً وأصدقَهم حَديثاً وأكثرهم اتّصافاً بمكارم الأخلاق .

ولمّا بلغ الأربعين من عمره أرسلَه الله للعالَمين بَشيراً ونَذيراً إذْ نزَل عليه الوَحْيُ وهو قائم على جبَل « حِراء » قريباً من « مَكّة » فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعُو لعبادة الله وحدهُ أقواماً لا دِينَ لهم إلاّ أن يَسجدُوا للأصنام فآمنتْ به زوجته خَديجة وابنُ عمّه علىّ بن أبى طالب وصدِّيقُه أبو بكر ومولاه زَيدُ ابن حَارِثَة الكَلْبىّ ، وحَاضِنَتُه أمُّ أيْمَن

وجمع رسولُ الله عَشيرتَهُ وهم بنُو هَاشم وبنو عبد المُطلب وبنو نَوْفَل وبَنو عَبدِ شَمس أولاد عبد مَنَاف وقال لهم « إنّ الرَّائدَ لا يَكْذِبُ أهلَه واللهِ لو كذَبْتُ الناسَ جَميعاً ما كَذَبْتُكم ولو غَرَرْتُ الناسَ جميعاً ما غَرَرْتكم واللهِ الّذى لا إله إلاّ هو إنى لرَسُول الله اليكم خَاصّة والى النّاس كافّة » فقالوا له قولاً ليّناً إلاّ عمَّه أبَا لَهَب

فلمّا جَهَر رسول الله بالدّعوة الى الاسلام بتوحيد الله ونَبْذِ الأوثان سَخِرَتْ منه « قُرَيْش » واستهزءوا به فى مجالسهم وأضمروا له الحِقدَ والعَداوَة وآذوهُ كثيراً وكان أشدّهم فى ذلك أبُو جَهْل عَمْرو بن هِشَام بن المُغيرَة المَخزومى القُرشى

ثم أسلَم حمزَة عمُّ رسول الله وعُمرُ بن الخطّاب فقَوِىَ بهما وأسلَم بمكّة نَفرٌ من وَلدِ « الأوسِ » و « الخزْرَج » وهما قبيلتان من أهل « المدينة » وعادوا إليها فانتشر فيها الإسلام بهم، ووَفَد على رسول الله جمع من أهلها يدعونه وأصحابهُ إلى الهجرة اليهم فهاجَر ، وبهجرته إلى المدينة ابتدأ التاريخ الهجرى .

ولم يقاتل رسولُ الله أحداً على الدّخول فى الدِّين بل كان أمرُه مقصوراً على التّبشير والإنذار فلمّا ازدَاد طُغيانُ أهل « مَكّة » وأخرجوا المسلمين من ديارهم وائتمرُوا مع غيرهم من مُشركى العرب على قتْل رسول الله . أذِن الله سبحانه وتعالى بقتَال المُشركين كافّة فكانت أوّل حرب بين رسول الله وبينهم فى « غزوة بَدْر » وتَلتْها غزواتٌ عدّة كان النصرُ فى أكثرها لرسول الله ولجماعته .

وبعث رسول الله رُسُلَه يدعون الى الإسلام وهم دِحْيَةُ الكَلْبِىّ الى « هِرَقْل » ملك الرُّوم . وعبدالله بن حُذَاقَة إلى « كِسْرَى » ملك الفُرْس . وشُجاع الأسدىُّ الى « الحارث الغسّانى » ملك البَلْقاء بالشّأم . والحاطب بن أبى بَلْتَعَةَ إلى « المُقَوْقِس » أمير مصر . وسَليط بن عَمرو العامرِى الى « هَوْذَةَ » صاحب اليمامة . وبعث عمرُو بن أُميّة إلى النّجاشى « اَصْحَمَة » ملك الحبشة فأسلم . وعمرو ابن العاص الى « جَيفَر » و « عَبْدَا » مَلِكَىّ عُمَان فأسلَما . والعَلاَء بن عبد الله الحضْرَمِى الى المُنْذِر » ملك البَحْرَيْن فأسلم . وخَالد بن الوَليد الى « بَنِى عَبدالمَدَان » وعلى بن أبى طالب الى « بَنى مَذْحِج » فى أرض « اليمن » فأسلموا وأسلمت « هَمْدَان » وتابعها سائر أهل « اليمن » وملوك « حِمْيَر » ثم أقبلت بعد ذلك وفود العرب جَميعاً على رسول الله يُبايعونَهُ على الاسلام

وحجّ رسول الله فخَطب الناس خُطْبَةَ الوَداع وهى أكثر خُطَبه استيعاباً

لأمور الدين والدنيا . وفى يوم الاثنين ١٣ من ربيع الأول سنة ١١ للهجرة توفى رسول الله بالمدينة وفيها دفن ـ وله من العمر ٦٣ سنة قمرية ، وثلاثة أيام .

﴿ الحديث النبوى ﴾

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الناس وأبينهم وأحكمهم ، وكانت حياته كلها هداية ونوراً ، وأفعاله وأقواله جميعها مدداً ، يستمد منه الخلق سدادهم وإرشادهم فى معاشهم ومعادهم ـ ولهذا حرص المسلمون على حفظ ذلك الأثر العظيم حرصاً لم توفق إلى مثله أمة فى حفظ آثار رسولها ـ فجمعوا من كلامه ووصف أفعاله وأحواله الأسفار الضخام ، ووعوا منها فى صدورهم مالا يدخل تحت حصر ـ وكلامه صلى الله عليه وسلم منزه عن اللغو والباطل ، وإنما كان فى توضيح قرآن ، أو تقرير حكم أو إرشاد الى خير ، أو تنفير من شر ، أو فى حكمة ينتفع الناس بها فى دينهم ودنياهم بعبارة هى فى الفصاحة والبلاغة والإيجاز والبيان بالدرجة الثانية بعد القرآن الكريم ، ولذلك كان تأثيرها فى اللغة والأدب بالمنزلة التالية لكلام الله تعالى .

﴿ النثر ـ لغة التخاطب ـ الخطابة ـ الكتابة ﴾

كانت لغة التخاطب فى مبدإ الأسلام بين العرب الخلص والموالى النابتين فيهم هى العربية الفصيحة المعربة ـ وكانت لغة الموالى الطارئين عليهم تقرب من الفصيحة أو تبتعد عنها على حسب طول لبثهم فيهم ، أو قصر مقامهم عندهم ـ ولما فتح المسلمون الأمصار ، وكثرت عندهم سبى الأعاجم وأسرى الحروب ، ودخل فى الاسلام منهم ألوف الألوف ، وأصبحوا لهم إخواناً وشركاء فى الدين ، وتم بينهم التزاوج والتناسل نشأ للعرب ذرية اختلطت عليهم ملكة العربية

وكذلك كان الشأن فى المتعرّبين من الأعاجم . أمّا العرَبُ أنفسهم بعد الفتوح فكانت لغتهم فى جزيرتهم مِثْلَ ما كانت عليه فى جاهليّتهم . أما سكان الأمصار منهم وأولادهم من الحرائر ، فالعامّة منهم المُخالِطون للأعاجم لم تَخْلُ لغتُهم من لحَن أو هُجْنة . والخاصّة منهم تَشَدَّدُوا فى المحافظة على سلائقهم ، وتحامَوْا التزوّج بالأعجميّات ، وبالغُوا فى تربية أبنائهم ، فكانوا يُرسلونهم الى البادية ليرتاضوا على الفصاحة ، أو يُحضِرون لهم المؤدِّبين والمعلمين — كذلك كان يفعلُ خلفاء بنى أميّة وأمراؤهم اقتداءً بكبيرهم « معاوية بن أبى سفيان » فى تربية ابنه « يزيد » ومَن لحِن منهم عدُّوا ذلك عليه عاراً لا يُمحَى وسُبَّةً لا تزول . ومن هؤلاء اللحّانين عُبيد الله بن زياد ، والوليدُ بن عبد الملك ، وخالد القَسْرِى — مع أنّ بعضهم كان من أبلَغ النّاس وأبينهم .

ومن هُنا يُعلم السِّر فى تسرُّع القوم الى وضع النّحو وتدْوينه والشَّكل والأعجام

﴿ الخطابة فى هذا العصر والخطباء ﴾

لمّا كانَ مَبدأُ كلّ انقلاب عظيم فى أىّ أُمّة : إمّا دعوةً دِينيّة ، وإمّا دعوة سياسيّة ، كانَت تلك الدّعوة تَستدْعِى ألْسِنةً قوّالةً من أهلها لتأييدها ونَشْرها وألْسِنةً من أعدائها وخُصُومها لإدْحاضها والصدِّ عنها : وذلك لا يكون الا بمخاطبَة الجماعات — كان ظهور الاسلام من أهم الحوادث التى أنشطَت الألسُن من عُقلها وأثارت الخطابة من مَكمنها فوق ما كانتْ عليه فى جاهليّتها فكان العملُ الأكبرُ لصاحب الدّعوة العُظمى سيّدنا « محمد » صلّى الله عليه وسلم بادئ أمْره غيرَ تبليغ القرآن وارداً من طريق الخطابة . ولِأمْرٍ ما جعلَها الشّارع شِعارَ كلّ الأمور ذوات البال . ولذلك كان دعاةُ النبى صلى الله عليه وسلم ورُسله إلى

الملوك وأمراء جيوشه وسراياه ثم خلفاؤه من بعده وعمالهم كلهم خطباء مصاقع ولسنا مقاول ، وأن الشرع صرفهم عن اللهو بالشعر الذى لا ينهض باعباء الخطابة ولاسيما الدينية لشرحها الحقائق وقرعها الأسماع بالحجج العقلية والوجدانية وترغيبها فى الثواب وترهيبها من العقاب ، بعبارات تفهمها الخاصة والعامة ، وكان لهم من القرآن وأدلته وحججه والاقتباس منه مدد أيما مدد — ولما حدثت الفتنة بين المسلمين بعد مقتل عثمان . وافترقوا الى عراقيين بزعامة علي — وشاميين بزعامة معاوية. ولكل منهم دعوة يؤيدها . ورغيبة يناضل عنها فى تلك الحرب الشعواء التى لم ينكب الاسلام بمثلها . ظهر من كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم ، ولا يشق غبارهم وعلى رأس العراقيين شيخ الخطباء « علي بن أبى طالب » وعلى رأس الشاميين « معاوية بن أبى سفيان » ولم يعدم كل طائفة منها خطباء يؤيدون دعوتها بما أوتوا من البلاغة فى الخطابة والفصاحة والبيان.

والخطابة وصلت فى هذا العصر الى أرقى ما وصلت اليه من اللسان العربى، حتى ممن يعد عليهم اللحن ولم تسعد العربية بكثرة خطباء ووفرة خطب مثل ما سعدت به فى هذ الصدر الأول . اذ كان القوم ورؤساؤهم عربا خلصا يسمعون القول فيتبعون أحسنه .

ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم من اعتجار العمامة ، والاشتمال بالرداء ، واختصار المخصرة ، والخطبة من قيام .

وليس فى عصور أدب اللغة عصر أحفل بالخطباء من هذا العصر : إذ كانت الخطابة فيه سلسة القياد على خلفائه وزعمائه : لفطرتهم العربية ، ومحلهم من الفصاحة والبيان ، وانطباعهم على أساليب القرآن واتساع مداركهم

﴿ خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ﴾

وقفَ على بَاب الكَعبة : ثم قال :

لاَ إلهَ إلا اللهُ ، وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، صدَق اللهُ وَعْدَه ، ونَصرَ عبْدَه وهزَم الأَحزَابَ وحدَه ، ألاَ كُلُّ مأثرَةٍ أو دَمٍ أو مالٍ يُدَّعَى فهو تحتَ قَدَمَيَّ هَاتَين ، إلاَّ سِدَانَةَ البَيتِ وسِقَايَةَ الْحَاجِّ ، ألاَ وقَتيلُ الخَطَأ العَمْدِ بالسَّوْطِ والعَصَا فيه الدِّيَةُ مُغَلَّظَةً فيها أربعون خَلِفَة ، فى بطُونها أولادُهَا . يامعْشَر قُريش إنَّ اللهَ قد أذهبَ عنكم نَخْوَةَ الجاهلية وتَعظُّمَهَا بالآباء . ألنّاس من آدمَ وآدمُ خُلقَ من تُراب . ثم تلا هذه الآية : ﴿ يأيها النّاسُ إنَّا خلقناكم من ذَكرٍ وأُنثى وجعَلناكُمْ شُعُوباً وقبائلَ لِتعَارَفُوا إنّ أكرمكُم عندَ الله أتقاكم إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ ﴾

﴿ ومن خُطبته فى حَجّة الوداع ﴾

أَلحمدُ للهِ نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونَعوذُ بالله من شُرور أَنفسنَا ، ومن سَيّئات أعمالنا . مَن يَهدِ الله فلا مُضِلَّ له ، ومَن يُضلِل فلاَ هَادِىَ له وأشهدُ أن لاَ إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شَريكَ له ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه ،

أُوصيكم عبادَ الله بتقوى اللهِ ، وأُحثُّكُمْ على طاعَتِه ، وأستَفتحُ بالّذى هو خيرٌ « أمّا بعدُ » أيُّها النّاس اسمعُوا مِنى أُبيِّنْ لَكُمْ ، فإنِّى لاَ أدْرِى لَعلِّى لاَ ألْقاكُمْ بعدَ عامِى هذا ، فى مَوقفِى هذا . أيُّهَا الناسُ إنَّ دِماءَكم وأموالكم حَرَامٌ عليكُم الى أن تلقَوا رَبَّكم ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا فى شَهرِكُم هذا فى بلَدِكم هذا ، ألاَ هلْ بلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ! فمن كانتْ عندَهُ أمانةٌ فليُؤَدِّها إلى مَن ائْتَمَنَهُ عليها . وإنّ رِبَا الجاهلِية مَوضُوعٌ ، وإنّ أوّلَ رِباً أبدأ به رِبا عَمِّى العبّاسِ بن عبد المطّلب وإنّ دماءَ الجاهلِيَّة موضوعة ، وإنّ أولَ دمٍ أبدأ به دمُ عامر بن رَبيعة بن الحارث

ابن عبد المُطّلب ، و إنّ ما تَرَ الجاهلية موضُوعَةٌ غير السِّدَانَةِ والسِّقَايَةِ . والعَمْدُ قَوَدٌ ، وشِبْهُ العمْدِ ما قُتِلَ بالعصا والحجَرِ ، وفيه مائةُ بَعيرٍ ، فمن زادَ فهو مِنْ أهل الجاهليَّة . أيّها الناسُ : إنّ الشّيطان قد يَئِسَ أن يُعْبَدَ فى أرضِكُم هذه ، ولكنَّه قد رَضِى أن يُطَاعَ فيما سِوَى ذلك ممّا تَحقِرُون من أعمالكم .

أيّها النَّاس : إنّ لِنسائكم عليكم حَقًّا ، ولكم عليهنّ حقٌّ . لكم عليهن ألاّ يُوطِئْنَ فَرْشَكُمْ غَيْرَكُمْ ، ولا يُدْخِلْن أحداً تَكْرَهونَه بُيُوتَكمْ إلا بإذنكم ولا يَأْتِينَ بِفاحِشةٍ ، فإن فَعَلْنَ فان اللهَ قد أَذِن لكم أن تَعْضُلوهُنَّ وتَهْجُرُوهُنَّ فى المضَاجع وتَضربُوهُنَّ ضَرباً غيرَ مُبرِّح ، فإنْ انتهينَ وأَطعنَكُمْ فعليكم رِزْقُهُنَّ وكِسوتُهنَّ بالمعروفِ ، فاتّقوا اللهَ فى النِّساءِ ، واستَوْصُوا بهنَّ خيراً ، ألا هَل بَلَّغتُ اللّهُمَّ اشْهَدْ ! أيّها الناسُ إنَّما المؤمنونَ إخْوة ، فلا يَحِلُّ لامرىءٍ مالُ أخيه إلا عَنْ طِيبِ نَفس مِنه ألاَ هل بلَّغْتُ ؟ اللهمَّ اشهَد ! فلا تَرْجِعُنَّ بعدِى كُفَّاراً يَضربُ بعضُكم رِقَابَ بعض ، فإنِّى قد تركتُ فيكم ما إنْ أخذْتُمْ به لم تَضِلُّوا بعده : كتابَ الله . ألاَ هل بلَّغْتُ ؟ اللهم اشهَد؟ أيّهاالناس إنّ ربكم واحد ، و إنّ أباكم واحد ، كلّكم لآدم ، وآدمُ من تراب ، أكرمُكم عندالله أتقاكُمْ ، ولَيس لعربى على عجمى فضلٌ إلا بالتّقوى . ألاَ هل بلَّغتُ ؟ اللّهم اشهَد ! قالوا : نَعم ! قال فَلْيُبلِّغ الشَّاهِدُ الغائبَ . والسّلام عليكم ورحمة الله !

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام :

إنّ مَثَلَ ما بَعَثَنِى اللهُ به من الهُدَى والعِلم كَمَثَلِ غَيْثٍ أصابَ أرضاً فكان منْهَا طائفةٌ طيّبةٌ قَبلَتِ الماءَ ، فأَنْبَتَتْ الْكَلأَ والعُشبَ الكثيرَ ، وكان منها أجادِبُ أمسكتِ الماءَ ، فنَفع اللهُ تعالى بها النّاسَ فَشَرِبُوا منها وسَقَوْا وزَرَعُوا ، وأصاب

طائفة منها أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فى دين الله تعالى ونفعه ما بعثنى الله تعالى به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به .

إنما مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار تقع فيها ، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تقتحمون فيها .

أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك .

إن الناس إذ رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب .

مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

﴿أبو بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه﴾

هو أبو بكر عبد الله عتيق بن أبى قحافة عثمان صاحب رسول الله وأول الخلفاء الراشدين ، ويجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب .

ولد بعد مولد رسول الله لسنتين وبضعة أشهر ، ونشأ من أكرم قريش خلقاً وأرجحهم حلماً وأشدهم عفة ، وكان أعلمهم بالأنساب وأيام العرب ومفاخرها

صحب رسول الله قبل النبوة ، وكان أول من آمن به من الرجال وصدقه فى كل ما جاء به : ولذلك سمى « الصديق » وهاجر معه الى المدينة ، وشهد معه أكثر الغزوات .

وما زال يُنفق ماله وقوّته فى مُعاضدَته ، حتّى انتقلَ صلى الله عليه وسلم الى الرّفيق الأعلى .

واختلفتْ العرب وارتدّت عن الإسلام ، فجرّد عليهم الجيُوشَ حتى قمعهم وما مات الاّ وجيوشُه تهزم جيُوش الفُرس والرّوم وتستولى على مَدائنهم وحصُونهم وكانت وفاتهُ سنة ١٣ هـ ومُدّة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال

وكان فصيحاً بليغاً خطيباً مُفوَّهاً قوىّ الحجّة - شَديدَ التّأثير - يشهد بذلك خطْبته يوم السَّقيفَة (وذلك أنه لمّا مات رسول الله اختلفتْ الصّحابة فيمن يُبايعونه خليفةً لَه عليهم : فأبت الأنصارُ إلاّ أن يكونَ الخليفةُ منهم ، وأبى المُهاجرُون من قُريش إلاّ أن يكونَ منهم — واشتدَّ النّزاعُ حتّى كادت تقعُ الفتْنة ، فخطَبهُم خُطْبة لم يَلْبَث الجميعُ بعدها أن بَايعوهُ (خليفَة) - وهى

حَمِد الله وأثنى عليه — ثم قال : أيُّها النَّاسُ نحن المُهاجرونَ ، وأوّل النّاس إسلاماً ، وأكرمهُم أحساباً ، وأوسَطُهم داراً ، وأحسنهُم وُجوهاً ، وأكثرُ النّاس ولادةً فى العرب ، وأمسُّهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم . أسْلَمْنا قبلكم ، وقدّمنا فى القرآن عليكم ، فقَالَ تبارك وتعالى (وَالسَّابِقونَ الأوّلونَ مِنَ المُهاجِرين وَالأنصارِ وَالّذينَ اتّبعُوهُمْ بإحْسانٍ) فنحن المهاجرُون وأنتم الأنْصار : إخوانُنا فى الدِّين . وشُركاؤنا فى الفَيء ، وأنصارُنا على العدُوّ ، آويتم وَوَاسيتُم ، فجزاكم الله خيراً فنحن الأمراء وأنتم الوُزراء لاتَدينُ العربُ إلاّ لهذا الحىّ من قُريش ، فلا تَنْفَسُوا على إخوانكم المُهاجرين مَا منحهُم الله من فَضْلِه

وخطب أيضا حين بَايَعَ النّاس البَيْعَةَ العَامَّة

حَمِدَ الله وأثنى عليه — ثم قال : أيّها النّاس إنّى قد وُلّيتُ عليكم ، ولَسْتُ

بخيركم فإنْ رأيتمونى على حقٍّ فأعينونى ، وإنْ رأيتمونى على باطلٍ فسدِّدونى ، أطيعونى ما أطعتُ اللهَ فيكم ، فاذا عصيتُه فلا طاعةَ لى عليكم ـ ألاَ إنّ أقواكم عندى الضعيفُ حتى آخذَ الحقّ له ، وأضعفكم عندى القويُّ حتى آخذَ الحقَّ منه أقول قولى هذا وأستغفرُ اللهَ لى ولكم

وخطبَ أيضاً الناسَ فقال : (بعدَ أن حمدَ اللهَ وأثنى عليه وصلَّى على نبيّه صلّى الله عليه وسلّم)

أوصيكم بتقوَى اللهِ ، والاعتصام بأمرِ اللهِ الذى شرع لكم ، وهدَاكم به فانَّ جوامعَ هدْىِ الاسلام بَعْد كلمة الإخلاص السَّمْعُ والطّاعة لِمَن ولاّهُ اللهُ أمرَكم ، فانهُ مَن يُطع اللهَ وأولى الأمرِ بالمعروفِ ، والنّهى عن المنكرِ فقد أفلحَ وأدّى الذى عليه من الحقِّ . وإيّاكم واتّباع الهوى ، فقد أفلحَ من حُفظ من الهوَى والطّمع والغضب . وإيّاكم والفخرَ ! وما فخرُ من خُلق من تُراب ثمّ الى التّراب يَعودُ ، ثم يأكلُه الدُّودُ ، ثم هو اليومَ حَىٌّ وغداً ميتٌ ؟ فأعملوا يوْماً بيومٍ ، وساعة بساعةٍ ، وتوَقّوْا دُعاءَ المظلُومِ ، وعُدُّوا أنفسكم فى الموتَى وآصبِروا ، فإنَّ العملَ كلَّه بالصّبْر . واحْذَروا ، والحذرُ ينفعُ . وآعْمَلُوا ، والعَمَلُ يُقبَلُ ، وآحذَروا ماحذرَكُم اللهُ مِن عذَابه ، وسارعوا فيما وعدَكم اللهُ من رَحمتِه وآفْهموا وتفَهَّموا ، وآتّقوا ، وتوَقَّوا ، فإنَّ اللهَ قد بَيَّنَ لكم ما أهلكَ به مَن كان قبْلَكُم ، وما نجّى بهِ مَن نَجّى قبلكم ، قد بيَّنَ لكم فى كتابهِ حَلالَه وحرَامَه ، ومايُحبُّ من الأعمالِ ، ومايكرَه فإنى لا آلوكم ونفسى . والله المستعانُ ولا حولَ ولا قُوَّةَ الاَّ بالله . واعلموا أنّكم ما أخلصتُم لله من أعمالكم ، فربّكم أطعتم وحظّكم حفِظْتُم وآغتبطتم ، وماتطوّعتم به لِدِينكم فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفُوا سَلَفكم وتُعطَوْا جرايتكم حِينَ

فقرِكم وحاجتِكم إليها . ثم تفكّروا عبادَ الله فى إخوانِكم وصحابتكم الّذين مَضَوْا قد وردوا على ما قدّموا فأقاموا عليه وحلُّوا فى الشّقاءِ أو السّعادة فيما بعدَ الموت : إنّ الله ليْس له شريك ، وليس بَيْنَه وبين أحدٍ من خلْقِه نَسَب يُعطيه به خيراً ولا يَصْرِف عنه سُوءًا إلا بطاعَتِه واتّباع أمْرِه — فإنّه لا خيرَ فى خيرٍ بَعْدَه النّار ولا شرَّ فى شرٍّ بعده الجنّة .

﴿ من حِكَم سيّدنا أبى بكر الصِّدّيق رضى الله تعالى عنه ﴾

(١) صَنائعُ المعْروف تقِى مَصارعَ السّوء (٢) لَيْست مع العزَاء مُصيبة ، ولا مع الجزَعِ فائِدة (٣) ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه كُنَّ عليه — البغْىُ والنّكثُ والمَكْر (٤) كثيرُ القولِ يُنْسِى بَعْضُه بعضاً ، وإنّما لك ما وُعِى عنك (٥) أَصْلحْ نفسَك يُصلح لكَ النّاس

﴿ سيدنا عُمر بن الخطّاب رضى الله تعالى عنه ﴾

هو أميرُ المؤمنين أبو حَفص عُمر بن الخطّاب القُرشى ـ ثانى خليفة لرسول الله ﷺ وأوّل مَن تَسمّى من الخُلفاء (بأمير المؤمنين) وأوّلُ مَن أرّخ بالتّاريخ الهجرى ومصَّر الأمصار ، ودوَّن الدّواوين

وُلد رَضى الله عنه بعد مَوْلد النّبى صلى الله عليه وسلم بثلاثَ عَشرةَ سنةً وحضَر مع رسول الله الغزَواتِ كلّها ، ثم لما قُبض أعان أبَا بكر على تَولية الخِلافة ولمّا أحسّ أبو بكر بالموت ، عَهد بها اليه ، فقام بأعبائها خيرَ قيام ، وأتمّ جميعَ ما شَرع فيه أبو بكر : مِن فتح ممالكِ كِسْرَى وقَيصر

وقَتلَه غِيلةَ الغُلامُ الشَّقِىُّ أبو لُؤلؤةَ عبدُ المغيرة بن شُعبةَ المجُوسى : لأنّه لم يُنصِفه على زَعْمه فى تَخْفيض ما يدفعه لسيّده مِن أُجْرة عمله . وكان قتلُه سنة ٢٣هـ

ومُدّة خِلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام . وكان رحمه الله مِن أبينِ النّاس مَنْطِقاً ، وأبلغهِم عبارة ، وأكثرِهم صَواباً وحِكمة ، وأرواهم للشّعر وأنقدهم له .

ومن خُطَبِهِ خُطبته إذْ ولىَ الخِلافة

صَعدا لِمنبر : فحمِدَ الله وأثنَى عليه ، ثم قال : ياأيها النّاس . إنّى دَاعٍ فَأَمِّنُوا . أللَّهمَّ إنِّى غليظٌ فَليّنِّى لأهل طاعَتك بمُوافقة الحقّ ، ابْتغاءَ وجهك والدّار الآخرة وارزُقنِى الغِلظة والشِّدَّةَ على أعدائك وأهلِ الدَّعَارة والنِّفاق من غير ظُلم مِنّى لَهُمْ ولا اعتداءٍ عليهم ، اللّهمَّ إنّى شَحيحٌ فَسخِّنِى فى نَوائب المعرُوف قَصدًا من غير سَرَف ولاَ تبذير ، ولا رِيَاء ولا سُمعة ، واجْعلْنِى أبتغى بذلك وَجْهك والدّارَ الآخرة أللَّهمَّ ارْزُقْنى خَفض الجنَاح ، وَلينَ الجانب للمؤمنين . أللّهمّ إنّى كَثِير الغَفْلة والنِّسيان فأَلْهِمنى ذِكرَكَ على كلّ حال ، وذِكْرَ الموت فى كلّ حين ، أللّهم إنِّى ضعيفٌ عِندَ العمل بِطَاعتك فارزُقْنِى النَّشاطَ فيها ، والقُوّة عليها بالنِّية الحسَنَةِ التى لاتكون إلاَّ بعزّتك وتوفيقك ، أللَّهمّ ثبّتنى باليقين ، والبِرِّ والتَّقوى ، وذِكرِ المقام بينَ يَدْيك ، والحَياءِ منك ، وارزُقنِى الخُشوعَ فيما يُرْضيك عنّى ، والمُحاسَبَة لنفسى ، وإصْلاح السّاعات ، والحذر من الشّبُهات ، أللّهم ارزُقنى التَّفكرَ والتّدبّرَ لمَا يَتلوه لِسانى من كتابك ، والفهمَ له والمعرفَة بمعانيه ، والنّظَر فى عَجَائبه ، والعملَ بذلك ما بقيتُ ، إنّك على كلّ شىء قدير

ومن خُطبه فى ذمّ الدّنيا :

إنّما الدّنيا أَمَلٌ مُخْتَرَم ، وأجلٌ مُنْتَقَض ، وبلاغٌ الى دارٍ غَيرِها ، وَسيرٌ الى الموت لَيس فيه تَعريجٌ ، فرحم الله امرأً فكَّر فى أمره ، ونَصَح لنفسِه ، وراقب

رَبّه، واستقالَ ذَنبه، بِئْسَ الجارُ الغنىّ يأخذُك بمالا يُعطِيك من نَفْسه، فان أبيْت لم يَعذرك. إيّاكم والبِطْنَة فانّها مكْسَلة عن الصّلاة ومفْسَدَة للجسم، ومُؤدّيةٌ الى السَّقْمُ وعليكم بالقَصْدِ فى قُوتِكم، فهو أبْعدُ من السَّرَف، وأصَحّ للبدَن، وأقْوَى على العِبادة. وإنّ العبد لَنْ يهلك حتّى يُؤثرَ شَهْوته على دِينِه.

﴿ ومن حِكَم سيدنا عُمر بن الخطّاب ﴾

(١) مَن كتَم سِرّه كان الخِيارُ فى يده (٢) أشْقَى الوُلاة مَن شَقِيت به رَعِيّتُه (٣) لا يَكن حُبّك كَلَفاً ولا بُغضك تَلَفاً (٤) مَنْ لا يَعْرف الشّرَّ كان أجدرَ أنْ يَقَعَ فِيه (٥) أعقلُ النّاس أعذَرُهم للناس (٦) لا تُؤَخِّر عملَ يومك الى غَدك (٧) أبَتِ الدَّراهم الاّ أن تخرج أعناقها (٨) مَن يَئِسَ من شَىء استغْنى عنه

ومن خطبته فى القضاء الى « أبى موسى الأشعرى »

« أمّا بعدُ » فإنّ القَضاءَ فَرِيضة مُحْكَمةٌ، وسُنّة مُتّبَعةٌ، فافْهَمْ إذَا أُدْلِىَ إليكَ، فإنّهُ لا يَنْفَعُ تَكلُّمٌ بحَقٍ لا نَفَاذَ له. آسِ (١) بَيْنَ الناسِ فى وَجهِكَ وعدلِكَ ومجلِسِك، حتى لا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فى حَيْفك (٢)، ولا يَيْئَسَ ضعيفٌ من عدلك. أَلبيِّنةُ على مَن ادّعى، واليَمينُ على مَن أنْكَرَ. والصُّلْحُ جائزٌ بين المسلمينَ إلاّ صلحاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً. لا يَمْنَعَنَّك قضاءٌ قَضَيْتَهُ اليومَ فراجَعْتَ فيه عقْلَكَ، وهُدِيتَ فيه لرُشْدِك أنْ ترجع إلى الحقّ؛ فإن الحقّ قَديمٌ، ومراجعةُ الحق خيرٌ من التّمادِى فى الباطِلِ. ألفهمَ الفهمَ فيما تَلَجْلج (٣)

---

(١) آس بين الناس: سوى بينهم. (٢) الحيف: الميل أى ميلك معه لشرفه. (٣) تلجلج تردد حتى كان موضع حيرة.

فى صدرك، مما ليس فى كتاب ولا سنة[١] ثم اعرف الاشباه والأمثال، فقس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق. واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهى اليه، فاذا أحضر بينته أخذت له بحقه، وإلا استحللت عليه القضية، فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى. المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو نسب[٢]، فان الله تولى منكم السرائر، ودرأ بالبينات والأيمان[٣]. وإياك والقلق والضجر[٤] والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات، فان الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر، ويحسن به الذخر، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس. ومن تخلق[٥] للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله[٦]، فما ظنك بثواب غير الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام[٧].

سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان القرشى الأموى، ثالث الخلفاء الراشدين وموجد نسخ القرآن المبين. ولد فى السنة السادسة من مولد النبى صلى الله عليه وسلم وآمن فى السابقين الأولين وبذل ماله الكثير فى تأييد الأسلام ومعونة المجاهدين وشهد مغازى رسول الله كلها إلا بدرا — وقد كان عمر قبل وفاته عهد بالخلافة

---

(١) الكتاب : القرآن الكريم — والسنة ما أثر عن النبى من قول أو فعل أو تقرير

(٢) ظنين : متهم أى ينتسب إلى غير أبيه أو يدعى إلى غير مواليه، فليس أهلا للشهادة.

(٣) درأ : دفع يريد منع الحدود. (٤) القلق والضجر : ضيق الصدر وقلة الصبر (٥) أى أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته. (٦) شانه ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه (٧) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله فى الدنيا ورحمته فى الآخرة.

إلى ستّة هو منهم ـ تَنْتَخِبُ الأُمَّةُ أحدَهم خليفة ، فانتخبوا بالشُّورَى عُثمان ، فأكملَ مَغازِى عمر ، ثم ثار عليه بعض الأعراب بحُجَّة أنّه يُؤثِرُ أقرباءه بولاية الأقاليم ، فحاصَروه فى داره بالمدينة ، وقتَلوه وهو يَتلو القرآن الكَريم سنة ٣٥ هـ ـ فكان قَتلهُ سَببَ التّفرّق بين المسلمين ، وفاتحة (للإشْتِراكِيَّة) ومُدة خِلافته اثنتا عشرة سنة إلا اثنَى عشر يوماً

وكان رحمه الله من بُلَغاء الخُطَباء ، وأوجزِهم لفظاً ، وأجزلهم مَعْنى ، وأسهلهم عبارة . ومن خُطَبه خطبته بَعدَ أن بويع : وهى بعد الحمد والثّناء

أمّا بعدُ ـ فانّى قد حُمّلت وقد قَبلت ، ألاَ وإنّى مُتَّبعٌ ولستُ بمُبتدعٍ . ألا وإنّ لكم علىّ بعد كتاب الله عزّ وجل وسُنَّةِ نبيّه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : اتّباعَ مَن كان قَبلى فيما اجْتَمعتم عليه وسنَنْتُم ، وَسنَّ سُنَّة أهل الخير فيما لم تَسُنّوا عن مَلأ . والكَفُّ إلاَّ فيما اسْتوجبتم — ألا وإنّ الدنيا خضرة قد شُهِّيت إلى النّاس ، ومالَ إليها كثير منهم ، فلا تركنُوا إلى الدنيا ، ولا تَثِقوا بها ، فانّها ليست بثِقَةٍ ـ واعلموا أنّها غير تاركة إلاَّ مَن تركها

ومن خُطبه أيضاً وهى آخر خُطبةٍ خطبها

أما بعدُ — فإنّ الله عزّ وجل إنما أعْطَاكم الدُّنيا لِتطلُبوا بها الآخرة ، ولم يُعطِكموها لِتركنُوا اليها — الدُّنيا تَفنَى والآخرةَ تَبقى ، فلا تُبْطرنّكم الفانية ، ولا تَشْغَلنّكم عن الباقية ، ، فآثِرُوا ما يَبقى على ما يَفْنَى ، فانّ الدّنيا مُنقطعة ، وإنّ المصير إلى الله ، اتّقوا الله عز وجل فان تقواه جُنَّة من بأسه ، ووسيلةٌ عنده واحذَروا من الله الغيرَ ، والزموا جَماعتكم ، لا تصيروا أحزاباً (واذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَليكم إذ كُنتمْ أعْدَاءً فألَّفَ بَيْن قلوبِكُم فأصْبَحْتُمْ بِنِعْمته إخْوَاناً)

﴿ من حكم سيدنا عثمان ﴾

(١) ما يزَعُ اللهُ بالسُّلطان أكثرُ مِمَّا يزع بالقرآن (٢) أنتم إلى إمام فعَّال أحْوجُ منكم إلى إمام قوّال (٣) يَكفيك من الحاسد أنه يَغتمّ وقتَ سرُورِك

﴿ الإمام على بن أبى طالب — كرَّم الله وجهه ﴾

هو أميرُ المؤمنين أبو الحسن علىّ بن أبى طَالب ، وابنُ عم رسول الله ، وزَوْج ابنته ، ورَابعُ الخُلفاء الرّاشدين ـ وُلِدَ رحمه الله بعد مَوْلدالنّبى صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة ، وهو أوّل من آمن به من الصّبيان . وكان شُجاعاً لا يُشقُّ له غُبَار . شَهد الغزوات كلّها مع النبى إلاّ غزوة تَبُوكَ ، وأبلَى فى نُصرة رسول الله مالم يُبْله أحد . ولما قُتل عثمان بايَعهُ الناس بالحجاز ، وامْتنَع عن بَيعتِه مُعاويةُ . وأهْلُ الشّام شِيعةُ بنى أُميَّة ، غَضباً منهم لمقتل عثمان ، وقِلّة عِنَاية (على) بالبَحْث عن معرفة القَتَلة على حَسَب اعتقادهم ، فحدَثَ من جرّاء ذلك الفتنةُ العُظمى بين المسلمين وافتراقُهم إلى طائفتين ، فتَحاربُوا مدّة من غير أن يَستَتِبّ الأمر لِعلى أو معاوية حتى قَتل أحدُ الخوارج علياً غِيلةً بمسْجِد الكوفة سنة ٤٠ هـ

وكانت مُدّة خلافته خمس سنين إلاّ ثلاثة أشهر

وكان رحمه الله أفصَح الناس بعد رسول الله وأكْثرهم علماً وزُهداً ، وشِدَّة فى الحقّ ، وهو إمام الخُطَباء من العرب على الاطْلاَق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخُطبه كثيرة : منها خُطْبته كرم الله وجهه بعد التّحكيم — وهى

أحمد الله وإنْ أتى الدّهرُ بالخَطب الفادِح ، والحَدَث الجلَل ـ وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحْدَه لا شَريك له ، ليس معه إله غيرُه ، وأنّ محمداً عبدُه ورسوله صلى الله عليه وعلى آله « أما بعدُ » فإنّ مَعْصيةَ النّاصِح الشّفيق ، العالم المُجرِّب ، تُورث

الحيرة وتُعقِب الندامة ، وقد كُنْت أمرتُكم فى هذه الحكومة (١) أمْرِى، ونَخَلْتُ لكم مخزونَ رأيى ، (لو كان يُطاعُ لقصيرِ أمْرٌ) (٢) فأبيتم علىّ إباءَ المخالفين الجفاة المُنابذين العُصاة ، حتى ارتابَ النّاصحُ بنُصحِه ، وضَنَّ الزّندُ بقدْحه ، فكنت وإياكم كما قال أخو هَوَازن :

أمرتهمُ أمرِى بمُنعَرَج اللِّوى فلم يستبينُوا النُّصح إلاّ ضُحى الغَد

ومن خُطبة له حينَ خاطبه العبّاس وأبو سُفيان فى أن يُبايعاله بالخلافة

أيّها النّاس ـ شُقُّوا أمواجَ الفِتن بِسُفُن النَّجَاة ، وعرّجوا عن طريق المُنافَرة وضَعُوا عن تِيجان المُفاخرة ، أفلح مَن نَهض بجَناح ، أو استسلم فأراح ، هذا ماءٌ آجِنٌ ، ولقمةٌ يَغَصُّ بها آكِلُها ، ومُجتنى الثّمرةِ لغير وقْتِ إيناعِها كالزّارع بغير أرضِه فانْ أقلّ يقولوا حرَص على الملك ، وان أسكت يقولوا جزِعَ من الموت ، هَيْهاتَ بعد اللُّتيَّا والّتى ـ والله لابنُ أبى طالبٍ آنسُ بالموت من الطِّفل بثَدْىِ أمّه ، بل اندَمَجْتُ على مكنون علم، لو بُحتُ به لاضطربتم اضطراب الأرْشِيَة فى الطَّوِىّ البعيدة

﴿ من حكم سيدنا على كرّم الله وجهه ﴾

(١) رأىُ الشَّيخ خيرٌ من مَشْهَدِ الغُلام (٢) ألنّاس أعداء ما جَهِلوا (٣) النّاس من خوف الذُّلّ فى الذّلّ (٤) الصّبْرُ مَطيَّةٌ لاتَكْبو وسيف لايَنْبُو (٥) إذا قدِرت على عدوّك فاجْعَل العَفْوَ عنهُ شكراً للقُدْرة عليه (٦) قِيمةُ كلّ امرىءٍ ما يُحْسِن (٧) ألمرءُ مَخبوءٌ تحتَ لسانه (٨) إسْتغنِ عمَّن شِئْتَ تكن نَظِيره ، واحتَج إلى

(١) أى حكومة الحكمين عمرو بن العاص ـ وأبى موسى الأشعرى

(٢) هو مولى جزيمة الابرش وكان حاذقاً وكان قد أشار على سيده جزيمة أن لا يأذن الزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها اجابة لدعوتها إلى زواجه فقتلته فقال قصير (لو كان يطاع لقصير أمر) فذهبت مثلا

مَنْ شِئتَ تكن أسيره ، وأحسِن إلى من شئت تكن أميرَه (٩) خيرُ أموالك ما كفاك وخيرُ إخوانك مَن واساك (١٠) النّاس بزمانهم أشبَهُ منهم بآبائهم (١١) ما هَلَكَ امرؤٌ عَرَف قدرهُ (١٢) مَن عذُب لسانُه كَثُر إخوانُه (١٣) بِشِّر مالَ البخيل بحادث أو وارث (١٤) بالبِرّ يُستعبَدُ الحُرّ (١٥) إعادة الاعتذار تذكير للذّنب (١٦) إذا تمّ العقلُ نقص الكلام (١٧) كثرةُ الوفق نِفاق ، وكثرةُ الخلاف شِقاق (١٨) مَن أكثر فكرهُ فى العواقب لم يَشْجُع (١٩) الشّرفُ بالعقل والأدب لا بالأصْل والنَّسب (٢٠) أكثرُ مَصارع العُقول تحتَ بُرُوق الأطماع (٢١) قلب الأحمق وراء لِسانه ، ولِسانُ العاقل وراء قلبه (٢٢) يَعيش البخيلُ فى الدّنيا عَيْشَ الفُقراء ، ويُحاسَب فى الآخرة حِساب الأغنياء (٢٣) الولاياتُ مَضامير الرّجال (٢٤) النّاس أبناء الدّنيا ، ولا يُلامُ الرّجل على حُبّ أُمّه (٢٥) مَن عَلِم أنّ كلامَهُ مِنْ عَمَلِه قَلَّ كلامُه إلاّ فيما يَعْنيه (٢٦) الحِرمان خيرٌ من الامتِنان .

﴿ سَحْبانُ وائل ﴾

هو سَحْبانُ بن زُفَرَ بن إياد الوائلى ، الخطيب المِصْقَع ، المضروبُ به المَثَل فى البلاغة والبيان ، نشأ فى الجاهليّة بين قبيلة وائل — ولمّا ظهر الأسلام أسلم وتقلّبت به الأحْوال حتى التَحَق بمُعاوية فكان يُعِدّه للمُلِمّات ، ويتوكّأ عليه عند المُفاخرة .

قَدِم على مُعاوية وفدٌ فطَلَبَ سَحْبانَ لِيتكلّم فقال : أُحضروا لى عَصاً : قالوا : ما تَصنعُ بها وأنتَ بحضرة أمير المؤمنين ؟ — قال ما كان يَصْنع بها موسى وهو يخاطب رَبّه — فَضَحِك مُعاوية وأمرَ له بإحْضارها ، ثم خَطَب من صلاة الظُّهر الى أن حانت صلاةُ العصر ، مَا تَنحنحَ ولا سَعَلَ ولا توقّف ولا تَلَكّأ ولا ابتدأ

فى مَعنًى وخرجَ منه ، وقد بقى منـه شىء ، فما زَالتْ تلك حالُه حتى دَهِشَ منه الحاضِرون فقال مُعاوَية: أنتَ أخطبُ العرب قال سَحْبان : والعجَم والجِنِّ والإنس وكان سَحبانُ إذَا خطب يَسيلُ عَرقاً — ومَات فى خلافة مُعاوية سنة ٥٤ هـ

وممَّا يُؤثر من خُطبه قوله :

إنّ الدّنيا دارُ بَلاَغ ، والآخرةَ دارُ قَرار ، أيّها النّاس — فخُذوا من دَار ممرِّكم لدَار مَقرِّكم ، ولا تَهتِكوا أَستَارَكم عندَ من لا تَخْفى عليه أَسرَارُكم ، وأخرِجوا من الدّنيا قُلوبَكم قبل أن تَخرُجَ منها أبدانُكم ، ففيها حَيِيتُم ولغيرها خُلِقتم

إنّ الرجلَ إذَا هلَك ، قال النّاس مَا ترك ؟ وقال الملائكة ما قَدَّم ؟ قدِّموا بَعضاً يكن لكم ، ولا تُخلِفُوا كُلاًّ يكن عليكم

﴿ زِيَاد بن أَبِيه ﴾

هو أحدُ دُهاة العرب وسَاستها وخُطَبائها وقَادتها

منشؤه — كان للحَارث بن كَلَدَةَ الثّقفىّ طبيب العرب أَمَةٌ تُسمّى سُمَيَّة ، قد قَرنَها بعبد له رُومىّ يُدعى عَبيداً فولدت له سُمَيّة زِياداً هـذا (فى السّنة الأولى من الهِجْرة) فنَشأ غلاماً فَصيحاً شُجاعاً فما افْتَتَحت العربُ الممالك والأمْصَار حتى عُرف منه ذلك ، فاستكتبه أبو مُوسى الأشْعَرِى والى البصرة من قِبَل عُمر — فأظْهَرَ من المهَارة ماجَمَع القُلوب على حُبّه

ولمّا ولِىَ أميرُ المؤمنين (علىّ) الخلافة اضْطَربت عَلَيه فَارس فسار إليها زِياد بِجَمْعٍ كثير ، وتَمكّن بِخِدَاعه من إيقاع الشِّقاق بين رُؤسَاء المُشَاغبين ، وما زال يَضْرِب بَعضَهم ببعض حتى سَكَنَتْ ثَائِرتهم ، وَبقِىَ يَتولَّى لعلىّ الأعمال حتّى قُتِل (علىّ) فخَافه مُعاوية ، فأرْسَل اليه المُغِيرةَ بنَ شعْبة يَسْتقدمه ، فقدِم عَلَيه فادّعاه

أخاً له واستلحقه بنسب أبيه أبى سفيان — وصار يُسمّى زِياد بن أبى سُفيان : بدل زِياد بن عَبيد ـ أو (ابن سُميّة — أو ابن أبيه)

وولاّه مُعاوية العراقين، وهو أوّل من جُمع له بينهما، فسار فى النّاس سيرةً لَمَّ بها الشَّعثَ، وأقام المِعْوجّ، وكَبَح الفِتنة، واشتطّ فى العُقوبة، وأخذ بالظِّنّة، وعاقب على الشُّبْهة، حتّى شَمل خوفُهُ جَميع النّاس فأمِنَ بعضُهم بعضاً، وكان الشّىء يَسْقط من يد الرجُل أو المرأة فلا يَعرِضُ له أحد، حتى يَأتى صاحبُهُ فيأخذه، بل كان لا يَغلِقُ أحدٌ بابهُ ـ وكان زِياد يقول : (لَو ضَاع حَبْلٌ بينى وبين خُراسان لَعرفتُ آخِذَهُ) وكان مكتوباً فى مجلسه عُنوانُ سِياسته وهى (الشدّةُ فى غير عُنف واللِّين فى غير ضَعف ، المُحْسن يُجازَى بإحْسانِه ، والمُسىء يُعاقب بإساءته)

وتُوفىَ بالكوفة فى رمضان سنة ٥٣ هـ

ومن خطبه البليغة خطبته البتْراء [1] حين قدم إلى البصرة والياً لمُعاوية وهى :

أمّا بعدُ ـ فانّ الجهالةَ الجَهْلاَء ، والضَّلالَة العَمياء ، والغَىَّ المُوفىَ بأهله على النّار مافيه سُفهاؤكم ، ويَشتملُ عليه حُلَماؤكم: من الأمور العِظام التى يَنبُت فيها الصّغير ولا يتحَاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تَقرءوا كتاب الله ، ولم تَسمعوا ما أعدّ الله من الثّواب الكريم لأهل طَاعَته ، والعذَاب الأليم لأهل مَعصيته ، فى الزّمن السَّرمدىّ الذى لا يَزولُ . أتَكُونُونَ كَمنْ طرَفتْ عَينَه الدنيا ، وسدَّت مَسامعَه الشّهواتُ ، واختَار الفَانيةَ على البَاقية ، ولا تَذكرونَ أنكم أحدثتُم فى الإسلام الحَدَث الّذى لم تُسبَقُوا إليه : مِنْ تَرْكِكم الضّعيفَ يَقْهر ، والضعيفةَ المَسلُوبةَ فى النّهار لا تُنْصر ، والعددُ غيرُ قليل ، والجمعُ غيرُ مفترق ، ألم يكن منكم نهاةٌ

(١) البتراء : التى لم يحمد الله فيها

يمنعون الغُواةَ عن دَلَجِ الليل وغارةِ النّهار ! قَرَّبتم القَرابة، وباعدْتُم الدِّين، تَعتذِرون بغير العُذر، وتُغضُّونَ على النُّكْر، كلُّ امرىءٍ منكم يَرُدُّ عن سَفيهه، صُنْعَ مَن لا يخافُ عِقاباً، ولا يَرجُو مَعاداً، فلم يزَل بهم ما تَرَوْن مِن قيامكم دُونَهم، حتى انتهكوا حُرَمَ الإسلام، ثم أطرقُوا وراءكم كُنُوساً فى مكانِس الرِّيب

حرامٌ علىّ الطعام والشّراب حتى أضعَ هذه المَواخير بالأرض هَدْماً وإحراقاً إنِّى رأيت آخرَ هـذا الأمر لا يصلُح إلاَّ بما صَلَحَ به أوّله « لِينٌ فى غير ضُعْف وشِدّةٌ فى غير عُنف » وإنِّى لأقسمُ بالله ـ لآخذَنّ الوَلىّ بالمولَى، والمُقيمَ بالظَّاعن والمُطيعَ بالعَاصِى، حتى يلقَى الرّجل أخاه : فيقولُ « إنْجُ سَعْدٌ فقد هلك سُعَيدٌ » أو تستقيمَ لى قَناتكم، إنَّ كِذْبةَ الأمير بَلْقاءُ مَشهُورة، فاذَا تعلّقتم علىَّ بكِذْبة فقد حلّتْ لكم مَعصِيَتى، وقد كان بينى و بين قوم إحَنٌ فجعلتُ ذلك دَبْرَ أُذُنى وتحت قَدَمى، إنى لو علمت أنَّ أحدَكم قد قتله السُّلّ مِن بُغضِى لم أكْشِف له قِناعاً، ولم أهتِك له سِتراً، حتى يُبْدِى لى صَفْحتُه، فاذَا فعل ذلك لم أُناظره فاستَأنِفُوا أُمورَكم، وأعينُوا على أنفسكم، فَربَّ مُبتَئِس بقدومنا سيُسَر، ومَسرور بقدومنا سيَبتَئِس

أيّها النّاس ـ إنّا قد أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذَادَة، نسُوسكم بسلطان الله الذى أعطَانا، ونَذودُ عنكم بِفَىءِ الله الذى خوّلنا، فلَنا عليكم السمعُ والطّاعة فيما أحببنَا، ولكم علينا العدلُ فيما وَلينا، فاستوجِبُوا عَدلَنا وفَيْئَنا بمُناصحتكم لنَا

﴿ الحجّاج الثّقفى ﴾

هو أبو محمد الحجّاج بن يوسف الثّقفى، أحد جبابرة العرب وساستها، ومُوَطّد مُلك بنى أمية، وأحدُ البلغاء والخطباء المصاقع ـ ولد سنة ٤١ هـ وشَبّ فى خلافة مُعاوية

وخدَم الحجَّاج بولاية عبد الملك بن مَرْوَان ، وابنه الوليد ـ حتى كان ملكه ما بين الشّام والصّين ـ ومات سنة ٩٥ هـ فى مدينة واسط بالعراق

وكان الحجاج آية فى البلاغة وفَصَاحة اللسان وقُوّة الحُجة وشُجَاعاً دَاهية عنيفاً قال الأصمعِى أربعة لم يَلحَنوا فى جدٍّ ولاهزل ، الشَّعبى . وعبد الملك بن مَرْوَان ، والحجّاج بن يوسف ، وابن القرِّية : وكان الحجّاج أفصحهم ـ ومن مآثره اهتمامه بوضع النقط والشكل للمصحف وغيره ، ونسخه عدّة مصاحف من مصاحف عثمان و إرسالها إلى بقية الأمصار . ومن خطبه المشهورة خطبته لمَّا قدم أميراً على العراق ـ فانهُ دخل المسجد (مُعْتَما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه ، مُتقلداً سيفاً ، مُتنكباً قوساً) يؤمُّ المنبر ، فقام الناس نحوه حتى صعِد المنبر فمكث ساعة لايتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض قبّح الله بنى أُمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق

فلمّا رأى عيُون الناس اليه ، حَسَر اللِّثام عن فِيه : ونهض فقال :

أنا ابنُ جلاَ وطلاَّعُ الثَّنايَا متى أَضَعِ العِمامةَ تَعرفُونى

يَأهلَ الكوفة ـ إنى لأرى رُؤُساً قد أينَعَتْ وحانَ قِطافُها ، و إنى لصاحبُها وكأنى أنظرُ إلى الدِّماء بينَ العَمائم واللِّحَى ـ ثم قال

هَذَا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّى زِيَمْ قد لَفَّها الليلُ بِسَوّاقٍ حُطَمْ

لَيسَ براعِى إبِلٍ ولا غنَمْ ولا بِجزّار على ظَهْرٍ وَضَمْ

ثم قال ـ قَد لَفَّها اللّيلُ بعَصْلَبِيٍّ أرْوَعَ خرَّاج من الدَّوِىّ

مُهاجرٍ ليس بأعرَابِىّ

وقال ـ قَد شَمَّرت عَن سَاقِها فَشدُّوا وجَدَّت الحربُ بكم فجِدُّوا

والقَوْسُ فيها وَتَرٌ عُرُدُّ مِثْلُ ذِراعِ البَكرِ أو أشَدُّ

لابدَّ مِمَّا لَيس منهُ بُدُّ

إنِّى والله يأهلَ العراق ما يُقعقَع لى بالشِّنآن ، ولا يُغمَزُ جانبى كَتغماز التين ولقد فُرِرْتُ عن ذَكاء ، وفُتِّشت عن تَجربة ـ وانّ أميرَ المؤمنين (أطال الله بقاءه) نثرَ كِنانتَه بين يديه ، فعَجَمَ عِيدانَها ، فوجدنى أمرَّها عُوداً ، وأصْلَبَها مَكْسِراً فرماكم بى لأنّكم طالما أوْضَعْتُم فى الفِتنَة ، واضْطجعتم فى مراقد الضّلال ـ والله لأحزمنّكم حَزْم السلَمة[1] ولأضربنّكم ضَرْبَ غَرائبِ[2] الإبل ، فانّكم لَكأهْلِ قَرية كانت آمِنةً مُطمئنّةً يأتيها رِزْقها رَغداً من كلّ مَكان فكفرَت بأنْعُم الله فأذاقَها الله لِباسَ الجوع والخَوْف بما كانوا يَصْنعون . وإنّى والله ما أقول إلا وفَيْتُ ولا أهُمّ إلا أمْضيتُ ، ولا أخلُق[3] إلاّ فَرَيتُ[4]

وإنّ أمير المؤمنين ـ أمرنى بأعطائكم أعْطِياتِكم ، وأنْ أُوَجِّهكم لِمُحاربة عدُوّكم مع المُهلَّب[5] بن أبى صُفرة ـ وإنّى أقسمُ بالله ـ لاأَجِدُ رجلا تخلّف بعد أخذ عَطائه بثلاثة أيام إلاّ ضَربت عُنُقه .

﴿ طَارِق بن زِيَاد ﴾

هو أحدُ قُوّاد جُيوش الوَليد بن عَبد الملك ، كان خَطيباً مِصْقعاً . وبَطلاً مِقداماً ، بعيدَ الهِمّة ، يَعشقُ المجدَ ، وتَصبُو نفسُه إلى الفتُوحات . خرج من المغرب

---

(١) نوع من الشجر وذلك لأن الأشجار تعصب أغصانها ثم تختبط بالعصى لسقوط الورق وهشيم العيدان (٢) وهى تضرب عند الهرب وعند الخلاط وعند الحوض أشد الضرب (٣) أقدر (٤) قطعت .

(١) هو أبو سسعيد المهلب بن أبى صفرة الأزدى البصرى قائد قواد الأمويين ومبيد الخوارج ومبتدع الركب الجديد

سنة ٩٢ هـ باثنى عشر ألف جندى من مُواطنيه ، يقلُّهم أسطُول قوىّ ؛ قد جُهِّز لذلك وعبرَ البحر إلى اسبانيا لفتحها ، فلما علم (رُوْدريك) ملكها بقدوم المسلمين إلى بلاده قابلهم بجيش عظيم ، هالت طارقا كثرةُ عَدَدِه وكمال عُدَدِه . فبادر طارقٌ وأحرق أسطولَه لِيَقطعَ أملَ أصحابه فى الرّجوع ، وقال لهم « أيها الناس الخ » فاندفعُوا على الأسبان اندفاعَ اليائس ، وهزَموهم شرَّ هزيمة . ثم والَى طارقٌ فتوحاته فى إسبانيا حتى قبَض على (رُودريك) آخر ملوك الفيز يغوط بها . وقتله سنة ٩٤ هـ ـ وبعد ذلك بسنة استقدَمهُ الوليد إلى دمشق إلى أن مات سنة ١٠١ هـ ـ وها هى خُطبته البليغة

أيُّها النّاس ـ أينَ المفرّ ، ألبحرُ من ورائكم ، والعدُوُّ أمامكم ، وليس لكم والله إلاّ الصّدق والصّبر . واعلموا أنّكم فى هذه الجزيرة أضيعُ من الأيتام ، فى مأدُبة اللّئام ، وقد استقبلكم عدوّكم بجيشه ، وأسلحتُه وأقواتُه مَوْفورة ، وأنتم لا وَزَرَ لكم إلا سيُوفكم ، ولا أقوات إلا ماتَستخلصونَه من أيدى عدُوّكم ، وإنْ امتدّت بكم الأيامُ على افتقاركم ، ولم تُنجزُوا لكم أمراً ذَهَبَتْ رِيحُكم ، وتعوَّضَت القُلوبُ من رُعبها منكم الجُرْأةَ عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خِذلان هذه العاقبة من أمركم بِمُناجزة هذا الطّاغية ، فقد ألقَتْ به اليكم مدينته الحصينة . وانّ انتهاز الفرصة فيه لمُمكنٌ ان سمحتم لأنفسكم بالموت ، وانى لم أحذّركم أمراً أنا عنه بنَجْوة ولاحمَلتُكم على خُطّةٍ أرخَصُ متاعٍ فيها النفوس أربأ فيها بنفسى . واعلموا أنكم إن صَبرْتُم عَلَى الاشقّ قليلاً استمتعتم بالأَرْفَه الألذّ طويلاً . فلا ترغبُوا بأنفسكم عن نفسى ، فيما حظّكم فيه أوفرَ من حَظّى ـ وقد بلغكم ما أنشأتْ هذه الجزيرة من الخيرات العميمة ، وقد انتخبكم الوليدُ بنُ عبدِ الملك أمير المؤمنين من الأبطال عُربانا ، ورضِيَكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ، ثِقةً منه بارتياحكم للطِّعان

واسماحكم بمُجالدة الأبطال والفرسان ، ليكونَ مَغْنمُها خالصاً لـكم من دونهِ ، ومن دون المؤمنين سواكم ـ والله تعالى ولىّ إنجادكم على مايكونُ لـكم ذكراً فى الدّارين واعلموا أنى أوّل مجيب إلى مادعوتـكم إليه ، وأنى عندُ ملتقى الجمعين حاملٌ بنفسى على طاغية القوم « لُذَريق » فقاتلُه إن شاء الله تعالى. فاحملوا معى فإن هلكتُ بعدَه فقد كُفيتُم أمْره ، ولم يُعْوِزكُمْ بطَل عاقِلٌ تُسْنِدُون أموركم اليه ، وان هلكتُ قبل وصولى اليه ، فاخلفُونى فى عزيمتى هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا المُهِمَّ من فتح هذه الجزيرة بقتلهِ ، فانَّهم بعده يُخذَلون

﴿ الكتابة ـ خطّية ـ وانشائيّة ﴾

الكتابة الخطّية ـ كان الخطُّ فى مبدإ ظهور الإسلام هو الخطّ الأنبارى الحيرى ، المُسمّى بعد انتقاله الى الحجاز بالحجازى ، وهو أصل النّسخ . وكان يَكْتُب به النّزر اليسير من العرب عامّة ، و بِضعة عشر من قريش خاصّة . فلمّا انتصر النبى صلى الله عليه وسلم على قريش فى يوم بدر ، وأسر منهم جماعة ـ كان فيهم بعض الكُتّاب ، فقبل الفِداء من أُمّييهم — وفادى الكاتب منهم بتعليم عشرة من صبْيان المدينة . فانتشرت الكتابة بين المسلمين ، وحضَّ النبى على تعلُّمها ـ ومن أشهر كُتّاب الصحابة (زيدُ بنُ ثابت ، وعبدُ الله بن الزُّبير ، وسَعيد بن العَاص وعبد الرّحمن بن الحارث بن هِشَام) . ولمّا فتح المسلمون الممالك ، ونزلت جَمْهَرة الكُتّاب منهم الكوفة عُنُوا بتجويد الخطّ العربى وهَندسة أشكاله حتى صار خطُّ أهل الكوفة مُمتازاً بشكله عن الخطّ الحجازى واستَحقَّ أن يُسمّى باسم خاص وهو (الكوفى) و به كانت تُكْتب المصاحف . و حلَى القصُور والمساجد وسكّ النّقود وكان الصّحابة وتابعُوهم من بَنى أُميَّة يكتبون بلا إعجام ولا شكل إلاّ قليلا

اعتماداً منهم على معرفة المكتوب اليهم باللّغة وا كتفائهم بالرّمز القليل فى قراءة اللّفظ فلمّا فسد اللّسان باختلاط العرب بالعجم ، وظهر اللّحن والتّحْرِيف فى الألسنة أشْفَقَ المسلمون على تحريف كَلِم الكِتَاب الكريم فوَضع أبو الأسود الدُّؤَلىّ علامات فِى المصاحف « بصَبغٍ مخالف » فجعل عَلامة الفتحة نقطة فوق الحرف

والكسرة نقطة أسفله ـ والضّمّة نقطة مِن الجهة اليُسرى ، وجَعَل التّنوين نقطتين وكان ذلك فى خلافة معاوية رَضِى الله تعالى عنه .

وَوَضَعَ نَصْر بن عاصِم ، ويحيي بن يَعْمَر ، بأمر الحجّاج نقط الإعجام بنفس المداد الذى يُكْتَب به الكلام : حتى لايختلط بنقط أُستَاذِهما أبى الأَسود ـ وكان ذلك فى خلافة عَبدِ الملك بن مَرْوان ، ثم شاع فى النّاس بعدُ .

﴿ الكتابة الإنشائية قسمان ـ كتابة رسائِل ودواوين ، وكتابة تدوين وتصنيف ﴾

١ ـ (كتابة الرّسائل والدّواوين)

كان زُعماء العرب وفُصحاؤُهم كلّهم كُتّاباً ، يُنْشِئونَ بمَلَكتِهم ، ولو لم يخُطُّوا بِيَمِينهم ـ فكان النّبى وأصحابُه وخُلفاؤه يُملون كتبَهُم على كتّابهم بعبارتهم ، و بعضهم يَكْتُبها بيدِه ـ ولما اتّسعتْ مَوارِدُ الخلافة أصبَحت فى حاجة إلى انشاء الدّواوين لضَبط ذلك . فكان « عُمر » أوّلَ مَن دَوَّن الدّواوين ـ وكان كُتّاب الرّسائل للخُلفاء وعُمّالهم إمّا عرَبًا أو مَوالِىَ يُجيدون العربية ـ أمّا كُتّاب الخراج ونحوه فكانوا فى كلّ إقليم من أهله يكتبُون بلغتهم ـ ولمّا نَبغَ من العرب مَن يُحسِنُ عملهم حُوِّلتْ هذه الدّواوين إلى العربية زمنَ عبد الملك بن مَرْوان والوليد ابنه وَجَرَى خُلفاء بَنِى أُمية فى كتابة الرّسائل على ما كان عليه الأمرُ زمنَ الخلفاء الرّاشدين

ثمّ لمّا اتّسعت رُقْعة المملكة ، وقَرَّت أمورُ الدَّولة ، وازدادت الأعمال وشُغِل الخلفاء عن أن يَلُوا الكتابة بأنفسهم : أو بخاصّة عَشِيرتهم ، عَهِدُوا بها إلى كبار كُتَّابهم حتّى انتشرت وصارت صناعةً مُحكمة ـ وكان كثيرٌ منهم يعرف اللّغة الروميّة أو الفارسيةَ أو اليُونانية أو السّريانية ـ وهى لُغات أُمم ذَات حَضارة وعُلُوم ونِظَام ورُسُوم

ومِنْ هؤلاء ـ سَالم مولى هِشَام بن عبد الملك : أَحد الواضعين لنِظَام الرّسائل وأُستاذُ «عبدِ الحميد الكاتب» الذى آلَت اليه زَعامة الكِتابة آخرَ الدّولة الأُمويّة

﴿ مُميّزات الكتابة الانشائية ﴾

وتمتَاز الكِتابة فى هذا العَصْر بالميزات الآتية :

(١) الاقتصارُ فى أغراضها على القدر الضّرورى لدولة عربية . والاقتصار فى معناها على الالمام بالحقائق ، وتوضيحها بلا مُبَالغة ولا تهويل . واسْتِعمال الألفاظ الفَخلة والعبارات الجزلة . والأساليب البَليغة : اذ كان الكاتب والمكتوب اليه عُرُباً فُصحاء (٢) مُرَاعاة الإيجاز غالباً : الاّ حيثُ يستدعى الحالُ الإسهَاب ـ وبَقى الأمر على ذلك ، حتى جَاء عبدُ الحميد الكاتب آخرَ الدّولة الأُمويّة ، فأسهب فى الرّسائل ، وأطَال التّحميداتِ فى أوّلها ، وسلكَ طريقَهُ مَنْ أتى بَعده

﴿ الكُتّاب ﴾

كُتَّاب هذا العصر كثيرونَ ، فقد كانت الخلفاء والأُمراء والقُوّاد كلُّهم كُتّاباً بُلَغاء . ولمّا صارت الكِتابةُ صِناعة ، تَدَاولَها كثيرٌ من الأعاجم وغيرِهم واشتهر من بين هؤلاء

﴿ عبدُ الحميدِ بن يَحيىَ الكاتبُ ﴾

هو عبدُ الحميد بن يحيى بن سعيد العَامِرىّ الشّامىّ داراً ، شيخُ الكُتّاب الأوائل . وأول مَن أطال الرَّسائل ، ونَشأ بالأنبار بليغاً حَصيفاً

وكانَ عبدُ الحميد فى أوّل أمره مُعلِّم صِبْيَان ، حتى فَطِن له مَرْوانُ بن محمد أيامَ تَولّيهِ أَرْمينيةَ ، فكتب له مُدّة ولايته ، حتى إذا بلغَه مُبايعة أهل الشّام له بالخلافة سَجدَ مَروانُ لله شكراً ، وسَجد أصحابه إلاّ عبد الحميد ، فقال له مروان لِمَ لا تَسجُد ؟ فقال ولِمَ أَسجدُ ؟ أعلىَ أن كُنتَ معنا فَطِرْت عنّا ؟ قال : إذاً تَطيرُ مَعِى ، قال : الآن طابَ لى السُّجود : وسَجَدَ ، فاتّخذهُ مروانُ كاتبَ دَولته

ولما دَهمتْ مَروانَ جيوشُ خُراسَان أنصارُ الدَّعوة العبّاسية ، وتوالَت عليه الهزائم ، كان عبدُ الحميد يُلازمُه فى كل هذه الشّدة ، فقال له مروان ، قد احتجتُ أن تصيرَ مع عدُوّى ، وتُظهِرَ الغدرَ بى ، فان اعجَابهم بأدبك ، وحَاجتهم الى كتابتك ، يَحْوِجُهم الى حُسن الظّنّ بك ، فان استَطَعْتَ أنْ تَنفعنى فى حَياتِى ، والاّ لم تَعْجزْ عن حِفظ حُرَمى بعد وفَاتى — فقال له : إن الذى أَشرْت به علىّ أَنفعُ الأَمْرينِ لكَ وأقبحُهُما بى . وما عِنْدى إلاّ الصّبر — حتى يَفْتح الله عليك ، أو أُقْتَلَ معك — وأنشَدَ :

أُسِرُّ وَفاءً ثُمّ أُظهِرُ غَدْرَةً فَمَن لى بعذْرٍ يُوسع النّاس ظاهرُه ؟

وبَقى معه حتّى قُتِل مَرْوان سنة ١٣٢ هـ — وأخذَ عبدُ الحميد إلى السفّاح فقتله سنة ١٣٢ هـ

منزلته فى الكتابة — إتّفقَتْ كلمة البُلغَاء وأَهلِ الأدَب على أنّ عبدَ الحميد هو الأستاذُ الأولُ لأهل صِناعة كِتابة الرّسائل — وذلك أنّه أوّلُ مَن مَهّد سُبُلها

وميّزَ فصولها ، وأطالها فى بعض الشئون ، وقصّرها فى بعضها الآخر ، وأطالَ التحميدات فى صدرها ، وجعل لها صوراً خاصّةً ببدئها وختمها على حسَب الأغراض التى تُكتب فيها ـ وكان لبلاغة عبد الحميد عملٌ يعجزُ عنه السِّحرُ فى خلب الأفئدة وجذبِ النفوس ، فيقال إنّه لمّا ظهر أبو مُسلم الخُراسانى بدعوة بنى العبّاس كتَب إليه عن مَرْوان كتاباً يستجلبه به ، وضمّنه مالو قرئ لأدّى إلى وُقوع الخلاف والفشَل ، وقال لمرْوان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطَل تدبيره ، فانْيك ذلك والاّ فالهلاك . وكان الكتابُ لكبر حجْمه يُحْمل على جمَل ، فلمّا وصل الكتاب إلى داهية خراسان أبى مُسْلم أمرَ بأحراقه قبْل أن يقرأه ، وكتب على جُذاذة منه إلى مروان

محا السيّفُ أسطارَ البلاغةِ وانْتحَى عليك ليوثُ الغاب من كلّ جانب

﴿ التّدوين والتّصنيف ﴾

إنقضَى زمن الخُلفاء الرّاشدين ، ولم يُدوّن فيه كِتَاب إلاّ ما كان من أمر كتابة المُصحف ، وكان مَرجعُ النّاس فى أمر دِينهم ودُنياهم كتابَ الله تعالى وسُنةَ رسوله فاذا اشتبَه عليهم أمرٌ من أمور الدِّين رَجعوا إلى الخُلفاء ، وفُقهاء الصّحابة

ثُمّ لمّا انْتَشر الإسْلام زمَن بَنى أُميّة ، واختَلطت العربُ ، ففَسدَت فِيهم مَلَكة اللّسان العربى ، وفَشَا اللّحنُ ، وأشْفقُوا على القرآن من التّحريف ، وعلى اللغة من الفَساد دوّنوا النّحو ـ وكان أوّلَ مَن كتَب فيه « أبُو الأسْود الدُّؤَلى » وقد تلقّى مبادئه عن « الإمام علىّ » وأخَذ عنه فِتيانُ البصرة : وخُصوصاً الموَالى ـ إذ كانوا أحوجَ النّاس إلى النّحو ـ واشْتغَلَ أهْل الكوفة به بَعْد أن فَشَا بالبصرة ، ولم يَنْقضِ هذا العصرُ حتى اشْتغَلَ به طَبقَتان من البصريين ، وطَبقَة من الكوفيين ـ

ثم لمّا حدَثت الفِتَن وتعدّدت المذاهبُ والنِّحل ، وكثُرت الفتَاوى والرّجوعُ فيها إلى الرُّؤساء ، ومَات أكثرُ الصّحابة ، خَافُوا أن يَعتَمد النّاسُ على رُؤسائهم ، ويَترُكوا سُنّة رسول الله،فأذِن أميرُ المؤمنين «عُمرُ بنُ عبد العزيز» لأبى بكر محمد ابن عَمرو بن حَزْم فى تدْوِين الحديث ــ وانقَضَى هذا العصرُ ، ولم يُدوَّن فيه من علوم اللّغة والدِّين غير النّحو و بعض الحديث و بعض التّفسير . أمّا العلُومُ الأخرى فيُرْوَى أن خَالدَ بن يزيدبن مُعاوية حُبِّبَ إليه مُطالَعَه كتُب الأوائل من اليُونان فترجمتْ له ، ونبغَ فيها ووَضع كُتباً فى الطّب والكِيمياء ، وأنّ مُعاوية اسْتقدم عُبيد بن شَرْيةَ من صَنعاء فكتَب له كتاب « المُلوك وأخبار الماضين » وأنّ وَهْبَ بنُ منبّه الزُّهْرِى ، وموسى بن عُقبة ــ كَتبَا فى ذلك أيضاً كُتباً . وأنّ زِيادَ بن أبيه : وَضَع لابنه كِتاباً فى مَثالب قبائل العرب ، وأنّ ماسَرْجَوَيْه مُتطبّب البصرة ، تولّى فى الدّولة المَرْوانيّة ترجمة كِتاب أهْرُون بن أعين : من السّريانية إلى العربيّة ــ وأنّ يُونُس الكاتب بن سُليمان ألّفَ كتاباً فى الأغانى ونِسْبتها إلى مَن غنّى فيها ــ ولم يَبْلغ التّصنيفُ شأواً يُذكر

﴿ الشّعر والشّعراء فى هذا العصر ﴾

جَاء النّبى الكريم ، والشّعرُ دِيوانُ العرب ، فأتاهم بالأمر العظيم ، والحادِث الخطير ، حَاملاً بإحْدى يدَيْه القرآن يدْعو النّاس الى توحيدالله ، والتّمسك بالفَضيلة وشَاهِراً بالأُخرى سَيْفَ الحقّ لحماية هذِه الدّعوة ، ومَا كان أشدَّ ذُهُولهم لِخَطْبهما وانزعاجهم مِن وَقْعِهما . فهبُّوا يَتحَسَّسُون الأوّل ، ويَتمرَّسُون أسَاليبه ومَعانيه ويَتفرّسُون ألفَاظَهَ ومَغَازيه ، مَا بينَ مُعاند يتَلمّس مَطْعناً فيه ، ومُؤمنٍ يستبينُه ويستهديه ، وتأهّبُوا للثّانى : مَابين ضَال يُناوئُه ، ومُهْتدٍ يُعاضِدُه ، فصَار ذلك صَارفاً

لهم عن التشاغل بالشعر - محولا مجرى أفكار المؤمنين منهم عن أكثر فنونه المنحرفة عن سنن الشرف والحق كالمدح بالباطل والهجاء والمغازلة . وبغض اليهم تلك الفنون المرذولة بإزراء القرآن على الشعر بقوله (والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا) ولهذا لم يكف شعراء المسلمين عن قوله فيما يطابق روح القرآن - كالموعظة والارشاد . ومدح الرسول وأصحابه — الخ

ولبث الحال على ذلك مدة حياة النبى الكريم ، حتى إذا ما ثاروا لإسكان فتن أهل الردة ، وفتح الممالك والأمصار . أضافوا إلى ما ألفوه من أغراض الشعر الإكثار من التباهى بالنصر ، ووصف المعارك ، وأحوال الحصار ، وآلات القتال ولما آل الأمر إلى بنى أمية ، وشغب عليهم كثير من فرق المسلمين أصبح الشعر لساناً يعبر عن مقاصد كل حزب ، حتى أصبح حرفة عتيدة ، وصناعة جديدة ومورد ثروة ، وأصبحت دراسته ونقده وروايته دأب العلماء والأدباء ، حتى الخلفاء وأولياء عهودهم . ويمكن وصف ما كان عليه الشعر فى هذا العصر من حيث أغراضه ومعانيه وتصوراته وعباراته بما يأتى

﴿ أغراض الشعر وفنونه ﴾

(١) نشر عقائد الدين وحكمه ووصاياه والحث على اتباعه ، وخاصة زمن النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين :

(٢) التحريض على القتال ووصفه - والترغيب فى نيل الشهادة رفعاً لكلمة الله - وذلك فى أزمان غزوات النبى وحصار المدن وفتحها

(٣) الهجاء — وكان أوّلا فى سبيل الدّفاع عن الإسلام بهجو مُشركى العرب بما لا يخرج عن حدّ المروءة ، وبما رضيه النّبى من حسّان بن ثابت شاعره فى هجاء قُريش وعشيرة النّبى من بنى عبد مناف . وكان يتحرّج عنه المسلمون ولو بالتّعريض زمن النبى وخلفائه : ولذلك عاقب عمرُ أميرُ المؤمنين « الحُطيئة » وهدّده بقطع لسانه لنيله من بعض المسلمين : ثم صار يُتساهل فى خطبه حتى كان الهجاء غاية براعة الشاعر ، وإنْ لم يصل فى الإقذاع والفحش إلى الحدّ الذى وصل اليه فى العصر الآتى : ومن ذلك التّهاجى المشهور بين جرير والفرزدق والأخطل

(٤) المدحُ — وقلّما كان مبدأ الاسلام فى غير النّبى من حيث الإهتداء بهديه ، ونشر الحقّ على يديه . وكان خلفاؤه يأنفون مدحهم بما تزهى به نفوسهم تواضعاً .

ثم استرسل الشّعراء فيه ، وقبل ذلك منهم الخلفاء إلى أن كان المدحُ من أهمّ الدّعائم لتوطيد أركان الدّولة وتفخيم مقام الخلفاء والولاة والإرشاد بعظمتهم

﴿ معانيه وأخيلته وألفاظه وأساليبه وأوزانه ﴾

لم يخرج شعراء هذا العصر فى جملة تصوّرهم وتخيّلهم عمّا ألفوه زمن الجاهليّة وإن فاقوهم كثيراً فى ترتيب الفكر وتقريب المعنى إلى الأذهان والوجدان . بما هذّب نفوسهم ، ورقّق طباعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسول الله — وكذلك لم يخرجوا جملة فى هيئة تأليف اللّفظ ونسجه ومتانة أسلوبه عن نظائرها فى الجاهلية وإنما آثروا جزالة اللّفظ وفخامته ومؤالفته لسابقه ولاحقه دون غرابته ، كما آثروا جودة الأسلوب ومتانته ، وروعة تأثيره — ولا سيّما أهل النّسيب : — ولم يطرأ على أوزان الشّعر العربى حدَثٌ غيرُ ما عُرف عنه فى الجاهلية

وإنَّمَا شَاع فى هذا العصر نظم الأراجيز ، والتَّطويل فيها . واستِعمالُها فى جَميع أغراضِ القَصيد . حَتَّى فى افتتاحها بالنّسيب ، والتّخلّص مِنه إلى المدْح والذَّم ونَحو ذلك .

﴿ الشّعراء ﴾

شُعَراء هذا العصْر ممّن خلَصت عَرَبيتهم ، واستَقَامت ألْسِنتهم ، ولم يمتدّ اليهم اللّحن ـ ولقد زَادَتْهم مُدارَسة القرآن الكَرِيم فَصَاحةً و بَلاَغة ، و إحْكاماً و إتْقاناً حتّى فضّلهم بَعْض الرّواة على سَابقيهم من الجاهليّين — وَمِنْ أشْهر شُعراء هذا العصر : كَعْبُ بن زُهير . والخنساء . والُحطَيئة . وحسّان بن ثابت . والنّابغة الجَعْدِى وعَمرو بنُ مَعْديكرِبَ من المُخَضْرَمين (١) ـ وعُمر بن أبى رَبيعة . والأخْطل . والفَرَزْدق . وجَرِير . والكُمَيت . وجَميل . وكُثَيِّر عَزّه . ونُصَيْبُ . والرّاعى . وذُو الرُّمة من الأسلاميّين .

(١) ﴿ كَعبُ بن زُهَير ﴾

هو كعبُ بن زُهَير بن أبى سُلْمَى أحدُ فحول المُخضرَمين ، ومادح النّبىّ الامين . ولمّا ظَهَر الاسْلام ذَهَب أخُوه بُجَيْر إلى رَسُول الله صَلّى الله عليه وسلم ، فَغَضِب كَعْب لإسْلامه . وَهَجَاه وَهجَا رسولَ الله وأصْحَابَه ، فَتوعّده النّبى صلّى الله عليه وسلم وأهْدَرَ دَمه ، فحذّره أخُوه العَاقبة ، إلاَّ أن يَجِىء الى النّبى مُسلِماً تَائباً ، فَهام كَعْبُ يترَامَى على القَبائل أن تُجيرَه ، فلم يُجِرْهُ أحد ـ فلمّا ضاقت الأرض فى وجهه جَاء أبا بكر رضى الله عنه بالمدينة ، وتوسّل به إلى الرسول ـ فأقْبَل به عليه وآمنَ ـ وأنْشَده قصيدته المشْهورة الآتية

(١) المخضرم من الشعراء من عاش فى الجاهليه والاسلام

فخلع عليه النّبى بُردته ، فبقيت فى أهْل بيتِه حتى باعُوها لمُعَاوية بِعشرين ألف دِرْهم . ثم بِيعت للمَنْصور العبّاسى بأربعين ألفاً . ومات سنة ٢٤ هـ .

شِعْره ـ كان كَعْب مِن الشّعراء المُجِيدِين المشهورين بالسَّبق ، وعُلوّ الكَعْب فى الشّعر ، وكَان خلَف الأحْمر أحد عُلماء الشّعر يقولُ — لولا قصائدُ لزُهير ما فضّلته على ابنه كَعْب ، وَكفاه فضلاً أن الحُطيئَة مع ذَائع شهرْته ، رَجَاه أن يُنوِّه به فى شعره ـ فقال :

فَمَنْ للقوافى شَانَها مَن يَحُوكها ... اذا مَا مَضى كَعب وفوّز جَرْوَلُ

ومن شعره قوله :

لو كنت أعْجَبُ من شىءٍ لأعْجَبنى ... سَعْىُ الفَتى وهو مَخْبُوءٌ له القدَرُ

يَسْعَى الفَتى لأمُور لَيْس يُدْرِكُها ... والنّفسُ واحِدَة والهمُّ مُنتَشِرُ

فالمرء مَا عَاش مَمدُودٌ له أمَلٌ ... لا يَنْتَهى العُمْر حتّى يَنْتَهى الأثرُ

ومن قوله أيضاً :

إنْ كنتَ لاَ ترهَبُ ذمِّى لِمَا ... تَعْرف مِنْ صَفْحى عن الجاهلِ

فاخشَ سكوتى إذْ أنا مُنْصِتٌ ... فيكَ لِمسْمُوع خنَا القَائِلِ

فالسّامعُ الذمِّ شريكٌ له ... ومُطعِمُ المأكول كالآكِلِ

مَقالةُ السُّوء إلى أهلها ... أسرعُ من مُنحدِرٍ سائِلِ

وَمَن دَعَا النّاس الى ذمِّهِ ... ذَمُّوهُ بالحقِّ وبالبَاطل

ومن قوله أيضا قصيدة « بَانَتْ سُعَاد » المشهورة ـ وهى :

بانتْ سُعادُ فقلبى اليومَ متبولُ ... مُتَيّمٌ عندَها لم يُجْزَ مَكبولُ (١)

(١) بانت : فارقت . والمتبول : الذى أسقمه الحب . ومكبول : مقيد .

وما سُعادُ غَداةَ البَيْنِ إذ بزَلَتْ ... إلاّ أَغَنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مَكحول (١)

تجلو عوارضَ ذى ظَلْمٍ إذا ابتَسمتْ ... كأنّه مَنْهَلٌ بالرَّاحِ معلول (٢)

شُجَّتْ بذى شَبَمٍ من ماءِ مَحْنِيَةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضحى وهومشمول (٣)

تَنفِى الرِّياحُ القَذَى عنه وأفرطَه ... من صَوْبِ غاديةٍ بيضٌ يعَاليل (٤)

ويلُ أمّها خُلَّةً لو أنّها صدقَتْ ... بوعدها ولو أنّ النُّصحَ مقبول (٥)

لكنّها خُلَّةٌ قد سِيطَ مِن دمِها ... فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخلافٌ وتبديل (٦)

فما تقومُ على حالٍ تكون بها ... كما تَلَوَّنُ فى أثوابها الغُول (٧)

ولا تَمَسَّكُ بالعَهدِ الذى زعَمَتْ ... إلا كما يُمْسِكُ الماءَ الغرابيل

كانت مواعيدُ عُرْقوب لها مثلا ... وما مواعيدُه إلاّ الأباطيل (٨)

أرجو وآمُل أن تَدنُو مودّتُها ... وما إخالُ لدينا منكِ تنويل

---

(١) الأغن : الذى فى صوته غنة ، وهى صوت محبوب . غضيض الطرف : أى فى طرفها كسر وفتور .

(٢) تجلو : تكشف . والمراد بالعوارض هنا الأسنان . ذى ظلم : أى ثغر ذى ظلم . والظلم : ماء الأسنان وبريقها . معلول : أى مسقى بالخمر مرة بعد أخرى .

(٣) شجت : أى مزجت بالماء لتذهب سورتها . وبذى شبم أى بماء ذى شبم . والشبم : البرد . والمحنية : منعطف الوادى لأن ماءها يكون أصفى وأرق . والأبطح : مسيل فيه دقاق الحصى . والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى برد .

(٤) القذى : ما يسقط فى الماء . وأفرطه : أى ملأه . والصوب : المطر . والغادية : الغمامة تاتى صباحا . واليعاليل : الجبال ، أى وملأ هذا الأبطح سيل آت من جبال بيض .

(٥) ويل امها فى رواية ابن هشام أكرم بها . والخلة هنا : الصديقة .

(٦) سيط من ساط الماء ونحوه يسوطه : خلطه بغيره . والفجع : الاصابة بالمكروه . والولع الكذب .

(٧) الغول : من خرافات العرب يزعمون أنها تتراءى لهم في الفلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق .

(٨) عرقوب : يضرب به المثل فى خلف الوعد ، قيل إنه وعد أخا له ثمر نخلة . وقال : ائتنى إذا أطلع النخل ، فلما أطلع قال : إذا أبلح . فلما أبلح قال : إذا أزهى . فلما أزهى قال : إذا أرطب . فلما أرطب قال : إذا صار تمراً . فلما صار تمراً جذه من الليل ولم يعطه شيئا .

فلا يَغُرَّنْكَ ما منّتْ وما وَعَدَتْ إنّ الأَمانيَّ والأحلامَ تضليل
أمست سُعادُ بأرضٍ لا يُبَلِّغُها إلا العِتاقُ النَّجِيَّاتُ المَراسيل (١)

***

نُبِّئْتُ أنّ رسولَ اللهِ أوعَدَنِي والعفوُ عند رسولِ الله مأمول (٢)
مهلاً هداكَ الذى أعطاكَ نافلَةَ الـ قرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ (٣)
لا تأخُذَنِّى بأقوالِ الوُشاةِ ، ولم أُذْنِبْ ، ولو كثُرت فىَّ الأقاويل
لقد أقومُ مَقاماً لو يقُومُ به يرى ويَسْمَعُ ما قد أسمعُ الفيل (٤)
لَظَلَّ تُرْعَدُ من وَجْدٍ بوادرُهُ إن لم يكن من رسولِ الله تنويل (٥)
ما زلتُ أقتَطِعُ البَيْداءَ مُدَّرِعاً جُنْحَ الظلامِ، وثوبُ الليلِ مسبول (٦)
حتى وَضَعتُ يمينى ما أُنازِعُها فى كفِّ ذى نَقِماتٍ قولُه القِيل (٧)
فَلَهْوَ أخْوفُ عندِى إذ أُكلِّمه وقيل : إنّكَ منسوبٌ ومسئول (٨)
من ضَيْغَمٍ بضَراءِ الأرض مُخْدَرُهُ فى بطن عَثَّرَ غِيلٌ دونه غِيل (٩)

---

(١) العتاق : الابل أو الخيل الكريمة . والنجيات : السريعات . والمراسيل : جمع مرسال وهو السريع

(٢) أوعد : هدد (٣) نافلة : عطية القرآن . والتفصيل : التبيين.

(٤) أى لقد شهدت برؤية الرسول مشهدا عظيم الهيبة لو شهده الفيل أو سمع الفيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد

(٥) ظل ترعد، جواب لو فى البيت السابق . والبوادر : جمع بادرة، وهى هنا بين المنكب والعنق

(٦) ادرع الظلام أى لبسه كانه درع (٧) ما أنازعها : أى لا أجذبها . والقيل: أى القول الحق

(٨) أخوف : أى أعظم مسبب للخوف ومنسوب : أى مسئول عن نسبك .

(٩) من ضيغم : متعلق بأخوف فى البيت السابق . وضراء الأرض أى الأرض المستوية التى تأويها السباع وبها نبذ من الشجر . والمخدر : مكان اقامة الأسد . وبطن عثر مأسدة . أى مخدره غيل من بطن عثر دونه غيل . والغيل : الأجمة — يصفه بالمنعة والتوحش .

يَغدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغامَيْنِ عَيْشُهما ... لحمٌ من الناس مَعفورٌ خراديل (١)

إذا يُساورُ قِرْناً لا يحِلُّ له ... أن يتركَ القِرنَ إلا وهو مغلول (٢)

منه تظلُّ حَميرُ الجوِّ نافرةً ... ولا تَمَشَّى بواديه الأراجيل (٣)

ولا يزالُ بِوَادِيهِ أخو ثِقَةٍ ... مُضَرَّجُ البَزِّ والدّرسَيْنِ مأكول (٤)

إنّ الرَّسولَ لَنورٌ يُستَضاءُ به ... مُهنَّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلول

فى عُصبةٍ من قريش قال قائلهُم ... ببطن مكّةَ لما أسلموا : زُولوا (٥)

زالوا ؛ فمازال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللّقاءِ ولا مِيلٌ معازيل (٦)

يمشُون مَشىَ الجِمالِ الزُّهْرِ يَعصِمهمْ ... ضربٌ إذا عَرّدَ السّودُ التّنابيل (٧)

شُمُّ العَرانِينِ أبطالٌ لَبُوسُهُمُ ... من نسج داوُدَ فى الهَيْجا سرابيل (٨)

بِيضٌ سوابغُ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ ... كأنّها حَلَقُ القَفْعاءِ مجدول (٩)

ليسوا مفاريحَ إن نالتْ رِماحُهُمُ ... قوماً ، وليسوا مَجازِيعاً إذا نِيلوا (١٠)

---

(١) يلحم : أى يطعم اللحم . معفور : أى ملقى فى التراب . والخراديل : القطع ، والمعنى يصبح الأسد فيطلب صيدا لولدين أكلهما من لحوم الناس المعفورة المقطعة ،

(٢) يساور : يواثب . والقرن : المماثل . ولا يحل : لا يسوغ . والمغلول : المقيد . ويراد به هنا الذى لا يستطيع المشى . وفى روايه مجدول (٣) الجو : البر الواسع . والأراجيل : جمع رجيل وهو الراجل غير الراكب .

(٤) البز . الثياب . والدرس . الثوب الخلق ، أى أن بوادى هذا الأسد تجد شجاعا كان يثق بنفسه فافترسه وأصبحت ثيابه خلقا ممزقة (٥) زولوا . أى انتقلوا من مكة الى المدينة .

(٦) النكس : الضعيف : والكشف . جمع اكشف وهو من لا ترس له . والميل . جمع أميل وهو من لا سيف له او من لا يحسن الركوب . والمعازيل ، جمع معزول وهو من لا سلاح له

(٧) الزهر . البيض ، وعرد . فر وأعرض . والتنابيل . القصار (٨) شم العرانين . شم الأنوف ، أى اعزة واللبوس . اللباس . والسرابيل . الدروع اى لباسهم دروع من نسج داود . (٩) بيض صفة للسرابيل . والسوابغ الطوال . والقفعاء : نبات ينبسط على الأرض يشبه حلق الدروع

(١٠) المفاريح . جمع مفراح . الشديد الفرح والمجازيع . جمع مجزاع الشديد الحزن

لا يقعُ الطّعنُ إلاّ فى نُحُورِهِمُ ليس لهم عن حياضِ الموت تهليل [١]

(٢) ﴿ عَمرُو بن مَعد يكرِبَ الزُّبَيْدِى ﴾

هو أبو ثَوْر عَمرُو بنُ مَعدِ يكرَب الزُّبَيْدِىّ المَذْحِجِى ، فارس اليَمانِينَ ، وأحد الشّعراء المُعَمِّرين . والخطباء الموفَدِين

مَنْشؤه وَصِفَاته — نَشأ عمرٌو بين قومه مُحمَّقاً أكولاً ، لا يُؤمَّلُ منه خَيْر ، ولا تُلْحَظ فيه سِيادة ، على ضَخَامة فى جُثَّة ، وَجَهارَة فى صَوت ، حتى بلَغ زُبيداً أنّ خَثْعَمَ ستشُنّ الغارة عليهم ، فتأهّبوا ، وَدَخل عَمْرو على أُخْتِه ، فقال : أشْبعينى ، إنّ غداً الكَتيبة ، فأخْبرت أباه ، فقال : سَلِى هذا المائق ما يُشْبعه ، فأكل عَنزاً بثلاثة آصع ذُرة ، وأتتهم خَثْعم فتبلَّدَ حتى رأى لواء أبيه مال وانهزمتْ زُبيد ، فثَار وكَرّ على خَثْعم . وَتراجع اليه قَوْمه فهزمُوا الأعْداء ، فأصْبَح يُسمّى فارس زُبيد بعد أن كان يُسمى مَائق زُبيد . واشتهرَ بالشّجاعة حتّى هابته أبْطال العرب ، وضُرِب به المثل فى الشّجاعة ، وفى ذلك يقول أبو تمّام :

إقْدامُ عَمْرو ، فى سَمَاحةِ حَاتِمٍ فى حِلْم أحْنَفَ ، فى ذَكَاء إياسِ

وفى شجاعته : يقول عن نَفْسه : لو سِرْتُ بِظَعينة وحدى على مِياه مَعَدّ كلِّها ما خِفتُ أن أُغلَبَ عليها — ما لم يَلْتَمِنى حُرّاها أو عَبدَاها ، فأمّا الحُرّان ، فَعَامِر ابن الطُّفَيْل ، وعُيَيْنة بن الحارث بن شِهاب ، وأمّا العَبْدان : فأسْوَدُ بَنِى عَبْس (يعنى عَنْتَرة) والسُّلَيك بن السُّلَكة ، وكلّهم قد لَقيتُ

ولما فَشَا الاسْلام فى قَبَائل العرب ، وفَد مع بعض قَومه على رسول الله فأسلَم ثم رَجَع إلى قومه ، ولمّا مُصِّرت الكوفة أقام بها حتّى كانت وَقعة نَهاوَنْد

(١) التهليل الجبن والفرار .

فضرها تحت لواء النعمان بن مُقَرِّن ، ومات بها سنة إحدى وعشرين .

ويُعدّ عَمْرو من الشّعراء المُخضرَمين . ويأتى شِعْره فى الطّبقة الثانية من الجودة ويَغلِبُ عليه وَصْف الوقائع والتّحدّث عن نَفْسه بالشّجاعة، وهو أحد الخطباء الذين أوفدهم النّعمان على كِسْرى

ومن شعره قوله فى صدق عن نفسه فى الحرب :

ولمّا رأيتُ الخيلَ زُوراً كأنّها ... جداوِلَ زَرْعٍ أُرسِلت فاسْبَطَرَّتِ
فجاشت إلىَّ النفسُ أوّل مرّة ... فرُدّت على مكروهها فاستقرّتِ
علامَ تَقُولُ الرُّمْحَ يُثْقِلُ عاتِقى ... إذَا أَنَا لم أَطعَنْ اذا الخيلُ كرَّتِ

ومن قوله أيضاً :

أمِنْ رَيْحانَةَ الدّاعى السَّميعُ ... يُؤرِّقُنِى وأصْحَابى هُجُوعُ
أَشابَ الرَّأس أيامٌ طِوَالٌ ... وهمٌّ ما تَضَمَّنُهُ الضّلُوعُ
وسوْق كتيبةٍ دَلَفَتْ لأخرَى ... كأن نهارَها رأسٌ صَلِيعُ
اذا لم تَسْتَطِع شيئاً فَدَعه ... وجاوِزْهُ إلى ما تَسْتَطيعُ
وصِلْهُ بالزّماع فكلّ أمر ... سَما لك أو سموت له وَلوعُ

(٣) الْخَنسَاء

هى السيدة تُمَاضِرُ الْخَنسَاء بنت عَمْرو بن الشَّرِيد السُّلَمِيّة ، أرقى شواعر العرب ، وأحزن مَن بَكى ونَدب

كان أبوها عَمرو ، وأخواها مُعاوية وصَخْر ، وكانت هى مِن أجمل نِساء زمانها فخَطَبها دُرَيد بن الصِّمّة فارس جُشَم ، فرَغِبت عنه ، وآثرت التّزوّجَ فى قومها فتَزوجتْ منهم . وكانت تقول المقطّعات من الشّعر : فلمّا قُتِل شقيقُها معاويةُ . ثم

أخوها لأبيها صَخْر، جزِعت عليهما جزَعاً شَدِيداً، وبكتهما بكاءً مرًّا وكان أشدّ وجدها على صَخْر: لأنه شَاطَرها هاهى وزَوْجها أمْوَاله مراراً - ولمّا جاء الإسْلام وَفدت مع قومها على النبىّ صلى الله عليه وسلم وأسْلَمت، وكان يُعْجِبُه شِعرُها: ويستنْشِدُها ويقول « هِيهِ يا خُنَاس » ويُومِئ بيده

وما فَتِئَتْ تبكى صَخراً قبل الإسلام وبعده: حتى عَميت. وبَقِيَتْ الى أن شَهِدَت حربَ القَادِسيّة مع أولادها الأربعة. فأوصتهم وصيتَها المشهورة، وحضَّتهم على الصّبر عند الزّحف - فقُتِلوا جميعاً. فقالت: الحمد لله الذى شرَّفنى بقتلهم. ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها. وتوفيت بالبَادِيَة سنة ٤٦ هـ فى خلافة معاوية

شِعْرها — أغْلب علماء الشّعر على أنه لم تكن امرأةٌ قبلَ الخنساء ولا بعدها أشعرَ منها. ومن فضّل ليلى الأخيلية عليها لم يُنكر أنها أرقّ النّساء، وكان بَشّار يقول لم تَقُل امرأة شعراً إلاّ ظهر الضّعف فيه، فقيل له وكذلك الخنْساء، فقال تلك التى غلبت الفحول — ولم يكن شأنها عند شُعَراء الجاهليّة أقلّ منه عند شعراء الإسْلام، فذلك النّابغة الذّبيانىّ يقول لها — وقد أنشدته بسوق عُكاظ قصيدتها التى مطلعها:

قَذى بعينيك أم بالعين عُوّارُ أم ذَرَّفَتْ إذْ خَلَتْ من أهلها الدّارُ

لولا أن أبا بَصير (يعنى الأعشى) أنشدنى قبلكِ — لَقلتُ إنكِ أشعر مَن بالسُّوق. وسُئل جَرِير مَنْ أشعر النّاس؟ قال أنا: لولا الخنساء، قيل فبم فَضَلَتك؟ قال بقولها

إنّ الزّمان (ومايَفنى له عَجَبُ) أبقى لنا ذَنَباً واستُؤْصِل الرَّاسُ

إن الجديدين فى طُولِ اختلافهما لايَفسُدان ولكن يَفْسُدُ النّاسُ

ومن جيدّ شعرها ترثى أخاها صخراً :

أعَيْنَىّ جُودا ولا تَجْمُدَا ألاَ تَبكيانِ لِصخْرِ النَّدَى
ألا تَبكيانِ الجريءَ الجميل ألاَ تَبكيانِ الفتَى السَّيِّدَا
رفيعُ العِماد طويل النِّجَا د سادَ عَشيرَته أمردَا
إذا القومُ مَدّوا بأيديهمُ الى المجد مَدّ اليه يَدا
فنال الذى فوق أيديهمُ من المجد ثم انتَمى مُصْعِدا
يحمّله القوم ما عَالَهم وانْ كان أصغرَهم مَولِدَا
وان ذُكر المجدُ ألفيتَه تَأَزَّرَ بالمجد ثم ارتَدَى

ومن قولها ترثيه أيضاً .

ألا يا صَخرُ إنْ أبكيتَ عَينى فقد أضْحَكْتِنى زمناً طَويلاَ
دَفعتُ بك الخطوبَ وأنتَ حىٌّ فَمن ذَا يَدفَعُ الخطب الجليلا
إذَا قبُح البُكاءُ على قَتِيل رأيتُ بُكاءَك الحَسَنَ الجميلا

ومن بديع قولها :

يُذكِّرنى طُلوعُ الشّمس صَخراً وأذكرُه لكلِّ غُروب شمسِ
فلولاَ كثرةُ الباكين حَولى على إخوانهم لَقتلتُ نَفسِى
ولكن لاَ أزالُ أرى عَجُولا ونائحة تَنُوحُ ليوم نَحْس
هُمَا كِلتَاهما تَبكى أخاهَا عَشِيةَ رُزْئه أو غِبَّ أمس
وما يَبكينَ مثل أخى ولكِنْ أُسَلِّى النفس عنهُ بالتّأسّى
فقد ودَّعت يوم فراقِ صَخر أبى حسّانَ لَذّاتى وأُنسِى
فيالَهفِي عليه ولَهْف أُمّى أيُصْبح فى الضّريح وفيه يُمسِى

(٤) الحُطَيْئَة

هو أبو مُلَيكة جَرْوَلُ الحُطيئة العَبسيّ ـ مَنشؤُه مَعْلُول النّسب وكان جَشِعاً سَؤُولا مُلْحِفاً دَنِىء النفس ، كثير الشّر قليل الخير ، بخيلا قبيح المنظر رَثّ الْهيئة فَاسِد الدِّين — وعاش الحُطيئة مُدّة فى الجَاهليّة وجاء الاسلام فَأسْلَم — ولم يَكن له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ثُم عَاش متنقّلا فى القَبائل ، يمدح هذه تارة وَيَذمّ تلك أخرى . وَيَنْتسب الى عَبْس طوراً ، وطوراً الى ذُهْل ، وَيَهْجُو اليوم من يمدحه بالأمس — وكل قبيلة تخطب وُدّه ، وتتّقى شرّ لِسَانه — حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب حَبَس الحطيئة ، فما زال يستشفع اليه بالنّاس وقول الشّعر ، حتى أطلقه وهدّدَه بقطع لِسَانِه إنْ هجا أحداً ، واشْتَرى منه أعْرَاض المسْلمين بثلاثة آلاف درهم ولكنه نَكَث ، وأوْغَل فى الهِجاء بعد موت عُمر ـ وبقى كذلك حتى مات أوائل خلافة معاوية سنة ٥٩ هـ

شعْره — لولا ماوُصِم به الحُطيئة من خِسّة النّفس ، ودناءة الخُلق ، وَجَهالة النّسب لكان باجَادته فى كلّ ضرب من ضُروب الشّعر زَعيم شُعراء المُخَضرمين على الإطْلاَق ، إلا أنه لم يَقِف ببراعته وفَصَاحته موقفاً لله ولا للشّرف . وقلّما يُوجد فى كلام الحُطيئة مَظِنّة ضعف ، أو مغمز لغامز من رَكاكة لفظ ، أو غَضَاضة معنىً أو اضْطراب قافية . وَمن مَدْحه الذى لا يَلحق له فيه غُبَار ـ قوله

يَسُوسون أحلاماً بعيداً أناتُها ... وإن غَضِبوا جَاء الحفيظة والجدُّ

أقلّوا عليهم (لا أبا لأبيكمُ) ... من اللّوم أوسُدُّوا المكان الذى سَدُّوا

أُولئكَ قوم إنْ بَنَوْا أحسنوا البِنا ... وإن عَاهَدوا أوفَوْا وان عَقدُوا شَدُّوا

وان كانت النعماء فيهم جَزَوْا بها ... وإنْ أنْعموا لا كَدّروها ولا كَدُّوا

مَطاعين فى الهيجا مَكاشيف للدُّجى بَنَى لهمُ آباؤهم وبَنَى الجدُّ
ويَعذلُنى أبناء سَعْدٍ عليهمُ وَمَا قُلتُ إلاّ بالّذى عَلِمَتْ سَعْدُ

ومن أبياته التى استعطف بها أميرَ المؤمنين « عُمَرَ » وهو فى سجْنِه قوله :

مَاذا تَقولُ لأفراخٍ بذى مرَخ زُغْبِ الحواصل لا ماءٌ ولا شَجَرُ
ألقيتَ كاسبَهم فى قَعر مُظْلِمة فاغفرْ عليك سلامُ الله ياعُمرُ
أنت الأمين الذى من بَعد صاحبِه ألقى اليكَ مقاليدَ النُّهى البشرُ
لم يُؤثروك بها إذْ قدَّموك لها لكنْ لأنفُسِهم كانت بك الخِيَرُ

(٥) ﴿ حَسَّان بن ثَابت ﴾

هو أبُو الوليد حَسَّان بن ثابت الأنْصَارى : شاعرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشعر شُعراءِ المُخَضْرمين . وهو من بَنِى النَّجار من أهْل المدينة — نَشأَ فى الجاهلية ونَبُهَ شأنُه فيها — ولمّا هاجرَ النّبى صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة : وأسلم الأنصار . أسْلم معهم ودَافع عنه بلسانِه ، كما دَافع عنه قومه الأنصارُ بسيوفهم

وعاش حَسّان بعد رسول الله مُحَبّباً إلى خُلفائه مَرضياً عنه — وعُمّر قريباً من ١٢٠ سنة — وبقى أكثر حياته مُمتّعاً بحواسِّه وعقله . حتى وَهَن جِسْمه فى أواخر عمره ، وكُفَّ بصرُه ، ومات فى خلافة مُعاوية سنة ٥٤ هـ

شِعْره — كان حسّان شاعرَ أهل المدَر فى الجاهلية ، وشَاعر اليمانية فى الإسْلام ولم يكن فى أصْحاب رسول الله ولا فى أعْدَائه عندَ عَوْته الى الله أشعرُ منه — ولذلك رمَى مُشْركى قريش من لِسانه بالدّاهية التى لم يَكُن لهم قِبَلٌ بها ، فأوجعهم وأخْرسهم من غير فُحش ولا هُجْر — ولما أذِن له النّبى فى هجائهم قال له كيف تَهْجُوهُمْ ؟ وأنا منهم قال : أسلُّك منهم كما تُسَلُّ الشّعرة من العَجين . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ينصبُ له منبراً بالمسجد ، ويسمع هجاءه فى أعدائه — ويقول (أجبْ عنّى اللّهمّ أيّده برُوح القُدس) وكان فى شِعْر حسّان زمن الجاهلية شِدّةٌ وغَرابةُ لفظ ـ فلمّا أسلم وسمع القرآن ووعاه ، وكثُر ارتجاله الشّعرَ ، لانَ شِعرُه ، وسهل أُسلُوبه

ومِن شعره فى الجاهلية :

ولقد تُقلِّدنَا العشيرةُ أمرَها ونَسودُ يومَ النّائباتِ ونَعتلِي
ويَسودُ سيدُنا جَحاجحَ سادةً ويُصيب قائلُنا سَواء المفْصِلِ
ونُحاولُ الامرَ المُهِمَّ خَطابةً فيهم ونَفصل كلَّ أمرٍ مُعْضِلِ
وتزور أبوابَ الملوك ركابُنا ومتى نُحكَّمْ فى البريَّة نَعْدِلِ

ومن شعره فى الاسلام يُفاخِر وفد تميم بقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنّ الذّوائبَ من فِهرٍ وإخوتِهم قد بَيّنوا سُنَناً للناس تُتّبَعُ
يَرْضَى بِها كلُّ من كانت سريرته تَقوَى الإلهِ وبالأمرِ الذى شَرَعوا
قومٌ إذَا حَاربوا ضرُّوا عدوَّهُمُ أو حاولوا النّفْعَ فى أشيَاعِهم نفعوا
سجيةٌ تلك فيهمْ غيرُ مُحْدَثَةٍ إنّ الخلائق (فاعلم) شَرُّها البِدَعُ
لا يَرْقَعُ الناسُ ما أوهَتْ أكفُّهُمُ عندَ الدّفاع ولا يُوهُون ما رَقَعوا
إنْ كان فى النّاس سبّاقُون بعدهُمُ فكل سَبْق لأدنى سَبقِهم تَبَعُ
عِفّةٌ ذُكرتْ فى الوَحْيِ عِفّتُهم لا يَطمَعون ولا يُزرِى بهم طمعُ
لا يفخرون اذا نالوا عدوَّهُمُ وإنْ أُصيبوا فلا خَوْرٌ ولا جزَعُ

(٦) ﴿ النّابغة الجَعْدِىْ ﴾

هو أبو لَيلَى حَسّانُ بن عبد الله الجَعْدِى العامِرىّ أحدُ القُدماء المُعمِّرين والشّعراء المُخَضرَمين ، ووُصّاف الخيل المشهورين

قال الشعرَ فى الجاهلية : ثم استَعصى عليه دَهراً ، ثم نَبَغ فى الشّعر عند ظهور الإسْلام وَبعـده : ولذلك سُمّى « النّابغة » ، وهو مِمَّن فكّر فى الجاهلية ، وأنكرَ الخمرَ وَمَا تَفعلُ بالعقل ، وَهَجر الأَزلامَ والأَوثان ، وذَكرَ دينَ إبراهيم ، وَصَام واستَغْفر ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم

وعاش طَويلا فى الاسْلام ، فأَقام زمناً مُهاجِراً ـ حتى أيام عثمان رضى الله عنه فأحسّ بضعف فى نَفْسه ، فاستأذنَ عثمانَ فى الرّجوع إلى البَادِية : فأذِن له . ثم لمّا كانت خلافة (علىٍّ) شَهِد مَعَه وقائع صِفّين ، وَظَاهرَه بيـده ولِسَانه ، ونال من مُعاوية وبنى أُميّة ـ ومات بأصْبهَان سنة ٥٨ هـ ـ بعد أن عمّر مائة وثمانين سنة

شِعْره ـ كان النّابغة الجَعْدِى شاعراً مَطبوعاً فى الجاهلية والاسلام ، وهو أوّل مَن سبق إلى الكِنَاية فى الشّعر عن اسم من يَعْنى الى غَيْرِها ، وتبعه النّاس بعد ـ قال

أَكْنِى بغير اسْمها وقد عَلم اللـه خَفِيّاتِ كلِّ مُكْتَتَمِ

وكان مِمَّن يَصِفون الخيل ، فلا يُلحق له فى ذلك غُبار ، حتى ضُرب به المَثَل قال الأصمعى : ثلاثة يَصِفُون الخيل فلا يُقارِبُهم أحد : طُفَيْل الغنوِىّ ، وأبو دُواد الإيادى . والنّابغة الجَعْدِى . ولهُ فى الفَخْر والهِجَاء والمديح والرثاء شِعْر كثير

ومن أشْرَفِه قصيدتُه التى مدح بها الرّسول الكريم ﷺ ـ وهى :

خَلِيلَىَّ عُوجَا ساعة وتهَجَّرَا ونُوحَا على ماأحْدَث الدهرُ أوذَرَا
ولا تجزَعا إنّ الحياةَ ذَميمةٌ فَخِفَّا لِرَوْعات الحوَادث أوقِرَا
وإنْ جاء أمر لا تُطيقان دَفْعه فلا تجْزعَا ممّا قَضى اللهُ واصْبِرا
أَلم تريَا أنّ الملامةَ نَفْعها قَليلٌ إذا مَا الشّىء ولَّى وأدْبرا
تُهيج البكاء والنّدامةَ ثم لا تُغيّر شيئاً غير ما كان قُدّرَا

أتيتُ رسول الله إذْ جاء بالهُدى ويتلُو كِتاباً كالمجرَّة نيِّرَا
أقيمُ على التقوى وأرضى بفعلِها وكنتُ من النّار المخُوفَة أحذَرا

ومنها فى الفخر :

وإنّا لَقومٌ ما تعوَّد خيلُنَا إذَ ما التقَينَا أنْ تَحيدَ وتَنفِرَا
ونُنكر يوم الرَّوع ألوانَ خيلِنَا من الطّعْن حتى نحْسَب الجُون أشقرَا
بلغنا السّماء مَجدُنا وجُدودُنا وإنّا لَنرجُو فوق ذلك مَظْهَرَا
ولا خيرَ فى حلمٍ إذَ لم تكن له بوَادرُ تَحمِى صفوَه أنْ يُكدَّرَا
ولا خَير فى جَهل إذَا لم يكن له حَليمٌ إذَا ماأورد الأمرَ أصْدرَا

ولمّا سمع رسول الله (بلغنا السماء - البيت) قال لهُ فأينَ المَظْهر يا أبَا ليلَى قال : الجنة ، قال لهُ إنْ شاء الله ، ولمّا أتمَّ قصيدته ، قال لهُ الرسول أجَدْتَ — لا يفضِضِ الله فاك - فأتت عليه مائة سنة أو نحوُها وما انفضّت من فيه سِنٌّ

(٧) ﴿ عُمَرَ بن أبى رَبيعَة ﴾

هو أبُو الخطّاب عمر بن عبدالله بن أبى رَبيعة القُرشى المخزُومى - أشعر قُريش وأرقّ أصحاب الغَزَل ، وأوصف الشّعراء لأحوال النِّساء

وُلد بالمدينة لَيْلَةَ مات أميرُ المؤمنين «عُمَر بن الخطّاب» رضوان الله عليه . وكانت أُمُّه نَصْرَانيّةً . وكان أبوه تَاجراً مُوسِراً ، وعاملاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخُلفاء الثّلاثة من بعده ، فشَبَّ فى نَعيم وتَرَف - وقال الشّعر صغيراً ، وسلَك فيه طَرِيق الغَزَل ، ووَصف أحْوالَ النّساء ، وتزَاوُرَهُن ومُداعَبة بَعضهنّ لبعض وتَعرّض للمُحْصنَات المتَعفِّفات من نِساء قَوْمه ومن غَيْرهن ، فوقَعْن مِنْهُ فى بَلاَء عَظِيم ، وصِرْنَ يَخفْن الخُروج إلى الحجِّ ، لأنّه كان يَتَلقّاهُنّ بمكة ، ويَترقَّب

خُروجهنَّ للطّواف والسّعْى، ويصفهُنّ وهُنّ مُحْرِمَات . وحَلُمَتْ عليه رِجالاتُ قُريش لمكانَةِ نَسَبِهِ منهم، ولترقُّب توبته و إقلاعه ـ فلمَّا تمادَى فى أمْرِه، وشبّب ببنات السّادات والخُلفاء غضِب عليه « عُمر بنُ عبد العزيز » ونفَاه الى جزيرة أمام مدينة مصوَّع، ثم رَأى أن يُكفِّر عن سَيِّئاته بالتَّوبة والجِهاد، فغزَا فى البَحْر، فاحترقت السَّفينة التى كان فيها، واحتَرق هو أيضاً سنة ٩٣ هـ

شِعْره — رَقيق بلفظ رَشيق، ومَعْنى أنيق، حتى قال فيه جَرير — هذا والله الّذى أرادته الشّعراء فأخطأته، وقد سَلكَ فى الغَزل طريقاً لم يَسْلكوه : ومن قوله المشهور :

ليتَ هِنداً أنجزتْنا ما تَعِدْ ... وشَفَت أنْفسَنَا ممّا نَجدْ

واستبدّت مرّة واحدة ... انّما العَاجزُ مَنْ لا يَسْتَبِدْ

زَعَموُهَا سَألَتْ جارَتَها ... وتَعرَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَبْتَرِدْ (١)

أكما يَنعَتُنِى تُبصرْنَنِى ؟ ... عَمرَ كُنَّ اللهَ ! أم لا يَقْتَصِد ! (٢)

فتَضَاحَكْنَ ، وقد قُلْنَ لَها : ... حَسَنٌ فى كلِّ عَينٍ مَن تَوَدّ ! (٣)

حَسَداً حُمِّلْنَه من شأنها ... وقَديماً كانَ فى النّاس الحسد

غادةٌ تَفْتَرُّ عن أشنَبها ... حينَ تَجلُوه أقَاحٍ أو بَرَد (٤)

ولَها عَينانِ فى طرَفَيْهِمَا ... حَوَرٌ مِنها، وفى الجِيد غَيَد (٥)

---

(١) تبترد : تصب الماء البارد على رأسها . (٢) وينعتنى : يصفنى، عمر كن الله : أى أذكر كن الله . يقتصد : يعتدل ؛ فلا يبالغ ، (٣) أى أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس . (٤) الغادة : المرأة اللينة . تفتر : تظهر . الأشنب : الفم فى أسنانه ماء ورقة وعذوبة . تجلوه تكشفه . الأقاح : جمع أقحوان وهو البابونج البرى من نبات الربيع له نور أبيض . البرد : ماء الغمام يسقط جامدا . (٥) الحور : شدة سواد العين مع شدة بياضها . الجيد : العنق . غيد : نعومة .

قلتُ : مَن أنتِ ؟ فقالت : أنا مَنْ شَفَّهُ الوجدُ ، وأبلاهُ الكَمَدْ (١)
نحنُ أهل الخَيْفِ من أهل مِنىً ما لمقتول قتلناهُ قَوَد (٢)
قلتُ : أهلاً ! أنتمُ بُغيَتُنَا ، فتَسمَّيْنَ ! فقالَتْ : أنا هِند ! (٣)
إنَّما ضُلِّلَ قَلبي فاحتَوى صَعْدَةً فى سَابِرِيٍّ تَطَّرِد (٤)
إنّما أهلكُ جِيرانٌ لَنَا إنّما نحنُ وهم شَيْءٌ أحد (٥)
حدَّثُونا أنها لى نفَثَتْ عُقَدًا ، يا حبَّذا تِلك العُقَد ! (٦)
كُلَّما قلتُ : متى ميعادُنا ؟ ضحِكتْ هندٌ ، وقالتْ بعد غد!

(٨) ﴿ الأخطَل ﴾

هو أبو مالك غِياثٌ الأخطَلُ بن غَوْث التَّغْلَبى النَّصرانى ، شاعرُ الأُمَوِيّين وأمدحُ ثلاثةِ شُعرائهم المُقدَّمين والمُتفَرِّد بالتَّعمُّق بوصف الخمر دُون الإسلاميين قال الشّعر وهو صَبِيّ ، وما لَبث أن زَاحَمَ شاعرَ تَغلَب وقتئذ « كعبَ بن جُعَيْل » وَهَاجاه وظهَر عليه — ولمّا طلبَ يَزيدُ بن مُعاوية قبل أن يَلِى الخِلافةَ منْ كَعب هجاءَ الأنصار ، لِتَعَرُّض عبد الرحمن بن حَسّان بن ثابت الأنصارى لأُخته فِى شِعره : أَبَى عليه ذلك كَعبٌ ، وقال أأهْجو قوماً نَصرُوا رسول ﷺ وآوَوْه : ولكنِّى أدُلّك على الأخطل ، فبعثَ اليه وأمرهُ بهجائهم ، فهجاهُم بقصيدة منها

---

(١) شفه الوجد : أهزله الحب . الكمد : الحزن الشديد . (٢) الخيف : ناحية من منى عند مكة . القود : القصاص (٣) بغيتنا : مطلبنا (٤) ضلل : صار ضالا لا يهتدى . احتوى : اشتمل . الصعدة : القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج الى مثقف ، شبه بها محبوبته فى اعتدال قدها . السابرى : الثوب الرقيق الجيد . تطرد : تمشى مستقيمة . (٥) شئ أحد : أى شئ . واحد . (٦) نفثت عقدا : سحرتنى ، والنفث : النفخ ، والعقد تكون من خيوط وينفث فيها قصد السحر .

ذَهبتْ قُريشٌ بالسَّماحة والنَّدَى واللُّؤْمُ تحتَ عَمائم الأنصارِ
فدعُوا المكارمَ لستُمُ من أهلها وخُذُوا مَساحيَكم بَنِي النَّجّارِ

وبلغ الشعرُ كِبارَ الأنصار فغَضِبُوا، وشكَوْه إلى مُعاوية، فوعدَهم بقَطْع لسانه فاستجار بيزيدَ، فما زالَ بأبيه حتى عفَا عنه — ولمَّا وَلِيَ يزيدُ الخلافةَ قرَّبه اليه، وتابعَهُ فى ذلك خُلفاء بنى أُميَّة، وبخاصةٍ عبد المَلِك، إذْ كان يَستعين به على أعْدَائه، فقرَّبه اليهِ وأدناه، وسَمح له بالدّخول عليه بلا إذْن، وأجزلَ له العَطَايا، وسمّاه شاعرَ الخليفة

ولمَّا حدثتِ المُهاجاةُ بين جَرير والفَرزدق، وحُكِّم فيهما أيُّهما أشعرُ؟؟ عرَّضَ بتفْضيل الفَرزْدق، فهجاه جَرير، فَردَّ عليه الأخْطَلُ، وكانت الشيَّخُوخة قد بَلغت منه، فلم يَلْحق جَريراً. وكان الأخْطَل يُقيم أزمَاناً بدمشق، وأحيَاناً ببلاده من أرض الجزيرة — ومات فى أول خِلافة الوَليد سنة ٢٥ هـ — وقد نَيِّف على السَّبعين

شِعْره: كانَ الأخطلُ أحدَ الشّعراءِ الثّلاثة السّابقين سواهم من فُحول الإسلاميّين، وكان مَطبوعاً على الشّعر، بَعيداً عن التّكلُّف والتّعمُّق فيه، وامتازَ بإجَادة المديح والإبداع فى مَعانيه — قال يَمدحُ بَنِي أُميَّة « ويَخُصُّ بِشْر بنَ مَرْوان

إن يَحلُمُوا عنك فالأحلامُ شِيمتُهم والموتُ ساعةَ يحمَى منهمُ الغَضَبُ
كأنّهم عندَ ذاكمْ ليس بَينهمُ وبَينَ من حاربوا قُرْبى ولا نَسبُ
كانوا مَوالىَ حقٍّ يَطلبُونَ به فأدركُوه وَما ملّوا ولا لَغَبوا
إن يَكُ لِلحَقّ أسبابٌ يُمدّ بها ففى أكُفّهم الأرسَانُ والسَّبَبُ
همُ سَعوْا بابن عفّان الإمام وهم بعد الشِّماس مَرَوْها ثُمَّتَ احتَلَبُوا

ومنها — إذا أَتَيْتَ أَبا مَرْوانَ تَسْأله وَجدتَه حَاضِراهُ الجُودُ والحسَبُ
تَرى اليه رِفاقَ النّاسِ سَائِلةً مِن كلِّ أَوْبٍ على أبوابه عُصَبُ
يَحْتَضِرُون سِجالا مِن فَواضِله والخيرُ مُحتَضَرُ الأَبواب مَنْتَهَبُ
والمُطْعِمُ الكومَ لا يَنفكُّ يَعقِرُها إذا تَلاقَى رواق البَيْتِ واللّهَبُ
كأنّ جِيرانَها فى كل منزلةٍ قتلَى مجرّدة الأَوصَال تُسْتَلَبُ

ومن أفضل شعره قوله

والنّاسُ هَمُّهُمُ الحياةُ ولاَ أَرَى طُولَ الحياة يَزيد غيرَ خَبَالِ
واذَا افتقرتَ الى الذّخائرِ لم تَجِدْ ذُخراً يكون كصَالح الأَعمالِ

(٩) ﴿ الفَرزدق ﴾

هو أبو فِراس هَمَّام بن غالب التَّمِيمى الدَّارِمى — أفخرُ ثلاثةالشّعراء الأُمَويين وأجْزل المُقدمين فى الفخر والمدح والهجاء

وُلِدَ سنة ١٩ هـ ونَشَأ بَينَ البصرة والبَادِيَة — وأَتى به أَبوه يوماً إلى أمير المؤمنين علىّ بن أبى طَالب كرّم الله وجهه ، فسأله عنه — فقال هذا ابنى يُوشك أن يكون شاعراً مُجيداً — فقال له أَقْرِئْه القرآن ، فأقرأه وحفِظَه ، ثم رَحَل إلى خُلفاء بنى أُميّة بالشّام ومَدحهم ونَال جوائزهم ، وأخَصّ مَن كان يمدحُه منهم « عبد الملك بن مروان » ثم أولادُهُ من بعده — وكان الفرزدق فُوقَ إقْذَاعِه فى الهجْو ، وفُحْشه فى السبّاب وَقذْف المُحصنَات ، يُرْمَى بالفُجور ، وقِلّة التمسّك بشعائر الدِّين ، ثم تاب فى أواخر شيخوخته على يد الْحَسَن البصرى . وكان فيه تَشيُّع يَسترهُ أيام اختلافه الى بنى أُميّة ، ثم كاشَفَ به آخرَ حياته حتى أمامَ الخليفة « هِشام » عند ما رَأَى النّاس تُفْسح طريق الطّواف بالكعبة ، مَهَابةً وإجلالاً « لعلىّ بن الحُسين » فسأل عنه

كالمتجاهل لأمره ، فشقّ ذلك على الفرزدق ، وأنشد قصيدته الميمية الآتية يُعرِّفُ « بعلى » ويُنكر على « هشام » تجاهلَه ، فحبسَه هشامٌ ثم أطلقه . وعاش الفرزدق قريباً من مائة سنة ـ ومات بالبصرة سنة ١١٤ هـ

شِعْره — يمتاز شعر الفرزدق بفخامة عبارته ، وجزالة لفظه ، وكثرة غريبه ومُداخلة بعض ألفاظه فى بعض ، ولذلك يُعجَب به أهلُ اللُّغة والنّحو ، وكان يُقال (لولا شِعْر الفرزدق لذهب ثُلُث اللّغة) ـ ويُعتبر الفرزدق من أفخر شعراء العرب وقد قضت العوامل السّياسيّة والاجتماعيّة أنْ يَشْتبك مع جرير فى التّهاجى والتّسابّ حتّى أفحشا وشغلا الناس بنقائضهما

ومن جيِّد شعره قوله يمدح سيدنا زين العابدين . (وهو على بن الحسين)

هذا الّذى تعرِفُ البَطْحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يعرِفهُ والحِلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كُلِّهمِ ... هذا التّقىُّ النّقىُّ الطّاهرُ العَلَمُ
ولَيس قولُك : مَنْ هذا ؟ بضائره ... العُرْبُ تعرِفُ مَن أنكرتَ والعجمُ
إذا رأته قُريشٌ قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتَهى الكرمُ
يسْمَى إلى ذِرْوَة العزّ التى قَصُرت ... عن نَيلها عَربُ الإسلام والعجمُ
يُغْضِى حَياءً ويُغْضَى من مَهابتِه ... فلا يُكلّم إلاّ حينَ يبْتَسِمُ
بكَفّهِ خَيزُرانٌ ريحُها عَبِقٌ ... من كفِّ أروَعَ فى عِرْنينهِ شَمَمُ
يَكادُ يُمْسِكه عِرفانَ راحتهِ ... ركنُ الحطيم إذا ما جاء يَستَلِمُ
يَنشقّ ثوبُ الدُّجى عن نُور غُرّته ... كالشّمس تنجاب عن إشراقِها الظُّلَمُ
من مَعْشرٍ حُبُّهم دِينٌ وبغضهمُ ... كُفْرٌ وقربُهم مَنْجًى ومُعْتصَمُ
إن عُدّ أهلُ التقى كانوا أئمتهم ... أوقيل مَن خيرُ أهل الأرض قيل هُمُ

(١٠) ﴿ جَرِير ﴾

هو أبو حَزْرَة جَرير بن عَطِيَّةَ بن الخَطَفَى التّميمى اليَرْبُوعى : أحد فحول الشّعراءِ الاسلاميين ، وبُلغاءِ المدّاحين الهجّائين ، وأنسبُ ثلاثتهم المُفلِقين ، وهو مِن بنى يَربوع أحد أحياء تَميم ، وُلد باليَمامة سنة ٤٢هـ — ونَشأَ فى البَادية ، وفيها قال الشعر ونَبغ . وكان يَختَلِفُ إلى البصرة فى طَلَب المِيرَةَ ومدحِ الكُبراء ، فرأَى الفرزدق وما أكسبَه الشعرُ من المنزلةِ عند الأُمراء والوُلاة ، وهو تَميمىّ مثلُه ، وودَّ لو يَسبِقهُ إلى مَا ناله ، وأغْراه قومه به للتّنويه بشأنهم ، فوقعت بينهما المُهاجَاة عَشْرَ سنين لعَوامل سِياسيّة واجتماعيّة — وكان أكثرُ إقامةِ جَرير أثناءها فى البَادية وكان الفرزدقُ مُقيماً بالبصرة يَملأ عليه الدّنيا هجاءً وسَبًّا . فما زَال به بَنُو يَربوع حتى أقْدَموه الى البصرة ، واتّصلَ بالحجّاج ومَدحه ، فأكرمه ورفع منزلته عنده ، فعَظُم أمرُه ، وشَرَّق شعرُه وغَرَّب حتى بلَغ الخليفة عبدَ الملك ، فحَسد الحجّاجَ عليه ، فأَوفده الحجّاج مع ابنه محمد إلى الخليفة « يزيد بن معاوية » بدمشق ليصِلَ بذلك الى مَدْحه ، ومن وقتئذٍ عُدّ من مُدّاح خُلفاء بنى أُميّة — ومات باليمامة سنه ١١٤ هـ

وكان فى جَرير على هجائه للنّاس عِفّةٌ ودِينٌ ، وحُسنُ خُلق ، ورقّةُ طَبع

شِعْره — اتّفق عُلَماء الأدب ، وأئمة نَقْد الشّعر ، على أنه لم يُوجد فى الشّعراء الّذين نَشئُوا فى ملك الاسلام أبلغَ من جَرير والفَرزْدق والأخْطل — وانّمَا اختلفوا فى أيِّهم أشعرُ ، ولكلٍّ هَوًى ومَيْل فى تقديم صاحبه : فمن كان هَواه فى رِقّة النَّسيب وجودة الغَزل والتّشبيب ، وجمَال اللّفظ ولِين الأُسْلوب ، والتّصرف فى أغراض شتّى فَضّل « جَريراً » ومَن مَال الى إجَادة الفخر ، وفخَامة اللّفظ ، ودِقّة المَسلَكِ ، وصَلابة الشّعر . وقُوّة أسره ، فَضّل « الفَرزدَق » ومَن نَظَر بَعد بَلاغة اللّفظ ، وحُسن

الصوغ إلى إجادة المدح والإمعان فى الهجاء ، واستهواه وَصْف الخمر ، واجتماع النّدمان عليها حكم « لِلأَخْطَل » و إنّ له فى كل باب من الشعر أبياتاً سائرة ، هى الغاية التى يُضرب بها المثل — فيقال إنّ أغزلَ شِعرٍ قالته العربُ هو قوله :

إنَّ العيونَ التى فى طَرْفها حَوَرٌ قتَلْنَنا ثم لم يُحيين قَتلانَا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبّ حتى لا حِراكَ به وهُنَّ أضعفُ خَلْقِ الله إنْسَانَا

و إنّ أمدحَ بيتٍ قوله :

ألستُمْ خيرَ من رَكِب المطايَا وأنْدَى العالَمين بُطون رَاح

و إنَّ أفخرَ بيتٍ قوله :

إذا غضِبَتْ عليك بنو تميم رَأيت النّاس كلَّهمُ غِضَابا

و إنّ أهْجَى بيت مع التّصوُّن عن الفُحْش قوله ؟

فَغُضّ الطّرفَ إنّك من نُمَير فلا كعباً بلَغتَ ولا كِلابَا

و إنّ أصدقَ بيت قوله :

إنّى لأرجُو منكَ خيراً عاجِلاً والنَّفس مُولَعَةٌ بحبّ العاجل

و إنَّ أشدّ بيت تهكما قوله :

زَعمَ الفرزدَقُ أن سيَقتُل مُرْبعاً أبْشِر بطُول سلامَة يا مَرْبَعُ

ومن جيّد شعره — قوله من قصيدة يرثى بها امرأته ، وهى التى نُدِبت بها نوّار امرأة الفرزدق :

لولاَ الحياءُ لَها جَنى استِعْبارُ ولزُرتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزَارُ
ولقد نَظَرْتُ وما تَمنَّعُ نَظرةٌ فى اللَّحد حَيثُ تَمكّنَ الإحفَارُ
ولَهَتْ قلبى إذْ عَلَتْنِى كَبْرة وذَوُو التَّمائم من بَنِيكِ صِغارُ

لا يُلْبِثُ القُرَناء أنْ يَتفرّقوا ... لَيلٌ يَكُرُّ عليهمُ ونَهارُ
صلَّى الملائكة الّذين تُخُيِّرُوا ... والطَّيّبونَ عليكِ والأبرارُ
فلقد أراكِ كُسِيتِ أحسنَ مَنظَرٍ ... ومعَ الجمال سَكينةٌ ووَقارُ

(١١) ﴿ الكُمَيْتُ ﴾

هو الشّاعر الخطيبُ الرّاوية النّسّابة أبو المُسْتهل الكُميتُ بن زَيْدٍ الأسدى الكوفى ، أشعرُ شعراء الشّيعة الهاشميّة ، ومُثير عَصبيّة العَدْنانية على القَحْطانيّة وُلد سنة ٦٠ هـ ـ ونشأ بالكوفة بين قومه بنى أسد ـ إحدى قبائل العرب الفُصَحاءِ من مَضَر ، فلَقِن العربيَّة ، وعَرفَ الأدبَ والرِّواية ، وعَلم أنْساب العرَب وأيامها ومَثالبها بمُدارسة العِلم والأخْذ عن الأعراب ، وكان له جدّتان أدركتا الجاهلية تقُصّان عليه أخبارَها وأشعارَ أهلها ، فخرج أعْلَم أهلِ زَمانه فى ذلك ، وأقرّ له « حمادٌ » الرّاوية بالسّبق عليه

وقال الكُميتُ الشعرَ وهو صغير ، وكان لا يُذيعهُ ولا يَتكَسّب به ، ويَكتفِى بحرفته (تعليم صِبْيان الكوفة بالمسجد) ولمّا حَصُفَ شعرُه وقَوِىَ أثرُه ، ولا سيّما قصائده التى أعلن فيها تَشَيُّعه « لبنى هاشم وآل علىّ » أنشدَ الفرزدق مُستنصحاً له فى أمر إذاعَتِه إذا أعْجبه فأمره بإذاعَته — فقال قصائده البليغة المُطولة المسماة « بالهاشِميّات » التى يقول فيها من قصيدة فى مدح بنى هاشم .

طَرِبْتُ وما شَوقاً الى البيضِ أطرَبُ ... ولا لَعِباً مِنّى وذُو الشَّيب يَلْعبُ
ولم يُلْهِنى دارٌ ولا رَسمُ مَنزلٍ ... ولم يَتطَرَّبْنِى بَنانٌ مُخَضَّبُ
ولا السّانحاتُ البارحاتُ عَشيّةً ... أمَرَّ سليمُ القَرْنِ أمْ مَرَّ أعْضَبُ
ولكنْ الى أهل الفضائل والنُّهى ... وخَيرِ بَنِى حوّاء والخيرُ يُطلب

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِى فَإِنَّنى بهم ولهم أرضى مِرَاراً وأغضبُ
خَفَضتُ لهم مِنّى الجَناحَ مَوَدّةً على كَنَفٍ عِطْفَاهُ أهلٌ ومَرْحبُ
ومَا لِيَ إلاّ آلَ أحمدَ شِيعةٌ ومالىَ إلاّ مذهبَ الحقّ مَذْهبُ
بأىِّ كتاب أم بأيَّةِ سُنّة يُرى حبُّهم عاراً علىّ ويُحْسبُ

شعره ــ لشعره من التّأثير السّياسى والمذْهبِى أثر سَيِّىء شَتّت شَمل الوحدة العربيَّة ــ وتُوفِّى سنة ١٢٦ هـ

﴿ أَلرّاوِيَةُ والرُّوَاةُ ﴾

ظَهرَ الإسلام وعُمدةُ العرب فى ضَبْط عُلومهم وآدابهم على الحفظ والرِّواية فجاءهم من كتاب الله وسُنّة رسوله بالأمر الخطير والعِلْم الكثير، فكانت عِنايتُهم بحفظها فى الصّدور أكثر من كِتَابتها فى السّطور.

ولمّا اتّسع علم المسلمين بما أُضيفَ اليهما من تفسير الصّحابة والتّابعين، ومن أقوالهم فى الدِّين ــ تَعدّد طَوائف الرواة للقرآن والحديث وفُنُون الأدب

واذ كان الانسانُ عُرْضة للنّسيان، وأحْوال الناس تختلف فى الصدق والكذب تشدّد الصحابة والتابعون وتابعوهم فى تصحيح الرّواية، وشدّة التّوثّق من صدق الرُّواة، تحرُّجاً منهم أنْ يَدْخلَ فى الدّين ما ليس منه

ولمّا خاف سيّدُنا « عُمر بن عبد العزيز » أن تَموت السُّنَّة الصَّحيحة بموت رُواتها وبما وضعه الزَّنادقة والشِّيعة والخوارج ودَسُّوه فيها، أمر العُلماء بتَدوين الحديث وبَقِىَ الأمر فى الشّعر والأدب كما كان فى الجاهلية: لكلّ شاعر رَاوٍ، أو عدّة رُواة. ومن أشهر هؤلاء ــ هُدْبة بن خَشرَم راوية الحُطَيئَة، وجَميل راوية هُدْبَة وكُثَيِّر راوية جَميل، وأبو شَقْقل وعُبيد أخو رَبيعَة بن حَنْظلة راوية الفرزدق

ومَرْبع راوية جَرير والفَرزدق معاً، ومحمد بن سَهل راوية الكُمَيت، وصالح بن سُليمان راوية ذى الرُّمَّة ـ وذو الرُّمة راوية الرّاعِي.

وبقِيَ الأمر كذلك حتى أواخر هذا العصر ـ فاشتغلَ العلماء بالرِّواية، وصار الرَّاوى منهم يَروى لمِئَات من الشُّعَراء والشُّواعر، وإنْ لم يكن هو شاعراً

وأكثر هؤلاء العلماء من الرُّواة أدرك عصرَ « بنى العبّاس » فيذكر فيه ومع تَشدّد النّاس فى تَصحيح الرّواية سُنةً وأدباً حدث فى الشّعر والخُطب كثير من التّصحيف والتّحريف والنّقص والزِّيادة ـ ونحو ذلك

﴿ العصر الثالث عصر الدولة العبّاسية [1] من ١٣٢ — ٦٥٦ هـ ﴾

أحوال اللغة العربية وآدابها فى ذلك العصر

كان بنُو أُميّة شديدى التَّعصب للعرب والعربية، فكان كلُّ شىء فى دَولتهم عربىّ الصِّبغة، وكانت جَمْهرة العرب مُنتشرةً فى كل مكان امتدَّ اليه سلطانُها فلّما قامت الدّولة العبّاسيّة بدَعوتها، لم تجد لها من العرب أنصاراً وأعواناً، مثل ماوجدت من الفُرس وأُمم الأعاجم، فاكْتَسَحَتْ بهم دَولةَ بنى أُميّة، وأسَّست

خلفاء بنى العباس الى سنة ٣٣٣

أبو العباس عبد الله السفاح	(١٣٢–١٣٦)
ابو جعفر المنصور	(١٣٦–١٥٨)
محمد المهدى	(١٥٨–١٦٩)
موسى الهادى	(١٦٩–١٧٠)
هارون الرشيد	(١٧٠–١٩٣)
محمد الأمين	(١٩٣–١٩٨)
عبد الله المأمون	(١٩٨–٢١٨)
ابو اسحق محمد المعتصم	(٢١٨–٢٢٧)
أبو جعفر هارون الواثق	(٢٢٧–٢٣٢)
جعفر المتوكل على الله	(٢٣٢–٢٤٧)
محمد المنتصر	(٢٤٧–٢٤٨)
أبو العباس احمد المستعين	(٢٤٨–٢٥٢)
أبو عبد الله المعتز	(٢٥٢–٢٥٥)
محمد المهتدى بالله	(٢٥٥–٢٥٦)
احمد المعتمد على الله	(٢٥٦–٢٧٩)
احمد المعتضد بالله	(٢٧٩–٢٨٩)
على المكتفى بالله	(٢٨٩–٢٩٥)
جعفر المقتدر بالله	(٢٩٥–٣٢٠)
أبو منصور محمد القاهر	(٣٢٠–٣٢٢)
أبو العباس احمد الراضى	(٣٢٢–٣٢٩)
إبراهيم المتقى لله	(٣٢٩–٣٣٣)

دولةً قويّةً ، كان أكثر النفوذ فيها للموالى . فاستخدمهم الخلفاء والأمراء فى كل شىء ، من سقاية الماء الى قياده الجيوش والوزارة ، وابتدأ شأنُ العرب السياسىُّ يتضاءلُ من ذلك الحين شيئاً فشيئاً ، واختلطوا بالأعاجم ، وكان من المجموع شعبٌ ممتزجٌ لغةً وعادةً وخُلقاً ، فأثَّر ذلك فى اللغة لفظاً ومعنى ، وشعراً ونثراً كتابةً وتأليفاً ، ولم يظهر ذلك بالطبع فى جميع الممالك بنسبة واحدة ، بل كان فى أواسط آسيا أظهرَ منه فى مصر والشام . أمّا حالُ ممالك الغرب والاندلُس صدر هذا العصر ، فلم يَبعُدْ كثيراً عمّا كان عليه فى العصر الماضى ، ثمّ سَرتْ اليها عَدوَى تقليدِها للمشارقة فى أكثر الأمور

ويُمكن ارجاع جميع هذه التغيرات الى ثلاثة أمور « الأول » ما يتعلّق بالأغراض التى تُؤدِّيها اللغة « الثانى » ما يتعلق بالمعانى والأفكار

« الثالث » ما يتعلق بالألفاظ والأساليب

﴿ أغراضُ اللغة ﴾

لمّا قامت الدولة العباسية ، وتَشبّه الخلفاء بملوك الفُرس فى أكثر أمور السياسة والمعيشة ، وحاكتهم العامّةُ فى ذلك بتقليد أمثالهم من طبقات الأعاجم ، تناولت اللغة فى المشرق أغراضاً لم تُعهَد فيها من قبلُ ، بِنَقْل علوم تلك الأمم وآدابها وعاداتها وطُرق معيشتها — ثم تناولت هذه الاغراض فى الغرب بَعدَئذٍ بفرق يسير

فكان من تلك الأغراض ما يأتى :

(١) تدوين العلوم الشرعيّةِ واللسانيّة والعقليّة ، ولم يُدَوّن فى صدر الاسلام من ذلك إلاّ نَذرٌ يسير ، وكذلك الترجمة من اللغات الأجنبيّة الى العربيّة

(٢) تأديةُ مقاصد الصناعات المختلفة ، وخاصّةً بعدَ دخول العرب فى غمار

الصُّنَّاع و بعدَ تَعَرُّب الأعاجم

(٣) تَأديةُ المقاصد التى استدعاها الإنغماسُ فى الترف بلذائذ الحضارة التى جرت فيها الأمم عصرَ الدولة العباسيّة الى أمدٍ بعيد، أو اقتضاها نظام الملك والدّفاع عنه — كالإمعان فى وصف الاشياء النّفيسة ممّا لم يُعرف للعرب فى صدر الاسلام أو عُرِفَ وكان قليلاً ممقوتاً صاحبهُ — وكوصف البحر والأساطيل الحربيّة والمعارك البحريّة — وامتاز بأكثر ذلك المغربُ والأندلسُ كما امتازت الأندلس بالإجادة فى وصف مَناظر الطّبيعة، ومحاسن الوجود لُملاءمة بيئتِها لذلك. وكادت تلحق بها فى الوصف صقلية وافريقية إبَّانَ ازدهارِهما

(٤) تأديهُ مقاصد أنواع الخلاعة والسُّخرية، مما قَلّ نظيرُه فى صدر الاسلام

(٥) المُحاضرة والمُناظرة والبحث والجدل وتدريس العلوم

﴿ المعانى والأفكار ﴾

إنّ ما حدثَ فى مشارق الممالك الاسلامية ومغاربها، أثناء العصر العباسى من الانقلابات السّياسيّة والاجتماعية، كان له نتيجةٌ ظاهرة فى الحركة الفكريّة للمتكلّمين بالعربيّة — ظهر ذلك فى عباراتهم وأشعارهم بُصَوَر مُختلفة، فمنها:

(١) ازديادُ شُيوع المعَانى الدّقيقة، والتّصوّراتِ الجميلة، والأخيلة البديعة

(٢) التّعويلُ على القياس والتعليل فى الاحكام الفكريّة: بالإكثار من الحُجج والبراهين العقلية، وانتحاء مذاهب الفلاسفة فى الشّعر والكتابة والتّدريس ولاسيّما بعد عصر الترجمة، وأكثر ما كان ذلك بالمشرق، وقلّما عُنِيَ به أهل المغرب

(٣) التّهويلُ والغلوّ فى التّفخيم المقتَبس فى المشرق من اللغة الفارسية والسّارى بعضهُ بالعَدوَى إلى أهل المغرب والأندلس

﴿ الألفاظ والأساليب ﴾

غلب على عبارة اللغة العربية فى هذه المدة أمران عظيمان : السهولة : والمحسنات البديعية . ويشمل ذلك ما يأتى :

(١) إنتقاء الألفاظ الرشيقة السهلة ، وقلة الحاجة إلى الارتجال

(٢) إزدياد الميل إلى استعمال ألفاظ القرآن ، والاقتباس منه ، والاستشهاد به

(٣) الإكثار من ألفاظ المجاز . والتشبيه . والتمثيل . والكناية . والمحسنات اللفظية

(٤) التوسع فى ادخال ألقاب التعظيم على أسماء الخلفاء والامراء والعظماء

(٥) تفاقم الخطب فى استعمال الكلمات الأعجمية فى كثير من الأشياء

(٦) وضع اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات وادارة الحكومة وغيرها

(٧) التأنق فى صوغ العبارات وتوثيق الربط بينها والميل إلى استعمال السجع

(٨) التطرف إلى غاية حدى الاطناب والإيجاز ـ ولكل منهما مقام

(٩) حدوث لغة تأليفية لتعليم العلوم تقاس بمعيار المنطق ، لا بمعيار البلاغة

واذ كانت اللغة إما نثراً : وإما شعراً

والنثر : محادثة ، وخطابة ، وكتابة ، فاحفظ ما يتلى عليك

﴿ النثر — المحادثة — أو (لغة التخاطب) ﴾

إن لغة التخاطب بين الخاصة من العرب فى أواخر العصر الماضى كانت العربية الفصيحة الخالية من اللحن ، إلا من آحاد عيروا به ، وأن لغة العامة والسوقة من العرب المختلطين بالعجم هى العربية المشوبة بشىء من اللحن ، ولغة المتعربين من العجم تقل عن هذه فى الفصاحه ، وتزيد عليها فى اللحن بمراتب مختلفة

فلما تم امتزاج العرب بالعجم « عصر الدولة العباسية » تكونت بين العامة

فى البلاد التى تكثر فيها جمهرةُ العرب لُغاتُ تخاطُبٍ عاميةٌ - إلاّ بين أهل جزيرة العرب فلم يزل تَخاطبُهُم باللِّسان العربى الفصيح إلى أواسط القرن الرابع . وبقيَت لُغاتُ التّخاطب فى البلاد التى تَقِلّ فيها جاليتُهم هى اللّغات الوطنية الأعجمية مَمزُوجةً ببعض الألفاظ العربيَّة التى أدخلها عليها الاسلام

وخاف الخُلفاء والخاصّةُ من هَوْل تَغلّب العامية على أبنائهم ، وأشفقُوا أن تَستطيلَ على الفصيحة فيستغلقَ على المسلمين فهمُ الكِتَابِ والسنّة وهما كلُّ الدِّين ، فحرّضوا العلماء على تدوين اللّغة والإكثار من العناية بضبط النّحو وفُنُون البلاغة — ولكن ذلك كلّه لم يوقف تيّار العاميّةِ الزّاخر ، واستمرّ فى طُغيانه الى أنْ غلبَ فى النّصف الأخير من عصر هذه الدولة على جميع لُغات التّخاطب ، حتى لغة الخلفاءِ وعلماء العربيةِ أنفسِهم ، وأصبَح لكلّ بلادٍ عَربيّة لغةُ تَخاطُبٍ عَاميةٌ خاصةٌ بها — ولكن لم تُصْبح العاميَّة لُغةَ علمٍ وأدبٍ — كما وأنّ ذلك لم يكن طويلَ الأمد

﴿ الخَطابة والخُطباء ﴾

لمَّا كان قيامُ الدّولة العبّاسيَّة فى المشرق ، والأدريسيّةِ فى المغرب الأقصى والأمويّةِ الثّانيةِ فى الأندلُس ، من الأُمور التى يَنشأ عنها كثيرٌ من الانقلابات السياسيّة والمذهبيّة والاجتماعيَّة . وكان ذلك يَستدعِي تَأليفَ العِصَابات ، ودعوة الناس الى التّشيُّع لزعماء الأحزاب ، كانت دَواعى الخَطابة مُتوافرة لتَوافُر أسبَابها فكان بين قُوّاد هذه الدُّول ودُعاتها وخلفائِها ورؤساء وُفُودها خُطباءُ مصاقعُ — ثم لمّا فترَت هذه الدّواعى باستقرار الدّول . واشتدّ اختِلاطُ العرب بالأعاجم . وتولّى كثير من الموالى قِيادة الجيوش وعِمالةَ الولايات والمواسم — ضَعُفَ شأنُ

الخطابة لضعف قدرتهم عليها ـ فلم يمض قرن ونصف من قيام تلك الدول حتى بطل شأن الخطابة إلا قليلا فى المغرب أيام الحفل وقدوم الوفود ـ وبقيت الخطابة قاصرة على خطب الجمعة والعيدين والمواسم وخطب الزواج ونحو ذلك ، وقل فيها الارتجال ، أو عدم جملة ، وحل محل الخطابة فى الأمور السياسية نشر المنشورات ، وفى الأمور الدينية مجالس الوعظ والتدريس فى المساجد والمدارس واشتهر فى صدر الدولة العباسية جملة خطباء — أشهرهم : داود بن على ، وشبيب بن شيبة .

﴿ داود بن علي ﴾

هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس ، خطيب بنى العباس ، وأحد مؤسسى دولتهم ، نشأ هو وإخوته (وكانوا اثنين وعشرين رجلا) فى قرية الحميمة من أعمال عمان ـ وكان الوليد بن عبد الملك أجلى « علي بن عبد الله بن عباس » وأهل بيته إليها ـ سنة ٩٥ هـ غضباً عليه

وكان داود أجد النابغين من إخوته ـ وكان بليغهم ولسانهم وأخطبهم فى وقته وعاجلته منيته قبل أن يستطير سلطانه فى الدولة . ولاه أبو العباس عقب بيعته بالكوفة ولاية الكوفة وسوادها ، ثم ولاه إمارة الحج فى هذه السنة ، وولاه معها ولاية الحجاز واليمن واليمامة ، فقتل من ظفر بهم من بنى أمية فى مكة والمدينة سنة ١٣٢هـ ـ وهو أول موسم ملكه بنو العباس ـ وخطبهم الخطبة الآتية وهى « شكراً شكراً ـ إنا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهراً ، ولا لنبنى فيكم قصراً

أظن عدو الله أن لن نقدر عليه ؟ إن روخى له من خطامه ، حتى عثر فى فضل زمامه ، فالآن حيث أخذ القوس باريها ، وعادت القوس الى النزعة ، ورجع

المُلك فى نِصابه ، فى أهل بيت النُّبوَّة والرّحمة ـ والله لقد كُنَّا نَتوجّعُ لكم ونحن فى فُرُشِنا ـ أمِنَ الأسودُ والأحمرُ ، لكم ذمَّة الله ، لكم ذمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكم ذمّة العبَّاس ، لا ورب هذه البَنِيَّةِ (وأومأ بيده الى الكعبة) لا نُهيّج منكم أحداً : ثم ذهب إلى المدينة ـ ومات بها سنة ١٣٣ هـ

﴿ شَبيبُ بن شَيْبَة ﴾

هو شَبيبُ بن شَيْبَةَ بن عبد الله المِنْقَرىّ التَّميمى ـ خطيبُ البصرة ، ونشأ بها ، وامتاز بِنَبَالة نفس وسَخاءِ كفّ . وحُسْن تَواضُع ونزاهَة لسان ، كما امتاز بخُطبه القصيرة البليغة ، القريبة من حدّ الإعجاز . قال الجاحظ : يقال إنهم لم يَرَوْا خطيباً كشَبيب بن شَيْبَة . فانه ابتدأ بحَلاوة ورَشاقة ، وسُهولة وعذُوبة . فلم يزل يَزدادُ منها حتّى صار فى كلّ موقف يَبْلُغ بقليل الكلام ، ما لا يَبْلُغه الخُطباءُ المصاقعُ بكثيره : وقد يُطوِّل حتى يقول فيه الرّاجز

إذا غَدت سَعدٌ على شَبيبها على فتاها وعلى خَطيبها
مِنْ مَطلَع الشَّمس إلى مغيبها عجبتَ من كثرتها وطِيبها

وعَرَفَ شَبيبٌ أبا جعفر المنصور قبل خِلافته ، ثم اتَّصل به بَعدها . فجعله فى حاشية ولىّ عهده « المهدى » وبقى كذلك حتى وُلِّىَ المهدى الخلافة ، فصار من خيرة سُمَّاره وجُلسائه ، إلى أن مات فى حدود سنة ١٧٠ هـ

ومن خُطبه القِصار ـ ماعزّى به المهدىّ يوم ماتت بنته «البانوقة» وجزع عليها جَزَعاً شديداً — أعطَاك اللهُ يا أميرَ المؤمنين على ما رُزِئْتَ أجراً . وأعقبك صبراً ولا أجهدَ اللهُ بَلاءك بنِقْمة ، ولا نَزَع منك نِعَمَهُ ، ثَوابُ اللهِ خيرٌ لك منها ، ورحمةُ اللهِ خيرٌ لها منك ، وأحق ما صُبِرَ عليه مالاَ سبيلَ الى رَدِّه .

﴿ الكتابة - خطيّة — وإنشائية ﴾

الكتابة الخطيّة : تنوّعَ فى هذا العصر الخطّ الكُوفى الى أنواع أرْبَتْ على خمسين نوعاً : ومن أشهرها - المُحرّر ، والمُشجَّر ، والمُربّع ، والمُدوَّر ، والمُتداخِل ، وبَقى مُستعملا فى المبانى والسّكة الى حُدود الألف . ثم نُسِىَ جُملة ، وقد جُدّدت منه أنواع فى عصرنا ، أمّا تاريخ خَطّنا المُستعمل الآن ، فحدَثَ فى آخر الدّولة الأُمويّة أنْ استنبَط « قُطبةُ » المحرّر من الخطّ الكوفى والحجازى خطّاهوأساس الخطّ الذى يُكتب به الآن ، واخترع القلم الجليل الذى يُكتب به على المبانى ونحوها وقلم الطّومار (الورقة الكبيرة) وهو أصغر أنواع الجليل - وَحسّن عمله غيرُه من كُتّاب صدر الدّولة العباسيّة حتى ظَهرَ ابراهيم الشّجْرى ، وأخوه يوسف من كُتّاب أواخر القرن الثانى . فولّد ابراهيم من الجليل قلم الثّلثين ، وولّد يوسف من الجليل القلم الرّياسِىّ ، وهو قلم التّوْقيع

وعن ابراهيم أخذ الأحولُ المحرِّر من (صنائع البرامكة) واخترع قلم النّصف هذه هى أشهر الخطوط وقد تولّد منها نحواً من ٢٠ خطاً ، يختصّ كلٌّ منها بغرض خاصّ ، واتفقوا على أنّ طول الألف يُعتبر مِعيَاراً لارتفاع بَقيّة الحروف . وأن يكونَ طول الألف مربع مقدار قطّة القلم

وعن الأحول — أخذ مُهندس الخطّ الأعظم ، الوزير « أبو علىّ محمد بن مُقْلَة » وأخوه أبو عبد الله الحسن المتوفّى سنة ٣٣٨ هـ — وهما اللّذان تمّ على أيديهما هندسة خط النّسخ . والجليل وفروعه على الاشكال التى نعرفها الآن - وأتمّا العمل الذى بَدأ به « قُطبة » فَهندسَا الحُروفَ ، وقدّرا مقاييسَها وأبْعادَها وضبَطاهَا ضَبطاً مُحكماً ، واخترعَا له القَواعد - وعن الوزير ابن مُقلَة أخذ أبو عبد الله

ابن أسد القارىء المتوفى سنة ٤١٠ هـ ـ وعنه أخذ أبو الحسن علىّ بن هلال البغدادى المعروف بابن البوّاب ـ المتوفى سنة ٤١٣ هـ ـ وهو الذى أكمل قواعد الخطّ واخترع عدّة أقلام ـ واليه انتهت الغاية . وكل من جاء بعده فهو تابعٌ لطريقته كأمين الدين ياقوت الملكى المتوفى سنة ٦١٨ هـ ـ كاتب السلطان ملكشاه السلجوقى ـ أمّا الأندلسيون والمغاربة فلم يعبئوا بهذا الاصلاح ، وبقوا يكتبون على طريقة الخطّ الحجازى الى الآن بنوع من التعديل ـ واخترع الخليل الشكل المستعمل الآن ـ بأن كتب الضمة واواً صغيرة تكتب فوق الحرف ، والفتحة ألفاً ، والكسرة ياء والشدّة رأس شين ، والسكون رأس خاء ، وهمزة القطع رأس عين ، ثم اختزل شكلها وزيد عليها حتى آلت الى الشكل المعروف الآن

وهاك ترجمة الخطّاط المتفنّن المشهور

﴿ ابن مُقْلَة ﴾

هو الوزير أبو علىّ محمد بن علىّ بن الحسَن بن مُقْلة إمام الخطّاطين ، وأحد كبار الكُتّاب البارعين ، أخذ الخطّ عن الأحول المحرّر صنيعة البرامكة ، وتمّ على يديه ويدى أخيه الحسن نقلُ الخط من الكوفىّ الى الشكل المعروف فى زماننا وكان ابن مُقلة يتولىّ فى أوّل أمره بعض أعمال فارس ، ويجبى خراجها ، وتنقّلت به الأحوال الى أن استوزره الامام المقتدر بالله سنة ٣١٦ هـ ـ ثم كاد له أعداؤه عنده ، فقبض عليه سنة ٣١٨ هـ ونفاه الى فارس ـ ثم وُزّر للرّاضى فوَشى به أعداؤه عنده ، فقُبض عليه وعُزل ـ ثم أطمعه نحسهُ أن يكيدَ لابن رائق : أمير الأمراء ببغداد عند هذا الخليفة ، فقبض عليه ابنُ رائق وقطع يدَهُ اليُمنى ثم عاد فقطع لسانهُ أيضاً ـ حتى مات سنة ٣٢٨ هـ ـ ومن قوله فى تلك الحوادث

اذا ما مات بعضك فابك بعضاً فان البعض من بعض قريبُ

وقوله :

ما سئمتُ الحياةَ لكن توثقت بأيمانهم فبانتْ يميني
بعتُ ديني لهم بدُنياىَ حتى حرموني دُنياهمو بعدَ ديني
ولقد حُطتُ ما استطعتُ بجهدى حفظ أرواحهم فما حفظوني
ليس بعدَ اليمين لذةُ عيشٍ يا حياتى بانت يمينى فبيني

﴿ الكتابة الإنشائيّة فى الرّسائل الدّيوانية والإخوانيّة ﴾

كانت كتابةُ الرّسائل فى أوائل حُكم بنى العبّاس جارية على نظام كتابتها فى أواخر عهد بنى أُميّة ، سالكةً الطّريقَ التى سلكها (عبدُ الحميد ، وابنُ المُقفع والقاسم بن صُبيح ، وعِمارةُ بن حمزة ـ ونُظراؤهم) من العِناية بجعل عبارتها جزلة بليغة مُتناسقةَ الوضْعِ والأُسلُوب ، لا يُقصَدُ بها إلا إفهامُ المعنَى الجيِّد بوضوحٍ وبلاغة وقُوة حُجة ، غير مَنظُور فيها إلى زُخرُف اللّفظ ومُحسّناته — وبقيت كذلك بل زادت حُسناً وجمالاً ومُراعاة لمُقتضَى الحال إلى أوائل القرن الرّابع . ثم أخذت الصّناعات اللّفظية تَغلِبُ عليها تدريجاً بتضاءل ملَكةِ البلاغة فى الكُتّاب ، وتقاصُر هِممهم عن استيفاء أدَاتها لتغلُّب الأعاجم من الدّيلم البُوَيْهِيِّينَ والتّرك السّلْجوقيّين عَلَى سُلطان الخُلفاء فى الشّرق ، وتَغلُّبِ البربر على شمالىْ أفريقية والأندُلس فى الغرب ، فلم يَعُدْ فى الملوك والأمراء مَن يَعنيهم أمرُ العربية وبلاغتُها . وما زالت كذلك حتى سَقطت الدّولة العبّاسيّة على أيدى الأعاجم من التّتار ، فكان ذلك عصرَ ابتداءِ اضمحلالِ الكتابة ، واضمحلال اللّغة فى الجملة

﴿ الكُتَّاب ﴾

كان أكثر كُتّاب المشرق فى هذا العصر، من سلائل فارسيّة أو سَوادِيَّة، وقد بَلَغوا بحِذقِهم سياسة الملك ونُبُوغِهم فى البلاغة أن ارتقَوْا عند خلَفاء العبّاسيّين الى مرتبة الوزارة — وأوّل كاتب منهم ارتقَى إليها هو أبو سلَمةَ الخلّالُ. وأشهرُ من بَلَغ نفوذُه وسلطانهُ مبلغاً زاحم فيه الخليفة (يَحيى بن خالد بن بَرْمك: وابناه جعفرٌ والفضلُ ثم محمدُ بن الزّيات فى زمن المعتصم. والواثق) وكان كُتَّاب الأندلس والمغرب أكثرهم من سلائل عَرَبية، ومن أشهر كُتّاب هذا العصر فى الشرق (ابن المُقفَّع، ويَحيى بن خالد بن بَرْمك. وابناه: جَعْفر والفَضْل، واسماعيل بن صبيح، وعَمرو بن مسعدة، وأحمد بن يوسف، وابن الزّيات. والحسن بن وَهْب، وعلى بن الفُرات، وابن مُقلة، وابن العَمِيد، والصّاحب بن عبّاد، وأبو بكر الخُوارَزْمِى، والبَدِيع، والصّابى، والعماد الكاتب، والقاضى الفاضل)

ومن أشهر كتّابه فى الأندلس (ابنُ شُهَيد، وأبو المطرِّف بن عَميرة، وابن زَيْدون، ولِسان الدِّين بن الخَطيب)

﴿ ابن المُقَفّع ﴾

هو محمد بن عبد الله بن المُقَفَّع - أحد فحول البلاغة، وثانى اثنين، مهّدا للناس طريق التَّرسل. ورفعا لهم معالِمَ صناعة الانشاء - أولهُما «عبدُ الحميد»

منشؤه — نشأ ابن المُقفع بين أحياء العرب. فكان أبوه (دَاذَوَيْهِ) المقفَّع الفارسى يعمل فى جباية الخَراج لوُلاة العراق من قِبَل بنى أميَّة، وهو على دِين المجوسيّة ثم أسلَم فى آخر عمره، وولد له ابنه هذا حوالىْ سنة ١٠٦ هـ - وسمّاه (رَوْزَبَهَ) فنشأ بالبَصرة. وهى يومئذ حَلْبَة العرب، ومُنتدَى البلغاء، والخطباء، والشعراء

فكان لكلّ ذلك فوق ذكائه المفرط وتأديبِ أبيه له) أعظمُ أثرٍ فى تربيته وتهيئته لأن يصير من أكبر كُتاب العربية ، وعُلمائها وأدبائها والمترجمين اليها . وقد أسلم بمحضر من الناس وتسمّى « عبد الله » وتكنّى بأبى محمد

أخلاقه و بلاغته ـ وكان نادِرةً فى الذكاء . غاية فى جمع علوم اللّغة والحكمة وتاريخ الفُرس ، متأدباً متعففاً قليلَ الاختلاط الاّ بمن على شاكلته ، كثير الوفاء لأصحابه وكان أُمَّةً فى البلاغة ، ورَصانة القول وشرَف المعانى إلى بيانِ غرض وسهُولة لفظٍ ، ورشاقةِ أسلوبٍ . ولا تُوصَفُ بلاغته بأحسنَ ممّا وَصَف هو البلاغة .

حيث يقول (البلاغة هى التى إذا سمِعها الجاهلُ ظنّ أنه يُحسنُ مثلَها)

ومن رسائله أنّه عزّى بعضهم فقال :

(أمّا بعدُ) فإنّ أمرَ الآخرة والدُّنيا بيد الله ، هو يُدَبّرهُما وَيقضِى فيهما مَايَشَاء لارَادّ لقضائه ، ولا مُعقِّبَ لُحكمه ، فانّ الله خلَقَ الخلقَ بقُدرته . ثم كتبَ عليهم الموت بعد الحياة ، لئلاّ يطمعَ أحدٌ من خلقه فى خُلْد الدّنيا ، ووقّتَ لكل شىء مِيقات أجَل ، لا يَستأخرون عنه ساعة ولا يَستقدمُون ، فليس أحد من خلْقه إلاّ وهو مُستَيقِنٌ بالموت ـ لاَ يَرجُو أنْ يُخلّصَه من ذلك أحد . نسأل الله تعالى خير المُنْقلَب : وَبلغنِى وَفاة فلان ـ فكانت وَفاتُه من المصائب العِظَام ، التى يُحتَسَب ثَوابُها من رَبّنا الذى اليه مُنقلَبُنا ومَعَادُنا ، وَعليه ثَوابُنَا

فعليكَ بتقوَى الله والصّبر ، وحُسنِ الظّنّ بالله ، فانّه جعَل لِأهل الصّبر صَلوات منهُ وَرحمةً ، وجعَلهم من الْمُهتدينَ

وقدترَجم كتباًعَديدَة من أشهرها كتاب (كليلةَ دِمْنة) وقيل إنّ هذا الكتاب من وضع ابن المقفع ـ وهو قول مقبول لا بأسَ به ـ وله كتاب « الأدب الكبير »

و « الأدب الصغير » و « الدّرة اليتيمة » وقتله والى البصرة سُفيان بن مُعاوية سنة ١٤٢ هـ لاتّهامه بالزّندقة والكيدِ للاسلام بترجمة كُتب الزّندقة .

﴿ إبراهيم الصُّولِي ﴾

هو أبو إسْحَق إبراهيم بن العبّاس بن محمد بن صُول — كاتب العراق . وأشعر أصحاب المقطّعات . نشأ ببغداد ـ فتلقّى العلم والادب عن أئمة زمانه ، واشتغل بالشعر فى حداثته ، فبرع فيه ، وتكسّبَ به ، ورحل إلى العُمّال والأمراء يَمدحهم ويَستميح جَدْواهم . ثم قصد الفضلَ بن سَهْل وزيرَ المأمون أيام مُقامه معه بخُراسان ومدَحه فوهَب له عشرة آلاف درهم . وجعله الفَضْلُ كاتباً لأحد قوّادِه ، وبقى يَنْتقل فى أعمال النواحى والدواوين حتى كان زمن الواثق عاملاً على الأهواز فتحامَل عليه وزيرُه ابن الزّيات فعزله وسَجَنه بها . فكتب اليه يَستعطفه ، فلَم يزددْ بذلك إلاّ جَفاءً وغِلظةً ، ثم اطّلع الواثق على ذلك فأطْلقه . وتولّى ديوان الضيّاع والنفقات فى خلافة المتوكل ، ومات سنة ٢٤٢ هـ . — ومن رسائله تَعزية عن لسان المُنتصر بالله إلى طَاهر بن عبد الله مولَى أمير المؤمنين .

« أمّا بعد » تولى الله توفيقَك وحِياطتَكَ ، وما يَرتَضيه منك ويَرضَاه عَنك ـ إنّ أفضلَ النِّعم نِعمةٌ تُلقِّيتْ بحَقِّ الله فيها من الشّكر ، وأوفرَ حَادثة ثواباً حادثة أُدِّيَ حَقُّ الله فيها من الرّضا والتّسليم والصّبر . ومثلُك مَن قدّم مايجبُ لله عليه فى نِعْمةٍ فشكرَها ، وفى مُصيبةٍ فأطاعه فيها ، وقد قَضَى اللهُ سبحانه وتعالى فى محمد ابن إسْحَاق مَولَى أمير المؤمنين « عفا الله عنه » قَضَاءَهُ السّابقَ والمُوقّعَ . وفى ثواب الله ورِضَا أمير المؤمنين « أدام الله عزّه » وتقديم ما يُقدِّمُ مِثْله أهلُ الحِجَا والفَهْم ، ما اعتاضه مُعْتاضٌ وقدّمه مُوَفّقٌ ، فليكن الله « عزّ وجلّ » ومَا أطعتَه به ، وقَدَّمتَ

حقَّه فيه أولى بك فى الأمور كلّها ، فانّك إن تتقرّبْ اليهِ فى المكروه بطاعتِه ، يُحْسِنْ ولايتك فى توفيقك لشكر نِعَمِه عندك

﴿ ابن العَمِيد ﴾

هو الأستاذ الرئيسُ الوزيرُ أبو الفضل محمدُ بن الحُسين العميدِ - كاتب المشرق وعمادُ ملك آل بُوَيْهِ وصدرُ وُزرائهم - نشأ شَغوفاً بمعرفة العلوم العقلية واللّسانية فبرَع فى علوم الحكمة والنّجوم ، ونبغَ فى الأدب والكتابة ، وابْتَدعَ طريقة الشعر المنثور ، حتى قيل فيه (بُدئت الكتابة بعبدِ الحميدِ وخُتمت بابن العَمِيد) ثم رحل عن أبيه الى آل بُوَيْه ، وتقلّد شريفَ الأعمال فى دولتهم - الى أن تولّى وزارة ركن الدّولة سنة ٣٢٨ فساسَ دَولتَه ووطّد أركانَها ، وتشبّه بالبرامكة ففتح بابه للعلماء ، والفلاسفة والشعراء والأدباء ، وكان يشاركهم فى كل ما يعلمون الا الفقه - وما زال فى وزارته مَحطّ الرِّحال ، وكعبة الآمال حتى توفّاه الله تعالى سنة ٣٦٠ هـ

ومن رسائله الى أبى عبد الله الطبرى — كتابى اليك ، وأنا بحَال لو لم ينُغصْها الشّوق اليك ، ولم يُرَنِّق صفوَها النّزُوع نَحْوك ، لَعَدَدْتُها من الأَحوال الجميلة ، وعَددْتُ حظّى منهَا فى النِّعم الجليلة . فقد جمعتُ فيها بين سلَامة عامّة .

(بقية خلفاء العباسيين)

عبد الله المستكفى بالله	(٣٣٣ — ٣٣٤)	المنصور الراشد بالله	(٥٢٩ — ٥٣٠)
القاسم المطيع لله	(٣٣٤ — ٣٦٣)	محمد المقتفى لامر الله	(٥٣٠ — ٥٥٥)
أبو بكر الطائع لله	(٣٦٣ — ٣٨١)	يوسف المستنجد بالله	(٥٥٥ — ٥٦٦)
أحمد القادر بالله	(٣٨١ — ٤٢٢)	حسن المستضئ بامر الله	(٥٦٦ — ٥٧٥)
عبد الله القائم بأمر الله	(٤٢٢ — ٤٦٧)	احمد الناصر لدين الله	(٥٧٥ — ٦٢٢)
عبد الله المقتدى بأمر الله	(٤٦٧ — ٤٨٧)	محمد الظاهر بأمر الله	(٦٢٢ — ٦٢٣)
احمد المستظهر بالله	(٤٨٧ — ٥١٢)	منصور المستنصر بالله	(٦٢٣ — ٦٤٠)
فضل المسترشد بالله)	٥١٢ — ٥٢٩)	عبد الله المستعصم بالله	(٦٤٠ — ٦٥٦)

وَنِعمة تامَّة . وحُظيتُ منها فى جِسْمِي بصَلاح ، وفى سعيى بنجاح . لكن مَا بقىَ أن يَصفُولى عَيش مع بُعدِى عنك ، ويَخلُوَ ذَرْعِي مع خُلوّى منك ، وَيسُوغ لى مطعم وَمشرب مع انفرادى دونك ، وكيف أطمع فى ذلك وأنتَ جُزءٌ من نفسِى ونَاظِمٌ لشَمل أُنسِى ، وقدحرِمتُ رُؤيتَك وعَدِمتُ مشَاهدتَك ، وهل تسكنُ نفس مُتشعِّبة ذاتُ انقِسَام ، ويَنفعُ أُنسُ بيتٍ بلا نِظَام ، وقد قرأت كتابك ، جَعلنى الله فِداءك ، فامتلأتُ سُروراً بمُلاحظة خطّك ، وتَأمُّل تَصرُّفك فى لفظِك

وما أقرِّظهما فكل خصالك مقرظ عندى . وما أمدحُهما فكل أمرِك ممدوحٌ فى ضَميرى وَعقْدِى

وأرجو أن تكونَ حقيقةُ أمرك مُوافِقةً لتقديرِى فيك ، فان كان كذلك والاّ فقد غطَّى هَواك وما ألقىَ على بَصرِى

﴿ الصّاحب بن عبَّاد ﴾

هو كافِى الكُفَاة أبو القاسم اسمعيل الصّاحبُ بنُ عبَّاد وزيرُ آل بُوَيه ، وكاتبُهم ولِدَ سنة ٣٢٦ هـ ـ بطالَقَان قَزْوين . وتعلَّمَ العلم والأدب من أبيه ، ثم اتّصل بابن العَميد ، فلزِمَ صُحْبتَه ، وأخذ عنهُ الأدبَ ، وتولّى له كتابة خاصّته ، ثم تنقّلت به الأحوال فى خدمة ملوك بنى بُوَيه ، فكان وزيراً لِمؤَيد الدولة ، ثم لأخيه فخر الدولة ، وله فى ملكها اليدُ المطلقة ، والأمرُ النافذُ حتى مات سنة ٣٨٥ هـ

ويُعَدّ ابن عبّاد فى الكتابة ثانىَ ابن العميد فى حلْبتِه . وأبلغَ من سلك طريقته غير أنهُ أُولعَ بالسجع والجناس ، ولا يعرف بعدهما من بلغ بشرف العلم والادب مبلغهما ، ولا حلّ من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منزلتهما ـ ومن رسائله ما كتب به الى بعض السادة ـ وقد أهدى الى ابن عبَّاد مُصْحفاً

ألبرُّ « أدام الله السيّد » أنواعٌ ، تطُولُ به أبواعٌ ، وتقصُر عنه أبواع ، فإن يكنْ فيها ما هو أكرمُ منصباً ، وأشرف منسباً ، فتحفةُ السيد إذ أهدى مالا تشاكله النّعَمُ ، ولا تُعادِلُه القيَمُ : كتابَ الله و بيانه ، وكلامَهُ وفُرقانه ، ووحيَهُ وتنزيله ، وهُداه وسبيلَهُ ، ومعجزَ رسول الله ﷺ ودليلَهُ ، طبَع دون معارضه على الشفّاه ، وخَتَمَ على الخواطر والأفواه ، فقصر عنه الثقلان ، وَبَقِيَ ما بقِيَ الملوَان . لائحٌ سراجُه . واضحٌ منهاجُه . منيرٌ دليلُه . عميقٌ تأويله ، يقصم كلّ شيطان مَريد . ويذلُّ كل جبار عنيد — وفضائلُ القرآنِ لا تُحصى فى مُطوّلات الأسفار — فأصِفُ الخط الذى بهر الطّرْف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الأقسام ، وزاد فى نخْوةِ الأقلامِ بل أصفه بترك الوصف ، فأخباره آثاره ، وعينهُ فُراره ، وحقاً أقول انى لا أحسَبُ أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعتَ ، وابتدع فى استكتابها ما ابتدعت وإنّ هذا المصحف لزائد عن جميعها زيادة الفرع على الغُرَّة ، بل زيادةَ الحجّ على العُمرة

﴿ أبو بكر الخُوارَزْمِى ﴾

هو أبو بكر محمدُ بن العبّاس الخُوارَزْمىّ — الكاتب الشاعر اللُّغوى الأديب الرَّحّالة : وُلد بخُوارزْم سنة ٣٢٣ هـ ونشأ بها ، وكان ضليعاً فى كلّ فن من فنون العربية ، وخاصّةً الكتابةَ والشّعرُ — جاب الأقطار ، ودخل الأمصار ، من الشام الى أقصى خراسان ، فى استفادة العلم والأدب وافادتهما : وكان كثير الحفظ للشعر غزير مادة اللغة .

وتقلّب الخوارزمى فى خدمة كثير من الملوك والأمراء والوزراء — حتى ألقى عصا التّسيار بمدينة نيْسابور ، وطاب عيشهُ بها إلى أن مُنِيَ فى آخر أيامه بمُساجلة

بديع الزمان الهَمَذانى ومُناظرته ومُناضلته — وأعانه عليه قوم من أعيان البَلْدة ووجوهها، فانخذل الخوارزمى انخذالاً شديداً، وكُسِفَ باله، ولم يحُلْ عليه الحول حتى مات سنة ٣٨٣ هـ.

وكان الخُوارزمى ممن يَجرى على طريقة ابن العميد فى الكتابة متوَخّياً جزالة الألفاظ، مُحتفلاً بصحة المعانى مع مَيْل فيه إلى الغريب - وتقدّم له كثير من الرسائل

﴿ بَديعُ الزَّمان الهَمَذانى ﴾

هو أبو الفضلُ أحمدُ بن الحُسين الكاتب المُترسِّل، والشّاعر المُبْدع:

منشؤه - نشأ بهَمَذان. ودرس العربيةَ والأدبَ. ونبغَ فيهما، وضرب فى الأرض يتكسّب بأدبه - ثم أقام بنيسابور مدّة أمْلى بها أربعائة مقامة، بلفظ رشيق وسجعٍ رقيق، وعلى منوالها نسَجَ الحريرىُّ — ثم شَجَر بينَه وبين الخوارَزْمىِّ ما كان سبباً فى هبوب ريحه. وبُعْدِ صِيته، اذ لم يكن فى الحُسْبان أن أحداً يجترئ على الخوارزمى.

وبموت الخوارزمى خلاله الجوُّ عند الملوك والأُمراء، فجوّل فى حواضرهم ثم استوطن هَرَاة، وصاهر أحد أعيانها العلماءِ، فحسنت حاله، ونِعَم باله، ولكن المَنيَّة عاجلته وهو فى سن الأربعين سنة ٣٩٣ هـ — وتقدم له كثير من الرسائل والمقامات المشهورة.

﴿ ابن زَيْدُونَ ﴾

هو الكاتبُ الشاعرُ ذُو الوِزارتين أبو الوَليد أحمد ابنُ عبد الله المشهور بابن زَيْدُون المخزُومى الأَنْدُلسىّ. وُلد سنة ٣٥٤ هـ. ونَشأ فى مدينة قُرْطُبَة وتأدّب على كبار أئمتها وقال الشعر وأجاده - ولمّا نَبُهَ شأنه بين شعراء قُرْطُبَةَ اتّصل بأبى

الوليد بن جَهْور أحدِ ملوك الطّوائف فحظِىَ عنده ومَدحه حتى أصبحَ لسانَ دولتهِ الناطقَ، وحسامها المسلول. فأفسد أعداؤه ما بينه وبين ابن جَهْور، فاعتقله ومكث فى مَحْبسِه مُدةَ استشْفع فيها إليه بقصائدَ أبدَعها، ورسائلَ استنفدَ فيها جُهدَه، فما ألانتْ له قلباً، فأعملَ الحيلةَ فى فِراره من سجنه، وخلَص إلى المُعتضِد ابن عبَّاد ملكِ إشْبيليةَ اذ كان أشدَّ ملوك الطّوائف رغبةً فيه، وأكثرهم تمسّكا بالأدباء، فألقى إليه مقاليدَ وزارته، وأصبح صاحبَ أمره ونهْيه، ولمّا مات المعتضدُ وخلَفَه ابنهُ المُعتمِدُ كان له كما كان أبوه. وأغدق عليه برَّه ونعمته.

ومكث ابن زيدون على هذه الحال حتى مات بأشبيلية سنة ٤٦٣ هـ

﴿ القَاضِى الفَاضِل ﴾

هو أبو علىٍ عبد الرّحيم البَيْسَانِى اللَّخْمِى — وُلد بمدينة عَسْقَلَان سنة ٥٢٩ هـ وتعلّم على أبيه وغيره. قَدِم مصرَ وهو شابٌّ، تولّى رئيس ديوان الإنشاء فى أواخر الدّولةِ الفاطميّة

وتعلّم فى ديوان ابن حَديد قاضى الأسكندرية. وظهر فضلُه فيما كان يرسله إلى القاهرة من الرسائل فاستُقدِم أيامَ الظّافر إليها. وكان من كُتّاب ديوانه، ولازم خدمة أكابر القضاة والكُتّاب فى الديوان وأخذ عنهم، وحاكاهم بل فاقهم فصاحة، وبلاغة لسعة اطلاعه، وغزارة مادته، وسُرعة بديهته، وصفاء خاطره

ولما سقطت الدَّولةُ الفاطميةُ تولَّى وزارة صلاح الدين بن أيوب، وكان يتردَّد بين مصر والشام فى الحروب الصليبية، ودبَّر المملكة أحسنَ تدبير — وبقى فى الوزارة حتى مات صلاح الدين، فوَزرَ لابنه العزيز على مصر، ثم وزرَ من بعده لأخيه: ومات سنة ٥٩٦ هـ

ومن رسائله القصيرة رسالة كتبها على يد خطيب عيذابَ الى صلاح الدين يتشفّع له فى توليته خطابة الكرك — وهى :

أدامَ اللهُ السّلطانَ الملكَ النّاصرَ وثبّتَه ، وتقبّل عملَه بقبولٍ صالحٍ وأثبتَه ، وأرغمَ أنفَ عدُوّه بسيفه وكبتَه

خِدمَةُ المملُوك هذه وَاردةٌ على يدِ خطيب عيذاب . ولمّا نبا به المنزلُ عنها وقلّ عليه المرفقُ منها . وسمع هذه الفتُوحات التى طبّق الأرض ذكرُها . ووجبَ على أهلها شُكرُها ـ هاجر من هجير عيذاب وملحها . ساريًا فى ليلةِ أملٍ كلّها نهارٌ فلا يسأل عن صُبحها ، وقد رغِب فى خطابة الكرك وهو خطيبٌ ، وتوسّل بالمملُوك فى هذا المُلتمَس وهو قريب ، ونزع من مصر إلى الشّام ، وعن عيذاب إلى الكرك وهذا عجيب ، والفقر سائق عنيف ، والمذكورُ عائل ضعيف ، ولُطف الله بالخلق بوجُود مولانا لطيف ـ والسلام

﴿ التّدوين والتصنيف ﴾

كانت الحاجةُ إلى التّدوين قداشتدّت فى مبدإ الدّولة العبّاسية لاتّساع ممالك الاسلام ، فهبّ العُلماء إلى تهذيب ما كُتبَ فى الصُّحفِ المُتفرّقة ، وما حفظوه فى الصُّدور ، ورتّبوه وبوّبوهُ وصنّفوه كتُبًا ، وكان من أقوَى الأسبَاب لإقبال العُلماء على التّصنيف حثّ الخليفةِ « أبى جعفر المنصور » عليه ، وحملُه الأئمّةَ والفُقهاء على جمع الحديث والفِقه ، ولم يَقتصر على مُعاضدة العُلوم الإسلاميّة ، بل أوعزَ إلى العلماءِ والمُترجمين أن ينقلُوا إلى العربية من الفارسيّة واليونانية فُنونَ الطّبّ والسيّاسةَ والحِكمة والفلكَ والتّنجيم والآداب ـ وتابعه فى ذلك أولادُه وأحفادُه ، حتى زخرَت بحورُ العلم ، واخترِعَتْ الفُنونُ ، وتفرّعت المسائل ، ودُوّنَت الكتبُ فى كلّ فنّ

﴿ كتابة التّصنيف والتّدوين ﴾

وكانت كِتابةُ التّصنيف والتّدوين فى القرن الأول ، و بعض الثانى من النَّهضة عبارة عن سلسلةٍ من الرِّوايات المُسندةِ إلى رُواتها — و بعضها يُرْوَى بلفظ أصحابها غَالباً : كما فى الشِّعْر والخُطب والرّسائل ، و بعضُها بلفظ الرّاوى كما فى أخبار الفُتوح والتّاريخ والقَصص ، ثم ظهرت بعد ذلك فى العلوم الشّرعية واللّسانيّة طبقاتُ الاستنباطِ والتّعليل ، والتّفريع والشّرح والاختصار ، وجمع الفروع تحت كلّيات عامّة ، فلم يكن لُلمؤلِّفين بُدٌّ من حَذفِ أسانيد الرِّوايات ، وتركِ المُحافظة على نَقلها بلفظِهَا إلاّ فى الحديث ونحوه

أمّا كتُب العُلوم المُترجمة فكانت عبارتُها هى تفسير ألفاظها الأعجميّة بالعربيّة ، ولم تكن ترجمتُها جَيِّدةً فى « عصر المنصور » ثم صُحِّحت ترجمتُها فى زمن « الرَّشيد والمَأمون » ثم لمّا أتقنَ كثيرٌ من فلاسفة المسلمين هذه العُلوم كتبُوا فيها بعباراتهم ، وكانت أول أمرها بليغةً مفهومةً ، ثم عَمّوها على بعض الفُقهاء المُكفّرين لهم ، والمُغرين الأمراء والسّلاطين بقتلهم ، حتى أصبحت عِبارةُ كُتُب الفَلْسَفة والتّوحيدِ أصعبَ ما يُقرأ باللّسان العربى

﴿ العلوم اللّسانيّة ونشأتها ﴾

العلوم اللّسانيّة هى الأدبُ ، والتّاريخ ، والعرُوض ، والنَّحو ، واللُّغة ، والبَلاغة

علم الأدب — كانت كتُبه فى أوّل هذا العصر رسائلَ يَبْحَثُ كلٌّ منها فى ضرب خاصّ من ضروبه ، كرسائل ابن المُقَفَّع ، و رسائل سَهْل بن هَرُون : فى الأخلاق ، وكتاب النّوادر ، وكتاب الأراجيز ، وكتاب الشّعر للأصمعى ، وكتاب الشّعر والشّعراء لأبى عُبَيدة ، و إذا تابعنا مَن يقول إنّ ابنَ المُقَفَّع هو الذى ابتدعَ

كتاب « كليلة ودمنة » ونحلة الهند والفرس ، كان هذا الكتابُ أول كتاب ظهر فى « الأدب العربى » الخاص بموضوعٍ واحد — وأوّلُ كتاب ظهر فيه جامع لفنون كثيرة : منهُ كتابُ « البيان والتبيين » وكتابُ « الحيوان » للجاحظ — واقتفى أثرَه أحمدُ بن طَيْفور فى كتابه العظيم « المنظوم والمنثور » فى أربعةَ عشر جزءاً ثم أبو العبّاس محمد المُبرّد ، فى « الكامل والرّوضة » — ثم أبو حنيفةَ الدِّينورى وأبو بكر محمد الصُّولى . وابن قُتَيْبَةَ صاحب « أدب الكاتب » وابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » وأبو على القالى صاحب « الأمالى » ، وأبو الفَرَج الأصبهانى صاحب « الأغانى » وغيرهم — ومن أشهر المؤلفين فى الأدب الجاحظ ، وأحمد بن عبد ربه ، والحريرى : وها هى ترجمتهم .

﴿ الجاحظ ﴾

هو إمَام الأدب أبو عُثمان عَمْرٌو الجاحظ بن بَحْر بن محبوب الكِنانى البَصْرى وُلِدَ حوالَىْ سنة ١٦٠ بمدينة البصرة ونَشأ بها فتناول كلَّ فنّ : ومارس كل علم عرُف فى زمانه مما وُضع فى الإسلام ، أو نُقِل عن الأمم الأوائل ، فأصبح له مشاركة فى علْمِ كلّ مايقع عليه الحِسّ أو يخطرُ بالبال ، فهو راويةٌ متكلّمٌ فيلسوفٌ ، كاتبٌ مُصَنِّفٌ ، مُترَسِّلٌ شاعر ، مؤرّخٌ عالم بالحيوان والنّبات والموات ، وَصّافٌ لأحوال النّاس ووجوهِ معايشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحِيَلهم — إلاّ أنه غلَب عليه أمران : الكلام على طريقة المُعتزلة : والأدب الممزوجُ بالفلسفة والفُكاهة : وكان غايةً فى الذّكاء ودِقّة الحسّ وحُسن الفِراسة : وكان سَمْحاً جَواداً كثيرالمُواساةِ لأخوانه : وكان على دَمامة خَلْقِه وتناقُض خُلقِه خفيفَ الرُّوح فَكِهَ المجلس غايةً فى الظَّرف وطِيبِ الفُكاهة وحلاوة الكلام — وهو على الجملة أحدُ أفْذاذ العالَم

وَإحدى حُجَج اللّسان العربى ـ وأقام الجاحظُ أكثرَ عُمره بالبَصرة يعيش مَعيشةَ الأُدباء والعلماء، محبوباً لوُلاتها وأعيانها، مَحبُوًّا منهم بالعطايا والمِنَح، بما يُصنِّفُهُ لهم من الكتُب المُتَّفقة مع أهوائهم المُختلفة — وكان كثيرَ الانتجاعِ للخُلفاء « ببغداد — وسُرَّ مَنْ رَأَى » حتى فُلِجَ بالبصرة وبقى مَفلوجاً بها مُدَّة إلى أن انتقَل إلى بَغدَاد فمات بها ودفن بمقبرة الخيزران (أمّ الرّشيد) سنة ٢٥٥ هـ وله أكثر من مائتى كتاب .

﴿ أحمد بن عبد ربّه ﴾

هو أديبُ الأندلُسِ وشاعرُها أبو عُمَرَ أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه القُرطُبى وُلد سنة ٢٤٦ هـ ونشأ بمدينة قُرطبة، ودرسَ علومَ العربيةِ فنبغ فى جميعها وحفِظ منها مالم يحفظه أحدٌ من عُلماء زمانه، وقرأ رسائلَ المحدَثين من المشارقة، وماتُرجم من كتب الأوائل فى أكثر العلوم، وأودَعَ زُبْدَةَ ذلك فى كتابه « العِقْد الفريد» وكان يشتغل فى حَداثته بالشّعر، ويجرى فى مِضمار اللّهو والطَّرب، ونظم فى ذلك من القصائد والمُقطّعاتِ الرّقيقةِ الجميلةِ ماجعلَ المتنبِّى على صَلَفِه وكِبرِه حينَ سَمع شِعرَه يُسَمِّيه (مليحَ الأندلس) ثم أقلعَ فى كِبَرِه عن صَبْوَتِه، وأخلص للهِ فى تَوْبتِه : فاعتدَّ أشعارهُ التى قالها فى الغَزَل واللّهو عمَلَ باطلاً : وعَمِل على أعاريضها وقوافيها قصائدَ فى الزُّهد يُعارضها بها، وسمّاها « المُمَحِّصات » ، ونال من خلفاء بنى أُميَّة بالأندلس قبولاً، وحلّ عندهم فى المكان الأسمى — وبقى بقُرطبة رئيساً مُسوداً ـ حتى فُلِجَ، وعاش بعدَ ذلك عِدَّة سنين ـ ثم مات بها سنة ٣٢٨ هـ

﴿ الحَرِيرىُّ ﴾

هو أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى البصرى المولود سنة

٤٤٦ هـ الكاتب الشاعر اللغوى النحوى صاحب البدائع المأثورة فى مقاماته المشهورة التى نسجها على منوال مقامات بديع الزمان الهمذانى — وأنشأ خمسين مقامة ، أتى فيها على كثير من موادّ اللغة وفنون الأدب وأمثال العرب وحكمها ، بعبارة مسجّعة مزيّنة بأنواع البديع ، ولا سيّما الجناس ، ترغيباً للطلّاب فى حفظ اللغة وأدبها ، وتفكيهاً لهم بمطالعتها ـ ونحل وقائعها «أبا زيد السّروجى» وهو أعرابىّ فصيح من سروج ، كان قد قدم البصرة وأعجب به علماؤها ، وسمّى راويها عنه «الحارث بن همّام» (يريد نفسه) وأهداها إلى الوزير جمال الدين بن صدقة وزير المسترشد العبّاسى : وله غير المقامات شعر كثير ورسائل بديعة وكتب فى النحو واللغة — منها كتابه «درّة الغوّاص فى أوهام الخواص» «وملحة الإعراب فى النحو» ـ وتوفّى بالبصرة سنة ٥٢٢ هـ

﴿ فن التاريخ ﴾

أوّل ماوضع فى التاريخ باللغة العربية الكتاب الذى وضعه عبيد بن شرية لمعاوية وفى صدر الدولة العباسية وضع كثير من العلماء كتباً فى التاريخ بأقسامه التى من أشهرها

(١) فنّ السيّر والمغازى ـ وأشهر من ألّف فيه من الأوائل : محمد بن إسحق

(٢) فنّ الفتوح ـ وأشهر من ألّف فيه منهم الواقدى . والمدائنى . وأبو مخنف

(٣) فنّ طبقات الرّجال ـ وأشهر علمائه ابن سعد كاتب الواقدى . والبخارى

(٤) فنّ النّسب ـ وأشهر قدماء علمائه الكلبى وابنه

(٥) فنّ أخبار العرب وأيامها ـ وأشهر علمائه أبو عبيدة ـ والأصمعى

(٦) قصص الأنبياء ـ وكتب فيه كثيرون

(٧) تاريخ الملوك ـ ومن أقدم من كتب فيه ابن قتيبة والهيثم بن عدىّ وابن

واضح اليعقُوبى ـ ثم شيخ المُؤرخين وعمدتهم محمد بن جَرِير الطّبرى الجامع كتابه هذه الفنون السّابقةُ مرتباً على حسب السنّين الهجرية
وحاكاه بعده ابنُ الأثير فى تاريخه « الكامل »

﴿ العروض والقافية ﴾

أوّلُ مَن اخترَع علم العَرُوض « الخليلُ بن أحمدَ » من غير سابقة تَعلُّم على أستاذ أو تدرُّجٍ فى وضْع ، بل ابتدعهُ ، وحصَر فيه أوزانَ العرب فى خمسةَ عشرَ بحراً وزاد عليه تلميذُ تلميذِه الأخْفَشُ بحراً آخر ـ ثم لم يزد عليهما أحدٌ شيئاً يُعتدّ به

أمّا القَافية : فقد كان العُلماء قبل الخليل يتكلّمون فيها ، ولكنّ الخليلَ هو أوّل مَن فَصَّل الكلام فيها ، وجعلها عِلماً مُدوّناً

﴿ النّحو ﴾

جاءت الدّولة العبّاسية ، والنّحو علم يُدْرَس فى المعَاهد ، ولكنّ البصريّينَ سبقُوا الكوفيّين فى الاشتغال به ، كما سَبقَهم الكوفيون فى الاشتغال بالشّعر وعلم الصّرف

ومن أكبر الأئمة الذين اشتغلوا بالنّحو وهذّبوه من البصريين أبو عَمْرو بن العَلاء ، وتلميذه الخليل ، وتلميذ الخليل « سِيبوَيه » الواضع لأول كتاب جامع فى النّحو ثم بعده « الأخفش » شارح كتابه

ومن الكوفيين مَعاذٌ الهرّاء ، والرُّؤَاسىّ ، وتلميذهما الكِسائىُّ ، وتلميذه الفرّاء

﴿ علم اللُّغة ﴾

ويُسمّى « متنَ اللغة » ونَعنِي به مَعرفةَ معَانى ألفاظها المُفردة . وأوّل ما وَضعَ الأئمة فيه رسائلَ وكتباً صغيرةً فى موضوعات خاصّة . فلمّا ظهر الخليلُ أحصَى ألفاظ اللّغةِ بطريقة حسابية فى كتاب ، ورتّبه على حروف المُعجم مُقدّما حروفَ

الحلق ، ومُبتـدئاً منها بالعين — ولذلك سَمّى مُعجمه « كتابَ العين » ثم ألّف أبو بكر بن دُريد مُعجمه العظيمَ الذى سماه (الجَمْهَرَةَ) مرتِّباً له على حروف المعجم بترتيبها المعروف الآن . وأدركَ عصرَه الأزهرىُّ فألّف كتاب (التّهذيب) على ترتيب الخليل ـ ثم وضعَ الجوْهرىُّ كتابه المُسمّى (بالصِّحاح) على ترتيب الجَمْهَرَةِ وابن سِيدَه الأندلُسى كتابه (المُحْـكَم) على ترتيب الخليل ، وابن فارس كتابه (المُجْمَل) والصّاحب بن عبّاد كتابه (المحيط) وهذه هى أصول كتُب اللّغة

وما بعدها من (العُباب ، والتّـكملة ، ومَجمع البحرين)للصّاغانِى « والنِّهاية » لابن الأثير و « لِسان العرب » لابن مُكرَّم ، و « المِصْباح للفيُّومى ، و «القامُوس» لِلفيروزَ ابادِى : فهو جَمْعٌ لها ، أو اختصارٌ منها

﴿ علوم البلاغة ـ المعانى والبيان والبديع ﴾

أوّل كتاب دُوِّن فى علم البيان كتاب (مجاز القرآن) لابى عُبَيْدة تلميذ الخليل ثم تبعه العُلماء ـ ولا يُعلم أوّل مَن ألّف فى المعانى بالضّبط ، وإنّما أُثر فيها كلامٌ عن البلغاء وأشهرهم الجـاحِظ فى « إعجاز القرآن » وغيره ـ وأوّل مَن دوّن كُتباً فى علم البديع ابن المُعتز وقُدامة بن جَعْفر ـ وقبـل ذلك كان البديع يُستعمَل فى الشّعر عَمَلا ، وبَقيَتْ هذه العلومُ تتكامل ، ويزيد فيها العُلماء حتى جاء فحل البلاغة عبدُ القاهر الجُرجانِى فألّف فى المعانى كتابه « دَلائلَ الإعجاز »وفى البيان كتابه « أسرار البلاغة » وجاء بعده السكاكىُّ فألّف كتابه العظيم « مِفتاحَ العلوم »

﴿ الخليل بن أحمد ﴾

هو أبو عبد الرّحمن الخليلُ بن أحمدَ بن عَمرو بن تَميم الفَراهِيدِى الازدِى البصرى ، مُخترع العروض ومُبتكر المُعْجَمات ، وَواضع الشّكل العربى المُستعمَل الآن على

ولد سنة ١٠٠ هـ بالبصرة، ونشأ بها، وأخذ العربيّةَ والحديثَ والقِراءة عن أئمة زمانه، وأكثر الخروجَ إلى البَوادِى، وسمعَ الأعرابَ الفُصحاءَ، فنبغَ فى العَربيّة نبوغاً لم يَكن لِأحدٍ مِمَّن تقدّمه أو تأخَّر عنه، وكان غايةً فى تَصحيح القِياس واستخراج مسائل النّحو وتَعليله، ولَقّنَ ذلك تلميذه سِيبَوَيْهِ

وممّا يَشهدُ له بحِدَّة الفِكر وبُعد النّظر اختِراعُه العَرُوض عِلماً كاملاً، لم يَحتجْ إلى تَهذيب بَعدَهُ، وابتكارُه طَريقةَ تَدوين المُعْجَمات بتأليف كِتاب «العَيْن» وتَدوينه كِتاباً دقيقاً فى المُوسِيقَى على غير مَعرفة بلُغة أجنبيّة واشتِغالٍ بِلَهْو. وزادَ فى الشِّطْرَنْج قِطعَةً سَمّاها «جَمَلاً» لعِبَ بها النّاسُ زَمناً، وَبقِىَ الخليلُ مقيماً بالبصرة طُولَ حَياته، زَاهداً مُتعفِّفاً مُكِبًّا على العلم والتّعليم — حتى مات فى أوائل خلافة الرّشيد سنة ١٧٠ هـ بصَدْمة فى دِعامة مَسْجدٍ ارتجّ منها دِماغُه

﴿ سِيبَوَيْهِ ﴾

هو أبو بِشْر عَمرُو بن عُثمان بن قُنبُرَ — امام البصريين، وحُجَّة النّحويين وُلد بالبَيضَاء من سُلالة فَارسيَّة ونَشأ بالبصرة، وكان يَطلُب أوَّلَ أمرِه الحديثَ والفِقه. فَعِيبَتْ عليه لَحْنَةٌ لَحنَها فى مجلس شيخه فَخجَل وطلبَ النّحو. ولازَم الخليلَ، وأخذَ عن غيره أيضاً. وكان الخليلُ يُؤثِرهُ على أصحابه. فَدوَّن جميعَ ما أخذهُ عنه ونَقله عن غيره فى كتابه الذى لم يُجْمَع قبله مثلُه — ولولاَ هذَا «الكتاب» الّذى رَواه عنه، وشَرحه تِلميذُه الْأَخْفَشُ، ما كان لِسَيبويْه خَبرٌ يُشهرُ لوفَاته كَهلاً. ولِقلَّة مَنْ أخذَ عنه هَذا الكتابَ. ولِأنّه لا يُعرفُ له كتابٌ غيرُه. ويحسبِك هو. وَمات ببلدته البَيْضَاءَ بفارس سنة ١٨٠ هـ — وسِنُّه نَيِّف وأربعون سنة

﴿ الكِسَائِى ﴾

هو أبو الحسن علىُّ بن حَمزَة — أحد القُرّاء السّبعة . وإمام الكوفيّين فى النّحو واللّغة — نَشأ بالكوفة . وتعلّم على الكِبَر بعد لَحْنَةٍ لَحنَها أمامَ جَمعٍ مِنْ طلبةِ العلم ، فلازَم أئمةَ الكوفة حتى أنفَدمَا عندهم . ثُم خرجَ إلى الخليل بالبصرة وجلَس فى حلَقته ، وأعجبَهُ علمُه . فقال له : مِنْ أينَ علمُك هذا ؟ قال مِن بَوادى الحِجاز ونَجْد وتِهامة ، فخرَج إليها ، وأنفد خمس عشْرةَ قِنِّينَةَ حِبرٍ فى الكِتابة عن العرب ، سِوَى ما حَفِظَ عنهم . ولمَّا رجعَ من البادية وجّه اليه المَهدِى فخرج إلى بغداد فَحُظِىَ عنده وضمّه إلى حاشية ابنه الرّشيد ، ثم جعله الرّشيدُ مُؤدِّبَ ولدِه الأمين ، وكان يُجلسهُ هو والقاضِىَ مُحمدَ بنَ الحسن الشَّيْبَانى صاحبَ الامام الأعظم أبى حنيفة على كرسيَّين مُتميِّزين بحضرته ، وما زالاَ على هذه الكَرامة حتى خَرج الرشيدُ إلى الرَّىِّ وهُما فى صُحبته فماتَا فى يوم واحد فبكاهُما . وقال دفنتُ الفقه والعربيّة بالرَّىِّ ـ وذلك سنة ١٨٩ هـ . وقد انتهت إليه إمامةُ القِرَاءة والعربية بالكوفة و بغداد ـ وكان يَروِى الشّعر ، وليس له فيه جيِّدُ نَظرٍ

﴿ العلومُ الشّرعيّة ﴾

التّفسير — لم يُدوّنْ فى كُتُب جامعة تَجمعُ سُورَ القرآن الكريم كلَّها إلاّ فى عَصر الدّولة العبّاسيّة . وكان التّفسيرُ عبارةً عن نقل رِواياتٍ عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابِه تُبيِّن المُرادَ من آياتِه ، وأوّلُ طَبقةٍ من المفسِّرين أدركتِ الدّولة العبّاسيّةَ ، أو نشأت فى صدرها طبقةُ سُفيان بن عُيَيْنَةَ . ووَكيع بن الجرّاح وشُعبةَ بن الحجّاج . واسحقَ بنَ راهوَيْه . ومُقاتِل بن سُليمان . والفرّاء

﴿ كتُب الحديث ﴾

أوّلُ كِتاب جُمِعَ فى الحديث الكِتابُ الذى أمرَ الخليفة الأُموى « عمر بن عبد العزيز » بتدوينه ولم يُعرفْ له خبرٌ بعدُ : ثم أخذَ العُلماء يُدوِّنون فيه بحَضّ الخليفة أبى جعفر وأولاده ، فدوّن الإمام مالكٌ « مُوطَّاهُ » ولما اشتدّتْ رغبةُ الناس فى طلب الحديث وضعَ كثيرٌ من الزّنادِقة واليهُود المُتظاهرين بالإسلام كثيراً من الأحاديث فتجرَّد لها الأئمةُ الأعلامُ ، وبيّنوا صَحيحَها من فاسدها . كاسحَق بن رَاهَوَيْه ، وتلميذه محمدُ بن اسمعيل البُخَارِى الذى دوّن كتابَه فى الأحاديث الصّحاح فقط ، وتبعه تلميذهُ مسلِمُ بن الحجّاج ، والإمامُ أحمدُ بن حَنْبل . وأصحابُ كُتب السُّنة الصِّحاح وهم — الترْمذِىُّ . وأبو دَاوُد ، والنَّسَائى وابنُ مَاجَهْ ، والبُخارى ، ومُسلِم

هذه هى أُصول الكُتُب الصّحيحة فى الحديث

﴿ الإمام البُخارى ﴾

هو أبو عبد الله محمدُ بن إسمعيلَ بن إبراهيم بن المُغيرة ، إمام المُحدِّثين ، وصاحب « الجامع الصّحيح » أجلُّ كُتُبِ الإسلام وأفضلُها بعد كتابِ الله العزيز

وُلِدَ ببُخَارَى من سُلالة فارسيَّة سنة ١٩٤ هـ ـ ونَشأ بها يتيماً . فحفِظَ القُرآن وألمَّ بالعربيّة وهو صَبِىّ ، وحُبِّبَ إليهِ سَماعُ الحديث ، فكان أولُ سماعِه من علماءِ بخَارَى وهو لم يُناهزِ البلوغَ ، حتى حفِظ عَشرات الأُلوف من الأحاديث ، ودخَل من أجلها أكثر ممالك المَشْرِق . وأخذَ عنه علماؤُها وأئمتُها . ومنهم أحمدُ ابن حَنْبل — وتفقّه مبْدَئِيًّا على مَذْهب الشّافعى . واستخرَج كتابَه « الجامعَ الصّحيح » من سِتّمائة ألف حديث ، فى سِتٍّ عشْرَةَ سَنة ، جَمَع فيه تِسعة آلاف

حديث مُكرّر بَعضُها بتَكرُّر وُجُوهها — وقال إنّي جعلتُه حُجّةً بَيني وبين الله . فأجمَع عُلماء السنّةِ على أنه لم يكن فيها أصحُّ منه ـ ومات سنة ٢٥٦ هـ .

﴿ علم الفقه ﴾

لمّا كان المروىّ عن رسول الله وظاهرُ نَصِّ القرآن لا يَستوْعبان كُلَّ أحكام الوقائع المُختلفة المتجدِّدة بتجدُّد الزّمان والمكان كان الاجتهادُ ضَرورِيًّا فى الدِّين وجاءت الدّولة العبّاسيّة وأهلُ الحجاز يُرَجِّحونَ جانب الأخذ بالحديث لكثرة رُوَاتِه بينهم ، وإمامُهم فى مذهبهم « مَالكُ بن أنَس » وأهلُ العراق يُرَجِّحُون الأخذَ بالقياس ، وإمامُهم فى مذهبهم « أبو حنيفة » لكثرة مَاوضعهُ متزندِقَة العِرَاق فى الحديث ، ثم لمّا دخل أهلُ الحِجاز العِرَاق وتَساوَى الفَريقان فى معرفة الأحاديث عَمِلُوا بهمَا ونَشأ من ذلك عدّةُ مذاهبَ أشهرُها مذهب « أبى حَنِيفةَ ومذهبُ مَالك ، ومَذْهبُ الشّافعي ، ومذهبُ أحمدِ بن حَنْبل » وهذِه المذاهبُ الأربعةُ هى التى ارتَضاها مُعظَم الأُمّة فى أمرِ دِينها ودُنياها : ثم كان لكل مذهب أئمةٌ مُجتهدونَ فيه :

﴿ الإمَام الأعظم أبو حَنيفة النُّعمان ﴾

هو الإمَام الأعظمُ أبو حَنيفةَ النُّعمانُ بن ثابتٍ فقيهُ العِراق ـ وُلِدَ سنة ٨٠هـ من سُلالة فارسيّة . ونَشأ بالكُوفة . وعَاصرَ بعضَ الصّحابة . وأخذَ كلَّ عِلْمِهِ عَمَّن شَافَهَ الصّحابة ونَقَلَ عنهم ، واستَنبَط فِقهَهُ من القرآن الكريم وما صَحّ عنده من الحديث مع استعمالِ الرَّأيِ والقِياس ـ وكان من أعبدِ النّاس وأكثرِهم تهجداً وقِرَاءةً للقرآن الكريم ، وأكثرهم وَرَعاً وتوَخّياً للكسب من وَجه حِلٍّ ، رَضِىَ أن يعيش تاجر خزّ ، ورغِبَ عن وظَائِف المُلوك والخلفاء ، وعُرِضَ عليه القضاء

من قِبَل أمراء بنى أُميّة ، ثم المنصور فأبَى ، فسَجنه وآذاهُ ، حتى قيل إنّه مات فى سِجنه . وكان يَعتذِرُ بأنه لا يَأمَنُ نفسه أن تزِلّ ، وقرأ عليه عُلماء الكوفة و بَغداد وتخرّج عليه منها الأئمة من أصحابه كمُحمّدِ بن الحسَن . وأبى يُوسف . و زُفَر – ومات ببغداد سنة ١٥٠ هـ

﴿الإمام مَالِك﴾

هو أبو عبد الله مَالك بن أنَس ، إمامُ دَارِ الهِجْرة ، وَسيّدُ فُقهاءِ الحِجاز ، وهو عَربىّ من سُلالة أقْيال حِمْيَر

وُلدَ سنة ٩٥ هـ بالمدينة المنوَّرة و نَشأ بها ، وأدركَ خِيَار التّابعينَ من الفُقهاء والعُبّاد ، و رحلَ إليهم وأخذ عنهم ، وما زَال يدأبُ فى التّحصيل وجَمْعِ السّنّة حتّى صار حُجّةً من حُجَج الله فى أرضه – وضُرِب به المثلُ فقيلَ «لا يُفْتَى ومَالكٌ بالمدينة» وعَرَف الخلفاء قدرَه فأجلُّوه ، حتى أنّ الرّشيدَ رحل هو وأولادُه إليه بالحجاز ليسمعَ « مَوطَّأه » فسمِعه وأغدَقَ عليه — وكان مَالكٌ أوّلَ أمرِه فقيراً

فلمّا كثُرتْ مِنَحُ الخلفاء له حَسُنَ حَالُه ، فأظهرَ نِعمةَ الله عليه ، ووَصل أهلَ العلم وأشركهم فى مَاله ، ومنهم « الشّافعِى »

وأمّا أخلاقُه : من حيثُ الكرم والطّلاقة والوَقار والنُّبل والتّواضع والحُبُّ لرسول الله عليه الصلاة والسلام فإنّها تَجلُّ عن الوَصف ، حتى أنّه كان لا يركبُ دَابةً فى المدينة إجلالاً لأرض ضَمّت جَسَد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتُوُفّى سنة ١٧٩ هـ بالمدينة – ودُفِن بالبَقيع .

﴿الإمامُ الشّافِعى﴾

هو أبو عَبدِ الله محمدُ بن إدريس بن العبّاس بن عُثمان بن شَافع – عالم قُريش

وفخرها ، وامامُ الشّريعة وحَبْرُها . وهو من ولد المُطّلب بن عبد مَنَاف

ولِد بمدينة غزّة سنة ١٥٠ هـ ـ وحُمِلَ إلى مكّة وهو ابن سنتين ، ونَشأ بها فقيراً تُربّيه أمّه ، ويُواسيه ذَوُو قرابته من قُريش ، حفِظ القرآن وهو ابنُ تسعِ سنين ، وأُولعَ بالنّحو والشّعر واللّغة ، ورحل إلى البادية فى تطلُّبها ولم يُناهز سِنّ البلُوغ حتى حفِظ منها شَيئاً كثيراً ، ثم تفقّه وحفِظ « مُوطّأ مَالكٍ » وأفتَى وهو ابنُ خمس عشرةَ سنة . ثم رحل فى هذه السِّن إلى « مَالِك » وقرأ عليه الموطّأ من حِفْظه ، فقال مَالك « إنْ يكن أحـدٌ يُفلح فهذا الغُلامُ » وأضافهُ وخدَمه بنفسه . ثم رَجَع إلى مكة ، وعلّم بها العربيّة والفِقه ، وصحّح عليه الأصمَعِيُّ شِعرَ الهُذَليِّينَ ، ثم دخل بغداد سنة ١٩٥ هـ فاجتمعَ عليه عُلماؤها وأخذُوا عنه . وفى سنة ١٩٩ أو سنة ٢٠٠ هـ خرج إلى مِصر وسكن الفسطاطَ فكانت دارَ هِجرته ، وبها أملَى مذهبَه بجامع عَمْرو ـ وتُوفِّيَ بها سنة ٢٠٤ هـ .

﴿ الإمام أحمد بن حَنْبل ﴾

هو الإمام الصّابرُ المُحتَسبُ أبو عبد الله أحمدُ بن حَنْبل الشّيبانى ،

وُلد ببغداد مِن سلالة عَربيّة سنة ١٦٤ هـ ـ فتعلّم العلم وطلبَ الحديث وسَمع من أئمة وقْته ، حتى حفِظَ مِئَات الألوف من الأحاديث ، واختار منها نَيِّفاً وأربعين ألف حديث ضمّنها كتابَه « المُسندَ » واستنبط مذهبه من السُّنّة مَشُوباً بشَيء من القِياس والرّأى ، وظهرت فى مُدّته فتنة « خَلْق القُرآن » فامتُحِنَ بهـا فى مجلس المُعتَصِم ليُجيبهم إلى القول بخَلْق القُرآن ، فلم يَفعل فضُرب حتى أُغمِيَ عليه ، وبقِى مُدّة مَريضاً ، ثم عُوفِيَ واشتغَل بالعلم والتّعليم ببغداد — حتى مات سنة ٢٤١ هـ .

﴿ علم الكلام ﴾

كان السَّلَفُ الصّالحُ من الصّحابة والتّابعين يَستدِلُّون على عقائدهم بظاهر الكِتاب والسُّنّة . وما وقع فيهما من المُتَشابه ، أَوْ أَوْهَم التّشبيهَ المُنافِيَ لِتنزيه المعبود تَوقَّفوا فيه خَوْفَ أن يَحيدَ بهم فَهمُهم فى التّأويل عن القَصد ـ غيرَ أن ذلك لم يُقنعْ مَن دَخَل فى الإسلام فكثُرَ جَدَلهم ، واضطرّ العُلماء أن يُعارِضُوهم ؛ وساعدهم الخُلفاء ـ وأوّلهم المهدى الذى حَرّضهم على تَدوين علم الكلام «التّوحيد» فافترق المرضِيُّ عن مذهبهم من عُلماء الكلام فِرقتين ، فرقة اعتقدَتْ ما يقرُب من مَذْهب السّلف وسُمّوا (الجماعة) أو أصحاب الحديث ، وفِرقة اعتزلتْها وخالفتْها فى بعض المسائل وسُمّو (المُعتزِلة) أو أصحاب العدل ، وجرَى رجالُ الحكومة العبّاسية على هذا المذهَب ونَصرُوه ، حتى ظهر أبُو الحسن الأشعَرِى فألّفَ مذهبه الكلامى الذى سُمِّى بعدُ بمَذْهَب الاشاعِرة . وغلَب على كلّ مَذهب سِواه إلا بعض مَذاهب قليلة كمذاهب الشيعة « و بقى كثير منها إلى الآن » ومذاهب الخوارج و بقى منهم إلى عصرنا بقية فى الجبل الأخضر من بُرقة ، و فى جزيرة جربة على ساحل تُونس ، و ببلاد البَحْرين

﴿ أبو الحسَن الأشْعَرى ﴾

هو أبو الحسن علَى بن اسمعيل شيخ طريقة أهل السُّنّة والجماعة و إمام المُتكلِّمين وُلِدَ بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ ونشأ بها . وأخَذ علم الكلام عن أبى علىّ الجُبائىّ شيخ المعتزلة . وتبعهُ فى الاعتزال ، واحتجَّ له حتى صار لِسانَ المعتزلة أكثر من ثلاثين عاماً ، ثم هَداه البحثُ أخيراً فرأى أن كِلاَ الفريقين من هؤلاء ومن المُعتزلة غالٍ فى نَظره ، فتوسّط ، وتغيّبَ عن الناس مُدّة ألّف فيها كتبَه فى

نُصرة أهل السُّنّة . والردّ على أكثر عقائد المُعتزلة : وكان شافِعِيَّ المذهب توفّى سنة ٣٢٤ هـ ـ وممّن نَصر مذهبه الفخر الرازى ، والغزالى ، وقاربه فى مذهبه القاضى أبو منصور الماتريدى

﴿ الإمام الغزالى ﴾

هو أبو حامد مُحمّد بن محمد الغزّالى الطُّوسى الشّافعى ، حُجّة الإسلام ، وُلِدَ سنة ٤٥٠ هـ ونَشأ بطوس وتعلّم بها مبادئ العلوم ، ثم رحل إلى نَيْسابُور ، ولازم إمامَ الحرمَيْن الجُوَيْنى ، وهو يومئذ عالم الشّافعيّة فى الشّرق ، فما زال يتلقّى عنه العلم حتى صار من أكابر مُتكلّمى الأشاعرة وفُقهاء الشّافعية ـ ولمّا مات الجوينى ذهب إلى بغداد ولَقِىَ الوزيرَ نِظامَ المُلك صاحبَ المدرسة النّظاميّة الشّهيرة ، وناظَر بحضرته العُلماء فظهر عليهم ، وأقرّ له فحول العراق بالفضل . فتولّى التّدريس بالمدرسة النّظاميّة أربع سنوات — ثم حَجّ وذهب إلى الشّام يَدْرُس ويَسيح لزيارة بعض مَشاهد أنبيائها ، ثم دخل مصر وأقام بالاسكندرية مدة ثم عاد إلى وطنه طُوس ، واشتغل بتأليف الكتب الجليلة التى فى مُقدّمتها كتاب « إحْيَاء عُلوم الدين » ثم ألزم التّدريس بنَيسابور — ثُم عاد إلى وَطنه حيث مَضَّى بقية عمره بين التّدريس ووعظ الصّوفية وعمل البرّ ـ حتى مات بالطّابَران قَصَبة طُوس سنة ٥٠٥ هـ

﴿ نَشأة العُلوم الكونيّة المنقولة وترجمتها وأشهر المُترجمينَ والمشتغلينَ بها ﴾

وكانت تُسمّى علوم الفَلْسفة والحِكمة وتشمل أربعة علوم المَنْطِق ، والطّبيعيّات والرّياضيّات ، والالهيات

وتَشملُ الطّبيعيّات علم الطّبيعة والكيمياء وفنّ المواليد الثلاثة والطّب والصّيدلة والفِلاحة

وتَشملُ الرّياضيّاتُ علم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم الآلات

(الميكانيكا) وعلم الفلك الشّامل للهيئة والتّنجيم ومن مُتعلّقاته علم الجغرافيا الرّياضية ويلحق بهذه العلوم علم السياسة وتدبير المنزل والمال وعلم الأخلاق وفنون الموسيقى:

وتشمل الالهيّات علم ما وَرَاء الطّبيعة من الرُّحانيّات والمُدركات العقليّة كالبحث عن صفات الخالق والقُوى النّفسيّة والجنّ والملائكة - ونحو ذلك.

وهذه العلوم فِطْريّة فى الإنسان من حيث إنّه مُتفكر مُتمَدْين لا تختصّ بها أُمّة دُون أُخرَى، فكان الاشتغالُ بها ضَروريًا لكل أُمّة أصبحت ذاتَ حضَارة، ولذلك ترْجم المسلمون بعضَها فى عصر بَنى أُميّة، واستقدم «المنصُور العبّاسىّ» كثيراً من الأطبّاء والمُترجمين، فترجمُوا له كتُب اليُونان والفُرس والهنود فى الطّبّ والفلَك والسّياسة — ولمّا مات المنصُور فترَ أمرُ التّرجمة إلى زمن الرشيد والبرَامكة فحثُّوا العُلماء على ترجمة الكتُب اليُونانيّة؛ وصَحّحُوا بعض ما تُرجِمَ زمنَ المنصور، ثم جاء عَصْرُ «المأمُون» فزَخرتْ بحُورُ التّرجمة، وبعثَ إلى بلاد الرّوم جَماعةً من المُترجمين كابن البَطْريق، وسَلْم صاحب بَيت الحِكْمة والحجاج بن مَطَر، وحُنَيْن بن إسحاق — فاختَارُوا كُتباً حَملوها إلى بَغداد وتُرجمَتْ، وتعلّمها النّاسُ، وَصحّحُوا أغلاطها، واستدركوا علَيها، ولم يمضِ قَرن من تأسيس الدّولة العبّاسيّة حتى بَرع المسلمون فى هذه العلوم كلّها، وظهر بينهم من الحُكماء والفَلاسفة مَنْ كادَ يَلْحقُ فَلاسفة اليُونان، ومِنْ هؤلاء فَيلسُوفُ الإسلام والعرب «أبو يوسف يعقوبُ بن سحَق إبن الصبّاح الكِنْدِى» وتلميذُه أحمدُ بن الطيّب السَّرخْسِى، وبنُو مُوسَى بن شاكر محمد وأحمد والحسن أشهر رياضى هَذا العصر: وأوّل المُخترعين من المسلمين فى الحيل والهندسة — ومحمد بن مُوسَى الخُوَارَزمِى مُخترع علم الجبر والمُقابلة ومُذيع الحساب الهندى بين العرب

ثم ذهبَ طورُ الترجمة والتصحيح وتلاه طورُ التأليف والتكميل والاختراع فأتى فيه بالعجب العُجاب أبو نصر محمد بن محمد طَرْخان الفارابى الحكيم الكبير مُخترع آلةَ الطَّربِ المسماة بالقانون ، والتى استنبط الافرنج بمُحاكاتها آلة المعزف (البيانو) المتوفَّى سنة ٣٣٩ هـ ـ وأبو بكر محمد بن زكريَّا الرّازى الطّبيب الكيميائى الشهير المتوفَّى سنة ٣٦٤ هـ — والشيخ الرّئيس حكيم المشرق أبوعلى الحُسين بن سِينا المتوفَّى سنة ٤٢٨ هـ ـ وأبو الرّيحان أحمد بن محمد البيرُونى الفلكى الرّياضى المقوِّم المتوفَّى سنة ٤٣٠ هـ

وكان لدولة الفواطم فى مصر اشتغالٌ بهذه العلوم ، فاشتهر فى دَولتهم فى الفلك والرياضيات ابن يونس ، وفى الطّب ابن رضوان وغيرهما . ولم يُعْنَ أهلُ الأندلُس بهذه العلوم عِنَاية أهل المشرق ، وأشهرُ مَن نَبغ منهم فيها أبُو الوليد القاضى أحمد ابن رُشد ، وأبو القاسم الزَّهراوى ، ومِن كتب هؤلاء الأئمة وأمثالهم اقتبسَ أهلُ (أوربّا) كثيراً من أُصُول مَدنيّتهم الحاضرة

﴿ الشِّعر والشُّعراء ﴾

قد كان للشّعر عند الخلفاءِ والوُزراء والقوّاد سُوقٌ نَافقةٌ ، حتى عند رُؤساء الأعاجم من الدَّيلم والتّرك ـ ودام كذلك إلى انتهاء الدّولة العبّاسية . وبهذه العِناية العظيمة بل وكثرةِ قائليه ومُنتحليه تَفنّنَ النَّاسُ وأدخلُوا عليه فنوناً لم تُعهد فيه ، واستعملوه فى كل غَرض حتى التَّعبُّدِ به ـ وتشكّلَ أسلوبه ، وتنوّعت معانيه بما يُطابق أغراضَ استعماله

ولم يُقْصَر الشّعر على الموالى فى صدر الدّولة العبّاسية كالكتابة ـ بل اشتركوا فيه هم وغيرهم من أعراب البَادية أحياناً ، ومن سلائل العرب بالأمصار أخرى ، غيرَ

أنّ بِضعةً من فحُول صدر الدّولة كانوا مَوالىَ مثل بَشّار ، وأبى نُوَاس ، ومُسلم وأبى العتَاهِيَة ، وابن الرُّومِي .

ومِن أشهر شُعراء الأمصار من العرب أبو تَمّام ، والبُحترِى ، وابن المُعتز والمُتنبّى وأبو فِرَاس ، وأبو العَلاَء المَعرّى ، وابن هَانِىء الأندَلُسىّ ، والشّريف الرَّضِى

(١) - ﴿ بَشّار بن بُرْد ﴾

هو أبو مُعاذ بَشّارٌ المُرَعّثُ بن بُرْد — أشعرُ مُخضْرمى الدَّولتين ، ورأس الشّعراء المحدَثين ، ومُمَهّد طريقِ الاختراعِ والبديع للمُتفنّنين ، وأحد البلغاءِ المَكْفوفين - وأصلُه من فُرس طُخارستان من سَبْى المُهلَّب بن أبى صفُرة ، فنَشأ بَشّارٌ فيهم ، واختلَف إلى الأعراب الضَّاربين بالبصرة - حتى خرج نَابغةَ زمانه فى الفصاحة والشّعر ، وكانَ أكمهَ مَجدورَ الوجه ، قبيحَ المَنْظَر ، مفرطَ الطّول ضَخْمَ الجُثّة ، مُتوقِّدَ الذّكاء ، لا يَسلَم مِن لسانه خليفةٌ ولا سُوقة - لا يَألف ولا يُؤلَف شعره — قد أجمع رُواةُ الشّعر ونقَدَتُه على أن بَشّاراً هو رأسُ المُحدثين وأسبقهم إلى مُعاطاةِ البديع ، وطرْق أبواب المجُون والخلاَعة والغزَل والهجَاء - وأنّه أوّل مَن جَمع فى شعره بين جزَالة العرب ورِقّة المُحدَثين ، وفتَقَ عن المعانى الدَّقيقة والأخيلة اللّطيفة - حتى عُدّ شعره بَرْزخاً بين الشّعر القديم والحديث ، ومَجازاً يَعبرُ عليه الشعرُ من مَرابع البَداوة إلى مَقاصير الحَضارة - ومات مقتولا سنة ١٦٧ هـ

ومن شعره فى المشورة والحِكم والنّصائح قوله

إذَا بَلَغ الرأىُ المشُورةَ فاستعِن ... برأىِ نَصيحٍ أو نصيحةِ حَازِمِ

ولا تَجعل الشّورَى عليك غَضاضةً ... فانَّ الخوَافى قوةٌ للقَوادِمِ

ومَا خيرُ كَفٍّ أمسك الغُلُّ أختَها ... ومَا خيرُ سَيفٍ لَم يُؤيّد بقَائم

وخَلِّ الهوَينى للضَّعيف ولا تَكُنْ ... نَؤوماً فانّ الحرَّ ليس بنائم

وقوله : ظِلُّ اليَسَار على العبَّاس ممْدُودُ ... وقلبُه أبداً بالبُخلِ مَعْقُودُ

إنّ الكريمَ ليُخفِي عنك عُسْرتَهُ ... حتَّى تراهُ غَنِيّاً وهو مَجهُودُ

وللبخيل على أمواله عِلَلٌ ... زُرْقُ العُيون عليها أوْجُهٌ سُودُ

اذا تكرّهْتَ أن تُعطِي القليلَ ولم ... تَقدِرْ على سَعَةٍ لم يَظهر الجُود

بُثّ النَّوالَ ولا تَمنعك قِلّته ... فكُلّ ما سَدّ فقراً فهو محمودُ

وقال : إذا كُنتَ فى كُلّ الأمور مُعَاتِباً ... صَديقَك لم تَلقَ الّذى لا تُعاتبُه

فَعِشْ واحداً أو صِلْ أخَاك فانّه ... مُقارِفُ ذَنْبٍ مَرّة ومُجانبُه

إذا أنت لم تَشرَبْ مِراراً على القَذَى ... ظمِئتَ وأىُّ النّاس تَصفُو مَشَارِبُه

وقال : خَليلىَّ إنّ المالّ ليس بنافعٍ ... اذا لم يَنَلْ منه أخٌ وصَديقُ

وكنتُ إذَا ضَاقَت علىَّ مِحلّةٌ ... تَيمّمتُ أُخرَى مَا علىَّ مَضيقُ

وما خَابَ بينَ اللهِ والنّاسِ عاملٌ ... له فى التّقى أو فى المَحامِدِ سُوقُ

وما ضَاق فَضْلُ اللهِ عن مُتعفِّفٍ ... ولكنَّ أخلاقَ الرجال تَضيقُ

(٢) ﴿ أبو نُواس ﴾

هو أبو علىّ الحسنُ بن هَانِىء ، الشّاعرُ المُتفنِّن ، الجَادُّ الماجِنُ ، صاحبُ الصِّيت الطَّائر ، والشعر السّائر ، ورأس المحدَثين بعدَ بَشَّار ، وهوَ فارسىّ الأصل

وُلد بقريةٍ من كورة خُوزستان سنة ١٤٥ هـ — ونشأ يَتيماً ، فقدِمتْ به أُمّه البصرةَ بعد سنتين من مَولده ، فتعلّم العربيـة ، ورغِبَ فى الأدب ، فلم تَعبأ أُمّه بحاله ، وأسلمتْه إلى عَطّار بالبصرة ، فمكث عنده لا يفترُّ عن مُعاناة الشّعر — إلى

أنْ صادفه عند العطّار « وَالِبة بن الحباب » الشّاعرُ الماجنُ الكُوفيُّ فى إحدَى قَدَماته إلى البصرة ، فأعجَب كلٌّ منهما بالآخر ، فأخرجهُ والِبَة معه إلى الكوفة فبَقى معهُ ومع نُدَمائه من خُلعائِها ، وتخرّج عليهم فى الشّعر وفاقهم جميعاً ، وقَدم بغداد فبلغَ خبرُه « الرّشيدَ » فأذِن له فى مَدْحه ، فمدحه بقصائد طَنَّانة ، ثم انقَطع إلى مدح محمد الأمين الخليفة العباسى ، وثبت عنده بعض مايوجبُ تَعزيره فَسجنه ولم يَلبث بعد خروجه من السّجن أن مات ببغداد سنة ١٩٨ هـ

وكان أبو نُواس جَميلَ الصّورة ، فَكِهَ المحْضَر ، كثيرَ الدُّعابة ، حاضِر البَديهَة ، مَتيناً فى اللّغة والشّعر والأدب .

شعره — أجمعَ أكثرُ عُلماء الشّعر ونقَدَتُه ، وفحولُ الشّعراء على أنَّ « أبا نُواس » أشعرُ المحدَثين بعد بَشّار ، وأكثرُهم تفنّناً ، وأبدعُهم خَيالاً مع دِقّة لفظ ، وبديع معنى — وأنّه شاعرٌ مَطبوعٌ برَز فى كلّ فنّ من فنون الشّعر ، وامتاز بقصائده الخمريات ، ومقطّعاته المجُونيّات ، وأراجيزه الطّرديّات (أقواله فى تبكيره إلى الصّيد ومُطاردته) . وكان شعره لِقَاح الفسادِ ، والقُدوةَ السّيئة لنقله الغزل من أوصاف المؤنّث إلى المذكر ، وإبداعه فى وصف الخمر ، فكان نَموذج سُوءٍ لمن تأخر : ومن ذلك قوله

دَعْ عنكَ لَوْمى فإنّ اللّومَ إغراء ... ودَاوِنى بالّتى كانت هى الدّاء
صَفْراء لا تَنزلُ الأحزَانُ ساحتَها ... لو مسّها حَجرٌ مَسّتْهُ سَرّاء
رَقّتْ عن الماءِ حتّى ما يُلائِمها ... لَطافَةً وجفَا عن شكلِها الماء
فلو مَزَجْتَ بها نُوراً لَمَازَجَها ... حتّى تَوَلّدَ أنوارٌ وأضْواء

ومن قوله لمّا حضرته الوَفَاة :

يَارَبِّ إنْ عظُمت ذُنوبى كَثرةً ... فلقد عَلِمتُ بأنّ عفوَك أعظمُ

إنْ كان لا يرجوك إلاّ مُحسِنٌ فبِمنَ يَلوذُ ويستجيرُ المُجرمُ ؟
أدعوك ربِّ كما أمرتَ تضرُّعاً فاذا رددْتَ يدِى فمن ذا يَرحمُ ؟
مَالِى اليك وسيلةٌ إلاّ الرّجا وجميل عفوك ثم إنِّى مُسْلِمُ

(٣) - ﴿ مُسلِم بن الوَلِيد ﴾

هو صَريعُ الغَوانى « أبو الوليد مُسلمُ بن الوَليد الأنصارى » أحدُ الشُّعراء المُفلِقين - قال الشعر فى صِباه ، ولم يتجاوزْ به الأمراء والرُّؤساء ، مُكتفِياً بما يناله من قليل العَطاءِ ، ثم انقطع الى يَزيد بن مَزْيَد الشَّيْبانى قائد الرّشيد ، ثم اتّصلَ بالخليفة « هرُونَ الرّشيد » ومَدحَه ومدَح البرامكة وحَسُنَ رأيُهم فيه ، ولمّا أصبحَ الحلُّ والعقدُ بيد ذِى الرِّياستَين « الفَضلِ بن سَهل » وزير المأمون فِى أوّل خلافته قرّبه وأدناه ، وَولاّه أعمالاً بجُرْجان ، ثم الضّياعَ بأصْبهان ، واكتسب منهما مِئات الألوف ، وأنفقها فى لذّاته وشَهواته . ولمّا مات الفضلُ لزم منزله ونَسكَ ، ولم يمدح أحداً حتى مات بجُرْجان سنة ٢٠٨ هـ

شعره - أوّلُ مَن تكلّف البديع فى شعره ، واستكثرَ منهُ فى قوله ، ومزَج كلامَ البدَويّين بكلام الحضَريين ، فضمَّنه المعانى اللّطيفة ، وكساه الألفاظ الظّريفة فله جَزالةُ البدويّين ، ورِقّةُ الحضَريّين - ومن جيد قوله يمدح داود بن يزيد المهلّبى

نفسِى فِداؤك يَاداوُدُ إذْ عَلِقَتْ أيْدِى الرَّدَى بنَواصِى الضُّمَّرِ القُودِ
تَجُودُ بالنّفس إنْ ضَنَّ الجوَادُ بها والجودُ بالنّفس أقصَى غَايةِ الجُودِ

وقوله :

دلّت على عَيبِها الدّنيا وصَدّقها مَا استرجَع الدّهرُ مِمّا كانَ أعْطَانِى
مَا كنتُ أدّخِرُ الشّكوَى لحَادِثة حتّى ابتلى الدّهر أسرارى فأشكانِى

(٤) - ﴿ أبو العَتَاهِيَة ﴾

هو أبو إسحقَ إسمعيلُ بن القَاسِم بن سُوَيْدٍ ، أطبعُ أهلِ زمانِه شِعراً وأكثرِهم قولا ، وأسهلهم لفظاً ، وأسرعهم بَديهة وارتجالاً - وأوّلُ من فتح للشّعراء باب الوعظ والتّزهيد فى الدنيا ، والنّهى عن الاغْتِرَار بها وأكثرَ من الحكمة

وُلِدَ بعين التّمر قُرب الأنبار سنة ١٣٠ هـ - ونشأ بالكوفة فى عمل أهله وكانوا باعة جِرَار إلاّ أنّه رَبأ بنفسه عن عَملهم : وقال الشّعرَ فى صِباه وامتزَجَ بلحمِه ودَمِه ، فذاعَ صِيتهُ وسَلك طريق خُلَعاء الكوفة ، ثم قَدِم بغداد ومدَح المهدىّ ثم عَرَضت له حالٌ امتنعَ فيها عن قول الشّعر حتى حَبَسه الرّشيدُ لعدم تَلبيته مَا اقترحَه عليه من القول فيه - ثم أطلقَه بعد أن أجابَ طَلِبَتَه ، وعاد إلى قول الشّعر على عادته ، وترَك الْغَزَلَ والهجاء ، وَبقى على ذلك مُدّة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون - حتى مات سنة ٢١١ هـ ببغداد

شعره — يمتاز بالسّهولة المُتناهية بالنِّسبة الى أهل عصره ، ومن قوله يمدح الْمَهدِى

أتَتْهُ الخلافةُ مُنقادةً ... اليه تُجَرِّرُ أذيالَها
فلم تكُ تَصلُحُ إلاَّ له ... ولم يكُ يَصلُحُ إلاَّ لَها
ولو رَامَها أحدٌ غيرُه ... لَزُلزلتِ الأرضُ زِلزالَها
ولو لم تُطِعْهُ بنَاتُ القلُو ... ب لَمَا قَبِلَ اللهُ أعمالَها
وإنّ الخليفةَ من بُغضِ «لاَ» ... إليْهِ لَيُبْغِضُ مَنْ قَالَها

وكتب على البديهة فى ظهر كتاب

ألاَ إنّنَا كلُّنا بائدٌ ... وأىُّ بَنِى آدمَ خالدُ
وَبدؤهمُ كان من رَبّهمْ ... وكلٌّ إلى ربِّه عائدُ

فيا عجباً كيف يُعصَى الإلـ ـهُ أم كيف يَجحَدُه الجاحدُ
ولله فى كلّ تحْرِيكةٍ وفى كلّ تَسكينةٍ شاهدُ
وفى كلّ شىءٍ له آيةٌ تَدُلُّ على أنّه واحدُ

(٥) ـ ﴿ أبو تمّام ﴾

هو أبو تمّام حَبيبُ بنُ أوْسٍ الطّائىُّ ـ أسبقُ ثلاثةِ الشّعراء الذين سارت بذكرهم الرُّكبانُ . وخلَّد شعرهم الزمانُ . ثانيهم البُحْتُرِىُّ ، وثالثهم المُتَنبّىُّ

وُلد من سُلالة عَربيَّة سنة ١٩٠ هـ بقرية جَاسِم من أعمال دِمشقَ ، ونُقِلَ صَغيراً إلى مصر ، فنَشأ بها فقيراً ، وكان يَسقى الماء بالجرّة فى جامع عَمْرو ـ وتعلّم العربية وحفِظ مالا يُحصى من شعر العرب ونَبَغ فى قوله ، ثم خَرَج إلى مقرّ الخلافة فمدح « المعتَصم » وحُظِىَ عنده .

ومدح وزيرَه مُحمدَ بن الزَّيّات . والحسنَ بنَ وَهْب : الذى وَلاّهُ بريد المُوصِل فأقام بها الى أن مات سنة ٢٣١ هـ

شعره — يُعدُّ أبو تمّام رَأسَ الطَّبقة الثّالثة من المُحْدَثين ، انتهت إليه مَعانى المتقدّمين والمتأخّرين ، وظهر والدّنيا قد مُلئَتْ بترجمة علوم الأوائل وحِكمها من اليونان والفرس والهند ، فخصُف عقله ، ولَطفَ خَياله بالاطلاع عليها — وهو الذى مَهّد طريق الحِكَم والأمثال للمُتنبّى وأبى العلاء ـ وغيرهما ، ولذلك كان يقال « إنّ أبا تمّام والمُتنبّى حكيمان ، والشّاعرُ هو البُحترِى »

وأجاد أبو تمّام فى كل فنّ من فنون الشعر ، أمامَراثيه فلم يَعلَق بها أحدٌ جاشَ صدرُه بشعر ، وأشهرها القصيدة التى رَثَى بها محمدَ بن حُميد الطّائى ـ ومنها

كذا فليجِلَّ الخطْبُ وليَفْدَح الأمْرُ فليسَ لعينٍ لم يَفِض ماؤُها عُذْرُ

تُوفِّيَتْ الآمالُ بعد محمد ... وأصبحَ فى شُغلٍ عن السفَرِ السفْرُ
وما كانَ إلا مالَ مَن قلّ مالُه ... وذُخراً لِمَن أمسَى، ولَيس له ذُخرُ
وما كانَ يدرِى مُجْتَدِى جُودَ كفّه ... إذَا مَا استهلَّتْ أنهُ خُلِقَ العُسْرُ
ألاَ فى سَبيل الله مَنْ عُطِّلتْ له ... فِجاجُ سبيل الله وانثغرَ الثَّغْرُ
فتًى كلّما فاضَت عيونُ قَبيلة ... دماً ضحكت عنه الأحاديث والذِّكرُ
فتًى دهرُه شَطران فيما يَنُوبُه ... ففى بَأسه شَطرٌ وفى جُوده شَطرُ
فتًى مَات بين الطَّعن والضَّرب مِيتة ... تقوم مقامَ النّصر إنْ فَاته النَّصرُ
وما مَات حتى مات مَضْرِبُ سيفه ... من الضَّرب واعتلّت عليه القَنَا السُّمْرُ
وقد كان فَوتُ الموتِ سَهلاً فَردَّهُ ... اليه الحِفاظُ المُرُّ والخُلقُ الوَعْرُ
ونفسٌ تَعافُ العارَ حتى كأنما ... هوالكفر يوم الرَّوْع أودُونه الكفرُ
فأثبتَ فى مُستَنْقع الموت رجلَ ... وقال لها من تحت أخمَصِك الحشرُ
غدَا غُدْوةً والحمد نسجُ رِدَائه ... فلم ينصرِف إلاَّ وأكفانهُ الأجرُ
تَرَدَّى ثِيابَ الموت حُمراً فما دَجَا ... لها الليلُ إلاّ وهى من سُندسٍ خُضْرُ

(٦) - ﴿ البُحترِى ﴾

هو أبو عُبادةَ الوليدُ بن عُبيدٍ الطّائىُّ - أشعرُ الشُّعراء بعد أبى نُوَاس

وُلد سنة ٢٠٦ هـ — بناحية مَنْبِج فى قبائل طىّ وغيرها من البَدْو الضّاربين فى شَواطىء الفُرات - ونَشأ بينهم فغلَبتْ عليه فَصاحةُ العرب ، ولازَم وهو فتًى أبا تمّام وعليه تَخرّجَ ثُمّ خرَج إلى العراق وأقامَ فى خدمة « المُتوكّل والفَتْح ابن خَاقان » محترَماً عندهما إلى أنْ قُتِلا فى مجلس كان هو حاضره ، فرجع الى مَنْبِج بين أعراب طَيِّء ، وبَقى يَختلف أحيَاناً إلى « رُؤساء بغداد : وسُرّ مَن

رأى » حتى مات سنة ٢٤٨ هـ وكان على فضله وفصاحته من أبخل خلق الله وأوسخهم ثوباً ، وأكثرهم فخراً بشعره - حتى كان يقول : إذا أعجبه شعره (أحسنتُ والله) ويقول للمستمعين : مالكم لا تقولون أحسنتَ :

والكثيرُ على أنه لم يَأتِ بعد أبى نُواس من هو أشعرُ منه

شعره — كلّه بديع المعنى ، حسَن الديباجة ، صقيل اللفظ ، سلِس الأسلوب كأنه سَيلٌ ينحدِر الى الأسماع ، مُجوّداً فى كل غرض سِوى الهجاء - ولذلك اعتبرَه كثير من أهل الادب هو الشاعر الحقيقى ، واعتبروا أمثال أبى تمّام والمتنبّى والمعرّى حُكماء ، ولِسهولة شعره ورقّته كان أكثر الأصوات التى يُتغنّى بها فى زَمنه من شعره المطبوع فى ديوان حافل

ومن قوله يمدح الخليفة المتوكل ويَصِف موكب خروجه لصلاة عيد الفطر : وخطبته فى الناس

بالبرّ صُمْتَ وأنتَ أفضلُ صائمٍ ... وبسُنّةِ الله الرَّضيّة تُفطِرُ

فانْعَمْ بيوم الفطر عِيداً إنّه ... يومٌ أغرُّ من الزّمان مُشهّرُ

أظهرْتَ عزّ المُلك فيه بمَحْفَل ... لَجِبٍ يُحاطُ الدِّينُ فيه ويُنصَرُ

خِلنَا الجبالَ تَسيرُ فيه وقد غَدَتْ ... عُدداً يَسيرُ بها العديدُ الأكثرُ

فالخيلُ تَصْهَلُ والفوارسُ تَدّعى ... والبِيضُ تَلمَع والأسِنّةُ تَزْهَرُ

والأرضُ خاشعةٌ تَميدُ بثِقْلِها ... والجوُّ مُعتكِرُ الجوانب أغبرُ

والشّمس طالعةٌ تَوقّدُ فى الضُّحَى ... طَوْراً ويُطفِئُها العجاجُ الأكدَرُ

حتى طلعْتَ بضَوْءِ وجهك فانْجلَتْ ... تلك الدُّجَى وانجابَ ذاكَ العِثْيَرُ

فَافْتَنّ فيك النّاظرُون فإصْبعٌ ... يُومَا اليك بها وعَينٌ تَنظُرُ

يَجِدُون رُؤيتَك التى فازُوا بها ... من أنْعُم الله التى لا تُكفرُ

ذكَرُوا بطلعتك النّبىَّ فهلَّلُوا لمّا طلعتَ من الصفُّوف وكبَّرُوا
حتى انتهيْتَ الى المُصلَّى لابساً نُورَ الهدى يَبدُو عليكَ ويَظهرُ
ومَشَيْتَ مِشْيَةَ خاشعٍ متواضعٍ لِلّه لا يُزْهَى ولا يَتَكبّرُ
فلوَ أنّ مُشتاقاً تَكلَّفَ فوق ما فى وُسعه لَسعَى اليك المِنْبرُ
أبديتَ من فصلِ الخطاب بحكمة تُنبِى عن الحقّ المُبين وتُخْبرُ
ووقفتَ فى بُرْد النّبىِّ مُذكِّراً بالله تُنذِرُ تارةً وتُبَشِّرُ

(٧) ـ ﴿ ابن الرُّومِى ﴾

هو أبو الحسن على بن العبّاس بن جُرِيج الرُّومى مَوْلَى بنى العبّاس ، الشاعر المُكثر المطبوع ، صاحب النّظم العجيب ، والتّوليد الغريب ، والمعانى المُخترعة والأهاجى المُقذِعة .

وُلِدَ ببغداد سنة ٢٢١ هـ ونَشأ بها ، وأقام كل حياته ، وكان كثيرَ التَّطيُّر جداً وكان القاسمُ بن عُبَيد الله وزيرُ المُعتزّ يخاف هجوه وفلتاتِ لسانه ، فسلَّط عليه مَن دَسّ له السّم فى الدَّسم — الى أن مات سنة ٢٨٣ هـ ببغداد

شعره — قال الشّعر فى كل غرض ، ولاسيَّما الوصف والهجاء ، ونَبَغ فى الشِّعر نُبوغاً لم يقصر به كثيراً عن درجة البُحترِى ، وربّما فاقه فى اختراع المعانى النّادرة أو توليدها من معانى مَن سبقه بشكل جديد ، ووَضعها فى أحسن قالب ، ومن جيِّد قوله :

واذَا امرُؤٌ مدحَ امرأً لنوَالِه وأطال فيهِ فقَد أطَال هِجَاءَهُ
لَو لَم يُقدِّر فيه بُعْدَ المُستقَى عند الوُرود لَمَا أطَال رِشاءَهُ

(٨) ـ ﴿ ابن المُعتزّ ﴾

هو أبو العبّاس عبدُ الله بن محمد المعتزّ بالله الخليفة العباسى أشعر بنى هاشم

وأبرع الناس فى الأوصاف والتشبيهات

وُلد سنة ٢٤٩ هـ فى بيت الخلافة وتربّى تربية الخلفاء وأخذ عن المبرّد وثعلب ومهر فى كلّ علم يعرفه أئمة عصره. وفلاسفة دهره، حتى هابه وزراء الدولة، وشيوخ كُتّابها، وعملوا على أن لا يُقلّدوه الخلافة. خشيةَ أن يكفّ أيديهم عن الاستبداد بالملك، ووَلو المقتدرَ صَبيًّا، ثم حدثتْ فِتَنٌ عظيمة، فتسرّع محمد بن داود بن الجرّاح وجمع العلماء وخلعوا المُقتدر، وبايعوا ابن المُعتزّ بالخلافة. فلمّا رأى غِلمانُ المقتدر أنّ الأمر سيخرج من أيديهم تآمرُوا على قتله وخُنِق من ليلته سنة ٢٩٦ هـ.

شعره - سهل العبارة مع رَشاقة وقِلّة تكلّف وتَصنُّع - يُعرفُ فيه نَضرةُ النّعيم

(٩) - ﴿ أبُو الطَّيِّب المُتَنبّئ ﴾

هو أبو الطّيبِ أحمدُ بنُ الحسين الجُعْفِى الكِنْدِىّ الكوفىّ المُتَنَبّى الشّاعر الحكيم، صاحب الأمثال السّائرة، وخاتم ثلاثة الشّعراء، وآخر مَنْ بلَغ شعرُه غايةَ الارتقاء

وُلد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ فى محلّةِ كِنْدةَ، ونَشأ بها، وأولعَ بتعلّم العربية من صِباه وخرجَ الى بادية بنى كلب فأقام بينهم مُدّة ينشدهم من شعره ويأخذ عنهم اللغة فعظُم شأنه بينهم، حتى وشَى بعضهم الى لُؤلؤ أمير حمص من قِبَل الاخشيديّة بأنّ أبا الطيّب ادّعى النّبوة فى بنى كلب، وتَبِعه منهم خَلْق كثير، ويُخشَى على مُلك الشّام منه. فخرج لؤلؤ إلى بنى كلب وحاربهم، وقبض على المُتنبى وسجنه طويلا ثم استتابه وأطلقه

فخرج من السجن وقد لَصِق به اسم المتنبى مع كراهته له. ثم تكسّب بالشعر مُدّة

انتهت بلحاقه بسيف الدولة بن حمدان ، فمدحه بما خلّد اسمه أبد الدهر

ثم قصد كافوراً الأخشيدى أمير مصر ومدحه ، ووعده كافور أنْ يُقلِّده إمارة أو ولاية — ولكنه لمّا رأى تغاليه فى شعره وفخره بنفسه عدل أن يوليه . وعاتبه بعضهم فى ذلك فقال : ياقومُ مَن ادّعى النبوة بعد محمد ﷺ أما يدّعى المملكة بعد كافور ، فَحسبُكم ـ فعاتبه أبو الطيّب واستأذن فى الخروج من مصر فأبى . فتغفّله ليلة عيد النحر سنة ٣٥٠ هـ ـ وخرج منها يُريد الكوفة ـ ومنها قَصَدَ عضُدَ الدّولة ابن بُويه بفارس ماراً ببغداد فمدحه ومدح وزيره ابن العميد فأجزل صِلته وعاد إلى بغداد . وخرج الى الكوفة فخرج عليه أعراب بنى ضبّة وفيهم فاتك بن أبى جهل وكان المتنبى قد هجاه هجاء مُقذعاً ، فقاتلهم قتالا شديداً حتى قُتل المتنبى وابنه وغلامه سنة ٣٥٤ هـ

شعره — لا خِلافَ عند أهل الأدب فى أنّه لم ينبغ بعد المتنبي فى الشعر مَن بلغ شَأوهُ أو دَاناه . والمعرىّ على بُعد غَوْره ، وفرط ذكائه ، وتوقّد خاطره ، وشِدّة تعمُّقه فى المعانى والتّصورات الفلسفية يعترف بأبى الطيب ويقدّمه على نفسه وغيره

ومن قوله

إذَا رَأيتَ نُيُوبَ اللّيثِ بارزةً ... فلا تَظُنَّنَّ أن اللّيْثَ يَبتَسِمُ

أعِيذُهَا نَظَرَاتٍ منك صَادِقَةً ... أنْ تحسَبَ الشَّحمَ فيمَن شَحْمُهُ وَرَمُ

أنَا الّذى نظر الأعمَى الى أدَبى ... وأسْمعتْ كلماتى مَن به صَمَمُ

ومَا انتِفاعُ أخِى الدّنيَا بنَاظِرِهِ ... إذَا استَوَتْ عندَهُ الأنوارُ والظُّلَمُ

يَامَنْ يَعزُّ علينا أن نُفارِقَهمْ ... وجْدَانُنَا كلَّ شَىءٍ بعدَكم عَدَمُ

انْ كانَ سَرَّكُم ما قال حاسِدُنَا ... فَما لجُرحٍ إذَا أرضَاكُم أَلَمُ

وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة ... إنّ المعارف فى أهل النُّهى ذمم
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ... ويكره الله ما تأتون والكرم
إذا ترحّلت عن قوم وقد قدروا ... ألاّ تفارقهم فالراحلون هم

وقوله: ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله ... وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم
لا يخدعنّك من عدوّ دمعه ... وارحم شبابك من عدوّ ترحم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفّة فلعلّة لا يظلم
ومن البلية عذل من لا يرعوى ... عن غيّه وخطاب من لا يفهم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ... ومن الصداقة ما يضرّ ويؤلم

وقوله: ما كنت أحسب قبل دفنك فى الثرى ... أن الكواكب فى التراب تمور
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى ... رضوى على أيدى الرجال يسير
خرجوا به والكلّ باكٍ حوله ... صعقات موسى يوم دكّ الطور
حتى أتوا جدثاً كأنّ ضريحه ... فى كلّ قلب موجد محفور
كفل الثناء له بردّ حياته ... لمّا انطوى فكأنّه منشور

(١٠) - ﴿ ابن هانئ الأندلسى ﴾

هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدىّ الأندلسىّ - شاعر الغرب ومتنبّيه - ولد بإشبيلية سنة ٣٢٦ هـ ولمّا نبه شأنه اتصل بعامل إشبيلية زمن المستنصر الأموى، ومدحه بغرر القصائد، فأحلّه منه منزلة سنية، وأغدق عليه العطايا فأكبّ على اللهو والطرب والاستهتار، واتّهم بالزندقة والكفر لاشتغاله بالفلسفة ولما شاع ذلك عنه نقمه عليه أهل إشبيلية، وأشركوا عاملها فى التهمة

وكادوا يهمّون به ـ فأشار عليه بالهجرة من إشبيلية : فاجتاز البحر الى عُدْوة المغرب ومدح ولاته من قِبل المُعزّ الفاطمى ، ثم نُمى خبرُه الى المُعِزّ فوجّه فى طلبه ، فوفد عليه بإفريقية ، ومدحه فاصطفاه واتّخذه شاعرَ دولته

ولمّا فتح جوهر مصر : وبنى القاهرة ، ورحل اليها المُعِزّ ليتخذها دار مُلكه شيّعه ابنُ هانئ . ورَجع لأخذ عياله والالتحاق به ، فتجهّز وتبعه ، ولمّا وصل الى بَرْقة مات بها سنة ٣٦٢ هـ — وعمره ٣٦ سنة

شعره — لم ينبُغ فى شُعراء جزيرة الأندلس ولا برّ المغرب جميعه مَن يفوق « ابنَ هانئ » فى صناعة الشعر أو يُساويه ـ فقد كان عندهم فى الشهرة والإجادة وشرف الشعر بمنزلة المتنبى عند المشارقة ـ ومن قوله فى وصف الخيل

وصَواهلٍ لا الهَضْبُ يومَ مُغارِها هَضْبٌ ولا البِيدُ الحزونُ حزُونُ
عُرِفَت بِساعة سَبْقِها لا أنّها عَلِقَتْ بها يومَ الرِّهان عُيونُ
وأجَلُّ عِلْم البَرْقِ فيها أنّها مَرّت بِجانِحتَيْهِ وهِيَ ظُنُونُ

ومن قوله المُوهِم الْكُفر فى مطلع قصيدة يَمدحُ بها المُعِزّ :

ما شِئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكُم فأنت الواحِدُ القهّارُ

(١١) ـ ﴿ أبُو العَلاء المعرِّى ﴾

هو أبُو العلاءِ أحمدُ بن عبد الله بن سُليمان المَعرِّى التَّنُوخِى ـ الشّاعر الفيلسُوف وُلِدَ بمَعرّة النّعمان سنة ٣٦٣ هـ ـ وجُدِرَ فى الثالثة من عُمره فكُفّ بَصرُه وتعلّم على أبيه وغيرِه من أئمّة زمانه ، وكان يحفظُ كلّ ما يَسمعه من مرّة واحدة ـ وقال الشعر وعمره إحدى عشرة سنة ، ودخل بَغداد ، وأقبلَ عليه السيّد المُرتضى المُتوفّى سنة ٤٣٦ هـ إقبالا عظيما ثم جفَاه ـ ولمّا رجع إلى المَعرّة أقام ولم يَبرح

منزله ونَسَك : وسمَّى نفسه رَهنَ المحْبسَيْنِ : « محبس العَمَى ومَحبس المنزل » وبقى فيه مُكبًّا على التدريس والتأليف ، ونَظم الشعر مُقتنعاً بعشرات من الدّنانير فى العام يَستغلّها من عقَار له ، مُجْتنباً أكلَ الحيوان وما يخرج منه مُدّة ٤٥ سنة مُكتفيا بالنّبات والفاكهة والدِّبس : مُتعلّلاً بأنّه فقير ، وأنه يرحم الحيوان . وعَاش عزَباً ـ وعمّر إلى أن مات سنة ٤٤٩ هـ بالمعرّة ، وأوصَى أن يُكتب على قبره :

هذا جَنَاهُ أبى عَلَيَّ وما جَنَيْتُ على أحدْ

شعره — وله كثيرٌ من الشّعر يُناقضُ بعضه بعضاً فى حقيقة العالَم والشّرائع والمعبُود . وللنّاس فى اعتقاده أقوالٌ كثيرة ـ والظّاهر أنه كان شاكّاً متحيِّراً ، وهو أحكم الشّعراء بعد المُتنبّى : ويُفضّل عليه فى الغَريب والأخيلة الدّقيقة والطبيعيّات والاجتماعيّات والأخلاق ، والقوانين ونِظَام الحكومات ، والفلسفة والشّرائع والأديان ، ولذلك يُفضّلُه الافرنج عليه ، وهو فى هذه الأمور معدُوم النّظير — ومن مَراثيه الجيّدة قوله :

غَيْرُ مُجْدٍ فى مِلّتِى واعتِقَادِى نَوْحُ بَاكٍ ولا تَرَنُّم شَادِ
وشَبيهُ صَوْتِ النَّعِىّ إذَا قيـ ـسَ بِصَوت البَشير فى كلّ نَادِ
أبَكَتْ تِلْكُمُ الحمامة أم غنّـ ـتْ على فَرْع غُصنِها المِيَّادِ
صَاحِ هٰذى قبورُنا تَملأ الرَّحْـ ـبَ فأين القُبُور من عَهْد عَادِ
خَفِّفِ الوَطْءَ ما أظُنّ أديمَ الـ ـأرضِ إلاَّ مِن هٰذِه الأجسَادِ
وقبيحٌ بنا وإنْ قدُم العهْـ ـدُ هَوَانُ الآباءِ والأجدَادِ
سِرْ إن اسْطَعْتَ فى الهواء رُوَيْداً لا اختِيالاً على رُفَاتِ العِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قد صار لَحداً مِراراً ضَاحكٍ من تَزَاحُم الأضدَادِ

ودَفينٍ على بَقايَا دَفينٍ ... فى طَويلِ الأزمان والآبادِ
فاسأل الفَرقدَيْن عَمّن أحَسّا ... من قُبيل وآنَسَا من بلادِ
كَمْ أقامَا على زَوال نَهار ... وأنارَا لمُدلِجٍ فى سَوادِ
تَعبٌ كلّها الحياةُ فما أعْـ ... ـجَبُ الاّ من راغبٍ فى ازديادِ
إنّ حُزناً فى ساعة الموت أضعا ... فُ سرورٍ فى ساعة الميلادِ
خلق النّاسُ للبقاءِ فضلّتْ ... أُمّةٌ يَحسَبُونهم للنَّفَادِ
إنّما يُنقلون من دَار أعما ... لٍ الى دَار شِقْوَةٍ أو رشَادِ
ضَجعةُ الموت رَقْدَةٌ يَستريحُ ال ... جِسْمُ فيها والعيشُ مِثل السُّهَادِ

ومنها : بانَ أمرُ الإلَهِ واختَلف النا ... سُ فدَاعٍ الى ضَلَالٍ وهَادِ
وَالّذى حَارت البريّةُ فيه ... حَيوان مُستَحدَثٌ مِن جَمَادِ
فاللّبيبُ اللّبيبُ مَن ليس يغترّ ... رُ بكَوْنٍ مَصيره للفسَادِ

وقوله : ضَحكْنا وكَانَ الضّحكُ مِنّا سَفاهةً ... وحُقّ لُسُكان البَسيطة أن يَبكوا
تُحطِّمُنا الأيام حتى كأنّنا ... زُجَاجٌ ولكنْ لا يُعادُ لَناسَبْكُ

(١٢) - ﴿ ابن خفَاجة الأندلسى ﴾

هو أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن خفَاجة (شاعر شَرقىّ الأندلس) وأشهرُ وُصّاف الطّبيعة : وُلد بجزيرة شَقْر من أعمال بلَنْسية شرقى الأندلس سنة ٤٥٠ هـ فتعلّم ونَظم الشّعر ، وكتب الرّسائل الإخوانية البليغة ، وما زالَت شمسُ أدبه فى صعود حتى صَار واحدَ زمانه فى الأندلس - وغلبَ على شعرِه وصفُ الحوادث الجوّية ومَناظر الطّبيعة بأخيلة جَميلة ، وتَشبيهاتٍ بَديعة . ولَه غَزلٌ رقيقٌ ، ومَدحٌ بارع ورثاء بليغ .

شعره — يمتاز بالجزالة وكثرة المعانى وازدحامها فى اللفظ ، حتى يحتاج فى فهمها الى التأمل على خلاف مذهب الأندلسيين : وتوفى سنة ٥٣٣ هـ ومن قوله يصف زهرة

ومائسةٍ تزهى وقد خلع الحيا ... عليها حلى حمراً وأردية خضراً
يذوب لها ريق الغمائم فضةً ... ويجمد فى أعطافها ذهباً نضراً

وقوله : يأهل أندلسٍ لله درّكمُ ... ماءٌ وظلٌّ وأنهارٌ وأشجارُ
ما جنّة الخلد إلاّ فى دياركمُ ... ولو تخيّرتُ هذى كنتُ أختارُ
لا تختشوا بعد ذا أن تدخلوا سقراً ... فليس تدخلُ بعد الجنة النارُ

وقال فى ذم علماء السوء من المسلمين والنصارى

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم ... فيها صدورَ مراتب ومجالسِ
وتزهّدوا حتى أصابوا فرصةً ... فى أخذ مالِ مساجدٍ وكنائسِ

(١٣) - ﴿ الطُّغْرَائِى (١) ﴾

هو مُؤيّد الدّين الأستاذ العَميد فخر الكتّاب أبو اسماعيل الحُسين بن محمد الطُّغْرَائى - صاحب « لاميّة العجَم » وهو اصبهانىّ الأصل ، برَع فى الكتابة والشّعر حتى كان أوحدَ زمانه ، ولم ينبغ بعده فى الشّرق مَن يُضاهيه ، وترقّت به الحالُ فى خدمة سَلاطين آل سَلجوق الى أن صار وزيراً للسّلطان مَسعود بن محمد السّلجوقى صاحب المُوصل . ولمّا قهره أخُوه السّلطان محمود كان أوّل مَن اعتقل الوزير أبو اسماعيل الطّغْرائى ، فدَسّ بعضُ حسدته من رُؤساء الكتّاب الى السّلطان محمود أنّه مُلحِد - فقتله ظُلماً سنة ٥١٣ هـ

(١) الطغرائى من يكتب الطغراء (وهى الطرة) وكانت تكتب فى الدولة السلجوقية فوق البسملة بخط معلق فيها نعوت السلطان وألقابه

ومن شعره لاَمِيَّة العَجَم المُعتبرة من عُيون الشّعر ـ وقد كان قالها ببغداد سنة ٥٠٥ هـ

(١٤) ـ ﴿ ألبَهَاء زُهَيْر ﴾

هُو الوزير الشّاعر الكاتبُ أبُو الفضل بَهاء الدِّين زُهَير بن مُحمد بن عـلى المُهلَّبِى الأزدِى المصرى ـ صاحب السّهل المُمتنع ، والغزَل الرّقيق ، والعِتاب الرّفيق

وُلد بوادى نَخْلة قُرب مكة سنة ٥٨١ هـ ـ ونَشأ بمصر ببلدة قُوص

ثُمّ اتّصل بخدمة المَلِك الصّالح نجم الدِّين أيّوب ، وخرَج معه فى خِدمته إلى بلاد الشّام والجزيرة — فلمّا نُكب الملكُ الصّالحُ بخيانة عَسكره وانْضِوَائهم إلى ابن عمّه الملك النّاصر ، صاحب الكَرَك وقَبضَ على الصّالح واعتقله ، حَفِظَ البَهَاء عَهدَ صاحبه ، ولم يخدم غـيره ، وأقام بنَابُلُس حتى استردّ الصّالح مُلْكَ الدّيار المصريّة فقدِمَ إليها فى خِدمتِه ، واتّخذه وزيراً ـ حتى مات بوَبَاء فى شوّال سنة ٦٥٦ هـ

شعره ـ كانت سُهُولة طِباع زُهَير تَفُوق سُهولة شعرهِ الذى هو أسهل نظماً ولفظاً

﴿ الرِّوايَة والرُّواة ﴾

جَاءت الدّولةُ العبّاسيَّة وقد اتّسع نِطاق الرِّواية ، واختَصَّ كلُّ فريقٍ من النّاس برواية شَىءٍ ـ فلمّا دُوِّنَت الكُتبُ فى عصر الدّولة العبّاسية أفرغ الرُّواةُ ماحفِظوه فيها ، وأخذَ أمرُ الرِّواية يَضمَحِلّ شَيئاً فشَيئاً فى أكثر العُلوم ، ولا سيَّما الأدب ثم اقتُصِرَ فى الرِّواية على تصحيح النطق والأَدَاءِ ـ ولـكل علم رُواةٌ مَشهورون

وأمَّا رُواةُ الأدب والشّعر خاصَّة فأشهرُهم «حمَّادٌ» الرَّاويةُ الـكوفىُّ «وخلَفٌ الأحمرُ البَصْرِىُّ» وأبو عمرو الشَّيْبانى الـكوفىُّ ، والسّكرىُّ البغدادىُّ .

ومن رُوَاة الأدب بجَميع فنونه لُغة وشعراً وأخبَاراً — أبو عمرو بن العَلاء وأبو عُبيدة مَعْمَر بن المُثنَّى ، والأصمعى ، وأبو زَيْد الأنصارى ، وأبو عُبَيْد القاسم

ابن سَلاّم ، ومحمد بن سَلاّم الجُمَحِي ، وغيرهم ـ وهاكَ ترجمةَ أشهرهم فى الرّواية

﴿ الأَصْمَعِيُّ ﴾

هُو شَيخ رُواة الأدب ، الامام الثَّبْتُ الحُجة الثِّقة التّقيُّ ، أبو سعيد عبدُ الملك ابن قُرَيْب بن عبد الملك بن على بن أصمعَ الباهلِى البصرى

وُلدَ سنة ١٢٣ هـ ـ ونَشأ بالبصرة فأخذ العربيةَ والحديث والقراءة عن أئمّة البصرة ، وأخذَ عن فُصحاء الأعراب ، وأكثرَ الخروجَ الى البَادية ، وشَافَهَ الأعرابَ وَساكنَهم ، وتَعلّم من « خلَفٍ الأحمرِ » نَقْدَ الشّعر ومعَانيه ـ وكان أحفظَ أهل زمانه حتى قالَ مرّةً ، إنى أحفظ اثنىْ عشر ألف أرجوزةٍ : فقال له رجلٌ : منها البيتُ والبيتَان . فقال : ومنها المائة والمائتان . وعمّر حتىّ أدركَ زمنَ « المأمُون » وأراد أن يُقدِمه إليه فاعتذر بِكبرَ السنِّ . ومات سنة ٢١٦ هـ ـ وله مُؤلّفات كثيرة

﴿ العصر الرابع عشر عصر الدُّول المُتَتَابعة التّركية ـ ٦٥٦ ـ ١٢٢٠ هـ ﴾

(حالة اللّغة العربيَّة وآدابها فى ذلك العصر)

لمَّا اكتَسَح التَّتارُ ممالكَ الدّولة العبَّاسيَّة افترقُوا إلى مَمالكَ مُتعدِّدة بآسيا وشَرقىّ أوربا ، ولم يلبثوا أكثر من نصف قرن حتى أسلموا ، وشرعوا يخدمُون الاسلام : بتقريب العلماء إليهم ، وترغيبهم فى التّأليف ، فأفاد ذلك فى إدَامة الحركة العلميّة فى الجُملة ، وإنْ لم يُفد اللغةَ العربيـة فائدةً تُذكر لمكان العُجْمةِ منهم ، أمّا علومُ العربية وآدابُها فلم يكن لها مَبَاءةٌ ترجع إليها إلاّ البلادَ العربية كالشّام ومصْر ، غيرَ أنّه أصبحت اللّغة التّركيةُ العثمانيةُ هى اللّغة الرّسمية للأعمال الدّيوانية والسّياسة فى جميع الممالك العثمانية ، فزاحمت اللغةَ العربية ودخل فى اللغة أثناء دَولَتَى المَماليك والعُثمانيين كثيرٌ من الألفاظ التّركية والفارسيَّة .

﴿ النّثر لغة التّخاطب ﴾

كادت تَحلُّ مَحلّ اللّغة العاميّة العربيّة (فى أعالى الجزيرة وشَرقىّ العراق) اللغة الفارسية والتركية والكُردية مَمْزُوجة بشىء من الألفاظ العربية

أمّا فى بقيّة الجزيرة والعراق ومصر والشّام فقد بقيت العاميّة العربيةُ لسانَ الجميع لِغَلبة العناصر العربية فيها : ثم أخذت العِنَايَة بهَا فى الانحطاط

﴿ الخَطابة ﴾

لم تتغيّر الخَطابة عمّا كانت عليه أواخر الدّولة العباسية ، من حيثُ قُصُورُها على خُطَب الجُمع والأعياد ، وتلاوة بعض المرسُومات والمنشُورات ، وَبقِيتْ لغةُ الخطَابة العربيةَ وحدهَا : أو مع التّرجمة إلى الأعجميَّة

﴿ الكِتابة — الكِتَابَة الخطّية ﴾

دَرَج الخطّ فى هـذا العصر فى الطَّريق التى مهّدها ابن مُقْلة ، وابن البوّاب وياقُوت المَلَكىّ ، وياقوت المُستَعصِمى ، واستُعمِلَت فيـه أكثر أنواعه ، وما زال الخطّ يَجرى فى مضماره ، حتى قَبَضَ على عِنانه مُكتّبو التّرك العثمانيين : فأبدعوا فى تحسينه بما جعل جميع العالم يَعترِف لهم بالسَّبق — ومن أشهرهم الشّيخ حمد الله الأماسى إمام الخطّاطين العثمانيين ، وجلال الدين ، ودرويش على ، والحافظ عثمان المُتوفّى سنة ١١٢٠ هـ

﴿ الكتابة الإنْشائية — كتابَة الرسائل ﴾

أُتّبعت فى كتابة الرسائل أثناء هذا العصر طريقة القاضى الفاضل التى أساسُها المعانى الخياليّة ، والتزام السّجع ، والمُحسنّات البديعية ، وعَضَّد هذه الطريقة من كُتّاب هذا العصر — شهابُ الدين محمودٌ الحلبى المُتوفّى سنة ٧٥٥ هـ — ومُحيى

الدين بن عبد الظاهر ، وابن فضل الله العُمرى وأولاده ، وبقيت هذه الطّريقة مَرعيَّة فى مصر والشام ـ حتى نهايةِ دولةِ المماليك ، وصَدْر حكومةِ العُثمانيين ـ ولمَّا غلبت اللّغة التركيةُ العثمانيةُ على كتابة الدّواوين وأصبحت رسميّة فى الحواضِر والأمصار أخذ شأنُ الكِتابة العربية فى الاضمِحلال

﴿ الكُتَّاب ﴾

(١) ﴿ ألقاضى مُحيي الدِّين بن عبد الظَّاهر ﴾

هو الكاتبُ الشّاعر عبد الله بن عبد الظّاهر الجُذَامى المصرى ـ وُلد سنة ٦٢٠ هـ ـ وَربَّاه والده ، وبرع فى كتابة الرسائل ، سَالكاً طريقة القاضى الفاضل وخدم فى ديوان الانشاء مُدة الملك الظّاهر بِيبرس وَولديه ، وبعض أيام المنصُور قَلاَوُون . ويُعتبرُ مُحيي الدِّين وابنه محمد فتح الدّين مِن وَاضِعِى اصطلاح الإنشاء ونظام ديوانه الذى ظَلَّ مَرعيًّا فى مِصر والشّام حتى نَسخَه النِّظام التركى العثمانى وتوفى سنة ٦٩٢ هـ ـ وله من رسالة كتبها على لسان الملك المنصور قلاوون يردُّ على صاحب اليمن فى تعزيته على موت ابنه ، ويُظهر التّجلُّد على فقده :

ولَنَا (والشّكر لِلّه) صَبرٌ جميلٌ ، لاَ نأسفُ معهُ على فَائت ، ولا نأسَى على مَفقود ، واذْ علم الله (سبحانه وتعالى) حُسن الاستنَابة إلى قَضَائه ، والاستكانة إلى عطَائه ، عَوَّض كلَّ يوم ما يَقولُ المُبشرُ به : هذا مولى مولود ، وليست الإبل بأغلظَ أكباداً مِمّن له قلبٌ لا يُبالى بالصّدَمات كثُرَتْ أو قَلَّتْ ، ولا بالتّباريح حقُرَتْ أو جلّتْ ، ولا بالأزمَات إن هَى توالتْ أو تولّتْ ، ولا بالجفُون إن ألْقتْ ما فيها من الدّموع والهجُوع وتخلّتْ ، ويَخافُ من الدهر مَن لا حلَبَ أشطُره ويَأسفُ على الفائت مَن لا يَأتِ بنبإِ الخُطوب الخطرة ، على أنّ الفادحَ بموت الملك

الصالح (رضى الله عنه) وإنْ كان مُنكياً، والنّافحَ بشَجْوه وان كان مُبكياً. والنّائحَ بذلك الأسف وانْ كان لِنار الأسفِ مُذكياً. فإنّ وراء ذلك مِنْ تثبيت الله عز وجل ما يَنْسِفُه نسفاً، ومِنْ إلهامه الصّبرَ ما يُجدّدُ لتمزيق القلوب أحقّ مابه تُرْفى، وبكتاب الله (تعالى) وسنة رسوله (ﷺ) عندنا حسن اقتداء يضرب عن كل رثاء صفحاً »

(٢) ﴿ شهاب الدِّين بن فَضل الله العُمَرِى ﴾

هو الشّاعر الكاتب المُصنِّف القاضى أبو العبّاس شهاب الدّين أحمد بن مُحيي الدِّين يحيى بن فضل الله العُمَرى، سَليل عُمر بن الخطاب، وصاحب كتاب « مسالك الأبصار » وُلد بمدينة دمشق سنة ٧٠٠ هـ ـ وتفقّه وتأدّبَ على أبيه وغيره وتوفى سنة ٧٤٩ هـ

ومن إنشائه فى وصف (قِطِّ زَباد) من رسالة طويلة (وقِطّ الزَّباد الذى لاتَحكِيه الأسودُ فى صُوَرها: ولا تَسمح غزلانُ المِسْك بما يُخزنُه من عَرفه الطّيب فى سُررها كم تنقّل فى بيوت طَابت مَوطِناً، ومشى من دَار أصحابه فقالوا « رَبّنا عَجِّل لناقِطّنَا »

(٣) ﴿ لِسَان الدِّين بن الخَطيب ﴾

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطى الأندلسى المعروف بلسان الدِّين بن الخطيب وزير بنى الأحمر: ملوك غرناطة. وكان وزيرا لأبى الحجاج يوسف وُلِدَ سنة ٧١٣ هـ ـ بمدينة غِرناطَة: وتأدّب وتفقّه واجتمَع له من الحِكمة والأدَب مَلَكة يلذّ بها أدباء الأندلس كِتابةً وشعراً وتَصنيفاً وسِياسة ـ ومات مَقْتولا سنة ٦٩٠ هـ

ومن قِصار رسائله رسالة فى الشّوق ـ كتبها إلى ابن خَلْدُون، وهى بعد الدِّيباجة

أمّا الشّوقُ فحدِّثْ عن البحر ولاَ حرج ، وأمّا الصّبرُ فسَلْ به أيّةً دَرَج ، بعد أن تَجاوز اللِّوى والمُنعرَج ، لكنّ الشدّةَ تَعشَق الفَرَج ، والمؤمنَ ينشقُ من رَوح الله الأَرَج ، وأنّى بالصّبرِ على إبَر الدّبْر ؟ ومُطاولة اليوم والشّهر ، حتى حكم القهر وهل للعين أنْ تَسلُوَ سلو المُقْصِر ؟ عن إنسانها المُبْصر ، أو تذهَل ذُهولَ الزاهد عن سِرّها الرّائى والمشاهد . وفى الجسد مُضغةٌ يَصلُحُ إذَا صلُحت فكيف حاله إنْ رَحلت عنه ونَزحَت ؟ وإذَا كان الفِراقُ هو الحِمامَ الاوّل . فعلامَ المعوّل ؟ أعيتْ مُراوضةُ الفِراق على الرّاق ، وكادتْ لَوعةُ الاشتياق ، أن تُفضىَ إلى السّياق

تَركتمُونِى بَعدَ تَشييعكم أُوسِعُ أمرَ الصّبرِ عِصياناً
أقرَعُ سنِّى نَدماً تارةً وأستميحُ الدمعَ أحياناً

﴿ التّدوين ﴾

ألّف علماء هذا العصر تآليف جمّة ، أخلفَت على العربيّة بعضَ مَا أباده التّتار والصّليبيّون : من الكتب النفيسة . ويرجع أكثر الفضل فى ذلك الى علماء مصر والشام وجالية الأندلس . أمّا أعاجمُ المشرِق وانْ ألّفوا فى العلوم الاسلامية والفلسفية فانّ تأثير بِيئتِهم الأعجمية جعل كتبهم صعبة التّناول ، ضعيفة الأثر

﴿ الأدب ﴾

قد كان لأدباء القاهرة من الكُتّاب السّبقُ فى وضع الكتب الجامعة ، التى تبحث فى عدة علوم أدبية أو ملحقةٍ بها : ومن هؤلاء :

شهاب الدّين النّوَيْرى صاحب نِهاية الأرب ، وابنُ فضل الله العُمرى صاحب مَسالك الأبصار ، وشهاب الدّين القَلْقشَنْدِى صاحب صُبح الأعشَى ـ وممّن ألّف فى الأدب بمناحٍ مُختلفة : جمال الدين الوطواط صاحب الغُرر والعُرر ، وشهاب

الدِّين الحلَبى صاحب مَنازل الأحباب ، وحُسن التَّوسُّل إلى صِناعة الترسُّل ، وشهاب الدِّين أحمد الأَبشِيهى صاحب المُستطرف ، والنّواجى صاحب حَلبَة الكُميت

﴿ بقية العلوم الاسلامية ﴾

لَمّا أَبادَ التَّتارُ بقيةَ العُلماء والنُّحاة فى الشّرق ، كادَ أُفقُ المَشْرق والشّام ومِصر يَصفَر من النُّحاة وأهل اللُّغة ، لولاَ أَنْ تَداركها الله بدخول التَّتار فى الإِسلام ومُعاضدتهم هم والدّول التى خلَفتْهم لِلعلم والعُلَماء ، وبجَلاءِ بعض كبار النّحاة واللّغويين من الأَندلس والغرب قُبيلَ حادث التَّتار وبعدَه ، كابن مالك والشاطبى ، وأبى حيَّان وابن مَنظور الأَفريقى ، فجدَّدوا النّحو واللّغة بمصر والشَّام وتخرّج عليهم تلاميذٌ أفاضل كانوا كواكبَ العصُور المُتأخرة ، فدوَّنُوا العلم وحفِظوه لِمَنْ أَتَى بعدَهم مِمّن نَشئوا فى العُصور المُظلِمة

﴿ كِتابة التَّدوين والتَّصنيف ﴾

أَمّا كِتابةُ التَّدوين فكانت فى المتُون ونحوها مُوجزةً جِدًا . وكانت فى الشُّروح والمُطوّلات مَبسُوطَةً : ومن أشهر المؤَلّفين فى هذا العصر ، ابن خَلِّكان : وابن خَلدُون ، والسُّيوطى : وابن مُكرّم : والفَيرُوزَابَادِى : وعزّ الدّين بن عبد السَّلام : المُتوفَّى سنة ٦٦٠ هـ ـ وابن حَجَر العَسْقَلانِى المُتوفّى سنة ٨٥٢ هـ ـ وابن هِشَام النّحوى المتوفّى سنة ٧٦١ هـ ـ ولِسانِ الدِّين بن الخطِيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ وسَعد الدِّين التَّفتَازَانِى المُتوفّى سنة ٧٩١ هـ والسيد الجُرجَانِى المتوفّى سنة ٨١٦ هـ والشِّهاب الخفَاجى

﴿ ١ ـ ابنُ خَلِّكان ﴾

هو قاضى القُضاة شَمس الدِّين أبو العبّاس أحمد بن ابراهيم بن أبى بكر خَلِّكان الإربلى ـ وُلد سنة ٦٠٠ هـ بمدينة إرْبِل ـ وأقامَ بها إلى سنة ٦٢١ فرحلَ إلى حَلَب ومكث بها سنين ـ ثم إلى دِمشْق وأقام بها مُدَّة ، ثم أقام بمصرَ وتولّى القضاء بها وفيها ألّف أكثر تاريخه (وَفَيَات الأعْيَان وأنباء أبنَاءِ الزّمان) ثم تَقلّبت به الأحوال بين مصر والشّام ـ إلى أن مات بدمشق سنة ٦٨١ هـ

ثم تمّم عليه محمد بن شاكر الكتبى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ كتابه (فَوات الوَفَيَات)

﴿ ٢ — ابنُ خَلْدُون ﴾

هُو عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خَلْدُون ـ وُلد بتُونس سنة ٧٣٢ هـ ـ وتَلقّى العلم والأدب من أبيه ومن كبار العلماء ، وقرأ العلوم العقلية والفلسفية على بعض حُكماء المغرب ، واحترف بصناعة الكتابة وهو شاب لم يَطُرَّ شاربُهُ ، ثم وصل بعد ذلك إلى ملوك بنى الأحمر ، فحظى عندهم

وألّف تاريخه فى خِلَال أربعة أعوام ، ومقدّمتَه التى لم ينسج أحد على منوالها ثم عزم على الحج ، فدخل مصر سنة ٧٨٤ هـ ، زمن سلطانها برقوق . ثم استقدم أهله وولده من المغرب ، فغرقت بهم السفينة ، فأقام بمصر حزيناً ، وجلس للتدريس بالجامع الأزهر ، وتولى قضاء المالكية سنة ٧٨٦ هـ إلى أن مات سنة ٨٠٨ هـ

﴿ ٣ — جَلَال الدِّين السُّيُوطى ﴾

هو عبد الرّحمن جَلَال الدِّين ابن الأمام كمال الدين الخُضَيْرى السُّيوطى ولد سنة ٨٤٩ هـ — ونشأ يتيماً وحفظ القرآن وعمره دون الثّمان . وأخذ العلم عن مَشايخ وقته ، وابتدأ فى التصنيف وسنه ١٧ سنة ـ ثم لازم الأشياخَ وطلبَ العلم

فى بقاع الأرض ، ونبغ فى كثير من العلوم ، وتولّى التدريس والافتاء ، ولم يكن أشهر منه فى زمنه ، وقد ترك للناس أكثر من ثلثمائة مُصنَّف وتُوفِّى سنة ٩١١ هـ بالقاهرة

﴿ الشِّعر ﴾

لمَّا كان أكثرُ المُلوك والأُمراءِ فى هذا العصر أعاجمَ بالفِطرة ، كان ميلُهم إلى الشِّعر العربى غيرَ طبيعىّ ، ولذلك انقرضَ الشِّعرُ العربىّ من أواسط آسيا ، وبقِيتْ صُبابةٌ منه بالعراق والجزيرَة - وبَقِىَ على كل شىء من الرَّونق فى الشّام ومصر والأندلس والمغرب ، غير أنّه قلّ التكسُّبُ به فيها ، فمالَ أكثرُ الشّعراء الى انتحال الكتابة فى الدَّواوين صِناعة ، واستعملوا الشّعر فى تملّق المُلوك والرُّؤساء وفى اظهار التفصّح والتّسلية ، فهُجِرَ قوله فى الأغراض الهامّة . وعُدِلَ به الى أغراضٍ أُخرى

﴿ الشُّعراء ﴾

ظهرَ فى هذا العصر شُعراء كثيرون ، من أشهرهم ، شَرف الدِّين الأَنْصارى المُتوفَّى سنة ٦٦٢ هـ - وجمال الدِّين بن نُباتة المصرى المتوفى سنة ٧٦٨ هـ - وشهاب الدين التِّلَعْفَرِى المتوفى سنة ٦٧٥ هـ - والشّاب الظَّريف المُتوفّى سنة ٦٩٥ هـ والامام البُوصِيرى المتوفى سنة ٦٩٥ - وابن الوردى المُتوفَّى سنة ٧٤٩ هـ وأبو بكر بن حِجَّة المتوفّى سنة ٨٣٧ هـ - وصفِىّ الدّين الحِلّى المُتوفّى سنة ٧٥٠ هـ وفَخر الدِّين بن مَكانِس المُتوفّى سنة ٨٦٤ هـ - وابن مَعتوق المُوسَوى المُتوفّى سنة ١١١١ هـ

(١) ﴿ البُوصِيرى ﴾

هو شَرفُ الدِّين مُحمد بن سَعيد بن حَمّاد الصِّنْهاجِى البُوصِيرى ، صاحب

البُردة والهمزيّة ، وُلد بدَلاص : ونشأ ببُوصير ـ ثم انتقل الى القاهرة ، وتعلّم علوم العربيّة والأدب ، فقال الشعر البليغ فى جدّه وهزله ، ومن شعره الجيّد قوله فى بُردته

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانٍ بذِى سَلَمِ ... مزَجْتَ دَمْعاً جرَى من مُقْلةٍ بدَمِ
أم هبّتِ الريحُ من تِلقاءِ كاظمةٍ ... وَأومَضَ البرقُ فى الظّلماء من إضَمِ
فَما لِعينَيْكَ إنْ قُلتَ اكْفُفَا هَمَتَا ... ومَا لِقلبك إنْ قُلتَ استفِق يَهِمِ
أيَحسَبُ الصَّبُّ أنّ الحُبَّ مُنكَتِم ... ما بينَ مُنسجِمٍ منه ومُضطرِمِ
ومنها ـ والنّفس كالطّفل أن تُهمِلْهُ شَبَّ على ... حُبّ الرّضاع وإنْ تفطِمْهُ يَنفطِمِ
فاصْرِفْ هَوَاها وحاذِرْ أن تُوَلّيهُ ... إنّ الهوَى ما تولّى يُصْمِ أو يصِمِ
ورَاعِهَا وهْىَ فى الأعمَالِ سَائمةٌ ... وانْ هِىَ استحلَتِ الْمرعَى فلا تُسِمِ
كَمْ حَسَّنتْ لذةً للمرءِ قَاتِلةً ... من حيث لم يدر أنّ السُّم فى الدَّسَمِ
واخشَ الدّسائس من جُوعٍ ومن شِبَعٍ ... فرُبّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ من التُّخَمِ
واستَفرِغ الدّمع من عَيْنٍ قد امتلأتْ ... من المحارمِ والزم حِميةَ النَّدَمِ

ومن قصيدته الهمزية فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم التى أوّلها

كَيفَ تَرقَى رُقيَّك الأنبياءُ ... يا سَمَاءً مَا طَاوَلتْها سَمَاءُ
لم يُساوُوك فى عُلاكَ وقد حَا ... ل سَنًا منك دُونَهم وسَنَاءُ

وتُوفى البُوصيرى سنة ٦٩٥ هـ بالاسكندرية ، وقبره بها مشهورٌ يُزار

(٢) ﴿ صَفِىّ الدِّين الحِلِّى ﴾

هو عبدُ العزيز بن عَلى ، الشّهير بابن سَرَايا الطّائى الحِلِّى شاعرُ الجزيرة وُلد سنة ٦٧٧ هـ ونشأ بمدينة الحِلّة من مُدن الفُرات ، فتأدّبَ ونَظم الشّعر وتوفّى سنة ٧٥٠ هـ شعره ـ ويُعتبَرُ صَفى الدّين من أئمة البديع المُبتدِعين فى أنواعه ، المُغالين

فى استعماله فى شعرهم بلا كثير تكلُّف ، وهو أوَّلُ من نظَمَ القصائدَ النَّبويّةَ الجامعةَ لأنواع البديع المسمَّاة بالبديعيّات ، على مِثال بُرْدة البُوصيرى ـ ومن قوله فى الأدب

إسمَعْ مُخاطبةَ الجليس ولا تَكنْ عجِلاً بنُطقِك قبلَما تتفهَّمُ
لم تُعْطَ مع أُذْنَيك نُطْقاً واحداً الاَّ لِتسمعَ ضِعفَ ما تتكلّمُ

بقدرِ لُغاتِ المرءِ يكثُرُ نفعُه فتِلك له عندَ الشدائد أعْوَانُ
تهافَتْ على حِفظ اللّغات مُجاهداً فكلّ لِسانٍ فى الحقيقة إنسَانُ

(٣) ﴿ ابن نُباتة المصرى ﴾

هو جمالُ الدِّين مُحمدبن مُحمدالمعروف بابن نُباتة ، أشعر شُعَراء المصريين زمن المَماليك ـ ولد سنة ٦٨٦ ونَشأ بالقاهرة ومات سنة ٧٦٨ هـ ـ ومن شِعره قولُه

يا مُشتكِي الهمَّ دعْه وانتظِرْ فَرجاً ودَارِ وقتك من حِين إلى حِينِ
ولا تعانِدْ إذَا أصبحت فى كدَرٍ فانّما أنت من ماءٍ ومن طِينِ

(٤) ﴿ ابن مَعْتوق المُوسَوِىّ ﴾

هو شهاب الدين بن معتوق الموسوى ، شاعر العراق فى عصره ، وسابقُ حَلبته فى رقّة شعره — ولد سنة ١٠٢٥ هـ ـ ونشأ بالبصرة

وابن معتوق من كبار شعراء الشيِّعة ، فمدح عليًّا والشهيدين بما يخرج عن حدّ الشرع والعقل . ومات سنة ١١١١ هـ

ويمتاز شعره بالرِّقة وكثرة المَجازات ، حتى لتكادُ الحقيقةُ تُهمل فيه جُملةً

﴿ العصر الخامس عصر النهضة الأخيرة من سنة ١٢٢٠ إلى الوقت الحاضر ﴾

﴿ محمد على ﴾

قَدِم « محمد على » الى مصر ضابطاً فى الحَملة التى وَجّهتها تُركيا لاخراج الفرنسيين

من مصر، وكان راجح العقل، استطاع أنْ يجمعَ حوله أعيانَ المصريّين وكبارَ علمائهم بلطف معاملتهم وحسن معاشرتهم، فأحبّوه وآثروه، وأعانوه عند الحكومة التركية حتى قلّدته ولايةَ مصر وهى لذلك كارهة".

وكان أول همّ لمحمد على فى ولاية الحكم أن يتخلص من المماليك فأوقع بجمهرتهم فى القلعة سنة ١٢٢٦ هـ (١٨١١م).

بعدَ ذلك وجّه همّتَه الى أنْ ينشئ جيشاً له كلُّ ما للجيوش الحديثة، فأنشأ فى قصر ابن العينى مدرسة حربيّة اعدادية سنة ١٨٢٥ م وجمع فيها التلاميذ من طوائف مختلفة الا المصريّين، غيرَ أنّ هذه التجربة أخفقت فاضطرّ الى أنْ يجعلَ أكثرَ التلاميذ بعدُ من المصريّين، وكانت لغةُ التعليم الأساسية هى التركية، وكانت تُدرَسُ إلى جانبها العربيّة وغيرها. وكان قد سبق فأرسل طائفة من المماليك إلى بعض البلاد الاوربيّة لدراسة فنون الجُنْديّة.

ثم أنشأ مدرسة أركان الحرب فى جهة أبى زعبل من ضواحى القاهرة ودعا لها بأساتذة من الفرنسيين.

﴿ مدرسة الطِّب ﴾

علمتَ أنّ همّة محمد على اتّجهت بادئَ الأمر إلى إنشاء جيش منظّم مجهّز بجميع الوسائل الحديثة ولم يكن فى مصر الى ذلك الوقت أطبّاء، اللّهم إلا نفراً قليلا من الافرنج لتطبيب مرضى الجاليات الأجنبية. وكانت اذا نشبت المعارك الحربية تُدعَى بالحلاّقين ليأسوا الكُلُوم ويضمّدُوا الجُروح. لهذا عَمد محمد على إلى انشاء مدرسة طبية بجهة أبى زعبل فى سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦ م) يقوم بأزائها مستشفى كبير ودعا لها بأساتذة من الافرنج. وكان التعليم فى هذه المدرسة شاقاً مجهداً فان أساتيذها

لم يكونوا يعرفون العربية ، وطلابها لا علم لهم باللغات الافرنجية . فدعت هذه الضرورة الى أن يقوم بين الأساتذة وتلاميذهم مترجمون

﴿ إيقاظ محمد على باشا الشرقَ بحُسن بلائِه فى السِّياسة والحرب ﴾

إستمكن سُلطان محمد على بما أعدّ من جيش قوىّ فى البرّ ، وأسطول عظيم فى البحر ، وعِلْم عالٍ يأخذ به أبناء البلاد ، ومعامل ومصانع أغنته عن كثير مِمَّا يَرِد من الغرب ، ومشروعات للرى ضاعف بها استثمار الأرض ، وغير ذلك من وَسائل الاصلاح ، ولقد استعانت به تُركيا فى إخماد الفِتَن فى أطراف بلادها ، كما استعانت به فى حروبها مع الدّول الاخرى . كما تمكّن بجيشه من فتح السُّودان ، كما اقتطع شطراً من أملاك تُركيا نفسها بعد أنْ شَجر الخُلف بينه وبينها وكاد يظفرَ بحاضرة مُلْكها لولا أنْ تألّبت عليه الدُّول الأُوربيّة وحُلْن بينهُ وبين غايَتِه

أمَّا الاسطول الضَّخم الذى بناه محمد على فقد أحرقته تلك الدول غِيلةً فى واقعة « نافارين » ولقد أتَى بالعلماء والأساتذة وأهل الفنون من أوربا ، وبعث البعوث الى بلادها ، وأقام المدارس فى مصر على نهج مدارسها ، وتقدم بترجمة مايُحْتاج إليه فى وسائل الحياة المختلفة . وبهذا وغيره انتظمت العلاقات بين الشرق والغرب .

﴿ اسماعيلُ باشا واتمامه بناء جدِّه ﴾

قُبِضَ محمد على باشا فى سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) بعد أن حَكم مصر أكثر من أربعين سنة بعثها فيها من الموت بَعثاً ، وأنهضها نهضة قويّة تلفّتَ لها وجهُ التّاريخ ، وما كاد الملكُ يصيرُ الى حفيده عبّاس الأول حتى خبَت تلك النّهضة فأُغلقَتْ المدارس ، وعُطِّلت المَصانع ، وفترتْ تلك الحركةُ العظيمة التى تناولَتْ جميع مَرافق الحياة فى البلاد ، وكذلك كانَ شأنُ خلَفه سعيد بن محمد على طول

أيّام حُكمه. حتى إذا انتهت ولايةُ مصر فى سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٣ م) إلى اسماعيل بن إبراهيم بن محمد على تأثر فى سبيل الاصلاح وتابع خطا جده العظيم، وراح يُتمّ ما بُنِيَ لمَجدِ مصر، ونَهضَ بوجوه الاصلاح التى تقوم عليها الثّروة والقوّة والعلم والعظَمَة فى كلّ البلاد.

﴿ مَظاهر النّهضة الحديثة فى العلم والأدب ﴾

لم يكن للبعُوث العلميّة التى أوفدَها محمد على فى مُبتَدأ الأمر إلى أوربا شأنٌ جليل. وأوّلها كان فى سنة (١٨١٣ م) على أنّه ما بَرِح يُوالى إرسالَ البعُوث حتى كانت سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) إذْ أوفَد الى أوربا بعثةً عظيمة يَزيدُ عَددُ طُلّابها على الأربعين، أحرزُوا قبل سفرهم قَدراً صالحاً من التّعليم والتّثقيف. وظَلّ بعد هذا يُوفد البعُوث العلمية إلى مُختلف البلاد الأوربية للتبحّر فى العلوم والفنون، ولم يَقْنع بهذا بل أقام فى باريس نفسها «مدرسة» جمعت نَحوَ الأربعين طالباً فيهم بعض الأمراء من أولاده وأحفاده

﴿ التّرجمة والتّأليف ﴾

كان أوّل عهدِ مصر بالتّرجمة فى هذا العصر، ما قام به أُولئك المُترجمُون الّذين جاء بهم محمد على ليؤدّوا بالعربيّة إلى طَلَبة مدرسة الطبّ ما كان يُلقيه عليهم أساتذتهُم من الدّروس باللّغة الأجنبية. فلمّا أخرَج بعض هؤلاء الأساتذة بلغاتِهم كُتباً ورَسائل فى فُنون الطبّ، وأُريد ترجمتُها إلى العربية جاء محمد على بطائفة مِمّن تفقّهوا فى العربية لمُعاونة أُولئك المترجمين على تحرير العبارة وضَبط المُصطلَحات العلمية بقدر ما اتّسع له علمهم بالعربية وما عثَرُوا عليه من مُصطلحاتها. وكان هذا عَملاً شاقّاً مُضنياً

وكانت جمهرة المترجمين أول الأمر من الأطباء ، لأن الطب أول العلوم الحديثة التى عنى بدراستها فى مصر بعد العلوم الحربية ، ثم توالت الترجمة فى العلوم والفنون الأخرى على يد من تخرجوا فيها من الطلاب

أما التأليف فى العلوم الحديثة فكان فى مبتدأ الأمر ضئيلا ، وكان أكثره من وضع الاجانب الذين جاء بهم محمد على ليبتغى بهم وسائل الاصلاح المنشود على أن المصريين قد جعلوا يقبلون على معالجته ، وخاصة من عهد اسماعيل حتى بلغ اليوم غاية محمودة ، ما زالت البلاد تتطلع منها الى المزيد (١)

(١) ومن أبرع من برعوا (فى أثناء هذه النهضة) فى التأليف والترجمة فى فنون الطب والصيدلة ـ مرتبين على حسب تاريخ وفياتهم ـ ابراهيم بك النبراوى ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢م) وأحمد بك حسن الرشيدى ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥م) ، ومحمد على باشا البقلى ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) وأحمد بك ندى ١٢٩٤ هـ ١٨٧٧ م ، وسالم باشا سالم ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) ، ومحمد الدرى باشا ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) وحسن محمود باشا ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) .

وممن برعوا كذلك فى العلوم الرياضية ترجمة وتأليفا : محمد بك بيومى ١٢٦٨ هـ (١٨٥١م) . وبهجت باشا ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧م) ، ومحمود باشا الفلكى ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥م) ، وشفيق بك منصور ١٣٠٨ (١٨٩٠م) ومختار باشا المصرى ١٣١٥ هـ (١٨٩٧م) ، واسماعيل باشا الفلكى ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م)

ومن خير من ألفوا أو ترجموا فى العلوم المختلفة فى صدر هذه النهضة : الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) ، والشيخ شهاب الدين المصرى ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) ، ورفاعة بك رافع الطحطاوى ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣م) ، ومحمد قدرى باشا ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) ، وأحمد فارس الشدياق ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧م) ، والشيخ عبد الهادى نجا الابيارى ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨م) ، والشيخ حسين المرصفى ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩) والشيخ محمد بيرم ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) ، وعلى مبارك باشا ١٣١١ هـ (١٨٩٣م) ، والشيخ محمد العباسى المهدى ١٣١٥ هـ (١٨٩٧م) ، وعثمان بك جلال ١٣١٦ هـ (١٨٩٨م) وأمين فكرى باشا ١٣١٧ هـ (١٨٩٩م) والشيخ ابراهيم اليازجى ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦م) وقاسم بك أمين ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ، وعمر بك لطفى (١٩١٢ م) ، وعلى أبو الفتوح باشا المتوفى سنة ١٩١٣ ومحمد بك النجارى ١٣٣٢ هـ (١٩١٤م) ، وأحمد فتحى زغلول باشا ١٣٣٢ هـ (١٩١٤م) وجرجى زيدان بك (١٩١٤ م) واسماعيل سرهنك باشا (١٩٢٥م) ، والشيخ محمد بك الخضرى (١٩٢٦ م .

ولا شك فى أن هذه النهضة الحديثة مدينة فى مستهلها لشيخ المترجمين على الاطلاق رفاعة رافع بك ، كما أنها مدينة لأكبر السابقين من المؤلفين الوزير المصلح العظيم على مبارك باشا .

﴿ حالةُ اللّغة العربيّة وآدابها فى هذا العصر ﴾

كانت حالةُ البلادِ العربيّة فى أوائل القرن الثّالث عشَر غايةَ ما وصلت اليه من الفسَاد والاضمحلال — فلمّا استولَى ساكنُ الجنَان « محمّد على باشا » على مصر رأى كما علِمتَ سابقاً أنْ يُربِّىَ مَنْ يكونُ خيرَ واسطةٍ لِنقل المعارف الأُوربيّة اليهَا . فبعَثَ إلى أوربا بثلاثة بُعوث علميّة . فى أزمنَة مُختلفة ، كوّنت بعدُ ثلاثَ طبقَات من العُلماء والأطباء والمُهندسين والضبّاط — فنقلُوا الى اللّغة العربيّةِ عشْراتِ الكتُب الجليلة ، فى العلوم المُختلفة ، فأحدث ذلك فى اللّغة العربية انقلاباً عظيماً وا كتسبت من سَعة الأغراض والمعَانى والألفاظ العلميَّة والأساليب الأجنبية وطُرق البَرْهنَة والاستنباط وترتيب الفِكر ثَروةً طائلةً — ورأى العُلماء والأُدباء أنّه صارت لهم دولةٌ منظّمة مُتحضِّرة ، تتقبَّل منهم بقبُول حسَن كلَّ مايُحسِنونَه من نَتيجة كدِّهم وثمرة أفكارهم ، فالتفّوا حولَها ، وصارَ أيضاً للدّولة كُتّابٌ وشُعراء ومُنشئُون ، ومن الأسف أن هذه النهضة لم يَستمر سيرها فى مصر كما استمر فى الشام بل ركدت ريحها فى زمن عباس باشا الأول ، وزمن سعيدباشا ، ثم تنسّمت فى عصْر اسماعيل وما لبثت أن صارتْ رُخاءً طيّبة فأعاد سيرةَ جدّه فى نشر العلم ، وظهرت ثمرة أعماله فى حياته ، وكادت مصر توشِك أن تكون قِطعة من أوربا

﴿ النّثر ـ ألمُحادثَة ـ أو لُغة التّخاطُب ﴾

كانَت العَاميَّةُ فى أوائل هذه العُصور غايةً فى الانحطاط ، ثُمّ لمَّا انتشرَ التّعليم بَين طَبقات المصريّين ، دَخل فى عباراتهم كثير من الفصيح ، وانتقَل ذلك لِمُعاشريهم من الأُميّين ، وبعض النّساء ، وممّا ساعدَ على ذلك أيضاً جعلُ التَّقاضِى باللّغة الفصيحة ، وكثرة الصُّحف والمَجلاّت والرِّوايات

﴿ الخَطابة ﴾

كان المصريُّون والسُّوريّون أوائلَ هذا العصر لا يَستعملون الخَطابَة فى غير الأغراض الدِّينيّة ، ثم اتَّسعت دائرةُ الأفكار فى عصر اسماعيل باشا ، وصادفَ ذلك مجىء السيّد جمال الدين الأفْغانى إلى مصر ، والْتفَّ لفيفٌ حوله من أُدباء المصريّين والسّوريين ، فأدخلهم فى عداد جَمعيّته ، وألَّف منهم أنديةً كانوا يَنْتابون الْخَطَابة فيها فى الأمور الدِّينيَّة والسِّياسيَّة والاجتماعيَّة ، وانتشرت الخطابة بين شُبَّان مِصر ، وفشَتْ بعد عَصر اسماعيل فى زمن توفيق باشا ؛ وعبَّاس حلمى باشا ومن أشهر خطبائهم — السيّد عبد الله النّديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) : والشيخ محمد عبدُه المتوفى سنة ١٣٢٣ (١٩٠٥ م) ، ومصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ، وسعد باشا زغلول المتوفى سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٧ م) ، والشيخ عبد العزيز جاويش بك المتوفى سنة ١٩٢٨ م وغيرهم — حتى بلغت الخطابة فى عصرنا هذا مبلغاً عظيماً .

﴿ الكِتابة الخطيَّة ﴾

وقَف الخطّ فى سبيل تَقدُّمه عند الحدّ الذى رسمته له الطّبقة النّاشئة فى القرن العاشر — والحادى عشر والثانى عشر : من خطَّاطى التّرك ، وكلّ من نَشأ بعدهم فانّما هو متَّبع طريقهم — وأشهرهم — عبد الله الزّهدى ، وهو الذى خطّ بالقلم الجليل جدران المسجد النّبوى ، وجدران سبيل والدة عبّاس باشا الأول بالصّليبة بالقاهرة ، ومحمد مُؤنس أفندى ، وتَخرَّج عليه وعلى تلميذه محمد جعفر بك جميع خطَّاطى قطرنا المصرى

﴿ الكِتابة الإنشائيَّة ﴾

مضَى العصر المُتقدّم ، وليس لكتَّاب الدّواوين فى أواخره شأن يُذكر ، لجعل

التركية هى اللغةَ الرسميّة ، وأقبل العصر الحاضر والحال لم تتغيّر فى الممالك العثمانية إلاّ قليلاً — وشرعت تتغيّر فى مصر ، ثمّ لما أُنشِئت المدارس النّظاميّة ، نشأت طبقة من كتّاب الدّواوين رقّوا كتابتها. وقد هُجر السّجع الذى أكثر منهُ الأقدمون إلاّ أنّ (عبد الله باشا فكرى) أشهرَ المُصلحين للكتابة الدّيوانيّة الفصيحة ألَمّ به فى كثير من مُكاتباته الرّسمية : وقد سبق كثير من رسائله فى فن المكاتبات .

أمّا كِتابَة التّأليف والصُّحف فأخذت تَنحُو منحَى كتابة ابن خلدون فى مُقدّمته ولمّا ولّت الحكومة الشيخ محمد عبده تحرير « الوقائع الرسمية » والإشرافَ على تحرير الجرائد ، ترقّت كتابتُها كثيراً ، ودَرجت فى سبيل التّقدّم إلى الآن :

﴿ كِتابَة التّدوين ﴾

كان أكثر الكُتُب التى أُلِّفت أو تُرجمت فى مصر علميَّة ، لشدّة احتياجها اليها أما سُوريَّة فكانت حالة الأدب فيها فى النّصف الأول من العصر الحاضر خيراً منها فى مصر ، ولكنّ مصر نَهضت فى النّصف الثّانى ، واسترجعت حياتها الأدبيّة وأدخلت دِراسةَ أدبِ اللّغة فى مدارسها ، وأُلِّف فيه عدّةُ كتُب . وانحطّ شأنُ سورية فى العربية ، فلم يَنبغ فى اللّغة من السّوريّين فى السّنوات الأخيرة مَن يضارع سَابقيهم ـ ومن أشهر العُلماء الأزهريين فى هذا العصر : الشيخ عبد الرّحمن الجَبرَتِى المتوفى سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) والشيخ حسن العطّار المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) ومن غير الأزهريين من أهل النّهضة الحديثة ـ رِفَاعه بك — شيخ المترجمين والمؤلّفين ، وعلى مُبارك باشا المتوفى سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) وجمال الدين الأفغانى المتوفى سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٧ م) وجورجى بك زيدان المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) واحمد فارس الشدّياق اللبنانى المتوفى

سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) والدكتور يعقوب صَرُّوف صاحب مجلة المقتطف المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) ووَلّى الدين بك يَكَن المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ والشيخ محمد عبد المُطّلب المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) والشيخ محمد بك الخضَرى المتوفى سنة (١٩٢٧ م) والشيخ أحمد مِفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ وفتحى باشا زغلول المتوفى سنة ١٩١٤م والشيخ نجيب الحدّاد المتوفى سنة ١٨٩٩م وعبد الله باشا فكرِى والشيخ حسين المرصفى المتوفى سنة ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م)، والشيخ نَاصِيف اليَازْجِى المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ ، وابراهيم بك المُويلحى المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ ومحمد بك المُويلحى المتوفى سنة ١٩٣٠ م ، وقاسم بك أمين المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ ، والسيد مصطفى لطفى المنفلوطى المتوفى سنة ١٩٢٤ م والشيخ ابراهيم اليَازجى المتوفى سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) وحِفنى بك نَاصف ، والشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد المتوفى سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) وأديب إسحَاق المتوفى سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٩٢ م) ، ومصطفى بك نجيب المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ واسماعيل باشا صبرى ، وبُطرس البُستانى المتوفى سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) ، وسليم باشا تَقْلا المتوفى سنة ١٣١٠هـ (١٨٩٢ م)

وهاك ترجمةَ بعض زعماء النَّهضة الحديثة

(١) ﴿ رِفَاعه بك رَافع الطَّهطَاوى المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ ﴾

هو الكاتب الشاعر السيد رِفَاعه بك الحُسَينى الطّهطَاوِى - شيخ المُترجمين وإمَام النَّهضة الحديثة ، وُلد بطهطا من أُسرة شريفة ، وتأدّب وتعلّم فى الجامع الأزهر ، ثم انتُخب إمَاماً لبعض فِرق الجيش ، ولم يَلبث أنْ اختَاره المرحوم محمد على باشا إمَاماً ومُعلّماً لأوّل بَعثٍ عِلمى أُرسِلَ إلى فرنسا سنة ١٢٤١ هـ - فرَاقته علوم أوربّا وعظَمتهَا فأكبَّ بنفسه على تعلُّم اللّغة الفرنسيَّة ، فلمَّا عَاد إلى مصر سنة ١٢٤٧هـ

اختاره محمد على باشا رئيساً للترجمة بمدرسة أبى زعبل ، واشترك هو وأستاذه الشيخ حسن العطّار فى إنشاء جريدة « الوقائع المصريّة » وتحريرها ، ثم نُقل إلى مدرسة المدفعية (الطُّبجيَّة) ثم صار مُديراً لمدرسة الألسُن والترجمة . ثم انتُخب عضواً بلجنة المدارس ، وتولّى ادارة مجلّة (روضة المدارس المصريّة) وعكف على الترجمة والتأليف حتى تُوفِّى سنة ١٢٩٠ هـ — تاركاً لمصر كُتباً ورجالاً هُم أركانُ النهضة الحديثة ، وآخرُ ما ألّفه كتاب « نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز »

(٢) ﴿ عبدُ الله فِكْرى باشا المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) ﴾

هو عبدُ الله فِكرى بن محمد بَليغ الضابط ابن الشيخ عبد الله العالم الأزهرى وهو أحد أركان النهضة الأدبيّة فى الديار المصريّة . وُلد سنة ١٢٥٠ هـ ، وأكبَّ على تعلّم علومه بالأزهر ، مُشتغلاً أيضاً باللغة التركية ، واستُخدِم من أجلها مُترجماً للعربيَّة والتركية فى عدّة مناصب ، آلت الى نقله إلى حاشية سعيد باشا — ثم اسماعيل باشا ، فعهد إليه بتأديب بنيه الكرام وغيرهم من أمراء بيت المُلك . ثم تقلّب فى جُملة مَناصبَ آخرُها نظارة المعارف سنة ١٢٩٩ هـ — وبقى بها حتى زمن الثَّورة العرابية ، فسقط مع الوزارة ، واتُّهِمَ فى الثَّورة فقُبض عليه ، ثم اتَّضحت بَراءتُه فأُطلق ورُدّ اليه مَعاشُه ، بعد أن استعطف الخديوى توفيق باشا بقصيدة طويلة وتُوفّى سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م)

وكان فكرى باشا كاتباً بليغاً . سلك فى كتابته طَريقة كُتّاب القرن الرابع ، كالبديع الهَمَذانى ، والخُوارَزْمِى من التزام السّجع القصير ، القليل التَّكلّف ـ ولذلك يقول فيه المرحوم الشيخ حسين المرصفى مدرس دار العلوم (لو تقدّم به الزَّمان ، لكان فيه بديعان ، ولم ينفرد بهذا اللقب علّامة هَمَذان)

(٣) ﴿ علىُّ مُبَارَك باشا المتوفى سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) ﴾

هو أبو المعارف المصرية ، العالم المؤرِّخ ، المُؤلّف المُترجم ، المُربّى العظيم علىُّ بن مُبَارك بنُ سليمان بن ابراهيم مُؤسّس دار العلوم ، ودار الكتُب العربية:

وُلد سنة ١٢٣٩ هـ

وكان يُرسله والده إلى مُعلّم قاس يتعلّم عليه القرآن الكريم فَحفظهُ ، وهرَبَ من المُعلّم لقَسوته وضَرْبه ، وأخذ يتعلّم الكتابة على بعض الكُتّاب ـ حتى عثُر فى بعض خرجاته بتلاميذ ذاهبين إلى مدرسة أبى زَعبل ، فصَحبهم ودخَل المدرسة ثم اختيرَ فى جُملة من تلاميذها إلى مدرسة قصر العينى : وسنّه ١٢ سنة ، ودَرس الرِّياضَة فبرَعَ فيها ، فاختيرَ طالباً بمدرسة الْهَنْدَسة ، فأكمَل فى خمس سنَوات دَرْس فنّ الهندسة ، وأُرسِلَ إلى أُوربّا سنة ١٢٦٠ ليُتمِّم دِراسته بها ، فمكث نحو أربع سنَوات دَرس فيها فنّ الهندسة والحرب ، ثم عاد إلى مصر ضابطاً بالجيش ، ثم قدّم (لعبّاس باشا الأول) مشروعاً بنظام المدارس المصرية فأعجبَهُ ، وعهَد اليه رِياسةَ دِيوانها ، فقام به خير قيام ، وألّف بعض الكتب الدّراسية. فكان أوّل مَن نظّم المدارس المصرية . وتزاحمت عليه المناصبُ ، فكان مديراً للسكك الحديدية ، وناظراً للمعارف وللأشغال وللأوقاف والقناطير الخيرية ـ فقام بذلك جميعاً فى آن واحد خيرَ قيام ـ ومن أعماله العظيمة انشاء دار الكتب ، وانشاء مدرسة دار العلوم ، ليُوفّقَ بين طلبة العلم القديم وطلبة العلم الحديث . ومات سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م)

(٤) ﴿ الشيخ مُحمد عَبدُه المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥م) ﴾

هو المُصلح الكبير المُجتهد الكاتب الخَطيب الامام الحكيم الشيخ محمدعبده أحد أركان النهضة العربية ، ومؤسسى الحركة الفكرية ـ وُلد سنة ١٢٦٦ هـ بإحدى

قرى مُديرية الغربيـة : ونشأ بين أُسرته بمَحلّة نَصر من مديرية البحيرة ، وتُرِكَ بلا تَعليم حتى نَاهزت سنُّه العاشرة ، ثم رَغِبَ فى التعلُّم : فحفِظَ القرآن الكريم وطلب العلم بالجامع الأحمدى ؛ ثم انتقل الى الازهر ونبغ فى علومه — ولمّا قدم مصر السيد جمال الدين الأفغانى سنة ١٢٨٦ هـ — وأعاد الى مصر دراسةَ الفَلسفة ، وعلوم الحِكمة والكلام لزِمَهُ الشيخ محمد عبدُه ، وكان أنبغَ تلاميذه ، وأحرَصهم على مُلازمته ، والاستفادةِ منه — ونَال دَرجة العَالميَّة سنة ١٢٩٤ هـ واختير سنة ١٢٩٥ هـ مُدرّساً للأدب والتّاريخ العربى بدار العلوم ، ومدرسة الألسن ، ثم اختِير لاصلاح لُغة « الوقائع المصرية » ثم صار رئيس تحريرها — وفى هذه المدة جعله رياضُ باشا مُراقباً على كتابة الجرائد وتحريرها — وحَدَثَتْ عَقِبَ ذلك الثَّورةُ العُرَابيّة ، ونُفِيَ من مصر إلى سُورية ، وتَولّى التدريس بمدارسها ، ثم انتقل إلى أوربا فالتقى بالسيد جمال الدين بباريس ، فأنشأا معاً جريدة « العُروة الوُثْقَى » ثم عفَا عنه الخديوى وعاد إلى مصر قاضياً بالمحاكم الأهلية ، ثم مُفتياً للدّيار المصرية ، وتولَّى التَّدريسَ بالأزهر — واليه يرجع الفضل فى اصلاحه ، ومال زال كذلك حتى توفى سنة ١٣٢٣ هـ

(٥) ﴿ الشّيخ حَمزه فَتحُ الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م)

هو الشيخ الوقور ، اللّغوى الحجّة التّقى ، الشيخ حمزه فتح الله

وُلِدَ رحمه الله بثغر الاسكندرية سنة ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩ م) ونَشأ بها — وبعدَ أنْ حفِظ القرآن الكريم انتظم فى سلك طلبة العلم بجامع الشيخ ابراهيم باشا — ثم أكمل دراسته بالأزهر الشريف ، وأمعن فى قراءة الأدب واللغة ، وقَرَضَ الشّعر وَحرّر الرسائل ، وحفِظَ الغريب . ثم عاد الى الاسكندرية ، واختير (فى منتصف العقد الثالث من عمره) محرراً فى إحدى الصحف التّونسيّة ، فمكث هناك حوال

ثمانى سنوات اكتسب فيها الدّربة على كتابة الصحف السياسية ، ثم عاد الى مصر فوجد نار الفتنة العُرابية مُستعرَّة ، فانضمّ الى حزب الخديوى توفيق باشا ، وكتب وخطب فى تأييده ، وبعد أن انتهت الفتنة العرابية استُخدم فى وزارة المعارف ومكث بها زهاء ثلاثين سنة ، متنقلا بين التفتيش والتدريس حتى مات سنة ١٩١٨م

علمه وأعماله — كان الشيخ كثير القراءة فى كتب اللغة . والأدب . والحديث شديد الحفظ والذكر ، قلّمَا تحدث أمامه حادثة أو تذكر الا رَوَى فيها شعراً أو مَثَلا أو قصّة . وكان فكه المُحاضرة ، صحيح العبارة يحوكها على سَنَن العربية الفصيحة ، وهو أملأ من شاهدناه باللغة والأدب والصرف

عهد اليه بالتدريس فى دار العلوم فأحيا بتدريسه وتأليفه مادثر من آثار السالفين كالجاحظ والمُبرّد والقالِى والمُرتضى ، وأظهر ما كان ذلك فى « مواهبه الفتحية » أسندإليه تفتيش اللغة العربية فى مدارس الحكومة على اختلاف أنواعها فرأى المجال فسيحاً لتخليصها من أدران العاميَّة ، وأوضار الدَّخيل ، وفساد التراكيب وعجمة الأساليب ، فأخذ يرشد المعلمين الى ما يعثر عليه من ذلك فى كتابة التلاميذ ويتحفهم بمرادفه تارة . ويرشدهم الى المظانّ أخرى ، فتنبّه بذلك الغافل

أخلاقه : كان الشيخ حليماً رحيماً ، تقيًّا ورعاً ، لا تأخذه فى الله لومة لائم وكان يُحبّ العرب والعربيّة ، ويرى أن الله قد خصّهما بكل مزية

مؤلفاته : مما عُرف من مؤلفاته ، كتاب المواهب الفتحية فى علوم اللغة العربية وباكورة السلام فى حقوق النساء فى الاسلام ، ورسالة فى التوحيد ، وأخرى فى الخيل ، وكُتيِّب فى المفردات الأعجميّة التى فى القرآن الكريم

شعره وكتابته : كان بَدوىّ الشّعر من حيث ألفاظه ومعانيه ، وتراكيبه وأساليبه

وتشبيهاته واستعاراته على طريقة شعر العلماء فمن قوله :

كم جامحٍ بالثّريّا راضَهُ سفرٌ ... فوق الثّرى بين أكوار وأقتابِ
إنّ الثّواء ثواءٌ والقُصُور قبو ... ر العاجزين ولا إيراء للخابى
ومَن بَغَى نيلَ مَجدٍ وهو فى دَعَةٍ ... فقد بَغَى مِن صفَاة دَرّ أحلابِ
والمرء فى مَوطِنٍ كالدُّرّ فى صَدَفٍ ... والتِّبرُ فى مَعدِنٍ والنَّبعُ فى غَابِ
والسّيفُ مِثلُ العصَا ان كان مُغتَمِداً ... وزَامِرُ الحىّ لا يحظَى بإطْرابِ
وأزهدُ الناس فى عِلم وصاحبه ... أدنى الأحبّة مِن أهلٍ وأصحاب

(٦) ﴿ باحثةُ البَادية ملَك حِفنى نَاصف المتوفّاة سنة ١٣٣٧ هـ ﴾

هى المُفكرة ـ الكاتبة الشاعرة ، السيّدة ملَك حفنى ناصف

ميلادها ونَشأتها — وُلدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م ، ولمّا ميزت أرسلها والدها إلى احدى المدارس الأولية ، ثم إلى المدرسة السّنيَّة ، فحصلت منها على شهادة الدراسة الابتدائية سنة ١٩٠٠ م (وهى أول سنة تقدّمت فيها الفتيات لنيل هذه الشهادة) ثم أتمّت دراستها فى قسمها العالى ، واختيرت مُدرِّسة فى مدارس البنات بالقاهرة

وفى سنة ١٩٠٧ م تركت التّعليم العلمى واشتغلت بالتعليم العملى فى بيت زوجها

أخلاقها وأعمالُها : كانت مُدّة دِراستها خير نُموذَج لقريناتها : مِن أخلاق سَامية وسَريرةٍ صافية ، ونفس أبيَّة ، ومُثابرة على العمَل

وكانت بعد زواجها تباشر أكثر أعمال بيتها بنفسها ، لا لسبب : سوى أن تكون قُدوة لغيرها من السيدات اللّاتى يَتركنَ بُيوتهنّ إلى مَنْ لا يُحسِن القيام عليها والتدبير فيها ، فيوقعن أزواجهن فى الفقر المدقع ، والبلاء الشديد . وكانت إذا فرغت من شئون منزلها ، عكفت على قراءة الكتب النافعة ، وتَعرّف أحوال

السيدات ، وزيارة مدارس البنات ، وفحص مناهج التعليم بها

كل أولئك لِتُكوّن لها رأياً صحيحاً . وفكراً ناضجاً فى تربية البنات واصلاح حال الأمهات ، وظلّت تستسهل فى ذلك الصعب ، وتستحلى المُرّ

وكان من رأيها فى تربية المرأة أن تباشر من أعمال الرجل ما لا ينافى الشرع الشريف ، وألا تكون زينتها مَشْغلة لها ، ولا عِبئاً ثقيلا يَنوء به بَعْلُها ، ولها فى ذلك خُطب فى محافل نسويّة ، كان لها تأثير فى عدول الكثيرات منهن عن جمودهن وأفكارهن القديمة . وكان بَيتُها مقصداً لزيارة كثير من السيّدات الغربيات والشرقيات ، يَستَنِرْنَ به فى الوقوف على مَبلغ رُقىّ المرأة المُسلمة ، وما ينتظرن من شئونها المستقبلة . ولم يكن شىء من ذلك كله لينسيها ما يجب عليها لزوجها، والبِرّ لذَوِى قرباها ومَن يقع تحت نظرها ممّن أجهدهم الفقر ، وأشد ما كان برّها لوالدها

آثارُها العِلميَّة (١) كتابُها الذى أسمتهُ (النسائيّات) وهو مجموع ما خَطبته وكَتبته فى (الجريدة) خاصاً بالمرأة

(٢) حقُوقُ النّساء ـ وهو كتاب لم يطبع بعدُ : أنجزت منه ثلاث مقالات

الأولى فى المُوازنة بين المرأة المُسلمة الشرقية والمرأة المُتمدينة الغربيّة فى الحقوق المالية

والثانية فى حقُوق المرأة المُسلمة من جهة ادارة الأعمال العامة

والثالثة فى حقوق المرأة المسلمة من جهة الانتخاب

(٣) رسالة ضَافية قدمتها للمؤتمر المنعقد فى مايو سنة ١٩١١ بمصر الجديدة ضمّنتها آراءها السّديدة فى وسائل ترقية المرأة المصرية

ثم عاجلتها الحُمّى الاسبانية سنة ١٣٣٧ هـ فاحتضرت وهى فى ريعان شبابها ويانع عمرها ، فتركت بفقدها فى العالم النسوى المصرى فراغاً لم يُشغل بعدُ

كتابتها - إنّ النّاظر فى كتاباتها المُختلفة يرَى عبارةً سَهلَة . صَحِيحةَ الألفاظ عربيةَّ الأسلُوب خاليةً من تَصَنُّع السَّجع، وترَى ذلكَ وَاضحاً فى كِتَابها «النّسائيّات»

شِعْرُها — قَالت الشّعر وهى فى الحادية عشرة من عمرها، وكان بدء أمرِها فيه أن تقولَه مُعارضة لِمَا تَحفظه فى المدرسة تَارةً جِدًّا وتَارة هَزْلاً . وشعرها حسن الديباجة، جميل الأسلوب يُعدُّ فى الدرجة الوسطى من شعر هـذا العصر

وهاك نموذجاً من نثرها وشعرها - رسالة كتبتها من رمل الاسكندرية لصديقة لها - وهى:

عزيزتى السيّدة بَلْسَم

أُحيِّيكِ : ولولا بُرودة البحر لاَلْتَهبْتُ اليكِ شَوقاً ، ولولاَ تَصَبُّرى لَطِرْتُ إليك حُبًّا ، وانّى لم يُنْسِنِى صفاء السماء صفاء ودِّكِ ، ولا رِقّة النسيم رِقّة حـديثك انما شجانى وذكّرنى ، ولم أكن ناسيةً

حَبيبتى: ليتكِ كنْتِ معى ترينَ الطبيعةَ بجمالها ، ترينَ البحر يزخَر كالرعـد والأمواج تتلاطم زرافات و وحداناً ، صفاء فى البحر، وصفاء فى السماء ، كأنهما قلبانا وتسمعين تغريد الطيور . وحفيف الأشجار ، انها لعمرك مناظر تلهى المرء - ولكن هيهات لمثلى أن تلهو ، وهى تعلم ما يكنّه الدهر ، وما يخبئه الليل والنهار . تقبلى منى أحرّ قبلاتى . وأوفر أشواقى - ومن شعرها تخاطب المرأة المصرية :

سِيرى كسير السُّحب لا تَأْنَىْ ولاَ تتَعجَّلى
لاتَكنِسى أرضَ الشّوا رعِ بالإزَار المُسْبلِ
أمّا السُّفور فَحُـكمهُ فى الشّرع ليس بمُعْضلِ
ذهب الأئمة فيه بـــين مُحرّم ومُحلّل
ويجوز بالاجماع منـــهم عند قصد تأهّل

ليس النِّقاب هو الحجا ب فقصِّرى أو طوِّلى
فاذا جهلت الفرق بيـــنهما فدونك فاسألى
من بعد أقوال الأئمـــة لا مجال لمقولى
لا أبتغى غير الفضيـــلة للنساء فأجملى

﴿ الشعر ﴾

كانت حالة الشعر فى النصف الأول من هذا العصر لا تزيد شيئاً مذكوراً على ما كانت عليه فى العصر الماضى ، إذ كانت حكومة « محمد على باشا » فى أوّل أمرها تركية الصّبغة ، وكان هو أُمِيًّا لا يحلّ عنده الأدب محلّ العلم الذى عليه مدارُ تأسيس المملكة

ولكنّ الشّعر أخذَ بعد ذلك فى التّرقى . وسارت مصر فى طريقه ، وانتشرت بينها العربية حتى زمن « اسماعيل باشا » وكان هو متأدباً ، وعصره غاصا بالأدباء فتقدم الشعر فى عصره خطوات تمثّلت فى شعر السّيد على أبى النّصر ، والشيخ على الليثى ـ ثم طَفِر طفرة الى عظيم الشعراء « البارُودِى »

ولم يزل للعلم والعلماء مع ذلك المقام الأول فى مصر ـ حتى كان العصر الحاضر ونالت مصر بعض حاجاتها من العلم وكُتبه ، فهبّ أهلُه يتفكهون بالأدب وكتابته والتأليف فيه ، ويستمعون الشعر ، ويحضرون المجامع العظيمة لانشاده ، فأقبل الشعراء على نظمه فى كل أغراضه القديمة والحديثة ، ونحَوْا به نحو الشعر الفرنجى : من وصف المناظر الطبيعية ، وأحوال الوِجْدان ، والعواطف النفسية ، وكثيرٌ من الشعراء بعد البارودى لم يحاكِ القدماء فى نَدْب الديار ، ووصف الظعائن ، وحثّ المطايا مستغنياً عن ذلك بوصف القِطار ، والكهرُباء ، والمِسَرّة ، والبرق . ويقول الآن

الشعر على هذه الطريقة مئات من الشعراء فى مصر والشام والعراق، إلا أن المصريين سبقوا السوريين بمراحل فى هذا العصر

وممّا يمتاز به شعرُ هذا الوقت، خلوُّه من تكلُّف البديع والجناس، والرجوع به الى حالته القديمة الطبعية حتى صار شعر فحوله يشبه شعر أهل القرن الرابع والخامس

﴿ نماذج من النظم ﴾

قال المرحوم السيد على أبو النصر المتوفّى سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م)

بصادر آمالى ووارد خاطرى ... كلِفْتُ فيا نفسى الأبيّة خاطرى
ولا تجزعى ان هال خطب فربما ... تدين الأمانى لامرىء غير قادر
وكونى على حمل الأذى مستعدّة ... فكم عادل أرخى العنان لجائر
ولا تَشتكى الأيام إلاَّ لمُنصف ... فلا خير فى الشكوى الى غير ناصر
ومن لم يكن ذا همَّة هاشمية ... أخافته فى الهيجا بُروق البَواتر

وقال محمود صفوت الساعاتى المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ يمدح شريف مكة ويعاتبه :

ترنو النُّجوم بلحظها البرَّاقِ ... والجوّ فى الإرعاد والإبراقِ
فاذا تبسَّمت البروق لِغبطة ... بكت السماء بدمعها المهراق
عاملتمونى بالجفاء رُويدكم ... أللورد ذو أرَج بلا إحراق
مالى أراكم تنكرون مكانتى ... الشمس لا تخفى مع الاشراق
قلدتُم غيرى الجميل وقلتمُ ... حسبُ المغرِّد زينةُ الأطواق
أسديتمُ الجدوى له وسددتمُ ... طرُق الرّجاء علىّ بالإطراق
إن لم يكن مثلى يُسىء ومثلكم ... يُغضى فأين مكارم الأخلاق

وفى الحِكم للمرحوم الشيخ على الليثى المتوفّى سنة ١٣١٣ هـ (١٨٩٦)

كل حال لضدّه يتحوّلْ فالزم الصبر اذ عليه المعوّلْ
يافؤادى استرح فما الأمر إلاَّ مابه محكم القضاء تَنزّلْ
قَدَرٌ غالب وسرٌّ الخفايا فوق عقل الأريب مهما تكمّل
رب ساعٍ لحتفه وهو ممن ظنّ بالسّعى للعلا يتوصّل

وقال المرحوم الشيخ شهاب الدِّين المتوفى فى سنة ١٢٧٥هـ يرثى ابراهيم باشا

صَبراً على ما قد مضى اذ لا مخلّص من قضا
كيف التّصبُّر والمنَا يا ذات عضب مُنْتضَى
أرْدَتْ بابراهيم مذ بلغ المَقامَ المُرتضى
واليه آلَ الأمر فى حكم (الإيالة) وانقضى
فمضى وقلت مؤرِّخاً (الله يرحم من مضى)
١٢٦٤هـ ٦٦ ٢٥٨ ٩٠ ٨٥٠

﴿ حِفْنِي نَاصِف بك ـ المتوفّى (١٣٣٧ هـ) ١٩١٩ م ﴾

هو القاضى الفاضل الشاعر الكاتب ، محمد حفنى ابن الشيخ اسماعيل ابن الشيخ خليل بن ناصف . ولد ببركة الحج من أعمال القليوبية سنة ١٢٧٢ هـ يتيماً فقيراً : فكفلته جدّته أم أبيه

ولما ترعرع تعلم القرآن على معلم كان يُفرط فى ضربه ، ففرّ ماشياً على أقدميه إلى الأزهر وجوَّد فيه القرآن ، وحفِظَ المتون ، ودرس فقه الشافعى ، وعلوم اللسان العربى واشتغل بالأدب والشّعر فبرع فيهما حتى أصبح من شعراء الأزهر المعدودين . وكان أول الناجحين من الطلبة المقبولين فى دار العلوم ، و بقى أولهم حتى خرج من المدرسة ثم اختير مدرساً وضابطا لمدرسة الخرس والعميان ، ثم نُقل الى النيابة كاتب سرّ

للمرحوم شفيق بك منصور يكن، ثم نُقل مدرساً بمدرسة الحقوق. وفى أثناء ذلك كلّفته نظارة المعارف مع آخرين تأليف سلسلة كتب سهلة، لتعليم النحو والصرف والبلاغة فألف خمسة كتب لم يزل العمل فى التعليم جارياً عليها. ثم نقل الى القضاء الأهلى، فمكث يترقى فى درجاته مدة عشرين سنة، كان فى خلالها مثال العدل والنزاهة.

ونقل من وكالة محكمة طنطا الأهلية مفتشاً أوّل للغة العربية بوزارة المعارف

وتوفى صبيحة يوم الثلاثاء ٢٦ فبراير سنة ١٩١٩ م ودفن يوم الأربعاء بمقبرة الامام

وكان رحمه الله من أطيب خلق الله حديثاً، وأرقّهم فُكاهة، وأملحهم نادرة وأحضرهم جواباً، مع دعابة فيه

شعره — لم ينكر الأدباء عليه أنه أبو الطبقة التى نشأت بعد طبقة البارودى وعبد الله باشا فكرى، وكل من نبغ بعدُ ممن انتهت اليهم الرياسة فى الشعر فعليه تَعلّم، أوله قلّد، حتى أصبحوا شعراء هذا الزمان

وأكثر شعره من نوع السهل المُمتنع، الكثير الملح المطربة والنّكت الأدبية المُعجبة، حتى فى المراثى: لتمثلها فى صورة جدية بديعة — فمن ذلك قوله:

أتُقْضَى مَعِى إنْ حَانَ حَيْنِى تَجَارِبى ... وما نِلْتُها إلاّ بطول عَنَائى

وأبْذُلُ جُهدى فى اكتِسابِ معَارفٍ ... ويَفنَى الّذى حصّلتُه بفَنَائى

ويحزُننِى ألاّ أرى لىَ حِيلةً ... لإعطائها مَن يستحقّ عطائى

إذا ورّث الجُهال أبناءهُم غِنىً ... وجَاهاً فمَا أشقَى بَنى الحُكَماءِ

ومن شعره أيضاً يخاطب أحد الرؤساء

أحيَيتَ آمالى وكنتَ أمتّها ... من طول مالاقيتُ من اخوانى

أدلِى باخلاصى لهم وأذود عن ... أعراضهم بجوارحى ولسانى

محضتهم ودّى فلمّا أيسروا كانت بدايةَ أمرهم نسيانى

﴿ مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ﴾

هو مصطفى بن على أفندى محمد المهندس ، المولود بالقاهرة فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤ م . ولما بلغ السادسة من عمره أدخله والده المكاتب الأولية ، ثم انتقل إلى مدسة والدة عباس باشا الأول ، وفى أثناء وجوده فى هذه المدرسة تُوفى والده فانتقل إلى مدرسة القربية ، فأتمّ فيها الدراسة الابتدائية سنة ١٨٨٧م ثم تحوّل الى المدارس الثانوية ، ونال فى نهايتها شهادة البكالوريا بتفوُّق باهر ، وذكاء نادر ، ممّا ألفتَ اليه نظر المرحوم على باشا مبارك ناظر المعارف ، فاختصّه بمرتب شهرى يُصرف اليه مُساعدة له ، وكان منظوراً اليه بعين الاجلال والاحترام من إخوانه ومعلميه ورؤسائه لِمَا امتاز به من حسن الالقاء ، وفصاحة اللسان ، وصراحة القول ، واستقلال الفكر ومناقشته فى المسائل العلمية والاجتماعية ، والكل يعجبون به ، ويتوقّعون له مستقبلا مجيداً – ثم دخل مدرسة الحقوق الخديوية نهاراً ، ومدرسة الحقوق الفرنسية ليلا فكان يتلقّى دروسهما حتى نال الكفاية منهما – ثم ذهب إلى (طولوز بفرنسا) وأدّى فيها الامتحان ونال الشهادة النّهائيّة . وفى أثناء دراسته للحقوق تنبّه خاطره إلى المسائل السياسية ، وأصبح همه انقاذ مصر من الاحتلال ، وكان يتردَّدُ على الجرائد الوطنية ، ليكتب فيها آيات الوطنيّة . وأنشأ المجلة المدرسية ، وألّف كتاب المسألة الشرقية ، ورواية فتح الأندلس ، وكتابا فى حياة الامم والرِّق عند الرومان – وكلها ترمى الى تحبيب الاستقلال ، واحياء الشعور الوطنى فى أفكار المصريين – واجتمع مصطفى بالمرحوم « عبدالله النديم » الخطيب المفوه والكاتب البليغ ومُشعِل نار الوطنية

من قبل — فاقتبس مصطفى منه الأساليب والتعليمات العظيمة، وأضاف ذلك الى معلوماته الماضية — ونهض نهضة الأسد الى فريسته، وأذكى أوار الوطنية فى عقول الشباب الناهض، وتطوّرت مصر الفتاة إلى يومنا هذا فى مراقى التقدم والنجاح. وقد طار صيته فى الآفاق، وأنشأ جرائد اللهواء العربى والفرنسى والانكليزى لهذا الغرض. وتوفى يوم الاربعاء ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ م. وخطبه الطنّانة كثيرة لا نطيل بذكرها

﴿ محمد بك فريد المتوفى سنة ١٩١٩ م ﴾

هو المخلص الأمين. محمد بن أحمد باشا فريد — والدته أميرة من فضليات سيدات الخُلفاء العباسيين. وكان ميلاده فى ٢٧ رمضان سنة ١٢٨٤ هـ — وعاش ٥٢ سنة — ولما كان عمره ٧ سنوات أدخله المرحوم والده مدرسة خليل أغا، ثم دخل المدارس الثانوية وأحرز شهادة البكالوريا — ثم دخل مدرسة الحقوق حتى نال الشهادة النهّائية فى شهر مايو سنة ١٨٨٧ م. وعقب ذلك عيّنته الحكومة المصرية بقلم قضايا الدائرة السنية الذى لم يلبث فيه الا قليلا حتى أصبح رئيسه. وقد أنعم عليه سموّ الخديوى عباس باشا بالرتبة الثانية — ثم تدرّج فى وظائف القضاء الى أن صار أحد رؤساء النيابة العمومية — وفى خلال ذلك كان يكاتب أمهات الصحف العربية والافرنجية — حتى استقال من خدمة الحكومة فى ٢١ نوفمبر سنة ١٨٩٦ م — واشتغل بالمحاماة، وانضم بكل قواه الى الحزب الوطنى لتحرير مصر والسودان. ولازم صاحبه المرحوم مصطفى باشا كامل — وقد ألّف كتاب البهجة التوفيقية فى تاريخ العائلة الخديوية، وتاريخ الدولة العثمانية، وتاريخ الرومان — وأنشأ مجلة « الموسوعات » وكتب آلاف المقالات فى المؤيد واللّواء والصّحف الأوربية — وألقى مئات من الخطب فى بلاد الشرق والغرب، وتعرّف بكثير من كبار ساسة جميع العالم

ولمّا شعُرَ المرحوم مصطفى كامل باشا بدُنوّ الأجل، جمع رجال الحزب الوطنى وأوصاهم بانتخاب «فريد» بعده رئيساً، فقام برياسته خير قيام، وقد ضحّى نفسه وأولاده وأهله وماله ومناصبه حبّاً فى الوطن — حتى مات غريباً فى برلين يوم الاثنين ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ م — ونُقلت جثّته من بلاد ألمانيا لدفنها بالقاهرة، فوصلت صباح يوم الثلاثاء ٨ يونيه سنة ١٩٢٠م. وشُيّعت باحتفال مهيب — ورثته صحافة العالَم شرقاً وغرباً فمن رثاه المرحوم محمد حافظ بك ابراهيم المتوفى سنة ١٣٥١ هـ قال من قصيدة طويلة

مَن ليومٍ نحنُ فيه مَن لِغدْ ... مات ذُو العَزْمةِ والرّأى الأسَدّ
أيُّها النيل لقد جلّ الأسَى ... كن مِداداً لى اذا الدّمع نفَد
فلقد ولّى فريدٌ وانطوى ... ركنُ مصرَ وفتاها والسَّنَدْ
خَالِدَ الآثار لا تخشَ البِلى ... ليس يَبلَى مَن له ذِكرٌ خلدْ
قُل لِصبّ النِّيل إن لاقيتَه ... فى جوار الدّائم الفرد الصّمدْ
انّ مصراً لا تَنِي عن قَصدها ... رَغمَ ما تَلقَى وإن طال الأمد
فاسترحْ واهنأ ونَمْ فى غِبطَةٍ ... قد بَذَرتَ الحبَّ والشّعبُ حصدْ

﴿ ٧ — سعد باشا زغلول ﴾

هو الزّعيم الأكبر. سعد ابن الشيخ ابراهيم زغلول المولود ببلدة إبيانا بمديرية الغربية سنة ١٢٧٧ هـ — قرأ القرآن الكريم ودخل الأزهر الشريف، وحضر علوم اللغة والادب والنحو والمنطق والتوحيد وعلوم التشريع — وغيرها: على فطاحل العلماء ثم تعيّن محرراً لجريدة « الوقائع المصرية » الرسميـة بالداخلية. ثم انتقل معاوناً بنظارة الداخليه فى مدة وزارة «محمود سامى باشا البارودى» ثم تعيّن مديراً لقلم قضايا مديرية الجيزة، وذلك فى مُدة اشتداد الثورة العرابية. ثم استقال واشتغل بالمحاماة

وقد انتخبتهُ الجمعيـة عضواً فى لجنة تنقيح قانون الجنايات بالاستئناف . ثم اختاره اللورد « كرومر » أن يكون وزيراً لوزارة المعارف ـ ثم وكيلا للجمعية التشريعية الى أن تطوّرت الحالة الوطنية فى القطر المصرى ، فانتخبتهُ الامة وكيلاً عنها فى مطالبة انـكلترا بالجلاء عن مصر والسودان

ومن كلماتهِ المأثورة فى الوطنية

(١) لا استعبادَ . لا استعمارَ . لا حِمايَة . لا رِقابَة . لا تَداخُل لأحد فى شأن من شؤوننا . هذا ما نريد ، وهذا مالا بُدّ أن نحصُلَ عليهِ

(٢) أُقسمُ بالوطنيّة وعزّتها : لو كنت أعرف أنّى أقود أُمة بلهاء تنقاد لـكل زعيم بدون تصوّر ولا ادراك كما يصفها أعداؤها ما رضيت أن أكون قائداً لها

(٣) إن قوّتنا ليست مُستمدّة من الخارج ، بل هى فى نفوسنا : فلتـكن نفوسنا قوِيّة تصل الى غايتنا

(٤) الارادة متى تمـكّنت من النّفوس وأصبحت مـيراثاً يتوارثهُ الأبناء عن الآباء ذلّلت كل صعب ، ومحت كل عقبة ، وقهرت كل مانع مهما كان قويا ، ووصلت عاجلاً أو آجلاً الى الغاية المطلوبة

(٥) لا يمكن أن نعتبر للحكوميين مذهباً ، لأن المذهب يقتضى مبادىء وقواعد أمّا هم فقاعدتهم القُوّة . وما يعتمد على القوة لا يصح أن يُسمّى مذهباً

﴿ ومن كلماته المأثورة فى الحريّة وحدودها ﴾

(١) كل أمر يقف فى طريق حرّيتنا لا يصح أن نقبله مطلقاً ، مهما كان مصدره عالياً ، ومهما كان الآمر بهِ

(٢) كل تقييد للحرية لا بد أن يكون له مبرّر من قواعد الحرية نفسها والاّ كان ظلماً

(٣) الصحافة حرّة : تقول فى حدود القانون ما تشاء ، وتنتقد ما تريد ، فليس من الرأى أن نَسألها لِمَ تنتقدنا ؟ بل الواجب أن نسأل أنفسنا لِمَ نَفعل ماتنتقدنا عليه

(٤) نحن نحبُّ الحريّة ، ولكنّا نحبّ أكثر منها أن تُستعمل فى موضعها

(٥) جميل جداً أن يقال لاتحجروا على الناس ، ولاتُقيّدُوا حرّيتهم ، وانها لنغمة لذيذة يحسُنُ وقعها فى الأسماع والقلوب . ولكنّا لا نريد الحجر على النّاس ولا تَقْيِيدَ حريتهم ، بل نريد حماية الحق وصيانته من أن يتمتّع بهِ غير صاحبه من حيث يُحرم منه صاحبهُ

﴿ ومن آرائهِ فى التشريع ﴾

(١) كل شريعة تُؤسّس على فساد الأخلاق فهى شريعة باطلة

(٢) لا تصدّقو أن هناك قاعدةً يرجع اليها القاضى فى تقدير العقوبة — أو أنّ هناك ميزاناً توزَن بهِ الجزاءات : وانما هى أمور اجتهادية يُلهم بها القاضى إلهاماً

(٣) الحقُّ فوق القُوّة ، والأمّة فوق الحكومة

(٤) اننّا اذا احترمنا أمراً للحكومة ، نحترمه لانه نافع للأمة ، لا لأنه صادر من تلك القوة المُسَيطرة

(٥) يجبُ أن نَنقاد للقانون ، وإلاّ نعتبر الانقياد اليه مهانة ومذلّة ، بل عزّاً وشرفاً

(٦) إن كانت الحكومة تريد أن نكونَ فى صفّها ، مدافعين عنها فما علينا إلا أن تتّبع الحقّ والعدل ، وتحترم القانون

(٧) يُعجبُنى الصّدق فى القول والاخلاص فى العمل ، وأن تقوم المحبّة بين النّاس مقام القانون

(٨) الذى يَلزمنا أن نُفاخر به هو أعمالنا فى الحياة ـ لا الشهادات التى فى أيدينا

(٩) أعاهدكم عهداً لا أحيد عنه على أن أموت فى السعى الى استقلالكم فان فزتُ فذاك ، والاّ تركت لكم تتميم ما بدأتُ به

هذا قليل من كثير لانحيط به جمعاً ـ خصوصاً خطبه المطوّلة المُمْتعة التى تكاد أن تكون فى درجة الاعجاز ، ولا غرابة فى ذلك فقد كان معروفا بالشجاعة والصراحة يمتلك فى يده أعِنّة الألفاظ و يتصرّف فيها كيف يشاء ، حتى أنه ليعبّر عن أقسى المعانى وأخشنها بأرقّ الألفاظ وأعذبها وأخفّها وقعاً على النفوس والأسماع خصوصاً وأنه قدير على التأثير على نفس السامع ، وامتلاكه أزمة الأهواء ، وتلاعبه بالعواطف والقلوب ، واقتداره على اسناد كل جزئية من جزئيات المسائل الاجتماعية أو القانونية أو الاخلاقيّة أو السيّاسيّة الى قاعدتها العامة التى توضّح طريقها وتكشف الغامض منها

ولقد كان مُتشرّعا يبحث النظامات و يدققها . وسياسيا يُبارز خصمه مبارزة الرجل الذى يحسن تقليب الحسام بين يديه ، فلا كلماته تخرق حجب الآداب ، ولا تتجاوز حدّ اللياقة ـ ولقد كان كلامه ينزل على السّامعين نزول النّدى على آكام الزهر ، فلا يرتفع صوت ، ولا تبدو حركة مع طول خطابته نحو ساعتين وأكثر حتى وافاه القدر المحتوم فى أواخر أغسطس سنة ١٩٢٧ م ، وعمره نحو ٦٨ سنة

وقد خلفه فى زعامة «الوفد المصرى» حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

(٨) ﴿ مصطفى النحاس باشا ﴾

هو المُخلص الأمين والرئيس النّزيه « مُصطفَى » ابن المغفُور له التّقىّ الصّالح الشيخ محمد النّحاس عين أعيان سَرَاة بندر سَمَنّود

وُلدَ « مُصطفى النحاس » (أبقاه الله) من أبوين كريمين عَريقين فى الحَسَب

والنَّسب فى يونيه سنة ١٨٧٩ م

وتَربّى (حفظه الله) تربيةً منزلية قويمة طَبَعَتْهُ على الأمانة والاستقامة والنَّزاهة وأنشأته على حُبّ الخير والعَدْل والصّلاح والتّقوى، فشبّ على مكارم الأخلاق من الصِّغر

رَضَعَ الأخلاقَ مِن ألْبانِها إنّ لِلأخلاق وَقعاً فى الصِّغر

ومابلغ السادسة من عمره الاّ وهو يزاول مبادىء التعليم فى أحد مكاتب البلدة وما تجاوز العاشرة من عمره الاّ وكان حافظا لجميع القرآن الكريم حفظاً جيّداً ، ثم ارتحل به والدهُ الى القاهرة وأدخله مدرسة الناصرية الابتدائية بنظارة أمين باشا سامى فى ذاك الوقت ، فأمر بامتحانه للقبول فاجتازه بتفوق باهر وعكف على دروسه حتى كان فى كلّ امتحاناته أوّل فرقته ، و بعد اتمامه الدراسة الابتدائية التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية بالقسم الداخلى ، وأظهر جداواجتهادا وتفوُّقاً ونبُوغا منقطع النّظير ، حتى المرحلة الأخيرة التى كُلِّلت بنجاح عظيم ألفت نظر رؤسائه اليه حتى وصلت إلى اللّورد « كتشنر » الذى رَغِب فى رُؤيته ، ثم التحق بمدرسة الحقوق حتى تخرّج منها فى يونيه سنة ١٩٠٠ م واشتغل بالمُحاماة إلى أوائل سنة ١٩٠٤ م ثم عُيّن قاضياً بالمحاكم الأهلية وظَلّ يخدم العَدالة نيفاً وخمسة عشر عاماً ، حتى نادَى المغفور له « سعد زغلول باشا » بوجوب المطالبة بحق مصر فى الاستقلال فانضم اليه ، وانضوى تحت لوائه ، وأخذ يسعى فى تحرير وطنه بكل اخلاص وتضحية عظيمة

وقد تقلّد « دولته » رياسة الحكومة المصرية أربع مرات

الأولى سنة ١٩٢٨ ، والثانية سنة ١٩٣٠ ، والثالثة سنة ١٩٣٦ والرابعة سنة ١٩٣٧ بعد جهاده العظيم الذى نالت فيه مصر استقلالها التام ، والغاء الامتيازات الأجنبية

هذه لمحة وجيزة من تاريخ حياة الزعيم الأمين (مُحامياً . وقاضياً . وخَطيباً .

وخصماً سياسياً . ووزيرا . ورئيسا للوزارة المصريه)

ومن خطبه المأثورة :

لا شك أنّ من يتولّى الدفاع عن حقوق الأفراد وحريتهم مدفوعا بواجب مهنته وشعور التّقديس لطائفته انما هو مسوق حتما للاشتراك فى الدفاع عن حقوق المجموع وحريات المجموع ، لأن حقوق المجموع وحريات المجموع انما هى مجموع حريات الأفراد وحقوق الأفراد

ومن حِكمه الرائعة :

(١) ليس مثلُ الصّراحة سياسةً ناجعةً فى وقت الخَطَر .

(٢) إنّ القلوبَ اذا اتّصلت لاتقوَى على فصلِها قُوّةٌ مهما فتكتْ أو بطشَت

(٣) ما كان لقوّة فى الوجود أن تَمحق آمالَ شَعب ، ولا أن تُبدِّد وَحدَة أمّة

(٤) إنّما الموتُ فى سبيل الأوطان حَياةٌ .

(٥) ليس مصير الأمم لِعبةً فى أيدى اللّاعبين ولاهو تَجربة فى أيدى المُجرِّبين

(٦) إنّ للحقّ قُوةً مَعنويةً هى من رُوح الله يَقذفُها على الباطل فتدمغه فاذاهو زاهق

(٧) مِصرُ أمّة جَديرة حقًّا بأن تكون مَصدرَ السّلطات

(٨) إنّ الأمرَ فى قضية الأُمة أمرُ الأمة وحدها لاَ كلمة لسواها ولا معوّلَ على غير رضاها .

(٩) الأُمم الحيّة لا تُغلَبُ وقد تعوّدت مصر أن تَقهرَ قاهريها ، والدَّهرُ قُلَّبٌ إنْ صفَا اليوم لشخص ففى غَدٍ يَتقلَّبُ .

(١٠) اضطهادُ الأحرار يزيدهم تمسّكا بالحرية أضعافا مضاعفة

(١١) اذا كان اعتناقُ المبدأ القويم فَضيلةً فانّ الثّبات على هذا المبدأ هو فضيلة الفضائل

(١٢) إن الأمة هى الأوّل والآخر ، وهى الأصل الذى يجب أن ترجعَ اليه كلّ الأمور

(٨) ﴿ الغازى مُصطفى باشا كمال ﴾

أشهرُ حُماة الشّرق ، وداهية أقطاب السّاسة الغازى « مُصطفى كمال باشا » المولود فى سلانيك سنة ١٢٩٨ هـ — ١٨٨٠ م . ولمّا بلغ السنة السادسة من عمره أدخله والده مدرسة ابتدائية . وما لبث أن تركها على أثر وفاة والده . ثم انتقل الى قرية مع والدته الى خاله الذى كفلَه ، وعهد اليه القيام بحراسة الحقُول والاشتغال بالزراعة مدّة فأوجست والدته خيفة من ضَياع إبّان شبابه بدون جَدوى ، وصحّت عزيمتها على إرساله الى دار جدّته فى (سلانيك) ودخل فى (المدرسة الملكية الإعدادية) غير أنه لم يُوفّق للتعلّم بها — وذلك لشغَفه بحبٍّ (المدرسة الرشدية العسكريّة) الابتدائية ، فدَخلَها وأخَذ يتبَحّر فى الرّياضيّات ، ويُناقش أستاذَهُ المدعو مصطفى بك : القائل له انّ بين اسمى واسمك اشتباهاً : فيجدرُ أن أُضيف الى اسمك لفظة « كمال » للتّمييز بيننَا وقد أتمّ الدّراسة فى هذه المدرسة العسكرية الابتدائية ، وفاق زُملاءه فى العلوم الرياضية بحيث لم يُصادف أىّ صعوبة فى امتحان المدرسة الاعدادية العسكرية الثانوية فى (مَنَاستر) وتزوّد بقِسط وافر فى اللغة الفرنساوية — وفى خلال ذلك كان يجتمع بالمرحوم الشاعر التركى المشهور (عمر ناجى بك) فارتشف من مَنهله العذب ، وتأدّب بأدبه ودرس عليه آداب اللّغة التركية ، وضرب بسهم فيها حتى صار الشعر هو المادة التى تنجذِب نفسه اليه وترتاح به ، رغم النّصائح التى كانت تلقيها عليه بعض معلّميه العسكريين بقولهم « اذا أردت أن تكون جُنديّاً حقيقياً فاترك الأدب وخيال الشّعراء » و بعد اتمامه الدراسة فى تلك المدرسة سافر الى الاستانة سنة ١٣١٩ هـ والتحق بالمدرسة الحربيّة ، وكان شغفه العظيم بعلوم الأدب ، ومزاولة الخطابة وأساليبها

فتولّد من ذلك تَوقُه إلى حُبّ الاشتغال بالسياسة ، خصوصاً وقد وقعت فى يده كتب الوطنى العظيم « نامق بك كمال » فطالعها مراراً ، ووقف على ما فيها ، وأدرك مراميها فرسخت فى عقيدته « الوطنيّة » وكان ذلك فى عهد المرحوم « السلطان عبدالحميد » الداهية العظيم ، ومع ذلك تخرّج من هذه المدرسة برُتبة « مُلازم ثان » . ولمّا انتقل إلى مدرسة أركان حرب بَدأ يتعرّف مع بعض إخوانه من الطلبة ما يكشف ادارة البلاد وسياستها من السوُّء والفساد : فكان أول مافكر فيه أن يفهّم زملاءه البالغ عددهم نحو ٥٠٠٠ طالب ، موقف البلاد الادارى والسياسى . وقد فكروا جميعاً فى تأسيس جريدة تكون لسان حالهم ، وقد أخذ على عاتقه تحرير الكثير من مقالاتها وأبحاثها غير أن « إسماعيل باشا » مفتش المدارس وقف على حركتهم ثم وَشَى بهم إلى السلطان وقال لجلالته ان ناظر المدرسة « رضاباشا » هو المسئول عن حركة الطلبة فاستدعاه السلطان فأقنعه بعدم وجود حركة سياسيّة — واستمرّ مع رفاقه على اصدار جريدتهم حتى آخر سنى مدرسة أركان حرب . وبعدها خرج من المدرسة برتبة « يوزباشى » فى أركان الحرب العامّة واستأجر لنفسه مكانا خاصاً فى « بك أوغلى » رَغبةً فى استئناف العمل وعقدَ الاجتماعات ، وأصدر القرارات لصالح الوطن ، ولكن لم تمض مُدّة وجيزة حتى اعتُقِلَ بِضْعَةَ أشهُر ، ثم أُطلقَ سَراحُه وأَصَرَّ على اشتغاله بالسيّاسة حتى نَفَتهُ الحكومة إلى ولاية الشّام للخدمة فى الجيش — وقد أسّس هناك « جَمعيّة الحُريّة » وأسّس لها فروعاً فى بيروت ويافا والقُدس ، وفى كل مدينة حَلّ فيها ونزل بها — ولمّا كان انتشارُ مبادىء الجمعيّة غيرَ مُمكن فى تلك المُدُن عزَم على السفر إلى « مقدُونيا » حيث هناك الأرض صالحة لبذر تلك المبادىء ، والعمل على انمائها وانباتها نباتاً حَسنا ، وأطلع جمعيّته على رأيه ، وعلى ذلك سَعى أفرادُها وتمكّن من

إصدار إذن يَستطيعُ به السفّر فى بَادِىء الأمر إلى « أزمير » وعلى أثر ذلك أرسل رسالة خاصّة إلى (شكرى باشا) المعروف هناك بوطنيته الحارّة ، وطلب منه مساعَدته ولما شدّ الرحال إلى مقدُونيا وركب البحر غيَّر وجهته إلى مصر ، ومنها إلى بلاد اليونان ثم إلى سلانيك رغبة فى إخفاء أغراضه عن أعين الجواسيس . وقد أسّس فى مدينة سلانيك فرعاً عاماً للجمعيّة وما كادت حكومة الاستانة تتلقّى تقرير الجواسيس عن أعماله حتى سافَر الى (يافا) وعلى إثر ذلك ظهرت مسألة العقبة فاستصدرت جمعيّة الحريّة أمراً بتعيينه على الحدود المصريَّة

وقد مكث فى سوريا ثلاثة أعوام ، ثم طلب من الحكومة نقله إلى مقدونيا ، فقوبل طلبه بالقبول ، وعلم بعد وصوله إلى سلانيك أن جمعيَّة الحريَّة غيّرت اسمها باسم جمعيَّة «الاتحاد والترقّى» وماوافى اعلان الدستور حتى برز الى ميادين السياسة بفضل اعلانه جميع الأحرار

ولما نشبت الثورة الرجعيَّة فى الاستانة سنة ١٩٠٩ م : أخمدها واستتبَّ الأمن ثم تعيّن بمُهمّة الاصلاح على ولاية طرابلس

وكان كثيراً ما يكتب لاصلاح شأن الجيش ، فكان ذلك من الأسباب الجوهريَّة التى بعثت بعض القواد القدماء على حقدهم عليه ، وكان جزاؤه تعيينه قائداً للألاى الثلاثين ، فجاء هذا التعيين على عكس غرضهم الأساسى ، إذ أفسح له مجالا واسعاً لالقاء بعض المحاضرات الفنيَّة ، وشرح أساليب الخطط الحربية للضبّاط والقواد – ثم بعد ذلك دعته حكومة الاستانة ، وعيّنته ضمن أركان الحرب العامّة فيها ، وقام بصحبة المرحوم شوكت باشا بالحركات الحربيَّة لاخماد الثورة فى بلاد ألبانيا

وقد ذهب متنكرا الى مصر على أثر اعلان الحرب الايطاليَّة سنة ١٩١١ م :

وسافر منها الى بنغازى . ثم عاد إلى الاستانة بعد نشوب الحرب بين الترك والبلغار، وتعيّن رئيساً لأركان الحرب ، ثم عاد إلى الاستانة ، وتعيّن مُلْحقاً عسكرياً فى سفارة « صوفيا » عاصمة بلغاريا ، ومكث هناك مُدة سنة كاملة

ولما نشبت الحرب العامّة سنة ١٩١٤ م تعيّن قائداً للفرقة السادسة عشر فى (تكفورطاغ) ثم تعيّن قائداً لفيلق ديار بكر ، و بعدها تولى قيادة الجيوش ، وعُيّن بعد ذلك قائداً للقوات الحجازيّة ، ثم عاد إلى ديار بكر ، ومنها عاد إلى الاستانة وأخذ القيادة على عاتقه ، وحصل بينه و بين كبار القواد الالمانيين مناقشات أدّت الى استقالته ، وسافر من الاستانة مع «ولى العهد» الى ألمانيا ، وفيها تقابل مع القائِدين العظيمين (هند نبورج ـ ولودندرف)

وقد صحّت عزيمته على ترك الاستانة والتّوغّل فى داخليّة البلاد ، وقد بذل جهده فى العمل على انقاذ الوطن خاصة والشرق عامة : و بينما كان مشتغلا بتهيئة الاسباب لذلك اذ تلقّى أمراً بتعيينه قائداً ومفتشا لجيش « الصّاعقة » مع ضرورة ذهابه به إلى الأناضول ، فتقبّل ذلك بالسرور العظيم . وقام إلى الأناضول وهو حاصل على رتبة القائد والمفتش معاً لذلك الجيش ، وكان ذلك من أهم العوامل الفعّالة للوصول إلى تحقيق انقاذ الوطن . ولما شعرت الحكومة بخطائها استدعته فى الحال الى الاستانة فرفض واستقال ، وسعى فى جمع نُوّاب الأمّة فى الأناضول ، وقد افتتح المجلس الوطنى الكبير يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٠ م : وأخذ فى مباشرة الاعمال والقيام بواجب البلاد وكان شغله الشاغل (كيف تُمثّل ارادة الامّة أحسن تمثيل ؟ ؟)

وقد تَمّ له مَا أراد ، ففاز بالنّصر والسّداد ، ووفّقه الله إلى ما فيه صلاح العباد

وقد اجتمع بين يديه إمارة السّيف والقلم ـ وخُطبُه أشهر من أن تُذكر

ومن أقواله فى حُبّ الوطن العزيز

إنّ وطننا العزيز لا يَموتُ ولَن يَموت . واذا فرَضْنَا المُحال وسلّمنا بموته (لا قدّر الله) فكاهِلُ الكُرة الأرضيّة لن يَستطيعَ حَملَ تابوته الجسيم .

نَعمْ يَسقُط مُهشّما ، مُقطّع الأوصَال ، مادام فَرد منّا يتَنسَّم نَسيمَ الحياة

ومن آرائه فى تعليم المرأة

تعليمُ المرأة « أمّ الوطن » وتَثقيفُ عقلها بالعلوم الدِّينيّة ، والمعارف الأهليّة من أهمّ ما ترمى اليه نهضتُنا العلميّة الوطنيّة

ومن وصفه للفلّاح :

سَيّد تركيَا : بل سيّد العَالَم الحقيقى (الفلّاح) لِأنه هو العُنصُر الأول فى تكوين عناصر الأمة وكيانها . والوطَنُ بدونه لاشَىء ، بل الوطنُ هُو . فيتعيّن أن نَعتَنِىَ به عِناية خَاصّة ، وأنْ نضعَ قبل كل شىء سعادته نُصْبَ أعيُنِنَا

﴿ شعراء العصر الحاضر ﴾

(١) ﴿ محمود سامى البارودى ﴾

هو ربّ السَّيف والقَلم ، أميرُ الشّعراء ، وشاعرُ الأمرَاء « محمود سَامِى باشا بن حسن حُسنِى بك البَارُودِى » أحد زُعماء الثّورة العرابية ، وأشعر الشعراء المتأخرين بالديار المصرية ـ وُلد سنة ١٢٥٥ هـ وتأدّبَ ، وأُدخِلَ المدرسة الحربية وما زال يترقّى حتى وَلاّهُ المرحوم الخديوى توفيق باشا نظارتى الحربية والأوقاف . ثم وُلّى رياسة مجلس النّظار قُبيل الثّورة العرابية . فلما اضطرمت نيران الثورة أرغمه زعماؤها على اصطلاء نارها ، فخبّ فيها ووَضَعَ . وحُكِم عليه بعد انقضائها بالنفى إلى جزيرة (سيَلان) حتى عُمِى ، وشفع فيه فأذِن له بالقدُوم الى مصر بعد مُضىّ ١٧ سنة من

منفاه، وبقى فى منزله يشتغل بالأدب إلى أن مات سنة ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م ومن قوله

والدهرُ كالبحر لا ينفكّ ذا كدَر ... وانّما صفوُه بينَ الورى لُمَعُ
لو كان للمرءِ فكرٌ فى عواقبه ... مَا شَان أخلاقَه حرصٌ ولا طمعُ
وكيف يدرك مافى الغيب من حدث ... مَن لم يزل بغرور العيش ينخدعُ
دهرٌ يغرّ وآمالٌ تسرّ وأعـ ... ـمارٌ تمرّ وأيامٌ لها خدَعُ
يسعَى الفتى لأمور قد تضرُّ به ... وليس يعلم ما يأتى وما يدَعُ
يأيها السَّادر المزورُّ من صلَف ... مهلاً فانك بالأيام منخدعُ
دَعْ ما يُريب وخُذْ فيما خُلقت لهُ ... لعلَّ قلبك بالإيمان ينتفعُ
انَّ الحياة لثوبٌ سوف تخلَعُه ... وكلّ ثوبٍ إذا ما رثَّ ينخلعُ

ومن قوله فى الحماسة والفخر « وهو آخر ما قاله »

أنا مَصدرُ الكَلِمِ البَوادِى ... بينَ المَحاضِر والنَّوادِى
أنَا فارسٌ أنا شاعرٌ ... فى كلّ ملحَمة ونَادِى
فاذَا ركبتُ فإننّى ... زَيْدُ الفَوارس فى الجِلادِ
وإذَا نَطقْتُ فإننى ... قُسُّ بنُ ساعِدة الإيادِى

وقال يصف هَرَمى الجيزة وأبا الهَوْل

سَلِ الجيزةَ الفيْحَاء عن هَرَمىْ مِصْرِ ... لَعَلّك تَدرِى غيْبَ ما لم تَكُنْ تَدرِى
بِنَاءَانِ رَدَّا صَوْلَةَ الدَّهْرِ عنهما ... ومِنْ عَجَبٍ أن يَغْلِبَا صَوْلَةَ الدَّهْرِ
أقاما على رَغمِ الخُطوبِ لِيشْهَدَا ... لبانيهما بينَ البريَّة بالفَخْرِ
فكَمْ أُممٍ فى الدَّهْرِ بَادتْ وأعْصرٍ ... خلَتْ وهما أعْجُوبةُ العينِ والفكْرِ
تلوحُ لآثارِ العقُولِ عليهما ... أساطيرُ لا تنفكّ تُتْلَى الى الحَشْرِ

رُموزٌ لو استَطلَعْتَ مكنونَ سِرّها ... لَأبصرتَ مَجموعَ الخلائق فى سَطْرِ
فما مِنْ بِناءٍ كان أو هو كائنٌ ... يُدانيهما عِندَ التّأمُّلِ والخُبْرِ
يُقصِّرُ حُسْناً عنهما صَرْحُ بابلٍ ... وَيعترفُ الإيوانُ (١) بالعجزِ والبَهرِ
كأنَّهما ثَدْيانِ فاضا بدِرَّةٍ ... من النّيل تَروِى غُلَّةَ الأرضِ إذ تجرى
وبينهما بَلْهِيبُ (٢) فى زِىّ رَابضٍ ... أكبَّ عَلَى الكفَّينِ منه الى الصَّدرِ
يُقلِّبُ نحوَ الشّرقِ نظرةَ وَامقٍ ... كأنّ له شَوْقاً الى مَطلَعِ الفَجْرِ
مَصانِعُ فيها لِلعلُوم غَوامضٌ ... تَدُلُّ عَلى انَّ ابنَ آدمَ ذو قَدْرِ
رسَا أصلُها ، وامتدَّ فى الجوِّ فَرْعُها ... فأصبَحَ وَكْراً لِلسِّماكَينِ (٣) والنِّسْرِ (٤)

(٢) ﴿ أحمد شوقى بك المتوفى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م ﴾

أشهر شعراء العربية فى العصر الحاضر ، وأقدرهم على التّصوّرات البديعية شاعر النيل المرحوم أحمدشوقى بك بن أحمد شوقى بك المولود بمصر سنة ١٢٨٥ هـ سنة ١٨٦٨م

شعره - ينظم بين أصحابه ، فيكون معهم وليس معهم ، وينظم حين يشاء ، وحيث يشاء ، لا يُجهد فكره ، ولا يكدّه فى معنى أو فى مبنى . فأما المعنى فيجيئه على مرامه أو على أبعد من مرامه ، ولا ينضب عنده ، لأنه يَستخلصه من عقلٍ فوّار الذّكاء ومعارف جامعة الى أفانين الآداب ، فى لغات الافرنج والأعراب ، فلسفة الحقوق وحقائق التاريخ ، وغرائب السير التى يحفظ منها غير يسير ، إلى مُشاركات علميّة وتنبيهات فنية ، استفادها من مطالعته فى صنوف الكتب ، واتخذها عن ملاحظاته

(١) هو ايوان كسرى كان بهوا عظيما فى قصره بالمدائن وسقفه أزج معقود وبه سمى قصر الابيض (٢) اسم لابى الهول عرف به صدر الاسلام . ولعل أبا الهول محرف عنه (٣) السماك كان نجمان نيران فى السماء أحدهما السماك الرامح والثانى السماك الاعزل (٤) النسر كوكبان : الواقع والطائر - وفى النسر تورية

ومسموعاته ، فى جولاته بين بلاد الشرق والغرب ـ وأما المبنى فله فيه أذواق متعددة بتعدُّد مقامات القول : ترى فيه من نسج البُحترى ومن صياغة (أبى تمّام) ومن وثبات (المُتنبى) ومن مُفاجآت (الشّريف) ومن مُسلسلات (مِهيار)

ومن قوله : يصف هَيكل أنَس الوجُود

أيّها المُنْتَحِي (بأسوانَ) دَاراً ... كالثُّريّا تُريدُ أن تَنقضّا
إخلع النّعلَ واخفِض الطَّرفَ واخشعْ ... لا تُحاوِلْ من آيةِ الدّهر غَمْضَا
قف بتلك (القصور) فى اليَمِّ غَرْقَى ... مُمسِكاً بعضُها من الذعر بعضَا
كعذارى أخْفَيْنَ فى الماءِ بَضّاً (١) ... سابحاتٍ به وأبدينَ بَضّا
مُشرفاتٍ على الزّوالِ وكانت ... مُشرقاتٍ على الكواكبِ نهْضَا
شابَ من حولها الزمانُ وشابتْ ... وشبابُ الفنُونِ ما زال غَضّا
رُبّ « نَقْشٍ » كأنّما نفَض الصّا ... نعُ منه اليدَيْن بالأمسِ نَفْضَا
و « دهان » كلامعِ الزّيتِ مرّتْ ... أعْصُرٌ بالسّراج والزيت وَضّا (٢)
و (خُطوطٍ) كأنها هُدْبُ ريمٍ (٣) ... حَسُنتْ صِنعةً وطُولاً وعرضَا
و « ضَحايا » تَكاد تَمشِى وترعَى ... لو أصابتْ من قُدرةِ الله نَبضَا
و « مَحاريبَ » كالبُروج بَنَتْها ... عَزَماتٌ من عَزْمةِ الجِنّ أمْضَى (٤)
شَيّدَتْ بعضهَا الفراعينُ زُلْفَى (٥) ... وبَنى البعضَ أجنبٌ يَترضَّى (٦)
و « مقاصيرَ » أُبدِلتْ بفُتات المسكِ تُرباً وباليواقيت قضّا (٧)
حَظّها اليومَ هَدّةٌ وقديماً ... صرّفتْ فى الحظوظِ رَفعاً وخَفْضَا

---

(١) بضا ، البض : الرخص الجسد (٢) وضا : وضاء (٣) ريم : غزال (٤) أمضى : أحد
(٥) زلفى : تقربا (٦) يترضى : يطلب الرضا (٧) قضا : حصى

سقَتْ العالَمين بالسعْد والنحْـــس الى أن تعاطت النَّحْسَ مَحضَا (١)
صَنعةٌ تُدهِش العُقول وفنٌّ كان إتقانهُ على القومِ فَرْضَا
يا قُصوراً نَظرتُها وهى تقضى (٢) فَسكبتُ الدُّموع والحقُّ يُقضَى
أنت سَطرٌ ومجدُ مصر كِتابٌ كيفَ سامَ البلى كتابك فضّا ؟
وأنا المُحْتَفِي بتاريخ مصر مَن يَصُنْ مجدَ قومِه صانَ عِرْضا
رُبَّ سرٍّ بجَانبيْكِ مزالٍ كان حتى على « الفَراعين » غمْضَا
قُلْ لَها فى الدّعاء لو كان يُجدى ياسماءَ الجلالِ لا صِرتِ أَرْضَا
حارَ « فيك » المُهندسون عقولاً وتولّتْ عزائمُ العِلم مَرْضَى
أين ملكٌ حيالَها وفريدٌ من نظام النّعيم أصْبَحَ فَضَّا (٣)
أينَ « فرعونُ » فى المواكب تَتْرَى يركضُ المالكين كالخيل رَكْضَا
ساق للفتح فى الممالك عَرْضاً وجلاَ للفَخارِ فى السِّلم عَرْضا
أين « إيزيسُ » تحتَها النيلُ يُجْرى حكمتْ فيهِ شاطِئَيْن وعَرْضا
أسْدَلَ الطّرفَ كاهنٌ ومليكٌ فى ثراها وأرسلَ الرأسَ خَفْضَا
يُعرَضُ المالكون أسْرَى عليها فى قيودِ الهَوانِ عانينَ جَرْضَى (٤)
مالها أصبحتْ بغير مُجيرٍ تَشتكى من نوائبِ الدهرِ عضّا
هى فى الأسر بين صخرٍ وبحر مَلَكَةٌ فى السّجون فوقَ حَضُوضَى (٥)
أين « هوروس » بين سَيفٍ ونطع أبهذا فى شَرعهم كان يُقضى ؟
ليتَ شِعْرى قَضى شهيدَ غَرامٍ أم رَماهُ الوشاةُ حِقداً وبُغْضا

---

(١) محضا خالصا (٢) تقضى تفنى (٣) قضا : مفضوض (٤) جرضى : مغمومين
(٥) حضوضى : جبل فى البحر

رُبَّ ضَرْبٍ من سَوْطِ فرعون مَضَّ (١) دُون فِعل الفِراق بالنّفسِ مَضَّا
وهلاكٍ بسيفه وهو فانٍ دُن سَيف من اللّواحظ يُنضَى (٢)
قَتلوهُ فهل لِذاك حَديثٌ أين رَاوى الحديث نَثراً وقَرضَا
يا إمامَ الشّعوب بالأمس واليو م ستُعطَى من الثّناء فتَرضى
(مصرُ) بالنّازلين من ساح مَعْنٍ (٣) وحِمَى الجود حاتم الجود أفْضَى
كُنْ ظَهيراً (٤) لأهلها ونصيراً وابْذُل النّصحَ بعد ذلك محْضَا
قل لقومٍ على (الولايات) أيقا ظٍ إذا ذاقت البريّةُ غمْضَا
شِيمةُ (النيل) أن يَفِي وعجيبٌ أحرجُوه فَضيّع العهدَ نَقْضَا
حَاشَهُ (٥) الماء فهو صَيْدٌ كريمٍ لَيتَ بالنّيل يوم يسقط غَيْضَا (٦)
شيَّدوا المال، والعلومُ قليلٌ أنقذُوه بالمال والعلم نَقْضَا (٧)

وقال أيضا فى استنهاض هِمَم العُمّال من قصيدة

أيُّها العُمَّالُ أفنو العُمـــرَ كَدًّا واكتِسابَا
واعمُرُوا الأرضَ فلولا سعيُكم أمستْ يبَابَا (٨)
أتقنُوا الصنعةَ حتى أخذوا الخُلدَ اغتصابا
إنّ للمُتقن عند اللـــه والنـــاس ثوابا
أتقِنوا يُحببْكمُ اللـــه ويرفعكُم جنـابا
أرضِيتمْ أن تُرَى مصـــر من الفنِّ خرابا ؟

(١) مض : موجع (٢) ينضى : يسل (٣) معن : هو معن بن زائدة أحد كرماء العرب (٤) ظهيرا : نصيرا (٥) حاشه : من حاش الصيد : أحرجه فى كل مكان (٦) غيضا : من غاض الماء غيضا : نقص أو غار فذهب فى الارض (٧) نقضا : النقض ما انتقض من البناء : أى انتكث (٨) اليباب الخراب

بعدَ ما كانتْ سماءً للصنـــاعاتِ وغابَا
أيّها الغادونَ كالنحـــلِ ارتيـاداً وطِلابَا
فى بكور الطّير للرز قِ مجيئاً وذهـابا
أطلبوا الحقَّ برفقٍ واجعلوا الواجب دَابا
واستقيموا يفتح اللـــهُ لكمْ بابا فبابا
اهجروا الخمرَ تطيعوا اللـــهَ أو تُرضُو الكتابا
إنها رِجْسٌ فطُوبَى لامرىءٍ كفَّ وتَابا
تُرْعِشُ الأيدى ومن يرْ عشْ من الصنَّاع خابا
إنما العاقلُ من يجـــعَلُ للدهر حسابا

وقال أيضاً فى وصف الصحافة من قصيدة

لكلّ زمانٍ مضى آيةٌ وآيةُ هـذا الزّمانِ الصُّحُفْ
لسانُ البلادِ ونَبْضُ العبا دِ، وكهفُ الحقوق، وحربُ الجَنَفْ (١)
تسيرُ مسيرَ الضُّحَى فى البلا دِ، إذا العِلْمُ مزَّق فيها السَّدَف (٢)
وتمشى تُعَلِّمُ فى أمـــةٍ كثيرة من لا يَخُطّ الألِفْ!
فيافِتيةَ الصُّحْفِ صبراً إذا نبا الرزقُ فيها بِكم واختلف
فإن السعادةَ غيرُ الظهو رِ، وغيرُ الثَّراء، وغيرُ التَّرف
ولكنها فى نواحى الضميـــر إذا هو باللؤْم لم يُكتنَفْ
خذوا القصدَ واقتنِعوا بالكفا ف وخلوا الفُضُولَ يَغُلُّها السَّرف (٣)

(١) الجنف الحيف (٢) السدف الظلام (٣) الفضول فضلات المال الزائدة عن الحاجة. وغالها السرف يغولها أتى عليها

ورومُوا النُّبوغَ فمن ناله تلقَّى من الحظِّ أسنى التُّحَف
وما الرّزق مجتنِبٌ حرفةً إذا الحظُّ لم يهجُر المحترف
إذا آخت الجوهرىَّ الحظو ظُ كفلنَ اليتيمَ له فى الصَّدَف (٢)
وإن أعرضتْ عنه لم يحلُ فى عُيونِ الخرائد (٣) غيرُ الخزف

(٣) ﴿ المرحوم محمد حافظ بك ابراهيم المتوفى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م ﴾

هو الشاعر الكبير المرحوم محمد حافظ بن ابراهيم أفندى فهمى المولود سنة ١٢٨٨هـ

يقول الشعر فى كل مكان يتفق له فيه أن يخلو بنفسه ، ويتعب فى قرض قريضه تعب النَّحات الماهر فى استخراج مثال جميل من حجره

يُؤثرُ الجزالة على الرِّقة ، وله فيها آيات ، يطرق الموضوع فى الغالب من جوهره وربَما نظم أكثر الأبيات قبل المطلع ، شأن الصانع القدير الذى يبدأ بأصعب مابين يديه ، آمناً أن تهن عزيمته دون الإجادة بعد ذلك ، عالماً أن الكلام لابدَّ أن يأتيه فى أى مقام طبعاً ولو بعد حين

حاضر المحفوظ من أفصح أساليب العرب ، ينسج على منوالها ، ويتخيّر نفائس مفرداتها ، وأعلاق حلاها . لَهُ غرام باللفظ لا يقلّ عن الغرام بالمعنى . وفى أقصى ضميره يؤثر البيت المجاد لفظاً على المجاد معنى . فاذا فاته الابتكار حيناً فى التّصور لم يفته الابتكار حيناً فى التصوير ، أولع بالاجتماعيات فقال فيها وأجاد ماشاء

فهو على الجملة أحد الثلاثة الذين هم نجوم الأدب العربى فى مصر لهذا العصر ولكل من تلك النجوم منزلته ، وإضاءته وأثره الخالد

أما شعره فشعر البيان ، وان من البيان لسحراً - ومن شعره الاجتماعى قوله

---

(٤) اليتم اللؤلؤ المنقطع النظير (٥) الخرائد العذارى

كم ذا يُكابد عاشقٌ ويُلاقى ... فى حُبِّ مصرَ كثيرةِ العُشَّاقِ
إنى لأحملُ فى هواكِ صبابةً ... يامصرُ ، قد خرجتِ عن الأطواقِ
لهفى عليكِ ! متى أراكِ طليقةً ... يحمى كريمَ حماكِ شعبٌ راقِ
كَلِفٌ بمحمود الخلالِ ، مُتيَّمٌ ... بالبذلِ بين يديكِ والإنفاقِ
إنى لَتُطربنى الخِلالُ كريمةً ... طَرَبَ الغريبِ بأوبةٍ وتلاقِ
ويهزُّنى ذكرُ المروءةِ والنَّدى ... بين الشمائلِ هزَّةَ المُشتاقِ
ما البابليَّةُ فى صفاءِ مزاجها ... والشَّربُ بين تنافُس وسباق
والشمس تبدو فى الكؤوسِ وتختفى ... والبدرُ يشرُق من جبين السّاقى
بألذّ من خُلُقٍ كريم طاهر ... قد مازجتهُ سلامـة الأذواقِ
فاذا رُزِقتَ خليقة محمودة ... فقد اصطفاكَ مُقسِّمُ الأرزاقِ
فالناسُ هـذا حظُّهُ مالٌ ، وذا ... علمٌ وذاك مكارمُ الاخلاقِ
والمـالُ إن لم تدَّخِرْهُ محصَّنا ... بالعـلم كان نهايةَ الإملاقِ
والعلمُ ان لم تـكتنفهُ شمائلٌ ... تُعليهِ كان مَطِيَّةَ الإخفاقِ
لا تحسبنَّ العلمَ ينفعُ وحدهُ ... ما لم يُتوِّج ربَّهُ بخلاقِ
مَنْ لى بتربية النساءِ فإنّها ... فى الشرق علّةُ ذلك الإخفاقِ
ألام مدرسةٌ إذا أعددتَها ... أعددتَ شَعبا طيّب الأعراقِ
الأم روضٌ إن تعهّدهُ الحيا ... بالرّىّ ، أورقَ أيّما إيراقِ
الأمُّ أستاذُ الأساتذةِ الأُلى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاقِ
أنا لا أقولُ : دعوا النساءَ سوافراً ... بين الرجال يجُلنَ فى الأسواقِ
يدرُجْنَ حيث أردنَ ، لا من وازعٍ ... يحذرْنَ رقبتهُ ، ولا من واقِ

يفعلنَ أفعالَ الرجال لواهياً عن واجبات نواعسِ الأحداق
فى دورهن شؤونهنّ كثيرة كشؤون ربّ السيفِ والمزراق
كلاّ ، ولا أدعوكمُ أن تُسرِفوا فى الحجْبِ والتّضييق والإرهاق
ليستْ نساؤكمُ حُلًى وجواهراً خوْفَ الضّياع تُصانُ فى الأحقاق
ليست نساؤكمُ أثاثاً يُقتنَى فى الدورِ بين مخادعٍ وطباقِ
تتشكّلُ الأزمانُ فى أدوارها دُوَلاً ، وهنّ على الجمود بواق
فتوسّطوا فى الحالتين ، وأنصفوا فالشرُّ فى التّقييد والإطلاق
ربّوا البنات على الفضيلةِ ، إنّها فى الموقفَين لهنّ خير وثاقِ
وعليكمُ أن تستبينَ بناتُكم نُورَ الهدى وعلى الحياءِ الباقى

(٤) ﴿ المرحوم اسماعيل باشا صبرى المتوفى سنة ١٩٢٣ م ﴾

هو أحدُ شعراء الطبقة الأولى فى هذا العصر — و يمتاز بجمال مقطعاته ، وعذوبة أسلوبه الى مالا يُجاريه فيه مُجار

وأكثر ماينظم فلخطرة تخطر على باله ، من مثل حادثة يشهدها . أو خبر ذى بال يسمعه ، أو كتاب يطالعه — ينظم المعنى الذى يعرض له فى بيتين عادة إلى أربعة إلى ستة ، وقلّما يزيد على هذا القدر إلا حيث يقصد قصيدة — وهو شديد النّقد لشعره ، كثير التبديل والتحويل فيه ، حتى إذا استقام على ما يريده ذوقه من رِقّة اللفظ ، وفصاحة الاسلوب أهمله ثم نسيه — ولد بالقاهرة سنة ١٨٥٤ م وتوفى سنة ١٩٢٣ م ومن قوله يصف الاهرام

لا القومُ قومِى ولا الأعوانُ أعوانى إذا وَنَى يوم تحصيل العُلى وان
ولستُ إنْ لم تُؤَيّدْنِى فراعنةٌ منكم بفرعونَ عالى العرش والشّان

ولستُ جبّارَ ذا الوادِي إذا سلمَت ... جبالهُ تلك من غاراتِ أعوانى

لا تقربوا النيلَ إن لم تعملوا عملاً ... فماؤهُ العذبُ لم يُخلَقْ لكسلانِ

ردُوا المجرّة كدًّا دون مَورده ... أو فاطلُبوا غيرَهُ ريًّا لظمآنِ

وابنُوا كما بَنتِ الأجيالُ قبلكُم ... لا تتركوا بَعدَكم فخراً لإنسانِ

أمرتُكم ، فأطيعوا أمرَ ربّكم ... لا يَثْنِ مُستمِعا عن طاعةٍ ثانِ

فالمُلكُ أمرٌ وطاعاتٌ تسابقُهُ ... جنباً لجنب الى غايات إحسانِ

لا تتركوا مُستحيلاً فى استحالته ... حتى يُميطَ لكم عن وجه إمكانِ

مقالة قد هَوَت من عرشِ قائلها ... على مَنَاكِبِ أبطال وشُجعانِ

مادتْ لها الأرضُ من ذُعرٍ ودانَ لها ... ما فى المُقطَّمِ من صخر وصوّانِ

لو غير فرعون ألقاها على ملأ ... فى غيرِ مصر لعُدَّتْ حُلمَ يقظانِ

لكنّ فرعونَ إن نادَى بها جَبَلاً ... لبَّتْ حجارتُهُ فى قَبضةِ البانى

وآزرتْهُ جماهيرٌ تَسيلُ بها ... بِطاحُ وادٍ بماضى العزمِ ملآنِ

يَبنون ما تقفُ الأجيالُ حائرة ... أمامهُ بينَ إعجاب وإذعانِ

من كل ما لم يلِد فكر ولافتُحَت ... على نظائره فى الكون عينانِ

ويُشبهون إذا طاروا إلى عملَ ... جِنًّا يَطيرُ بأمرٍ من سُليمانِ

برّا بذى الأمر لا خوفاً ولا طمعاً ... لكنّهم خُلقوا طُلّابَ إتقانِ

أهرامُهم تلك ، حىّ الفنّ متّخذاً ... من الصُّخور بروجاً فوق كيوانِ

قد مرَّ دهر عليها ، وهى ساخِرة ... بما يُضعضِعُ من صَرحٍ وإيوانِ

لم يأخذِ اللّيلُ منها والنهارُ سوى ... ما يأخذُ النملُ من أركان ثهلانِ

كأنّها والعوادى فى جوانبها ... صَرعَى بناءِ شياطينٍ لشيطانِ

جاءت إليها وفود الأرض قاطبة ... تسعى اشتياقاً إلى ما خلّد الفنى

فصغّرت كل موجودٍ ضخامتها ... وغضّ بنيانها من كلّ بُنيانِ

وعاد مُنكرُ فضلِ القوم مُعترفاً ... يُثنى على القوم فى سرٍّ و إعلان

تلك الهيا كلُ فى الأمصار شاهدةٌ ... بأنهم أهلُ سبقٍ ، أهلُ إمعان

وأنّ فرعونَ فى حولٍ ومقدرة ... وقومَ فرعون فى الإقدام كُفآنِ

اذا أقام عليهم شاهداً حجرٌ ... فى هيكل قامتْ الأخرى ببرُهان

كأنما هى والأقوام خاشعةٌ ... أمامها صحفٌ من عالَمٍ ثانِ

تَستقبلُ العينَ فى أثنائها صُوَرٌ ... فصيحةالرّمزدارتْ حولَ جُدرانِ

لو أنها أُعطيَتْ صوتاً لكانَ لهُ ... صَدَى يُروِّع صُمَّ الإنس والجانِ

أين الالى سَجَّلُوا فى الصّخر سيرتَهم ... وَصغَّرُوا كلّ ذى مُلْك وسلطان

بادُوا ، و بادت على آثارهم دُولٌ ... وأُدرجُوا طىَّ أخبار وأكفانِ

(٥) ﴿ خليل بك مُطران ﴾

هو شاعر الشُّعور والخيال . وشاعر بَعلبك والأهرام . ولد سنة ١٨٧١م : ببعلبك وتعلّم بها ، ثم قدم مصر سنة ١٨٩٣ م : واشتغل بمكاتبة الصّحف ، وأنشأ باسمه « المجلة المصرية » سنة ١٨٩٩ م : وأنشأ أيضاً (جريدة الجوائب المصرية) وله ديوانه المسمّى (ديوان الخليل)

شعره — مجمعُ الصُّور ، ومَلعبُ الخيَال . ونفسه كالصَّحيفة الحسَّاسة ، ينطبع عليها كل ما يمرُّ بها . بل الغصن الرطب يميل به كلّ نسيم ، بل وجه البُحيرة الصافى يحركه كل ريح

ومن قَصيدة له يَصف ضرب الاسطول الايطالى سواحل الشّام و يستنهض الهمم

بلادِى لا يزالُ هَواكِ منّى ... كما كان الهوَى قبلَ الفِطامِ
أُقبّلُ منكِ حيثُ رَمى الأعادِى ... رُغاماً طاهراً دُون الرّغامِ
وأفدِى كلّ جُلمُود فَتيتِ ... وَهىَ بقنَابل القومِ اللّثَامِ
لحَى الله المطامعَ حيثُ حلّت ... فتلك أشدُّ آفات السّلامِ
تَشوبُ الماء وهو أغرُّ صافٍ ... وتَمشِى فى المشارب بالسّقامِ
أقول : وقد أفاقَ الشّرقُ ذُعراً ... من الحال الشّبيهة بالمنَامِ
عـلى صَخَب المدَافع فى حِماهُ ... وَرقص الموت بينَ طَلًى وهَامِ
أقول : بصوته لِحُماة دَار ... رماهَا من بُناة الغرب رَامِ
أُباةَ الضّيم من عَرَب وتُرك ... نُسورَ الشّمّ آسادَ الموامِى
قُرومَ العصر فِرساناً ورَجْلاً ... نُجومَ الكَرّ من خَلف اللّثامِ
بنَا مَرض النّعيم فنسمّونا ... وَغَى يشفى من الصّفو العُقام
بنَا بَردُ المكوثِ فأدفئُونَا ... بِحُمّى الوَثْبِ حيث الخَطْبُ حَامِ
بنَا عطلُ السّماع فَشنّفونا ... بِقَعقعة الحديد لَدى الصّدامِ
على هذا الرّجاء ونحنُ فيـه ... نَسيرُ مُوفّقين الى الأمَامِ

وقال أيضاً فى « نابليون » وهو يَرقُبُ السّماء فى آخر أيّامه

قالوا لنَابليونَ ذَات عَشيّة ... إذْ كان يَرقُبُ فى السّماء الأنجُمَا
هَل بعدَ فَتح الأرضِ مِن أُمْنِيّة ... فأجَابَ أنظرُ كيف أفتتحُ السّما؟

﴿ أبواب الشعر العربى ـ الباب الأول فى المديح ﴾

(قال أُميّة بن أبى الصّلت المتوفى فى أوّل ظهور الإسلام حامداً شاكراً الاءَه)

لَكَ الحمدُ والنّعماءُ والمُلْكُ رَبّنا ... فلا شَىءَ أعلَى منكَ مَجداً وأمجدُ

مَليكٌ على عَرش السّماءِ مُهيمِنٌ لعِزّتهِ تَعنُو الوُجُوهُ وتَسجُدُ
فَسُبحانَ مَن لا يَعرفُ الخلقُ قَدرَه ومَنْ هُو فوقَ العرْش فَردٌ مُوحَّدُ
هُوالله بَارى الخلقِ والخلقُ كلّهمْ إمَاءٌ له طَوعاً جَميعاً وأعبُدُ
مليكُ السَّمواتِ الشّدَاد وأرضِها يَدومُ ويَبقى والخَليقَةُ تَنْفَدُ

(وقال أيضاً فى الكونيات وذكر الفناء وما يلقاه الناس بعد ذلك)

إلَهُ العَالَمِينَ وكلِّ أرضٍ وربُّ الرَّاسِيَات من الجبَالِ
بَنَاها وابتنَى سَبْعاً شِدَاداً بِلاَ عَمَدٍ يُرَيْنَ ولا رجالِ
وسَوَّاها وَزيَّنها بنُور من الشّمس المُضِيئةِ والهلالِ
ومن شهُبٍ تَلأْلأ فى دُجاها مرَامِيهَا أَشَدُّ من النِّصالِ
وشَقَّ الأرضَ فَانْبَجَسَتْ عيُوناً وأنهاراً من العَذْب الزُّلالِ
وبارك فى نواحيها وَزَكَّى بها ما كان مِن حَرْثٍ ومَالِ
فكُلُّ مُعَمَّرٍ لا بُدَّ يوماً وذى دُنيا يَصِيرُ إلى زَوَالِ
وَيفْنَى بعدَ جِدَّتهِ وَيبلَى سوَى الباقى المُقدّسِ ذى الجلالِ
وسِيقَ المُجرِمُون وهم عُراة الى ذات المقَامع والنَّكالِ
فَنادَوْا ويلَنا وَيلاً طويلاً وعَجُّوا فى سَلاسِلها الطِّوالِ
فليسُوا مَيِّتينَ فَيستريحُوا وكلّهمُ بحَرِّ النّار صَالِى
وحَلّ المتّقون بدَار صِدْق وعيشٍ ناعِمٍ تحتَ الظلاَلِ
لهم ما يَشتهُون وَما تَمنَّوْا من الأفراح فيها والكمالِ

(وقال محمود سامى البارودى باشا مادحاً سيد الامة من قصيدة كشف الغُمَّة)

«محمدٌ» خَاتَم الرُّسْل الّذى خَضَعَت له البَرِّيَّة من عُرب ومن عَجَمِ

سَمِيرُ وَحْيٍ ومَجْنَى حِكمةٍ وندى ... سَماحةٌ وقِرَى عافٍ وريٌّ ظَمِ
قد أبلغَ الوحىُ عنه قبل بِعثته ... مسامِعَ الرُّسْلِ قولاً غير مُنكتِمِ
فذاك دَعوةُ إبراهيمَ (١) خالقهُ ... وسِرُّ مَا قاله عِيسَى (٢) من القِدَمِ
أكرِمْ به وبآباءٍ مُحجّلةٍ ... جاءت به غُرّةً فى الأعصُرِ الدُّهُمِ
قد كان فى مَلكوت الله مُدّخراً ... لدعوَة كان فيها صاحبَ العَلَمِ
نُورٌ تنقَّل فى الأكوان ساطعُه ... تنقُّلَ البدرِ من صُلبٍ إلى رَحِمِ

(وقال أحمد بك شوقى مادحاً أفضل الخلق على الاطلاق من قصيدة نهج البُردة)

«مُحمدٌ» صفوةُ البارِى ورَحمتُه ... وبُغيةُ اللهِ من خلقٍ ومن نَسَمِ
وصاحبُ الحوض يومَ الرُّسْلُ سائلةٌ ... مَتى الوُرُودُ؟ وجبريلُ الأمينُ ظُمِى
سَناؤه وسَناه الشّمس طالعةٌ ... فالجرمُ فى فلكٍ والضوءُ فى عَلَمِ
قد أخطأ النَّجمُ ماناَلت أُبُوّته ... من سُؤددٍ باذخٍ فى مَظهرٍ سَنِمِ
نُمُوا اليه فزادُوا فى الورَى شَرفاً ... ورُبَّ أصلٍ لِفرعٍ فى الفَخارِ نُمِى
حَواه فى سُبُحات الطُّهْرِ قبلهمُ ... نُورانِ قامَا مقامَ الصُّلب والرَّحِمِ
لمّا رآه بُحَيرَا قال نَعرِفهُ ... بما حفِظنا من الأسماء والسِّيَمِ

(وقال أبو تمّام مادحاً المعتضد بالله)

إلى قُطبِ الدُّنيا الذى لو بفضله ... مَدَحتُ بَنى الدُّنيا كفتهم فَضائلُه
منَ البأسِ والمعروفِ والجُودِ والتُّقَى ... عيالٌ عليهِ رِزقهنَّ شمائلُه
هو البَحرُ من أىّ النّواحى أتيتَه ... فلُجّتُهُ المعرُوفُ والجودُ ساحلُه

(١) يشير الى قوله تعالى (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) (٢) يشير الى قوله جل ذكره (ومبشراً برسول يأتى من بعد اسمه أحمد)

تَعوّد بَسطَ الكفّ حتى لَوَ انّهُ ثَناها لقبضٍ لم تُطعْهُ أناملُه
ولو لم يكن فى كفْه غير رُوحه لَجَادَ بها فليتَّق اللهَ سائلُه

﴿ وقال مادحاً المعتصم بالله أبا اسحق محمد بن هارون الرشيد من قصيدة ﴾

أَلسَّيفُ أصدَقُ أنباءً من الكُتُبِ فى حَدِّهِ الْحَدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ
بِيض الصَّفَائِح لاسُود الصَّحَائف فى مُتُونِهِنّ جَلَاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ
فتحٌ تَفَتَّحُ أبوابُ السّماءِ له وَتبرُزُ الأرضُ فى أثوابهَا القُشُبِ
غادَرتَ فيهَا بَهيمَ اللّيل وهوضُحًى يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبحٌ من اللّهَبِ
حتى كأنّ جَلابيبَ الدُّجى رَغِبَتْ عَن لَوْنِها أوكانّ الشّمسَ لم تَغِبِ
أَجَبْتَهُ مُعْلِناً بالسّيف مُنْصَلِتاً ولَو أجبتَ بغير السَّيف لم تُجِبِ
خَليفةَ الله جَازَى اللهُ سَعْيَك عَن جُرْثومة الدِّين والإِسلام والحَسَبِ
إِنْ كانَ بينَ صروفِ الدّهر من رحِمٍ مَوصُولةٍ أو ذِمَامٍ غيرِ مُنْقضِبِ
فَبينَ أيّامِك اللّاتِى نُصِرْتَ بهَا وبين أيامِ بَدْرٍ أقربُ النّسبِ

﴿ وقال أبو العَلَاء المَعرِّى ﴾

اليكَ تَناهَى كلُّ فخرٍ وسُؤْدَدٍ فأبْلِ اللّيالى والأنامَ وَجدِّدِ
لِجَدِّك كان المجدُ ثم حَوَيتَه ولا بنك يُبنى منه أشرَفُ مَقْعَدِ
ثلاثةُ أيامٍ هِيَ الدّهرُ كلّه وماهُنّ غير الأمسِ واليومِ والغَدِ
وما البدرُ إلا واحدٌ غيرَ أنه يَغيبُ ويأتى بالضِّياء المُجَدّدِ
فلاتَحسِبِ الأقمارَ خَلْقاً كثيرةً فجُملتُها مِنْ نَيّرٍ مُتَرَدّدِ
وللحَسَن الحسْنَى وان جادَ غيرُه فذلك جُودٌ ليس بالمتعَمّدِ

﴿ وقال أبو الطَّيِّب المتنبى مادحاً سيف الدولة ﴾

ضَاقَ الزمانُ ووجهُ الأرض عن مَلك ... مِلْءِ الزمان وملْءِ السهل والجبل
فنحنُ فى جذَل والرُّوم فى وَجَل ... والبَرُّ فى شُغل والبحرُ فى خَجَل
ليتَ المدائح تَسْتوْفى مناقبَه ... فما كُليبٌ وأهلُ الأعصُر الأُول
خُذْ ما تراه ودَعْ شيئاً سمِعتَ به ... فى طَلعة البدر ما يُغنيك عن زُحل
وقد وَجدت مكانَ القول ذا سعَةٍ ... فانْ وجَدتَ لساناً قائلاً فقُل
إنّ الإمامَ الذى فخرُ الأنام به ... خيرُ السُّيوف بكفِّى خيْرةِ الدُّوَل
تُمسِى الامانِىُّ صرعَى دُون مَبلَغِه ... فما يقولُ لشىءٍ ليتَ ذَلك لى

﴿ وقال أيضا يمدح أبا شُجاع ﴾

لاخَيلَ عندَك تُهديها ولا مالُ ... فليُسْعِد النُّطْقُ ان لم تُسْعِد الحالُ
واجزْ الاميرَ الذى نُعْماه فاجئةٌ ... بغير قوْلٍ ونُعمى النّاس أقوالُ
فرُبما جزَت الإحسانَ مُوليه ... خَريدةٌ من عذَارى الحَىّ مِكْسالُ
وان تكن مُحْكمات الشّكل تَمنعُنِى ... ظهور جرْى فلى فيهنّ تَصْهالُ
وما شَكرْتُ لأنّ المالَ فرّحنى ... سيّان عندىَ إكثارٌ وإقلالُ
لكن رأيتُ قبيحاً أن يُجادَلَنا ... واننّا بقضاء الحقّ بخّالُ
فكنتُ مُنْبتَ رَوضِ الحزن باكرَه ... غيثٌ بغير سِباخ الأرض هطّالُ
غَيثٌ يُبيّن للنُّظار مَوْقعُهُ ... أنّ الغيوثَ بما تأتيه جُهّالُ
لا يُدْرِك المجدَ الا سيّدٌ فطنٌ ... لِمَا يَشُقُّ على السّادات فعّالُ
لا وارثٌ جهلتْ يُمناهُ ماوَهَبَتْ ... ولا كَسوبٌ بغير السّيف سَئّالُ
قال الزمانُ له قوْلاً فافْهمَه ... إنّ الزّمان على الإمساك عذّالُ

تَدرِى القناةُ إذا اهتزّت براحته ... أنّ الشّقىّ بها خيلٌ وأبطالُ
كفاتِكٍ ـ ودُخول الكاف منقصةٌ ... كالشّمس قلتُ وما للشمس أمثالُ
القائدُ الأسْد غذّتها براثنُهُ ... بمثلها من عِداهُ وهى أشبالُ

وقال أيضا يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه قلعة الحدث سنة ٣٤٣ هـ

على قدْر أهل العزْم تأتِى العزائمُ ... وتأتِى على قدْر الكِرام المكارمُ
وتعظُم فى عين الصّغير صِغارُها ... وتَصغُر فى عين العظيم العظائمُ
يكلّفُ سيفُ الدّوْلة الجيش همّهُ ... وقد عجزَت عنه الجيُوش الخضارِم
ويطلب عند النّاس ما عند نفسه ... وذلك ما لا تدّعيه الضّراغمُ
يُفدِّى أتمّ الطّير عُمْراً سِلاحهُ ... نسُورُ الفلا أحداثها والقشاعِم
وما ضرّها خلْقٌ بغير مخالب ... وقد خُلقتْ أسيافه والقوائم
هل الحدث الحمراء تعرف لوْنها ... وتعلم أىُّ السّاقيينِ الغمائم
سقتها الغمام الغرُّ قبل نزُوله ... فلمّا دنا منها سقتها الجماجمُ
بناها فأعلى والقنا تقرَع القنا ... وموْجُ المنايا حوْلها متلاطِمُ
وكان بها مثلُ الجنون فأصبحت ... ومن جثث القتلى عليها تمائم
طريدة دهر ساقها فردَدْتها ... على الدِّين بالخطّىّ والدهر راغم
تُبيدُ الليالى كلّ شىء أخذتَه ... وهُنّ لما يأخذْنَ منك غوارم
وكيف ترَجّى الرُّوم والرُّوس هدْمَها ... وذا الطعنُ آساسٌ لها ودعائم

(وقال جرير يمدح عبد الملك بن مروان)

تَعزّتْ أمُّ حزْرَةَ ثمّ قالت ... رأيت الوَاردِينَ ذوِى امتْناحِ
ثِقى بالله ليسَ له شَريكٌ ... ومِنْ عِنْدَ الخَليفة بالنّجاحِ

سَأشكرُ إنْ رَدَدْتَ عَلَىّ ريْشِى وأنْبَتّ القَوَادمَ فى جَنَاحِى
ألَستمْ خيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وأنْدَى الْعالَمينَ بُطونَ راحِ

(وقال أيضاً يمدح عمر بن عبد العزيز و يستعطفه)

كمْ باليمَامةِ منْ شَعْثَاء أرْمَلَةٍ ومِنْ يَتيمٍ ضَعيفِ الصّوْتِ والنّظَرِ
مِمّنْ يَعُدُّكَ تَكْفِى فَقْد وَالِدِهِ كالْفرْخ فى العُشِّ لم يَنْهَضْ ولم يَطِرِ
يَدْعُوك دَعْوَةَ مَلهوفٍ كأنَّ بهِ خَبْلاً من الجِنّ أو مَسًّا من البشَر
إنّا لنَرْجُو إذا ما الغَيثُ أخْلَفَنا مِنَ الخَلِيفةِ ما نَرجُو مِن المطَرِ
أتَى الخلافةَ أو كانَتْ لَهُ قَدَراً كما أتَى رَبّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ
هٰذِى الأَرَامِلُ قَدْقضَّيْتَ حاجَتَها فمَنْ لحَاجةِ هذا الأرمل الذَّكَرِ ؟

(وقال أيضاً يمدحه)

يَعُودُ الفضْلُ مِنْكَ علَى قُرَيْشٍ وتُفرِجُ عَنهمُ الكُرَبَ الشِّدَادَا
وقد أمَّنْتَ وَحْشَهُمُ برِفْق ويُعْيِى النّاسَ وَحْشُك أن يُصادَا
وتَدْعُو الله مُجْتَهداً لِيَرْضى وتَذْكرُ فى رَعيّتِكَ المَعَادَا
وما كعْبُ بنُ مَامَةَ وٱبْنُ سُعْدَى بأجْوَدَ مِنك يا عُمَرُ الجَوَادَا

(رقال الثّعالبى المُتوفّى سنة ٤٢٩ هـ مادحاً الأمير أبا الفضْل المِيكَالِى)

لكَ فى الْمفَاخِرِ مُعجِزَاتٌ جَمَّةٌ أبداً لِغيرك فى الْورَى لم تُجمَعِ
بَحران بَحرٌ فى البَلاغة شَابَهُ شِعرُ الْوَليدِ وحُسْنُ لَفظِ الأصمَعى
وتَرسُّل الصَّابى يَزينُ عُلُوَّه خَط بن مُقْلَةَ ذُو المَحَلِّ الأَرْفعِ
كالنُّور أو كالسِّحرِ أو كالبدْرِ أو كالوَشْى فى بُرْدٍ عليه مُوَشَّعِ
شكراً فكَم من فِقْرَةٍ لك كالغِنَى وَافَى الكريمَ بُعيْدَ فَقْرٍ مُدْقعِ

وإذَا تَفَتَّقَ نَوْرُ شعرك نَاضِراً فالحُسْنُ بين مُرصَّع ومُصَرَّعِ
أَرْجَلْتَ فرسَانَ الكلام ورُضْتَ أفْـــرَاسَ البَديع وأنت أمجَدُ مُبدِعِ
ونَقَشْتَ فى فُصِّ الزمان بَدَائعاً تُزْرِى بآثارِ الرّبيع المُمْرِعِ

(وقال أبو محمد اليمنى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ ـ يمدح الملك الفائز ووزيره الصّالح

أَقْسَمتُ بالفَائزِ المعصومِ مُعْتقِداً فَوْزَ النَّجاةِ وأَجرَ البِرِّ فى القَسَمِ
لَقد حَمَى الدِّينَ والدُّنيَا وأَهلَهُما وزيرُهُ الصَّالحُ الفرّاجُ للغُمَمِ
اللاَّبِسُ المجدِ لم تَنْسُجْ غلائِلَهُ إلاّ يدُ الصّانِعَيْنِ السّيفِ والقَلَمِ
قد مَلَّكَتْهُ العَوالى رِقَّ مملكَةٍ تُعِيرُ أنْفَ الثريّا عِزّةَ الشَّمَمِ
أَرَى مَقاماً عظيمَ الشّأن أوهَمنِى فى يَقَظَتِى أنّه من جُملة الحُلُمِ
لَيْتَ الكواكِبَ تَدْنُو لِى فأَنْظِمَها عُقُودَ مَدْحٍ فما أرْضى لكُمْ كلِمى
خَليفَةٌ ووزيرٌ مَدَّ عَدْلُهما ظِلاًّ على مَفْرِقِ الإِسْلامِ والأُمَمِ
زيادَةُ النِّيلِ نَقْصٌ عند فَيضِهِمَا فما عَسَى يَتَعَاطَى هاطِلُ الدِّيَمَ

﴿وقال المرحوم محمد حافظ بك ابراهيم يمدحُ المرحوم الشيخ محمد عبده ويهنئه﴾

رَأيتُك والأَبصارُ حَولك خُشّع فقلتُ أبو حَفص ببُرْدَيكَ أم عَلِى
وخَضْتُ من حُزنى على مَجْدِ أُمّة تَدَاركتْها والخطْبُ للخَطب يَعتلِى
طلعْتَ بها باليُمن من خَيرِ مَطْلَع وكُنتَ لها فى الفَوْزِ قِدْحَ ابن مُقبِلِ
وجَرّدتَ لِلفُتْيَا حُسَامَ عَزِيمة بحدَّيْهِ آياتُ الكِتاب المُنزَلِ
محوْتَ به فى الدّين كلّ ضَلاَلة وأثبتّ ما أثْبَتَّ غيرَ مُضَلّلِ
لئنْ ظَفِرَ الافتاءُ منك بفاضلٍ لَقد ظَفِرَ الإِسلامُ منك بأَفضلِ

﴿ الباب الثانى فى الفخر والحماسة ﴾

(قال السّموءل بن عادياء المتوفى سنة ٦٢ قبل الهجرة)

إذَا المرءُ لمْ يَدْنَسْ من اللُّؤمِ عِرْضُهُ ... فكلُّ رِداءٍ يَرْتَديهِ جَميلُ (١)

وإنْ هُوَ لمْ يَحْمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمَها ... فَليسَ إلى حُسْنِ الثَّناءِ سَبِيلُ (٢)

تعيِّرُنا أنّا قليلٌ عَديدُنَا ... فَقُلْتُ لها إنّ الكِرَامَ قَليلُ (٣)

وما قَلَّ مَنْ كانَتْ بَقَاياهُ مِثلَنا ... شَبابٌ تَسَامَى للعُلا وَكُهُولُ (٤)

وَما ضَرّنَا أنّا قَليلٌ وَجارُنا ... عزيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذَليلُ (٥)

لنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ ... مَنيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وهوَ كليلُ (٦)

رَسَا أَصْلُهُ تَحتَ الثرَى وَسَمَا بِهِ ... إلى النَّجْمِ فَرْعٌ لايُنَالُ طَويلُ (٧)

هُوَ الأبْلَقُ الفَرْدُ الذى شاعَ ذِكْرُه ... يَعِزُّ على مَنْ رَامَهُ وَيطولُ (٨)

وَإنّا لقَومٌ لا نرَى القَتْلَ سُبَّةً ... إذَا مَا رَأَتْهُ عامِرٌ وَسَلولُ (٩)

---

(١) اللؤم اسم جامع للخصال المذمومة — والمعنى ان الانسان اذا لم يتدنس باكتساب اللؤم واعتياده فأى ملبس يلبسه بعد ذلك كان جميلا (٢) وان هو لم يحمل الى آخر البيت — اى من لم يصبر النفس على مكارهها فلا سبيل الى اكتساب حسن الثناء وليس معنى الضيم ضيم الغير لهم لانهم يأنفون من ذلك ويعدونه تذللا (٣) يقال عيرته كذا وعيرته بكذا والاول المختار — والمعنى أنها انكرت مناقلة عددنا فعدته عاراً فأجبتها ان الكرام قليلون

(٤) الشباب جمع شاب كالشبان وقوله تسامى أراد تتسامى فحذف احدى التاءين والكهول جمع كهل ضد الشبان (٥) وما ضرنا يجوز فى ما ان تكون نافية والمعنى لم يضرنا ويجوز أن تكون استفهامية على طريق التقرير والمعنى اى شىء ضرنا (٦) قيل انه اراد بذكر الجبل العز والسمو — وقيل ان هذا الجبل هو حصن السموءل الذى يقال له الابلق الفرد بناه أبوه أو سيدنا سليمان عليه السلام — يعنى من دخل فى جوارنا امتنع على طلابه (٧) رسا أصله الى آخر البيت يريد به أنه اثبت جبل فى الارض وأعلى طود عليها (٨) الابلق الفرد الذى شاع ذكره هو حصن السموءل بناه أبوه وقيل سليمان عليه السلام بأرض تيماء وقصدته الزباء فعجزت عنه وعن مارد فقالت تمرد مارد وعز الابلق (٩) السبة العار ، وعامر وسلول قبيلتان — يقول اذا حسب هؤلاء القتل عاراً عده عشيرتى فخرا

يُقَرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لَنَا وتَكرَهُهُ آجالُهُمْ فَتَطولُ (١)
وما مَاتَ منّا سيِّدٌ حَتْفَ أنفِهِ ولا طُلَّ منّا حيثُ كانَ قتيلُ (٢)
تَسيلُ على حدِّ الظُّبَاتِ نُفوسُنا وليستْ على غيرِ الظُّبَاتِ تَسيلُ (٣)
صَفَوْنا فلم نَكْدُرْ وأخلَصَ سِرُّنَا إناثٌ أطَابتْ حَملَنا وفُحولُ (٤)
علَوْنا إلى خيرِ الظُّهورِ وحَطَّنا لوَقْتٍ إلى خيرِ البُطونِ نزُولُ (٥)
فنَحنُ كَمَاءِ المُزْنِ ما فى نِصابِنا كَهَامٌ ولا فينَا يُعَدُّ بَخيلُ (٦)
ونُنكِرُ إنْ شِئْنا على النّاسِ قَولَهم ولا يُنكِرُونَ القولَ حينَ نَقُولُ (٧)
إذا سَيِّدٌ منّا خَلَا قامَ سيِّدٌ قَؤُولٌ لما قالَ الكِرَامُ فَعولُ (٨)
وما أُخمِدَتْ نارٌ لنَا دُونَ طارقٍ ولا ذَمَّنا فى النّازلينَ نزيلُ (٩)
وأيّامُنا مَشْهُورَةٌ فى عَدُوِّنا لها غُرَرٌ مَعلُومَةٌ وَحُجُولُ (١٠)

---

(١) يقرب الى آخر البيت يشير به الى انهم يغتبطون لاقتحامهم المنايا وان عامرا وسلولا يعمرون لمجانبتهم الشر كراهة للموت وحبا للحياة (٢) يقال مات فلان حتف انفه اذا مات من غير قتل ولا ضرب ـ قيل ان أول من تكلم بقولهم حتف أنفه النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعنى البيت انا لا نموت ولكن نقتل ، ودم القتيل منا لا يذهب هدرا (٣) الظبات جمع ظبة وهى حد السيف قيل اراد بالظبات السيوف كلها فأضاف الحد اليها أى انهم لشجاعتهم وشرفهم لا يقتلون الا بالسيوف ، ولا يقتلون بالعصى ولا بالحجارة كما يقتل رعاع الناس (٤) المراد بالسر هنا الاصل الجيد — ومعنى ذلك صفت أنسابنا فلم يشبها كدر (٥) علونا الى آخر البيت يشير به الى صريح نسبهم وخلوصه مما يحط بشرفهم (٦) كماء المزن يريد بذلك تشبيه صفاء انسابهم بصفاء المطر والنصاب الاصل ومنه نصاب السكين والكهام الكليل الحد يقول نحن كماء المزن وكل منا ناقذ ماض ولا فينا بخيل فيعد (٧) ولا ينكرون الى آخر البيت معناه انهم لشدة بأسهم وحماستهم تخشاهم الناس فلا ينكرون عليهم
(٨) يعنى ان السيادة مستقرة فينا حتى إذا خلا منا سيد خلفه سيد يقول ما تقول الكرام ويفعل ما تفعله (٩) وما اخمدت نار لنا يشير بذلك الى أنهم لكثرة كرمهم يديمون إيقاد نار الضيافة ولا يطفؤنها دون طارق ليل وانهم يثنى عليهم كل نزيل (١٠) الحجول جمع حجل وهو الخلخال يقول وقعاتنا مشهورة فى اعدائنا فهى بين الايام كالأفراس الغر المحجلة بين الخيل .

وأسيافُنا فى كلّ شَرْقٍ ومَغْرِب ... بهامنْ قِرَاع الدَّارِعينَ فُلولُ (١)
مُعوّدَةٌ ألاَّ تُسَلَّ نِصالُها ... فتُغْمَدَ حتى يُستَباحَ قبيلُ (٢)
سَلِى إنْ جَهلْتِ الناس عنّا وعنهمُ ... فَليسَ سَوَاءً عالمٌ وجَهولُ (٣)
فإنّ بَنى الدَّيّان قُطْبٌ لقَوْمِهمْ ... تَدُورُ رَحاهُم حَوْلَهمْ وتَجولُ (٤)

﴿وقال عنترة العبسى المتوفى سنة ٧ قبل الهجرة﴾

لَعمرُك إنّ المجد والفخر والعُلاَ ... ونَيلَ الأمانى وارتفاعَ المراتبِ
لَمنْ يلتقى أبطالَها وسَراتَها ... بقلبٍ صبورٍ عند وَقْعِ المضارِب
وَيبنى بحدّ السَّيف مجداً مشيّداً ... على فَلَكِ العَلياء فوق الكواكب
ومَنْ لم يُرَوِّ رُمحَهُ من دَمِ العِدا ... اذا اشتبكتْ سُمْرُ القَنابالقَواضب
ويُعطى القَنا الخَطّى فى الحرب حقَّهُ ... ويَبْرى بحدّ السّيف عرض المَناكب
يعيشُ كما عاش الذّليل بغُصَّة ... وإن مات لايُجرى دُموع النّوادب
فضائلُ عزمٍ لا تُباعُ لضارعٍ ... وأسرارُ حزمٍ لا تُذَاع لعائب
بَرزتُ بها دهراً على كل حادث ... ولا كُحْلَ إلامِنْ غُبارالكتائب
إذا كذَبَ البرْقُ اللّمُوعُ لشائمٍ ... فبرْقٌ حُسامى صادقٌ غيرُ كاذب

---

(١) القراع بكسر القاف المقارعة والمضاربة والدارعين اصحاب الدروع يقول :أسيافنا فى كل مكان تفللت اى تكسرت مما تضارب بها الاعداء والفلول جمع فل وهو الكسر (٢) القبيل الجماعة من آباء شتى وجمعه قبل والقبيلة الجماعة من أب واحد وجمعها قبائل يقول عودت اسيافنا أن لاتجرد من اغمادها فترد فيها الا أن يستباح بها قبيل وفى رواية قتيل (٣) عنا وعنهم ويروى عنا فتخبرى معناه ان كنت جاهلة بنا فسلى الناس تخبرى بحالنا فالعالم والجاهل مختلفان (٤) القطب الحديد المغروس فى الطبق الاسفل من الرحا يدور عليه الطبق الا على منها والمعنى ان امر قبيلهم لايستقيم ولا يتم الا بهم مثل الرحا لايتم امرها الا بالقطب

﴿ وقال أيضاً فى الحماسة والفخر ﴾

سَكتُّ فغرَّ أعدائى السّكوتُ ... وظَنّونى لأهلى قد نَسيتُ
وكيف أنامُ عن سَاداتِ قوْمٍ ... أنَا فى فَضْلِ نِعمتِهم رُبيتُ
وإن دارت بهم خيلُ الأعادِى ... ونادَوْنى أجبتُ متى دُعيتُ
بسَيفٍ حَدُّهُ مَوْجُ المَنايَا ... ورُمحٍ صَدْرُه الحَتْفُ المُميتُ
خُلِقتُ من الحديد أشدَّ قلباً ... وقد بَلِىَ الحديدُ وما بَليتُ
وإنى قد شَرِبْتُ دَمَ الأعادِى ... بأقحافِ الرُّؤوس وما رَوِيتُ
وفى الحرب العَوَان وُلدتُ طفلاً ... ومن لَبن المعَامع قد سُقيتُ
فما للرُّمحِ فى جسمى نَصيبٌ ... ولا للسَّيف فى أعضَاى قُوتُ
ولى بَيتٌ علاَ فَلَكَ الثُّريا ... تَخِرُّ لعُظْم هَيبتِهِ البُيوتُ

﴿ وقال أيضاً فى الحماسة والفخر يوم المصانع ﴾

إذَا كشَفَ الزّمانُ لك القِنَاعَا ... ومَدَّ إليك صَرْفُ الدّهر بَاعَا
فلا تَخشَ المنيَّة والتَقِيهَا ... ودَافِعْ ما استَطعت لها دفاعَا
ولا تَخْتَرْ فِراشاً من حرير ... ولا تَبْك المنَازلَ والبِقَاعا
وحَوْلك نِسوة يَندُبْن حُزْناً ... ويَهْتِكْن البَراقعَ واللِّفَاعَا
يَقول لك الطّبيبُ دَواكَ عِندى ... اذَا مَا جسَّ كفّك والذِّرَاعا
ولو عرَف الطَّبيبُ دَواءَ داءٍ ... يَرُدُّ الموْتَ ما قاسى النِّزَاعَا
وفى يوْم المصَانع قد تَركْنا ... لَنا بفعالِنا خَبراً مُشاعَا
أقَمنَا بالذّوابل سُوقَ حَرْب ... وصَيَّرْنا النفوسَ لهَا مَتَاعَا
حِصانى كان دَلاَّل المَنايا ... فخاضَ غِمَارَها وشَرَى وبَاعا

وسيفى كان فى الهيجا طبيباً يداوى رأس من يشكو الصداعا
أنا العبدُ الذى خُبِّرْتَ عنه وقد عاينتنى فدعِ السماعا
ولو أرسلتُ رُمحى مع جبان لكان بهيبتى يلقى السباعا
ملأتُ الأرضَ خوفاً من حسامى وخصمى لم يجدْ فيها اتساعا
إذا الأبطال فرَّت خوف بأسى ترى الأقطارَ باعاً أو ذراعا

﴿ وقال أيضاً فى الفخر والحماسة ﴾

أعادِى صرفَ دهرٍ لا يُعادَى وأحتملُ القطيعةَ والبعادَا
وأُظهرُ نُصحَ قومٍ ضيَّعونى وإنْ خانت قلوبُهمُ الودادَا
أُعلِّل بالمُنَى قلباً عليلاً وبالصبر الجميل وإنْ تمادَى
تُعيِّرنى العِدا بسواد جلدى وبيضُ خصائلى تمحو السوادَا
ورَدْتُ الحربَ والأبطالُ حولى تهزّ أكفُّها السُّمْرَ الصِّعادا
وخُضتُ بمُهجتى بحر المنايا ونار الحرْب تتّقِد اتّقادَا
وعُدْتُ مُخضّباً بدم الأعادى وكَرْبُ الرّكض قد خضبَ الجوادا
وسيفى مُرْهفُ الحدّين ماضٍ تقدُّ شِفارُه الصَّخرَ الجمادَا
ورُمحى ما طعنتُ به طعيناً فعاد بعينه نَظرَ الرّشادا
ولولاَ صارمى وسِنان رُمحى لَمَا رفعتْ بنو عبس عِمادا

﴿ وقال يتوعّد النعمان بن المُنذر ملك العرب ويفتخر بقومه ﴾

لا يحملُ الحقدَ مَن تعلُو به الرُّتبُ ولا يَنال العُلى مَن طبعُه الغضَبُ
لله دَرُّ بنى عَبْس لقد نَسَلُوا من الأكارم ماقد تَنْسِلُ العَرَبُ
قد كنتُ فيما مَضَى أرْعَى جمالَهمُ واليومَ أحمِى حِماهم كُلّما نُكِبُوا

لَئِن يَعيبُوا سَوادِى فهو لى نَسبٌ ... يومَ النِّزَال إذَا مَافاتنى النَّسبُ
إن كنتَ تعلم يا نُعمان أنَّ يدِى ... قَصيرَةٌ عنك فالأيّامُ تَنْقلِبُ
إنّ الأفاعِى وإنْ لانَتْ ملامِسُها ... عند التَّقلُّب فى أنيابِها العطبُ
أليومَ تعلَم يا نُعمان أىَّ فتَى ... يَلْقَى أخاك الذى قد غرّهُ العَصَبُ
فتى يخُوضُ غِمارَ الحربِ مُبتسماً ... ويَنْثَنِى وسِنَانُ الرُّمح مُختَضِبُ
إنْ سَلّ صارِمَهُ سالت مَضَارِبُه ... وأشرق الجوُّ وانشقّت له الحُجُبُ
والخيلُ تَشهدُ لى أنّى أُكَفْكِفُها ... والطّعنُ مثل شرار النّار يلْتَهِبُ
إذَا التقيتُ الأعَادِى يومَ معركةٍ ... تركتُ جَمعهمُ المغرورَ يُنْتَهَبُ
لِىَ النُّفوس وللطّير اللّحومُ وللـ ... ـوحشِ العِظامُ وللخيّالة السَّلَبُ
لا أبعدَ اللهُ عن عَينى غَطارِفةً ... إنْساً إذا نَزلُوا جِنًّا إذَا رَكِبُوا
أُسودُ غابٍ ولكن لا نُيوبَ لهم ... إلاّ الأسِنّةُ والهنديّةُ القُضُبُ
تَعدُو بهم أعْوَجِيّاتٌ مُضمَّرةٌ ... مثل السَّراحِين فى أعناقها القَبَبُ
مازلتُ ألقى صدورَ الخيل مُندَفِقاً ... بالطَّعن حتى يَضجَّ السَّرْجُ واللَّبَبُ
فالعُمْىُ لوكان فى أجْفانهم نَظَرُوا ... والخُرْسُ لوكان فى أفواههم خَطَبُوا
والنّقْع يوم طِرادِ الخيل يَشهَدُ لى ... والضّرب والطَّعن والاقلام والكُتُبُ

﴿ وقال أيضاً فى اغارته على بنى حُرَيقة ﴾

حَكِّم سُيُوفَك فى رِقاب العُذّلِ ... واذَا نَزلتَ بدَارِ ذُلٍّ فارْحَلِ
وإذَا الجبانُ نَهاكَ يومَ كَرِيهَةٍ ... خَوفاً عليك من ازْدحَام الجَحْفَلِ
فاعْصِ مَقالَتَه ولا تَحفِل بها ... واقدِم إذَا حقّ اللقَا فى الأوّل
واخْتَرْ لنفسك مَنزلاً تَعلُو به ... أوْ مُت كريماً تحتَ ظِلِّ القَسطَلِ

إنْ كُنْتُ فى عَدَدِ العبيد فهمَّتى ... فوق الثُّرَيَّا والسِّماكِ الأعزَل
أوأنكرتْ فُرسانُ عَبْسٍ نِسْبتى ... فسِنَانُ رُمحِى والحُسام يُقرِّلى
وبذَا بلى ومُهنَّدِى نِلْتُ العَلى ... لا بالقَرابة والعَديد الأجزَل
ورَميتُ رُمحى فى العَجَاج فخاضَه ... والنّار تُقْدَحُ من شِفَار الأنصُل
خَاضَ العَجَاج مُحجَّلاً حتى اذَا ... شَهِدَ الوَقيعةَ عَاد غيرَ مُحجَّل
ولقد نَكبتُ بَنى حُرَيقَةَ نكبةً ... لما طعنتُ صَميم قلبِ الأخيَل
وقَتلتُ فارسَهم رَبيعةَ عَنْوَةً ... والهِيْذُبانَ وجابرَ بنَ مُهلْهِل
لا تَسقِنى مَاءَ الحياة بذِلَّة ... بل فاسقِنى بالعِزّ كأسَ الحَنظَل
ماء الحياة بذِلَّةٍ كَجهنَّمٍ ... وجهنّمٌ بالعِزّ أطيَبُ مَنزِل

﴿ وقال هبة الله بن سَناء المُلك المتوفى سنة ٦٣٥ هـ ﴾

سِوايَ يَهابُ الموتَ أو يَرهَبُ الرّدَى ... وغَيرِىَ يَهوى أنْ يَعيشَ مُخلَّدا
ولكنَّنِى لاَ أَرهبُ الدَّهرَ إنْ سَطا ... ولا أَحذَرُ الموتَ الزُّؤَامَ إذَا عَدَا
ولو مَدَّ نَحوى حَادِثُ الدّهرِ كَفَّه ... لَحدّثتُ نفسى أن أُمدَّ له يَدَا
تَوَقُّدُ عزمِى يَترك الماءَ جَمرةً ... وحليَةَ حِلمى تَترُكُ السَّيفَ مِبرَدا
وفرطُ احتقارى للأنامِ لأنَّنِى ... أرى كلّ عارٍ من حُلَى سُؤْدَدِى سُدَا
ويأبَى إبائِى أنْ يَرانِىَ قاعِداً ... وانّى أرى كلّ البريَّة مَقعَدَا
وأظمأُ إن أبدَى لىَ الماءُ مِنَّةً ... ولو كان لِى نهرُ المَجرَّة مَوردا
ولو كان إدراكُ الهُدَى بتَذَلُّل ... رأيتُ الهدَى ألا أميلَ إلى الهُدَى
وقِدماً بغيرى أصبحَ الدّهر أشْيبَا ... وبى وبفضلى أصبحَ الدّهر أمْرَدا
وإنّك عَبدى يا زَمانُ وإنَّنى ... على الرَّغم مِنّى أنْ أُرَى لكَ سيِّدَا

وما أنا راضٍ أننّى وَاطئُ الثرى ... ولى همةٌ لا ترتضى الأُفْقَ مقعدَا
ولو علمتْ زهرُ النجوم مكانتى ... لخرَّت جميعاً نحو وجهى سُجدّا
أرى الخلق دونى إذ أرانى فوقهم ... ذكاءً وعلماً واعتلاءً وسُؤْدَدَا
وبذلُ نوالى زاد حتّى لقد غدا ... من الغيظ منهُ ساكن البحر مُزْبِدا
ولى قلمٌ فى أنملى إنْ هززتهُ ... فما ضرّنى ألاَّ أهزّ المُهنَّدا
إذا صال فوق الطِّرسِ وقْع صريره ... فإنّ صليلَ المشرفىّ له صدَى

﴿ وقال حسّان بن ثابت الأنصارى المتوفى سنة ٥٤ هـ)

لَعمرُ أبيك الخيرِ يا شعْث ما نبَا ... علىَّ لِسانى فى الخُطوب ولا يدِى
لِسانى وسيفى صارِمان كِلاهُما ... ويبلُغُ مالاَ يبلُغ السَّيفُ مِذْوَدِى
وَإنْ أكُ ذَا مَالٍ كثيرٍ أُجدْ بهِ ... وإنْ يُهتَصرْ عُودِى على الجَهْدِ يُحمَدِ
فلاَ المالُ يُنسينى حيَائِى وعِفّتى ... ولا وَاقعَاتُ الدّهر يفلُلن مِبرَدِى
وإنّى لمُعطٍ مَا وَجدْت وقائلٌ ... لِموقِدِ نَارِى لَيلة الرّيح أَوْقِدِ
وإنّى لقوّالٌ لِذِى البَثّ مَرحَباً ... وأهلاً إذا مَا جَاءَ مِن غَير مَرْصَدِ
وإنّى لَيدعُونى النَّدَى فأجيبه ... وأضرُب بيضَ العَارِض المتوقّدِ
وإنّى لَحلْوٌ تَعترِينى مَرارةٌ ... وإنى لَترّاكٌ لِمَا لَم أُعوَّدِ
وإنى لَمزْجٍ لِلمطىّ على الوَجَى ... وإنى لَترّاك الفِرَاش المُمهّدِ

وقال الفرزدق :

لَنا العِزّةُ القَعْساء (١) والعدَد الّذى ... عليه اذَا عُدّ الحَصَى يَتَخلّفُ (١)
ومِنّا الذى لا يَنْطُق النّاس عِندَه ... ولكِنْ هو المستأذَن المُتصرِّف (٢)

(١) العزة القعساء اى القوة والمنعة الشامخة الثابتة (٢) يعنى عددنا كثير ، وعدد الحصى أقل منه (٣) يعنى منا من لا يتكلم فى مجلسه الا باذنه ولا يفعل الا بأمره

تَرَاهُمْ قُعُوداً حَوْلَه وعُيونُهم مُكسّرة أبصَارُها ما تَصرّف (١)
تَرَى النّاس إنْ سِرْنا يَسيرونَ خَلْفَنا و إنْ نَحنُ أَوْمأنا الى النّاس وقّفُوا (٢)
ولا عِزّ إلاّ عِزّنا قاهرٌ لهُ ويسألُنا النَّصْفَ الذَّليلُ فَنُنصِفُ (٣)
وما قام مِنّا قائمٌ فى نَدِيِّنا فَيَنْطق إلاَّ بالّتى هى أعرَفُ (٤)

وقال وقد نزل فى بادية وأوقد ناراً فرآها ذئب فأتاه فأطعمه من زاده ، وأنشد

وأطلَسَ عَسّالٍ وما كان صَاحِباً دَعوْتُ بِنارى مَوْهِناً فأتَانِى (٥)
فلمّا دَنَا قلت ادْنُ دُونَك إنّنى وإيّاكَ فى زَادِى لمُشْتركانِ (٦)
فَبِتُّ أُقدُّ الزّاد بينى وبينَه على ضَوءِ نارٍ مَرّةً ودُخَانِ (٧)
وقلتُ لهُ لمّا تَكَشّر ضَاحِكاً وقائم سَيفى فى يَدى بمكانِ (٨)
تَعَشّ فانْ عَاهدْتنى لا تَخُونُنى نكُنْ مِثْلَ مَنْ يَاذِئب يَصْطحبَانِ (٩)
وأنتَ امرؤٌ يَاذِئبُ والغَدر كنتُما أُخيَّيْنِ كانَا أرْضِعَا بِلبَانِ (١٠)
ولوْ غَيْرَنا نَبّهتَ تَلْتمِسُ القِرى رَماك بسَهْم أوْ شَبَاةِ سِنَانِ (١١)

---

(١) يعنى ما تنظر يمنة ولا يسرة من مهابته وجلالته (٢) يعنى نحن سادة اشراف نمشى أمام الناس (٣) يعنى اذا اشرنا الى الناس ان قفوا أوقف بعضهم بعضاً طوع اشارتنا (٤) ويطلب منا الضعيف النصفة والعدل فنمكنه من ذلك (٥) الندى كغنى والنادى مجتمع القوم (٦) يعنى لاينطق الاحيث يحسن الكلام واذا نطق جاء بالقول الصادق الذى لايمكن لاحد ان ينكره (٧) الاطلس الذئب الخبيث الذى فى لونه غبرة مائلة إلى السواد ، والعسال الذى يضطرب فى عدوه ويهز رأسه (٨) الموهن الساعة الاولى بعد نصف الليل اى دعوته بسبب ايقاد النيران فى الساعة الاولى بعد نصف الليل فجاء الى (٩) اى لما جاء وقف فقلت له اقرب وخذ اشارة الى اعطائه الزاد (١٠) أقد اى اقطع والزاد الطعام ولعل طعامه كان لحماً بدليل القد (١١) لما تكشر لما ابدى اسنانه ضاحكا أى كأنه يضحك (١٢) يعنى ومقبض سيفى ثابت فى يدى (١٣) يعنى اذا لم تظهر عليك علامة الغدر بقيت معك وبقيت معى كالمصطحبين (١٤) يعنى مع انى أعرف انك والغدر متلازمان لاتفترقان ومعناه ان شيمته الغدر (١٥) تلتمس القرى تطلب الضيافة وشباة السنان حده

(وقال الشريف الرضى [1])

لِغَيرِ العُلَى مِنِّى القِلَى والتَّجنُّبُ ... ولولا العُلَى ما كنت فى الحُبِّ أرغَبُ
إذَا اللهُ لم يَعذِرْكَ فيما تَرُومه ... فما النّاسُ إلاّ عَاذِلٌ ومُؤنِّبُ
مَلكتُ بِحِلمى فُرصَةً ما استَرَقَّها ... من الدّهر مَفْتُول الذِّرَاعَينِ أغلب
لَئِنْ تكُ كفِّى مَا تَطاوَلَ بَاعُهَا ... فَلى مِن وَراء الْمَجْدِ قَلبٌ مُذَرَّبُ
فحسبِىَ أنّى فى الأَعادِى مُبَغَّضٌ ... وأنّى إلى عِزِّ المعَالى مُحبّبُ
وللحلم أوقاتٌ وللجهل مِثْلُها ... ولكنّ أوقاتِى إلى الحِلم أقربُ
يَصُولُ عَلىَّ الجاهلونَ وأعتِلَى ... ويُعجِمُ فىَّ القائلونَ وأُعرِبُ
يرَوْنَ احتمالِى غُصَّةً وَيزيدُهم ... لو اعجِ ضِغنٍ أنّنى لَستُ أغضبُ
وأُعرِضُ عن كأسِ النّدِيم كأنّها ... وَمِيضُ غَمَامٍ غائِرِ المُزْنِ خُلّبُ
وقُورٌ فلا الألحانُ تَأسِرُ عَزمِتى ... ولا تمكُرُ الصَّهبَاءُ بى حين أشربُ
ولا أعرفُ الفَحشاءَ إلا بوَصفِها ... ولا أنطِقُ العوْراءَ والقَلب مُغْضَبُ
تَحلَّمُ عن كرِّ القَوارصِ شِيمتى ... كأنّ مُعيدَ المدح بالذّم مُطنبُ
لِسَانِى حَصَاةٌ يقرَعُ الجهلَ بالحِجَا ... إذَا نَالَ مِنى العَاضِهُ المُتَوثِّبُ
ولست براضٍ أن تَمَسَّ عزَائمى ... فُضَالاتُ ما يُعطى الزّمانُ ويَسْلُبُ
غَرائبُ آدابٍ حَبَانى بحفظِها ... زَمَانى وصَرفُ الدّهرِ نِعْمَ المؤَدِّبُ

---

(١) هو ابو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الابرش الشريف الملقب بالرضى ذى الحسبين نقيب الطالبيين المولود سنة ٣٥٩ هـ وتوفى سنة ٤٠٦ هـ ثم نقل الى مشهد سيدنا الحسين عليهما السلام بكربلا ـ ودفن عند أبيه ـ ومن غرر شعره ما كتبه الى الامام ابى العباس احمد بن المقتدر

عطفاً امير المؤمنين فاننا ... فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... ابداً كلانا فى المعالى معرق
الا الخلافة ميزتك فاننى ... أنا عاطل منها وأنت مطوق

تعلَّمْ فان الجود فى النّاس فطنة تقومُ بها الأحرار والطّبع أغلبُ

(وقال العميدُ مُؤيد الدِّين الطُّغرَائى المتوفَّى سنة ٥١٣ هـ)

أَبَى اللهُ أنْ أَسمُو بغير فَضَائلى إذَا مَاسَمَا بالمَالِ كلُّ مُسوَّدِ
وإن كرُمتْ قبلى أوائلُ أُسرَتِى فانِّى بحمد اللهِ مَبدأُ سُؤْددِى
وما مَنصبٌ إلا وقدْرىَ فوْقَهُ ولوحُطَّ رحْلى بين نِسْر وفَرْقَدِ
إذَا شَرُفتْ نفسُ القَتى زَادَ قدرُه على كل أسنى منه ذِكراً وأمجَدِ
كذاك حَديدُ السيّف إن يَصفُ جوهراً فقيمتُه أضعافُه وَزْنَ عَسجَدِ
وما المالُ إلا عارةٌ مَستردّةٌ فهلاّ بفضلى كاثرونى ومِحتدِى
إذا لم يكن لى فى الولاية بَسطةٌ يطول بها باعى وتسطو بها يدى
ولا كان لى حُكمٌ مطاعٌ أُجيزه فأرْغِمُ أعدائى وأكبتُ حُسّدى
فأُعذَر إن قصَّرتُ فى حقّ مُجْتدٍ وآمَنُ أن يَعتَادنى كيدُ مُعتد
ولولا تَكاليفُ العلى ومغارمٌ ثِقالٌ وأعقاب الأحاديث فى غَدِ
لأعطيتُ نفسى فى التّخلِّى مُرَادَها فذاك مُرادى مُذ نَشأتُ ومقصدِى

﴿ وقال الفَضلُ بن العبَّاس بن عُتْبَةَ بن أبى لَهب ﴾

مَهْلا بَنِي عَمِّنَا مَهلاً مَوالينَا لاتَنبشوا بيننا ما كان مَدفُونَا
لاتطمعُوا أن تُهينُونا ونُكرمكم وأنْ نَكُفَّ الأذَى عنكم وتُؤذُونَا
مَهلاً بنى عَمِّنَا مِن نَحْت أثلَتِنا سيرُوا رُويداً كما كنتم تسيرونَا
اللهُ يَعلم أنَّا لا نُحبّكُمُ ولا نَلومكم إنْ لم تُحبُّونَا
كلٌّ له نِيَّةٌ فى بغْضِ صَاحبه بنعمة الله نَقليكم وتَقْلُونَا

﴿ وقال محمد بن عبد الله الأزدى ﴾

لأدفع ابْنَ العَمِّ يَمشِى على شَفَا ... وانْ بَلَغَتنى من أذَاه الجَنَادِعُ
ولكنْ أُوَاسِيه وأَنسَى ذُنُوبَهُ ... لِتُرجعَه يوماً إلىّ الرَّوَاجعُ
وحَسبُك مِن ذُلّ وسُوءِ صَنيعةٍ ... مُناوَاةُ ذى القُربَى وإنْ قِيلَ قاطعُ

﴿ وقال حِطّان بن المُعلّى ﴾

أنزلَنِى الدَّهرُ على حُكمِهِ ... من شَامخٍ عَالٍ إلى خفضِ
وغَالَنى الدّهر بوفر الغِنَى ... فليسَ لى مالٌ سِوى عِرضِى
أبكانِىَ الدّهرُ ويَا رُبّمَا ... أضحكَنِى الدّهرُ بما يُرضِى
لَولا بُنيَّاتٌ كزُغب القَطَا ... رُدِدْنَ من بَعضٍ الى بعضِ
لكانَ لى مُضطَربٌ واسعٌ ... فى الأرض ذات الطول والعرْضِ
وإنّما أولادُنا بيننَا ... أكبادُنا تَمشِى على الأرضِ
لو هبّت الريحُ على بَعضهم ... لامتنعتْ عَينى من الغَمْضِ

﴿ وقال أوسُ بن حَبْناء ﴾

إذَا المرءُ أولاكَ الهوَان فأوْلِهِ ... هَوَاناً وان كانت قَرِيباً أوَاصِرُهْ
فإنْ أنت لَم تَقدِرْ على أن تهينَه ... فذَرْهُ الى اليوم الذى أنت قَادِرُهْ
وقارِبْ إذا مَا لم تكن لكَ حِيلَة ... وصَمِّمْ إذَا أيقنتَ أنّك عاقِرُهْ

﴿ وقال سعد بن ناشب ﴾

تُفنّدُنِى فيمَا تَرى من شَراستِى ... وشِدّةِ نفسِى أُمُّ سعدٍ وما تَدرِى
فقلتُ لها انّ الكريم وإنْ خَلَا ... لَيُلْفَى على حالٍ أمرّ من الصّبر
وفى اللِّينِ ضَعفٌ والشّراسةِ هَيبةٌ ... ومَن لم يَهَبْ يُحملْ على مركبٍ وعرِ

وَما بى على مَن لاَن لى من فَظاظَة ... ولـكننّى فَظٌّ أَبىٌّ على القَسْر

﴿ وقال ابراهيم كُنَيْف النَّبهانى ﴾

تَعزَّ فانّ الصبَّرَ بالحُرّ أجملُ ... وليس على رَيب الزَّمان مُعوَّلُ

فلو كان يُغنى أن يُرى المرء جَازعاً ... لحادثة أو كان يُغنِى التذلُّل

لـكان التّعزّى عند كل مُصيبة ... ونَائبةٍ بالحُرّ أوْلى وأجمَلُ

فـكيفَ وكلٌّ ليس يَعدُو حِمَامَه ... ومَا لامرىءٍ عمّا قضَى الله مَرحَلُ

فانْ تـكن الأيَّامُ فينا تَبدّلت ... بِبؤْسَى ونُعمَى والحوادِثُ تفعَلُ

فمـا لَيَّنتْ مِنَّا قَنَاةً صَلِيبةً ... ولا ذلَّلتنا للّتى ليس تَجمُلُ

ولـكن رَحِلناهَا نفُوساً كريمةً ... تُحمَّلُ مَا لا يُستطاع فتَحملُ

وقَيْنا بُحْسن الصبر مِنَّا نفوسَنَا ... فَصحّت لَنَا الأعراضُ والناس هُزَّلُ

(وقال آخر)

إنْ يَحسدُونى فانّى غيرُ لائِمهم ... قَبلى مِن النّاس أهل الفَضل قد حُسِدُوا

فـدَام لى ولَهم مَابى وما بِهم ... ومَات أكثرُنَا غَيظاً بمَا يَجِدُ

أنَا الّذى يَجِدُونى فى صُدُورِهمُ ... لا أرتَقى صَدَراً منها ولا أرِدُ

(وقال سالمُ بن وابصة)

عَليكَ بالقَصْدِ فيما أنتَ فاعلُه ... إنّ التَّخلُّق يأْتى دُونه الخُلُقُ

وَموقفٍ مثلِ حدِّ السّيف قمتُ به ... أحمِى الذِّمارَ وتَرمِينى به الحَدَقُ

فما زَلِقْتُ ولا أبديتُ فاحِشَةً ... إذا الرِّجالُ على أمثالها زَلِقوا

(وقال تأبَّط شَرًّا)

إذَا المرءُ لم يَحتَلْ وقد جَدَّ جدُّهُ ... أضاعَ وقاسَى أمرَه وهو مُدْبِرُ

ولـكنْ أخُو الحزم الذى ليس نَازلاً ... به الخَطبُ إلاَّ وهو للقصدِ مُبصِرُ

(وقال حبيب بن أوس أبو تمّام الطّائى)

أنا ابنُ الذين استُرْضِعَ الجودُ فيهمُ ... وقد سَاد فيهم وهو كَهلٌ ويَافِعُ
نجومٌ طَواليعٌ جبالٌ فوارعٌ ... غُيوثٌ هَواميعٌ سُيولٌ دوافعُ
مضَوْا وكأنّ المكرُمات لَديهمُ ... لِكثرة ما أُوصُوا بهنّ شَرائعُ
فأىُّ يَدٍ فى المَحْل مُدّت فلم يكن ... لها رَاحةٌ من جُودهم وأَصَابعُ
همُ استودَعُوا المعروفَ محفوظ مالنا ... فضاعَ وما ضَاعتْ لدَينا الوَدائعُ
بَها ليلُ لو عَاينتَ فَيضَ أكُفّهم ... لأيقنتَ أنّ الرّزق فى الأرض واسعُ
إذَا خفقتْ بالبَذْل أرْوَاحُ جُودِهم ... حَدَاها النّدَى واستنشقتْها المدامعُ
رِياحٌ كريحِ العَنْبر الغَضّ فى النّدَى ... ولـكنّها يوم اللّقاءِ زَعازعُ
هى السُّمُّ ما تَنفكُّ فى كلِّ بلدةٍ ... تَسيلُ به أرْماحُهم وهو ناقعُ
أصارت لهم أرضَ العَدُوّ قطَائعاً ... نُفوسٌ لِحدِّ المُرهفات قَطائعُ
بكلّ فتًى ماشابَ مَن رَوْع وقعةٍ ... ولـكنّه قد شِبْنَ منه الوقَائعُ
إذامَا أغارُوا فاحتوَوْا مالَ مَعشرٍ ... أغارتْ عليهم فاحتوَته الصّنائعُ
فتُعطِى الذى تُعطيهم الخيلُ والقنَا ... أكفٌّ لإرث المكرُمات مَوانعُ

(وقال أبو فِراس الحَمدَانى [1] المتوفى سنة ٣٥٧ هـ)

ووالله ما قَصرْتُ فى طلَب العُلى ... ولـكنْ كأنّ الدّهرَ عَنّى غافلُ
مَواعيد آمالٍ متَى ما انتَجعتَها ... حَلَبت بَكيّاتٍ وهُنّ حوَافلُ

(١) هو الحارث بن ابى العلاء سعيد بن حمدان التغلبى ابن عم سيف الدولة وناصر الدولة توفى سنة ٣٥٧ هجرية عن عمر ٣٧ سنة وكان فرد دهره وشمس عصره ادبا وفضلا وكرما ومجداً وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة ـ فلله دره شاعراً من قبل ومن بعد وانشدوه محتضر يخاطب ابنته

تُدافِعُنى الأَيَّام عمَّا أُريده ... كما دَفع الدَّينَ الغَريمُ المُماطلُ
فمِثلىَ مَن نالَ الأعادِى بسيفه ... ويا رُبّما غالتْهُ عنها الغَوائلُ
ومالىَ لا تُمْسى وتُصبح فى يدى ... كرائم أموالِ الرّجال العقَائل
أُحَكِّمُ فى الأعدَاء عنهَا صَوارماً ... أَحكّمُها فيها إذا ضَاق نازِلُ
ومَا زال محمىُّ الحمَائل عَنْوَةً ... سِوَى ما أقلَّتْ فى الجفُون الحَمائلُ
يَنال اختيارُ الصّفْح عن كل مُذنبٍ ... له عنـدنا مالا تنالُ الوسائلُ
لنا عقبُ الأمر الذى فى صُدُوره ... تَطاولُ أعناقُ العِدَى والكواهلُ
أَصاغرُنا فى المكرُماتِ أكابرٌ ... وآخِرُنا فى المأْثُرَاتِ أَوائلُ
إذَا صُلْتُ صوْلاً لم أجِد لى مُصاوِلا ... وإن قلْتُ قولا لم أجِدْ مَن يُقاوِلُ

وقال: إنَّا إذَا اشتَدّ الزّما ... نُ ونابَ خَطْبٌ وَادْلَهمْ
أَلْفَيْتَ حوْلَ بيُوتِنا ... عُدَدَ الشّجَاعةِ والكَرَمْ
لِلِقَا العِدا بِيْضُ السُّيُو ... فِ ولِلنَّدَى حُمر النَّعَمْ
هـذا وهذا دَأبُنـا ... يُودَى دَمٌ ويُرَاقُ دَمْ

وقال: وإنِّى لَنَزَّالٌ بكلِّ مَخُوفَةٍ ... كَثِيرٌ الى نُزَّالها النَّظرُ الشّزْرُ
وإنِّى لجَرّارٌ لِكلِّ كتيبَةٍ ... مُعوَّدةٍ ألاّ يُخِلَّ بها النّصرُ
ولا رَاحَ يُطْغِينى بأثْوابهِ الغِنَى ... ولابات يَثْنِينى عنِ الكَرَم الفقْرُ
وما حاجتِى فى المال أبْغى وُفُورَهُ ... إذَا لَمْ أفْرِ عِرْضِى فلاوَفَرَ الوَفْرُ
أُسِرت وماصحْبى بعُزْلٍ لدى الوغَى ... ولا فَرَسى مُهْرٌ ولا رَبُّهُ غَمْرُ

ابنيتى لا تجزعى ... كل الانام الى ذهاب
نوحى على بحسرة ... من خلف سترك والحجاب
قولى اذا كلمتنى ... فعييت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فرا ... س لم يمتع بالشباب

ولكنْ إذا حُمّ القضاءُ على امرىءٍ فليْس له برٌّ يقيه ولا بحْرُ
وقال أُصيْحابى الفِرارُ أو الرّدَى فقلت هُما أمرانِ أحلاهما مُرُّ
ولكنَّنِى أمضِى لِمَا لا يَعيبُنى وحَسْبُكَ من أمْرين خيرُهما الأسرُ
ومنها : يَمُنُّونَ أن خلّوْا ثيابى وإنّما علىَّ ثِيابٌ مِنْ دِمائهمُ حمرُ
وَقائمُ سَيْفٍ فيهمُ دُقّ نَصْلُهُ وأعْقابُ رُمْحٍ فيهمُ حُطِّمَ الصّدْرُ
سَيذكرُنى قوْمِى اذا جَدّ جِدُّهُم وفى الليْلَة الظلْماءِ يُفتقدُ البدرُ
ولوْ سَدَّ غَيْرِى ماسَدَدْت اكتفَوا به وما كانَ يُغْنى التّبْرُ لَو نفقَ الصفْرُ
ونحْن أُناسٌ لا تَوَسُّطَ بَيْننا لنَا الصَّدْرُ دُونَ العالمينَ أو القبْرُ
أعزُّ بَنِى الدُّنْيا وأعلى ذَوِى العُلا وأكْرَم مَنْ فوق التُّرَاب ولا فَخْرُ
وقال : غَيْرى يُغيّره الفِعَال الْجافِى ويَحولُ عن شِيَمِ الكريم الْوَافِى
لا أرْتَضِى وُدًّا إذا هوَ لم يَدُمْ عند الْجَفاءِ وقِلَّة الإنْصَافِ
إنّ الغَنىَّ هوَ الْغنىُّ بِنفْسِه ولَو أنّهُ عَارِى الْمناكِبِ حَافِ
ما كُلُّ ما فَوْقَ الْبَسيطَةِ كافياً وَإذَا اقنعتَ فَبعْضُ شَىْءٍ كاف
وتَعافُ لِى طَمعَ الْحَرِيص فُتُوَّتَى وَمُرُوءتِى وقَنَاعَتى وعفَافى
وَمَكارمى عَدد النّجومِ وَمَنْزِلى مَأْوَى الكِرَامِ ومَنزِلُ الأضْيافِ
وقال : أتَدْعو كريماً مَن يَجُود بمَالِهِ ومَنْ جادَ بالنَّفسِ النّفِيسهِ أكْرَمُ
إذا لم يكُن يُنجى الفِرارُ من الرَّدى على حالةٍ فالصَّبر أرْجَى وأحْزَمُ
لَعمرى لقدْ أعذرْتَ لوأنّ مُسْعِداً وأقدَمتَ لوأنّ الكَتائبَ تُقدِمُ
وما عابَكَ ابنَ السّابقين الى العُلا تأخُّرُ أقوامٍ وأنتَ مُقدّمُ
ومالكَ لا تَلقى بمُهجتكَ القنَا وأنتَ من القومِ الذين هُمُ هُم

(وقال أبو الطّيّب المتنبّى المتوفى سنة ٣٥٤ هـ)

أُطاعِنُ خَيلاً من فَوارسها الدَّهرُ ... وحِيداً وماقَولى كذا ومَعى الصّبرُ
وأَشجعُ منّى كلّ يومٍ سَلامتى ... وما ثَبَتَتْ إلا وفى نَفسها أَمرُ
تَمرّسْت بالآفاتِ حتى تركتُها ... تقول أماتَ الموت أم ذُعِرَ الذُّعرُ
وأقدَمْت إقدامَ الأَبىّ كأنّ لى ... سِوى مُهجتى أو كان لى عندها وِترُ
ذَرِ النّفسَ تأخُذْ وُسعَها قبل بَيْنِها ... فمُفترَقٌ جارانِ دارُهما العُمرُ
ولا تحسبَنَّ المجدَ زِقّاً وقَينَة ... فما المجدُ إلا السّيفُ والفَتْكةُ البِكْرُ
وتَضريبُ أعناقِ الملوكِ وأن تُرى ... لكَ الهِبواتُ السُّودُ والعَسكرُ المجرِ
وتَركُكَ فى الدُّنيا دَوِيّاً كأنّما ... تَداوَلَ سمعَ المرءِ أنمُلُه العَشْرُ
إذا الفضلُ لم يرفعكَ عن شكرِ ناقص ... على هِبةٍ فالفَضْلُ فيمن له الشكْرُ
ومَن يُنفق السّاعاتِ فى جمع ماله ... مَخافةَ فَقرٍ فالّذى فَعلَ الفقرُ

(وقال صَفىّ الدّين الحلِىّ المتوفى سنة ٧٤٠ هـ)

سَلِ الرِّماحَ العَوالى عن مَعالينا ... واستَشْهِدِ البِيضَ هَل خَابَ الرَّجافينا
لَقد سَعينا فلم تَضعُف عزائمُنا ... عمّا نَرُومُ ولا خابت مَساعينا
قومٌ اذا استُخْصِموا كانوا فَراعنةً ... يوْماً وإن حَكمُوا كانوا مَوازينا
إذا ادّعَوْا جاءت الدُّنيا مُصدِّقةً ... وإنْ دَعوْا قالت الأيامُ آمينا
إنّا لَقومٌ أبَتْ أخلاقُنا شَرفاً ... أن نَبتَدِى بالأذَى مَن ليس يُؤذِينا
بِيضٌ صَنائعُنا سُودٌ وقائعُنا ... خُضرٌ مَرابعنا حُمرٌ مَواضينا
لا يَظهرُ العجزُ مِنّا دُون نَيل مُنًى ... ولو رأينا المَنايا فى أمَانِينا

﴿ وقال أبو العلاء المعرِّى ﴾

ألا فى سَبيل المَجْدِ ما أنَا فاعِلٌ ... عَفافٌ وإقدامٌ وحَزْمٌ ونائِلُ (١)

أعندِى وقد مَارستُ كلَّ خَفِيَّةٍ ... يُصَدَّقُ واشٍ أو يُخَيَّبُ سَائِلُ (٢)

تُعَدُّ ذُنوبى عنـد قومٍ كثيرةً ... ولاذَنبَ لى إلا العُلَا والفضَائِلُ (٣)

كأنِّى إذا طُلتُ الزَّمانَ وأهلَه ... رَجعتُ وعندِى للأنامِ طَوَائِلُ (٤)

وقد سَارَ ذِكرى فى البلادِ فمَنْ لهم ... بإخفَاءِ شمسٍ ضَوْءُها مُتكامِلُ (٥)

يُهِمُّ اللَّيالِى بَعضُ ما أنَا مُضْمِرٌ ... ويُثقِلُ رَضوَى دُونَ ما أنا حامِلُ (٦)

وإنِّى وإن كنتُ الأخيرَ زَمانُهُ ... لآتٍ بِمَا لم تَستَطِعهُ الأوَائِلُ (٧)

وأغدُو ولو أنّ الصَّباحَ صَوارِمٌ ... وأسرِى ولو أنَّ الظَّلامَ جَحَافِلُ (٨)

---

(١) اى قد جمعت العفة والشجاعة والحزم والجود . وسلوك هذا الطريق هو المجد اى ان افعالى كلها واقفة فى سبيل المجد ثم فصل أفعاله وعدها وكانت كلها من خلال المجد (٢) اى بعد ان جربت الامور التى تخفى وعرفتها اصدق الساعى بينى وبين اخوانى بالافساد او اخيب من يرجو معروفى ويطلب نائلى اى انى لا افعل ذلك استفهام بمعنى الانكار (٣) اى ذنوبى كثيرة عند من لايناسبه حالى وذلك لقصوره ونقصه ـ ولا ذنب لى الافضائلى وعلو شأنى (٤) الطوائل جمع طائلة وهى الترة يقول متى فقت أهل العصر بالفضائل ابغضونى وعادونى وصرت كأنى وترت الناس وان عندى لهم ترات وديوناً يطالبونى بها (٥) اى يجهد حسادى فى سترحالى وإخفاء امرى وكيف يمكنهم ذلك وقد سار صيتى فى البلاد مسير الشمس ومن يضمن للحساد اخفاء شمس قد تكامل ضوءها وشعاعها اى ولا يضمن ذلك احد لانه غير ممكن فكذلك اخفاء ذكرى غير ممكن (٦) الليالى فى موضع نصب لانه مفعول يهم ، وسكن لضرورة الشعر أى يهم بعض ما اضمره من الهموم الليالى يعنى ان الايام لاتطيق ما اطيقه وكذلك لايستطيع جبل رضوى حمل ما احمل من مثقلات الخطوب (٧) اى انى وان كنت الذى آخر زمانه افعل من الامور العجيبة ما عجزت الاولون زمانا عن امثاله اى سبقت الاوائل فى المساعى وان تأخر زمانى

(٨) اى لايصرفنى عن همى امر من الامور بل اغدو اول النهار لحاجاتى ولو كان الصباح سيوفا لم يثننى عن قصدى والصبح يشبه بالسيف لبياضه وهيئته واسرى فى الليل المظلم لما يهمنى ولا تمنعنى ظلمة الليل عن همى ولو كان الظلام جحافل وهى جمع جحفل وهو الجيش العظيم والظلام يشبه بالجيش والجيش بالظلام أيضاً

وإنى جَوادٌ لم يُحَلَّ لِجَامُهُ ... ونَصْلُ يَمانٍ أغفَلَتْهُ الصَّياقِلُ (١)

فان كان فى لُبْسِ الفتى شرفٌ له ... فما السَّيف إلاَّ غِمْدُهُ والحمائلُ (٢)

ولى مَنْطِقٌ لم يَرْضَ لى كُنْهَ مَنزِلى ... على أنَّنِي بين السِّماكين نازلُ (٣)

لَدى مَوْطِنٍ يَشتاقُهُ كلّ سيّد ... ويَقصُرُ عن إدراكِهِ المُتَناوِلُ (٤)

ولمّا رأيت الجهلَ فى الناس فاشياً ... تجاهلتُ حتى ظُنَّ أنّى جاهلُ (٥)

فَواعجباً كم يَدَّعِي الفضلَ ناقصٌ ... ووَا أسَفاً كم يُظهِرُ النّقصَ فاضلُ (٦)

وكيف تَنَامُ الطّيرُ فى وكناتِها ... وقد نُصِبتْ للفَرْقَدَيْنِ الحَبائلُ (٧)

يُنافسُ يومِي فِيَّ أمْسِي تَشرُّفاً ... وتحسُدُ أسحارى على الأصائلُ (٨)

---

(١) يصف اعتزاله الامور وإيثاره ملازمة الخمول والتنزه عن الاعمال مع استعداده للانهاض الى معالى الامور مشبها حاله بحال جواد عطل عن تحلية لجامه ، وبسيف يمنى قد صدئ لطول عهده بالصقل اى كما ان تعطل الجواد عن تحلية لجامه وطول عهد السيف بالصقل ـ اى كما لا تزرى بعنق الجواد وجوهر السيف فكذلك إيثار العزلة والتنزه عن الاعمال لا تزرى بمنصبه ومكانه (٢) اى ليس الشرف فى ملابسة الاعمال ولبس الفاخر من اللباس ولو كان كذلك لكان قيمة السيف بحسب نفاسة غمده وحمائله ، وليس كذلك وانما قيمة السيف بجوهره وكذلك شرف ذات الفتى بالتحلى بأوصاف الشرف ومعالى المجد (٣) اى منطق لا يرضى لى بغاية منزلتى هذه مع ارتفاعها وعلوها فانها قد بلغت السماكين بل يقتضى اعلى واشرف منها (٤) اى منزلى عند محل يتمنى كل سيد ان يبلغه ويرقى الى حده . ويتقاصر من يريد تناوله عن الوصول اليه (٥) اى لما كثر الجهل فى الناس وعز العلم والفضل وجهل قدرهما تكلفت الجهل وسترت فضلى تشبهاً باهل زمانى حتى ظن بى أنى جاهل مثلهم (٦) يتعجب من ادعاء الناقص التحلى بالفضل زوراً ـ ويتأسف من اظهاره النقص مع فضله تشبها بالجاهلين فى زمانه (٧) الوكنات جمع وكنة وهى الموضع الذى ينام فيه الطير والحبائل جمع حبالة وهى الشبكة التى ينصبها الصائد للصيد ضرب لنفسه مثلا بالفرقدين علواً ، ولغيره بالطير فى أوكارها ـ اى متى كادنى الحساد بمكيدة الحسد مع فضلى وارتفاع مكانى وحالهم فى كيدى انهم ينصبون الشباك لصيد الفرقدين كيف يسلم من دونى من مكايدهم (٨) ينافس يفاخر اى ان الوقت الذى أكون فيه يتشرف بى ، فسائر الاوقات يحسد الوقت الذى اكون فيه ، فصار امسى المنقضى يحسد يومى الماضر لكونى فيه ـ وكذلك تحسد الاصائل الاسحار التى اكون فيها

وطَال اعترافى بالزَّمان وَصرْفهِ ... فلستُ أُبالى مَنْ تَغُولُ الغوائلُ (١)

فلو بَانَ عُنقِى ماتأسَّفَ مَنْكِبى ... ولومات زَنْدِى مابكتهُ الأنامل (٢)

اذا وصف الطّائىَّ بالبخل مادرٌ ... وعَيّر قُسًّا بالفَهاهةِ بَاقلُ (٣)

وقال السُّهَى للشمس أنتِ ضَئيلةٌ ... وقال الدُّجى ياصُبحُ لوْنُكَ حائلُ (٤)

وطاولتِ الأرضُ السَّماءَ سَفَاهةً ... وفاخرت الشُّهبَ الحَصى والجَنادِلُ (٥)

فياموت زُر إنَّ الحياةَ ذميمةٌ ... ويانفسُ جِدِّى إنَّ دهركِ هازِل (٦)

(وقال المرحوم محمود باشا سامى البارودى)

ولى شِيمةٌ تَأْبَى الدَّنايا وعَزْمَةٌ ... تَرُدّ لُهَامَ الجيشِ وهو يَمورُ

إذَا سِرْتُ فالأرضُ التى نحن فَوْقها ... مُرادٌ لمُهْرِى والمعاقلُ دُورُ

---

(١) طالما عرفت الزمان وأحواله ، ونال منى حوادثه وصرفه ، وتمرنت نفسى على نوائبه فصرت لا أجزع على المصائب ولا أبالى بمن تنزل نوازل الدهر ـ وغاله يغوله اى اهلكه والغوائل جمع غائلة (٢) يهون على نفسه خطوب الزمان بعد معرفته بصروفه حتى لواصيب عضده وبان لم يتاسف اى لم يجزع منكبه عليه ، ولو مات زنده لم تبك أنامله عليه مع ان الكف لاتبطش الابواسطة قوة الزند ومادا ناه (٣) يعنى بالطائى حاتما الطائى وقد سار به المثل فى الجود ـ ومادر رجل من بنى هلال بن عامر بن صعصعة يضرب به المثل فى البخل ـ وانما قيل له مادر لانه سقى ابله من بعض حياض فلما شربت ابله وصدرت عن الماء سلح فى الحوض ومدر الحوض به اى لطخه بالطين لئلا يشرب غيره فسمى مادرا ، وقيل (ابخل من مادر) (٤) السها كوكب خفى تمتحن به الابصار أى وحين ينعكس الامر بأن يصف السهى الشمس بالخفاء مع بهائها ، ويصف الدجا الصبح بأنه حائل اللون أى متغير (٥) اى اذا كانت الارض تباهى السماء من جهلها وتفاخر الحصى والحجارة الكواكب فى العلو (٦) اى إذا كانت الامور معكوسة كما وصف لم تبق رغبة فى الحياة وصارت مذمومة وكان الموت بحيث يتمنى المامه ليقطع الحياة الذميمة التى لايحمدها صاحبها لما يرى من الامر المحال ـ ويأمر الحازم نفسه بالجد فيما يعنيها غير معرجة على شيمة الدهر فى تلونه وعدم ثباته

فلا عَجَبٌ إن لم يَصرْنِى منزل ... فليس لعُقبان الهوَاء وُكور
هَمامَةَ نَفسٍ ليس يَنفى ركابها ... رَواحٌ على طول المَدى وبُكور
مُعودَّةٌ ألاَّ تكفّ عنانها ... عن الجدِّ إلاَّ أن تَتمّ أُمورُ
لها من وَرَاء الغَيب أُذْنٌ سميعةٌ ... وعينٌ ترى ما لا يراه بصير
وَفيتُ بما ظَنَّ الكرامُ فِراسةً ... بأمرى ومثلى بالوَفاء جَدير
وأصبحتُ مَحسودَ الخِلاَل كأننى ... على كلِّ نفسٍ فى الزَّمان أمير
إذا صُلت كَفَّ الدَّهرُ من غَلوَائه ... وان قُلت غُصَّت بالقُلوب صدورُ
مَلكتُ مَقَاليدَ الكلام وحِكمةً ... لها كوكبٌ فَخمُ الضِّياء مُنيرُ
وإنّى امرُؤٌ صَعب الشّكيمةِ بَالغٌ ... بنفسِىَ شَأواً لَيس فيه نكيرُ

وقال أيضاً :

سِوَاىَ بتحنَانِ الأغاريد يَطْرَبُ ... وغَيرِىَ باللّذَات يَلْهو ويلْعَبُ
وما أنا مِمّنْ تَأسِر الخمرُ لُبّه ... ويَملِكُ سَمْعَيْهِ اليَرَاعُ المُثقَّبُ
ولكنْ أخو هَمٍّ اذا ما ترجَّحت ... به سَوْرةٌ نحو العُلا رَاح يَدْأبُ
نَفى النّوْمَ عن عَينيهِ نفسٌ أبيّةٌ ... لها بين أطرافِ الأسنّةِ مَطلَبُ
لُبانةُ نَفسٍ أصغرتْ كلَّ مَأربٍ ... فكلَّفتِ الايَّامَ ما ليس يُوهَبُ
اذا أنا لم أُعطِ المكارِمَ حقَّها ... فلا عزّنِى خالٌ ولا ضَمَّنِى أبُ
ومَن تَكنِ العلْياءُ همَّةَ نَفْسِهِ ... فكلُّ الذى يَلقاه فيها مُحبّب

(وقالت السيدة عائشة هانم التّيمورية المتوفاة سنة ١٣٢٠هـ)

بيَدِ العَفَافِ أَصونُ عِزّ حِجَابِى ... وبعِصمتى أَسمُو على أترابِى

وبفكرةٍ وقّادةٍ وقريحةٍ نقّادةٍ قد كُمِّلتْ آدابى
ما ضرّنى أدبى وحُسْنُ تعلُّمِى إلا بكوْنى زهرَةَ الألبابِ
ما عاقنى خجلى عنِ العلْيَا ولا سدْلُ الخِمار بلمّتى ونقابى
عن طىِّ مِضمارِ الرِّهان إذا اشتكتْ صَعْبَ السِّباق مطامح الرُّكّابِ
بَلْ صوْلتى فى راحتى وتفرُّسِى فى حُسْن ما أسعَى لخيرِ مَآبِ

وقال المرحوم الشيخ عثمان الزّناتى المتوفى سنة ١٩٣٤ م

أُرِقْتُ وأصحابى خليُّونَ نُوّمُ وما أنا ذُو ثأْرٍ ولا أنا مُغرَمُ
ولكنَّ هَمًّا بينَ جنْبىّ هاجَهُ علىّ ذوُوا القُربَى عفَا الله عنهمُ
فانْ يكُ حِلمى مدَّ أعناقَ جهلهم فلا زِلتُ فيهم يجهلونَ وأحلمُ
وما أنَا مِمّن يغلبُ الجهلُ حِلمه ويَنزُو على الأعراض أو يتهجَّمُ
ولكنْ صفوحٌ حينَ أُظلمُ قادراً وان كنتُ فى بعض الأحايين أظلِمُ
فانْ كان حِلمُ القادرينَ مذلّةً فانّى ذليلٌ غيرَ أنِّى مُكرّمُ
هُمو ثلَمُوا عِرضى لغير جريرةٍ سِوى أنّهم منّى وأنِّى مِنهمُ
أُوطِّئُ أكنافِى لهم وأُحوطهمْ مِنَ الدّهر لا أشكو ولا أتبرّمُ
يطول علىّ اللّيل إن طالَ ليلهمْ ومهمَا يطُلْ ليلى فهم عنه نُوّمُ
ويُنكر أدناهم علىّ فضائلِى وما ضرّنِى إنكارُه وهو يعلمُ

الباب الثالث فى شكوى الزمان والحال

(قال الشَّنْفَرَى [١] المتوفى سنة ٥١٠ م)

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ ... فَإِنِّي الى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ [٢]

فقد حُمَّتِ الحَاجَاتُ واللَّيلُ مُقْمِرٌ ... وشُدَّتْ لطيّاتٍ مَطَايَا وأَرْحُلُ [٣]

وفى الأرض مَنْأًى للكريم عن الأذى ... وفيها لَمَنْ خافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ [٤]

لَعَمْرُكَ ما فى الأرض ضِيقٌ على امرِئٍ ... سَرَى رَاغِباً أو رَاهِباً وهو يَعْقِلُ [٥]

ولِي دُونَكُمْ أَهلونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وعَرْفَاءُ جَيْأَلُ [٦]

---

(١) هو ثابت بن أوس الازدى الشاعر المشهور من أهل اليمن من شعراء الطبقة الثانية ومن جيد شعره هذه القصيدة المشهورة بلامية العرب مات سنة ٥١٠ م والشنفرى هو العظيم الشفتين وهو شاعر الازد من العدائين . وكان فى العرب من العدائين من لا تلحقه الخيل ، منهم هذا وسليك بن سلكة . وعمر بن براق . وأسير بن جابر . وتأبط شراً — وكان الشنفرى حلف ليقتلن من بنى سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين وكان اذا وجد الرجل منهم يقول له الشنفرى لطرفك ثم يرميه فيصيب عينيه ، فاحتالوا عليه فأمسكوه وكان الذى أمسكه اسير بن جابر أحد العدائين وقدرصد له حتى نزل فى مضيق ليشرب الماء فوقف له فيه فأمسكه ليلا ثم قتلوه فمر رجل منهم بحجمته فضربها برجله فدخلت فيها شظية من الحجمة فمات منها فتمت القتلى مائة — والله اعلم بذلك (٢) مطا جد فى السير . والمطية الدابة تمطو فى سيرها جمعها مطايا ومطا (المعنى) يخاطب قومه ويقول لهم تهيئوا للرحيل فانى كاره ماانتم عليه من البقاء وشديد الرغبة فى الالتحاق الى قوم غيركم (٣) حم الامر حما قضى ، والطيات جمع طية وهى النية (المعنى) عجلوا بالرحيل فقد قضيت الحاجات وتمهدت الاسباب وتم الاستعداد لقضاء الاغراض (٤) نأى عنه بعد ، والقلى بكسر القاف شدة الكراهة وتعزل عنه تنحى (المعنى) لماذا المكث مع من يبغضونكم ويبغون اساءتكم مع أن فى الارض سعة للكرماء ليتباعدوا عمن يرومهم بالاذى وينتحوا عمن يناوئونهم بالكراهة (٥) (المعنى) وحياتك أن الأرض لا تضيق على الانسان العاقل الذى يستعمل عقله فى ادراك المرغوب وترك المرهوب (٦) السيد بالكسر الأسد والذئب ، والعملس بفتح العين والميم واللام المشددة القوى على السير السريع والذئب الخبيث ، والارقط النمر ، والزهلول كعصفور الاملس والعرفاء الضبع لكثرة شعر رقبتها الذى هو بمنزلة عرف الفرس ، وجيألة وجيال ممنوعتان من الصرف ، وجيل بلا همزة الضبع (المعنى) إنى أفضل عليكم معشر القاعدين معاشرة الوحوش العادية من السباع والذئاب والنمر والضباع

هم الأهل لا مستودع السر ذائع ... لديهم ولا الجانى بما جر يخذل (١)

وكل أبى باسل غير أننى ... إذا عرضت أولى الطرائد أبسل (٢)

وإن مدت الأيدى الى الزاد لم أكن ... باعجلهم إذ أجشع القوم أعجل (٣)

وما ذاك الا بسطة عن تفضل ... عليهم وكان الأفضل المتفضل (٤)

وإنى كفانى فقد من ليس جازيا ... بحسنى ولا فى قربه متعلل (٥)

ثلاثة أصحاب فؤاد مشيع ... وأبيض إصليت وصفراء عيطل

هتوف من الملس المتون يزينها ... رصائع قد نيطت إليها ومحمل (٦)

إذا زل عنها السهم حنت كأنها ... مرزأة ثكلى ترن وتعول

ولست بمهياف يعشى سوامه ... مجذعة سقبانها وهى بهل (٧)

---

(١) جر على نفسه وغيره جريرة أى ذنبا والجريرة الذنب والخيانة (المعنى) فهؤلاء حقيقة هم الاهل وعلى الاسرار مأمونون وعن جرائر الجانى منهم محامون (٢) الابى كعلى من يكره الدنايا ولا يحتمل الضيم ، والباسل الأسد والشجاع والطريدة ما طردته وأبعدته من ناحية وضممته اليك من الصيد والفرسان (المعنى) جميعهم يعافون الدنايا ولا يبالون بالمنايا لكنى أنا أشجع الاقران فى ملتقى الطعان (٣) الجشع بالتحريك شدة الحرص وأسوأه وأخذ الانسان نصيبه والطمع فى غيره (المعنى) ولى خصلة أخرى هى بالعفيف أحرى وهى تأخر يدى عن الطعام عند تقدم أيدى الأقوام (٤) (المعنى) وما دعانى إلى ذلك الا توسمى بالفواضل اليهم لان أفضل القوم هو المتفضل عليهم (٥) تعلل بالأمر تشاغل وشيع فلانا شجعه ويأتى أيضا بمعنى خرج معه ليودعه ، والاصليت السيف الصقيل الماضى ، والعيطل القوس الطويلة العنق الصلبة المتن (المعنى) مادام لى ثلاثة أصحاب القلب الجرىء والسيف الماضى والقوس المتينة فلا أبالى بضياع من لا يثمر فيهم الجميل ولا ترجى منهم فائدة (٦) قوس هتوف ذات صوت حنين ، والملس الناعمات والمتون جمع متن بمعنى الصلب ، والرصائع جمع رصيعة حلية السيف المستديرة أو كل حلقة مستديرة فى سيف أو سرج أو غيره ، ونيطت اليها علقت بها وزل السهم عن القوس خرج منها بسرعة والمرزأة المصابة بالرزايا ، والثكلى الفاقدة أولادها ، وأعول رفع صوته بالبكاء والصياح (المعنى) قوس طنانة رنانة من نبات النبع مزينة بالحلى والحمائل ترن عند خروج السهم منها بحنين كأنها امرأة عاجلها فقد ابنها الغالى فهى تبكى وتعول لفقده (٧) المهياف السريع العطش ، والسوام الابل الراعية وناقة باهل بينة البهل لاصرار عليها ولا خطام ولا سمة لها ، (يقال) بهلت الناقة حل صرارها ، أو مجدعة محبوسة على غير علف

ولا جبأء أكهى مرب بعرسه ... يطالعها فى شأنه كيف يفعل (١)

ولا خرق هيق كأن فؤاده ... يظل به المكاء يعلو ويسفل (٢)

ولا خالف دارية متغزل ... يروح ويغدو داهناً يتكحل (٣)

ولست بعل شره دون خيره ... ألف اذا مارعته اهتاج أعزل (٤)

ولست بمحيار الظلام اذا انتحت ... هدى الهوجل العسيف يهماء هوجل (٥)

إذا الأمعز الصوان لاقى مناسمى ... تطاير منه قادح ومفلل (٦)

وسقبان جمع سقب وهو ولد الناقة (المعنى) ولست من الناس الذين لا يتحملون العطش فيروحون الى نوقهم ويحبسون أولادها عنها جائعة ويتمتعون هم بدرها من غير مانع (١) الجبأ: كسكر الجبان والاكهى الجبان الضعيف ورب بعرسه أى زوجته لزمها وقعد معها كأرب (والمعنى) ولست بالجبان الضعيف الذى يلازم قرينته ويطلعها على أمره ويأخذ رأيها فيه (٢) الخرق ككتف الذى يندهش ويبهت لأقل شئ والهيق الواحد من النعام ويسمى بالظليم ، والمكاء كرمان نوع من الطير (المعنى) ولست من الذين يطيشون بأدنى الامور مثل النعام وترجف قلوبهم كأن المكاء يطير بها الى فوق وإلى تحت (٣) يقال فلان خالفة أهل بيته وخالفهم بمعنى أنه غير نجيب لاخير فيه اذ أنه يقعد بعدهم ويأتى خالفة وخالف بمعنى أحمق والدارية الملازم لبيته (المعنى) ولست من خلف السوء الملازمين للبيوت الذين لا هم لهم فى غدوهم ورواحهم الا التغزل بالنساء والتزين لهن بالتدهن والتكحل (٤) العل الصغير الجسم الضعيف والالف الرجل الثقيل اللسان العى بالامور والاعزل الخالى من السلاح (المعنى) ولست من سقط الرجال الذين يخشى شرهم ولا يرجى خيرهم الذين يرتكبون فى الامور ويرتاعون لكل مروع حيث لا سلاح لهم يقيهم من الخوف (٥) يقال نحاه وانتحاه بمعنى قصده ، والهوجل المفازة البعيدة لا علم بها ، والناقة بها هوج من سرعتها والرجل الاهوج والدليل ، والعسيف صيغة مبالغة من عسف فى السير خبط فيه خبط عشواء ، واليهماء عند أهل البادية السيل والجمل الهائج الصؤول وعلى ذلك يمكن أن يقال ناقة يهماء (المعنى) ولست ممن تستولى عليه الحيرة فى الظلام اذا أتاه دليل الابل عن الطريق وخبط فى السير خبط عشواء وتبعته الناقة اليهماء (٦) المعز الصلابة مكان أمعز صلب وأرض معزاء صلبة أو الصوان نوع من الحجارة شديدة الصلابة ، والمنسم كمجلس خف البعير ، والمفلل المكسر والمراد بالقادح هنا الحجر الذى يضرب بغيره فيفتته ويخرج منه الشرر (المعنى) اذا ضربت ناقتى بمناسمها حجارة الصوان فى الارض الشديدة الصلابة فتتها فتضاربت الحجارة ، فمنها ما يورى النار ومنها ما يتفتت

أديمُ مِطال الجُوع حتى أُميتَه ... وأضرِب عنه الذِّكرَ صفحاً فأذهل (١)
وأستفُّ تُرْبَ الأرضِ كى لا يَرَى له ... علىَّ من الطَّوْل امرؤٌ متطوِّل (٢)
ولولا اجتِناب الذَّام لم يُلْفِ مَشْرَبٌ ... يُعاش به إلاّ لَدىَّ ومَأكل (٣)
ولكنَّ نفساً حرّةً لا تُقيم بى ... على الضَّيم الاّ رَيْثما أتحوَّل (٤)
وأطوِى على الخَمْصِ الحَوايَا كما انطوتْ ... خُيوطةُ ماريٍّ تُغارُ وتُفتَل (٥)
وأغدو على القوتِ الزَّهيد كما غَدَا ... أَزَلُّ تَهادَاه التَّنائِف أَطْحل (٦)
غَدا طاوِياً يُعرِضُ الرِّيح هافياً ... يَخوتُ بأذناب الشِّعاب ويَعْسِل (٧)

من شدة اصطدام الحجارة بعضها ببعض (١) صفحاً إما مصدر من صفح عنه اعرض مفعول له على معنى أصرف عنه التذكر إعراضاً عنه وإما ظرف بمعنى الجانب على معنى انحى التذكر عنه جانباً كما تقول صنعه جانبا (المعنى) انى أعود نفسى على تحمل ألم الجوع دائما حتى لا يبقى له تأثير وأصرف نفسى عنه حتى لا يخطر لى على بال (٢) الطول الفضل والانعام وتطول عليه امتن وأنعم (المعنى) وانى أفضل سف التراب على امتنان من يترفع على بالانعام (٣) الذام العيب والذم (المعنى) ولولا أن أخشى العار والمذمة التى تلحق الباذلين ماء وجوههم لاجل المأكل والمشرب لكان عندى من أشكالها وألوانها كل ما تشتهيه الانفس (٤) الضيم الهضم ، وريثما معناها مقدار ما (المعنى) ولكن نفسى عزيزة لا تبطىء بالاقامة على الاهتضام إلا ابطاء تتاهب فيه للرحيل عنه (٥) الخمص الجوع والحوايا جمع حوية كغنيمة ما تحوى وانطوى بعضه على بعض من الامعاء والخيوطة جمع خيط ، وماري اسم صانع مشهور يفتل الخيوط وأغار شد الفتل (المعنى) وأضمر أمعائى بالجوع حتى تصير مثل الخيوط التى يشد فتلها ماري المشهور بفتل الخيوط (٦) الزهيد القليل ، والازل السريع والموصوف به هنا الذئب بدليل ما بعده ، والتنوفة المفازة والارض الواسعة البعيدة الاطراف أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس وان كانت معشبة وجمعها تنائف ، والطحلة بالضم لون بين الغبرة والسواد ببياض قليل وذئب أطحل لونه الطحلة (المعنى) يدور على القوت القليل مثل ما يدور عليه الذئب من فلاة إلى فلاة (٧) غداً طاوياً أى يكر أبالضرب فى الأرض جائعاً ويعارض الريح بسابقه وهافيا خفيفا مسرعا ، وخات البازى انقض على الصيد وخات الرجل اختطف ، وأذناب الشعاب أطراف الأراضى التى بين الجبال ، وعسل الذئب يعسل عسلا وعسولا وعسلانا اشتد اهتزازه فى عدوه (المعنى) خرج الذئب من الجوع

فَلمَّا لَواهُ القُوتُ مِن حَيث أَمَّهُ ... دعَا فأجابتْهُ نَظَائرُ نُحَّلُ (١)

مُهَلَّلَةٌ شِيبُ الوجُوه كأنَّها ... قِداحٌ بكفَّىْ يَاسِرٍ تَتَقَلْقَلُ (٢)

أوالخَشْرمُ المبْعوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ ... مَحَابِيضاً أرْساهُنَّ سَامٍ مُعَسَّلُ (٣)

مُهرَّتة فُوهٌ كأنَّ شُدُوقَها ... شُقُوقُ العِصِىِّ كالِحاتٌ وبُسَّلُ (٤)

فَضجَّ وَضَجَّتْ بالبَرَاحِ كأنَّها ... وإيَّاه نَوحٌ فوقَ عَلياءَ ثُكَّلُ (٥)

وأغضَى وأغْضتْ واتَّسَى واتَّسَتْ به ... مَرَاميلُ عَزَّاها وعَزَّتْهُ مُرْمِلُ (٦)

شكَاوَشَكتْ ثُمَّ ارْعوى بعدُ وارعَوتْ ... وللصَّبرُ إنْ لم يَنفعِ الشَّكْوُ أجمَلُ (٧)

مبكراً يقطع أعماق المفاوز فى طلب القوت يعدو ويبارى الريح (١) لواه القوت قتله وضمره ، وأمه قصده ، ونظائر نحل يعنى أمثاله الهزيمة (المعنى) فلما لم يجد فى الامكنة التى قصدها ما يقتات به صاح فصاح معه أمثاله من الذئاب التى أنحلها الجوع (٢) المهللة الضامرة المنقوشة ، والقداح جمع قدح وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله ، والياسر الذى يلعب بالقداح لعبة كانت للعرب وهى حرام لما فيها من خسارة المال ، وتتقلقل تتحرك (المعنى) ذئاب ضامرة وخطها الشيب ومن يراها فى عدوها يخالها سهاما تتحرك فى يدى ياسر (٣) الخشرم كجعفر جماعة النحل وأمير النحل ومأواها ، وحثحث كحث حض وحرض ، والدبر بفتح الدال جماعة النحل ، ومحابيض جمع محبض كمنبر عود يشتار به العسل أو يطرد به الدبر وهى هنا منصوبة على نزع الخافض والمعنى الى محابيض ، وأرسى وقف وأوقف ، وسام مرتفع ، ومعسل طالب العسل (المعنى) أو كأنها جماعة النحل حثها أميرها على الطير إلى العيدان التى نصبها لها مشتار العسل فى الاماكن المرتفعة (٤) المهرتة الواسعة ، والفوه جمع الافوه وهو الواسع الفم — أو الذى يخرج أسنانه من الشفتين ، والشدوق أطراف الفم من باطن الخدين ، وكالحات شديدة العبوس ، وبسل كريهات المنظر (المعنى) أن أفواهها واسعة بارزة بالأنياب وأشداقها كأنها شقوق العصى قبيحة المنظر نظيفة الرؤية (٥) البراح كسحاب المتسع من الأرض التى لا زرع بها ولا شجر (المعنى) فصاح ذلك الذئب وصاحت معه الذئاب كأنها معه نائحات تنوح فوق ربوة عالية على فقد أولادهن

(٦) أغضى على الشىء سكت ، واتسى اقتدى والمرمل الذى نفد زاده ، وعزاها سلاها على مصابها « المعنى » ثم سكت فسكتت اقتداء به وسلاها على جوعها وسلته على مخمصته

(٧) الا رعواء النزوع عن الجهل وحسن الرجوع عنه « المعنى » شكوا فلما لم تنفع الشكوى رجعوا عنه وصبروا على الجوع — والصبر احسن من الشكوى التى لا تفيد

وَفاءَ وَفاءَتْ بادِراتٍ وكلُّها ... على نَكَظٍ مِمّا يُكاتِمُ مُجْمِلُ (١)
وتَشرَبُ أسآرَ القَطا الكُدْرَ بعدَما ... سَرَتْ قُرُباً أحشاؤُها تتَصَلْصَلُ (٢)
هَمَمْتُ وهَمَّتْ وابْتَدَرْنا وأسدلَتْ ... وشَمَّرَ مِنّي فارِطٌ مُتَمَهَّلُ (٣)
فَوَلّيتُ عنها وهي تَكبُو لِعُقْرِه ... يُباشِرُه مُنها ذُقُونٌ وحَوْصَلُ (٤)
كأنَّ وَغاها حُجرَتَيهِ وحولَه ... أضاميمُ من سَفرِ القبائِلِ نُزَّلُ (٥)
تَوافَيْنَ من شَتّى اليهِ فَضَمَّها ... كما ضَمَّ أذوادَ الأصاريمِ مَنْهَلُ (٦)

(١) فاء رجع . وبادرات مسرعات، والنكظ محركة الجوع الشديد «المعنى» ورجعت الذئاب مسرعة وجميعها على ما به من شدة الجوع الذى يؤلمه ويكتمه راض بحاجته محسن لها مستعين بالصبر على ما به من الضر (٢) أسآر جمع سؤر وهو بقية الماء بعد الشرب ، والقطا نوع من الطير صوته قطا ـ قطا وهو ثلاثة أضرب كدرى وجونى وغطاط ـ فالكدرى الغبر الألوان الرقش الظهور والبطون الصفر الحلوق وهو ألطف من الجونى ، والجونى السود البطون والأجنحة وهو أكبر من الكدرى ، والغطاط كسحاب الغبر الظهور والبطون والابدان سود بطون الاجنحة طوال الأرجل والأعناق لطاف لا تجتمع اسرابا أكثر ما يكون ثلاث واثنتان الواحدة غطاطة ويقال ان القطا يطلب الماء على بعد مراحل عديدة بعضهم أبلغها الى عشرين « المعنى » إنى أسبق القطا الغبر الألوان فى السير أتركها تخرج لطلب الماء حتى اذا كانت ليلة اليوم الذى ترد الماء فيه على حين يشتد طيرانها حتى تسمع لها صلصلة عدوت فسبقتها إلى الماء وشربت منه وتأتى هي بعدى تشرب (٣) سدل ثوبه وشعره وأسدله أرخاه وأرسله ، وفرط القوم يفرطهم فرطاً وفراطة فهو فارط تقدمهم إلى الورد لاصلاح الحوض والدلاء « المعنى » ولقد خرجنا جميعاً متسابقين لورود الماء غير أنها مع اسدالها أجنحتها ومدها لها لتدرك الماء على عجل قد تعوقت عنه وشمرت عن ساعد الجد فى طلبه فتقدمتها اليه على مهل (٤) تكبو تنكب على وجهها ، والعقر بضم العين والمراد به هنا الماء فى أقصى الحوض ، والذقون جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين ، والحوصلة للطير كالمعدة للانسان « المعنى » وقد انصرفت عنها بعد ما رويت وتركتها تغمس بأذقانها وحواصلها فى الماء لترتوى من شدة العطش التى أصابتها من إجهادها نفسها في الطيران (٥) الوغى كالفتى الصوت والجلبة ، والحجرة الناحية ، والاضاميم جمع إضامة بكسر الهمزة وهى الجماعة ، والسفر القوم المسافرون « المعنى » كان جلبتها بجانب الماء وحوله ضوضاء الجماعات من القبائل المسافرين عند حطهم من السفر (٦) توافين اليه أى تلاحقن الى الماء ، ومن شتى أى من جهات متفرقة ، والاذواد جمع ذود وهو جماعة الابل ، والاصاريم هنا جمع صرم بكسر الصاد وهو جماعة الاعراب « المعنى » اجتمعن عليه على اختلاف الأماكن التى أتين منها كما تجتمع على المنهل ابل

فَعَبَّتْ غِشاشاً ثمّ مَرّتْ كأنّها مع الصُّبحِ رَكبٌ من أُحاظةَ مُجْفِلُ (١)
وآلفُ وَجهَ الأرضِ عند افتراشِها بأهْدأَ تُنبيهِ سَناسِنُ قُحَّلُ (٢)
وأعدِلُ مَنْحوضاً كأنّ فُصوصهُ كِعابٌ دحاها لاعِبٌ فهى مُثَّلُ (٣)
فإنْ تَبتَئِسْ بالشَّنْفَرَى أمُّ قَسْطَلٍ لَمَا اغتَبَطتْ بالشَّنفرَى قبلُ أُطْوَلُ (٤)
طَريدُ جِنَاياتٍ تَياسَرْنَ لَحمه عَقيرتَه لأيّها حُمّ أوَّلُ (٥)
تَنَامُ إذَا مانَام يَقْظَى عُيُونها حَثَاثاً الى مَكروهِهِ تَتَغلْغَلُ (٦)

الاعراب المتفرقة المنازل (١) العب جرع الماء وابتلاعه كتلة واحدة كما تفعل الحمامة فى شربها ، وغشاشا أى عبا قليلا عجلا غير مرتى ، واحاظة كأسامة بن سعد بن عوف أبو قبيلة من حمير اليه ينسب مخلاف احاظة باليمن والمحدثون يقولون وحاظة ، وأجفل النعام فهو مجفل حركها وطردها « المعنى » فشربت قليلا ثم عجلت بالطيران اذا رأيتها حسبتها فرسانا تطرد النعام من بنى احاظة المشهورين بركوب الخيل والصيد عليها (٢) الاهدأ المنكب المسترخى اللحم ، وتنبيه ترفعه ، والسناسن حروف فقار الظهر وقحل معناها مجردة من اللحم (المعنى) انى الفت أن يكون وجه الارض هو الفراش الذى أنام عليه فادوم على ذلك وان أصبحت ولى منكب استرخى لحمه على ظهر بان عظمه (٣) اعدل معناه هنا اسوى وافرش لرأسى واجعل لها وسادة ، ومنحوضا يعنى ساعداً قليل اللحم ، والفصوص المراد بها هنا الاصابع والكعاب لعب على شكل الاقماع ودحاها بمعنى بسطها : ومثل معناها ماثلة وقائمة بين يدى اللاعب (المعنى) وأحب أن أتوسد ساعداً ذاهب اللحم كأن عظامه الخارجة كعاب أقامها اللاعب بين يديه (٤) تبتئس تحزن ، وأم قسطل الحرب ، واغتبطت سرت وقرت عيناً (المعنى) لئن تحزن الآن الحرب لأنى تركتها فطالما فرحت من قبل حين كنت أبعثها قدما (أسيرها وأمضى اليها مقدما) (٥) كان من عادات العرب غير المحمودة إذا أرادوا أن تحصل لهم ميسرة بدون كبير كد ولا عظيم تعب أن يشتروا ناقة نسيئة وينحروها ويقسموا لحمها جملة أقسام ويجعلوا لها سهاما بعضها ذوات انصباء وبعضها غفل بلانصيب ليستوفوا بثمنها بقدر زهيد ثمن الناقة ثم يقترعون بالسهام فيفوز من تخرج لهم ذوات الانصباء ويحرم من تخرج لهم النفل وهذه هي لعبة الميسر (القمار) المشهورة الفساد وحرمها الدين الحنيف والقوم الذين يجتمعون على الميسر يقال لهم يسر ، والناقة التى تذبح فيه يقال لها جزور لانها تجزر ، ويقال لها عقيرة لانها تعقر وتنحر ويقال تياسروا أى أخذوا الانصباء من اللحم ويقال حم بمعنى دنا وقرب (المعنى) قد كثرت جناياتى فى الحروب على الناس حتى أصبحت شريداً من سعيهم ورائى للاخذ بالثار منى ومسارعتهم الى اقتسام لحمى ومسابقتهم فى أن يكون كل منهم أول من يفترسنى (٦) تنام أى الجنايات والمراد أصحابها ، وحثاثا سراعا . وتتغلغل تدخل بشدة (المعنى) تبيت أرباب الجنايات اذا نام الشنفرى

وإلْفُ هُمومٍ ما تزال تَعودُه ... عِياداً كحُمّى الرّبْعِ أوْ هِيَ أثقلُ (١)
إذَا وَردتْ أصدرتُها ثمّ إنّها ... تَؤوبُ فتأتِي من تُحَيْتُ ومِن عَلُ (٢)
فإمّا تَرانِي كابْنَةِ الرّمل ضَاحياً ... على رِقّةٍ أحفَى ولا أتنعّلُ (٣)
فإنّي لَمَولِى الصّبر أجتَابُ بَزّه ... على مثل قلب السِّمع والحزمُ أفعلُ
وأُعدَمُ أحيَاناً وأغنَى وإنّمَا ... يَنالُ الغِنَى ذُو البُعْدَةِ المُتبذّلُ (٤)
فلا جَزِعٌ مِنْ خَلّةٍ مُتَكشّفٌ ... ولا مَرِحٌ تحتَ الغِنَى أتخيّلُ (٥)
ولا تَزْدَهِي الأجهَالُ حِلْمِى ولا أرَى ... سَؤُولا بأعقَاب الأقاويل أنملُ (٦)

وعيونهم ساهرة على كيده يدبرون فى سرعة الوصول الى أذاه وضرره (١) الالف الاليف الحليف المعاود، والعياد العودة والرجوع مرة بعد أخرى، وربعت عليه الحمى جاءت ربعا يعنى ترددت عليه فى كل أربعة أيام مرة تتركه فى الثلاثة وتأتيه فى الرابع وتسمى هذه الحمى حمى الربع (المعنى) ولم أزل حليف الهموم تعاودنى مع ثقلها معاودة الحمى الربعية بل أن تلك الهموم أثقل من الحمى (٢) تؤوب ترجع « المعنى » كلما ثارت على جيوش الهموم وأحاطت بى من كل جانب رددتها عنى بعزم ماض وصبر جميل (٣) فاما ترانى باهمال ان حملا على لوكقراءة طلحة فاما ترين بياء ساكنة ونون مفتوحة ، وابنة الرمل معناها الحية أو البقرة الوحشية ، وضاحيا بارزاً للشمس ، وعلى رقة معناها سوء العيش ، ومولى الصبر واليه واجتاب القميص لبسه ، والبز الثياب ، والسمع بالكسر ولد الذئب من الضبع يزعمون أنه لايموت حتف أنفه كالحية وانه فى عدوه أسرع من الطير ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعا « المعنى » فان ترنى كالحية عاريا حافيا معدما فان الصبر ثيابى والشجاعة حشو إهابى ولا أفعل إلا ما يوجبه الحزم (٤) أعدم اعداماً وعدماً بالضم افتقر ، وذو البعدة بالضم أى صاحب الابتعاد فى الارض ، والمبتذل الذى لا يصون نفسه (المعنى) أنى أضرب فى الأرض فتارة أفتقر وطوراً أغتنى ولا ينال الغنى الا من باشر الاسفار ولم يتحاش بنفسه عن اقتحام الاخطار (٥) الجزع نقيض الصبر والخلة والحاجة والفقر والمرح والبطر والاختيال (المعنى) الفقر لا يظهر على ترحا والغنى لا يبدى منى مرحا (٦) تزدهى تستخف والاجهال جمع جهل شذوذاً لأن قياسه أجهل وجهول إلا أنه حسنه كون عينه الهاء الشبيهة بحروف اللين ، والباء فى باعقاب بمعنى عن ، والنملة مثلثة وكسفينة النميمة وهو نمل وناملى ومنمل كمجلس ومنبر ، ونمال كشداد نمام ، وقد نمل كنصر وعلم ،وأنمل نم « المعنى » لا يستفز الجهل حلمى ولا تجدنى متبعا

وَلَيلَةَ نَحسٍ يَصطَلِي القوسَ رَبُّها ... وأَقطعهُ اللّاتِي بها يَتنبَّلُ (١)
دَغَشتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وصُحبتي ... سُعارٌ وإرْزِيزٌ وَوَجرٌ وأفكل
فأيَّمتُ نِسْواناً وأيتمتُ وِلدةً ... وعُدْتُ كما أبدأت والليل أليلُ (٢)
وأصبحَ عَنّي بالغُمَيْصَاءِ جالساً ... فَرِيقانِ مَسئولٌ وآخرُ يَسألُ (٣)
فقالوا لَقد هَرّت بليلٍ كِلابُنا ... فقلنا أذِئبٌ عَسّ أم عَسَّ فرْعلُ (٤)
فلم يكُ إلا نَبْأةٌ ثمّ هَوّمتْ ... فقلنا قطاة ريعَ أم ريعَ أجْدلُ
فان يكُ من جِنٍّ لَأبرحَ طارِقاً ... وانْ يكُ إنساً مَا كَهَا الإنسُ يفعلُ

للاقاويل الساقطة أنم بها على الناس (١) أصطلى استدفأ والاقطع جمع قطع وهو القضيب تبرى منه السهام وتنبل بالاقطع اتخذها نبلا ، ودغش عليه كمنع هجم وفى الظلام دخل ، والغطش الظلمة والبغش المطر الخفيف ، والسعار بضم السين شدة الجوع والارزيز برد صغار كالملح ، والوجر الحقد ، والغل والغيظ والافكل الرعدة (المعنى) وكم ليلة طويلة مظلمة باردة يضطر السائر فيها إلى إيقاد قوسه ونبله ليتدفأ بها من شدة القر والبرد سريت فى ظلامها ومطرها وليس يصاحبنى غير الجوع والثلج والغيظ والرعدة (٢) أيمت نسوانا يعنى قتلت رجالهن فتركتهن بلا أزواج ، وأيتمت ولدة بكسر الواو جمع ولد يعنى قتلت آباءهم ، وابدأت بدأت والليل اليل يعنى طويل شديد الظلمة (المعنى) فقتلت الرجال وتركت النساء أيامى والاولاد يتامى ورجعت كما رحت والليل باق على حاله (٣) الغميصاء موضع أوقع فيه خالد بن الوليد رضى الله عنه ببنى جذيمة «المعنى» ولما أصبح الصباح جلس الناس بالغميصاء لشدة ما دهاهم يتساءلون ويتجاوبون عما فعلت (٤) هر الكلب هريراً صوت صوتاً دون النباح وعس طاف بالليل والفرعل بالضم ولد الضبع والنبأة الصوت الخفى ، وهوم هز رأسه من النعاس ، والقطا جمع قطاة نوع من الطير صوته قطا قطا ، والاجدل الصقر وريع أخيف ولا برح معناه لقد أتى بالبرح وهو الشدة والشر : وها فى كها ضمير الفعلة دخلت عليه الكاف شذوذا (المعنى) فجعلوا يقولون إنا لما سمعنا كلابنا تصوت بالليل حسبناها تنبح على ذئب أو ولد ضبع ولكنها لما صوتت قليلا ونامت قلنا ربما كانت نبأتها لطيران قطا ارتاعت أو لمرور صقر خائف أمامها — وما علمنا أن الطارق الذى أهرها شىء عظيم إلا لما رأينا آثار فعله من القتل الذريع كل ذلك فعله فى ليلة واحدة ، ان كان هذا الطارق من الجن فلقد أتى شيئاً عظيما ، وان كان من

ويومٍ من الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعابُهُ أفاعيهِ فى رَمْضائِهِ تَتَمَلْمَلُ (١)
نَصَبْتُ له وَجهى وذَا الْكِنُّ دُونه ولا سِتْرَ إلاّ الأَتحمِيُّ المُرَعْبَلُ
وَضافٍ اذَا هبَّتْ له الريحُ طيَّرت لبائِدَ عن أعْطافِهِ ما تُرجّل
بَعيدٌ بِمَسِّ الدُّهن والفَلْيُ عَهْدُهُ له عَبَسٌ عَافٍ من الغَسل مُحْوِلُ (٢)
وخَرْقٍ كَظَهْرِ التُّرس قَفرٍ قطعْتُهُ بعامِلَتين ظهرهُ ليسَ يُعْمَلُ (٣)
فألحقتُ أُولاَه بأُخراهُ مُوفياً على قُنَّةٍ أقْعى مِرَاراً وأمْثُلُ (٤)
تَرُودُ الأَراوَى الضَّخْمُ حَوْلى كأنّها عَذارى عليهنّ المُلاءُ المُذَيَّلُ (٥)
ويَرْكُدْن بالآصالِ حَوْلى كأنَّنِي من العُصْمِ أدْفى يَنْتَحِي الكِيحَ أعقَلُ (٦)

الانس فما يفعل الانس مثل ذلك (١) الشعرى نجم يطلع فى شدة القيظ ، واللعاب معناه هنا ما تراه فى شدة الحر كأنه منحدر من السماء إذا قام قائم الظهيرة ويكون على هيئة البخار أو على هيئة نسج العنكبوت ويسمى أيضا لعاب الشمس ، والرمضاء الارض الشديدة الحرارة وتململ تقلب ، والكن الستر ، والاتحمى برد معروف ، والمرعبل الممزق ، وضاف صفة الشعر المحذوف ومعناه طويل ، ولبائد جمع لبدة وهى الشعر المتراكم ، وأعطافه جوانبه وترجل تمشط (المعنى) وكم يوم من أيام الشعرى التى تتصاعد فيها الابخرة وتتململ فيها الافاعى من شدة الحر عرضت له وجهى بغير ستر ومشيت فيه ولا شىء على جسدى الا ثوب ممزق وشعر مسترسل إذا هبت عليه الريح لم تطير منه إلا لبائد فى كل جانب منه لم تمسها الامشاط (٢) الفلى تفلية الرأس من القمل ، والعبس محركة ماتعلق بأذناب الابل من أبوالها واوبارها يجف عليها ، وعاف من الغسل لم يغسل والمحول الذى أتى عليه الحول (المعنى) ان هذا الشعر بقى عاماً من غير أن يفلى ولا يغسل ولا يمس بدهن حتى تراكمت عليه الاوساخ وصار عليه منها مثل عبس الابل (٣) الخرق الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح ، وقفرخالية من النبات والسكان والعاملتان الرجلان ، وظهره ليس يعمل أى ليس يسلك (المعنى) وكم صحراء مقفرة لم يسلكها أحد قطعتها مشيا على رجلى (٤) أوفى عليه أشرف ، والقنة بضم القاف قلة الجبل ، واقعى فى جلوسه تساند الى ماوراءه ومثل قام منتصبا (المعنى) فعبرت تلك الصحراء من أولها الى آخرها مشرفا على قلل الجبال تارة أقعد وتارة أقوم (٥) الرود الذهاب والمجىء والاراوى جمع أروية بالضم والكسر وهى أنثى الوعول والعذارى جمع عذراء وهى البكر ، والملاء بضم الميم نوع من الاردية ، والمذيل طويل الذيل (المعنى) تطوف الاراوى الضخم حولى اذا أريتها حسبتها عذارى تلففت فى ملاء طويلات الذيول (٦) الركود

﴿ وقال الطُّغرائى يُواسى مُعين المُلك فى نكبته ﴾

فَصبراً مُعينَ المُلكِ إنْ عَنَّ حادثٌ ... فعاقبةُ الصَّبر الجميلِ جَميلُ
ولا تَيْأسَنْ من صُنعِ ربِّك إنَّهُ ... ضَنِينٌ بأنّ اللهَ سوفَ يُديلُ
فإنّ الليالى إذْ يزُول نَعيمُها ... تُبَشِّرُ أنّ النّائباتِ تزُولُ
ألم ترَ أنّ الليل بعدَ ظلامه ... عليه لإسْفَار الصَّباح دَليلُ
ألم ترَ أنّ الشّمس بعد كسُوفها ... لها صَفحة تُغشى العُيونَ صَقيلُ
وأنّ الهلال النِّضْوَ يُقمِرُ بعدَما ... بَدا وهو شَخْتُ الجانبَيْنِ ضَئيلُ
فقد يَعطِفُ الدّهر العسيرُ قِيادُه ... فيُشفى عَليلٌ أو يُبلَّ غَليلُ
ويَرتاشُ مَقصوصُ الجناحين بعدَما ... تساقَط رِيشٌ واستَطارَ نَسيلُ
ولا غَرْوَ إن أخْنَتْ عليك فإنّما ... يُصادَمُ بالخطب الجليل جَليلُ
وما أنتَ إلاّ السّيفُ يَسكُنُ غِمدُهُ ... لِيشقَى به يَوْمَ النِّزالِ قَتيلُ
أمَالكَ بالصِّدّيق يوسفَ أسوةٌ ... فتَحمِلَ وَطء الدّهر وهو ثَقيلُ

(وقال المرحوم محمود باشا سامى البارودى وهو فى مَنفاه)

مَحا البَينُ ما أبقتْ عُيونُ المَهَامِنِيِّ ... فشِبْتُ ولم أقضِ اللُّبانةَ من سِنِّي
عَناءٌ ويأسٌ واشْتِياقٌ وغُربةٌ ... ألا شَدَّ ما ألقاه فى الدهر من غَبن
فإنْ أكُ فارقت الدّيارَ فلي بها ... فؤادٌ أضلّتْه عُيون المَهَامِنِيِّ
بَعَثت به يومَ النَّوى إثْرَ لحظَةٍ ... فأوقعه المِقدار فى شَرَك الحُسنِ
فهل مِن فتى فى الدهر يَجمعَ بيننَا ... فليس كِلانَا عن أخيه بمُستغنِي

السكون والثبات ، والآصال جمع أصيل وهو العشى ، والعصم جمع أعصم وهو الوعل الذى فى موضع المعصم منه الادنى الذى يميل قرناه ناحيتى ظهره ، وينتحى يتعمد ، والسكيح ناحية الجبل ، وأعقل ممتنع فى الجبل (المعنى) ويقفن حولى يحسبننى وعلا أدنى يقصد الجبل ليمتنع به

ولمّا وقفنا للوداع وأُسبلت ... مدامعُنا فوق الترائب كالمزنِ
أهبتُ بصبرى أن يعودَ فخانني ... ونَاديتُ حِلمى أن يثوب فلم يغن
وما هى إلا خطرةٌ ثم أقلعت ... بناعن شُطوط الحَيِّ أجنحةُ السفْنِ
فكم مُهجةٍ من زَفرة الوَجْد فى لَظَى ... وكم مُقلَة من غَزرة الدّمع فى دَجْنِ
وما كنتُ جرَّبتُ النّوى قبل هذه ... فلمّا دَهتنى كِدتُ أُقضَى من الحزنِ
ولكننّى راجعتُ حِلمى وَردّنى ... الى الحزم رأىٌ لا يَحومُ على أفنِ
ولولا بُنيَّاتٌ وشِيبٌ عَواطلٌ ... لما قَرَعَت نفسى على فائتٍ سِنّ

(وقال المرحوم محمد حافظ بك ابراهيم)

لم يَبقَ شىءٌ من الدّنيا بأيدينا ... إلاَّ بَقيّةُ دَمعٍ فى مَآقينا
كُنّا قِلادةَ جِيدِ الدّهر وانفرطتْ ... وفى يَمينِ العُلا كُنّا رَياحِينا
كانت مَنازِلُنا فى العزّ شامخةً ... لا تَشرُق الشّمسُ إلا فى مغانينا
وكان أقصى مُنَى نهرَ المجرّة لو ... من مائه مُزجتْ أقداحُ ساقينا
والشُّهبُ لو أنها كانت مُسخَّرة ... لِرَجْمِ من كان يَبدُو من أعادينا
فلم نَزل وصرُوف الدّهر تَرمُقُنا ... شزَراً وتَخدعُنا الدنيا وتُلهينا
حتى غَدونا ولا جاهٌ ولا نَشَبٌ ... ولا صَدِيقٌ ولا خِلٌّ يُواسِينا

(وقال أيضاً فى شكوى الزمان والحال)

سَعيتُ الى أن كِدتُ أنتعِلُ الدَّمَا ... وعُدتُ وما أعقبتُ إلا التّندُّمَا
سلامٌ على الدُّنيا سلامُ مُوَدِّعٍ ... رَأَى فى ظلام القبر أُنساً ومَغنَمَا
تَبَلَّغ بالصّبر الجميل وبالأَسَى ... زَماناً وجادتْهُ المُنَى فتَأَدَّمَا
أضَرَّتْ به الأُولى فهام بأُختِها ... وإن ساءت الأُخرى فوَيلاهُ منهما

فهبّى رياحَ الموت نكباءَ واطفئي ... سراجَ حياتي قبلَ أن يتحطّما
فما عصمتني من زماني فضائلي ... ولكن رأيتُ الموتَ للحرّ أعصما
فيا قلبُ لا تجزعْ إذا عضّكَ الأسى ... فانّك بعد اليومِ لن تتألّما
ويا عينُ قد آن الجمودُ لمدمعي ... فلا سيلَ دمعٍ تسكبينَ ولا دما
ويا يدُ ما كلفتكِ البسطَ مرّة ... لذى منّة أولى الجميلَ وأنعما
فللّه ما أحلاكِ فى أنملِ البلى ... وان كنتِ أحلى فى الطروس وأكرما
ويا قدمى ما سرتَ بى لمذلّةٍ ... ولم ترتقِ إلاّ الى العزّ سلّما
فلا تبطئي سيراً الى الموتِ واعلمى ... بأنّ كريمَ القومِ من مات مكرما

(وقال السيد احمد الهاشمى يشكو ما أصاب الشّرق)

قضيتُ شبيبتي وبذلتُ جهدي ... فلم تكن الحياةُ كما أريدُ
إلى كم أستحثُّ النفسَ عزماً ... وكم أسعى، وغيري يستفيدُ ؟
نهضتُ : فقيلَ أىُّ فتًى ؟ فلمّا ... خبرتُ الأمرَ أعجبني القعودُ
وإنّى بعد مجهدةٍ وقومى ... كضاربةٍ وقد بردَ الحديدُ
وحيدٌ بينهم ولعلّ يوماً ... عصيباً فيه يفتقدُ الوحيدُ
لنا فى الشّرق أوطانٌ، ولكنْ ... تضيقُ بنا كما ضاقت لحودُ
تنازعَ أهلُها فلكلٍّ حزبٍ ... حِمًى، ولكل مملكةٍ عميدُ
نقيم بها على ذُلّ وفقرٍ ... ونظماً لا يسوغُ لنا الورودُ
أكاذيبُ السياسة بيّناتٌ ... تكيدُ بها الحكومةُ ما تكيدُ
وعودٌ كلّها كذبٌ وزورٌ ... فكم وإلامَ تخدعنا الوعودُ ؟
إذا ما الملكُ شيدَ على خداعٍ ... فلا يبقى الخداعُ ولا المشيدُ

وَمَن لم يتَّخذْ مُلكاً صحيحاً فلا تُغنِي الممالك والحُدودُ
وقالوا دولةٌ نَشأت حَديثاً تؤيِّدها السّياسة والعُهُودُ
كذبتُم ما لنَا فى الأمر شَىءٌ فقولوا إنّنا شَعبٌ عَبيدُ
وقالوا أُمّة نَهضَت تُداعِى بحقٍّ كادَ طالبُه يَبيدُ
تَفرَّق أهلُها ، ومَضَى بنُوها ، وفى أرواحهم عَزمٌ عَتيدُ
أَرَى الأملَ الّذى نَحيَا عليه أضاء من الصّباح له عَمُودُ
خذُوا بنفوسكم طُرُق المعَالى فدهرُكُمُ عِصامِىٌّ عَنيدُ
وجُرْحُ الشَّرق يُضْمدُهُ بَنُوهُ وهل يَتلاءمُ الجُرحُ الفَصيدُ؟
نِيامٌ أُغرقُوا فى النّوم حتّى أُشيعَ بأنّهم شَعبٌ بَليدُ !
أَرَى الحرّيةَ اختَضَبت دِماءً وقد خفقتْ لطالبها بُنُودُ
وأُقسِمُ أنّ عاشقَها زَعيم بخِطبتِها ولو قُطِع الوَريدُ
رَخيصٌ كلُّ ما بذلُوهُ فيها ولا تَغلو النُّفوسُ ولا النُّقودُ
إذَا جُعلِتْ لها الأرواحُ مَهراً فانّ لمجدها كُتِبَ الخُلودُ
يسُومُ المجدُ طالبَه بغَالٍ ولا يَطغَى به الثّمنُ الزّهيد
اذَا سهُلَ النّزولُ الى حَضيضٍ يَشُقُّ إذاً الى القِممِ الصُّعُودُ

وقال أحمد شوقى بك يشكو ما أصاب دمشق من ظلم فرنسا بعد الحرب الكبرى

قُمْ نَاجِ «جِلقَ» وَانْشُدْ رَسْمَ مَنْ بانوا مَشتْ عَلَى الرّسم أحْدَاثٌ وَأزْمَانُ
هَذَا الْأَدِيمُ كِتابٌ لا كِفاءَ لَهُ رَثُّ الصَّحَائِفِ ، بَاقٍ مِنْهُ عُنوَانُ
الدِّينُ وَالْوَحْىُ وَالأخْلاَقُ طائِفَةٌ مِنْهُ ، وَسائِرُهُ دُنيا وَبُهْتَانُ
ما فيهِ إنْ قُلِبَتْ يَوْماً جَوَاهِرُهُ إلاَّ قَرَائِحُ مِنْ رَادٍ وَأذْهَانُ

بَنُوا أُمَيَّةَ لِلْأَنْباءِ ما فتحُوا ... وللأحاديثِ ما سادُوا وما دانُوا
كانوا مُلوكا سريرُ الشَّرْقِ تَحْتَهُمُ ... فهلْ سألْتَ سريرَ الْغَرْبِ ما كانوا ؟
عَالِينَ كالشَّمْسِ فى أطْرَافِ دَوْلتِها ... فى كلِّ ناحِيَةٍ مُلْكٌ وسُلْطانُ
يا وَيْحَ قلبىَ مَهْما انْتابَ أرْسُمَهُمْ ... سَرَى به ألَمٌ أو عادتْهُ أشْجانُ
بالأمْسِ قُمْتُ على الزَّهْراءِ أنْدُبُهُمْ ... واليَوْمَ دَمْعى على الفَيْحاءِ هَتّانُ
فى الأرْضِ مِنْهُمْ سَماواتٌ وأَلْوِيَةٌ ... ونَيِّراتٌ وأنواءٌ وعِقْبانُ
مَعادِنُ العِزِّ قدْ مالَ الرغامُ بهِمْ ... لوْ هانَ فى تُرْبِهِ الإبْرِيزُ ما هانُوا
لوْلاَ دِمَشْقُ لما كانتْ طُلَيْطُلَةٌ ... ولاَ زَهَتْ بِبَنى العَبّاسِ بَغْدانُ (١)
مرَرْتُ بالمسْجِدِ المحْزُونِ أسْأَلُهُ ... هَلْ فى المُصَلَّى أو المحْرابِ مَروانُ
تغَيَّرَ المسْجِدُ المحْزُونُ واخْتَلَفَتْ ... على المنابِرِ أحْرارٌ وعِبْدانُ
فلاَ الأذانُ أذانٌ فى مَنارتِهِ ... إذَا تَعالى ولا الأذانُ آذانُ

آمَنْتُ باللهِ واسْتَثْنَيْتُ جَنَّتَهُ ... دِمَشْقُ رَوْحٌ وجَنّاتٌ وَرَيْحانُ
قال الرِّفاقُ وَقَدْ هَبَّتْ خَمائِلُها ... الأرْضُ دارٌ لها الفَيْحاءُ بُسْتانُ (٢)
جرَى وصَفَّقَ يَلْقانا بها بَرَدَى ... كما تلقّاكَ دُونَ الخُلْدِ رِضْوانُ (٣)

---

(١) احدى لغات كثيرة فى بغداد

(٢) الفيحاء من أسماء دمشق . والخمائل جمع خميلة وهى الشجر الكثير الملتف

(٣) يقول : ان مكان (بردى) من دمشق كمكان رضوان — خازن الجنان — من جنة الخلد ، فهو دليل ضيوفها اليها ، يؤنسهم بما على ضفافه من غياض تاوى اليها السعادة ، ومقاصف لا تبلغها الهموم وقوله « جرى وصفق » من قولهم : صفق فلان الشراب ، أى حوله من اناء الى إناء ليصفو . وقد وصف حسان بن ثابت نهر بردى بذلك يوم نزل على أمراء غسان فى البريص — وهى غوطة دمشق — فقال :

دخلتُها وحواشيها زُمُرُّدَةٌ والشَّمْسُ فوْق لُجَيْنِ الماءِ عِقْيَانُ (١)
والحُورُ فى (دُمرٍ) أوْ حوْل (هَامَتِها) حُورٌ كواشفُ عنْ ساقٍ وولدانُ (٢)
و (رَبْوَةُ) الوادِى فى جِلبابِ راقصةٍ أَلسّاقُ كاسيةٌ والنَّحْرُ عُرْيانُ (٣)
والطَّيْرُ يَصْدَحُ مِنْ خلْفِ العُيُونِ بها وللعُيُونِ كما للطّيْرِ أَلْحانُ (٤)
وأَقْبلتْ بالنّبَاتِ الأَرْضُ مُختلفاً أَفْوافُهُ (٥) ، فَهُوَ أَصْباغٌ وألوانُ
وقدْ صفَى (بَرَدَى) للرِّيح فابْترَدتْ لدى سُتُورٍ حَواشيهِنّ أَفْنانُ (٦)
شيَّدُوا لها المُلْكَ وابنُوا رُكنَ دَوْلَتِها فَالمُلك غَرْسٌ ، وتَجْدِيدٌ ، وبُنيانُ

لله در عصابة نادمتهم يوما بحلق فى الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

(١) العقيان : الذهب الخالص (٢) الحور ـ فى صدر البيت ـ شجر باسق معتدل القامات يملأ غياض دمشق . وقد شبهه بحور الجنان كاشفات عن سوقهن ، لان أعالى هذه الشجر مكسوة بأوراقها وسائرها عريان . و (دمر) و (الهامة) من منتزهات دمشق فى وادى بردى .
(٣) يقول ان ربوة هذا الوادى على خلاف مافيها من أشجار الحور ، فاذا كانت الاشجار كاسية النحور عارية السوق فان جبال الربوة كاسية الساق بما فى سفحها من أشجار ومروج وأزهار بينما نحرها عريان لتجرد أعالى تلك الجبال من خضرة النبات وأفواف الزهور و (الربوة) هى متنزه دمشق الغريب . وقد وصفها الله تعالى فى القرآن الحكيم بقوله «ربوة ذات قرار ومعين» قال ياقوت فى معجم البلدان : هى موضع ليس فى الدنيا أنزه منه (٤) العيون عيون الماء يسمع خريرها مع ألحان البلابل والعصافير فى الجبال والاودية (٥) جمع فوف نوع من الثياب والمراد هنا الزهر . (٦) بردى هو نهر دمشق . ينبع من جبال الزبدانى على مسافة أربعين كيلوا مترا ونيف من دمشق فى شمالها الغرب ، وينحدر فى وادى بردى حتى اذا بلغ ينبوع (الفيجة) انضم هذا اليه . ثم ينفصل عنه (نهر يزيد بن معاوية) نحو الشرق فى لحف جبل قاسيون وينفصل عنه بعد ذلك نهر ثورا فيجرى فى جنوب نهر يزيد ، ثم ينفصل عن بردى نهر (بانياس) والقنوات ويدخل بردى مدينة دمشق من مرجتها الشهيرة ، حتى اذا ارتوت منه بساتينها وضواحيها الشرقية انصب فى بحيرة المرج . وكان السريانيون يسمون بردى (نهر أبانا) وسماه اليونانيون (خريسوروثة) أى مجرى الذهب

(وقال الشاعر المطبوع السيد خير الدين افندى الزركلى فى سورية الشهيدة من قصيدة)

ألأَهْلُ أهلِي ، والدِّيارُ ديارى ... وشِعارُ « وادى النَّيِّرَيْنِ » شِعارى
ما كان من ألمٍ « بجلّقَ » نازلٍ ... وَارِى الزّناد ، فزَندُهُ بىَ وارِى
إنّ الدّم المهراقَ فى جنَباتها ... لدَمى ، وإنَّ شِفارَها لَشفارِى
دَمعِي لِمَا مُنِيَتْ به جارٍ هنـا ... ودمى هُناك على ثَراها جارِى
ياوامِضَ البرق اطْمئنَّ ونَاجنى ... إن كنتَ مُطَّلعاً على الأَسرارِ
ماذا هُناك ؟ فانّ صوتاً راعنِي ... والصّوتُ فيـه جَفوةُ الإذعارِ
النّارُ مُحدِقةٌ « بجلّقَ » بعدَ مَا ... تَركتْ « حَماةَ » على شَفيرِ هارِ
تنسابُ فى الأَحيـاءِ مُسرعةَ الخُطى ... تأتى على الأطمار والأَعمارِ
والقومُ مُنغمِسُون فى حَمأَتِهـا ... فتـكاً بكلّ مُبرَّإٍ صبَّارِ
أَلطّفلُ فى يدِ أُمّه غَرَضُ الأَذَى ... يُرمَى ، وليس بخائضٍ لغِمارِ
والشَّيخ مُتّكِئاً على عُكّازه ... يُرمَى ، وما للشّيخ من أوزارِ

(وقال أيضاً سعادة الشاعر الجليل فؤاد الخطيب)

ياسَاهرَ اللّيل ، ما للبرق يأتلِقُ ... والمُزنِ تَرعدُ والأنواءِ تَصْطَفِقُ
هَل بالطبيعة مابى ؟ أمْ ألمّ بها ... ما بالدّيار فثارتْ — كلّها حنَقُ
مُربدّةً لم يَهِمْ فى جوّها قمرٌ ... ولا تَنفَّسَ فى أطرافها فَلَقُ
قَدّتْ من الليل سِرْبالاً يُجلّلها ... وحْف الذّبول فلم يُسفِر لها أُفُقُ
مَرأى يُمثّل هَولَ الحزن مُختبطاً ... بين الجوانح سُدّتْ دونَه الطّرقُ
أبصرتُ بالعين ما استشعرتُ من كمدٍ ... فى النّفس لجّ به التّبريحُ والأَرقُ
ويحَ الهموم فكم أرْخَت أعِنّتها ... شُعثاً تدفّقُ إرسالاً وتَستبقُ

هَوَ جَاء تسمعُ منها كلّما اقتربت صوتَ السَّلاسل فوق الصّخر تَنْزَلقُ
تَهوى الىَّ وأهوى مُطبقين معاً حتَّى نصرَّع ملتفّين نَعتنِقُ
هاجت وهِجتُ فكانت ثَمَّ مَلْحَمَة دارتْ وسَال دمى يجرى به العَرَق

الباب الرابع فى الوصف

(وصف الشعر وآراء الحكماء والشعراء فيه)

إنّ من الشِّعْرِ لحكمةً قاله أفضل الخلق على الاطلاق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

سُمّى الشّاعر شَاعراً لفِطْنتِه (الأخفش)

وُجِدَ الشِّعْرِ حِينما وُجد السِّحْـ ـرُ شَقيقَين ليس يَفْترقانِ
(الياس فياض)

إنّ المُنشىء يُولد مَطبوعاً على الأنشاء. كما يولد الشّاعر مطبوعاً على النّظم والشُّعراء لِسان حال الأُمة. وتَراجمةُ شُعورها، وعنوان إحساسها

والشّعر العصرى أضافَ الى مَعارفنَا مَعانى جدَيدة يَرقى بها الخيال. وتتَّسع التّصوّرات المبنيّة على الحقائق (الهلال)

ألشُّعراء زينَة المجالس (الامين هارون الرشيد)

ألشَّاعر العَربى الذى يمكن أنْ يترجَم أكثَر شِعره من غير أن تفقِدَه التَّرجمة جَماله ـ هُو شاعرُ الحقَائق (الدكتور شبلى شميل)

ألشّعر عَاطفة ذَائبة. أو فِكرة مُتوقّدة. أو خاطِرة عَميقة سُبكتْ فى قَالَبٍ مَوزون الكلام والنَّغَمة (الآنسة مى)

ما الشِّعْرِ إلاَّ تصوير الخيال، والشُّعور النّفسى فى شكل الألفاظ التى تُدنيه من أفهام الناس. فقدر الشّعر ورِقّته وبَلاغتُه يكون على قَدر تَنبُّه احساس الشّاعر

ورقّة عواطفه (وسيلة محمد)

خلق الشّاعر سمحاً طرباً . . . . (شوقى)

أَلشّعر إله قديم مات ودفن فى العواطف الرّاقية ، فجعل شعور النّفس كفناً له . كلّما تحرّكت العواطف ولمس الكفن استيقظ ذلك الاله وملأ الدّنيا أنيناً مدهشاً (توفيق مفرح)

ولولا خلال سنّها الشّعر ما درى بُغاة المعالى كيف تُبنى المكارمُ

أرى الشّعر يحيى الجود والبأس بالذى تبقيه أرواح له عطراتُ

وما المجدُ لولا الشّعر إلا معاهدٌ وما النّاس إلا أعظمٌ نخراتُ

(أبو تمام)

أجلّ الشّعر ما فى البيت منه غرابة نكتةٍ أو نوع لُطفِ

وبئسَ الشّعر بيت ليس فيه أماكن غير حيطانٍ وسقفِ

للشّعر فى كلّ عصر مركب خشنٌ لايستقلُّ عليه الرّاكب الوهن

(ناصيف اليازجى)

ليس شعراً الاّ الذى كلّ بيتٍ فيه معنًى يدعو الى الأسماع

(خليل اليازجى)

وخير الشّعر ما أوحاه طبعٌ فكانَ له بأفئدة دبيب

معانيه قد انتسقتْ بلفظٍ يكادُ لفرط رقّته يذوب

(عيسى المعلوف)

أَلشّعر كالمرآة يُرسم فيه عقل النّاظم

(ابراهيم الحورانى)

وما الشِّعر الا الشَّهد والسِّحر والطّلى ... يجلِي المنى يُرقِي العقول ويُسكِرُ
وماالشّعر لا أدرِى وأدرِى لأننّى ... تصوّرته لكنّه لا يُصوّرُ

(فائز السمعانى)

أنصتْ فكلّ لسانٍ شاعرٌ هَزِج ... حتى الكواكبُ والأقمار والشّهبُ

(المقتطف)

لا يَحسُنُ الشِّعر الا وهو مُبتَكرٌ ... وأىُّ حُسن لشعرٍ غير مُبتكرِ
وأجوَدُ الشِّعْر ما يكسُوه قائلُه ... بِوشيِ ذَا العصرِ لا الخَالِى من العُصُرِ

هُو الشِّعرُ لا أعتاضُ عنه بغيره ... ولا عن قَوافيهِ ولا عن فُنُونِهِ
إذا كانَ من مَعنَى الشُّعور اشتقاقُهُ ... فما بَعدهُ للمرءِ غيرُ جُنُونه

(معروف الرصافى)

إنْظم الشّعر ولازِمْ مَذهبى ... فى اطّراح الرّفد لا تَبغ النّحلْ
فهو عُنوانٌ على الفضل ومَا ... أحسنَ الشّعرَ اذا لم يُبْتذَلْ

(ابن الوردى)

ألشّعرُ درٌّ والخَيالُ بُحورُ ... والفكرُ فُلكٌ فى العُباب يمُورُ
والشّعرُ ما ابتكر الذّكاء مُولّداً ... معنًى له يَرتاحُ منك شُعُورُ
فاذَا أتى نَظماً فتِلكَ صناعةٌ ... أُخرى جَلاها الطّبع والتّحريرُ

(سليم عنحورى)

(وقال دُعبل بن على الخُزَاعى يصف الشعر الخالد)

يقولون : إنْ ذَاقَ الرَّدى مَات شِعرُهُ ... وهيهات عُمر الشّعْر طَالتْ طَوائلهْ
سَأقضِى ببيتٍ يحمَدُ النّاس أمرَه ... وَيكثُر من أهل الرِّواية حامِلهْ

يموتُ رَدىء الشّعر من قبل أهلهِ وجيّدُه يبقى، وإن مات قائلهْ

(العناية بلغة الشعر لعدىّ بن الرقاع)

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمعُ بينها حتى أُقوّم ميلها وسِنادها
نَظر المُثقِّف فى كعوب قَنَاته حتى يقيمَ ثِقافُهُ مِنآدها

(سحر البيان لأبى تمام)

كشفت قِناعَ الشّعرعن حُرّوجهِهِ وطيّرته عن وَكرهِ وهو وَاقعُ
بِغُرّ يراها مَن يراها بسمعهِ ويَدنُو اليها ذُو الحِجَاوهو شَاسِعُ
يَودُّ وِدَاداً أنّ أعضاءَ جسمه اذا أُنشدت شَوقاً اليها مَسامعُ

﴿ وصف قصيدة لابن الرومى ﴾

نَظم الفكرُ دُرّها غير مَثْقُو ب إذَا الدُّرُّشِينَ بالتَّثقيب
لم يَعِبْهَا سوى قوافٍ تَشاغلْـــنَ عن المدح فيك بالتَّشبيبِ
يُطرب السَّامعينَ أيسر ما فيـــها وانْ أُنشدتْ بلا تَطريب
سَوّدت فيك كل بيضاء تسويـــداً تراه العيُون كالتّذهيب
لو يناغِي بيانُها العُجمَ يوماً عرَّب العجمَ أيَّمَا تَعريبِ

﴿ سيرورة الشعر للمُتنبّى ﴾

وما الدَّهرُ الاَّ من رُوَاة قَصائدِى إذا قلتُ شعراً أصبحَ الدهرُ مُنشِدَا
فسَار بهِ مَن لا يَسيرُ مشمِّراً وَغنَّى بهِ مَن لا يُغنِّى مُغرِّدَا
أجِزْنى اذا أُنشدتُ شعراً فانّما بشِعرى أتاكِ المَادحُون مُردَّدا

(سهولة الشعر لبَشّار بن بُرْد)

عَميتُ جَنيناً والذّكاء من العَمَى فجئتُ عَجيبَ الظَنّ للعلم مَوْئِلا

وغاضَ ضِياءُ العينِ للعلمِ رافداً لقلبٍ إذا ما ضيّع النّاس حصّلا
وشعرٌ كزهرِ الرّوضِ لاءَمْتُ بينه بقول اذا ما أحزن الشّعر أسهلا

(شعر فيكتور هيجو للمرحوم محمد حافظ بك ابراهيم)

ما ثُغورُ الزّهر فى أكمامِها ضاحكاتٍ من بُكاءِ السُّحُبِ
نظمَ الوسميّ فيها لُؤلؤاً كشَنايَا الغِيد أو كالحَبَبِ
عند مَن يَقضى بأبهَى منظراً من معانيهِ التى تَلعبُ بى
بَسَمتْ للذّهن فاستهوت نُهى مُغرِمِ الفضلِ وصَبّ الأدبِ

(وقال أيضا المرحوم محمد حافظ بك ابراهيم أيضاً يَصِف طيّارة)

يَجرِى بِسَابحةٍ تَشُـــقُّ سَبيلها شَقّ الإزارْ
وتكَاد تقدَحُ فى الأثيـــر فَيستحيل الى شِرَارْ
مِثْلَ الشِّهاب انقَضّ فى آثار عِفْريتٍ وطارْ
فاذا علَتْ فَكَدَعْوة الْـــمُضْطَرّ تَخترِق السِّتَارْ
واذا هَوَتْ فكما هَوَت أُنثَى العُقَاب على الْهزَارْ
وتُسِفُّ آونةً وآ ونةً يَحيدُ بها ازْورَارْ
فَيخَالها الرّاؤون قد قرّت وليس بها قَرَارْ
لَعِبَ الجَوادُ أقلّ ليـــثاً من قُضَاعة أو نِزار
أو كالقلوب من الحمَا ئِم فوْقَ مَلعبهِ استَطَارْ
وكأنّها فى الأفْقِ حيـــنَ يميل مِيزان النّهارْ
والشّمس تُلقِى فوقَها حُلَل اصفرارٍ واحْمِرارْ
مَلك تُمثّله لنا السّـــيما فيأخذُنا انْبِهارْ

(وقال أيضاً المرحوم حافظ بك ابراهيم يصف زلزال صقلية فى سنة ١٩٠٩ م)

نَبِّئانِي إن كُنتُمَا تعلَمَانِ ... ما دَهَى الكونَ أيُّها الفَرْقَدانِ
غَضَبٌ الله أم تَمَرَّدت الأَر ... ض فأنْحَت على بَنى الإنسانِ
ليسَ هذا سُبحانَ ربّى ولا ذاك ... ك ولكن طَبيعة الأكوان
غَلَيانٌ فى الأرض نَفَّسَ عنهُ ... ثَوَرَانٌ فى البحر والبُركانِ
رَبِّ أينَ المَفَرّ والبحرُ والبرّ ... على الكيد للورى عاملان ؟
كنتُ أخشَى البحار والموتُ فيها ... راصدٌ غفلةً من الرُّبّانِ
سابحٌ تحتَنا مُطِلٌّ علينا ... حائم حولنا مُناءٍ مُدَانى (١)
فاذَا الأرضُ والبحار سَواءٌ ... فى خَلاقٍ كِلاهما غَادرانِ (٢)

(وقال البُحترى يصف سيفاً)

يتَناولُ الرُّوحَ البعيدَ منالُه ... عَفْوا ويَفْتَحُ فى القَضاء المُقْفَلِ
يَغشَى الوَغَى فالتُّرْس ليس يَحُدّه ... من حَدِّه والدِّرعُ ليس بمَعْقِلِ
ماضٍ وان لم تُمْضِه يدُ فارس ... بَطَلٍ ومَصقولٌ وانْ لم يُصْقَلِ
مُصْغٍ الى حُكم الرّدَى فاذَا مَضَى ... لم يلتفت واذا قضَى لم يَعْدِلِ
مُتوقّدٌ يَبْرِى بأول ضَربةٍ ... ما أدركت ولو أنّها فى يَذْبُلِ
فاذَا أصابَ فكلّ شىء مَقتَلٌ ... واذَا أُصيبَ فمالَه من مَقتلِ

وقال فقيد الأدب السيد مصطفى لطفى المنفلوطى يصف القلم

كَمْ أثار اليَراعُ خَطباً كَميناً ... وأماتَ اليَراعُ خَطباً مُثاراً
قَطراتٌ من بين شقَّيْه سالت ... فأسالتْ من الدِّما أنهارا

(١) مناء مدان : مباعد مقارب (٢) الخلاق : الحظ أو الدين وانما يكون ذلك فى الخير ولكن الشاعر توسع فى استعمال الكلمة

كانَ غُصناً فصَار عُوداً ولكنْ لم يَزَلْ بعدُ يَحملُ الأَثمَارَا
كان يَستمطِرُ السَّحاب فحال الـ أمرُ فاستَمْطَرَ العقُولَ الغِزَارَا

(وقال المرحوم أحمد بك شوقى يصف أبا الهول)

أبَا الهَوْلِ : طالَ عليكَ العُصُرْ وبُلِّغْتَ فى الأرضِ أقصَى العُمُرْ (١)
فَيالِدَةَ الدَّهر لا الدَّهرُ شَبْـ ـبَ ، ولا أنتَ جاوزتَ حَدَّ الصِّغَرْ (٢)
إلامَ رُكوبُكَ مَتْنَ الرّما لِ لِطَىِّ الأَصيل وجَوْبِ السَّحَرْ (٣)
تُسافر مُنتقلاً فى القُرو نِ فأيّانَ تُلقى غُبار السَّفَرْ ؟
أبينْك عَهْدٌ وبين الجبا لِ ، تَزُولانِ فى المَوعد المُنتظر ؟ (٤)
أبا الهَولِ ! مَاذا وَرَاءَ البَقَا ءِ إذَا مَا تَطَاوَلَ غيرُ الضَّجرْ ؟ (٥)
عَجِبْتُ لِلُقمانَ فى حِرصِهِ عـلى لُبَدٍ والنُّسُورُ الأُخَرْ (٦)

---

(١) العصر : الدهر فالعصر هنا مفرد لا جمع — ومعنى طول الدهر على أبى الهول أنه عمر أعماراً طوالا : والعمر بضم العين والميم لغـة فى العمر (٢) « فيالدة الدهر » فيا أخا الدهر وقرينه فـكأنك والدهر توءمان ، خلقتما معاً فى أوان « ولا أنت جاوزت حد الصغر » اى برغم انك بلغت فى الأرض أقصى العمر (٣) إلام ركوبك) انه لتصوير شعرى بديع رائع لتصوير أبى الهول راكباً متن الرمال يطوى الليل والنهار ، ويسافر متنقلا فى القرون والادهار « وجوب » فى معنى طى (٤) « فى الموعد المنتظر » يوم يزول كل شىء — أى اليوم الآخر

(٥) « ماذا وراء البقاء » يقول ماوراء البقاء المتطاول غير السأم : قال زهير بن أبى سلمى

سئمت تـكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

(٦) «للقمان» هو لقمان بن عادياء — وتزعم العرب أنه هو الذى بعثته عاد فى وفدها الى الحرم ليستسقى لها ، فلما أهلـكوا خير لقمان بين بقاء سبع بقرات سمر من أطيب عفر فى جبل وعر لا يمسها القطر — أو بقاء سبعة أنسر كلما أهلك نسر خلف بعده نسر فاستحقر الابعار وآثر النسور فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له ياعم ما بقى من عمرك الا عمر هذا — فقال لقمان هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر . قالوا وكان يأخذ فرخ النسر فيجعله فى جوبة فى الجبل الذى هو فى أصله فيعيش الفرخ خمسمائةسنة أو أقل أو أكثر فاذا مات أخذ آخر مكانه حتى هلـكت كلها الاالسابع أخذه فوضعه فى ذلك الموضع وسماه لبداً وكان أطولها عمراً ، فضربت العرب به المثل : فقالوا طال الابد على لبد .

وشَكوَى لَبيـدٍ لطولِ الحيَا ةِ ، ولو لم تَطُلْ لَتَشكَّى القِصَرْ (١)
وَلو وُجِدَتْ فيكَ يا ابنَ الصَّفَا ةِ لَحِقتَ بِصانِعِكَ المُقْتَدِرْ (٢)
فإنّ الحياةَ تَفُلُّ الحدِيـ ـدَ إذَا لَبِسَتْه وتُبلِي الحَجَرْ

أَبَا الهَول مَا أَنتَ فى المُعضِلا تِ ؟ لقد ضلَّتِ السُّبْلَ فيك الفِكَرْ (٣)
تَحيَّرتِ البَدْوُ مَاذَا تَكو نُ ، وَضَلَّتْ بَوادى الظنون الحضَرْ (٤)
فَكُنتَ لهُم صُورةَ العُنفُوَا نِ ، وَكُنتَ مِثالَ الحِجَى والبَصَرْ (٥)
وسِرُّكَ فى حُجْبِهِ كُلّما أَطلَّتْ عليه الظُّنون استَتَرْ (٦)
وَما رَاعَهُم غيرُ رَأسِ الرِّجا لِ عَلَى هَيكَلٍ مِن ذَوات الظُّفُرْ

فعاش لقمان — كما زعموا — ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة — وقال النابغة

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لبد

وهذا لقمان بن عاديا غير لقمان الحكيم وغير لقمان اليهودى الذى آتاه الله من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة — وكلا الاثنين مذكور فى القرآن الكريم

(١) « وشكوى لبيد » أى وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة الخ

كان لبيد من المعمرين ، روى أنه مات وهو ابن مائة وأربعين سنة . وقيل وهو ابن سبع وخمسين ومائة اول خلافة معاوية — أما شكواه التى ألمع اليها فذلك حيث يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

يقول اذا لم يكن وراء البقاء المتطاول الا الضجر فانى أعجب للقمان فى حرصه على ان تطول حياته وللبيد الذى وان مل الحياة وسئم من طولها فانه لا محالة كان أكثر شكاة اذا هى لم تطل لان حب الحياة جبلة وغريزة مركوزة فى الطباع

(٢) « وجدت » أى الحياة « يا ابن الصفاة » الصفاة الحجر الصلد الذى لاينبت شيئا وفى المثل فلان ما تندى صفاته — وفى الحديث لا تقرع صفاة أى لا يناله احد بسوء وأبو الهول ابن الصفاة لانه من الحجر « لحقت الخ » أى لأدركك الموت

(٣) ما أنت فى المعضلات ، خبرنى أى معضلة أنت فى العضلات : وأى معمى مخفى

(٤) تحيرت : يقول حار الناس قاطبة فى أمرك حاضرهم والبادى (٥) صورة العنفوان لما ينطوى عليه جسمك الذى صور على صورة الاسد من معانى القوة مثال الحجى والبصر لما ينم عنك وجهك ورأسك المصوران على صورة وجه الانسان من معانى الفطنة والبصر بالأمور

(٦) يقول ومع ذلك لا يزال سرك مكتنا ومخفيا فى حجبه ، والناس من أمرك فى ظلام

ولو صوّروا مِنْ نَواحى الطّبا ع توالَوْا عليك سِباعَ الصُّوَر (١)
فيارُبَّ وَجهٍ كصافِي النّميـــرِ تَشابهَ حامِلُه والنَّمِرْ

أبا الهول وَيْحك لاَ يُستَقَلْـــلُ مَعَ الدَّهر شىءٌ ولا يُحْتَقَرْ (٢)
تَهزَّأتَ دَهْراً بدِيكِ الصَّبا ح فنَقَّر عَينَيـــك فيما نَقَرْ (٣)
أسَال البياضَ وَسلَّ السَّوا دَ وَأوغلَ مِنقارُهُ فى الُحفَرْ
فعُدْتَ كأنَّكَ ذُو المَحبِسَيْـــن ، قَطيعَ القيام سَليبَ البَصَرْ (٤)
كأنَّ الرِّمالَ عـلى جانبَيـــكَ وبينَ يديك ذنوبُ البشَرْ
كأنَّكَ فيهـا لِواءُ القَضَا ءِ على الأرض أو دَيْدبانُ القَدَرْ (٥)
كأنَّكَ صاحبُ رَمْلٍ يرَى خَبايا الغيُوبِ خِلالَ السَّطَرْ (٦)

---

(١) ولو صوروا أى ما كان ينبغى أن يروع الناس منك ان كان رأسك على هيكل من ذوات الظفر لان الناس لو صوروا من نواحى شيمهم وطبائعهم لتوالوا عليك كأنهم وحوش .
فيارب وجه كصافى النميرى الماء الناجع فى الرى او النامى أو الكثير والنمر هو ذلك الحيوان المعروف بمكره وخبثه وشراسته

(٢) لا يستقل لا يعد قليلا وهذا البيت كالتمهيد لما بعده (٣) بديك الصباح يريد الزمن والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة — ومن حسن التعليل أن جعل سبب عبث الدهر بأبى الهول وتشويهه خلقه حتى أسال بياض عينيه وسل سوادهما هو هزء أبى الهول به وسخره منه وعدم اكتراثه له ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح . هذا — ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول إنه ورد في بعض الآثار لاتسبوا الديكة فانها تدعو الى الصلاة (٤) «المحبسين» المحبس الموضع الذى يحبس فيه وكان يقال عن أبى العلاء المعرى رهين المحبسين أى رهين عماه وبيته : فكأنه من عماه فى محبس وكذلك أبو الهول عده شاعرنا بعد أن نقر ديك الصباح عينيه كأنه من عماه وسكونه فى محبسين (٥) « ديدبان » فارسية معربة أصلها ديده بان ومعنى ديده العين وبان أى ذو أى الرقيب والعين ومعناها الخاص الجندى المكلف بالحراسة
(٦) «السطر» السطر والسطر الصف من الكتاب والشجر ونحوهما ومعنى البيت ظاهر

أبا الهـول أنتَ نَديمُ الزَّما نِ نَجىُّ الأوانِ سَميرُ العُصُر (١)
بَسطتَ ذِراعيك من آدمٍ ووليَّتَ وجهكَ شَطرَ الزُّمَر (٢)
تُطِلُّ على عالَمٍ يَستهِلْ لُ وتُوفِى على عالَمٍ يُحْتَضَرْ (٣)
فعينٌ إلى مَن بدَا للوجو دِ ، وأُخرى مُشيِّعَةٌ مَن عَبَرْ (٤)
فحدِّثْ فقَدْ يُهتَدى بالحديـــثِ ، وخبِّرْ فقـد يُؤتَسَى بالخبَرْ
ألم تَبْلُ فرعونَ فى عزِّه إلى الشمس مُعتَزِياً والقَمر (٥)
ظليـلَ الحَضارة فى الأوَّليـــنَ ، رَفيعَ البناء ، جليلَ الأثر (٦)

---

(١) « نجى الاوان » النجى بوزن فعيـل الذى تساره — وفى الحديث (اللهم بمحمد نبيك وبموسى نجيك) هو المناجى المحدث للانسان

(٢) « من آدم » أى من قديم القديم « الزمر » جمع الزمرة الجماعة من الناس — والمراد هنا الناس جميعاً (٣) « يستهل » يعنى يقدم على الدنيا من استهل الصبي بالبكاء رفع صوته وصاح عند الولادة « يحتضر » حضر فلان واحتضر اذا نزل به الموت (٤) « وأخرى مشيعة من عبر من مضى (٥) « ألم تبل فرعون » بلاه يبلوه بلوا وابتلاه جربه واختبره وفرعون لقب يطلق عسلى كل من ولى ملك مصر كالنجاشى لملوك الحبشة وقيصر لملوك الرومان وفرعون أصلها فى الهير وغليفية مركبة من بى وهى أداة التعريف كأل : وراع أى الشمس فتكون كلمة واحدة وراع أو راهو معبود قوى وحاكم جبار يقاتل احتفاظا بالحياة ، وابقاء على الكون ومن هنا كان العتو والجبروت وما فى معناها من مدلولات كلمة فرعون عند العرب — واذن لا يقصد بفرعون فرعوناً معيناً ولكن جميع فراعنة مصر وقد ابتلاهم أبو الهول « الى الشمس معتزيا » يقول ألم تبل يا أبا الهول فرعون وهو فى عزه حتى لكأنه من العز والمنعة بحيث يناطح الشمس والقمر لان من اعتزى الى شىء قاربه وشاكله وقد كان أكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صورة أوزيريس « الشمس » وايزيس « القمر » لانهما من أصنامهم فلعله يشير الى هذا مع ارادة معنى العز والمنعة (٦) « ظليل الحضارة » مكان ظليل ذو ظل دائم يستظل به — يريد أن حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظل الناس ويرتعون فى ذراها وكنفها — والحضارة بكسر الحاء وفتحها الاقامة فى الحضر خلاف البدو والبادية وهى المدن والقرى والريف سميت بذلك لان أهلها حضروا الامصار ومساكن الديار التى يكون لهم بها قرار

يُؤَسِّسُ فى الأَرض للغابرين ... وَيغرِسُ للآخرين الثَّمر (٦)
ورَاعَكَ ما رَاعَ مِنْ خَيْلِ قَمْبِيزَ ... تَرمِى سَنَابكُها بالشَّرَر (١)
جَوَارفُ بالنَّار تغزُو البلا ... دَ وآونةً بالقَنَا المُشْتَجر
وَأبصَرْت إسكندراً فى المَلاَ ... قَشيبَ العُلاَ فى الشَّباب النَّضر (٢)

---

(١) « للغابرين » الغابر من الاضداد فيكون بمعنى الباقى ويكون بمعنى الماضى ومن ثم يكون معنى البيت اما أن فرعون يخلد ذكر الماضين باقامة الآثار لهم والتماثيل ويغرس للآتين ما يجنون ثمره من دور العلم والعرفان وما إليها — واما أن فرعون يؤسس للآتين ويغرس لهم كل ما يجدى ويثمر

(٢) « قمبيز » هو ابن كورش الاكبر الذى أسس دولة الفرس العظيمة ومعلوم ان الفرس من الدول التى غزت مصر واستولت عليها حيناً من الدهر قال المؤرخون أخذ الفرس فى غزو مصر أزمان الاسرة السادسة والعشرين وذلك حين ولو الملك « ابسمتيك الثالث » أحد ملوك هذه الاسرة فأعد الفرس لهذه الغزاة المعدات الكبيرة وجاء ملكهم « قمبيز » بجيش جرار » لفتح البلاد التى طالما شرهت نفس أبيه كورش العظيم الى اخضاعها وكانت مصر اذ ذاك حصينة غاية فى المنعة . يقول مؤرخوا الاغريق ان أحد الجنود اليونانية هو الذى خان مصر والمصريين ودل الفرس على أسهل الطرق التى يمكنهم بواسطتها أن يدخلوا البلاد فهوجمت مدينة (بلوز) (الفرما) بحراً وزحفت الجنود الفارسية على مصر براً وبعد مقاومة عنيفة جهتى بلوز ومنف سقطت البلاد وأخذ قمبيز أبسمتيك أسيراً وكان ذلك سنة ٥٢٥ قبل الميلاد . ثم سار قمبيز أول أيامه سيرة حسنة وعامل المصريين معاملة طيبة يحترم دياناتهم وتقاليدهم ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد النمر وحنق على البلاد ومن فيها فكر على المعابد والهياكل فهدمها وقتل بيده العجل أبيس أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة وعند عودته الى فارس مات فى الطريق سنة ٥٢١ . ولما ولى ملك فارس دارا الاول زار مصر وأراد أن يصلح ما أفسده قمبيز فأبدى احتراماً كبيراً لديانة المصريين ومعبوداتهم وشيد هيكلا عظيما للمعبود آمون بواحة سيوة الكبرى وعضد التجارة وشيد كثيراً من المدارس وفتح الخليج الموصل ما بين النيل والبحر الاحمر — ورأى المصريون آخر أيامه ما لحقه من الخسائر فى واقعة (مرنون) فى حربه مع الاغريق فخرجوا عن طاعته وطردوا الفرس من البلاد بقيادة أحد الامراء الوطنيين سنة ٤٨٦ ق . م — ثم غزا الفرس مصر ثانية وما زالوا بها حتى طردهم المصريون سنة ٤٠٥ ق . م (٣) (اسكندر) هو الاسكندر الاكبر المقدونى الفاتح العظيم قال المؤرخون بعد أن هزم الاسكندر الفرس فى واقعة أسوس زحف على مدينة صور فاخذها عنوة وبذلك تم استيلاؤه على الشام ثم قدم الى مصر وقد كان الفرس قد

تبلّجَ فى مِصرَ إكليلُه فلم يَعْدُ فى المُلْكِ عُمْرَ الزَّهَرْ
وشاهدتَ قيصرَ كيفَ استبدْ دَ وكيف أذلَّ بمصرَ القَصَرْ ؟ (١)
وكيف تجبَّرَ أعوانُه ؟ وساقُوا الخلائقَ سَوْقَ الحُمُرْ ؟
وكيف ابتُلُوا بقليل العديـــد من الفاتحين كريمَ النَّفَرْ
رَمَى تاجَ قيصر رَمْىَ الزُّجا ج ، وفَلَّ الجُموعَ وثَلَّ السُّرُرْ (٢)

استدعوا حاميتها منها بسبب حروبهم مع الاسكندر فلما وصل الاسكندر الى (بلوز) (الفرما) سنة ٣٣٢ ق . م رحب به المصريون لما سمعوه عن عدالة حكمه ولما لاقوه من الذل والهوان فى حكم الفرس ففتحت مصر أبوابها ودخلها دون عناء حتى ان الوالى الفارسى لم يجرؤ على مقاومته وقابله فى منف بترحاب — ومن ثم سار الاسكندر الى واحة آمون الكبرى ودخل معبد آمون ولقبه الكهنة بابن آمون ، فاحترم ديانة المصريين وقدم القرابين لمعبوداتهم ولم يهمل مع ذلك التقاليد الاغريقية فأدخل منها فى مصر الموسيقى والالعاب النظامية — ولما رأى الاسكندر أن قرية « راقوده » وهى قرية صغيرة كانت بقرب الاسكندرية — ذات موقع بحرى موفق أنشأ بجوارها حاضرة جديدة له هي الاسكندرية وبعد أن استوثق الامر للاسكندر فى مصر خرج إلى فتوحاته الاخرى فى المشرق — وكانت وفاته سنة ٣٢٣ وكان عمره اذ ذاك ٣٢ سنة ونيفا ولم يقم بمصر كما ترى الا قليلا — فذلك حيث يقول فى البيت التالى (فلم يعد فى الملك عمر الزهر) وخلف الاسكندر على مصر البطالسة وما زالو بها الى أن استولى الرومان عليها (أكليله) تاجه

(١) قيصر أسلفنا أن قيصر هذا لقب ملوك الرومان قال المؤرخون ما كادت دولة الرومان تظهر بين ممالك الارض حتى أخذت العلائق تنشأ بينها وبين دولة البطالسة فى مصر ولبثت بين الدولتين مدة طويلة من أيام مجد البطالسة إلى انقراضهم تطورت أثناءها فى عدة أطوار : ابتدأت بمصادقة الرومان للبطالسة ثم انتقلت الى حمايتهم لهم ثم السيطرة عليهم ثم انتهت باستيلائهم على مصر سنة ٣٠ ق . م فى عهد أغسطس ودخلت مصر باستيلاء الرومان عليها فى عهد خمول سياسى طويل امتد نحوا من ٦٧ سنة لم يكن لها فيه شىء يذكر فى التاريخ بل كانت كحقل لانتاج الحبوب وتصديرها الى رومية لسد أهم جزء من الخراج ومازال الرومان بمصر حتى أدال الله منهم بالعرب سنة ٦٤١ على يد عمرو بن العاص — فذلك حيث يقول « وكيف ابتلوا بقليل العديد الخ والقصر أى الاعناق قال الشاعر

لا تدلك الشمس الا حذو منكبه فى حومة تحتها الهامات والقصر

(٢) رمى أى هذا النفر القليل وهم أصحاب عمرو بن العاص وفل الجموع . هزمها : وثل السرر كسرها والسرر جمع سرير والمراد بها العروش التى يجلس عليها القياصرة

فَدَعْ كلّ طاغيةٍ للزّما نِ فإنّ الزّمانَ يُقيم الصَّعَر (١)
رأيتَ الدّيانات فى نَظْمِها وحينَ وَهَى سلكُها وانتثر (٢)
تُشادُ البيُوتُ لها كالبرُو ج إذَا أخَذَ الطَّرْفُ فيها انحسَر (٣)
تلاقَى أساساً وشُمَّ الجبَا ل كما تتلاقى أصولُ الشَّجر (٤)
وإيزيسُ خلْفَ مقاصيرِها تَخطَّى المُلوكُ إليها السُّتُر (٥)
تُضِيء على صَفَحَات السّما ءِ وتُشرِقُ فى الأرض منها الحُجَر
وآبيسُ فى نِيره العالَمو نَ، وبعضُ العقائدِ نِيرٌ عَسِر (٦)

(١) (الصعر) ميل فى العنق وانقلاب فى الوجه الى أحد الشقين ـ وقد صعر خده أماله من الكبر ، قال المتلمس

وكنا اذا الجبار صعر خده أقمنا له من ردئه فتقوما

والزمان يقيم الصعر يعدل الطغاة يقال أقمت الشيء فقام أى استقام

(٢) «فى نظمها وحين وهى سلكها» فى حالتى قوتها وضعفها (٣) «انحسر» كل ـ والبصر يحسر عند أقصى بلوغ النظر (٤) « تلاق » تتلاق بحذف احدى التاءين يريد أنها راسخة رسوخ الجبال (٥) « ايزيس » هى من معبودات قدماء المصريين وهى أخت أوزيريس وزوجته فى الوقت نفسه وأم هوروس وهاربوقراط — يرى قدماء المصريين ان ايزيس هذه وليت أمر مصر مع أخيها وزوجها أوزيريس حيناً من الدهر ازدهرت فيه الزراعة ، ويؤخذ من تقاليد ايزيس انها عندهم رمز للقمر وأوزيريس رمز للشمس ومن هنا يريد بايزيس القمر وقوله تخطى أى تتخطى بحذف احدى التاءين وقوله تضيء على صفحات السماء أى ايزيس بمعنى قمر السماء الحقيق : وقوله وتشرق فى الارض منها الحجر أى القمر بمعنى المعبود فى الارض (٦) « وآبيس» هو العجل أبيس . رووا أن نيفون إله الشر تغلب أخيرا على أوزيريس إله الخير وقتله فتقمصت روحه جسد عجل وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصب والتوليد الخلق وكانوا يعتقدون أن العجل الذى تقمصته روحه هو ابن بقرة حملت بواسطة شعاع من الشمس وشعاع من القمر وله علامات ظاهرة فى جسده فانه يكون أسود اللون وفى جبهته سمة بيضاء مربعة أو مثلثة وصورة نسر على ظهره وصورة خنفساء تحت لسانه وكان الكهنة عند ما يجدون العجل بعد موت سلفه يركبون مركبة حربية ويسيرون به باحتفال عظيم الى هليوبوليس وكانوا يضعونه فيها فى هيكل يتركونه مفتوحا للعبادة أربعين يوماً وكان الاهالى عند موته ينوحون ويلبسون ثوب الحداد ويضعونه فى ناووس ثمين

تُساسُ به مُعضلات الأُمو ... رِ ، ويُرْجَى النَّعيمُ وتُخشَى سَقَرْ
ولا يَشعُرُ القومُ إلاَّ به ... ولو أخذَتْهُ المُدى ما شَعَرْ
يَقِلُّ أبو المسكِ عبداً لهُ ... وَإنْ صاغَ أحمدُ فيهِ الدُّرَرْ (١)
وآنستَ مُوسى وتابوتَه ... ونُورَ العَصا والوَصايا الغُرَرْ (٢)
وعيسى يَلُمُّ رِداءَ الحيا ... ءِ ومريمُ تَجْمَعُ ذيلَ الخَفَرْ (٣)
وعمْرٌو يسوقُ بمصرَ الصِّحا ... بَ ويُزْجِي الكتابَ ويَحدُو السُّوَرْ (٤)
فكيفَ رَأيتَ الهُدَى والضلا ... لَ ودُنيا الملوكِ وأُخرى عُمَرْ ؟ (٥)
ونَبْذَ المُقَوْقِسِ عَهْدَ الفُجو ... رِ وأخْذَ المُقَوْقَسِ عهدَ الفَجرْ (٦)

جداً وكانوا يقومون بالاحتفال بايامه المقدسة كل سنة عند ارتفاع النيل وذلك باقامة الولائم والافراح وكانوا يطرحون فى ذلك الوقت إناء من الذهب فى النيل لاخماد غضب التماسيح « فى نيره » النير هو الخشبة المعترضة على عنق الثورين المقرونين للحراسة باذانهما وهم يقولون فلان تحت نير فلان يريدون الخضوع والاستخذاء

(١) « أبو المسك » كافور الاخشيدى « احمد » أبو الطيب المتنبى (٢) وتابوته ونور العصا والوصايا الغرر — التابوت الذى وضع فيه موسى وقذف به فى النيل وعصا موسى وما كان منها من الآيات والوصايا العشر — كل أولئك معروف فلا حاجة بنا الى الافاضة فيه

(٣) وعيسى يلم رداء الحياء — يقول وشاهدت عيسى وهو المثل الاعلى للحياء ومثله فى ذلك العذراء (٤) وعمرو يقول وقد رأيت عمرو بن العاص اذ يسوق المسلمين لفتح مصر ويزجى كتاب الله وآياته (٥) فكيف رأيت . يقول خبرنى يا أبا الهول كيف رأيت فرق ما بين هدى المسلمين وأخرى عمر أى دنياه التى كأنها الاخرى فى الصلاح وما اليه من كل ما كان ماثلا أيام «الفاروق »رضى الله عنه وأرضاه . وما بين الضلال ودنيا الملوك من القياصرة والفرس والروم ومن اليهم (٦) « المقوقس » هو سيروس . بطريق الطائفة الملكانية بالاسكندرية والحاكم الادارى بمصر من قبل الرومان والذى فتح عمرو بن العاص فى عهده مصر وفى المقريزى أنه يسمى المقوقس بن قرقفت . ولعله محرف عن سيروس (عهد الفجور) عهد الانحراف عن الصراط السوى عهد الاسراف فى المعاصى والآثام . عهد الرومان الذى استبدل به المقوقس عهد الفجر أى عهد الخير العميم ، عهد النور ، عهد التقى والاصلاح . عهد الاسلام . اذ ما لأ المسلمين ومهد لهم طريق الفتح

وتَبْديلُه ظُلمات الضلا لِ بِصُبح الهِداية لمّا سفَرَ (١)
وتأليفُه القبط والمسلمي نَ كما أُلّفَتْ بالولاء الأُسَر (٢)

أبا الهول : لو لم تكن آيةً لكان وفاءكَ إحدَى العِبرَ (٣)
أطلتَ على الهرمَين الوقو ف كَشاكِلةٍ لا تَريم الحُفَر (٤)
تُرَجّى لبانيهما عودةً وكيف يَعودُ الرَّميمُ النَّخِر ؟ (٥)
تَجُوس بعينٍ خِلالَ الدِّيا رِ وتَرمى بأخرَى قَصاء النَّهَر (٦)
تَرومُ بِمَنْفيسَ بِيضَ الظُّبا وَسُمْرَ القَنَا والخميسَ الدَّثَر (٧)

(١) (وتبديله) فى معنى البيت الذى قبله (لما سفر) سفر الصبح وأسفر أضاء وأنار
(٢) (وتأليفه) أى المقوقس (الاسر) جمع الاسرة وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الادنون
(٣) احدى العبر . احدى الآيات (٤) أطلت الخ . بيان لوفاء أبى الهول كشاكلة . يقول انك فى اطالتك الوقوف على الهرمين وفاء منك كشاكلة ولدها لاتبرح قبره ولا تزايله فالشاكلة هى التى فقدت ولدها . ولاتريم أى لا تبرح والحفر جمع حفرة وهى ما يحفر فى الارض والمراد بها هنا القبر (٥) (لبانيهما) اى لبانى الهرمين (٦) (تجوس) تطوف وتتخلل (النهر) النهر واحد الانهار يعنى نهر النيل — (٧) و(ترمى) تنشد وتطلب (بمنفيس) منف — وموضعها اليوم البدرشين وميت رهينة — هى عاصمة ملك الفراعنة والذى بناها هومينا مؤسس الاسر المالكة وكانت كما قال شاعرنا مهد العلوم الخطير الجلال وعهد الفنون الجليل الخطر (الخميس الدثر) الجيش الكثير — يقول انك يا أبا الهول لأوفى الاوفياء اذكانى بك وقد فقدت تلك الحضارة الباهرة والمدنية الزاهية الزاهرة التى تمليت بها حينا من الدهر وشاهدت عصرها الذهبى ثم ذهبت وذهب أهلوها وأصبحت منفرداً وحيداً

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فأبى عليك وفاؤك الا أن تطيل الوقوف على الهرمين شان الثكول فقدت وحيدها فابى عليها وجدها أن تريم قبره وكأنك فى وقوفك هذا ترجى لبانى الهرمين عودا تعود معها تلك المعانى السامية ، وتنشد بمنفيس وهى منك على كثب عهد القوة والعظمة والسلطان وعهد العلوم والعرفان وعهد الفنون الخطير الجلال مما رأيت فى الزمن الحالى فلا تصيب شيئاً من ذلك ولا تقع عينك من منفيس هذه الا على قرية قد اندثرت ودمنة قد عفت تكاد لاغراقها فى الجمود اذا الأرض دارت بها لم تدر فترى فى هذه الأبيات صورة أبى الهول فى وقوفه هذا صورة شعرية آية فى الابداع والتخيل الشعرى ثم ترى فيها وصف عظمة المصريين وان مصر كانت مهد الحضارة

ومَهدَ العُلوم الخطيرَ الجلا ل وعهدَ الفنُون الجليلَ الخَطَر
فلا تَستَبينُ سِوى قريةٍ أجَدّ مَحاسنَها ما اندثَر (١)
تَكاد لإغراقها فى الجمو دِ إذَا الأرضُ دَارت بها لم تَدُرْ
فهل مَنْ يُبلِّغُ عنَّا الأصو لَ بأنّ الفروعَ اقْتدَتْ بالسِّير ؟
وأنّا خَطَبنا حِسانَ العُلاَ وسقْنَا لها الغَالىَ المُدَّخَر
وأنّا رَكبنَا غِمَار الأُمور وأنَّا نزَلنا الى المُؤْتمر
بكلّ مُبين شَديد اللّدَا د كلّ أرِيبٍ بَعيدَ النَّظر
تطالبُ بالحقّ فى أمّةٍ جَرى دَمُها دُونه وانْتَشر
وَلم تَفتخر بأساطيلها ولكنْ بدسْتورها تَفتخر
فلم يَبقَ غيرُكَ مَن لم يُخَفـــف ولَم يَبقَ غيرُك مَن لم يَطر
تحرَّكْ أبا الهَول ، هذا الزَّما نُ تَحرّكَ ما فيه ، حتى الحَجرْ ؟

(وقال أيضاً المرحوم احمد شوقى بك يصف حياة النحل وحالته ومملكته)

مَمْلَكَةٌ مُدَبَّرَهْ بامْرأةٍ مُؤَمَّرَهْ
تَحمِلُ فى العُمَّال والـــصُّنَّاع عِبْءَ السَّيطَرَهْ
فاعْجَبْ لِعمَّالٍ يُولَـــلونَ عليهم قَيصَرَهْ
تَحكُمُهُم رَاهبةٌ ذَكَّارةٌ مُغبَّرَهْ (٢)
عَاقِدةٌ زُنَّارَها عن ساقِها مُشمِّرَه

والتمدين — ولا جرم فقد أمها وجاوز فيها للاستفادة أمثال ليكرغ وصولون من كبار المتشرعين وفيثا غورس وأفلاطون وأقليدس من شيوخ الفلسفة كما تؤم اليوم بلاد المغرب للمجاورة فيها والافادة منها ومن هنا قال بعد ذلك فهل من يبلغ عنا الاصول

(١) (أجد محاسنها ما اندثر) يقول ان طلولها الدوارس ورسومها المندثرة البوالى أجدت محاسنها (٢) التغيير : ترديد الصوت بالقراءة

تلثَّمتْ بالأرجُوا نِ وارتدتْه مِئزره
وارتفعتْ كأنَّها شَرارة مُطيرّة
ووقعتْ لم تَختلجْ كأنَّها مُسمَّرهْ (١)
مخلوقةٌ ضَعيفة من خُلُقٍ مُصوَّرهْ
يَامَا أقلَّ مُلكُهَا وما أجلَّ خطرهْ
قفْ سائلْ النَحلَ به بأىِّ عقلٍ دبَّرهْ ؟
يُجبْكَ بالاخْلاَق وهـــى كالعقُولِ جوهره
تُغنى قُوَى الأخلاقِ مَا تُغنى القُوَى المفكّرهْ
ويرفعُ الله بهَا مَنْ شاءَ حتّى الحشرهْ

أليس فى مَمْلكة النَّـــحْل لقوم تَبصرَهْ ؟
مُلكٌ بَناهُ أهلُهُ بهمّةٍ ومَجدرَهْ (٢)
لو التمستَ فيه بطَّـــالَ اليدين لم ترَهْ
تُقتَلُ أو تُنفى الكَسا لَى فيه غيرَ مُنذَرهْ
تَحكُم فيه قَيصرهْ فى قومها مُوقَّرهْ
مِنَ الرّجال وقُيو دِ حُكمهمْ مُحرَّرهْ
لا تُورثُ القومَ ولو كانوا البَنينَ البرَرَه

المُلكُ للإناثِ فى الدّ ستورِ لا للذّكرَهْ (٣)
نَيِّرةٌ تَنزلُ عن هَالَتِهَا لنيرّهْ

(١) الاختلاج : الاضطراب (٢) يقال هذا الامر مجدرة ذاك أى جدير به
(٣) الذكرة : الذكور

فهل ترى تخشى الطما ع في الرجال والشرهْ؟(١)
فطالما تلاعبوا بالهمج المصيّرهْ
وعبروا غفلتها إلى الظهور قنطرهْ
وفي الرجال كرمُ الـ ـضعفِ ولؤمُ المقدرهْ
وفتنةُ الرأى وما وراءها من أثرهْ

أنثى ولكن في جنا حيها لباةٌ مخدرهْ (٢)
ذائدةٌ عن حوضها طاردةٌ من كدّرهْ
تقلّدتْ إبرتها وادّرعتْ بالحبرهْ
كأنها تركيّةٌ قد رابطت بأنقرهْ
كأنها (جاندارك) في كتيبةٍ معسكرهْ
تلقى المغيرَ بالجنو دِ الخشن المنمرهْ
السابغين شكّةً (٣) ألبالغين جسرهْ (٤)
قد نشرتهم جعبة ونفضتهم مِئبرهْ (٥)
من يبن مُلكاً أو يذدْ فبالقنا المجرّرهْ

إنّ الامورَ همّةٌ ليس الأمورُ ثرثرهْ
ما المُلك إلاّ في ذُرا الـ ألويةِ المنشّرهْ
عريئهُ مذْ كان لا يحميه إلاّ قسورهْ (٦)

---

(١) الطماع الطمع (٢) اللباة : اللبوة (٣) الشكة : السلاح (٤) الجسرة : الجساورة
(٥) المئبرة بيت الابر (٦) القسورة الاسد

رَبُّ النُّيوبِ الزُّرْ ق والمخَالبِ المُذكّرهْ

مالكةٌ عاملةٌ مُصْلِحةٌ مُعَمِّرَهْ
ألمالُ فى أتباعها لا تَستبينُ أثره
لا يعرفون بَينهم أصلاً له من ثَمرهْ
لو عَرَفوه عَرَفوا من البَلاءِ أكثرَهْ
واتَّخَذُوا نِقابةً لأمرهم مُسيّرهْ
سُبحَان مَنْ نَزّهَ عنـ ـهُ مُلكَهمْ وطهَّرَهْ
وَساسه بِحُرَّةٍ عاملةٍ مُسخَّرهْ
صَاعدةٍ فى مَعملٍ من مَعملٍ مُنحدِرهْ
واردةٍ دَسْكرةً صادرة عن دَسكره (١)
باكرةٍ تَستنهِضُ العَصائبَ المُبكّرهْ (٢)
السّامعين الطّائعينَ المُحسنينَ المَهَرَهْ
مِن كلّ مَن خطَّ البنا ءَ أو أقامَ أسْطُرَهْ
أو شدَّ أصلَ عقدِهِ أو سَدَّه أو قَوّرهْ (٣)
أو طاف بالماءِ على جُدرَانه المُجدَّرهْ (٤)
وتَذهبُ النَّحلُ خِفا فاً وتَجىءُ مُوقَرَهْ
جَوالبَ الشّمع من الخَمَائل المُنوَّرَهْ
حَوالب المَاذِىّ (٥) من زَهر الرِّياض الشَّيِّره (٦)

---

(١) الدسكرة القرية (٢) العصائب جمع عصابة (٣) قور الشىء قطعه من وسطه خرقا مستديرا (٤) المجدرة أى المشيدة (٥) الماذى العسل (٦) الشيرة الحسان

مَشدودةٌ جُيوبُها عَلَى الْجَنَى مُزَرَّرَه
وكلُّ خُرْطومٍ أدَا ةُ العَسَلِ المُقَطَّرَهْ
وكلُّ أنفٍ قَانِئٍ فيه من الشَّهدِ بُرَه (١)
حتى إذا جاءت به جاست خِلالَ الأدورَه (٢)
وغيَّبَتْهُ كالسُّلا فى الدِّنانِ المُحضَرَه (٣)
فهل رأيتَ النّحلَ عن أمانةٍ مُقصِّره ؟
ما اقترضتْ من بَقلَةٍ أو استعارت زَهرَهْ
أدَّتْ الى النَّاسِ به سُكَّرَةً بِسُكَّرَهْ

﴿ وقال أيضاً أحمد شوقى بك يصف مقبرة توت عنخ آمون وما حوته ﴾

قِفى يا أختَ (يُوشَعَ) خَبِّرِينَا أحاديثَ القُرونِ الغَابِرِينَا (٤)
وقُصِّى مِن مَصَارعِهِم علينا ومِن دُوَلاتِهم ما تَعلَمِينَا (٥)
فَمِثلُك مَن رَوى الأخبارَ طُرًّا ومَن نَسَبَ القبائلَ أجمعينَا (٦)

---

(١) البرة الحلقة فى الانف (٢) الادورة الديار يراد بها الخلايا هنا (٣) السلاف أفضل الخمر (٤) الخطاب للشمس . وقد اشار الى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس فقد روى ان يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم . وقد لمح ابن مطروح الى هذه القصة بقوله

وما أنس الا أنس المليحة اذ بدت دجى فأضاء الافق من كل موضع
فحدثت نفسى انها الشمس أشرقت وأنى قد اوتيت آية يوشع

القرون الغابرين الأجيال الماضية .

(٥) قصى : حدثى ، ومنه : (نحن نقص عليك أحسن القصص) مصارعهم : مهالكهم دولاتهم جمع دولة بضم ففتح وهى الداهية يقال : (جاف الدهر بدولاته) أى بدواهيه .

(٦) طراً جميعا من دون ان تترك منها شيئا ، نسب القبائل ، ذكر أنسابهم .

نَرى لكِ فى السّماءِ خَضيبَ قرنٍ ولا نُحصِى على الأرض الطَّعينَا (١)
مَشَيتِ على الشّباب شُواظَ نارٍ ودُرتِ على المشيبِ رحَىَ طحونا (٢)
تُعينينَ المَوالد والمنَايا وتَبنينَ الحياةَ وتَهدمينَا (٣)
فيالكِ هِرَّةً أكلتْ بَنِيها وما وَلَدُوا وتَنتظر الجَنِينَا (٤)

أُمَّ المالكينَ بَنِى (أَمُونٍ) لِيهْنِكِ أنّهم نَزعُوا (أمونَا) (٥)
ولدتِ له (المآمين) الدَّواهى ولم تَلدِى له قطّ (الأمينَا) (٦)
فكانوا الشُّهْبَ حينَ الأرضُ ليلٌ وحينَ النّاس جِدٌّ مُضَلَّلِينَا
مَشَت بِمنَارهم فى الأرض (رُومَا) ومن أنوارهم قَبست (أثِينَا) (٧)
مُلوكُ الدّهر بالوَادى أقامُوا علَى (وَادى الملوك) مُحَجَّبِينَا (٨)
قُرُبَّ مُصفَّدٍ منهم وكانت تُساقُ له المُلُوكُ مُصَفّدِينا (٩)
تَقيَّد فى التّرابِ بغير قَيْدٍ وحَلَّ على جَوانبه رَهِينَا

(١) الخضيب : الملون بالخضاب ، القرن : حاجب الشمس : الطعين المطعون (٢) الشواظ بالضم والكسر : دخان النار (٣) المنايا جمع منية وهى الموت (٤) الهرة ، القطة ، ويقال فى المثل (أعق من الهرة) لانها تأكل أولادها . الجنين : الولد مادام فى الرحم (٥) نزع أباه . أشبهه ، وفيه اشارة إلى أم (أمون) واختلف المؤرخون هل كانت أمه زوجة شرعية لأبيه أو إحدى سراريه وكان من عاداتهم أن لا يتولى الملك الا من كانت أمه زوجة شرعية لأبيه الا أن (توت عنخ آمون) تولى الملك بواسطة زواجه بابنة الملك خون آتون (٦) اشارة للخليفتين . الامين والمأمون . وقد اختار المأمون لانه كان أفضل بنى العباس حزماً وعزماً وحلما وعلماً ورأياً ودهاء وهيبة وشجاعة . أى ولدت له أبناء صاروا ملوكا وكانت صفاتهم فى الملك كالصفات التى عرفناها فى المأمون (٧) روما عاصمة ايطاليا . قبست أخذت . أثينا عاصمة اليونان . وفيه اشارة إلى ما أخذته الامم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة (٨) وادى الملوك هو إلى الشاطئ الغربى للنيل بالاقصر على مسير نصف ساعة تقريبا وهو هضاب صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الاسرة الثامنة عشرة وما بعدها وقد كانوا يبالغون فى العناية بها وإتقانها إلى حد يفوق الوصف (٩) مصفدين مقيدين ، يصف فراعنة مصر فى مقرهم الاخير . وهو مقام

تَعالى اللهُ كان السّحر فيهم ... أليسُوا للحجارةِ مُنطقينا (١)
غَدَوْا يَبنون ما يَبْقى وراحُوا ... وراءَ الآبداتِ مُخَلَّدينا
إذَا عَمِدوا لِمأثرةٍ أعدُّوا ... لها الإتقانَ والخَلق المَتينا
وليسَ الخُلدُ مَرتبةً تُلقَّى ... وتُؤْخذُ من شِفَاهِ الجَاهلينا
ولكنْ مُنتَهى هِمَمٍ كِبارٍ ... إذا ذَهبتْ مصَادِرُها بَقينا
وسِرُّ العَبْقَريةِ حين يَسرى ... فينتظمُ الصَنائعُ والفنُونا
وآثارُ الرجال إذا تَناهتْ ... إلى التّاريخ خَيرِ الحَاكمينا
وأخذُك من فَم الدّنيا ثَناءً ... وتركُك فى مَسامعِها طنينا (٢)
فَغالِى فى بَنيكِ الصِّيدِ غَالى ... فقد حُبَّ الغُلوُّ إلى بَنينا (٣)
شَبابٌ قُنَّعٌ لاخيرَ فيهم ... وبُورِكَ فى الشّبابِ الطّامحينا (٤)
فناجيهم بعرشٍ كان صِنواً ... لعرشكِ فى شَبيبتِه سَنينا (٥)
وكان العزُّ حليتَه وكانتْ ... قَوائمُهُ الكَتائبَ والسّفينا (٦)
وتاجٌ من فرائده (ابنُ سِيتى) ... ومن خَرزاته (خُوفو) و(مِينا) (٧)

يتساوى فيه الملوك والسوقة (١) منطقين أى أليسوا هم الذين أنطقوا الحجارة ويريد أنهم أنشاوا من الابنية ما يدل على عظمة شأنهم دلالة النطق على معناه . وأشهر هذه الابنية الهرمان القائمان بجانب الجيزة وهما من أعجب ما بنى البناة وفيهما دليل على أن المصريين القدماء كانوا أعلم الأمم قاطبة بفن العمارة وهندستها وقد توالى الدهر عليهما فلم ينل منهما مر الحوادث وعصف الرياح وهطل السحاب وقد قال أحد الحكماء : « كل شئ يخشى عليه من الدهر الا الاهرام فان الدهر يخشى عليه منها » (٢) الطنين صوت الذباب والطست والناقوس ونحو ذلك (٣) الصيد جمع أصيد وهو الرجل يرفع رأسه كبراً وعجبا ولا يلتفت من زهوه يمينا وشمالا . فقد حب بضم الحاء أى فقد حبب (٤) شباب قنع أى قانعون لا يطلبون شيئا وراء ما بلغوا . الطامحون المتفانون فى طلب المعالى (٥) الصنو الاخ الشقيق والابن . السنين بفتح السين من يكون فى سنك
(٦) الكتائب جمع كتيبة وهى الجيش (٧) ابن سيتى هو رمسيس الثانى المعروف

عَلاَ خَدًّا به صَعَرٌ وأنفا ... تَرفَّع فى الحوادثِ أنْ يَدِينَا (١)

ولستُ بقائل ظَلَمُوا وجَارُوا ... على الأجراء أو جَلَدوا القطينَا (٢)

فإنّا لم نُوَقِّ النّقصَ حتى ... نُطالبَ بالكمال الأوّلينَا (٣)

ومَا (البَستيلُ) إلا بنت أمسٍ ... وكم أكلَ الحديدُ بها سجينَا (٤)

ورُبَّةَ بيعةٍ عزَّتْ وطالتْ ... بناها النّاسُ أمسِ مُسخَّرينَا (٥)

مُشيَّدةً لِشَافِى العُمْىِ (عيسى) ... وكم سَمَلَ القُسوسُ بها عُيونَا (٦)

خليلىَّ اهْبطَا الوادى وميلاَ ... الى غُرف الشّمُوس الغَاربينَا (٧)

بسوزستريس ويلقب بالاكبر لانه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية وتزايدت العمارات حتى لايكاد يوجد بوادى النيل أثر من الآثار القديمة والعمائر المشهورة الا وعليه اسمه ورسمه وولى الملك صغيراً فى حياة والده ، وقد تربى على الشجاعة والحماسة وأراد أبوه أن يعلمه اقتحام الاهوال فارسله فى جيش إلى بلاد الشام وكان عمره عشر سنين فغزاها حتى أدخلها تحت الطاعة وله حروب عظيمة ثم حارب فى جملة فتوح وبخاصة فى آسيه الشمالية وكان فى أيامه (بنتاءور) الشاعر المصرى وله فيه عدة مدائح يصف بها شجاعته واقدامه . (خوفو)و(مينا) من الملوك الفراعنة الذين بلغت مصر فى عهدهم شوطا بعيداً فى المدنية ومن آثارهما الخالدة الاهرامات (١) علا خدا أى ذلك التاج والصعر أن يميل الرجل بخده عن النظر إلى الناس تهاوناً أو كبراً (٢) القطين الخدم . أى انه لايجارى بعض المؤرخين الذين يزعمون أن الملوك الفراعنة كانوا يظلمون الاجراء ويجلدون الخدم ليسخروهم فى انشاء تلك الابنية

(٣) لم نوق النقص أى لم نحفظ منه (٤) البستيل : سجن يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ وفى هذا السجن ذاق رجالات العلم والفضل فى فرنسا أشد أنواع العذاب أيام الاستبداد فكم هلك فيه فيلسوف عظيم وفنى بين جدرانه المظلمة مصلح كبير ، وكم من سياسى جنى عليه عمله لخير بلاده فدخله حياً وفارقه ميتا وقد كره الفرنسيون (البستيل) واسم (البستيل) وعدوه مستقر الظلم ومعهد العسف والقسوة فلم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان أول غرضهم (البستيل) فهدموه واقتلعوا أصوله وأخذت فتاة أحجاره فجعلها النسوة عقوداً يتحلين بها فى أمكنة اللآلىء اشارة إلى غلبة الامة على الظلم وانتقامها من الظالمين وكان أخذه فى ١٤ يوليه سنه ١٧٨٩ . وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحرية ــ ولايزال الفرنسيون يحتفلون بذكره إلى الآن (٥) البيعة بكسر الباء معبد النصارى ، مسخرين : أى كلفوا عملهم بلا أجرة (٦) سمل العين فقأها بحديدة محماة وقلعها (٧) يريد بالشموس الغاربينا ملوك الفراعنة

وسيرًا فى محاجرهم رُويداً ... وطُوفًا بالمضاجع خاشعينا (١)
وخُصَّا بالعمـــار وبالتَّحايا ... رُفاتَ المجدِ من (تُوتنخمينا) (٢)
وقبراً كاد من حُسنٍ وطيبٍ ... يُضىء حجارةً ويَضُوعُ طِينا (٣)
يُخال لرَوعةِ التَّاريخ قُدَّت ... جنادلهُ العُلا من (طُورسينا) (٤)
وكان نَزيلُه بالمَلْكِ يُدعَى ... فصار يُقلب الـكنزَ الثّمينا (٥)
وقُوما هاتِفَيْنِ به ولـكن ... كما كان الأوائلُ يَهتفُونا (٦)
فثَمَّ جلالةٌ قَوَّت ورامت ... على مَرِّ القُرونِ الأربعينا (٧)
جَلالُ المُلك أيامٌ وتَمضِى ... ولا يَمضى جَلالُ الخالدينا (٨)
وقُولا للنَّزيل «قُدومَ سَعد» ... وحيَّا اللهُ مَقدمَك اليمينا (٩)
سلامٌ يوم وَارتكَ المنَايا ... بوَاديها ويومَ ظَهرتَ فينا (١٠)
خَرجتَ من القبور خُروج عيسى ... عليكَ جَلالةٌ فى العالَمينا (١١)
يَجوبُ البرقُ باسمكَ كلَّ سَهلٍ ... ويَخترقُ البُخارُ به الحزُونا (١٢)

وغرفهم مدافنهم (١) المحاجر ما يحميه الملوك حول منازلهم ومنها محاجر أقيال اليمن وهى أحماؤهم أى ما كان يحميه كل واحد منهم (٢) العبار التحيـة وهو أيضا الريحان يزين به مجلس الشراب واستعماله هنا على الاطلاق إذ لا يليق أن يكون مقيداً بتزيين هذا المجلس . التحايا جمع تحيـة . الرفات كل ما تـكسر وبلى (٣) يضوع يتحرك وينتشر أى كادت حجارته تضىء حسنا وكادت تنتشر رائحته الطيبة الركية (٤) الروعة المسحة من الجمال . الجنادل جمع جندل وهو الحجارة طورسينا هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى (٥) النزيل الضيف (٦) هاتفين به أى بالملك الذى هو نزيل القبر وليكن هتافـكما كما كانوا يهتفون له أيام حياته (٧) ثم . فهناك الجلالة من عظم القدر . ورامت أقامت . القرون الاربعون هى التى مضت منذ عهد توت عنخ آمون (٨) أى أن الجلال الصحيح ما خلد به صاحبه فى التاريخ أما جلال الملك فلا بقاء له (٩) اليمين المبارك وهو من اليمن (١٠) وارتك اخفتك (١١) خروج عيسى أى كما خرج عيسى من القبر عـلى رأى النصارى (١٢) يجوب يقطع . البرق اسم منقول من معناه الاصلى (للتلغراف) والبخار اسم منقول كذلك (للوابور) أو هو من باب تسمية الشىء باسم المؤثر فيه . الحزون جمع حزن

تَعالَ اليومَ خبِّرنا أكانت نواكَ سِناتِ نَومٍ أم سنينا ؟ (١)
وَماذا جُبتَ من ظُلُماتِ لَيلٍ بعيدِ الصبّحِ يُنضِى المُدلجينا ؟ (٢)
وهَل تبقى النفوسُ إذا أقامت هيا كلُها وتَبلَى إن بَلينا ؟
وما تِلك القبابُ وأينَ كانت وكيف أضلَّ حافرُها القُرونا ؟ (٣)
مُمرّدةَ البِناءِ تُخالُ بُرجاً ببطن الأرض مَحطُوطاً دَفينا (٤)
تُغطَّى بالأثاث فكان قَصراً وبالصُّوَرِ العِتاق فكان زُونا (٥)
حملتَ العرشَ فيه فهل تُرجّى وتأملُ دولة فى الغابرينا ؟ (٦)
وهل تَلقَى المُهيمنَ فوق عرشٍ ويَلقاه المَلاَ مُترجّلينا ؟ (٧)
وما بالُ الطَّعام يكاد يقدى كما تركته أيدى الصّانعينا ؟ (٨)
ولم تكُ أمسِ تَصبرُ عنه يوماً فكيف صبرتَ أحقاباً مئينا ؟ (٩)
لقد كان الذى حذر الأوالى وخاف بنو زمانك أن يكونا (١٠)

يُحبُّ المرءُ نبش أخيه حياً وينبشُه ولو فى الهالكينا

وهو ماغلظ من الارض (١) تعال اليوم الخ الخطاب لتوت عنخ آمون ، نواك بعدك . السنات جمع سنة بكسر السين وهى النعاس (٢) ينضى يهزل . المدلجون الذين يسيرون من أول الليل (٣) وما تلك القباب الخ أى وخبرنا ما تلك القباب جمع قبة وهى ما ظهر من أبنية المقبرة الفخمة — والقرون جمع قرن وهو مائة عام (٤) ممردة البناء مملسته (٥) تغطى أى هذا البناء تغطى الخ والاثاث متاع البيت . الصور جمع صورة يريد بها الرسوم التى تحاكى صور الاشياء . العتاق جمع عتيق وهو القديم من كل شئ وهو النجيب من الخيل والجارح من الطير ، الزون الموضع تجمع فيه الاصنام (٦) فى الغابرين فى الباقين وفى القرآن الكريم (فانجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) ويكون أيضا بمعنى الماضين فهو من الكلمات التى تستعمل للاضداد (٧) المهيمن من أسماء الله تعالى . المترجلون الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم (٨) مابال الطعام ما حاله . يقدى من قدى الطعام اى طاب طعمه ورائحته (٩) الاحقاب جمع حقب بضم القاف وهو الدهر ، المئين جمع مائة (١٠) لقد كان اى لقد حصل الذى حذر الاوالى — والاوالى جمع

سُلِلْت من الحفائر قبل يومٍ يَسلُّ من التّراب الهامدينا (١)
فانْ تكُ عند بعثٍ فيه شكٌّ فانّ وراءه البعثَ اليقينا (٢)
ولو لم يَعصِموك لكان خيراً كفى بالموت مُعتَصماً حصينا (٣)
يُضَرُّ أخو الحياةِ وليس شيءٌ بضائره إذا صحب المنونا

(وقال على بن محمد القاضى التّنوخى واصفاً مكتوبا)

وصَحيفةٍ ألفاظُها فى النّظم كالدُّرّ النَّثيرْ
جاءتْ إلىّ كأنّها التّـ ـوفيقُ فى كلّ الأمورْ
بأرَقّ من شكوَى وأحـ ـسنَ من حياةٍ فى سرُورْ
لو قابلتْ أعمَى لأبـ ـصرَ وهو ذو طَرف بَصيرْ
وكأنّها أملٌ تحقّـ ـقَ بعد يأسٍ فى الصّدُور
أو كالفقيد إذَا أتَتْ بقدُومه بُشرَى البَشيرْ
أو كالمَنام لساهرٍ أو كالغِنَى عند الفقيرْ
أو كالشّفاء لمُدنَفٍ أو كالأمان لِمُستجيرْ
وكأنما هىَ من وصا ل أو شَباب أو نُشُورْ
لفظٌ كأسر معَاند أو مِثل إطلاق الأسيرْ

اول ـ والمعنى ان ما كنتم تخافونه وتحذرون وقوعه من نبش قبوركم قد حصل ولم تمنعه مبالغتكم فى الوقاية منـه (١) سلت اخرجت منها برفق ، الحفائر جمع حفيرة وهى الحفرة . واليوم الذى يسيل الهامدين من التراب هو يوم القيامة (٢) فان تك عندبعث الخ اى فان تكن الآن تشك فى هذا البعث الذى خرجت به من قبرك فلا محالة سيأتى البعث الذى لاتشك فيه وهو بعث القيامة (٣) يعصموك يمنعوك من المـكروه . أى لوأنهم تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة لما اصابك مكروه لان الموت يمنع الاذى ان يصل اليك ، وجلاء هذا المعنى فى البيت الثانى

وكأنّه اذْ لاح من فوق المهارق والسُّطورْ
وردُ الخُدود اذا انتقلـ تَ به على راح الثّغور
غُرَرٌ غدَت وكأنها من طَلعة الظَّبى الغَرير
من كلّ معنى كالسَّلا مة أو كتَيسير العسيرْ

﴿ وقال أيضاً واصفاً الخطّ والكتابة والبلاغة ﴾

خَطٌّ وقرْطاس كانّـ ـهما السوّالف والشُّعور
وبَدائع تَدعُ القلو ب تَكادُ من طرَب تَطير
فى كلّ معنى كالغِنى يَحويه مُحتاجٌ فقير
أو كالفَكاك ينَالهُ من بعدِ مايأسٍ أسير
وكأنّها الإقبال جا ء أو الشّفاء أو النُّشور
وكأنها شَرْخ الشَّبا ب وعَيشة الخضِل النَّضير

﴿ وقال البُحترى فى الموضوع نفسه ﴾

واذا دَجتْ أقلامهُ ثم انتحتْ برَقتْ مَصابيح الدُّجى فى كُتبهِ
فاللّفظ يَقرُب فهمهُ فى بُعْده منّا ويَبعدُ نيلُه فى قُرْبهِ
فكأنّها والسمّع معقودٌ بها شَخصُ الحبيب بدَا لعين مُحبّهِ

﴿ وقال الوزير المهلّبى فى وصف كتاب ﴾

وردَ الكِتاب مُبشّراً نفسى بأنواع السُّرورْ
وفَضَضْتُه فوَجدْته ليلاً على صفحات نُورْ
مثل السَّوالف والخُدو دالبِيض زِينَتْ بالشّفورْ
أنزلتهُ مِنّى بِمَنْـ زلةِ القلوب من الصّدُورْ

﴿ وقال النَّجم بن إسرائيل : يصف المُوز ﴾

أطعمتهُ موزاً شهيَّ المنظرِ ... مُستحكمَ النُّضج ، لذيذَ المخبرِ
كأنَّ تحتَ جلدهِ المزعفرِ ... لفّاتِ زُبدٍ ، عُجّنَتْ بسُكّرِ

وقال البهاء زُهير يصف الموز أيضاً :

في ريحه ، ولونه ، وطعمه : ... كالمسك ، أو كالتِّبر أو كالضَّرَبْ
وافت به أطباقه مُنضَّدا : ... كأنّه مكاحلٌ من ذهب

وقال آخر : تحكي إذا قشَّرته ... أنياب أفيالٍ صِغارْ
ذو باطنٍ مثل الأقا ... ح ، وظاهرٌ مثل البهارْ (١)

الكمثرى :

وكمثراءِ بُستانٍ ... شهيّ الطَّعم والمنظرْ
له طعمٌ إذا ذِيقَ ... كماءِ الورد والسّكّرْ
كأنَّه في شكله ، ولو ... نه وطعمه : قوالبُ من سُكّر

التُّفاح — قال ابن المُعتزّ :

كأنّما التّفاح لمّا بدا ... يرفُل في أثوابه الحُمرِ
شهدٌ بماء الورد ، مُستودعٌ ... في أُكَرٍ من جامد الخَمر (٢)
كأنّنا حين نُحيّا به ... نَستنشقُ النَّدَّ من الجمرِ (٣)

الخوخ :

كأنّما الخوخ على دَوْحِه ... وقد بدا أحمرُه العَنْدَمي (٤)

(١) الاقاح جمع اقحوان وهو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه اصفر ، والبهار نبت اصفر طيب الريح . (٢) الاكر جمع اكرة وهي لغة في الكرة (٣) الند طيب (٤) العندم صبغ احمر

بَنَادق من ذهبٍ أصفرٍ قد خُضِّبت أنصافُها بالدّمِ

وخوخة بستانٍ ذكيٍّ نَسيمها من المسك والكافُور قد كسبت نَشرا (١)
مُلبَّسة ثوباً ، من التِّبر نصفُه مَصوغٌ ، وباقيهِ كياقوتة حَمْرا

المشمش :

ومِشْمِشٍ جاءنا من أعجَبِ العجبِ أشهَى إلىَّ من اللَّذاتِ والطَّرَبِ
كأنّه وهبوبُ الريح يَنشُرُهُ بَنادقٌ خُرِطت من خالص الذَّهبِ

وقال محيي الدين بن عبد الظَّاهر :

حبّذا مِشمشٌ على الدَّوح أضحَى ذا شُعاع يَستوقفُ الأبصارا
شَجَرٌ أخضرُ لنا جعل اللـــه « تعالى » منهُ كما قال نارا (٢)

الرُّمّان

رُمّانَةٌ صَبَغَ الزّمان أديمَها فتبسّمت فى ناضر الأغصانِ
فكأنّما هى حُقَّة من عَسجَدٍ قَد أودعت خرزاً من المرجان

غيره — كأنّها حُقَّة ، فإن فُتحت فصُرّة من فصوص ياقوت
غيره — حِقاق كأمثال العقيق تضمّنت فصوص بَلَخْشٍ فى غِشاء حرير (٣)
غيره — إذا فُضّ عنه قشرهُ فكأنه فصوص عقيق فى حِقاق من الدُّر
فدُرٌّ ، ولكن لم يُدنِّسهُ عارض وماء ، ولكن فى مخازنَ من جمر

النّخيل ـ والبلح :

كأنّ النّخيلَ الباسقاتِ وقد بَدت لناظرها حُسناً قبابُ زَبَرجَدِ (٤)

(١) نشرا رائحة طيبة (٢) يشير إلى قوله تعال (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً)
(٣) البلخش حجر معدنه بنواحى بلخشان المتاخمة للتركستان ، واحمره يشبه الياقوت (٤) بسق

وقد عُلّقت من حولها زينة لها قَناديلُ ياقوتٍ بأمراس عَسْجَدِ

وقال السَرى الرفّاء المتوفى سنة ٣٦٦ هـ :

فالنَّخل من باسق فيه وباسقةٍ يضاحك الطَّلْعُ فى قِنْوانه الرُّطبَا (١)

أضحت شماريخه فى النّحر مُطلعة إما ثُريًّا ، وإمامِعصَماً خضبَا (٢)

تُريك فى الظلِّ عِقْيَاناً. فإن نظرت شمسُ النَّهار إليها خِلتَها لهبَا (٣)

وقال آخر فى البلح الأخضر :

أمَا تَرى النّخل قد نشرت بلحاً جاء بَشيراً بدَولة الرُّطبِ

مكاحِلا من زُمرّد خرطت ، مقمَّعات الرّءوسِ بالذَّهبِ (٤)

وفى البلح الأحمر :

أنظر إلى البُسْر إذ تبدّى ولونه قد حكى الشَّقيقَا (٥)

كأنّما خُوصُه عليه زَبرجد مشمرٌ عقيقَا

البطيخ

رأيتهَا فى كفٍّ جلاَّبهَا وقد بَدت فى غَاية الحُسنِ

كسلّة خضراء مَختُومة على الفُصوص الحُمرِ فى القطنِ

وقال أبو طالب المأمونى

ومُبيْضة فيها طَرائِق خَضرة كما اخضرّ مجرى السَّيل من صَيّب المُزن (٦)

---

(١) الطلع ما يطلع من النخلة ثم يصير تمرا ان كانت أنثى ، فان كانت ذكراً لم يصر تمراً بل يؤكل طريا ، ويترك على النخل أياما حتى يصير فيه شئ أبيض مثل الدقيق فيلقح به الانثى ، والقنوان جمع قنو وهو من الثمر كالعنقود من العنب (٢) المعصم موضع السوار أو اليد وهو المراد هنا (٣) العقيان الذهب الخالص (٤) مقمعة ذات قمع وهو ما التزق بأعلى الثمرة (٥) البسر البلح قبل ان يرطب فاذا انتهى نضجه فرطب ، والشقيق نبت أحمر فيه بقع سوداء (٦) الصيب : المطر . والمزن السحاب أو أبيضه

كحُقَّةِ عاجٍ ضُبِّبَتْ بزَبرجدٍ حَوَتْ قِطَعَ الياقوتِ فى عِصَبِ القُطن (١)

وقال فى بطيخة صفراء :

وبطِّيخةٍ مِسْكيّةٍ عَسَلِيَّةٍ لها ثوبُ دِيباجٍ وعَرْفُ مُدامِ (٢)
إذا فُصِّلت للأكل كانت أهِلَّةً وإنْ لم تُفصَّل فهى بَدرُ تِمامِ

وقال سبط ابن التَّعاويذى المتوفى سنة ٥٨٤ هـ

رُبَّ صَفراءَ أتتنا وهى فى أحسنِ حُلَّهْ
تَعتريها صُفرةٌ فى لَونها من غيرِ عِلَّهْ
حُلوةُ الرِّيقِ، حَلالٌ دَمها فى كلِّ مِلَّهْ
نِصفها بدرٌ، وإن قسَّمتَها فهى أهِلَّهْ

غيره — ألا فانظروا البطّيخ وهو مُشقَّقٌ وقد حاز فى التَّشقيق كلَّ أنيقِ
تَرَوْهُ كبُلّورٍ بدا فى زُمرّدٍ مُركَّبةٍ فيه فُصوص عَقيقِ

العنب — قال ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ

كأنَّ عَناقيدَ الكروم وظلَّها كواكبُ دُرٍّ، فى سَماء زَبرجدِ

وقال السَّرىّ الرفّاء :

والكَرْمُ مُشتبكُ الأفنان، تُوسِعُنا أجناسُه فى تَساوى شِرْبها عَجباً (٣)
فَكَرْمةٌ قطَرت أغصانها سَبَجاً وكرمةٌ قَطرت أغصانُها ذَهباً (٤)
كأنّما الورق الخضرُ دُونهما غيرانُ يكسُوهما من سُندسٍ حُجُباً

---

(١) التضبب : شدة القبض على الشىء لئلا ينفلت أى كأنها محاطة بخيوط من الزبرجد تمسكها . والعصب جمع عصبة : ما يعصب به أى صرر من القطن (٢) العرف الريح (٣) الافنان الاغصان والشرب الماء (٤) السبج : خرز اسود .

قَصَب السّكر :

تَحكيه سُمر القَنا ولكن تَراه فى جسمه طَلاَوهْ [١]
وكلَّما زِدْتَه عَذاباً زَادَك من رِيقه حَلاوهْ

النَّبق :

وسِدرَة كلّ يوم من حُسنها فى فُنون [٢]
كأنّما النّبْق فيها وقد بدَا للعيُون
جَلاجلٌ من نُضارٍ قد عُلِّقَتْ فى الغصون

الجزَر : قال ابن المعتز :

أُنظر الى الجزَر الذى يَحكى لَنا لَهَبَ الحرِيقْ
كمِذَبّة من سُندس ولها نِصابٌ من عقيق

وقال ابن رافع القِيروَانى :

أُنظر الى الجزر البديع كأنّه فى حُسنه قُضُبٌ من المَرجان
أو راقُه كزَبَرجَدٍ فى لونها ، وقلوبُه صِيغَت من العِقيَان [٣]

اللّوز الأخضر : قال ظافر الحدّاد :

كأنّما قُلوبه من تَوءمٍ ومُفردِ
جَواهرٌ لكنَّما الْ أصدَاف من زَبَرْجَد

التّين : قال ابن المعتز :

أنعِمْ بِتينٍ طَابَ طَعماً ، واكتسَى حُسْناً ، وقَاربَ مَنْظراً من مَخْبرِ

---

(١) الطلاوة مثلثة الطاء : الحسن (٢) السدرة . شجرة النبق (٣) العقيان : الذهب الخالص

فى بَرد ثَلج فى نقَا تِبْر ، وفى ... رِيح العَبِير، وطِيب طَعم السّكر (١)
يَحكى إذا ما صُفّ فى أطبَاقه ... خِيَماً ، ضُرْبنَ من الحرير الأحمر

الفستق :

والقلبُ ما بين قشريه يلوح لنا ... كأَلسُنِ الطّير من بَينِ المنَاقير

غيره : زَبرجَدة خَضراء وَسط حَريرة ... بحُقَّةِ عَاجٍ فى غِلاف أَديم (٢)

غيره : زَبرجَدة ملفوفةٌ فى حَريرة ... مضَمَّنَة دُرًّا مُغَشَّى بياقوت

النّارنج : قال ابن المُعتز .

وكأَنّما النّارَنج فى أغصَانه ... من خالص الذهب الذى لم يُخْلَطِ (٣)
كرَة رمَاها الصَّولجانُ الى الهوا ... فتعلَّقت فى جَوّه لم تَسقُطِ

غيره : أُنظر إلى مَنظر تُلهيك بَهجتُه ... بمثله فى البَرايا يُضرَب المَثَلُ
نَارٌ تلوحُ على الأغصان فى شجَر ... لا النار تُطفَا، ولا الأغصان تَشتعِلُ

وقال أبو الحسن الصقّلى :

إذَا ميَّلْتها الريحُ مالت كأُكْرَةٍ ... بَدت ذَهباً فى صَوْلجان زَبَرجَدِ

اللَّيمون : قال ابن المعتز :

يا حبّذا لَيمونةٌ ... تُحدثُ للنّفس الطّربْ
كأنَّها كافَورة ... لها غِشَاءٌ من ذَهبْ

القلم — قال « ابن المُعتَزّ » : ٱلقلَم مُجهّز لجيوش الكلام ، يَخدم الإِرادة ولا يَملّ استزادة ، يَسكتُ واقفاً ، ويَنطق سائراً ، على أرضٍ بَياضُها مُظلِم

---

(١) العبير اخلاط من الطيب . ونقا مقصور نقاء (٢) الاديم الجلد أو أحمره ، وهو المراد هنا (٣) النارنج نوعان : أحدهما حامض معروف ، والآخر حلو وهو (البرتقالى)

وسوَادها مُضيء ، وكأنه يُقبِّل بساط سُلطان ، أو يفتح نوَّار[١] بستان

وقال « على بن عُبيد » القلم : أصمُّ يسمع النَّجوى[٢] ، أعْيَا من باقل ، وأبلغ من سَحبَان وَائل ، يَجهل الشّاهد ، ويُخبر الغائب ، ويجعل الكتُب بين الإخوان ألسُناً ناطقة ، وأعيُناً لاحِظة ، وربّما ضَمَّنها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الألسُنُ عند المُشاهدة

ومن كلام « أبى حفص بن بُرد الأندلسى » : ما أعجبَ شأنَ القلم ، يَشربُ ظُلمة ، ويلفِظ نُوراً ! قد يكون قلم الكاتب أمضَى من شَبَاة[٣] المُحارِب ، القلم سهم يُنفذ المُقاتل ، وشَفْرَة[٤] تطيح بها المفَاصِل

وقال « محمود بن أحمد الأصبهَانِى » :

أخرسُ يُنبيك بإطراقِه ... عن كلّ ما شِئت مِن الأمرِ[٥]
يُذْرِى على قرطاسه دمعة ... يُبدى بها السِّرَّ وما يَدرى[٦]
كعَاشقٍ أخفى هواه وقد ... نمَّت عليه عَبرةٌ تَجرِى
تُبْصِرُه فى كلِّ أحوَاله ... عُريانَ يكسُو النّاس أو يُعْرِى
يُرى أسيراً فى دَواة وقد ... أطلق أقواماً من الأَسْرِ
أخرقُ ، لو لم تَبرِهِ لم يكن ... يرشق أقواماً وما يَبرِى[٧]
كالبحر إذْ يجرى ، وكالليل إذ ... يَغشَى ، وكالصّارِم إذ يُفرى

وقال « أحمد بن عبد ربّه » المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

يُخاطب الغائبَ البعيدَ بما ... يُخاطب الشاهدَ الذى حضَرا

---

(١) الزهر أو الابيض منه (٢) السر (٣) الشباة حد كل شئ (٤) سكين
(٥) أطرق أرخى عينيه ينظر إلى الأرض (٦) يذرى يصب (٧) أخرق أحمق ، ويبرى يقطع ، وكذا يفرى

شَخْتٌ ضَئِيلٌ ، لِفعله خَطَرٌ أعظِمْ به فى مُلِمَّةٍ خَطَرَا (١)
تَمُجّ فَكَّاهُ رِيقةً صفِرتْ وَخطبُها فى القلوب قد كَبُرَا
يُواقع النّفسَ منه ما حذِرتْ وربّما جَنِيَتْ به الحذَرا
مُهفهفٌ تَزدهِي به صُحفٌ كأنّما حُلِّيَتْ به دُرَرا

و « لابن المُعتزّ » فى قلم الوزير « القاسم بن عُبيد الله » :

قلمٌ مَا أراهُ ، أم فَلَكٌ يَجـ رِى بما شاء « قاسمٌ » ويَسيرُ ؟
خَاشِعٌ فى يديه يَلثَم قِرطَا سا كما قَبّل البساطَ شكورُ
ولطيف المعنى ، جليل ، نحيفٌ ، وكبير الأفعال وَهو صغيرُ !
كم مَنَايا ، وكم عطَايا ، وكم حَتْـ فٌ وعيشٌ تضمّ تلك السّطور
نَقشت بالدُّجا نَهاراً ، فما أد رِى أخطٌّ فيهنّ أم تَصويرُ ؟

وقال « أبو تمّام » فى قلم « محمد بن عبد الملك الزّيّات »

لكَ القلمُ الأعلى الذى بِشَباتِهِ تُصابُ من الأمر الكُلَى والمفَاصلُ
لُعابُ الأَفاعِى القاتلاتِ لُعابُه وأَرْيُ الجَنَى اشتارَتْه أيدٍ عَواسلُ (٢)
له رِيقةٌ طَلٌّ ، ولكنّ وقْعَها بآثاره فى الشّرق والغرب وابلُ (٣)
فَصيحٌ إذا استنطقتَه وهو راكبٌ وأعجم إن خاطبتَه وهو راجلُ ! (٤)
إذا مَا امتطى الخمس اللِّطاف وأُفْرِغت عليه شِعابُ الفِكر وهى حَوافلُ (٥)

---

(١) شخت . ضامر دقيق ، وكذا مهفهف (٢) الارى العسل : اشتاره اجتناه : العوامل جمع عاملة أى تشتار العسل وتجمعه (٣) الطل أخف المطر : الوابل المطر الشديد الضخم القطر (٤) أعجم . لايبين كلامه : راجل واقف (٥) الشعاب جمع شعبة : وهى ما عظم من سواقى الاودية والمسيل فى الرمل حوافل : ملأى

أطاعتهُ أطرافُ القنَا ، وتقوَّضت لنجواه تقويضَ الخيام الجحافلُ
إذا استغزر الدِّهنُ الجلىُّ وأقبلت أعاليه فى القرطاس وهى أسافلُ (١)
رأيتَ جليلاً شأنُهُ « وهو مُرهَف ضنىً » وسميناً خطبُه «وهو ناحلُ» (٢)

وقال « ابن الرُّومى » :

إن يَخدِم القلمَ السيفُ الذى خَضعت له الرِّقابُ ، ودانت خوفَه الأُممُ
فالموت — والموت لاشىءٌ يُغالبُه ما زال يَتبعُ ما يجرى به القلمُ
كذا قضَى اللهُ للأقلام مُذْ بُرِيت أن السيوف لها مُذ أُرهِفَتْ خَدَمُ

وقال « المُتنبّى »

نَحيف الشَّوَى يَعدُو على أمّ رأسِه ويَحفَى فيقوَى عَدْوُه حين يَقطعُ (٣)
يَمُجُّ ظلاماً فى نهارٍ لِسانُه ويَفهم عَمّن قال مالَيس يَسمعُ

وقال « ابن نُباتَة السَّعدى » المتوفى سنة ٤٠٥ هـ

يَرنُو إلى الأفكار غيرَ مُلاحظٍ ويُخاطب القِرطاسَ غيرَ مُحَابى
ويُعلِّم الآدابَ أفهام الورى وفؤادُه صِفرٌ من الآدابِ

وقال « مهيار الدّيلمى » المتوفى سنة ٤٢٨ هـ فى وصف الدَّواة والأقلام :

وأمّ بنينَ استَبطنَتْهُم ، فصدرُها غَصيصٌ بهم عند الحِضانِ كَظِيمُ
يَعقُّونَها بالضَّغط ، وهى عليهمُ عَطوفٌ بدرَّات الرَّضاع رَءُومُ (٤)
يَخالُ الأفاعى الرُّقْشَ ماضَمّ منهمُ حَشاها ، وهم فيها أخٌ وحَمِيمُ (٥)

---

(١) استغزر : طلب ما فيه من مادة غزيرة (٢) مرهف دقيق مرقق . ضنى مرض مرضا ملازما الفراش حتى أشرف على الموت (٣) الشوى الاطراف وجلدة الرأس (٤) الدرة اللبن . رءوم عطوف (٥) الرقش جمع رقشاء وهى الحية المنقطة بسواد وبياض — والحميم القريب

فمِن ذِي لسانٍ مُفصِحٍ وهو أخرس ومِن بائحٍ بالسِّرِّ وهو كتُومُ

وقال « أبو الفتح البُستي » : المتوفى سنة ٤٠٠ هـ

إذَا أقسم الأبطالُ يوماً بسيفهم وعدُّوه ممّا يُكسبُ المجدَ والكرم
كفَى قلمُ الكتّاب عزاً ورفعة مَدى الدّهر أنّ الله أقسَم بالقلم

وقال أعرابى من بنى الحرث بن كعب — يصف الشمس :

مُخبأة : أمّا إذَا اللّيـل جَنّها فتَخفَى ، وأمّا بالنّهار فتَظهرُ (١)
إذا انشقّ عنها ساطع الفجر ، وانجلَى دُجا اللّيل ، وانجابَ الحِجَاب المُستّرُ (٢)
وألبسَ عرضُ الأرض لوناً كأنّه على الأفُق الشّرقى ثوبٌ مُعصفرُ
تَحلّت ، وفيها حين يَبدو شعاعها ولم يجْلُ للعين البصيرة منظَرُ
بلونٍ ، كدِرع الزّعفران يَشوبُهُ شُعاع تَلألأ ، فهو أبيضُ أصفرُ
إلى أن علَتْ وابيضّ منها اصفرارها وجالت كما جال المَهيج المُسهّرُ (٣)
وجَللّتِ الآفاق ضوءاً يُنيرها فخرّ لها صدرُ الضُّحَا يتَسعّرُ
ترَى الظلّ يُطوى حين تَعلو ، وتارة تَراه إذَا مالت إلى الارض يُنشَرُ
وتدنَفُ حتى ما يكادُ شعاعها يَبينُ إذا غابت لِمَنْ يَتبصّرُ (٤)
كما بدأتْ إذْ أشرقتْ ، فى مَغيبها تَعود ، كما عاد الكبير المُعمّرُ
فأفْنت قُروناً ، وهى فى ذاك لم تزل تموت وتحيَا كل يومٍ وتُنشرُ (٥)

وقال الطُّغرائى يصف طلوع الشمس وغروب البدر :

وكأنّما الشمس المُنيرة إذ بدَت والبدر يَجنحُ للغروب وما غرَبْ

---

(١) جنها : سترها (٢) انجاب انكشف (٣) المهيج المفزع (٤) دنفت الشمس دنت للغروب واصفرت (٥) تحيا

مُتحاربان : لِذَا مِجَنٌّ صَاغَهُ من فِضَّة ، ولذَا مِجَنٌّ من ذَهَبْ

وقال ابن خفَاجه الأَندَلُسى المتوفى سنة ٥٣٣ هـ يصف غروبها فى نهر

وقد وَلَّت الشّمس مُحْتَثَّةً إلى الغَرب تَرنُو بِطرفٍ كحِيل (١)
كأنَّ سَناها على نهره بقايَا نجيع بسيف صَقِيل (٢)

وقال ابن طاهر الكرخى أيضاً :

أمَا تَرى الأُفق كيف قد ضرب الـــغَيْمُ عليـه من مُزنهِ قُبِبا ؟
وحاجبُ الشمس من رَفَارِفهَا يُضرمُ فيهـا بنُوره لهبَا (٣)
كأنّه فِضّة مُطَرَّقةٌ أطرافها قد تَطَوَّسَت ذهبَا (٤)

وقال ابن مكى أيضا :

كأنّ الشّمس إذ غَرُبتْ غَرِيق هَوى فى البحر . أوْ وَافَى مغاصا
فأتبعها الهلال على غُروب بزورقه ، يُريد لها خَلاصا

وقال عبد العزيز القُرطبى أيضا :

إنّى أرَى شَمس الأصيل عَلِيلةً تَرتادُ من نحو المغارب مَغرِبَا
مَالتْ لِتَحجُبَ شَخصها فكأنها مَدّت على الدنيا بِسَاطاً مُذْهبَا

وقال ابن الرومى أيضا :

وقد طفلت شمس الأصيل ونَفَّضَت على الجانب الغربى وَرْساً مُذَعذَعا (٥)
ولاحظتِ النّوار وهى مَرِيضةٌ وقدوضعت خداً على الأرض أضرعا (٦)

---

(١) محتثة مسرعة . ترنو تديم النظر (٢) سناها ضوءها والنجيع دم يضرب إلى السواد (٣) رفارفها أطرافها وجوانبها (٤) مطرقة مضروبة بالمطرقة . وتطوست . تزينت (٥) طفلت الشمس احمرت عند الغروب ونفضت نثرت . والورس نبات أصفر والمذعذع المبدد والمفرق (٦) أضرعا : ذليلا

كما لحظت عُوَّادَهُ عينُ مُدْنِفٍ تَوَجّع من أوصابه ما تَوَجّعا (١)

وقال ابن أفلح من قصيدة طويلة فى الموضوع نفسه

والشّمسُ خَافِضةُ الجناحِ مُسِفّةٌ فى الغرب تَنسابُ انْسِيابَ الأَرقَطِ (٢)
أو كالعروس بَدتْ فأُسدِل دُونها جَنَباتُ سِتر كالجِساد مُخطّط (٣)
وأتَى الظّلام على الضِّياء كما أتَى أَجَلٌ على أَمَلٍ ، فلم يتأَبَّطِ

وقال أيضا شاعر العراق الكبير الأستاذ معروف الرَّصَافِي :

نَزلتْ تَجرّ إلى الغروب ذُيولا صَفراءَ تُشبِهُ عاشقاً متبُولا (٤)
تَهتَزّ بين يدِ المغيب ، كأنّها صَبٌّ تَململَ فى الفراش عَليلا
ضَحِكتْ مَشارِقها بوجهك بُكرةً وبكَت مَغاربها الدّماء أصيلا
وغدَت بأَقصى الأُفق مثل عَرارة عطِشت فأَبدت صُفرةً وذُبولا (٥)
غرُبت فأبْقَت كالشُّواظ عقيبها شَفَقاً بحاشية السّماء طويلا (٦)
شَفَقٌ يَرُوع القلب شاحِبُ لونه كالسيف ضُمِّخ بالدّما مَسلولا
رَقّت أعَاليه وأسفلُه الذى فى الأُفق أُشبع عُصفُراً مَحلُولا

وقال ابن المُعتز يصف الهلال :

أُنظُر إليه كزَورق من فِضّة قد أثقَلته حمُولة من عَنبرِ

غيره : وكأنّ الهلال نصف سِوار والثّريّا أكفٌّ تُشير إليه

غيره : فَخٌّ بوَسْط السّماء مُلقًى ينتظر الصَّيْد للنّجوم

غيره : أُنظر إلى حُسن هلال بدَا يهتِك من أنواره الحِنْدِسَا (٧)

---

(١) الأوصاب والأمراض (٢) مسفة من أسف الطائر اذا دنا من الارض فى طيرانه وحية رقطاء من الرقطة وهى سواد يشوبه نقط بياض أو عكسه (٣) الجساد الزعفران
(٤) ذاهب العقل (٥) العرار نبت طيب الريح (٦) الشواظ اللهب لادخان فيه (٧) يهتك يمزق

غيره : كمِنجَلٍ قد صِيغ من فِضَّة يَحصُدُ من زَهر الدُّجا نَرجسَا
غيره : يَتلُو الثُّريّا كفاغرٍ شَرِهٍ يفتحُ فاه لأكل عُنقودٍ (١)
غيره : فى ليلة أكل المَحَاق هلالَها حتى تبدَّى مثل وَقف العَاج (٢)
غيره : قلت لمّا هَوت لمغرِبها الشّمـ ـسُ ولاح الهلال للنُّظَّارِ
أقرضَ الشرقُ ضدّه الغرب دِينَا راً فأعطاه الرَّهنَ نصف سُوارِ

وقال ابن طَبَاطِبَا :

وكأنَّ الهلال لَمّا تَبدَّى شَطر طَوق المِرآة ذى التَّذهِيبِ
أو كقوس قد أُحنيت أو كنُؤى أو كنونٍ فى مُهْرق مكتوبِ (٣)

وقال أبو عاصم البصرى فى الهلال والثّريّا والزّهرة :

رأيت الهلال وقد حلَّقَتْ نجوم الثّريّا لِكى تَلحقَه
فشبَّهته وهو فى إثْرها وبينهما الزُّهْرة المُشرقَة
بقَوسٍ لرَامٍ : رَمى طَائراً فأرسلَ فى إثْره بُنْدُقه

وقال فى اقتران الثريّا بالهلال :

فإذا ما تقَارنَا قلت طَوقٌ من لُجينٍ قد عُلِّقت فيه دَرّه

وقال الطُّغرائى :

فكأنّه وكأنّها فى جَنْبِه عُنقودةٌ فى زَورق من عَسْجَد

وقال أبو الفضل الميكالى :

كأُكْرة من فضَّةٍ مَجلُوَّة أوفَى عليها صَولجانٌ من ذَهَبْ

ومن فى كلمة (من أنواره) بمعنى الباء ، والحندس : الظلمة (١) فاغر : فاتح فاه (٢) المحاق : مثلثة الميم آخر الشهر ، والوقف سوار من عاج (٣) النؤى الحفير حول الخيمة يمنع السيل . المهرق : الصحيفة « معرب »

غيره : وكأنَّ الهلالَ تحت الثُّريا ملكٌ فوق رأسه إكليلُ (١)

كأنّما النَّجمُ قُرطٌ صِيغ من وَرِق معلّقٌ من هلال الأُفق فى أُذنِ (٢)

وقال شرف الدين الحُسين :

كأنَّ الهلال نزيل السَّماءِ وقد قَارن الزُّهْرة النيرِّه
سوارٌ لِحَسناءَ من عَسْجَد على قُفله وُضِعت جَوهرَه

وقال البدر البشتكى فى وصف الهلال والنجوم حوله :

ذُبالة شمعٍ عوّج الريحُ ضوءها فطار لها بالقُرْب بعضُ شرار (٣)

وقال على بن محمد الكاتب :

بَدا مُستدِقَّ الجانبين كأنّه على الأُفق الغربىّ مِخلبُ طائرِ
ولاح لمَسْرَى ليلتين كأنّما تفرّق منه الغَيم عن إثر حافر

غيره : وشمَّر عنه الغيمُ ذيلاً كأنما تكشَّف منه عن جناحٍ مُحلق (٤)

وقال : والبدر كالملك الأعلى وأنجُمه جنودُه ، ومَبانى قصره الفَلَكُ

وقال ابن المعتز :

وكأنَّ البدر لمّا لاح من تحت الثُّريّا
ملكٌ أقبل فى التّا ج يُفدّى ويُحيّا

وقال فى البدر مع الشمس :

حتى رأيت الشمس تت لو البدر فى أُفق السّما
فكأنّها وكأنّه قَدَحانِ من خمر وما

(١) الكليل : التاج (٢) الورق : بكسر الراء الفضة (٣) الذبالة : الفتيلة
(٤) حلق الطائر ارتفع فى طيرانه واستداروته

غيره : والبدر فى أفق السَّماءِ كدرهمٍ ملقًى على ديباجةٍ زرقاء

وقال السلامى :

والبدر فى أفق السما ءِ كروضة فيها غدير

وقال الشريف العقيلى

والبدر فى كبد السماءِ كوردة بيضاء تضحك فى رياض بنفسَجِ

غيره : وقد برز البدر المنير ووجهه كجَام لُجينٍ فيه آثار عَنْبرِ (١)

وقال سهل بن المرزبان

شبّهتُ بدر سَمائها لمّا دَنت منه الثُّريا فى قميصٍ سُندسِى

مَلِكا مَهيباً قاعداً فى روضة حيَّاه بعض الزائرين بنَرجسِ

وقال الوأواء الدمشقى يصف البدر طالعاً من خلال السحاب

والبدر أوّل ما بدا متلثِّما يُبدى الضِّياء لنا بخدٍّ مُسفِرِ (٢)

فكأنّما هو خوذة من فضّة قد رُكِّبت فى هَامة من عنبرِ (٣)

﴿ وقال الشّريف الرّضى يصف السماء والأرض والليل والبرق ﴾

سَمائى مُذهَّبَةٌ بالْبُرُوقِ وَأَرْضِى مُفَضَّضَةٌ بالْحَبَابِ

ورَوْضِى مَطَارِفُهُ غَضَّةٌ تطَرَّزُ أَطْرَافهَا بالذّهَابِ

ولَيْلٌ تَرَى الْفَجْرَ فى عِطْفِهِ كَمَا شابَ بعْضُ جَنَاحِ الْغُرَابِ

يَغَارُ الظّلاَمُ على شمْسِهِ إلى أن يُوارِيها بالْحِجَابِ

وَتَصْقُلُ أَنْجُمَهُ الْعَاصِفاتُ إذا صَدِئتْ مِنْ عمُود السَّحَاب

(١) الجام إناء من فضة (٢) مضئ مشرق (٣) الخوذة المغفر « زرد ينسج على قدر الرأس » والهامة الرأس .

﴿ وقال البحترى يصف الغيث ﴾

ذَاتُ ٱرْتِجَازٍ (١) بِحَنِينِ ٱلرَّعْدِ مَجْرُورَةِ ٱلذَّيْلِ صَدُوقِ ٱلْوَعْدِ
مَسْفُوحَةُ الدَّمْعِ لِغَيْرِ وَجْدِ لَهَا نَسِيمٌ كَنَسِيمِ ٱلْوَرْدِ
وَرَنَّةٌ مِثْلُ زَئِيرِ ٱلْأُسْدِ وَلَمْعُ بَرْقٍ كَسُيُوفِ ٱلْهِنْدِ
جَاءَتْ بِهَا رِيحُ الصَّبَا من نَجْدِ فَٱنْتَشَرَتْ مِثْلَ ٱنْتِشَارِ الْعِقْدِ
فَرَاحَتِ ٱلْأَرْضُ بِعَيْشٍ رَغْدِ مِن وَشْيِ أَنْوَارِ الرُّبَى فى بُرْدِ
كأنما غُدْرَانُها فى ٱلْوَهْدِ يَلْعَبْنَ مِنْ حَبَابِهَا بِٱلنَّرْدِ (٢)

﴿ ومن قصيدة لصفى الدين الحلى يصف فيها الربيع ﴾

خَلَعَ الرَّبِيعُ عَلَى غُصُونِ ٱلْبَانِ حُلَلاً فَوَاضِلُهَا على ٱلْكُثْبَانِ
وَنَمَتْ فُرُوعُ الدَّوْحِ حتى صَافَحَتْ كَفَلَ الكَثِيبِ ذَوَائِبُ الأَغْصَانِ
وَتَتَوَّجَتْ هَامُ ٱلْغُصُونِ وَضَرَّجَتْ خَدَّ ٱلرِّيَاضِ شَقَائِقُ ٱلنُّعْمَانِ
وَتَنَوَّعَتْ بُسُطُ ٱلرِّيَاضِ فَزَهْرُهَا مُتَبَايِنُ ٱلْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ
مِنْ أَبْيَضٍ يَقِقٍ وَأَصْفَرَ فَاقِعٍ أَوْ أَزْرَقٍ صَافٍ وَأَحْمَرَ قَانِ
وَالظِّلُّ يُسْرِعُ فى الخمائل خَطْوَهُ وَٱلْغُصْنُ يَخْطُرُ خِطْرَةَ ٱلنَّشْوَانِ
وكأنما الاغْصَانُ سُوقُ رَوَاقِصٍ قَدْ قُيِّدَتْ بِسَلَاسِلِ ٱلرَّيْحَانِ
وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ مِن خِلَالِ فُرُوعِهَا نَحْوَ الحدَائِقِ نَظْرَةَ الغيرَانِ
وَالأَرض تَعْجَبُ كَيْفَ يَضْحَكُ وَالحَيَا يَبْكِى بِدَمْعٍ دَائِمِ الهَمَلَانِ
حَتَّى إِذَا افْتَرَّتْ مَبَاسِمُ زَهْرِهَا وَبَكَى ٱلسَّحَابُ بِمَدْمَعٍ هَتَّانِ
طَفِحَ السُّرُورُ علىَّ حتى أَنَّهُ مِن عُظْمِ مَا قَدْ سَرَّنِى أَبْكَانِى

(١) من ارتجز الرعد إذا دمدم (٢) النرد لعبة تعرف عند العامة بلعب « الطاولة »

فَاصرفْ همُومَك بالرَّبيع وفَصلِهِ إنَّ الرَّبيعَ هُوَ الشَّبابُ الثّانى

﴿ وله من قصيدة فى وصف واد ﴾

تَعَانَقَت الأَغْصَانُ فيهِ فأَسْبلَتْ على الرَّوْض أستَاراً من الورَق الخضْرِ
إذا ماحبَالُ الشمس منْها تخلّصَتْ إلى رَوْضِهِ أَلْقَتْ شِرَاكاً من التبرِ

﴿ ومن قول أبى الفتح كشاجم فى وصف الجمر يعلوه الرّماد ﴾

كأنّما الجمرُ والرَّمَادُ وَقَدْ كادَ يُوَارِى من نارِهِ النُّورَا
وَرْدٌ جَنىَّ القِطَافِ أحمرُ قَدْ ذَرَّتْ عليهِ الأَكُفُّ كافورَا

﴿ ومن قصيدة لأبى الفرج عبد الواحد الببغا فى وصف جيش ﴾

قادَ الجيادَ إلى الجيادِ عَوَابساً شُعْثاً (١) ولَوْلا بأسُهُ لم تَنْقَدِ
فى جَحْفَلٍ كالسَّيْل أو كاللَّيْل أو كالقَطْر صافَحَ مَوْجَ بَحْرٍ مُزْبِدِ
رَدَّ الظلامَ على الضُّحَى فاسْتَرْجَعَ م الإظْلامَ من لَيْل العَجَاج الأَرْبَدِ (٢)
وكأنَما نَقَشَتْ حَوَافِرُ خيلِهِ لِلناظرين أَهِلَّةً فى جلْمَدِ
وكأنّ طَرْف الشمْس مطْرُوف وقَدْ جُعِل الغبَارُ لهُ مكان الإثْمِدِ

﴿ وله من قصيدة فى وصف روضة ﴾

مَدَاهِنُ يَحْمِلنَ طَلَّ (١) النّدَى فهَاتِيكَ تِبْرٌ وهذِى عَقِيقْ
تُنَظِّمُ أَوْراقهَا دُرَّهَا وتَنْثرُ مِنْها التى لاَ تَطِيقْ
يَمِيلُ النَّسيمُ بِأَغْصَانِهَا فبعْضٌ نَشَاوَى وبعْضٌ مُفِيقْ
ويَوْمٍ سِتَارتُهُ غَيْمُهُ وقدْ طَرَّزَتْ رَفْرفيْهَا البُرُوقْ

(١) شعثا الأسود (٢) الأربد الخوذة المغفر وهو زرد ينسج من الحديد على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة (٣) الطل المطر الضعيف

جَعَلْنَا الْبخُور دُخَاناً لهُ ومنْ شررِ الرّاحِ فيهِ حريقْ
تَظلُّ بِهِ الشمْسُ مَحْجُوبةً كأنّ اصْطِبَاحَكَ فيهِ غَبُوقْ
علَى شَجراتٍ رافِعاتِ الذُّيُولِ لِمـاءِ الْجَدَاوِلِ مِنْهَا شَهِيقْ

﴿ ومن قصيدة للحسن بن علي بن وكيع فى وصف روض ﴾

أَسفَرَ عَن بَهجَتِهِ الرّوْضُ الأَغَرْ وَابْتَسَمَ الدَّوْحُ لَنَا عَنِ الزّهَرْ
أَبْدَى لَنا فَصْلُ الرَّبيعِ مَنْظَراً بِمِثْلِهِ تُفْتَنُ أَلْبَابُ الْبَشَرْ
وَشْياً وَلـكنْ حَاكَهُ صَانعُهُ لاَ لابْتِذَالِ اللُّبْسِ لـكنْ لِلنَّظَرْ
عاينَهُ طَرْفُ السَّمَاءِ فَانْثنى عِشْقاً لَهُ يَبْكِي بِأَجْفَانِ الْمطَرْ
فَالأَرضُ فِي زِيّ عَرُوسٍ فَوْقَها مِنْ أَدْمُعِ الْقَطْرِ نُثَارٌ مِنْ دُرَرْ
وَشْيٌ طَوَاهُ فِي الثَّرَى صَوَّانُهُ(١) حتى إذا ملَّ من الطَّيّ انْتشرْ

﴿ وله من قصيدة فى وصف الربيع ﴾

أُنظرْ إلى زهْرِ الرَّبيعِ وَما جلَتْ فِيهِ عليْكَ طرائِفُ الأَنْوارِ
أَبْدَتْ لنا الأَمْطارُ فيـهِ بَدائِعاً شَهِدَتْ بِحِكمَةِ مُنزِلِ الأَمْطارِ
ما شِئتَ للأَزهارِ فى صحرائِهِ مِنْ دِرْهَمٍ بَهجٍ ومنْ دِينارِ
وجواهِرٌ لوْلاَ تغَيُّرُ حُسنِها جلّتْ عنِ الأَثمانِ والأَخطارِ(٢)

﴿ وله أيضاً فى وصف الربيع ﴾

أَلستَ تَرى وَشْيَ الربيعِ المُنْمنمَا وما رصَّعَ الرِّبْعِيُّ(٣) فِيهِ ونظَّمَا
فقدْ حكتِ الأَرْضُ السّماءَ بِنورِها فلمْ أَدرِ فى التّشبِيهِ أَيُّهُما السَّما

(١) الصوان الوعاء الذى يصان فيه الشيء (٢) جمع خطر وهو المثل والعديل فى العلو
(٣) الربعى نسبة إلى الربيع والمراد به هنا المطر فى الربيع

فَخُضرتها كالجوّ فى حُسْنِ لوْنِهِ وأنوارُها تحكِى لِعَينَيكَ أنجمَا
فَمن نَرْجِسٍ لمَارأى حُسْنَ نَقْشِهِ تَدَاخَلَهُ عُجْبٌ بِهِ فَتَبَسَّمَا
وَأبْدَى على الورْدُ الجَنِىّ تَطَاوُلا فأظهَرَ غيْظَ الوَرْدِ فى خدِّهِ دَمَا
وَزهْرٍ شَقِيقٍ نازعَ الْوَرْدُ فضْلَهُ فَزَاد عليْهِ الْوَرْدُ فَضْلا وقُدّمَا
وَظلَّ لِفرْطِ الْحُزْنِ يَلْطِمُ خَدَّهُ فأظْهَرَ فيهِ اللَّطْمُ جَمْراً مُضرّما
وَمِن سَوْسنٍ لمّا رأى الصّبْغ كُلَّهُ على كُلّ أنوار الرّياض تقسَّما
تَجلببَ من زُرْق اليواقيت حُلَّةً فأغرب[1] فى الملبُوس منهُ وأحْكما
وأنوارُ منثورٍ تَخَالَف شكلُها فصار بها شكلُ الرَّبيعِ متمَّما
جواهرُ لوْ قدْ طال فينا بقاؤها رأيت بها كلَّ الملوكِ مُختَّما

﴿ وللقاضى محمد بن النّعمان فى وصف الهلال ﴾

أُنظرْ إلى حُسْنِ ذا الْهلالِ وقدْ بدا لِستّ مَضيْن من عُمرُه
وقدْ أطافَتْ بِهِ كواكبُهُ حُسْناً فبيَّنتهُ لمعتبره
مِثْل زِناد[2] قدْ صِيغ مِن ذهبٍ يقْدحُ ناراً وهُنَّ مِن شررِهْ
ثمَّ تولَّى يُرِيدُ مغربهُ فى شفقِ[3] الشَّمس وهْى فى أثَرِهْ
فخِلتُه غائصا بِبحْر دمٍ يقْذِفُ بِالرائِعَات مِنْ دُرره
فلمْ أزل وليلتى أُراجعُهُ لحظِّى وأبكى للْوقْتِ من قِصَره
حَتّى تَبَدّى الصّباحُ مُنْتبهاً قبل انْتباهِ الْمخْمُور من سُكره

﴿ ومن قصيدة لسليمان بن حسّان الصّيبى فى وصف شمعة ﴾

وَمَجْدُولَةٍ مِثْل صَدْرِ الْقَنَا ةِ تَعرّتْ وَبَاطِنها مُكْتَسِى

---

(١) اغرب اتى بشئ غريب (٢) الزناد جمع زند مايقدح به النار (٣) الشفق الحمرة فى الافق من الغروب إلى قريب من العتمة

لَهَا مُقْلَةٌ هِيَ رُوحٌ لَهَا وَتَاجٌ على الرّاسِ كَالْبُرْنُس
إِذَا رَنِقَتْ (١) لِنُعاسٍ عَرَا وَقُطّتْ مِنَ الرَّاس لَمْ تَنْعَس
وَإِنْ غَازَلَتْهَا الصَّبَا حَرّكَتْ لِسَاناً مِنَ الذّهَبِ الأَمْلَس
وَتُنْتِجُ فِي وَقْتِ تَلْقِيحِهَا ضِيَاءً يَجَلّى دُجَى الْحِنْدِسِ
فَنَحْنُ مِنَ النورِ فِي أَسْعُدٍ وَتِلْكَ مِنَ النّارِ فِي أَنْحُسِ
تَوَقُّدُهَا نُزْهَةٌ لِلْعُيُو نِ وَرُؤْيَتُهَا مُنْيَةُ الأَنْفُسِ
تَكِيدُ الظَّلامَ كَمَا كَادَهَا فتفْنَى وَتفْنِيهِ فِي مَجْلِسِ
فَيَا حَامِلَ الْعُودِ حُثّ الْغِنَا وَيَا حَامِلَ الْكَاسِ لاَ تَحْبِس
وَيَا صَالِحُ (٢) أَنْعَمْ وَعِشْ سَالِماً على الدّهرِ فِي عِزِّكَ الأَقْعَس (٣)

﴿ ولأبي الحسن العقيلي في وصف الصبح والبرق ﴾

أَلصُّبْحُ يَنْشُرُ فَوْقَ مِسْكِ اللَّيْلِ كَافُورَ الضِّيَاءِ
وَالْبَرْقُ يُذْهِبُ ما تُفَضِّضُهُ الْغُيُومُ مِنَ السَّمَاءِ
فَاشْرَبْ عَلَى دِيبَاجِ نَبْتٍ قَدْ أَحاط بِشَرْبِ ماءِ (٤)
فَالعَيْشُ فِي زَمَنِ الرَّبِيعِ رَقِيقُ حَاشِيَةِ الرِّدَاءِ

﴿ وله أيضاً في وصف نارنجة ﴾

وَنَارَنْجَة (٥) بَيْنَ الرِّيَاضِ نَظَرْتُهَا على غُصنٍ رَطْبٍ كَقَامَةِ أَغْيَدِ
إِذا مَيَّلَتْهَا الرِّيحُ مالت كَأُكْرَةٍ بَدَتْ ذَهَباً فِي صَوْلَجَانِ زُمُرُّدِ

﴿ ولابن أبي عمرو الطرازي في وصف نار ﴾

نَارٌ جَرَتْ فِي غَابَةٍ تَرْمِي الْعِدَى بِالشُّهُبِ

(١) كدرت (٢) اسم الممدوح (٣) الثابت المنيع (٤) الشرب المورد (٥) النارنجة واحدة

كأنّها جَيْشُ وَغىً فِرْسَانُهُ مِنْ ذَهَبِ

﴿ ولعلى بن لؤلؤ الكاتب فى وصف الصبح والليل ﴾

رُبَّ صُبْحٍ كَطَلْعَةِ الوَصْلِ جَلَّى جُنْحَ لَيْلٍ كَطَلْعَةِ الهِجْرَانِ
زارَ فِي حُلَّةِ البُزَاةِ فَوَلَّى اللَّيْـــلُ عَنْهُ فِي حُلَّةِ الغِرْبَانِ

﴿ ولابى العباس الكِندى فى وصف الندى على البحر ﴾

كأنَّ النَّدَى فى البحرِ بَحْرَانِ مَائِعٌ على مَائِعٍ هذا على ذَاكَ مُطْبِقُ
فهذَا لُجَيْنٌ سَابِحٌ مُتَرَقْرِقٌ (١) وَذَاكَ لُجَيْنٌ فِي السَّمَاءِ مُعَلَّقُ
إذَا أبْصَرْتَهُ الشَّمْسُ بعدَ احتجابِها بِهِ ساعةً أبْصَرْتَهُ يتمزَّقُ

(وللسّرى بن أحمد الكِندى فى وصف الفجر من قصيدة)

وَرَكائِبٍ يخرُجْنَ من غَلَسِ الدُّجى مثلِ السِّهَامِ مَرَقْنَ (٢) مِنهُ مُرُوقا
والفجرُ مصقولُ الرِّداءِ كأنَّهُ جِلبابُ خودٍ أشربتهُ خلوقا (٣)

(وله من أخرى فى وصف سحابة)

وبِكْرٍ إذا جَبَّتْهَا الجنوبُ حسبت العشار تَؤُمُّ العشارا (٤)
ترى البرق يبسِمُ سِرًّا بها إذا انتحب الرَّعدُ فيها جهاراً
يُعارضُها فى الهواء النَّسِـــيمُ فينثرُ فى الأرض دُرًّا صِغاراً
فطَوراً يشقّ جُيُوب الحيا وطَوراً يسُحُّ الدُّمُوع الغِزارا

النارنج وهو شجرة ورقها أملس ليس بشديد الخضرة يحمل حملا مدوراً فى جوفه حماض كحماض الاترج ووردها ابيض فى نهاية من طيب الرائحة (١) متلألئ (٢) خرجن ونفذن من الجانب الآخر (٣) الخود المرأة الحسنة الخلق الشابة والخلوق ضرب من الطيب مائع (٤) البكر السحابة الغزيرة ، وجنبتها دفعتها والعشار النوق.

﴿ وله من أخرى ﴾

غُيومٌ تُمسّك أُفق السّما ءِ وبرقٌ يُكتّبُهُ بالذّهب
وخضراء ينثرُ فيها النّدى (١) فريدٌ نَدًى (٢) ماله من ثُقَب
فأوراقها مِثلُ نظم الحلى وأنهارُها مثلُ بيض القُضب
حللتُ بها مع نَدامى سَلوا عن الجدّ واشتهرُوا باللّعِب
وأغْنَتْهُمُ عن بديع السّما ءِ بدائعُ ما ضمّنته الكتب
وأحسنُ شيءٍ ربيعُ الحيا أضيف اليهِ ربيعُ الأدب

﴿ ولابى بكر الخالدى فى وصف الجوّ وإدبار الليل و إقبال الفجر ﴾

والجوُّ يسْحب منْ عليل هوائِهِ ثوْباً يجود بظلِّه المُترقْرِق
حتّى رأينا الليْل قوّس ظهره هرماً وأثّر فيهِ شيب المفْرِقِ
وكأنّ ضوءَ الفجر فى باقى الدُّجى سَيفٌ حِلاه من اللُّجين المُحرق

﴿ ولسعيد بن هاشم الخالدى فى وصف المطر والصبح والليل والبرق ﴾

أَمَا تَرى الطّلّ كيفَ يَلْمَعُ فى عُيُون نَوْرٍ تَدْعُو إلى الطَّرَبِ
فى كُلّ عَيْنٍ للطّلّ لُؤْلُؤَةٌ كدَمْعَةٍ فى جفُون مُنْتَحِبِ
وَالصبْحُ قَدْ جُرّدَتْ صَوَارِمُهُ وَاللَّيْلُ قَدْ همّ مِنْهُ بالهرَبِ
والجوّ فى حُلّةٍ مُمَسّكَة قَدْ كتّبَتْهَا البُرُوقُ بالذّهَبِ

﴿ وللمهلّبى الوزير فى وصف الربيع ﴾

أَلْوَرْدُ بيْن مُضمّخٍ وَمُضَرّج (٣) والزّهْرُ بَيْنَ مُكلّل وَمُتَوّجِ

---

(١) الندى الكلأ (٢) الندى ماسقط فى آخر الليل . والفريد الجوهر النفيس والدر (٣) ضمخه بالطيب لطخه به حتى كاد يقطر . وضرجه صبغه بالحمرة

والثلجُ تهبطُ كالنثارِ فقمْ بِنَا ... نَلْتَذّ بابنةِ كرْمةٍ لم تُمزَج
طَلعَ النهارُ ولاحَ نورُ شقائقٍ ... وبَدَتْ سُطُورُ الوَرْدِ تلو بنفْسج
فكأنَّ يَوْمَكَ فى غِلالَةِ (١) فِضَّةٍ ... والنبْتَ من ذَهبٍ على فيروزَج (٢)

﴿ وللقاضى التنوخى أبى القاسم علىّ فى وصف طول الليل والفجر ﴾

وَلَيْلَةِ مُشْتَاقٍ كأنّ نُجُومَها ... قَدِ اغتصبَتْ عينَ الكَرَى وَهى نُوَّمُ
كأنّ عيُون السَّاهرينَ لِطُولِها ... إذا شَخصتْ للأنجُمِ الزُّهْرِ أنجُمُ
كأنّ سَوَادَ اللَّيْلِ وَالفجرُ ضَاحِكٌ ... يلوحُ وَيخْفَى أسْوَدٌ يَتَبَسّم

﴿ وله أيضاً فى وصف وحشة الليل والنجوم والسماء ﴾

رُبّ لَيْلٍ قَطَعْتهُ كصُدُودِ ... وَفِرَاقٍ مَا كان فيهِ وَدَاعُ
مُوحِشٌ كالثّقيلِ تَقْذَى به العيـ ... ـنُ وتَأْبَى حَدِيثَهُ الأَسْمَاعُ
وكأنّ النجومَ بَيْنَ دُجَاهُ ... سُنَنٌ لاَحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ
وكأنّ السَّماءَ خَيْمَةُ وَشْيٍ ... وكأنّ الجَوْزَاءَ فِيهَا شِرَاعُ

﴿ وله أيضاً فى وصف رياض ﴾

وَرِيَاضٍ حَاكَتْ لهُنَّ الثُّرَيَّا ... حُلَلاً كانَ غزلُهَا للرُّعُودِ
نَثَرَ الغيثُ دُرَّ دَمْعٍ عليها ... فتَحلَّتْ بمثلِ دُرِّ العُقودِ
أُقحُوَانٌ مُعَانِقٌ لِشَقِيقٍ ... كَثغُورٍ تَعُضُّ وَرْدَ الخُدُودِ
وَعُيُونٌ من نَرْجِسٍ تَتَرَاءَى ... كَعُيُونِ مَوْصُولَةِ التَّسْهِيدِ
وَكأنّ الشَّقِيقَ حِينَ تَبَدَّى ... ظُلْمَةُ الصُّدْغِ فِي خدُودِ الغِيدِ

---

(١) الغلالة شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا (٢) الفيروزج حجر كريم

وكأن النّدَى عَلَيْها دُمُوعٌ فِي جفُونٍ مَفْجُوعَةٍ بفقيدِ

(وكتب محمد بن عبد الله السلامى الى صديق له يصف النارنج)

أتَنْشطُ لِلصَّبُوحِ أبَا عَلِيّ عَلَى حُكْمِ الْمُنَى وَرِضَى الصديقِ
بِنَهْرٍ لِلرِّيَاحِ عَلَيْهِ دِرْعٌ تذَهّبَ بِالغُرُوبِ وَبالشّرُوقِ
إذَا اصْفَرَّتْ عليْهِ الشَّمْسُ صَبَّتْ عَلى أمْوَاجِهِ مَاءَ الْخلُوقِ (١)
وَجمْرٌ شَبَّ فِي الأغْصَانِ حَتّى أضَاعَ الْمَاءَ فى وَهَجِ الحَرِيقِ
فَدُهْمُ الخيْلِ فِي مَيدَانِ تِبْرٍ يُصاغ لهَا كُرَاتٌ منْ عَقِيقِ

(وكتب اليه فى وصف نهر حوله أشجار الجلّنار (٢))

وَنَهْرٍ تَمْرَحُ الأمْوَاجُ فِيهِ مَرَاحَ الخَيْلِ فى رَهَجِ (٣) الْغُبَارِ
إذَا اصْفَرّتْ عَلَيْهِ الشّمْسُ خِلنَا نَمِيرَ الْمَاءِ يُمْزَجُ بِالعُقَارِ (٤)
كأنّ الماءَ أرْضٌ مِنْ لُجَيْنٍ مُغَشّاةٌ صفائحُ مِنْ نُضَارِ
وأشْجار مُحَمّلَةٌ كُؤُوساً تُضاحِكُ فِي احْمِرارٍ واخْضرارِ
إذَا أبْصرْن فِي نَهْرٍ سَمَاءً وهبْنَ لهُ نجُوم الجُلّنارِ

(وله من قصيدة فى وصف الرياض والبرق)

نسَبُ الرّياضِ إلَى الغَمامِ شَرِيفُ وَمحلّها عندَ النّسيمِ لَطِيفُ
فاشْرَبْ وثَقّلْ وزْنَ جامِكَ (٥) إنّهُ يومٌ على قلبِ الزمانِ خَفِيف
أوَمَا تَرَى طُرَرَ (٦) البُرُوقِ توَسّطت أُفُقاً كأنّ المُزْنَ (٧) فيهِ شُفُوفُ (٨)

---

(١) الخلوق ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران (٢) الجلنار زهر الرمان (٣) الرهج ما أثير من الغبار (٤) الخمر (٥) الجام اناء من فضة (٦) الطرر جمع طرة وهى علم الثوب وطرازه (٧) السحاب (٨) جمع شف وهو الثوب الرقيق

واليومُ من خجلِ الشقيقِ مُضَرَّجٌ خجلٌ ومن مرضِ النّسيمِ ضعيفُ
وَالأرْضُ طِرْسٌ وَالرّيَاضُ سُطُورُهُ وَالزَّهْرُ شَكْلٌ بينَها وَحُرُوفُ

(ولأحمد صفيّ الدين بن صالح بن أبي الرجال يصف بها روضة صنعاء)

رَوْضَةٌ قدْ صبَا لَها السّعْدُ شَوْقاً وَصَفا لَيلُها وَطابَ المَقيلُ
جَوُّها سَجْسَجٌ وَفيها نَسِيمٌ كُلُّ غُصنٍ إلى لِقاه يَميلُ
صَحّ سُكانُها جَميعاً من الدّا ءِ وَجِسمُ النسيمِ فِيها عَليلُ
إيهِ : يا ماءَ نَهرِها العذبَ صَلصِلْ حَبّذَا يا زُلالُ مِنكَ الصّليلُ
إيهِ : يا وُرقَها المُرِنّةَ غَنّى فَحياةُ النفوسِ مِنكِ الهَديلُ
رَوضَ صَنعاءَ فُقتِ طَبعاً ووصفاً فَكَثيرُ الثَناءِ فيكَ قليلُ
نَهرٌ دافقٌ وجوٌّ فَتيقٌ زهرٌ فائقٌ وظلٌّ ظليلُ
لستُ أُنسَى انتِعاشَ شُحرٍ ورغُصنٍ طرباً والقضيبُ منهُ يميلُ
وعلى رأسِ دَوحةٍ خاطبُ الوُر قِ ودمعُ الغصونِ طَلاًّ يسيلُ
ولسانُ الرُّعودِ يَهتِفُ بالسُّحـ ـبِ فكانَ الخفيفَ مِنها الثّقيلُ
وفمُ السُّحبِ باسِمٌ عن بُرُوقٍ مُستطيرٌ شُعاعُها مَستطيلُ

(ولابن سُكرة الهاشمي في وصف روضة)

أَمَا تَرَى الرّوضةَ قد نَوّرت وظاهرَ الرّوضةِ قد أعشبا
كأنّما الأرضُ سماءٌ لنا نقطِفُ مِنها كوكباً كوكبا

﴿ومن وصف زهرية لابن الرّاجح الحلّي﴾

نَثرتْ عقُودَ سمائِها الأنداءُ بيدِ النّسيمِ فلِلثّرَى إثراءُ

وبَدت تبَاشِيرُ الرَّبيع كأنّما نَشَرت مَطارف وَشْيِها صَنعاءُ (١)
والأرضُ قد زُهيت بحَلْيِ نباتها والجوُّ حُلّةُ سُحبهِ دَكناءُ (٢)
والرَّوضُ فى نشوات سَكرتهِ وقد طَافت عليه الدِّيمةُ الوطفاءُ
وثَنَى الحَيَا عِطف الغدير فصفّقت أطرافهُ وتغنّتِ الورقَاءُ
فكأنّ أعطاف الغُصونِ منابرٌ والوُرقُ فى أوراقها خُطباءُ

﴿ ومن وصف زهرية لبدر الدين الذهبي ﴾

تَرنَّح عَطفُ البانِ فى الحُلَلِ الخُضْر وغَنّى بألحانٍ على عُودِهِ القُمْرِى (٣)
وراقتْ أزاهيرُ الحَدائق بالضّحى نَواظر أحداقٍ بنوّارها النّضْرِ (٤)
وأشرق خَدُّ الوَردِ يُبدِى نَضارهُ وأشرقَ جِيدُ الغصن فى لؤلؤ القَطْرِ
وباتَ سَقيطُ الطّلّ فى كلِّ رَوضةٍ يُنَبِّهُ فى أرجائها ناعس الزّهرِ
وما ذَهبتْ شمس الأصيل عَشِيّة إلى الغربِ حتى أذهبتْ فِضّة النّهرِ
وغَنّت قَيَانُ الطّيْر فى كلِّ أيكة وقدراقَ كحلُ الطّلِّ فى مُقَل الغُدرِ
أقامت لها دَوح الأراكِ أرائِكا وأرخَتْ لها أوراقَ أستارها الخُضْرِ
وأمسى أصِيلُ اليوم مُلْقَى من الضّنَى على فُرُشِ الأزهار فى آخر العُمرِ
بَكتْه حماماتُ الأراكِ وشقّقت عليه الصَّبا أثواب روْضَاتهَا النُّضْرِ
فكم من نَحِيبٍ للحمائم بالضُّحى عليه وللأنوَاءِ من دمعة تجرِى

﴿ ولعلى بن احمد الجوهرى من قصيدة فى وصف الغيث ﴾

زَرّ الصّبَاحُ علينا شَملةَ السُّحبِ (٥) ومدّت الرِّيح منها واهىَ الطُّنُب

(١) صنعاء قصبة وعاصمة بلاد اليمن (٢) الدكناء الضارب لونها إلى السواد (٣) القمرى ضرب من الحمام (٤) اصله بكسر العين وتسكينها للضرورة (٥) زر بمعنى نفض والشملة كساء يشتمل به • وزر شملة السحب كناية عن سقوط المطر

صكّ النّسيمُ فِراخَ الغيْث فانزعجتْ ... يَنْفُضْنَ أجنحةً من عنبر الزّغَبِ (١)

﴿ ولأبى معمّر بن أبى سعيد الاسماعيلى من قصيدة فى وصف الثلج ﴾

فرحْنا وقد بات السماء مع الثّرى ... وغابَ أديمُ الأرض عنّا فما يُرَى
كأنّ غُيومَ الجوّ صُوّاغُ فِضّة ... تواصوْ بِردِّ الحلْيِ عَمداً إلى الورَى

﴿ ولأبى العلاء السّروى فى وصف روض ﴾

مررنا على الرّوض الذى قد تبسّمتْ ... ذُراه وأوْداجُ السّحائِب تُسفكُ (٢)
فلم نرَ شيئاً كان أحسنَ منظراً ... من الرّوض يجرِى دمْعُهُ وهو يَضحكُ

﴿ وله أيضاً فى وصف روض من قصيدة ﴾

أما ترَى قُضُبَ الأشجار قد لبَستْ ... أنوارَها تتثنّى بين جُلّاسِ
منظومةً كسُموط الدُّرِّ لابسةً ... حُسْناً يُبيح دمَ العنْقُودِ لِلحاسِى (٣)
وغرّدتْ خُطباءُ الطّير ساجعةً ... على منابرَ من وَرْدٍ ومن آسِ

وقال أبو الفتح كُشاجِم يَصفُ مِرآةً أهداها :

أختَ شمس الضُّحاء فى الحُسن والإشـ ... ـراق غيّر الأعشاء للأجفانِ
ذات طوق مُشَرَّفٍ من لُجينٍ ... أُجريَتْ فيه صُفرةُ العِقيان (٤)
فهو كالهالة المُحيطة بالبـ ... ـدر لِستٍّ مضَيْنَ بعدَ ثمانِ
وعلى ظهرها فوارسُ تلهُو ... ببُزاةٍ تَعدُو على غِزْلان
عدلت عكسَها الشُّعاعَ فمبدَا ... هُ اليها ورَجعُهُ سيّانِ
وهى شمسٌ وانّ مِثالك يوماً ... لاحَ فيها فانّها شمسانِ

---

(١) الزغب صغار الشعر والريش (٢) الاوداج جمع ودج وهو عرق فى العنق (٣) من حسان الشراب إذا شرب به شيئا بعد شىء وفى مهلة (٤) شبه : حسنه واظهر بهاءه والموصوف محذوف أى الفرس

أينَما قابلتَ مِثالك من أرْ ضٍ ففيها تقابَل النَّيِّرانِ
فالْقَهَا منك بالذى ما رآه خائفٌ فانْثَنَى بغير أمانَ

﴿ ولأبى قاسم الدِّينَوَرِى فى وصف جَواد ﴾

ومُطَّهَمٍ طَرَف العِنان (١) مُعوَّدٍ خوْض المهالكِ كلَّ يوم براز
وإذا توَغَّلَ فى ذُرَى مُتَمَنِّعٍ صَعبٍ بعيدِ العَهْدِ بالمُجتاز
تركتْ سَنَابكه بصُمِّ صُخورِه أثراً يلوحُ كنقش صدْرِ البَازِى

﴿ وله فى وصف سفرجل وتفاح ورمان ﴾

بَعَثْتُ إليكَ ضُحى المهْرَجَا ن بمعشوقةِ العَرْفِ والمنظرِ
مُعطّرةٍ صانَها فى الحِجا ل مَطارِفُ مِنْ سُندُس أخضرِ
وبيضاءَ رائقةٍ غَضّةٍ مُنَقَّطَةِ الوَجْهِ بالعُصْفُرِ
وحُقٍّ عقيقٍ مَلاهُ الهَجيـــرُ منَ الجوهرِ الرّائقِ الأحمرِ
وأقْداحُ تِبْرٍ حشَتْ قَعرهَا يدُ الشَّمْس بالمسكِ والعَنبرِ
فكنْ ذَا قبُول لها إنّها هداهَا مُقِلٌّ إلى مُكثرِ

﴿ وله فى وصف النّارنج ﴾

أمَا تَرَى شَجرَ النَّارنْجِ طَالعةً نجُومُها فى غُصُونٍ لَدْنةٍ مِيلِ (٢)
كأنّها بين أوْرَاقٍ تَحُفُّ بها زُهرُ المصابيح فى خُضْرِ القناديلِ

﴿ ولأبى الفضل الميكالى فى وصف الشّقائق ﴾

تَصُوغ لنا كفُّ الربيع حدَائقاً كعِقْدِ عَقيقٍ بينَ سِمْطِ لآلِى
وفيهنَّ أنوارُ الشّقائق قد حكتْ خدُودَ عذارَى نُقِّطتْ بغوَالِى

---

(١) طرف العنان بمعنى خفيف والمطهم البارع الجمال والتام من كل شئ (٢) جميع أميل

(وله فى وصف اقتران الزُّهرة والهلال)

أما ترَى الزُّهرةَ قد لاحتْ لنا ... تحتَ هِلَال لونهُ يحكى اللّهبْ
كَكُرَةٍ من فِضَّةٍ مجلُوَّةٍ ... أوْفَى (١) عليها صَوْلجانٌ مِنْ ذهَبْ

(وله فى وصف الفجر)

أهلاً بفجر قد نَضا ثَوْب الدُّجَى ... كالسيْف جُرِّد مِنْ سوَادِ قِرابِ

(وقال فى وصف الثلج الساقط على غصون الشجر)

نثَرَ السَّحابُ على الغُصُون ذُرارةً ... أهدَتْ لها نَوْراً يرُوقُ ونُورَا
شابتْ ذَوائبُها فَعُدنَ كأنّها ... أجْفانُ عينٍ تَحمِلُ الكافورا

(وقال فى وصف الجليد)

رُبَّ جَنِينٍ من جَنْيِ نَمِيرِ ... مُهتَّكُ الأستار والضَّمِيرِ
سلَلْتهُ مِنْ رَحم الغديرِ ... كأنهُ صحائفُ البلُّور
أو أكرٌ تجسَّمت من نور ... أو قِطعٌ من خالص الكافور
لو بقيَتْ سلكاً على الدُّهور ... لعطّلتْ قلائدَ النُّحور
وأخجلتْ جَواهر البحُور ... وسُمِّيتْ ضَرائر (٢) الثُّغورِ
يا حُسنَهُ فى زمن الحدُور ... اذْ فيضه مِثل حَشا المهجُور
يُهْدِى إلى الأكبادِ والصُّدور ... رُوحاً تُحاكِى نَفثةَ المصدُورِ (٣)

(ولأبى طاهر بن الهاشمى فى وصف روضة)

ورَوضةٍ زارهَا النَّدَى فغدَتْ ... لها من الزَّهر أنجُمٌ زُهرُ

---

(١) اشرف (٢) جمع ضرة وهى احدى زوجى الرجل وأراد بضرائر الثغور الاسنان
(٣) النفثة ما ينفثه المصدور من فيه

تَنشُر فيها أيدِى الرّبيع لنا ثَوباً من الوَشى حاكَه القَطْرُ
كأنّما شُقّ من شقائقها على رُباها مَطارفٌ خُضرُ
ثُمَّ تبدَّتْ كأنّها حَدَقٌ أجفانها من دِمائها حُمرُ

﴿ ولأبى نصر سهل بن المرزبان فى وصف البدر ﴾

كم ليلةٍ أحييتُها ومُؤانِسى طُرفُ الحديثِ وطِيبُ حَثِّ الأكؤسِ
شَبَّهتُ بدرَ سمائها لمّا دَنت منه الثُّريا فى قميص سُندسِ
مَلِكاً مَهيباً قاعِداً فى رَوضةٍ حَيّاه بعضُ الزّائرين بنَرجِس

(وللحسن بن احمد اليروجردى فى وصف حوض لبعض الرؤساء)

حَوضٌ يَجودُ بجوهرٍ مُتسلسلٍ سَاد الجواهرَ كلّها بنفاستِهْ
لا زال عَذباً جارياً ببقاءِ من هُو مثله فى طَبعِهِ وسلاستِهْ

(ولابن أنيس فى وصف سيف عمرو بن معدى كرب)

أخضرُ المتنِ بَين حَدَّيهِ نُورٌ مِن فِرندٍ تَحارُ فيه العيونُ
أُوقِدت فيهِ للصّاعِق نارٌ ثمَّ ساطت (١) بهِ الزُّعاف المنونُ
فإذا ما سَلَلْتَهُ بَهَرَ الشّمـ ـسَ ضِياءً فلم تكد تَستبينُ
فكأنّ الفِرِند والرّونقَ الجا رى فى صَفحتيهِ ماءٌ مَعينُ (٢)
وكأنّ المنون نِيطت اليهِ فهو من كل جانبيهِ منُونُ
ما يُبالِي مَن انْتَضاهُ لحربٍ أشَمالٌ سطَتْ به أم يَمينُ

﴿ وقال ابن عبد ربه فى وصف الرُّمح والسَّيف ﴾

بكلِّ رُدَينِيٍّ كأنّ سِنانَهُ شِهابٌ بَدا فى ظُلْمَةِ اللّيل ساطعُ

(١) هطلت (٢) جار

تقاصرتِ الآجالُ فى طُولِ متْنِهِ وعادَت بهِ الآمالُ وهى فجائعُ
وساءت ظُنُون الحرب فى حُسن ظنّه فهُنّ لِحبّات القلوب قَوارعُ
وذى شطَبٍ(١) تقضِى المنَايا لحكمه وليس لمَا تقضِى المنيَّةُ دافعُ

﴿ وقال أيضاً فى وصف الحرب ﴾

ومُعتركٍ تهزُّ بهِ المنَايا ذُكورَا لهند فى أيدِى ذُكُورِ
لوَامعُ يُبصرُ الأعمى سَناها وَيعمَى دونها طَرفُ البصير
يُحَوِّمُ حولها عِقْبانُ موتٍ تَخطّفتِ القلوبَ من الصدُّور

﴿ ومن قوله فى وصف الحرب وأبطالها ﴾

سُيُوفٌ يَقيلُ الموْتُ تحتَ ظُبَاتِهَا لهافى الكُلَى طَعمٌ وبين الكلى شربُ
اذا اصْطَفّتِ الرّاياتُ حُمراً متُونها ذَوائبها تَهفو فيهفو(٢) لها القلبُ
ولم تَنطقِ الأبطالُ إلاّ بفعلها فألسنُها عُجْمٌ وأفعالُها عُرْبُ
إذا ما التقوا فى مَأزق وتَعانقوا فلُقيَاهمُ طَعْنٌ وتَعنيفهمْ ضَربُ

﴿ ولابن قلاقس فى وصف السَّحاب والبرق والغيث ﴾

سَرَى وجَبينُ الجوِّ بالطّلّ يَرشحُ وثوبُ الغَوادِى بالبرُوقِ مُوشّحُ
وفى طَىّ أبراد النَّسيمِ خَميلةٌ(٣) بأعطَافها نَوْرُ المُنَى يتفتّحُ
يُضاحك فى مَثنى المعَاطِف عارضٌ مَدامعهُ فى وجنةِ الرّوْض تُسفَحُ
وتورِى به كفُّ الصّبا زِنْد بارقٍ شِرارتهُ فى فحمَةِ اللّيل تقدَحُ

---

(١) جمع شطب وهى طريقة السيف أى الواحدة من الخطوط التى فى نصله (٢) هفت الراية خفقت وهفا القلب ذهب فى أثر الشئ (٣) الخميلة الشجر الكثير الملتف والموضع الكثير الشجر

(ولأبى القاسم بن بابك فى الصاحب يصف له اضرام النار فى بعض غياض)

وليلةٍ بِتُّ أشكو الهمّ أوّلَها وُعدت آخرَها أستنجدُ الطَّرَبا
فى غَيضة من غِياض الحُزْن دَانيةٌ مَدّ الظّلامُ على أوراقها طُنبا
حتى إذا النّارُ طاشتْ فى ذوائبها عاد الزُّمرُّدُ من عِيدانها ذَهبَا
مَرْقتُ منها وثَغْرُ الصُّبح مُبتسِمٌ إلى أغرّ يَرى المَذْخورَ ما وهبَا
يا أغْزَر النّاسِ أنواءً وَمحتلباً وأشرفَ الناس أعراقاً ومُنتَسبا
أصبحتُ ذا ثِقةٍ بالوَفر منك وانْ قال العَواذلُ ظنٌّ رُبّما كذَبا
فحسنُ ظَنِّى بك استوْفَى مَدى أملِى وحُسن رأيكَ لى لم يُبقِ لى أربَا

(ومن قَصيدة لأبى سعيد الرّستُمى يصف بها داراً بناها الصّاحب بن عباد)

وسَاميةِ الأعلامِ تَلحظُ دونَها سَنَا النّجمِ فى آفاقها مُتضائلا
نَسختَ بها إيوانَ كِسْرَى بن هُرْمُزٍ فأصبحَ فى أرض المدَائن عاطلاَ
تُناطحُ قَرنَ الشمس من شَرفاتِها صُفوف ظباءٍ فَوقهنّ مَوائلاَ
وأغنَى الورَى عن منزلٍ مَنْ بَنت له معاليه فَوْق الشّعرَيَيْن مَنَازِلاَ
ولاغَرْوأن يَستحدِث اللّيثُ بِالثّرَى عَريناً وأنْ يَسْتَطرق الْبحرَ سَاحلا
ولم تَعتمدْ داراً سوَى حَوْمةِ الوغَى وَلاَ خَدَماً إلاَّ القَنَا والْقنابِلاَ
وَوَاللهِ ماأرْضَى لكَ الدَّهرَ خادِماً ولا الْبدرَ مُنتاباً ولاَ البحرَ نائِلاَ
ولاَ الفَلَكُ الدَّوّارَ داراً ولاالوَرى عَبيداً ولا زُهرَ النُّجومِ قَبائلاَ
فإنَّ الذى يَبْنيهِ مِثلُكَ خالدٌ وسائرُ ما يَبنِى الأنامُ إلى بِلَى

(ولشاعر القُطرين خليل مطران بك فى وصف روض)

أيّها الرَّوضُ كُنْ لِقلبِى سَلاماً وملاَذاً من الشّقاءِ المُلاَزِمْ

زَهَرٌ ذَابِلٌ كأنّى أراهُ ثَمِلاً من أنفاسِهِ فِى الْكمائِمْ
وغَدِيرٌ صافٍ أقام سِياجاً حولهُ باسِقٌ من الدَّوْح قائم
تَتَناغَى بِيضٌ من الطّير فيهِ سَابحاتٌ وتحتها النَّجم عائم
كيفما سِرْنَ فالطّريقُ عُقُودٌ نُظِّمتْ من مَحاجر ومباسم
حبّذَا البدرُ مُؤْنِساً يتجلَّى كحَبيبٍ بَعْدَ التّغيُّبِ قَادِمْ
حبذَا رسْمُهُ البرَايَا كأبْهَى مَا ترى العَيْنُ فِى صَحيفَةِ رَاسِم
حبّذَا الْمَاءُ والمَصَابيحُ فِيهِ كَبَنَانٍ يَزِينُهَا بِخَواتِمْ
جنّةٌ بَانت المكارهُ عَنهَا وهى بِكرٌ مِنَ الأذَى وَالمحارِمْ
إنّما أهلُها طيُورٌ حِسانٌ إنْ دعاها الصَّباحُ قامت تُنَادِمْ
وَضِياءٌ يَمُوجُ فِى الماءِ حتى لتَرَاهُ كأنّهُ مُتلاطِمْ
وَمُرُوجٌ مُدَبَّجاتٌ كوَشْيٍ أتقنتْ صُنْعَهُ حسانُ المعَاصِمْ
وَغُصُونٌ تَهزُّها نَسَماتٌ كهُودٍ تَهزُّهُنَّ رَوائِمْ (١)

(وقال البُحترى واصفاً صناعة الكتابة والإنشاء)

تَفَنَّنتَ فى الكتابة حتّى عطَّل الناس فنّ عبد الحميد
فى نِظَامٍ من البلاغة ما شَكْـ ـكَ امرُؤٌ أنّه نِظام فريد
وبَديعٌ كأنّه الزّهر الضّا حك فى رَونَق الرَّبيع الجديد
مُشرقٌ فى جوانب السّمع ما يُخـ ـلقُهُ عودُه على المُستفيد
ما أُعيرَت منه بطون القراطيـ ـس وما حملتْ ظُهور البَريد
حُجَجٌ تخرُس الألدّ بأَلْـ ـفاظٍ فُرادَى كالجوهر المعدود

(١) جمع الرائمة وهى الوالدة العاطفة على ولدها الملازمة له

ومعانٍ لوْ فصّلتها القوافى هجّنتْ شِعرَ جَرْوَلٍ ولَبيد
حُزْنَ مُستعملَ الكلامِ اختياراً وتجنّبنَ ظُلمةَ التّعقيد
وركِبْنَ اللّفظ القريب فأدركْـ ـنَ به غاية المُراد البعيد
كالعذارى غَدَوْنَ فى الحُلل البيـ ـض اذا رُحْنَ فى الخطُوط السُّود

(وَوصف أعرابى تزوّج امرأتين ما وقع له منهما فقال)

تَزوّجتُ اثنتَينِ لفرط جَهلى بما يَشقَى به زوجُ اثنتينِ
فقلت أصيرُ بينهما خروفاً أُنَعَّمُ بين أكرم نَعجتَينِ
فصرت كنعجة تُضحِى وتُمسِى تَداولُ بَين أخبثِ ذِئبتينِ
رِضَا هٰذِى يُهيّج سُخط هذى فَما أعرَى من احدى السُّخْطتينِ
وألقَى فى المعيشة كلَّ ضرٍّ كذاك الضّرّ بين الضَّرتينِ
لهذِى ليلةٌ ولتلك أُخرَى عتابٌ دائمٌ فى اللّيلتينِ
فان أحببتَ أن تبقَى كريماً من الخيرات مَملوءَ اليدينِ
فعِش عَزباً فانْ لم تستطِعه فضَرباً فى عِراض الجَحفلَينِ

(وقال أبو تمّام حبيب بن أوس الطّائى فى وصف الربيع)

ياصاحِبَىَّ تَقَصَّيا نَظريكُما تَريَا وُجُوهَ الأرض كيف تُصَوَّرُ
تريَا نهاراً مُشمِساً قد زانه زَهر الرُّبا فكأنّما هوَ مُقمرُ
دنيا مَعاشٌ للورَى حتى إذا حَلَّ الرَّبيعُ فإنّما هى مَنظرُ
أضحتْ تصوغُ بطونها لظهورِها نَوْراً تَكاد له القلوب تنوَّرُ
من كلِّ زاهرة تَرقرَقُ بالنّدى فكأنّها عينٌ لَدَيكَ تُحذّرُ

(وقال أبو عُبَادة البُحترى يصف قصر المُعتزّ بالله)

لمّا كملْتَ رَويّةً وعزيمةً ... أعملتَ رأيكَ فى ابتناءِ الكاملِ
وغَدَوْتَ من بين الملوك مُوَفقاً ... منهُ لأَيْمن حلّة ومنازلِ
ذُعِرَ الحمامُ وقد ترنّم فوقهُ ... من مَنظرٍ خطر المزلّةِ هائلِ
رُفعتْ لمُخترقِ الرّياحِ سُموكهُ ... وزَهت عجائبُ حُسنِهِ المُتحايلِ
وكأنّ حيطانَ الزُّجاج بجوّه ... لُججٌ يُمجْنَ على جنُوب سواحل
وكأنّ تفويفَ الرُّخامِ اذا التْقَى ... تأليفُه بالمَنْظَرِ المُتقابلِ
حُبكُ الغَمام رُصِفنَ بين مُنمَّرٍ ... ومُسيَّرٍ ومُقارب ومُشاكل
لَبَّستَ من الذّهب الصَّقيل سقُوفهُ ... نوراً يُضىء على الظَّلامِ الحافلِ
فترَى العيون يَجُلْنَ فى ذِى رَوْنقٍ ... مُتلَهّبِ العالى أنيقِ السَّافلِ
وكأنّما نَشرتْ على بُستانهِ ... سِيراءَ وشْى اليُمنة المُتواصلِ
أغْنتْهُ دِجلة إذ تلاحقَ فيضُها ... عن صَوْبِ مُنسحب الرَّبابِ الهاطلِ
وتنفّست فيه الصَّبا فتعطّفتْ ... أشجارهُ من حُوّلٍ وحَوامِلِ

(وقال المُتنبّى فى وصف جَواد)

ويومٍ كلوْنِ المُدْنفينَ كمنتُهُ ... أُراقِبُ فيهِ الشَّمس أيّان تَغرُبُ
وعينى إلى أُذْنى أغرَّ كأنه ... من اللّيل باقٍ بين عينيهِ كوكبُ
له فضْلة من جسمه فى إهَابه ... تجىء على صَدرٍ رَحيبٍ وتَذهبُ
شَقَقتُ به الظّلماء أُدنى عنانهُ ... فيطغَى وأرخيهِ مراراً فيلعبُ
وأصرعُ أىّ وحش قفَّيتهُ بهِ ... وأنزل عنهُ مثلهُ حين أركبُ
وما الخيل إلاّ كالصّديق قليلةٌ ... وان كثُرتْ فى عين مَن لا يُجرّب

إذا لم تُشاهد غير حسن شيانها وأعضائها فالحسنُ عنك مُغيَّبُ

(وقال صفيّ الدِّين الحِلّى المتوفى سنة ٧٥٠ هـ فى وصف الربيع)

وَرَد الرَّبيعُ فمرْحباً بوُرُودِه وَبنُور بهجَتِهِ ونَوْر ورُودِهِ
وبحُسْن منظَرِهِ وطِيبِ نَسيمِهِ وَأَنِيق مَبسَمِهِ وَوَشْى بُرودِه
فصْلٌ إذا افتَخَرَ الزّمانُ فانّهُ إنسانُ مُقلتِه وَبَيْتُ قصيدِه
يُغْنِي المزَاج عن العِلاَج نَسيمُهُ باللُّطفِ عِندَ هُبُوبِهِ وَرُكودِه
يا حبّذَا أزهارُه وثمارُهُ ونباتُ ناجمِهِ وحَبُّ حَصيده
وَالغُصْنُ قدْ كُسِىَ الغلائل بعْدما أخذَتْ يدَا « كانُونَ » فى تجريده
نَال الصبَّا بعد المشيب وقد جرَى ماء الشّبيبَةِ فِى مَنابت عُودِه
والوردُ فى أعلَى الغُصون كأنّهُ ملِكٌ تَحِفُّ بهِ سَرَاةُ جُنوده
وانظُر لِنرجسِه الجَنِيِّ كأنّهُ طَرفٌ تَنبَّه بعد طول هجُوده
وانظُر إلى المنثُور فى مَنظُومه مُتنوِّعاً بفُصوله وعُقوده

(وقال أيضاً فى وصف حديقة)

وأطلَقَ الطَّيرُ فيها سَجَع مَنطِقِهِ ما بين مُختلِفٍ منه ومُتَّفِقِ
والظّلُّ يسرقُ بين الدَّوح خطوتهُ وللمياهِ دَبيبٌ غيرُ مُسترقِ
وقد بدَا الوردُ مُفْترًّا مبَاسِمُهُ والنّرجس الغَضّ فيها شاخص الحدق
والسُّحب تبكِى وثَغرُ البرق مُبتسمٌ والطّيرُ تَسجع من تِيهٍ ومن أَنَقِ
فالطّير فى طَرَبٍ والسُّحب فى حَرَب والماء فى هَرَب والغُصنُ فى قَلَقِ

(وقال شاعر النيل المرحوم احمد شوقى بك فى وصف الطبيعة)

تِلك الطّبيعة قِفْ بنا يا سارِى حتى أُرِيكَ بَديعَ صُنع البارى

فالأرضُ حولكَ والسّماء اهتزّتا لِروائع الآيات والآثارِ
ولقد تَمرُّ على الغدير تَخالهُ والنَّبت مرآةٌ زَهتْ بأطَار
حُلو التَّسلسلُ مَوْجُه وخَريرُه كأنامل مَرّت على أوتار
يَنسَاب فى مُخضلّة مُبتلّة مَنسوجةٍ من سُندسٍ ونضَار
وترى السّماءَ ضُحًى وفى جُنح الدُّجَى مُنشقّة عن أنهرٍ وبحَار
فى كل ناحية سلكتَ ومذهبٍ جبلان من صَخر وماءٍ جارِى

(وقال المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم يصف النيل)

نَظرتُ للنِّيل فاهتزّت جوانبُه وفَاضَ بالخير فى سَهلٍ ووِدْيانِ
يَجرِى على قَدَرٍ فى كلّ منحدرٍ لم يَجفُ أرضاً ولم يَعمَدْ لطغيانِ
كأنّه ورجالَ الرّىّ تَحرسُه مُملكٌ سار فى جُندٍ وأعوانِ
قدكان يشكو ضَياعاً مذ جرى طَلقاً حتى أقمتَ له خزّان أسوانِ

(وقال أيضاً عن لسان حال اللغة العربية واصفاً لها)

رَجعتُ لنفسِى فاتّهمتُ حصَاتِى ونَاديتُ قومى فاحتَسبتُ حيَاتِى
رَمونى بِعُقْمٍ فى الشّباب ولَيتنِى عَقِمتُ فلم أجزعْ لِقول عُداتى
وَلدْتُ، ولما لم أجِد لعرائسى رجالاً وأكفاءً وأدْتُ بنَاتى
وسِعتُ كتاب الله لفظاً وغايةً وما ضِقتُ عن آىٍ به وعِظاتِ
فكيف أضيقُ اليوم عن وصف آلة وتَنسيقِ أسماءٍ لمُخترَعات
أنا البحر فى أحشَائه الدُّرُّ كامنٌ فهل سألوا الغوّاص عن صدَفاتى
فيَا وَيحكم أبلَى وتَبلَى محاسِنى ومنكم وإنْ عَزّ الدّواء أُساتِى
فلا تَكِلُونى للزّمانِ فانّنى أخافُ عليكم أن تَحِينَ وفاتى

أرى لرجال الغرب عزًّا ومنعةً ... وكم عزَّ أقوامٌ بعزّ لُغاتِ
أتوْا أهلهم بالمُعْجزات تفنُّناً ... فيا ليتكم تأتونَ بالكلِمات
أيُطْرِبكم من جانبِ الغرب ناعبٌ ... يُنادِى بوادِى فى ربيعِ حياتى
ولو تزجرون الطّير يوماً علمتمُ ... بما تحته من عثرةٍ وشتات
سَقى الله فى بطن الجزيرةِ أعظماً ... يعزُّ عليها أنْ تلينَ قناتى
حفِظن ودادِى فى البلى وحفِظتهُ ... لهنّ بقلبٍ دائم الحسَرات
وفاخرتُ أهلَ الغرب والشّرق مُطرقٌ ... حَياءً بتلك الأعظُم النَّخِرات

أرَى كلّ يوم بالجرائد مَزلقاً ... من القبر يُدنينى بغير أناة
وأسمعُ للكُتّاب فى مصر ضَجّةً ... فأعلمُ أنّ الصّائحين نُعاتى
أيهجرُنى قومى عفا الله عنهمُ ... الى لُغةٍ لم تتّصل برُواتِى
سَرتْ لوثةُ الأعجام فيها كما سرَى ... لُعاب الأفاعى فى مَسيل فراتِ
فجاءت كثوب ضمّ سبعين رُقعةً ... مُشكّلةَ الألوانِ مُختلفات
إلى مَعشر الكتّاب والجمع حافلٌ ... بَسطتُ رجائى بعد بَسط شكاتِى
فإمّا حياةٌ تبعث الميْت فى البلى ... وتُنبِتُ فى تلك الرُّءوس رُفاتى
وإمّا مَماتٌ لا قيامةَ بعده ... مَماتٌ لَعمرِى لم يُقَسْ بمماتِ

(وقال شاعر العراق الكبير معروف الرصافى واصفاً قطار البخار)

وقاطرة ترمى الفضا بدُخانها ... وتملأُ صَدْرَ الأرض فى سَيرها رُعبا
تمشّت بنا ليلاً تجرُّ وراءها ... قِطاراً كصَفّ الدّوح تَسحبُه سَحبا
فطَوراً كعصف الرِّيح تجرى شديدة ... وطَوراً رُخاءً كالنّسيم إذا هبّا
تساوَى لديها السّهل والصّعب فى السُّرى ... فما استَسهلت سهلاً ولا استصعبت صَعبا

تَدُكُّ مُتون الحزن دكًّا وإنّها لَتنهبُ سهل الأرض فى سيرها نهبا
يَمرُّ بها العالى فتعلو تسلّقاً ويعترض الوادى فتجتازه وثبا
طَوت بالمسير الأرضَ حتى كأنّها تُسابق قُرص الشّمس أنْ تدرك الغربا
هو العلمُ يعلُو بالحياة سعادةً ويجعلُها كالعلم محمودةَ العُقبى

﴿ وقال المرحوم محمود باشا سامى البارودى يصف حرب سُكان جزيرة كريد ﴾

أخذَ الكرَى بمعاقد الأجفانِ وهفَا السُّرى بأعنّة الفرسانِ
والليلُ مَنشُور الذّوائبِ ضاربٌ فوْق المتالع والرُّبى بجِرانِ
لا تستبينُ العينُ فى ظلمائه إلا اشتغالَ أسنّة المرّانِ
تَسرى به مابين لُجّة فِتْنةٍ تَسْمو غوارِبُها على الطوفان
فى كلّ مَرْبأةٍ وكل ثَنيّةٍ تهدارُ سامِرَةٍ وعزْف قِيانِ
تَستنُّ عادِيَةٌ ويَصْهَل أجْردٌ وتَصيح أجْراسٌ ويهتِفُ عانِ
قومٌ أبَى الشّيطانُ إلا خُسْرهم فتسلّلُوا من طاعة السُّلطانِ
ملئُوا الفضاء فما يَبينُ لناظر غيرُ التِماع البيض والخرْصان
فالبدر أكدرُ والسّماء مَريضة والبحرُ أشكلُ والرّماحُ دَوَانِ
والخيلُ واقفةٌ على أرْسانها لطِرَاد يوْم كريهةٍ ورِهَانِ
وضعوا السِّلاحَ إلى الصّباح وأقبلوا يتكلّمونَ بألسُن النيّرانِ
حتى إذا ما الصُّبْحُ أسفرَ وارتمتْ عيناىَ بين رُبَى وبين مَجَانِ
فاذا الجبال أسنّة واذا الوِها دُ أعِنّةٌ والماء أحمرُ قانِ
فتوجّست فَرَطُ الرّكاب ولم تكن لِتهابَ فامتنعت على الأرْسانِ
فَزعتْ فرَجّعَتِ الحنينَ وإنّما تَحْنانُها شَجَنٌ من الأشجانِ

ذكرَت مواردها بمصر وأين مِنْ ماءٍ بمصرَ مَنازلُ الرُّومان

﴿ وقال السيد عبد الله النّديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ يصف قطاراً بخارياً ﴾

نَظرَ الحكيمُ صفاتِه فتحيّرا شكلا كطود بالبُخار مُسيَّرَا
دَوْماً يَحِنُّ الى ديار أُصوله بحديدِ قلبٍ باللّهيب تَسعّراً
وَيظلُّ يبكى والدُّموع تزيده وَجداً فيجرى فى الفضاء تَستُّرَا
تلقاه حالَ السَّير أفْعَى تلتوِى أو فارسَ الهيجا أثارَ العَثْيرَا
أو أُكرةً أرسلتها ترمى بها غَرَضاً فجلّت أن تُرَى حال السّرَى
أو سبعَ غابٍ قد أحسّ بصائدٍ فى غابه فعدَا عليه وزَمْجرَا
فكأنّه المديونُ جاء غريمُه فانسلّ منه وغابَ عن تلك القُرَى
أو أنه شهبٌ هَوتْ من أُفقها أو قُبَّة المِنطاد تُنبذُ بالعرَا
لا عجبَ للنّيرَان إذْ يَمشِى بها فمن اللّظَى تجرى الورَى كى تُحشرَا

﴿ وقال احمد بك شوقى يصف الجسر الواصل بين ضفتى البسفور فى الإستانة ﴾

أميرَ المؤمنين رأيتُ جِسراً أَمُرُّ على الصّراط ولا عليهِ
له خَشبٌ يَجوعُ السّوس فيه وتَمضِى الفأرُ لا تأوَى اليهِ
ولا يَتكلّفُ المِنشار فيه سوِى مرّ الفطيم بساعِديهِ
ويُبلِى نَعلَ مَنْ يمشِى عليه وقبلَ النّعل يدمى أخمصَيْهِ
وكم قد جاهد الحيوانُ فيه وخلّف فى الهزيمة حافريْهِ
وأسمجُ منه فى عينى جُبَاةٌ تراهم وَسطهُ وبجانبيه
إذا لاقيتَ واحدهُم تَصدّى كعفريت يُشير براحتَيْهِ
ويَمشى (الصّدر) فيه كلّ يوم بموكبه السَّنىّ وحارسَيْهِ

ولكنْ لا يَمرّ عليه إلاّ كما مرّت يَداهُ بعارِضَيْهِ
ومن عجبٍ هو الجسر المُعلّى على (البُسفور) يَجمعُ شَاطَئيْهِ
يُفيد حكومة السّلطان مالاً ويُعطيها الغنِي من مَعدنَيه
يَجود العالَمون عليه : هذا بِعشرته : وذاك بعشرتَيهِ
وغاية أمره أنّا سمعنا لسانَ الحال يَنشدنا لدَيه
(أليس من العجائب أنّ مثلي يرى ما قلّ مُمتنعاً عليه)
(وتُؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيءٌ فى يدَيه)

﴿ وقال المَأمونى المتوفىّ سنة ٣٨٣ هـ يصِف المِقراض ﴾

وصاحِبينِ اتّفقَا على الهوَى واعتنَقَا
وأقْسما بالودِّ والإِ خلاص أنْ لا افترقَا
ضمّهما أزهَرُ كالنّ جم به قد وثِقا
لم يَشْكُ فى خَصْرَيْهما مُذْ ضَمنَاهُ قلَقَا
من تحته عَينانِ مُذْ نذ انفتَحاما انْطبقَا
وفَوْقهُ نابانِ مَا حلاَّ فَماً مُذْ خُلِقَا
يُفرِّقان بين كُ لِّ مَا عَليه اتّفقَا
فأىُّ شَىءٍ لاَقيَا هُ أَلقيَاهُ فِرَقَا

وقال أبو بكر الأرَّجَانى المتوفى سنة ٥٢٤ هـ يصف الشَّمعَة :

نَمَّت بأسرَار ليلٍ كان يُخْفيها وأَطلَعتْ قَلْبها للنّاس مِن فِيها
غريقَةٌ فى دمُوع وهى تُحْرِقها أَنفاسُها بدوامٍ مِن تَلَظِّيها
تَنفّست نفس المهجور إذْ ذكرت عهد الخليط فبات الوَجدُ يُذْكيها

يُخشَى عليها الرَّدَى مهما أَلمَّ بها نسيمُ ريحٍ إذا وَافى يُحييِّها
قد أثمرتْ وَردةً حمراء طالعة تَجْنِي على الكفّ إنْ أهويتَ تَجْنيها (١)
وَردٌ تُشاكِه الأيدى إذا قُطِفت وما على غُصنها شوكٌ يُوَقِّيها
صُفرٌ غلائلها ، حُمرٌ عمائمها سُودٌ ذوائبها ، بِيضٌ لياليها

﴿ وصف قصر ﴾

قال ابن حَمْديس (٢) الصِّقلى يصف قصراً شيَّده المنصور بن أعلى الناس ببجاية (٣) وجعل فيه بركة عليها أشجار من ذهب وفضة وعلى حافَاتها أُسود تَقْذِف بالماء :

أعْمِر بقَصر المُلك نادِيك الّذِى أَضْحَى بمجدِك بيتهُ مَعمُورَا
قَصرٌ لَو انّك قد كَحَلْت بنوره أعمى لعَاد مِن الضّياء بَصيرا
واشْتَقّ من مَعْنَى الجِنَانِ نَسيمهُ فَيكادُ يُحدِث بالعِظام نُشُورَا
أذْكرتنَا الفِرْدوس حين أريتنا غُرَفا رَفَعتَ بناءهَا وقُصورَا
فَلَكٌ مِن الأفلاكِ إلاّ أنّه حقَر البدور فأطلعَ «المنصورا»
وإذَا الوَلائِد فتّحت أبوابه جعلت تُرحِّب بالعُفَاة صَرِيرا (٤)
عَضّت على حلَقاتهن ضَرَاغِمٌ فغَرت بها أفواهها تكبيرا (٥)
فكأنّها لَبَدت لِتَهْصِر عندها مَن لم يكن بدخولها مأمورا (٦)
وَمُصفَّحِ الأبواب تِبراً نَظَّروا بالنّقش فوق شكوله تنظيرا (٧)

(١) تجنى الأولى بمعنى تعتدى والثانية بمعنى تقطف . (٢) هو عبد الجبار بن أبى بكر توفى سنة ٥٢٧ هـ وهو من أبرع الشعراء ان لم يكن أبرعهم فى وصف البرك والأنهار والقصور والتماثيل فلقد كان إذا وصف شيئا من ذلك مثله كالحسناء وخيالها فى المرآة . (٣) بجاية كحكاية : بلد بالمغرب . (٤) العفاة : جمع عاف وهو طالب الحاجة . والصرير : صوت الباب (٥) فغرفاه : فتحه . (٦) لبد كنصر : أقام والهصر : الدفع . (٧) نظر : مثل . والشكول : جمع شكل

خلعت عليه غلائلا موشيّة ... شمس ترد الطرف عنه حسيرا (١)
واذا نظرت الى غرائب سقفه ... أبصرت روضا فى السماء نضيرا
وعجبت من أطيار عسجده التى ... حامت لتبنى فى ذراه وكورا
وضعت به صناعها أقلامها ... فأرتك كل طريدة تصويرا (٢)
وكأنما للشمس فيه لبقة ... مشقوا بها التزويق والتشجيرا (٣)

وضراغم سكنت عرين رياسة ... تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها ... وأذاب فى أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها متحرك ... فى النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما ... أقعت على أدبارها لتثورا (٤)
وتخالها والشمس تجلو لونها ... نارا وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول ... ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه ... درعا فقدر سردها تقديرا (٥)
وبديعة الثمرات تعبر نحوها ... عينا بحر عجائب مسجورا (٦)
شجرية ذهبية نزعت الى ... سحر يؤثر فى النهى تأثيرا (٧)
قد سرجت أغصانها فكأنما ... قبضت بهن من الفضاء طيورا (٨)

---

(١) الغلائل : جمع غلالة وهى شبه القميص يلبس على الجسد والمراد هنا الطلاء . والموشية : المنقوشة . (٢) الطريدة : ما يطارده الصياد ويتبعه . (٣) اللبقة ما يكون فى الدواة من مداد لاصقا بصوفة أو نحوها ، والفعل منها كباع . ومشق الكتابة مد حروفها . والتشجير : أن تشكل على هيئة الشجر . (٤) أقعى الكلب والسبع : جلس على مؤخره ناصبا يديه .
(٥) السرد : نسج الدرع ، وتقديره : أن تكون ثقوب الدرع على قدر مساميرها .
(٦) المسجور : المملوء . (٧) نزع اليه : أشبهه . يقال : فلان ينزع إلى أبيه أو ينزع اباه أى يشبهه . (٨) سرجه : حسنه وزينه

وكأنما تأبى لوقع طيرها أن تستقل بنهضها وتطيرا (١)
من كل واقعة ترى منقارها ماء كسلسال اللجين نميرا (٢)
خرس تعد من الفصاح فإن شدت جعلت تغرد بالمياه صفيرا (٣)
وكأنما فى كل غصن فضة لانت فأرسل خيطها مجرورا
وتريك فى الصهريج موقع قطرها فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ضحكت محاسنه اليك كأنما جعلت لها زهر النجوم ثغورا

﴿ وصف زلزال صقلية ﴾

قال المرحوم حافظ بك ابراهيم يصف زلزال صقلية فى سنة ١٩٠٩ م

نبئانى إن كنتما تعلمان ماذا هى الكون أيها الفرقدان (٤)
غضب الله أم تمردت الأر ض فأنحت على بنى الانسان (٥)
ليس هذا «سبحان ربى» ولا ذا ك ولكن طبيعة الأكوان
غليان فى الأرض نفس عنه ثوران فى البحر والبركان (٦)
رب : أين المفر والبحر والبر على الكيد للورى عاملان ؟
كنت أخشى البحار والموت فيها راصد غفلة من الربان (٧)
سابح تحتنا مطل علينا حائم حولنا مناء مدانى (٨)

---

(١) الوقع كركع : جمع واقع . (٢) السلسلة : اتصال الشىء بالشىء ، ومن ذلك الماء السلسال أى السهل الجريان فى الحلق ، واللجين : الفضة والنمير : الناجم من الماء . (٣) شدا : ترنم . (٤) الفرقدان : نجمان فى السماء لايغربان وهذا هو المراد فى قول المعرى :

فاسأل الفرقدين عمن أحسا من قبيل وآنسا من بلاد

وفى أثره جرى شاعرنا . (٥) أنحى عليه ضربا : أقبل . (٦) نفس عنه : فرج .
(٧) الربان كرمان رئيس الملاحين . (٨) مناء مدان : مباعد مقارب

فاذا الأرض والبحار سَوَاءٌ ... فى خَلَاق ، كِلاهما غادران (١)
ما (لِمَسِّينَ) عوجلت فى صبَاها ... ودعاها من الرَّدَى داعيان (٢)
ومَحَت تِلكم المحاسن منها ... حين تَمَّت آياتُها آيتانِ
خسفَتْ ثم أُغْرقتْ ثم بادت ... قُضِىَ الأمر كلّه فى ثَوانى
وأتَى أمرُها فأضحت كأنْ لم ... تَكُ بالأمس زِينةَ البُلْدان
ليتَها أُمْهلت فتَقضِى حقوقا ... من وِداع اللِّدَاتِ والجيران (٣)
لمحةٌ يسعَد الصّديقان فيها ... باجتماع ويلتقى العاشقان
بَغَت الأرض والجبال عليها ... وطَغَى البحر أيَّمَا طُغيان
تلك تغلى حقداً عليها فتنشقّ ... انشقاقا من كثرة الغَلَيان
فتجيب الجبال رَجماً وقَذفا ... بِشُواظٍ من مَارِجٍ ودخان (٤)
وتَسوق البحار رَدًّا عليها ... جيش موج نائى الجناحين دانى
فهنا الموت أسود اللّون جَوْن ... وهنا الموت أحمر اللّون قانى (٥)
جَنَّد الماء والثَّرى لهلاك الـ ... ـخلق ثُمّ استعان بالنَّيِّرانِ
ودعا السُّحب عَاتِياً فأمَدَّتْـ ... ـه بجيش من الصّواعق ثانى (٦)
فاستحال النَّجَاء واستحكم اليأ ... س وخارت عزائم الشُّجْعَان
وشَفَى الموتُ غُلَّه من نفوس ... لا تباليه فى مَجَال الطِّعان

---

(١) الخلاق : الحظ او الدين وانما يكون ذلك فى الخير ولكن الشاعر توسع فى استعمال الكلمة.
(٢) مسين : مدينة من مدن صقلية خربها هذا الزلزال وتعرف عند العرب بمسينى ومن شعر ابن قلاقس (يامن يمسينى على مسينى) وداعيا الردى : الاغراق والاحراق . (٣) اللدات : جمع لدة وهو الترب أى النظير فى السن . (٤) الشواظ : لهب لا دخان فيه ، والمارج : النار بلا دخان . (٥) الجون الأسود : فهو تاكيد والقانئ (بالهمز) : الشديد الحمرة وقد يسهل .
(٦) العاتى المجاوز للحد .

أين (رِجْيُو) وأين ما كان فيها من مَغَانٍ مأهولة وغوانى ؟ (١)
عوجلتْ مثل أختها ودَهاها مادَهاها من ذلك الثَّوَرَانِ
رُبَّ طفلٍ قدساخ فى باطن الأر ض يُنادى أُمى! أبى؟ أدركانى؟ (٢)
وفَتاةٍ هَيفَاء تُشْوَى على الجَم ر تُعانى من حَرِّه ما تُعانى
وأَبٌ ذاهلٌ الى النار يمشى مُسْتَمِيتاً تمتدّ منه اليدان
باحثا عن بناته وبنيه مُسْرِع الخطو مُسْتطير الجَنَان (٣)
تأكل النار منه لاهو ناجٍ من لظاها ولا اللَّظَى عنه وَانِى (٤)
غَصَّت الأرض، أُتْخِم البحر مما طوياه من هذه الأبدان (٥)
وشكا الحوت للنّسور شَكاة ردَّدتها النّسور للحيتان
أسرفا فى الجسوم نَقْراً ونَهْشا ثم باتا من كِظَّة يشكوان (٦)
لارعَى الله ساكن القِمَم الشُّمِّ ولا حاط ساكن القِيعان (٧)
قد أغارا على أكفّ بَرَاهَا بارئ الكائنات للإتقان
كيف لم يَرْحَمَا أَنَاملها الغُرّ ولم يَرْفُقا بتلك البَنَان
لَهْفَ نفسى وألف لهفٍ عليها من أكُفّ كانت صَنَاع الزّمان (٨)
مُولَعاتٍ بصيد كل جميل ناصباتٍ حبائل الألوان

---

(١) رجيو : مدينة بايطاليا أمام مسينى وتعرف عندالعرب بريو ، المغانى : جمع مغنى وهو المقام . (٢) ساخ فى الأرض : دخل فيها وغاب . (٣) المستطير : المتفرق المشتت . (٤) اللظى اللهب . ونى : تراخى . (٥) غص كفرح اعترض فى حلقه شئ . والمراد هنا امتلأت وأتخمه الطعام : أحدث له تخمة وأصل تائه واو فهو من الوخامة . (٦) الكظة : مايعترى من امتلاء الطعام . (٧) القيعان : جمع قاع وهو الأرض السهلة المطمئنة انفرجت عنها الجبال ومراد الشاعر بها البحر أو قراره . (٨) يالهفى على كذا : عبارة يتحسر بها على فائت وضمير عليها للاكف ومن أكف بيان للضمير ، وصناع : حاذقة ماهرة فى العمل اليدوى .

حافرات فى الصّخر أو ناقشات شَائِدات روائع البُنيان
مُنْطِقات لسان كل جماد مُفْحِمَاتٍ سواجع الأفنان (١)
مُلْهِمات من دِقّة الصنّع مالا يلْهَم الشعر من دقيق المعانى
من تماثيلَ كالنجوم الدّرارى يُهْدَم الدهر وهى فى عُنْفُوان
عَجَبٌ صُنْعُهَا وأعجب منه صَمْتُهَا ، تلك قدرة الرحمن
إيه (مَسينُ) آنِسِى اليوم بُمْبا ىَ فقد أوْحَشَتْ بذاك المكان
آنِسِى الدُّرة التى كانت الحِلْ يةُ فى تاجِ دولة الرُّومان
غَالَها قبلك الزّمان اغتيالا وهى تلهو فى غِبْطة وأمان
جاءها الأمر والسَّرَاة عُكُوف فى المَلاهى على غِناء القِيَان (٢)
بين صَبّ مُدَلَّه وَطَرُوب وخَلِيع فى اللّهو مُرْخَى العنان (٣)
فانْطَوَوْا كانطِواء أهلك بالأمـ ـس وزالت بشاشة العُمْران
أنتِ (مَسينُ) لم تزولى كما زَا لت ولكنْ أمسيت رَهْنَ الأوان
انّ ايطاليَا بنوها بُنَاة فاطمئنِّى مادام فى الحىّ بانى
فسلامٌ عليكِ يوم تولَّيـ ـت بما فيك من مَغَانٍ حسان
وسلام عليك يوم تَعُودِيـ ـن كما كُنتِ جَنّة الطّليان

وقال أبو الطيّب المُتنبّى يصِف الأسد :

وَرْدٌ اذا وَرِدَ البُحيرة شاربًا وَرَد الفرات زئيره والنيّلا (٤)

---

(١) سواجع الأفنان : الحمام يسجع على الغصون . (٢) السراة : الأشراف . والقيان جمع قينة ، وهى الجارية المغنية . (٣) الخليع : المستهتر بالشراب واللهو . (٤) الورد : الجرىء والبحيرة : يريد بها بحيرة طبرية

مُتخضّبٌ بدم الفوارس لابسٌ ... فِى غِيله من لِبدتَيه مَغيلا (١)
ماقوبلت عيناه إلا ظُنّتا ... تحت الدّجى نار الفريق حلُولا (٢)
فى وحدة الرّهبان إلا أنّه ... لايعرف التّحريم والتّحليلا
يطأ الثّرى مترفّقا من تيهه ... فكأنّه آس يجُسّ عليلا (٣)
ويردّ عفْرته الى يافوخه ... حتى تصير لرأسه إكليلا (٤)
وتظنّه مما يزمجر نفسُه ... عنها بشدّة غيظه مشغولا
قصَرت مَخافته الخُطى فكانّما ... ركب الكمِيّ جَواده مشكولا (٥)

﴿ وصف شِعب (٦) بَوّان ﴾

قال أبو العباس المُبَرّدُ : كنت مع الحسن بن رجاء بفارس ، فخرجت الى شِعْبِ بَوّان ، فنظرت الى تُرْبة كأنها الكافور ، ورياض كأنها الثوب المُوَشّى ، وماء يَتحدّر كأنّه سلاسل الفضة على حصباء كأنها حصى الدُّر ، فجعلت أطوف فى جَنَباتها ، فاذا فى بعض جُدْرانها مكتوب :

إذا أشرف المكروب من رأس تلْعةٍ (٧) ... على شِعب بَوّان أفاق من الكرب
وألهاه مرجٌ كالحرير لطافة ... ومطّرد يَجْرِى من البارد العذب
وطِيب رياضٍ فى بلاد مَريعة (٨) ... وأغصان أشجار جنَاها على قُرب

---

(١) الغيل : الاجمة والشجر الكثير الملتف . ولبدتا الأسد : ما على كتفيه من الشعر .
(٢) الفريق : الجماعة . وحلولا حال من الفريق (٣) الآسى : الطبيب (٤) عفرة الأسد : الشعر المجتمع على قفاه (٥) الكمى : الشجاع المستتر فى سلاحه . والمشكول : المقيد (٦) هو أحد جنان الدنيا الأربع عند أدباء العرب (٧) التلعة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها والمراد الأول (٨) المريعة . الخصيبة . والميم أصلية يقال : مرعت الأرض وأمرعت .

وفى شِعْب بَوَّان يقول المتنبي :

مَغَانِي الشِّعب طِيباً فى المغانِي (١) بمنزلة الرَّبيع من الزّمانِ
طَبَتْ فُرْسَانَنا والخيلَ حتى خَشِيتُ وإن كَرُمْنَ من الحِرانِ (٢)
غَدَوْنَا تَنفُضُ الأغصانُ فيها على أعْرافها مثل الجُمَانِ
فَسِرْتُ وقد حَجَبْنَ الشمس عنّى وجئن من الضِّياءِ بما كفانى
وألقَى الشّرقُ منها فى ثِيابى دَنانيراً تَفِرُّ من البَنَانِ (٣)
وأمواهٌ تَصِلُّ بها حَصَاها صَلِيلَ الحَلْيِ فى أيدى الغَوانى
إذا غَنّى الحمامُ الوُرْقُ فيها أجَابتْهُ أغَانىُّ القِيَانِ
يقول بِشِعْب بَوَّانٍ حِصَانِي : أعَنْ هذا يُسَارُ الى الطِّعانِ ؟
أبوكمْ آدمٌ سَنَّ المعَاصِى وعلّمكم مُفَارقةَ الجِنَانِ

وقال حافظ بك إبراهيم يصف طيارة :

يَجرِى بسابِحةٍ تَشُ قُّ سبيلها شَقَّ الإزارْ
وتكاد تَقدح فى الأثيـ ـر فيستحيل الى شِرَارْ (٤)
مثل الشِّهاب انقضّ فى أثَار عِفْريت وطار
فاذا علَت فكَدَعْوة الْـ مُضْطَرّ تخترق الستّار
و إذا هَوَتْ فكما هَوَت أُنثى العُقَابِ على الهزَارْ (٥)

---

(١) المغانى : جمع مغنى وهو اسم مكان من غنى أى أقام . (٢) طباه وأطباه : استهواه واستمالة (٣) يقول : ان اشتباك الأغصان يجعل ما يسقط من ضوء الشمس دوائر صغيرة كالدنانير إلا أنها لايمكن تناولها . (٤) الشرار والشرر : ما يتطاير من النار واحدتهما شرارة وشررة . (٥) العقاب : طائر جارح . وجمعه عقبان . ولفظه مؤنث ، والأنثى منه تسمى اللقوة ، والذكر يسمى الغرن وهو ضعيف وانما القوة للأنثى ، ومن هذا يتبين السر فى قول شاعرنا : أنثى العقاب .

﴿ وصف السيف للمرحوم البارودى ﴾

أمضى به الهول مِقْداما ويصحبنى ... ماضى الغرار اذا ما استفحل الوَهَلُ (١)
يمرُّ بالهامِ مَرّ البرق فى عَجَل ... وقتَ الضَّراب ولم يَعْلَق به بلَل
ترى الرجال وُقوفا بعد فتكته ... بهم ، يُظَنُّون أحياءً وقد قُتِلوا
كأنّه شُعْلَةٌ فى الكفّ قائمةٌ ... تَهفُو بها الريحُ أحيانا وتعتدل
لولا الدِّماء التى يُسقَى بها نَهَلاً ... لكاد من شدّة اللّألاء يشتعل
يَفُلّ ما بقيت فى الكفّ قبضته ... كلّ الحديدِ ولم يثأر به فَلَل

﴿ وصف الاسطول للأيادى ﴾

وقال على بن محمد الأيادى يصِف أسطول القائم الفاطمى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ

أعْجِبْ بأسطُول الامامِ مُحَمد ... وبحسنه وزمانه المُستغرَبِ
لَبِسَت به الأمواج أحسن منظر ... يبدو لعين الناظر المُستعجبِ
من كل مُشْرِفة على ما قابلت ... إشراف صدر الأَجدل المُتَنصِّب (٢)
دَهْماء قد لَبِسَت ثياب تَصَنّع ... تَسبى العقول على ثياب تَرَهُّب (٣)
من كل أبيض فى الهواء مُنشَّر ... منها وأسْحَم فى الخليج مُغَيَّب
كَمُلاءة فى البرّ يقطع سيرها ... فى البحر أنفاس الرياح الشُّذَّب (٤)
محفوفة بمجادِف مصفوفة ... فى الجانبين دُوَينَ صُلْبٍ صُلَّب (٥)
كقوادم النّسر المُرفْرف عُرِّيت ... من كاسيات رياشه المُتهدّب (٦)

---

(١) الغرار : حد السيف ونحوه . والوهل : الفزع . (٢) الاجدل : الصقر جمعه أجادل . والمتنصب : المنتصب . (٣) يشير إلى لون السفن الذى هو السواد الشبيه بلباس الرهبان وإلى لون أشرعتها الذى هو البياض . (٤) الشذب : جمع شاذب وهو الذى يطرد ويبعد أى الرياح التى تقذف ما على وجه الأرض وهذا كناية عن الشدة . (٥) الصلب كسكر مبالغة فى الصلب . (٦) الرياش : اللباس الفاخر

وتحثُّها أيدى الرجال إذا وَنَتْ ... بمصعّد منه بُعيد مُصوّب (١)

خرقاء تذهب ان يدُ لم تهدها ... فى كل أوْبٍ للرّياح ومَذْهَب (٢)

جَوفاء تحمل كوكبا فى جوفها ... يومَ الرّهان وتستقلّ بموْكِب

ولها جَنَاحٌ يستعار يُطيرُها ... طوعَ الرياح وراحةِ المُتَطَرِّب

يعلو بها حَدَب العُباب مطارةً ... فى كل لُجٍّ زاخر مُغْلَولِب (٣)

تسمو بأجْرَدَ فى الهواء مُتوّج ... عريانَ منسوج الذُّؤابةشَوْذَب (٤)

يتركب الملاح منه ذُبَابَةً ... لو رام يركبها القُطا لم يركب (٥)

فكأنّما رام استراقَة مَقْعَد ... للسّمع إلا أنّه لم يُشْهَب

وكأنما جنّ ابن داود هُمُ ... ركبوا جوانبها بأعْنَفِ مركب

سَجَرُوا جواحم نارها فتَقَاذَفُوا ... منها بألسُن مَارِج مُتلهّب (٦)

من كل مسجور الحريق اذا انبرى ... من سجنه انصلت انصلات الكوكب (٧)

عريان يَقْدُمُه الدُّخان كأنه ... صبح يكرّ على الظلام الغَيْهَب

ولواحقٍ مثل الأهلّة جُنَّحٌ ... لَحَقِ المطالب فائتات المهْرَب (٨)

يَذْهبْن فيما بينهن لطافة ... ويجئن فعل الطّائر المتغلِّب

كنضانض الحيّات رُحن لواعبا ... حتى يقعن ببرك ماء المِيزَب

والمراد هنا ريش الطائر، والمتهدب : ذو الاهداب ونسر أهدب : أى سابغ الريش . (١) صعد الشىء : رفعه ـ وصوبه : خفضه . (٢) الأوب : الجهة والطريق . المتطرب : الحادى الذى يتغنى فى سوق الابل والمراد هنا الربان . (٣) حدب الماء تراكبه فى جريه والمغلولب : الكثير ، يقال : اغلولب القوم إذا كثروا . (٤) الشوذب : الطويل ، والبيت يصف فيه القرية كهدية وهى العود الطويل الذى يشبك فيه القلع . (٥) ذبابة السيف : طرف حده والمراد طرف القرية .

(٦) سجر : ملأ ـ والجاحم : الجمر الشديد الاشتعال . (٧) انصلت : مضى وسبق .

(٨) اللحق : جمع لاحق ، كخدم : جمع خادم .

شرجوا جوانبها مجاذف أتْعبت ... شادى الرِّياح لها ولمّا تتعَب (١)
تنصاع من كَثَب كما نفر القطا ... طورا وتجتمع اجتماع الرَّبرب (٢)
والبحر يجمع بينها فكأنّه ... ليلٌ يقرّب عقربا من عقرب
وعلى جوانبها أُسود خِلافة ... تختال فى عُدد السلاح المُرْهَبِ
فكأنما البحر استعار بزِيِّهم ... ثوب الجمال من الرَّبيع المُذْهَب

﴿ وصف القطار الحديدى ﴾

وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف القِطار الحديدى من قصيدة :

صَفحةُ البرق أوْمضت فى الغمام ... أم شِهاب يَشُقُ جَوْف الظلامِ
أم سَلِيلُ البخار طار الى القَصـ ... ـد فأعْيا سوابق الأوهام (٣)
مَرّ كاللّمح لم تَكد تقِف العيـ ... ـن على ظلّ جِرْمه المُتَرامى (٤)
أو كَشَرْخ الشباب لم يدرِ كاسيـ ... ـه تولّى فى يقظة أو منام (٥)
لا يبالى السُّرى اذا اعتكر الليـ ... ـل وخانت مواقع الأقدام (٦)
يقطع البِيدَ والفَيافِى وحيدا ... لم تضعضعه وحشة الإظلام (٧)
ليس يَثْنِيه ما يُذيب دِماغ الضـ ... ـبّ يومَ الهَجِير بين الموامى (٨)
لا ولا يَعتريه ما يخرِس النا ... بح فى الزمهرير بين الخيام
هائماً كالظَّليم (٩) أزعجه الصيـ ... ـدُ وراعتْه طائشات السِّهام

(١) شرج العيبة : أدخل بعض عراها فى بعض والمراد هنا شبكوا فى جوانبها المجاذيف والشادى : السائق . (٢) انصاع القوم : ذهبوا سراعا أو انفتلوا راجعين والربرب : القطيع من بقر الوحش . (٣) السليل : الولد . (٤) المترامى : المتتابع . (٥) شرخ الشباب أوله . (٦) السرى : سير عامة الليل واعتكر الليل : اشتد سواده . (٧) البيد جمع بيداء وهى الصحراء والفيافى : جمع فيفاء وهى المفازة لاماء فيها . (٨) الموامى : جمع موماة وهى الفلاة والضب : حيوان من أخص صفاته احتمال الحر الشديد . (٩) الظليم : ذكر النعام .

فهو يَشْتَدّ فى النَّجاء ويهوِى حيث ترمى بجانبيه المَرَامى (١)
ياحديدا ينساب فوق حديد كانسياب الرقطاء فوق الرَّغام (٢)
قد مسحتَ البلاد شرقا وغربا بذراعَىْ مُشمِّرٍ مِقْدام

* وقال حفنى بك ناصف المتوفى سنة ١٩١٩ م يهنىء ويصف حريق عابدين *

وافَى يُقبِّل راحتَيك العامُ وحنَتْ اليك رُؤوسَهَا الأيامُ
والدَّهر أقسمُ لا يجىء بغير ما تَرضَى وكم بَرّت له أقسامُ
فاقْبل مَعَاذير الزّمان فطالَمَا قَبِلتْ معاذيرَ المُنيب كِرامُ
واغفر جِنَايتَه على القَصر الذى لم تحْوِ مصرُ نَظيرَهُ والشَّام
شَبَّت به النِّيرانُ فارتاعت لها مُهج الأنَام وهَالَها استعظام
لولا الدّخان أحاط حول لَهيبها ما شكّ فردٌ أنّها أعلام
أمرٌ به نفذ القَضاء وليس فى أحكامه نَقضٌ ولا إبرامُ
بل حِكمةٌ شاء الإلَه بيانها لعباده ليذيعَ الاستسلام
حتى يَروَا أنّ الملوك وان علَوْا قَدراً تَسيرُ عليهم الأحكام
فاذا اقتدَى بهم الرّعيّة أحسنُوا صَبراً وخفّت عنهُم الآلامُ

عَينُ السّمَاء لعابدينَ تَطلّعت حَسَداً عليك وللعُيون سِهَامُ
وتَشوّق القصرُ الكريم لأهله والشّوْق فى قلب المُحبّ ضرام
لم يستطع صبراً على طُول النوى والصّبرُ فى شرع الغَرام حرام
فتَصعّدت زَفراتُهُ وتأجّجت جَمراتُه والصَّبّ كيف يُلام؟
لولا الدّموعُ من المطافئ ما انقضَى منهُ الهُيَام ولم يُبلّ أُوامُ

---

(١) النجاء : السرعة . (٢) الرقطاء : الحية . والرغام : التراب

خرقت طباقَ الجوّ إلاّ أنّها بَرْدٌ قُصارَى أمرها وسلام

﴿ وقال حافظ بك ابراهيم يصف خزان أسوان و يمدح الحضرة الخديوية ﴾

أخزّانَ مِصرَ أنتَ أم هَرمَا مصرِ أجلُّ وأسمَى فى المكانة والقدرِ
أعدتَ لنا مجدَ القرُون التى مضت وجدّدتَ من عهدِ الفراعنةِ الغُرِّ
وهيهاتَ ما أهرامُ مصر وإنْ سَمتْ بأرفعَ رأساً من حضيضِكَ لو تدرى
وليس سنانُ بنُ المُشلّل خالداً بأنبهَ من «عبّاس» عصرك فى الذّكر
وما قطراتُ السّحب كالدُّرّ تنهمِى بألطفَ وقعاً من عقيقِك اذْ يجرى
وما أنتَ خزّانُ المياهِ وطَميها و إبليزها بل خازنُ الدرّ والتِّبر
تدفقتَ بالخيرات من كلّ جانب وجمّعتَ أقطارَ المنافع فى قُطْر
فقل للغوادى والرّوائح تنجلى وفى غير مصرٍ فلْتَسُحّ على قفر
إذا ما جرت أمواهُها دُون حاجةٍ وفاضت جرت منك المياه على قدر
ضربْتَ على آثار مصر ولم يكن ليطْمِسها لولا جلالك من إثر
ألا فلتَسُد مِصرٌ على كلّ بُقعةٍ به وليُطاول قُطْرُها مَسقطَ القَطر
بناءٌ من الدّهر استعار بقاءه وأقسم ألاّ يُستردّ من الدّهر

الباب الخامس

فى الاستعطاف والمعاتبات والاعتذارات

قال النّابغة الذُّبيانى الشاعر الجاهلى المتوفى سنة ٦٠٤ م من قصيدة طويلة

يا دارَ مَيّةَ بالعَلْياءِ فالسَّنَدِ أقْوَتْ وطَالَ عليها سالفُ الأبدِ (١)

---

(١) العلياء المكان العالى ، والسند محركة ماقابلك من الجبل وعلا عن السفح ، وأقوت الدار

وَقفتُ فيها أُصَيْلالاً أُسائلُها ... عَيَّتْ جَواباً وما بالرَّبْع من أَحدِ (١)

إلاّ الأَوَارِىَّ لأْياً مَا أُبَيِّنُها ... والنُّؤْىَ كالحوضِ بالمظلُومةِ الجَلَدِ (٢)

رُدَّت عليه أَقَاصِيه ولَبَّدهُ ... ضَربُ الوَليدةِ بالمِسْحَاةِ فى الثَّأَدِ (٣)

خَلَّتْ سَبيلَ أَتِيٍّ كانَ يَحبِسُهُ ... وَرَفْعُهُ الى السَّجفَينِ فالنَّضَدِ (٤)

أَضحتْ خلاءً وأَضحَى أَهلُها احتَمَلُوا ... أَخنَى عليها الذى أَخنَى على لُبَدِ (٥)

وقال أُمَيَّة بن أبى الصَّلْتِ الجاهلى يعتب على ابن له (٦)

غَذَوْتُكَ مَولُوداً وعُلْتُك يافِعاً ... تُعَلُّ بما أُدنى إليك وتُنْهَلُ (٧)

إذَا ليلةٌ نابتْكَ بالشَّكْوِ لم أَبِتْ ... لشكواكَ إلاساهراً أَتململُ (٨)

خلت من السكان . والابد الزمان الماضى (١) أصل أصيلا أصيلانا بالنون تصغير أصلان جمع أصيل وهو العشى أبدلت النون لاما ، وعيت أى حصرت وعجزت عن الجواب (٢) أوارى منصوب على أنه مستثنى منقطع وهو جمع آرى بمعنى الأخية والآخية كآنية الوتد الذى فى رأسه حلقة يدق فى الحائط أو يدفن فى الارض لتربط فيه الدواب ، ولأيا ما أرى بعد جهد ما أنظرها ، والنؤى الحفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل ، والمظلومة الارض التى حفر فيها حوض وليست بموضع حفر كان حفر الحوض فيها مع أنها لست بموضعه ظلم لها ، والجلد الارض الصلبة المستوية المتن (٣) ردت بالبناء للمجهول ، ولبده الصق بعضه ببعض ، والمسحاة هى آلة يجرف بها الطين ، الثأد الطين (٤) الاتى الجدول الذى تؤتيه إلى أرضك والسيل الغريب ويحبسه الضمير فيه يعود الى النؤى والسجفين الستارتان اللتان يعلقان على الباب أو الشباك والمراد بهما هنا اللتان يعلقان أعلى الباب — والنضد متاع البيت المنظم (٥) احتملوا ذهبوا من دار إلي اخرى وأخنى عليها أهلكها يقال ان لقمان بن عاد عاش بمقدار عمر سبعة نسور كلما هلك نسر خلفه نسر آخر وكان آخرها لبد على وزن صرد (٦) هو عبد الله بن أبى ربيعة الثقفى نشأ بالطائف جاهليا يلتمس المعارف الدينية متعبدا راجيا أن يكون نبى العرب ؛ حتى إذا كانت بعثة النبى صلى الله عليه وسلم أكبرها عليه ، وناضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة ٩ هـ . ويمتاز شعره بالسهولة ، والدخيل من الالفاظ ، وتناول الاساطير . والامور الدينية مع المدح والحكمة وكان أكثر مدحه فى عبد الله بن جدعان القرشى وقيل انه مسلم قبل وفاته (٧) غذاه : قام بمؤنته ، وعاله : كفله وقام به ، واليافع : من قارب العشرين ، تعل : من العلل ، وهو الشرب الثانى . والنهل : الشرب الاول ، يريد أنه يسبغ عليه من نعمه الكثير والقليل . (٨) أتململ : اتقلب على الملة وهى الجمر .

كأنّي أذاَ المطروقُ دُونك بالذى ... طُرِقْتَ به دُونى ، وعينى تهملُ (١)
تَخافُ الرّدى نفسى عليك ، وإنّها ... لتعلمُ أنّ الموتَ حتمٌ مؤجّلُ (٢)
فلمّا بلغتَ السنّ والغايةَ التى ... إليها مدى ما كنتُ فيكَ أؤمّلُ
جعلتَ جزائى منك جبْهاً وغلْظةً ... كأنكَ أنت المُنعِمُ المُتفضّلُ (٣)
فليتكَ إذ لم ترعَ حقّ أبوّتى ... فعلْتَ كما الجارُ المجاورُ يفعلُ (٤)
وسمّيتَنى باسم المُفنّدِ رأيُه ... وفى رأيك التّفنيدُ لو كنتَ تعقلُ (٥)
تراه مُعدًّا للخلاف كأنّه ... بِرَدٍّ على أهل الصّواب مُوكّلُ (٦)

﴿ وقال المُغيرة بن حبناء ﴾

خذْ من أخيك العفو واغفر ذنُوبه ... ولا تكُ فى كلّ الأُمور تُعاتِبُهْ
فانّك لن تلقَى أخاك مُهذّباً ... وأىُّ امرىءٍ ينجُو من العيب صاحبُهْ
أخوك الذى لا ينقُضُ النّأىُ عهدَهُ ... ولا عند صَرف الدّهر يزْوَرُّ جانبُهْ
وليس الذى يَلقاك فى البِشر والرِّضَا ... وانْ غِبتَ عنه لَسَّعَتْكَ عقاربُه

﴿ وقال سعيد بن حميد المتوفى سنة ٨٨٨ هـ ﴾

أقلِلْ عِتابَك فالبقاءُ قليلُ ... والدّهر يَعدلُ مرّةً ويَميلُ
لم أبْكِ من زمنٍ ذممْتُ صُروفَه ... إلا بكيتُ عليه حين يزُول
ولكلّ نائبةٍ ألَمّتْ فُرجةٌ ... ولكلّ حال أقبلتْ تحويلُ

---

(١) تهمل : أى يسيل منها الدمع . (٢) الردى الهلاك ، حتم أى لا مفر منه . مؤجل أى له وقت . (٣) الجبه : مقابلة الانسان بما يكره . (٤) أى ليتك اذا أبيت أن تعاملنى معاملة الاب عاملتنى كما يعامل الجار جاره . (٥) فنده نسبه إلى سوء العقل أى وصمتنى بسوء الرأى والغباوة ولو عقلت لعلمت أن الفند حقيق بأن ينسب إليك لا إلى . (٦) معدا : أى محضرا ومهيئا ، أى تهيّ الخلاف ، ويقابل به كل رأى كأنه كلف أن يفند آراء أهل الصواب .

والمُنتمون الى الصفَّاءِ جماعةٌ إنْ حصّلوا أفناهُم التّحصيل
وأجلّ أسباب المَنيّة والرَّدَى يومٌ سيقطعُ بيننا ويَحول
فلئن سَبقتَ لتفجعنَّ بصاحب حبلُ الصفَّاءِ بحبله موْصول
لعلّ أيامَ البقاءِ قليلةٌ فعلامَ يَكثُرُ عَتبنَا ويَطول ؟

﴿ وقال شاعر الحجاز المُخضرمى مَعْن بن أُوس المُزَنىّ المتوفى سنة ٢٩ هـ ﴾

لَعمرُك ما أدرى وإنّى لَأَوجَلُ على أيّنَا تَعْدُو المنيّة أوّلُ
وإنى أخوكَ الدّائم العهْد لم أخُن إن أبزاك خَصمٌ أو نَبَا بك مَنزلُ
أُحارِبُ مَن حاربتَ مِن ذى عداوة وأحبِس مالى إن غَرِمتَ فأعقِلُ
وإنّى على أشياء منك تُرِيبُنِى قديماً لذُو صَفحٍ على ذاك مُجمِلُ
ستَقطعُ فى الدُنيا إذا مَا قطعَتْنِى يَمينَك فانظُر أىَّ كفّ تَبدَّلُ ؟
إذا أنتَ لم تُنصف أخاك وَجدْتَه على طرَفِ الهِجْران إن كان يَعقِلُ
وَيركبُ حَدَّ السّيف من أنْ تَضيمَهُ إذا لم يكن عن شَفرة السَّيف مَزحَلُ
وكنتُ إذا ما صاحبٌ رام ظَنّتِى وبدّل سُوءًا بالذى كنتُ أفعَلُ
قَلَبتُ له ظَهرَ المِجَنِّ فلم أدُم على ذاك إلا رَيثَمَا أتحوَّلُ
إذا انصرفتْ نفسِى عن الشىءِ لم تكَد اليه بوجهٍ آخِرَ الدَّهر تُقْبِلُ

﴿ وقال بهاء الدين زُهير المتوفى سنة ٦٥٦ هـ معتذراً لتأخيره عن لقاء بعض أصحابه ﴾

على الطّائر الميمُون يا خيرَ قادِمٍ وأهلا وسهلا بالعُلا والمكارمِ
قدِمتَ بحمد الله أكرم مَقدم مدى الدّهر يبقى ذكره فى المواسم
قدوماً به الدّنيا أضاءت وأشرقت ببشر وُجوه أو بضوء مباسم
فياحُسنَ رَكبٍ جئتَ فيه مُسلّماً وياطيبَ ما أهدته أيدى الرَّواسم

أمولاىَ سامِحْنى فانّك أهلُه وإن لم تُسامحنِي فما أنت ظالمى

(وقال محمد بن زُريق البغدادى نادماً على الإفراط فى طلب الدنيا)

« وكان قصد الأندلس فى طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه »

لا تَعْذُليهِ فإنّ العذلَ يُولِعُه قد قلْتِ حقًّا ولكن ليس يَسمعُه
جاوَزْتِ فى لَوْمِهِ حدًّا أضَرَّ به من حيث قدَّرْتِ أنّ اللّوْم ينفعه
فاستعملِى الرِّفْقَ فى تأنيبه بدلاً من عُنْفِه فهو مُضنَى القلب مُوجعُهُ
قد كان مُضْطلِعاً بالخطْب يَحْمله فضِيقَتْ بخطوب البَينِ أضلُعُهُ
يكفيه من لوْعة التفْنيد أنّ له من النَّوى كلَّ يوم ما يُرَوِّعُهُ
ما آب من سفرٍ إلا وأزعَجَه رأىٌ إلى سفرٍ بالعزْم يَجْمَعُهُ
كأنّما هو من رِحلٍ ومُرْتَحَل مُوكلٌ بفضاء الأرض يذرعُه
إذَا الزِّماعُ أراه فى الرّحيل غِنًى ولو الى السِّند أضحَى وهو يُزْمِعُهُ
تأبَى المطَامِعُ إلاّ أن تُجشّمهُ للرّزْق كَدًّا وكم مِمَّن يُودّعُهُ
وما مُجاهدَةُ الأنسانِ تُوصِلُه رزقاً ولا دَعَةُ الأنسان تَقْطَعُه
واللهُ قسَّم بينَ الخلق رِزقَهُم لم يخلُق اللهُ مَخلوقاً يُضيِّعُهُ
لكنّهم مُلئوا حِرْصاً فلستَ ترَى مُسْتَرْزِقاً وسوى الغايات يُقْنِعُهُ
والسّعى فى الرّزق والأرزاق قدقُسِمَت بَغْىٌ ألاَ إنّ بَغْىَ المرء يَصْرَعُهُ
والدّهر يُعطِى الفتَى ماليس يَطلُبُه يوماً ويمنعه من حيثُ يُطمِعُهُ

أستودعُ اللهَ فى بَغْداد لى قمرا بالكَرْخ من فلكِ الأزرار مَطْلعُهُ
وَدّعْتُه وبوُدِّى لو يُودّعُنِى صفْوَ الحياة وانِّى لا أُودِّعُهُ
وكم تَشفّعَ أنّى لا أفارقه وللضّرورات حالٌ لا تُشفّعُهُ

وكم تَشبّث بى يومَ الرّحيل ضُحى ... وأدمُعى مُستَهِلَّاتٌ وأدمعهُ
لا أكْذِبُ اللهَ ثوْبُ العُذْرُ مُنْخَرِقٌ ... عنِّى بفُرقته لكن أُرَقِّعُهُ
إنى أُوَسّع عُذْرى فى جِنايَته ... بالبَين عنه وقلبى لا يُوسِّعه
أُعطِيتُ مُلكا فلم أُحسِنْ سياسته ... كذاك من لا يَسُوس الملك يُخْلَعُهُ
ومَن غَدا لابِساً ثوبَ النّعيم بلا ... شُكر الإِلَه فعنْه اللهُ يَنْزِعُه
اعتَضْتُ عن وجه خِلّى بعدَ فُرقتهِ ... كأساً أُجرّعُ منها ما أُجرّعُهُ
كم قائل لىَ ذنبُ البَيْن قُلْتُ له ... ألذّنبُ والله ذَنبى لستُ أدفعهُ
هَلّا أقمتُ فكان الرُّشْد أجمعه ... لو أنّنِى يومَ بانَ الرُّشدُ أتبعهُ
إنّى لَأقطع أيّامى وأُنْفِذُها ... بحَسرةٍ منه فى قلبى تُقطّعهُ
بمن إذا هجَع النُّوّام بِتُّ لهُ ... بلوعةٍ منهُ ليلِى لستُ أهجَعُهُ
لا يَطمئنُّ لجنبى مَضجَعٌ وكذا ... لا يَطمئنّ له مُذْ بِنتُ مَضْجَعه
ما كنتُ أُحسِبُ أن الدّهر يُفجعنى ... به ولا أنَّ بى الأيامَ تُفجعه
حتى جَرى الدَّهر فيما بيننَا بيَدٍ ... عَسْرَاءَ تَمنُعنِى حَظّى وتَمنعهُ
بالله يامنزلَ القَصْف الذى دَرَست ... آثارهُ وعفَتْ مُذ غِبتُ أرْبُعهُ
هل الزّمان مُعيدٌ فيك لَذّتَنا ؟ ... أم اللّيالى التى أمْضتْه تُرْجِعهُ
فى ذمّة الله مَن أصبحتَ منزِله ... وجادَ غَيثٌ على مَغْداكَ يمرُعه
مَنْ عنده لى عهدٌ لا يُضيّعُهُ ... كما لهُ عهدُ صِدق لا أُضيِّعه
ومن يُصَدّع قلبى ذِكرُه واذا ... جرى على قلبه ذكرِى يُصدِّعهُ
لأَصْبِرَنّ لدهر لا يُمتّعُنِى ... بهِ ولا بىَ فى حال يُمتّعهُ
عِلْماً بأنَّ اصطبارى مُعْقِبٌ فرجاً ... وأضيقُ الأمر إنْ فكّرْتَ أوسَعهُ

علَّ الليالى التى أضْنت بفُرقتنا جسمى ستَجمعُنى يوماً وتَجمعُه
وإن تنل أحداً منّا مَنيّتُه فمَا الذى بقضاء الله يَصنعُه ؟

﴿ وقال محمد حافظ بك ابراهيم « بين اليقظة والمنام » فى استعطاف الزمان ﴾

أشْرِقْ فدَتْكَ مَشَارقُ الإصباحِ وأمطِ لِثَامَك عن نهار ضَاحِ
بُوركتَ يابومَ الخلاص ولا وَنتْ عنكَ السّعودُ بغَدوة ورَواحِ
باللهِ كُنْ يُمناً وكنْ بُشرى لنـا فى ردّ مُغترب وفَكِّ سَراحِ
أقبلتَ والأيامُ حولكَ مُثَّلٌ صفَّينِ تَخطرُ خطرةَ الميَّاحِ
وخرَجتَ من حُجُبِ الغُيوبِ مُحجَّلا فى كلّ لَحظٍ منك ألفُ صباحِ
لو صحّ فى هذا الوجودِ تَناسُخٌ لرأيتُ فيكَ تناسُخَ الأرواحِ
ولكنتَ يومَ « اللّابرنت » بعينهِ فى عزَّة وجَلالةٍ وسَماحِ
يومٌ يُريك جلالُهُ ورُواؤهُ فى الحسن قدرةَ فالقِ الإصباح
خلعَتْ عليهِ الشمسُ حُلّةَ عسجدٍ وحباه « آزارٌ » أرقّ وشاحِ
أللهُ أثبتهُ لنا فى لَوحهِ أبدَ الأبيدِ فما له من ماح
حَيِّهِ عنّا يا أزاهرُ واملئِي أرجاءهُ بأريجك الفيَّاحِ
وانفحهُ عنّا يا ربيعُ بكلّ ما أطلعتَ من رَندٍ ونَوْر أُقاح

للنيلِ مجدٌ فى الزمانِ مُؤثّلٌ من عهدِ « آمون » وعهدِ « فتَاح »
فَسَلِ العُصُورَ بهِ وسلْ آثارَهُ فى مصرَ كم شَهدتْ من السيِّاح
قدْ قال « عَمْرٌو » فى ثَراها آيةً مأثُورَةً نُقشتْ على الألواح
بَينَا نراهُ لآلِئاً وكأنّما نُثرَتْ بتُربتهِ عقودُ مِلاح
واذا بهِ للنّاظرين زمرُّد يَشفيك أخضرُهُ من الأتراح

واذا بهِ مسكٌ تَشقُّ سوادَهُ شقَّ الأديم محارث الفلاّح

قُم يا ابن مصر فأنت حرٌّ واستعِدْ مجد الجُدود ولا تَعُدْ لِمُراحِ
شَمِّرْ وكافحْ فى الحياةِ فهذهِ دنياكَ دارُ تَناحُرٍ وكِفاحِ
وأنهلْ مع النهّال من عذب الحيا فاذا رَقا فامْتحْ مع المُتّاحِ
و إذا ألحّ عليك خطْبٌ لا تَهِنْ واضربْ على الإلحاح بالألحاحِ
وخُض الحياةَ وان تلاطمَ موجُها خوض البحارِ رياضةُ السبّاحِ
واجعل عِيانَك قبلَ خَطوِكَ رائداً لا تَحْسبَنَّ الغمرَ كالضّحْضاحِ
واذا احتوتْك مَحلّةٌ وتنكّرت لك فاعدُها وانزَحْ مع النزّاحِ
فى البحر لا تُثنيك نارُ بوارجٍ فى البرِّ لا يَلويك غابُ رماحِ
وانظُرْ الى الغربىِّ كيف سَمَت به بين الشعّوب طَبيعةُ الكدّاح
واللهِ مابلغتْ بنُو الغربِ المُنى إلاّ بنيّاتٍ هُناك صِحاحِ
ركبوا البحارَ وقد تجمّدَ ماؤُها والجوّ بين تَناوُحِ الأرواحِ
والبرّ مَصهورُ الحصَى مُتأجِّجاً يَرمى بنزّاعِ الشوَى لوّاحِ
يلقَى فتيّهُمُ الزمانَ بهمّةٍ عَجَبٍ ووجهٍ فى الخطوب وَقاحِ
ويَشُقُّ أجواز القِفار مُغامراً وعرُ الطّريق لديهِ كالصّحصاحِ
وابن الكِنانة فى الكنانةِ راكِدٌ يَرنُو بعينٍ غير ذاتِ طِماحِ
لا يستفلّ ، كما علمتَ ، ذكاءهُ وذكاؤُهُ كالخاطفِ اللّماحِ
أمسَى كماءِ النهّر ضاعَ فُراتُهُ فى البحرِ بين أُجاجِهِ المُنداحِ
فانهضْ ودَعْ شكوى الزمانِ ولا تَنُحْ فى فادحِ البُؤسى مع الأنواحِ
وأربحْ لمصرَ برأس مالك عزّة إنّ الذّكاءَ حُبالةُ الأرباحِ

وإذا رُزِقتَ رياسةً فانسجْ لها بُردينِ من حزم ومن إسجاحِ
واشربْ من الماءِ القَراحِ مُنعّماً فلَكَمْ وردتَ الماءَ غيرَ قَراحِ

الباب السادس

فى التهانى والتهادى والإغراء

﴿ قال أبو الطيّب المُتنبّى المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ﴾

أَلمجدُ عُوفىَ إذ عُوفيتَ والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الألمُ
صَحّت بصحّتك الغاراتُ وابتهجت بها المكارمُ وانهلّتْ بها الدِّيَم
وراجعَ الشّمسَ نورٌ كان فارقها كأنّما فقدُه فى جسمها سَقَم
ولاحَ بَرقُك لى منْ عارضَىْ مَلكٍ ما يسقطُ الغيث إلاّ حين يَبتسمُ
يُسْمى «الحُسام» وليست مُشابهة وكيفَ يَشْتَبه المخدومُ والخدم
تفرّد العُرْبُ فى الدُّنيا بمحتِدِه وشارك العُربَ فى إحسانه العجمُ
وأخلصَ اللهُ للاسلام نُصْرَته وانْ تقلّبَ فى آلائه الأمَمُ
وما أخصُّك فى بُرءٍ بتهنئةٍ اذا سلِمتَ فكلّ الناس قد سلموا

﴿ وقال الوزير الصّاحب اسماعيل بن عبّاد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ﴾

هذى المكارمُ والعَلياء تفتخرُ بيومِ مأثرةٍ ساعاتُه غُررُ
يومٌ تبسّم عنه الدّهر واجتمعت له السّعود وأغضتْ دونه الغِيَرُ
حتى كأنّا نرى فى كلّ مُلتفتٍ رَوضاً تفتّحَ فى أثنائه الزَّهَرُ
لمّا تجلّى عن الآمال مُشرقةً قالَ العُلى بك أستعلى وأقتدِرُ
وافَى على غير ميعادٍ يُبشّرنا بأنْ ستتبعهُ أمثاله الأُخرُ
أهنا المسرّاتِ ما جاءت مُفاجأةً وما تناجَى بها الألفاظ والفِكرُ

لو أنّ بشرى تلقّتها بموردها ... لأقبلت نحوها الأرواحُ تبتدرُ
وما تعنّف مَن يسخو بمهجته ... فإنّ يومك هـذا وحدَهُ عُمُرُ
فما غدوت وما للعين مُنقلبٌ ... إلاّ إلى مَنظر يهوى، ويحتبر
ثَنت مَهابتُك الأبصارَ حاسرة ... حتى تبيّن فى ألحاظها خزر (١)
اذا تأملتهم غضّوا وإن نظرُوا ... خِلال ذاك فأدنى لَفتةٍ نظرُوا
فى مَلبس ما رأته عين مُعترض ... فشكّ فى أنّه أخلاقُك الزُّهر
ألبسته منك نوراً يُستضاء به ... كما أضاء ضواحى مُزْنهِ القمر (٢)
وقد تقلّدت عَضباً أنتَ مَضْرَبُه ... وَعنك يأخذ مَا يأتى وما يَذَر
ما زال يَزداد من إشراق غُرّته ... زَهراً ويشرُق فيه التيهُ والأشر (٣)
والشّمس تحسد طرفاً أنت راكبه ... حتى تكاد من الأفلاك تَنحدِر
حتى لقد خِلتُ أنّ الشمس أزعجها ... شوقاً وظلّت على عِطفيه تَنتشِر

﴿ وقال أبو أُذَينة يُغرى الأسوَد بن المُنذر بقتل آل غسّان وكانوا قتلوا أخاً له ﴾

ما كلُّ يوم ينَالُ المرء ما طلَبَا ... وَلا يُسَوّغهُ المِقدارُ ما وهبَا
وأحزَمُ الناسِ مَنْ إنْ فُرْصةٌ عرضت ... لم يجعل السّببَ الموصول مُنْقضبَا
وأنصفُ الناس فى كلّ المواطن مَنْ ... سقَى المُعادين بالكاس الذى شَربَا
وليس يَظلمُهم مَنْ راح يَضربهم ... بحدّ سيفٍ بهِ مَنْ قبلهم ضربا
والعفو إلا عن الأكفاءِ مَكرُمَةٌ ... مَنْ قال غير الذى قد قلته كذبَا
قتلتَ عمراً وتَستبقى يزيدَ لقد ... رأيتَ رأياً يجرُّ الويلَ والحربَا

---

(١) الخزر ضيق العين وصغرها (٢) المزن السحاب الأبيض ويقال للهلال بن مزنة وهى القطعة من المزن لخروجه منها (٣) الاشر بفتح الشين المرح والاختيال

لا تقطعَنْ ذَنَبَ الأفعى وترْسلَها ... إن كنتَ شهماً فأتبعْ رأسها الذَّنَبا
هم جرّدوا السيف فاجعلهم له جزراً ... وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
إن تَعفُ عنهم يقول الناس كلّهمُ ... لم يَعفُ حلماً ولكنْ عفوه رَهبا
هُم أهلة غسّان ومجدهمُ ... عالٍ فإن حاولوا مُلكا فلا عجبا
وعرّضوا بفداءٍ واصفين لنا ... خيلا وإبلاً تَرُوق العُجم والعربا
أيحلبُون دماً منّا ونحلبُهم ... رِسْلاً، لقد شرّقونا فى الورى حَلَبا

﴿ وقال صَفىّ الدّين الحلّى يحرّض السلطان الصالح على الاحتراز من المغول ﴾

لا يمتطِى المجدَ مَنَ لم يركَبِ الخطرا ... ولا يَنال العُلاَ مَن قدَّم الحذرَا
ومَن أراد العُلاَ عفواً بلاَ تَعَبٍ ... قَضى ولم يَقضِ مِن ادراكها وطَرا
لا بُدّ للشَّهد من نحلٍ يُمنِّعه ... لا يَجتنى النَّفعَ مَن لم يَحمل الضّررا
لا يُبلَغُ السُّؤْل إلاَّ بعد مُؤْلمةٍ ... ولا يَتمُّ المُنى الاّ لِمَن صبرا
وأحزمُ الناس مَن لومات من ظَمإٍ ... لا يقربُ الوِردَ حتى يعرفَ الصَّدرا
وأغزر الناس عقلاً من اذا نظرت ... عيناه أمراً غدا بالغير مُعتبرا
فقد يُقال عِثارُ الرِّجل ان عثُرت ... ولا يُقال عِثار الرّأى إن عثرا

من دَبّر العيش بالآراء دام له ... صفواً وجاء اليه الخطبُ مُعتذرا
يَهونُ بالرّأى ما يجرى القضاء به ... من أخطأ الرَّأى لا يَستذنِبُ القدرَا
مَن فاته العزُّ بالأقلام أدرَكه ... بالبِيض يَقدحُ من أطرافها الشَّررا
لا يَحسُنُ الحلمُ الاّ فى مواطنه ... ولا يليق الوفا الاّ لمن شَكرا
ولا يَنال العلا إلا فتًى شرُفَتْ ... خِلاَلُهُ فأطاع الدّهر ما أمرَا
كالصّالح الملكِ المرهُوبِ سطوتُه ... فلو توعَّد قلب الدهر لانفطَرا

لمّا رأى الشَّرَّ قد أبدَى نواجذَه ... والغَدْرَ عن نابه للحرب قد كَشَرَا
رَأى القِسىّ إنَاثاً عن حقيقتها ... فعافها واستشارَ الصَّارم الذّكرا
فجرّدَ العزمَ مِن قَبل الصّفاح لها ... مَلْكٌ عن البيض يَستغنِي بما شُهرا
يكاد يُقرَأُ منْ عُنوان هِمّتِه ... ما فى صحائِف ظهر الغَيب قد سُطرا
كالبحر والدهر فى يومى نَدَى ورَدًى ... واللّيث والغَيث فى يَومى وَغًى وقِرَى
ما جاد للنَّاس إلاّ قَبل ما سألوا ... ولا عفا قطُّ إلاَّ بعد ما قدَرا
لامُوه فى بَذله الأموالَ قلت لهم ... هل تَقدِرالسُّحبُ ألاَّ تُرسِلَ المطرا

﴿ وقال المرحوم عبد الله باشا فكرى يهنىء الخديوى توفيق بتولية مصر ﴾

أليومَ يَستقبلُ الآمالَ رَاجيهَا ... وَينجلِي عن سَماءِ العزّ دَاجيهَا
وتَزْدهِي مِصرُ والنّيل السَّعيد بها ... والمُلك والدِّين والدُّنيا وما فيها
قد أطلع الله فى سعد السّعود سَنى ... بدر بلألائه ابيضّت لياليها
ذو همَّة دون أدنى شأوها قصُرت ... غايات مَن رام فى أمرٍ يُدانيها
توفيق مصر ومولاها ومَوئلها ... وركنها ومُفدّاها وفَاديها
وغُصنها النَّضر أنعتهُ مَنابتهَا ... من دَوحةٍ أينعت فيها مجَانيها

﴿ وقال السيد أحمد الهاشمى مؤلف هذا الكتاب مهنئاً المرحوم الشيخ على يوسف بك ﴾

(صاحب جريدة المؤيد سنة ١٣٢٠ هـ بأوبته من أوربا)

(علىٌّ) القَدرِ ذو الشّرَف المؤيّد ... شديدُ العزم (يوسفُ) قد تفرَّدْ
وَحيدُ الفضل والعَلياء تشهدْ ... رَفيعُ المجدِ فى عزٍّ وَسُؤْدُد
شريفُ النفْس محمودُ السّجايا ... عَرِيقُ الأصل فى المعروف أوْحدْ

هُمامٌ ماله أبداً مثيلٌ بليغُ النُّطقِ فى الكُتّابِ مُفرَدْ
مُحب العدل مَشكور المساعى عليمٌ بالسّياسة بل (مؤيَّدْ)
قوىُّ البأس بَسَّام الثَّنايا سَعيد الجَدِّ ذو قَدْرٍ مُمجّد
فمن يكُ راقياً شرف المعالى كمثلك فى الورى لا شكّ يُحمد
وكيفَ وأنتَ أعظمُ مَن تَصدَّى لتأييد الصَّحافة (بالمؤيد)
وكيف وأنتَ أفوق كلّ رامٍ بسهمٍ للكتابةِ قد تجرَّدْ
وليس الشمس تَخفَى عن عيُون سِوى أنْ كان صاحبهُنَّ أَرْمَدْ
وإنّ البدْرَ بالأنوار زاهٍ ويأبَى اللهُ إلاّ أن تُؤَيَّد

فسُبحان الذى أسرى (عَلِيًّا) الى التَّاميز والسِّين المنَضَّد
تُهنِّيك المناصبُ كلَّ وقْتٍ وتَخدُمك السَّعادةُ ما تجدّدْ
فدُم يا سيّدى بدراً منيراً وحِصناً للمعَالى قد تَشيّد
وهاك من ٱلْمُحِبّ قصيدَ شِعْرٍ تُشيرُ الى وفائى بل وتشهدْ
تفاخرُ مصرُ أهل الشّرق فيها تقول الهاشمىُّ شدَا وأنشد

﴿ وقال محمد حافظ بك ابراهيم مهنئاً أبناء وطنه بالعام الهجرى ﴾

أهلا بنَابتة البلادِ ومَرْحباً جدّدتمُ العهدَ الذى قد أخْلقَا
لا تيأَسُوا أن تَستردُّوا مَجدكم فلربّ مَغلُوبٍ هوَى ثمَّ ارْتقَى
مُدَّتْ لهُ الآمالُ فى أفلاكها خَيط الرَّجاء الى العُلا فتَسلّقَا
فتَجشّموا للمجد كلّ عظيمة إنّى رأيتُ المجدَ صَعبَ المُرْتقَى
مَن رامَ وَصْلَ الشمس حاكَ خيوطها سَبباً الى آماله وتَعلّقَا

عارٌ على ابن النيل سبّاق الورى مهما تغلّبَ دهرهُ أن يُسبقا
أوَ كُلّما قالوا تجمّعَ شملهُ لعِبَ الخِلافُ بجمْعِنا فتفرّقا
فتدفّقوا حُججاً وخُوضُوا نِيلكم فلكَمْ أفاض عليكُمُ وتدفّقا
حملوا علينا بالزّمان وصرفه فتأنّقوا فى سَلبنا وتأنقا

فتعلّموا فالعلمُ مِفتاح العُلاَ لم يُبقِ باباً للسّعادة مُغْلقاً
ثم استمدُّوا منهُ كل قُواكُم إنّ القوىَّ بكلّ أرضٍ مُتّقى
وابنوا حوالى حوضكم منْ يقظة سوراً وخطُّوا من حذارٍ خَندقا
وزِنوا الكلام وسدّدوه فانّهم خبَؤا لكم فى كلّ حرف مَزلَقا
وامْشوا على حذرٍ فانّ طريقكم وَعرٌ أطاف بهِ الهلاكُ وحلّقا
نصبوا لكم فيه الفخَاخَ وأرصدُوا للسّالكين بكل فَجّ مَوبقا
أَلموتُ فى غشيانه وطُروقه والموتُ كلّ الموت ألاَّ يُطرقَا
فتَحينَّوا ، فُرَصُ الحياة كَثيرةٌ وتعجّلوها بالعزائم والرُّقى
أو فاخلقوها قادِرين فإنّما فُرَصُ الحياة خليقةٌ أن تُخلقا

﴿ وقال احمد شوقى بك يهنىء المرحوم السلطان حسين كامل بعرش مصر ﴾

أَلمُلكُ فيكمْ آل اسماعيلا لا زال بيتكُم يَظِلُّ النِّيلا
لَطُفَ القضاء فلم يَمِلْ لِوليِّكم رُكنٌ ولم يشفِ الحسودُ غليلا
هذى أصولُكُم وتلك فروعكمْ جاء الصّميم من الصّميم بديلا
أَلمُلكُ بين قصوركم فى داره من ذا يريد عن الدِّيار رحيلا
«عابْدِينَ» شُرِّفَ بِابن رافع رُكنه عزاً على النَّجم الرّفيع وطولا

ما دام مَغناكم فليس بسائل أحوَى فُروعاً أم أقلَّ أُصولا
أنتم بنُوا المجد المؤثَّل والنَّدى لكمُ السيّادة صِبْية وكُهولا

أنّيل إنْ أحصَى لكم حسناتِكم ملأَ الزّمانَ محاسناً والجيلا
أحيَى أبوكم شاطِئَيْهِ وابتنى مَجداً لمصر على الزّمان أثيلا
نَشرا الحضارة فوق مصرَ وسوريا وامتدّ ظِلاً للحجاز ظَليلا
وأعاد للعرب الكرام بيانَهم وحمَى الى البيت الحرام سبيلا
سُبحان من لا عزَّ إلا عزُّه يبقَى ولم يكُ مُلكهُ ليزولا
لا تَستطيع النّفسُ فى ملكوته إلا رضًى بقضائه وقبولا
أَلخيرُ فيما اختاره لعباده لا يَظلمُ الله العباد فَتيلا
ياليتَ شِعرى هل يُحطّم سيفُه لِلبَغْيِ سيفاً فى الورى مَسلولا؟
سلَب البريَّة سِلمها وهناءها ورمى النفوس بألف عزرائيلا
زال الشباب عن الديار وخلّفوا للباكيات الثّكل والتّرميلا
طاحوا فطاح العلم تحت لوائهم وغدا التّفوُّق والنّبوغ قتيلا
الله يشهد ما كفرتُ صنيعه فى ذا المقام ولا جحدتُ جميلا
أأَخُونُ اسماعيلَ فى أبنائه ولقد وُلدت بباب اسماعيلا
ولبست نعمته ونعمة بيته فلبست جَذلا وارتديت جميلا
ووجدتُ آبائى على صدق الهوى وكفَى بأَباء الرِّجال دليلا

رُؤيا علىّ يا حُسين تأوّلت ما أصدق الأحلامَ والتّأويلا
واذا بُناة المجد راموا خُطّة جعلوا الزّمان مُحقّقا ومُنيلا
القومُ حين دَهَا القضاء عقولَهم كسروا بأيديهم لمصر غلولا

هدموا بوادى النيل ركن سيادة ... لهم كركن العنكبوت ضئيلا
إرْقَأْ سرير أبيك والبس تاجه ... وأكرم على القصر المشيد نزيلا
مرّت أُوَيقاتٌ عليه مُوحشاً ... كالرّمس لا خلواً ولا مأهولا
ليست معالى الأمر شيئاً غائباً ... عنكم وليس مكانكم مجهولا
ياأكرم الأعمام حسبك أن ترى ... للعبرتين بوجنتيك مثيلا
من عثرة ابن أخيك تبكى رحمة ... ومن الخشوع لمن حباك جزيلا
ولو استطعت اقالة لِعثاره ... من صَدمة الأقدار كنت مُقيلا
ياأهل مصر كِلُوا الأمور لربِّكم ... فالله خيرٌ مَوْئِلاً ووكيلا
جرت الامور مع القَضاء لغايةٍ ... وأقرّها مَن يَملكُ التّحويلا
واذَا أراد الله أمراً لم تَجدْ ... لقضائه رَدًّا ولا تبديلا

﴿ وقال احمد أفندى نسيم المولود سنة ١٨٧٨ م يهنىء المرحوم السلطان حسين كامل ﴾

سَنَاءٌ لِلأريكة مُستَهلٌّ ... يَزيد جلالَه الملكُ الأجلُّ
رقَى عرَش البلاد ونال مُلكا ... به الدنيا تَلوذُ وتَستظِلّ
أعزّ النّاس فى مصر عليها ... وأكرمُ من نُحِبُّ ومن نجِلّ
لَمحنَا فيه نجم السّعد حتى ... عرفنا كيف يشرق أو يَهِلّ
مشَى لك يا ابن اسماعيل عرَشٌ ... تَمنّى مجدَه القمرُ المُطِلّ
سَما حتى استطال على عُروش ... اذا ثُلّت فباقٍ لا يُشَلّ
فمُلك أبيك زادته اللّيالى ... عُلاً أضحت لغيرك لا تُجَلّ
وما جَهلتْكَ سُدّته ولكنْ ... لكل مليحة خَفَرٌ ودَلّ
فأحْيِى أريكةَ الأهرام حتّى ... يرفُّ لها على الآفاق ظِلّ

﴿ وقال حضرة السيد احمد الهاشمي مؤلف هذا الكتاب مُهنئا حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول [1] بعيد جلوسه على عرش مصر ﴾

سَبِّحْ وغرِّد يا حمام الوَادِي ... وارْفَعْ تهانِينَا لِشِبْل فُؤادِ
فَارُوق قَدْ مَلَكَ القُلوبَ بأسْرِهَا ... ولَهُ على كلّ الأنَامِ أيَادى
مَلِكٌ عليه من الجَلالةِ شَارَةٌ ... بِرعَايَة اللهِ الحفيظِ الهَادى
مَلِكٌ عظيمٌ قد تَوَطّدَ عَرشُهُ ... بسُيُوف آبَاءٍ لَهُ أجوَادِ
عِيدُ المليكِ يَعِزّ يَوْمُك إنَّه ... رُوحُ الحيَاةِ وغُرَّةُ الأعيَادِ
فَالشّعْبُ بَينَ مُكبِّرٍ ومُهَلِّلٍ ... يَدعُو بطُول حيَاتِه ويُنادِى
قُلْ للمليك وقد تَسَامَى نَجمُهُ ... بين الكواكب بالسَّنَاءِ البَادى
لا زلتَ مرفوعَ العِماد مُؤَيَّداً ... بالنَّصر والإقبال والإسعَادِ
والهاشمي : يَشدُو ويَهتفُ قائلاً ... فلْيحيَ فاروقٌ ويحى الوَادى

﴿ وقال الأستاذ الكبير على بك الجارم مهنئاً حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول بعيد الجلوس فى ٢٩ يوليه سنة ١٩٣٧ من قصيدة طويلة ﴾

خَشَعَتْ لفيض جَلالِكَ الأبْصَارُ ... وزَكَتْ بمسك خِلالك الأشعَارُ

---

(١) هو الملك « فاروق الاول » ابن المغفور له الملك أحمد فؤاد الاول ابن عظيم مصر الخديوى اسماعيل . ولد الملك « فاروق » حفظه الله بسراى عابدين بمصر يوم الاربعاء فى ٢١ جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ هـ ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ م وخلف والده المغفور له الملك أحمد فؤاد الاول على عرش مصر فى يوم الثلاثاء ٧ صفر سنة ١٣٥٥ هـ ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٦ م وتولى سلطاته الملكية فى ٢١ جمادى الاولى سنة ١٣٥٦ هـ ـ ٢٩ يوليه ١٩٣٧ م وهو فخر شباب مصر وممثل مجدها الطارف والتليد وصفوة اخيار ملوكها الغر الميامين ـ وعقد خطبته المباركة بحضرة صاحبة الجلالة الملكة فريده هانم ذى الفقار فى ٢٢ اغسطس سنة ١٩٣٧ م

وتوسّمت مِصرُ العُلا فى طَلعةٍ ... قد حفَّها الإجلالُ والإكبارُ
مَلِكٌ تَغارُ النَّيِّراتُ إذَا بدا ... أسَمِعْتَ أنّ النّيِّراتِ تَغارُ؟
وَدَّتْ لَوْ اشتَملَت بفضل رِدائهِ ... هَيْهَاتَ ثوبُ المجدِ ليس يُعَارُ
شتّانَ بينَ النَّيِّرات ومَنْ به ... سُبُلُ البُطولةِ والحَياةِ تُنارُ
تُهدَى العيونُ بضَوْئِهِنَّ وضَوْءُهُ ... تُهدَى البَصائرُ فيه والأبصارُ
مِن حُسْنِهِ اختَلَسَ الأصيلُ جَمالَهُ ... وبِبِشْرِهِ تَتَبَسَّمُ الأسْحارُ

ومنها

فارُوقُ عيدُك هزّ أدواحَ المُنى ... وتَعطَّرت بعَبيرِه الأزْهارُ
أنعِم بِمَا أُوتيتَ واهْنأ شاكِراً ... نِعَمَ الإلهِ فإنّهنّ غِزارُ
لا زِلتَ بالنّصرِ المُبينِ مُتَوَّجاً ... تَحيَا بك الأوطانُ والأوطَارُ

الباب السابع في المراثى

﴿ قال المُهلهل التّغلبى يرثى أخاهُ كليباً وهو جاهلى توفى سنة ٥٣١ م ﴾

أهَاجَ قَذَاءُ عَينِيَ الاذكارُ؟ ... هُدُوءًا فالدُّموعُ لها انهمارُ
وصار اللّيل مُشتمِلاً علينا ... كأنَّ اللّيلَ ليس له نهارُ
وبِتُّ أُراقِبُ الجوزاءَ حتّى ... تقَارَب من أوائلها انْحدارُ
أُصرِّف مُقلتَى فى إثْرِ قومٍ ... تَبَاينت البلادُ بهم فغَارُوا
وأبكِي والنّجومُ مُطلّعاتٌ ... كأنْ لم تَحْوِها عَنّى البحار
على مَن لو نُعيت وكان حيًّا ... لَقاد الخيلَ يَحجُبُها الغُبار
دَعوتك يا كُلَيْبُ فلم تُجبنى ... وكيف يجيبُنى البلَدُ القِفَارُ؟
أجِبنى يا كُلَيب خَلاكَ ذمٌّ ... لقد فُجِعتْ بفارسها نِزَار

سقاك الغيثُ إنّك كنتَ غيثاً ... ويُسْراً حين يُلتمسُ اليَسار
أبتْ عيناىَ بعدك أن تكُفّا ... كأنّ غضَا القتاد لها شِفَار
وإنك كنتَ تحلُمُ عن رجالٍ ... وتعفُو عنهُم ولك اقتدار
وتَمنعُ أن يَمَسَّهُمُ لِسَانٌ ... مخافةَ مَن يُجير ولا يُجَار
وكنت أُعدّ قُربى منك رِبْحاً ... اذا ما عدّتِ الرِّبْحَ التِّجَارُ
فلاَ تَبعُد فكلٌّ سوفَ يَلقَى ... شُعوباً يَستديرُ بها المَدار
يَعيشُ المرءُ عند بَنى أبيه ... ويُوشك أن يصير بحيث صَارُوا
أرى طُولَ الحياة وقد تولّى ... كما قد يُسْلب الشّيءُ المُعار
كأنّى إذ نَعى النّاعى كُليباً ... تَطايرَ بين جَنْبَىَّ الشّرار
فَدُرتُ وقد غشى بَصرى عليه ... كما دارت بِشاربِهَا العُقَار
سَألتُ الحىَّ أين دَفنتموه؟ ... فقالوا لى بأقصى الحىِّ دار
فسِرتُ اليه من بلدى حَثيثاً ... وطار النَّوم وامتنع القرَار
وحَادتْ ناقتى عن ظِلِّ قبرٍ ... ثَوَى فيهِ المكارمُ والفَخار
أتغدُو يا كليبُ معِى إذا ما ... جبَان القوم أنجاه الفِرار؟
خُذِ العهد الأكيدَ علىَّ عُمْرِى ... بتَركى كلَّ ما حوت الدّيار
ولستُ بخالعٍ درعى وسَيفى ... إلى أن يَخلعَ اللّيلَ النَّهارُ

﴿ وقال صفىّ الدّين الحلِّى المتوفى سنة ٧٥٠ هـ يرثى غريقاً ﴾

أصفيحُ ماءٍ أم أديمُ سماءِ ... فيهِ تَغُور كواكب الجوزاءِ
ما كنت أعلَم قبل موتك مُوقِناً ... أنّ البدور غرُوبها فى الماءِ
ولقد عجبت وقد هويت بلُجّة ... فجرى على رِسْلٍ بغير حَياءِ

لو لم يُشقَّ لك العباب وطالما أشبهتَ موسى باليد البيضاءِ
أنِفَ العلاء عليك من لَمس الثّرى وحلول باطن حُفرة ظلماءِ
وأجلّ جسمك أن يغيّر لطفه عفن الثّرى وتكاثُف الأرجاءِ
فأحلّه جَدثاً طهوراً مُشبِهاً أخلاقه فى رِقّة وصفاءِ
ما ذاك بِدعاً أن يضمّ صفاؤه نوراً يَضِنُّ به على الغبراءِ
فالبحر أولى فى القياس من الثّرى بجوار تلك الدُّرَّة الغرّاءِ

﴿ وقال أيضاً يرثى الملك ناصر الدين عمر ﴾

بكى عليك الحُسام والقلَمُ وانفجع العلمُ فيك والعلَمُ
وضجّتِ الأرضُ فالعبادُ بها لاطِمةٌ والبلاد تلتطِمُ
تُظهِر أحزانها على مَلِك جُلُّ ملوك الورى له خَدَمُ
أبلَجَ غضّ الشّباب مُقتبَل الـ عُمر ولكنْ مجدُه هرِمُ
محكّم فى الورى وآمِلُه يحكُم فى ماله ويَحتكِم
يجتمع المجدُ والثناء له وماله فى الوُفود يُقتسم
قد سَئِمتْ جُودَه الأنامُ ولا يلقاه من بذله النّدى سأم
ماعُرِفت منه «لا» ولا «نعم» بل دونهنّ الألاء والنّعمُ
ألواهبُ الألف وهو مبتسمٌ والقاتل الألف وهو مُقتحِم
مبتسمٌ والكُماةُ عابسة وعابسٌ والسُّيوف تبتسم
لم يعلم العالَمون ما فقَدُوا منه ولا الأقرَبُون ما عَدِموا
ما فقدُ فردٍ من الأنام كمن إن مات ماتت لفقده أُمَمُ
يا طَالبَ الجُود قد قُضِى عمرُ فكلّ جودٍ وُجُودُه عدَمُ

فالناسُ كالعين إنْ نَقدْتهمُ تفاوَتَتْ عنـد نقدك القِيَم
مضى الذى كان للأنام أباً فاليومَ كلُّ الأنام قد يَتِموا
وحلَّ داراً ضاقت بساكنها ودون أدنى دياره إرَم

﴿ وقال أبو الحسن التّهامى يرثى صغيراً له ويفتخر بفضله ويشكو زمانه وحاسديه ﴾

حُكْمُ المَنِيَّة فى البريّة جارِ ما هذه الدّنيا بدَار قَرارِ
بَيْنَا يُرى الإنسانُ فيها مُخْبِرًا حتى يُرَى خبراً من الأخبار
طُبِعت على كَدَر وأنت تُريدُها صفْواً من الأقذار والأكدار
ومُكلّفُ الأيام ضِدّ طِباعها مُتطلِّبٌ فى الماءِ جَذْوَة نار
وإذا رَجوتَ المُستحيلَ فانّما تَبْنِى الرّجاءَ على شَفِيرٍ هار
فالعيشُ نَومٌ والمنيَّة يَقظةٌ والمرءُ بينهما خَيالٌ سار
فاقضُوا مآربكم عِجالا إنّما أعماركم سَفرٌ من الأسفار
وتراكضوا خيل الشّباب وبادروا أن تُستردّ فانّهنَّ عوَار
فالدّهرُ يَخدَع بالمُنَى ويَغُصّ إن هنّا ويَهدِمُ ما بُنِى ببوَار
ليس الزّمان وان حرَصت مُسالماً خُلُقُ الزّمانِ عَداوةُ الأحرارِ
إنّى وُترتُ بصارمٍ ذى رَوْنَقٍ أعددْته لِطلابَةِ الأوتار
والنّفس ان رضيت بذلك أوأبت مُنْقَادةٌ بأزمّةِ المِقْدار
أثنى عليهِ بأثرِهِ ولو أنهُ لم يُغتَبطْ أثنيتُ بالآثار
يا كوكباً، ما كانَ أقصرَ عُمرَهُ وكذاك عمرُ كواكبِ الأسحار
وهلال أيامٍ مضَى لمْ يَستدر بدْرًا ولم يُمْهَل لوقتِ سِرارِ
عَجِلَ الخسوفُ عليه قبل أوانه فمحاهُ قبل مَظِنَّةِ الإبدار

واستُلَّ من أترابهِ ولِداتِهِ كالمُقْلةِ استُلَّت من الأشفار
فكأنّ قلبى قبرُه وكأنّهُ فى طيّهِ سِرٌّ من الأسرارُ
إنْ يُعتبَط صِغراً فربُّ مُقمِّم يبدُو ضئيل الشّخصِ للنُّظّار
إنّ الكواكب فى علُوٍّ محلّها لتُرَى صِغَاراً وهى غير صِغار
وَلَدُ المُعزَّى بعضهُ فاذا مضى بعضُ الفتى فالكلّ فى الآثار
أبكيهِ ثم أقولُ مُعتذراً لهُ وُفِّقتَ حين تركتَ أُلأَمَ دارِ
جاورْتُ أعدائى وجاورَ ربَّهُ شتّانَ بين جِوارهِ وجِوارى

ثوبُ الرِّياءِ يَشِفُّ عمّا تحتَهُ واذا التَحفْتَ به فانّك عار
قَصُرَتْ جفونى أم تباعدَ بَينُها أم صُوِّرتْ عينى بلا أشفار
جفَتِ الكَرَى حتى كأنَّ غِرارَه عند اغتماض العين وَخزُ غِرار
ولو استزَارتْ رَقْدَةً لَطحَا بها ما بين أجفانى من التَّيار
أُحيِى اللّيالى التِّمَّ وهى تُميتُنى ويُميتُهنَّ تبلُّجُ الأسحار
حتى رأيت الصُّبح تهتِك كفُّه بالضَّوءِ رفرَف خَيْمةٍ كالقَار
والصُّبح قد غمرَ النُّجوم كأنّه سَيلٌ طَغَى فَطفَا على النُّوّار
والهُونُ فى ظلّ الهُوَينا كامِنٌ وجَلالة الأخطار فى الإخطارِ
تَندَى أسِرَّة وجهه ويمينهُ فى حالة الإعسار والإيسار
ويَمُدُّ نحو المكرُمات أناملاً للرّزق فى أثنائهنَّ مَجارِ
يَحوِى المعالىَ كاسِباً أو غالباً أبداً يُدَارَى دونَها ويُدارِى
قدلاح فى ليل الشّباب كواكبٌ إنْ أُمهلتْ آلتْ الى الإسفار
وتلهُّبُ الأحشاءِ شَيَّبَ مفرقى هذا الضياءُ شُواظُ تلك النّار

شَابَ القَذَالُ وكل غُصن صائرٌ ... فَينَانُه الأحوَى الى الإزهار
والشِّبْهُ مُنجذِبٌ: فَلِمْ بِيضُ الدُّمى ... عن بيض مَفرَقه ذوات نِفار
وتَوَدّ لو جعلتْ سوادَ قلوبها ... وسوادَ أعيُنِها خِضاب عِذَار
لاتَنفِرُ الظبياتُ عنه فقد رأتْ ... كيف اختلاف النَّبت فى الأطوار
شيئان يَنْقشِعان أوَّل وَهْلة ... ظِلُّ الشّباب، وخُلةُ الأشرار
لاحبَّذا الشّيبُ الوفىّ وحبّذا ... ظِلُّ الشّباب الخائنِ الغدَّار
وَطرِى من الدُّنيا الشَّباب وروقهُ ... فاذا انقضَى فقدا نقضت أوطارى
قصُرَتْ مَسافتُه وما حسنَاته ... عندى ولا آلاؤهُ بقِصار
تزداد هَمًّا كلّما ازددنا غِنىً ... والفقر كلُّ الفقر فى الإكثار
مازَاد فوق الزّاد خُلِّفَ ضَائعا ... فى حادث أو وارثٍ أو عار
إنّى لأرحمُ حاسِدِىَّ لِحَرّما ... ضمِنت صُدورهمُ من الأوغار
نَظَروا صَنيع الله بى فعيونهم ... فى جنَّةٍ وقلوبُهم فى نار
لاذنبَ لى قدرُمت كتْم فضائلى ... فكأنّما برقعتُ وجهَ نهار
وستَرتها بتواضُعى فتطلّعت ... أعناقُها تعلو على الأستار
ومن الرجال مَعالمٌ ومَجاهِل ... ومن النُّجوم غوامضٌ ودرارى
والنّاس مُشتبهونَ فى إيرادهم ... وتفاضلُ الأقوام فى الإصدَار
عمرى لقد أوطأتهم طُرق العلا ... فَعمُوا فلم يقفوا على آثارى
لو أبصرُوا بقلوبهم لاستبصروا ... وعَمَى البصائرِ من عَمى الأبصار
هَلاّ سَعوا سَعْىَ الكِرام فأدركوا ... أو سلَّموا لمواقع الأقدَارِ
ولربما اعتَضَدَ الحليم بجاهل ... لاخيرَ فى يُمنى بغير يَسار

﴿ ولأبى البقاء صالح بن شريف الرّندى المتوفى سنة ٧٩٨ هـ يرثى الأندلس ﴾

لِكلّ شىءٍ إذا ما تمّ نُقْصانُ ... فلا يُغَرُّ بطِيب العيش إنسانُ

هىَ الأمورُ كما شاهدتها دُوَلٌ ... مَنْ سَرّه زَمَنٌ ساءتْهُ أزمانُ

وهذه الدَّار لا تُبقِى على أحدٍ ... ولا يَدوم على حالٍ لها شانُ

يُمزِّق الدهرُ حتماً كلّ سابغة ... إذْ نَبتْ مَشْرَفيَّاتٌ وخُرْصانُ

ويَنتَضى كلَّ سيف للفناءِ ولو ... كان ابْنَ ذى يَزَنٍ والغِمدَ غُمْدَان

أين الملوك ذَوُوا التيجان من يَمن ... وأين منهم أكاليلٌ وتِيجان ؟

وأين ما شاده شَدّاد فى إرَمٍ ... وأين ما ساسه فى الفُرْس ساسان ؟

وأين ما حازه قارونُ من ذَهَب ... وأين عادٌ وشدّادٌ وقَحْطَان ؟

أتى على الكلِّ أمرٌ لا مَرَدَّ له ... حتى قَضَوْا فكأنّ القوم ما كانُوا

وصار ما كان من مُلْك ومن مَلِك ... كما حكى عن خيال الطَّيْف وَسْنان

دارَ الزمانُ على « دَارا » وَقاتِلِه ... وأمّ كِسْرَى فما آواه إيْوَان

كأنّما الصَّعْبُ لم يَسهُل له سَبَبٌ ... يوماً ولا مَلَكَ الدُّنيا سُليمان

فجائعُ الدهر أنواعٌ مُنوّعة ... وللزّمان مَسرّاتٌ وأحزان

وللحوادث سُلْوانٌ يُسهّلها ... وما لِما حلَّ بالاسلام سُلْوَان

دهَى الجزيرةَ أمرٌ لا عزَاءَ له ... هَوَى له أُحُدٌ وانْهَدّ ثَهْلان

أصابَها العَين فى الإسلام فارتَزأتْ ... حتى خلَتْ منه أقطار وبُلْدان

فاسْأل « بَلَنسيةً » ما شأنُ مُرْسِيَة ... وأين شاطبةٌ أمْ أين جيَّانُ ؟

وأين « قُرْطبةٌ » دارُ العلوم فكم ... من عالِمٍ قد سما فيها له شَان ؟

وأين « حِمْصٌ » وما تحويه من نُزَهٍ ... ونَهرُها العَذْب فيّاض وملآنُ ؟

قواعدٌ كنّ أركانَ البلاد فما عَسى البقاء اذا لم تَبْق أركان
تبكى الحَنيفيّة البيضاء من أسَفٍ كما بكى لِفراق الإلف هَيمان
على ديارٍ من الأسلام خالية قد أقْفَرَتْ ولها بالكفر عُمْران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهنّ إلاَّ نَواقيسٌ وصُلبَان
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة حتى المَنابِر ترثى وهى عيدان
يا غافِلا وله فى الدّهر موعظة إنْ كنت فى سِنَة فالدّهرُ يَقْظان
وماشِياً مَرِحاً يُلْهيهِ موطِنُهُ أبعْدَ حِمْص تَغُرُّ المرءَ أوطان ؟
تلك المُصيبة أنسَتْ ما تَقدَّمَها وما لها من طوال الدَّهر نِسيان
يا راكبين عِتَاق الخيل ضامرة كأنّها فى مَجال السَّبْق عِقْبان
وحاملينَ سيوفَ الهند مُرْهَفَةً كأنّها فى ظلام النَّقع نيران
وراتِعين وراءَ البحر فى دَعَةٍ لهم بأوطانهم عِزٌّ وسلطان
أعِندكم نبأٌ من أهل أنْدَلُس فقد سرَى بحديث القوم رُكبان ؟
كم يَستَغيث بِنا المُستضعَفونَ وهم قَتلى وأسْرَى فما يَهتزّ إنسان ؟
ما ذا التّقاطُع فى الاسْلامِ بينكُم وأنتُمُ يا عبادَ الله إخوانُ ؟
ألاَ نُفوسٌ أبيَّات لها هِممٌ أمَا على الخير أنصار وأعوان ؟
يا من لِذِلّةِ قومٍ بعد عزّهِم أحال حالَهمُ جَوْرٌ وطُغْيان
بالأمس كانوا ملوكا فى منازلهم واليومَ هم فى بلاد الكفْر عُبْدانُ
لمثل هذا يَذُوب القلب من كَمدٍ ان كان فى القلب إسلامٌ وإيمان

﴿ وقال أبو الطيّب المتنبي يرثي أبا شجاع فاتِكا ﴾

ألحُزْن يُقلِق والتَّجمُّل يَرْدَعُ والدَّمعُ بينهما عَصِيٌّ طَيِّعُ

يتنارعان دُموعَ عينٍ مُسهَّدٍ هذا يَجيء بها وهذا يَرْجع
النَّوم بعد أبى شُجاع نافرٌ والليلُ مُعْنٍ والكواكبُ طُلّع
إنّى لأَجبُنُ من فراق أحبّتى وتُحِسُّ نفسى بالحِمَام فأشجُعُ
ويَزيدنى غضَبُ الأعادى قَسْوةً ويُلِمُّ بى عَتْب الصّديق فأجزع
تَصفو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ عمّا مَضَى منها وما يُتوقّع
ولِمَن يُغالطُ فى الحقائق نَفْسَهُ ويَسومُها طَلَب المُحال فتَطْمَع
أين الذى الهرَمانِ من بُنيانه ما قومُه ما يومُه ما المَصرع ؟
تَتخلّفُ الآثار عن أصحابها حِيناً ويُدركها الفَنَاء فتتْبَع

﴿ وقال عبد المجيد بن عبدون الفهرى المتوفى سنة ٥٢٠ هـ راثياً ملوك ﴾

« بنى الأفطس من قصيدة طويلة ممتعة فى التاريخ والأدب : ومطلعها »

أَلدّهر يَفجعُ بعد العين بالأثرِ فما البُكاء على الأشباح والصُّورِ
أنهاكَ أنهاكَ لا أنهاكَ واحدةً عن نَومة بين نَاب اللّيث والظّفر
فالدّهر حربٌ وان أبدى مُسالمةَ فالبِيض والسُّمر مِثْلُ البيض والسُّمر
ولا هَوادة بين الرأس تأخذه يدُ الضّراب وبين الصّارم الذّكر
فلا يُغرَّنْك من دُنياك نومتُها فما صناعة عينيها سوى السَّهر
فباللّيالى أقال الله عَثْرتَنا من اللّيالى وغالتها يد الغِيَرِ
فى كلّ حين لها فى كلّ جارحة منّا جراح وإن زاغت عن البصر
تسرّ بالشىء لكن كى تغرّ به كالأيم ثار إلى الجانى من الزّهر
كم دولةٍ وُليت بالنّصر خدمتها لم تُبق منها وسَل دُنياك عن خَبر

﴿ وقال أبو ذُؤيب يرثى أولاده ﴾

أمِنَ المنُون وريبها تتوجّعُ ... والدّهر ليس بمُعتِبٍ مَن يجْزَعُ
قالت أمامة ما لجسْمك شاحباً ... مُنذ ابتُذِلْت ومثل مالك ينفعُ
ولقد حرصتُ بأن أدافع عنهمُ ... وإذَا المنيَّة أقبلتْ لا تُدْفعُ
وإذا المَنِيَّة أنشبت أظفارها ... ألفيتَ كلّ تَميمة لا تَنفعُ
فالعين بعدهمُ كأنّ جفونها ... كُحِلتْ بشَوْكٍ فهى عُورٌ تَدْمعُ
وتَجلُّدِى للشّامتين أُريهم ... أنّى لرَيب الدّهر لا أتضعضع
حتى كأنّى للحوادث مَرْوة ... نِصفَ المشقّر كلّ يوم تقرَع
لابُدّ من تَلفٍ مُقيم فانتظرْ ... أبِأرض قومك أم بأُخرى المضجع
ولقد أرَى أن البكاء سفاهة ... ولسوف يولع بالبكا مَن يُفْجَع
وليأتِينّ عليك يوماً مرّة ... يبكى عليك مُعنَّفاً لا تسمع
فلئنْ بهم فَجَع الزّمان وريبه ... إنى بأهل مَوَدّتى لمفَجَّع
والنّفس راغبة إذا رغّبتها ... وإذا تُرَدُّ إلى قليل تَقْنَع

﴿ وقال أبو الحسن الأنبارى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ يرثى أبا طاهر بن بقية وزير عزّ الدولة لما قُتل وصُلب [1] وهى من أعظم المراثى ولم يسمع بمثلها فى مصلوب حتى أنّ عضد الدولة الذى صلبه تمنّى لو كان هو المصلوب وقيلت فيه ﴾

عُلُوٌّ فى الحياةِ وفى الممَاتِ ... لَحق تِلك إحدَى المُعجزاتِ

(١) وذلك لما استعر الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة ظفر عضد الدولة بوزير عز الدولة أبى طاهر محمد بن بقية فطرحه للفيلة فقتلته ثم صلبه عند داره بباب الطاق وعمره نيف وخمسون سنة ، ولما صلب رثاه أبو الحسن محمد بن عمران يعقوب الأنبارى احد العدول ببغداد بهذه القصيدة المذكورة

كأنّ النّاس حولكَ حين قَامُوا ... وُفودُ نَدَاك أيام الصِّلَاتِ
كأنّكَ قائمٌ فيهمْ خَطِيباً ... وكلُّهُمُ قيامٌ للصَّلَاتِ
مَددتَ يَديكَ نحوهُمُ احْتِفاءً ... كمَدّهما إليْهِمْ بالْهِبَاتِ
ولمّا ضَاق بَطْنُ الأرضِ عن أنْ ... يَضُمّ عُلَاكَ مِنْ بَعْدِ الوفاةِ
أصَارُوا الجَوّ قبرَك واستعاضوا ... عن الأكْفان ثَوب السّافِيات
لعُظْمِك فى النّفوس تَبيت تُرعَى ... بحُرّاس وحُفّاظ ثِقات
وَتُوقدُ حولك النّيرانُ ليلاً ... كذلك كُنْتَ أيّامَ الحياة
ركِبتَ مَطِيَّةً منْ قبلُ زَيدٌ ... عَلَاهَا فى السّنينَ الماضيات
وتِلْكَ قَضِيَّةٌ فيها تَأسٍّ ... تُباعِدُ عنكَ تَعْيِيرَ العُدَاةِ
ولم أرَ قبل جِذعِك قَطُّ جِذْعاً ... تَمكّن مِنْ عِنَاق المكْرُمات
أسأتَ إلى النّوائبِ فاستثَارَت ... فأنْتَ قَتِيلُ ثأرِ النّائبات
وكنتَ تُجيرُنا من صَرف دهر ... فعَادَ مُطالباً لك بالثّرات
وصَيّرَ دَهرُكَ الأحسانَ فيهِ ... إلينا من عَظيم السّيئاتِ
وكُنتَ لمعْشَرٍ سعْداً فلمّا ... مَضيْتَ تفرّقُوا بالمُنحِسات
غليلٌ باطنٌ لك فى فُؤادى ... يُخَفّف بالدُّموعِ الجاريات
ولو أنّى قدَرْتُ على قِيام ... بفَرْضك والحُقوق الواجبَات
ملأتُ الأرْض من نظم القوافى ... ونُحتُ بها خِلاف النّائحاتِ
ولكنّى أُصبّرُ عنك نَفْسى ... مَخافَةَ أنْ أُعدّ من الجُنَاة
ومالكَ تُربةٌ فأقولُ تُسقَى ... لأنّكِ نُصْبَ هَطل الهاطلات
عليك تَحيّةُ الرّحمن تترَى ... برَحماتٍ غَوادٍ رَائحات

﴿ وقال بَهاء الدين زُهير المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ﴾

أَرَاكَ هَجرتَنِي هَجراً طويلا ... وما عوّدتنى من قبلُ ذَاكا
عَهدتك لا تُطيق الصّبر عنّى ... وتَعصَى فى وِدَادِى مَن نَهاكا
فكيفَ تَغيّرتْ تلك السَّجايا ... وَمن هـذا الذى عَنِّى ثَناكا
فلا واللهِ ما حاولتَ غَدراً ... فكلُّ النّاس يَغدُر ما خَلاكا
وما فارقْتَنِي طوعاً ولكن ... دَهاك من المنيّة ما دَهاكا
فيامَن غابَ عَنّى وهو رُوحى ... وكيفَ أطيق من رُوحى انفكاكا
يَعِزُّ علىّ حين أُدير عَينى ... أُفتّشُ فى مكانِك لا أراكا
خَتمتُ على ودَادك فى ضميرى ... وليس يَزَال مَختوماً هُناك
فَوا أسفى لجسمِك كيف يَبلَى ... ويذهبُ بعدَ بهجته سَنَاك
فياقبر الحبيب ودِدتُ أنّى ... حَمَلت ولو عـلى عَينى ثَراكا
ولا زال السّلام عليك منّى ... يُزَفّ على النّسيم إلى ذُراكا

﴿ وقالت السَّيدة تُماضِرُ الخنساء الشاعرة المُخَضْرمَة المتوفاة فى خلافة معاوية ﴾

(قبل سنة ٤٦ هـ ـ راثية أخاها صَخراً)

قَذًى بِعَيْنَيْكَ أَم بالعين عُوّارُ ... أم أقفرتْ اذْ خَلَتْ من أهلها الدَّارُ
كأنَّ عَينى لِذِكراهُ إذا خَطرت ... فيضٌ يَسيل على الخدّين مِدرارُ
تبكِي خُناسٌ على صَخر وَحقَّ لها ... إذْ رَابَهَا الدّهر إنّ الدّهر ضَرّارُ
لابُدَّ من مِيتَةٍ فى صَرفِهَا عِبَرٌ ... والدّهر فى صَرفه حَولٌ وأطوارُ
يا صَخرُ وِرّادَ ماءٍ قد تَوارَدهُ ... أهلُ الموارد ما فى وِردِهِ عارُ
وإنَّ صَخراً لَحَامِينَا وَسيّدنا ... وإنَّ صَخراً إذا نَشتو لَنحّارُ

وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهُداةُ بهِ ... كأنّهُ علَمٌ فى رأسه نارُ
لم ترَهُ جارةٌ يمشى بساحتها ... لريبة حين يُخلى بَيتَهُ الجارُ
مثل الرُّدينىّ لم تنفُدْ شَبيبتهُ ... كأنّه تحت طَىّ البُرْدِ أسوَارُ
طَلقُ اليَدينِ بفعل الخير مُعتَمِدٌ ... ضَخمُ الدَّسيعة بالخَيرَات أمّار
حَمالُ ألوِيةٍ ، هبَّاطُ أوْديَةٍ ... شهّادُ أندِيةٍ ، للجيش جرّارُ

﴿ وقالت أعرابية ترثى ابنها ﴾

أيا ولدى قد زَاد قلبى تلَهُّباً ... وقد حرَقت منّى الشؤُونُ المدامعُ
وقد أضرمت نارُ المصيبة شُعلَةً ... وقد حَميَت منّى الحَشا والأضالعُ
وأسألُ عنك الرّكب هل يخبرُونَنى ... بحالِكَ كَيْمَا تَستكِنُّ المَضَاجعُ
فلم يكُ فيهم مُخبِرٌ عنك صادقٌ ... ولا فيهمُ مَن قال إنَّك راجع
فيا ولدى مُذ غِبتَ كَدَّرْتَ عيشتى ... فقلبىَ مَصدُوعٌ وطرفىَ دَامع
وفكرىَ مَسقومٌ وعقلىَ ذَاهبٌ ... ودَمعىَ مَسفوحٌ ودَارِى بَلاقع

(وقالت لَيلَى الأخيليّة المُتوفَّاة سنة ٨٠هـ)

لَعمرُك ما بالموتِ عارٌ على الفتى ... إذا لم تُصبه فى الحياة المَعايرُ
وما أحدٌ حَىٌّ وإن عَاش سالماً ... بأخلدَ مِمّن غيَّبتْهُ المقابرُ
ومَن كان مما يُحدِث الدَّهر جازِعاً ... فلا بُدّ يوماً أن يُرَى وهو صابر
وليس لذى عيش عن الموت مقصر ... وليس على الأيام والدهر غابر
ولا الحىّ مما يُحدث الدَّهر مُعتبٌ ... ولا الميت ان لم يصبر الحىّ ناشِرُ
وكل شباب أو جديد إلى بِلَى ... وكل امرىء يوماً إلى الله صائر

(وقالت عائشة هانم التيمورية المتوفاة سنة ١٣٠٠ هـ ترثى ابنتها توحيدة)

إنْ سالَ من غَرْب العيُون بُحورُ فالدّهر باغٍ والزّمانُ غدُورُ
فلكلّ عين حقّ مِدْرار الدّما ولكلّ قلبٍ لَوعةٌ وثبُورُ
سُترِ السّنا وتحجّبت شمس الضّحى وتَغيّبت بعد الشّروق بدُور
وَمضى الذى أهوى وجرّ عَنى الأسَا وغدَت بقلبى جَذْوَةٌ وسَعير
يا ليتهُ لمّا نَوى عَهد النّوى وافَى العيُون من الظّلام نذير
ناهيك ما فعلت بماءِ حَشَاشتى نارٌ لها بَين الضّلُوع زَفير
لو بُثَّ حُزنى فى الورى لم يُلتفَت لمُصاب قَيسٍ والمُصَابُ كبير
طافتْ بشهر الصّوم كاساتُ الرّدى سَحَراً وأكوابُ الدّموع تدور
فتناولَتْ منها ابنَتى فتغيّرت وجنَاتُ خدّ شانَها التّغيير
فذَوتْ أزاهيرُ الحياة بروْضها وانقدَّ منها مائسٌ ونَضير

لَبسَتْ ثيابَ السّقم فى صِغَرٍ وقد ذاقَتْ شرَاب الموت وهو مَرير
جاء الطّبيب ضُحًى و بَشّر بالشّفا انّ الطّبيب بطبّه مغرور
وَصفَ التّجرُّع وهو يزعُم أنهُ بالبُرءِ من كلّ السّقام بشير
فتنفّسَتْ للحزْن قائلة له عَجّلْ ببُرئى حيثُ أنتَ خبير
وارْحم شبابى إنّ والدتى غدَتْ ثَكْلَى يشير لها الجوَى وتُشير
وارأف بعينٍ حُرّمت طِيب الكَرَى تشكو السُّهاد وفى الجُفُون فتُور
لمّا رأتْ يأس الطّبيب وعجزَه قالت ودَمعُ المُقلَتين غزِير
أمّاه قد كَلَّ الطّبيبُ وفاتنى ممّا أُؤمّلُ فى الحياة نصير
أمّاه قد عزَّ اللّقاء وفى غدٍ سَترين نَعشِى كالعرُوس يَسير

وسينتهى المسعى الى اللحد الذى ... هو منزلى وله الجموع تصيرُ
قولى لرب اللحد رفقاً بابنتى ... جاءت عروساً ساقها التقدير
وتجلدى بإزاء لحدى برهةً ... فتراك روحٌ راعها المقدور
أماه قد سلفتْ لنا أمنيةً ... يا حسنها لو ساقها التيسير
كانت كأحلام مضتْ وتخلفتْ ... مذْ بانَ يومُ البين وهو عسير
عودى إلى ربعٍ خلا ومآثر ... قد خلفتْ عنى لها تأثير
صونى جهاز العرس تذكاراً فلى ... قد كان منه الى الزفاف سرورُ
جرتْ مصائب فرقتى لك بعدَ ذا ... لُبس السواد ونفذ المسطور
والقبر صار لغصن قدى روضةً ... ريحانها عندَ المزار زهور
أماهُ لا تنسَى بحق بنوتى ... قبرى لئلاَّ يحزنَ المقبور
فأجبتها والدمع يحبسُ منطقى ... والدهر من بعد الجوار يجور
بنتاه يا كبدى ولوعة مهجتى ... قد زال صفوٌ شانهُ التكدير
لا توصى ثكلى قد أذاب فؤادها ... حزنٌ عليكِ وحسرةٌ وزفيرُ
أبكيكِ حتى نلتقى فى جنةٍ ... برياض خلدٍ زينتها الحور
إن قيل « عائشة » أقول لقد فنى ... عيشى وصبرى — والإله خبير
ولهى على « توحيدة » الحسن التى ... قد غاب بدرُ جمالها المستور
قلبى وجفنى واللسان وخالقى ... راضٍ وباكٍ شاكرٌ وغفور
متعتِ بالرضوان فى خلد الرضا ... ما ازينتْ لك غرفة وقصور

﴿ وقالت المرحومة ملك حفنى ناصف ترثى المرحومة عائشة هانم تيموراً ﴾

ألاَ يا موتُ ويحكَ لم تراعِ ... حقوقاً للطروس ولا اليراعِ

تركتَ الكُتْب باكيةً بكاءً ... يُشيبُ الطفلَ فى عهد الرِّضاع
ولم تهبِ الفضائلَ والمعالى ... وطولَ السّعْى فى خير المساعى
ولم يمنعك ممّا رُمتَ نَثرٌ ... ولا شِعرٌ ولا حُسنُ ابتِدَاع
نَراكَ تجودُ بالأرزاءِ حتى ... عَدَدنا البخلَ من كَرَم الطّباع
فذُبْ يا قلبُ لا تَكُ فى جُمُود ... وزِدْ يا دمع لا تَكُ فى امتناع
ولا تَبخل علىّ وكن جموماً ... فكنز العلم أمْسَى فى ضياع

سنَبقى بعد «عائشةٍ» حَيارَى ... كسِرْبٍ فى الفَلاَة بغير راع
لقد فُقِدَتْ ولم تَفقِد عُلاها ... وهل شمسٌ تَغيب بلا شُعاع
هى الدُّرّ المصون ببطن أرض ... وقد كانت كذلك فى قِناع
هى البحرُ الخِضمّ وما سمعنا ... بأنّ البحرَ يُدفن فى التّلاع
وكانت للمكارم خيرَ عون ... وللخيرات كانت خير داع
لها القِدْحُ المُعلّى فى العَوالى ... وفى نشر المعارفِ طول باع
فيا شمسَ المحامد غِبتِ عنّا ... وخلّفتِ البكاء لكل ناع
ويا خيرَ النّساء بلا خلاف ... وقُدْوتنا بلا أدنى نزاع
لقد أحييتِ ذكر نساء مصر ... وجدّدت العلا بعد انقطاع
وشِدْتِ صُروح طُهر باذخاتٍ ... مُحَصَّنةً كتَحصين القِلاَع

﴿ وقال المرحوم حفنى بك ناصف راثياً المرحوم عبد الله باشا فكرى ﴾

ليَدّعِ المُدّعونَ العلمِ والأدبا ... فقد تَغيّبَ «عبدالله» واحتجبا
ولينتَسب أدعياءُ الفضل كيف قضت ... آراؤهم إذ قَضَى مَن يَحفظُ النّسبا
وليفخرُ اليوم قومٌ باليَراع ولا ... خَوفٌ عليهم فمَن يَخشوْنه ذَهبا

وليَرْقَ مَنْ شاء أعواد المنابرِ إذ ... مات الذى يتّقيه كلُّ مَن خطَبا
لو عاش لم يطرُق الأسماعَ ذِكرُهمُ ... فى طلعة الشّمس مَن ذا يُبصرُ الشُّهُبا
فلْيسْمُ مَن شاء بالإنشاءِ لا عجبٌ ... مَضَى الذى كان من آياته عَجَبا
طودٌ من الفضل من بعد الرُّسوخ هَوَى ... وكوكب بعدَ أن أبدى الهُدى غرَبا
أجلْ فقدمات «عبدُ الله» وا أسفاً ... وأوحِشتْ مصرُ من «فكرى» فواحرَبا
فكلّ نفس لعلياه شكتْ وبكتْ ... وكلُّ فكرٍ بفكرى ماجَ واضطرَبا
قضى الحياة ونَصرُ الحقّ دَيدَنُه ... لا يَنثنى رَهباً عنه ولا رَغبا
سارت جنازَتهُ والعلم فى جزَع ... والفضلُ يندُبُهُ فى ضمنِ مَن ندَبا

﴿ وقال أحمد بك شوقى يرثى المرحوم مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ ﴾

أَلمَشْرِقانِ عليك يَنتَحبانِ ... قاصيهما فى مَأْتمٍ والدّانى
يا خادمَ الإسلام أجرَ مُجاهد ... فى الله من خُلد ومن رضوان
الله يشهدُ أنّ موتك بالحِجا ... والجدّ والإقدام والعِرْفان
إن كان للاخلاق ركن قائم ... فى هذه الدنيا فأنت البانى
بالله فتِّش عن فؤادك فى الثّرى ... هل فيه آمالٌ وفيه أمانى
وجدانك الحىّ المُقيم على المدى ... ولرُبّ حىّ ميّت الوِجدان
الناسُ جارٍ فى الحياة لغاية ... ومضلّلٌ يجرى بغير عِنان
والخلد فى الدّنيا وليس بهيّن ... عليا المراتب لم تُتحْ لجبان
فلو انّ رُسْل الله قد جُبِنُوا لَمَا ... ماتوا على دِينٍ ولا إيمان

المجد والشرف الرّفيع صحيفةٌ ... جُعلت لها الأخلاق كالعنوان
وأحبُّ من طول الحياة بذلّة ... قِصَرٌ يُريك تقاصُر الأقران

دقّاتُ قلب المرء قائلةٌ له ... إنّ الحياةَ دَقائقٌ وثوانى
فارفَع لنفسك بعدموتك ذكرها ... فالذّكر للأنسان عُمرٌ ثانى
للمرء فى الدّنيا وجَمّ شؤونها ... ما شاء من ربح ومن خسران
فهى الفَضاء لراغبٍ مُتطلّعٍ ... وهى المضيق لِمُؤثر السُّلوان
النّاس غادٍ فى الشّقاء ورائح ... يشقى له الرّحماء وهو الهانى
ومُنعّم لم يلقَ إلاّ لذّة ... فى طيّها شَجنٌ من الأشجان
فاصبر على نِعم الحياة وبُؤسها ... نِعمُ الحياة وبُؤسُها سيّان

ياطاهر الغدوات والرّوحات والـ ... خطرَات والأسرار والإعلان
هَل قامَ قَبلك فى المدائن فاتحاً ... غازٍ بغير مُهنّد وسِنان
يدعو الى العلم الشّريف وعنده ... أنّ العلومَ دَعائمُ العُمرَان
لفُّوك فى علَم البلاد مُنكّساً ... جزع الهلالُ على فتى الفتيان
ما احمرَّ من خَجل ولا من رُتبة ... لكنّما يَبكى بدمْع قانى
يَرجون نعشك فى السَّناء وفى السّنا ... فكأنما فى نعشك القمران
وكأنه نعش (الحُسين بِكَرْبَلاَ) ... يختال بين بُكَى وبين حنَان
فى ذمّة الله الكريم وبرّه ... ما ضَمّ من عُرف ومن احسان
(ومشى جلال الموت وهو حقيقةٌ ... وجلالك المصدوق يلتقيان)
شَقّتْ لمنظرك الجيوبَ عقائلٌ ... وبكتك بالدّمع الهتُون غوانى
والخلْق حَولك خاشعُون كعهدهم ... اذ يَنصتون لخُطبة وبيان
يتساءلون بأىّ قلب تُرتقى ... بعد المنابر أم بأىّ لسان
فلو انّ أوطاناً تُصوّر هيكلا ... دَفنوكَ بين جَوانح الأوطان

أو كان يُحمل فى الجوارح ميّت حملوكَ فى الأسماع والأجفان
أو صِيغَ من غُرر الفضائل والعُلى كَفَنٌ لبستَ أحاسن الأكفان
أو كان للذّكر الحكيم بقيّة لم تأت بعدُ رُثيتَ فى القرآن
يا صَبَّ مصر ويا شهيدَ غرامها هذا ثرى مصرٍ فَنَم بأمان

اخلع على مصرٍ شبابك عالياً والبس شَباب الحُور والوِلدان
فلعلَّ مصراً من شبابك ترتدى مجداً تَتيهُ بهِ على البُلدان
فلو أنّ بالهرَمين من عزماته بعض المُضاء تحرّك الهرَمان
علّمْتَ شُبّان المدائن والقُرى كيف الحياة تكونُ فى الشّبان
مصرُ الأسيفةُ ريفها وصَعيدها قبرٌ أبرُّ على عِظامك حانى
أقسمت أنَّك فى التّراب طهارة مَلِكٌ يَهابُ سؤالَه المَلَكان

﴿ وقال ابن هانىء الأندلسى يرثى ابراهيم بن جعفر بن علىّ ﴾

وَهبَ الدّهر نفيساً فاستردْ ربّما جاد بخيلٌ فسَدْ
خَاب مَنْ يرجُو زماناً دائماً تُعرف البأساء منه والنّكدْ
فلقد أذكَرَ مَنْ كان سَهَا ولقد نَبّه مَنْ كان رَقد
قُلْ لمنْ شاء يقِلُّ ما شاءه إنّ خَصمى فى حياتى لَأَلَد
مُنتضٍ نصلاً إذا شاء مضى رَائشٌ سهماً إذا شاء قصَدْ
مات مَنْ لو عاش فى سِربالِه غلبَ النّور عليه فاتّقد
إنّما كان شِهاباً ثاقباً صَعَقَ اللّيل له ثم خمد
لا رجاءٌ فى خُلود كلّنا وارِدُ الماء الذى كان ورد

﴿ وقال شاعر النيل المرحوم أحمد بك شوقى رائياً ﴾

خُلقنا للحياة وللممات ... ومن هذين كلّ الحادثاتِ
ومن يُولد يعش ويمُت كأن لم ... يمرَّ خياله بالكائنات
ومهدُ المرء فى أيدى الرّواقى ... كنعش المرء بين النّائحات
وما سلم الوليد من اشتكاء ... فهل يخلو المُعمرّ من أذاة
هى الدنيا قتالٌ نحن فيه ... مقاصد للحسام وللقَنَاة
وكل الناس مدفوع اليه ... كما دُفع الجبان إلى الثّبات
نُروَّع ما نروّع ثم نُرْمَى ... بسهم من يد المقدور: آتِ

﴿ وقال المرحوم محمد بك حافظ ابراهيم رائياً الامام الحكيم الشيخ محمد عبده ﴾

سلامٌ على الإسلام بعد مُحَمدٍ ... سلامٌ على أيّامه النّضراتِ
على الدّين والدُّنيا على العِلم والحِجَى ... على البرّ والتّقوى على الحسنات
لقد كنتُ أخشى عادىَ الموت قبله ... فأصبحتُ أخشى أن تطول حَياتى
فوَالهَفِى والقبرُ بينى وبينه ... على نظرةٍ من تِلكمُ النّظراتِ
وقفتُ عليه حاسرَ الرأس خاشعاً ... كأنّى حيال القبر فى عرفاتِ
أبَنْتَ لنا التنزيلَ حكماً وحِكمةً ... وفرّقت بين النّور والظّلمات
ووفّقْتَ بين الدّين والعلم والدُّجى ... فأطلعت نورا من ثلاث جهات
وقفتَ (لها نوتُو ورِينانَ) وقفَة ... أمدّك فيها الرُّوح بالنّفحات
وخِفت مقام الله فى كل موقفٍ ... فخافك أهل الشكّ وَالنّزعاتِ
وأرصدتَ للباغى على دين أحمد ... شبَاةَ يَراعٍ ساحرِ النّفثاتِ
مشى نَعشُه يَختال عُجباً بربّه ... ويخطُر بين اللّمس والقُبلات

بكى الشّرق فارتجّت له الأرض رجّة ... وضاقت عيون الكون بالعبرات
بكى عالمُ الإسلام عالِمَ عصره ... سِراجَ الدّياجى هادمَ الشّبُهات
فياوَيْحَ «للشّورى» إذا جدّ جدّها ... وطاشت بها الآراء مُشتجرات
ويا ويح «للفتيا» إذا قيل مَنْ لها ... ويا ويح للخيرات والصّدقات
بَكينا على فَرد وإنّ بكاءنا ... على أنفسٍ لله منقطعات
تَعهّدَها فضل الأمام وحاطها ... بأحسانه والدّهر غير مُؤاتى

﴿ وقال جمال الدين بن نُباته المتوفى سنة ٧٦٨هـ معزيا عن مَلِك :ومهنئاً بمُلْك ﴾

هَنَاءٌ مَحا ذاك العَزَاء المقدّما ... فما عَبَس المحزون حتى تبسّما
ثُغُور ابتسامٍ فى ثُغور مدامعٍ ... شبيهان لا يمتاز ذو السّبْق منهما
تَدرّ مَجارى الدّمع والبِشْرُ واضح ... كوابِل غَيْثٍ فى ضُحى الشمس قد هَمى
سَقى الغيثُ عنّا تُرْبة الملك الذى ... عَهِدنا سجاياه أعزّ وأكرما
ودامت يد النّعمى على الملك الذى ... تدانت به الدنيا وعزّ به الحِمى
مليكان هذا قد هَوى لِضَريحه ... بِرَغمى وهذا للأسِرّة قد سما
ودَوْحَةِ فضل شاذَوِىّ تكافأت ... فغُصنٌ ذَوَى منها وآخر قد نَمى
كأنّ ديارالمُلك غابٌ إذا انقضى ... به ضَيْغم أنشا له الدّهر ضَيغما
فانْ تَكُ أوقاتِ المؤيّد قد خلت ... فقد جدّدت عليك وَقْتاً ومَوْسِما
هو الغيث ولّى بالثّناء مُشيعاً ... وأبقاك بحراً بالمواهب مُفْعَما
إذا الغيث صلّى خلف جَدْواك راكعاً ... ثَنَتْ عزْمه لِلإعتراف فسلّما
يَراعك يوم السِّلم يَنْهلُ دِيمَةً ... وسيفك يوم الحرب ينْهَلُ فى الدِّما
فعِشْ للورى واسلم سعيداً مهنّأ ... فحظّ الورى فى أن تعيش وتَسلما

أعدتَ زمان البِشْر والجود والثَّنا ... الى أن ملأت العينَ والكفّ والفما

﴿ وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يرثى الدكتور يعقوب صروف ﴾

(صاحب مجلة المقتطف المتوفى سنة ١٩٢٧ م [1])

أبكِي وعينُ الشَّرق تبكى معِي ... على الأريب الكاتب الألمعِي

جرَى عصِيُّ الدّمع من أجله ... فزَاد فى الجُود على الطَّيِّع

نَقْصٌ من الشّرق ومن زَهوه ... فقدُ اليرَاع المُعجز المُبدع

ليس لمصر فى رجالاتها ... حظٌّ ولا للشّام فى أروع

مُصَابُ « صرّوف » مَصاب النّهى ... فلْيبكِه كلّ فؤاد يعى

« صرّوف » لاتبعد فلست الذى ... يَطويه طاوى ذلك المضْجَعِ

أسكَنتكَ الموت ولكنّه ... لم يُسكِت الآثار فى المجمع

ذِكرَاك لا تنفكّ موصولةً ... فى معهد العلم وفى المصْنَعِ

الباب الثامن في الحكم والنصائح

﴿ قال عَبيد بن الأبرص الأسدى أحد فحول شعراء الجاهليَّة ﴾

كفَى زاجراً للمرء أيّام دَهْرِهِ ... تَرُوحُ له بالواعِظات وتَغتَدِى

إذا أنت طالبتَ الرجال نَوالَهم ... فعِفّ ولا تَطلُب بجَهدٍ فتَنكدِ

عَسى سائلٌ ذو حاجة إنْ منعتَه ... من اليوم سُؤْلا أن يسُرَّك فى غَد

ولا تقعُدنْ عن سَعى ماقد ورِثتَه ... وما استطعتَ من خير لنفسك فازْدَدِ

(١) هو الدكتور يعقوب صروف بن نقولا : ولد فى بلدة الحدث بقرب بيروت وتعلم بها ونبغ فى العلوم والمعارف فنال الاجازات العالية سنة ١٨٧٠ م ثم نزح إلى القاهرة وأسس مع زميله الدكتور فارس نمر باشا مجلة المقتطف وجريدة المقطم ومات سنة ١٩٢٧ م .

إذا ما رأيت الشرّ يبعث أهله ... وقام جُناة الشّرّ بالشّرّ فاقعد
وبالعدل فانطق ان نطقت ولا تكُنْ ... ذا الذمّ فاذمُمْه وذا الحمد فاحمَدِ
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمُقارن يقتدى
ولا أبتغى ودّ امرئ قلّ خيره ... وما أنا عن وصل الصديق بأحيد
إذا أنت حمّلت الخؤون أمانة ... فانك قد أسندتها شرّ مسنَد
ولا تظهرنْ ودّ امرىء قبل خُبْره ... وبعد بلاءِ المرء فاذمُم أو احمد

﴿ وقال أبو بكر محمد بن الحُسين بن دُرَيد الأَزْدِى المتوفّى سنة ٣٢١ هـ ﴾

يا ظَبيةً أشبهَ شىءٍ بالْمَهَا ... تَرْعَى الخُزَامَى بَينَ أشجارِ النَّقَا (١)
إمَّا تَرَىْ رَأْسِى حاكَى لوْنُهُ ... طُرّةَ صُبحٍ تحتَ أذْيالِ الدَّجَى (٢)
واشتَعَلَ المُبْيَضُّ فى مُسْوَدِّهِ ... مثلَ اشتِعالِ النّارِ فى جَزْلِ الغَضَى (٣)
فكانَ كاللّيلِ البَهيمِ حَلَّ فى ... أرْجائِهِ ضَوْءُ صَباحٍ فانجلَى (٤)
وغاضَ ماءُ شِرَّتَى دهرٌ رَمَى ... خواطرَ القلبِ بتَبْرِيحِ الجَوَى (٥)
وآضَ رَوْضُ اللَّهوِ يُبْساً ذَاوِياً ... مِن بعدِمَاقد كانَ مجّاجَ الثّرَى (٦)

(١) الظبية الانثى من الغزلان . المها جمع مهاة وهى الانثى من البقر الوحشى . الخزامى نبت معروف طيب الرائحة . النقا اسم موضع (٢) إما أصلها ان ما فان شرطية وما زائدة . وترى أصلها ترين وترى فعل الشرط وجوابه قوله فيما بعد . فكل ما الخ . حاكى أشبه . طرة صبح يعنى وجه صبح وطرة كل شىء حافته وجانبه . أذيال جمع ذيل وهو الطرف . الدجى جمع دجية وهى الظلمة : (٣) اشتعل فشا وانتشر . جزل ما غلظ من الحطب . الغضى جمع غضاة وهى نوع من الشجر يبقى جمره طويلا (٤) فكان كالليل البهيم كناية عن المظلم جداً . والبهيم هو الأسود الذى لاضوء فيه . حل نزل ـ أرجائه جمع رجا بالقصر الطرف فانجلى فانكشف وظهر (٥) غاض نقص أو ذهب . الشرة الحدة والنشاط استعيرت هنا للشباب . التبريح البلوغ فى المشقة إلى غايتها . الجوى سقم فى الجوف من طول المرض (٦) آض رجع . يبسا يابسا . ذاويا ذابلا . مجاج من قولهم مج الغصن الماء إذا ألقاه . الثرى بالقصر التراب الندى ـ وبالمد الغنى والسعة .

وضَرَّمَ النّأىُ المُشِتُّ جَذْوَةً ما تَأْتَلِى تَسْفَعُ أثناءَ الحَشَى (١)
واتّخذَ التَّسهيدُ عَينِى مَألَفاً لمَّا جَفَا أجفانَها طَيْفُ الكَرَى (٢)
فكلُّ ما لاقَيتُهُ مُغْتَفَرٌ فى جَنْبِ ما أسأرَهُ شَحطُ النَّوَى (٣)
لوْ لابَسَ الصَّخرَ الأَصَمّ بعضُ ما يَلقاه قَلبى فَضَّ أصْلادَ الصفَا (٤)
إذَا ذَوى الغصنُ الرطيبُ فاعْلَمَنْ أنّ قُصاراهُ نَفادٌ وتَوَى (٥)
شَجِيتُ لا بَلْ أجْرَضَتنِى غُصّةٌ عُنُودُها أقتَلُ لى منَ الشّجَى (٦)
إنْ يَحْمِ عن عينى البُكا تجَلُّدى فالقلب موقوفٌ على سُبْلِ البُكا (٧)
لو كانت الأحلام ناجَتْنِى بمَا ألقاه يَقْظانَ لَأَصْمانِى الرّدى (٨)
مَنزلةٌ ما خِلْتُها يَرضَى بها لنفسه ذو أدَب ولا حِجَا (٩)
ما خِلتُ أنّ الدّهر يَثْنِنِى على ضَرَّاءَ لا يَرضَى بها ضَبُّ الكُدَى (١٠)
شَيْمُ سَحابٍ خُلّبٍ بَارِقُهُ ومَوْقفٌ بينَ ارْتِجاءٍ ومُنَى

(١) ضرم أشعل وأوقد . النأى البعد . المشت المفرق . جذوة هى الجمرة العظيمة . ما تأتلى ما تقصر . تسفع تحرق وتهلك . أثناء الحشى يعنى مارق من البطن وأراد به القلب والجوف (٢) التسهيد والسهاد السهر وهو عدم النوم . مألفاً صاحبا والمألوف هو الموضع الذى تقع فيه الالفة أى الاجتماع والصحبة . جفا هجر . الاجفان أغطية العيون واحدها جفن . الطيف ما يراه الانسان من خيال المحبوب . الكرى النوم (٣) مغتفر متجاوز عنه . اسأره ابقاه: شحط البعد . النوى البعاد (٤) لابس خالط . الاصم الصلب . فض كسر . وأصل الانفضاض التفرق وأصلاد جمع صلد وهى الحجارة الصلبة الشديدة . الصفا الصخر الصلاب ـ جمع صفاة والمذكر صفوان (٥) ذوى جف وذبل . الرطيب الناعم الرطب . قصاراه آخر أمره وغايته نفاد فناء وذهاب . وتوى بالتاء الهلاك (٦) شجيت حزنت أو غصصت والغصص الاختناق باللقمة يقال شجيت بالعظم أى اختنقت به . أجرضتنى خنقتنى وغصة الموت والجرض هو الاختناق بالريق وعنودها معارضتها (٧) ان حرف شرط يحم فعل الشرط يمنع وتجلدى تصبرى فالقلب جواب الشرط و سبل الطرق واحدها سبيل ـ وعنى بذلك الهوى الذى يأتى البكاء من أجله وسببه (٨) الاحلام جمع حلم وهو ما يراه الانسان فى منامه وناجتنى أخبرتنى: لاصمانى لقتلنى مكانى بلا تأخير . الردى الهلاك (٩) منزلة درجة . ما خلتها ما حسبتها وأدب ظرف ـــ الحجا العقل (١٠) يثنينى يعطفنى . ضراء الصخرة الصماء . الكدى بالضم جمع كدية وهى ما ارتفع من الصخور

أُرَمِّقُ العيشَ على بَرْضٍ فإنْ ... رُمت ارتشافاً فارُمتُ صَعبَ المُنْتَسَى (١)

أراجعٌ لىَ الدّهرُ حَولاً كاملاً ... إلى الّذى عَوّدَ أنْ لا يُرْتجى

يا دهرُ إنْ لم تَكُ عُتبَى فاتئِدْ ... فانْ إرْوَادَكَ والعُتبى سَوَى (٢)

رفِّهْ عَلىّ طالمَا أنصبتنِي ... واستَبْقِ بعضَ ماءِ غُصنٍ مُلتحَى (٣)

لا تَحْسَبَنْ يا دهرُ أنّى ضارعٌ ... لِنكْبةٍ تَعرُقُنى عَرْقَ المُدَى (٤)

مَارستَ منْ لَوْهَوتِ الأفلاكُ مِن ... جَوانبِ الجوّ عليه ما شَكا (٥)

لـكنّها نَفْثةُ مصدُورٍ إذا ... جَاشَ لِعَامٌ من نَواحيها غَما (٦)

رَضيتُ قسْراً وعلى القَسْرِ رِضَى ... مَن كان ذاسَخْطٍ على صَرْفِ القَضَا (٧)

إنّ الجديدَينِ إذا ما استَوْليَا ... على جَديدٍ أدْنَياهُ للبِلَى (٨)

ما كنتُ أدرى والزّمان مُولّعٌ ... بشَتِّ مَلْمومٍ وتَنـكيثِ قُوَى (٩)

إنّ القَضَاءَ قاذِفى فى هُوّةٍ ... لاتَستَبِلُّ نفسُ مَن فيها هَوَى (١٠)

---

(١) أرمق العيش أعطى منه بقدر ما يسد رمقى . برض العطاء القليل . الارتشاف ان يستقصى شرب ما فى الاناء . المنتسى المطلب البعيد (٢) العتبى الرضى . فاتئد ارفق . الارواد الرفق . سوى مثل (٣) رفه وسع . أنصبتنى أتعبتنى . استبق . ابق . ملتحى الذاهب لحاه أى قشره الظاهر (٤) ضارع ذليل خاضع خاشع (لنكبة) المصيبة وشدة . تعرقنى تزيل لحمى عن عظمى . المدى بالضم جمع مدية وهي السكين (٥) مارست بتاء الخطاب عالجت . هوت سقطت . الافلاك جمع فلك وهى التى تجرى فيها الشمس والقمر والنجوم . جوانب الاطراف . الجو الفضاء الذى بين السماء والأرض (٦) لـكنها الضمير فيها كناية عن هذه القصيدة التى قالها . النفثة ما يلقيه الرجل من فيه إذا بصق . مصدور الذى يشتكى صدره . جاش علا وارتفع . اللغام الزبد وهو ما يلقيه البعير من فيه . نواحيها جوانبها وغما سقط (٧) القسر القهر . السخط الغضب (٨) الجديدين الليل والنهار . استوليا غلبا وملكا وأدنياه قرباه . للبلى للاخلاق (٩) ما كنت أدرى ما كنت أعلم وجاء بالمعمول فى البيت الذى بعده وهو أن القضاء الخ والزمان الواو للحال . مولع ملازم ومغرى به : بشت بتفريق . ملموم مجموع . التنكيث النقض . قوى جمع قوة

(١٠) قاذ فى رام بى : وهوة الحفرة التى يتسع أسفلها ويضيق أعلاها . لا تستبل ـ أى لا تبرأ ولا تفيق هوى سقط

فإنْ عَثُرتْ بعدها إنْ وألَتْ نفسيَ من هاتا فقولا لالَعا (١)

وإنْ تكن مُدّتُها موصولةً بالحَتْفِ سلّطت الأسى على الأسا (٢)

إنّ امرءَ القَيْس جرَى الى مَدى فاعْتاقَه حِمامُه دُون المدَى (٣)

وخامرتْ نَفْسُ أبي الجَبْرِ الجوَى حتى حَواه الحتْف فيمن قد حَوَى (٤)

وابنُ الأشجِّ القَيلُ ساقَ نفسه الى الرَّدَى حِذارَ إشْماتَ العِدَى (٥)

واخْتَرمَ الوَضّاحَ من دُون التى أمّلَها سَيفُ الحِمامِ المُنتَضَى (٦)

فقد سَما قَبلى يَزيدُ طالباً شأوَ العُلا فما وَهَى ولا وَنَى (٧)

---

(١) عثرت زلت :وألت نجت وخلصت : هاتا عائد على العثرة المضمرة التى دل عليها قوله فان عثرت وقوله لا اما أى لا نجا وهودعاء للعاثر بعدم السلامة (٢) ضمير مدتها عائد على النكبة . بالحتف بالموت الأسى بضم الهمزة جمع أسوة وهى التعزية والتأسى والاسا بفتح الهمزة الحزن (٣) امرؤالقيس معلوم أنه كان هو طريد ابيه لقوله الشعر وخلاصة قصته أن بنى أسد قتلت أباه وكان ملكا عليهم فبعد عناء توجه إلى قيصر ملك الروم واستنجده على قتلة أبيه فوعده وكان قد تعشق ابنة قيصر فخضر احد أعدائه من بنى أسد وأخبر قيصر بعشقه لها فكره ذلك وكره أن يقتله أو يخذله بعدما وعده فارسل معه عسكراً ثم أردفه بحلة ملوكية مسمومة فلبسها فمات . مدى الغاية : فاعتاقه وعاقه بمعنى عوقه : حمامه بكسر الحاء موته . (٤) خامرت خالطت . أبو الجبر من ملوك كندة . خلاصة قصته أنه تألبت قومه عليه فاستعان بكسرى فأعطاه جيشا من أساورته فرأوا بلاد العرب فاستوحشوها فسموه فمرض وعندها طلبوا الاذن بالرجوع فأذن لهم ثم بعد مدة مات على طريق اليمن بالمرض الذى نشأ من السم . الجوى داء فى الجوف ، حواه حازه . الحتف الموت (٥) ابن الاشج هو عبد الرحمن بن الأشعث ـ خلاصة قصته أنه قد ولاه الحجاج سجستان فخرج عليه ثم هرب إلى (رتبيل) ملك الترك فبذل الحجاج إلى رتبيل مالا فسلمه إلى أعوان الحجاج وكان فى الطريق مقيداً معه رجل من بنى تميم على سطح برج فرمى بنفسه من أعلى البرج فمات هو والتميمى وحمل رأسه الى الحجاج . والقيل الملك دون الملك الاعظم . الردى الهلاك . حذار خوف (٦) اخترم أى أهلك واقتطع الوضاح يعنى به جذيمة الابرش وكان قتل أبا الزباء فبعد مدة خطبته لنفسها فلما حضر قتلته فى قصة طويلة . أمل فاعله يعود على الوضاح وفاعل اخترم سيف والحمام ـ الموت ، المنتضى المسلول (٧) سما علا ـ ويزيد هو بن المهلب وخلاصة قصته انه خرج على بنى أمية وخطب له بالبصرة وسلم عليه بالخلافة فدست بنى أمية رجلا من بنى كلب فقتله واستتب الامر لهم . شاو الغاية . العلا الشرف . فما وهى فما ضعف ولا ونى ولا فتر .

فاعترضتْ دون الذى رام وقد ... جدَّ به الجدُّ اللُّهيْمُ والأَرَبى (١)

هل أنا بِدْعٌ من عَرَانِينَ عَلاَ ... جارَ عليهم صَرْفُ دَهرٍ واعتدَى (٢)

فإن أنالَتْنِى المقاديرُ الذى ... أَكِيدُه لم آلُ فى رَأْبِ الثَّأَى (٣)

وقد سما عمروٌ الى أوتارِه ... فاحتطّ منها كلَّ عالى المُستَمَى (٤)

فاستَنْزَلَ الزَّبَّاءَ قَسْراً وهْى من ... عِقابِ لُوحِ الجوّ أعلى مُنتَمَى

وسَيفٌ استعلَتْ به هِمّتُهُ ... حتى رَمَى أبعدَ شَأْوِ المُرْتَمَى (٥)

فَجرّع الأَحْبُوشَ سُمّاً ناقِعاً ... واحتلّ من غَمْدانَ مِحْرابَ الدُّمَى

---

(١) فاعترضت عارضت . رام طلب . جد بالفتح أسرع . الجد بالكسر العزم . اللهيم بالتصغير والأربى اسمان من أسماء الداهية وهما فاعل اعترضت (٢) بدع الذى يكون أول مخترع من كل امر . عرانين الاشراف واحدها عرنين وهو الانف . جار عدل عن الحق . اعتدى ظلم (٣) أنالتنى أعطتنى . والمقادير جمع مقدار وهو القدر ، أكيده أطلبه . واحتال عليه ، لم آل لم أقصر . رأب الاصلاح . الثأى الفاسد (٤) سما علا وأوتار جمع وتر وهو طلب الدم . فاحتط ، فانزل والمستمى المكان العالى المرتفع ، الزباء اسم امرأة وقسراً بالسين القهر والغلبة . عقاب طائر معلوم وهو من سباع الطير وجمعه عقبان ولوح الهواء الذى بين السماء والارض ، منتمى . موضع مرتفع اليه وخلاصة قصة الزباء وعمرا: أن الزباء لما قتلت جذيمة الابرش قعد عمرو ابن أخته مكانه وكان قصير وزيره كما كان لخاله وكان وقت قتل خاله نجا على فرس تسمى العصى فطلب قصير أن يجدع عمرو أنفه وأذنيه دهاء منه لاخذ ثار خاله فرحل قصير الى الزباء على هذه الحالة فاستأمنت له ثم بعد مدة وعناء اتى بالرجال مدججة بالسلاح فى جوالق على ظهور الجمال فهربت الزباء الى نفق لها لتهرب منه فرأت عمراً على باب النفق فصت خاتما مسموماً كان بيدها وقالت « بيدى لا بيدك يا عمرو » وماتت مكانها فاستولى على ملكها (٥) سيف يعنى به سيف بن ذى يزن ملك اليمن . استعلت علت شأو الغاية . المرتمى موضع المرمى وهو الذى يقال له الغرض والهدف والقرطاس ، فجرع فسقى ، والجرع القليل من الماء ، الاحبوش ملك الحبش ، وناقعا بالغا ، احتل نزل بالمكان ، غمدان موضع بصنعاء اليمن ومحراب ههنا غرفة بصنعاء ، الدمى الصور جمع دمية ـ خلاصة قصة الحبش ان الملك سيفا ، لما غلبت عليه الحبشة استعان بهرمز أحد الاكاسرة فأرسل معه جيشاً من المسجونين ورأس عليه وزيراً من الاساورة المتقدمين فأجلوا الاحباش عن اليمن وملكوا سيفا فى قصة طويلة

ثم ابن هندٍ باشرتْ نيرانُه ... يومَ أُوارَاتٍ تميماً بالصَّلا (١)

ما اعتنّ لى يأسٌ يُناجِى همّتِى ... إلا تحدَّاهُ رجاءٌ فاكْتَمى (٢)

أَلِيَّةً بالْيَعْمُلاتِ يَرْتَمِى ... بها النَّجاء بين أَجْوَازِ الفَلا (٣)

خُوصٌ كأشباحِ الحَنايا ضُمَّرٍ ... يَرْعُفْنَ بالأمشاجِ من جَذْبِ البُرَى (٤)

يَرْسُبْنَ فى بحرِ الدُّجَى وبالضُّحَى ... يَطْفُونَ فى الآلِ إذا الآلُ طَفَا (٥)

أَخْفافُهُنَّ مِنْ حَفًا ومن وَجَى ... مَرْثومةٌ تَخْضِبُ مُبْيَضَّ الحصَا (٦)

يَحملْنَ كلَّ شاحِبٍ مُحْقَوْقِفٍ ... من طُولِ تَدْآبِ الغُدُوِّ والسُّرَى (٧)

بارٌّ بَرَى طولُ الطَّوى جُثْمانَه ... فهو كقِدْحِ النَّبْعِ مَحْنِيِّ القَرا (٨)

---

(١) ابن هند هو عمرو عم النعمان بن المنذر وكان له أخ مسترضع من بنى تميم فقتل لهم ناقة فقتله صاحبها فنذر عمرو المذكور أن يقتل من بنى تميم مائة فأجج ناراً وألقى فيها واحداً واحداً منهم الى تسعة وتسعين فبينما هم كذلك يرجون تمام المائة اذ جاء رجل من البراجم يظن هناك وليمة لقتار اللحم فألقى فى النار تماما للمائة ، باشرت خالطت . يوم أوارات يوم معروف من أيام العرب . أوارات اسم موضع ، تميما قبيلة ، الصلا بالفتح وهج النار (٢) ما اعتن ما اعترض ، تحداه اعتمده وقصده فاكتمى استتر وتغطى (٣) اليه قسما باليعملات جمع يعملة وهى الناقة الصلبة الشديدة . النجاء السرعة ، أجواز جمع جوز وجوز كل شىء وسطه ، والفلا جمع فلاة وهى الصحراء (٤) خوص الأبل الغائرة العيون من الهزال . والاشباح الاشخاص جمع شبح . والحنايا جمع حنية والحنية القوس وضمر جمع ضامر وهو المهزول . ويرعفن يسلن مأخوذ من الرعاف وهو سيلان الدم من الانف والامشاج الاخلاط جمع مشج وهو ما يسيل من الانوف . ومن جذب من سوق والبرى جمع برة وهى الحلقة التى تكون فى أنف البعير (٥) يرسبن يغبن والرسوب الخوض فى الماء المغيب فيه ، والدجى جمع دجية وهى الظلمة ويطفون يعلون . والآل سحاب كالماء يرى عند ما ترتفع الشمس : والسراب انما يكون فى انتصاف النهار كأنه ماء وليس بماء . وطفا ارتفع

(٦) اخفافهن جمع خف للأبل بمنزلة الحوافر للخيل . وحفا مقصور: وهو رقة اخفاف الابل من كثرة المشى . ووجى وجع فى الرجل يصيبها من الحفا ومرثومة مشقوقة من الحجارة . وتخضب تصبغ (٧) شاحب متغير اللون من السفر وغيره . ومحقوقف معوج وتدأب مداومة والسرى سير الليل (٨) بار مطيع والجمع أبرار نعت للشاحب وبرى من برى القلم وهو اضعافه وترقيقه والطوى الجوع وجثمانه جسمه وقدح عود صلب تعمل منه السهام والنبع شجر تعمل منه القسى واحدها نبعة ومحنى معوج ، والقرا الظهر

يَنْوِى التى فَضَّلها رَبّ العُلَى ... لمّا دَحا تُرْبتَها على البُنَى (١)
حتى إذا قابلها استَعْبَرَ لا ... يملك دَمع العين من حيث جُرَى (٢)
ثُمَّتَ طافَ وانثنَى مُستلماً ... ثُمَّتَ جاء المَرْوتَيْنِ فسعَى (٣)
وأوجَبَ الحجَّ وثنّى عُمْرَةً ... من بعد ما عَجَّ ولبَّى ودَعا (٤)
ثُمَّتَ رَاحَ فى المُلبِّينَ إلى ... حيث تَحَجَّى المأزِمَانِ ومِنَى (٥)
ثمّ أتَى التَّعريف يقرُو مُخْبِتاً ... مَواقِفاً بين الآل فالنّقا (٦)
واستأنفَ السَّبْعَ وسَبعاً بعدَهَا ... والسَّعى ما بين العِقاب والصُّوى (٧)
وراحَ للتَّوْديع فِيمَنْ راحَ قد ... أحْرزَ أجْراً وقلَى هُجْرَ اللَّغَا (٨)
بذاك أمْ بالْخَيْل تَعْدُو المَرطَى ... نَاشِزَةً أكْتادُها قُبَّ الكُلَى (٩)
شُعْثاً تَعادَى كَسَرَا حِينِ الغَضَا ... مَيْلَ الحَمالِيق يُبارِينَ الشَّبا (١٠)

(١) ينوى يقصد والتى فضلها رب العلى يعنى مكة . ودحا بسط والبنى جمع بنية وهو الشىء المبنى
(٢) استعبر بكى وهو مأخوذ من العبرة وهى الدمعة (٣) ثمت هى ثم زيدت عليها تاء التانيث . وانثنى انعطف . ومستلما لمس الحجر الاسود بيده أو بفمه : والمروتين المراد بهما الصفا والمروة فسعى مشى (٤) أوجب الحج ألزمه نفسه وثنى عمرة ألزم نفسه مع الحج عمرة ، عج رفع صوته بالدعاء والتلبية (٥) راح خرج بالرواح وهو الخروج بالعشى ، الملبين جمع ملب وهو المجيب بالتلبية تحجى أقام ، المأزمان جبلان بين مزدلفة ومنى ، ومنى محل رمى الجمار بمكة (٦) التعريف وعرفات واحد وهو اسم موضع من مناسك الحج ويقرو : يتبع المواضع ، مخبتاً متواضعا مخلصا لله تعالى . الآل موضع بعرفات ، النقا الرمل (٧) استأنف ابتدأ ، السبع رمي الجمار السبع وسبعا أراد الثانية التى تلى الاولى ، السعى المشى والعقاب جمع عقبة ، الصوى الكدى تقدمت جمع صوة (٨) وراح للتوديع ـ لتوديع البيت الحرام كما يفعل الحجاج بان يطوف به سبعا ويسعى بين الصفا والمروة . أحرز أجرا ملكه وأصابه ، وقلى أبغض . هجر بضم الهاء القبيح من الكلام . اللغا الباطل من الكلام (٩) أقسم بذاك أم بالخيل تعدو تجرى . المرطى ضرب من العدو وهو السهل منه ، وناشزة مرتفعة ومنه قولهم قعدت على نشز من الارض أى مرتفع . وأكتادها جمع كتد وهو العظم الذى يكون فى رأس الكتف وقب ضامرة . والكلى جمع كلوة
(١٠) شعثاً مغبرين يعنى مقربين من الله تعالى . تعادى أصله تتعادى تسابق . سراحين ذئاب

يَحْمِلْنَ كلّ شَمَرِيٍّ باسلٍ شَهم الجَنَانِ خائضٍ غَمْرَ الوَغَى (١)
يَغْشَى صلاَ الحرْبِ بِحَدَّيْهِ إذا كان لظَى الحربِ كريه المُصْطَلَى (٢)
لَوْ مُثِّلَ الحَتْفُ لهُ قِرْناً لَمَا صَدَّتْهُ عنهُ هَيبةٌ ولا انْثَنَى (٣)
ولو حَمَى المِقدارُ عنهُ مُهجة لَرَامها أوْ يَستبيحُ ما حَمَى (٤)
تَغدُو المَنَايا طائعاتٍ أمْرَهُ ترضَى الذى يَرْضَى وتَأْبَى ما أبَى (٥)
بَلْ قَسَماً بالشمِّ مِنْ يَعْرُبَ هل لِمُقْسِمٍ مِن بعد هذا مُنْتَهَى (٦)
هُمُ الأُولَى أجْرَوْا ينَابيعَ النَّدَى هامِيَةً لِمَنْ عَرَا أو اعْتَفَى (٧)
هُمُ الذين دَوَّخُوا مَن انْتَخَى وَقَوَّموا مِنْ صَعَرٍ ومِنْ صَغَا (٨)
هُمُ الذينَ جَرَّعوا فما حَلُوا أفاوِقَ الضَّيْمِ مُمَرَّاةَ الحَسَا (٩)
أزَالُ حَشْوَ نِثْرةٍ مَوْضونَةٍ حَتَى أُوارَى بين أثْناءِ الحَشَى (١٠)

الواحد سرحان . الغضا شجر غليظ يدوم جمره . ميل الحمالق مائلة العيون . يبارين يعارضن . الشبا جمع شباة : وشباه كل شىء حده ـ يريد بها هنا أطراف الرماح (١) يحملن أى الخيل . شمرى ماخوذ من التشمير . باسل شجاع . شهم الجنان حديد القلب . خائض داخل غمر الماء الكثير . الوغى صيحة الناس فى الحرب (٢) يغشى يدخل . صلا حر النار كلظى (٣) مثل صور . الحتف الهلاك وقرنا الذى يقارنك فى بطش أو قتال أو علم . صدته منعته هيبة مخافة . انثنى رجع (٤) حمى منع . المقدار القدر . مهجة النفس . لرامها لطلبها أو بمعنى حتى . ويستبيح . يدرك ذلك الشىء نافذا أمره فيه وهو منصوب بان مضمرة بعد أو (٥) تغدو تاتى بالغدوة وورد تعدو أى تسرع ، تأبى تكره (٦) قسما يمينا ، بالشم الطوال أو اشراف الناس ، يعرب قبيلة من العرب تنسب إلى يعرب بن يشجب بن قحطان ، لمقسم لحالف ، منتهى الغاية (٧) ينابيع جمع ينبوع ، الندى الجود والكرم وهامية ، سائلة . عرا قصد وتعرض للطلب . أو اعتفى أو طلب من غير تعرض (٨) دوخوا أذلوا ، انتخى تكبر ، صعر تكبر أيضاً وأصل الصعر الميل وهو أن يميل الانسان من التكبر . وصغا الميل (٩) جرعوا سقوا ، ما حلوا خاصموا ، أفاوق هو شرب مقطع بنفس بعد نفس ، الضيم الذل ، ممراة مدراة ، الحسا جمع حسوة وهو أخذك الشىء بفمك متجرعا له قليلا قليلا (١٠) أزال جواب القسم محذوف منه لا ، حشو ما أدخل فى جوفه فكأنه صار حشواً اذا لبسها ، نثرة درع واسع ، موضونة محكمة النسج . أوارى أغطى وأثناء جمع ثنا وهو ما تثنى منها أى تراكب على بعض ، الحشى جمع حشوة وهو الثوب المتجمع

وصَاحِبيٍّ صارِم فِى مَتْنِه ... مِثْلُ مُدَبِّ النَّمْلِ يَعلُو فى الرُّبَى (١)

أبيضَ كالمِلْحِ إذا انتَضَيْتَهُ ... لم يَلقَ شيئاً حَدُّهُ إلاّ فَرَى (٢)

كأنّ بَينَ غِيرِه وغَرْبِهِ ... مُفْتَأَداً تأكَّلتْ فيهِ الجُذَى (٣)

يُرى المَنُونَ حينَ تَقْفُو إثْرَهُ ... فى ظُلَمِ الأكْبَادِ سُبْلاً لا تُرَى (٤)

ومُشْرِفُ الأقطارِ خَاطٍ نَحضُهُ ... حَابِى القَصيرى جُرْشَعُ عَرْدُ النَّسَى (٥)

قَرِيبُ ما بين القَطَاةِ والمَطَا ... بَعِيدُ ما بين القَذَالِ والصَّلَا (٦)

سامِى التَّلِيلِ فى دَسِيعٍ مُفْعَمٍ ... رَحبِ اللَّبانِ فى أمِينَاتِ العُجَى (٧)

رُكِّبْنَ فى حَوَاشِبٍ مُكْتَنَّةٍ ... إلى نُسُورٍ مثلِ مَلْفُوظِ النَّوَى (٨)

يَرْضَخُ بالبِيدِ الحَصَى فانْ رَقَى ... الى الرُّبَى أوْرَى بها نارَ الحُبَا (٩)

---

(١) صاحبى يعنى سيفه وفرسه ، صارم قاطع ، فى متنه الجار والمجرور خبر مقدم لقوله مثل والجملة صفة لصارم ومتنه ، أى ظهره ، مدب النمل ودبيبه مشيه ـ يريد فرند السيف ويعلو يرتفع والربى جمع ربوة وهى ما ارتفع من الارض (٢) انتضيته جردته من غمضه ، وفرى قطع (٣) الغير هنا الوضع الناتىء فى وسط السيف ، الغرب الحد يعنى حد السيف ، مفتأدا موضع النار تأكلت أكل بعضها بعضاً والجذى جمع جذوة وهى الجمرة العظيمة (٤) المنون المنية وتقفو تتبع سبلا طرقا ـ يريد ان هذا السيف دليل المنية فهو يريها طرق الموت ـ وهذا رقيق الشعر

(٥) مشرف مرتفع عال ، والاقطار النواحى ، خاط غليظ ، والنحض اللحم ، حابى مرتفع ، القصيرى ضلع فى الجنب وهى الضلع السفلى ، جرشع غليظ الاضلاع أو الضخم الصدر وهو محمود فى الخيل وعرد الشديد من كل شىء ، النسى عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعروق حتى ينتهى الى الرسغ (٦) القطاة مكان الردف والمطا الظهر كله ـ سمى بذلك لانه يمطى أى يركب والقذال من رأس الفرس معقد عذاره أى حيث ينعقد عذاره وهو ما بين الاذنين والعذار هو اللجام ، الصلا العجز وهو آخر الوركين (٧) سامى هو العالى المرتفع والتليل العنق ودسيع مغز العنق فى الظهر ومفعم ممتلىء ورحب الواسع . اللبان الصدر وأمينات القوات الصحاح المسالمات الصلاب ، والعجى جمع عجاية وهى عصب مركب به شىء كفص الخاتم (٨) ركبن يعنى العجى . حواشب جمع حوشب وهو عظم فى باطن الحافر ، مكتنة مستورة أو مكتنزة ، نسور جمع نسر وهو لحمة ناتئة يابسة فى باطن الحافر شبهها بالنواة لصلابتها ، ملفوظ النوى ما لفظه منه أى رمى به وطرح والنوى جمع نواة وهى التى داخل الثمرة (٩) يرضخ يكسر : البيد جمع بيداء وهى القفار ، رقى ارتفع : الربى جمع

يُديرُ إغْليطَيْنِ فى مَلْمُومَةٍ ... الى لَمُوحَيْنِ بأَلحاظ اللَّأَى (١)

مُدَاخَلُ الحَلْقِ رَحيبٌ شَجْرُهُ ... مُخْلَوْلَقُ الصَّهْوَةِ مَمْسُودٌ وَأَى (٢)

يَجْرِى فَتَكْبُو الرِّيحُ فى غاياته ... حَسْرَى تَلُوذُ بجَرَاثيمِ السَّحَا (٣)

لو اعْتَسَفْتَ الأرضَ فوق مَتْنِهِ ... يَجُوبُها ما خِفْتَ أَن يشكو الوَجَى (٤)

تَظُنُّهُ وهو يُرَى مُحْتَجِباً ... عن العيون إنْ دَأَى أو إنْ رَدَى (٥)

إذَا اجْتَهَدْتَ نظراً فى إثْرِهِ ... قُلْتَ سَنَاً أَوْمَضَ أو بَرْقٌ خَفَا (٦)

كأنّما الجَوْزَاءُ فى أَرْسَاغِهِ ... والنَّجْمُ فى جَبْهَتِهِ إذَا بَدَا (٧)

هُما عِتَادِى الكافِيانِ فَقَدَ مَنْ ... أَعْدَدْتُهُ فَلِينْأَ عنّى من نَأَى (٨)

فإنْ سَمِعْتَ بِرَحىً مَنْصُوبَةٍ ... للحَرْبِ فاعلمْ أَنّنى قُطْبُ الرَّحَى (٩)

وإن رأيتَ نَارَ حَرْبٍ تَلْتَظِى ... فاعلمْ بأنّى مُسْعِرٌ ذاكَ اللَّظَى (١٠)

ربوة وأورى أوقد بها ، الحبادابة تضىء بالليل اسمها الحباحب فرخم لضرورة الشعر (١) الاغليط وعاء ثمر المرخ شبه أذنى الفرس بذلك وهو شبيه بقشور الباقلى الرطب تشبه آذان الخيل، وملمومة هى الهامة المجتمعة المستوية واللموحين العينان ، والحاظ نظرات جمع لحظة ، واللأى الثور والانثى لأة (٢) مداخل الحلق ، رحيب واسع ، شجر هو مجتمع عظم اللحيين ، مخلولق أملس ، الصهوة من الفرس موضع السرج ، ممسود مفتول ، وأى الصلب الشديد (٣) فتكبو فتعثر ، غايات جمع غاية وهى منتهى جريه ، حسرى مكفة ، تلوذ تلجأ ، جراثيم جمع جرثومة وهو التراب الذى يجتمع فى أصول الشجر ، السحا ضرب من الشجر (٤) اعتسفت الارض قطعتها باعتساف منك أى على غير هدى ، متنه ظهره ، يجوبها يقطعها ويخرقها ، الوجى أن يبلغ الوجع الى باطن الرسغ (٥) دأى جرى وكذا ردى يقال دأى يدأى دأيا وردى يردى رديا إذا جرى جرياً سريعا (٦) سنا الضوء وأومض أضاء أى لمع لمعاً خفيفاً والخفو لمع البرق فى نواحى الغيم (٧) الجوزاء نجم معروف وهو التوأمان ، وارساغ جمع رسغ وهو مفصل بين الحافر والوظيف من كل دابة ، والنجم هو الثريا يصف غرة الفرس وتحجيله ، وبدا ظهر (٨) العتاد ما يتخذ عدة للدهر ، فلينأ فليبعد من نأى اذا بعد (٩) برحى منصوبة يريد برحى الحرب وهو موضع استدارة أهلها اذا تعاركوا ، قطب الحديدة أو الخشبة التى تدور عليها (١٠) تلتظى تشتعل ومسعر موقد ، اللظى اللهب

خَيرُ النُّفوس السَّائلاتُ جَهْرَةَ ... على ظُبَاتِ المُرْهِفات والقَنَا (١)
إنَّ العِراق لَم أُفارِقْ أَهلَه ... عن شَنَآنٍ صَدَّنِي ولا قِلَى (٢)
ولا أَطَّبَى عَيْنِى مُذْ فارقْتُهُمُ ... شىءٌ يُرُوق العينَ من هذا الورَى (٣)
هُمُ الشَّناخيبُ المُنيفاتُ الذُّرا ... والنّاسُ أَدْحالٌ سواهُمْ وهُوَى (٤)
هُمُ البُحور زاخِرٌ آدِيُّها ... والنّاسُ ضَحْضَاحُ ثِعابٍ وأَضَى (٥)
إنْ كنتُ أبصرتُ لهم من بعدهم ... مِثْلاً فأغضَيْتُ على وَخْزِ السَّفَا (٦)

حاشا الأَميرَيْنِ اللّذَيْن أَوفَدا ... علىَّ ظِلاًّ منْ نعيمٍ قد ضَفَا (٧)
هُما اللّذانِ أَثبتَا لى أَمَلاً ... قد وقَفَ اليأسُ به على شَفَا (٨)
تَلافَيَا العيْشَ الّذى رَنَّقَهُ ... صرْفُ الزّمان فاسْتَساغَ وصَفَا (٩)
وأَجْرَيَا ماءَ الحَيَا لِى رَغَداً ... فاهْتزَّ غُصْنى بعدما كان ذَوَى (١٠)
هُما اللّذان سَمَوا بِناظِرى ... من بعدِ إغْضائى على لَذْعِ القَذَى (١١)

---

(١) جهرة عيانا ، وظباة جمع ظبة كشبة. حد السيف والمرهفات السيوف الرقاق. والقنا الرماح واحدها قناة (٢) العراق قطر معروف على شاطىء دجلة والفرات وشنآن بغض وصدنى منعنى وصرفنى والقلى البغض (٣) أطبى استمال، ويروق يعجب (٤) الشناخيب أطراف الجبال واحدها شنخوب والمنيفات المرتفعات الطوال وهى الشواهق، والذرا جمع ذروة وهى أعالى الجبال، وأدحال جمع دحل وهى الحفير الغامض من الارض يتسع أسفله ويضيق اعلاه وهوى جمع هوة بمعنى الدحل (٥) زخرا الماء الكثير الفائض والا دى الموج وضحضاح الماء القليل : وثباب جمع ثعب وهو الموضع المطمئن فى أعلى الجبال يستنقع فيه ماء المطر وأضى جمع أضاة وهى الغدران الصغار يعنى انهم البحور والناس ضحضاح أى ماء قليل (٦) أغضيت صبرت على المكروه وخز طعن غير نافذ وقيل الوخز الطعن بسرعة ، السفا شوك شجر يوجد فى البادية يدعى الرمى (٧) أوفدا أرسلا وضفا كثر من قولهم ضفا ذيل الفرس اذا كثر وطال (٨) شفا الشىء طرفه وحرفه (٩) تلافيا تداركا ، رنقه كدره والرنق الماء الكدر ، صرف الزمان تقلبه من حال الى حال واستساغ ساس فى الحلق وطاب (١٠) الحيا مقصور الغيث والخصب ورغدا السعة فى العيش فاهتز غصنى طال وأصل الهز التحريك ، ذوى ذبل (١١) سموا بناظرى رفع ناظرى والباء للتعدية ، إغضائى

هُما اللّذان عَمَّرا لى جانباً ... من الرَّجاءِ كانَ قِدْماً قَدْ عَفا (١)
وقَلَّدانِي مِنَّةً لوْ قُرِنَتْ ... بشكر أهل الأرض عَنّى ما وَفى (٢)
بالعُشْرِ مِن مِعشارِها وكان كالـ ... ـحَسْوَةِ فى آدِىِّ بَحْرٍ قد طَمَى (٣)
إنّ ابْنَ مِيكال الأميرَ انْتاشَنِي ... من بعد ما قد كنتُ كالشّىء اللَّقَا (٤)
ومَدَّ ضَبْعَىَّ أبو العبّاس مِنْ ... بعدِ انْقباضِ الذَّرْعِ والباعِ الوَزَى (٥)
ذاكَ الّذى ما زال يَسمو للعلا ... بفعله حتى علا فوق العُلا (٦)
لو كان يَرقَى أحدٌ بجُوده ... ومجده الى السّماء لارْتَقَى (٧)
ما إنْ أتَى بحرَ نَدَاه مُعْتفٍ ... على أوَارَىْ عَلَمٍ إلاّ ارْتَوَى (٨)
نَفسِي الفِداءُ لِأَمِيرَىَّ ومَنْ ... تحت السّماءِ لِأَمِيرَىَّ الفِدَا
لا زال شُكرى لهما مُواصِلاً ... لَفظِيَ أو يَعتاقُنِي صَرْفُ المنَى (٩)
إنّ الاولى فارَقْتُ من غَيرِ قِلىً ... ما زاغَ قلبى عنهمُ وما هَفَا (١٠)
لكنَّ لى عَزْماً إذا امتطَيتُه ... لِمُبْهَمِ الخطْبِ فآهُ فانْفَأَى (١١)
ولو أشَاءُ ضَمَّ قُطْرَيْه الصَّبا ... علىّ فى ظِلِّ نعيمٍ وغِنَى (١٢)

تغافلى ، لذع حرقة ، القذى ما يقع فى العين (١) قدما قديما ، عفا درس (٢) وقلدانى منة أى جعلاها فى عنق وهو موضع القلادة ، منة نعمة وجمعها منن وقرنت قيست ، ماوفى ماقام ولا عدل شكرهم (٣) الحسوة الجرعة مما يشرب ، آدى الموج وطمى امتلأ وارتفع (٤) ابن ميكال وهو عبد الله بن محمد بن ميكال وهو فارسى من أمراء فارس وانتاشنى نعشنى واللقا الشىء المطروح (٥) ضبعى عضدى ، وأبو العباس هو اسماعيل بن عبد الله المتقدم فمدح الاب والابن والذرع والذراع واحد ، والباع قدر مد اليدين ويطلق على الشرف والكرم ، والوزى القصير (٦) يسمو يرتفع (٧) يرقى يرتفع (٨) الندى الكرم ، معتف طالب للرفد ، أوارى حرارة الشمس والنار وعلم جبل صغير ، ارتوى اكتفى من الماء وغيره (٩) أو يعتاقنى ، أو يصرفنى : وأو بمعنى حتى ، والصرف التقلب ، والمنى بفتح الميم مقصور بمعنى المقدر (١٠) من غير قلى من غير بغض ، مازاغ ما مال ، ولا هفا ولا زل (١١) عزما عقدا على فعل أمر . امتطيته ركبته ، المبهم من الامور المغلق ، فآه شقه (١٢) ضم قطريه جمع ناحيتيه ، نعيم ما امتد عليه منه والنعيم ضد

ولاَعَبَتْنِي غَادَةٌ وَهْنَانَةٌ تُضْنِي وفى تَرْشَافِها بُرْءُ الضَّنَى (١)
تَفْرِى بسيفْ لحْظِها إن نَظرتْ نظْرَةَ غَضبى منك أثناءَ الحشَا (٢)
فى خدِّها رَوضٌ من الورد على النسـ ـرينِ بالألحاظِ منها يُجْتَنَى (٣)
لوناجَتِ الأعْصَمَ لانْحطّ لها طَوْعَ القِيَاد فى شَمارِيخ الذُّرَا (٤)
أو صابَت القانِتَ فى مُخلَوْلقِ مُسْتَصْعَبِ المَسلَكِ وعْرِ المُرتقَى (٥)
ألهاهُ عنْ تسْبيحِهِ ودِينِهِ تأنيسُها حتى تَراهُ قَدْ صَبَا (٦)
كأنّما الصَّهْباءُ مَقْطوبٌ بها مَاءُ جَنَى وَرْدٍ إذا اللّيْلُ عسَا (٧)
يَمْتاحُهُ رَاشفُ بَرْدٍ رِيقها بين بَياضِ الظَّلْمِ منها واللَّمى (٨)
سقى العَقِيق فالحزِيز فَالْمَلاَ إلى النَّحيتِ فالقُرَيَّات الدُّنَا (٩)
فالمَرْبِدَ الأعلَى الذى تَلْقى به مَصارعَ الأُسْدِ بألْحَاظِ المَهَا (١٠)

البؤس وهو طيب العيش وسعته (١) لاعبتنى من اللعب ومعناه مازحتنى ، غادة الفتاة الناعمة ، وهنانة ثقيلة القيام والقعود وقيل الطيبة الحديث وتضنى تسقم والضنى الهزال من المرض والترشاف المص فى الثغر أو فوقه ، برء الضنى ذهاب السقم أى هى تضنى وفى تقبيلها البرء من السقم (٢) تفرى تقطع ، اللحظ النظر ، غضبى مغتاظة ، أثناء الحشا ما انثنى منها أى ما انعطف والحشا الكبد وما اتصل بها (٣) النسرين النور الابيض والالحاظ النظرات جمع لحظة ، يجتنى يقتطف (٤) ناجت كلمت ، الاعصم الوعل الذى فى احدى يديه بياض وربما كان البياض فيهما وسائر بدنه أسود أو أحمر ، لانحط لنزل ، القياد التذلل ، شماريخ رؤوس الجبال واحدها شمراخ ، الذرى أعالى الجبال واحدها ذروة (٥) صابت صادفت والقانت القائم بالعبادة ومخولق الجبل الاملس ومستصعب صعب ، والوعر الصعب والمرتقى المصعد (٦) ألهاه شغله ، تأنيسها أنسها وحديثها ، صبا مال ولها (٧) الصهباء الخمرة ومقطوب ممزوج ، ماء جنى ورد أى ما أخذ من الورد طريا ، عسا الليل أظلم (٨) يمتاحه يستقيه ، راشف المتناول الشراب بشفتيه ، الظلم بفتح الظاء الاسنان البيض حتى كأنها من شدة البياض يعلوها سواد ، اللمى سمرة الشفتين (٩) العقيق والجزيز والملا والنحيت مواضع بالبصرة ونواحيها ـ القريات جمع قرية مصغرة ، الدنا جمع دنيا مؤنث أدنى بمعنى القريب (١٠) المربد موضع بالبصرة بفتح الميم وكسر الباء ، مصارع الاسد مواضع سقوطها عند الموت

محلَّ كلِّ مُقرمٍ سمتْ بهِ ... مآثرُ الأباءِ فى فرعِ العلا (١)
من الأُولَى جوْهرُهُمْ إذا اعتزَوا ... من جوْهرٍ منه النّبىُّ المُصطفى (٢)
صلّى عليهِ اللهُ ما جنَّ الدُّجَى ... وماجرَت فى فلَكٍ شمسُ الضُّحى (٣)
جَوْنٌ أغارتْهُ الجنُوبُ جانِباً ... منها وواصَتْ صَوْبهُ يدُ الصَّبَا (٤)
نَأى يَمانِيًّا فلمَّا انتشرتْ ... أحْضانُهُ وامْتدّ كسراهُ غطَا (٥)
فجلّل الأُفق فكلُّ جانبٍ ... منها كأنّ من قُطْرِهِ المُزْنَ حَبا (٦)
وطَبَّقَ الأرضَ فكلُّ بُقْعةٍ ... منها تقولُ الغيْثُ فى هاتَا ثَوى (٧)
إذا خَبتْ بُرُوقه عنّتْ لها ... ريحُ الصَّبا تُشِبُّ منها ما خَبا (٨)
وانْ وَنَتْ رُعودُهُ حدَا بها ... راعِى الجنُوبِ فحدَتْ كما حدَا (٩)

وأراد بالاسد الرجال وأراد أنهم صرعوا بالحاظ المها أى قتلتهم ألحاظ النساء الحسان البيض المشبهة بالمها وهى البقر الوحشى الواحدة مهة وألحاظ نظرات (١) مقرم السيد الكريم وأصله فحل الابل وماثرة جمع مأثرة الصنيعة الحسنة وفرع كل شئ أعلاه (٢) من الأولى من الذين ، وجوهرهم أصلهم وإذا اعتزوا إذا انتسبوا ، والمصطفى المختار محمد صلى الله عليه وسلم (٣) جن الدجى أظلم وستر ، والدجى الظلمة (٤) جون فاعل سقى المتقدمة وهي هنا السحاب الأسود وتأتى للأبيض ضده وأغارت أنزلت والجنوب الريح القبلية تجئ بالمطر وواصت واصلت والصوب نزول المطر والصبا الريح الشرقية (٥) نأى يمانياً أى طلع من ناحية اليمن يريد الغيم وانتشرت كثرت وأحضانه نواحيه وأصل الحضن ما دون الابط إلى الكشح وكسراه تثنية كسر وهو طلب الحبا وإنما كنى بالكسرين عن أذيال السحاب ويريد أن السحاب جرت على الارض أذيالها وغطا ارتفع أو انبسط (٦) فجلل فغطى والافق الناحية وجمعها آفاق ومن قطره بضم القاف من ناحيته وجمعه أقطار والمزن السحاب والواحدة مزنة وحيا امتلأ ودنا يريد السحاب (٧) طبق الأرض غطى الأرض ، فكل بقعة فكل مكان وفى هاتا فى هذه وثوى أقام (٨) خبت بروقه أى خمدت وسكنت ، وعنت عرضت وتشب توقد (٩) وإن ونت ضعفت وفترت ، وحدا بها ساقها بالحداء وهو صوت السائق الذى يسوق الابل بالغناء ، وراعى الذى يرعى الابل أى يحفظها والجنوب الريح القبلية ، فحدت فساقت ، كما حدا كما ساق

كأنّ فى أحضانِهِ وبَرْكِهِ ... بَرْكاتَداعَى بين سَجرٍ ووَحى (١)

لم ترَ كالمُزْنِ سَواماً بُهَّلاً ... تحْسبُها مَرْعِيَّةً وهى سُدَى (٢)

تقولُ للأجْزارِ لمَّا استوْسقتْ ... بِسَوْقِهِ ثِقِى بِرِىٍّ وحيَا (٣)

فأوْسعَ الأحداب سَيْباً مُحْسباً ... وَطبّق البُطنانِ بالماءِ الرِّوَى (٤)

كأنّما البَيْداء غِبَّ صَوْبِهِ ... بَحرٌ طَما تيّارُهُ ثمّ سَجَا (٥)

ذاك الجِدَا لا زال مَخصُوصاً به ... قومٌ هُمُ للأرض غيثٌ وجدَا (٦)

لستُ إذا ما بَهظَتْنِي غَمْرَةٌ ... ممّن يقول (بَلغَ السَّيْلُ الزُّبَى) (٧)

وإنْ ثَوتْ تحت ضُلوعى زَفْرَةٌ ... تملأُ ما بين الرَّجَا الى الرّجَا (٨)

نَهنهتُها مَكظُومةً حتى يُرى ... مُخضْوضِعاً منها الذى كان طَغَا (٩)

ولا أقول إنْ عرَتْنِي نَكْبَةٌ ... قول القُنوطِ (انقدَّ فى البطن السَّلا) (١٠)

---

(١) كأن فى أحضانه فى نواح هذا الافق فالضمير عائد على الافق أو على السحاب وهو أحسن ،والبرك الاول الصدر والثانى الابل وتداعى تتداعى والتداعى هو أن يدعو بعضها بعضاً ، وسجر حنين وهو صوت الناقة إلى ولدها وهو صوت شجى ، ووحى الصوت

(٢) المزن السحاب وسواما بلا راعية وبهلاهى التى لم تحلب فتركت ضروعها ملأى من البانها لفصائلها ، وسدى المهملة التى لا راعى لها (٣) الاجراز جمع جرز وهى الأرض الصلبة التى لم يصبها المطر واستوسقت حملت ما يكفيها من الماء وثقى برى أى يشبع من الماء وحيا خصب

(٤) الاحداب جمع حدب وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ وسيبا غطاء ، محسبا كافيا وطبق غطى والبطنان جمع بطن وهو الغامض من الأرض والروى الماء الكثير (٥) البيداء والقفر وغب صوبه عقب مطره وانتصب غب على الظرف والصوب نزول المطر وطما ارتفع وتياره موجه، وسجا سكن (٦) الجدا الاول النائل والعطاء والذى فى آخر البيت يحتمل أن يكون أراد به الجداء بالمد وهو الغناء ثم قصره لضرورة الشعر ويحتمل أن يكون المراد به المعنى الاول

(٧) بهظتنى شقت على وغمرة هى الكربة والشدة واجدة الغمرات والزبى جمع زبية وهى حفرة تحفر للأسد فى المكان العالى من الأرض وليس يبلغها الاسيل عظيم وهو مثل تضر به العرب إذا اشتد بأحدهم الأمر (٨) ثوت أقامت ، زفرة هى ترجيع الصوت بالبكاء والرجا والجانب

(٩) نهنهتها أكففتها وزجرتها مكظومة متجرعة ومخضوضعاً متذللاوطغا كثر أو تكبر (١٠) عرتنى أصابتنى ، نكبة مصيبة . القنوط اليأس ، أنقد انقطع والسلا بفتح السين المشيمة التى تتعلق

قد مارستْ منّى الخطوبُ مارِسًا ... يُساورُ الهولَ اذا الهولُ علاَ (١)

لِىَ ٱلتواءٌ إنْ مُعادِىّ ٱلتوَى ... ولىَ استواءٌ إن مُوالِىّ استوَى (٢)

طَعْمى شَرِىٌّ للعدُوّ تارَة ... والرّاحُ والأُرْىُ لمن وُدِّى ابتغَى (٣)

لَدْنٌ إذا لُوِينْتُ سَهْلٌ مَعْطِفِى ... أَلْوَى اذا خُوشِنْتُ مَرْهُوبُ الشَّدَا (٤)

وصَوْنُ عِرْضِ المرءِ أن يبذُلَ ما ... ضَنّ به ممّا حواهُ وانتَضَى (٥)

والحمدُ خيرُ ما ٱتخذْتَ عُدّةً ... وأنفسُ الأذْخارِ من بَعْدِ التُّقَى (٦)

وكلُّ قَرْنٍ ناجمٍ فى زَمَنٍ ... فهو شَبيهُ زمنٍ فيه بدَا (٧)

والنّاس كالنّبْت فمنهمْ رائقٌ ... غَضٌّ نَضيرٌ عُودُه مُرُّ الجَنَى (٨)

ومنهُ ما تقتحِمُ العين فإنْ ... ذُقْتَ جَناهُ أنْساغَ عَذْبًا فى اللّها (٩)

يُقَوِّم الشّارخ منْ زَيغانِه ... فَيَسْتوِى ما انْعاجَ منهُ وانحنَى (١٠)

والشَّيْخ إن قوّمتَهُ مِنْ زَيغِهِ ... لمْ يُقِم التّثْقيفُ منه ما ٱلتوَى (١١)

كذلك الغُصنُ يَسيرٌ عَطْفُهُ ... لَدْنًا شديدٌ غَمزُهُ إذا عَسا (١٢)

مَن ظَلَمَ الناس تحامَوْا ظُلْمَهُ ... وعَزَّ عنهم جانِباهُ واحتَمَى (١٣)

بالولد وتسقط معه (١) مارست عاركت وضاربت الخطوب الامور ، مارسا شديداً ، يساور الهول يغالبه ويطاوله والهول الشدة ، علا ارتفع (٢) التواء انعواج ، معادى العدو ، الموالى الصديق الذى يوالى ، استوى اعتدل (٣) شرى حنظل والارى العسل الابيض . ابتغى طلب (٤) لدن لين ، لوينت أخذت باللين (٥) انتضى اختار (٦) عدة عمدة والاذخار جمع ذخر وهو المخبوء (٧) وكل قرن أى وكل امة وناجم مرتفع (٨) رائق معجب والغض الطرى الاخضر الناعم وكذلك النضير والجنى ما قطف من الثمر (٩) تقتحم العين تتركه كرها له وتعدوه الى غيره وجناه ما اجتنى منه وانساغ سهل بلعه وعذبا حلواً واللها جمع لهاة وهى اللحمة المعلقة بأصل الحنك (١٠) الشارخ الشاب والحدث المستقبل للشباب وشرخ الشباب أوله ، زيغانه يقال زاغ الشىء اذا مال وانعاج انعطف وانحنى مثله (١١) من زيغه من ميله . لم يقم أى يقوم ، التثقيف التقويم ، ما التوى ما انعوج (١٢) لدنا لينا والغمز التقويم ، عسا صلب (١٣) تحاموا ظلمه تباعدوا عنه ، وعزعنهم امتنع عنهم والعزة القوة والشدة ، احتمى امتنع

وهُم لمنْ لانَ لهم جَانبُهُ أظْلمُ من حَيّاتِ أنْباثِ السَّفا (١)

عَبيدُ ذى المال وان لم يطْمَعُوا منْ غمره فى جُرْعَةٍ تَشْفِى الصّدَى (٢)

وهم لمنْ أمْلَقَ أعْدَاءٌ وانْ شاركَهم فيما أفاد وحَوَى (٣)

عاجَمْتُ أيّامى وما الغِرُّ كمن تأزّرَ الدَّهْرُ عليهِ واعتَدَى (٤)

لايَرْفَعُ اللُّبُّ بلا جَدٍّ ولا يحُطّكَ الجهلُ إذا الجدُّ علاَ (٥)

مَنْ لم يَعِظْهُ الدَّهر لم يَنفعه ما رَاحَ به الواعظُ يوما أو غدا (٦)

مَن لم تُفدْهُ عبرَاً أيَّامُهُ كان العَمَى أولى به من الهُدَى (٧)

مَنْ قاس مَالم يَرهُ بما يَرى أرَاهُ ما يَدنُو اليه ما نَأىَ (٨)

منْ ملّكَ الحرْصَ القيادَ لم يَزل يَكرَعُ منْ ماءٍ مِن الذُّلّ صَرَى (٩)

مَنْ عارضَ الأطماعَ باليَأسِ رَنَتْ اليه عينُ العزّ منْ حيثُ رَنا (١٠)

مَنْ عطَفَ النَّفس على مَكروهِها كان الغِنَى قَرينَهُ حيثُ انتوَى (١١)

مَن لم يَقِفْ عند انتهاءِ قَدْرِهِ تَقَاصرَتْ عنه فَسِيحاتُ الخُطا (١٢)

---

(١) لان أى ضعف وسهل . الانباث التراب المستخرج من البئر ، السفا ما تسفه الريح (٢) الغمر الماء الكثير ، الجرعة القليل من الماء ، تشفى تبرئ . والصدا العطش (٣) أملق افتقر (٤) عاجمت أيامى أى امتحنها واختبرها ، الغر الذى لم يجرب الأمور وتأزر من الأزار (٥) لا يرفع اللب من الرفعة أى لا تعلو منزلته واللب العقل وجمعه ألباب ، والجد بالفتح الحظ والبخت (٦) راح أتى بالعشى ، غداً أتى بالغدو (٧) من لم تفده أى تكسبه عبراً جمع عبرة وهى التذكرة (٨) من قاس من مثل ، وأراه ما يدنو أى ما يقرب ، ما نأى ما بعد (٩) القياد الطاعة . يكرع أى يشرب بفيه بدون آلة ، صرى الماء الدائم الذى قد طال مكثه جمع صراة (١٠) الاطماع جمع طمع ، والياس انقطاع الرجاء ورنت نظرت (١١) عطف أمال ورد ، وقرينه صاحبه ، وحيث انتوى اى حيث نوى من النية بمعنى القصد ، وقيل من النوى وهو البعد . (١٢) تقاصرت قصرت ، وفسيحات واسعات والخطا جمع خطوة

مَنْ ضيَّعَ الحزمَ جنَى لنفسه ... ندَامةً أَلْذَعَ من سفْعِ الذّكا (١)
مَنْ ناط بالعُجْبِ عُرَى أخلاقِه ... نيطَتْ عُرَى المقْتِ إلى تلك العُرَى (٢)
مَنْ طالَ فوقَ مُنْتهى بَسْطتِه ... أعْجزَهُ نَيْلُ الدُّنَى بلَهَ القُصَا (٣)
والنّاس ألفٌ منهمُ كواحد ... وواحدٌ كالألْف إن أمْرٌ عنَى (٤)

وللفتَى من مالِه ما قدَّمتْ ... يَداهُ قبل موتِه لا ما اقْتنَى (٥)
وإنّما المرءُ حديثٌ بَعدهُ ... فكُنْ حديثاً حسَناً لمن وَعَى (٦)
إنّى حلَبْتُ الدّهر شَطْريْه فقد ... أمَرَّ لى حِيناً وأحيَاناً حَلا (٧)
وفرَّ عن تَجربَةٍ نَابى فقُلْ ... فى بازِلٍ راضَ الخُطوبَ وامْتَطى (٨)
واللّومُ للحرِّ مُقيمٌ رَادعٌ ... والعبْدُ لا يَرْدعُهُ إلاّ العصَا (٩)

وآفةُ العقل الهَوَى فمن عَلا ... على هواهُ عقله فقد نَجا (١٠)
كم من أخٍ مَسْخُوطة أخلاقُه ... أصفيْتَهُ الوُدَّ لخلقٍ مُرْتضى (١١)
إذَا بلوتَ السيِّف مَحموداً فلا ... تَذْمُمه يوماً أن تَراه قد نَبا (١٢)

---

(١) الحزم الاحتراس بالافعال ندامة حسرة ، الذع أشد حرقة . سفع إحراق ، الذكا التهاب النار (٢) ناط علق والصق ، عرى جمع عروة وهى ما يتمسك به . اخلاقه طبائعه . نيطت علقت. المقت أشد الغضب (٣) من طال من ارتفع . البسطة الفضيلة . أعجزه أضعفه، ونيل ادراك والدنى جمع الدنيا وهى الشئ القريب، وبله بمعنى غير اودع — القصا جمع القصوة وهو الشئ البعيد (٤) عنى قصد أو لزم (٥) اقتنى اكتسب (٦) لمن وعى لمن حفظ (٧) حلبت الدهر جربته وشطريه نصفيه . وأراد بشطريه أول زمانه وآخره أو نعيمه وبؤسه (٨) وفر عن تجربة نابى أى كشف عن أمره، وهذا مأخوذ من قولهم فرعن الدابة اذا فتح فاها ليعرف سنها وينظر صغرها من كبرها . بازل من الابل التى أتت عليه تسعة أعوام وراض الخطوب اذ لها . امتطى الدابة ركبها (٩) اللوم بالفتح من الملامة وهى العتاب مقيم مصلح . رادع كاف (١٠) آفة العقل مضرته ومفسدته . الهوى الشهوة . علا ارتفع (١١) مسخوطة من السخط وهو ضد الرضا . أخلاقه طبائعه اصفيته الود أخلصت له الود . مرتضى مستحسن (١٢) بلوت اختبرت . نبا ارتفع عن المضروب

والطِّرْفُ يَجْتازُ المَدَى وربّما عَنَّ لِمغْداهُ عِثارٌ فكَبا (١)

مَنْ لك بالمُهذّبِ النّدْبِ الذى لايَجِدُ العيبُ اليهِ مُخْتطَى (٢)
اذا تَصفَّحْتَ أمور النّاس لم تُلْفِ امرءاً حاز الكمال فاكتفى (٣)
عَوِّلْ على الصّبر الجميل فانّه أمْنعُ مالاَذبه أُولُوا الحِجَا (٤)
وعَطِّفِ النّفس على سُبْلِ الأسَى اذا استفزّ القلْبَ تَبريحُ الجوَى (٥)
والدّهر يَكْبُو بالفتى وتَارةً يُنهضُهُ من عَثْرةٍ إذا كَبا (٦)
لاتَعجبنْ من هالكٍ كيف هَوَى بل فاعجبنْ من سالمٍ كيف نجا (٧)
إنَّ نُجومَ المجدِ أمْسَتْ أُفَّلاً وظِلُّهُ القالِصُ أضحى قدأزَى (٨)
إلاّ بَقايَا منْ أُناسٍ بهمُ إلى سبيل المكْرُمَات يُقْتدَى (٩)
اذَا الأحاديث انتضتْ أنباءَ هُم كانت كنشر الرّوضِ غَاداهُ السَّدَى (١٠)
لايسمع السّامع فى مجلسهم هُجراً اذا جالسهم ولا خَنَا (١١)

ما أنْعم العِيشةَ لو أنّ الفتى يَقْبلُ منه الموتُ أسْناءَ الرُّشَا (١٢)

ولم يقطع فيه شيئا (١) الطرف بالكسر الكريم من الخيل . يجتاز يجوز . المدى الغاية . عن عرض . لمغداه لجريه وعثار مصدر عثر يعثر عثاراً . وقوله كبا أى سقط لوجهه (٢) المهذب العاقل الظريف والندب الرجل الخفيف فى الحاجة . مختطى ممشى وهو من خطى يخطو اذا مشى (٣) تصفحت نظرت واستقصيت . لم تلف لم تجد . اكتفى أى اجتزأ به (٤) عول على الصبر أى ـ ارجع إليه واعمد عليه . أمنع أحمى وأقوى . الحجا العقل (٥) الأسا التصبر . استفز استخف وتبريح شدته . الجوى لجوف (٦) يكبو يعثر (٧) هوى سقط (٨) أفلا غائبات . القالص المرتفع وفرس قالص طويل القوائم . أزى قصر ونقص (٩) يقتدى يتبع فعلهم (١٠) انتضت اظهرت من نضا الشئ اذا ظهر . الانباء الاخبار . النشر الرائحة الطيبة . الروض الموضع الذى يكون فيه ضروب من النبات وغاداه باكره : السدى الندى فى هذا الموضع وهو المطر

(١١) هجراً بضم الهاء القبيح من القول وكذا الخنا أيضا (١٢) العيشة الحياة . أسناء

أو لو تحلّى بالشباب عُمرُهُ ... لم يَستَلِبْهُ الشَّيبُ هاتيكَ الحُلَى (١)

واللَّيلُ مُلْقٍ بالمَوامِي بَرْكَهُ ... والعِيسُ يَنبِثْنَ أفاحيصَ القَطَا (٢)

بحيثُ لا تَهْدَى لسمعٍ نَبأة ... إلاَّ نَئيمُ البُوم أوصوتُ الصَّدَى (٣)

شَايعتُهم على السُّرَى حتى إذَا ... مالَتْ أداةُ الرَّحلِ بالجِبْسِ الدَّوَى (٤)

قُلتُ لهم إنَّ الهُوَيْنا غِبُّها ... وَهْنٌ فجِدُّوا تَحْمَدُوا غِبَّ السُّرَى (٥)

ومُوحِشِ الأقطارِ طَامٍ ماؤهُ ... مُدعَثِرِ الأعضادِ مَزْوُمِ الجَبَا (٦)

كأنّما الرّيشُ على أرْجائِهِ ... زُرْقُ نِصالٍ أُرْهِفَتْ لِتُمْتَهَى (٧)

وردْتُهُ والذِّئبُ يَعوِي حَولَهُ ... مُستَكُّ سُمِّ السَّمعِ من طُولِ الطَّوَى (٨)

ومُنْتَجٍ أُمُّ أبيه أُمُّهُ ... لم يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ مَسَّ الضَّوَى (٩)

أفْرَشْتُهُ بِنتَ أخيه فانْثَنَت ... عن ولدٍ يُورِي بهِ ويُشْتَوَى (١٠)

الرشا أرفعها وأعلاها والرشا جمع رشوة وهى العطية التى يحابى بها الانسان (١) تحلى بالشباب لبسه وتزيا به . لم يستلبه لم يجرده . الحلى جمع حلية (٢) المواي جمع مومأة وهى القفر . البرك الصدر . العيس الأبيض من الابل . ينبثن يخرجن : أفاحيص القطا أوكارها وواحدها أفحوص (٣) نبأة الصوت الخفى ونئيم البوم صوته والبوم الهام : الصدى ذكر الهدم (٤) شايعتهم تابعتهم على رأيهم فى سير الليل : السرى سير الليل : أداة الرحل حوائج الرحل . الجبس الرجل الثقيل الجبان . الدوى الاحمق (٥) وهن ضعف . فجدوا فاجتهدوا (٦) موحش الاقطار يعنى به بئرا أو حوضا والموحش ضد المؤنس والاقطار النواحى وطام مرتفع . مدعثر مهدوم الاعضاد ما حواليه من صفائح الحجارة التى تعضده . الجبا بفتح الجيم ما حول البئر أو الحوض (٧) أرجائه ونواحيه زرق نصال بيض نصال . أرهفت رققت . تمتهى تسقى بالماء (٨) وردته يعنى وردت هذا الماء والهاء عائد على الماء فى قوله طام ماؤه . يعوى يصيح من الجوع ومستك ضيق وسم السمع . والاستكاك الصمم سم الثقب . والطوى الجوع . وأيضاً خمص البطن وهو ضموره (٩) ومنتج يريد رب غصن منتج أى مولود . أم أبيه أمه . يريد غصنا قطع من فرع من شجرة فتلك الشجرة أم الفرع والفرع جعله للغصن بمنزلة الاب على الاستعارة والشجرة أم الفرع وأم الغصن لانها منها فصارت أما لابيه واما له . لم يتخون لم يتعاهد . الضوى الهزال (١٠) أفرشته بنت أخيه حككت به غصنا آخر . وعن ولد يريد عن شرار . ويورى يشعل . يشتوى أى يشتوى به ـ يقال شويت اللحم واشتويته

ومَرْقَبٍ مُخْلَوْلَقٍ أَرْجاؤُهُ مُسْتَصْعَبِ الْمَسْلَكِ عَرِ المُرْتَقَى (١)
والشَّخصُ فى الآلِ يُرَى لناظرٍ تَرْمُقُهُ حِيناً وحِيناً لايُرَى (٢)
أوفيتُ والشَّمس تَمُجُّ رِيقَها والظِّلُّ من تحت الحِذاءِ مُحْتَذَى (٣)
وطارِقٍ يُؤْنِسُهُ الذِّئبُ اذا تَضَوَّرَ الذِّئْبُ عِشاءً وانْضَوَى (٤)
آوَى الى نارِىَ وهْىَ مَأْلَفٌ يدعو العُفَاةَ ضَوْؤُها الى القِرَى (٥)
لِلّه ما طَيفُ خَيالٍ زَائِرٍ تَزُفُّهُ للقلب أَحلامُ الرُّؤَى (٦)
يَجوبُ أجوازَ الفَلا مُحتقِراً هَوْلَ دُجى اللّيلِ اذا اللّيلُ انبرَى (٧)
سَائِلْهُ إنْ أفصَحَ عن أنبائِهِ أَنّى تَسدَّى الليلَ أمْ أنَّى اهتدَى؟ (٨)
أو كان يَدْرِى قبلها ما فارِسٌ وما مَوامِيها القِفارُ والقُرَى (٩)
وسائِلِى بمُزعِجِى فى وَطَنى ما ضاقَ بى جَنابُهُ ولا نَبا (١٠)
قلتُ القَضاءُ مالِكٌ أمرَ الفَتى من حيثُ لا يَدرِى ومن حيثُ دَرَى
لا تَسأَلَنِّى واسْأَلِ المِقدارَ هَل يُعصَمُ منه وزَرٌ ومُزْدَرَى

(١) مرقب : الموضع العالى الذى ينظر منه إلى بعد ومخلولق أملس . وأرجاؤه نواحيه ومستصعب صعب . والمسلك الطريق (٢) الشخص سواد الانسان وغيره تراه من بعد . والآل السراب . وترمقه تنظره . وحيناً وقتا (٣) أو فيت أتيت ووصلت أى اليه وتمج تلقى . وريقها لعابها ، ولعاب الشمس إنما يكون فى وقت الظهيرة وهو مثل نسج العنكبوت يتراءى فى الشمس والحذاء النعل ومحتذى ملصق (٤) وطارق الذى يجىء بالليل . وتضور صاح من الجوع (٥) أوى إلى نارى أى انضم إلى نارى ومألف الموضع الذى يجتمع فيه الاحباب والعفاة طلاب المعروف (٦) لله ما طيف : اللام فى هذا بمعنى التعجب وما زائدة . والطيف ما يراه النائم فى صورة محبوبه . خيال الشخص الذى يتخيل لك . وتزفه تحمله (٧) يجوب يقطع وأجواز أوساط والفلا جمع فلاة وهى القفر من الأرض . ودجى جمع دجية وهى الظلمة وانبرى اعترض (٨) سائله يعنى الخيال . وعن أنبائه يعنى عن أخباره وإن أفصح أى إن أبان ، وأنى كيف تسدى قطع الليل بالسير . وأم أنى اهتدى معناه من أين اهتدى (٩) أو كان يدرى قبلها يريد قبل هذه الذروة ، وما فارس يريد فارس ، والموامي واحدها موماة وهى الأرض المقفرة (١٠) بمزعجى بمزيلى ومخرجى والباء بمعنى عن فكأنه قال وسائلى عن مزعجى ، الجناب بفتح الجيم الناحية ـ ولا نبا أى ولا ضاق

لاغرْوَ إن لَحَّ زَمانٌ جائرٌ ... فاعترَق العَظْمَ المُمِخَّ وانتقَى (١)
فقد ترَى القاحلَ مُخْضرًّا وقد ... تَلْقَى أخا الإقتار يوماً قد نمَا (٢)
يا هُؤَلَيّا هلْ نَشَدْتُنَّ لَنا ... ناقبةَ البُرقُع عن عَينى طَلاَ (٣)
ما أنصفتْ أمّ الصَّبِيَّيْنِ التى ... أصْبَتْ أخا الحِلْم ولمّا يُصْطَبَى (٤)
استَحْى بيضاً بين أفوادِكَ أن ... يَقتادكَ البيضُ اقْتيادَ المُهْتَدَى (٥)
هَيهاتَ ما أسْفَعَ (هَاتَا) زَلّةً ... أطرَبَاً بَعدَ المَشيبِ والجَلاَ (٦)
يارُبَّ ليلٍ جَمَعَتْ قُطْرَيْهِ لى ... بِنتُ ثمانينَ عَرُوساً تُجتَلَى (٧)
لم يَملِكِ الماءُ عليها أمرَها ... ولم يُدَنِّسها الضِّرامُ المُحتَضَى (٨)
حِيناً هى الدَّاءُ ، وأحياناً بها ... من دَائِها إذَا يَهيجُ يُشْتَفَى
قد صانَها الخَمَّارُ لمّا اختَارَها ... ضَنَّاً بها على سواها واختَبَى (٩)

---

(١) لاغرو لاعجب . لح عرض . فاعترق العظم أى أزال عنه اللحم . الممخ الذى فيه المخ . انتقى استخرج منه النقى وهو المخ (٢) القاحل اليابس . اخا الاقتار المقل من المال ونما زاد واستغنى (٣) ياهؤليا تصغير هؤلاء ونشدتن طلبتن . ناقبة البرقع أى المتقنع به . طلا بفتح الطاء ولد البقرة الوحشية (٤) ما أنصفت أم الصبيين هذا لفظ تقوله العرب تمدح به المرأة الكاملة العقل . والصبيان ما يتخايل فى بؤبؤ العين . اصبت اخا الحلم أى رددته إلى الصبا وهو اللهو والحلم والعقل . ولما يصطبى أى لم يرد إلى الصبا ، فلما أخت لم النافية (٥) استحى فعل أمر من الاستحياء بمعنى الحياء وبيضا شيبا وبين أفوادك جمع فود والوفودان جانبا الرأس أى ناحيتاه من يمين وشمال ويقتادك يقودك والبيض الثانية النساء ، المهتدى الاسير (٦) هيهات كلمة تبعيدوها تا إشارة للمؤنث ، زلة خطيئة وسقطة ، الجلا بفتح الجيم انحسار الشعر عن مقدم الرأس (٧) جمعت قطريه أى جانبيه أول الليل وآخره . بنت ثمانين هنا الخمر وانما سماها بنت ثمانين لانه من شربها أوجبت عليه ثمانين جلدة وتجتلى تجلى من جلوت العروس وهو اظهارها (٨) لم يملك الماء عليها أمرها يريد لم تمزج بالماء فتكسر حدتها وسورتها ولم يدنسها أى ولم يغيرها . والضرام الحطب الدقيق يوقد به الحطب الغليظ والمحتضى العود الذى تحرك به النار (٩) صانها حفظها . ضنا نخلا . اختبى ستر .

فهى تُرَى من طولِ عَهدٍ إن بَدتْ ... فى كاسِها الأعينُ النّاس كُلاَ (١)
كأنّ قَرْنَ الشّمس فى ذُرُورِها ... بِفعْلِها فى الصّحن والكاس اقتدَى (٢)
نازَعتُها أروعَ لاتَسطو على ... نَدِيمِه شِرَّتُهُ إذا انْتَشَى (٣)
كأنَّ نَور الرّوض نَظْمُ لفظه ... مُرتجلاً أو مُنشِداً أو إنشدَا (٤)
من كلّ ما نال الفتى قد نلتُه ... والمرءُ يَبقَى بعدهُ حُسن الثّنَا (٥)
فان أعِشْ صَاحبتُ دُهرِى عالماً ... بِمَا انْطَوَى من صَرْفِه وما انْتَشَى
وانْ أمُتْ فقد تَناهت لَذّتِى ... وكلُّ شىءٍ بلَغَ الحدّ انْتهَى (٦)

﴿ وقال المُثقِّب العَبْدِى الحكيم الجاهلى من قصيدة ﴾

لا تقولَنّ اذَا مَا لم تُرِدْ ... أن تَتِمّ الوعدَ فى شَىءٍ « نَعَمْ »
حَسنٌ قولُ « نَعم » من بعدِ « لاَ » ... وقبيحٌ قولُ « لا » بعد « نَعَمْ »
إنّ « لا » بعـد « نَعم » فاحشةٌ ... فبِلاَ فابْدأ إذَا خِفتَ النَّدم
وإذَا قُلت « نَعم » فاصبرْ لها ... بنجَاز الوعد إنّ الخُلفَ ذَمْ
أكرم الجارَ ورَاعِ حَقَّه ... إنّ عِرفانَ الفتَى الحقّ كَرم
لا تَرانِى راتِعاً مِن مَجلس ... فى لُحوم النّاس كالسَّبع الضَّرِم
إنَّ شرّ النّاس مَن يَمدُحنى ... حينَ يلقانى وانْ غِبتُ شَتَم
وكلامٍ سَيِّءٍ قد وقَرت ... عنه أُذْنَاىَ وما بى من صَمَم

---

(١) كلا عمى يعنى انه يعمى من نظر إليها فكيف من شربها (٢) قرن الشمس شعاعها ؛ ذرورها طلوعها يقال ذرت الشمس إذا طلعت والصحن القدح الكبير الواسع ، والكاس القدح إذا كان فيه خمر ، اقتدى اتبع أثره (٣) نازعتها ناولتها وأدرتها ، أروع الحسن المنظر الجميل ، لا تسطو لا تعدو ، النديم الصاحب ، الشرة الحدة ، انتشى سكر (٤) نور الروض زهر الروض مرتجلا الذى يأتى بما يخطر على باله على البديهة بغير استعداد ، وشداغنى ومنه الشادى (٥) الثنا المراد به هنا الثناء وهو فى الاصل علم للخير والشر (٦) تناهت لذتى بلغت النهاية

ولبعض الصفح والإعراض عن ذى الخنا أبقى وان كان ظلم

﴿ وقال الأفوه الأودى أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمائها ﴾

أليبيتُ لا يُبتَى الا على عَمَدٍ ولا عِمادَ اذا لم تُرْسَ أوتادُ
فإنْ تجمَّع أوتادٌ وأعمِدَةٌ وساكنٌ بلغوا الأمرَ الذى كادُوا
لا يَصلُحُ النّاس فَوضَى لا سَراةَ لهم ولا سَراةَ إذَا جُهَّالهُم سَادوا
تُهدَى الأُمور بأهل الرّأى ما صلَحَتْ فانْ تولّت فبالأشرار تنقادُ
إذَا تولَّى سَراةُ النّاس أمرَهُم نَمَا على ذاك أمرُ القوم فازدادُوا

﴿ وقال الأمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ ﴾

أَمَا واللهِ إنّ الظُّلم شُومٌ ولا زَال المُسىء هو الظّلُومُ
الى الدَّيّانِ يومَ الدِّين نَمضى وعنـد الله تَجتمعُ الخُصُومُ
سَتعلم فى الحساب اذَا التقينَا غَداً عند المليك ـ مَن الملُوم ؟
سَتنقطعُ اللّذَاذَةُ عن أُناسٍ من الدُّنيـا وتَنقطعُ الهمُوم
لأمرٍ مّا تصرّمت اللّيالى لأمرٍ مّا تحرّكت النُّجوم
سلِ الأيّام عن أُممٍ تقضّتْ سُتنبيك المعَالِمُ والرسومُ
تَرومُ الخُلدَ فى دار الدّنايَا فكم قد رَام غيرك ما ترُوم
تَنامُ ولَم تَنم عنك المنَايا تَنبّه للمنيّة يا نَؤُوم
لَهوتَ عن الفَناء وأنتَ تَفنَى فما شىءٌ من الدُّنيا يَدوم
تَموتُ غداً وأنتَ قريرُ عينٍ من الشّهوَات فى لُجَج تَعوم

وقال : عَليكَ ببرّ الوالدَين كِليْهما وبِرّ ذَوِى القُربى وبِرّ الأباعدِ
ولا تَصحَبَنْ الاَّ تقيّاً مُهذّباً عَفيفاً ذَكيّاً مُنجِزاً للمواعدِ

وقارِنْ إذا قارَنت حُرًّا مُؤدَّبًا ... فتًى من بَنى الأحرار زَينِ المشاهد
وكُفَّ الأذَى واحفظ لِسانك واتَّقِ ... فدَيتُك فى وِدّ الخليل المُساعد
ونافِسْ ببذل المال فى طَلَب العُلَى ... بهمّة محمودِ الخلائق ماجِد
وكُنْ واثقاً بالله فى كلّ حادثٍ ... يَصُنْكَ مدَى الأيام من شَرِّ حاسد
وبالله فاستعصِمْ ولا ترْجُ غيرَه ... ولا تكُ فى النَّعماءِ عنه بجاحد
وغُضَّ عن المكْرُوه طَرْفَك واجتنِبْ ... أذَى الجارِ واستمسِكْ بحَبل المحامد
ولا تَبْنِ فى الدُّنيا بِناءً مُؤمِّل ... خُلوداً فما حيٌّ عليها بخالد

وقال : قَدِّم لنفْسك فى الحياة تزَوُّداً ... فلقد تُفارقُها وأنت مُودِّعُ
واهْتمّ للسَّفر القريب فانّه ... أنأى منَ السّفر البَعيدِ وأشنعُ
واجعل تزَوُّدَك المخافةَ والتُّقى ... فلعلّ حتفَك فى مَسائك أسرَعُ
واقنع بقُوتك فالقَناع هو الغِنَى ... والفقر مَقرونٌ بمَن لا يَقنعُ
واحذر مُصاحبةَ اللِّئام فانّهم ... منَعوك صَفوَ وِدادهم وتَصنّعوا
أهلُ المودة ما أنِلْتَهُمُ الرِّضا ... وإذا منَعتَ فسِمْتُهم لك مُنْقَعُ
لا تُفْشِ سِراً ما استطعْتَ إلى امرئٍ ... يُفشى إليك سَرائراً يَستودِع
فكما تراه بسِرِّ غيرك صانعاً ... فكذَا بسِرِّك لا مَحالةَ يَصنَع
لا تبدَأنّ بمنطقٍ فى مجلسٍ ... قبل السُّؤال فانّ ذلك يشنَع
فالصّمت يُحسِن كلَّ ظنٍّ بالفتى ... ولعلّه خَرَقٌ سَفيهٌ أرقَع
ودَعِ المُزاحَ فرُبَّ لَفظةِ مازِحٍ ... جلَبتْ إليك بلابلاً لا تُدْفع
وحِفاظَ جارٍ لا تُضِعْهُ فانّه ... لا يَبلُغُ الشرَفَ الجسيمَ مُضيِّع
وإذا استقالَك ذُو الإساءةِ عَثْرةً ... فأقِلْهُ إنّ ثوابَ ذلك أوسَع

وإذا ائتُمنت على السّرائر فاخفها ... واسترْ عيوبَ أخيك حين تطلع
وأطِعْ أباكَ بكلّ ما أوصى به ... إنّ المُطيعَ أباه لا يتضعْضعُ

وقال ـ صُنِ النّفسَ واحملها على ما يزينها ... تَعِشْ سالماً والقولُ فيك جميلُ
ولا تَرينَّ الناسَ إلاّ تجمّلاً ... نبا بك دهرٌ أو جفاكَ خليلُ
وإنْ ضاق رزقُ اليوم فاصبرْ إلى غدٍ ... عسى نكباتُ الدّهر عنك تزول
يُعزّ غنيُّ النّفس إنْ قلّ مالُهُ ... ويفنى غنىُّ المال وهو ذليل
ولا خيرَ فى وُدّ امرىءٍ مُتلوّنٍ ... إذا الرّيح مالت مال حيثُ تميل
جوادٌ إذا استغنيتَ عن أخذِ مالهِ ... وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثرَ الإخوانَ حينَ تَعُدُّهم ... ولكنّهم فى النّائباتِ قليل

﴿ وقال عبد الله بن جعفر الطّالبى المتوفى سنة ٨٠ هـ ﴾

إذا كُنتَ فى حاجةٍ مُرسِلاً ... فأرسِلْ حكيماً ولا توصِهِ
وانْ بابُ أمرٍ عليك التوَى ... فشاورْ لبيباً ولا تَعْصِهِ
وانْ ناصحٌ منكَ يوماً دَنا ... فلا تَنْأ عنهُ ولا تقْصِهِ
وذا الحقّ لا تَنتقِصْ حقّه ... فانّ القطيعةَ فى نقصه
ولاتذكرِ الدّهرَ فى مجلسٍ ... حديثاً إذا أنتَ لم تُحصهِ
ونُصّ الحديثَ الى أهله ... فانّ الأمانةَ فى نَصِّه
وكم من فتىً عازبٍ لُبّهُ ... وقد تَعجبُ العَيْنُ من شَخصهِ
وآخرَ تَحسَبُهُ أنوَكاً ... ويأتيكَ بالأمرِ من فَصِّه

﴿ وقال أبو الأسود الدُّؤَلى التّابعى المتوفى سنة ٦٥ هـ ﴾

حسَدُوا الفتى اذْ لم ينالوا سَعْيَهُ ... فالقومُ أعداءٌ له وخُصومُ

وترَى اللّبيبَ مُحَسَّداً لم يَجترِم ... شَتَمَ الرّجال وعِرْضُهُ مَشتُوم
وكذاكَ مَن عَظُمتْ عليه نِعمةٌ ... حُسّادُه سيفٌ عليه ضَرُوم
فاترُكْ مُجاراةَ السَّفيه فانّها ... نَدَمٌ وغِبٌّ بعد ذاك وَخِيم
فاذا جريتَ مع السَّفيه كما جرى ... فكِلا كما فى جَريه مَذموم
واذا عَتبتَ على السّفيه ولُمتَهُ ... فى مثل ما تَأتِي فأنت ظَلوم
يأيُّها الرّجلُ المُعلّم غيرَهُ ... هلاّ لنفْسك كان ذَا التّعليم
تَصِفُ الدّواءَ لذى السّقام وذى الضَّنَى ... كيمَا يَصِحَّ به وأنت سَقيم
وأراك تُصلح بالرّشاد عُقولَنا ... أبداً وأنت من الرّشاد عَقيم
لا تَنهَ عن خُلُقٍ وَتأتىَ مثلَه ... عارٌ عليك إذا فَعلتَ عَظيم
إبْدأ بنفسك فانهَها عن غَيِّها ... فاذَا انْتَهَتْ عنه فأنت حكيم
فهُناك يُقبَلُ ماوَعظتَ وَيُقْتدَى ... بالعِلْم مِنك وينفعُ التّعليمُ

﴿ وقال العبّاس بن مِرْداس المتوفى سنة ١٦ هـ وأمه الخنساء الشاعرة ﴾

ترَى الرّجلَ النّحيف فتزدَريه ... وفى أثوابه أسَدٌ مَزيرُ
ويُعجبُكَ الطَّرِير فتَبْتليهِ ... فيُخلفُ ظَنّك الرّجل الطّريرُ
فَما عِظَمُ الرّجال لهم بفخرٍ ... ولكنْ فخرُهم كرمٌ وخِير
بُغاثُ الطير أكثرُهَا فِراخاً ... وأمّ الصّقر مِقلاتٌ نَزور
ضِعافُ الطير أطولُها جُسوماً ... ولم تَطُل البُزاة ولا الصُّقور
لقد عظم البعيرُ بغير لُبٍّ ... فلم يَستغن بالعِظَم البعيرُ
يُصَرّفه الصّبىُّ بكلّ وَجهٍ ... ويحبسُه على الخسف الجرير
فانْ أكُ فى شِراركُمُ قليلاً ... فإنّى فى خياركُمُ كثيرُ

﴿ وقال الامام الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤ هـ رضى الله تبارك وتعالى عنه ﴾

دَعِ الأيّامَ تَفعلُ ما تشاء ... وطِبْ نفساً اذا حكم القضاء
ولا تَجزع لحادثة اللّيالى ... فما لَحوادث الدُّنيا بقاء
وكن رجلا على الأهوال جَلداً ... وشِيمَتُك السّماحة والسّخاء
يُغَطّى بالسّماحة كلّ عيبٍ ... وكم عَيبٍ يُغطّيه السّخاء
ولا حُزنٌ يدوم ولا سُرور ... ولا عُسْرٌ عليك ولا رَخاء
ولا تُرِىَ الأعادِى قطُّ ذُلاً ... فانّ شَماتة الأعدا بَلاء
ولا تَرجُ السّماحة من بخيل ... فما فى النّار للظّمآن ماء
ورِزقُك ليس يَنقصُه التّأنّى ... وليس يَزيد فى الرِّزق العَناء
إذا ما كنت ذا قلبٍ قنوع ... فأنتَ ومالِكُ الدنيا سَواء
ومن نزلتْ بساحته المنايا ... فلا أرضٌ تقِيه ولا سَماء
وأرضُ الله واسعةٌ ولكنْ ... إذَا نزل القضا ضاق الفَضَاء

﴿ وقال عَبدةُ بن الطّيب المتوفى سنة ٣٩ هـ يوصى أبناءه ﴾

أبَنِىَّ إنِّى قد كبرتُ ورَابَنى ... بَصَرِى وفىَّ لمَنظرٌ مُستَمتَعُ
أُوصيكم بتُقى الإلَهِ فإنّه ... يُعطى الرّغائبَ من يشاءو يمنع
وبِبرّ والدكم وطاعةِ أمره ... إنّ الأَبَرَّ من البَنينَ الأطوعُ
إنّ الكبيرَ اذا عصاهُ أهله ... ضاقت يداهُ بأمره ما يَصنعُ
ودَعوا الضّغائن لاتكن من شأنكم ... إنّ الضّغائن للقرابة تُوضِع
يُزجِى عَمارَه ليبعثَ بينكم ... حَرباً كما بعث العُرُوقَ الأخدَع
إنّ الذين تَرَوْنَهم إخوانكم ... يَشفِى غليلَ صدورهم أن تُصرَعوا

واذا مَضيتُ الى سبيلى فابعثوا رجلاً له قلبٌ حديدٌ أصمع
إنّ الحوادث تَختَرِمْنَ وانّما عمرُ الفتى فى أهله مُستَودع
يسعى ويجمعُ جاهداً مُستهتراً جدًّا وليس بآكل ما يجمع

﴿ وقال قيسُ بن الخطيم المتوفى سنة ٦١٢ م من قصيدة ﴾

وما بَعضُ الاقامة فى دِيار يُهان بها الفتى إلا بَلاء
وبَعضُ خلائق الأقوام دَاءٌ كداءِ البطنِ ليس له دوَاء
يُريدُ المرء أنْ يُعطَى مُناهُ ويأبَى اللهُ إلاّ ما يشَاء
وكلُّ شديدة نَزلتْ بقومٍ سيأتِى بعدَ شِدّتِها رَخاء
ولا يُعطى الحريصُ غِنى لحرصٍ وقد يَنْمِى على الجُود الثَّراء
غَنِىُّ النفس ما عمرَتْ غَنِىٌّ وفقرُ النفس ما عَمرَتْ شقاء
وليسَ بنافعٍ ذا البخلِ مالٌ ولا مُزْرٍ بصاحبهِ السَّخاء
وبَعضُ الدّاءِ مُلتَمسٌ شفاءً ودَاءُ النُّوكِ ليس له شِفاء

﴿ وقال صالح بن عبد القدوس المتوفى سنة ٨٥٥ هـ ﴾

أَلمرءِ يَجمعُ والزّمانُ يُفرِّقُ ويَظَلّ يرقَعُ والخُطوبُ تُمزّقُ
ولأنْ يُعادِى عاقلا خير له من أن يكونَ له صديق أحمق
فارْبأْ بنفسك أن تُصادقَ أحمقاً انّ الصَّديق على الصّديق مُصدّق
وزِنِ الكلامَ اذَا نَطقتَ فانّما يُبدِى عقُولَ ذَوِى العقُول المنطِقُ
ومنَ الرّجال اذا استوت أخلاقهُم مَنْ يُستَشار إذا استُشيرَ فيُطرِق
حتى يَحلَّ بكلّ وادٍ قلبهُ فيرَى ويَعرِفُ ما يقول فَينطق

ما النّاسُ إلاّ عامِلان فعامل قد مات من عطش وآخرُ يَغرَق

والنّاسُ فى طلب المعاش وإنّما ... بالجدِّ يُرْزق منهُمُ مَنْ يُرزق
لو يُرْزقون الناسُ حسبَ عقولهم ... ألفيتَ أكثرَ من تَرى يتصدَّق
لكنَّهُ فضل المليك عليهمُ ... هذا عليهِ مُوَسَّعٌ ومُضيّقَ

(وقال أيضاً)

صَرَمتْ حِبالكَ بعدَ وصلِكَ زَينبُ ... والدّهر فيه تَصرّمٌ وتقلُّبُ
وكذاكَ وَصلُ الغانياتِ فانَّه ... آلٌ ببلقعةٍ وبَرْقٌ خُلَّبُ
فَدَعِ الصِّبا فلقدعَداكَ زَمانُه ... واجهدْ فعُمرك مَرَّ منه الأَطيبُ
ذهبَ الشّباب فمالَه من عَوْدةٍ ... وأتَى المشيبُ فأينَ منهُ المهربُ
دَعْ عنك ماقدفات فى زمن الصّبا ... واذكُرْ ذُنُوبكَ وابكِها يامُذنِب
واخشَ مُناقشةَ الحساب فانّه ... لابُدَّ يُحصَى ماجَنيتَ وَيُكتب
والليلَ فاعلم والنّهارَ كلاهما ... أنفاسنَا فيه تُعدُّ وتُحسَب
لم يَنسهَ الملكانِ حين نَسيتهُ ... بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعَب
والرُّوح فيك وَديعةٌ أُودِعتَها ... سَتَرُدُّها بالرّغم منك وتُسلبُ
وغُرورُ دُنياك التى تَسعَى لها ... دارٌ حقيقتُها مَتاعٌ يذهب
وجميعُ ما حصَّلتَه وَجمعتَه ... حقّا يقيناً بعد موتك يُنهب
تبّاً لدارٍ لا يَدُوم نَعيمها ... ومَشيدُها عمّا قليل يَخرب

لا تَأمنِ الدهرَ الخؤُونَ لأنّه ... ما زال قِدْماً للرّجال يُهذّب
وكذلك الأيام فى غصّاتها ... مَضَضٌ يُذِلُّ لَهُ الأعزّ الأنجب
ويَفوز بالمال الحقيرُ مَكانةً ... فتراهُ يُرْجَى مالدَيه ويُرْغب
ويُسَرُّ بالتَّرحِيب عند قُدومه ... ويُقامُ عند سَلامه ويُقرَّب

لا تحرصَنْ فالحرص ليس بزائدٍ ... فى الرّزق بل يُشقِى الحريصَ ويُتعِب
كم عاجزٍ فى الناس يأتى رزقه ... رَغَداً ويُحرَم كيِّسٌ ويُخيَّب
فعليك تقوَى اللهِ فالزمها تفُزْ ... إنّ التّقىَّ هو البَهِىُّ الأهيب
واعملْ بطاعته تَنَلْ منه الرّضا ... إنّ المطيعَ لربّه لَمُقرَّب

أدِّ الأمانةَ والخيانةَ فاجتنبْ ... واعدِل ولا تَظلِم يطيب المكسَبُ
واحذر من المظلوم سَهماً صائباً ... واعلم بأنّ دُعاءه لا يُحجب
وإذا أصابك فى زمانك شِدَّة ... وأصابَك الخطبُ الكريهُ الأصعَب
فادعُ لربّكَ إنّه أدنَى لمَنْ ... يدعوه من حبلِ الوريدِ وأقرب
واحذر مُؤاخاة الدَّنِىِّ لأنه ... يُعدى كما يُعدى الصّحيحَ الأجرب
واخترصديقَك واصطَفِيه تفاخراً ... إنّ القرِين إلى المُقارِن يُنسبُ
ودع الكذوبَ ولا يكن لك صاحباً ... إنّ الكذوب لبئس خِلاًّ يُصحب
وذَرِ الحسودَ وإن تقادم عَهدهُ ... فالحِقدُ باقٍ فى الصُّدور مُغيَّب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرءُ يَسلم باللّسان ويَعطَب
وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ... ثَرْثارَةً فى كلّ نادٍ تَخطُب
والسّرَّ فاكتمهُ ولا تَنطق به ... فهو الأسير لديك إذْ لا يَنشَبُ
واحرص على حفظ القلوب من الأذَى ... فرُجوعُها بعد التَّنافُر يَصعبُ
إنّ القلوب إذا تنافر وُدّها ... شِبْهُ الزُّجاجة كَسرُها لا يُشعب
واحذر عدُوّك إذْ تراه باسماً ... فالليث يبدُو نابُه إذ يغضَب
لا خيرَ فى وُدّ امرىءٍ مُتملِّق ... حُلوِ اللّسان وقلبُهُ يَتلهَّبُ
يُعطيك من طرَف اللّسان حلاوةً ... ويَروغُ منك كما يَروغ الثّعلب

يَلقاكَ يَحلِف أنّه بك واثقٌ ... وإذا تَوارَى عنك فهو العقرَب
واذا رأيتَ الرّزْق ضَاق ببلدةٍ ... وخَشيتَ فيها أن يَضيقَ المكسب
فارحلْ فأرضُ اللهِ واسعة الفَضَا ... طُولا وعَرضا شَرقُها والمغربُ

﴿ وقال أبو الفَتح البُستِي المتوفى ببخارى سنة ٤٠٠ هـ ﴾

زِيادةُ المرءِ فى دُنياه نُقصانُ ... وربْحهُ غير مَحض الخير خُسران
أَحسِنْ إلى الناس تَستعبِدْ قُلوبَهمُ ... فطالما اسْتبعدَ الإنسانَ إحسانُ
يا خادمَ الجسم كم تسعَى لخِدمته ... أتطلبُ الرّبحَ ممّا فيه خُسران ؟
أَقبِلْ على النّفس واستكْمِلْ فضائلها ... فأنتَ بالنّفس لا بالجسم إنسانُ
وكن على الدّهْرِ معْوَانا لذِى أمَلٍ ... يَرجو نَدَاك فانّ الحُرّ معْوان
واشدُدْ يَديك بحَبل الله مُعتَصمًا ... فانّه الركنُ إنْ خانتك أركان
مَنْ يتّقِ الله يُحمَد فى عواقبه ... وَيكفِه شَرَّ مَن عَزُّوا ومَن هَانوا

من استعان بغير الله فى طَلَب ... فانّ نَاصرَه عَجزٌ وخذْلان
مَن كان للخير مَنّاعًا فليس له ... على الحقيقة إخوانٌ وأخدان
مَن جاد بالمال مَال النّاس قاطبةً ... إليه والمالُ للإنسان فتّانُ
مَن سالم النّاسَ يَسلَمْ من غوائلهم ... وعاش وهو قرير العين جَذلان
من يَزْرع الشّرّ يَحصُد فى عواقبه ... نَدامةً ولحَصدِ الزّرع إبّانُ
من استَنام الى الأشرار نامَ وفى ... رِدائه منهمُ صِلٌّ وثعبان
كن رَيِّقَ البِشر إنّ الحُرّ همّته ... صَحيفةٌ وعليها البِشرُ عُنوان
ورافِق الرِّفق فى كلّ الأمور فلم ... يَندم رفيقٌ ولم يَذمُمهُ انسان
ولا يغُرّنْكَ حظٌّ جرّهُ خَرقٌ ... فالخُرقُ هدمٌ ورِفق المرءِ بُنيان

أحسنْ إذا كان إمكانٌ ومَقدُرة ... فلن يدومَ على الإحسان إمكان
فالرّوضُ يزدَان بالأنوار فاغمه ... والحرُّ بالعدل والإحسان يزدان
صُنْ حرَّ وجهكَ لا تهتِكْ غلالتَه ... فكلُّ حرٍّ لحرِّ الوجهِ صوّان

دَع التّكاسُل فى الخيرات تطلبَها ... فليس يَسعدُ بالخيراتِ كَسلان
لا ظِلّ للمرءِ يَعرَى من نُهى وتُقًى ... وانْ أظلَّتْهُ أوراقٌ وأفنان
والنّاس أعوانُ مَن والَتهُ دَولته ... وهم عليه إذا عادتهُ أعْوان
«سَحْبانُ» من غيرِ مالٍ باقلٌ حَصرٌ ... و«باقلٌ» فى ثَرَاءِ المال سَحْبان
لا تُودِع السّرّ وشّاءً بهِ مَذلاً ... فما رَعى غنماً فى الدّوِّ سَرْحان
لا تستَشِر غيرَ نَدْبٍ حازمٍ يقِظ ... قد استوَى فيه إسرارٌ وإعلان
فللتّدابيرِ فُرسان إذا ركضُوا ... فيها أبَرُّوا كما للحرب فُرسان
وللأمور مَواقيتٌ مُقدّرَةٌ ... وكلّ أمرٍ له حدٌّ وميزان
فلا تكن عَجلاً فى الأمر تطلُبه ... فليس يُحْمَدُ قبلَ النّضْج بُحران
كفى من العيش ماقد سدّ من عوَزٍ ... ففيه للحرِّ قِنيَانٌ وغُنيان
وذُو القناعةِ رَاضٍ من معيشته ... وصاحِبُ الحرص إن أثرَى فغضبان
حَسبُ الفتى عقلُه خِلاً يُعاشرُهُ ... إذَا تحاماه إخوانٌ وخُلاّن
إذَا نبَا بكريمٍ موطنٌ فله ... وراءه فى بسيط الأرض أوطان
يا ظالماً فرِحاً بالعزِّ ساعِدُه ... إن كنت فى سِنةٍ فالدّهر يقظان
يأيُّها العالِم المرضِىُّ سِيرَتُهُ ... أبشِرْ فأنتَ بغير الماءِ رَيّان
ويا أخا الجهلِ لو أصبحتَ فى لُججٍ ... فأنتَ مابينها لاشكَّ ظمآن
لا تحسَبَنَّ سروراً دائماً أبداً ... من سَرّهُ زَمَنٌ ساءتهُ أزمان

وكلُّ كسرٍ فإنَّ الدِّين يَجْبُرُهُ وما لِكسر قَناةِ الدِّين جُبرانُ

﴿ وقال ابن أبى بكر المُقْرِى المتوفى سنة ٧٨٥ هـ ﴾

زِيادةُ القَول تَحكِى النّقص فى العَملِ ومَنطقُ المرءِ قد يهديه للزَّلَلِ
إنّ اللّسان صغيرٌ جرمُه وله جُرمٌ كبيرٌ كما قد قيل فى المثَل
عَقلُ الفتى ليس يُغنى عن مُشاورة كحِدَّة السَّيْف لا تُغنِى عن البَطل
إنّ المُشاور إمَّا صائب غرَضاً أو مُخطئٌ غيرُ منسوب إلى الخطل
لا تَحقرَ الرّأىَ يأتيك الحقيرُ به فالنّحلُ وهو ذُبابٌ طائر العَسل
ولا يَغُرّنْك وُدٌّ من أخِى أملٍ حتى تُجرِّبَهُ فى غَيبةِ الأمـل
لا تَجْزَعنَّ لخطبٍ ما به حِيَلٌ تُغنِى وإلاّ فلا تَعجَز عن الحِيَل
وقدرُ شُكر الفتى لله نِعمتُه كقدرِ صبرِ الفتى للحادث الجلَل
وإنّ أخوفَ نَهجٍ ما خَشيتَ به ذَهاب حُرّيّةٍ أو مُرتضَى عمل
لا تَفرحنّ بسقْطات الرّجال ولا تهزأ بغيرك واحذَر صَولة الدُّول
وقيمة المرءِ ما قد كان يُحسِنُهُ فاطلُب لنفسك ما تَعلو به وصِل
وكلُّ علم جَناه مُمكنٌ أبداً إلاّ إذا اعتَصم الأنسانُ بالكسل
والمالَ صُنهُ وورِّثْهُ العدوَّ ولا تحتج حياتك للإخوان فى الاكل
فخيرُ مالِ الفتى مالٌ يَصون به عِرضاً ويُنفقه فى أشرف السُّبل
وأفضل البرّ مالاً مَنَّ يَتبعُـه ولا تَقَدَّمَهُ شَىءٌ من المَطل

﴿ وللامام على الرّضا المتوفى سنة ٧٧ هـ ﴾

واعَجباً للمرءِ فى لذَّتِهْ يجُرُّ ذَيل التِّيهِ فى خَطْرتهْ
يَزجُرهُ الوعظُ فلا يَنتهِى كأنّه الميتُ فى سَكرتِه

يُبارِزُ الله بعصيانه جهراً ولا يَخشاهُ فى خلوته
وإنْ يقعْ فى شِدّة يَبتهلُ فإنْ نجا عاد إلى عادته
إرغَبْ لمولاك وكن راشداً واعلم بأنّ العزّ فى خدمته
واتلُ كتاب الله تهدى به واتّبع الشّرع على سُنّته
لاتحرِصَنْ فالحرص يُزْرى بالفتى ويُذْهبُ الرّونق من بَهجته
والحظُّ لا تجلبُه حِيلةٌ كيف يَخاف المرء من فَوتته ؟

ما فاتَك اليومَ سيأتى غداً ما فى الذى قُدِّر من حِيلتِهْ
والرّزقُ مَضمونٌ على واحدٍ مَفاتح الأشياء فى قَبضَته
قد يُرزق العاجز مع عَجزه ويُحرمُ الكيِّسُ مع فِطنتِه
لا تَنْهر المِسكين يوماً أتَى فقد نَهاك الله عن نَهرته
إنْ عضّك الدّهر فكن صابراً على الذى نالك مِنْ عَضّته
أو مسّك الضُّرُّ فلا تَشتكِى إلا لِمَن تَطمَع فى رحمته
لسانَك احفظه وصُن نُطقَه واحذر على نفسك من عَثْرته
فالصّمت زَينٌ ووقارٌ وقد يُؤْتَى على الأنسان من لفظته
من أطلقَ القول بلا مُهلة لاشكّ أن يعثُر فى عجلته
من لزَم الصّمت نجا سالماً لا يندمُ المرء على سَكتته
من أظهرَ الناس على سِرّه يَستوجبُ الكىّ على مُقْلته
من مازحَ الناسَ استخفّوا به وكان مذموماً على مُزْحته
مَنْ جعلَ الخمرَ شِفاءً له فلا شَفاهُ الله من عِلّته
مَنْ نازع الأقيال فى أمرهم بات بعيد الرأس عن جُثّته

من لاعبَ الثّعبان فى كفّه هيهات أن يسلَم من لَسعته
من عاشر الأحمقَ فى حاله كان هو الأحمقَ فى عِشرته
لا تَصحَب النَّذل فتردَى به لا خيرَ فى النّذل ولا صُحبته
من اعتراك الشّكُّ فى جنسِه وحالِه فانظُرْ إلى شِيمَته
من غرس الحنظَل لا يرتجى أن يجتنىَ السُّكّر من غَرسته
من جعلَ الحقّ له ناصرًا أيّده الله على نُصرته

﴿ وقال أبو العتاهية المتوفى سنة ٢١١ هـ ﴾

أنَلْهُو وأيّامنا تَذهبُ ؟ ونلعبُ والموتُ لا يلعبُ
عَجِبتُ لذى لعبٍ قَدْ لَهَا عجبتُ ومالىَ لا أعجبُ
أيَلهو ويلعبُ مَنْ نفسُه تموتُ ومنزِلُه يَخرب
نرَى كلّ ما ساءنا دائماً على كلّ ما سَرّنا يَغلِب
نرى اللّيلَ يَطلُبنا والنّها ر ولم نَدْرِ أيّهما أطلبُ
أحاطَ الجديدان جمعاً بنا فليس لنا عنهما مَهْرَب
وكلٌّ له مُدّةٌ تنقضِى وكلٌّ له أثر يُكتبُ

﴿ وقال صلاح الدين خليل بن أيبك الصّفدى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ﴾

ألجدُّ فى الجِدّ والحرمان فى الكسَل فانصَبْ تُصِبْ عن قريبٍ غايةَ الأملِ
واصبِرْ على كل ما يأتى الزّمان به صبرَ الحُسام بكفّ الدّارعِ البطَل
وجانبِ الحرْصَ والأطماعَ تحظَ بما ترجو من العزِّ والتّأييد فى عَجل
ولا تكوننّ على مافات ذا حَزَنٍ ولا تَظلّ بما أُوتيتَ ذا جذَل
واستشعرِ الحلمَ فى كلّ الأمور ولا تُسرع ببادرةٍ يوماً الى رَجُل

وإن بُليتَ بشخص لاخلاقَ له ... فكن كأنّك لم تَسْمعْ ولم يَقُل
ولا تُمارِ سفيهًا فى مُحاوَرة ... ولا حليماً لكى تُقصَى عن الزَّلل
ولا يَغُرّك من يُبدى بشاشَته ... اليك خَدْعا فانّ السُّمّ فى العسَل
وإنْ أردتَ نجاحًا فى كلّ آونةٍ ... فاكتُمْ أمورك عن حافٍ ومُنتعل

إنّ الفتَى مَن بِماضى الحزْم مُتّصفٌ ... وما تعوّدَ نقصَ القول والعمل
ولا يُقيمُ بأرضٍ طاب مَسكنُها ... حتى يَقدّ أديمَ السَّهل والجبَل
ولا يُضيِّع ساعات الزَّمان فلن ... يَعود ما فات من أيّامه الاوَل
ولا يُراقب إلا مَن يُراقبه ... ولا يُصاحبُ إلاَّ كلّ ذى نُبَل
ولا يَعُدّ عيوباً للورَى أبدًا ... بل يَعتنى بالذى فيه من الخلل
ولا يَظنّ بهم سوءًا ولا حَسَناً ... بل التّجارِبُ تَهديه على مَهل
ولا يُصدّ عن التّقوَى بَصيرَته ... لأنّها للمعالى أوضحُ السُّبل
فَمن تكن حُلّةُ التّقوَى ملابسَهُ ... لم يَخشَ فى دهره يوماً من العَطل
مَن لم تُفِده صروُف الدّهر تجربةً ... فيما يُحاول فلْيسكُن مع الهمَل
مَن سالمتْه اللّيالى فليَثِقْ عجلاً ... منها بحرب عدوٍّ جاء بالحيَل
مَنْ ضيَّع الحزْم لم يظفَرْ بحاجته ... ومَن رَمى بسهام العُجب لم ينَل
من جاد ساد وأحيا العالَمون له ... بديع حمدٍ بمدح الفعل مُتّصل

﴿ وقال حسام الدين الواعظى المتوفى سنة ٩٩٠ هـ ﴾

مَن ضيّع الحزْم فى أفعاله ندِما ... وظلّ مُكتئباً والقلْبُ قد سَقِما
ما المرء إلا الذى طابتْ فضائلُه ... والدِّين زَينٌ يزين العاقل الفَهِما
والعلم أنفسُ شىءٍ أنت ذاخرُه ... فلا تكن جاهلاً تَستورث النّدما

تعلّم العلم واجلس فى مجالسه ما خاب قطُّ لبيبٌ جالسَ العُلَما
والوالدَين فأكرِم تنجُ من ضرَر ولا تكن نكِداً تستوجب النقما
ولازِم الصمت لا تنطق بفاحشة وأكرم الجار لا تهتك له حرُما
واحذرْ من المزْح كم فى المزح من خطرٍ كم من صديقين بعد المزْح فاختصما
وصبِّر النفس وارشدها إذا جهلت وإنْ حضرْتَ طعاماً لا تكنْ نَهِما

﴿ وقال عُمر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ مخاطباً ولده ﴾

إعتزِلْ ذِكرَ الأغانى والغزَلْ وقلِ الفصلَ وجانِبْ مَنْ هزَلْ
ودَع الذِّكر لأيام الصِّبا فلأيام الصِّبا نجمٌ أفَل
واترك الغادةَ لا تحفِلْ بها تُمْسِ فى عِزّ رفيع وتُجَلّ
وافتكرْ فى مُنتهى حُسن الذى أنتَ تهواه تجد أمرًا جلَل
واهجُرِ الخمرةَ إن كنتَ فتًى كيف يسعَى فى جنونٍ مَنْ عقل؟
واتّقِ اللهَ فتقوَى اللهِ ما جاوَرتْ قلبَ امرىءٍ إلّا وَصل
ليس مَنْ يقطعُ طُرْقاً بطَلاً انّما مَنْ يتّقى الله البطَل

كُتب الموت على الخلق فكم فَلَّ مِنْ جيشٍ وأفنَى مِنْ دُول
أينَ نُمرُودُ وكَنعانُ ومن مَلك الأرض ووَلّى وعزَل؟
أين من سادُوا وشادوا وبنَوا هلك الكلّ ولم تُغنِ القُلل؟
أيْنَ أرباب الحِجى أهل النُّهى أين أهل العلم والقوم الأُوَل؟
سيُعيدُ اللهُ كلاً منهمُ وسيَجْزِى فاعلاً ما قد فعَل

أطلب العلمَ ولا تَكْسلْ فما أبعدَ الخيرَ على أهل الكسل
واحتفِل للفقه فى الدِّين ولا تَشتغل عنه بمالٍ وخوَل

واهجرِ النَّوْم وحصِّله فمن ... يعرف المطلوبَ يحقرْ ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابُه ... كلُّ مَن سار على الدَّرْبِ وَصل
فى ازدياد العلم إرغامُ العِدَا ... وجمَال العلم إصلاحُ العمَل
جَمِّل المنطقَ بالنّحو فمن ... يُحرَمُ الإعرابَ بالنُّطْق اختبل
إنظِم الشّعر ولازِمْ مَذهبى ... فى اطّرَاح الزِّفدِ لا تبغ النِّحل
فهو عُنوانٌ على الفضل وما ... أحسنَ الشِّعر اذَا لم يُبْتَذَل
أنا لا أختارُ تقبيلَ يدٍ ... قَطعُها أجملُ من تلك القُبَل
مُلك كِسرَى عنه تُغنِى كِسرةٌ ... وعن البحر اجتزاءٌ بالوَشَل
إطرَح الدُّنيا فمِن عاداتِها ... تخفِضُ العَالى وتُعلِى مَنْ سفَل
عِيشةُ الرّاغبِ فى تحصيلها ... عِيشةُ الجاهل فيها أو أقل
كم جهولٍ بات فيها مُكثراً ... وعليمٍ بات منها فى عِلَل
كم شُجاعٍ لم يَنَل فيها المُنى ... وجَبَان نَال غاياتِ الأمَل
فاترك الحِيلةَ فيها واتّكل ... إنّما الحيلةُ فى ترك الحِيَل

لاتُقلْ أصلى وفَصلى أبداً ... إنّما أصلُ الفتى ما قد حصَل
قد يَسود المرء من دون أبٍ ... وبِحُسن السَّبكِ قد يُنفَى الدَّغل
إنّما الوَردُ من الشَّوك وما ... يَنْبُتُ النَّرجس إلاّ من بَصَل
قِيمةُ الإنسَان ما يُحسِنُه ... أكثرَ الإنسانُ منه أم أقَل
بينَ تبذِير وبخلٍ رُتبةٌ ... وكِلاَ هَذين إنْ زادَ قتَل
لَيس يخلُو المرء من ضِدٍّ ولو ... حَاول العُزلةَ فى رأس الجبل
دَارِ جارَ السوءِ بالصّبر وانْ ... لم تَجد صبراً فما أحلَى النُّقَل

جانب السلطان واحذر بطشه ... لا تعاندْ من إذا قال فعل
إنّ نصفَ الناس أعداءٌ لمنْ ... ولّىَ الأحكامَ هذا إن عدل
قصّرِ الآمالَ فى الدنيا تفزْ ... فدليلُ العقل تقصيرُ الأمل
غِبْ: وزُر غبّا تزد حبًّا فمن ... أكثرَ التردادَ أقصاهُ الملل
لا يضرُّ الفضلَ إقلالٌ كما ... لا يضرُّ الشمس أطباقُ الطفَل
خذ بنصل السيف واترك غمدَهُ ... واعتبرْ فضلَ الفتى دونَ الحلَل
حبّك الأوطانَ عجزٌ ظاهرٌ ... فاغترب تلقَ عن الأهل بدَل
فبمكث الماء يبقى آسِناً ... وسُرَى البدرِ به البدرُ اكتمل

﴿ وقال العَميد أبو إسماعيل الطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ هـ (١) ﴾

أصالةُ الرأى صانتْنِى عن الخطَلِ ... وحليةُ الفضل زانتْنِى لدى العطَلِ (٢)
مجدِى أخيراً ومجدِى أوّلاً شرَعٌ ... والشمس رُأدُ الضحى كالشمس فى الطفَل (٣)
فيمَ الإقامةُ بالزوْراء لا سكنِى؟ ... بها ولا ناقتِى فيها ولا جمَلى (٤)
ناءٍ عن الأهل صفرُ الكفِّ منفرد ... كالسيف عُرِّىَ متناهُ عن الخِلَلِ

(١) هو العميد أبو إسماعيل الحسين بن على الملقب بمؤيد الدين المشهور بالطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ هجرية (٢) صانتنى حفظتنى والخطل الخطا (المعنى) جودة عقلى حفظتنى من الخطا فى قولى وفعلى . وصفة زيادتى فى العلم والادب حسنتنى عند الخلو من الامارة (٣) مجد شرف وشرع سواء ورأد الوقت الذى فويقه الضحى والطفل الوقت الذى بعد العصر وقبل الغروب (المعنى) شرفى وقت تجردى من الامرة وشرفى وقت تسربلى بها سواء أى أن حالى كالشمس فى كون ضوئها وقت الضحى مخالفا لضوئها وقت الطفل ولكنه لم ينقص من ذاتها الواحدة شيئا ، يفتخر بدوام شرفه على اختلاف الازمان (٤) الزوراء اسم لبغداد . وناء بعيد . وصفر خال . وعرى جرد . ومتناه جانباه . والخلل كسوة غمد السيف (المعنى) لاى شئ مكثى ببغداد مبتوت العلائق بعيداً فيها عن أقاربى فقيراً وحيداً رث المنظر كالسيف تجرد جانباً غمده من البطائن التى يتحليان بها

فلا صديقَ اليهِ مُشتكَى حزَنِى ولا أنيسَ اليهِ مُنتهَى جذَلى (١)
طالَ اغتِرابى حتى حنَّ راحِلتى ورَحلها وقَرَ العَسَّالةِ الذُّبُل (٢)
وضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِى وعَجَّ لما ألقى رِكابِى ولَجَّ الرَّكْبُ فى عذَلى (٣)

أُريدُ بَسْطَةَ كفٍّ أستعين بها على قضاءِ حُقوقٍ للعُلَى قِبَلِى
والدَّهر يَعكِس آمالى ويُقْنِعنى مِن الغَنيمةَ بعد الكَدِّ بالقفَل (٤)
وذِى شَطَاطٍ كصدْرِ الرُّمحِ مُعْتقلٍ بمثلِهِ غيرِ هيَّابٍ ولا وَكِل (٥)
حُلْوِ الفَكاهةِ مُرِّ الجِدِّ قد مُزجت بشدّة البأس منه رقّة الغَزل (٦)
طَرَدْتُ سُرْحَ الكَرَى عن وِرْدِ مُقلَتِه واللّيلُ أغرَى سَوام النّوم بالمُقَل (٧)

(١) الجذل السرور (المعنى) اعتزلنى الناس ببغداد فلم يأو إلى بها حبيب أبث إليه كدرى من جور الزمان فيفرجه عنى ويساعدنى على صرفه ولا سمير أوصل إليه فرحى فيزيد سرورى ويدفع وحشتى (٢) حن مال . والراحلة ما يرحل عليه من الابل مذكراً كان أو مؤنثاً . والرحل العدة التى يركب عليها وقرا ظهره . والعسالة الاهتزاز والذبل الجافة (المعنى) امتد بعدى عن وطنى بمو الاتى السفر إلى أن مالت ناقتى للرجوع إلى وطنها وحن القتب لشدة تأثره بالرياح (٣) ضج صوت . واللغب التعب ونضوى أى منضو بمعنى مهزول وعج صوت . ولج تمادى . والعذل اللوم (المعنى) امتد بعدى حتى صوت من أجل تعبه ركوبتى وصوت لمثل ما أصادف من تعب السفر إبل أصحابى الذين معى فيه وتمادوا فى لومى على هذا السفر الذى امتد ولم ينته الا لكى أطلب بامتداد بعدى عن وطنى ثروة أتساعد بسببها على أداء عادة ثابتة ثبوت مروءة جهتى (٤) يعكس يرد . ويقنعنى يرضينى والكد التعب . والقفل الرجوع (المعنى) والزمن يرد على ما أرجوه ويجعلنى بعد التعب فى السفر والتغرب راضياً بالرجوع بدل الغنيمة التى هى مطمح نظرى فى تكبد المصاعب (٥) شطاط اعتدال القامة ومعتقل قابض . وهياب خواف ووكل عاجز (المعنى) ورب صاحب اعتدال قامة كاعتدال صدر الرمح معتقل برمح مثله لا يخاف المخاوف ولا يعجز عن شىء من شؤونه . التفت إلى وصف صاحب له بهذه الاوصاف وغيرها وهو اقتضاب على عادة البلغاء من الالتفات من فن إلى آخر تنشيطا للسامع (٦) مزجت خلطت . والبأس الشجاعة . ورقة الغزل لطف الكلام (المعنى) يصف صاحبه أيضا بأنه قد ركب فيه لطف المزح بقوة الشجاعة (يضع كلا منهما فى موضعه)
(٧) طردت أبعدت . وسرح وثبات . والكرى النوم والورد الوصول والمقلة شحمة العين الجامعة للسواد والبياض . وأغرى أولع . وسوام وثبات (المعنى) أبعدت عن رفيق وثبات النوم

والرَّكبُ مِيلٌ على الأكوارِ من طَرَبٍ ... صاحٍ وآخرُ من خمرِ الكَرَى ثَمِلُ (١)

فقلتُ أدعوكَ لِلجُلَّى لِتَنصُرَنِى ... وأنتَ تَخذُلُنِى فى الحادثِ الجَلَلِ (٢)

تَنامُ عنِّى وعينُ النَّجمِ ساهرةٌ ... وتَستحيلُ وصِبْغُ اللَّيلِ لم يَحُلِ (٣)

فهل تُعِينُ على غَيٍّ هَمَمْتُ به ... والغَيُّ يَزْجُرُ أحيانًا عن الفَشَلِ (٤)

إنِّى أُريدُ طُروقَ الحَىِّ من إضَمٍ ... وقد حَماهُ رُماةٌ من بَنى ثُعَلِ (٥)

يَحمُونَ بالبِيضِ والسُّمْرِ اللِّدانِ به ... سُودَ الغَدائرِ حُمْرَ الحَلْىِ والحُلَلِ (٦)

فَسِرْ بنا فى ذِمامِ اللَّيلِ مُعْتَسِفًا ... فنَفْحةُ الطِّيبِ تَهدينا الى الحِلَلِ (٧)

فالحِبُّ حيثُ العِدَا والأُسْدُ رابضةٌ ... حَوْلَ الكِناسِ لها غابٌ من الأَسَلِ (٨)

عن وصولها عينه والليل أولع وثبات النوم بالعيون (١) ميل منحنى . وطرب نشط وثمل سكران (المعنى) وأصحابى منحنون على رحالهم — فريق منهم نشط يقظ لم يتغلب عليه النوم ، وفريق آخر ثمل متثاقل من تغلبه عليه (٢) الجلى الامر العظيم . وتخذلنى تتركنى ، والحادث الجلل الحقير (المعنى) فقلت له موبخا أأطلبك للامر العظيم لتساعدنى عليه وأنت تترك نصرتى فى الامر الحقير مع أن النفوس الكريمة مجبولة على تحقيق ما يرجى منها (٣) تستحيل تتحول . وصبغ ظلام ويحل ينتقل (٤) غى ضلال . ويزجر يمنع (المعنى) قد غفرت ما حصل من تقصيرك فى شأنى بنومك فهل تساعدنى على ضلال أردته ولا تخش عقباه بالذم على فعله (٥) الطروق المجىء ليلا والحى القبيلة . واضم اسم جبل وحماه منعه . ورماة كسعاة خفراء . وثعل قبيلة من طيء (المعنى) إنى أرغب النزول بالقبيلة المعهودة ليلا من طريق هذا الجبل وقد منعها ممن يسطو عليها رجال يجيدون رمي النبال من أبناء قبيلة ثعل (٦) البيض السيوف والسمر الرماح واللدان اللينة الغدائر الضفائر من الشعر ، والحلى ما تتحلى به المرأة ، والحلل الثياب المزركشة (المعنى) يمنع هؤلاء الرماة فى الحى بالسيوف والرماح اللينة نساء سود الضفائر متحليات بالذهب الاحمر وملابس الحرير الحمراء (٧) زمام كفالة ، ومعتسفا متكلفا طريقا غير مألوف ، والحلل بيوت القوم التى يحلونها (المعنى) اذهب بنا فى ضمانة الليل غير سالك طريقا مألوفا خشية من قطاع الطريق ولا تخش الضلال فى الوصول إلى الحى فان رائحة طيبه تدلنا عليه (٨) الحب المحبوب ورابضة واقفة ، والكناس بيت الظبي ، والغاب شجر يسمى بالاسل ملتف عـ لى بعضه ويكون مأوى الاسود (المعنى) المحبوب فى مكان به الرقباء ورجال الحى مقيمة حول مكانه مستعدة برماح تصول بها =

نَوْمٌ ناشِئَةً بالجزْع قد سُقِيَتْ نِصالُها بمياه الغُنْجِ والكحَلِ (١)
قد زَادَ طِيبُ أحاديث الكرام بها ما بالكرائم من جُبنٍ ومن بَخَلِ
تَبيتُ نارُ الهوَى منهنَّ فى كَبِدٍ حرَّى ونارُ القِرَى منهم على القُلَلِ (٢)
يَقتُلْنَ أنضاءَ حُبٍّ لا حِرَاكَ بهم ويَنحَرُون كِرامَ الخيل والإبِلِ (٣)
يُشْفَى لَدِيغُ العَوالى فى بُيوتهمُ بنَهْلةٍ من غَدِيرِ الخمر والعَسَلِ (٤)
لَعلَّ إلْمامةً بالجزْعِ ثانيةً يَدِبُّ منها نَسيمُ البُرْءِ فى عِلَلِى (٥)
لا أكرَهُ الطَّعْنةَ النَّجلاءَ قد شُفِعَت برَشْقةٍ من نِبالِ الأعيُنِ النُّجُلِ (٦)
ولا أهابُ الصِّفاحَ البِيضَ تُسعِدُنِى باللَّمحِ من خَلَلِ الأستارِ والكَلَلِ (٧)
ولا أُخِلُّ بغِزْلانٍ تُغازِلُنى ولو دَهَتْنى أُسودُ الغِيلِ بالغِيَلِ (٨)
حُبُّ السلامَةِ يَثنِى عَزْمَ صاحبِهِ عن المعالى ويُغرِى المرءَ بالكسلِ (٩)

على من يقرب منه (١) نؤم نقصد والجزع منعطف الوادى . والنصال السيوف والغنج حسن شكل العيون والكحل سواد يعلو جفون العين خلقة (المعنى) نقصد بسيرنا قبيلة تربت فى منعطف الوادى قد أعطيت عيونها حسن الشكل والكحل (٢) القرى الكرم والقلل جمع قلة أعلى الجبل (المعنى) يمكث طول الليل وجد الحب من كرائم هذه القبيلة ملتهبا فى كبد محبهن الحارة بسببه وتمكث نار الاكرام ملتهبة على أعالى الجبال ليهتدى بها الضال فى الليل (٣) إن نساء هذه القبيلة يقتلن ببراعة جمالهن عشاقهن حتى أعدم حركتهم عشقهم لهن ، ورجالها بفرط كرمهم يذبحون جياد الافراس والجمال لضيوفهن (٤) أى يبرأ من قتل فى حبهن باول شربة من ريق ثغرهن (٥) المامة نزولا ويدب يسرى (٦) أكره أبغض ، والطعنة النجلاء الجرح المتسع برمح ، وشفعت قرنت ورشقة رمية ، ونبال السهام المراد بها هنا اللحاظ ، والنجل الواسعات (المعنى) لا أبغض الوخذة الواحدة من رماح رجال هذه القبيلة مقرونة برمية من لحاظ الاعين الواسعات لنسائها (٧) الصفاح السيوف ، وخلل الثقب الخفيف النافذ فى الشىء والكلل ستر يحاط به شبه الناموسية (المعنى) ولا أخاف ضرب السيوف من رجال هذه القبيلة مسعدة لى بخفيف نظرى لها من ثقوب أستار بيوتهن وحجراتهن (٨) أى لا أترك النظر من خلل الاستار إلى نساء هذه القبيلة التى تحادثنى ولو أصابتنى شجعانها باهلاكاتها فجاة (٩) أى الرغبة فى النجاة من المشاق تصرف عزم ملازمها عن مكاسب الشرف وتولعه بالتثاقل والفتور عنها .

فإنْ جَنَحتَ اليه فاتَّخِذْ نَفَقاً ... فى الأرض أو سُلَّماً فى الجوّ فاعتزِل (١)
ودَعْ غِمَار العُلَى للمُقْدِمين على ... رُكوبها واقتنِعْ منهنّ بالبَلَل (٢)
يَرْضى الذّليل بخفْض العيش مَسكنةً ... والعِزُّ عند رَسيم الأينُق الذُّلُل (٣)
فادْرأ بها فى نحور البِيدِ جافِلة ... مُعارِضاتٍ مثانى اللُّجْم بالجُدُل (٤)

إنّ العُلى حدّثَتْنى وهى صادقةٌ ... فيما تُحدّث أنّ العزّ فى النُّقَل (٥)
لو أنّ فى شَرَف المأوَى بلوغَ مُنًى ... لم تَبرحِ الشّمس يوماً دارةَ الحَمَل
أهبْتُ بالحظّ لو نَاديتُ مستمِعاً ... والحظّ عنّى بالجهّال فى شُغُل
لعلّه إنْ بَدا فَضلِى ونَقْصُهُمُ ... لِعينِهِ نامَ عنهم أو تنبّه لى
أُعلل النّفس بالآمال أرْقبُها ... ما أضيقَ العيش لولا فُسحة الأمل
لم أرْتَضِ العيشَ والأيامُ مُقْبِلةٌ ... فكيف أرضَى وقد ولّتْ على عَجل
غالَى بنفسىَ عِرْفانى بقيمتها ... فصُنْتها عن رَخيص القَدْر مُبتَذَل
وعَادة السّيف أن يَزْهَى بجوْهره ... وليس يعْملُ إلاّ فى يَدَىْ بطَل
ما كنت أُوثِر أنْ يمتدّ بى زَمنى ... حتى أرَى دَولة الأوغاد والسّفَل
تقدّمتْنِى أُناسٌ كان شَوْطُهُم ... وراء خطْوِىَ لو أمشِى على مهَل
هذا جَزاء امرئٍ أقرانُه دُرجُوا ... من قَبله فتَمنّى فُسْحةَ الأجَل
فإنْ علانى مَن دُونِى فلا عَجَبٌ ... لى أسوةٌ بانحطاط الشمس عن زُحَل

(١) النفق كجبل سرب فى الارض له منفذ من مكان آخر (المعنى) فان ملت إلى حب السلامة فاجعل لك سربا فى الارض تسكنه أو سلما ترقى عليه فى الجو فتسكن (٢) غمار كثير والبلل القليل (٣) رسيم سرعة . والاينق الذلل أى الابل المروضة التى ليست بجموحة (٤) ادفع بهذه الاينق فى أوائل الصحارى ، مسرعة مقابلات بازمتها أعنة الخيل التى تصحبها فى السير أى غير متاخرة عنها فيه (٥) النقل التحول والانتقال

فاصبرْ لها غيرَ مُحتالٍ ولا ضَجِرٍ ... فى حادث الدَّهر ما يُغْنى عن الحِيَل
أَعْدَى عَدُوّك أدنى منْ وثِقْتَ به ... فحاذِرِ النّاس واصحبهم على دَخَل
فانّما رَجُل الدُّنيا وواحدها ... مَن لا يُعوِّل فى الدُّنيا على رجل

وحُسنُ ظَنِّك بالايام مَعْجزَةٌ ... فَظُنَّ شَرًّا وكن منها على وَجَل
غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغَدْرُ وانفرجَت ... مَسافةُ الخُلْفِ بين القوْل والعمل
وشانَ صدقَك عند الناسِ كذبُهمُ ... وهلْ يُطابَق مِعْوجٌّ بمُعتدِل
ان كان يَنجع شىءٌ فى ثَباتهم ... على العهود فسَبْق السّيفِ للعَذَل
يا وارِداً سُؤْر عَيشٍ كلُّه كدرٌ ... أنفقْت صَفوك فى أيامك الأُوَل
فِيم اقتِحامك لُجَّ البحر تَرْكبهُ ؟ ... وأنت تكفيك منهُ مَصّةُ الوَشَل
مُلك القناعة لا يُخشَى عليه ولا ... يَحتاج فيه الى الأنصارِ والخَوَل
ترجُو البقاءَ بدار لا ثَبات بها ... فهل سَمعتَ بظلّ غير مُنتقِل ؟
ويا خبيراً على الأسرار مُطّلِعاً ... أُصْمُتْ ففى الصَّمت مَنْجاةٌ من الزّلل
قد رشَّحوك لأمر إن فطِنْت له ... فارْبأ بنفسِك أن تَرعَى مع الهَمَل

﴿ وقال المرحوم عبد الله باشا فكرى يخاطب نجله المرحوم أمين باشا ﴾

إذا نامَ غرٌّ فى دُجى الخَطب فاسْهرِ ... وقُم للمعالى والعَوالى وشَمِّرِ
وخَلِّ أحاديثَ الأمانى فانها ... عُلالةُ نفس العاجزِ المُتحيِّرِ
وسارِعْ إلى مارُمتَ مادُمتَ قادراً ... عليه فانْ لم تُبصِرْ النَّجْحَ فاصبرِ
ولا تأتِ أمراً لا تُرجِّى تَمامه ... ولا مَوْرِداً ما لم تَجد حُسن مَصْدرِ
وأكثِرْ من الشّوْرَى فانك إن تُصِب ... تَجدْ مادحاً أو تُخْطِىءِ الرَّأْىَ تُعذَرِ
ولا تَسْتَشِرْ فى الأمر غيرَ مُجرِّبٍ ... لأمثالِه أو حازمٍ مُتبصِّرِ

ولا تبغ رأياً من خؤون مخادع ... ولا جاهل غرّ قليل التدبّر
فمن يتّبع فى الخطب خدعة خائن ... يعضّ بنان النادم المتحسّر
ومن يتّبع فى أمره رأى جاهل ... يقده إلى أمر من الغىّ منكر
ولا تصغ فى ود الصديق لكاذب ... نموم وان يعرض لك الشكّ فاخبر
ولا تغترر تندم ولا تك طامعاً ... تذلّ ولا تحقر سواك تحقّر
وعوّد مقال الصدق نفسك وارضه ... تصدّق ولا تركن إلى قول مفترى
ودع عنك إسراف العطاء ولا يكن ... لكفّيك فى الإنفاق امساك مقتر
ولا تقف زلّات الرجال تعدّها ... فلست على هذا الورى بمسيطر
ولا تتعرض لاعتراض عليهم ... دع الخلق للخلاّق تسلم وتؤجر

﴿ وقال عبد القيس بن خفاف البرجمى المتوفى سنة ٥١ هـ ﴾

أبنىّ إنّ أباك كارب يومه ... فاذا دعيت إلى المكارم فاعجل
أوصيك إيصاء امرىء لك ناصح ... طبن بريب الدهر غير مغفّل
الله فاتّقه وأوف بنذره ... وإذا حلفت مماريا فتحلّل
والضيف أكرمه فانّ مبيته ... حقّ ولا تك لعنة للمنزل
واعلم بأنّ الضيف مخبر أهله ... بمبيت ليلته وان لم يسأل
وصل المواصل ما صفا لك وده ... واجذذ حبال الخائن المتبدّد
واحذر محلّ السوء لا تحلل به ... واذا نبا بك منزل فتحوّل
واستأنى تظفر فى أمورك كلّها ... واذا عزمت على الهدى فتوكّل
واستغن ما أغناك ربّك بالغنى ... واذا تصبك خصاصة فتحمّل
واذا افتقرت فلا تكن متشعّثاً ... ترجو الفواضل عند غير المفضل

واذا تشاجرَ فى فؤادك مرّة أمران فاعمدْ للأعفّ الأجمل
و إذا هممتَ بأمر سوءٍ فاتئد واذا هممتَ بأمر خيرٍ فاعجل

﴿ وقال فقيد اللغة الشيخ ناصيف بن عبد الله اليازجى اللبنانى المتوفى سنة ١٢٨٧هـ ﴾

دَع يومَ أمسِ وخُذْ فى شأنِ يومِ غدٍ واعدُدْ لنفسك فيه أفضلَ العُدَدِ
واقنعْ بما قسم الله الكريمُ ولا تبسُطْ يديك لنيل الرّزق من أحد
والْبسْ لكلّ زمان بُرْدَةً حضرَت حتّى تُحاكَ لك الأخرى من البُرُد
ودُرْ مع الدّهر وانظُرْ فى عواقبه حَذارِ أن تُبتلَى عيناك بالرَّمد
متى ترى الكلْب فى أيام دولته فاجعلْ لرِجْليْك أطواقاً من الزَّرَد
واعلم بأنّ عليك العارَ تلبسُه من عَضّة الكلب لا من عَضّة الأسد
لا تأمُل الخيرَ من ذى نِعمةٍ حَدَثَتْ فهو الحريصُ على أثوابه الجُدُد

﴿ وقال مؤلف هذا الكتاب السيد احمد الهاشمى معارضاً لاميّة الطغرائى ﴾

عليكَ بالصبر والإخلاص فى العَمَلِ ولازِمْ الخيرَ فى حِلٍّ ومُرْتحلِ
وجانبِ الشّرَّ واعلمْ أنّ صاحبه لابُدّ يَجزاهُ فى سَهل وفى جَبلِ
واثبُتْ ثباتَ الرّواسى الشّامخات ولا تركَنْ إلى فَشَلٍ فى ساعة الوَهلِ
وكن كرَضْوَى لِما يَعرُوك من نُوَبٍ ولا تكن جازِعاً فى الحادث الْجَلَل
واصبِرْ على مَضَض الأيام مُحْتمِلاً ففيه قَرعُ لباب النُّجح والأمل
تأنَّ متُّئِداً فيما تَرومُ ولا تَعجَل وان خُلِق الانسانُ مِنْ عَجَل
لا تَطلُب العزَّ فى دارٍ وُلِدتَ بها فالعزُّ عند رَسيم الأينُق الذُّلُلُ
شَمِّر وجِدَّ لِأمرٍ أنتَ طالبُه إذْ لا تُنالُ المعالى قطُّ بالكَسل
واحذر مَساوِىء أخلاقٍ تُشان بها وأسوأ السُّوءِ سُوءُ الخُلْق والبَخَل

واخفضْ جناحَك للمولى وجُدْ ونَلْ ... ما أسمحَ الكِبرَ والإمساكَ بالرّجل
لا تَسأل النّذلَ واقصد ماجداً حدباً ... فى طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحل
ولا تُجادِل جَهُولاً ليس يفْهمُ ما ... تقولُ فالشرّ كلُّ الشّرّ فى الجدَل
ولا تكُن لنزُول الخَطْب مُضْطرباً ... فى حادثِ الدّهر ما يُغنى عن الحِيَل

أجودُ أحسنُ ما أُوليتَ من خُلُقٍ ... والعفو أنقَى لداء الضِّغن والدَّخل
والحلمُ ملحُ فسادِ الأمر يُصلِحهُ ... والبذلُ خيرُ فِعال الماجد البَطَل
لا تقْتحِم غمراتِ البحر مُرتكباً ... وأنتَ يَكفيك منه مَصّةُ الْوَشَل
ولا تُعاشر سِوى حَزمٍ أخَا ثُقةٍ ... وارْبأ بنفسك أن ترعَى مع الْهَمَل
لا تَنْخدعْ لصديق يدّعِي مَلقاً ... وحاذر النّاس واصْحبهم على دَخَل
لا تَأمنَنْ أحداً واحذر مَكائدَهم ... وظُنّ شرًّا وكن منهم على وَجَل
لا تَغُرَّنَّك الدُّنيا بزَهرتها ... فهل سَمِعت بظِلٍّ غير مُنتقل
إنَّ الغِنَى غِنَى النّفس فى كرم ... بالطّبع لا باقتناء الشّاء والإبل
إنَّ الصَّنيعةَ للأنذال تُفسِدُهم ... كما تَضرّ رياحُ الوَرد بالجُعَل
مَرارةُ النُّصح تَحلُو لى مَضَاضَتها ... ورُبّما صَحّت الأجسامُ بالعِلَل
دَع التَّكلُّف لا يُجديك مَنفعةً ... ليس التَّكحُّل فى العَينين كالكَحل
أرَى الرّعاء رعاء الشّاءِ فى تَرَفٍ ... فى أرْفع العَيش بين الخيل والخَوَل
وسادةُ العَصر قد ألقوْا مقالِدَهم ... إلى الطُّغاة شِرَار الناس والسِّفل
تَحكَّموا فى قضايا الناس واحتكَمُوا ... وحكّموا كلّ ذى جَهل أخِي خَبل
من كلّ غِرٍّ جَهولٍ لا يرَى رشَداً ... كباقلٍ مَثَلاً فى العِيِّ والخطَل
تَعْساً لشرّ زمانٍ ظَلّ طَوْعَ يد الـ ... ـئام يُسقيهمُ علَلاً على نَهل

ألقبضُ والبسطُ فى أيدى ذَوِى شَطَط ... من كلِّ سكرانَ من خمر الهوَى ثمِل
تَسْطو الكلابُ على أُسْدِ الشَّرَى سَفَهاً ... والبازُ الاشهَبُ يَخشَى صولةَ الحجَل
والقِرْدُ يَضحكُ من نِمْرٍ على هُزؤٍ ... والكلبُ يُوعدُ ليثَ الغيلِ بالغيلِ
نَالَ المرَامَ عُلوجٌ لا خلاقَ لهم ... فوق المؤمّل من شَبٍّ ومُكتهل
أَمْلَى لهم دَهرُهم فاستمهَلُوا أمداً ... مرخىً لهم فى مُرُوع العيش والطِّوَل

شَرُّ العُصُور زمانٌ يُستمدّ بهِ ... خِبٌّ لئيمٌ غدَا فى الشرِّ كالثَّمِل
لا يعلَم الرُّشدَ من غَيٍّ وليس له ... سِوَى الشّرارة فى قَول وفى عَمل
يشكو الطّوَى كلُّ ذى فَضلٍ وذى أرب ... وسَوقَةَ النّاس فى رَغدٍ وفى جذَل
مالِى وللبلدةِ الحمقَاء أسكنُهَا ... مسَا كناً لذَوِى خَرْق أُولى حِيَل
وليس لى ناقةٌ فيها ولا جَملٌ ... وليس لى ثَمّ من ثَورٍ ولا حَمَلِ
لا يَستقيمُ وِفاقٌ لى بمثلِهم ... وهلْ يُطابَقُ مِعوج بمُعتَدل؟
قد ذُقتُهم وبَلوتُ الحالَ عندهُم ... فما حَصَلتُ على صَابٍ ولا عَسَل
لا يفعلونَ إذا قالوا فقد بَعُدت ... مَسافَةَ الخُلف بين القَول والعَمل
أَضحتْ (مَواعيدُ عُرْقُوبٍ) لهم مَثَلا ... وما مَواعيدُهم الاّ على دَخَلِ
أَشكو الزَّمان وأهليه وأمقُتهم ... إذْ سُوءُ أفعالهم أَوفَى على القُلَل
سَاءَتْ سَرِيرتُهم حَالت طَرِيقتُهم ... زَاغَت بَصيرتهم عن أقوَم السُّبُل
عِلْمٌ بِلاَ عَملٍ حُكمٌ بلا حَكَمٍ ... ظُلمٌ على عَجَلٍ وَعدٌ على مَهَل
الإفكُ والزُّورُ والبُهتانُ عِندهمُ ... والسَّعىُ فى الأرض بالإفسادِ والخَلَل
الكذبُ مُستحسنٌ والصّدقُ عندهمُ ... مُستَهجنٌ من صِفاتِ العاجزِ الوكِل
أهنَى الطّعامِ لحومُ الناس عندهمُ ... والنَّمُّ فيما لَديهم شَربَةُ العَسَل

نَكْثُ العُهُود سَجايَاهم ودَأبهم ... خلْفُ الوعُودِ وذا من أسوإِ الثِّقل
يا دَهرُ مالكَ والأحرارَ تقهرُهُم ... تَذلّ كلّ كريم الأصلِ مُقْتبَل
حتى متَى يا زمانَ السُّوءِ تفعل ما ... تَشيب فيه النّواصِى غير مُحتمل
تُؤَخِّر الفاعلَ المرفوعَ تَحفظه ... مقدّماً لمفاعيلٍ على البدَل
وساقةُ الجيش قد أضحت مُقدّمة ... مثل التَّليل غدافى مؤخر الكفل
فلستُ أحفظُ فى ذى الدّهر من أسفٍ ... أطال أيّام عُمرىَ أو دَنا أجلى
واهاً لقلبىَ يوم البَيْن إذ ظَعنُوا ... فالعينُ فى لُجَج والقَلْب فى شُعل
كيف التَّصبُّر من نارى نَوًى وجَوًى؟ ... وفى الحشَا أنكاءُ جرحٍ غير مُندَمِل
فقد فقدتُ الألى كانتْ ببهجتهم ... نورُ النَّواظر فى الأحداق والمُقل
لم أكتحلْ بقرار بعد ما ارتحلُوا ... ولا ابتغَيتُ لهم فى الناس من بَدل
لم يُبق لى الدّهرُ بعد البَين من جلَدٍ ... ما أستطيعُ به تَوديعَ مُرتحل
ولا من الغمض ما أُقرِى الخيالُ به ... ولا من الدّمع ما أبكى على طلَل
قَلْبى على لَهبٍ. والجسمُ فى نَصَبٍ ... والرُّوحُ فى وَصَبٍ واللّبّ فى ذهَل
حَسْبى الغرامُ حَليفٌ والجوَى أبداً ... مُنَادماً وسميرٌ غيرُ مُنفصل
خُذْها مُحبّرة غيداء غانيةً ... أتتْ على عَجل كالقابس العجِل
جاءت من (الهاشمى) لاتَبتغى مهرَا ... من خاطبٍ لبنات النّظم فى عطَل

﴿ وقال محمد اليمنى الملقب بنجم الدين المتوفى سنة ٥٦٩ هـ ﴾

ولا تَحتقِر كيدَ الضَّعيفِ فربّما ... تَموتُ الأفاعِى من سُمُوم العقارِب
وقد هَدّ قِدْماً عَرْشَ بلقيس هُدْهُدٌ ... وخرّبَ حفْرُ الفأرِ سَدَّ مَأرب
إذا كان رأسُ المالِ عُمرُكَ فاحترزْ ... عليهِ من الإِنفاق فى غيرِ واجبِ

فبين اختلاف الليل والصبح معركٌ ... يكرُّ علينا جيشُه بالعجائب
وما راعني غدرُ الشباب لأنني ... أنستُ بهذا الخلق من كل صاحب
وغدرُ الفتى فى عهده ووفائه ... وغدرُ المواضى نبوُّ المضارب

﴿ وقال الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ هـ ﴾

سامحْ أخاك إذا خلطْ ... منه الإصابة بالغلطْ
وتجافَ عن تعنيفه ... إنْ زاغ يوماً أو قسطْ
واحفظ صنيعك عنده ... شكرَ الصنيعة أو غمطْ
وأطعه إنْ عاصى ، وهُنْ ... إنْ عزَّ ، وادنُ إذا شحطْ
واقنعْ الوفاء ولوْ أخ ... لمْ بما اشترطتَ وما اشترطْ
واعلم بأنكَ ان طلبـ ... ـتَ مهذباً رُمْتَ الشطط
مَنْ ذا الذى ما ساء قطْ ... ومَنْ له الحسنى فقطْ !

(وقال أيضا)

اسمعْ أخىَّ وصيةً من ناصحٍ ... ما شاب محضَ النصحِ منه بغشّهِ
لا تعجلَنْ بقضيةٍ مبتوتةٍ ... فى مدح مَنْ لم تبلُهُ أو خدْشهِ
وقفِ القضيةَ فيه حتى تجتلى ... وصفيَه فى حالىْ رضاه وبطشهِ
فهناكَ إن ترَ ما يشينُ فوارهِ ... كرماً وإنْ ترَ ما يزينُ فأفشهِ
واعلم بأنّ التبرَ فى عرْق الثرى ... خافٍ إلى أن يُستثار بنبشهِ
وفضيلةُ الدينارِ يظهرُ سرُّها ... من حكّه لا مِنْ ملاحةِ نقشهِ
ومن الغباوةِ أن تُعظّمَ جاهلاً ... لصقالِ ملبسه ورَوْنقِ رفشهِ
أو أن تهينَ مهذباً فى نفسه ... لِدُروس بزّته ورثّةِ فرْشهِ

الباب التاسع فى العلم

(قال مؤيد الدين الأصبهانى المعروف بالطُّغرائى المتوفّى سنة ٥١٣ هـ)

من قاسَ بالعلم الثراء فانّه ... فى حُكمِهِ أعمَى البَصيرةِ كاذبُ
ألعلم تَخْدِمُهُ بنفسك دائماً ... والمال يَخْدُمُ عنك فيه نائب
والمال يُسْلَبُ أو يَبِيدُ لحادثٍ ... والعِلم لا يُخْشى عليه سالب
والعلم نقشٌ فى فؤادك راسخٌ ... والمال ظِلٌّ عن قَنائك ذاهب
هذا على الإنفاق يَغْزرُ فَيضُهُ ... أبداً وذلك حين تُنفِقُ ناضب

العلمُ أشرفُ شَىءٍ قاله رجلٌ ... مَن لم يكن فيه عِلم لم يكن رَجُلا
تَعلَّم العلمَ واعملْ يا أُخىَّ به ... فالعلم زَيْنٌ لمن بالعلم قد عَمِلا

العلم مُبلِغُ قومٍ ذِرْوَةَ الشّرفِ ... وصاحبُ العلم محفوظ من التَّلفِ
يا صاحبَ العلم مَهلاً لا تُدَنِّسه ... بالمُوبِقات فما للعلم من خَلَف
العلمُ يَرفع بَيتاً لا عِمادَ له ... والجهلُ يَهْدِمُ بيت العزّ والشّرف

لو كان نور العلم يُدْرك بالمُنى ... ما كان يَبقَى فى البريّة جاهلُ
إجهدْ ولا تكسل ولاتكُ غافلاً ... فندامة العُقْبَى لمن يَتكاسل

وفى الجهل قبل الموت موتٌ لأهله ... وأجسادهم دُون القبور قُبورُ
وإنَّ امرأً لم يُحيى بالعلم قلبه ... فليس له حتى النُّشور نُشور

لكلّ مُجِدٍّ فى الورَى نفعُ فاضلٍ ... وليس يُفيدُ العلم من دون عامِلِ
يُسابق بعض النّاس بعضاً بجدّهم ... وما كلّ كَرٍّ بالهوى كَرُّ باسل

اذا لم يكن نفعٌ لذى العلم والحجا فما هو بين الناس إلاّ كجاهل
كذاك إذا لم ينفع المرء غيره يُعدُّ كشوكٍ بين زهر الخمائل

يا ساعياً وطِلاب المال همّته إنّى أراكَ ضعيفَ العقلِ والدِّين
عليك بالعلم لا تطلُب له بدلاً واعلم بأنّك فيه غيرُ مغبون
ألعلم يُجدِى ويَبقى للفتى أبداً والمالُ يَفنَى وانْ أجدَى إلى حِينِ
هذاك عزٌّ وذا ذُلٌّ لصاحبه ما زال بالبُعد بينَ العزّ والهُون

العلم زَيْنٌ وتَشريفٌ لصاحبه فاطلُب هُديت فنون العلم والأدبا
كم سيّدٍ بطلٍ آباؤه نُجُبُ كانوا الرُّؤوس فأمسى بعدهم ذَنبا
ومُقرفٍ خامل الآباء ذى أدب نال المعالىَ بالآداب والرُّتبا
العلم كنزٌ وذخرٌ لا فناء له نِعمَ القرينُ اذا ما صاحبٌ صحِبا
قد يجمع المالَ شخصٌ ثم يحرمه عمّا قليلٍ فيلقَى الذُّلّ والحربا
وجامعُ العلم مغبوطٌ به أبداً ولا يُحاذرُ منه الفَوْت والسَّلبَا
يا جامعَ العلم نِعمَ الذُّخر تَجمعُهُ لا تَعدِلَنّ به دُرًّا ولا ذَهبا

بالعلم والعقلِ لا بالمالِ والذّهبِ يَزدادُ رفعُ الفتى قَدْراً بلا طلبِ
فالعلم طَوْق النُّهى يزْهو به شَرفاً والجهلُ قيدٌ له يبْليه باللّعب
كم يَرْفع العلم أشخاصاً الى رُتَب ويخفض الجهلُ أشرافاً بلا أدب
العلمُ كنزٌ فلا تَفْنَى ذَخائرُهُ والمرء ما زاد علماً زاد بالرُّتب
فالعلمَ فاطلبْ لكى يُجديك جوهره كالقُوت للجسم لا تَطلُبْ غِنَى الذّهب

العلمُ زينٌ فكن للعلم مُكتسباً وكن له طالباً ما عِشْت مُقتبسا
اركن اليه وثِقْ بالله واغْنَ به وكن حليماً رَزين العقل مُحْترِسا

وكن فتى سالكاً محض التقى ورعاً ... للدين مغتنماً فى العلم منغمسا
فمن تخلق بالآداب ظل بها ... رئيسَ قومٍ اذا ما فارق الرؤسا

ألناس من جهة التمثال أكفاء ... أبوهمُ آدمُ والأمُّ حوّاء
فان يكن لهم فى أصلهم شرفٌ ... يُفاخرون به فالطين والماء
ما الفخرُ إلا لأهل العلم انهمُوا ... على الهدَى لمن استهدى أدِلاّء
وقدرُ كلّ امرىءٍ ما كان يُحسنُه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
وان أتيتَ بجود فى ذَوِى نَسب ... فانّ نِسبتَنا جُودٌ وعَلياء
ففُزْ بعلم تَعِش حياً به أبداً ... الناسُ موتَى وأهلُ العلم أحياء

ألعلْم يَغرسُ كلّ فضلٍ فاجتهد ... ألاّ يفوتَك فضلُ ذاك المَغْرِسِ
واعلم بأنّ العلم ليس يناله ... مَن همّه فى مَطعم أو مَلبس
ألاَ أخو العلم الذى يَزهو به ... فى حالَتيه عارياً أو مُكتسى
فاجعل لنفسك منه حظّاً وافراً ... واهجُر له طيبَ الرُّقاد وعَبّس
فلعلّ يوماً ان حضرت بمجلس ... كنتُ الرّئيسَ وفخرَ ذاك المجلس

(وقال المرحوم أحمد شوقى بك فى المعلم والعلم والتعليم)

قُمْ للمعلِّمِ وَفِّهِ التبجيلا ... كادَ المعلّمُ أن يكونَ رسولا
أعلمتَ أشرفَ أوأجلّ من الذى ... يَبنى ويُنشِىء أنفساً وعقولا ؟
سُبحانك اللّهُمَّ ، خيرَ معلِّمٍ ... علّمتَ بالقلم القرونَ الأُولَى
أخرجتَ هذا العقلَ من ظُلُماتِه ... وهديتَه النورَ المُبينَ سَبيلا
وطَبعتَه بيدِ المعلِّم ، تارةً ... صَدِئَ الحديدِ وتارةً مَصقولا
أرسلتَ بالتوراةِ موسَى مُرشِداً ... وابنَ البتُولِ فعلّم الإنجيلا

وفجرتَ يَنبوعَ البيانِ مُحمّدًا ... فسقَى الحديث وناول التّنزيلا
عَلَّمتَ (يُوناناً ومِصرَ) فزَالتَا ... عن كلِّ شمسٍ ما تُريدُ أُفولا
واليومَ أصْبَحتَا بحالِ طُفولةٍ ... فى العلمِ تَلْتمِسانه تطفيلا
من مَشرِقِ الارض الشّموس تَظاهرت ... ما بالُ مَغربِها عليه أُدِيلا
يا أرضُ مُذْ فقَدَ المُعلّمُ نفسَه ... بين الشموس و بين شَرقِك حيلا
ذهب الّذين حموْا حقيقةَ عِلمهم ... واستعذَبوا فيها العذَابَ وَبيلا
فى عالَمٍ صَحبَ الحياةَ مُقيَّدًا ... بالفردِ ، مخزوماً به ، مغلولا
صَرَعتْه دنيا المُستبدِّ كما هَوتْ ... من ضَربةِ الشمس الرّءوس ذُهولا
سُقراط أعطِى الكأسَ وهى منيّةٌ ... شفتى مُحِبٍّ يشتهى التّقبيلا
عرضوا الحياةَ عليه وهى غباوةٌ ... فأَبى وآثر أنْ يموتَ نَبيلا
إنّ الشجاعةَ فى القلوبِ كثيرةٌ ... ووجدتُ شجعانَ العقولِ قليلا

أمُعلِّمِي الوادى وساسةَ نَشْئِه ... والطّابعينَ شَبابَهُ المأمولا
والحامِلينَ إذا دُعوا ليُعلِّمُوا ... عِبءَ الأمانةِ فَادحاً مَسئولا
ونِيَتْ خُطا التّعليم بعد محمدٍ ... ومَشَى الهُوَيْنا بعد إسماعيلا
حتى رأينا مصرَ تخطُو إصبَعاً ... فى العلم ، إنْ مَشَتِ الممالكُ ميلا
تلك الكفور وحَشْوُها أُميّة ... من عهد «خُوفو» لم تَرَ القنديلا
تَجدُ الّذين «بنَى» المسلّةَ جدُّهم ... لا يُحسِنونَ لإبرة تشكيلا !
ويُدَلّلُونَ إذا أُريد قِيادُهم ... كالبُهْمِ تَأنَسُ إذ تَرَى التّدليلا
يَتلُو الرِّجالُ عليهمُو شَهواتِهم ... فالنّاجِحون ألذُّهم ترتيلاَ
الجهلُ لا تحيَا عليه جَماعةٌ ... كيف الحياةُ على يَدَىْ عزيزِ يلا؟

رَبُّوا على الإنصاف فتيانَ الحِمَى ... تَجدوهمُ كهفَ الحُقوق كهولا
فهو الذى يَبنى الطِّباعَ قويمةً ... وهو الذى يَبنى النفوس عُدولا
ويُقيمُ منطقَ كلِّ أعوجِ منطقٍ ... ويُريه رأياً فى الأمور أصيلا
وإذا المُعلِّمُ لم يكن عَدْلاً مشَى ... روحُ العدالةِ فى الشبابِ ضئيلا
وإذا المعلمُ ساءَ لَحظَ بَصيرةٍ ... جاءتْ على يده البَصائرُ حُولا
وإذا أتَى الإرشادُ من سَبب الهوى ... ومن الغُرورِ فَسمِّه التّضليلا

وإذا أُصيبَ القومُ فى أخلاقهم ... فأقِمْ عليهم مَأتماً وعَويلا
إنّى لأعذُرُكم وأحسبُ عُبئَكم ... من بين أعباءِ الرجال ثَقيلا
وجَدَ المساعَدَ غيرُكم وحُرِمتُموا ... فى مصرَ عونَ الأُمّهاتِ جليلا
وإذا النّساءُ نَشأنَ فى أُميّةٍ ... رضَعَ الرجالُ جَهالةً وخُمولا
ليس اليتيمُ من انتَهى أبواهُ من ... همِّ الحياةِ ، وخلَّفاه ذليلا
فأصابَ بالدّنيا الحكيمةَ منهما ... وبحُسن تربيةِ الزّمان بديلا
إنّ اليتيمَ هو الذى تلقى له ... أُمّاً تَخلّتْ ، أو أباً مشغولا

الباب العاشر فى العقل

لولا العقولُ لكان أدنَى ضَيغَمٍ ... أدنَى الى شَرفٍ من الأنسانِ
ولَرُبّما طَعنَ الفتَى أقرانَه ... بالرّأىِ قبلَ تَطاعُنِ الأقران

ألَم ترَ أنّ العقلَ زينٌ لأهلِه ... ولكنْ تمامُ العَقلِ طولُ التّجارِب
يقولُ لكَ العقلُ الذى زيّن الفتى ... اذا لم تكن تَقدِرِ عَدُوّك دارِه
ولاقِهِ بالترّحيب والبِشْرِ والقِرَى ... وبَارِكْ له مادُمتَ تحتَ اقتداره

وقبِّل يدَ الجانى التى لستَ قادراً ... على قَطعها وراقِبْ سقُوطَ جدارِه

العقـلُ حُلّة فَخرٍ مَن تَسرْبَلها ... كانت له نَسباً تُغنِى عن النَّسب
والعقل أفضلُ ما فى الناس كلِّهم ... بالعقل ينَجُو الفتى من حَومة الطَّلَب

وأفضـلُ قسْمِ اللهِ للمرءِ عَقلُه ... فليس من الخيرات شَىءٌ يُقارِبُهْ
يَعيش الفتى بالعقل فى الناس أنه ... على العقل يَجرى علمُه وتَجارِبه
يَشين الفتى فى الناس قِلّةُ عقلِه ... وإنْ كرُمت أعراقُه ومناسبُه
اذا أكمَل الرّحمنُ للمرء عقلَه ... فقـد كمُلت أخلاقُه ومآرِبُه

ما وهبَ اللهُ لامرىءٍ هِبَةً ... أشرَف من عقله ومن أدبِهْ
هما حياةُ الفتى فانْ عدمُا ... فانّ فقـدَ الحياةِ أجملُ بهْ

يُعدُّ رفيعَ القوم مَن كان عاقلاً ... وان لم يكن فى قومـه بِحَسيبِ
وانْ حلّ أرضاً عاش فيها بعقـله ... وما عاقلٌ فى بلدة بغريب

ومَن كان ذا مالٍ ولم يكُ عاقـلا ... فذاك حمارٌ حمَّلوه من التِّبر
أرَى العقلَ مِرآةَ الطّبيعة إذ به ... نَرَى صُوَرَ الأشياء فى عالَم الفِكر

ذُو العقل فى معترك الأقدار مُقتدِرٌ ... لـكنّ ذا الجهل مغلوبٌ ومغلولُ
وعقلُ ذى الحزم مِرآة الأمور بها ... يرَى الحقائق ، والمجهولُ مجهولُ

وعُقولُ الأنام لو تَستوِى لم ... يكُ فَرقٌ بين الغَبىّ والنَّبيـهِ
مِحورُ الأرض لو غدَا مُستقيماً ... لتَساوَى النَّهار والليل فيـه

الباب الحادى عشر في الادب

﴿ قال أبو تمام فى مكارم الأخلاق ﴾

إذا جاريتَ فى خُلقٍ دَنيئاً ... فأنتَ ومن تُجاريه سَواء
رأيتُ الحرَّ يجتنبُ المخازى ... ويَحميه عن الغَدر الوَفاء
وما من شِدّة إلاّ سيأتى ... لها من بعد شِدّتها رخاء
لقد جرّبت هذا الدّهر حتى ... أفادتْنى التّجارِبُ والعناء
يَعيش المرء ماستحيا بخيرٍ ... ويبقى العُود ما بقِيَ اللّحاء
فلا والله ما فى العيش خيرٌ ... ولا الدُّنيا اذا ذهب الحياء
اذا لم تَخشَ عاقبة اللّيالى ... ولم تَستحِ فاصنع ما تَشاء

(وقال أيضاً فى الحرية)

سَأصرفُ وجهى عن بلادٍ غدا بها ... لِسانىَ مَعقولاً وقلبىَ مُقفلا
وانّ صريحَ الحزمِ والرّأى لامرِىءٍ ... إذا بلغته الشّمسُ أنْ يتحوّلا

(وقال أبو فِراس الحمدانى فى نتيجة الاختبار والتّجارِب)

لا أشترَى بعد التّجارِب صاحباً ... إلاَّ ودِدْت بأنّنى لم أشْره
وتركتُ حُلوَ العيش لم أحفَل به ... لمّا رأيتُ أعزّه فى مُرّه
والمرء ليس بغانمٍ فى أرضِه ... كالصّقر ليس بصائدٍ فى وَكْره

(وقال أبو العَلاء المعرِّى فى الشيوخ المتظاهرة بالصّلاح)

لَئِن قَدِرتَ فلاتفعلْ سوى حَسَنٍ ... بين الأنام وجانبْ كلّ ما قبُحا
فكم شيوخٍ غَدوْا بيضاً مفارقُهم ... يَسبحون وباتوا فى الخنَا سَبَحا

وليس عندهم دِينٌ ولا نُسكٌ فلا تغرّك أيدٍ تحملُ السُّبَحا
لو تعقلُ الأرض ودّت أنها صفرَتْ منهم فلم يرَ فيها ناظرٌ شبَحا

(وقال الطُّغرائى فى المقارنة بين العدوّ والحسود)

جَاملْ عدُوّك ما استطعتَ فإنّهُ بالرّفق يطمعُ فى صَلاح الفاسِد
واحذر حسودك ما استطعت فإنهُ إن نِمتَ عنهُ فليس عنك براقد
انّ الحسود وانْ أراد تودّداً منه أضرّ من العدُوّ الحاقد
ولرُبّما رضىَ العدوّ اذا رأى منكَ الجميل فصار غير مُعاند
ورِضا الحسُود زوالُ نعمتِك التى أُوتيتَها مِن طارفٍ أو تالد
فاصبر على غيظ الحسُود فنَاره تَرمى حَشاهُ بالعذَاب الخالد
أوَ ما رأيتَ النّار تأكلُ نفسها حتّى تعود الى الرّماد الهامد
تَضفُو على المحسود نعمةُ ربّه ويذوب من كَمدٍ فؤادُ الحاسد

(وقال ابن الرّومى فى عدم الاكثار من الأصحاب)

عدُوّك من صديقك مُستفادُ فلا تَستَكثِرنّ من الصّحاب
فانّ الدّاء أكثرُ ما تراه يَحول من الطّعام أو الشّراب
اذَا انقلبَ الصّديقُ غَدَا عدُوًّا مُبيناً والأمور الى انقلاب
ولو كان الكثيرُ يَطيب كانت مُصاحبة الكثير من الصّواب

﴿ وقال فى الانفراد والوحدة ﴾

ذُقت الطُّعومَ فما التذذتُ براحةٍ من صُحبة الأخيار والأشرار
أمّا الصّديقُ فلا أُحِبُّ لِقاءه حذَرَ القِلَى وكَرَاهة الأعوار
وأرى العدُوّ قذًى فأكرهُ قُربهُ فهجرت هذا الخلق عن إعذار

من جور اخوان الزمان سرورهم بتفاضُل الأحوال والاخطار
لو أنَّ اخوان الصفَّاء تَناصفوا لم يفرحوا بتفَاضُل الأعمار
أأُحِبّ قوماً لم يُحبُّوا ربّهم الا لفِردوس لديه وَنار

﴿ وقال المتنبى يلفت نظر العقلاء الى طلب المعالى ﴾

اذَا غامرتَ فى شرف مَرومِ فلا تقنع بما دُونَ النُّجومِ
فطعمُ الموتِ فى أمرٍ حقيرٍ كطعم الموت فى أمرٍ عظيم
يَرَى الُجبناء أنَّ العجز عَقلٌ وتلك خَديعة الطّبع اللّئيم
وكلُّ شَجاعة فى المرء تُغنِى ولا مثلَ الشجاعة فى الحكيم
وكم من عَائبٍ قولاً صحيحاً وآفتُه من الفَهم السقيم

﴿ وقال بَشّار بن بُرد فى وصف الأخ الحقيقى ﴾

خَيرُ إخوانِك المُشارِكُ فى المُرْ رِ وأين الشَّريكُ فى المُرّ أينَا
ألذى إنْ شهدتَ سَرّك فى الحيْ يِ وإن غبتَ كان أُذناً وعَينَا
مثل سِرّ الياقوتِ إن مَسّه النّا ر جَلاه البَلاء فازداد زَينَا
أنتَ فى مَعشرٍ إذَا غِبتَ عنهم بدّلوا كلَّ ما يَزينك شَيْنا
وإذا ما رأوْك قالوا جميعاً أنتَ من أكرم البرَايا علَينَا
ما أرى لِلأنام وُدّاً صحيحاً عادَ كلّ الورَاء زُوراً ومَيْنَا

﴿ وقال أبو العتاهية فى صُنع الجميل مع الناس ﴾

خيرُ أيامِ الفتى يَومٌ نَفعْ واصْطِناعُ الخيرِ أبقَى مَا صَنعْ
ما يُنال الخيرُ بالشّرّ ولا يَحصدُ الزَّارِع إلاّ ما زرع
خُذ من الدّنيا الذى درَّت به واسْلُ عمّا بَانَ منها وانقطع

إنّما الدُّنيا متاعٌ زائلٌ ... فاقتصد فيه وخُذْ منه وَدَع
وارضَ للناس بما ترضى به ... واتَّبِع الحقّ فنِعْمَ المُتَّبع

كن ابنَ من شِئتَ واكتَسِبْ أدباً ... يُغْنيك مَحمودُه عن النَّسبِ
إنّ الفتى مَن يقول هأنَذَا ... ليس الفتى مَن يقولُ كان أبِي

لكلِّ شىءٍ زِينةٌ فى الوَرى ... وزِينةُ المرءِ تَمامُ الأَدبْ
قد يَشرُف المرءُ بآدابه ... فينا وإن كان وضيعَ النَّسب

﴿ وأنشد أبو عبد الله نفطويه لنفسه فى كون التعلّم فى الصّغر كالنّقش فى الحجر ﴾

أَرانِيَ أَنسى ماتعلّمتُ فى الكِبرْ ... ولَستُ بناسٍ ماتَعلّمتُ فى الصِّغرْ
ومَا العلمُ الاّ بالتّعلّم فى الصِّبا ... وما الحلم الاّ بالتَّحلّم فى الكِبرْ
ولَوْ فُلِقَ القلْبُ المُعلَّمُ فى الصِّبَا ... لألْفَى فيه العِلْمُ كالنَّقْشِ فى الحجَرْ
وما العِلمُ بعْد الشَّيبِ إلاّ تَعسُّفٌ ... إذا كلَّ قلْبُ المرءِ والسَّمعُ والبَصَرْ
وما المرءُ إلاّ اثنانِ : عَقْلٌ ومَنْطِقٌ ... فمَنْ فاتَهُ هذا وهذا فقَدْ دَمَرْ (١)

﴿ ومما ينشدُ لخلَف الاحمر (٢) فى كون ميراث العلم أبقى من ميراث المال ﴾

خيرُ ماورَّثَ الرِّجالُ بَنيهِمْ ... أدَبٌ صالحٌ وحُسْنُ ثَنَاءِ
هُو خيرٌ مِنَ الدَّنانيرِ والأوْ (٣) ... رَاقِ فى يَوْمِ شِدّةٍ ورخَاءِ
تِلكَ تَفْنَى ،والدِّينُ والأدبُ الصَّا ... لِحُ لا يَفْنيانِ حتّى اللقَاءِ (٤)
إنْ تأدَّبْتَ يابُنيَّ صغيراً ... كُنْتَ يَوْماً تُعدُّ فى الكُبراءِ
واذا ما أَضَعْتَ نفسكَ ألْفِيـ (٥) ... ـتَ كبيراً (٦) فى زُمْرةِ الغَوْغاءِ

(١) أى هلك (٢) كان رواية للشعر والأدب وشيخا من شيوخ النحويين البصريين توفى سنة ١٨٠ه (٣) جمع ورق مثلثه وهى الدراهم المضروبة من الفضة (٤) يوم اللقاء أى لقاء الله وهو يوم القيامة (٥) أى وجدت (٦) نصب على الحال

ليس عطفى للعود إن كان رطباً وإذا كان يابساً بسواء

﴿ ومن شعر المنصور الفقيه فى كون العلم بلا عمل كشجر بلا ثمر ﴾

أيها الطالبُ الحريصُ تعلَّمْ إنّ للحق مذهباً قد ضللتهْ
ليس يُجدِى عليك علمُك إنْ لمْ تكُ مُستعملاً لما قد علمتهْ
قد لعمرى اغتربتَ فى طلب العلْ مِ وحاولتَ جمعهُ فجمعتهْ
ولقيتَ الرِّجالَ فيهِ وزاحمْ تَ عليهِ الجميعَ حتى سمعتهْ
ثُمَّ ضيَّعتَ أوْ نسيتَ ، وما ينْ فعُ علمٌ نسيتهُ أوْ أضعتهْ
وسواءٌ عليكَ علمُكَ إنْ لم يُجْدِ نفعاً عليكَ أمْ ماجهلتهْ
كمْ إلى كمْ تُخادِعُ النّفس جهلاً ثُمَّ تُجرِى خِلافَ ما قدْ عرفتهْ
تَصِفُ الحقَّ والطّريق إليهِ فإذا ما عملت خالفتَ سمتهْ

﴿ وقال محمود سامى باشا البارودى فى انتهاز الفرصة ﴾

بادر الفُرصةَ واحذر فوتها فبلوغ العزِّ فى نيل الفُرصْ
واغتنمْ عُمرك إبّان الصِّبَا فهو ان زادمع الشّيب نقصْ
وابتدر مَسعاك واعلم أنّ مَن بادر الصَّيد مع الفجر قنصْ
واجتنبْ كل غبىٍّ مائق فهوَ كالعيرِ (١) اذاجدّ قمصْ
إنّما الجاهلُ فى العين قذَى حيثُما كانَ ، وفى الصّدر غُصصْ
واختبرْ مَن شئتَ تعرِفه ، فما يَعرِفُ الأخلاق إلاّ من فحصْ
انّ ذا الحاجة إن لم يغترب عن حِماه مثل طير فى قفص

(١) الحمار

﴿ وقال أبو اسحاق إبراهيمُ الغزّى [١] فى كون الحركة بركة ﴾

بمسيرهِ نقصَ الهلالُ ، وزادا ... فاجعل كراكَ [٢] إذا اعتزمتَ سُهادا [٣]
لولا انصلاتُ [٤] البيضِ [٥] من أغمادها [٦] ... مشحوذة لم تفضل الأغمادا
وفضيلةُ الحيوان فى حركاته ... لولاَ منافعهُ لكان جمادا
ما العمرُ الاَّ راحلٌ ، وأظنّه اتّ ... خذَ الشّبيبةَ للمسافة زادا
لاتخلعَنَّ عن اللّسانِ لجامَهُ ... وتوقَّ فرط جماحه المُعتادا
فالله خصَّ الإستماعَ بآلةٍ ... مثنَى ، وجارحةُ الكلام فُرادَى

﴿ وقال أبو نصر عبدُ العزيز بنُ نُباتة السَّعدىُّ [١] فى طلب العلا ﴾

حاولْ جسيماتِ الأمور ، ولاتقُل ... انَّ المحامدَ والعُلا أرزاقُ
وارغب بنفسك [٩] أن تكونُ مقصّراً ... عن غاية فيها الطّلابُ سباقُ
لاتشفقنَّ [١٠] فانّ يومك إنْ أتى ... ميقاتُه لم ينفعِ الإشفاقُ
واذا عجزتَ عن العدوِّ فدارِه ... وامزحْ له انّ المزاحَ وفاقُ
فالنارُ بالماءِ الذى هو ضدُّها ... تُعطِى النّضاجَ ، وطبعُها الإحراقُ

﴿ وقال المُعتمِد بن عباد فى وجوب التّضحية لفدية الوطن ﴾

إن يسلُبِ القومُ العِدَى ... وطَنِى وتُسلِمُنى الجموعْ

---

(١) هو ابراهيم بن يحيى بن عثمان الكلبى شاعر مجيد صاحب مطولات : وله ديوان اختاره لنفسه ، ولد بغزة سنة ٤٤١ هـ وتصرفت به الأحوال فذهب الى المشرق ومات بين مرو وبلخ سنة ٥٢٤ هـ (٢) الكرى النوم (٣) السهاد السهر (٤) تجرد (٥) السيوف (٦) جمع غمد وهو قراب السيف (٧) هو ابو نصر عبد العزيز بن عمر المشهور بابن نباتة ، وينسب الى سعد تميم وعد فى شعراء سيف الدولة الحمدانى ، وله ديوان حافل توفى سنة ٤٠٥ هـ ببغداد . وهو القائل:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ... تنوعت الاسباب والموت واحد

فالقلبُ بينَ ضُلُوعِهِ لم تُسلم القلبَ الضلوع
قد رُمتُ يوم نِزَالهِمْ ألاَّ تُحَصِّنُنِي الدُّرُوع
وَبرزتُ ليس سوى القميـ ـص على الحشَاشَيْءٍ دَفوع
أَجَلِي تَأخرَ لم يكن بِهَوَايَ ذُلِّى والخُضوعْ
ماسِرتُ قَطُّ إلى القِتا ل وكان من أَمَلِي الرُّجوعْ
شِيَمُ الأُولى أَنَا مِنْهُمُ والأصل تَتْبعُهُ الفُروعْ

﴿ وقال موسى بن عبد الله فى وجوب عدم الثقة بالغير ﴾

تَوَلَّتْ بَهْجَةُ الدُّنْيَا فكلٌّ جديدِها خَلَقُ
وخَان الناسُ كُلهُمُ فما أَدرِى بمن أَثِقُ
رأيتُ مَعالمَ الخيرا ت سُدَّتْ دُونَهَا الطرُقُ
فلا أدبٌ ولا كَرَمٌ ولا فضلٌ ولا خُلُقُ
فلستُ مُصَدِّقَ الأَقْوا مِ فى شَيْءٍ وانْ صَدَقُوا

(وقال الأَبِيوَرْدِىّ الأموى المتوفى سنة ٥٥٧ هـ بخراسان فى تَقَلُّب الزمان)

مَلَكْنَا أَقَالِيمَ البِلَادِ فأَذْعَنَتْ لنا رغبةً أَوْ رَهْبَةً عُظماؤُهَا
فلمّا انتهت أَيَّامنا علقت بنا شَدَائدُ أَيَّامٍ قَلِيلٍ رَخَاؤُهَا
وكان إلينا فى السّرورِ ٱبتسَامُها فصار علينا فى الهمُوم بُكاؤها
وصِرنَا نُلاقِي النّائباتِ باوْجُهٍ رِقاق الحَوَاشِى كادَ يَقْطر ماؤها
إذا ما هَممنا أن نَبوحَ بما جنَت علينا اللّيالى لم يَدَعْنَا حَيَاؤُهَا

(وقال القاضى عبد الوهاب فى دَوَام الخير بين الناس ما داموا درجات فاذا تساوَوْا اهلكوا)

متَى تصِلُ العطاشُ إلى ٱرْتِوَاءٍ إذا استقتِ البحارُ من الرَّكَايَا

ومَن يَثنِى الأصاغِرَ عن مُرَادٍ ... وقد جلسَ الأكابرُ فى الزَّوايا
وإنّ تَرَفُّعَ الوُضَعاء يوماً ... على الرُّقَاءِ من إحدى البلايا
إذا استَوَتِ الأسافلُ والأعالى ... فقد طابت مُنادمة المنَايا

(وقال سعد بن محمد فى كون عمل الانسان يدُلّ على أصله)

مَلكنا فكان العفوُ مِنّا سَجِيَّةً ... فلَمّا ملكتُمْ سالَ بالدَّمِ أبطَحُ
وحلَلْتُمُ قتلَ الأسارَى وطالَما ... غَدونا على الأسْرَى نَمُنُّ ونَصفَحُ
فَحسبُكُمُ هذا التّفاوُتُ بَيْنَنَا ... وكلّ إناء بالذى فيه يَنْضَحُ

(وقال مَعْنُ بنُ أوس فى لزوم التّحفظ بآثار الآباء والجدود)

ورثنَا المجدَ عن آباءِ صِدْق ... أَسَأْنا فى جِوَارِهمُ الصَّنيعَا
إذا المجدُ الرفيعُ تَوارَثَتْهُ ... بُناةُ السُّوءِ أوشك أن يَضيعَا

(وقال الأمام الشافعى فى المنّ والأذى وتعداد صنائع الاحسان)

لا تَحمِلَنَّ لِمَنْ يَمُنُّ من الأنَامِ عليك مِنَّهْ
واخترْ لنفسِكَ حَظّها ... واصبر فإنَّ الصَّبرَ جُنَّهْ
مِنَنُ الرِّجالِ على القُلو ... بِ أشَدُّ من وَقْعِ الأسِنَّهْ

(وقال على بن عبد العزيز الجرجانى فى وصف النفوس الأبيّة)

وقالوا توصّلْ بالخُضوعِ إلى الغِنى ... وما علِمُوا أنّ الخُضوعَ هو الفقْرُ
وبينى وبين المال شَيْئان حرَّمَا ... علىّ الغنى: نفسى الأبيَّةُ، والدَّهْرُ
إذا قيل هذا اليُسر أبصرتُ دُونَه ... مَواقفَ خيرٌ من وقُوفى بها العُسرُ

(وقال الشريف الرضى فى كون المال خادماً للإنسان)

اشْتَرِ العِزَّ بما بِيـ ... ـعَ فما العِزُّ بِغَالِ

ليس بالمغبونِ عقلا مُشترٍ عِزاً بمال
إنّما يُدّخرُ الما لُ لحاجاتِ الرّجال
والفتى مَن جعلَ الأمـ ـوالَ أثمانَ المعالى

(وقال أبو تمام فى كون العز والمجد لا يُنالان إلا بالتّعب والجدّ)

قد علمنا أنْ ليسَ إلاّ بشقّ الـ ـنفس صار الكريمُ يُدعى كريما
طَلبُ المجدِ يُورث المرْءَ خبلاً وهُموماً تُقضقِضُ الحيزُوما
فتراه وهْوَ الخلىُّ شجيّاً وتراهُ وهو الصّحيحُ سقيما
تيّمتْهُ العُلَى فليس يَعُدُّ البُؤسَ بُؤساً ولا النّعيم نعيما

(وقال مخيّس بن أرطاة فى لزوم تجنّب الانسان كلّ ما يُعاب)

عرَضْتُ نَصيحةً مِنّى لِيحيي فقال غششْتَنى والنصحُ مُرُّ
وما بى أن أكونَ أعيبُ يَحيي ويَحيي طَاهرُ الأخلاق بَرُّ
ولكنْ قد أتانى أنّ يَحيي يُقالُ عليه فى بقعاء شرُّ
فقلتُ له تجنّبْ كلّ شىء يُعابُ عليك إنْ الحرَّ حرُّ

(وقال ابن هانىء (مُتنبّى الغرب) فى: أن ليس للانسان إلاّ ما سعى)

ولم أجدِ الإنسانَ إلاّ ابنَ سَعْيِهِ فمنْ كان أسعَى كان بالمجدِ أجْدَرَا
وبالهمّةِ العلياءِ ترقَى إلى العُلَى فمَنْ كان أعلَى همةً كان أظهرَا
ولم يَتأخّر مَن أراد تقدُّماً ولم يَتقدّمْ مَن أرادَ تأخراً

(وقال بعضهم فى كون التّقليد فى الخير فضيلة)

إذا أعْجبَتْكَ خِلالُ امرىءٍ فكنهُ تكُنْ مثلَ مَنْ يُعجبُكْ
وليسَ على المجد والمكْرُما تِ إذا جِئْتَها حاجبٌ يحجبك

(وقال أبو روح ظفر بن عبد الله : فى الهمة العالية والعزيمة الماضية)

ألسيفُ يَعلَمُ أن لِى فى حدِّه ... سِرًّا نهاهُ الدّهرُ عن إفشائِهِ
والدّهر يعلَمُ أنَّ لى فى صَدْره ... ناراً مُضرّمة على أحشائه
ولوانَّ أطرافَ السّيوفِ وفَينَ لى ... لأخذتُ حقّ الدّهرِ من أبنائه
هِمَمٌ مُؤرِّقةٌ جُفونى كُلّما ... أرْخَى الظّلامُ علىّ ذيْلَ خِبائِه
هِمَمُ النفوسِ مَنوطةٌ بِعنائها ... والمرْءُ يَخدَعُه لسانُ رجائه

(وقال عمارة اليمنى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ فى الشجاعة والإقدام)

العِلْمُ مُذْ كان محتاجٌ إلى العلَمِ ... وشَفْرَةُ السَّيْف تَستغنى عن القَلم
وخيرُ خيلكَ إن غامَرْتَ فى شَرف ... عزمٌ يُفرِّقُ بين السّاق والقَدم
لا يُدرِكُ المجدَ إلا كلُّ مُقْتحمٍ ... فى مَوْج مُلْتَطِمٍ أو فوج مُضطَرم
ورُبَّ أمرٍ يَهاب النّاس غايَتَه ... والأمر أهْوَنُ فيه من يدٍ لِفَم
تَنْمَى قُوى الشّىء بالتّدريج إن رُزِقت ... لُطفاً ويَقوَى شِرَارُ النّارِ بالضّرَمِ

(وقال أبو الحسن التّهامى المتوفى سنة ٤١٦ هـ فى الأدب العام)

لا تَحمَدَ الدّهرَ فى بأساء يكشفها ... فلو أردتَ دوامَ البؤسِ لم يَدُمِ
فالدّهرُ كالطَّيف بُؤْساهُ وأنْعُمُهُ ... عن غير قصدٍ فلا تحمَدولا تَلُم
لا تَحسبَنْ حسبَ الآباءِ مَكرُمة ... لمن يُقَصِّرُ عن غاياتِ مجدِهم
حسنُ الرّجال بحسناهم وفَخرُهُمُ ... بِطَوْلِهِمْ فى المعالِى لا بطُولهم
ما اغتَابنى حاسِدٌ إلاّ شرفتُ به ... فحاسِدى مُنعِمٌ فى زِىِّ مُنتقِم
فالله يَكلأ حُسّادِى فأنعُمُهُم ... عندِى وإنْ وقعت عن غير قصدِهِم

﴿ وقال أبو تمام فى كون المرء يجمع والزمان يفرّق ﴾

ولـكننّى لم أحوِ وَفْراً مُجمَّعاً ... فَفُزْت بِهِ إلا بشَمْلٍ مُبَدَّدِ
ولم تُعطِنى الأيامُ نَوماً مُسَكَّناً ... أَلَذُّ بِهِ إلا بنومٍ مُشَرَّدِ
وطولُ مقام المرءِ فى الحىِّ مُخلِقٌ ... لِدِيباجَتَيْهِ فاغتَرِبْ تَتَجَدَّد
فإنّى رأيتُ الشمس زِيدتْ مَحبّةً ... إلى الناس أن ليست عليهم بسَرْمَدِ
وليس يُجَلِّى الكَرْبَ رُمحٌ مُسَدَّدٌ ... إذَا هُوَ لَم يُؤْنَسْ برأىٍ مُسَدَّد

﴿ وقال أبو تمام فى كون الحركة بركة ﴾

مَن أَبَنَّ (١) البيُوتَ أصبحَ فى ثو ... بٍ من العيش ليس بالفَضْفَاضِ
والفتى من تَعرَّفَتْهُ اللّيالى ... فى الفيافى كالحيّةِ النّضْنَاضِ
صِلَتَانٌ أعداؤهُ حيثُ كانوا ... فى حديث من عزمهِ مُستفاضِ
كُلّ يوم له بصَرْفِ الليالى ... فَتْـكَةٌ مثل فَتْـكةِ البَرَّاضِ

﴿ وقال بعضهم فى أنّ الأُمور تسهل بالصبر والإطمئنان لا بالذُّلّ والهوان ﴾

إذا ضَيَّقتَ أمراً ضاقَ جداً ... وإن هوَّنتَ ماقد عزّ هانَا
فلا تَهلِكْ لشىءٍ فاتَ يَأْساً ... فكم أمرٌ تَصَعَّبَ ثمّ لانَا
سأصبرُ من رفيقى إنْ جفانِى ... على كلِّ الأذَى إلاّ الهوَانا

﴿ وقال الحُسين بن مطير فى مكارم الأخلاق ﴾

أُحِبُّ مكارمَ الأخلاقِ جُهدِى ... وأكرهُ أن أعيبَ وأنْ أُعابا
وأُصفحُ عن سباب النّاسِ حِلماً ... وشرُّ النّاسِ مَن يَهوَى السِّبابا
وَمَنْ هابَ الرِّجالَ تَهيَّبُوهُ ... وَمَنْ حَقَرَ الرّجالَ فلن يُهابا

(١) أبن لازم وأقام . والفضفاض بفتح الفاء الشئ الواسع . والصلتان الرجل الجاد فى أموره

(وقال القَطامىّ ـ فى التأنّى السَّلامة وفى العجلة الندامة)

والنّاسُ مَن يلقَ خيراً قائلونَ له ... مايَشتهِى :ولأُمِّ المُخطِىءِ الهَبَلُ
قد يُدرِكُ المُتأنّى بَعضَ حاجتِهِ ... وقد يكون مع المُستعجِلِ الزَّلَلُ
وربّما فاتَ قَوماً بعضُ أمرهِمِ ... منَ التّأنِّى وكان الحزمُ لو عجلُوا
والعَيشُ لا عيشَ إلا ما تقَرُّ بِهِ ... عينٌ ولا حالَ إلاّ سَوفَ تَنتقِلُ

(وقال رجل من بنى أسد فى أنه لا خير فى وُدّ يَجىء تكلّفا)

وما أنا بالنِّكسِ الدَّنىِّ ولا الَّذى ... إذا صَدّ عنّى ذو المودَّةِ أحرَبُ
ولكننّى إن دام دُمت وان يكن ... له مذهبٌ عنّى فلِى عنه مَذهبُ
ألاَ إنّ خيرَ الودِّ وُدٌّ تطوّعَتْ ... له النّفس لا وُدٌّ أتى وهو مُتعَبُ

(وقال القاضى الجرجانى فى كون النفس الأبيّة لا تقبل الدّنايا وتستقبل المنايا)

يقولون لى فيك انقباضٌ وإنّما ... رأوا رَجُلاً عن مَوقِفِ الذُّلّ أحْجَمَا
إذا قِيلَ هذا مَنهَلٌ قلتُ قدأَرَى ... ولكنّ نفسَ الحرِّ تحتَمِلُ الظَّمَا
ولم أبتذلْ فى خِدمَةِ العلم مُهجتى ... لأخدِمَ مَن لاقَيتُ لكن لأُخْدَمَا
أأشقَى به غَرساً ؟ وأجنيهِ ذِلّةً ... إذنْ فاتّباعُ الجهل قد كانَ أحْزَمَا

(وقال البُعيث بن حُرَيث : فى كون كرامة الأنسان متوقفة على حفظ الأوطان)

وإنَّ مَسيرى فى البلاد ومنزلى ... لَبالمَنْزِلِ الأقصَى إذا لم أُقرَّبِ
ولستُ وإن قُرِّبتُ يوماً ببائِعٍ ... بلادى ولا دِينى ابتغاءَ التّحبُّبِ
ويَعتَدُّه قَوم كثيرَ تجارةٍ ... ويَمنعُنى من ذاك دِينى ومَنْصِبى

(وقال عمرو بن الاطنابة فى اقتحام الأخطار لنيل الفخار)

أبَتْ لى عِفّتِى وأبى بلائِى ... وأخذِى الحمدَ بالثَّمن الرَّبيحِ

وإقْحَامِ على المكروه نَفْسِى وضربى هامةَ البَطَلِ المَشِيحِ
وقَولى كلَّمَا جَشَأَتْ وجاشت رُوَيدَكِ تُحمَدِى أو تَستريحى
لأَدفعَ عن مآثرَ صالحاتٍ وأَحْمِى بعدُ عن عِرْضٍ صَحِيحِ

(وقال أبو تمام : لا يستحق الشكر والحمد الا من تعب وجدّ)

الحمدُ شَهدٌ لا تَرَى مُشتارَهُ يَجنيه إلا من نَقِيعِ الحنظَلِ
غُلٌّ لحامِله ويحسبُهُ الذى لم يُوهِ عاتِقَهُ خَفيفُ المحمَلِ

(وقال بعضهم : فى الفقير الصّابر المُتجمّل بالعفاف والكفاف)

كمْ فَاقةٍ مَستُورةٍ بمُرُوءةٍ وضَرورة قد غُطِّيَت بتَجَمُّلِ
ومن ابتسامٍ تحتَهُ قلبٌ شَجٍ قد خامرتْهُ لوعةٌ ما تَنجلِى

(وقال أبو تمام فى صدق اليقين)

قَلُّوا ولكنَّهُمْ طابُوا فأنجدَهُمْ جيشٌ من الصَّبْرِ لا يُحصَى له عددُ
إذا رأوا للمنايا عارضاً لَبِسُوا من اليَقين دُروعاً مالها زَرَدُ

(وقال هُدبةُ العذرىّ فى وجوب وضع الشىء فى موضعه)

ولا أتمنّى الشَّرَّ والشَّرُّ تاركِى ولكن متى أُحْمَلْ على الشَّرِّ أَرْكَبِ
ولستُ بمِفراحٍ إذا الدّهر سَرَّنى ولا جازعٍ من صَرْفِهِ المُتَقلّبِ

(وقال بعضهم فى وجوب الثّبات على المبدأ)

قد عِشتُ فى الدَّهْرِ أطواراً على طُرُقٍ شَتَّى وقاسيتُ فيها اللِّينَ والفظعا
كُلاًّ بَلَوْتُ فلا النَّعماء تُبطِرُنى ولا تَخَشَّعْتُ من لأْوائِها جزَعا
لا يَملأُ الهولُ صدرى قبل مَوقِعه ولا أضيقُ به ذَرْعاً إذا وقعا

عَوِّد بنِيكَ على الآداب فى الصِّغرِ كيما تَقَرَّ بهم عيناك فى الكِبرِ

فانّما مَثَلُ الآداب تَجمَعُها ... فى عُنفوان الصبا كالنقش فى الحجرِ
هى الكنوز التى تَنمُو ذخائرُها ... ولا يخافُ عليها حادثُ الغِيَرِ
انّ الأديبَ اذا زلّت به قَدَمٌ ... يهوَى على فرش الدّيباج والسُّرر
الناس صِنفان ذو علم ومُستمعٌ ... واعٍ وسائرهم كاللّغو والعكر

مَن لم يكن عقله مُؤَدِّبه ... لم يُغنه واعظٌ من النّسبِ
كم من وضيع الأصول فى أمم ... قد سوّدوه بالعقل والأدب

لا تيأسنّ اذا ما كنتَ ذا أدب ... على خُمولك أن ترقى إلى الفلك
فبينما الذهبُ الإبريز مختلطٌ ... بالتُّرب إذ صارا كليلاً على الملك

السّبع سبعٌ ولو كلّت مخالبهُ ... والكلبُ كلبٌ ولو بين السّباع رُبى
وهكذا الذّهب الابريز خالَطهُ ... صفر النحاس وكان الفضلُ للذّهب

لا يُعجبنّك أثوابٌ على رجل ... دَع عنك أثوابه وانظر الى الأدب
فالعود لو لم تفُح منه روائحُه ... لم يفرِق النّاسُ بين العود والحطب

وليس يسودُ المرءَ إلا بنفسه ... وان عدّ آباءً كراماً ذوى حسَب
اذا العُودُ لم يُثمر ولو كان شُعبةً ... من المُثمرات اعتدّه النّاس من حَطَب

قد ينفع الأدبُ الأحداثَ من صِغرٍ ... وليس ينفعُ بعدَ الشّيبة الأدبُ
إنّ الغُصون اذا قوّمتها اعتدلت ... ولن تَلينَ اذا قوّمتها الْخَشَبُ

(الكرم ـ لحاتم الطّائى)

أماوىُّ إنّ المالَ غادٍ ورائحٌ ... ويبقَى من المال الأحاديثُ والذِّكرُ
أماوىُّ إنّى لا أقولُ لسائلٍ ... اذَا جاء يوماً حلَّ فى مالنا النَّذرُ

أماوىُّ إمّا مانعٌ فمُبَيَّنٌ وإمّا عطاءٌ لا يُنَهْنِهُ الزّجرُ
أماوىُّ إنْ يَصبح صَدَاىَ بقفرةٍ من الأرض لا ماءٌ لدَىّ ولا خَمرُ
تَرَى أنّ ما أنفقتُ لم يُكُ ضَرَّنى وانّ يدِى مِمّا بَخِلتُ بهِ صِفرُ

(الإيثار ـ لحاتم الطائى أيضاً)

وما أنا بالسّاعى بفَضل زِمامها لِتَشرب ماءَ الحوضِ قبلَ الرّكائِبِ
وما أنا بالطّاوى حَقيبة رَحلها لأَبعثَها خَفًّا وأترُكَ صَاحبى
إذا كنتَ ربًّا للقَلُوص فلا تَدعْ رفيقَك يَمشِى خلفَها غيرَ رَاكب
أَنِخْها فأَردِفْه فان حَمَلْتَكُما فذاكَ وان كان العِقَابُ فعاقِب

(ذم الغيرة: لبعض الشعراء المتقدمين)

ما أحسنَ الغِيرَةَ فى حِينها وأقبحَ الغِيرةَ فى كلّ حِينْ
مَن لم يَزَلْ مُتَّهماً عِرسَهُ مُناصبًا فيها لِرَيْب الظّنون
أوشكَ أنْ يُغريَها بالذى يَخافُ أن يُبرزَها للعيُون
حَسبُك مِن تَحصينها وَضعُها منك الى عِرضٍ صحيح ودِين
لا تَطَّلِعْ منك على رِيبَةٍ فيتْبَعُ المقرونُ حَبلَ القَرينْ

(كرمُ الضيِّافة: لبعض الشّعراء المتقدّمين)

أُضَاحِكُ ضَيفى قبل انزال رَحْله ويَخصُب عندى والمحلُّ جَديبُ
وما الخِصبُ للأضيافِ أن يُكثِرَ القِرى ولكنّما وَجهُ الكريم خَصيبُ

(العِفَّة: لليلى الأخيلية)

وذِى حاجةٍ قُلنَا له لا تُبِحْ بها فليس إليها ما حُيِيتَ سَبيلُ
لنَا صاحبٌ لا يَنبغِى أن نَخونه وأنتَ لأُخرى صاحبٌ وخَليلُ

(القناعة : لابن الرُّومى)

مَرحباً بالكَفاف يَأتى هَنيئاً وعلى المُتعباتِ ذَيلُ العَفاءِ
ضِلَّةٌ لامرىءٍ يُشمّر فى الجمـــع لِعيشٍ مُشمّرٍ للفَناء
دَائباً يَكنزُ القَناطير للوا رث والعُمر دائباً فى انقضاءِ
يحسَب الحظّ كلّه فى يديه وهو منه على مَدى الجوزاء
ليس فى آجِل النَّعيم له حَظْـــظٌ وما ذاقَ عاجلَ النَّعْماء
ذلك الخائبُ الشَّقِيُّ وان كا ن يَرى أنّه من السُّعَدَاء
حَسْبُ ذى إرْبَةٍ ورأيٍ جَليٍّ نَظرت عَينه بِلاَ غلَوَاءِ
صِحَّة الدِّين والجوارح والعِر ض واحراز مُسْكة الحَوْباء
تِلك خيرٌ لعَارفِ المجد ممّا يَجمع النّاس من فُضول الثّراء

(القناعة : لبعض الشعراء المتقدمين)

أُحِبُّ الفتى يَنفِي الفَواحشَ سَمعُهُ كأنَّ به عن كل فاحشة وَقْرَا
سَليم دَواعى الصَّدر لا باسطاً أذًى ولا مانعاً خيراً ولا قائلاً هُجْرا
إذا ما أتت من صاحب لكَ زَلّة فكن أنت مُحتالاً لِزلّته عُذرا
غِنَى النّفس مايكفيك من سَدّ خلَّة فانْ زاد شَيئاً عاد ذاك الغِنَى فقرا

(حبّ البنين : لبعض الشعراء المتقدمين)

لولا أُمَيْمَةُ لم أَجزَع من العَدَم ولم أُجب فى اللّيالى حِنْدِس الظُّلم
وزادَنى رَغبة فى العيش مَعرفتى انّ اليتيمة يجفوها ذَوُو الرَّحم
أُحاذرُ الفقر يوماً أن يُلمَّ بهـا فيَهتكَ السّترعن لحم على وَضم
تهوى حياتى وأهوَى مَوتها شَفَقاً والموتُ أكرمُ نَزّالٍ على الحَرم

(كتمان السرّ : لمسكين الدّارمى)

وفِتيانِ صِدقٍ لستُ مُطلعَ بعضِهم ... على سِرِّ بَعضٍ غير أنّى جِماعُها
لكلِّ امرىءٍ شِعبٌ من القلبِ فارغٌ ... ومَوضع نجوى لا يُرام اطّلاعها
يَظلّون شتّى فى البلاد وسِرّهم ... الى صَخرةٍ أعيَ الرجالَ انْصداعُها

(المغفرة : لأبى العتاهية)

إنّى شَكرتُ لظالمى ظُلمى ... وغفرت ذاك له على عِلمى
ورأيتُهُ أسدَى الىّ يَداً ... لمّا أبان بجهله حِلمى
رَجَعتْ إساءته عليهِ واحـ ... ـسانى فعادَ مُضاعف الجُرم
وغدوتُ ذا أجرٍ ومَحمَدةٍ ... وغَدا بكسب الظُّلم والإثم
فكأنّما الأحسان كان له ... وأنَا المُسىء اليه فى الحُكْمِ
ما زالَ يَظلِمُنى وأرحمُهُ ... حتى بَكيت له من الظُّلم

(اكرام النفس : لابن مطير)

ومَنْ يتّبع ما يُعجبُ النّفس لم يَزل ... مُطيعاً لها فى فِعل شىء يَضيرُها
فَنفسَك أكرِمْ من أمورٍ كثيرةٍ ... فما لكَ نَفسٌ بعدها تَستعيرها

(السّعادة النفسيّة : لبشّار)

وما خَابَ بين الله والنّاس عاملٌ ... له فى التُّقى أو فى المحامدِ سُوقُ
ولا ضَاقَ فضل الله عنْ مُتعفّف ... ولكنّ أخلاقَ الرّجال تَضيقُ

(الصّداقة الكاذبة : لأبى تمّام)

إنْ شِئتَ أن يَسودّ ظنّك كلّه ... فأجلْه فى هذا السّواد الأعظمِ
ليس الصّديق بمَن يعيرُك ظاهراً ... مُتبسِّماً عن باطنٍ مُتهجِّم

(الثِّقة : لبعض الشعراء المحدثين)

فِيّ انقباضٌ وحِشمةٌ فاذا صادفتُ أهلَ الوفَاء والكرمِ
أرسلتُ نفسِي على سَجيّتها وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحتشمِ

(القناعة : لأبى تمّام)

من زاحفَ الأيام ثم عبَا لها غير القناعة لم يَزل مَفلولا
من كان مَرعى عَزمهِ وهُمومه روض الأمانى لم يَزل مَهزولا
لو جاز سلطان القنوع وحُكمهُ فى الأرض ما كان القليلُ قليلا

(الخمرة : للمعرى)

أيأتِي نَبِىٌّ يجعل الخمرَ طَلْقةً فتحمل شيئاً من همومى وأحزانى
وهيهات لو حلَّت لمَا كنتُ شارباً مُخفّفةً فى الحلم كِفّة ميزانى

(الملك أجير الرعيّة : للمعرى أيضاً)

مُلِّ المقامُ فكم أُعَاشِرُ أُمّةً أمَرتْ بغير صلاحها أُمراؤُها
ظلمُوا الرَّعيّةَ واستجازوا كيدهَا فعَدَوْا مصَالحها وهم أجراؤها

(رِياء الوُعّاظ : للمعرى أيضا)

رُوَيْدَك قد غُرِرتَ وأنتَ حرٌّ بصاحبِ حِيلةٍ يَعِظُ النِّساءَ
يُحرِّم فيكمُ الصّهباء صُبحاً ويَشربُها على عَمدٍ مَساءَ
يقول لكم غَدوتُ بلا كساءٍ وفى لَذّاتِها رَهَنَ الكِساءَ
إذا فعل الفتى ما عنهُ يَنهَى فمن جِهتين لا جِهةٍ أساءَ

(لا عِلاجَ لشُرور العالَم : للمعرى أيضاً)

إذَا كان علمُ النّاس ليس بنافعٍ ولا دافعٍ ، فالخُسرُ للعُلماءِ

قضى الله فينا بالذى هو كائن فتمّ وضاعت حِكمةُ الحكماءِ

(سلطان العقل : للمعرى أيضا)

يرتجى النّاس أن يقومَ إمامٌ ناطقٌ فى الكتيبة الخرساءِ
كذب الظّنّ لا إمامَ سوى العقـــل مُشيراً فى صُبحهِ والمساءِ
إنّما هـذه المذاهبُ أسبا بٌ لجلب الدّنيا الى الرُّؤساءِ

(رياء العُبّاد : للمعرى أيضا)

لعلّ أُناساً فى المحاريبِ خوّفُوا بآى، كَناسٍ فى المشارب أطربُوا
اذا رَام كَيداً بالصّلاة مُقيمُها فتاركُها عَمـداً إلى الله أقربُ

(الموت طهارة من الحياة : للمعرى أيضا)

أيا جَسدَ المرءِ ماذَا دَها كَ وقد كنتَ من عنصرٍ طَيِّبِ
تَصيرُ طَهوراً إذا ما رَجعـــتَ إلى الأصل كالمطر الصّيّبِ

(قسمة الأرزاق : للمعرى أيضا)

لَقد جاءنا هذا الشّتاء وتَحته فقيرٌ مُعرًّى أو أميرٌ مُدوّجُ
وقد يُرزق المجدُود أقوات أمّةٍ ويُحرم قوتاً واحدٌ هو أحوج

(ذم البطالة: للمعرى أيضا)

ويُعجبُنى دَأبُ الّذينَ تَرَهّبُوا سِوَى أكلهم كَدّ النّفُوس الشّحائحِ
فما حبسَ النفسَ المسيحُ تَعبّداً ولكن مشَى فى الأرض مشيةَ سائحِ

(الرِّفق بالحيوان للمعرى أيضا)

فقد رَابنى مَعدَى الفقير بجهله على العَيْر ضرباً ساء ما يتقلّدُ
يحمّلهُ مالا يطيق فان ونَى أحال على ذى فَترة يَتجلّدُ

(أين الحقيقة ؟ للمعرى أيضا)

نُفارق العيشَ لم نظفرْ بمعرفةٍ ... أىُّ المعانى بأهل الأرض مقصودُ
لم تعطنا العلمَ أخبارٌ يجىء بها ... نَقْلٌ ولا كوكبٌ فى الأرض مَرصودُ
وابيضَّ ما اخضرَّ من نبت الزّمَان بنا ... وكلّ زرعٍ إذا ما هَاجَ محصودُ

(حقيقة الإيمان : للمعرى أيضا)

ما الخيرُ صَومٌ يَذوبُ الصّائمون له ... ولا صلاةٌ ولا صُوفٌ على الجسَدِ
وإنّمَا هو تَرْكُ الشَّرِّ مُطّرَحاً ... ونَفضُك الصَّدْرَ من غِلٍّ ومن حَسَدِ

(خرافات النساء : للمعرى أيضا)

سَألتُ مُنَجّمَها عن الطّفل الذى ... فى المهد كم هو عائشٌ من دهره ؟
فأجابهَا مائة ، ليأخُذ درهماً ... وأتى الحِمامُ وليدَهَا فى شهره

(راحة الموت : للمعرى أيضا)

قَدِم الفتى ومضَى بغير تَئِيّة ... كهلال أوّل ليلةٍ من شهره
لقد استراح من الحياة معجّلٌ ... لو عاش كابَدَ شِدَّةً فى دهره

(العِفّة : للمعرى أيضا)

أحْسِنْ جِواراً للفتَاة وعُدَّهَا ... أُختَ السِّماك على دُنُوّ الدّارِ
كتَجَاوُرِ العَينين لن تتَلاقيَا ... وحجَازُ بينهما قَصيرُ جدارِ

(بقاء المادة : للمعرى أيضاً)

مضَى الأنام فلولا علم حالهم ... لقلت قول زُهَيْرٍ أيةً سلكوا
فى الملك لم يخرجوا عنهُ ولا انتقلوا ... منهُ فكيف اعتقادى أنهم هلكوا

(الصَّبر على الأذى : للمعرى أيضاً)

إذا قال فيك النّاس ما لا تُحبُّهُ فصبراً يفيءُ ودَّ العدوِّ إليكا
وقد نطقوا مَيناً على الله وافتَروا فما لهمُ لا يَفترون عليكا

(الدِّينُ المُعَاملة : للمعرى أيضاً)

سَبِّحْ وَصلِّ وطُفْ بمكّة زائراً سبعين لا سبعاً فلستَ بناسكِ
جَهِلَ الدّيانةَ مَن إذا عَرَضَتْ له أطماعهُ لم يُلْفَ بالمُتماسكِ

(قتل الأفراد ، وقتل الأمم : للمرحوم أديب بك إسحق)

قَتْلُ امرىءٍ فى غابةٍ جَريمةٌ لا تُغْتَفَرْ
وقتل شَعب آمِن مَسألةٌ فيها نَظَرْ
والحقُّ للقُوَّة لا يُعطاه إلا مَن ظَفَرْ
ذِى حالةُ الدنيا فكُن من شَرّها على حَذَر

(الوطن : لابن الرُّومى)

وطنٌ صَحِبتُ بهِ الشّبيبةَ والصِّبا ولبستُ ثوبَ العيشِ وهو جديدُ
فاذا تمثّل فى الضّمير رأيتُهُ وعليه أغصان الشّبابِ تَميدُ

(البنات : لِمَعْن بن أَوْس)

رأيتُ رجالاً يَكرهُونَ بناتهم وفيهنّ لا نُكذبْ نِساءٌ صوالحُ
وفيهنّ والأيّامُ يعثُرْنَ بالفتى عَوائدُ لا يَمْلُلْنَهُ ونوائحُ

(الكرم : للبُسْتى)

فَسامحْ ، ولا تَستوفِ حقّك كُلّه وابقَ فلم يَستقصِ قطُّ كريمُ
ولا تَغْلُ فى شَىءٍ من الأمر واقْتَصِدْ كِلا طَرَفَىْ قَصْدِ الأمورِ ذَميمُ

(الشهيد حىٌّ، والميت هو خائن الوطن : للامير الجليل شكيب أرسلان)

بالله لا تَندُبُوا قَتلِى، ولا تهِنُوا بَعدِى، ولا تُغْرِقو فى النّوح والحَزَنِ
إنّ الشّهيدَ لحىٌّ عند خَالقه وإنّما الميْتُ حقّاً خائنُ الوطَنِ

(الدّواة : للمرحوم اسماعيل صبرى باشا)

يا دَواةُ اجعلى مِدادَكِ وِرداً لوُفود الأقلام حِيناً فحِينَا
ولْيكنْ كالزّمان حالاً وحالاً تارةً آسِناً وأخرى مَعِينَا
أكرِمى العلمَ وامنَحِى خادِميهِ ماءك الغالىَ النّفيسَ الثّمينَا
وابذُلى الصَّافىَ المطَهَّرَ منه لُهداةِ السَّرائِر المُرشدينَا
وإذا الظّلمُ والظّلام استعَانَا يومَ نَحسٍ بأجهل الجاهِلينَا
واستَمدَّا من الشّرور مِداداً فاجعلِيه من قِسمة الظّالمينَا
واقذِفى النُّقطة التى بات فيها غَضَبُ القاهر المُذِلّ كَمِينا
لِيرَاع امرىءٍ إذا خَطَّ سطراً نَبَذَ الحقَّ وارتضَى المَيْنَ دِينَا
واذا كان فيكِ نُقطةُ سُوءٍ كُوِّنَت من خَباثةٍ تكوينا
فاجعلِيها قِسط الذين استباحوا فى السِّياساتِ حُرمة الأضعفينا
وإذا خِفتِ أن يكون من الصّخـــر جلاميدُ تُرجمُ السَّامعينا
فابخَلِى بالمِداد بُخْلا وإن أُعطيتِ فيه المئينَ ثُمّ المئِينَا
فاذا أعْوَز المِدادُ طَبِيباً يَصِف الدّاءَ دَائباً مُستعينَا
فامْنَحِيهِ المُرادَ منّا وَعرفاً واستطيبى مَعُونةَ المُحسِنينَا
وإذا مُهجةُ الحَمائم أسدتْ نُقطةً سِرّها الزكىَّ المصُونا
فاجعليها على المودّات وقفاً وهَبِيهَا رَسائلَ الشَّيِّقينا

فاذا لم تكنْ بقلبكِ إلاّ ما أعدّ الإخلاص للمُخلصينا
فاجعليه حظّى لِأكتب منه شَرْحَ حالى (لسيد المُرسلينا)

(القِمار للشيخ نجيب الحداد المتوفى سنة ١٨٩٩ م من قصيدة طويلة)

لكلِّ نقيصةٍ فى النّاس عارٌ وشَرُّ مصائب المرء القِمارُ
هو الدّاء الذى لا بُرْءَ منه وليس لذنب صاحبه اغتفارُ
تُشادُ له المنازلُ شاهقات وفى تشييد ساحتِها الدّمارُ
نَصيبُ النّازلين بها سُهادٌ وإفلاسٌ فيأسٌ فانْتِحارُ

(الوطنية للشاعر المرحوم مصطفى أفندى صادق الرافعى المتوفى سنة ١٩٣٧م)

بلادى هواهَا فى لِسانى وفى دَمِى يُمجّدها قلبى ويدعو لها فَمِى
ولا خَير فيمنْ لا يُحِبّ بِلادَهُ ولافى حَليف الحُبّ إنْ لم يُتيّمِ

(الرجوع إلى الحق خير من التّمادى فى الباطل للمرحوم لطفى المنفلوطى المتوفى سنة ١٣٤٣هـ)

إذا ما سَفيهٌ نالنِى منه نائلٌ من الذّم لم يُحْرِجْ بموقفه صدرى
أعودُ إلى نفسى فان كان صادقاً عتبتُ على نفسى وأصلحتُ من أمرى
وإلاّ فما ذنبى إلى النّاس إن طَغى هواها فما ترضَى بخيرٍ ولا شرّ

(النفس الأبية: للشاعر الكبير أحمد أفندى نسيم)

ولم أدّرِع بالذُّلِّ شِيمة حازمٍ عن العزّ والعَلياء لا يتنكّبُ
كذا أنا يا نفسى فكونى أبيةً ومالكِ إلاّ مَذهبُ الفضل مَذهبُ

(الجمال ـ لشاعر النّجف بالعراق الشيخ محمد رضا الشبيبى)

لقد عَصفتْ بالمكرُماتِ زعازعٌ وعفّت رسومَ الأكرمينَ رياحُ
إذا أظلمت أخلاقنا وتجهّمتْ فهل نافعٌ أنّ الوُجوهَ مِلاحُ

(الادب : للمرحوم محمد أفندى إمام العبد المتوفى سنة ١٩١٧ م)

لم يَثْبُت الخيرُ فى مَالٍ ولا نَسَبٍ ... إنّما الخير كلّ الخير فى الأدبِ
مَزِيّةٌ تملأ الدّنيا محاسِنُهَا ... وسُلَّمٌ لكمال الفضل والحسب

(الحكّام : للمرحوم السيد توفيق البكرى المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ)

حُكم الألى يحكمون النّاسَ يُضحكنى ... وسُوء فِعلهم فى الناس يُبكنِى
ما الذِّئبُ قد عَاثَ بين الضّأن أفتكُ من ... هٰذى الوُلاَةِ بهاتيك المساكينِ

(نشر العلم : لشاعر العراق الفيلسوف المرحوم جميل الزّهاوى المتوفى سنة ١٩٣٦ م)

إذا كان نَشر العلم ذَنْباً مُعَاقَباً ... عليه فإنّى أُشهِدُ الله مُذْنِبُ

(الثبات على المبدأ : لِشاعر الشّام أسعد أفندى رستم)

لابُدَّ للمرء ممّا ليس يُرضيه ... إذا تَداخل فيما ليس يَعنيهِ
فَابْدأ بتحسين مبدإٍ أنت صاحبه ... فالمرء يُعرف أصلا من مَبَادِيهِ

(طلب المُحال : للشاعر الجليل أحمد أفندى محرم)

صَرفتُ رجائى عن مطالبَ جَمّةٍ ... وليس الذى يَرجو المُحَال بَكيِّسِ
أقول لِنفسى والأَسَى لتُثيرها ... مكانَكِ إنّ النفسَ بالنفْس تَأْتسِى

(وقال محمد بن بشير فى الصبر الجميل)

إنّ الأمور إذا انسدّت مَسَالكُهَا ... فالصّبر يَفتُق منهَا كل مَا ارْتُتِجَا
لا تَيأسنّ وانْ طالت مَطَالبه ... إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترَى فَرَجَا
أخْلِقْ بذى الصّبر أن يحظَى بحاجته ... ومُدْمِنُ القَرع للأبواب أن يلِجَا
قدِّر لرجلك قبل الخَطو مَوضعها ... فَمن علَا زَلَقاً عن غِرّةٍ زَلجا
ولا يَغُرَّنك صَفْوٌ أنت شَاربه ... فَرُبّمَا كان بالتّكدير مُمْتَزِجَا

(وقال الأضبط بن قُريع فى الأدب العام)

لِكلٍّ ضيقٍ من الأمر سَعَهْ والصُّبْح والمَسَا لا فلاَح مَعَهْ
قد يَجمع المالَ غيرُ آكِله ويأكلُ المالَ غيرُ مَن جمعَهْ
وَيقطع الثّوبَ غيرُ لابسه ويلبس الثّوبَ غيرُ من قَطَعه
فَاقبل من الدّهر ما أتاك به مَن قرّ عيناً بعَيْشه نَفَعه
وصِلْ حِبالَ البعيدإنْ وَصلَ الْحَبْلَ وأقصِ القريبَ إنْ قَطَعَهْ
ولا تُعادِ الفقير عَلَّكَ أن تَرْكَع يوماً والدّهر قد رفَعه

(وقال عَبيد بن الأَبرص الأسدى أحد فحول شعراء الجاهلية فى الصَّبر)

صَبّر النّفس عند كلّ مُلِمّ إنَّ فى الصّبر حِيلَةَ المُحتالِ
لا تَضيقنّ بالأمور فقد تُكْـشَف غمّاؤها بغير احتيال
رُبّماتَجْزع النُّفوسُ من الأمْـر له فُرْجة كَحَلّ العِقَال

الباب الثانى عشر فى الصبر والتأنى

تَصبّر فى اللّأْواءِ قد يُحمدُ الصّبرُ ولولا صرُوفُ الدّهرلم يُعرف الحُرُّ
و إنّ الذى أبلَى هو العون فانتدبْ جميلَ الرِّضايبقَى لكَ الذّكروالاجرُ
وثِقْ بالذى أعطَى ولا تَكُ جَازعاً فليسَ بحزمٍ أن يُروّعك الضّر
فلا نِعَمٌ تبقَى ولا نِقَمٌ ولا يَدوم كِلا الحالين عُسرٌ ولايُسرُ
تَقلّب هذا الأمر ليس بدائمٍ لدَيه مع الأيام حُلوٌ ولا مُرّ

اصبر على مَضَض الإدلاج فى السَّحر وفى الرّواح إلى الطّاعات فى البُكرِ
إنِّى رأيتُ وفى الأيام تَجرِبَةٌ للصَّبر عاقبةً مَحمودةَ الأثرِ

وقَلّ مَن جدَّ فى أمرٍ يُؤمّلُه ... واستصحبَ الصّبر إلا فاز بالظفر

عليكَ باظهار التّجلّد للعِدَى ... ولا تظهِرنْ منك الذُّبُولَ فتُحقرَا

أمَا تَنظر الرَّيحانَ يُشمَمُ ناضراً ... ويُطرح فى البَيْدَا إذا مَا تَغيَّرا

صَبْراً على نُوَبِ الزّما ... نِ وإنْ أبى القلبُ الجريحُ

فلكلِّ شىءٍ آخرٌ ... إمّا جميلٌ أو قبيحُ

الدّهر أدّبنِي والصّبر رَبَّانى ... والقُوت أقْنعنِي والياس أغنانِي

وَحنّكْتنِي من الأيام تَجربةٌ ... حتى نَهيتُ الذى قد كان ينَهانِي

إنِّى رأيتُ الصَّبرَ خيرَ مُعوَّلٍ ... فى النّائباتِ لمن أراد معوّلا

ورأيتُ أسبابَ القناعة أكّدت ... بعُرى الغِنى فجعلتها لىَ مَعقِلا

فاذا نَبَا بىَ منزلٌ جاوَزتُه ... وجعلت منه غيره لىَ منزِلا

وإذا غَلا شىءٌ علىّ تركته ... فيكون أرخص ما يكون إذا غَلا

إذا مَا أتَاك الدَّهر يوماً بنكبةٍ ... فأفرغْ لها صبراً وأوسعْ لها صدرا

فانّ تَصاريف الزّمان عجيبة ... فيوماً ترى يُسراً ويوماً ترى عُسرا

على قدْر فضل المرء تأتى خطوبُهُ ... ويُحمدُ منه الصَّبْر ممّا يُصيبُه

فمن قَلّ فيما يتّقيه اصطباره ... لقد قَلَّ فيما يَرتجيه نَصيبُه

إصبر قليلاً فبعدَ العُسر تَيسيرُ ... وكلّ وقتٍ له أمرٌ وتَدبيرُ

وللمُهيمن فى حالاتنا نظرٌ ... وفوق تدبيرنا لله تَدبيرُ

إصبرْ ففى الصّبر خيرٌ لو علمتَ به ... لكنت باركت شكراً صاحِبَ النّعمِ

واعلم بِأنك إن لم تصطبرْ كرماً ... صَبرْتَ قهراً على ما خُطّ بالقلمِ

كن حليماً إذا بُليتَ بغيظٍ ... وصَبوراً إذا أتتك مُصيبهْ

فاللّيالى من الزّمان حبَالَى مُثقلاتٍ يلِدْن كلّ عَجِيبه

تصبّر أيها العبدُ اللّبيبُ لعلّك بعد صبرك ما تخيبُ
وكلّ الحادثات وإنْ تناهتْ يكون وراءهَا فرَجٌ قريبُ

أياصاحِبى إن رُمت أن تكسبَ العُلا وترقَى إلى العَلياءِ غير مُزاحِم
عَليك بحُسْن الصَّبْر فى كلّ حالة فما صابرٌ فيما يرومُ بنَادم

بَنَى الله للأخيار بَيتاً سَماؤُه همومٌ وأحزانٌ وحيطانُه الصّبرُ
وأدخلَهم فيه وأغلقَ بابَه وقال لهم مِفتاحُ بابِكُمُ الصّبر

إصبرْ قَليلاً وكن بالله مُعتصماً لا تعجلَنَّ فانّ العَجز بالعَجَل
الصبر مثل اسمه فى كل نائبةٍ لكن عَواقبه أحلَى من العسَل

إذا جرَحَتْ مساوِيهم فؤادى صَبَرْتُ على الإساءة وانطوَيتُ
وجئتُ اليهمُ طَلقَ المُحيّا كأنّى لا سمعت ولا رأيتُ

تأنّ وَلا تَضِقْ للأمر ذَرعاً فكم بالنّجح يَظفَر مَنْ تأنّى
تأنّ فالمرء إنْ تأنّى أدركَ لا شكّ ما تمنّى

تأنَّ ولا تعجَل بلومك صاحِباً لعلّ له عُذراً وأنتَ تلومُ

الباب الثالث عشر في الصدق

الصّدق عزٌّ فلا تَعدل عن الصّدق واحذر من الكذب المذموم فى الخُلُق

عليك بالصّدْق ولو أنّه أحرقَك الصِّدْقُ بنار الوعيد
عليك بالصّدْق فى كل الأُمور ولا تكذب فأقبَح ما يُزرى بك الكذِبُ

الباب الرابع عشر في الكذب

لِى حِيلةٌ فيمن ينِمْ ... مُ وليس فى الكذّاب حيلَه
مَن كان يَخلق ما يقو ... ل فحيلتى فيه قليله

نعم نعم انّما النّمامُ ذوضررٍ ... لَكنّما الكاذب الجانى أشدّ ضررْ
أخو النّميمة إن يسمَعْ ينِمّ ومن ... يكذب يقل ما يشا قولاً بغير أثر
لذَاك لى حيلةٌ فى مَن ينمّ وما ... لى حيلةٌ فى كذوبٍ مِلْءِ فيه شَرَر

لى حِيلةٌ فى من ينمُّ فانّنى ... أطوِى حديثى دونَه وخطابى
لكنّما الكذّاب يخلُق قوله ... ما حيلتى فى المُفترى الكذّابِ

لا يَكذِب المرءَ إلاّ : مِن مَهانتِه ... أو فعله السُّوء: أو من قِلّة الأدبِ
لبعضُ جِيفةِ كلبٍ خيرُ رائحةٍ ... من كَذْبة المرء فى جدّ وفى لَعِب

إياك من كَذِب الكَذُوب وإفكِه ... فلرُبّما مزَج اليقينَ بشكّهِ
ولرُبّما كَذب امرُؤٌ بكلامه ... وبصمته وبُكائه وبضحكه

اذا عُرِف الإنسان بالكذبِ لم يزل ... لدى الناس كذّاباً ولو كان صادقاً
فان قال لم تصغَ له جُلساؤه ... ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقاً

الباب الخامس عشر فى التواضع

انْ شئت أن تَبنى بناءً شامخاً ... يلزمْ لذا البنيان أسٌّ راسخُ
انّ البناء هو الكمالُ وأسُّه الـ ... صّخرىُّ فهو الإتّضاعُ الباذخُ
تواضعْ لربّ العرش علّك ترُفعُ ... فما خابَ عبدٌ للمُهيمن يَخضَعُ
تواضعْ تكُنْ كالنَّجم لاح لناظر ... على صفَحات الماء وهو رفيعُ

ولا تك كالدُّخان يعلو بنفسه الى طَبقات الجوّ وهو وَضيع
إذا شِئْتَ أن تَزداد قدراً ورفعة فَلِن وتواضعْ واترُكْ الكِبر والعُجبا
تواضع اذا ما نِلْتَ فى الناس رِفعة فانّ رَفيعَ القوْم من يتواضعُ

الباب السادس عشر فى الكرم والكرماء

ونُكرم ضَيفَنا ما دام فينا ونُتْبعُهُ الكرامةَ حيثُ مالاَ
فتًى كمُلت خيراتُه غير أنّه جَوادٌ فما يُبقى من المال باقياً
انّ الكرام اذا ما أيسرُوا ذَكرُوا مَن كان يألفُهم فى المنزل الخَشِنِ
أبى الجُود فى الدُّنيا سِواك لأنه تفرَّع من جُودٍ وأنتَ أبو الجُودِ
إن الكريمَ الذى لا مَال فى يدِه مثلُ الشُّجاع الذى فى كفّه شَلَلُ
والمال مثل الحصَى ما دام فى يدنا فليس ينفعُ إلاّ حينَ يَنتقلُ
لو أشبهتْك بِحارُ الأرضِ فى كرمٍ لأصبح الدرّ مَطروحاً على الطُّرُقِ
أو أشبَه الغَيثُ جُوداً منك مُنْهمِلاً لم يَنْجُ فى الأرض مخلوقٌ من الغرق
مَن قاسَ جَدْواك بالغَمام فما أنصفَ فى الحُكم بين شَكلينِ
أنت اذا جُدْت ضاحكٌ أبداً وهو اذا جَادَ دَامعُ العَين

ما نَوال الغَمام وقْتَ ربيعٍ كنوال الأمير وقْت سَخاء
فنَوالُ الأمير بَدْرَةُ مالٍ ونَوالُ الغَمام قَطْرةُ ماء

الباب السابع عشر في البخل والبخلاء

يُفنِي البخيلُ بجمع المال مُدّته وللحوادث والأيّام ما يَدَعُ
كدُودة القزّ ما تَبنيه يَهدمها وغيرها بالذى تَبنيهِ يَنتفع

إنّ هذا الفتى يَصُون رغيفاً ... مَا اليه من ناظرٍ من سَبيل
فى جِرابٍ فى جوف تابوت موسى ... والمفاتيح عند مِيكائيل

شَرابك مختُوم وخبزك لا يُرى ... ولحمُك بين الفَرقدين مُعلّقُ
نَديمك عَطشانٌ وضَيفك جائعٌ ... وكلبك نبّاح وبابك مُغلَق

نَوالك دُونه شَوْك القَتاد ... وخبزك كالثُّريّا فى البعاد
ولو أبصرتَ ضيفاً فى منام ... لحرّمت الرُّقاد على العباد

قد شاب رأسِى ورأس الدّهر لم يَشِب ... إنّ الحريصَ على الدّنيا لفى تَعبِ
وذى حِرصٍ تراه يَلُمّ وفراً ... لوارثه ويَدفع عن حِماهُ
ككلب الصّيد يمسك وهو طاوٍ ... فريستَه لِيأكلَها سِوَاه

حَسبِى بعلمى إن نَفَعْ ... ما الذّلّ إلاّ فى الطّمعْ
مَن رَاقبَ اللهَ نَزعْ ... عن سُوء ما كان صَنَعْ
ما طَار طيرٌ وارتفعْ ... الا كما طار وقعْ
أصبحتَ أجوعَ خلقِ الله كلّهم ... وأفزعَ النّاس من خُبزٍ اذا وُضعَا
خُبزُ البخيل لَمكتوبٌ عليه ألاَ ... لا بارَكَ الله فى ضَيف اذَا شَبعا

إيّاك والحرصَ انّ الحرص مَتْعبَةٌ ... فان فعلتَ فرَاعِ القَصْدَ فى الطّلبِ
قد يُرْزَقُ المرءُ لم تَتْعَبْ رَوَاحِلهُ ... ويُحرمُ المرءُ ذُو الأسفَار والتّعب
اذا كُسرَ الرَّغيفُ بَكى عليه ... بُكا الخَنْسَاءِ إذ فُجِعَتْ بصَخْرِ
ودون رغيفهِ قَلعُ الثّنايَا ... وضَربٌ مثل وَقعةِ يومِ بَدرِ
تَغيَّرَ إذْ دَخلتُ عليه حتّى ... فطنْتُ فقلتُ فى عرض المقَالِ
علىَّ اليومَ نَذرٌ من صِيامٍ ... فأشرقَ وجهُهُ مِثلَ الهلالِ

رَغيفٌ فى الحِجاب عليه قُفْلٌ وحُرَّاسٌ وأبوابٌ مَنيعَهْ
رَأى فى بيته ضيفٌ رغيفاً فقالَ لضَيفِهِ هٰذا وَدِيعه

رأى «الصَّيفَ» مكتوباً على باب داره فصحّفه «ضَيفاً» فقامَ الى السَّيف
فقلنا له «خَيراً» فظنّ بأنّنا نقول له «خُبزاً» فمات من الخوف

﴿ وقال أبو محمد اسحاق الموصلى المتوفى سنة ٢٣٥هـ فى ذَمّ البُخل ﴾

وَآمِرةٍ بالبُخل قلتُ لها اقْصِرى فليس إلى ما تَأمُرِينَ سَبيلُ
أرى النّاسَ خُلّانَ الجواد ولا أرى بَخيلاً له فى العالَمينَ خليلُ
وانّى رأيتُ البُخلَ يُزْرِى بأهله فأكرمتُ نفسى أنْ يُقال بخيلُ
ومن خَير حالاتِ الفَتى لو علمته إذا نال شَيئاً أن يكونَ ينيلُ
عَطائى عَطاءُ المُكثِرين تَجمُّلا ومالى كما قد تَعلمينَ قليلُ
وكيف أخافُ الفقرَ أو أُحرَمُ الغِنَى ورأىُ أمير المؤمنين جَميلُ

الباب الثامن عشر في وصف الدنيا

أيا مَن عاش فى الدُّنيا طويلا وأفنَى العُمرَ فى قِيلٍ وقالِ
وأتعبَ نفسَه فى ما سَيفنَى وجَمعٍ من حَرامٍ أو حَلال
هَبِ الدُّنيا تُقاد اليك عَفواً أليس مصيرُ ذاك إلى انتقال

إنّ لِلّهِ عِباداً فطَنا طَلّقوا الدُّنيا وعافوا الفِتنَا
فكّرُوا فيها فلمّا عَلِمُوا أنّها ليست لِحَيٍّ وطَنَا
جَعلوها لُجّةً واتّخذُوا صَالحَ الأعمال فيها سُفُنَا

عَجبتُ للمَرء فى دُنياه تُطمِعُه فى العيش، والأجلُ المحتُوم يَقطعُه

يُمسِى و يُصبح فى عَشْواءَ يَخبطُها أعمَى البَصيرة والآمالُ تخدعُه
يَغترّ بالدَّهر مَسروراً بصُحْبته وقد تَيقّن أنّ الدَّهر يَصرعُه
ويَجمع المالَ حِرصاً لا يُفارقه وما دَرَى أنَّه للغير يَجمعُه
تراه يَشفَقُ مِنْ تَضييع دِرْهمه وليسَ يَشْفق من دِينٍ يُضيّعه
وأسوأ النّاس تَدْبيراً لعاقبةٍ مَن أنْفَقَ العُمر فى ما ليس ينفعهُ

ألا إنّما الدُّنيا كأحلام نائمٍ وما خيرُ عَيشٍ لا يكونُ بدائِم
تأمّلْ إذا مَا نِلتَ بالأمر لَذّةً فأفنيتَها هل أنتَ الا كحالِم ؟

ومَن يَذُق الدُّنيا فإنى طَعِمتُها وسيقَ الينا عَذْبُها وعذَابُها
فلَم أرَها إلاّ غُروراً و باطلاً كما لاحَ فى ظَهر الفَلاة سَرَابُها
وما هىَ إلاّ جِيفَةٌ مُستحيلةٌ عليها كِلابٌ هَمُّهنَّ اجتِذَابُها
فانْ تَجْتَنِبْها كنتَ سِلماً لأهلها وانْ تَجتَذِبْها نَازَعتك كلابُها
فَدَعْ عنك فضْلاَت الأمور فانّها حرامٌ على نفس التّقىّ ارتِكَابُها

ومَن يَحمد الدّنيا لشىءٍ يَسُرُّه فسوفَ لَعمرى عن قليل يَلُومُها
اذا أدْبرتْ كانتْ على المرءِ حَسرةً وان أقبلَت كانت كثيراً همُومُها

هى الدنيا تقولُ بملءِ فيها حذَارِ حذَارِ من بَطشِى وفَتكِى
فلا يَغرُركمُو مِنّى ابتسامٌ فقَوْلى مُضحِكٌ والفعلُ مُبكِى

يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنِيّة إنّها شَرَكُ الرَّدَى وقَرارةُ الأقْذَارِ
دارٌ متَى ما أضحكتْ فى يومها أبكتْ غداً تبّاً لها من دارِ

الباب التاسع عشر في الاسرار

ولَستُ بمُبْدٍ للرّجال سَريرتى ولا أنَا عن أسرارهم بِسؤول

لا يَكتُم السِّرَّ الاّ كلّ ذى ثِقةٍ ... والسِّرُّ عند خِيار النّاس مكتومُ
فالسِّرُّ عِنْدى فى بَيتٍ له غُلقٌ ... ضاعت مفَاتيحه والبابُ مَختومُ
صُن السِّرَّ عن كل مُستخبر ... وحاذِرْ فما الرّأْىُ الا الحَذَرْ
أسيرُك سِرّك إنْ صُنْتَه ... وأنتَ أسيرٌ له إن ظَهر
كلّ علمٍ ليس فى القِرْطاس ضَاع ... كلّ سِر جاوَزَ الاثنين شاعْ
اذا لم يكن فى الورَى صاحبٌ ... وفيه ثلاثُ خِصال حَميده
وفاءٌ ، وسرٌّ ، وحفظُ الولاَ ... فصُحبتُه قَطّ ليست مُفيده

الباب العشرون فى اللسان

لا يُعجِبنّك من خَطيبٍ خُطبةً ... حتى يكون مع الكلام أصيلا
إنّ الكلامَ لفى الفُؤادِ وانّما ... جُعل اللِّسان على الفؤَاد دليلا
يُصاب الفتَى من عَثرةٍ بلسانِه ... وليس يُصاب للمرء من عَثرة الرِّجلِ
فعَثرَتُه فى القول تُذهِبُ رَأسهُ ... وَعثرتُه بالرِّجل تَبرَا على مَهل
احفظْ لِسانَك أيّها الإنسانُ ... لا يَلدغَنَّك إنّه ثُعبانُ
كم فى المقابر من قَتيل لِسانه ... كانت تَهاب لِقاءه الشُّجعانُ
الصَّمت زَيْنٌ والسّكوت سلامةٌ ... فاذا نطقتَ فلا تَكُن مِكثارا
فاذا نَدِمتَ على سكوتك مَرّة ... فلتندَمنّ على الكلام مِرَارا
إنّ القليل من الكلام بأهله ... حَسنٌ وانّ كثيرَه مَمقُوت
ما زَلّ ذو صَمت وما من مُكثرٍ ... الاّ يَزِلّ وما يُعابُ صَموتُ
إنْ كان يَنطقُ ناطقٌ من فِضّةٍ ... فالصَّمتُ دُرٌّ زانَهُ الياقوتُ
احفظ لِسانك واستعِذْ من شَرّه ... إنّ اللِّسانَ هو العدُوّ الكاشِحُ

وزن الكلام إذا نطقت بمجلس ... فاذا استوى فهناك حلمك راجح

عود لسانك قول الخير تنجو به ... من زلة اللفظ أو من زلة القدم
واحذر لسانك من خل تنادمه ... إن النديم لمشتق من الندم

الباب الحادى والعشرون فى المعاشرة

اذا المرء لا يرعاك إلا تكلفاً ... فدعه ولا تكثر عليه التأسفا
ففى الناس أبدال وفى الترك راحة ... وفى القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كل من تهواه يهواك قلبه ... ولا كل من صافيته لك قد صفا
اذا لم يكن صفو الوداد طبيعة ... فلا خير فى ود يجىء تكلفا
ولا خير فى خل يخون خليله ... ويلقاه من بعد المودة بالجفا
وينكر عيشاً قد تقادم عهده ... ويظهر سراً كان بالأمس قد خفا
سلام على الدنيا اذا لم يكن بها ... صديق صدوق صادق الوعد منصفا

صاف الكرام فخير من صافيته ... من كان ذا أدب وكان ظريفا
واحذر مؤاخاة اللئيم فانه ... يبدى القبيح ويذكر المعروفا
إن الكريم وإن تضعضع حاله ... فالخلق منه لا يزال شريفا
والناس مثل دراهم قلبتها ... فأصبت منها فضة وزيوفا

ولن يصحب الإنسان إلا نظيره ... وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد
وما الغى إلا أن تصاحب غاوياً ... وما الرشد إلا أن تصاحب مرشدا

أخو الفسق لا يغرك منه تودد ... فكل حبال الفاسقين مهين
وصاحب اذا ما كنت يوماً مصاحباً ... أخا ثقة بالغيب منك أمين

اجعل قرينك من رضيت فعاله ... واحذر مقارنة اللئيم الشأن

كم من قرين شائنٍ لقرينه ومُهجّنٍ منه لكلّ محاسنِ
وعينك إنْ أبدت اليكَ مَساوياً من النّاس قُل ياعينُ للنّاس أعينُ
وعاشِرْ بمعروف وكنْ متودّداً ولا تلقَ إلا بالّتى هى أحسنُ

الباب الثاني والعشرون فى القناعة

وأكلُ كسيرةٍ فى جنب بَيتى أحبُّ الىّ من أكل الرَّغيف
ولُبْسُ عباءةٍ وتقرَّ عينى أحبُّ الىَّ من لُبس الشّفوف
هى القناعة فالزمْهَا تعِش ملكاً لو لم يكن منك الا راحةُ البدنِ
وانظُر لمنْ مَلك الدُّنيا بأجمعِهَا هل راحَ منها بغير القُطن والكَفنِ
قَنعتُ بالقوتِ من زَمانِى وصُنتُ نفسِى عن الهوان
خَوْفاً من النّاس أن يَقولوا فَضلُ فلانٍ على فلانِ
مَن كنتُ عن مَاله غَنِيّاً فلا أُبالى إذا جفانى
ومَن رآنى بعين نَقصٍ رأيتُه بالّتى رآنى
ومن رآنى بعين تِمٍّ رأيتُه كاملَ المعانى
إذا المرء عُوفىَ فى جسمه وملّكه الله قلباً قنوعا
وألقَى المطامعَ عن نفسه فذاك الغنىُّ ولو مَات جوعا
النّفس تَجزعُ أن تكونَ فقيرةً والفقر خيرٌ من غِنىً يُطغيها
وغنَى النّفوس هوالكَفاف فان أبَتْ فجميعُ ما فى الأرض لا يَكفيها
إنّ القَنُوع نَفيسُ النّفس راشدُها وهو الغنىُّ الذى يَحيَا بلا نَصَبِ
وذو المطامع مَغرُورٌ ومُفتقر ولوحَوَى مُلكَ سُلطانٍ وعلْمَ نَبِى
أفَادتنِى القَنَاعةُ كلَّ عزٍّ وهلْ عزٌّ أعزُّ من القناعه

ولقد طَلبتُ رِضَا البَريّة جاهداً فاذا رضاهُم غايةٌ لا تُدْرَكُ
وأرَى القناعةَ للفتى كنزاً له والبِرُّ أفضلُ ما بهِ يُتمسَّكُ

الباب الثالث والعشرون في الحسد

تَخلّق النّاسُ بالأدناس واعْتَمَدُوا من الصّفات الدّها والمكرَ والحسَدا
كرهتُ منظرَهم من سُوءِ مَخْبَرِهم فقد تَعاميْتُ حتى لا أرى أحدَا

اصْبرْ على كيد الحسُو د فَانّ صَبْرك قاتلُهْ
كالنّار تأكلُ نفسَها إن لم تجدْ ما تأكله

دَعِ الحسُودَ وما يَلقاه من كمدٍ يكفيك منه لَهيبُ النّار فى كَبِدهْ
انلُمتَ ذَا حَسدٍ نفَّستَ كُربتَه وانْ سَكتَّ فقد عذّبتَه بيدِهْ

أيا حاسداً لى على نِعْمتِى أتدرى على مَن أسأتَ الأدبْ
أسأتَ على الله فى حُكمِهِ لأنّك لم ترضَ لى مَا وهبْ
فأخزاكَ رَبِّى بأنْ زَادنى وسَدّ عليكَ وجُوه الطّلبْ

إن شِئتَ قتلَ الحاسدين تعمّداً من غير مُدْيَاتٍ عليك ولا قَوَد
وبغير سمّ قاتل وصَوارم وعقاب رَبّ ليس يغفل عن أحدْ
عظِّم تجاه عيونهم مَحْسودَهم فتَراهمُو مَوتَى النّفوس مع الجسدْ

الباب الرابع والعشرون فى الحلم

ألاَ إنّ حِلمَ المرءِ أكرمُ نِسبةٍ تَسامَى بها عند الفخار حليمُ
فيارب هبْ لى منك حِلماً فَانـ ـنِى أرَى الحِلم لم يَندمْ عليه كريم

ولا خيرَ فى حِلمٍ اذا لم يكن له بَوادرُ تَحمِى صَفوهُ أن يُكدَّرا
ولا خيرَ فى جهلٍ اذا لم يكن له حَليمٌ اذا ما أوردَ الأمرَ أصدَرا

اذا كنتُ محتاجاً إلى الحلم إننى ... الى الجهل فى بعض الأحايين أحوجُ
ولى فرسٌ للحلم بالحلم مُلجمٌ ... ولى فرسٌ للجهل بالجهل مُسْرَجُ
فمن شاء تقويمى فإنّى مقوّمٌ ... ومَن شاء تعويجى فانّى مُعوّجُ
وما كنتُ أرضى الجهلَ خِدْناً وصاحباً ... ولكننّى أرضى به حين أُحْرَجُ

اذا كنتَ بين الحلم والجهل ناشئاً ... وخُيِّرتَ أنّى شئتَ فالحلمُ أفضلُ
ولكن اذا أنصفتَ مَن ليس مُنصفاً ... ولم يرضَ منك الحلمَ فالجهلُ أمثلُ

وعَينُ الرِّضا عن كلّ عيب كليلةٌ ... كما أنّ عينَ السُّخط تُبدى المساويا
ولستُ بهيّاب لمن لا يهابُنى ... ولستُ أرَى للمرء ما لا يَرَى ليا
فانْ تَدنُ منّى تَدنُ منك مودّتى ... وإن تنأَ عنّى تلقنى عنك نائيا
كلانا غنىٌّ عن أخيه حياتَه ... ونحنُ اذا متنا أشدُّ تغانيا

الباب الخامس والعشرون في الحماقه

لكلّ داءٍ دواءٌ يُستطَبُّ به ... إلا الحماقةَ أعيتْ من يُداويها
لا تيأسنّ من اللّبيب وان جفَا ... واقطعْ حبالك من حبال الأحمقِ
فعَداوةٌ من عاقلٍ متجمّلٍ ... أولى وأسلمُ من صداقةِ أخرقِ

الباب السادس والعشرون فى الوطن

قال ابن الرومى

ولى وطنٌ آليتُ ألاّ أبيعَهُ ... وألاّ أرَى غيرى له الدّهرَ مالكا
عَمرْتُ به شَرْخ الشّباب مُنعّماً ... بِصُحبة قوم أصبحُوا فى ظِلالِكا
وحبّبَ أوطانَ الرّجال اليهمُ ... مآربُ قضّاهَا الشّبابَ هنالِكا
إذا ذكرُوا أوطانهم ذكّرتهُمُ ... عهُودَ الصِّبَا فيها فحنّوا لذلكا

قد ألِفَتْه النّفسُ حتى كأنّه لَها جَسدٌ إنْ بَانَ غُودِرَ هَالِكا

الباب السابع والعشرون فى المال

إنّ الدّراهمَ كالمرَا هِم تَجبرُ العظم الكسيرَا
لو نالَهُنّ ثعيلَب فى صُبحِهِ أضحَى أميرا

إن قَلّ مالى فلا خِلٌّ يُصَاحِبُنى إنْ زاد مالى فكلُّ الناس خِلاّنِى
فكم عدُوٍّ لأجل المال صاحَبنى وكم صَديقٍ لفقد المال عادَانى

لَعمرُك إنّ المال قد يَجعلُ الفتَى سرِيًّا وإنّ الفقر بالمرء قد يُزْرى
وما رَفعَ النّفس الدّنية كالغِنَى ولا وضع النّفس النّفيسة كالفقر

وإذا ما رأيتَ صَعُوبةً فى مطلبٍ فاحملْ صُعُوبتَهُ على الدِّينارِ
وابعثْهُ فيما تَشتهيه فانّه حَجرٌ يُلَيّنُ قَسْوَةَ الأحجَار

النّاس أتباعُ مَن دامتْ له نِعمٌ والويل للمرءِ إن زَلّتْ به القَدمُ
المالُ زَيْنٌ ومن قَلّتْ دَراهمه حىٌّ كمَنْ مات الاّ أنهُ صَنَمُ

لمّا رَأيتُ أخِلاّئى وخالِصَتى والكلّ مُستترٌ عَنّى ومُحتَشِمُ
أبدُوا جَفاءً وإعراضاً فقلتُ لهم أذنبتُ ذنباً، فقالوا ذنبُك العَدَم

فَصاحةُ حَسّانٍ وخطُّ ابن مُقْلة وحِكمةُ لُقمان وزُهد ابن أدهمِ
إذا اجتمعت فى المرء والمرءمُفْلسٌ ونُودِى عليه لا يُباعُ بدَرهم

إذا كنتَ فى حاجة مُرسلا وأنتَ بها كلِفٌ مُغْرَمُ
فأرسِلْ حكيما ولا تُوصِه وذاك الحكيم هو الدِّرهمُ

أظهَرُوا للنّاس زُهداً وعلى الدّينار دَاروا
وله صامُوا وصلّوا وله حَجّوا وزاروا

لو يُرى فوق الثريّا ولهم ريشٌ لطاروا

المالُ يفرقُ بين الأمّ والولدِ فذاك أدنى نسيبٍ عند كلّ يدِ
عهدِى به خادماً كالعبد تملكه فما لعينى تراه سيّد البلد

مالٌ يميل إلى الإنسانِ منْ صغرٍ وكلّما شبّ شبّ الحبّ فى الكبد
لو يجمع الله ما فى الارض قاطبةً عند امرىءٍ لم يقُل حسبى فلا تزد
كلٌّ يروحُ من الدُّنيا الغرُور كما أتى بلا عدَد منها ولا عُدَد
لو كان يأخذُ شيئاً قبلنَا أحدٌ لم يبق شىءٌ لنا من سالف الأمد
إذا المرءُ لم يعتقْ من المال نفسه تملّكهُ المالُ الذى هو مالكُهْ
ألا إنما مالى الذى أنا منفقٌ وليس لىَ المال الذى أنا تاركهْ

مَن كان يملك درْهَمين تعلّمتْ شفتَاه أنواعَ الكلامِ فقالا
وتقدّم الإخوانَ فاستمعُوا له ورأيتَه بين الورى مُختالا
لو لا دَراهمُه التى يزْهو بها لوجدتَهُ فى النّاس أسوأ حالا
إنّ الغنىَّ إذا تكلّم بالخطا قالوا صدَقتَ وما نطقت مُحالا
أمّا الفقيرُ إذا تكلّم صادقاً قالوا كذَبتَ وأبطلُوا مَا قالا
إنَّ الدَّراهمَ فى المواطن كُلّهَا تكسُو الرِّجَالَ مَهابة وجمالا
فهىَ اللِّسانُ لمن أراد فصَاحةً وهىَ السِّلاح لمن أراد قِتَالا

الباب الثامن والعشرون فى السياحة والغربه

وإذا البلادُ تغيّرتْ عن حالها فدَع المقامَ وبادِر التّحويلا
ليس المُقامُ عليك فَرضاً واجباً فى بلدةٍ تدْعُ العزيزَ ذليلاَ
تنقّلْ فلذّاتُ الهوى فى التّنقُّل وردْ كلّ صافٍ لا تقِفْ عند مَنْهلِ

فى الأرض أحباب وفيها مناهل ... فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

تغرّب عن الأوطان فى طلب العلا ... وسافر ففى الأسفار خمس فوائد
تفرّج هم، واكتساب معيشة ... وعلم، وآداب، وصحبة ماجد
وإن قيل فى الأسفار ذل ومحنة ... وقطع الفيافى واكتساب الشدائد
فموت الفتى خير له من حياته ... بدار هوان بين واش وحاسد

ارحل بنفسك من أرض تضام بها ... ولا تكن لفراق الأهل فى حرق
من ذل بين أهاليه ببلدته ... فالاغتراب له من أحسن الخلق
الكحل نوع من الأحجار منطرحاً ... فى أرضه كالثرى يرأى على الطرق
لما تغرّب نال العز أجمعه ... وصار يحمل بين الجفن والحدق

ما فى المقام لذى عقل وذى أدب ... من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوضاً عمن تصاحبه ... وانصب فان لذيذ العيش فى النصب
إنى رأيت وقوف الماء يفسده ... إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب
والأسد لولا فراق الغاب ما قنصت ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة ... لملها الناس من عجم ومن عرب
والبدر لولا أفول منه ما نظرت ... اليه فى كل حين عين مرتقب
والتبر كالترب ملقى فى أماكنه ... والعود فى أرضه نوع من الحطب
فان تغرّب هذا عز مطلبه ... وإن أقام فلا يعلو على رتب

اذا ما ضاق صدرك من بلاد ... ترحّل طالباً أرضاً سواها
عجبت لمن يقيم بدار ذل ... وأرض الله واسعة فضاها
فذاك من الرجال قليل عقل ... بليد ليس يعلم ما طحاها

فنفسك فُزْ بها إن خِفتَ ضيما ... وخلِّ الدّارَ تنعى مَن بناها
فإنّك واجدٌ أرضاً بأرضٍ ... ونفسك لم تجدْ نفساً سواها
ومَن كانت مَنِيّتُه بأرضٍ ... فليس يموت فى أرضٍ سواها

﴿ وقال الحريرى فى الحث على السفر من آخر مقامة له ﴾

لا تقعُدَنْ عن ضرٍّ ومَسغَبةٍ ... لكى يُقالَ عزيزُ النّفْس مُصطبرُ
وانظرْ بعينيك هل أرضٌ مُعطّلة ... من النّبات كأرضٍ حفّها الشّجرُ
فعُد عمّا يُشير الأغبياء به ... فأىُّ فضل لعودٍ ماله ثمرُ
وارحل ركابك عن رَبعٍ ظمِئتَ به ... إلى الجناب الذى يَهْمِى به المطَرُ
واستنزل الرِّىّ من دُرّ السّحاب فان ... بُلّتْ يداك به فليهنك الظّفَرُ

بلادُ الله واسعةٌ فضاءً ... ورِزْق الله فى الدُّنيا فسيحُ
فقلْ للقاعدين على هَوَانٍ ... إذا ضاقت بكم أرضٌ فسيحُوا

وإذا رأيتَ الرِّزقَ ضاق ببلدةٍ ... وخشيتَ فيها أن يضيقَ المكسبُ
فارحلْ فأرضُ الله واسعةُ الفضا ... طُولاً وعرضاً شرقُها والمغربُ

إذا ما كنتَ فى قوْم غريباً ... فعاملهم بفعلٍ يُستطابُ
ولا تحزنْ إذا فاهُوا بفُحْشٍ ... غريبُ الدّار تنبحُهُ الكلاب

وما طَلبُ المعيشةِ بالتّمنّى ... ولكن ألقِ دلوك فى الدّلاءِ
تجىء بمثلها طوْراً وطوراً ... تجىء بحمأةٍ وقليلِ ماء
ولا تقعُدْ على كسل التّمنّى ... تُحيلُ على المُقدّر والقضاء
فانّ مقاديرَ الرّحمن تجرى ... بأرزاق الرّجال من السّماء
مقدّرة بقبضٍ أو ببسطٍ ... وعجزُ المرءِ أسباب البلاء

الباب التاسع والعشرون في الغدر

لا أشتكي زمني هذا فأظلمه ... وانّما أشتكي من أهل ذا الزمنِ
هم الذئاب اتى تحت الثياب فلا ... تكن إلى أحدٍ منهم بمؤتمن
وزهدني في الناس معرفتي بهم ... وطول اختباري صاحباً بعد صاحبِ
فلم ترني الأيام خلاً تسرني ... مباديه الا ساءني في العواقبِ
اني بلوت الناس أطلب منهم ... أخا ثقةٍ عند اعتراض الشدائدِ
فلم أرَ فيما ساءني غير شامتٍ ... ولم أرَ فيما سرني غيرَ حاسدِ

﴿ وقال علي بن الجهم وهو مسجون ﴾

قالوا حبست فقلت ليس بضائري ... حبسي وأيّ مهندٍ لا يغمدُ
فالشمس لولا أنها محجوبةٌ ... عن ناظريك لما أضاء الفرقدُ
والبدر يدركه السرار فتنجلي ... أيامه وكأنه متجددُ

﴿ الباب الثلاثون في الختام بالدعاء ﴾

أراني الله وجهك كلّ يوم ... صباحاً للتيمّن والسرورِ
وأمتعَ مقلتيّ بصفحتيهِ ... لأقرأ الحسنَ من تلك السطورِ
بقيت مدى الدنيا وملكك راسخٌ ... وطودك ممدودٌ وبابك عامرُ
يودّ سناك البدرُ والبدرُ زاهرٌ ... ويقفو ندى كفّك البحرُ والبحرُ غامرُ
وهنّئتَ أياما توالت سعودها ... كما تتوالى في العقودِ « الجواهرُ »

يقول مؤلفه فرغت من تأليفه وترتيبه في ربيع الأول سنة الف وثلثمائة وخمسة عشر هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه

﴿ وانتهت هذه الطبعة الجديدة الخامسة عشرة في ١٥ رمضان سنة ١٣٥٦ هـ ﴾

مؤلفات صاحب كتاب جواهر الادب

بيانها مع ثمنها فى المكاتب المصرية .

١٠ — القواعد الأساسية للغة العربية (فى النحو والصرف) حسب منهج الألفية لابن مالك بقلم مدرسى — وتطبيقات عملية عديدة

٢٠ — جواهر الأدب فى مختارات وأدبيات لغة العرب جزآن فى ١٠٠٠ صفحة فى فنون الأدب السبعة وهو [illegible]

١٠ — جواهر البلاغة فى علوم المعانى والبيان والبديع بطريقة واضحة علمية عملية

١٠ — أسلوب الحكيم فى كيفية عمل الانشاء القويم بطريقة عملية ونظرية

٥ — المفرد العلم فى رسم القلم « لعصمة قلم الكاتب من الخطأ فى الامالى ورسم الحروف العربية (طبعة جديدة معدلة لسنة ١٩٣٧)

٥ — انشاء المكاتبات العصرية وتحرير المراسلات الاهلية بين الاخوان والاصدقاء

٥ — مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية مجموع ثلاثة آلاف حديث للرسول ﷺ — فى الحالة الاجتماعية مشكولا بالشكل الكامل

١٠ — سلطان الغرام حب وعشق وهيام (مجموعة مختارة من الشعر التمثيلى والقصصى والوصفى مرتبة على الحروف الأبجدية

٤ — ميزان الذهب فى عمل شعر العرب عروض وقوافى — على أحدث الطرق الفنية التطبيقية (طبعة حديثة معدلة لسنة ١٩٣٧ م)

٤ — السحر الحلال فى الحكم والامثال (مختصر أمثال شعرى من ألزم اللازم للكتاب والأدباء والشعراء

٥ — السعادة الأبدية فى الشريعة الاسلامية على المذاهب الاربعة

893.78
H2733

SEP 11 1964

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58886265
893.78 H2733 Jawahir al-adab fi a